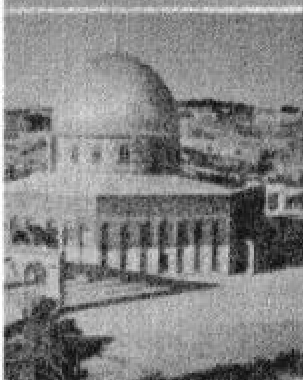
الهلال

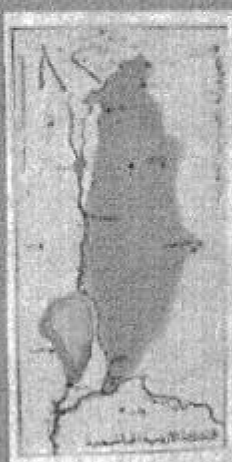
السنة الثانية
والثمانون

يناير ١٩٧٤
ذو الحجة ١٣٩٣

• سيناء
• القدس
• الجولان







عدد خاص

من ١٥ قرشا

الهلال

يناير ١٩٧٤

مجلة شهرية تصدر
عن دار الهلال العدد
الأول ـ السنة
الثانية والثمانون ـ
أول يناير ١٩٧٤
٨ ذو الحجة ١٣٩٣

الاشتراكات

ثمن العدد ، في جمهورية مصر العربية ٥٠ مليما .
قيمة الاشتراك السنوي : « ١٢ عددا » في جمهورية مصر العربية وبلاد اتحادي البريد العربي والافريقي ١٥٠ قرشا صاغا . في سائر أنحاء العالم ٦ دولارات أو ٢٫٥ جنيه والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال : في جمهورية مصر العربية والسودان بحوالة بريدية . في الخارج بشيك مصرفي والأسعار الموضحة أعلاه بالبريد العادي ويضاف رسوم البريد الجوي والمسجل على الأسعار المحددة عند الطلب .
الادارة : دار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب ـ القاهرة
تليفون : ٢٠٦١٠ « عشرة خطوط »

في هذا العدد



د. طه حسين



د. سيد نوفل



د. احمد مختار

بسم الله الرحمن الرحيم



كلمة
الهلال

سيناء والجولان والقدس ...

انشودتنا الحبيبة المتحشرجة فى اعماقنا منذ ست سنوات ...

هل نسيناها يوما ما ؟

هل طلع علينا صباح ، او اقبل علينا مساء ، لم نذكر فيه سيناء والجولان والقدس ؟

لقد افلتت هذه المقدسات الثلاث من ايدينا فى غفلة من غفلات الزمان : لا لتنسانا ، بل لتوقظنا من غفلتنا ، وتؤلف صفوفنا : وتوحد قلوبنا ، وتردنا - كما شاء الله سبحانه - أمة واحدة ، تلتقى ضمائرها على الجهاد ، وتمتزج دماؤها فى ساحة الاستشهاد

وقد استجبنا والحمد لله ، ووقفت امم الارض وكواكب السماء مشدوهة امام العمل الرائع الذى بدأناه يوم ٦ اكتوبر سنة ١٩٧٣ ، والفجر الجديد الذى صنعناه ، لا لنقف عند اضوائه الاولى ، بل لنمضى الى ضحاه المشرق الذى ترتفع فيه رايتنا العربية على كل حفنة رمل من تراب ثالوثنا المقدس : سيناء والجولان والقدس ..

● صالح جودت ●

د. أحمد الشرباصي

القدس وسيناء في القرآن

اى معان واى خواطر واى مشاعر ، تثور فى قلب الانسان حينما يلفظ او يسمع كلمة « القدس » ...

انها الكلمه التى لو جردناها من ذكرياتها ، وتاريخها وسيرتها ، لبقى لها هذا التذكير بالقداسة والطهارة والكرامة ، فلغة العرب - وهى لغة القرآن المجيد ، تقول : قدس المؤمن ربه، اى نزهه عما لا يليق بالوهيته، والقرآن يقول على لسان الملائكة فى خطاب ربهم تبارك وتعالى : « ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك»

والقدوس : المطهر المنزه عن جميع النقائص . القدس: الطهر. والمكان المقدس : المطهر من ادران الوثنية ونحوها . والارض المقدسة : فلسطين - ردها الله على العرب والمسلمين - او الطور وما حوله ، او الشام كلها . وروح القدس : جبريل عليه السلام ، والقرآن يقول: « وآتينا عيسى بن مريم البينات وايدناه بروح القدس» ويقول : « قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمؤمنين » .

القدس وسيناء في القرآن

القدس – وبيت المقدس – هي عاصمة فلسطين وبلد المسجد الاقصى ، والقبلة الاولى للمسلمين التي اشار اليها الله تبارك وتعالى في قوله : « وما جعلنا القبلة التي كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه، وان كانت لكبيرة الا على الذين هدى الله ، وما كان الله ليضيع ايمانكم ان الله بالناس لرءوف رحيم »

والمسجد الاقصى هو ثالث المساجد التي تشد اليها الرحال بنية العبادة ، فرسول الله عليه الصلاة والسلام يقول : « لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، ومسجدي بالمدينة ، والمسجد الاقصى » .

وقد سمى القدس بالمسجد الاقصى ، لانه كان ابعد المساجد التي تزار ويبتغى بها الاجر بالنسبة الى المسجد الحرام ، او لانه لم يكن وراءه موضع عبادة، او لبعده عن الاقذار والخبائث، وقد روى انه بنى في اصله بعد بناء المسجد الحرام باربعين سنة .

ولقد تكاثرت الفضائل من حول القدس – بيت المقدس – وحسبها اولا أن مسجدها كان واسطة العقد في معجزة الاسراء والمعراج فكان خاتمة لرحلة الاسراء في الارض ، وكان فاتحة لرحلة المعراج الى السماء ، ثم كان خاتمة لرحلة العودة من المعراج وفاتحة لرحلة العودة من المسجد الاقصى الى المسجد الحرام ، وقد نوه القرآن المجيد بذلك، وجعل هذا التنويه فاتحة لسورة سماها باسم المعجزة وهو « سورة الاسراء » فقال في طليعتها : « سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير »

والآية الكريمة تشير الى البركة التي جعلها الله من حول هذا المسجد وهذه البركة تتمثل في مجاري الانهار وفي فيض الثمار ، وبمن دفن من حوله خلال عصور التاريخ من الصفوة الاخيار الابرار . وهناك اية كريمة تشير الى هذه البركات، وهي قوله عز من قائل : « واذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغدا »

ومن فضائل هذا المسجد أن الصلاة تضاعف فيه مائتين وخمسين مرة ، على اقل الروايات عددا في المضاعفة وانه يستحب ختم قراءة القرآن المجيد به ، ومن الفضائل استحباب المجاورة

به للعبادة او الذكر او الاعتكاف او طلب العلم ، ومنها انه يستحب الصيام فيه ، ومنها ان لم يقدر على زيارته ، فيستحب له ان يهدى اليه زيتا للسراج، او ما يقوم مقام الزيت لاضاءته .

ومن الفضائل ان السيئات تضاعف فيه ، اى تزداد قبحا وفحشا ، لان العاصى فى زمان شريف او مكان شريف ، اشد جراة واقل خوفا من الله جل جلاله ، ومنها انه ينبغى للحالف ان يحذر اليمين الفاجرة فيه لان عاقبتها وخيمة.ومنها انه يستحب الاحرام بالحج والعمرة فيه .

ولقد شاء الله تبارك وتعالى - بمقتضى وعده فى القرآن الكريم ان الارض يرثها عباده الصالحون - ان تفتح القدس ابوابها امام نور الاسلام فى السنة السادسة عشرة من الهجرة حيث افتتحها الصحابى الجليل ، القائد البطل ، امين الامة ابو عبيدة عامر بن الجراح ، وطلب اهلها ان يصالحهم على صلح مدن الشام، وان يكون المتولىللعقد هو خليفة المسلمين امير المؤمنين عمر بن الخطاب ، فاستجاب الخليفة لذلك ، وارتحل اليهم من المدينة ، ولما دنا من القدس قال : لبيك اللهم لبيك ، بما هو احب اليك .

ثم اتجه الخليفة فى مسيرته الى محراب داود ليلا ، وصلى فيه ، ولما طلع الفجر امر بالاذان والاقامة ، ثم تقدم فصلى بالناس ، وقرأ جانبا من سورة « ص » فىالركعة الاولى ، وقرأ فى الركعة الثانية اول سورة الاسراء

ثم شرع فى تطهير الساحة الطاهرة الطيبة من الكناسة والاقذار التى وضعها الروم فى المكان ، وشاركه الناس فى هذا التطهير .

وكتب الخليفة لاهل القدس كتاب امان يعد مثالا فى العدل والسماحة واللين مع الناس جاء فيه :

« بسم الله الرحمن الرحيم : هذا ما اعطى عبد الله عمر امير المؤمنين اهل ايليا (القدس) من الامان ، اعطاهم امانا لانفسهم واموالهم ، ولكنائسهم وصلبانهم ، وسقيمها وبريئها وسائر ملتها : انه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ، ولا ينتقص منها ولا من حيزها ولا من صليبهم ، ولا من شىء من اموالهم ، ولا يكرهون على دينهم ، ولا يضار احد منهم ، ولا يسكن بايلياء معهم احد من اليهود .

« وعلى اهل ايلياء انيعطوا الجزية كما يعطى اهل المدائن ، وعليهم ان يخرجوا منها الروم واللصوت (اللصوص) ، فمن خرج منها فهو آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مامنهم ، ومن اقام منهم فهو آمن وعليه مثل ما على اهل ايلياء من

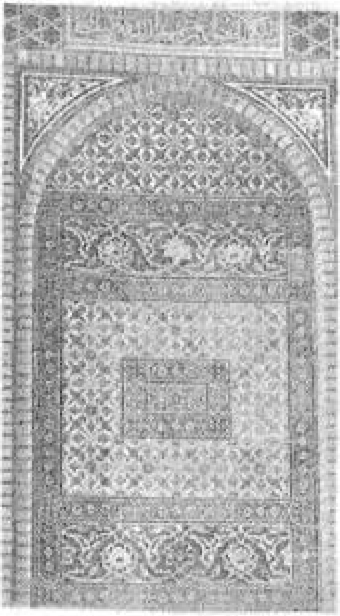
الجزية · ومن احب من اهل ايلياء ان يسير بنفسه وماله مع الروم، ويخلي بيعهم وصـــلبهم ، فانهم امنون على انفسهم وعلى بيعهم وصلبهم · حتى يبلغوا مأمنهم ·

« ومن كان بها من اهـــل الارض قبل مقتل فلان ، فمن شاء منهم قعدوا عليه مثل ما على اهـــل ايلياء من الجزية ، ومن شاء ســـار مع الروم ومن شـــاء رجع الى اهله ، فانه لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصـــد حصادهم · »

« وعلى ما في هذا الكتاب عهدالله وذمة رسوله ، وذمة الخلفاء ، وذمة المؤمنين ، اذا اعطوا الذى عليهم من الجزية · شهد على ذلك خالد بن الوليد وعمرو بن العاص ، وعبد الرحمن بن عوف ، ومعاوية بن ابى سفيان ، وكتب وحضر سنة خمس عشرة » ·

●●●

هكذا كانت القـدس ـ ومازالت ـ صاحبة مكانة ومنزلة فيتاريخ الاسلام منذ القدم ، وفى نفوس المسلمين فى الامس البعيد ، والحاضر القائم ، والى ماشاء، ولكن اليهود يفترون ويزعمون فيما ينشرون ان عناية المـــسلمين بالقدس (وهى بيت المقدس) لم تظهر الا اخيرا ، بعد التنافس والصراع بين المسلمين واليهود في فلسطين ـ ردها



الله على العرب والمسلمين ـ وهـذا تزوير للتاريخ ، فالمســلمون يعنون بالقدس وبفلسطين كلهمــا منذ بزغت شمس الاسلام ·

والقدس عند المسلمين ـ منذ اربعة عشر قرنا ـ فيهـــا اولى القبلتين ، وثالث الحرمين ، ولقد ظل رسول الله صلوات الله وسلامه عليه، والمسلمون من ورائه ، يتجهون فى صلواتهم الى المسجد الاقصى فى بيت المقدس (وهو القدس) سبعة عشر شهرا تقريبــا · وصار للقدس مكانة جليلة فى نظـر

المسلمين ، لان فيها المسجد الاقصى ، وهو أحد مسجدين اثنين اقتصر القرآن المجيد على التصريح باسمهما ، وهما المسجد الحرام وفيه الكعبة ، والمسجد الاقصى واليه أسراء الرسول ، ومنه كان معراجه صلوات الله وسلامه عليه

والقى الاسلام رداء الهيبة والكرامة على القدس ، فجاء فى كتب السنة :

« من مات فى بيت المقدس فكأنما مات فى السماء ، ويقصد بهذا ـ طبعا ـ من مات على الاسلام طائعا لله ورسوله ٠ وكذلك جاء : « من أهل بحجة أو عمرة من المسجد الاقصى غفر له ما تقدم من ذنبه » ٠ وهذا ـ طبعا ـ عند توافر التوبة النصوح مع الاخلاص ٠

كما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال : « صليت ليلة اسرى بى الى بيت المقدس عن يمين الصخرة» وقصة الاسراء تقص علينا ان رسول الله محمدا قد صلى اماما بالانبياء والمرسلين فى المسجد الاقصى ليلة الاسراء ٠

ومن مظاهر عناية المسلمين عناية قديمة موصولة بالقدس وبالمسجد الاقصى ، وبفلسطين كلها ، هذه الكتب والمؤلفات الضخمة التى ألفها علماء الاسلام ومؤرخوه منذ قرون فى فضائل القدس والمسجد الاقصى ، ومنها :

١ ـ فضائل القدس: لابن الجوزى المتوفى سنة ٥٩٧ هـ ـ ١٢٠٠ م

٢ ـ الانس فى فضائل القدس : لابن هبة الله الشافعى ، من رجال القرن السابع الهجرى

٣ ـ مثير الغرام بفضائل القدس والشام : لابن سرور المقدسى المتوفى سنة ٧٦٥ هـ ـ ١٣٦٣ م

٤ ـ الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل : لمجير الدين الحنبلى القاضى المتوفى سنة ٩٢٧ هـ ـ ١٥٢٠ م ٠٠

٥ ـ الجامع المستقصى ، فى فضائل المسجد الاقصى : لابن عساكر المتوفى سنة ٩٤٨ هـ ـ ١٥٤١ م

٦ ـ فضائل القدس : للشريف عز الدين حمزة المتوفى سنة ٨٧٤ هـ ـ ١٤٦٩ م ٠٠

٧ ـ باعث النفوس ، الى زيارة القدس المحروس ، لابن قاضى الصلت المتوفى سنة ٧٢٩ هـ ـ ١٣٢٨ م

٭٭٭

هذا شىء من الحديث عن مكانة القدس فى نظر القرآن والاسلام

ثم يأتى حديث عن سيناء ٠٠

كلمة « سيناء » ـ بكسر السين وقد تفتح ـ وقد تضاف اليها كلمة « الطور » فيقال : طور سيناء ، كما جاء فى قول القرآن : « وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للآكلين » ٠

القدس وسيناء في القرآن

وقد يقال لهذا المكان « سينين » ، كما جاء في قول القرآن :

« والتين والزيتون وطور سينين »

وسيناء هي صحراء سيناء الواقعة في جنوب فلسطين • وفيها الوادي المقدس الذي قال عنه القرآن في سورة طه مخاطبا موسى : « اني انا ربك فاخلع نعليك انك بالوادي المقدس طوى » • وهكذا أمره أن يخلع نعليه تعظيما للبقعة ، لانها الوادي المقدس المسمى « طوى » • وفي سورة النازعات يقول : « اذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى » •

وفي سيناء يوجد الوادي الايمن والبقعة المباركة ، فذلك حيث يقول القرآن الكريم في سورة القصص :

« فلما قضى موسى الاجل وسار بأهله آنس من جانب الطور نارا ، قال لاهله امكثوا اني آنست نارا ، لعلي آتيكم منها بخبر أو جذوة من النار لعلكم تصطلون ، فلما أتاها نودي من شاطيء الواد الايمن من البقعة المباركة من الشجرة ، أن يا موسى اني أنا الله رب العالمين » •

وفي سيناء يوجد « الطور » ، وهو الجبل الموجود فيها ، وقد تكرر ذكر هذا الطور في آيات من القرآن المجيد ومن ذلك قول الله تعالى في سورة مريم : « وناديناه من جانب الطور الايمن وقربناه نجيا » • وتشير هذه الآية الى أن موسى عليه السلام شاهد ـ وهو في طريق عودته بزوجته الى وطنه ـ شاهد نارا من الجانب الايمن لجبل الطور في سيناء ، وهناك ناداه الله جل جلاله ، وقربه من حماه وناجاه ، ويروى أن الله تعالى أوحى اليه : « يا موسى ، اذا خلقت لك قلبا شاكرا ، ولسانا ذاكرا ، وزوجة تعين على الخير ، فلم أخزن عنك من الخير شيئا ، ومن أخزن عنه هذا فلم أفتح له من الخير شيئا » •

ويقول القرآن أيضا في سورة البقرة : « واذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون ، ثم توليتم من بعد ذلك فلولا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين » •

والميثاق هنا هو ـ كما قال أهل التفسير ـ العهد الفطري الذي يجعل العقول بعد الرشد قابلة لادراك السنن الالهية في الخلق ، وهو العهد الموثق بالعهد الديني ، وهو ما أيد الله به الانبياء من الآيات البينات ، والاحكام المحكمات ، فمن أنكر بعثة الانبياء ، ولم يهتد بهديهم فهو ناقض لعهد الله فاسق عن سننه ، وهذا ما ارتكبه اليهود •

وقد أراهم الله جل جلاله آية تقوى الايمان عند العقلاء ، وهي نتق الجبل – جبل الطور – ونزعه ليحرك فيهم الشعور ، حتى يتمسكوا بأوامر الله بقوة ، ويحافظوا على العمل بهـا ، لأن العمل سند العلم ، ولذلك قـال الامام علي رضي الله عنه : « يهتف العلم بالعمل ، فان اجابه والا ارتحل »

ويشير القرآن بذلك الى أن اللـه سبحانه قد أخـذ على بني اسرائيـل المواثيق والعهود للايمان به وحـده لاشريك له ، واتباع رسـله ، ورفع فوقهم الطـور ارهابا وتهديدا ، لكي يقروا بما عوهدوا عليه ، وينفذوا أوامره بامتثال واجتهـاد ، وكأنه هددهم باسقاط الجبـل فوقهم ، ان ظلوا على بهتانهم ·

وعلى الرغم من هذا الميثاق المؤكد العظيم تولى هؤلاء واعرضوا ، وخانوا ونقضوا ، ولولا أن الله جـل جلاله صاحب رحمة ، فأرسل اليهم الرسـل وقبل من تائبيهم توبتهم ، لكانوا ممن خسروا الدنيا والآخرة معا ·

ويعود القرآن الى تسجيل العصيان والكفران من هؤلاء عند رفع الطور ، فيقول في سورة البقرة : « واذ أخذنا ميثاقكم ، ورفعنا فوقكم الطـور ، خذوا ما آتيناكم بقوة واسـمعوا ، قالوا سمعنا وعصينا ، واشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم ، قل بئسـما يأمركم به ايمانكم ان كنتم مؤمنين »

ويعود القرآن مرة أخرى ، فيقول في سورة النساء : « ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم وقلنا ادخلوا البـاب سجدا ، وقلنا لهم لاتعدوا في السبت وأخذنا منهم ميثاقا غليظا » · فيؤكد القـرآن هنـا جرائم هؤلاء بتكرار حديثه عن رفع الطور في سيناء فوقهم تهديدا ووعيدا ، حتى جعلوا ينظرون اليه، خائفين أن يقع عليهم، وأن يسقط فوقهم فيسـحقهم ، ومع ذلك عادوا فغـدروا وخـانوا ، وأمرهم الله أن يدخلوا بيت القدس ساجدين خاشعين قائلين : اللهم حط عنـا ذنوبنا ، ولكنهم عاندوا ودخلوا زاحفين على استاههم ، مجاهرين بالتحريف قائلين غير ذلك ، وأمرهم الله ألا يعملوا في يوم السبت ، وأخـذ عليهم بذلك ميثاقا غليظا شديدا ، ولكنهم خالفوا وعملوا يوم السبت ·

ويقول الكتاب العزيز في سـورة طه : « يا بني اسرائيل قد انجيناكم من عدوكم وواعدناكم جانب الطـور



الايمن ونزلنا عليكم المن والسلوى ، كلوا من طيبات ما رزقناكم ولا تطغوا فيه فيحل عليكم غضبي ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى » . ولكنهم مع الاسف قد طغوا فحل عليهم غضب الجبار ، وحق لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقول : « نحن اولى بموسى منهم » .

وقد اشار القرآن في سورة « المؤمنون » الى بعض خيرات سيناء حين قال : « وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للآكلين » يشير الى شجرة الزيتون المباركة الكثيرة المنافع والفوائد ، وهي تنبت وفيها الدهن اي الزيت الذي يعصر المفيد للآكلين وقد اضاف شجرة الزيتون الى سيناء لانها ظهرت فيها وتشعبت منها في البلاد وانتشرت ، وكثرت في هذا المكان ، وقد اشار الكتاب العزيز مرة اخرى الى هذه الشجرة في قوله تعالى : « الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح ، المصباح في زجاجة ، الزجاجة كانها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة ، لا شرقية ولا غربية ، يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار ، نور على نور ، يهدي الله لنوره من يشاء ، ويضرب الله الامثال للناس ، والله بكل شيء عليم » . وهنا وصف القرآن هذه الشجرة في سيناء بانها شجرة مباركة ، وصرح بانها شجرة الزيتون وقد قيل انها اول شجرة نبتت بعد الطوفان .

وعاد القرآن الكريم في سورة « التين » فذكر « طور سينين » وهو جبل طور سيناء ، وجعله احد اشياء اربعة اقسم بها الحق جل جلاله ، تنويها بشانها وتذكيرا بمكانتها ، فقال في مفتتح السورة : « والتين والزيتون ، وطور سينين وهذا البلد الامين ، لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم » .

وقد ذكر الاستاذ الامام في « تفسير جزء عم » الاقوال الواردة في معنى « التين والزيتون » ، ومن بينها انهما الشجرتان المعروفتان باسم التين والزيتون ، لكثرة فوائدهما ، ثم قال « ولكن تبقى المناسبة بينهما وبين طور سينين والبلد الامين ، وحكمة جمعهما معا في نسق واحد غير مفهومة ، ولهذا رجح انهما موضعان »

وقد يرجح انهما النوعان من الشجر ولكن لا لفوائدهما كما ذكروا ، بل لما يذكران به من الحوادث العظيمة التي لها الآثار الباقية في احوال البشر .

قال صاحب هذا القول : ان الله تعالى اراد ان يذكرنا باربعة فصول من كتاب الانسان الطويل ، من اول

ثلاثة الى يوم بعثة محمد صلى الله عليه وسلم ، فالتين اشارة الى عهد الانسان الاول ، لانه كان يستظل فى تلك الجنة التى كان فيها بورق التين وعنـدما بدت له ولزوجته سواتهما طفقا يخصفان عليهما من ورق التين

والزيتون اشـارة الى عهد نوح عليه السلام وذريته ، وذلك لانه بعد ان فسـد البشر ، واهلك الله من اهلك منه بالطوفان ، ونجى نوحا فى سفينته ، واستقرت السفينة ، نظـر نوح الى ما حوله، فرأى المياه لاتزال تغطى وجه الارض ، فارسـل بعض الطيور لعله يأتى اليه بخبر انكشاف الماء عن بعض الارض ، فغـاب ولم يأت بخبر • فأرسل طيرا آخر ، فرجع اليه يحمل ورقة من شجر الزيتون ، فاستبشر وسر، وعرف أن غضب الله قد سكن ، وقد اذن للارض ان تعمر

ثم كان منه ومن أولاده تجـديد القبائل البشرية العظيمة فى الارض ، التى محى عمرانها بالطوفان ، فعبر عن ذلك الزمن بزمن الزيتـــون ، والاقسام هنا بالزيتون للتذكير بتلك الحادثة ، وهى من اكبر ما يذكر به من الحوادث •

وطور سينين اشـارة الى عهـد الشريعة الموسـوية ، وظهـور نور التوحيد فى العالم ، بعـدما تدنست جوانب الارض بالوثنية، وقد استمر الانبياء بعد موسى يدعون قومهم الى التمسك بتلك الشريعة ، الى أن كان آخرهم عيسى صلى الله عليه وسلم جاء مخلصا لروحها مما عرض عليه من البدع •

ثم طال الامد على قومه، فأصابهم ، ما أصاب من قبلهم من الاختلاف فى الدين • وحجب نوره بالبدع ، واخفاء معناه بالتأويل ، واحداث ما ليس منه بسبيل ، فمن الله على البشر ببداية تاريخ ينسخ جميـع تلك التواريخ ، ويفصـل بين ما سبق من اطـوار الانسانية وبين ما يلحق ، وهو عهد ظهور النور المحمدى من مكة المكرمة واليه اشار بذكر البلد الامين •

ايها العربى حيثما كنت ••

ايها المسلم حيثما التفت ••

تذكر ولا تنس •• تذكر انهـا القدس • القبلة الاولى والحـرم الثالث فى تراث الاسلام وتاريخ المسلمين، وانها مسرى نبيك ورسولك عليه الصلاة والسـلام •• تذكر ان مواريث النبوات والرسالات قد انتهت الى به محمد عليه الصلاة والسلام ، لتكون امانة عزيزة غالية فى ايدى اتباعه الى ما شاء الله ، يجعلونها حرما آمنا قائما بالحق والعدل •

تذكر ولا تنس •• تذكر انها سيناء، التى تشهد كل حبـة من رمالها ان العروبة المؤمنة لن تنام عن حقها فى التحرير والتعمير ، مهما طال المدى فى تقدير الانسـان •• انهم يرونه بعيدا ونراه قريبـا ، وما ذلك على الله بعزيز •

د. سيد
نوفل

كيف ضل الإسرائيليون في سيناء وتاهوا في دروبها أربعين عاماً ؟

كانت عناية القرآن باليهود وأخبارهم أمرا طبيعيا ، فقد كانوا ألد أعداء الاسلام وأخطرهم نفاقا ، وأشدهم نقضا للعهود ... ولم يستقر الاسلام في جزيرة العرب، ولم تسر أعلامه المظفرة منها الى أرجاء المعمورة ، لتنشر العدل والاخاء والسلام ، الا يوم غلب اليهود على أمرهم ، وتطهرت من مؤامراتهم ونفاقهم ورجسهم منازل الوحي المحمدي ، ومعاهد الرسالة السمحاء

● الخروج الاول من مصر ●

ولد موسى بمصر ، حين ضاق المصريون بالعبريين ، وساموهم سوء

لم يستطل حديث القرآن الكريم فى قصة استطالته فى قصة كليم الله ورسوله : موسى بن عمران ، عليه السلام .. ولم يفصل القرآن مساوىء قوم مثلما فصل مساوىء بنى اسرائيل : الذين تواترت اليهم المعجزات ، وانزلت التوراة والوصايا العشر على موسى ، فكفروا بالله ورسوله ، واصروا على الوثنية ، وعبدوا العجل الذهبى ، وحرفوا التوراة والوصايا تحريفا ، واحالوها اسـوا احالة ، وبدلوها شر تبديل ..

وحديث بنى اسرائيل فى كتب التفسير القرآنى اكثر استفاضـة من اى حديث .. ومصدر ذلك اليهود الذين فتح لهم المجتمـع الاسلامى ابوابه ، فادخلوا على التفسير الكثير من الاساطير والاقاصيص التى اطلق عليها اسم الاسرائيليات ، ومن اليسير تبين مظاهر الصنعة والانتحال فيها ..

العذاب ، وقرر فرعون قتل كل ولد يولد لهم ، حتى لا يزداد نسـلهم ، ويهددوا الدولة وامنها ..

واحتالت ام موسى بعد ولادته للابقاء عليه ، بعد اخفائه عن العيون ثلاثة اشهر كاملة .. ووضعت طفلها فى تابوت ، وتركته يسبح فوق سطح النيل ..

والتقطت الطفـل امراة فرعون ، وكانت عاقرا ، واعجبت به واقنعت زوجها بالابقاء عليه ، لعله يكون قرة عين لها وله ..

واراد الله ان تتصـل ام موسى بوليدها مرضعة له فى قصر الملك .. وكبر موسى وعرف انه عبرى .. ورأى ذات يوم احد المصريين يضرب عبريا، فوكز موسى المصرى فقتله .

● موسى فى ارض مدين ●

وادرك موسى انه معرض للعقاب ، فهرب نجاة بنفسه عبر الصحراء الى ارض مدين ، قرب خليج العقبة ..

وتزوج موسى ابنة شعيب بعد ان عاش فى كنفه وخدمته عدة سنين . وظل معه قليلا بعد الزواج . ثم اسـتأذن شعيبا فى الخروج الى امه بمصر ، بعد ان كبر ، وتغير وجهه ، ولم يكن من اليسير تبين حالة التى خرج عليها من مصر قبلا .

كيف ضل الإسرائيليون في سيناء ؟

وخرج موسى بأهله عبر سيناء لزيارة أمه في عاصمة مصر .. لكنه لم يكد يمشي حتى ولد له في الطريق ابن .. وأحست زوجه ببرد الشتاء القارس ، فشكت اليه حالها .. فأخذ يتلمس النفط لها حوله .. ورأى من بعيد نارا ، فظن انها من نار الرعاة .. « فقال لأهله امكثوا انى آنست نارا ، لعلى اتيكم منها بقبس ، او اجد على النار هدى .. »

● الله يكلم رسوله ●

واقترب موسى من النار ، فوجدها في شجرة خضراء . ! وبينما هو يحدق النظر في المشهد العجيب ، توالت عليه المفاجات الالهية .. وفي هذا المشهد تكثر الروايات ، وتتنوع الصور ..

وفي رواية عن ابن عباس قال : رأى موسى شجرة خضراء من أسفلها الى أعلاها ، كأنها نار بيضاء تتقد . وسمع تسبيح الملائكة ، ورأى نورا عظيما فخاف وبهت . فألقيت عليه السكينة ، ثم ناداه الله : يا موسى ! واتصل كلامه سبحانه وتعالى ..

وفي رواية عن وهب قال : ظن موسى أن الشجرة أوقدت ، فأخذ من دقاق الحطب ليقتبس من لهيبها ، فمالت اليه كأنها تريده ، فتأخر عنها وهابها .. ثم لم تزل تطمعه ويطمع فيها ، ثم لم يكن أسرع من خمودها ، فكأنها لم تكن .. ثم رمى موسى بنظره الى فرعها ، فاذا خضرته ساطعة في السماء ، واذا نور بين السماء والارض له شعاع تكل عنه الابصار .. فلما رأى موسى ذلك وضع يده على عينيه ، فناداه الله « يا موسى انى انا ربك » ..

وروى انه لما نودى : يا موسى ! قال : من المتكلم ؟ فقال الله عز وجل انى انا ربك .. فوسوس اليه ابليس : لعلك تسمع كلام شيطان ! فقال موسى : انا عرفت انه كلام الله بأنى أسمعه من جميع جهاتى الست ، من أعلى وأسفل ، ومن أمام وخلف ، ومن يمين وشمال .. كما أنى أسمعه بجميع أعضائى ، حتى كأن كل جارحة منى صارت أذنا .

ومهما يكن من امر الروايات والتصورات في موقف يجل عنه الخيال ، ويقصر التصور ، وتتبارى في وصفه الفلسفات والمبادىء والاهداف - فقد روى سبحانه ، وهو أصدق القائلين كلام الله لموسى ، وجرياته على أسمى الوجوه ..

لقد سمع موسى صوتا علويا يناديه : يا موسى . انى انا الله ربك ، فانزع نعليك تكريما للحضرة الالهية ، فانك بالوادى المطهر المبارك : وادى طوى .. وانا الله اصطفيتك بالرسالة ، فاستمع لوحيي كي تستوعبه وتبلغه الى قومك .. انني انا الله الإله الواحد ، لا معبود بحق سواى ، فآمن بي واعبدني . واقم الصلاة لتظل في ذكر دائم بي .. ان الساعة ، وهي موعد لقائي ، قد اخفيت عن عبادى موعدها ، واظهرت لهم اياتها ... وهي اتية لا ريب . ويومئذ تحاسب كل نفس على اعمالها وتجزى بها .. فلا يصرفنك يا موسى عن الايمان بالساعة ، والاستعداد لحسابها من

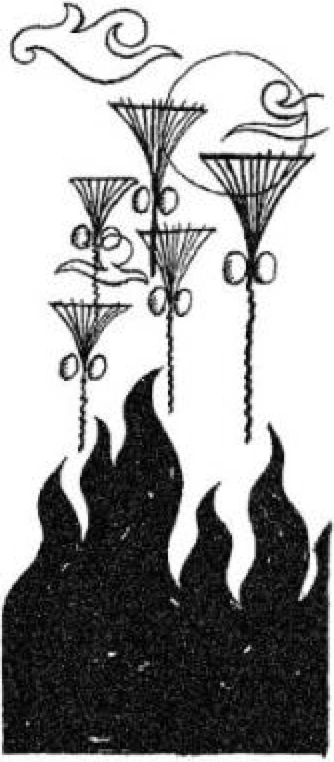
لا يصدق بها ، ومال مع الهوى ، فتهلك ..

وبعد ان علم الله نبيه قواعد الدين، من التوحيد ، واقامة الصلاة ، وحسن السيرة ، والايمان الوثيــق بالله وبالحساب ، زوده بالمعجـزات التي تشد ازر رسالته وتدعمها ..

فسأل الله موسى : وما تلك التي تمسكها بيدك اليمنى ؟ واجاب موسى : انها عصاى اعتمد عليها فى سيرى ، واسوق بها غنمى ، وانتفع بها فى غير ذلك من المنافع .. ، فقال الله سبحانه لنبيه : ارم بها على الارض .. فرمى بها موسى ، وفـوجيء اذ وجدها تنقلب حية تمشى .. فاستولى عليه الرعب ، ولكن الله هدأ روعه ، وامره أن يتناولها فانها ستعود كما كانت ..

واشفع الله المعجزة باخرى ، اذ امره أن يدخل يده فى جيب ثوبه ، فتخرج بيضاء ناصعة من غير داء .

وأمره الله أن يذهب الى فرعون ليبلغه رسالة ربه ، فقد طغى .. فرجا موسى ربه أن يشرح صدره لهذه المهمة الكبرى ، وأن يحل عقدة لسانه ويهبه حسن البيان حتى يفهموا قوله ، وأن يقوى جانبه باخيه هارون وفصـاحة لسانه ، واستشفع لربه بالتسـبيح والذكر والعلم الالهى .. واستجاب الله الدعاء ...



● موسى يعود الى مصر ●

وذهب موسى وأخــوه هارون الى مصر ، يبلغان رسالة ربهما ، ويدعوان فرعون الى الايمان به ، واطــلاق سراح بنى اسرائيل ، وتركهم يخرجون من مصر معهما ..

وواجه موسى فرعون ، ودعاه الى التصديق برسالته ، وترك بنى اسرائيل يخرجون من مصر .. وأرى الرسول الله المعجزات المؤيدة لرسالته ، من انقلاب عصاه حية ، واخراج يده من جيبه بيضاء من غير سوء .. لكن فرعون أبى أن يؤمن برســالته ، وجاهرهما بانهما ســاحران ، وأنه سيجمع مشاهير الســحرة فى مصر لابطال سحرهما ..

وواجه موسى سحرة فرعون وغلب سحرهم ، وجعلهم يوقنون بأن ما عنده ليس سحرا ، وانما هو معجزة من الله .. فصدقوا رســالته ، وخروا

لله سجداء، قائلين : « آمنا برب هارون وموسى .. » وانذر فرعون السحرة بأشد العذاب ، وقطع الايدى والارجل، والصلب على جذوع النخل .. ولكنهم تمسكوا بايمانهم ، وفضلوا نعيم الاخرة الباقى ، على الحياة الدنيا مهما عانوا فى ايامها الفانية .. « انه من يأت ربه مجرما فان له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى . ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات فاولئك لهم الدرجات العلى ، جنات عدن تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ، وذلك جزاء من تزكى .. » .

● الاسرائيليون يخرجون من مصـــــــر ●

وتوالت المعجزات لموسى ، وتعاقبت الاحداث بينه وبين فرعـــون ، حتى اوحى الله الى موسى أن يخرج ببنى اسرائيل الى فلسطين عبر سيناء ..

وتقول بعض الروايات ان فرعون اضطر الى الموافقة على خروج بنى اسرائيل من مصر ، بعد أن توالت عليه النذر والمصائب .. وتقـول روايات اخرى انهم خرجوا من مصر خفيـة ودون موافقة فرعون .. وحينئذ أمر الرب بنى اسرائيل أن يستعيروا من جيرانهم المصريين الحلى الفضـــية والذهبيـــــة واغلى الملابس ، وأن يأخذوها غنيمة لهم ، وأن الرب يسر لهم نهب حلى المصريين وملابســـهم وماشيتهم ، وأن اليهود خرجوا وهم اكثر من ستمائة الف عدا الاطفال ، مع عدد كبير من الغنم والبقر وسائر الماشية ، وانهم ارتحلوا من مدينة رمسيس ضاربين فى الصحراء نحو سيناء الى فلسطين .

وقيل ان الرب كان يسير امامهم ، فى عمود من غمام نهارا ومن نار ليلا ليهديهم طريقهم ، ويتصل سيرهم ليل نهار ..

وفى الاصحاح الرابع عشر ان الرب تحســـــب من ندم الشعب المصرى لخروجهم بعد سلب ماله وحليـــه وماشيته والتحرر من خدمته ، ومن ندم فرعون للسماح لهم بالخروج .. فأمر الرب موسى أن يغير مسيرة الوجهة وان يجتاز بهم البحر الاحمر ، حتى يتبعهم فرعون وجنده فيبتلعهم البحر حسب تدبير الله ... وقد تم ذلك فعلا ..

● بنو اسرائيل يضلون فى ســــــيناء ●

وهكذا قاد الرب بنى اسرائيل فى مسيرتهم ، حســـب روايات تفيض بخصوبة الخيال وشتى الصور ... ويسر لهم عبور البحر واغرق اعداءهم .. ووصلوا الى قرب جبل طـــور سيناء.. وفجر لهم الماء فى الصحراء ليشربوا ، وانزل عليهم المن والسلوى .. أو الحلوى ولحم الطير الشهى ، ولم يترك لهم رغبة الا استجاب لها فى سعة وسخاء ...

وذكرهم الله سـبحانه بفضله ، وحذرهم من الكفر والعصيان ... « يا بنى اسرائيل قد انجيناكم من عدوكم ، وواعدناكم جانب الطـــور الايمن ، ونزلنا عليكم المن والسلوى . كلوا من طيبــــات ما رزقناكم ، ولا

كيف ضل الإسرائيليون فى سيناء ؟

تطفوا فيه فيحل عليكم غضبي . ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى . . .

● الوصايا العشر ●

وأوحى الله الى موسى فيما أوحى اليه الوصايا العشر ، تدعو اليهود الى التوحيد ، والا يكون لهم اله الا الله وحده ، والا يصنعوا تمثالا يتخذونه صنما يعبدونه ويسجدون له والا يلهوا باسم الله الذى لا يغفر للعابثين باسمه ، وان يستريحوا فى يوم السبت من كل أسبوع ، وان يكرموا اباءهم وأمهاتهم ، والا يقتلوا، ولا يزنوا ، ولا يسرقوا ، والا يشهدوا زورا قط ، وان يسلموا من الحسد والتطلع الى ما فى يد الغير .

ويقول المؤرخون القدماء : ان هذه الوصايا كانت معروفة للمصريين ومن سجاياهم الموروثة .. لكن الله سبحانه حين أوحى بها الى موسى وابلغ بنى اسرائيل اياها ، لم يهتدوا بها ، وانما زادتهم عتوا وضلالا ..

ومن عجب ان الخلق اليهودى ظل فى تناقض مع هذه الوصايا مذ استحل الخارجون اليهود من مصر سلب أموال جيرانهم المصريين ، الى ان ظلوا يستحلون البغى والفاحشة وأكل أموال الناس بالباطل والاستغلال والعدوان الى هذه الأيام ..

● موسى يكلم ربه ثانية فى طور سيناء ●

نزلت الوصايا ، وتوالت المعجزات والنعم من الله على بنى اسرائيل ، فى خروجهم من مصر مع موسى شرقا نحو فلسطين عبر سيناء .. وعندما اشتد عليهم الحر اثناء عبورهم سهول سيناء الصحراوية ، شكا بنو اسرائيل الى موسى ما يعانون ، فدعا موسى ربه فارسل عليهم الغمام ، يغمرهم بظلاله وريحه الطيبة ، ويقيهم الحر ووهج الشمس ..

وعندما نفد الماء الذى يحملون وشكوا الى موسى العطش ، توجه الى ربه فامره سبحانه أن يضرب الارض بعصاه ، فانفجرت منها اثنتا عشرة عينا ، شربوا منها ورووا وملأوا أوعيتهم ..

● وبنو اسرائيل يكفرون ●

وحين اقتربوا من جبل الطور ، سبقهم موسى الى الجبل ، رجاء الظفر بمناجاة ربه . وأجاب الله رجاءه ، وناجاه عالما بتدبير قومه وافكهم . فسأله عن السبب الذى أعجله بالحضور الى الجبل دون قومه . فقال موسى : ان قومى على مقربة منى ، وعما قليل يلحقون بى . وقد عجلت اليك يا رب رغبة فى رضاك وكرمك .. فقال الله لموسى : ان قومك قد ضلوا ، وان السامرى قد استطاع فتنتهم عن دينهم ، والعود بهم الى الوثنية ..

فعاد موسى الى قومه غضبان أسفا واشتد نكيره على فعلة قومه الخاطئة وكفرانهم الاثيم الذى لا يبرره مبرر ولا يشفع له شفيع .. وقال لهم حانقا : لقد وعدكم ربكم النجاة ، وهداكم بما أوحى اليكم من التوراة والوصايا ، ووعدكم بدخول الارض المقدسة ، وغمركم بفيض آلائه .. ولم يكد يمضى عليكم وقت قصير حتى نسيتم وعد الله لكم ، ونقضتم ما عاهدتمونى عليه .. وكأنما تطلبون من الله بطغيانكم ان ينزل بكم غضبه الساحق الذى لا يبقى ولا يذر ..

فقالوا ، فى اعتذار اشد من الاثم: اننا لم نخالف عهدك باختيارنا ولكننا قذفنا الى السامرى بما نحمل

كيف ضل الاسرائيليون في سيناء ؟

من حلى المصريين الذهبية ، فصنعلنا عجلا مجسما من الذهب ، يمر الريح في جوفه فيحدث صوتا كخوار البقر ، ودعانا الى عبادته مؤكدا انه الهك والهنا .. وعميت بصائرهم عن ايسر وسائل التأمل والاستدلال .. فاعتبروا العجل الها ، مع انه لا يجيب لهم قولا ولا يجلب نفعا ، ولا يدفع عنهم ضرا ..

وكان هارون بينهم حين كفروا بالله وعبدوا العجل من دونه سبحانه .. فنهاهم ما استطاع الى النهي سبيلا .. وقال لهم قبل عودة موسى : ياقوم لقد فتنكم السامرى ببطلانه ، وان الهكم هو الله الرحمن ، فاعبدوه وحده ، وكفوا عن هذا الغى والضلال .. ولكنهم أصروا على الاستمرار في عبادة العجل الى أن يعود اليهم موسى ..

ولام موسى أخاه هارون قائلا : لماذا لم تمنعهم من اقتراف ما اقترفوا من الكفران ، ولماذا لم تقم مقامى في نصحهم حسبما عهدت اليك ؟ أم انك قد عصيت الامر .. ؟

واجاب هارون : لقد خفت ان شددت عليهم ان يتفرقوا شيعا ، وان يتوزعوا بددا ، وانتتهمني بالتفريق بين بني اسرائيل ، وعدم الحفاظ على وحدتهم ..

واتجه موسى الى السامرى ، بشديد النكير على أثمه الاكبر .. فاعترف بأنه استطاع ان يموه على بني اسرائيل بصناعة العجل ومايحدثه من خوار حتى يعبدوه .. فاخرجه موسى من جماعته ، وطالعه بلعنة الله له ، وتشرده الى أن يلقى اشد الجزاء واعدله يوم الدين ..

● اليهود يقتتلون ويتوهون ●

وعاقب الله قوم موسى على كفرهم ، فجعلهم يقتتلون حتى مات منهم الالوف .. ثم عفا الله عمن بقى منهم ، فواصلوا السير مع موسى متجهين الى فلسطين ..

لكنهم حين اقتربوا منها تراجعوا عن دخولها جبنا وخورا .. ودعاهم موسى الى طاعة الله والمضى قدما الى الارض المقدسة ، والا عادوا خاسرين رضوان الله ونصره .. ولكنهم أصروا على مخالفة الله ورسوله مجيبين موسى : « ان فيها قوما جبارين ، وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها ، فان يخرجوا منها فانا داخلون » .. وزادوا تشبثا بموقفهم حين ناشدهم الدخول رجلان منهم انضما الى دعوة موسى من بين كثرتهم الكافرة ..

وانتهى بهم الامر الى أن يقولوا لموسى ، في اصرار اشد وكفر ظاهر وعناد لا رجعة عنه : « انا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها ، فاذهب انت وربك فقاتلا ، انا ها هنا قاعدون » .

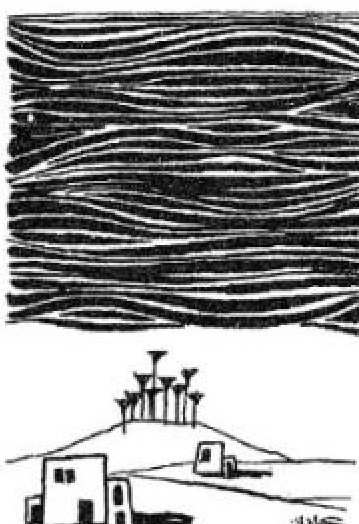
حينئذ فزع موسى الى ربه قائلا : « رب ، انى لا أملك الا نفسى وأخى ، فافرق بينناوبين القوم الفاسقين » .. واستجاب الله دعاءه ، وحرم الله على بنى اسرائيل دخول الارض المقدسة اربعين عاما ، يتوهون في الصحراء ، ويقاسون ألوان الالم والعذاب ..

● موسى يموت بعيدا عن فلسطين ●

وأمضى موسى شيخوخته يعبد ربه قريبا من نهر الاردن دون أن يعبره الى الارض المقدسة ، ولكن الله اراه أرض الميعاد من قمة الجبل .. وظل في هذا الموقع حتى مات ودفن في مؤاب كما تروى التوراة ، وقلبه تتقطع نياطه حسرة على قومه الذين عصوا ربه ، وخذلوه وخذلوا انفسهم

● متى خرج اليهود من مصر وضلوا وتاهوا ؟! ن

وليس من اليسير تبين الوقت الذى خرج فيه اليهود من مصر بالرجوع الى اخبار التوراة ، أو الى الاسرائيليات التي نسجت حول الاخبار اليهودية القديمة . وليس من اليسير كذلك تبين الوقت من آيات القرآن الكريم المعجزات ، التى استهدفت العبرة والموعظة قبل أن تستهدف



التاريخ لهذه الاحداث .

ويرجح المؤرخون ، الذين يعتمدون على التاريخ المصرى القديم والتاريخ اليونانى ، أن ذلك تم في القرن الثالث عشر قبل الميلاد .. وهذا الترجيح يتمشى وسير الاحداث في مصر لذلك الزمان .. فأوراق البردى سجلت فى عهد رمسيس الثانى تسخير العمال العبرانيين في الاعمال الانشائية .. وكان سلطان مصر لعهده مبسوطا على بلاد الشام ومنها شرقى الاردن وغربيه لكن تنافس خلفائه من بعده أضعف الدولة المصرية ، وعرضها لبعض الغارات الاجنبية كما دفع بلاد اثيوبيا والشام الى التمرد على سلطانها .. وأدى ذلك كله الى سقوط الاسرة التاسعة عشرة ، وقيام الاسرة العشرين من بداية القرن الثانى عشر قبل الميلاد .. ولم لم يحل ذلك دون تجدد الارتباك أيضا بسبب تعاظم سلطان الكهان وتدخلهم في شئون الدولة ..

ومن هنا يتعاظم الترجيح لان يكون خروج الاسرائيليين من مصر في عهد منفتاح الثاني من ملوك الاسرة التاسعة عشرة ، وفي عهد ارتباك الدولة المصرية .. ويروى أن يوسيفوس اليهودى نقل ذلك عن مانيتون المؤرخ المصرى كما نقله المؤرخون اليونانيون وقالوا أن منفتاح الثاني سال الكاهن الاعظم أن تتجلى له الآلهة ، فقال الكاهن للملك لن يكون ذلك حتى يطهر البلاد من أصحاب الرجس والدنس ، يعني الاسرائيليين ، فجمعهم في مدينة وشدد عليهم الخناق .. وفي هذه الفترة ظهر موسى واخرجهم من مصر ، ولكنهم لم يلبثوا أن كفروا بالله وبرسالة موسى فحل عليهم سخطه ، ونزل بهم عذابه .. وكانت قصتهم التى فصل القرآن حديثها بما لم يفصله ما بلغنا من التاريخ القديم .

سيناء

كامل أمين

علّى فمي لك يا (سيناءُ) أغنيةٌ
وفى يدىَّ لك الرَّيْحانُ والزهَرُ

تعطّرى بدم الفرسانِ واتّشحى
بالزعفرانِ فهذا يومُكِ العَطِرُ

وارتْ كتائبَك فى نقْعِ البرابرة الخيـ
ـلُ المغيرةُ حتّى كادَ ينـدثرُ

حتّى استعادَ كتابَ الشرقِ مَنْ ركزوا
أعلامَهُ فوق (برليفٍ) بمن عبَرُوا

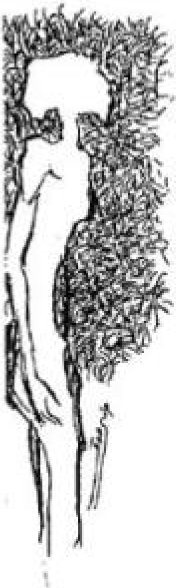
قالوا عثرْنا عليه فى الرمال تغطّيـ
ـهِ الدروعُ وحولَيْهِ القنا كِسَرُ

أتى به فارسٌ (سيناءُ) تعرفه
مسافراً منذُ (مينا) هدّه السفرُ

ضمّدْ جراحَك واسقِ الخيل يا ولدى
وانفُض غبارَكَ وارصُدْ من بنا مكروا

رَحَلَتْ فى سُفُنِ القرصانِ تمخرُ فى
بحرِ السرابِ وخلّتْ العدْلَ ينتظرُ





رأوكَ مِنْ (مـــازنٍ) رثّتْ عباءتُهُ
عليـــــهِ واخترمت أجلادَهُ الغِيَرُ
عليكَ جبّةُ (عمرو) شبه باليـــةٍ
ترجُو العـــدالةَ ممن صائِهم (عُمَرُ)
تشكُو إلى اللص من لصٍ بمحـــكمةٍ
من اللصوصِ لدينها العدل ينتحـــر
همْ القضـــاةُ وقطاعُ الطـــريقِ وهمْ
(الهُون) و(القوط)و(الهكسوس)و(التتر)
وهمْ عصاباتُ (شيكاغو) وإن ركبُوا
سُفن الفضاءِ ولاقاهم بهـــا القمــر
منْ كلِّ مَنْ يرتدي ثوبَ الحكيمِ وشَعْرًا
مُستعارًا ولكنْ قلبُـــه قـــذر

***

أفاقَ وهْو على (ســيناء) تأخـــذه
مِن كل ناحيةٍ طلقاتُ مَنْ غــــدروا
داروا به ككلاب الصّيد روّعهُـــمْ
رغمَ الجراحِ ولم يَستسلم النَّمِـــرُ
قالوا هدمنا (ابا الهول) الذى أكلـــت
به الفراعنةُ الأجيـــالَ واندثــــروا
تاريخهُ الآن فى (سيناء) ينزفُ والســ
ــبعون قرنًا عليهِ الآنَ تحتَضِـــرُ
وفاتَهمْ أنه لما جـَـــرَى دمُـــــه
كانتْ به شمسُ (رَع) فى الشرق تنتشر

وأنْ أنفاسَ (عمرو) في جوانحِهِ
يدُقُّ ناقوسها في قلبه الخطر
هبَّت (أميَّةُ) دون الشامِ واندفعت
(ربيعةٌ) خلفها في إثرها (مُضَر)
وراحَ كاهنُ وادي النيل يقرأ عن
أجدادِهِ ما حوى البَرْديُّ والحجر
يتلو الرموزَ ويمضي في طلاسمِها
على المعابدِ في أسرارِ ما حفروا
يَبْني بها فُلْكَ (نوحٍ) من خرائبه
ومن بقاياهُ لا ضعفٌ ولا خورُ
حتى اذا انفجرَ الطوفانُ أقلع خيَّا
لُ الرياحِ بهِ والموجُ ينفجر





ويمتطي صهوات الموج من جبل
يعلو إلى جبل يهوى وينحدر
يضم أعراقها خيلاً مجنحة
عبر السحاب وتطويه وينتشر
عمياء صماء شدت بعضها كتفاً
مداً وجزراً به تعلو وتنحسر
رسا الزمان به من بعد رحلته
على سفينة (نوح) فوق من سخروا
ولوح (الطور) يدعوه كأنهما
كانا على موعد وافى به القدر
لو عاد (موسى) ولاقى (الخضر) ذكره
با (لسامري) ومن من قومه كفروا
يسبحون لعجل (السامري) وقد
تشابه الهود من حوليه والبقر
وأنزل المن والسلوى فعاودهم
كما تعود (موسى) منهم البطر
من أجل ذلك أعطى الله (مصر) كما
أعطى العروبة منهم كل ما خسروا
أولى بنعمته ممن بها كفروا
قوم إذا ما ابتلاهم ربهم شكروا
والنصر بالصبر يجزى الصابرين به
فلنشكر الله . والعقبى لمن صبروا



لواء . رفعت الجوهري

الناس والتاريخ في سيناء

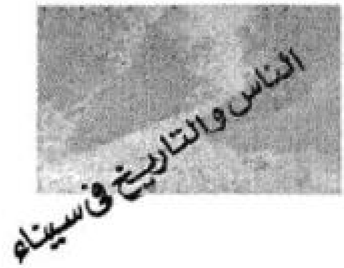
تنقسم شبه جزيرة سيناء حسب طبيعة أراضيها ، الى ثلاثة أقسام :

* بلاد الطور في الجنوب
* بلاد التيه في الوسط
* بلاد العريش في الشمال

منطقة الطور

وأهم البلدان والمعالم الأثرية التي تمر بها الطريق في هذه المنطقة

ومن أهم المعادن في هذه المنطقة



انها اقدم اثر من نوعه في العالم ٠٠ و (صخرتا - سانخت) ٤٩٤٥ ق ٠ م ٠ وصخرة ساحورع من ملوك الدولة الخامسة ٤٤١٣ ق ٠ م ٠ وصخرة امنحتب ثم صخرات للملوك خوفو واسا وسيتي الاول ، ونقل كثير منها الى المتحف المصري وبعضها للمتحف البريطاني ٠

الفيروز : مغاور الفيروز التي تركها الفراعنة في وادي المغارة ، وكذلك منازل المعدنين ٠

هيكل سرابيت الخادم : ولهذا الهيكل اهمية تاريخية عظيمة ٠ وبه كهف الاله هاتور وكهف الاله سوبدو رب سوبدو ال

وادي المكتب : في الطريق الى دير سانت كاترين ، وقد اشتهر بالكتابات التاريخية التي على جوانب جباله ، ومنها كتابات بالنبطية واليونانية والعربية وكذلك رسومات لرجال مسلحين وعزل ، وجمال محملة وخيول بفرسان وبغيرهم الخ ٠٠٠ وقد سمي الوادي بهذا الاسم لكثرة الكتابات عليه ٠

وادي فيران : او فاران ، وهو اشهر اودية سيناء كلها واغزرها ماء ونخيلا ٠

قمم جبل سربال : في طريق الدير وله خمس قمم ، ارتفاعه ٦٧٣٠ قدما ويقول المؤرخون انه جبل حوريب الذي نزلت فيه الوصايا العشر على سيدنا موسى ٠

واحة فيران : في طريق الدير ، وتمتد نحو خمسة اميال ، وهي واحة عظيمة ، بها غابة اشجار الطرفاء ، وحديقة عظيمة غاصة بالنخيل ٠ ٠

دير طور سيناء : قائم على سفح جبل موسى البالغ ارتفاعه ٧٣٦٣ قدما وعلى رأس الجبل بنيت كنيسة صغيرة وجامع صغير ، ومن هذا الجبل يمكن رؤية معظم بلاد الطور وجانب من خليج العقبة ٠

● دير طور سيناء (سانت كاترين) ●

هو اشهر مافي شبه الجزيرة الان من بناء او اثر ، وهو للروم الارثوذكس ، بناه الامبراطور جوستنيانوس حوالي سنة (٥٤٥) ميلادية وجعله معقلا لرهبان سيناء ، وهو قائم في سفح جبل موسى الذي يعد قمة من قمم جبل طور سيناء ويعلو نحو ٥٠١٢ قدما عن سطح البحر ٠

وقد بني الدير على اسم القديسة كاترين ، لذلك سمي ايضا (دير القديسة كاترين) وله راية بيضاء ترفع على الكنيسة الكبرى في المواسم والاعياد مكتوب عليها باللون الاحمر (KA) وهو مختصر اسم القديسة كاترين باللاتينية ٠

وللدير سور عظيم ، وداخله مزدحم بالابنية المختلفة ، منها ما هو ذو طبقة واحدة او طبقتين او اكثر ٠ وتتخلل هذه الابنية ممرات ودهاليز معوجة

ضيقة ٠ فيرى الجائل فيه نفسه تارة في صعود وتارة في هبوط وساعة في ظلام واخرى في نور ٠ والشاهد في اختلاف المباني فيه انها بنيت في

عصور واحوال مختلفة .

ومن أهم الابنية القائمة فى الدير :

سور الدير : وطوله ٨٥ مترا فى ٧٥ ، ومتوسط علوه ١١ مترا ، وسمك حائطه نحو مترين وربع المتر ، وحجارته جرانيتية . وفى أعلى السور مزاغل (فتحات) ركبت عليها مدافع صغيرة من أقدم طراز مركبة على عجلات صغيرة ، والمشهور أنها من عهد السلطان سليم الاول العثمانى .

أبواب الدير : وقد كان للدير باب كبير بقنطرة صنعتها سبعة أقدام ، ولكن المخاوف التى مرت على الدير اضطرت الرهبان الى سده بالاحجار، وفتحوا بابا صغيرا طوله متر ونصف متر ، وصفحوه بالحديد والمسامير ، ومع ازدياد المخاوف بنوا فى سنة ١٨٨٠ بابا آخر أمام الباب الاصلى وجعلوا به بابا أيضا ، فيكون للدير ثلاثة أبواب بعضها داخل بعض .. زيادة فى الحرص .

وفوق باب الدير حجران تاريخيان، نقش عليهما اسم بانى الدير وتاريخه بالعربية واليونانية .

وللدير باب معلق فى أعلى الحائط به كوة وبكرة من خشب وحبل متين يسمى (بالدوار) ترفع به الاشياء من خارج الدير ويستغنى به عن الباب العمومى فى وقت الخطر .

ومن أهم البلدان والاثار على الطريق الى بلدة الطور وشرم الشيخ

جبل الناقوس : جبل صغير شديد الانحدار ، وجواره ميناء صغير اسمه (أبو نفص) ، وفى هذا الجبل ظاهرة عجيبة من ظواهر الطبيعة ، فانه كلما انهارت الرمال فى سطحه سمع لها صوت كالناقوس .

حمام موسى : على بعد ٧ كم من بلدة الطور ، وبه سبعة ينابيع كبريتية حارة ، وبالقرب منه ميناء صغير اسمه (أبو صوير) .

مدينة الطور : على مسافة ٢٤٣ كم من السويس ، يطل عليها جبل أم شومر (٨٠٠٠ قدم) وهو أعلى جبال سيناء كلها .. وقد سميت البلدة بالطور نسبة الى طور سيناء اشهر جبالها ..

سكان الطور : عددهم نحو ٢٠٠٠ نسمة بعضهم من الروم الارثوذكس . وبها مركز لرهبان الدير وباقى سكانها خليط من العرب والهنود ومن جاوه واليمن ، شأن موانى البحر الاحمر .. ومنازل المدينة متلاصقة كأنها بناء واحد .

قلعة الطور : كانت جنوبى الطور قلعة قديمة على شاطىء البحر بناها السلطان سليم .

كتاب الامم : هو كتاب اثرى محفوظ فى وكالة الدير بمدينة الطور بناء على رغبة الاهالى للرجوع اليه عند الاقتضاء ، وفى هذا السجل ٥٦٧ ورقة كلها مملوءة بالكتابة وأكثرها بالعربية والتركية واليونانية ، وأقدم تاريخ فيه ٩ شوال سنة ١٠٠١ هجرية أى عام ١٥٩٢ م .

محجر الطور : أشهر ما فى مدينة الطور ، وهو قائم على البحر الاحمر على مساحة نحو ٤ كيلومترات مربعة

وهو أكبر محجر صحى فى العالم، وكان يديره مجلس الصحة البحرية الذى الغى رسميا وقد تأسس ١٨٥٨ م .. وكان أهم أغراضه وقاية البلاد من انتشار الكوليرا التى تحصل من اجتماع الناس فى الحج .

ويشمل ميناء وأرصفة لهبوط الحجاج ، ومباخر لتطهير الحجاج ، وآلات للثلج والانارة ومستشفيات ، وصيدلية ، ومنازل للاطباء ، وتخترقه سكة حديد ضيقة تمر بالمنشآت فى انحاء المحجر ..

● المنطقة الوسطى : (بلاد التيـــه) ●

وتشمل هضبة (التيه) وتعـرف باسم (برية التيه) ويقع فى جنوبها على حدودها مع بلاد الطـور الطريق الموصل ما بين السويس الى نخـل والعقبة وعمان (الاردن) والمعروف (بدرب الحج القديم) .

درب الحج المصرى القديم :

وكان طريق الحج ، وأول من سار فيه الملك الظاهر بيبرس سنة ٦٦٥ هـ ـ ١٢٦٧ ميلادية ، وقد سار فيه الى الحج من الملوك السلطان الملك الناصر قلاوون ، وكذلك الملكة شجرة الدر التى ارسلت الكسوة للكعبة .

وقد عنى ملوك مصر قديما باصلاح هـــذا الطريق وانشاوا به الخانات والقــلاع وحصنوه ، وكانت حكومة مصر ترسل الى القـــلاع التى على الطريق نجارين لترميم السواقى وملء الاحواض قبل وصول الحجاج .

وكان عرب الشرقية والقليوبيــة يلتزمون تقديم الجمال للمحمل المصرى بالتناوب بينهم ، ومنهم الحويطات ، وبلى والصوالحة ، كما كانوا يلتزمون بحماية المحمل الى الكعبة .. وكانت تقام فى كل من نخل والعقبة فى زمن الحج أسواق تبـــاع فيها الاقمشة والمأكولات والحبوب .

وكان الحـــاج يقطع الطريق من السويس الى العقبة فى ستة ايام .

● اهم معالم المنطقة الوسطى ●

قلعة نخل : فى مدينة نخـــل .. وتبعد عن الســـويس (٤٠ كم) وكانت عاصمة سيناء سابقا قبـــل الحرب العالمية الاولى ، وبها احدى القلاع التى بناها السلطان قنصـوة الغورى عام (١٠٥١ هـ) على درب الحج، وهى قائمة على هضبة مرتفعة وتشرف على سهل فسيح ، ومســاحة

الحائط ٣٤ قدم وكان لها خمســـا ابراج فى كل زاوية برج ، والبـــرج الخامس منها فى منتصف الضـــلع الشمالى .

وللقلعـــة بوابة عظيمة مصفحة بالحديد وبعدها دهليز ثم بوابة أخرى وبها احجار تاريخية عن تجـــديد القلعة باسم (مولانا السلطان الملك الاشرف) (والســــلطان مراد) (والسلطان محمد خان) ١١١٧ هـ

بلدة نخل : كانت فى الجنـــوب الشرقى من القلعة وبها شارع واحد يقسمها قسمين شرقى وغربى ، وهى مبنية بالطوب اللبن وبهـــا جامع يجتمع فيه أولاد البلد للتعليم ، وبها قبران شهيران (الشـــيخ النخلاوى) و (الشيخ الحجاج) يجتمع عندهما العربان فى الاعيـــاد ، وبالبلدة ثلاث آبار .

وقد قلت أهمية نخل بعد انقطاع طريق الحج وانتقـــال المحافظة الى العريش حيث هناك السكة الحديد ، ولكن بهـــا الآن حامية من الشرطة ويمر بهـــا احيانا بعض الحجـــاج الراجلين من القارية والعرب الرحل وتتصل شمالا بطريق الى العريش .





أحد الطرق المعبدة للسيارات في صحراء سيناء

النخل : على طريق درب الحج على مسافة ٦٠ كم من نخل ، وبالقرب منها بئر أبو محمد الجوهري وعنده بركتان كانتا تملآن في زمن الحج وبها مركز شرطة واستراحة .

الكنتلا : نقطة عسكرية حصينة جداً قائمة على هضبة مرتفعة مشرفة على السهول والطرق المحيطة بها ، وتتحكم على مورد المياه الوحيد في المنطقة وتبعد عن الثمد (٥٢ كم) ، وبها نقطة للشرطة وطريق موصل للعريش شمالا (١٨٤ كم) ولرأس نقب العقبة وبها تسهيلات للوقود والسيارات .

رأس النقب: تبعد ثلاثة كيلومترات من الكنتلا وهي نقطة عسكرية مهمة تتحكم في الطرق القادمة من السويس ومن رفح وفي ممر طريق الحمل المصري والشامي قديما ، وبها نقطة للشرطة تحرس الممر النازل الى خليج العقبة والى شرم الشيخ (وتبعد العقبة ١٤كم عنها ومنها الى معان والقدس) ومدينة بترا .

الحسنة : في وسط الجزيرة . وعلى بعد ١٦٠ كم من السويس شمال شرق وبها نقطة للحدود واستراحة .

القسيمة : على بعد ٧٠ كم شمال الحسنة و ٤٦ كم من العريش جنوبا وملتقى عدة طرق صحراوية للكنتلا والقدس وفلسطين ، وبالقرب منها **عين القديرات** الشهيرة ومدينة **قادش** التاريخية في التوراة ، وتبعد عين القديرات ٤٥ كم عن القسيمة .



● المنطقة الشمالية :
(بلاد العريش) ●

بلاد العريش سهول متسعة من الرمال المتنقلة تتخللها بقاع خصبة ونجد فيها وادي العريش المعروف في التاريخ باسم نهر مصر ، وقد ورد ذكره في أخبار فتح عمرو بن العاص لمصر سنة ١٨ هجرية (٦٣٩ م) عندما بعث اليه عمر بن الخطاب بكتاب وهو في الطريق ففضه عمرو وتلاه على اصحابه : « .. اما بعد فان ادركك كتابي وانت لم تدخل مصر فارجع عنها وان ادركك وقد دخلتها او شيئا من ارضها فامض » .

فالتفت عمرو الى من حوله وقال اين نحن ياقوم فقالوا في العريش وهي من ارض مصر فقال : هلموا بنا اذن قيامة بامر امير المؤمنين

سكان العريش :

ويسكن بلاد العريش قبائل السواركة والرميلات ، والمساعيد ، والعبايدة ، والاخارسية ، والعقايلة ، وبلي البررة وأولاد علي ، والقطاوية ، والبياضين ، والسماعنة ، والسعديين ، والدواغرة

اما السواركة فاكثر هذه القبائل عددا ويسكنون القسم الشرقي من بلاد العريش ، اما المساعيد فهم واللحيوات من أصل واحد وهم أقوى قبائل العريش بعد السواركة .

وادي العريش :

ينشأ من جبال العجمة ويخترق بلاد التيه (هضبة التيه الوسطى) وتنضم اليه الاودية من اليمين واليسار ، ويزداد اتساعا كلما اتجه شمالا الى أن ينتهي عند البحر الابيض المتوسط عند مدينة العريش ولذلك سمي بوادي العريش ، ويبلغ طوله نحو ٢٤٠ كيلو مترا ومتوسط عرضه نحو ستين ياردة ، وقد ذكر اشعيا النبي (ص ١٢ : ١٢) وادي العريش وسماه (وادي مصر) .

المغضبة: مركز شرطة سيناء ، ومياهها غزيرة وكان لها شأن أعظم قديما لوقوعها على طريق القوافل القادمة من الشام (طريق الدرب المصري القديم المار بغزة والاسماعيلية أو السويس وهو طريق تجاري) ، وتبعد المغضبة عن العريش ٣٦ كم .

مدينة العريش : تبعد عن القاهرة ٣٣١ كم عن طريق الاسماعيلية (الطريق الوسط) وعن القاهرة (٢٨٥ كم) عن طريق القنطرة (الطريق الشمالي) وهي محاطة بتلال من الرمال ممتدة من البلدة الى شاطيء البحر ، وعلى بعد ميلين منه، ويقدر سكانها باكثر من ٢٥ الف نسمة .

وفي الثلاثة الاف سنة الماضية مرت بالعريش جيوش من جميع الاجناس والسلالات المختلفة ما بين فاتحين أو متقهقرين من حيثيين وآشوريين وفرس ورومان واغريق وعرب وفرنسيين وأتراك وصليبيين .

اما اسم العريش فانه الاسم الذي أطلقه عليها العرب . والظاهر أن اهلها في القديم كانوا يسكنون في مظال من سعف النخيل الموجود هناك بكثرة .

وقد شيدت في العريش أخيرا منشآت على النظام الحديث وشوارعها متسعة نظيفة، ومن ضواحيها (أبو نخل) وهناك نخيل كثير وأراض زراعية متسعة تزرع بالخضروات والعنب والتين، وشاطئه جميل، وهناك قبة ومدفن على البحر يسمى (النبي يس) من أولياء الله الصالحين كان من الذين رافقوا عمرو بن العاص ثم توفي ودفن هناك .

وتبعد العريش عن حدود فلسطين بمسافة ٤٥ كم، ويتكلم أهلها لغة عربية بلهجة فلسطينية، وأهلها يحلون مشكلاتهم داخليا بمجالسهم وكل عائلة تحفظ تاريخها .

عادات وتقاليد :

والسيدات في العريش محجبات ولا اختلاط بين الجنسين، وللزواج هناك تقاليد وعادات طريفة، وتمتد احتفالات الزواج ثلاثة أيام وتبدأ بالاربعاء وتنتهي يوم الجمعة . وليلة الجمعة تقام حفلة غناء تستمر طول الليل حتى الصباح .

أما العروس فتخرج من منزلها وتسير على قدميها في زفة وهي متشحة في شال أحمر، وحولها صديقاتها تنشدن الاغاني البدوية التي يشتهرن بها .

أهم الاعمال : معظم الاهالي يقومون بالاتجار وصيد الاسماك من بحيرة البردويل، والسمان وتصديره وكذلك البلح والعجوة حيث يكثر فيها النخيل .

التعليم : يهتم الاهالي كثيرا بتعليم أولادهم ويدفعون الكثير في سبيل ذلك وقد تخرج منهم عدد من الشخصيات البارزة في الجامعات ومنهم قضاة ومحامون، وبالعريش الآن مدارس ثانوية، وخمس عشرة مدرسة ابتدائية وست عشرة مدرسة إعدادية .

● ومن مدن سيناء المعروفة أيضا :

القنطرة : على بعد ٢٣ كم من الاسماعيلية شمالا، و ٤٥ كم من بورسعيد جنوبا، وهي بلدة صغيرة تقسمها قناة السويس قسمين (قنطرة غرب) وهي تابعة لمحافظة الاسماعيلية و (قنطرة شرق) وهي تابعة لمحافظة سيناء .

وبها ورش ومخازن للسكك الحديد المتجهة الى فلسطين، ومحلات تجارية ومقاه ومركز للشرطة ومحجر للحيوانات ومبان للجمارك والسواحل والحدود، وتصل اليها المياه العذبة من ترعة الاسماعيلية من الضفة الغربية في أنابيب تمر تحت القناة .

بحيرة البردويل : من أشهر معالم العريش وهي بحيرة عظيمة، على بعد ٥ كم غرب العريش، وطولها ٧٦ كم وعرضها يختلف من كيلومتر الى ١٥ كم ولها فم صغير تدخل منه مياه البحر المتوسط وينحسر عنها جزء المياه في الصيف في الجهة الشرقية وتسمى (بحيرة الزرانيق)، وكانت تدعى قديما (بحيرة سربونيوس) .

البردويل : وهي محرفة عن بلد ويل منسوبة الى الملك بلدويل الاول من ملوك الصليبيين وكان ملكا بالقدس سنة ١١٠٠ ميلادية .

ويقول العرب ان بلدويل بن الشد كان ملكا على هذه المنطقة ولما مر بنو هلال في طريقهم الى الغرب انبرى له أبوزيد الهلالي وصارعه وقتله .

قطية : على بعد ٣٩ كم من القنطرة وبها حدائق متسعة من النخيل وقلعة وآبار مياه مطوية بالحجر رممها ابراهيم باشا في حملته على سورية، ويسكنها كثير من العربان في أكواخ من سعف النخيل والخيام خاصة في موسم البلح .

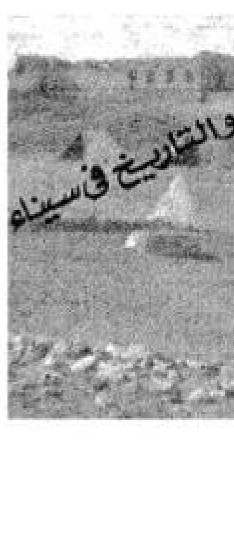
الخروبة : بين العريش ورفح وبها أراض متسعة للزراعة وخرائب وأثار معهان وأثار قديمة .

قبة الشيخ زويد : وهى شمال البلدة ويدعى عرب السواركة انه من اجدادهم ولكن سائر القبائل يقولون انه من الصحابة ، ويقيم له الاعراب احتفالات تستمر ثلاثة ايام بعد موسم الحصاد ويذبحون الذبائح ، ويقيمون الولائم ويتسابقون على الخيول ، وهناك لوحة رخامية تبين ان بانى القبة فى شهر صفر (١٠٦٣ هـ ـ ١٦٥٣ م) هو أمير اللواء محمد بك ياسين الخزبين وعلى ساحل البحر بعض الاثار وخرائب مدينة قديمة .

رفح : تبعد ٤٥ كم شرق العريش و ٤١ كم غرب غزة ، بها مركز للجمارك والشرطة وبها تشهيلات ومحطة سكة حديد وهى قائمة على انقاض مدينة (رافيا) التى ذكرها المؤرخ بوسيفوس وحدثت بها وقائع حربية سنة ٧١٥ قبل الميلاد و ٢١٧ ق . م فى عهد الملك بطليموس .

● القبائل البدوية فى صحراء سيناء ●

السكان الاصليون الذين بادوا



وقد دلت الاثار التى خلفها الفراعنة فى سيناء على ان سكانها الاصليين منذ بدء التاريخ كانوا من أصل سامى ، وقد عرفوا من الاثار المصرية باسم (هيرو شاتيو) أى أسياد الرمال ، وعرفوا فى التوراة باسم (العمالقة) وفى القرن السادس للمسيح عرفوا باسم (الاعراب بنى اسماعيل) .

ظهور الاسلام :

وفى أوائل القرن السابع للمسيح ظهر الاسلام فى جزيرة العرب ، وفتح المسلمون شبه جزيرة سيناء وسكنوها الى عهدنا هذا ، ويقول بدو سيناء أنه قد هاجر اليها من القبائل العربية ٧٥ قبيلة من نجد والحجاز فى سنة واحدة . وقد هاجر جزء منها الى مصر وسوريا وكذا لشمال أفريقيا .

قبائل بلاد الطور

١ ـ **العليقات** : وتمتد بلادها من الرملة الى وادى غرندل وهم اقرباء العليقات الذين بمحافظة القليوبية واسوان ، وأهم فروعها أولاد على واللبلات والحمايدة .

٢ ـ **مزينة** : وتمتد بلادهم من مدينة الطور على الشطوط البحرية حول رأس محمد .

٣ ـ **العوارمة** : ويسكنون فى بلاد الطور وفروعها القرانبة والروسيان وأولاد جاهين

٤ ـ **أولاد سعيد** : ويسكنون قلب الطور وجهة قليوب بمصر وفروعها الزهيرات والعوامرة .

٥ ـ **القوارشة** : وقيل انهم من قريش .

٦ ـ **الجبالية** : ويسكنون جبل الطور ويقال انهم خليط اروام ومصريين .

قبائل بلاد التيه

١ ـ **التياها** : والمشهور انهم اقدم من سكن بلاد التيه ويقال ان أصلهم من بنى هلال .

٢ ـ **الترابين** : والمشهور عنهم انهم من نسل الحسن اخي الحسين وفروعهم الجرارة والشهيبات .

٣ ـ **اللحيوات** : من بني عطية المساعيد ، واهم مراكزهم جبل القارة واهم فروعهم النجمات والحناطلة والكماسية والسلامين والفريفانين .

٤ ـ **الحويطات** : واشهر محلاتهم بئر معيوق ومنهم قبيلة كبيرة في مصر ومحافظة القليوبية (الشدايدة) .

واشهر مراكزهم بوادي غرندل وبئر معيون وبئر الر وعين صدر .

قبائل بلاد العريش

يسكن بادية العريش قبائل السواركة والرميلات والمساعيد والعبايدة والاخارسة والعقايلة وبلي البررة وأولاد علي والقطارية والسياضين والمساعنة والسعديين والدواغرة .

١ ـ **السواركة** : هي اكثر قبائل سيناء عددا ويمتازون بنظافة المأكل والملبس واشتهر بعضهم بالصلاح والتقوى ويسمون احيانا بأولاد الطريق

واهم فروعهم : الردات ـ والدهيمات ـ والجريرات ـ والمحافيظ ـ والقلاقلة والمناصرة : ويسكنون شرقي العريش وبئر العبد .

٢ ـ **الرميلات** : وكانوا يسكنون قديما جنوب غربي فلسطين (خان يونس) ثم ارتحلوا للعريش بسبب حروبهم مع الترابين ، وانضموا للسواركة . واهم

فروعهم : السيوم ـ والقرطين ، والعوايدة ، والسند ، والعجلين .

٣ ـ **عريان واطية** : واهم قبائلهم المساعيد ، وهم فرع من اللحيوات ، ومن اقوى قبائل العريش بعد السواركة

٤ ـ **العبايدة** : وهم فرع من ضواحي القنطرة الى الشيخ حميد

القبائل الهتم :

اي القبائل المرابطين وهم ثلاثة عددهم يعيشون في حمى قبائل القوية على جبل معلوم ، واهم قبائلهم «الشرارات»

ويقتنون الابل ، وهم خبراء البادية اي ادلتها ولهم مهارة كبيرة في الاستدلال على الطريق .

مطير والعريفات ويسكنون جبل الحلال . والملالحة ويسكنون ايضا بلاد العريش

الملالحة : ويسكنون العجرة مع الترابين

الصليب : ويسكنون برية الشام ويأتون احيانا سيناء ويقال انهم من بقايا الصليبيين .

البدو

من اوصافهم الخلقية : رشاقة القد وخفة الحركة ، وذكاء العيون

اخلاقهم : اشتهر البدو بحب الضيافة والكرم ، والنجدة ، والاخذ بالثأر ، ومراعاة الجار ، وتعظيم الجميل ، وتكريم الابل ، واحترام المرض ،

والوفاء بالعهود ، والافتخار بالنسب ، وعدم احتمال الضيم ، وكره التقيد بنظام ، والجرأة في طلب الحق وحب المساواة ، والحرية ، والشورى في الشئون العمومية

الضيافة : من ابرز عاداتهم ، فهم يستقبلون الضيف على الرحب والسعة واطعام الضيف يكون عادة بذبح خروف وسلقه

العداية : عندما يأخذ الضيف من غنم جاره لاكرام ضيفه واعادته .

القتال والنجدة : الغزو بالنيران ثم الالتحام بالسلاح ، **والنجدة** : ومن العيب الكبير ان يفر الرجل من القتال او يتخلف عن نجدة رفيقه .

جيولوجي:
درويش
مصطفى الفار

في شهر ابريل سنة ١٩٠٧ اعتزل اللورد كرومر (١٨٤١ - ١٩١٧) عمله في مصر ، بعد ان ظل اربعا وعشرين عاما من الزمان على ضفاف النيل يرسي قواعد الاحتلال البريطاني ، وقرر برلمان لندن منح « اللورد ايفلين بارنج كرومر » مبلغ خمسين الف جنيه استرليني جزاء بلائه الحسن في خدمة التاج البريطاني ، وتمكينه لسيف الاحتلال ان يظل مصدر الرهبة والسلطان في مصر حتى سنة ١٩٥٢ ، حيث قامت ثورة ٢٣ يوليو المجيدة التي ارغمت الاحتلال على ان يحمل عصاه على كاهله ويرحل عن البلاد ، وانطلقت تبني الحياة من جديد على ارض مصر الخالدة ...

الثروة المعدنية في سيناء

من خفايا التاريخ التي يجهلها الكثيرون ، وقد لا يحفلون بها ، ان من بين الخدمات العظمى التي قدمها اللورد كرومر للاحتلال البريطاني في مصر ، والتي ما زالت اثارها تنبض عروقها بين الآن والآخر على الرغم من انقطاع غمة الاحتلال البريطاني الى غير رجعة من الوجهة المادية - هي استطاعته ان يحيط مصر بسور غريب من الادارة ، فريد في نوعه وطرائقه ، تتركز مهمته فيما يلي :

١ - ان يفصل مصر بتاثيراتها الحضارية مادية ومعنوية عن السودان جنوبا ، وليبيا غربا ، وفلسطين والشام شرقا ...

٢ - ان يخلق اطارا من اللاوعي بين المصريين سواء سكان الحدود ام سكان داخل القطر ذاته ، وذلك باختلاف اللوائح والنظم الغريبة التي تحكم انتقال سكان مناطق هذه الحدود الى داخل الوطن الام ، وكذلك انتقال المواطنين من غير مواليد مناطق الحدود الى تلك المناطق ، حتى استقر في الاذهان عند الحدود ، وخاصة الحدود الشرقية في سيناء بين رفح شمالا وطابا جنوبا ، ان الناس هناك مصريون من الدرجة الثانية او الثالثة ، او حتى غير مصريين وكادت تفهم غالبية الناس داخل الوطن ان مناطق الحدود هذه يقطنها قوم غرباء لا يربطهم باهل الوطن نسب او وشيجة منذ اقدم العصور .

وقد دعم اللورد كرومر سياسته



تذكار لزيارة احد ملوك الفراعنة الى مناجم الفيروز والنحاس في سيناء

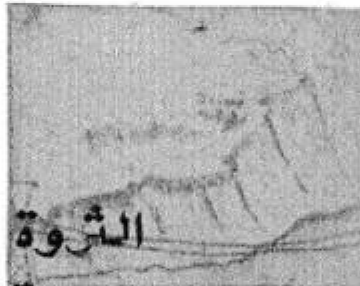
واحتمالات المستقبل

هذه عمليا بانشاء ما سمى فى وقته « مصلحة الحدود » لحمتها وسداها ضباط بريطانيون دهاة من طراز الجاسوس الاشهر « لورانس » . استطاعوا فى اقل من نصف قرن من الزمان ان يحققوا ما ترمى اليه سياسة ذلك اللورد الاريب الداهية ...

ولنترك الان جانبا محافظات الحدود التى نعمت بنظام الحكم المحلى قبل عدوان يونيو سنة ١٩٦٧ ، ونقصر معالجة القضية من زاوية المحافظة الوحيدة من محافظات الحدود التى لم يقترب منها نظام الحكم المحلى الا فى اكتوبر سنة ١٩٧١ بانشاء مجلس شعبى لها دون مجلس تنفيذى تلكم هى محافظة سيناء ، اكبر محافظات جمهورية مصر العربية حساسية على الاطلاق .

بعد انشاء مصلحة الحدود سنة ١٩٠٦ توالى على حكم هذه المحافظة كل من الكولونيل باركر ابن اخت اللورد كتشنر (١٩٠٦ – ١٩١٢) وبيمشبك (١٩١٢ – ١٩١٣) وبراملى (١٩١٣ – ١٩١٦) ثم باركر ثانية (١٩١٦ – ١٩٢٣) وجارفس صاحب المؤلفات العديدة المشهورة (١٩٢٣ – ١٩٣٦) ، ثم همر سيلى باشا احد اصدقاء ونستون تشرشل (١٩٣٦ – ١٩٤٦) .

وكان المخطط غير المعلن الذى ينفذه هؤلاء المحافظون البريطانيون ، يقضى بما يلى :



الثروة المعدنية

١ ـ أن تصبح سيناء جزءا غريبا عن مصر ، فلا يدخلها المصرى الا بتصريح خاص ، ولا ينقل ساكنها تجارته فيها ومنها أو اليها الا بقيود ونظم لا مثيل لها فى دول العالم كلها حتى انك كنت تقرأ فى مؤلفاتهم ومكاتباتهم وتقاريرهم «من سيناء الى مصر » أو « داخل القطر » الى « سيناء » ، كما لو كانت سيناء شيئا آخر تماما غير مصر ... وظلت هذه النغمة سارية فى سيناء فى مؤلفات الغافلين .

وقد نادى جارفس يوما ما فى أثناء مؤتمر لندن سنة ١٩٣٩ ، ودون حياء منه أو احترام للتاريخ بأن سيناء ليست جزءا من مصر وأنها جزء من آسيا وأهلها « آسيويون قليلو العدد ، لا بأس ان يستضيفوا عندهم اليهود ويعملوا معا وطنا قوميا » ..

وكانت سيناء والشرقية مديرية واحدة قبل مصلحة الحدود بعشرات السنين ، وكانت حدود مصر منذ قبل الميلاد عند مشارف دمشق كما هو ثابت فى سجلات التاريخ .

٢ ـ الا يقوم فى ارجاء شبه الجزيرة أى نوع من العمران الاستقرارى الذى يؤهل هذه الرقعة من مصر والتى تبلغ مساحتها اكثر من واحد وستين الف كيلو متر مربع، لكى تستوعب أية زيادات من السكان الذين تزدحم بهم بقية المحافظات المصرية ، خاصة الوجه البحرى ، وحتى لا يلتصق المصرى بهذه الارض التصاقا عضويا عميق الجذور .

٣ ـ ان يقوم النفور وعدم الانسجام بين سكان شبه الجزيرة من البدو والحضر ، فكان الحاكم البريطانى يشجع البدوى على عدم التعليم ، ولا يساعده على الاستقرار ، وينفث فيه سموما تدفعه الى الاعتقاد بأن البداوة شىء وسكنى المدن شىء آخر لا يلتقيان أبدا ـ على الرغم من انتماء الاثنين الى دين واحد ـ وانه من العار ان يتزوج البدوى امرأة من الحضر ، وأن يزوج ابنته لساكن المدينة .

وكان يشجع الحضرى على التعامل مع البدوى بالرهونات وضروب التضليل بغية الاستيلاء على الارض الزراعية بطريق باطل ينمى الحقد والكراهية بين البادية والحاضرة .

٤ ـ ان يوظف المستعمرون فى مصلحة الحدود عددا من غير المصريين مهمتهم تضخيم الاخطاء الفردية ـ التى لا يخلو منها مجتمع بشرى ، منذ بدء الخليقة والى ان تنتهى الحياة على سطح هذا الكوكب ـ وغرس بذور التشكك وسوء الظن تجاه سكان هذه المنطقة من الارض المصرية الصميمة .

ولا شك ان هذا التفكير كان يرتبط بطريق مباشر وغير مباشر بالمخططات الصهيونية التى كانت تبيت النية تجاه سيناء (منذ ان قامت لجنة هرتزل سنة ١٩٠٢ بدراسة شمال سيناء وامكانية ريه بماء النيل بغية اقامة مستوطنات يهودية فيه ، وحتى قبل ذلك التاريخ) حتى اذا واتت الفرصة للهجمة الصهيونية أن تندفع ، وجدت الامر على ما يرام ماديا وعمرانيا ، ولكن الله خيب فألهم فى ٦ أكتوبر سنة ١٩٧٣ .

وسوف يثبت التاريخ حين يكتب بتعمق أن الاستعمار البريطانى لمصر منذ سنة ١٨٨٢ وحكم البريطانيين مباشرة لسيناء منذ انشاء مصلحة الحدود سنة ١٩٠٦ — له ارتباط وثيق بما جرى بعده من احداث حتى عدوان يونيو سنة ١٩٦٧ ، وانه كان تمهيدا ماديا ونفسيا لذلك العدوان …

ولعل من اهم ما كان يحرص الاستعمار عليه — كثمرة لعزلة سيناء بنظام الحدود عن مصر — هو ثروة سيناء المعدنية والبترولية ، فلقد كان الجيولوجيون الانجليز يرتادون سيناء من اقصاها الى اقصاها ، ويكتبون تقاريرهم ، ويستكشفون الغامض من طبقات وصخور سيناء ، ويحتفظون لانفسهم ولوزارة المستعمرات (والصهيونية العالمية من ورائها) بالاسرار ، اذ كان معلوما لديهم ان سيناء جزء من الارض المصرية منذ عشرات القرون قبل الميلاد ، تمدها بالنحاس والفيروز وغيرهما من المعادن

ولكن الشباب المصرى استطاع ان يكسر الاحتكار الجيولوجي البريطانى لارض سيناء منذ سنة ١٩٥٤ حتى سنة ١٩٦٧ ، وابلغت المساحة الجيولوجية المصرية اهمية سيناء التعدينية تماما كما كانت اهميتها منذ الوف السنين .

واليك نبذة عن التعدين فى سيناء منذ اقدم العصور حتى اليوم :

● ثروة سيناء المعدنية ●

لعله من المفيد ان نقسم الثروة المعدنية فى محافظة سيناء الى ثلاثة اقسام اساسيةطبقا للتاريخ، كما يلى :

ا — ثروة معدنية منذ عهد الدولة المصرية القديمة حتى الاحتلال البريطانى سنة ١٨٨٢ .

ب — ثروة معدنية منذ الاحتلال البريطانى حتى سنة ١٩٥٢ .

جـ — ثروة معدنية منذ ثورة سنة ١٩٥٢ حتى يونيو سنة ١٩٦٧ .

● الثروة المعدنية منذ الدولة المصرية القديمة ●

كانللفراعنة — كما اسلفنا القول — نشاط تعدينى فى شبه الجزيرة منذ عهد ما قبل الاسرات، وقد شمل هذا النشاط التعدينى المعادن التالية :

● النحاس :

تدل الاثار والصفائح القديمة على ان النحاس كان يستخرج من جنوب سيناء بالقرب من خليج السويس فى مناطق شمال دير سانت كاترين (سهل الهندو الرقيطية) ومن المنطقة المحيطة ببير النصب الغربى ، وتوجد فى بقاع كثيرة بتلك المناطق اثار « الجلخ » المتخلف من صهر خامات النحاس ايام الفراعنة فى تلك المناطق … كما أن هناك منجما قديما للنحاس فى وادى السمراء . (قرب دهب على خليج العقبة) كان يستغل حتى العشرينات من هذا القرن .

وقد عثرت بعثات المساحة الجيولوجية على اثار منجم للنحاس الى الغرب من راس خليج العقبة فى وادى ابو طليحات (قرب راس النقب وجبل الحمرا) وكذلك على اثار لخامات النحاس الخضراء فى خلال طبقات الحجر الرملى النوبى الى الغرب من طابا ، ودلت الكشوف الاثرية على ان المصريين اكتشفوا واستغلوا النحاس كذلك فى مناجم وادى العربة : فقد اكتشف اخيرا (فى فبراير سنة ١٩٧٢) تمثال للملك رمسيس الثانى مع (حت — حور) الهة التعدين المصرية عند تمناع شمال العقبة .

وعثرت كذلك بعثات المساحة الجيولوجية سنة ١٩٦٣ على قطع من خامات النحاس الخضراء فى وادى الساجد بمنطقة المغارة فى شمال سيناء ولكن البحث لم يسفر حتى الان عن مصدر هذه القطع .

● الفيروز :

كان للفيروز عند المصريين القدماء أهمية بالغة ، وقد استخرجوه من المناطق الواقعة شرق أبي زنيمة (وديان مغارة وقنى وسرابيط) ، والفيروز حجر أزرق سماوى أو مخضر قوامه فوسفات الالومنيوم النحاسية ، يوصف بانه حجر كريم ، وكانت تصنع منه الجعارين وفصوص الخواتم ، وثمنه معقول ولكنه ليس ثروة معدنية اساسية ، وقد حاولت شركة بريطانية الفها ضابط بريطاني « الميجر ماكدونالد » استغلال مناطق الفيروز في سيناء في حوالى منتصف القرن الماضي ، ولكنها فشلت اذ كانت العملية خاسرة اقتصاديا ٠

ويقوم البدو في جنوب سيناء باستخراج الفيروز وصناعة فصوص منه بطرق غاية في البدائية ، ترتب عليها تهشيم كثير من اللوحات الاثرية الثمينة التي نقشها الاقدمون على الصخور هنالك ٠٠٠ ولا بأس من التفكير مستقبلا في طريقة يمكن الوصول بها الى استخراج الفيروز بصورة اقتصادية قد تضيف شيئا الى الدخل القومي ، الى جانب الناحية الاعلامية المترتبة على تسويق فيروز كان الفراعنة يستخرجونه ٠

● الثروة المعدنية بعد الاحتلال البريطاني سنة ١٨٨٢ ●

بعد أن استولى البريطانيون على مصر اثر معركة التل الكبير سنة ١٨٨٢ ، وأمنوا طريقهم الى الهند بحصولهم على قناة السويس ، أنشأوا المساحة الجيولوجية سنة ١٨٩٦ وكان قوامها من الجيولوجيين البريطانيين ، وكانت سيناء مسرحا لعمل المساحة الجيولوجية المصرية اسما والبريطانية قلبا وقالبا ٠٠٠ وكان أهم ما أنجزته في سيناء من اكتشافات معدنية : المنجنيز والبترول

● المنجنيز :

اكتشف المنجنيز في صخور العصر الكربوني المنتشرة الى الشرق من أبي زنيمة ، وقامت على استغلاله شركة بريطانية بامتياز منذ سنة ١٩١٠ (حتى أممت سنة ١٩٥٦ وبلغ ما صدر من منجنيز سيناء حتى سنة ١٩٥٧ ثلاثة ملايين وتسعمائة وعشرين الفا ومائة وستة وسبعين طنا ٠

ويوجد المنجنيز كذلك في بعض طبقات الصخور الرسوبية في منطقة شرم الشيخ على ساحل خليج العقبة. وكذلك في منطقة « حويط » الى الشمال من واسط (النويبعة) ٠

والمنجنيز في سيناء في حاجة الى معاودة دراسة ، اذ أن الاحتياطي في منطقة أم بجمة وما حولها قد أوشك على النفاد حتى سنة ١٩٦٧ ٠ وتوجد عروق حاملة للمنجنيز في الصخور الاساسية في منطقة جبل موسى وحول دير سانت كاترين ، يلزم معاودة دراستها باستفاضة قد تؤدى الى احياء اقتصاديات المنجنيز في سيناء مستقبلا ، اذا ما أدخلنا في الاعتبار احتمالات توافر هذا الخام في قاع كل من خليج السويس والعقبة ٠

الثروة



● البترول :

وهو حتى الآن يعتبر اهم حاصلات شبه جزيرة سيناء ، وقد بدىء في البحث عنه هنالك سنة ١٩١٠ بصورة جدية ، وتتركز حقول البترول على الساحل الشرقي لخليج السويس فيما بين منطقة سدر شمالا ومنطقة الطور جنوبا ، اى على امتداد الخليج كله تقريبا ، وكذلك في بطن الخليج .

ومن الامثلة على اهميـــة بترول سيناء ، ما سجله تقرير المرحـــوم عبد المنعم غراب (ســـنة ١٩٦٠) لاحتياطي البترول في منطقة البلاعيم وحدها ، وهو (خمسون مليون طن) وقد بلغ انتاج هذا الحقل سنة ١٩٥٩ مليونا وثلاثمائة وســـبعة وسبعين الف طن من البترول الخام ..

وتشير دلائل البحوث حتى يونيـو سنة ١٩٦٧ ، الى احتمالات وجـــود البترول في الركن الشمالي الغربي من محافظة سيناء كما ان شمال سيناء باسره رغم البحوث والاختبارات التي جرت فيه فيما بين نخل جنـــوبا والعريش شمالا ، يحمل امكانيـــات لوجود البترول ايضا ...

ومما يمكن ان يقـــال عن بترول سيناء ان ارباح العدو منه سنة ١٩٧١ بلغت مائة وعشرة ملايين جنيـــه استرليني .

والى جانب البترول والمنجنيـــز ، فان هذه الحقبة من تاريخ سيناء قد استغل فيها من الثروات المعدنيـــة ما يلي :

● الكاولين :

وهو نوع من الطين الابيض يصنع منه الصيني والحراريات ، وقـــد اكتشف في منطقة جبل مسبع سلامة وما حوله ، وكان مصدر الخام الوحيد لمصانع الخزف والصيني المصرية حتى سنة ١٩٦٧ ، ويقع جبل مسبع سلامة الى الشرق من ابي زنيمة .

واحتمالات وجود الكاولين في سيناء على سعتها كبيرة مأمولة .

● الجبس والانهيدرايت :

يوجد الجبس في منطقـــة وادي « الربينة » الى الشرق من السويس ، وهو من اجـــود الانواع ، وكذلك الانهيدرايت وهو الجبس اللامائي الذي يشبه المرمر ، في منطقة رأس ملعب الى الشمال من حمام فرعون على ساحل خليج السويس ، وكان يصدر الى أسواق الشرق الاقصى في الغالب ، ويدر ارباحا كبيرة .

● الرمال البيضاء :

تنتشر الرمال البيضاء الصـــالحة لصناعة الزجاج في كثير من مناطق شبه الجزيرة ، وكان رمل الزجـــاج يستخرج حتى سنة ١٩٦٧ من منطقة ما حول بير النصب الغربي الى الشرق من ابي زنيمة ، وقد توصلت بعثـــات المساحة الجيولوجيـــة الى اثبات تواجدات كبيرة للرمال البيضـــاء الصالحة لصناعة الزجاج في كل من جبال المنشرح والحلال والمغـــارة في شمال ســـيناء ، بما يبشر بامكان صناعة الزجاج في شمال سيناء .

● حجر الخفاف (النشف) :

وهو من نواتج البراكين في جنوب اوربا خاصة ايطاليا وجـــزر البحر الابيض ، تحمله امواج البحر لترسبه طبقات واكواما على الساحل الجنوبي للبحر الابيض في شمال سيناء ، وهذه الاحمال من الخفاف في حـــاجة الى دراسة واستقصاء بالنظر لاهميتـــه البالغة في صناعة البناء ، تمشيا مع منطق استغلال كل ما يمكن استغلاله والاستفادة منه مهما كان قليلا .

● الالوان :

تســـتخرج الالوان الحمـــراء والصفراء الصالحة لصناعة البنـــاء من مواطن متفرقة في جنوب سيناء وخاصة الى الشرق من ابي زنيمة ،

ومن المؤكد أن طبقات الصخور في سيناء تحوى ثروة كبيرة من هذه المواد اللازمة لصناعة البناء .

● ملح البارود :

كان ملح البارود ــ وهو نترات البوتاسيوم الصالحة للسماد ــ يستخرج من بعض البقاع المتفرقة وخاصة من التلال المرتفعة الى الشرق من الطرف الشمالي لخليج السويس ، وكان البدو يستخدمونه في صناعة البارود (أيام استخدام البنادق التى كانت تحشى بالبارود الأسود) ويمكن اتخاذ هذا دليلا للبحث عن مواطن اخرى قد يكثر فيها هذا الخام لاستخدامه فيصناعة الاسمدة الزراعية

● الكبريت :

حيثما يوجد البترول ناشعا على سطح الارض ، يحتمل وجود خام الكبريت ... وتوجد دلائل لوجود الكبريت في منطقة ابى دربة على خليج السويس ، وهذا الموضوع يحتاج الى معاودة دراسة بالنظر لاهمية الكبريت في الصناعة في هذا العصر .

وقد يوجد الكبريت ايضا على شكل عقد او كتل صغيرة وعروق في بعض التكوينات الجيولوجية فى وسط سيناء خاصة قرب جبل بضيع وهضبة العجمة ، اما منفردا واما على هيئة خام كبريت الحديد ... وكذلك قد يوجد حيث يوجد الجبس والانهيدرايت ، ولكن هذا ايضا يحتاج الى معاودة دراسة واستقصاء .

● الزلط :

يوجد الزلط اللازم لصناعة البناء في أرجاء سيناء على سعتها ، واشهر مواطنه منطقة السر ، وهى السهل الممتد من ريان وعنيزة شمالا وجبال الحلال ويلق جنوبا ، وجبل المغارة غربا ... وبالقياس على منطقة السر هذه يمكن وجود الزلط الصالح لصناعة البناء في كل المتسعات الرحبة بين جبال سيناء الشمالية .

● الرمل :

يتخذ الرمل الصالح لصناعة البناء من الكثبان الرملية ، اى يفضل عليه الرمل الذى يستخرج من ساحل البحر المتوسط ، وخاصة فيما حول العريش، وهو موجود بكميات كبيرة جدا .

● الاحجار الجيرية :

الاحجار الجيرية الصالحة لصناعة الجير في القمائن لاغراض البناء ، يمكن العثور عليها في كل الجبال الرسوبية فى شمال سيناء دون استثناء تقريبا .

● الثروة المعدنية بعد ثورة سنة ١٩٥٢ ●

بعد انشاء وزارة الصناعة سنة ١٩٥٦ الحقت بها المساحة الجيولوجية التى كانت احدى مصالح (وزارة التجارة والصناعة) وسميت مصلحة الابحاث الجيولوجية والتعدينية .

وقد كانت سيناء موضع اهتمام هذه المصلحة .

ويمكن تلخيص نتائج أعمال بعثات الابحاث الجيولوجية في سيناء فيما بين سنتى ١٩٥٦ و ١٩٦٧ فى الاكتشافات الهامة التالية :

١ ــ الفحم :

اكتشف الفحم في طبقات العصر الجوراسي (منذ ١٨٠ مليون سنة) في منطقة المغارة في منطقة جبل المغارة فى شمال سيناء ويقدر الاحتياطى الموجود بتلك المنطقة بما لا يقل عن ٣٠ مليون طن من نوع جديد من الفحم فى العالم يصلح للصناعات الكيماوية ، ويلزم خلطه بأنواع اخرى من الفحم للصناعات الثقيلة .

وقد افتتح أول منجم فى « وادى



واحة فيران وفى خلفية الصورة جبل سربال

الصفا ، بجبل المغارة فى يوليو سنة ١٩٦٤ لتصل طاقة انتاجه الى ٣٠٠ الف طن سنويا سنة ١٩٧٠ ،

وعلى ضوء اكتشاف الفحم فى جبل المغارة بشمال سيناء ، يحتمل اكتشافه فى مناطق اخرى من سيناء تحت سطح الارض فى مناطق مثل جبل الحلال والمنشرح وريان عنيزة والجدى كما يحتاج الى مواصلة البحث والتنقيب ...

وكذلك عثرت بعثات للمساحة الجيولوجية على خامات فحمية فى طبقات العصر الكربونى (٢٥٠ مليون سنة) فى منطقة وادى بدعة وثوره الى الشرق من ابى زنيمة تصلح لبعض اغراض صناعية ٠

٢ ـ خامات الاسمنت :

قوام صناعة الاسمنت فى العادة ، الحجر الجيرى النقى وطبقات الطين أو الحجر الجيرى ، المخلوط فى الطبيعة بنسبة من الطين وهذه تخلط بنسب معينة فى افران خاصة بأى وقود كالفحم أو مشتقات البترول .. ومن هنا يمكن اعتبار شمال سيناء على سعتها منجما عاليا لخامات الاسمنت بأنواعه المختلفة لاسيما وان وجود الجبس فى سيناء يكمل احتياجات صناعة الاسمنت ٠

وقد دلت تحاليل العينات التى جمعتها بعثات المساحة الجيولوجية من بقاع متناثرة من شمال سيناء على صلاحية تلك الخامات لصناعة الاسمنت كما دلت تحاليل رواسب وادى العريش الطينية المجلوبة بالسيول من اواسط سيناء الى غرب البحر الابيض المتوسط على صلاحية تلك الرواسب ايضا كخامات لصناعة الاسمنت ، وهذا امر جديد من نوعه فى العالم كله ٠

٣ ـ البنتونايت :

وهو نوع من الطين له استخدامات كثيرة فى الصناعة والزراعة ، ومن خصائصه تضاعف حجمه عند ابتلاله بالماء ، وقد اثبتت بحوث المساحة الجيولوجية انتشار طبقات لهذا الخام فى وسط شبه الجزيرة على نطاق واسع يجدر معه التفكير فى استغلاله، لاسيما واننا نستورده من الخارج لاستخدامه فى ماكينات الحفر عن البترول وما يماثلها ٠

٤ ـ الفوسفات :

الفوسفات حجر قوامه فوسفات الكالسيوم الثلاثى ، وهو من الخامات الهامة فى صناعة الاسمدة الزراعية والكيماويات ، وعلى ضوء انتشاره فى الصحراء الشرقية والغربية وفى مناطق بالاردن وفلسطين ، فان

احتمالات العثور عليه فى سيناء أمر ممكن جدا .

٥ ـ كبريتات الصوديوم :

اكتشفت بعثات المساحة الجيولوجية ظاهرة تواجد ملح كبريتات الصوديوم (وهو من أهم الخامات للصناعات الكيماوية والدوائية) فى أماكن تواجد خامات الفوسفات والبنتونايت ، وذلك بصورة يمكن الاستفادة منها واستغلالها ، وخاصة فى وسط سيناء الى الجنوب من منطقة نخل ، وكذلك الى الجنوب من منطقة الثمد .

٦ ـ الرخام :

عثرت بعثات المساحة الجيولوجية على الرخام فى منطقة وادى الخمارات بجبل يلق ، بكميات صالحة للاستغلال اقتصاديا .

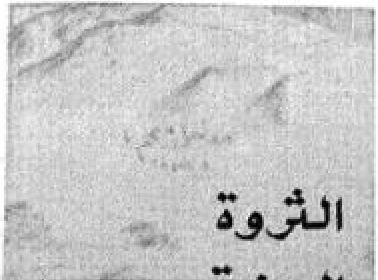
وكذلك كشفت تلك البعثات عن صلاحية كثير من الاحجار الجيرية الطحلبية (فى جبل المغارة وما حوله وجبل يلق) قابلة للصقل والتلميع ، وذلك لاستخدامها كأحجار للزينة مثل الرخام ، وتوجد بكميات هائلة فى تلك المناطق .

٧ ـ الرمال السوداء :

توصلت بعثات المساحة الجيولوجية الى اثبات وجود عدة ملايين من الاطنان من الرمال السوداء ذات الأهمية الصناعية ، وخاصة فى الخامات الذرية ، وذلك فى المناطق الساحلية فيما بين العريش وبور فؤاد وكذلك فى بعض أماكن بين العريش ورفح . وتعتبر هذه الرمال الى جانب كونها تحوى عناصر مشعة خامات للحديد والتيتانيوم ، ومواد صنع الطوب الحرارى وأوراق صنفرة ، وهى تعتبر من الخامات الاستراتيجية فى العالم الصناعى اليوم .

٨ ـ الالونايت والدولوميات :

الالونايت احد الخامات الحرارية



الثروة المعدنية

التى يمكن استخدامها أيضا كخامات للالومنيوم والبوتاسيوم ، وقد عثر عليه لاول مرة فى طبقات العصر الطباشيرى السفلى فى منطقة اللجمة بشمال سيناء .. ويعتبر هذا كشفا جيدا بالنسبة لهذا الخام الصناعى الهام ، وخاصة اذا دل البحث مستقبلا على سعة انتشاره بصورة معقولة فى طبقات العصر الطباشيرى فى كل من حواف جبل المغارة الشرقية والجنوبية .. وكذلك عند مدخل وادى العريش فى جبل الحلال .

٩ ـ الرصاص :

عثرت بعثات المساحة الجيولوجية قبيل يونيو سنة ١٩٦٧ على خامات الرصاص فى جبل خرم بصورة تدعو الى احتمال انتشار تلك الخامات فى شرق سيناء ، مما يحتاج الى دراسة واستقصاء فى المستقبل بعد التحرير .

١٠ ـ خامات اخرى :

توجد احتمالات لوجود خامات الحديد فى جنوب سيناء ووسطها وشمالها ، وكانت بعثات المساحة الجيولوجية اليماقبل يونيو سنة١٩٦٧ بصدد اجراء دراسة شاملة لتواجد خامات الحديد فى شبه الجزيرة لاسيما بعد

التثبت من وجود الفحم بها ، مما يحبذ التفكير في اقامة (صناعة الحديد) في هذه المحافظة .

وهناك مصادر ملح الطعام فيما حول حواف سبخة البردويل وجنوب شرق بور فؤاد ، واحتمالات املاح البورون قائمة ايضا في سباخ سيناء .

***

هذه خلاصة لامكانيات سيناء من ناحية الثروة المعدنية ، وهى خلاصة لا تعبر عن كل ما يحتمل أن تحمله أرض سيناء من خاما تمعدنية - ولكى نستكمل صورة امكانيات سيناء التعدينية بعد التحرير لا سيما وأن الانباء حملت الينا فيما بعد يونيو ٦٧ ما يؤكد اكتشاف خامات التفجستن او الولفرام فى الجبال المتاخمة لخليج العقبة من الغرب - لا بد ان تضع فى الاعتبار ضرورة :

١ - عمل خريطة مكتملة من الصور الجوية العمودية بمقياس لا يقل عن ١ : ٥٠٫٠٠٠ (خمسين الف) تكون اساسا لخريطة سيناء الجيولوجية الكاملة .

٢ - عمل خريطة راديومترية لكل مساحة سيناء .

٣ - عمل خريطة جيوكميائية لكل من الشمال الرسوبى والجنوب النارى .

٤ - عمل سجل تحليلى كيميائى كامل لكى طبقات القطاع الجيولوجى لصخور سيناء الرسوبية .

٥ - الاعداد لدراسة قاع كل من خليج السويس وخليج العقبة من حيث تواجد الرواسب المعدنية .

٦ - استقصاء امكانيات تواجد البترول او الغاز الطبيعى فى المثلث الشمالى الغربى من المحافظة .

٧ - اعداد خريطة لتوزيع التربة فى انحاء شبه الجزيرة .

٨ - اعداد خريطة توزيع المياه السطحية والباطنية فى سيناء عامة .

وبالنسبة لما يمكن الشروع فى اقامته من صناعات تعدينية فى شبه الجزيرة بعد التحرير مباشرة ، يتلخص فيما يلى :

ا - صناعة الاسمنت .. وهناك على سعة شبه الجزيرة خامات تفى بانتاج اكثر من مليون طن سنويا لمدة قرن من الزمان على الاقل ..

ب - صناعة الفخار والطوب ، اذ تنتشر فى ارجاء شبه الجزيرة طبقات الطين الصالحة لهذه الصناعة انتشارا هائلا ..

ج - استخراج ملح كبريتات الصوديوم اللازم لكثير من الصناعات والادوية والذى نستورده من خارج الجمهورية .

د - اقامة صناعة (محدودة الانتاج) للحديد والفولاذ من نواتج الرمال السوداء والفحم الحجرى .

هـ - اقامة صناعات كيميائية على نواتج التقطير الاتلافى للفحم الحجرى

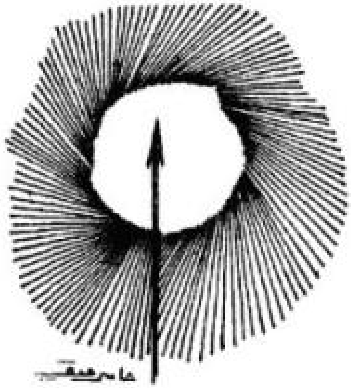
و - التوسع فى انتاج الكاولين والرمال البيضاء اللازمة لصناعة الزجاج ، ويمكن بتوفر الفحم والبترول كوقود ، اقامة صناعة الزجاج والخزف والصينى فى محافظة سيناء .

ز - التوسع فى انتاج الجبس والالباستر للاستهلاك المحلى والتصدير على السواء .

ح - البدء فى استغلال تواجدات الرخام واحجار الزينة وتصنيعها محليا .

ط - التخطيط السريع لاستكمال بحوث البترول فى الشمال الغربى من سيناء ، لاسيما وأن ثبوت وجود حقل للغاز الطبيعى فى شمال الدلتا (منطقة ابو ماضى) يعطى هذه المنطقة من سيناء اهمية خاصة من ناحية البترول والغاز الطبيعى .

هذا قليل من كثير نسوقه فى عجالة عن احتمالات المستقبل للثروة المعدنية والبترول فى سيناء المصرية الخالدة ...



محمد
الجبار

عودة الحياة

... وأشعرُ أنَّ شبابي يعودُ
لأنَّ بلادي استعادتْ صباها
وكلُّ الوجوهِ التي فارقتني
بغيرِ وداعٍ ... أعودُ أراها ...
هواءُ المدينةِ ... تفتّحَ حبٌّ
تلملمُ مِن كلِّ صدرٍ ... شذاها
وهذا الظلامُ ضياءٌ بقلبي
على كلِّ ضوءٍ بعيني ... تباهى

هَجرتْ المصــابيحَ فى عــــزلتى
وأوقــدتْ بين الضـلــوع ضياها

سئِمتْ الأغاريدَ ... وَهْىَ تفضولُ
على الصمْتِ لمّا سمعتْ صــداها

أيا لُغتى ... كم فَقَــدْتُ التَغنّى
بمعنــاكِ ... حتى سمعْت لُغــاها

لقد عاد (عمرو) يَمْشــوقُ الرياحَ
تصــافحه فى اللظى ... مقلتــاهَا

(وعامُ الرمادةِ) صامت جــراحى
عليهِ ... وأقطرْنَ فَوْقَ دِمــاها

ورأس الحُسَيْنِ الذى ضاع منـــه
تواصَلَ بالجسْمِ فَخْــرا وتاها

***

تَمُـــرُ المدينـةُ ... تدخلُ قلبى
فالمح مِصْــرَ ورَاءَ مـــداها

مناديلهـــا فى السماءِ النجــومُ
وفى الفجْــرِ وَرْدٌ يضمُّ رُباهــا

و روحُ السكونِ .. صلاةُ انتظار
لصَوْتٍ هو الحبُّ شَــقَّ دجــاها

لقد تَعِبَ الليلُ ... فاهجَعْ فؤادى
ستصــحو على مُقلتَيْــك رؤاها

فرغمَ الظلامِ الذى قدْ طـــوَانا
تشيرُ لنـــا فى البُروق .. يـــداها

ورغم السكونِ المتعثرِ حتْمـــا
ستسمعُ فى النّيل لبْــلاً خطـــاها

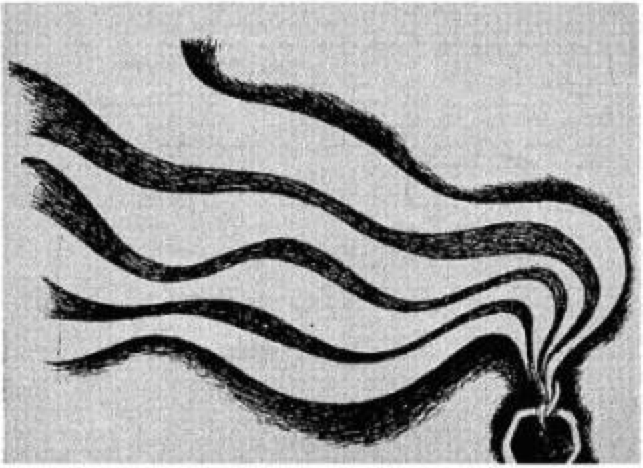
إذا أسبلَ الليلُ ... هدب الشعاعِ
تيقظْ مع الحلمِ ... حتّى تراهـــا

لقدْ كنتَ طفـــلاً تغطيك أمّى
فعادتْ تغطّى يداكَ ثـــراهَا

أتذكـــر لمّا انتظـــرنا الليـــالى
وكنا نواقيسَ صَـــمْتٍ بَـــكاها ..

وجاءتْ سنابلُ قمحى انتظـــار
تضجُّ احتجاجاً .. على مَنْ ســـقاها

ومـــا أبصرَتْنا الحـــدائقُ إلا
هشيماً لهـــا طـــار يرْثى أساها



وكانتْ نجـومُ المســاءِ دمُوعـاً
من الشمْسِ تعكِسُ وَمْضَ دماها

***

وذاتَ صــباحٍ سَمِعْنـا الحيـاةَ
تنــادي علينــا .. فكنّا صـــداها
دخلنْا عيونَ الردى .. فوقَ ســينا
ومن شفَتيْهِ عَـزَفْنــا لظــاها
فأيُّ جبالٍ لنـــا سوْفَ تعـــلو
ونحن رفعنــا عليهـا الجبــاها
رأينا الترابَ تصاعدَ شـــوقاً
يقبّلُ فوْقَ الوُجُوهِ ... سَــناها
فلبّيْكَ ... لبّيْكَ .. يا ابنَ الحيــاة
إذا ما جعلْتَ الجــراحَ شِــفاها
تَسَجَّتْ لنـا رايةٌ من دمــاءٍ
تُعيــدُ إلى كلِّ أرْضٍ ... دمَـاها
صهَرْنا ظــلامَ الصّحاري حريقاً
وفوقَ اللهيبِ رأيْنــــا سَماها

***

وأشعر أنَّ شـــبابِي يعـــود
لأنَّ بلادي استَعَـــادتْ صِـباها

د. مهندس
أحمد أمين مختار

مشروع تعمير سيناء ومدن القناة

تعانى الدول فى مرحلة النمو من مجموعة من العوامل المشتركة التى تؤثر على انطلاقها لرفع مستوى معيشة افرادها فى اسرع وقت ممكن ·· ويمكن تلخيص هذه العوامل الرئيسية فى الدول التى لها ظروف مشابهة لجمهورية مصر العربية ـ فى التالى :

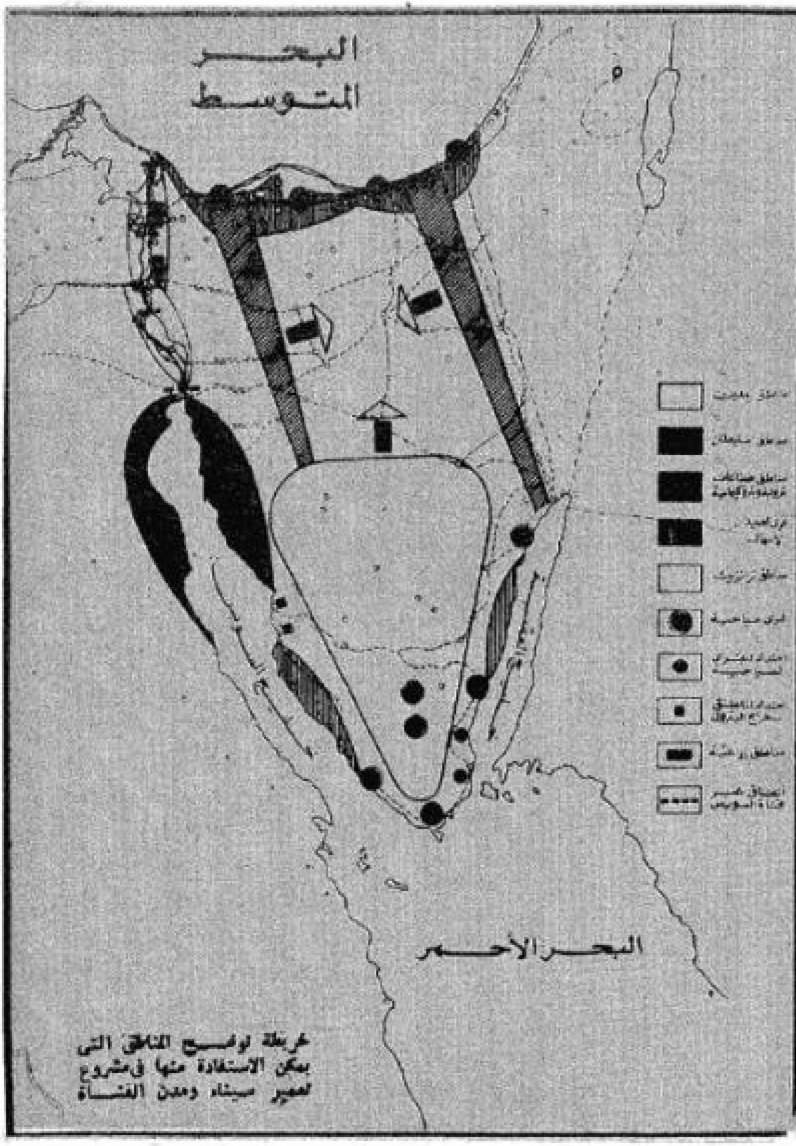
١ ـ زيادة مطردة فى السكان ، وتبعا لذلك يكون الهرم السكانى ذا قاعدة عريضة ، ويتطلب ذلك انفاقا ضخما على الخدمات التعليمية والصحية ، كما يترتب عليه توجيه جزء محدود من الدخل الى التنمية الاقتصادية ·

٢ ـ سوء توزيع السكان والخدمات مع عدم ربط السكان باماكن العمل وعدم استغلال القوة البشرية استغلالا مكثفا ·

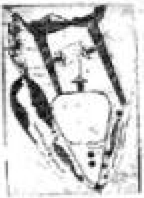
٣ ـ الموارد الطبيعية للدولة لا تستغل كلها بكامل طاقتها ، ومحاولة استغلالها يتطلب انفاقا ضخما يتجاوز إمكانياتها ·

٤ ـ التركيز فى التنمية على عدد قليل من المدن ومنها العاصمة ، مما يجعل مستوى المعيشة فيها يختلف كثيرا عن بقية مناطق الدولة ، مما يؤثر على الاقتصاد القومى ككل ·

وتؤثر الحروب عموماً على الدول



خريطة توضيح المناطق التى يمكن الاستفادة منها فى مشروع تعمير سيناء ومدن القناة



تأثيرا بالغا بما تتعرض له من تدمير لمرافقها وصناعتها واقتصادياتها .. ولقد تخطت الدول الاوربية تأثير الحرب ، ليس عن طريق قوتها الذاتية فحسب ، بل عن طريق مشروع مارشال الامريكى ، أى بالدعم الخارجى، حتى تعود الى حالتها الطبيعية فى أسرع وقت ممكن ...

وتأثير الحروب أوقع وأشد أثرا على الدول النامية ، فاذا أخذت بعض هذه الدول بأسلوب الاكتفاء الذاتى ، لتطلب ذلك وقتا طويلا . وينحو البعض الاخر الى طلب المعونات الخارجية لتعود الحياة الى مجراها الطبيعى بأسرع وقت ممكن .

ولقد حاولت جمهورية مصر العربية منذ سنة ١٩٦٧ التوفيق بين اعداد الدولة للحرب ، والسير قدما فى التنمية الاقتصادية ، وحققت نجاحا ملحوظا مع بعض التضحيات وبعض تعثر فى التنمية الاقتصادية والنمو فى الجانب المدنى .

ولقد ترتب على حرب ٦ اكتوبر سنة ١٩٧٣ حاجة الدولة الى تعمير المناطق التى دمرتها الحرب ، ولذلك بادرت الدولة بانشاء وزارة التعمير ، وأوكلت اليها من ضمن مهامها تعمير منطقتى سيناء ومدن قناة السويس ... ومن الواضح ان تعميرها يتطلب انفاقا كبيرا سيؤثر بالضرورة على موارد الدولة فى الانفاق على بقية اقاليم الجمهورية ، مما سينتج عنه تركيز على اقليمى القناة وسيناء واهمال لبقية اقاليم الجمهورية ، خاصة وان جزءا كبيرا من الانفاق فى هذين الاقليمين سيوجه الى الخدمات ، وبالتالى سيؤثر ذلك على الدخل القومى للدولة ككل فى المدى البعيد .

ولقد بنى الاقتصاد الاسرائيلى اساسا على المعونات الخارجية والتبرعات ، وليس على الاكتفاء الذاتى ، مما اتاح لاسرائيل فرصا واسعة للتنمية والتقدم التكنولوجى فى وقت قصير ...

ولقد اتخذت بعض الدول أسلوب التخطيط بمستوياته المختلفة لحل مشاكلها ، فحددت السياسيات العامة بناء على تخطيط قومى شامل على الدراسات الاجتماعية والطبيعية والاقتصادية والسياسية والاستراتيجية ، ثم اخذت باسلوب التخطيط الاقليمى لحل مشكلات اقاليمها

والسير قدما فى سبيل تنميتها وينصح بأن تأخذ جمهورية مصر العربية بهذا الاسلوب حتى تعود البلاد الى حالة الرخاء فى أسرع وقت ممكن .

***

والحاجة الان ملحة الى البدء فورا فى تعمير منطقة قناة السويس وتضافر الجهود الى اعداد القناة للملاحة العالمية فى أسرع وقت ممكن ، ويكون ذلك باعادة تعمير مدنها لتشارك فى اعداد القناة وذلك للاسهام فى الرخاء العالمى .

ويحتاج تعمير سيناء ومنطقة القناة الى انفاق ضخم ليس فى مقدرة الدولة الاقتصادية حاليا ، فضلا عن ان الضرورة الاستراتيجية تحتم تكثيف السكان فى سيناء فى أسرع وقت ، وما يترتب على ذلك من ايجاد فرص عمل وسبل الحياة للسكان .

وتمتاز المنطقتان - سيناء والقناة - بموقعهما الاستراتيجى العالمى ، اذ يقعان وسط طرق المواصلات بين الشرق والغرب وتفصلان اسرائيل فى موقعهما الجغرافى .. واعتقد ان وجود اسرائيل كشوكة فى وسط العالم العربى يعتمد أساسا على المعونات الامريكية والاوربية قد وضع لخلق مجتمع متقدم تكنولوجيا واقتصاديا ليسود المنطقة اقتصاديا ويستغلها الى جانب الغرب على حساب العرب مما يترتب عنه قيام اربع حروب فى هاتين المنطقتين ...

***

لذلك ارى ان هناك ضرورة ملحة لتحقيق التالى :

١ - ان يكون التعمير فى اسرع وقت ممكن ، وان يكون اساسه متطلبات التخطيط الاستراتيجى العسكرى وينبنى عليه التخطيطات الاقليمية .

٢ - خلق منطقة مكثفة بالسكان وعمل القرى على نظام القرى الدفاعية .

٣ - محاولة تامين هذه المنطقة ضد التوسع الاسرائيلى بالمشاركة الدولية فى المصالح بها سواء شرقية او غربية .

تبعا لذلك اقترح ان تدرس منطقة قناة السويس وسيناء على اساس كونها مناطق حرة تحت سيادة مصر وتخضع لمتطلبات مصر العسكرية والاقتصادية وبتكاليف اولية بسيطة نوعا ما ، اذ سيتطلب ذلك تحسين شبكة المواصلات والنقل الداخلية والخارجية وتوفير المياه ، عن طريق المياه الجوفية او السطحية ، او ربطها بنهر النيل عن طريق

« سحارة » تمر تحت قناة السويس ، وتوصيل الكهرباء الى المنطقتين . اما عن طريق شبكة الكهرباء الرئيسية بالجمهوريةكمرحلة أولى وأما عنطريق انشاء محطات قوى كهربائية تبعا لخطة مرحلية مسبقة ، ويتطلب ذلك تحديد الاستعمالات المختلفة بالمنطقتين حسب الموارد الطبيعية المتاحة ، ويمكن تقسيمها تقسيما اوليا الى :

١ ـ مناطق استراتيجية ٠

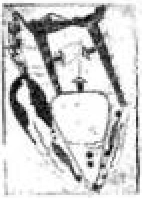
٢ ـ مناطق اصلاح اراضى ٠

٣ ـ مناطق للثروة المعدنية والبترولية ٠

٤ ـ مناطق للثروة السمكية ٠

٥ ـ مناطق سياحية ٠

وأن تدرس دراسة اقتصادية مستفيضة بهدف أن تكون العروض المصرية للمناطق الحرة جذابة للمستفيد ، وهذا لا يتعارض مع مشاركة مصر فى رأس المال العربى والاجنبى بطريقة أو باخرى ، ولتكن بالمشاركة المتصاعدة لصالح مصر ،



على أن يحدد نصيب لكل دولة حتى تكون المشاركة دولية ، وأن يكون الهدف هو التكامل الاقتصادى للمنطقتين وتنويعه ، وأن يخصص جزء من الانتاج لمتطلبات مصر وانتاجها الداخلى ، ويمكن تحديد المناطق الحرة بالتالى :

١ ـ مناطق للتخزين والتجارة العالمية ٠

٢ ـ مناطق لاستخراج الثروة المعدنية والبترولية وتصنيعها ٠

٣ ـ مناطق لتجميع (سيارات ـ جرارات ـ ... الخ) ٠

٤ ـ مناطق تصنيع بمراحله المختلفة ٠

٥ ـ مناطق لصيد السمك وتصنيعه

٦ ـ مناطق للسياحة العالمية ٠

واذا نجحت مصر فى هذا المشروع، فانها ستحقق الاهداف الاساسية السريعة التالية :

١ ـ تعمير سيناء فى أسرع وقت ممكن وتنفيذ استراتيجيتها العسكرية

٢ ـ وجود مصالح العالم الاقتصادية فى منطقة سيناء وقناة السويس سيقلل من احتمالات مهاجمتها من جانب اسرائيل بخلق حاجز دولى بيننا وبينها ٠

٣ ـ توفير المال اللازم للنهوض

بالاقاليم المختلفة الاخرى بالجمهورية وتنفيذ التنمية الكاملة .

وبالاضافة الى ذلك يمكن تحقيق اهداف اساسية اخرى اهمها :

١ - ازالة المقومات الاساسية لقيام واستمرار اسرائيل فى المنطقة.

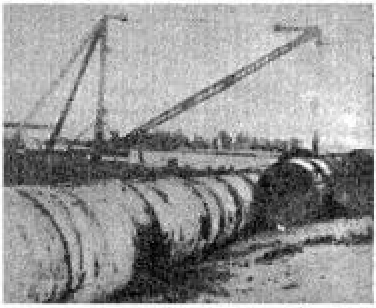
٢ - المطالبة بأن يكون جزء من المدفوعات اجورا ومواد خام .. الخ تحدد نسبتها بالعملة المصرية بغرض امتصاص العملة المصرية خارج مصر وهى عملة فى عرف القانون مهربة تخضع لقانون العرض والطلب وخلق طلب عليها سينتج عنه رفع لسعرها حتى يصل السعر فى الخارج الى السعر الرسمى وحينئذ تتخذ الاجراءات لاعلان أن الجنيه المصرى عملة حرة التداول ، وهذا سيحقق التالى :

أ - أن صادرات مصر ستكون بضعف ثمنها حاليا .

ب - أن واردات مصر ستكون بنصف ثمنها حاليا .

ج - تقليل الكثافة السكانية فى باقى الاقاليمصر وتوطين جزء كبير فى المنطقتين وايجاد فرص عمل كثيرة على حساب الغير .

٤ - وجود المناطق الحرة بهذا الحجم بمنطقتى سيناء وقناة السويس سيوفر لمصر احتياجاتها للاستهلاك



نموذج لاحدى السحارات التى نفذت تحت مياه القناة لتغذى سيناء بالمياه العذبة

المحلى بسعر معقول ، فضلا عن انه سيساعد على توفير المواد الخام للصناعات المحلية وسيوفر لها فرص ازدهارها .

ان هذا المشروع يحتاج الى قرار سياسى على اعلى مستوىيمكنان يكون ورقة سياسية رابحة تساعد على تحديد مستقبل سيناء فى الوقت الحالى ، ويحتاج المشروع بالضرورة الى دراسات متعددة الجوانب ، كما يحتاج الى مشاركة كافة المتخصصين فى مجالاته المتعددة المختلفة من عسكرية وسياسية وطبيعية واجتماعية واقتصادية حتى يصبح مشروعا متكاملا قابلا للتنفيذ على مراحل متعددة ...

•••

وبالنسبة لمشروع استصلاح اراضى شرق القناة ، فقد صمم هذا المشروع



على اساس ٣٠ الف فدان، وبدىء بتنفيذ ٢٠ الف فدان منها تعتمد فى ريها على مياه نهر النيل عن طريق ترعة الاسماعيلية ثم السويس ، وقد انشئت « سحارة » لخدمة المشروع ، وهي عبارة عن ماسورة من الحديد من نوع خاص يقاوم ملوحة مياه البحر ، وبقطاع قطرى دائرى قدره ٢ر٢٥ من الامتار، وتتكون السحارةمن سبع مواسير يتم التحكم فى المياه المارة بها بواسطة رافعتين ، وقد انشئت محطتان للطلمبات ومحطة أخرى للمحولات لتشغيلها ، وهذه المحطة لا تخدم تشغيل السحارة ، ولكن تخدم المنطقة جميعها بالكهرباء للاغراض الصناعية والانارة ، وذلك بتوصيل « كابل » بحرى يسمح بتمرير التيار الكهربائى بقوة ٦٠ كيلو فولت بأخذ الكهرباء من شبكة الجمهورية الرئيسية ...

ويتكون المشروع من مدينة رئيسية ومدينتين فرعيتين وتسع قرى ...

وفى المرحلة الاولى تنشأ بكل قرية مسكن لكل عشرين فدانا مع تزايد المساكن بعد ذلك طبقا للاحتياجات وتقدم عمليات الاستصلاح والاستزراع والتمليك ، على أن تنشأ فى المرحلة الاولى أيضا المساكن الادارية والخدمات من دور عبادة ومدارس وخلافه .

وتخدم هذه القرى محطة رئيسية لتنقية المياه ، قوتها ٤٥ مترا فى الثانية قابلة للتوسعات المستقبلة ، وقد تم انشاؤها وتزويدها بثلاثة خزانات عالية وشبكة رئيسية وأخرى فرعية لتخدم جميع المدن والقرى فى المشروع .

وطبقا لسياسة الدولة تزود مساكن المنتفعين بالمياه العذبة والكهرباء .. ويخدم المشروع شبكة ضخمة من الطرق الرئيسية المعبدة والطرق الترابية التى تساعد على ربط المناطق ببعضها وببقية مدن جمهورية مصر .

ويشمل المشروع انشاء ميناء صغير بدىء فى تنفيذه قبل عدوان ١٩٦٧ لخدمة المشروع ، علاوة على تقرير ربط المنطقة بالسكةالحديدية وتزويدها بمحطات الركاب والبضائع .

***

وقد تم تصميم المشروع - بالنسبة للزراعة - على اســــاس الدورات الزراعية الاقتصاديةللاستغلال الزراعى

الامثل المتكامل طبقا لاحتياجات الدولة والاسواق الخارجية ، والعمل على التوسع فى زراعة الموالح والخضراوات والفاكهة ، وانشاء المراعى للانتاج الحيوانى وامكان تصديرها الى الخارج .

وأهم الصناعات المقررة فى المشروع ، هى الصناعات الرئيسية التى تشتهر بها سيناء ، واهمها صناعة وتعليب الاسماك واللحوم والالبان وعصير الفاكهة .

ومن الاهداف الرئيسية لهذا المشروع أن يكون منطلقا وركيزة للتوسعات المستقبلة لنشر الحضارة فى ربوع سيناء وخدمة التوسع الافقى ، علاوة على تقديم الخدمات لقطاع التعدين بجنوب سيناء ، وخلق مجتمع مستقر ، وتحويل البدو الرحل الى مجتمع اكثر استقرارا يكون حماية لمصر وخطا دفاعيا اولا لها .



ولقد كانت الدولة تفكر جديا فى انشاء مشروعات مماثلة اخرى فى المنطقة الشمالية شرق بور سعيد ، والمنطقة الجنوبية شرق مدينة السويس ، وتعتمد اساسا على توسعات فى الموارد المائية نتيجة لمشروعات اعالى نهر النيل حتى تصل المساحة المنزرعة فى منطقة شرق القناة كلها الى حوالى ١٥٠ الف فدان هذا بالاضافة الى وجوب استغلال المياه الجوفية فى اواسط سيناء وفى شرقها .

وفى شمال سيناء يعتمد وادى العريش على المياه الجوفية والامطار اما باستخدامها المباشر واما عن طريق تجميعها بعد تخزينها فى الكثبان الرملية عن طريق انشاء خنادق تجميع المياه ، كما هو الحال فى مشروع الخروبة ، ولية الحصين وخلالهما ، والمساحة التى كان يجرى استغلالها على المياه الجوفية والآبار كانت فى حدود عشرة آلاف فدان ، ولكنها كانت مشروعات تجريبية ، سيتم التوسع على اساس نتائجها طبقا لما تسفر عنه الدراسات الهيدرولوجية ، وامكانيات المياه ، وتقدر المساحة الممكن زراعتها فى هذه المنطقة بحوالى ١٥٠ الف فدان .

دكتور مهندس
● احمد امين مختار ●
عميد كلية الهندسة ورئيس قسم التخطيط
ورئيس جمعية التخطيط المصرية

فوميل
لبيب

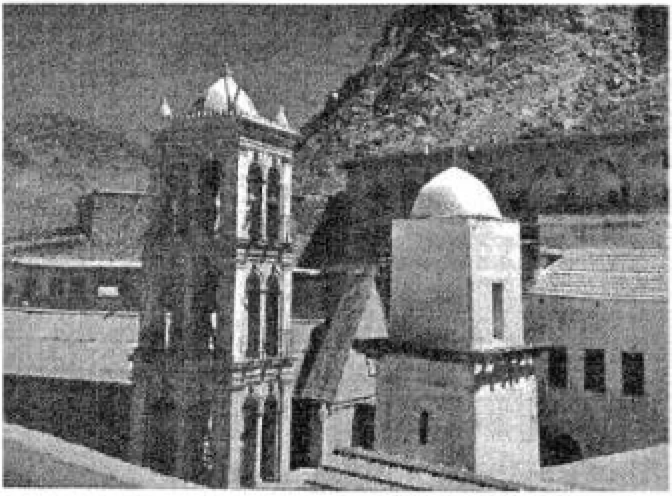
«حين تجلو القدم المدنسة عن ارض سيناء الطاهرة .. وحين يعود دير سانت كاترين واحة سلام ومحراب عبادة وكعبة علم وشعاع نور — سوف تفتش الانسانية فى تراث الدير وكنوزه ، وسوف تكشف حقيقة ان اسرائيل نهبته .. واستولت على مقتنيات من اغلى ماتملك البشرية وحضارة الانسان .. هذه هى قصة القديسة ، وقائمة الكنوز .. فلتكن امام اعيننا ونحن نتسلم الدير .. ان حربا وان سلما .. ولنجعل المطالبة باستعادة مافقد الدير من كنوزه هدفا لا نتزحزح عنه لانه ملكية عربية اولا ، وتراث حضارى ثانيا»

سانت كاترين..

الاسكندرية : القرن الثالث للميلاد ، ودعوة القديس مرقس الرسول الى المسيحية فيها قد صارت ظلالا وارفة ، ولكنها فى ذات الوقت عذاب مقيم لمن اعتنقوها • فهذه هى شراذم اليهود فى قصر الامبراطور فى روما .. وفى بلاط الحاكم فى الاسكندرية تدس للمسيحيين وتتعقبهم ، وتزرع الفتنة حولهم ، بل وتترصد اين يلتقون لتأدية الصلاة وترديد التراتيل فتبلغ الحاكم ليطلق جنده عليهم • مذابح الاسكندرية الشهيرة .. حين سالت دماء المسيحيين انهارا فى الشوارع هم الذين وسوسوا بها فى صدر الحاكم .. وسمى العصر ، ذاك العصر الدموى .. عصر الشهداء ، وبه بدأ التقويم القبطى تذكيرا وتخليدا ...

وكان نساك المسيحية يهيمون على وجوههم حتى لا تمتد اليهم يد البطش، وكانت الصحراء ملاذهم ، هنالك يقيمون فى المغارات ، ويتعبدون لله فى امان ودعة • فروا الى الصحراء الشرقية ، ولاذوا بالصحراء الغربية، وتوغلوا فى مسيرة البعد حتى بلغوا جبل حوريب فى قلب سيناء ..

والمناخ هذا ... والعذاب يلاحقهم، والفتنة مستشرية والمسيحيون يزدادون



تعانق الاديان : يتمثل فى هذه الصورة الفريدة للمسجد والكنيسة بدير سانت كاترين فى سيناء

القديسة والكنوز

صلابة وتمسكا ـ صعد فى الاسكندرية صيت كاترين الجميلة ابنة الشريف كوستوس . وامها الثرية سابنيلا . اذ يتقدم اليها فتى من زينة شباب الاسكندرية فاذا به ممن اعتنقوا المسيحية ، وقد جلس اليها الساعات الطوال يحدثها عن دينه فاذا بهـا تعتنقه ، وتسأله وكأنها تمتحن عمق عقيدته :

ـ لماذا نتزوج ؟ لماذا لا نكرس حياتنا للعبادة ، ونقهر الفتن ؟

فيقول لها بصوت فيه ارتيـاح عظيم :

ـ لكن مشيئة الله فينا ...

فتستطرد وكأنها مسحورة :

ـ ينبغى ان اقول لك انى رأيت السيد المسيح فى الرؤيا .. ووضع فى يدى خاتما ، فلما كان الصباح وجدت الخاتم فى اصبعى ...

فتملكت خطيبها الدهشة ممزوجة بالاكبار .. ومضت كاترين الجميلة تبشر بالمسيحية .. وتهاجم الحاكم الذى كان مجونه يملا سماء الاسكندرية بالمخازى والفضائح .



وسرعان ما نقل اليه يهود البلاط ان كاترين تؤلب الشعب عليه .. فاستدعاها اليه ، وسألها :

— لماذا لا تعبدين آلهة روما ؟ لماذا تقاومين بأركان الامبراطورية ؟

وبدأ يسمع منها بصوت كالترانيم ، كيف اعتنقت المسيحية ، فصاح بها :

[illegible]

المسيحية .. وكانت الزوجة التي ذهبت الى السجن رافضة خرجت منه مسيحية . وكان على شفتي [illegible] ابتسامة عريضة ... فسألته زوجة الحاكم :

— ماذا بك ؟

فقال : امتلأ قلبي بالغبطة لان كاترين فعلت بك ما فعلته بي ..

كل هذا بلغ اسماع الحاكم عن طريق اليهود ، فهاج وماج وأمر بتمزيق [illegible] كاترين [illegible] .. ويروى [illegible] رواية ان ملائكة نزعت جسدها من بين عجلات الموت [illegible] باجساد [illegible] في [illegible] اربعة .. [illegible] رواية اخرى ان الحاكم أمر ان تقطع بالسيف [illegible] حتى يستريح منها الى الابد ..

[illegible]

وحملت [illegible] جسد كاترين [illegible] الرأس [illegible] الجسد من حرارة الشمس فلا يتعفن ..

وحمل الرهبان جسد كاترين الى سطح جبل حوريب .. اما الجبل فيقع في وادي فيران الذي كانت فيه قديما احدى مراكز [illegible] والحياة [illegible] مصر ، وحوريب [illegible] الراهب [illegible] وفوقه [illegible] التي اراد موسى [illegible] قومه [illegible] على [illegible] ، فخاطبه الله وامره ان يخلع نعليه « انك بالوادي المقدس طوى » .. من هناك نزل موسى بالوصايا العشر ، [illegible] رهبان المسيحية [illegible] كاترين .. [illegible]

***

[illegible]



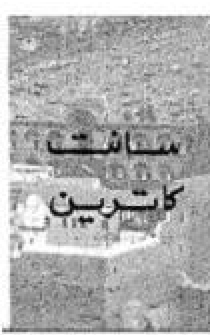
ولا [illegible] في [illegible] الدير [illegible] حوله السور [illegible] ، كما يرتفع على [illegible] السور [illegible] الراهب على [illegible] باب الدير [illegible] ان اراد [illegible] في [illegible] من حبل ، وان اراد [illegible] .. هكذا [illegible] الايام ، [illegible] قسطنطين الاكبر امبراطور روما ، [illegible] في القدس [illegible] الصليب الذي [illegible] عليه المسيح . وكان اليهود [illegible] من [illegible] وكانت [illegible] .. [illegible] على [illegible] وجدت [illegible] . وكان [illegible] اليهود [illegible] الى كنيسة .. ثم [illegible] الى وادي فيران [illegible] الرهبان الذين كانوا [illegible] المسيحي [illegible] . [illegible] الامبراطورة [illegible] كنيسة [illegible] الطريق [illegible] ، [illegible] عشر [illegible] السيد المسيح [illegible] من [illegible] الرفيع [illegible] .

[illegible] في الدير [illegible] على [illegible] السور [illegible] الاباطرة المسيحيون [illegible]

الغرباء من البوسنة – الآن احـــدى جمهوريات يوغوسلافيا – ضموا اليهم ثلة من جنود مصر ٠٠ فاذا بهؤلاء واولئك يختلطون ويمتزجون ويتزاوجون واذا بالسلالة قبيلة الجبالية الشهيرة بملاحة رجالها ، وجدائل الشـــعر لنسائها ٠٠ هم حتى اليوم حـراس هذا الدير : دير سانت كاترين ٠

موقع الدير كما قلت لك عند سفح جبل حوريب او جبل موسى ٠

والعليقة التي اشتعلت وحدث الله موسى عندها نقلها الرهبان امتارا عن موقعها عند بناء الكنيسة ، ولكنهـــا لا تكاد تذبل حتى ينتزعوا منها فرعا اخضر يغرسونه فتنبت من جديد ٠٠ اوراق هذه الشجرة وشظايا الخشب من جذعها يحملهـا الزائرون للدير بركة منه ٠ وغير بعيد عنها شجرة اخرى نبتت ، هي شجرة هارون من عصاه التي غرسها ٠٠ ثلاثة الاف عام



عمر هاتين الشجرتين ، وفي الموضع الذي كانت فيه العليقة المقدسة ٠ الآن هذا الموقع داخل الكنيسة ، تشتعل النار في قنديل زيتي ، تشــــتعل ولا تنطفيء منذ عام ٣٣٢ ميلادية !

وانت تصعد الى جبل موسى في ساعة ونصف الساعة على ٣٠٠ درج من صنع الرهبان ٠ قبالته جبل يسمى جبل الراهبات ، قد يوغفن ليلة بالبدو يهجمون عليهن فالقين بانفسهن من شاهق يقتلن جميعا ٠ تحدق هــذه الجبـــال بالدير فتمنـــع عنه الريح الصرصر الباردة ٠ ويظل مناخه على مدار العام معتدلا ٠

ويقصـــد الدير السائحون وطلاب العلم من مخطوطاتهومقتنياته٠ ويتسع الدير لمائة زائر يبيتون ، فهو واحة الراحة النفسية ٠ وهو جزيرة السكينة الروحية ٠٠ ليس للمسيحي فقط بل للمسلم ايضا٠٠ فقد اصبح للدير امان وظلال منذ دخل الاســـلام مصر ٠ وعهد الرسول صلى الله علية وسلم لرهبان الدير بحمايتهم كان وثيقـة في الدير حتى استولى عليها السلطان سليم العثماني ، واودع في مكتبـــة الدير نسخة منها ٠

يفخر الدير بانه يحتوى على اقدم مخطوط طبي في العالم وهو كتاب الطبيب علي بن عيسى في طب العيون، ويفخر الدير بمسجد بناه الرهبان في عهدالوزيرالفاطمي ابو جعفر الوشتكين ترتفع قبته لعشرة امتار ، وتضيء طوال شهر رمضان ، ويرتل منهـــا المؤذن

الاذان في مواقيت الصــــلاة فتختلط باجراس الكنائس من حولها في اروع عناق لرسالات السماء • وفي المسجد مقراة خشبية نادرة ومنبر دقيــــق الصنع ، ليس لهما صنو الا في بلدتي قوص الصعيدية وحبرون الفلسطينية• وعلى المنبر هــذه العبارات « امسته الاجل الافضل امير الحرمين سـيف الاسلام ناصر الامام كامل فضـــلة المسلمين وهادى دعــاة المؤمنين ابو القاســـم شاهنشــــاه في سنة ٥٠٠ هجرية » •

ذلك المسجد •• في قلب الدير كان يثير دهشة الزائرين للدير من ربوع اوربا ، فيقولون باستغراب « سمعنا ان المسلمين والمســيحيين في عراك دائم ، وهذا اللقاء بين المســـجد والكنيسة في هذه الرقعة البعيـــدة يقول غير ما نسمع » !

***

حكايات كثيرة تسمعها حول الدير

حكاية النافـــذة شرقى الدير التى تدخل منها الشمس مرة واحدة كل عام ، هو صباح ٢٣ مارس ، فتضيء الكنيسة بهذا الضياء الربانى ••••

ويقولون انه في هذا اليوم تحدث الله الى نبيه موسى •

وحكاية ظهور العذراء لرهبان الدير حين اجتاحتهم المجاعة فهــاموا على وجوههم ، فالتقت بهم وأمرتهم بالعودة لان طعامهم في ديرهم • فعادوا •• وسالوا البدو وهم يرون مؤونة تكفيهم لاشهر، ماذا حدث فقالوا طوجئنا بايلنا محملة ، واقبل علينا شيخ وفتــاة جميلة قادانا الى هــذا الموقع ذاك الشيخ موسى ، وتلك الفتاة القديسة كاترين » •

وعندما غزا الصــــليبيون الشرق رسموا ما يخلد وجودهم على جدران قاعة الطعام في الدير •• وحفــــر ريتشارد قلب الاسد شعاره على احد ابواب الدير ، اما نابليون فقد علم وهو في مصر ان الدير قد داهمه سيل اجتاح اسواره ، فارسل كليبر ليعيد بناء السور ، وكتب الواقعة على لوحة رخامية تشير الى ان الاصلاح تم في ١ مايو عام ١٨٠١ وتكلـــف ٣٢٠٢٨ قرشا عثمانيا •

ولكل اثر في الدير حكاية ، ولكل تحفة من مقتنياته أصل وتاريخ • ففى الدير من النفائس ما يعتبر كنوزا تعز على أغنى المتاحف العالمية •

● كنوز العلم من كتبومخطوطات• وهذه مكتوبة باثنتى عشرة لغة منها العربية والسريانية والقبطيــــــة والجورجيانية والحبشية والتركيــــة والفارســـــية والارمنية واللاتينية والسلافونية والبولونية ••

بين هذه الكنوز اقدم نســـخة من الانجيل في العالم كله • وفيها كتاب سيناء المقدس ، كودكس سيناء الذى كتبه اسيبوس اسقف قيصرية واهداه جوستنيان للدير ، واخذه سائح المانى يدعى تشيندروف الى فردريك اغسطس ملك الساكسون ، والاخير قسمه هدية بين جامعة ليبزج وقيصر روسيا •

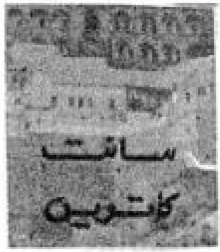
اما قيصر روسيا فقد أمر بعمل نسخة منه تعاد للدير · وباعتـــه الحكومة الروسية ـ بعد الثورة الشيوعية ـ بمائة الف جنيه للمتحف البريطانى ·

وكتاب الانبياء لا يقدر بمال ···

فهو يقع فى ٤٠٠ صفحة مكتوبة بماء الذهب ، وهوامشه رسوم للمسيح والقديسين تطالعها فتتصورها مرسومة من أيام · وفى الدير ٣٣٢٩ مخطوطا و ١٠٦٧ وثيقة عربية و ٥٤٩ وثيقة تركية ··

وكتب الدير تبحـــث فى كل العلوم والفنون القديمة · وكثيرا ما جاءها طلاب العلم من كل انحاء العالم واعدوا رسائل الدكتوراه فى المكتبة النـادرة المثال ···

● وكنوز الفن رائعة ! ففى الدير ١٥٠٠ لوحة و ٢٠٠٠ ايقونة · ليست هذه الارقام تقدير جزافا او تخمين ظنون ، ان المؤتمر البيزنطى لعـــام ١٩٦٦ الذى انعقد فى جامعة اكسفورد القريبة من لندن ناقش كيفية الحفاظ على هذا التـــــــراث بعد ان قدم الارشمنيت جريجوار الثانى مطران الدير تقريرا بحالة الايقونات للاصلاح ·· وزارت جامعات الاســــكندرية ومتشجان وبرنستون الدير لهذا الغرض والغرض الآخر هو تصوير كتبـــــــه ومخطوطاته ولوحاته وايقوناته على افلام · وقد صورت هذه كلها واودعت مكتبة الكونجرس الامريكى ، وقد نشرت بحوث عن أهم المخطوطات فى مجلتين



·· هذان الحدثان ـ المؤتمر وبعثات البحث ـ وقعا قبل العدوان الغادر بعام واحد · كانما السماء رتبت هذا الموعد حتى ترصـــد محتويات الدير بصورة لا تدع مجالا للشك ولا المغالطة

ان اسرائيل نهبت من كنوز الدير العلمية والفنية ما نهبت · انها تكلت برهبانه ، وهبطت فى ساحته بطائرة هليوكوبتر حملت اربعة منهم واخذتهم الى تل ابيب وعذبتهم ليعترفوا بأنهم يخفون الفدائيين ! ·· انها بعد ذلك اضرمت فى الدير نارا تستـــر بهـــا سرقاتها من كنـــــوز الدير · ان فن الايقونات فن مصرى صميم ، وايقونات دير سانت كاترين اكبر سند تاريخى على هذه الحقيقة العلمية الفنية ، ولا شـــك ان اسرائيـــل نهبت أول ما نهبت من الايقونات بعد المخطوطات

ان العالم كله مطالب بان يرد للدير كنوزه الحضارية ·· ان الدير سيعود بمفاوضات السلام او بقتـــال الابطال الى مصر ، وساعتها سنبدأ على الفور محاسبة اللصوص ··

ان اقدم ايقونة فى التاريخ كانت فى الدير، انها من ابداع لوقا الانجيلى تلميذ المسيح • وفيها الملامح اصدق الملامح للسيد المسيح • وايقونة اخرى عليها الشيخ سمعان وهو يحمل الطفل يسوع بين يديه • والطفل فى اليوم الثامن من عمره بعد ان وضعته امه فى المذود •• ان الايقونة هـــدية للدير من الامبراطور جوستنيان •

ان اكثر الايقونات ذات ملامح شرقية اصيلة •• وكلها شاهدة بان هـذا الفن فى هذا الدير بقى مصريا قبطيا صميما لا يتاثر بالوجوه الاوربية • التى شاعت فى لوحات وايقونات عصر النهضة • وجوه ذات شعور مسدلة وعيون زرقاء وثياب رومانية !

ان من هـــواة التثمين من قدر الايقونات والمخطوطات بعشرة ملايين من الجنيهات ، فثار عشـــاق العلم والفن وقالوا « بل ان من هذه النفائس ما لا يقدر بمال » •

● ان الكنـــوز فى الدير ليست ايقونات ومخطوطات فقط ، ان فى الدير كنـــوزا اخرى هى نذور من العالم كله للقديسة كاترين • ان اكبر هذه النذور تابوت فضى عليه صورة كاترين بالذهب المرصــــع بالماس والاحجار الكريمة •

ان هذا التابوت هدية بطرس الاكبر الذى كان يسمى نقيب عامود الذهب الارثوذكسى •• انه اهداه الى الدير مع رسالة قال فيها « لقد نما الى علمنا ان رفاة القديسة كاترين لا تجد وعاء فضيا يحفظها » وفى الدير تابوت اخر لا يقل روعة •• انه هدية انا ايفانوفنا امبراطورة روسيا وعليه بدوره صورة لاجيا كاترين • انها كانت عاشقة لهذه القديسة وقد اوصت بان تدفن فى هذا التابوت وتحمل الى دير سانت كاترين لتقيم معها الى الابد •• وماتت انا ••• ودفنت فى مدينة سان بطرسبرج ـ لينتجراد الان ـ وحمل التابوت نذرا الى الدير ••

ان فى الدير صندوقا فضيا فيه راس القديسة وعليه تاج مرصع ، وصندوقا ثانيا يضم يدها اليسرى تزينها الخواتم الثمينة ، وهذان الصندوقان يعرضان فى الخامس من نوفمبر كل عام ، وهو يوم شهادتها ••

وفى الدير عشرة تيجان مرصــــعة لاساقفة الدير ، وثيابهم وخيوطهـــا فضة او ذهب ، وصلبان واغلفـــة اناجيل ، وجمجمة القديس يوحنا وذراع القـــديس باسيليوس ويد القديس جريجورى • وزورق من فضة نذره بحـــــارة داهمتهم عاصفة هوجاء للقديسة كاترين ان تنقـــذهم • وقد انقذتهم فجاءوا اليها بالنذر الثمين •

لا يحصر النفائس ما اكتبه على هذه الصفحات • فهى نفـــائس تحصرها المجلدات ••• وقد بعثت عناية السماء بمن رصـــدوها فى ســـجلات العلم والمرطة السليليوز ، ولعلهم لا يخفون هذه الحقائق اذا جاء يوم حســـاب اسرائيل عما اقترفت فى حق الدير وما سلبت من كنوز كاترين •

عاطف مصطفى

سيناء الاسم الحبيب الذى يردده الملايين.. الوجدان المصرى كلها متجهة نحوها .. كل الاعين تنظر اليها .. كل القلوب والخواطر مشغولة بها .. كل النبض والحب لها . سيناء من اكبر محافظات مصر ، واكثرها اتساعا ، تتمثل فيها الاصالة البدوية ، مليئة بالكنوز من المعادن والبترول التى تكفى لمئات السنين .

التقيت بمحافظها اللواء محمد عبد المنعم القرمانى الذى سلك دروب محافظته وحفظ عادات اهلها وتقاليدهم ، وسرى فى دمه عشق هذا الجزء الغالى من بلادنا الحبيبة .



اول ما يتبـــادر الى الذهن سؤال نحافظنا عن المعارك التى دارت على ارض سيناء قديمـــا فى عهـــد الفراعنـــة ، وحديثا الى المعركة التى تعيشها الامة العربية الآن ٠

ترتبط سيناء بمصر منذ ما قبـل التاريخ ، فقد وجـدت آثار لقدماء المصريين ترجع الى ما قبـــل تاريخ الاسرات فى عهد يمتـــد الى ٣٢٠٠ سنة ق٠ م ، كما وجـــد أن الاسرات الاولى كانت تستخرج النحاس والفيروز والملخيت من سيناء ، ولما كانت سيناء هى المفتاح الشرقى لمصر ، فقد ازدادت اهميتهـــا الاستراتيجية والعسكرية ، وأصبحت منذ القـدم ممارا للجيوش فيما بين وادى النيل ، والشرق ٠

والتاريخ يحوى حملات كثيرة لجنود مصر عبر سيناء منهـــا على سبيل المثال اخضـــاع الحيثيين ، وطرد الهكسوس حوالى سنة ١٥٠٠ ق٠م ، ولم يكتف المصريون بطردهم عبر سيناء وانما تجاوزوها عبر فلسطين حيث اقاموا القلاع والتحصينات ووضعوا الحاميات كما فعلوا ذلك أيضا على طول الطريق الشـــمالى من بلوزيوس « الفرما » الى رفح ٠٠ كما تزخـــر ســـيناء بالحمـــلات العســـكرية فى التاريخ القريب ٠ ونتذكر منها طـــرد التتار عبر ســـيناء ، والنصر المؤزر الذى حققه جيش مصر فى معركة عين جالوت ، فحســـم بذلك مدا بربريا خطيرا كان يهدد الحضارة الإسلامية باسرها ، كما نستطيع ان نتذكر حملات صلاح الدين الايوبى المتوالية عبـــر سيناء ، والتى انتهت بطرد الصليبيين من بلاد العرب ، وايضـــا حملات نابليون ، ثم حملات اللنبى فى الحرب العالمية الاولى ثم القتال المتكرر الذى حدث على ارض سيناء نتيجـــة زرع جسم غريب وسط الامة العربية بهدف فصل شرقها عن غربها ، وحرمانها فى النهاية من أن تتحد كقوة عالميـــة ذات كيـــان بارز ، وتســـتطيع ان تخصص ثرواتها وخيرها لابنائهـــا حيث تحرم الاستعمار من ان يجعلها كما يريد دائما ٠٠ منطقـــة خامات رخيصة وأيد عاملة منخفضـــة الاجر

● معنى هذا ان الاستعمار دأب على التفرقة بين العـــرب ، واصطناع

اللواء محمد عبد المنعم الترمالى



سيناء وإشراقة الأمل

الحدود والعوائق لفصل بلاد الامة العربية عن بعضها البعض خشية الاتحاد ، وانطلاق العرب في موكب الحضارة ؟

ـ الانجليز كانوا بعيدى النظر في هذا ، فقد دعوا في عام ١٩٠٧ الى عقد مؤتمر سرى لبعض وزراء خارجية دول أوربا بهدف القاء نظرة بعيدة على وضع المنطقة بعد زوال الامبراطوريات وما يتبعه من انتهاء الاستعمار العسكرى ، وقضت توصيات المؤتمر بأن أفضل الحلول هو وضع عنصر بشرى غريب عن المنطقة في فلسطين أو سيناء بحيث يفصل الشرق العربى عن مغربه ، ويكون مواليا للاستعمار ، ويحول دائما بين تكتل الدول العربية ، في أى شكل من أشكال الاتحاد ، بما يتيح لها الفاعلية والقوة ، بحيث تبقى دائما مكانا صالحا لاستنزاف الدول القوية منها ماديا وبشريا .

ولم يلبث أن صدر وعد بلفور في ١٩١٧ ، وأعقبه في عام ١٩٤٨ قيام دولة أسرائيل في المنطقة .. وما بعد ذلك قد عشناه جميعا كما عشنا اليوم العظيم المشرق في تاريخ العروبة الحديث يوم العاشر من رمضان سنة ١٣٩٣ هجرية ..

وقد استطاع الانسان المصرى متمثلا في طلائعه المقاتلة أن يجتاز أعظم سد مائى عرفه تاريخ الحروب وأن يحطم بارليف الحصين ، وأن يوقع الرعب بتأييد من الله ، في قلب العدو ، وبذا اجتاز مائة مليون عربى خطا وهميا يفصل بين العار والعزة، وبين اليأس والامل

● على مر هذا التاريخ الطويل للمعارك بسيناء .. هناك دروس مستفادة كثيرة ما هى .. وبالتحديد معركة رمضان المجيدة ؟

ـ ما يمكن استخلاصه عموما منذ بدء التاريخ حتى الان هو أن سيناء تمثل وضعا استراتيجيا وعسكريا بالغ الاهمية . فهى حصن مصر الشرقى .. هكذا كانت منذ بدء التاريخ وستظل هكذا دائما ، ومع انه تجرى دراسات اثر كل معركة عسكرية بهدف استخلاص الدروس المستفادة من هذه المعركة ، ويتفرغ لها المتخصصون في الفن العسكرى ، الا اننى أستطيع أن استخلص من النصر المؤزر الذى أناه الله علينا في العاشر من رمضان دروسا قومية ومعنوية وعقائدية ، وهى في الواقع ليست غير نتائج حتمية مترتبة على مقدماتها . فالقرآن الكريم يقول : ولينصرن الله من ينصره ، وفي آية أخرى ... ، وكان حقا علينا نصر المؤمنين ، وأيضا .. ، ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ، وهذه الايات وغيرها حقائق قرآنية يقينية هى بغير شك أكثر ضبطا من قوانين الارض المعمول بها التى لا يمارى فيها أحد كقانون الجاذبية وقانون العادات

لذلك لما وضعنا مقدمات النصر كان حتما ان ننتصر ، فليس ثمة خلاف كبير في العدة والعدد بين ما كان لنا عام ١٩٦٧ وعام ١٩٧٣ ٠ غير أن قيادة حكيمة قد بدات عملها قبل نصر ١٩٧٣ وتوفرت على أسبابه ٠٠ بدات من بناء الانسان المصرى على العلم والايمان، واطلاق الحريات ، والتفاؤل والثقة في مقدرة العنصر العربي والعنصر المصرى، ثم عمل جاد مضن دءوب في تجهيز القوات المسلحة ليوم النصر ، تنظيما وتدريبا ، وايمانا وتخطيطا وقيادة ٠٠ الى جانب تجهيز المسرح السياسي لجهود متشعبة غاية في الهمة لبدء معركة منتصرة ، بحيث اصبح العرب وبشكل رائع يقفون في المعركة صفا واحدا كانهم البنيان المرصوص ولقد كان العمل الضخم المنظم والمتكامل في ميدان دول عدم الانحياز ، ووقفة دول افريقيا العملاقة ، والامم المتحدة ودول غرب اوربا ٠٠ بحيث اصبحت اسرائيل في شبه عزلة سياسية ٠

بدوية من سيناء بملابسها التقليدية



ومن أبرز الدروس المستفادة لحربنا هذه أن الرئيس المؤمن انور السادات قد اتبع في طريقه الطويل الشاق خطوات قرآنية استنار بها واهتدى بها ٠٠ « وشاورهم في الامر ، فاذا عزمت فتوكل على الله ٠٠ » جمع رأى الامة على قلب رجل واحد ثم بـدأ مرحلة العزم بما فيها من اعداد وعدة ثم توكل على الله فكان نصر الله ٠

ومن الضرورى أن نعنى بدرس النصر كما عنينا بدرس الهزيمة : فنتعلم أن النصر من عند الله فلا ننفك ابدا رباط العروة الوثقى التي جمعتنا وقت الخطر ولا نترك التخلق بخلق القرآن ولا نترك طريق الحق ابدا حتى يفيء الله علينا بنصره دائما

● سيناء ارض بكر تحتاج الى الكثير من الخدمات بما في ذلك اصلاح ما افسده اليهود ٠ ما نوع الخدمات التي تؤدى لها لكى تلحق سيناء بركب الحضارة كواحدة من شقيقاتها من محافظات مصر ؟

ـ الاهتمام بسيناء ، واصلاح ما افسده اليهود ، مشروع مطروح منذ يونية ١٩٦٧ ، وسيناء في نظرى ارض بكر بالفعل سواء من الناحية البشرية او الناحية الانتاجية ، وقد كنا قبل عام ١٩٦٧ نحلم بتعمير سيناء وانهاضها، وتبلورت في أذهاننا افكار كثيرة، وربما استطعنا فيما بين سنتى ٦٠ ، ٦٧ أن ننفذ بعضها كنماذج قابلة للانتشار ، كانت تحول بيننا وبين تعميمها تصور الامكانيات المادية ، وربما يتمثل ذلك في مشروعات خدمة البادية التى دخلت

بها مصر مؤتمر القدس لتطوير البدو عام ١٩٦٥ ولاقت نجاحـــا ، وأوصى بتعميمها فى مناطق البادية العربيـة جميعا .

ومنذ الوهلة الاولى عنينا بتوفير الخدمات لاهالى سيناء، وكان ماجذب اهتمامنا واعتبرناه اساس الخدمات، نشر التعليم . ومما لاشك فيه أن قلة الكثافة السكانية فى بادية ســـيناء (٥ر٢ نســـمة للكيلو متر المربع) تشكل عقبة كبيرة فىتوصيل الخدمات لابناء البادية، كما تتعارض فى كثير من الحالات مع انشاء نظام خدمات ثابتة . وعلى كل حال بالجهد الذى نستطيع أن نقرر انه ضعيف جـــدا بالنسبة لما نراه من الاهتمام الحالى الموجه لسيناء فقد استطعنا ان نصل الى نتيجة طيبة اذ زادت نسبة التعليم منذ عام ١٩٦١ حتى الآن الى عشرين ضعفا . ولعلى لا استطيع ان اغفل هنا نقطة هامة ساعدت على ذلك ، وســـيكون لها اثرها الملحوظ فى المستقبل، وهى شدة اقبال ابناء البدو على التعليم تعويضـــــا عما فاتهم بالاضافة الى ذكائهم الفطرى، وجلدهم بما يحقق لهم دائما التفـــوق فى

سيـنـاء وإشـراقـة الأمـل

دراستهم .. وانى اعتبر التعليم هو راس الخدمات بالنسبة لسيناء على اساس ان المواطن الذى اخذ قسطا من التعـــليم تتكون لديه كفاية ذاتية ، وبالتالى انماء بيئته التى يعيش فيها ودوافع شخصية للتقـــدم لرفع قدره

ان اهتمام السيد رئيس الجمهورية بسيناء ، وما يضفيه امره الصـــادر بانشاء وزارة للتعمير من انطباع ، يوضح بصورة جلية أن عهدا جديدا، ومستقبلا مشرقا ينتظر ســـيناء فى القريب العاجل ، ســـواء من ناحية الخدمات ، او من الناحية الانتاجية ، التى ستوفر الكثير من مصـــــادر الرزق ، وفتح المجـــــال امام الايدى العاملة لمواطنى سيناء ، بل وستزيد من طاقتهم بما يستلزم انتقال سكان جدد من وادى النيل ليعمروا هــذه المســـاحة الشـــاسعة من الارض ، ويحققوا قوة الربط الاجتمـــاعى بين سائر مناطق البلاد .

وسيشمل هذا التعمير النــــواحى التعدينية باعتبار ان التوقعات العلمية نفسها تشير الى ان ما تخفيه سيناء فى باطنها من كنوز يفوق ما اسفرت عنه بالكشف حتى الآن .

● ثروات سيناء كثيرة ومتعددة، تحتاج الى العـــديد من المشروعات التى يستفيد منها اهل سيناء ما هى ؟ وكيف سيتم التنسيق للاســـتفادة من كل خبراتها ؟

– منبين الاتجاهات بشأن استغلال الانتـــاج فى ســــيناء ، الاستفادة باستخراج الثروة المائية من البحـــر على شواطئها الطويلة التى تبلغ ٧٠٠



جانب من الوان النشاط التى تمارسه البدوية فى سيناء

كيلومترا من طريق انشاء قرى صيد تعاونية على طول هذه السواحل .

كذلك يمكن استغلال سيناء صناعيا . وقبل العدوان كلفنا بعثة علمية بالبحث عن خام الاسمنت ، وقد انتهى البحث الى وجود كميات ضخمة جدا ، يمكن استخراجها بسهولة تكفى مصر وتفيض عن حاجتها ، الامر الذى يستلزم اذا ماقامت هذه الصناعة انشاء ميناء بحرى على شاطىء العريش لاغراض النقل البحرى

كما أن صناعات تحويلية قامت فى سيناء قبل العدوان منها انشاء مصنع الفيرو منجنيز بمنطقة أبو زنيمة بغرض تصنيع خام المنجنيز الذى يستخرج بكثرة منها كما انشانا مصنع عصر بذرة الخروع ، وهى شجرة عممنا زراعتها بكثرة قبل العدوان واثبتت تحملها لظروف الطقس والجفاف ، وكانت تغل ربحا كبيرا من زراعتها ، ومن الممكن انشاء مصانع اخرى تقوم على زيت الخروع كمصانع زيت الفرامل .

والكيماويات الاخرى التى يدخل هذا الزيت فى تركيبها بدرجة اساسية .

كما يمكن تصنيع البلح بعد تحسين فسائل النخيل الموجودة حاليا ، وتجفيف العنب وتحويله الى زبيب بعد أن نجحت زراعة العنب الارضى فى شمال شرقى سيناء .

كما ان الخطة النهائية للاهتمام بسيناء ستضعها وزارة التعمير ، وقد بدأت عملها بنشاط وبدأت البداية الطبيعية ، فأخذت تجمع اراء الجماهير ورغباتهم ، وكذا البحوث السابقة التى وضعت فى مجال التعمير ، وهى بصدد وضع ذلك كله امام هيئة من الاخصائيين ، والعلماء لوضع مخطط تنفيذى بتوقيت مرحلى مع تحديد الامكانيات المالية والفنية والايدى العاملة اللازمة لتنفيذ التعمير .

● **وهل هناك اتجاه لدعوة الشباب العالمى للاسهام فى تعمير سيناء ، ليشاهد ما دمره اليهود وليتلاحم شباب العالم مع الشباب المصرى وليتفهم هؤلاء الشباب قضيتنا العادلة؟**

— فكرة مشاركة الشباب العالمى فى مثل هذه الاعمال فكرة مطروحة للمناقشة ، وربما يكون هدفها البعيد اكثر اهمية من هدفها الظاهر المتمثل فى مجرد توفير الايدى العاملة الامر الذى لا نحتاجه كثيرا فى الواقع ، ولكن مشاركة هؤلاء الشباب ، وهم العنصر النشيط المستجيب بحكم سنهم،

مع توفير برنامج اعلامى ومستوى مناسب من التعامل جديد بأن يجعل هؤلاء الشباب دعاة لنا فى بلادهم بعد عودتهم اليها

● سيناء متسعة، وتصل مساحتها حوالى ٦١ الف كيلو متر مربع ، كيف يمكن السيطرة على اجزائها من منطلق الوحدة العضوية للوطن ، وكذا تطوير وسائل الاتصال ، والمحافظة على الامن وتوطين البدو ؟

ـ الاتجاه العاميستهدف ربط سيناء تماما بالوطن الام ويقتضى ذلك انشاء انفاق تحت القناة لتسهيل المواصلات منها واليها ، بدلا من العبور على الناقلات التي كانت تستعمل من قبل، ولم تكن ذات اثر كوسيلة ربط بين ضفتي القناة ، اما الطرق فى سيناء فلا بأس بها وان كانت تحتاج الى اضافات تستلزمها زيادة النشاط التعدينى والصناعى والعمرانى الذى سيقوم فى المستقبل ، اما عن المساحة الواسعة لسيناء ووجود اماكن بعيدة لا تصلها الطرق ولسرعة الربط يتطلب الامر استخدام طائرات الهيلوكبتر كوسيلة معتادة للمواصلات فى سيناء وسيتيح هذا مع ادخال عناصر بشرية مختارة من وادى النيل الى سيناء استحداث كثافة سكانية اكبر بمايؤثر فى الامكانيات الانتاجية والتطوير الاجتماعى والربط الوثيق بين سيناء والوطن الام ٠٠ كما يكون له اهمية خاصة فى نظر المهتمين بالاستراتيجية العسكرية باعتبار ان الكثافة السكانية تعتبر من الموانع البشرية ضد اعتداء الاعداء ٠

● السياحة وجه من اوجه سيناء

سيناء واشراقة الأمل

المشرقة ٠٠ تضفى عليها الكثير من الاهتمام ، خاصة وان الكثيرين تواقون لمعرفة الكثير عن اثارها التاريخية العديدة ٠٠

هل تسمحون بذكر نبذة موجزة عن اشهر الاماكن الاثرية والسياحية بسيناء ؟

ـ تعتبر سيناء سياحيا ذات وضع ممتاز فى كل فروع السياحة ، خاصة منها الدينية فيما يتصل بالاديان الثلاثة ، فعبر طريقها الشمالى دخل دين الهدى لاول مرة الى مصر وفى جنوبها سار المسيح عليه السلام ومعه السيدة العذراء قاصدا مصر ، وفيها "ارض التيه حيث قضى اليهود اربعين عاما ، وفيها عيون موسى ، وفيها ديرسانت كاترين ويمكن تحقيق اهداف السياحة العلاجية بوجود حمامات فرعون بها والتى ثبت بالفحص العملى ان مياهها تفوق كثيرا مياه حمامات حلوان من الناحية العلاجية ٠

وسيناء منطقة سياحية من الناحية التاريخية والعسكرية والاثرية اذ توجد بمناطق سرابيط الخادم والمغارة اقدم الاثار الفرعونية القديمة وترجع الى ما قبل عصر الاسرات ٠

اما الناحية الترفيهية فتمتاز سيناء

بشواطئها الظليلة ومياهها النقية ، وشواطيء النخيل وكل هـذا يحقق مركزا سياحيا هاما لسيناء ٠

وبدير سانت كاترين القديم الاثيرة ان لم يكن اقدمها جميعا والذى لجـأ المسيحيون القدامى اليه ايام اضطهاد الرومان لهم ٠٠ هذا الدير بوضعه الحالى كهيئة سياحية يتطلب تيسير المواصلات اليه بشق طريق يصـــل اليه من « ابوزنيمة » او الطـــور وباقـامة الانشـــاءات الســياحية من حوله كالفنـــادق وغيرها ، بحيث يمكن ان تزيد الاعداد التى يمكن أن يستوعبها فى كل دفعة سياحية واحدة ، حيث لايستوعب الدير حاليا اكثر من اربعين زائرا ٠٠

ومن المناسب ان نهيىء ســـبلا للمواصلات اكثر راحة واختصـــارا للوقت كالهيلوكبتر للسياح المتعجلين والذين يكون الوقت عندهم اهم من المال بكثير ٠

● قانون البدو كانمعمولا به لفترة طويلة فى سيناء ، هل ترى أن هذا القـــانون انسب لهم او ترى تطبيق القوانين المعمول بها الآن ٠٠ ولماذا ؟

ـ التقاليد لا يمكن تغييرها بقانون ولا بأمر أو لائحة ، ولكن التطـــور نفسه هو الذى يغير التقـــاليد بعملية احلال لما هو افضـــل مكان ما كان متبعا من قبل ٠ والتطور الاجتماعى بطبيعته بطيء ، وينبغى على القائمين عليه أن يتذرعوا بالصبر والدأب ، فهو كالظل يبـــدو للعين ثابتا ، وان كان فى الحقيقة يتحرك ، وينبغى عدم دفع التطور ، ولكن الانسب أن يفتح الطريق امامه عن طريق ازالة العقبات واعطاء القدوة ٠ والمجتمع البـــدوى يتطور فعلا حتى فى تقاليده واجتزىء من ذلك مثالا واحدا ، وهو تحـــول توثيق عقـــود الزواج من الاجراءات العرفية الى الاجراءات الشرعية المعمول بها فى سائر انحاء الجمهورية ٠ ولكن لا يزال العرف قائما بينهم ، وهـــو الذى يحدد العلاقات بصورة فعالة ٠

والقانون العـــــرفى البدوى مليء بالجوانب الجيدة للغاية ، لدرجة اننى اذا قارنته بالنظـــم التى تربط الدول ببعضها من حيث الاســــس الحكيمة التى تضع الروابط بين القبـــائل ، وتنظمها وتحـــددها ، وتلتزم بالوفاء والشرف من اجل كلمتها ، لقلت الحروب أو انتفت ٠

وتقاليد البادية فى اساسها تأخذ من احكام القرآن الكريم مع تعديلات تقتضيها البيئة، وتواتر حالات التجربة والخطأ ٠

والبدوى اذا تصـــــورناه بحيث نحتفظ له بالصفات الحميدة والاصيلة والتى بددتها الحضارة وقد نوه عنها سابقا الاســـتاذ عبد المنعم خلاف المستشار السابق بالجامعة العربية فى مؤتمر القدس فى مايو ١٩٦٥ حيث قال : « ان اجتماعنا هنا من اجـــل تحضير البادية ، وما احرى الحضر الاخذ بصفات البداوة » ٠

كل هذا يقتضينا ان نحاول الاحتفاظ للبدوى بصـــفاته الطيبـــة الفطرية الاصيلة ٠ فالبـــدوى مؤمن بطبعه ، محافظ على احكام الاسلام بفطرته ، فاذا اضيف الى ذلك الاخـــذ بأسباب الحضارة والعلم والانتاج تحقق لنـــا

المجتمع الذى دعا اليه الرئيس المؤمن انور السادات مجتمع العلم والايمان .

● **عانى اهل سيناء الكثير اثناء الاحتلال ، كيف نقوم تجاههم لرفع معنوياتهم، وتغيير ما حاول الصهاينة ان يبدلوه طوال فترة احتلالهم ، وكيف نبرز البطولات الهائلة والتضحيات التى قدمها ابناء سيناء الغالية ؟**

ـ من اكثر الموضوعات التى لم تغب عنا ، ضرورة التركيز على عملية ازالة آثار العدوان نفسيا بالنسبة لاهل سيناء الصامدين، بل انها عملية متصلة منذ بداية الاحتلال حتى الآن اذ لم تنقطع صلتنا بالمناضلين فى سيناء فى اى وقت . وقد كانت وطنيتهم وثقتهم التى لاتتزعزع بالنصر وانتهاء ايام الاحتلال البغيضة من العوامل التى ساعدتنا كثيرا . وهم يعرفون ويفهمون عدوهم ويكشفون خداعه أولا بأول من منطلق فكرى بسيط وهو أن عدوك لا يمكن أن يريد بك خيرا ، حتى لو اعطاك عسلا او دسما ، فلابد أن تجد السم فى الدسم

ولعل الرعاية المتكاملة التى اعددناها لنحيطهم بها فور عودتنا ، ثم خطة التعمير التى ستعطى سيناء واهلها مستقبلا مشرقا ، ثم عودة مواطنيهم الذين هاجروا الى بيئاتهم الاصلية ، واهم من هذا وذاك وطنية اهل سيناء وحبهم لمصرهم العزيزة ستجعل عملية ازالة آثار العدوان نفسيا ميسرة ومحققة .

اما عن سجلات الابطال فهى بين ايدينا . صفحاتها مشرقة ، وسوف تنشر موضحة اروع البطولات واجمل التضحيات ، وكل سجل من هذه السجلات وسام على جبين مصر الخالدة ، التى يفتديها كل مصرى باغلى ما يملك.. بحياته ، لتبقى راية مصر مرفوعة خفاقة.. ولتتقدم بخطا واثقة نحو تحقيق رقيها وامانيها .. فمصر هي ابنة الحضارة وسليلة المجد منذ سبعة آلاف سنة ..

ومهما حاول المعتدون الغزاة الوقوف امام مدها الحضاري، والسير قدما نحو تحقيق اشتراكيتها وازدهار شعبها ، فسوف تبوء كل محاولاتهم بالفشل ، بفضل وقفة الامة العربية العملاقة وصمود شعبنا الوفى .. شعب مصر البار

سيناء وإشراقة الأمل

صورة من الداخل لحمامات فرعون الكبريتية



ولدي المحارب

أحمد مخيمر

« انضم ولدي محسن الى صفوف الجيش الشعبي ، فكتبت اليه ناصحا :

يا محسن بن مخيمر سر للقتال ، وشمّر
وإذا تلاحمت الصفوف ، فكن عنيدا ، واصبر
واضرب عدو الله ، واقتحم الحصون ، ودمر
واعلم بأنك واحد من أمة لم تقهر ..
سر للقتال .. ولا تعد الا بنصر أكبر ... »

بنيّ .. الا إنني فرحتُ .. وسرّني
مسيرك صبحا للقتال مع الجند
فتيا ، أبيا ، شامخ الأنف ، ضاربا
برجليك وجه الأرض كالأسد الورْد
بهيًا ، كنور الشمس في رونق الضحى
قويا ، شديد البأس كالحجر الصلد
ويملؤني فخرا بنفسيَ أنني
أبوك .. وأني قد وهبتك للمجد
وأنك تحيا للعظائم والعلا
وللشرف الأسمى ، وللأمل الفرد
ولما رأيتَ الشعب يهتف غاضبا
بذي قوة يحمي ، وذي مهجة يفدي
تقدّمتَ في عنف الشبيبة قائلا :
حياتي لأرض الشعب أعظم ما أهدي
فإن عشتُ فيها عشتُ حرا ، وإن أمت
فحسبيَ مجدا أن يُشقّقَ بها لحدي .

هــارون
هاشم رشيد

القدس عربية من الأزل وإلى الأبد

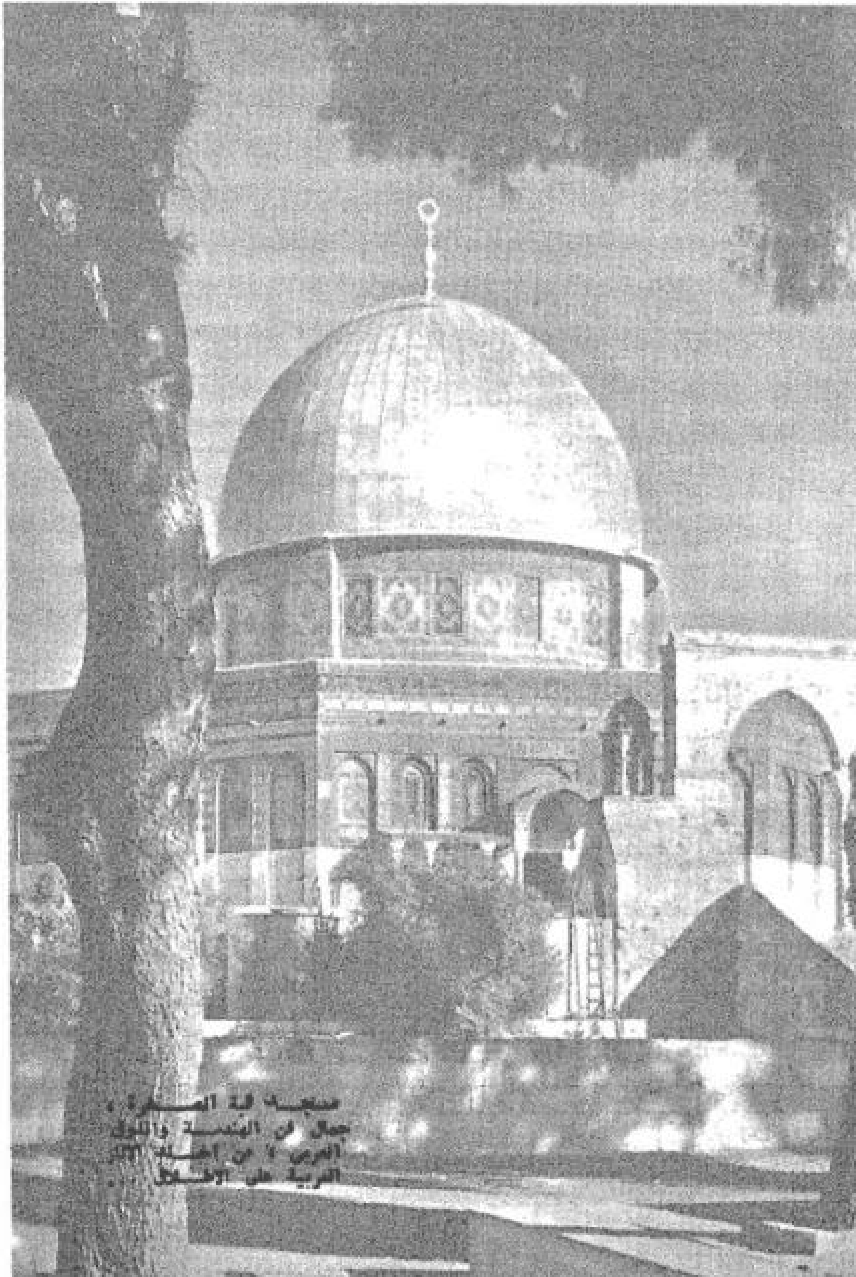
● القــدس .. اسم يثير فى النفوس، اسـمى المشــاعر واطهرها .. فما من مدينـة ، عظمت او صغرت ــ امتـازت بمثل ما امتازت به مدينة القــدس .. فهى مهبـط الوحى ، وموطن النبوة ، والمنهل المقدس الذى نهلت منه الانسانية الحق ، والخير والسـلام .. وقــد انبـا الله عن تبريكهـا فى قـوله الكريم :

((سـبحان الذى اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير ..))

القــدس .. اولى القبلتين ، وثالث الحــرمين ، ومسرى النبى الامين ... اليهــا تشخص ابصــار اتباع ثلاثة اديان سماوية ، يتجهون بالاحترام، والتقديس والاجلال .

● القدس ... مدينة الخلود .. ومحرابه . فريدة المدن ... عاصرت العرب وعاصروها خلال تاريخها ، الذى يرجع الى اكثر من ثلاثين قرنا قبل الميلاد ...

● اسسها العرب قبل اول عهـد لليهود بها باكثر من الفى سـنة ، ومن اسمها الكنعانى العربى اشتق اسمها العبرى والغربى فقـد سماها الكنعانيون العرب « يوروشاليم » ثم سماها « اليبوسـيون » الذين حطوا رحالهم على أرضها حوالى سـنة (٣٠٠٠ق.م) واسـتوطنوا بها (يبوس)



مسجد قبة الصخرة ، جمال فن الهندسة والذوق العربي ، من أجمل الآثار العربية على الإطلاق .

القدس

واليبوسيون هم قبيلة عربية من بطون العرب الأوائل التى عاشت فى فجر التاريخ فى جزيرة العرب ... ارتبط اليبوسيون بالمدينة وناضلوا عنها ، ونجحوا فى صد الغزاة عن ابوابها طويلا ، وعندما توالت هجمات العبرانيين عليهم اتجهوا الى مصر وتحالفوا مع المصريين وطلبوا عون تحتمس الاول عام ١٥٥٠ ق ٠ م فلبى رغبتهم ، وساعدهم فى صد الهجمات العبرانية ... وتوالت علاقتهم بفراعنة مصر من تحتمس الثالث الى امنحتب الثالث ، فاخناتون فتوت عنخ امون ، فسيتى الاول فرعمسيس الثانى ...

ولم تفقدهم علاقاتهم بفراعنة مصر حياتهم القومية الخاصة ، اذ دابوا على بناء حضارتهم ، وتقدمهم ، حتى دهمها داود فى القرن الحادى عشر قبل الميلاد ، ودام حكمه لها هو وابنه سليمان نحو ثمانين سنة ٠

وفى اثناء حكم سليمان كانت تدين بالولاء لمصر ، ثم انشقت مملكة داود الى (اسرائيل) ، و (يهوذا) واصبحت المدينة عاصمة لدولة (يهوذا) وحدها ولم تعترف دولة (اسرائيل) ، للمدينة بالسيادة الدينية ، وفى سنة ٥٨٦ ق٠م اطاح البابليون بيهوذا وسبوا اهلها ٠٠ ويثبت التاريخ انه رغم الاحتلال الاسرائيلى لمدينة القدس فقد ظل اهلها العرب يعيشون فيها ، اى انهم لم يقطعوا صلاتهم بها رغم ما حاق بهم من ظلم وجور على يد اليهود ٠ كما يثبت التاريخ ان الكنعانيين انشاوا فى البلاد حضارة ضخمة فى حين لم ينشىء اليهود اية حضارة ولم يستقروا قط بل كانت ايامهم حافلة بالقلاقل والاضطرابات وكان حكمهم يقوم على الحديد والنار والخراب والقتل تنفيذا لوصية (يشوع بن نون) الى قومه عندما احتلوا (اريحا) ٠ التى ورد ذكرها فى اسفار العهد القديم ٠

وقد تمكن (يشوع بن نون) بالتدمير والقتل والحرق والنهب من الاستيلاء على بعض المدن الكنعانية مثل (بيسان) و (تعنك) و (مجدو) و (عكا) ولكن القسم الاكبر من فلسطين ومن بينه (يبوس – القدس) ظل فى يد الكنعانيين حتى فتح داود القدس وانتقل اليها وجعل جبل (صهيون) مقرا لحكمه وبنى عليه قلعة وقصرا، وبعده تولى ابنه سليمان وما ان استقر له الملك حتى اخذ فى تنشيط المشاريع التجارية، والصناعية، واستخراج الحديد والنحاس من وادى عربة فكثر ايراده ، مما دعاه للقيام بمشروعات عمرانية عهد باقامتها الى مهندسين كنعانيين ، وفينيقيين ٠ ومن اشهر ما اقام (معبد سليمان) المسمى (بهيكل سليمان) وقد قدت احجاره من محجر يقع شرق (باب العمود) واما اخشابه فقد حملها له الفينيقيون من ارز لبنان ٠ وقد تم بناء المعبد فى سبع سنين سخر له سليمان ثلاثين الف عامل ٠

● خراب الهيكل الاول ●

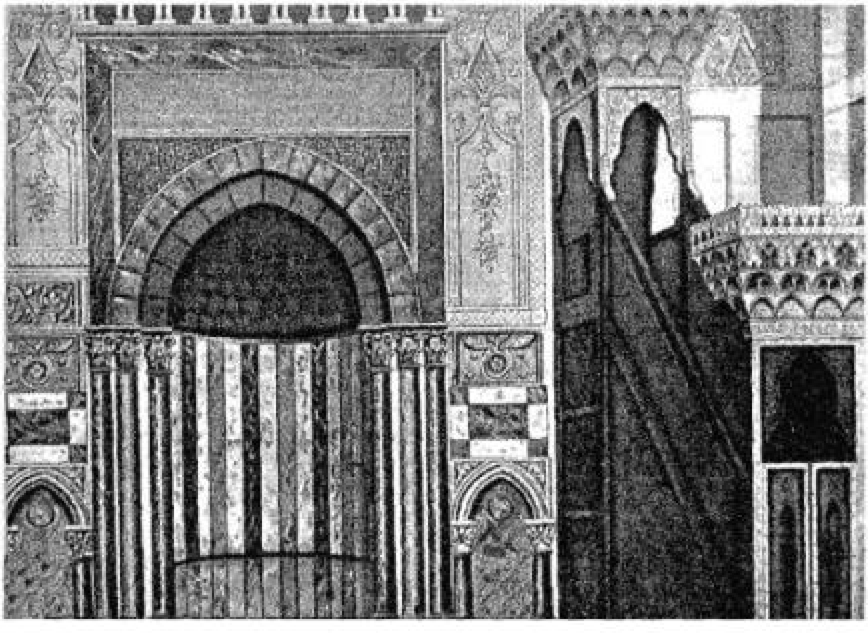
تعرضت القدس مباشرة لهجوم مصرى حوالى سنة ٩٧٠ ق٠م ، أيام كانت تحت حكم « رحبعام بن سليمان » ثم توالت وتلاحقت عليها الهجمات من (الادوميين) فى الاردن الى العرب الى (الاراميين) الى (الاسرائيليين) من مملكة الشمال فقد هاجمها « يهو آش » ملك اسرائيل فهدم سورها ونهب ما فى الهيكل من ذهب وفضة وأوان كما نهب قصر الملك « امصيا » وأخذ الرهائن الى « السامرة » .

توالت الزحوف والهجمات على القدس ، حتى تحرك اليها « نبختنصر » ملك بابل سنة ٥٨٨ ق٠م فهاجمها فسقطت المدينة بعد معركة رهيبة ، واحرقها الجيش البابلى ، وخربها ، ونهبها وقاد اليهود أسرى الى العراق، حيث ظلوا بها سبعين عاما ، الى ان نجح الامبراطور « كورش » ملك الفرس فى احتلال العراق ، واسقاط الامبراطورية البابلية ٠٠٠ وقد لقى جيشه التسهيلات اللازمة لمهمته من قبل اليهود الموتورين المحتجزين فى العراق ، فسمح لهم بالعودة الى فلسطين وشملهم برعايته وحمايته ٠

● خراب الهيكل الثانى ●

شهدت القدس فى العهد الرومانى عديداً من القلاقل والاضطرابات حتى

منبر صلاح الدين الذى صنع وركب فى المسجد الاقصى فى القرن الثانى عشر الميلادى وقد دمر فى الحريق الاثم الذى وقع على المسجد فى الاقصى سنة ١٩٦٩



اضطر القيصر الروماني « بومبي » للزحف الى فلسطين واحتلالها سنة ٦٦ ق ٠ م واحتلال القدس وقتل (١٢٠٠٠) يهودى ٠ وقد كان اليهود يخربون كل شيء بايديهم ويحرقون المدينة ويدمرونها ٠

وتوالت مشكلات اليهود ومضايقاتهم للرومان حتى قرر الامبراطور الروماني « فسيازيان » القضاء عليهم فارسل ابنه « تيتوس » على رأس جيش كبير لتنفيذ هذه المهمة فضرب « أورشليم » ودمرها فى ٨ ديسمبر ٧٠ ميلادية واجلى عنها جميع اليهود وهذا ما يسمى « بالسبى الثانى » ٠

وبعد ذلك جاء الامبراطور الرومانى « ايليوس هدريان » واتم ما بناه « تيتوس » فحاصر ما بقى فى القدس من اليهود، وهدم كل شيء فى المدينة ولم يترك فيها يهوديا واحدا وجعل الموت عقوبة من يدخلها من اليهود ثم سمح لهم بعد ذلك بالمجيء يوما واحدا فى السنة والوقوف عند جدار بقى قائما من السور فى الجزء الغربى من المدينة وهو الذى يسمى « حائط المبكى » وقد ظل حظر السكن بالقدس قائما على اليهود قرونا طوالا ٠٠٠

● القدس ٠٠ عربية اسلامية ●

استمرت القدس تحت حكم اليونان من سنة ٣٣٢ ق٠م وتحت حكم الرومان من سنة ٦٤ ق٠م الى سنة ٣٢٦ م اى عند اعلان النصرانية دينا رسميا للامبراطورية ، وقسمت الامبراطورية الرومانية الى قسمين غربى عاصمته روما ، وشرقي عاصمته (القسطنطينية) ، (بيزنطة) وقد دخلت فلسطين فى امبراطورية البيزنطيين التي يسميها مؤرخو العرب دولة الروم الى سنة ٦٣٦ م عندما فتحها الخليفة عمر بن الخطاب ٠٠

فتح المسلمون بيت المقدس سنة ١٧ هجرية سنة ٦٣٨ ميلادية وقد تسلمها امير المؤمنين عمر بن الخطاب من اهلها قاطعا على نفسه عهدا لله ان يصون اموالهم وكنائسهم ويرعى حقوقهم ، وقد كتب ذلك فى الوثيقة التاريخية التي عرفت فيما بعد (بالعهدة العمرية)

دام حكم المسلمين ثلاثة عشر قرنا خلا قرن واحد تمكن فيه الصليبيون من الاستيلاء على بعض أجزاء فلسطين وعلى بيت المقدس ٠ ويعتبر تاريخ القدس مع المسلمين فترة الامان والاستقرار والحرية لجميع الطوائف دون استثناء ٠

وقد اهتم الخلفاء والامراء والعلماء والصالحون بمدينة القدس وأولوها كامل رعايتهم فانشأوا المساجد والمدارس والزوايا والتكايا والسبل وأوقفوا عليها معظم الاراضى المجاورة ٠ وزينوها وزخرفوها حتى أصبحت مدينة رائعة ساحرة ٠

● مدينة مباركة ●

جديرة مدينتنا الغالية بأن تسمى القدس ، فما من ربوة أو عدوة أو ذروة أو واد الا مرت به قدم نبى ، أو ولى ، أو قديس ، أو بنى بها بيت للعبادة أو سبيل للعطاش أو معهد للرواد ٠٠٠ تكاد تنطق جبالها، ووهادها ، ونورها وأزقتها بما وعت من حب للخير والسلام والحرية، وفيما يلى بعض مقدساتنا فى المدينة المباركة :

كنيسة القيامة

في عام ٣٣٥ م بنت الملكة هيلانة والدة قسطنطين كنيسة القيامة في المكان الذي يقال انها اكتشفت فيه القبر المقدس ، ولم تنج الكنيسة من شر الفرس عندما دهموا القدس ، فقد احرقوها مع ما احرقوا ولكنها عمرت وأحدثت فيها ، كنيسة الصليب ، وأضيف اليها فيما بعد ، كنيسة العذراء ، الى الناحية الجنوبية .

والى كنيسة القيامة يتطلع المسيحيون وتهفو قلوبهم على اختلاف طوائفهم .

كنيسة جميع الامم ، وقد بنيت على صخرة الالام بمدينة القدس



الحرم الشريف

الحرم الشريف هو المكان المقدس الذي يحتوي المسجد الأقصى ، ومسجد الصخرة وما حولهما من مساحات ومنشآت وهو يقوم على جبل « موريا » .

وللحرم الشريف عشرة ابواب مفتوحة واربعة مغلقة ، وفي ساحته عدة سبل انشاها الملوك والمتولون على القدس ، وبه خمس وعشرون بئرا عذبه ، ثمان منها في صحن الصخرة وسبع عشرة منها في فناء الاقصى .

ويجتمع الناس للوضوء حول الحوض المسمى (بالكاس) امام المسجد الاقصى ، .. وللحرم اربع مآذن عالية ، وبه أروقة تقع على الجهتين الغربية والشمالية ، ومكتبة ، ومتحف اسلامى .

مسجد الصخرة

بنى مسجد الصخرة الخليفة الاموى عبد الملك بن مروان (٧٢ هـ ـ ٦٩١ م)

ورصد لبنائه خــراج مصر لسبع سنوات، وقد تبقى من المبالغ المخصصة لبنائه مائة الف دينار فأمر بها عبد الملك جــائزة للرجلين المشرفين على البناء ، وهما : « رجاء بن حيـاة الكندى » احد علماء الإسلام فى بيسان و « يزيد بن سـلام » من القدس ، وقد رفضـا قائلين « نحن اولى ان نزيده من حلى نسـائنا فضلا عن اموالنا فاصرفها فى احب الاشـيـاء اليك .. » فأمر بأن تسبك ذهبـا وتوضع على القبة والأبواب ٠

وفى سنة ١٠٩٩ م حول الصليبيون المسجد الى كنيسة وبنوا عليه مذبحا ولكن صلاح الدين عاد فازال المعالم الصليبية وزين القبة ٠ وسـتر الجدران بالرخام واقام السـدنة لخدمة المسـجد ووقف عليه دارا وأرضا ٠

واهتم بعمارته بعد ذلك ملوك بنى أيوب ، وبنى عثمان ... وقد اهتم المماليك بالمسـجد فاقاموا الابواب واصلحوا القبة واقاموا القناطـر وعددا من المآذن ، وبعض السبل ٠

ويتجلى فى مسجد الصـخرة ، جمال الهندسـة العربية ، والذوق العربى الرفيع ... وقـد اجمـع المؤرخون على انه من اجمل الابنية على وجه البسيطه كما وصفه بعضهم بأنه من اجمل الآثار التى خلدهـا التاريخ ٠

القدس

● المسجد الاقصى ●

من معالم المدينة العظيمة المقدسة .. هذا المسجد الذى يقع فى الجهة الجنوبية من رقعة الحرم الشريف ..

وقد شرع فى بنائه عبد الملك بن مروان سنة ٧٠٥ م ويبلغ طـوله ٨٠ مترا وعرضه ٥٥ مترا ، ويقوم على ثلاثة وخمسين عمودا من الرخام وتسـع واربعين سارية مربعة الشكل ٠

ولقد كانت ابـوابه زمن الأمويين ملبسة بصفائح الذهب والفضة ، ولكن ابا جعفر المنصور امر بقلعها وصرفها دنانير تنفق على المسـجد .. ولما احتل الصليبيون القدس جعلوا قسما منه كنيسة ، ولكن صلاح الدين عندما استرد القدس اصلح المسـجد وجدد محرابه وكسا قبته بالفسيفسـاء ٠ واتى له بالمنبر الخشبى المرصع بالعاج والابنوس ٠

وقد عنى به بعد ذلك ملـوك بنى أيوب ، والمماليك وسلاطين بنى عثمان وانشـئت به اروقة ، وعمر سـقفه وصنع بالفسيفسـاء والرخام ورممت جوانبه ، وفرشت ارضه بالسـجاد العجمى ٠

واليه تتجه انظـار الملايين من المسلمين فى شتى انحاء العالم ...

● جدار البراق ●

حائط كبير مبنى من حجارة ضخمة يبلغ طوله نحو ١٥٦ قدما وارتفاعه ٦٥ قدما والمسلمون يقدسونه لعلاقته الوثيقة بقصة اسراء الرسول محمد



صلى الله عليه وسلم من مكة المكرمة الى بيت المقدس ..

وهو الجدار الذي يدعي اليهود انه حائط البكى وهو يؤلف الجدار الغربي للحرم القدسي ...

● تهويد القدس ●

ترجع النوايا السيئة لتهويد مدينة القدس العربية ، الى زمن سحيق فما من عصر من العصور خلا من كلمات التحريف التي اطلقها الصهاينة عبر السنين لغرس روح الحقـد والضغينة والعداوة ضد عروبة القدس ، والدعوة الى تهويد المدينة المقدسة .

فمما هو وارد في دائرة المعارف البريطـانية طبعة (١٩٣٦) (المجلد ٢٧ ، ٢٨ ـ ص ٩٨٦ ـ ٩٨٧) تحت كلمة الصهيونية (ان اليهود يتطلعون الى افتداء اسرائيل واجتماع الشعب في فلسطين واستعادة الدولة اليهودية وبناء الهيكل واقامة العرش الداوودي في القدس ثانية وعليه أمير من نسل داود) .

وفي سـنة ١٩٢٣ صرح المستر (الفردموند) احد كبار زعمـاء الصهيونية بقوله : (ان اليوم الذي سيعاد فيه بناء الهيكل اصبح قريبا جدا ، وانني سـاكرس ما بقي من حياتي لبناء هيكل سـليمان مكان المسجد الاقصى)

وما اكثر ما يمكن ان تحـويه مثلت التصريحات الصـهيونية عن الاحلام المريضة ، والخيالات المالوفة ،

التي يتناقلونها جيـلا ، بعد جيل ، والتي تستهدف مدينة القدس والمسجد الاقصى .

لذلك لم يكن من الغريب أن تكشف الصهيونية عن انيابها ، وتسقط كل الاقنعة السوداء عن وجهها الكريه ،

لتبين واضحة جلية كل نواياها ضد الانســانية بأسرها ، بعد عدوان الخامس من حزيران ١٩٦٧ .

● حريق الاقصى ●

ففي اليوم الســابع من حزيران ١٩٦٧ أي بعد العدوان بيومين فقط توجه حاخام القوات المسـلحة الاسرائيلية (شـوارموغورين) الى (حائط المبكى) ونفـخ في البوق ، ووجه رسالة الى عصـابته الفاشية قال فيهـا : « اخاطبكم من حائط المبكى ، اخر اثر لهيكلنا . هذا اليوم الذي طالما تقنا اليه دعونا نفـرح ونبتهج ... »

وبعد ذلك وفورا بادرت سـلطات الاحتلال الباغية الى تغيير معـالم القدس العربية ، وأعلنت ضمها الى

اسرائيل ، .. وضربت عرض الحائط بقرارات الامم المتحدة المتكررة ببطلان اجراءاتها ...

وتحقيقا للهدف البعيد ، وهو هدم المسجد الاقصى باشرت السـلطات

المحتلة اجـراء الحفريات ، تذرعا بالتنقيب عن الآثار ، في جـوار المسجد بقصد ان يصـل المنقبون الى

القدس

نقق تحته بحثا عن اثر لهيكل سليمان تمهيدا لاعادة بنائه ثانية ...

وفى ٢٢ يوليو «تموز» ١٩٦٩ اصدر الحاخام الاكبر فى اسرائيل نداء يطالب فيه المحافظة على أحكام الحداد العام فى ٩ اغسطس «آب» وهو يوم خراب الهيكل ، ويدعو فيه اليهود الى التوجه الى القدس القديمة ومواصلة قراءة

تهاليل التاسع من آب التى تستعرض خراب المدينة ، ويطالب بالوقوف امام حائط المبكى ويقول : « يجب الاحتفاظ

بهذا اليوم رغم وجود الحرم بأيدى أعداء اليهود ، وعلى أرضه ما زالت

هذه الآثار باقية » واشار بيده الى المسجد الاقصى واكد ضرورة الاحتفاظ بأحكام الحداد والمحافظة على التقاليد المتبعة منذ أيام موسى الى خراب

الهيكل الى أن يتمكنوا من اعادة بناء الهيكل هذا ... واشار بيده الى المسجد الاقصى ، واضاف حاخام اليهود قوله : « يجب أن نستمر على

الصوم والتهليل حتى نسترجع الهيكل من أعدائنا ونعيد بناءه ولن نمتنع عن ذلك حتى نسمع نغمات اطفال اليهود فى أزقة المدينة القديمة واغانى السبت من خلال نوافذ البيوت ونؤدى الصلاة فى هيكل سليمان الذى يجب أن نعيد بناءه .. »

ويواصل الصهاينة المحتلون الغزاة مؤامراتهم على المسجد فبعد احدعشر يوما من ذكرى التاسع من آب أقدم شاب يدعى « روهان » على حرق المسجد الاقصى .

وقد قال انه عاش أربعة اشهر فى كيبوتس اسرائيلى تعلم خلالها اللغة العبرية ، وتلقن التوراة .. وقال انه حاول حرق المسجد قبل اسبوع ولم يفلح الا بعد خمسة أيام من محاولته الاولى ..

وليس من باب الصدق أن تأتى محاولة حرق المسجد الاقصى فى أيام الصيام التى يقوم بها اليهود فى ذكرى تدمير الرومان لمعبد سليمان .

● تدمير المقدسات ●

ومنذ الاحتلال والغاصب يوالى اعتداءه على المقدسات فهو يحاربها تماما كما يحارب سكان الارض المقدسة، فيهدم المساجد، ويغتال المعابد ويدمر التاريخ، ويزور التراث ويشنق الشمس ، ويذبح النهار .

وتشهد الارض المحتلة يوميا المجازر



البشرية ، والانسانية ، والتاريخية ، وتمتلىء السجون بالنساء ، والشباب والشيوخ الذين يقفون ببسالة وصمود ضد كل اجراءات القهر اللا أخلاقى الذى توجهه اليهم بنادق المحتل .

وتشهد مدينة السلام «القدس» التى وهبت العالم كله الحب ، والخير ، واضاءت بنورها ظلام الجهل والتخلف واشرقت جبهة عالية مرتفعة عبر التاريخ - تشهد المدينة الخالدة ابشع انواع الاحتلال واقساها .. ويتمثل ذلك فى الحفريات التى قامت وتقوم بها سلطات الاحتلال الاسرائيلى حول الحرم القدسى .. وهى حلقة اجرامية خطيرة من حلقات المخططات اليهودية العالمية .

وقد استهدفت هذه الحفريات حول الحرم كما حدد علماء الاثار ورجال الدين اليهود . الكشف الاثرى على الحائطين الجنوبى والغربى للحرم الشريف وعلى امتداد (٤٨٥) مترا توطئة لكشف ما يسمونه بحائط المبكى وهدم وازالة جميع المبانى الاسلامية من مساجد ، ومعاهد ، وأسواق ، ومساكن قائمة فى منطقة الحفريات والاستيلاء عليها وهدم الحرم الشريف وانشاء الهيكل الكبير الذى يحلمون به منذ الفى عام ..

وليس ادل على أهداف الصهيونية بأوضح مما نقلته صحيفة « يديعوت » الاسرائيلية فى عددها الصادر بتاريخ ٢٨/١٠/١٩٧٠ على لسان « زيرح فارهفيك » وزير الاديان الاسرائيلى حيث قال : « ان وزارة الاديان الاسرائيلية تسعى بواسطة عمليات الحفريات التى تجريها للكشف الكامل عن حائط المبكى بهدف اعادة هذه الدرة الثمينة الى سابق عهدها ، وأن هذه العمليات هى عمليات تاريخية مقدسة.

وقد جرت الحفريات الاسرائيلية على عدة مراحل استهدفت الاراضى الوقفية حول المسجد الاقصى ، ثم الاملاك الوقفية حوله ثم كشف ماطوله مائتى متر من الحائط الغربى للحرم الشريف ابتداء من حائط البراق وانتهاء بباب الناظر وتعتبر هذه المرحلة من أخطر المراحل التى تهدد الحرم الشريف والكيان الاسلامى فى المدينة المقدسة .

وقد كان حصيلة ما تسببت فيه الحفريات من دماره (١٣٥) عقارا عربيا فى الاسبوع الاول من الاحتلال وتشريد ٦٥٠ عربيا من سكانها ثم اعلنت مصادرة واستملاك (٥٩٥) عقارا جديدا من الاحياء المجاورة بموجب امر ادارى بتاريخ ١٤/٤/٨٠

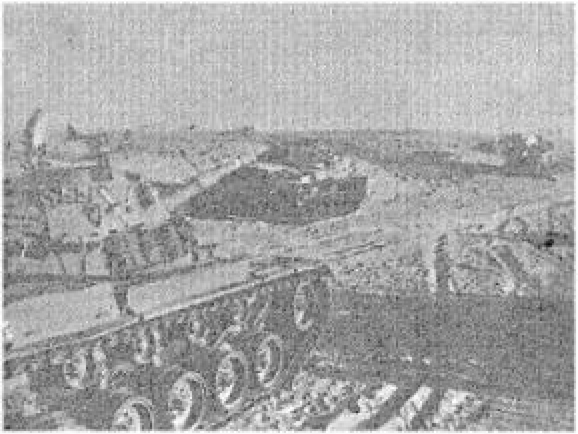
وواصلت السلطات الهدم بعد ذلك مما شمل احياء بكاملها فيها المساجد والمدارس والمساكن والتراث الاسلامى

● التاريخ يعيد نفسه ●

وتواصل اسرائيل جرائمها ، وتحدياتها .. ولكن التاريخ يابى الا أن يعيد نفسه ليصحو الصهاينة ، وحاخاماتهم من سكرة احلامهم المريضة السوداوية على مدافع السادس من اكتوبر ١٩٧٣ تصفع صلفهم ، وتحطم زيفهم .. وتدوس غرورهم .. وتدق رؤوسهم .

ويتقدم جند الله .. وامامهم - تسبق رصاصاتهم الكلمة الهادرة . « الله اكبر » التى صنعت النصر فى « عين جالوت » ودمرت المغول .. والتى زرعت النصر فى « حطين » وهزمت الصليبيين وهى نفسها ، وبجند الله ، تتقدم لتدوى كلمة « الله اكبر » هادرة من مآذن الاقصى وليشرق وجه القدس الطهور وترتفع التكابير .. وتدق الاجراس .. للخير ، والسلام ، والمحبة ، فى مدينة الخير .. والسلام .. والمحبة ..

حسن كامل
الصيرفي



المدرعات المصرية سجلت اروع الملاحم
المنتصرة فى تاريخ سيناء الحبيبة

الجولان.. سيناء.. القدس فى الشعر العربى

اسماء ثلاثة ، لمواضع ثلاثة تعيش فى وجدان كل عربى فى مشارق الارض ومغاربها ، وتنبض لها عروقه حين تذكر ، اعزازا لكرامتها التى يأبى ان تهدر ، وايمانا بعروبتها التى لا تجحد او تنكر .

تسهر عيون الاسود البواسل من ابناء الامة العربية المجيدة الرابضين على خطوط النار يدفعون ظلمة البغي الفاشية دون ملل لتشرق من وراء جهودهم الجبارة شمس الامل في حياة تتمتع بالعزة والكرامة والامن والسلامة ·

لقد عاشت هذه الاسماء الثلاثة في تلك الاشهر الثلاثة من اخر العام المنصرم حياة مجد وعلو شان ·· حياة بطولة نادرة من شباب هذه الامة العربية الخالدة على هذا الزمان ، ستخلد في القمة خلود هذه الامة ·

بطولة تتبعها بطولة وبطولة مما ادهش العالم اجمع وهز مشاعره ، كما زعزع جاش العدو الاحمق وزلزل حصونه ومخافره ·

ولقد ألفت هذه البطولة المعجزة الخارقة النادرة الخالدة بين قلوب العرب جميعا ، فأصبحوا بنعمة الله قلبا واحدا ويدا واحدة ، ومن ورائهم تأييد رائع من شعوب القارة الافريقية التي خرج ماردها الجبار من القمقم الذى كان يحبسه فيه الاستعمار ليحطم السدود والاسوار ، ويهزأ بالحديد ويستهين بالنار

هذه المواضع التي تعيش في وجداننا الان وقد اخذت حظها من الترداد في ادبنا المعاصر ، عاشت في الشعر العربي القديم ، وتردد ذكرها عند عدد من الشعراء في قدرات مختلفة ، وبافكار متباينة ، على مدى العصور ·

● الجولان ●

يقول المستشرق « بول » في دائرة المعارف الاسلامية ان اسم هذا الاقليم يشير الى اقليم « الجولانيتس » الذى كان معروفا في العهد اليوناني المتأخر ·

ويذكر البكرى انه موضع بالشام ، كما يذكر ياقوت انه يقال : جبل من نواحي دمشق ، ثم من عمل حوران ، ويذكر ان قول ابن دريد انه يقال للجبل « حارث الجولان » ، كما يقال ان « حارث » اسم لقلة من قلل هذا الجبل ·

واقدم نص شعرى وقع لنا هو قول النابغة الذبياني زياد بن معاوية حيث ذكر هذا الموضع بالاسمين في قصيدة له يرثي فيها النعمان بن الحارث الغساني ، فقال :

فآب مصلوه بعين جلية
وغودر « بالجولان » حزم ونائل
سقى الغيث قبرا بين « بصرى » و« جاسم »
بغيث من الوسمى قطر ووابل

ثم يقول :

بكى « حارث الجولان » من فقد ربه
و « حوران » منه موحش متضائل

ويعاصر هذا النص نص اخر نجده عند حسان بن ثابت حيث يذكر هذا الموضع ويذكر معه عدة مواقع كلها من اعمال دمشق ، فيقول :

لمن الدار اوحشت بمعان   بين اعلى اليرموك فالخمان
فالقريات من بلاس ، فداريا ، فسكاء ، فالقصور الدواني
فقفا جاسم ، فاودية الصفر مغنى قبائل وهجان
ثكلت امهم ـ وقد ثكلتهم ـ   يوم حلوا بحارث الجولان

ونجده بعد ذلك في شعر الاخطل حيث يقول :

تأبين بنا غداة دنون منهم   وهن اليك بالجولان صور
(اى مائلات)

ويذكره حسان بن ثابت مرة اخرى وقد اضاف اليه قرية « الجابية » التي

الجولان .. سيناء .. القدس في الشعر العربي

خطب فيها عمر بن الخطاب خطبته المشهورة عند فتح دمشق . فيقول حسان :

بجابية الجولان وسط الاعاجم ... يمشي هريد اهله ونصاره

وبهذه الاضافة يروى لنا ابو تمام في « الحماسة » ابياتا لجواس بن القعطل بن سويد ، من بني عدي بن جناب الكلبي يعاتب فيها عبد الله بن مروان ، وكان – بعد أن تم له الامر بمقتل ابن الزبير – آن اقبل يتألف قيسا رغم أعدائه ، ويوحش بني كلب رغم انصاره ، حتى انتهى الحال به الى ان عزل كثيرا ممن استعمله من كلب على اعماله ليولي مكانهم رجالا من قيس ، فقال جواس :

اعبد المليك ما شكرت بلاءنا ... فكل في رخاء الامن ما انت آكل
بجابية الجولان لولا ابن بحدل ... هلكت ، ولم ينطق لقومك قائل
فلما علوت الشام في رأس باذخ ... من العز لا يسطيعه المتناول
نفحت لنا سجل العداوة معرضا ... كأنك مما يحدث الدهر جاهل

ويروي لنا ابو تمام في « الحماسة » ايضا ابياتا لشاعر من طيء ، اسمه : « ملحة الجرمي » يمدح بها عمرو بن هبيرة ، وفيها يذكر طين هذا الموضع الذي يقال انه اسود شديد السواد فيقول :

كأن قرادي زوره طبعتهما ... بطين من الجولان كتاب اعجم

ويقول جبيهاء الاشجعي في قصيدته المفضلية ، وهو شاعر بدوي في العصر الاموي يصف عنزا :

رعت عشب الجولان ثم تصيفت ... وضيعة جلس فهي بداء راجح

الوضيعة : نبت . والجلس : الغليظ من الارض . والبداء ، بتشديد الدال : البعيدة ما بين الرجلين . والراجح : الثقيلة الممتلئة .

ويذكر ابو فراس الحمداني « الجولان » مرتين ، فيقول في الاولى :

وقربنا الى الجولان خيلا ... وجنبنا سماوتها جنابا

ويقول في الاخرى ،

واجلى الى الجولان كلبا وطيئا ... واقفر عجب منهم والعساكر

هذا هو « الجولان » الذي تتحطم على مرتفعاته اطماع العدو اليوم ، وتسحق فيه معداته واشلاؤه . وتملأ الدنيا انتصارات الجيش السوري وانباؤه ..

● سيناء ●

ويقال : « طورسيناء » ، وهى ساحة الشرف الان ، التى انتزع فيها الجيش المصرى اعجاب العالم ، وحطم فيهـا العدو حصونه وأعصابه ، وكتب رجال هذا الجيش أروع الصفحات ببطولات مجيدة وملاحم خالدة تتضاءل أمامها كل ملاحم الخيال .

هذه الساحة المجيدة ، لم أجد فيما رجعت اليه من المصادر الشعرية شيئا الا هذين البيتين لشاعر اسمه « ابن عاصم » يذكر فيه « دير طور سيناء » فيقول :

يا راهب الدير ماذا الضوء والنور وقد اضاء بما فى ديرك الطـــور
هل حلت الشمس فيه دون ابرجها أم غيب البدر عنه فهو مستـــور

وكأنما شاء القدر أن تخلو صفحات الكتب من أمازيج الشعر فيه ، لتتسع لهذه الملاحم الخالدة التي يسجلها ابناء مصر الابطال، لتقرأها من بعدهم اجيال واجيال ...

● القدس ●

والقدس فى اللغة الطهارة والتنزيه . واليه أسرى بالرسول الكريم فى قوله عز وجل فى سورة الاسراء : « سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذى باركنا حوله لنريه من اياتنا انه هو السميع البصير »

ولقدره الرفيع وقدر كتابه الكـريم وبيته المعمور وبالسماء التى رفعهـا وبالبحر الذى بحره أى ملأه ، أقسم ذو الجلالة فى الايات الكريمة من سورة « الطور » فقال جل شأنه : « والطور ، وكتاب مسطور، فى رق منشور ، والبيت المعمور ، والسقف المرفوع ، والبحـر المسجور » ؟

ونجد للبيت المقدس ذكرا فى شعر أبى نواس حيث يقول :

واصبحن قد فوزن عن « نهر فطرس »
وهن من البيت المقـــدس زور
طوالب بالركبان « غزة هاشـــم »
و « بالفرما » من حاجهن شقور

وقال المعلى بن طـــريف ، مولى المهدى :

يا صاح انى قد حججـــت وزرت بيت المقـــدس
واتيت « لدا » عامـــدا فى غير مـــاوى مرغس
فرأيت فيه نســـوة مثل الظبـــاء الكنس

ويقول ابن الساعاتى ، واسمه بهاء الدين ابو الحسن على بن رستـم الخرسانى ، يمدح الملك الناصر سنة ٥٧٩ هـ .

فليعلم القدس أن الفتح منتظـر حلوله ، وعلى الافاق فليطـــل

ويقول له مرة أخرى :

وقد ساغ فتح القدس فى كل منطق وشاع الى ان اسمع الاسل الصمة

❊❊❊

وبعد فإن فى الشعر المعاصر ترديدا لهذه المواضع لن نستطيع حصره ، وقصرنا القول على ما وردت فيه من الشعر القديم . وحسبها فخرا وخلودا أن تعيش مع بطولة ابناء العرب ، وفى قلوب العرب .

والله أكبر ...

حسن فتح الباب

رؤيا

يصدحُ الأطفالُ في غزةَ في ضوءِ القمرْ
وأنا ما زلتُ والتذكار تُصغي للغناء
وهو ينسابُ رهيفاً مثلَ دقاتِ المطرْ

***

يا حبيبي كيف عاد الحُلْمُ في بضعِ سنين
واستدارت وردةُ الشطَّيْنِ .. والأرضُ الموات
حمَلت .. واهتزَّ في الصحراء غصنُ الياسمين

***

وإذا بالدمِ يسري في شرايينِ الشفقْ
وعلى شدوِ ضحايانا بآيات العبور
طِفلةٌ تضرب للاحلام أوتارَ الغسقْ

***

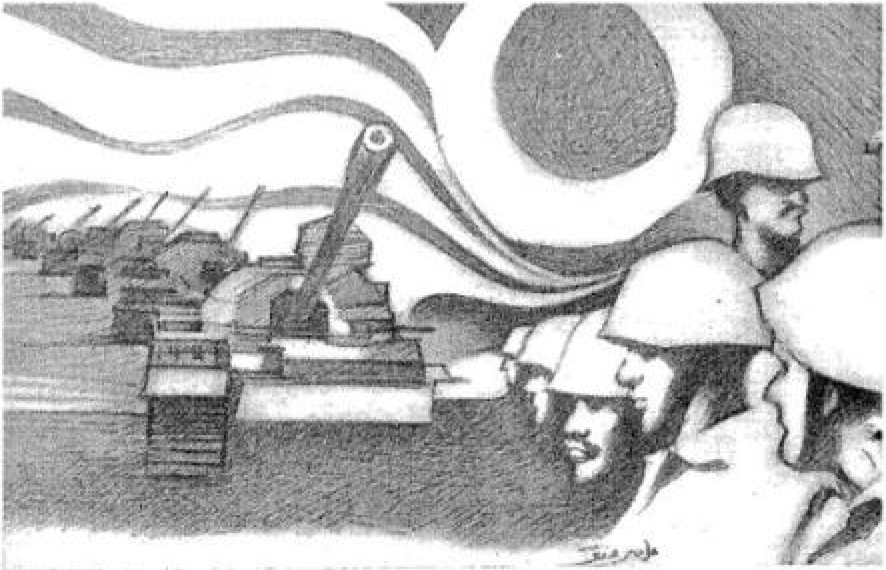
يا حبيبي يكبُرُ الحُلْمُ على خطوِ الجنودْ
ويُوافينا من الشرق عبيرُ البرتقال
وإذا غزةُ فرسانٌ أساطيرٌ وعِيدْ

***

وإذا القدسُ على الأفقِ تُصلِّي .. والقطارْ
يتدانى صوتُه النائي .. ويشتاقُ النخيل
والروابي لتلاقينا . وتشتاقُ البحار

***

يا حبيبي كلما أبطأ عن يافا السنا



طرقت أبوابَنا أيدِي الرِّفاقِ الصاعدين
افتحوا للشمس .. كونوا لهَوانا وطَنا

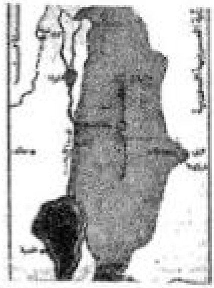
***

واجعلوا من كل جسرٍ ألفَ بستانٍ ودَرْب
تولدَ الأقمار فيه وتغنّيها الشجَر
ويغنى الموج للأطفال ترنيمة حب

***

يا حبيبي أترَى طيرَ فلسطينَ يعودْ
يعبرُ البحرَ إلى الضفةِ مشبوبَ الحنين
يعبرُ الضفةَ للبَحر .. ويجتاحُ الحدود

العبور



الجولان

التاريخ والاستراتيجية والمستقبل

تزايدت أهمية الهضبة السورية وزاد التحدث عنها ، بعد حرب يونيه ١٩٦٧ ... فقد احتلت القوات الاسرائيلية مدينة القنيطرة السورية يوم ١٠ يونيه ١٩٦٧ ، ولكن لم تحتل هضبة الجولان الا بعد معارك عنيفة مع الجيش السورى ، وبعد محاولات متتالية من الجيش الاسرائيلى استمرت يومى ٩ و ١٠ يونيه .

منذ ذلك اليوم وقادة اسرائيل يعلنون أن الوجود الاسرائيلى - فى الاراضى المحتفظ بها - هو الامل الوحيد لتحريك الحكومات العربية لقبول المفاوضات مع اسرائيل .

وقد توالت تصريحات قادة اسرائيل منذ عام ١٩٦٧ ، تؤكد انه ليس فى النية التنازل عن الهضبة السورية (الجولان) ...

ففى المؤتمر الاقتصادى اليهودى العالمى بالقدس فى ١٩٦٩/٦/٢٦ ، صرح موشى ديان بقوله : « الجولان هى جزء لا يتجزأ من اسرائيل ، ويجب أن يعتبرها كذلك كل من سلطات اسرائيل ويهود العالم » ...

وكان آخر التصريحات التى تمت بهذا الخصوص ما صرحت به جولدا مائير رئيسة وزراء اسرائيل فى حديث اذاعه راديو تل أبيب ونشرته الصحف يوم ١٩٧٣/١٢/٢ : « ان حدود السلام لا يمكن أن تكون حدود ما قبل حرب الايام الستة ، ولكننا مستعدون لكثير من التنازلات ، وان كان موقفنا من القدس والجولان مقرر » ...

ومن وقت قريب نقلت الصحف العربية تصريحات أدلى بها بن جوريون رئيس وزراء اسرائيل الاسبق والذى توفى اخيرا :

« اذا كان علينا ومقابل السلام أن نتخلى عن السيادة السياسية من

ارض اسرائيل ، فاننى انصح مواطنى بالجـلاء عن معظم الاراضى المحتلة باستثناء القدس والجولان » ...

وحديثنا فى هذا المقال يشمل :

● الموقع الجغرافى للهضـــبة السورية (الجولان) ضمـــن طبيعة الارض السورية .

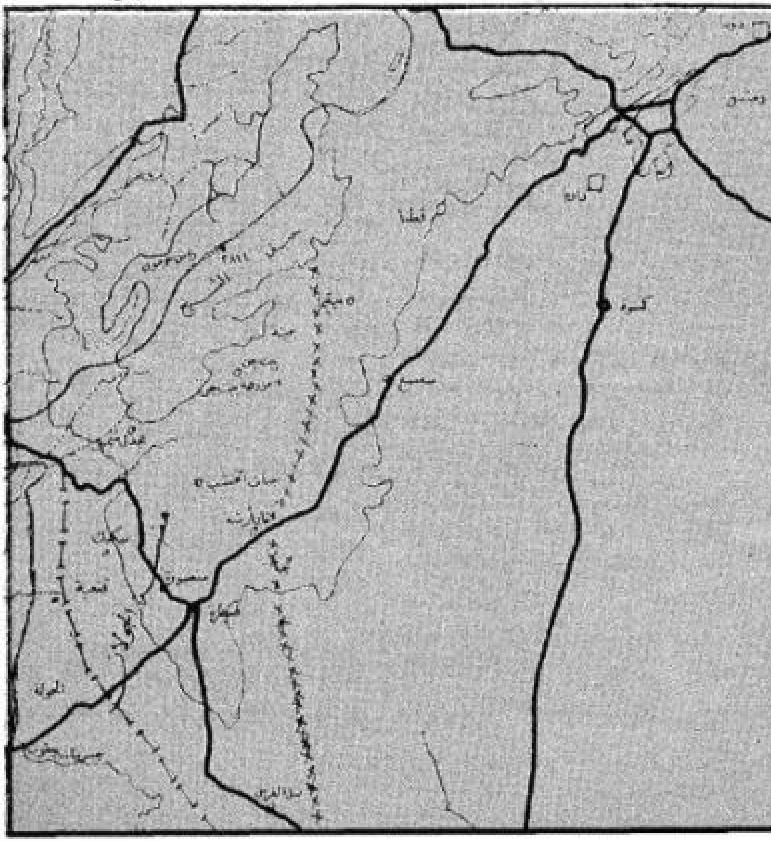
● لمحة تاريخية .

● الاهمية الاستراتيجية العسكرية للجولان .

● بعض المشروعات التى اقامتها اسرائيل بالهضبة السورية (الجولان)

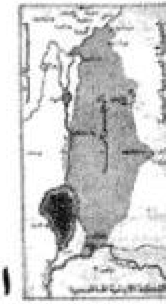
● الموقع الجغـرافى وطبيعـة الارض ●

نظرا لان الهضبة السورية هى جزء لا يتجزأ من الجمهـــورية العربية



خريطة تفصيلية لهضبة الجولان بسوريا : ستعود عربية رغم الصهيونية

الجولان



السورية ـ طبيعيا وتاريخيا وسياسيا ـ فمن الضروري ايضاح طبيعة الاراضي السورية قبل التعرض للموقع الجغرافي .. وطبيعة الارض للهضبة السورية (الجولان) ..

ارض الجمهورية العربية السورية :

تحد شمالا بتركيا ، وجنوبا بالاردن ، وغربا بلبنان وفلسطين المحتلة ، وشرقا بالعراق ... ويتكون الجانب الاكبر من الاقليم من هضبة مرتفعة . يتراوح ارتفاعها ما بين ٢٠٠ متر و ٧٠٠ متر . وهي مناسبة لتنفيذ الاعمال القتالية لكافة الاسلحة

وتمتد بادية الشام (صحراء الحماد) الى منطقة الحدود مع الاردن والعراق . وهي صحراء مستوية ويسهل وصول جميع الاسلحة اليها .

وتتواجد الجبال اساسا في غرب الاقليم . وهي تتكون من سلاسل جبلية تمتد من الحدود التركية في الشمال الى الحدود اللبنانية في الجنوب ، واهم هذه الجبال جبل الشيخ ، والجزء الجنوبي الغربي لهذا الجبل يتحكم في اجزاء من اراضي لبنان وسوريا وفلسطين .

وتشكل سلسلة الجبال السابقة مانعا يعترض تحرك القوات من الغرب الى الشرق ، ولا يمكن اجتياز هذا المانع بدون الاستعانة بالطرق التي تمر خلالها . ويتحتم استغلال المزايا التي يوفرها هذا المانع الطبيعي عند تنظيم الدفاع ضد جنود المظلات . ويمتد خط الحدود السياسية بين لبنان وسوريا على سلسلة جبال لبنان الشرقية وجبل الشيخ . وتقع منطقة جبل الدروز في الجنوب قرب الحدود مع الاردن .

هضبة الجولان :

تقع في اقصى الجنوب الغربي لسوريا ، وهي ترتكز في الشمال على جبل الشيخ ، وتنحدر غربا الى نهر الاردن، بحيرة طبرية، منطقة الحولة، وتستند في الجنوب على جزء من الحدود السياسية بين سوريا والاردن، وتمتد شرقا الى بادية الشام ...

وطبيعة الارض في شمال الهضبة جبلية صخرية تتدرج في الارتفاع في اتجاه الشمال الغربي ويتخللها عدد من مجاري السيول التي تتجه في اتجاه الشرق والجنوب الشرقي والجنوب الغربي .

وفي وسط الهضبة تنفتح الارض

وبتخللها بعض مناطق تحتوى على صخور بركانية واراض منخفضة ،

وتتدرج الارض فى الارتفاع من الشرق فى اتجاه الغرب ، ثم تبدأ فى الانخفاض مرة ثانية ، الى ان تنتهى

عند الميول الحادة للهضبة عند وادى ونهر الاردن ، ويعتبر هذا الجزء

أصلح المناطق لعمليات القوات الميكانيكية وخاصة على المحور

« القنيطرة - جسر بنات يعقوب » ثم الى الاراضى المحتلة .

وفى جنوب الهضبة ارض جبلية

تتعرج فى بعض اجزائها وتتدرج فى

الارتفاع حتى تتجه شرقا حتى خط

المقيرة جسم الجولان ، حيث تبدأ فى الانحدار ثانية فى اتجاه الشرق .

ويعتبر هذا الجزء من الهضبة

صالحا نسبيا لعمل القوات الميكانيكية وخاصة على الطرق ...

وتنتشر بالجولان عدة مدن صغيرة،

ومن أهمها القنيطرة التى تبعد عن

دمشق بحوالى ٦٤ كيلو مترا . وترتبط بها بطريق أسفلتى يمتد فى

اتجاه الجنوب الغربى الى جسر بنات يعقوب ، ويصل الى صفد بالارض المحتلة .

وترتفع الهضبة بحوالى ٣٠٠ متر عن الاراضى المنخفضة فى فلسطين

المحتلة ، وهى لهذا تعتبر متحكمة فى كافة المستعمرات الواقعة فى فلسطين

وعلى مقربة من حافتها ، ومن هنا تتحدد أهمية هذه الهضبة .

وأعلى جبال الهضبة هو جبل

الشيخ ، ويبلغ ارتفاع قمة حرمون به الى ٢٨١٤ مترا فوق سطح البحر .

وحافته الجنوبية الغربية تقع عند التقاء الحدود بين سوريا ولبنان

وفلسطين المحتلة ، وهو بذلك يعتبر من أهم المواقع المتحكمة فى الهضبة

● لمحة تاريخية ●

كان يحد فلسطين من الشرق (قبل

أن تحتل الجزء الاكبر منها القوات الاسرائيلية ، أى قبل عام ١٩٤٨) -

الجمهورية العربية السورية والمملكة الاردنية الهاشمية ، على خط يمتد

من غربى بانياس ويسير جنوبا على طول الضفة الشرقية لنهر الاردن

والشواطىء الشرقية من بحيرة طبرية ويتجه جنوبا بشرق الى محطة الحمة

الواقعة فى الجمهورية العربية السورية ..ثم يكمل سيره جنوبا على محاذاة

ضفة الاردن الشرقية حتى مصبه فى البحر الميت ، ثم يمتد بشكل وهمى

بحيث يقسم البحر الميت الى قسمين

متساويين (شرقى وغربى) ، ثم بعد

أن ينتهى من الطرف الجنوبى للبحر الميت يكمل سيره مع انحراف قليل

الى الشرق على طول سلسلة جبال الشراه الى أن ينتهى عند خليج العقبة

فى رأس طابا على بعد ميلين الى الغرب من مدينة العقبة .

وكانت الجولان هى المنطقة الفاصلة

بين الجمهورية العربية السورية واسرائيل قبل عدوان يونيو ١٩٦٧ ،

وهى تشكل ساحة عمليات صعبة لكلا الطرفين حيث لا تساعد طبيعة

المنطقة على القيام بالمناورات الواسعة، ويصعب على قوات اسرائيل خرق الجبهة السورية والتى تمتاز بمواقعها الحصينة ذات العمق الكبير ٠

وقد كان ذلك سببا فى فشل الهجوم الاسرائيلى الذى تم بالمواجهة فى يوم ٩ يونيو ١٩٦٧ فى اتجاهين : الاول من جنوب بحيرة طبرية فى اتجاه خسفين ، والثانى من مرتفعات جسر بنات يعقوب فى اتجاه القنيطرة ، مما دعا الاسرائيليين الى اعادة الهجوم يوم ١٠ يونيو ١٩٦٧ من على الاجناب من الشمال من داخل الاراضى اللبنانية ومنطقة بانياس فى اتجاه القنيطرة ومن جنوب بحيرة طبرية فى اتجاه الشمال الشرقى فى اتجاه خسفين ٠

● الاهمية الاستراتيجية والعسكرية للجولان ●

١ ـ تمتد الحدود بين اسرائيل وسوريا حاليا الى مرتفعات الجولان ومشارف الحرمون ، ولهذه الحدود المزايا الاتية من وجهة النظر الاسرائيلية :

أ ـ تدعم كثيرا حالة الامن الحالية فى الجليل الاعلى والجليل الاسفل وغور الاردن ٠

ب ـ تسهل الوضع الدفاعى ضد اى هجوم سورى محتمل ٠

هـ ـ تستخدم كقاعدة انقضاض مثالية للهجوم المضاد امام اى هجوم سورى ٠

د ـ لا يفصلها عن حدود الاردن الشمالية اى عائق ، وهذه الحقيقة تتيح امكانيات لفتح جبهة اخرى ضد الاردن اذا ما دخلت الاردن الحرب ضد اسرائيل ٠

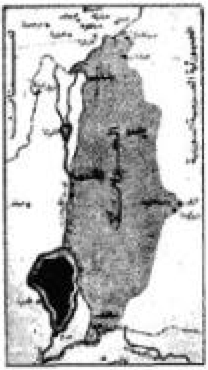
هـ ـ انها قريبة من تجمع الدروز فى جنوب سوريا ٠

و ـ تعتبر هضبة الجولان الحد الطبيعى الشرقى الآمن مع سوريا ٠

وقد أوضح ايجال الون نائب رئيسة الوزراء الاسرائيلية وجهة نظره فى الحدود الامنة بالاتى :

« الحدود الامنة هى تلك الحدود السياسية التى ترتكز على عمق اقليمى وعقبات طبيعية مثل المياه والجبال والصحراء والممرات الضيقة التى تحول دون تقدم جيوش برية مزودة بمدرعات ، وهى الحدود التى تمكن من اتخاذ وسائل الانذار الفعالة ضد اقتراب الطائرات المعادية من ناحية ، ومن ناحية اخرى فان هذه الحدود تستخدم كقواعد مناسبة للقيام بالهجوم المضاد » ٠

الجولان



٢ - يتوفر في الاتجاه العلياتي ، والذي يمتد من حدود لبنان حتى جنوب بحيرة طبرية والذي يبلغ عرضه من ١٠٠ - ١٢٠ كم ، وعمقه ١٥٠ كم - عدد من المحاور والطرقات التي تخترق هضبة الجولان ، واهمها محور دمشق القنيطرة - جسر بنات يعقوب ، وتتجلى اهمية هذا المحور بانه الاتجاه الرئيسي لاي عمليات عدوانية ضد الجمهورية العربية السورية في حالة اتخاذها الدفاع ، كما انه الاتجاه الرئيسي لتقدم القوات العربية وبلوغها اهم اهدافها عند تحرير الارض العربية المغتصبة (هضبة الجولان) ، ويبلغ حجم القوات الممكن استخدامها في هذا الاتجاه من ٢ - ٤ فرق .

٣ - يشرف جبل الشيخ على مناطق واسعة من الجولان المحتل ومن الاراضي السورية (ويبلغ ارتفاع الجبل ٢٨١٤ مترا) وقد اقامت اسرائيل عليه نقطا للمراقبة العسكرية ومحطات للرادار .

٤ - تسيطر هضبة الجولان على وادي الحولة بأكمله ووادي الاردن وبحيرة طبرية .

٥ - ازال تجفيف بحيرة الحولة احد العوائق الكبرى التي تحمي الجليل ضد الهجوم السوري الى وادي الحولة ، كما اضاف ارضا كبيرة صالحة للرقعة الزراعية بالمنطقة .

٦ - تتوفر المياه بالمنطقة ، فمياهها غزيرة (١٠ ملايين متر مكعب سنويا) وهي تكفي لانعاش زراعات كثيرة مختلفة من منتجاتها : (الطماطم ، البصل ، البطاطس - الجوز - الفراولة - الكمثرى - الخضراوات) .

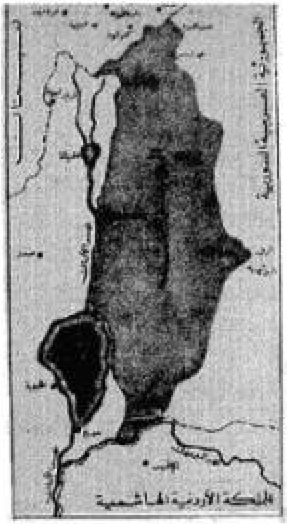
بعض المدن والمراكز السياحية في الجولان :

منطقة الطرف الجنوبي الغربي لجبل الشيخ

منطقة الطرف الجنوبي الغربي لجبل الشيخ ، الذي يشرف على مناطق واسعة من اسرائيل والاراضي السورية .. وقد بنت عليه اسرائيل نقطا للمراقبة العسكرية ومحطات للرادار ، ثم مستعمرة على سطح الجبل على ارض قرية جباثا الزيت العربية على خط وقف اطلاق النار مع سوريا وسط منطقة من الجبال والمرتفعات . كما انشات مبنى للرياضة الشتوية والتزحلق على منحدر الجبل .

● مدينة القنيطرة :

وتعتبر قاعدة للهضبة السورية (الجولان) واكبر المدن بها ، وكان بها قبل عدوان يونيو ١٩٦٧ حوالى ٣٠,٠٠٠ نسمة ، وقد اجلى الاسرائيليون كل اهلها واقاموا بها مركزا عسكريا لقوات جنود نظاميون ، وفندقا واستراحة ... كما انشأ الاسرائيليون به « كيبوتز » هو الكيبوتز الاول في منطقة الجولان ، وسموه « كيبوتزها جولان » . ثم ناحال سمى « ناحال هاجولان » على بعد ٢,٥ كيلو متر من خط وقف لطلاق النيران بين سوريا واسرائيل .



الجولان

كما انشأت سداً للمياه قرب القنيطرة يخزن به ٣٥ الف م ٣ ويتسع عند الحاجة الى ٢½ مليون م ٣ ..

● **الحمة :**

وبها « ينابيع الحمة » المعدنية الصحية الشهيرة ، والتي اقام العرب فيها منشآت ذاع صيتها في العالم منذ عشرات السنين ، وقد استغلها الاسرائيليون لاغراض السياحة .

● **مدينة فيق**

وهي في الجزء الجنوبي من الهضبة السورية ، وكان عدد سكانها في يونيو ١٩٦٧ اقل من ٢٠٫٠٠٠ نسمة .

● مشروعات ومستعمرات اقامتها اسرائيل في الجولان ●

١ ـ ورد الاعلان الاول خارج فلسطين المحتلة عن تمسك اسرائيل بالجولان بانشاء مستعمرات فيها ـ في مقال نشرته جريدة « الجارديان » اللندنية في ١٩٦٧/٨/٨ ، وقد حمل حجة اسرائيل التقليدية : « نحن ننشيء المستعمرات لحماية نسائنا واطفالنا ما دمنا عاجزين عن اقناع العرب بمصالحتنا ، وكلما تأخر العرب في عقد الصلح معنا اصبح الوصول الى هذا الصلح اكثر صعوبة ، اذ نكون قد انشأنا المزيد من المستعمرات .. »

كما اعلنت اسرائيل انها قررت البدء في اقامة ناحال في بانياس على بعد ٧٠ كم من دمشق وقرب احد مصادر مياه الاردن .

وقد استمرت اسرائيل بعد ذلك في اقامة المستعمرات والناحال والكيبوتز محل المدن السورية مثل (بانياس ، والقنيطرة ، وبلدة عين زيوان جنوب القنيطرة ٥ كم) وعلى سفح تل الفرس

وفي اقل من سنة واحدة بعد احتلال هضبة الجولان ، كانت اسرائيل قد اقامت عدداً من المستوطنات اليهودية ، ولم تكتف اسرائيل بالانشاءات بل شقت الطرق واعطت المنح والقروض لاستغلال الاراضي واستصلاحها ... وقد القت الوكالة

اليهودية خمسة ملايين ليرة اسرائيلية على بناء وتطوير المستعمرات في الجولان ، في أول سنتين للعدوان الاسرائيلي ، وواصلت اسرائيل اقامة المستعمرات داخل الهضبة واسكان العسكريين بها ، وقد حرصت على اقامة المستعمرات في المناطق الخصبة والتي كانت في الماضي طريقا للفدائيين الفلسطينيين يتخللون منها الى الاراضي المحتلة لزرع الرعب في نفوس الاسرائيليين ...

وقد جاء في مقال نشرته جريدة « ها ارتس » الاسرائيلية « انه قبل الخامس من يونيه كان الوصول شرقا في اتجاه سوريا في منتهى الصعوبة .. اما الان فلم يعد بامكان الفدائيين أن يعبروا المنطقة بفضل قيام المستعمرات ... »

وقد أعلن مدير منطقة الجليل في ١٩/٥/١٩٦٩ أن الوكالة اليهودية ستصرف ٣٠ مليون ليرة اسرائيلية في أعمال البناء في الجولان في مدة ثلاث سنوات، وأن ما استصلح بواسطة هذه الوكالة من أراضي الجولان يبلغ ٥٠ ألف دونم ، وقد قام بهذا العمل ١٥ ألف عامل ... كما قال أن اسرائيل تخطط ليصبح عدد المستوطنات في الجولان ٢٥ مستوطنة مساحتها ١٧٠ ألف دونم ، وسكانها ١٢ ألف شخص ينتجون بما يعادل ٥٥ مليون ليرة اسرائيلية سنويا ... وقد أصبح بالهضبة الان ما يقرب من ٢٥ مستوطنة .

٣ - اقامة شبكة واسعة من طرق المواصلات للربط بين المستوطنات وبعضها البعض ، وبها طريق رئيسي يشطر الجولان شطرين من الجهة الجنوبية الغربية الى الشمالية الشرقية ويتفرع منه عدة طرق فرعية .

يتضح مما تقدم - وهو بعض ما قامت به القوات الاسرائيلية المعتدية من مشاريع ومستعمرات داخل الهضبة السورية ، وما أمدت به المستعمرات من خدمات - أن اسرائيل تعتزم البقاء في المنطقة واستغلالها ...

● ختام ●

هذه لمحة سريعة مختصرة عن تاريخ وأهمية الهضبة السورية (هضبة الجولان) ، وما قامت به القوات الاسرائيلية العدوانية من مشروعات وما أقامته من مستوطنات راغبة في الاحتفاظ بها معلنة ذلك على ألسنة زعمائها وقادتها .. فهل أمنت اسرائيل ؟ ... لا ! انها لا زالت خائفة من القوات المسلحة السورية والفدائيين الفلسطينيين ...

لقد اتجهت اسرائيل اخيرا الى منع بناء البيوت الحجرية في المستعمرات الجديدة ، والاستعاضة عنها بالاكواخ الخشبية حتى يسهل نقلها حسب متطلبات الامن ...

وسوف تتبخر امال اسرائيل وأحلامها في الاحتفاظ بالجولان ، عندما تستعيد سوريا وقواتها المسلحة الباسلة هضبتها ، وترفع رايتها فوق كل جزء منها ، فالهضبة السورية (الجولان) هي جزء لا يتجزأ من ارض سوريا العربية الحبيبة ...

أغنية إلى بطل

عبدالمنعم الأنصاري

ربما سرت على الدرب ذليلا
عاثر الخطوة لا تلقى مقيلا
طاويا ذلّ جناحيك على
شبح المجد الذي بات هزيلا
وعلى أرضك ما زلت ترى
أينما امتد بك الطرف نخيلا
قابعا خلفه حصون لم تجد
لرواسيها سوى الموت مزيلا
كنت لا أجرؤ أن أنظر في
وجهك المستشهد الحلو مطيلا
كنت لا أجرؤ أن أصغي إلى
أنة يجعلها البوح عويلا
فتحاشاك طويلا ... فلتمى
وتحاشى حزنك الغالي النبيلا
ربما سرت على نيرانه
ربما كانت إلى الفجر دليلا

•••

ما الذي اكتبه .. يا زمنا
قد مضى مضطرب الخطو ثقيلا ؟

والذى خلّفت فى أعصـــابنا

من جراحات الأسى ليس قليلا !

***

كلُّ ما فيــكَ أنا أعـــرفه

بأحاسيس أبٍ أنشـــأ جيـــلا

ماله فى جَلب العـــار يــد

أو رأى يوماً إلى اليـــأس سبيلا

***



لم يكن يجمعنا الحقل ضــحىً

أو يكن يجمعنا البيتُ أصيـــلا

دون أن ألمحَ فى عينيــك سَــنا

بتَّ تخفيه بجنبيكَ طــــويلاً

ألمح الفجــــر الذى تحتهمــــا

مترســــلاً طرفا على الأفق كليلا

كنتَ فى الرعب الخرافىِّ الذى

عاشَ فى أيّامنـــا عرضا وطولا

والأساطير التى .. ما بَـــرحت

تجعلُ الانســـانَ فى الأعين غولا



أغنية إلى بطل

ظنَّ أن قد خلت الأرضُ له

فمشَى يسحبُ للكبْرِ ذيولا

ترصد الموْتُ له في وقعةٍ

جمَّلت حكمةَ ماضيه ذهولا

أيُّها الفرحُ الذي فاجأني ؟

بعد أن أقعَدني الحزنُ عليلا

حيث لم أفرشْ له البيتَ ولم

اكسُ بالثوب الربيعي النخيلا

فــــوق أحــلامى ما رحت أرى

أهوى اليأسُ على الأرض قتيـــلا ؟

وجرى فوقَ ثرانا دمـــــــهُ ؟

وشفَى من رمْلِ سيناء غليـــــلا ؟

وأفاقَ الكونُ من غشـــيتِهِ

بعدما استسلم للوهم طـــويلا

ليرى الزّاحف يعلو جيشَـــــهُ

علمُ الواثق فى النّصـــر جليلا ؟

***

رمل ســيناء ألاّ تغـــرقهُ ؟

ولقد صيّره الشّـــوق نخيـــلا ؟

يا عبيرَ امرأةٍ عاشـــــقةٍ

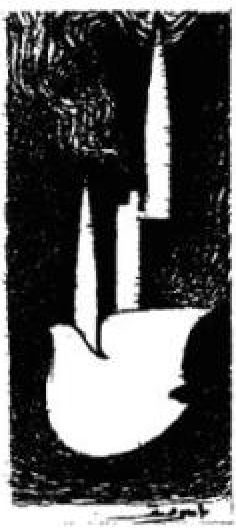
لِهواها لمْ يرَ الـكونُ مثيـــلا

انظــرى فارسكَ القـــادم فى

هالةِ النـور الإلهى جميـــــلا

وافتحى أحضــــانك الخضر له

من سواهُ الآن تبْغين خليـــلا ؟



رحلة الشهر

١٥ قرشا؟ لماذا!

زمان ·· كانوا يقولون : صاحبة الجلالة الصحافة ·· اما اليوم ، فقد يكون الابلغ ، بلغة العصر ، ان نقول : صاحبة السيادة الصحافة

ولقد وقفنا ــ نحن خدام صاحبة السيادة ــ خلال الشهرين الاخيرين من العام المنصرم ، امام امرين ، احلاهما مر

ذلك ان اسعار ورق الصحف قد ارتفعت بنسبة تزيد على مائة في المائة، بسبب عجز كبير في انتاج لب الورق، اسفر عن نقص بالغ في الانتاج الى حد ان بعض مصانعه قد تعطلت تعطلا كاملا

وكانت نتيجة ذلك ــ على المستوى العالمي ــ ان اغلق بعض الصحف ابوابه واحتجب نهائيا · واما البعض الاخر ، فقد اضطر الى الهبوط بعدد صفحاته بنسب مختلفة ، وصلت الى النصف او اكثر من النصف في بعض الاحيان

وهكذا وقفنا امام امرين احلاهما مر ·· بعد ان استعذنا بالله واستبعدنا الاحتجاب !

فاما ان نهبط بعدد صفحاتنا، واما ان نحتمل نحن اكثر العبء بمضاعفة مسئولياتنا وتحديد رواتبنا وأرباحنا واحتياطياتنا ·· على أن نسأل القارىء أن يحتمل معنا مشكورا ، اقل

العبء ، باحتمال زيادة طفيفة فى ثمن المجلة ، لا تتوازى مع زيادة سعر الورق .. بله زيادة اسعار مواد الطباعة الاخرى كالاحبار والالوان والاصباغ .. والات الطباعة ذاتها .

وقد اثرنا الامر الثانى، واثقين من سماحة القارىء وعفوه وتقديره للامور

بيد اننا ـ اذ نسال القارىء أن يتقبل هذه الزيادة اسهاما منه فى مواجهة الموقف ـ نعد بأن نقدم له مزيداً من العطاء الثقافى ، لقاء عطائه المادى

هذا العدد الذى بين يديه من « الهلال » .. مثلا .. ليس مجرد مجلة شهرية يقرؤها ويلقى بها بعد قراءتها ، ولكنه ، فيما نعتقد ، وثيقة قومية تاريخية ترتبط بحيـاة كل مواطن

عربى فى مرحلة من اخطر مراحل حياة الامة العربيـــة ..

وثيقة يقرؤها ويعيها ويحفظها لابنائه وابناء ابنائه من بعده كصفحة عزيزة من كتاب هذه الامة

ولقد اردنا تزكية هذا العدد ، فزكيناه بخريطـة للارض العربية المغتصبة التى يشرق عليها امل الحـــرية مع ميلاد العام الجديد ، هدية خليقة بان يحتفظ بها كل بيت ، ويتعلق بها كل وجدان

ناجى .. يبكى حيفا



عباس العقاد

كان استاذنا العقاد ـ رحمه الله ـ يسمى شاعر الاطلال، الدكتور ابراهيم ناجى : شاعر اللهفة العاطفية .

وهى تسمية حقة .. فلقـــد كان ناجى يتناول كل زاوية مشرقة او قاتمة من الحياة ، من خيطها العاطفى

بهذه المناسبة ، تلقيت من قارىء كريم من اصدقاء ناجى قصيدة لم اقع عليها لناجى من قبل ، يناجى فيها « حيفا » ... المدينة العربية الشهيدة بين براثن اسرائيل .

وقد احببت أن اضعها تحت انظار القراء فى هذا العدد بالذات ، الذى يتناول الارض السليبة ، ليروا كيف تنـاول شاعر اللهفة العاطفية مأساة حيفا من خيط العاطفة ، فجاءت قصيدته اعمق اثرا فى النفس من طنطنـات الصـــارخين والصاخبين :

ايه حيفـــا متى مزارك حيفـــا
ان لى فى الخميـل عندك الفـــا



د. ابراهيم ناجى

امـــل غيبته عنى الليـــالى
يتـراءى منى ويـومض طيـفا
اترى يلتقى الشـقيقان يـوما
لا تسلنى متى فؤادى وكيفـــا
ربما ربمـا ! وهيـهات تدرى
ما جنت ربمـا على وســـوفا
ايها التـاركى لظلم الليـــالى
يتجاذبنى امانا وخـــوفا
كيف ولت ولم تبن لى ربيعـــا
اتاسى به ولم تجمـــل صيفـا
اين القى بناظـــرى ؟ باتت الار
ض لدى مقلتى غيمـــا وعجفـــا
المـــامى ؟ وليس لى من امـام
ففؤادى يبيت ينظر خلفـــــا
لهف نفسى على الشباب على الحسـ
ـن على مجلس الوداد المصـــفى
وعلى نفسك الذكية اســـتاف
على طيبها من الخلـــد عرفـــا
وعلى لحظك الجميـــل يبـدى
لى عطفا وكان يخـبا حتفـــا
ان يكن قد ســلا عفا الله عنـه
لم انم عنه وهـــو عنى اغفى
قلبى المقعد الـــكليل بصـدرى
كلما هزه لك الشـوق خفـــا
ضرب الصـــدر ثم صـــفق فيه
بجناحين ثم كالطـــير رفـــا
فارتمى جاثيـــا ومال كئيبـــا
فى خفايا الضـلوع يرجف رجفا
ايه ليل ؟ ماذا صنعت بعهــدى
اينا .. اينا على البعد اوفى ؟
ايه حيفا ؟ ارى طريقك حفـــا
بالجبال الشماء صفا فصـــفا
رفع الطـــود راســـه فى صلاة
ضارعا ، راميا الى البيداء طرفا
لا ارى كالجبـــال ذل ابتهـــال
لا ، ولا فى الاباء ارفع انفـــا

وفي مجال هذا العدد ايضا ، قرأت كتابا صدر اخيرا في امريكا عن نظام « الكيبوتز » في اسرائيل

اسم الكتاب : ابناء الحلم

والمؤلف : الدكتور برونو بتلهايم

وهو استاذ علم نفس وتربية .. واكبر الظن انه يهودي، وان يكن كتابه قد قوبل في اسرائيل وامريكا على السواء باهتمام لا يخلو من السخط ، لانه – وان يكن قد قصد الى الاشادة بالبناء الاجتماعي لاسرائيل – لم يجرد نفسه من نقد هذا البناء في كثير من الاحيان

قضى المؤلف سبعة أسابيع في كيبوتز « شوخال » .. على مسيرة خمسة عشر ميلا شمالي بير سبع ، على طريق تل ابيب- وهو أحد الكيبوتزات المائتين والثلاثين الموجودة في اسرائيل

وكان عدد سكان الكيبوتزات في سنة ١٩٤٨ لا يتجاوز ٢٥٫٠٠٠ نسمة ، اما الان ، فقد صعدوا الى اكثر من اربعة امثال هذا العدد ، وهم يمثلون حوالي ٣٫٠ في المائة من سكان اسرائيل

ويقدر الخبراء العسكريون العالميون عدد القتلى الاسرائيليين في حرب اكتوبر بما لا يقل عن عشرة الاف قتيل اكثرهم من سكان الكيبوتزات ، لانهم ينشأون تنشئة عسكرية ليكونوا زادا للحرب

ولهذا يقول المؤلف انه من أبرز عيوب الكيبوتز ، انه ينتج شبابا باهت الشخصية ، لان اسلوب الحياة والتربية والبيئة واحد يكاد يكون ملفقا للجميع

ويشكو الكيبوتز – كل كيبوتز – من قلة المساكن ، ومن نقص الايد العاملة ، الى حد ان سكانه يزرعون اشجار الزيتون والفاكهة ، ولا يجدون الايدي التي تجمع الثمار .. ويتساءلون : هل الافضل ان نستأجر الايدي العاملة لجمع الثمار من الخارج ، او ان نترك الثمار على اشجارها حتى يصيبها العطب ؟

واذا كان هذا التساؤل قد دار قبل الحرب (لان الكتاب صدر قبل الحرب) فما بالك به بعد الحرب ، وقد فقد سكان الكيبوتزات اكثر من عشرة الاف قتيل .. عدا الجرحى والمفقودين ؟

ويروى المؤلف ان اول كيبوتز انشيء في فلسطين سنة ١٩٠٩ ليأوي بعض اليهود الاوربيين الذين جاءوا الى هناك ليكونوا نواة للوطن القومي لليهود ، بغية تحويل اليهود في العالم من « بقالين » من الطبقة الوسطى ، الى مجتمع زراعي ، على

اســـــاس اشتراكي ، أي على أساس الزراعية الجمـــاعية والمشاركة في الارباح بالتساوى .

وتوالى انشـــاء الكيبوتزات في المناطق الصحراوية في أكثر الاحيان ، لتحويل أراضي فلسطين الجـــدية الى دولة زراعية تتسع لملايين اليهود في المستقبل

ثم نشــأت – الى جانب الزراعة – صناعات كثيرة في الكيبوتز ، أهمها صناعة البلاستيك والالكترونات

ويشير المؤلف الى أن حـرية المرأة قـد بلغت مداها منذ اقامة أول كيبوتز ، فهي حرة في جسدها تصنع به ما تشاء .. ولهذا كثر أولاد السفاح . على ان هذه ليست مشـكلة هناك ، لان الاطفال – من أولاد سفاح وغيرهم – يربون في بيوت خاصة ، بعيدة عن أهليهم ، تربية جماعية يأكلون فيها ويشربون ويلعبون ويتعلمون بلا رعاية من الاباء والامهات

فاذا لم يكن الولد ابن سفاح ، جـاز له أن يقضي مع أمه وأبيه ساعتين أو ثلاثا على الاكثر كل يوم

وهكذا تنعدم روح الاسرة في الكيبوتز .. وبالتالي تنعدم روح الاسرة الكبرى ، التي هي الشعب

إلى المكتبة العربية .. بكل تزكية

اطلعنا في أعداد « الهلال » للشهور القلائل الماضية على ما نشر حول شعر المرحوم محمد فضل اسماعيل والمرحوم عبد اللطيف النشار ، وعلمنـــا بأن للأخير ديوانا مخطوطا سبق له ايداعه بدار الكتب الا أن البحث لم يسفر عن العثور على هذا المخطوط رغم ما بذله جامع ديوانه الاستاذ أحمد مصطفى حافظ من جهد في هذا السبيل ، لان النشار لم يذكر رقم أو تاريخ ايداع مخطوطه وعنوانه .

وقـــد اتفق لي منذ أيام قلائـــل أن عثرت على قصيدة للشاعر المرحوم محمد فضل اسماعيل عنوانها (عيد الربيع) بجريدة الجهاد عدد يوم ٦ ابريل سنة ١٩٣٧ يستهلها بقوله

قم وارني عن عيـون العـاذل اللاحي
واجلس معي تحت ظـل الدوح يا صاح
هنـاك تسـمع تحت الدوح اغنيـــة
من عـــالم الروح لا من عـالم الراح

وهي قصيدة طويلة يبلغ عدد أبياتها سبعة وأربعين بيتا لم يسبق نظرها (بديوان فضل) من قبل ، تلفت نظر الاستاذ أحمد مصطفى حافظ للرجوع اليها ، وضمها لقصائد الجزء الثاني من ديوان فضل ، لانها من أجمل وأرق قصائده

وهناك قصيدة أخرى عثرت عليها للشاعر المذكور أيضا



احسان عبد القدوس

نظمها في موسيقار الجيل (عبد الوهاب) ولم يسبق نشرها من قبل و قال فيها:

للشوق لهيب يعرفه
قلب قد طال تلهفه
وحديث الشوق وقصته
سهد وعذاب يكلفه
وجوى كالنار اذا استعرت
وغوارب دمع تذرفه
وليال ليس لها أمد
ونهار لا تتكشفه
وحبيب لاه منصرف
ومحب طال تالفه
يطوي برديه على شبح
يضنيه الهجر ويتلفه
يشكو بلواه وليس له
في وحشته من ينصفه
رفقا يا ليل بمهجته
رفقا وابعث من يسعفه
بيد الأهوال تدحرجه
كرة والروعة تقذفه
فاذا رحمته مقادره
بيد اليأس تلقفه
لولا الفنان ورقته
وجمال الفن ومؤلفه
لقضى حرقا وقضى كمدا
لا يغني عنه تأسفه
والفن حياة باسمة
والفن رحاب تزخرفه
والفن رياض حالمة
بالورد تراه تقتطفه
نسمات الصبح تداعبه
والغصن يميل مهفهفه
والفن كتاب مستتر
ايمان القلب يؤلفه
أوحاه الحق فلا عجب
ان نخل النار محرفه
الفن جلال منبسط
ورياض الجنة زخرفه
(عبد الوهاب) تعهده
بجمال الذوق يصرفه
يرعاه بروح طاهرة
وبوادي النيل يشرفه



عبد الرحمن الشرقاوى

(عبدالوهاب) سموت بنا
للمجـــد ومثلك يالفه
علمت الغـــرب مكانتنا
والشرق بفنـــك يجرفه
تزهو باللحن وترسـله
سمع الدنيـــا بتخطفه

وختاما هل نطمع فى ان تقوموا بعهدكم بأن تكونوا (محامى) شعر النشـــار بالمجلس الاعلى بعد عودتكم اليه مع الزميلين الكريمين عبد الرحمن الشرقاوى واحسان عبد القدوس وفاء للاسكندرية وشاعرها الكبير ، بعد ان علمنا أن الاستاذ أحمد حافظ قد انتهى بالفعل من جمع ديوان النشار وتحقيقه وتبويبه

● صلاح الدين اسماعيل احمد ●

– لا احسب ان شعر النشار فى حاجة الى تزكية • ولاشك ان مجلس الفنون سيرحب بديوانه بمجرد ان يتلقاه ، ليقدمه الى المكتبة العربية بكل تزكية

قــــرأت هـــــذا الشـــهـــر

● جريدة القصر وجريدة العصر :

من أعظم الاعمال الادبية فى هذا الجيل ، احيـــاء التراث العربى الخالد الذى اسهم فيه كثير من أجهزة النشر فى الدول العربية

ومن ابرز هذه الاعمـــال كتاب « خريدة القصر وجريدة العصر » للمؤرخ الخالد عماد الدين الاصبهانى ، وسهر على شرحه وتحقيقه أستاذنا الاديب العراقى الكبير محمـــد بهجة الاثرى ، وأصدرته وزارة الاعلام العـــراقية فى مجموعة من المجلدات الفاخرة التى تثرى المكتبة العربية ايما اثراء

● من خوابى الزمن :

أحدث دواوين الشاعر المهجرى الكبير شكر الله الجـر ، الذى عاد الى وطنه الحبيب ، لبنان ، منذ سنوات ، مكرسا اعوامه الباقية الطويلة باذن الله لفنه الرفيع •• بل لفنيـــه الرفيعين ، لان شكر الله الجر ليس شاعرا شامخا وحسب ، ولكنه رسام شامخ ايضا • ولهذا حمل غلاف ديوانه لوحتين رائعتين « المناحة على ادونيس » و « على الشـــاطىء » •• وهما من نتاج ريشته الفنانة

الناشر : دار الثقافة بيروت

● ص • ج ●

الحبيب
شيبوب

شعراء تونسيون

.. ما كاد محمد السعيد الخلصي يبلغ العشرين من عمره ، حتى كان قد انهى تعليمه بمعهد ((كارنو)) وانضم الى النادي التونسي ذلك النادي الذي لم تكن مجالسه مقتصرة على المسامرات الادبية والمناقشات السياسية بل كانت مزيجا من هذا كله ، بالاضافة الى سهرات راقصة ، أوحت اليه بفاتن النظم ورائع القصيد .

محمد سعيد الخلصي

لم يكن شاعرنا الخلصي في انتاجه الاول ، يعبر عن تجاربه واحاسيسه ، وما تقع عليه عيناه .. بل كان المعرب الحاذق لروائع الشعر الغربي تعريبا جمع بين سحر البيان ، واكتمال المعاني ..

والحق أن محمد السعيد الخلصي، أضاف لأدبنا ثروة لا تقدر ، بعكوفه على تعريب (غادة الكاميليا) ونظائرها من روائع الرومانسيين . ولم يغض طرفه عما كتبه تونسيون بلغة غير عربية . فوشاه من بيانه البديع ، ونظمه الفاتن ، والبسه حلة زاهية جمعت بين رقة الغرب ولطف العرب

وهنا تجدر الاشارة الى قطعة مشتهرة في عالم الغناء بأنها من نظمه ، والواقع انه معربها لا غير وانما ناظمها محام تونسي ، معروف بشاعريته الفرنسية اللسان ...

وهذه هي القطعة التي ترنحت لها الاسماع ، ولا تزال ، اذ أتيح لها الظفر بلحن جميل منفنان تونسي الراحل المرحوم خميس ترنان . وأداء

محمد سعيد الخلصي

جيد من صداحة الشعراء المطربة (صليحة) :

يا زهرة · غضت وضاع اريجها
فقطفتهـا قرب المياه صباحا
والليل اذرف دمعه ، مترقرقـا
في كمهـا ، فبدا به وضـاحا
ما للنسيم يئن حزنا ، بعدما
القى عليـه من الحنان جناحا
بهواه ، لكن ساءه – يا زهرة –
الا يقبـل ثغره الفـواحا
لما درى ان الفـراق بلا لقـا
جعل الهبـوب على الفراق نواحا
يا ليت كلي ما جنته قساوة
آه لقد هيجـت لي الاتراحـا
تـذكـرتني تلك التي على نات
ومضت ، وابقت مدمعي سفاحا

ولننتقل الآن الى الحديث عن انتاج الخلصي في محاولاته الاولى ، لنترك كيف كانت بدايته متواضعة تتسم بالتقليد والمحاكاة · ، وكيف تم له بعد جلد واصطبار ، ان يصبح شاعر الوجدان والجمال ··

وكانت قصيدته الاولى عن (عهود الحسان) اذ اكتوى بنارهن – في ريق شبابه – وعتب بصدودهن · وذاق مرارة الاعراض والتجني ، فكابد ما كابد · حتى اذا لم يجد في قوس صبره منزعا ، وحرم لذيذ المنام ، انطوى على نفسه مردداً :

تذكرتني ، فانبت الطرف منتهبـا
حبة الحب في شغاف الجنان
واعلنت لي ثغرة بابتسـام
فاذا بالثنايا لؤلؤ الحسـان
هكذا الحب طالما يترتـبـه
في القلوب الورى لحاظ الغواني
انما القلب صفحة ابتهـا
كف حسناء او حروف الزمـان
آه ، ما اوجع الغرام فلاكـ
ـتمه يا خالقي على انسان
علمتني البكا وكانت خليـا
من شجون المتيم الولهان
وجفتني – وما جنيت – وما اشـ
ـكو محبا يجفى ، وليس بجـا
نٍ ليلي ونجلهـا في مطـول
يتراءى لجفني الوسنـان
لاحييه ثم ابقى علـى ما
فالتمس اللقاء في كل آن
خدعتني في يقظتي ومنامـي
هكذا هكذا (عهود الحسـان)

ولنتحدث الآن عن (حبيبته) الموحية له بوجدانياته الرقيقة · فقد شاءت الصدف ان يربط الحب في لقاء مفاجىء ، وسهرة عابرة · بين

قلب شاعرنا الرقاق ، وقلب مطربة لعوب لاتدين بدينه. اشتهرت في أعقاب الحرب العالمية الاولى بجمال الجسم، وحلاوة الصوت ، وبراعة الغناء . فتبادلا الغرام ، ونعما بالهوى فترة مرت كطيف الكرى . انصرم بعدها حبل مودتهما عندما ابت ان تكون له وحده . فتحامل على نفسه وانشد :

اليك عن الهوى يا قلب واسل
فما يلقى الغرام له محل
تذكر ما اصابك في هواها
تذلت . وقد عهدتك لا تذل
خسرت لاجلها جاها ومالا
واوشك ان يمس العقل خبل
وميلى في الغرام ضللت يوما

فكم من مغرمين سواى ضلوا
نعم . اني رضيت بكل هول
وقد تعززى خطب اجل

وكانت صدمة الفراق شديدة الوطأة عليه . فلم يحتملها ، وعقد العزم على الهجرة ، فسافر الى المغرب الاقصى الشقيق ، حيث وجد المجال فسيحا ليعرف بادبنا التونسى ويجلو صفحات منسية منه . الشيء الذى دفع بالاوساط المثقفة لاحتضانه ، واكباره ، وتقدير انتاجه الفنى الرفيع .

ومن هناك اخذ يراسل اشهر الصحف والمجلات وينشر فيها ما تجود به قريحته التى الهبها الحب وصهرها واثر مجلة « ابوللو » بقصيد « الشكوى » الذى يقول فيه :

شكوت الى الغابات مابى من الاسى
فاشفقت الغابات من شكواتى
فطارحتها ياسى . فمدت انينها
وصعدت الانفاس والزفرات
وبحت بوجدى للعيون ومائها
ففاضت عيون الماء بالعبرات
ونفست الاطيار . حتى بثثتها
همومى . فما عادت الى النغمات
بسطت شكاتى . والنجوم سواطع
فغابت نجوم الافق اثر شكاتى
نوى الروض لما بل تربه مدمعى
وقد كان قدما ناضر الزهرات
وناحت الازهار روحى جريحة
فضمدت الاجراح بالنفحات

***

فواعجبا . تحنو الطبيعة كلها
على . وتسلينى عن الحسرات
ويهفو عليلا في العشى نسيمها
فيمسح باقى الدمع فى وجناتى
وانت التى احملت دمعا . تريته
فيفتر منك الثغر عن بسمات

وعلى الرغم من غربته وملابسات حياته الجديدة فى (الدار البيضاء) فان السلوان لم يجد الى قلبه سبيلا . وظل المخلص الدنف الولهان بحبيبته الساحرة التى خلفها فى ربوع (الخضراء) ، تسكر الالباب وتعطر النوادى والسهرات بأريج سحرها ،

محمد
سعيد
الخلصي

وفتنة اغرائها الذى دفع مغرما بها فى ساعة جنون الى احراقها فى فراشها ، والقضاء على حياتها الغضة ...

وصعق شاعرنا لهول المفاجأة ، وهو الذى كان يحلم باستعادة لياليه السالفة ، فسكب مدرار دمعه على كوكبه الآفل مرددا :

عشت عيش الازهار فى الجنات

وتوليت فى ربيع الحياة

حلوة ، عيشة الزهور ، ولكن

لا يطول البقاء بالزهرات

ماالريب المنون يعبث بالحسـ

ـن ، ولم يرع حرمة الفاتنات ؟

فتكت كفه بوجه جميل

وعيون فواتر ساحرات

ولم ينس وهو فى غمرة حزنه القاتل ، استعراض ما كان لمالكة فؤاده من مكانة فى دنيا الفن ، وعالم الطرب قائلا :

يا هزارا اذا تغنى بصوت

جاوبته الاصوات بالآهات

واذا ما ضمت عوده للصد

ر سمعنا من عوده المعجزات

واذا ما تاثبت فى الليل (يا ليـ

ـل) رجونا البقاء فى الظلمات

كنت فجرا لـ (تونس ـ كلما كا

نت تباهى الاقوام بالمنشدات

ان تموتى ، فان ذكرك حى

خالد فى روائع النغمات

اذن صدم (الخلصى) فى حبه وحبيبه معا ، صدمة كانت تعبر به الى ضفة الحياة الاخرى ، لولا ان تنادى خلصاؤه للتخفيف عن بلوائه واقناعه بضرورة بناء عش زوجى يجد فى ظلاله السكون والدعة والبلسم الشافى لجرحه الدامى ، فنزل عند ارادتهم وحقق رغبتهم واقترن بحليلة مهذبة من اسرة مجد ويسار ...

وحسب الخلان ان السلوان بدأ يعرف طريقه الى قلب الشاعر المسيء الحظ ، وان الستار اسدل نهائيا على رواية غرامه التى لم تتم فصولها

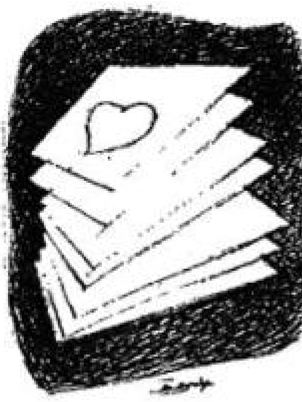
ولكن الواقع برهن على ان الخلصى وفى ، وان جرحه لم يندمل ، وانه بيت فى قرارة نفسه اخفاءه عن الانظار الى حين دفعا للوم اللائم ، وتساؤل الغريب .

وتعاوده الذكريات ليستجيب لهواتفها ، معبرا عن اهتزازاته

النفسية وخواطره القياضة ، ومصدرها حنينه لحبيبته الراحلة قائلا في حسرة للقتاع :

وتعتليني الذكرى لعهد فتوتي
ويالك من عهد يشيب النواصيا
طموح ، وآمال ، وحب وطفرة
وحزن ، والام فقدان المداويا
يصيب الهوى قلبا بريئا من الهوى
فيحتله قسرا ، ويلقى المراسيا
فلا تعذل المفتون أول مرة
دعته الغواني فاستجاب الدواعيا
وابقينه غرا ، بصير القياده
فصلن عليه امرات نواهيا
هنيئا لن خلفن الشباب ، وقاله
سليما ، ولم تركب يداه المخازيا
وودعه الحب الاثيم ، ولم يدع
بمهجته جرحا مدى العمر داميا

ولربما تتراقص في ذهنك تساؤلات



شتى عن حياة السعيد الزوجية ، وهل طبعت انتاجه بطابع خاص مغاير لما عرف عنه واشتهر به ؟ وهل ولقاه الاجل المحتوم بديار الهجرة أم في ربوع الخضراء التي احبها وغناها اعذب اناشيده ، واسمعها اشجى تراتيمه ؟ .

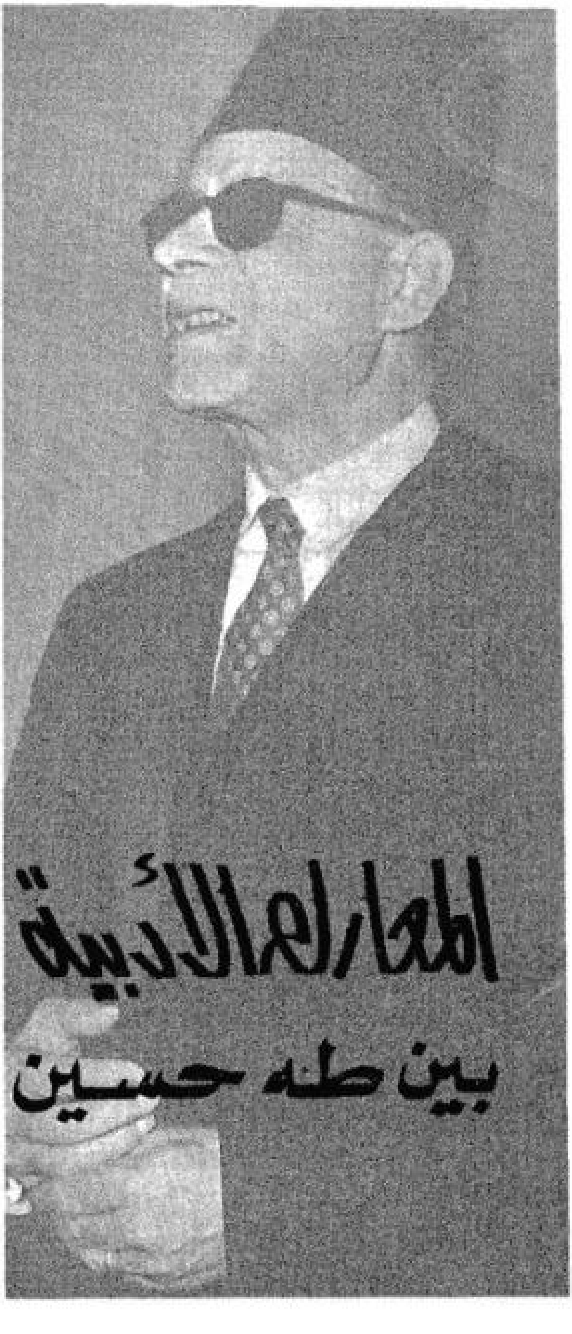
ومن يتحسس المعالم البارزة في آثار الخلصي ، يظفر بالاجابة المبددة لسحب التساؤلات الاتفة الذكر، ويعرف بأن حياته العاطفية لم تغير فتيلا من الملامح المميزة لتلك الاثار ، من يوم استجابته لدواعي نفسه ، وخوالج وجدانه ، اللهم الا مسحة جديدة من الاسى والذكريات ، واسبابها شرحناها ، وكشفنا الغطاء عن بواعثها الخفية ..

اما نهايته فكانت بتونس في ٢٣ ديسمبر ١٩٦٢ عن سن تناهز الخامسة والستين ....

هذه عجالة عن حياة وادب الشاعر التونسي محمد السعيد الخلصي ، الذي كان قصيدة رائعة تمشي على الارض ، لان جميع مظاهره ومخايله شعر في شعر ، اللهم الا عزوفه وانزواؤه عن المظاهر، فان اضعف نواحي السعيد الخلصي كانت تواضعه الادبي وبعده عن الاضواء .

● الحبيب شيبوب ●
● تونس ●

المعارك الأدبية بين طه حسين وكتاب



في خلال خمسين عاما كاملة ، بين عام ١٩١٧ وعام ١٩٦٧ ، دارت مساجلات ومعارك ادبية عديدة منوعة بين الدكتور طه حسين وبين كتاب العصر ، بعض هذه المعارك دار من جانب واحد هو جانب هؤلاء الكتاب ، ووقف منها طه حسين موقف الصمت ، وبعضها الاخر اشترك فيها وخاض معتركها .. وهناك معارك اخرى كان الدكتور طه هو الذي اثار غبارها . واذا احصينا المعارك وجدناها لا تقل عن عدد سنوات هذه الحياة الفكرية ، واذا راجعنا مادتها وجدناها تتصل بكل مواد الفكر والثقافة والادب والتراجم والتاريخ ..

● أنور الجندى ●

دارت المعارك مع العقاد ، والرافعى ، والمازنى ، وزكى مبارك ، وساطع الحصرى ، وهيكل ، واحمد امين . كما دارت مع

الغمراوى ، وشكيب ارسلان ، واحمد زكى باشا ، وشوقى ، ومنصور فهمى، ورفيق العظم . كما دارت مع اسماعيل

مظهر ، وسلامة موسى ، ومحمود محمد شاكر ، والدكتور غلاب ، وتوفيق الحكيم . ودارت على صفحات جريدة

السياسة ، والبلاغ ، والاهرام ، والجمهورية . ومجلات الرسالة والثقافة ، والعصور ، والفتح .

***

دارت بعض هذه المعارك حول كتب . وابرز الكتب التى دارت حولها المعارك :

فى الشعر الجاهلى ، مستقبل الثقافة ، مع المتنبى ، على هامش السيرة ، الفتنة الكبرى .

العصر

كما دارت حول موضوعات ، وابرزها فى نقد الادب ، ومنها ما دار حول مهمة المجمع اللغوى ، او مهمة كلية الاداب ، او التعليم او العلاقة بين العلم والدين ، ومن أبرزها معركة القومية العربية .

اما معارك السياسة فتلك لها مجالها ودراستها الخاصة عندما يعرض لطه حسين الصحفى . ومع ذلك فقد

اتصلت معارك الادب بالسياسة وتأثرت بها طردا وعكسا . واخذت من روحها واسلوبها وشماسها وهجائها .

***

وهناك لون من الوان هذه المساجلات يمكن ان يفصل فى البحث عن المعارك : تلك هى الرسائل التى كان يتبادلها طه حسين وهيكل حين يصدر كتاب لاحدهما ومنها الرسائل التى تبادلها

طه حسين مع توفيق الحكيم حول بعض مفاهيم الادب والوطنية والفن . وهذه مساجلات لا يبرز فيها طابع النقد اللاذع او الصراع أو الهجاء .

ومن الملاحظات الهامة ان هناك معارك دارت بين طه حسين وبين أصفى اصدقائه ، اذ وقع الخلاف فى

امر او اخر . منها معاركه مع صديق عمره (هيكل) ومع احمد أمين ومع توفيق الحكيم ..

وهناك معارك للدكتور طه حسين مع اساتذته الذين تلقى عليهم العلم فى الجامعة : من هؤلاء الشيخ المهدى ، واحمد زكى باشا ، ومحمد الخضرى .

واقسى المعارك ما دار بين طه حسين والرافعى من جهه ، وبين طه حسين وزكى مبارك من جهة اخرى .

اما العقاد فقد كان بين طه حسين وبينه شيء من الحذر والحيطة والتخوف ، ولذلك فقد كانت مناقشاتهما



المعارك الأدبية

تدور في جو من الهدوء ، ولكنها كانت تكشف عن اختلاف المدرستين : الفرنسية والانجليزية ومن أبرز امثلة ذلك معركة : لاتينيون وسكسونيون .

وتتسم معارك الدكتور زكي مبارك بشيء كثير من العنف ، وزكي مبارك واحد من تلاميذ طه حسين ، وقد عمل فترة ما سكرتيرا له ، وكان من نصرائه في معركة الشعر الجاهلي .

وتعد معركة الشعر الجاهلي أضخم المعارك الادبية في التاريخ الادبي الحديث كله، لانها استمرت على اعمدة الصحف اكثر من ثلاثة شهور متوالية ثم تجددت بعد ذلك مرات ومرات ، وكان موقف طه حسين فيها الصمت الكامل، فقد نصح بان يتوقف عن الكتابة حتى تمر الازمة . ولم يصدر في خلالها الا بيانا واحدا ذكر فيه انه يؤمن بالله وكتبه ورسله وملائكته واليوم الاخر .

اما المازني فقد كانت معاركه مع طه حسين ساخرة ولكنها تحرق وتلذع .

ولم تكن معارك طه حسين مع خصومه من رجال اليقظة الاسلامية وحدهم امثال الغمراوي وشكيب ارسلان والرافعي ومحمود محمد شاكر ورفيق العظم واحمد زكي باشا.

وانما كانت هناك معارك مع المدرسة الحديثة نفسها ومن نفس الداعين الى الفكرة الغربية ، امثال سلامة موسى واسماعيل مظهر ، وغلاب .

***

كان ساطع الحصري يساجل طه حسين حول العروبة والفرعونية او يعارض رأي طه حسين في المصرية الاقليمية ، وكان هيكل يعارض طه حسين في محاولته كتابة السيرة واحياء الأساطير واضافتها الى سيرة النبي بعد ان تحررت منها زمنا طويلا .

وكان احمد زكي باشا يعارض وجهة نظر طه حسين في القاء الشبهة على العرب في حرق مكتبة الاسكندرية .

وكان محمود محمد شاكر يعارض طه حسين في القول بان المتنبي لقيط وشاكر واحد من تلاميذ طه حسين في كلية الاداب ، وقد سبق طه حسين بعامين في اصدار دراسة عن المتنبي، وكان له مع طه حسين سجال حول نسب المتنبي ، ثم كانت رسالة طه حسين عن المتنبي وكان الخلاف .

اما المساجلة مع منصور فهمي فقد كانت حول مهمة مجمع اللغة ، وكان طه حسين يعارض ان تكون مهمة مجامع اللغة وضع المصطلحات ويرى ان هذه المصطلحات يضعها اصحاب الاختصاص في كل علم وفن ، ومهمة المجامع هي اقرارها ، وكان منصور فهمي يدافع عن عمل المجمع من واقعه الفعلي وذلك قبل ان يلتحق طه حسين بالمجمع عضوا ثم رئيسا ويقر ما ذهب اليه منصور فهمي .

والواقع ان طه حسين قد شارك في مختلف اوجه النشاط الادبي مع

مختلف ابناء عصره ولم يتخلف عن معركة واحدة ، سواء اكان مصدرها أم مشتركا فيها ·

نماذج من المعارك

● مع المازني ●

عندما اصدر (عزيز اباظة) ديوانه (أنات حائرة) كتب الدكتور طه حسين مقدمة للديوان ، فنشر المازني مقالا في البلاغ هاجم فيه هذه المقدمة وقال ان الدكتور طه قد خسره الادب ولم تربحه الحكومة ··· وقد اثارت هذه العبارة ثائرة الدكتور طه الذي وجه الى رئيس تحرير البلاغ خطابا ضمنه نوعا من النقد على اسلوب الرمز والايماء واعتذر عن ذلك بانه لا يتحدث الى القارىء بقدر ما يتحدث الى المازني نفسه قال :

« اراد الاستاذ المازني ان يثني على ديوان شاعرنا الكبير ، او صغيرنا الشاعر الاستاذ عزيز اباظة ، فلم يستطع ان يصل الى غرضه دون ان يقدم بين يدي مقاله برثاء لي واشفاق على لان الادب قد خسرني وان الحكومة لم تكسبني ، ولاني كتبت في تصوير هذا الديوان كلاما لا محصول وراءه ولا يعرف له راس من ذنب ·

« انا استاذنك في ان اشكر للاستاذ رثاءه لي واشفاقه على فذلك اقل ما ينتظر من اديب مثلي لا يكتب الا ما وراءه محصولا وما يتبين راسه من ذنبه ، واريد ان اؤكد اني اسف اشد الاسف لان الاستاذ عزيز اباظة لم يطلب اليه هو كتابة هذا التصدير ·· اذن لكان له المحصول كل المحصول ·· ولكان له راس كقمة الجبل وذنب كالذي خوف به المنجمون المعتصم حين هم بفتح عمورية ·

« واسف اشد الاسف لان الحكومة لم تكل الى الاستاذ عملي في وزارة المعارف وفي جامعة فاروق ، اذن لكسبته الحكومة والادب جميعا · والاستاذ المازني يعرف ان لابي العلاء قصة مع الشريف المرتضى واظنه ياذن لي في ان اسرق من هذه القصة شيئا ، فالسرقة في الادب مباحة ولا سيما حين تكون في العلن لا في السر ، وهي حينئذ اشبه بالسطو ، ولست اسرق من قصة ابي العلاء او لست اسطو منها الا بمقدار ، فانا ارجو ان يقرا الاستاذ سورة الفلق وان يقرا معلقة لبيد ، ومعلقة طرفة ، وعينية سويد بن ابي كاهل التي مطلعها :

بسطت رابعة الحبل لنا
فبسطنا الحبل منها ما اتسع

ورائية الاخطل التي مطلعها :

الا يا سلمي يا هند هند بني بدر
وان كان حيانا عدى اخر الدهر

ولامية القلبي التي مطلعها :

بقلبي شاء ليس هم ارتجالا
وعلي الصبر زمو لا الجمالا

المازني : معارك ساخرة تحرك وتلذع



د.هيكل : خلاف حول حياة محمد وهامش السيرة



« سيقول القراء انى الغز بهذا الكلام ولكنى اعتذر اليهم فانى لا اكتب لهم وانما اكتب للاستاذ المازنى ، وانا اسلك فى ذلك طريقة الاستاذ نفسه فمن الحقق انهم لم يفهموا عنه ما قال امس لانهم لم يقرأوا التصدير الذى لا محصول وراءه والذى لا رأس له ولا ذنب • ولان اكثرهم لن يقرأه لان الكتاب ليس معروضا للناس ، واحبب الى بأن استقيل وافرغ للادب ، ولكنى اود ان استيقن قبل ذلك بأن الحكومة ستضع الاستاذ المازنى مكانى لنرى ايكتب كلاما كالذى اكتبه ام يكتب كلاما خيرا منه ••• »

***

وجاء الدكتور زكى مبارك فالقى بدلوه فى المعركة ، ولكن من ناحية تفسير الغوامض وكشف الاسرار ، فقال :

« مناوشة عنيفة ثارت بين الدكتور طه والاستاذ المازنى على صفحات جريدة البلاغ ، وهى مناوشة تمثل التجنى والتظالم على اعنف ما يكون بغى الرجال على الرجال • وسنقف من هذه المناوشة موقف القاضى العادل •• فقد ساءنا ان يتعارض هذان الرجلان الظلم والعدوان بلا ترفق ولا استبقاء بعد ان ظلا صديقين حينا من الزمان ، واصل القصة ان عزيز اباظة مدير البحيرة اصدر مجموعة شعرية سماها (انات حائرة) مع تصدير بقلم الدكتور طه حسين • فلما بدا للاستاذ ابراهيم المازنى أن يتحدث عن هذه المجموعة بدا بالهجوم على صاحب التصدير ، فغضب الدكتور طه وكتب ردا اراد به دفع العدوان بما هو اقسى من العدوان •

ثم قال زكى مبارك انه سيفسر للقارىء هذه الرموز ولخص زكى مبارك كلمة المازنى فى اربعة عناصر :

ان الدكتور طه خسره الادب ولم تكسبه الحكومة • ومعنى هذا انه يتولى عملا لم يخلق له ، وان الدكتور طه يضيع نفسه فى مناصب تشغله وتستنفد جهده ووقته فاذا كتب جاء بكلام لا محصول من ورائه ولا يعرف له رأس من ذنب •

وان الافضل ان الدكتور طه يستقيل ويريح نفسه من العناء الباطل وهو عمله فى الحكومة ويتفرغ للادب •

وانه لا يمكن للدكتور طه أن يزود نفسه بالتحصيل أو يتفرغ للتجويد حين يكتب وهو مشغول ليله ونهاره باعمال كل واحد منها كاف للارهاق •

ونسارع فنذكر ان الاشارة الى سورة الفلق منصب على آية (ومن شر حاسد اذا حسد) ، وان الاشارة الى معلقة لبيد تتجه الى هذين البيتين :

فاقنع بما قسم المليك فانما
قسم الخلائق بيننا علامها
واذا الامانة قسمت فى معشر
اوفى باعظم حظنا قسامها

وانه يريد من معلقة (طرفه) هذين البيتين :

فلو كنت وغلا فى الرجال لضرنى •
عداوة ذى الاصحاب والمتوحد
ولكن نفى عنى الاعادى جراتى





الرافعي : سرقة
طويلة وضيقة

عليهم والقدامى وصدقى ومحتدى

اما عينية سويد فقد اشار الدكتور طه الى هذين البيتين :

رب من انضجت غيظا قلبه
قد تمنى لي موتا لم يطع
ويراني كالشجى في حلقه
عسرا مخرجه ما ينتزع

واراد من رائية الاخطل هذين البيتين :

تنق بلا شيء شيوخ محارب
وما خلتها كانت تريش ولا تبري
ضفادع في ظلماء ليل تجاوبت
فدل عليها صوتها حية البحر

ومن لامية المتنبي اراد هذين البيتين :

ارى المتشاعرين غروا بذمي
ومن ذا يحمد الداء العضالا
ومن يك ذا فم مر مريض
يجد مرا به الماء الزلالا

وما اردت تبليغ هذه التعاريض الى الاستاذ المازني ، وانما اردت منفعة القراء ، والشر يتسم بالخير في بعض الاحايين .

ومن غمزات الدكتور طه انه كان يستطيع ان يقول ان (يستعير) قصة ابي العلاء مع الشريف و (يستعير) هو القطعة المطلوبة في هذا الموقع ، ولكنه قال انه (يسرق) ليندد بالاستاذ المازني ولم يكتف بذلك بل جعل سرقته علنية وهي « حينئذ اشبه بالسطو) كما قال (١)

كما صور الاستاذ المازني بصورة (الحاسد) لمن كتب تصدير الديوان · كذلك صوره بصورة من يعجز عن عمل المستشار الفني لوزارة المعارف ويعجز عن ادارة جامعة فاروق · »

● مع العقاد ●

اتصل حبل المساجلة والنقد والعراك الادبي بين العقاد وطه حسين امدا طويلا ، ولكنه كان في كل الاحوال هينا لينا لم يصل الى ما عرف من عنف طه حسين او عنف العقاد في الخصومة ، مع من ساجلا من ادباء، ولعل ظروف السياسة هي التي حالت دون ذلك ·

ولما تحول طه حسين الى الوفد وكان العقاد كاتبه الاول ، اعلن في اول مناسبة مبايعة العقاد اميرا للشعر ، وجرت بينهما مجاملات كثيرة اهدى فيها طه كتاب (دعاء الكروان) الى العقاد صاحب ديوان (هدية الكروان)

يقول طه حسين : « لقد هاجمت العقاد في غير موطن من مواطن الخصومة : خاصمته في السياسة . وخاصمته في الادب ، وخاصمته في السياسة والادب ايضا ، ولكن هذه الخصومة لم تغض من مقدار العقاد في نفسي ·

(١) وكان الاستاذ المازني قد وجهت اليه بعض الاتهامات بالسرقة من كتاب القصة الاجانب



« وما اظن ان بين لدات العقاد واترابه من يقدره مثل ما اقدره انا واكبره ، ولا أعرف ان الخصومة بين العقاد وبيني قد انقطعت ، فمادام .. كلانا يكتب فالخصومة بيننا ممكنة ، ولكنا قوم نعرف كيف نختصم دون أن تفسد الخصومة رأى واحد منا في صاحبه »

وعندما اصدر العقاد كتابه مطالعات كتب طه حسين يقول :

« أن الاستاذ عباس العقاد من اصحاب الالوان السياسية الظاهرة ، وأى لون سياسي وأى ظهور - وهو سعدي مغرق في السعدية ،وهو كاتب من كتاب البلاغ

« فليطمئن خصومنا السياسيون وليطمئن اصدقاؤنا السياسيون أيضا، ليطمئن اصدقاؤنا واولئك ، فانا امقت المذهب السياسي للاستاذ العقاد مقتا شديدا وازدريه ازدراء لا حد له » – (وقد تحول طه حسين بعد قليل الى هذا المذهب السياسي)

وعندما اصدر العقاد كتابه عن المعرى ، كتب طه حسين يقول :

« ان الاستاذ العقاد اراد ان يرتحل بأبي العلاء بعد ان بعثه بعثا جديدا وأن يطوف به في اقطار الارض ، فلم يصنع شيئا ، وانما ارتحل به في طائفة من الكتب التي قرأها ، ذلك لان الاستاذ العقاد نفسه لم يرتحل ولم يطوف في اقطار الارض ، وانما ارتحل وهو مقيم وطوف وهو مستقر . فقد ملأ يديه ادبا وعلما وفلسفة ، ولكنه لم يرحل الى اوربا ولا أمريكا . »

ويقول العقاد في رده على طه حسين : « ما باله لا يرضى ان أجعل ابا العلاء يرى في باريس ما يراه السائحون ويقول فيها ما يقول أولئك السائحون ، انا ذهبت الى باريس بالخيال فأخذت اليها صاحبي بالخيال .. والدكتور طه ذهب الى باريس حسا وخيالا فأبى على صاحبه المزاملة وهتف به : الى اللقاء . »

وفي سنوات الحرب العالمية الثانية وكان قد تغير الوضع فقد دخل طه حسين الى حزب الوفد وكان العقاد قد خرج من حزب الوفد ، دعي العقاد الى كتابة مقال تحت عنوان (ادباؤنا على المشرحة) فلما تعرض للدكتور طه حسين قال :

« يأتي طه حسين الناقد بعد طه حسين المؤرخ ، وبعد طه حسين صاحب القصة ، لان المدار في النقد كله على مقاييس الشعر والبلاغة الشعرية ، وليس نصيب الدكتور طه في هذه المقاييس بأوفى نصيب »

وقد تصدى زكي مبارك للعقاد فقال : « هل يجوز لك أن تتهم الرجل في مفهومه للشعر وهو الذي اسبغ عليك امارة الشعر ؟ ! » ..

● مع اسماعيل مظهر ●

أما الاستاذ اسماعيل مظهر فقد كان له في معارك طه حسين جانب ظاهر وجانب خفي ، اما الخفي فهو تشجيع الرافعي على النقد . اما الظاهر فهو

اصطيـــاد اللاحظات السريعة دون الدخول فى المعارك الواسعة ، ومن ذلك تعليقـــه على ما نشرته جريدة السياسة ملخصا لمحاضرة القاها عن الحياة العربية وأثرها فى الشعر ايام بنى أمية وردت فيها العبارة الآتية : (أنه دارت بين اليمانيين والقيسيين معركة (مرجرات)

وقال اسماعيل مظهر فى تعليقه ان « مرجرات » هذه هى « مرج راهط » ولكن يبدو ان الدكتور طه نقلها من كتاب أجنبى وظن انها كلمة فارسية

وقال زكى مبارك معلقا : «مرجرات» كلمة لا يعرفها العـــرب وانما هى « مرج راهط » ، وعذر الدكتور طه انه قد ذهب الى حديقة المستشرقين بالليل ينهب تفاحة او تفاحتين فرآهم يقولون « مرجرات » فحسب انها كلمة فارسية !

● مع الدكتور هيكل ●

اما مع الدكتور هيكل صديق الصبا ورفيق الشباب فقد بدأ الخلاف حول حياة محمد لهيكل وعلى هامش السيرة لطه حسين .

قال هيكل : استميح طه العذر ان خالفته فى اتخاذ النبى وعصره مادة لادب الاسطورة ، واشار الى ما اتصل



العقاد : مناقشــة تمت فى جو من الهدوء

بسيرة النبى ساعة مولده وما روى عما حدث له من اسرائيليات روجت بعد النبى ، ثم قال : لهذا وما اليه يجب فى رأيى الا يتخذ مادة لادب الاسطورة ، وانما يتخذ من التاريخ واقاصيصه مادة لهذا الادب ما اندثر او ما هو فى حكم المندثر ، وما لا يترك صدقه أو كذبه فى حياة النفـــوس والعقائد اثرا ما ، والنبى وسيرته وعصره تتصل بحياة ملايين المسلمين جميعا ، بل هى فلذة من هذه الحياة ، ومن أعز فلذاتها عليها واكبرها أثرا فى توجيهها ، والله يعلم أكثر مما أعلم ان هذه الإسرائيليات انما اريد بها اقامة اساطير ميثولوجية اسلامية لافساد العقول والقلوب من ســـواد الشعب ولتشكيك المستنيرين ودفـــع الريبة الى نفوسهم فى شأن الاســلام ونبيه ، وقد كانت هذه غاية الاساطير التى وضعت عن الاديان الاخرى ، من اجل ذلك ارتفعت صيحة المصلحين الدينيين فى مختلف العصور لتطهير العقائد من هذه الاوهام .

ثم قال هيكل : من اجل ذلك اود ان يفصل طه فيما قد يكتب من بعد من فصول تجـــرى مجرى « على هامش السيرة » بين مايتصل بالعقائد وما لا يتصل بها .

وكان طه حسين قد هاجم هيكل من قبل حين كتب فى مقدمة حياة محمد عن دور المستشرقين فى تزييف سيرة الرسول وما كتبه هاملتون جب فى كتابه (وجهة الاسلام) فكتب طه حسين يقول : ان اشتغال هيكل المتصل بالسياسة قد اثر فى تصوره للاشياء وفى حكمه عليها ، ومن ذلك حملته على ما يكتبه جب وزملاؤه . ثم أزجى الدكتور طه لهؤلاء المستشرقين تحية وقال انهم لا يخلطون بحـــوثهم بالسياسة او الهوى ..

وقال هيكل : ان كان اشتغالى المتصل بالسياسة قد اثر فى تصورى للاشياء وفى حكمى عليها فانما كان اثره ان زادنى تقليبا للاشياء وامتحانا اياها وتعمقا فى بحث ما تنطوى عليه وما ترمى اليه ، وانا معك ان (جب) وامثاله لا يتخذون السياسة واهواءها مقياسا لدراساتهم الادبية ، ولكن دراساتهم هذه ودراسات الكثيرين منهم على الاقل يقصد بها اكثر الامر الى تنوير الساسة من اهل بلادهم واطلاعهم على عنصر من عناصر حيوية الشرق هو فى رأيهم وهو فى الواقع اجل هذه العناصر خطرا ، فاذا كانت الاهواء السياسية ليست هى التى توجه دراساتهم ، فدراساتهم يقصد بها فى اكثر الاحيان الى خدمة هذه السياسة وان قصد بها كذلك الى اغراض علمية بحتة

● مع احمد امين ●

اما الاستاذ احمد امين صديق طه حسين ومريده والقاضى الذى وجهه طه حسين الى دراسات الادب، فانه قد وقع مع استاذه وصديقه فى حلبة الصراع . وذلك حين جنح ذات يوم الى القول بان جماعة من الكتاب تسلحوا بالشجاعة ثم شعروا بانهم اصيبوا فى سمعتهم وكان الرأى العام قويا مسلحا فتغلب وانتقم . واصبحت له السلطة التامة وانهزم امامه فريق المفكرين الصرحاء هزيمة منكرة، فاضطروا الى التسليم وتعودوا المجاراة بدل المقاومة والمداراة مكان الصراحة ...

وظن طه حسين ان احمد امين انما يعنيه فكتب يقول : اخالفك اشد الخلاف وانكر عليك اعظم الانكار : ان ذلك الرأى يبعد كل البعد عن ان يصور الحق ، والثانى ان رأيه يمسنى . واؤكد لك انه يحفظنى كل الاحفاظ ويؤذينى كل الايذاء ، فهل من الحق ان هؤلاء الكتاب الذين تشير اليهم قد ادركهم الضعف والوهن فمالأوا الجمهور وصانعوا السلطان وآثروا العافية فى انفسهم واموالهم ومناصبهم ، ومتى كان هذا؟!

« لست فى حاجة الى ان اسميهم فانت تعرفهم كما يعرفهم الناس جميعا ، لقد مضينا جميعا الى حيث كان يجب ان نمضى فكنا السنة السياسة وسيوف القادة ، وكنتم تعجبون منا وتحمدونه لنا ، وكنتم تعومون على الشاطىء وتروننا ونحن نغالب الامواج .. أترى ان مواقفنا تلك كانت مواقف المنهزمين ؟ » .

وقال احمد امين : لعل من اسباب ضعف النقد : « السياسة ، قاتلها الله ، فقد تدخلت فنصرت الجمهور على القادة ، وعاونت الرأى العام على المفكرين . ثم ان السياسة دخلت فى الادب ولونته بلون السياسة ، ولم يستطع الناس التفرقة بين موازين الادب وموازين السياسة، فافسد ذلك الادب والنقد معا ...



المعارك الأدبية



توفيق الحكيم : خلاف زكي مبارك : المستمر تحت تأثير عوامل السياسة القوامس وكشف الأسرار

● مع توفيق الحكيم ●

كان طه حسين من بين من عرفوا بأهل الكهف من الكتاب ، ولكنه كان اقوى من كتب عنها معجبـــا بها ، فقال : « ان اهل الكهف حادث ذو خطر — لا اقـــول في الادب المصرى وحده — بل اقول فى الادب العربي كله . واقول هذا من غير تحفظ ولا احتياط »

ثم وقع الخلاف بين الرجلين تحت تأثير بعض عوامل السياسة والكبرياء الشخصى وكتب طه حسين نقده فى عنف تحت عنوان (الاديب الحائر)

وقد كشف عن خطاب من توفيق الحكيم اليه يقول فيه :

« اما نصـــيب قصصى من البقاء فلســـت اعتقد أن لناقد معاصر حق الجزم به ، وما بلغت من البساطة حق تصـــديق ناقد يتكلم في هذا ، فان الزمن وحده هو الكفيل بالحكم للأعمـــال بالبقاء ، فانا كما ترى لا اسمح لنفسي بقول مثل هذا الثناء ، كذلك لست اسمح لاحد أن يخاطبنى بلسان التشجيع ، فما انا في حاجة الى ذلك ، فاني منذ امد بعيد اعـــرف ماذا أصنع ولقد أنفقت الاعوام .

اراجع ما اكتب قبـــل ان انشر وانيع ، كما اني لست في حاجة الى أن يملى على ناقد قراءة بعينهـــا ، فاني من زمن طويل أعـــرف ماذا اقرأ . وما اخالك تجهـل انى قرأت في الفلسفة القديمة والحديثة وحدها ما لايقل عما قرأت انت .

« وما احســـبك كذلك تجهل انى اعرف الناس بما عندى من نقص ، واعلم الناس بما احتـــاج اليه من ادوات ، فارجو منك ان تصـــحح موقفى امام الناس والا تضطرنى الى ان اتولى ذلك بنفسى ... »

واجاب طه حسين يقول : «اما انه لا يســـمح لاحد ان يمله على ما يقرأ ، وانه قرأ فى الفلســـفة القديمة والحديثة مثل ما قرأت على الاقل — فانني احب ان يعلـــم ان ما قرأته لا يرضـــينى لنفسى ولا لغيرى ، واسأل الله أن يقينى واياه شر الغـــرور فهو مهلك للنفوس حقا وأما انه أعرف الناس بما ينقصـــه واعلم الناس بما يحتـــاج اليه من ادوات وانه لا يحتـــاج مع ذلك الى نقد ناقد — فهذا رأيه فى نفسه منذ الان وهو لا يشرفه ولا يرفع منزلته عند احد ، واحب ان يعلم توفيق انى لن ارد عليه بعد الآن ، ولن احفـــل به الا يوم يخرج لنا كتابا نقرؤه ، ويومئذ ساعلن رأيي في الكتاب سواء رضى توفيق ام سخط ! »

● مع سلامة موسى ●

ودارت المعركة بين ســـلامه موسى وطه حسين

فقد كتب طه حسين يقول : « ان الاستاذ سلامه موسى ليس من اصحاب الالوان السياســـية الظاهرة ، فقد يكون ســـعديا ، وقد يكون حرا



دستوريا ، وقد يكون وطنيا ، وقد يكون اتحاديا ، ولكنه على كل حال لا يملى رأيه السياسى أو لا يتكلف اعلانه ولا يتخذ لنفسه لونا ...

وهو من انصار الجديد ، وهو يعلم انى ارى رأيه واشاركه فيه دون تحفظ ولا احتيـــاط ، ولكن نصره الجديد قد اضــطره الى شىء من الاسراف ، كنت ولا زلت احب الا يتورط فيه الباحثون ، فهو مسرف فى ازدراء الادب العربى القديم ، والغض منه ، وقد افهم الا يكـون هذا الادب القديم ـ كما هو ملائما كله لذوقنا الحديث ، ولكن القدماء لم يضعوا ادبهم لنا وانما وضعــوه لانفسهم ...

« وهو مسرف ايضا حين يقول ان الادباء المصريين لم يكن لهم شأن فى حركة الاستقلال ، ولم يقودوا الامة فى هذه الحركة ، وانما قادتهم الامة بل قادهم الزعماء الى الاستقلال » .

وقد رد سلامة موسى فقال : لقد اتهمنى الدكتور طه حسين بالشعوبية أو كاد ، وكأنه نسى كفــاحى لاجل الشعب ، ضد فاروق الفاسـق ، هذا الفاروق الذى وقف الدكتور طه حسين نفســه فى حرم الجامعة وفى منبرها يخاطبه بالصــوت العالى بقوله : يا صـــاحب مصر ، ان ادب الملوك والامراء والباشــوات هو الذى يدعو اليه طه حسين .

● مع الرافعى ●

ان معركة طه حســين مع الرافعى طويلة ومديدة ، وقد اتصلت بكتاب الشعر الجاهلى ثم تنقلت فى مسائل متعددة وقضايا مختلفة ، ومن اطرف وقائعها مسالة « اتمام » الدكتور طه بامارة الشعر على العقاد .

قال طه حسين : ضعوا لواء الشعر فى يد العقـــاد وقولوا لــلادباء والشعراء : اسرعوا واستظلوا بهذا اللواء فقد رفعه لكم صاحبه

وقال الرافعى : ليس لدى الان نص كلام الدكتور طه حسين ولا انا اذكر الفاظه بحروفها ، ولكن الذى اذكره انى حين قراته لم ابحث بين الفاظه عن يقين المتكلم والقنــاعه وحججه وادلته . بل بحثت فيه عن سخرية طه بالعقاد وبالشــعراء جميعا فى اسلوب كاسلوب تلك المراة العربية فى قصتها المشهورة حين قالت لرجال قومها فى ابيات مشهورة :

وان انتمو لم تغضبوا بعد هذه
فكونوا نساء لا تغيب عن الكحل

غير ان طه فى ســخريته كالذى يقول : فان لم تثبتــوا ان فيكم من استطاع ان يخلف شوقى فاصــغروا واصــغروا حتى يكون العقـــاد هو اميركم .

بقى لنا ان نتساءل لماذا لم تأت الشهادة يوم كان الدكتور طه عميدا لــكلية الآداب وكان يومئذ حــرا لا يســتنزله الاكراه ، ولماذا جاءت الشهادة وهو يحترف الصــحافة ، وترى لو كان العقاد من الحزب الوطنى او من الاحرار الدستوريين او اتحاديا او شــعبيا ـ اتكون قولة طه يومئذ وهو فى انســلاخه الثانى والثلاثه وقديا ـ اتكون الا ردا سياسيا على

العقاد وشعره ، ونظرة سياسية من هذا الشعر وعقاده !؟ ...

● مع زكى مبارك ●

اما المعركة مع زكى مبارك فهى طويلةومديدة أيضا، ولقد بدأتبعد ان رفض الدكتور طه حسين رئيس قسم اللغة العربية فى كلية الآداب عام ١٩٣٥ تجديد عقد الدكتور زكى مبارك الاستاذ بالقسم والذى عين فى فترة غياب الدكتور طه ، فلما استشير الدكتور طه فى تجديد عقده : « لم استشر فى تعيينه فلا استشار فى تجديد عقده »

ومن هنا بدأت معركة من جانب الدكتور زكى مبارك الذى اخرجه استاذه من الجامعة بعد أن عمل معه سنوات طويلة وكان الرجل الوحيد الذى وقف الى جواره ودافع عنه أبان أزمة الشعر الجاهلى ، ويذود عنه بالرد على خصومه حيث امر الدكتور طه ان يصمت حتى تمر العاصفة .

ويرد زكى مبارك الازمة الى وقت أن صدر كتابه (النثر الفنى) فى أ١ثمانمائة صفحة من القطع الكبير وفيه معارضة لآراء الدكتور طه ، فلما سئل طه عنه قال :

« هو كتاب من الكتب الفه كاتب من الكتاب ! »

وقد بدأت المعركة وامتدت ووصل فيها زكى مبارك الى حد بعيد من العنف فلقد كتب ذات مرة يقول :

« لقد ظن طه حسين أنه قد أنتزع اللقمة من يد أطفالى ، فليعلم حضرته ان أطفالى لو جاعوا لشويت طه حسين وأطعمتهم لحمه ، ولكنهم لن يجوعوا ما دامت أرزاقهم بيد الله »

ولكن العنصر الجديد الذى دخل الى المعركة هو كلمة نشرها المازنى فى جريدة البلاغ بهذه المناسبة فقال : « انى أرى الدكتور طه قد خرج من زمرتنا معشر الادباء الاحرار ودخل فى زمرة الملقبين وذوى الجاه والسطوة والسلطان ، ولست اعنى انه اكتسب لقبا جديدا ، فما حدث له شىء من ذلك ، ولكنى اعنى انه محشور فى هذه الزمرة ،

« يعز على يا صاحبى أن أقول انك ما كنت ترجع الى الجامعة حتى حسبت نفسك على الدكتور زكى مبارك تلميذك القديم ، انت الآن من اصحاب السلطان الذين يملكون ان يقطعوا ارزاق العباد أو يصلوها ، أنما أنت رجل ينثنى وينحنى ويضرب اليد التى ترتفع باللقمة الى الفم فيطيرها ويوقعها فى التراب .

« وأنى لأحدث نفسى أحيانا بأنى لو كنت أقول الشعر فى هذه الأيام لرثيت طه حسين ، فانه يخيل الى انه قد مات طه حسين ، الذى عرفته واحببته واكبرته ، وجاء غيره الذى انكره »

***

ويطول الحديث حول معارك طه حسين مع ادباء عصره ، مما هو مفصل فى مواضعه فى الصحف وفى كتب المعارك الادبية والنقد المعاصر .

سلامة موسى : اتهم طه حسين بالشعوبية



قصة

الحارس

محمود البدوي



استقرت «مطروح» في البرد القارس من الشتاء في جو مشحون بالحرب في كل مكان. وكانت الأنوار مطفأة في المدينة، وفي الميناء، ولم تعد تظهر إلا ظلمتها... وبدت تغرق في الكهوف والأفراد ومسالك الليل.

وكانت الريح رطبة، والليل ساكنا، والرؤية واضحة إلى المدى البعيد. ورغم الاشتعال في المدينة، وفي الجيوب، لم تسمع صوت طلقة على الإطلاق.

وكان الناس يلوذون بمساكنهم العتيقة في هدوء. كان الحرب قد اشتعل منذ ثلاثة أيام. وبعد الفرحة كانت بادية على الوجوه، وفي نفوس الأفراد وحماسهم [illegible] الانتصار. وانطلقت

العشاق المتعانقون في العتمة.

[illegible]

وكنت قد أنزلت خشب النافذة عندما كان القطار واقفا في المحطة ، فلما تحرك خالفت التعليمات ورفعته .. لان الاظلام كان تاما في القطار كله .. ورأيت الا تختنق في هذا الظلام .. وأن ادخل قليلا من ضوء القمر من خلال الزجاج، لأرقب الاسيرة وأراها وتراني ..

وأخذت أتطلع في الضوء الطبيعي الى وجهها . وكانت قد شربت دموعها ، واستفاقت من الفزع الذي أعقب السقوط ، واطمأنت على حياتها ، وعلى وجودها معي كحارس لها .. فقد عاملتها بالحسنى من أول لحظة . ومنعت عنها سباب النساء ، ولعنة جنسها ، وغضب الجموع التي أحاطت بها ...

فان شخصا يسقط في المزارع ، وبين الفلاحين، بعد أن كان يحلق ليرميهم بقنابل الدمار له في نظرهم حكم واحد : الموت ...

ولقد نجيتها من الموت ... وبسرعة ، نقلناها من المركز الى القطار ، واصبحت مسئولا عنها وحدي حتى أصل بها



الى المكان المعين لنا . وحدث كل شيء بسرعة رهيبة حتى انني لم أسترد انفاسي . وكنت في أشد حالات التعب اذ لم أنم منذ يومين . وخشيت أن يغلبني النعاس فتهرب ، كنت في خوف موصول من حدوث ذلك . ولهذا لخلت النوم عيني جدا .. وشعرت بأني في حاجة شديدة الى فنجان من القهوة او الشاي ، ولكن ساءني أن القطار ليس به مقصف ثابت ولا متنقل ، كما نشاهد في القطارات الاخرى .

وكانت « لينا » بجانبي من الداخل وكنت أرى جانب جيدها، ورأسها المنحني المستدير قليلا الى النافذة، وتبدو صامتة وحزينة، ولا يبدو عليها التفكير فيما يدور بخلدي .

ولكن من الذي يستطيع أن يتبين من ملامح المرأة ما تبطن من خفايا نفسها ؟ ..

كانت ترتدي ثوبا أخضر من الكتان ، يبدو ضاغطا فوق ركبتيها وبروز صدرها .

ورجعت اليها أنوثتها، فأخذت تسوي شعرها ، وتصلح من ردائها العسكري .. فعندما هوت وجرت لنا طاردها الفلاحون ، تعثرت وسقطت على الارض بين الزراعات المروية ، فاتسخت حلتها وعلق بها التراب والطين .. فخلعت سترتها وأخذت تنظفها . وبدا لحمها من تحت القميص الاخضر متسخا كان به آثار جرح .

فسألتها :

ـ هل بجسدك رضوض ؟

ـ أبدا ... التوت قدمي قليلا وأنا ساقطة!

ـ ستعالج هذا عندما نصل ...

ـ نصل الى أين ؟ .

ـ نصل الى مدينة جميلة .. وستجدين رفاقك في انتظارك!

وبدا عليها السهوم ، ولعلها تذكرت ما فعلوه بالاسرى المصريين فى الحرب الماضية .. وسالتها :

ـ اى مدينة فى مصر كنت تودين تدميرها ؟

فشحب وجهها :

ـ لم نخرج لندمر .. كانت طائرتنا استطلاعية

ـ لماذا سقطت ؟ ..

ـ اصيبت بقذيفة ..

ـ هل ولدت فى اسرائيل ؟ .

ـ ولدت فى رومانيا

ـ شاهدت فى مجلة اجنبية منذ اسبوع فقط صورة لاسرة رومانية تجلس فى حديقة بين الورود ، والرياحين ، اسرة وديعة مسالمة .. فلماذا تختلفون انتم عن جميع اجناس البشر وتريدون تخريب العالم ؟

ـ لقد قلت ان الطائرة استطلاعية وانا لم اسبب الضرر لاحد ...

ـ بعد طائرة الاستطلاع . تاتى طائرة القنابل ! ...

ـ انها الحرب ...

ـ اجل انها الحرب ، ولا سلام فى هذه الارض ما دمتم على ظهرها . هذا هو رايى ! ...

***

كان الحرز الذى وضعنا فيه اشياءها لا يزال بجانبى فالصقته بالسند واتكات عليه ..

وابتعدت عنها حتى اصبحت قريبا من باب الديوان لافسح لها مكانا لتنام ..

وقلت لها :

ـ نامى ساعة او ساعتين فالرحلة طويلة .

ـ انى جائعة .. ولا استطيع النوم وانا جائعة !

ورايت ان اشترى لها طعاما فى المحطة التالية .. او فى « ديروط » .

واخذ هواء الليل يترطب . ومع سرعة القطار ، اشتد مرور الهواء فبدات الاتربة تتطاير فى وجهينا كلما دخلنا فى المحطات الصغيرة، فاغلقت زجاج النافذة ...

اقتربنا من «القوصية» .. وفكرت ان اجد فيها طعاما .. واشتريت الطعام الذى يكفينا .. ولما تحرك القطار سالتنى وهى تاكل :

ـ من الذى علمك العبرية ... بهذه الطلاقة ؟ .

ـ كنت اسكن فى حارة عندنا اسمها حارة اليهود !

وافترت شفتاها عن ابتسامة باهتة ...

ولاول مرة ارى ابتسامة على وجهها ..

ـ ولهذا وقع عليك الاختيار لترافقنى ؟

ـ اجل . وقد كان هذا من سوء حظى ! ..

ـ لماذا ... اننى لم اسبب لك اية متاعب ؟!

ـ لقد طلبونى على عجل وانا مريض . ولم انق للنوم طعما منذ يومين . وقد اكون محموما ...

ـ لماذا لا تستريح الان وتاخذ كفايتك من النوم ؟ .

ورفعت بصرى اليها مبتسما ولم اعقب ...

وتكورت هى بجانبى بعد أن تمشت واضعة رجليها تحت فخذيها ، واغمضت عينيها . وان كنت على يقين بانهـا تنام باحدى عينيها فقط وتظل الثانية مفتوحة !

وفى محطة « بيروط » ناولتها زجاجة من العصير ، وكنت أود أن اشرب القهوة ، ولكنى لم اجدها فى داخـل المحطة .

وكان السكون شاملا، والظلام تاما . وحالة الحرب بادية هنـا بالدرجة القصـوى ، وكانت ترعة الإبراهيمية على شمالنا ، تبدو مياهها هادئة . وعلى الافق الغربى كان القمر يلتهب ويميل الى الزوال .. وكان لـون اخضر يضرب الى السـواد يغطى المزارع ، اما البيئة فكانت محتجبة فى الظلمة وساكنة ...

وساعدنا السـكون الشامل على ان نسمع صوت الراديو ، وكان يذيع انتصارات الجيش المصرى على طول جبهة سيناء .

وقرأت « لينـا » الانتصـار على وجهى فامتعضت وبدا عليهـا الذبول . لقد انطلـق الراديو مشاعر كانت فى عداء صريح مع عقلهـا وتفكيرها » .

كانت تتوقع انتصـار جيشهم ، ولم تكن تتوقع هزيمة كهذه ابدا ... واصيبت بخيبة امل مرة ... وغدت سحنتهـا مخيفة ضاعت منها كـل علائم الانثى .. وخفضت راسها وراحت تنظر الى ارضية العـربة .. وجعلنى هذا اراقبهـا بحذر ، ولا تغفل عيناى عنها لحظة .

وخطر لى ذهنى خاطر .. ان احدا من رجـال الامن لم يفتشـها فى المركز ، واسـتدعى لتفتيشـها مدرسة فى المنطقة . فتشـتها فى غرفة مغلقة .. ولـكن هل فتشتها هذه الدرجة كما يجب ؟

ونظرت اليهـا وكانت



لا تزال متجهمة وقلت بهدوء :

ــ قفى .

ــ لماذا ؟

ــ اريد تفتيشك ...

وارتعش بدنها ...

ــ لقد فتشت فى المركز .. والاشياء كلها معـك فى الحرز .

ــ ولكنى سافتشـك مرة أخرى ...

ــ تفضل ...

ووقفت وفتشتها بدقة متناهية ، وهى تنظر الى بدلال ...

وعجبت ، وأنا أضع يدى على لحمها ، من كونى لم اشـعر باية عاطفة نحوها ... وهى رشيقة الجسم وتعـد جميلة فى النساء ... كانت تقاطيع جسدها بارزة من خلال القماش الكتانى المشدود. وكانت يداى تتحـركان على تمثال من الشمع الجامد .. وربما كانت تتصور اننى اتلذذ من هـذه الحركة لاننى فتشـت الجيوب وقلبتها . ولمست صدرها وفخذيها تحت القميص وفوقه . ربمـا كانت تتصـور ان فى الامر متعة لانها طالت .. ولكن احساسى كرجل

كان يغطيه دخان الحروب ويقلقه .

وكنت جامدا ، واى ضعف من جانبى، معناه ضياعى كرجل ...

وكانت هذه اللحظة هى سلاحها الوحيد الذى تحمله ضدى ، فلما رأت جمودى ... حولت سحنتها فجأة من دلال الانثى الناعم الى سحنة نمرة !

وعادت وقد غلب عليها الارتباك والهزيمة معا فجلست ثم تكورت فى مكانها .. وبعد منتصف الليل وفى الساعات التى اعتاد أن ينام فيها الناس بقيت مستيقظا ، وفى أشد حالات الانتباه واليقظة. وأصبحت أغالب النوم بصعوبة بالغة .. فقد كنت فى أشد حالات التعب والارهاق البدنى وأفتح عينى بصعوبة . وأحدق بجانبى دائما . وأظل جالسا فى خط مستقيم .. لانى اذا اضطجعت الى الوراء سيغلبنى النعاس ، كان شعورى بالمسئولية الضخمة مضاعفا . ورغم الجهد النفسى الذى بذلته .. كان النعاس يغلبنى على فترات قصيرة جدا وأنا جالس وكنت أفتح عينى بقسوة بعد كل غفوة . وأتلفت فأراها فى مكانها ، فأطمئن ...

ولكنى أعود للنوم ، وأحلم بأنها نزلت من القطار .. وتخطفت القضبان وهربت . وقدمت للمحاكمة وحكم على بالسجن ..

ويحدث كل هذا سريعا . ولكن بوضوح ... فى شريط الرؤية الذى يدور .. وصرخت . وفتحت عينى فوجدتها واقفة ، تتطلع الى النافذة . .

وقالت بلهجة حزينة ، لما وجدتنى أرفع رأسى .

ــ أريد أن أذهب الى دورة المياه ...

وفتحت باب الديوان، ودفعتها أمامى . الى الخلف فى الضوء الشاحب والقطار يجرى .. وكانت دورة المياه ملاصقة لنا تماما . فلم تتحرك أكثر من خطوتين فى هذا الظلام .

وفتحت لها الباب ودخلت ، وقلت لها بصوت آمر : .

ــ دعى الباب نصف مفتوح ...

فلم ترد ، وتركت الباب نصف مفتوح .. ووقفت نصف دقيقة فى الظلام ، أصارع رغبات لا قبل لمثلى بها .. ثم حركت الاكرة وأغلقت عليها الباب ..

ووقفت الشبح عرقا ... ربما انتحرت أو ألقت بنفسها من النافذة فماذا يكون مصيرى ؟ وطال مكوثها بالداخل ، وأنا فى الخارج فى صراع ورعب . ثم خرجت فوجدتنى على الباب فحدقت فى وجهى فى الظلام . ثم مضت لا تلوى على شىء ... وجلست فى مكانها وقد مدت ساقيها والصقت ظهرها بالكنبة .. وتفرست فى وجهها الحزين وكل كيانها المرتجف . كانت خائرة القوى .. تخاف من المجهول ، بعد أن ضاعت الاحلام ، وأصبحت تواجه الحقيقة المرة..؟

واسترخيت مثلها . وأحسست دون أن أنظر من نافذة القطار ، اننا تجاوزنا محطة المنيا .. وسمالوط .. وبنى مزار .. واننا نقترب من ، مغاغة ، فأنا أعرف جو هذه المحطات دون أن أقرأ أسماءها ، من كثرة أسفارى .. وتوقف القطار على محطة صغيرة

وطال وقوفه • وكان الظلام يغطى كل ماحولنا •• والسكون شاملا ، ونباح الكلاب هو الشيء الوحيد فى هذه البقعة الذى يدل على وجود الحياة •

***

واحسست بالقطار وهو يسير •• وملت عليها فوجدت جلستها غير مريحة فعدلت وضع رجليها • وكانت مستغرقة فى النوم ، والقيت بجسمى الى الوراء • واصبح دوى العجلات الرتيب كانه نغم الاحلام •• ولا ادرى انمت أم كنت صاحيا •• فان الفترة فى تقديرى لم تكن تتجاوز دقيقة واحدة • فقد فتحت عينى على حركة وقوف القطار فلم اجدها فى مكانها ، وارتعدت وقد مسنى فجأة حالة رعب قاتل •• ولكنى لم افقد عقلى • وتحسست بيدى الحرز فالفيته فى مكانه فتناولته بسرعة ، واندفعت من البابوكانت هى قد تركته مفتوحا خشية أن حركة اغلاقه ستوقظنى ••

وفى المحطة الصغيرة لمحتها وهى تجرى وتتخطى القضبان مسرعة فى اتجاه المزارع ••

واخذت اجرى وراءها •• وقد تركز العالم كله فى بصرى على ردائها العسكرى •• كانت تجرى باقصى سرعتها ، فى طريق زراعى مترب بجانب زراعات للبرسيم والخضر • وفهمت قصدها فقد لمحت حقل ذرة ، وكان فى نظرها نعم المكان للاختفاء •

وجرت واندفعت الى الحقل ، وغابت عن بصرى ، واخفاها الحقل والظلام معا ! •••

ويصعب على ان أصف احساساتى فى تلك اللحظة ، فالشعور الذى انتابنى اذ ذاك لا يمكن وصفه • لا يمكن تسميته بالخوف ، ولا بالقلق ، ولا بالعار على ضابط مصرى هربت منه فتاة اسرائيلية ، هربت منه اسيرة وهو مسلح وهى عزلاء •• لابد انها اسرته بمفاتنها فى الليل والظلام والوحدة فضعف واستسلم لها، واستجاب لرغبتها •• واطلقها تعيث فى الارض فسادا •• اطلق جاسوسة تتجسس فى البلاد ، ونحن فى حالة حرب •

والمحاكمة العسكرية •• والسجن ، والعار•• دارت كل هذه الخواطر فى رأسى وانا اقف على راس الغيط • مسمرا ملتاعا •• واجهت ظاهرة غريبة ، واصبح الزمان والمكان، لاوجود لهما بالنسبة لى ••

كان معى جهاز ارسال لاسلكى ، ولكننى لم استعمله ، ولم اطلب الاستغاثة ولا النجدة ، خشية الفضيحة ••

ووقفت وحدى ، كانما انا فى الدنيا باجمعها الذى يواجه وحده تحدى القدر ••

ودخلت الحقل اتخطى « الحوض » والمجراة•• الى أين تمضى هذه الملعونة فى العتمة ؟ ؟

ولم اوغل كثيرا •• ورفعت المسدس واطلقت ثلاث طلقات الى اعلى، وطلقة الى مستوى رأسى



وسمعت بعد هذا صرخة صوتها وهى تطلب منى بالعبرية أن اكف عن اطلاق النار .

ووجدتها منبطحة على بطنها فى قناة جافة ، واضعة ذراعيها ويديها حول راسها ..

واوثقت يديها من الخلف .. وخرجت بها

كان القمر قد غاب منذ قليل وراء اشجار النخيل العالية . وباتت القرية غارقة فى عتمة رمادية شهباء . وليس غير رءوس الاشجار بادية فى الظلمة ..

ونسيت القطار .. وخيل الى انه قد مر على مجيئى الى هذا المكان دهر كامل !

وتطلعت الى النجوم ، وهى تسير امامى . وتخطينا مرتفعات السباخ التى تجاوز الحقول واصبحنا نسير فى حذاء الترعة الى المحطة .

***

كانت نحيلة بادية الطول ، شاحبة اللون ، تمشى بخطوات مترنحة من فرط التعب ..

وراسها الصغير يتمايل على عنق طويل يغطيه من الخلف شعر أشقر مرسل قد تلطخ من عثاء الطريق . وعيناها تحدقان فى وجهى دوما بنظرة فائضة بالحقد .

وفى المحطة الصغيرة فككت وثاقها . وانفجرت تعول بالبكاء . وقد تكورت ووضعت ذراعيها حول فخذيها . وتطلعت بعينيها الى القضبان فى حزن واستسلام ..

ولقد ادركت بجلاء ، وانا أحدق فى هذا الكائن ، أن هناك من يمتص الحياة من هذا الجسد البشرى .

اخذت اتفرس فى ملامحها دون حركة ، وانا واقع تحت وطأة المشاعر التى كانت تفيض بها نفسى .. وادركت فى تلك اللحظة الكثير مما تفعله اسرائيل برجالها ونسائها ، فهذه التى ولدت لتكون زوجة أو مدرسة او طبيبة أو عاملة نافعة لجنسها ، قد حولها الى شيطانة للدمار .

كانت المشاهد التى حولى كلها ساكنة .. القرية ، والمحطة ، والبساتين المزهرة .. وكنت ارى قلوع المراكب فى النهر تبدو واشرعتها من بعيد فى الظلمة كالاعلام ، وتسير فى طريقها فى سلام دون احساس بالحرب .

اما الترعة عن يسارى فكانت ساكنة تماما . فلا حركة فيها تدل على الحياة ..

وفى الجهة الامامية من المحطة الصغيرة ، يجلس الغضب والحب يتصارعان .. حب الحياة وغضب الثأر ..

ورأيت فى وجهها اطفال مدرسة بحر البقر .. وعمال ابى زعبل .. وضحايا الطائرة المدنية .. وسكان بورسعيد ، والاسماعيلية ، والسويس الآمنين فى بيوتهم ، كل هؤلاء كانوا مدنيين عزلا .. لم يطلقوا رصاصة ، ولم يصوبوا مدفعا فى صدر أحد ..

كانوا يعيشون فى سلام للحياة .

فقصفوا اعمارهم بقنابل الدمار .. ان الحقد يعشش ويبيض فى قلوبهم .

كانت امامى بكل حقدها وما فى نفسها من خساسة . ولكن ماذا افعل وانا الرجل المسلح امام امراة قد جردتها من السلاح ..

وسمعت صفير القطار من بعيد .. واخذت استعد لجولة أخرى معها فى هذا الليل الساكن .

د. عبده بدوي

موشح للعودة

رفرفَ القلبُ وَرَقَّ الشَّرَكا
ثم هزَّ الشوق نحو الشفقِ

طالما قد مال نحوي واشتكى
ماله يجتاح صَدْرَ الأفقِ

ثم دارتْ حوله كلُّ النجومْ
وتمطتْ عن روابيه الغيومْ
والأغاني، والصبايا، والرسومْ
قد غدَتْ في أفقه ألحانًا تحومْ

إنْ أكن عشتُ الدُّنا في قلق
وتمشى من أجفاني البُكا
فالذي يَبْقيه مني رَمَقي
سوفَ أبقيه عزيزًا مَلِكا

***

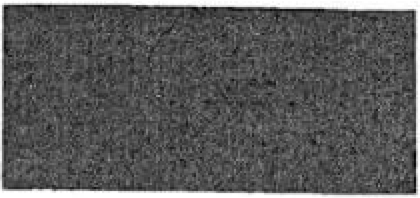
يا صديقي في فؤادي جَنَّتي
والجرارُ الخُضر، والوردُ الأنيق
كلُّ شيءٍ ماثِلٌ في حَضْرتي
فاقطفْ الحكمةَ، وارقص في الحريق

فأنا أُثمِرُ في كلِّ الفصــول
وأُغنّي لحيــاةٍ لن تــزولْ
كل من أبصرني عنــد الوُصول
يتَوارى .. ثم يطويه الذهــول
الصَبا هبّتْ لأبنـاء الطـريق
والسـمواتِ تحَاذي جَبْهتي
أيّهـا الحادي الى وادي العَقيقْ
ليسَ في الأكوان الا جَنّتي

***

يا أهيْل الحيّ قدْ وافى الغريبْ
ورياح الشـوق تخطــو قبْله
فتَلقّوه بإنشــاد ، وطيـبْ
واضربوا الدفّ، ودورُوا حوْلهُ
هو قد تاه طــويلاً في الزّمانْ
وغدا نجماً ، وبسـتان حنـانْ
فلقد كان لأهل العشــقِ حانْ
ولأهــل الله قد كان الأذانْ !
ها هو الفجـر الذي غنّى لهُ
يحمِلُ البُشرَى الى وَجه الحبيب
أنزلوا يا قوم عنْه حِملــه
فهو بعْد اليومِ عنْكم لن يغيبْ





أنيس و أنيسة

قضى « انيس » عدة شهور في « الاقصر » حيث يعمل مفتشا للآثار ، ولم يكن يظن انه سيقع بين براثن الوحشة الناشئة من الوحدة بهذه المدينة .. نعم لقد ذهب الى القاهرة وحيدا غريبا لاول مرة عقب حادث وقع له في البلد الذي نشأ به وعاش فيه طفولته وصدر شبابه، وهو « اسيوط » ولكن المشاغل التي استغرقته بالقاهرة لم تدع للوحدة سبيلا الى الملل والتفكير الطويل في الموقف الذي وجد نفسه فيه بعد ذلك الحادث .

قصة

عباس خضر

في خلال السنوات الثلاث التي قضاها بالقاهرة شغل عن ازمته النفسية بكفاح متصل ، لا في سبيل اتمام الدراسة الجامعية فقط ، بل كذلك في سبيل العيش . كان عليه أن يزاول عملا يعيش منه حتى يتم دراسته في قسم الآثار بكلية الآداب ، زاول اعمالا مختلفة ، كاعطاء دروس خصوصية لتلاميذ صغار ، وبيع الصحف والمجلات في اثناء العطلات . وتورط مرة في عمل لم يكرره ، اذ اغراه تاجر يستجلب بضائع مهربة من الرسوم الجمركية ، بالسفر الى بيروت لكي يعود ببعض الحقائب المليئة بهذه البضائع



مقابل مبلغ من المال ومصاريف السفر . واستجاب لهذا الاغراء بدافع الحاجة والرغبة في السياحة ، ولكنه بعد المرة الاولى والوحيدة شعر بأن هذا عمل لا ينبغي له ان يعود اليه

شغله كل ذلك كما شغلته دراسته الجامعية عن ازمته تلك ، حتى اذا جاء الى الاقصر ووقع بها في فراغ ، هاجمته الافكار والقلاقل النفسية . واشد ما كان يعذبه انه لا يستطيع أن يتحدث بسره الى احد ... هل يقول : لا اب لي ولا ام ، اولا اعرف لي ابا او اما ـ فيقال : ابن حرام ؟ ! هذا أول ما يتبادر الى الاذهان في مثل هذه الحال ، وقد يكون الامر غير هذا ، ولكن ماذا يهم ؟ النتيجة ان الوالدين تخليا عنه وليدا لاى سبب من الاسباب ، ولعلهما ماتا وهو صغير ، فأودع ملجأ الايتام . فليكن اى شيء من هذا او ذاك . لقد علمته الحياة او السنوات الثلاث من حياته التى قضاها في القاهرة ان يكون عمليا ، لا يتعلق بالأوهام ، يواجه الامور كما هي ، لا يخدع نفسه بما كان ..

وبهذه الروح العملية اتجه تفكيره بعمق الى الاسرة التى نشأ فيها بأسيوط ، ووجد نفسه ـ من اول ما وعى ـ بينها ، يقول لعائلها بابا ، ولربتها : ماما واخته .. انيسة .. ما اعظم شوقه اليها ! .. كانت هي السبب ، ولكن لا بأس .

وعاودته ذكرياته بأسيوط وهو يتلقى نبأ رحلة يقوم بها طلبة وطالبات من جامعة اسيوط لمشاهدة الاثار بالاقصر ، . وعليه ـ بحكم وظيفته ـ ان يعد لها ما يلزم ، وأن يستقبلها في محطة السكة الحديدية ويرافقها في تنقلاتها بين الاثار .

وتراءت له صورة ما حدث ...



كانا يظنانه نائما هو و « اخته » فى حجرتهما المتصلة بالصالة التى جلس فيها « الابوان » يتحدثان . وياله من حديث !

قال الرجل لزوجته وقد فرغ من صلاة الفجر :

– اننى غير مستريح لوجودهما فى غرفة واحدة ، لقد كبرا ..

– انهما اخوان .

– ولكن الحقيقة غير ذلك .

– الم نتخذ « انيس » ولدا لنا ؟

– نعم هو ولدنا كما اعتبرناه وكما يعتقد هو .. ولكن امام الله ليس الامر كذلك انه « غريب » عن انيسة ..

سكتت المرأة حائرة ، وتابع الرجل كلامه :

– انها تحل له ... اعنى يصح ان يتزوجها .

– يتزوج اخته !

قال فى شبه حدة وبصوت خرق قلب انيس :

– الم اقل لك انه غريب وانها ليست اخته ؟

***

ليس يدرى لماذا يشعر باهتمام خاص نحو الرحلة القادمة من اسيوط ، الا انها اتية من البلد الذى نشأ فيه وتركه به احبابه : الرجل الذى لم يعرف ابا غيره .. والمرأة التى لم يعرف اما غيرها .. و «انيسة» .. كيف هي يا ترى الان ؟ لقد احبها كأخت وهو لا يدرى أنها ليست اخته . ثم سأل نفسه : ما الفرق ؟ ما الفرق بين ان تكون اختى من ابي وامي وان تكون اختى لأنى رأيتها اختى .. ؟

لم يشعر نحوها بأى احساس اخر غير انها اخته . والان قد تبينت له الحقيقة . الا يشعر نحوها بشعور اخر ؟ . ربما .

وخطر له وضع شبيه وان كان على العكس : « حتشبسوت » واخوها « تحتمس » لقد تزوجا . كانا اخوين حقيقة وتزوجا طبقا لعادة قدماء المصريين . المسألة اذن عادة تتكيف بحسبها المشاعر .

لو انه لم يسمع ذلك الحديث ، ولو ان « الاب » استبعد من فكره ان ابنته الحقيقية تعيش وتنام فى حجرة واحدة مع شاب « غريب » ، لو كان ذلك لظل هو اخا وظلت هى اختا ، ولا شيء غير ذلك .

ولو كان ذلك لما اصبح هكذا مقطوعا من شجرة ..

***

– من ؟ اخي انيس ؟! قالت الفتاة ذلك وقد برزت من بين زميلاتها الطلبة والطالبات على

رصيف محطة الاقصر ، ولولا الحياء لاخذته بالحضن وقبلته ٠

واخذه الذهول هنيهة، ثم استرجع انتباهه وتناول حقيبتها في صمت رسارا ٠٠٠

في السامبيهو الفندق كان اعضاء رحلة جامعة اسيوط ومعهم مفتش الآثار ، الاستاذ انيس ، منتشرين في جلسات مسترخية بعد العشاء ، كانكل اثنين او اكثر يسمرون ، وقد عرف الجميع ان الطالبة انيسة توفيق ومفتش الآثار انيس توفيق ٠٠ اخوان ٠

وكان « الاخوان » يجلسان وحدهما ، وقد أحس كل منهما انه عثر على شيء مفقود ٠٠٠ وتحدثا بكلام كثير فيه اسئلة عن الاحوال وعن الوالدين كيف هما ، وانهما بخير ، وكم سيسعدان بك ٠٠٠

« يسعدان بي ٠٠ ؟ وكيف ؟ »

لم تنطق بذلك ؟ وقالت عاتبة :

ـ لم فعلت ذلك ؟

ـ كان لابد ان افعله ٠

ـ لو كان أبي يعرف مكانك ٠٠٠

وسكتت هنيهة ، ثم قالت :

ـ الخطاب الذي ارسلته طمأننا بعض الشيء ، وان كنا ظللنا قلقين عليك ، ولم نجد وسيلة للسؤال عنك ، لانك لم تخبرنا اين انت ، وانما اكتفيت بالنداء ستعود يوما ٠٠٠ (بعد نظرة حانية عاتبة) لماذا لم تعد ؟

صمت ، وشعر بشيء يرعش جسده وينعش روحه ، وأحس بنظراتها تغسل نفسه مما علق بها من استيحاش ٠٠ لقد كبرت ٠ كان ابوها على حق ٠٠٠ انها الآن فتاة ، ليست تلك الطفلة الاخت ٠٠٠ ما هذا الذي اشعر به الآن نحوها ؟ حب ؟! نعم حب ، ولكن من أي نوع ؟ أهو حب الاخ لاخته ؟ كان ذلك فعلا ، ولكنه الان شيء آخر ! أيمكن ذلك ؟ أنها اختي لا ، ليست اختي ، هي، هي ٠٠٠ حبيبتي ! قلها ولا تخف ٠ قل لها :

ـ اني احبك ٠

ـ لا أجرؤ ٠

ـ لماذا ؟

ـ انها اختي ٠

ـ انك تعلل ترددك بوهم ٠٠ ان لم تستطع ان تقول بلسانك ، فقل لها بعينيك ٠٠ عبر بنظراتك ، لن تلام على النظر مهما كان ٠ الانسان يستطيع أن يفصح بنظراته وهو آمن ٠٠

ولما اتجه اليها بنظراته ، وجدها تعبر بعينيها ، كان صوت نفسها هي ايضا املى عليها ذلك !

***

ظل ساهرا في غرفته يشعر بالسعادة والقلق في وقت واحد ٠٠٠ نام بضع ساعات استيقظ بعدها مبكرا ٠ الساعة الان الخامسة



صباحا ، وسيلقاها فى الساعة التاسعة مع زميلاتها فى « معبد حتشبسوت » بقيت أربع ساعات طويلة ...

قال له الاستاذ حسن ، صديقه المدرس الذى يساكنه :

ـ صباح الخير يا أنيس .

ـ صباح النور .

ـ أراك اليوم على غير عادتك .

ـ فى أى شيء ؟ ..

ـ استيقظت مبكرا كأن عليك الحصة الاولى !

ـ فعلا ، عندى الحصة الاولى ...

ـ أين ؟

ـ فى معبد حتشبسوت ، فى الساعة التاسعة .

ـ ماذا هناك ؟

ـ رحلة جامعة أسيوط .

ـ ولكن ... جاءت رحلات كثيرة ، فلم تبكر لها هكذا ...

ـ أختى فيها ...

ـ أختك ؟ رب أخت لك لم تلدها أمك !

كان الصديق على علم بأحوال صديقه الذى يحدثه بصراحة دون غيره من الناس ، ويشعر فى الافضاء اليه بما يخفف عنه .

قال الاستاذ حسن وقد رأى صديقه صامتا شارد النظر :

ـ أختك من ؟ لعلك وقعت فى شراك «أخت» ؟

ـ يبدو أن الامر كذلك يا حسن .

ـ وكيف كان ذلك يا ... سيد « تحتمس » ؟

حكى له ما كان أمس بينه وبين « أنيسة » ، لم سكت ينتظر تعليقه .. قال حسن :

ـ ولماذا أنت مهموم هكذا ؟

ـ حائر .

ـ لا داعى للحيرة ... فاتحها فى الزواج ، فان وافقت تقدم لخطبتها ، ويلتئم الشمل وتنتهى كل متاعبك .

ـ ماذا تقول ! هل أتزوج أختى ؟

ـ رجعنا لمسألة « الاخت » ؟

ـ لقد قضيت حياتى أنظر اليها على أنها أختى .

ـ والآن ؟

ـ الواقع أن نظرتى قد تبدلت . صارت فتاة ...

ـ بل قل : عرفت الحقيقة (بعد غيبة) اسمع ، أنا أفرح لك ، ولا بأس فأنا مبتلى بالفرح دائما ، وهذا درس مجانى ...

ـ كان قدماء المصريين يتزوجون الاخت كما تعلم ،

وبطبيعة الحال لم يكونوا يجدون فى ذلك اية غضاضة ، لان المجتمع لم يكن ينكر ، ولم تكن هناك شريعة تحرمه .

ـ هذا مفهوم يا استاذ ، ولكنه ليس موضوعنا .

ـ اريد ان اقول لك ان المسالة مسالة عادة ، وهى كذلك ... معنى فى نفسى لا اجد له تعبيرا .. اه .. اقتناع مشاعر .

ـ اقتناع مشاعر ؟ ماذا تعنى ؟

ـ أعنى انك كنت تعتقد انها اختك ، فكانت مشبع النفس ومقتنع الشعور باخوتها التى لا تجيز لك ان تنظر اليها كما ينظر فتى غريب الى فتاة غريبة عنه . فلما عرفت الحقيقة ، وهى انها ليست اختك ، تبدلت نظرتك .

واكثر من ذلك ان يكون الانسان عالما بالحقيقة مدركا لها بعقله ، ولكن مشاعره مشبعة ومقتنعة بغيرها ...

ـ كيف ذلك ؟

ـ مثال ذلك ، والداك ، اقصد والدى انيسة .. كانا يعلمان انك لست ابنهما ، ولكنهما اعتبراك ابنهما ، فتشبعت مشاعرهما ببنوتك ولم يكونا يجدان فرقا بينك وبين ابنتهما الحقيقية حتى سمياها باسمك مع اضافة تاء التأنيث .

واخذ الاستاذ حسن يشرح نقطة فلسفية مضمونها انه لا وجود لشيء الا فى نظر الانسان ذاهبا الى ان هذا الرأى ـ وان كان تصديقه صعبا بالنسبة للاشياء الملموسة ـ يصدق على المعنويات والوجدانيات ، لكن انيس تركه يشرح ويسرح ... مرح بفكره فى مسالة الزواج . لقد استبعد فكرة الزواج منذ ان تقدم لخطبة فتاة فسأله اهلها عن اهله فزاغ منهم وعزم الا يعود الى هذه الفكرة . وفضل معاناة الوحدة ووحشتها على ان يتعرض للرفض والحرج .

ولكن الامر بالنسبة لانيسة يختلف ، الى ما فيه من العودة الى الاسرة والاحتماء بها مما يشعر به من غربة فى الحياة .

ولما اتخذ قراره شعر بنشوة فى روحه وخفة فى بدنه ، حتى كاد يقوم فيرقص لولا ان خجل من زميله .

واتجه الى الحنفية والحوض فحلق لحيته ، ثم نادى على حسن يطلب منه قليلا من (الكولونيا) على غير عادته ...

ورآه حسن خارجا من غرفته وقد لبس بدلة جديدة لم يلبسها الا مرة واحدة من قبل تبرز على قمتها اربطة عنق متسجمة مع لونها ، فقال له ضاحكا :

ـ ما هذا كله .. ؟ كولونيا ، والبدلة الجديدة ... وسامحك تقلى ... ما الحكاية ؟

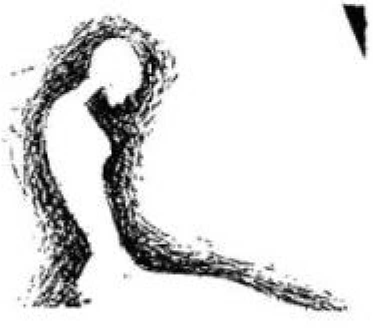
ـ ما انت عارف يا ابو على ...

إبراهيم عبد الحميد عيسى

صراع

تغيّرَ في شفتيَّ الكلامْ
وقد كان حلواً .. كقطعةِ سكّرْ
تغيّرَ .. وهو سنابلُ شوقٍ
على بيدرِ الحبِّ تعطي وتشكرْ
لقدْ كنتُ فجركِ والأمنيات
وكنتِ بقلبي .. لا .. لستُ أذكرْ
فغيبي بأحشاءِ ليلِ الخطايا
ولا ترجعي .. كلُّ شيءٍ تبعثرْ
فإنْ همَّ همسي بنفسي ونادى
تكبّلَ شوقي .. ولفظي تحجّرْ
صنعتُكِ بحراً سخيَّ العطاء
وموجُكِ في كلِّ شطٍّ تكسّرْ
وأشركتِ في الحبِّ حتى تركت
على كلِّ ضلعٍ بصدري خنجرْ

تيبَّسَ حتى حنيني اليكِ
وكانَ كعشبِ البحيراتِ أخضَرْ
يمزقني الشكُّ والكبرياءُ
ففي كلِّ دربٍ بعَدْرِكِ أعثَرْ
***
ولكنَّ قلبي العنيدَ الصغيرَ
على ثورتي وانطلاقي تكبَّرْ
لقد صرتِ في شفتي نغمةً
وما زال إسمكِ في القلبِ يخطرْ
اذا ما ذكرتكِ يعصفُ حقدي
ولكنَّ قلبي يحنُّ ويسكرْ
واسمعُ في خفقِهِ لهفةً
تحنُّ اليكِ .. وتدعو .. وتغفرْ
يقولُ أحبكِ رغمَ العذاب
ولو تستطيع أحبتكِ أكثرْ
ولو بيدي قدرٌ قاهرٌ
لحطمتُ قلبي .. وقلتُ المقدَّرْ
وسوفَ أخبىءُ بقايا حياتي
شموعَ ابتهالٍ اذا ما تغيَّرْ



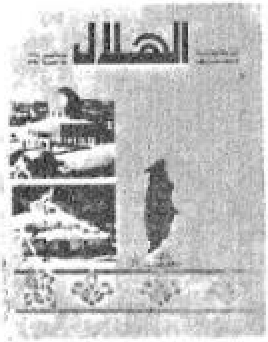

شركة الإسكندرية للمنتجات المعدنية
تعتبر شركة الإسكندرية للمنتجات المعدنية وهى من شركات المؤسسة المصرية العامة للصناعات الهندسية والكهربائية والالكترونية الشركة الرائدة بل الوحيدة فى شرقنا العربى التى تقوم بدراسة مشروعات إشارات المرور الأوتوماتيكية والالكترونية فى المدن
١- دراسة الموضوع من حيث وضع أنسب الأنظمة المناسبة بعد إجراء الدراسات الإحصائية .
٢- وضع المواصفات الشاملة للعمليات التنفيذية .
٣- تنفيذ المشروع بكامل معداته طبقاً للمواصفات العالمية .
شركة الإسكندرية للمنتجات المعدنية

الله أكبر

ان طربت
لكتاب الله كوثر
او عشقت
لجلال الله جوهر
او ركعت او سجدت
لصلاتي
قد سمعت « الله اكبر » ...
قد سئمت
عالم التيه المبعثر
وعلمت
انني كنت مغبر
فصحوت ولمست
كله ربي
في سنا الزهر المعطر
انا عدت
لسما بيتي المنور
ووجدت
كل شيء قد تغير
فطربت وسجدت
حيث اني
قد سمعت « الله اكبر » ...

● الرباط ● ● محمد علي الرباوي ●

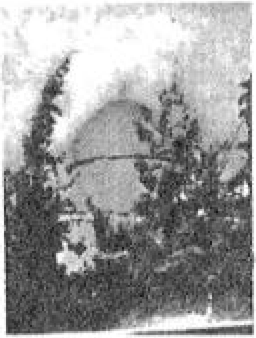
الغلاف الأول

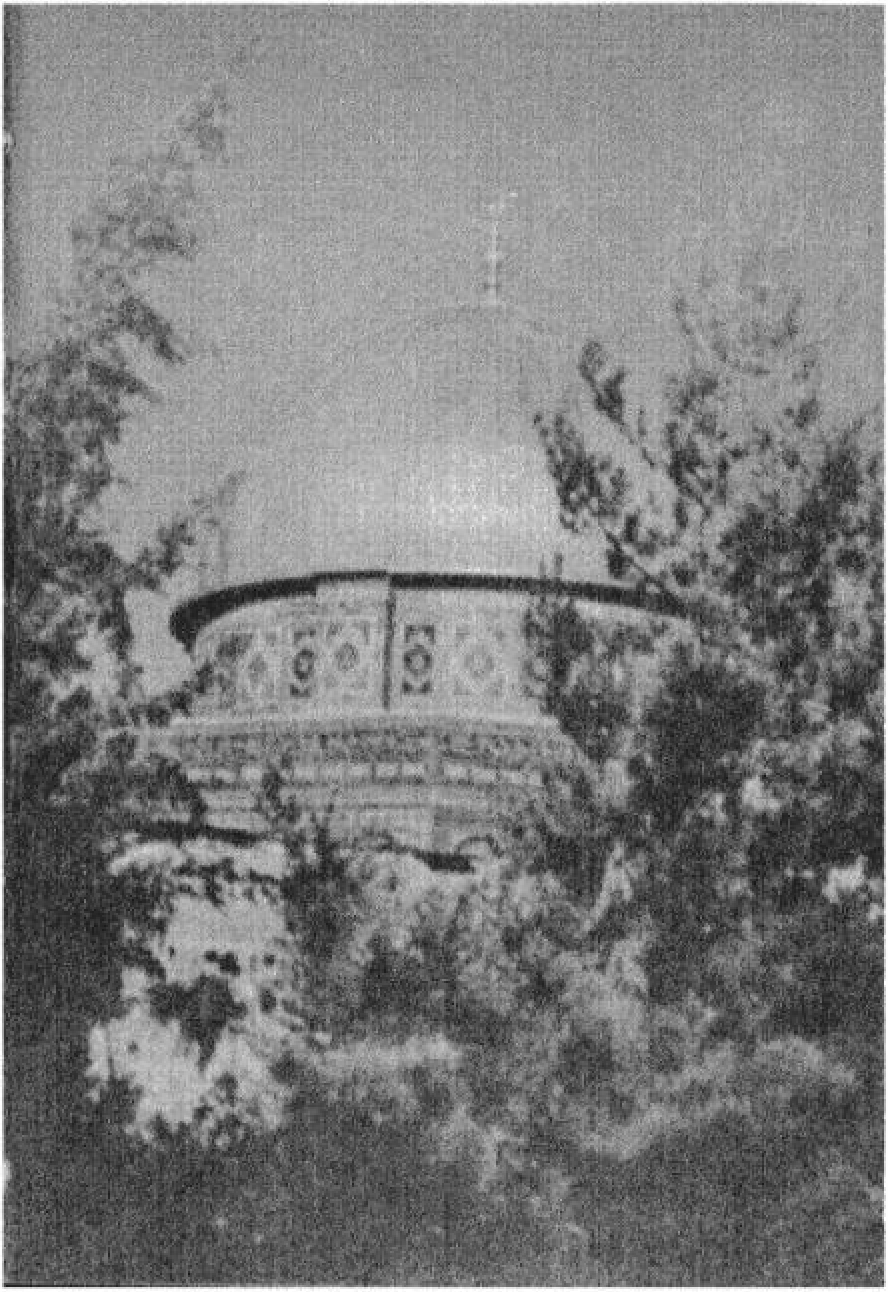


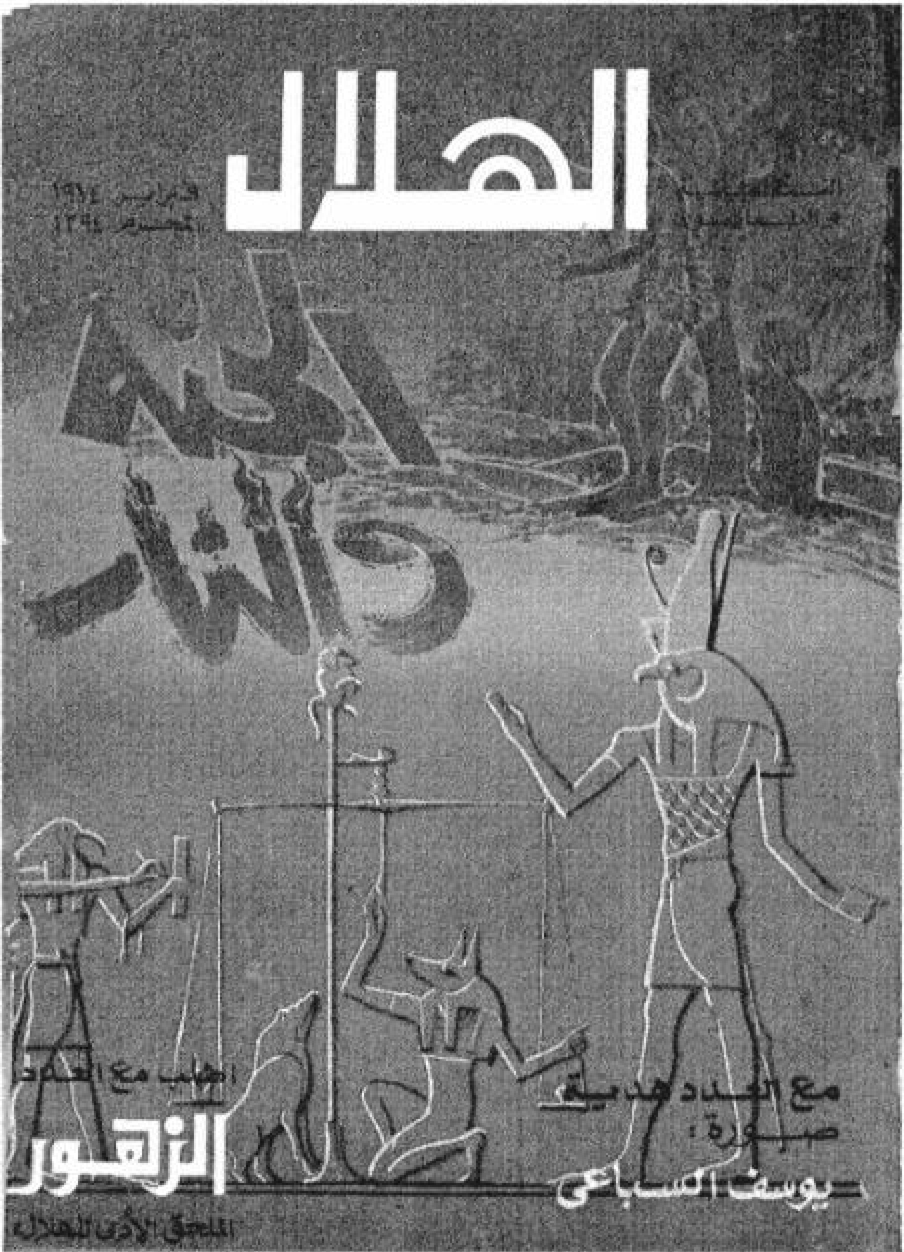
سيناء والقدس والجولان
تصميم الفنان : جمال قطب

الغلاف الأخير

قبة الصخرة المشرفة






الهلال
فبراير ١٩٧٤
محرم ١٣٩٤
مع العدد هدية
صورة:
يوسف السباعى
الزهور
الملحق الأدبى للهلال

الهلال

فبراير ١٩٧٤

مجلة شهرية تصدر عن دار الهلال العدد الثاني - السنة الثانية والثمانون - أول فبراير ١٩٧٤ ٩ المحرم ١٣٩٤ ..

الاشتراكات

ثمن العدد : في جمهورية مصر العربية ١٥٠ مليما .

قيمة الاشتراك السنوي : (١٢ عددا) في جمهورية مصر العربية وبلاد اتحاد البريد العربي والافريقي ١٥٠ قرشا صاغا . في سائر أنحاء العالم ٦ دولارات أو ٥ر٢ جنيه والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال : في جمهورية مصر العربية والسودان بحوالة بريدية . في الخارج بشيك مصرفي والاسعار الموضحة أعلاه بالبريد العادي - وتضاف رسوم البريد الجوي والمسجل على الاسعار المحددة عند الطلب .

الادارة : دار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب - القاهرة

تليفون : ٢٠١١٠ (عشرة خطوط)

في هذا العدد :



د. جمال مختار — د. سيد كريم — عبد الحليم الجندي



كلمة الهلال

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا العدد عن الجنة والنار .. وهما الثواب والعقاب ..

والثواب والعقاب حق لله على عباده جميعا .. حتى الانبياء ..

لقد عصى آدم عليه السلام - وهو ابو الانبياء والناس جميعا - امر ربه ، فعاقبه الله بطرده من الجنة ..

وفى الحقبة الاخيرة من تاريخنا العربى ، تساءل الجاهلون منا : كيف ينصر الله اليهود علينا ؟ ..

والحقيقة ان الله لم ينصر اليهود علينا - فى داهية سنة ١٩٦٧ - ولكننا نحن الذين نصرنا اليهود على انفسنا ، بفرقتنا وتخاذلنا وقصورنا وابتعادنا عن الله .. وكان هذا هو العقاب ..

ثم كانت وثبة ١٥ مايو المؤمنة ، التى افضت الى المعركة العربية الرائعة يوم ٦ اكتوبر ، وبالايمان والتواصى والجهاد والفداء تفتحت لنا ابواب النصر ..

وكان هذا هو الثواب ..

واذا كان يوم ١٥ مايو قد نجح فى بناء المحارب المصرى ، والمناضل العربى ، اللذين انتصرا يوم ٦ اكتوبر ، فقد آن لنا بعد ذلك ان ننجح فى بناء الانسان المصرى ، او الانسان العربى ، المثمر المبدع المؤمن ، الذى يرعى الله فى كل خطوة من خطاه ، ويرجو ثوابه ويخشى عقابه .. وكان حقا على الله نصر المؤمنين ..

● صالح جودت ●

د. أحمد
الحوفي

الجنة والنار في القرآن الكريم

اسلس الايمــان ان يوقن الانسان بالله وملائكته وكتبــه ورسله واليوم الاخر ، وان يؤمن بان الله الذى برا الكون كله على غير مثال ، ومنح الحياة ، ودبر شئون مخلوقاته كلها تدبيرا يبهر الفكر ويخلب العقل ويشده العلم - هو سبحانه القدير عل بعث الموتى من قبورهم واحيائهــم وحسابهم .

ولا منفذ الى شك فى قــدرته تعالى ، لان الخلق الثانى فى تقدير العقل البشرى اسو من الخلق الاول ، ولهــذا قال تعالى : « وهو اهون عليــه » وقــال ســبحانه : « وعرضوا على ربك صفا لقد جئتمونا كما خلقناكم اول مرة ، بل زعمتــم ان لن نجعل لكم موعدا ».

الجنة والنار في القرآن الكريم

وأن التفكير السديد ليؤكد أن للناس مآلا ينتهون اليه بعد حياتهم الاولى ، فيحاسبون يوم القيامة ، ويجزون على ما قدموا في دنياهم من خير ومن شر جزاء وفاقا عادلا كما أنبأ القرآن الكريم في كثير من آياته ، فالذين آمنوا واتقوا وعملوا صالحا مثواهم الجنة ، والذين كفروا وكذبوا وعملوا سيئا مأواهم النار .

وفي القرآن الكريم أوصاف للجنة وللنار مرددة في كثير من السور والآيات .

ولا يستطيع أحد أن يتطاول فيعيب هذا الترديد ، فانه ضرب من البلاغة في أعلى صورها ، لأن الوصف متنوع من ناحية ، ولأن مقام التبشير والانذار يقتضي التكرير والتذكير والتحبيب والتخويف من ناحية ثانية ، ولأن الاشادة بحقيقة جديدة مجهولة تستدعي التكرير لتوكيدها وتثبيتها واقرارها في نفوس السامعين والقارئين من ناحية ثالثة ...

ويضاف الى هذا أن القضاء على أباطيل المعاندين والمكابرين والمكذبين يوجب التكرير والترديد .

وما لنا نذهب بعيدا وفي الآداب العالمية الراقية منذ كان أدب الى اليوم ، تكرير متنوع العبارات ومتعدد الصور لمعنى أو لمعان جالت في نفوس الأدباء .. فالغزل مثلا يدور كله حول الحب والشوق والحنين وسعادة اللقاء وألم الفراق ومرارة الغيرة وحسرة الغدر ، ولكن الأدباء ملأوا دواوين الشعر ورسائل النثر بالتعبير عن هذه المشاعر ، ولم يقنع أحدهم بما قاله في مرة أو مرات ، ولم يكتف بعضهم بما قرضه اخوان لهم من قبل .

فهل عجب أن جاء وصف الجنة ووصف النار في آيات شتى من القرآن الكريم ؟ ..

● اجمل ما يعرف الناس ●

الجنة في اللغة البستان والنخل ، لانه يستر ما فيه عن الاعين ، وهذا المعنى نفسه في قوله تعالى : « أيود احدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب تجري من تحتها الانهار له فيها من كل الثمرات وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء ، فأصابها اعصار فيه نار فاحترقت ، كذلك يبين الله لكم الايات لعلكم تتفكرون » .

وفي قوله سبحانه : « لقد كان لسبأ في مسكنهم آية : جنتان عن يمين وشمال » .

وفي رأي المفسرين أن دار الثواب في الاخرة سميت جنة لانها مستورة عن أهليها ، ولان ثوابهم المدخر لهم محجوب عنهم .

ولعل خيرا من هذا انها سميت جنة لان الجنة أجمل ما يعرف الناس في دنياهم ، ولانها متعة النشيط وملاذ المتعب وموئل المشتاق الى السكون والهدوء والاستجمام ، ولانها ذات ثمرات تشتهيها النفوس .

وقد وردت في القرآن الكريم كلمات كثيرة للدلالة على جنة الاخرة سواء أكانت أسماء متعددة لها أم أسماء لدرجاتها، منها جنة الفردوس، وعدن، والنعيم ، والخلد ، والمأوى ، ودار السلام ، ودار المقامة ، والغرفة ، والروضة ..

● وصف الجنة ●

جاء في القرآن وصف للجنة بعضه مادي وبعضه معنوي أما المادي فهو مماثل في أسمائه لما ألفوه في دنياهم.

والسبب في هذا أن يفهموه ، لأنه لو جاء على غير ذلك ما استطاعوا أن يفهموا ، وكيف يفهمون أشياء لا تسعف اللغة بها ؟ .. وكيف يفهمون ما لا يعيه أدراكهم ؟ .. وهل من المعقول أن تتحقق ثمرة التبشير بثواب غير مفهوم ؟ ...

واذا كان الجزاء المادى بالمسميات التى ذكرها القرآن الكريم نفسها فانه مما لا شك فيه أن الاسم الواحد كثيرا ما يطلق على صنف واحد ، ولكن هذا الصنف درجات يعلو بعضها بعضاً ، فما بالنا بما فى الجنة مما لم تره عين ولم تسمع به اذن ولاخطر على قلب بشر .

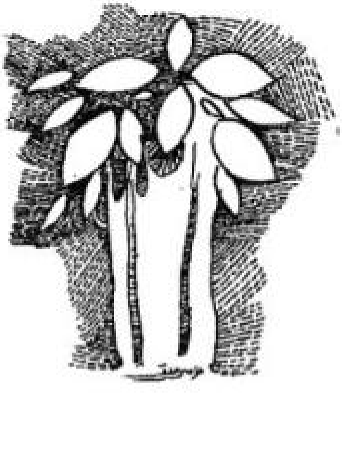
واذا كان الجزاء المادى بما هو انفس وأعظم وأسنى مما تعارف الناس فى دنياهم ، فان اللغة لا تستطيع أن تعبر بغير ذلك ، ولا ينتظر من لغة من لغات العالم أن تعبر عما لا تسعف به البيئة والتجارب والمعارف .

(١) ـ الوصف المادى :

من وصفها المادى أن الفائزين بها المقربين ، لهم سرر منسوجة بالذهب محلاة بالدر والياقوت ، محكمة النسج والصنع متداخل بعضها فى بعض كما تتداخل حلقات الدرع ، يتكئون عليها متقابلة وجوههم ينظر بعضهم الى بعض ، لانهم أحباء تصافوا لا يجفو بعضهم بعضاً ولا يولى أحدهم ظهره وجه أخيه ، ويطوف عليهم غلمان لا يمسهم هرم بأكواب وأباريق وكئوس من ماء جار لا ينقطع ولا يتفرقون عنه، وكئوس من خمر لا يصيبهم منها أذى مما تسببه خمر الدنيا من سكر وصداع وقيء ، ولهم فيها ما يشتهون من فاكهة ولحم طير وحور حسان كأنهن اللؤلؤ النفيس بياضا وصفاء ، وهذا كله جزاء لهم على أعمالهم الطيبة فى الدنيا . وهم فى الجنة لا يسمعون كلاما عابثا لاغيا ولا كلاما قبيحا ، بل يتبادلون التحية والكلام الطيب المسعد .

واذا كان هذا هو جزاء المقربين فان أصحاب اليمين وهم الابرار لهم سدر موقر بالثمر لا شوك فيه على عكس سدر الدنيا المثقل بالشوك المعروف بقلة الثمر ، ولهم موز يغطى ثمره ساقه كلها فلا ترى، وظل وارف ممتد ، وماء دائم الجريان لا ينضب، وفاكهة كثيرة متنوعة لا عهد لهم بمثلها لا تنقطع فى أى وقت ولا يمنعهم من تناولها شوك ولا عوه ولا بعد ولا قلة ولا مرض ، وفرش عالية ناعمة ممهدة ، وحور حسان أبكار متحببات اليهم بالجمال والملاحة والظرف والطاعة ، كلهن مثيلات متساويات مؤتلفات لا يتحاسدن ولا يتباغضن .

قال تعالى: « والسابقون السابقون



اولئك المقربون فى جنات النعيم ثلة من الاولين وقليل من الاخرين . على سرر موضونة متكئين عليها متقابلين . يطوف عليهم ولدان مخلدون باكواب واباريق وكاس من معين ، لا يصدعون عنها ولا ينزفون ، وفاكهة مما يتخيرون . ولحم طير مما يشتهون . وحور عين كامثال اللؤلؤ المكنون ، جزاء بما كانوا يعملون ، لا يسمعون فيها لغوا ولا تاثيما الا قيلا سلاما سلاما .

« واصحاب اليمين ما اصحاب اليمين فى سدر مخضود ، وطلح منضود ، وظل ممدود ، وماء مسكوب، وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة، وفرش مرفوعة .

« انا انشاناهن انشاء ، فجعلناهن ابكارا عربا اترابا، لاصحاب اليمين ثلة من الاولين وثلة من الاخرين » .

ومثل هذا قوله تعالى : « وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا . متكئين فيها على الارائك لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا . ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلا . ويطاف عليهم بآنية من فضة واكواب كانت قوارير، قوارير من فضة قدروها تقديرا . ويسقون فيها كاسا كان مزاجها زنجبيلا . عينا فيها تسمى سلسبيلا ، ويطوف عليهم ولدان مخلدون اذا رايتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا ، واذا رايت ثم رايت نعيما وملكا كبيرا . عاليهم ثياب سندس خضر واستبرق وحلوا أساور من فضة وسقاهم ربهم شرابا طهورا ، ان هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا » .

ومن اوصاف الجنة المادية أن ماءها عذب جار لا يتغير طعمه ولا رائحته ، وأن لبنها كثير يجرى انهارا لا يفسد ولا يصير قارصا ولا حازرا ولا حامضا لانه لم يخرج من ضروع الماشية ، وأن خمرها غزيرة تتدفق انهارا وهى لذيذة للشاربين لا يحسون فيها بمزازة ولا حموضة ولا يصابون بعدها بدوار او سكر او مرض كما عهدوا فى خمر الدنيا ، لانها ليست كخمر الدنيا ، وأن العسل ينساب فيها انهارا صافيا حسن اللون والطعم والرائحة ، لم يخرج من بطون النحل كما عهدوا فى عسل الدنيا .. ولهم فيها من جميع الثمرات التى يشتهون .

قال تعالى : « مثل الجنة التى وعد المتقون فيها انهار من ماء غير آسن، وانهار من لبن لم يتغير طعمه ، وانهار من خمر لذة للشاربين ، وانهار من عسل مصفى ، ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم » .

(٢) - الوصف المعنوى

أما الوصف المعنوى فقد ورد فى آيات كثيرة ، منها ان الفائزين بالجنة يشعرون بالتكريم العملى لهم حينما تتلقاهم الملائكة بالتحية والترحيب والتوقير ، قال تعالى : « وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا حتى اذا جاءوها وفتحت ابوابها وقال لهم خزنتها : سلام عليكم ، طبتم فادخلوها خالدين » .

واى نعيم يماثل رضوان الله تعالى عن عباده ، ومحبته اياهم ، وتقريبه لهم كما نفهم من قوله تعالى : « وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة فى جنات عدن ورضوان من الله اكبر ، ذلك هو الفوز العظيم » .

ومن قوله سبحانه : « ان الذين

أمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا ».

ومن قوله تعالى : « ومن يطع الله ورسوله فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا » .

ومن قوله عز وجل : « وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض أعدت للمتقين . الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس، والله يحب المحسنين » .

وأى ثواب أسمى من الخلود في الجنة حيث لا هم ولا حزن ولا حقد ولا حسد ولا ندم ولا نصب ولا قلق ولا خوف . قال تعالى : « ان المتقين في جنات وعيون ادخلوها بسلام آمنين .. ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين . لا يمسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين » .

وما الذى يدل على الثواب المعنوى خير من السرور والسعادة في مثل قوله تعالى : « فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة يحبرون » .

وفى قوله سبحانه : « وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة » .

وفى مثل قوله سبحانه ـ « فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين ، جزاء بما كانوا يعملون » .

وماذا يبتغى الناس من الثواب المعنوى اعظم من ان يطلبوا ما يريدون فيجدوه محضرا ، قال تعالى : « وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد . هذا ما توعدون . لكل أواب حفيظ . من خشى الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب . ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود ، لهم ما يشاءون فيها ولدينا مزيد » .

وان الثواب المعنوى ليتعاظم ويتكامل ويتناهى ويتسامى فلا يعدله ثواب ولا يساويه جزاء حينما يسعد الفائزون برؤية الخالق جل وعلا ، قال تعالى : « وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة » .

● من أسماء النار ●

أما النار فانها كذلك لها اسماء عدة تدل عليها او تدل على دركاتها وطبقاتها مثل جهنم ، ولظى ، والحطمة ، وسقر ، والسعير ، والجحيم ، والهاوية ..

وقد تردد ذكرها ووصفها في القرآن الكريم ، وتردد ذكر العذاب ووصفه ، سواء أكان ماديا أم معنويا .

(١) الوصف المادى :

من وصفها المادى أن أهليها يساقون اليها سوقا عنيفا كما تساق الماشية ، ويقال لهم اذا ما بلغوها زيادة في النكال والاحتقار هذه هى النار التى كذبتم بها ، وقال تعالى : « يوم يدعون الى نار جهنم دعا . هذه النار التى كنتم بها تكذبون » .

وهم يجرون اليها على وجوههم عميا وبكما وصما كما تجر الجيف والاحجار والاخشاب ، ليحترقوا بنار لا تخمد ، لانها كلما خبت زادها الاله شدة وسعيرا ، قال سبحانه : « ومن يضلل الله فلن تجد لهم أولياء دونه، ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما ، مأواهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيرا » .

الجنة والنار في القرآن الكريم

فاذا مابلغوا النارجماعات جماعات سارع زبانيتها بزجهم فيها ، وجعلوا يبكتونهم ويقولون لهم بئس مصيركم قال تعالى : « وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا ، حتى اذا جاءوها فتحت أبوابها ، وقال لهم خزنتها : الم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا • قالوا : بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين • قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها ، فبئس مثوى المتكبرين » •

وفي الحال التي يساقون فيها ويجرون جرا يسمعون من بعيد صوت تأجج النار وزفيرها ، فيزدادون يقينا بأنهم هالكون هلاكا ليس كمثله هلاك. قال تعالى : « بل كذبوا بالساعة واعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا • اذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا • واذا ألقوا منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا • لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا ، وادعوا ثبورا كثيرا » •

ولهم في أعناقهم سلاسل يسحبون بها كما تسحب الدواب ويقذفون في جهنم قذفا ، قال سبحانه : « الذين كذبوا بالكتاب وبما أرسلنا به رسلنا فسوف يعلمون • اذ الاغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون في الحميم ثم في النار يسجرون » •

ومن أصناف العذاب أن أهل النار يلبسون ثيابا من النار نفسها أو ثيابا من النحاس لانه أشد الاشياء حرارة اذا حمي ، ويصب عليهم الماء الحار الى درجة لو سقطت منه قطرة على جبل لاذابته ، ولهذا يصب على رءوسهم فيذيب أحشاءهم ويقطع أمعاءهم كما يذيب جلودهم ، وكلما ضربتهم النار بلهبها فرفعتهم الى أعلاها ضربوا بسياط حديدية فسقطوا في أسفلها ، وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الغليظة المهلكة •

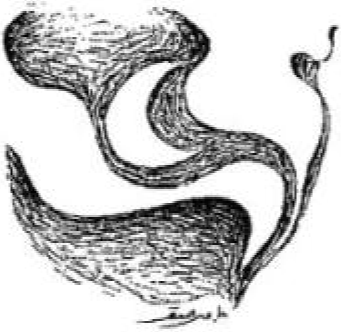
قال تعالى : « فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار ، يصب من فوق رءوسهم الحميم ، يصهر به ما في بطونهم والجلود ، ولهم مقامع من حديد ، كلما ارادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها ، وذوقوا عذاب الحريق »

وللنار وقود يمدها ، وانه لعجيب أيما عجب ، لانه الناس والحجارة ، وبهذا يختلف عن وقود النار التي عرفوها في الدنيا ، قال تعالى : « فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة اعدت للكافرين » ••

ويتطاير شررها كأنه لضخامته الحصون أو أصول الدوح أو الابل السود ، قال سبحانه : « انها ترمي بشرر كالقصر ، كأنه جمالة صفر ، ويل يومئذ للمكذبين » •

وفي تحرق الرءوس والاطراف والجلود وما فوق العظام من لحم ، ثم تبدل الجلود لتحرق مرات لا يعلمها الا الله ، وهنا حقيقة سبق بها القرآن الكريم ، وذلك أن العلم عرف أخيرا أن الجلد هو موطن الاحساس والالم ، وأن ما غار لا يحس ولا يتألم. ولهذا فان أهل النار كلما احترقت جلودهم خلق الله لهم جلودا أخرى ليذوقوا العذاب الخالد ، قال سبحانه وتعالى : « ان الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا ، كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب ، ان الله كان عزيزا حكيما »•

والنار مقرهم الدائم ، ومأبهم المعد ، يلبثون فيها أحقابا كلما تقضي حقب تبعه حقب ، ولا يذوقون شرابا



باردا يخفف عنهم حر النار ، بل يشربون الماء الحار البالغ نهاية الحرارة ، ويشربون الصديد المتجمع من الحرقى ، قال تعالى : « لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا الا حميما وغساقا جزاء وفاقا » .

وطعامهم شجرة الزقوم التى جعلها الله تعالى محنة وعذابا للظالمين ، وهى شجرة نابتة فى قاع جهنم ، ثمرها قبيح وكريه الى ابشع حد من القبح والكراهية ، كانه رءوس الشياطين ، لان الشيطان بصورته المتخيلة مستكره فى خيال الناس جميعا ، أو كانه رءوس نوع من الحيات ضخمة مخيفة قبيحة ، وانهم لمضطرون الى الاكل منها حتى تمتلىء بطونهم ليكون هذا تعذيبا آخر ، فاذا امتلأت بطونهم غلبهم العطش فلم يشربوا الا حميما وصديدا ، قال سبحانه وتعالى : « أذلك خير نزلا أم شجرة الزقوم انا جعلناها فتنة للظالمين . انها شجرة تخرج فى أصل الجحيم طلعها كانه رءوس الشياطين .. فانهم لآكلون منها فمالئون منها البطون . ثم ان لهم عليها لشوبا من حميم ، ثم ان مرجعهم لالى الجحيم » .

(٢) الوصف المعنوى :

اما العذاب المعنوى فهو ماثل فى ندم المعذبين على ما فرط منهم فى الدنيا ، وحسراتهم على الثواب الذى حرموه وحزنهم الشديد مما هم فيه ، قال تعالى : « يوم ينظر المرء ما قدمت يداه ويقول الكافر ياليتنى كنت ترابا » .

ويمثل هذا العذاب سوء المنظر وسواد الوجه واكتساؤه مع سواده بالتراب ، قال سبحانه : « ووجوه يومئذ عليها غبرة ، ترهقها قترة ، أولئك هم الكفرة الفجرة » .

ويمثله ايضا خزيهم وذلهم وتنكيس رءوسهم ، قال سبحانه وتعالى : « وترى الظالمين لما رأوا العذاب يقولون هل الى مرد من سبيل ؟ وتراهم يعرضون عليها خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفى » وقال عز وجل : « ولو ترى اذ المجرمون ناكسو رءوسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون » .

***

اما بعد ...

فهذه هى الجنة حافلة بمتع الحس وسعادة الروح ، وهذه هى النار مكتظة بعذاب الجسد وشقاء النفس ، فمن من العقلاء يرغب بنفسه عن الاستمتاع والسعادة ؟ .. ومن ذا الذى يجلب لنفسه النكال والخزى والشقاوة ؟ .. فاللهم غفرانك اذا أسأنا ، وكرمك اذا احسنا ، لنكون ممن رضيت عنهم وارضيتهم واسعدتهم بالجنة التى تورثها من عبادك من كان تقيا ...

● د. احمد الحوفى ●
عضو مجمع اللغة العربية

● د. أحمد الشرباصي ●

الجنة والنار

في الأحاديث القدسية والنبوية

لعل أول سؤال يثور في هذا المجال هو : لماذا خلق الله الجنة والنار ؟ .

ويجيب الامام ابن القيم في كتابه « طريق الهجرتين » عن هذا السؤال:

« اقتضت حكمته سبحانه أن خلق دارا لطالبي رضاه ، العاملين بطاعته، المؤثرين لأمره ، القائمين بمحابه ، وهي الجنة ، وجعل فيها كل شيء مرضيا ، وملأها من كل محبوب ومرغوب ومشتهى ولذيذ ، وجعل الخير بحذافيره فيها ، وجعلها محل كل طيب من الذوات والصفات والاقوال .

« وخلق دارا أخرى لطالبي أسباب غضبه وسخطه ، المؤثرين لأغراضهم وحظوظهم على مرضاته ، العاملين بأنواع مخالفته ، القائمين بما يكره من الاعمال والاقوال ، الواصفين له بما لا يليق به ، الجاحدين لما أخبرت به رسله من صفات كماله ونعوت جلاله ، وهي جهنم . وأودعها كل شيء مكروه ، وسجنها مليء من كل شيء مؤذ مؤلم ، وجعل الشر بحذافيره فيها ، وجعلها محل كل خبيث من الذوات والاقوال والاعمال ، فهاتان الداران هما دار القرار » .

●●●

« والجنة » في الأصل هي البستان ، أو المكان الذي تظلله الأشجار حتى يستتر الداخل فيه ، ثم أطلقت الكلمة في التعبير الديني

منذ اقدم العصور والانسانية تتطلع الى حياة ابقى واخلد من هذه الحياة التى نحياها فوق الارض ، ومنذ اقدم العصور والانسانية العاقلة ترغب فى هذه الحياة الباقية اقامة لموازين الحق، بيد باريء الخلق ، كى يكون هنالك قصاص عادل ، يردع به الظالم ، وينصف به المظلوم ..

ولقد جاءت كتب الله عز وجل تقص علينا من انباء الحياة الاخرى ، واهم ما فيها هو الجنة والنار وجاء المرسلون يحدثون الناس عن هذه الانباء .. والكلام عن الجنة والنار فى القرآن الكريم واسع فسيح ، حيث توجد عشرات وعشرات من الآيات تدور حول هذا الموضوع ، ولو رجعنا على سبيل المثال الى كتاب « تفصيل آيات القرآن الحكيم » لراينا فيه صفحات كثيرة تضم الآيات المتعلقة بالجنة والنار ، وكذلك الحديث عن هذا الموضوع فى الاحاديث القدسية والنبوية واسع فسيح ، واذا كان القرآن هو كتاب الله الذى لاياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، فان عيب كتب الاحاديث انه اضيف اليها جانب من الاحاديث الموضوعة او الغريبة او المنكرة ، وهذا العيب يجعل مهمة الباحث شاقة او عسيرة ، لانه يحتاج الى تمحيص النصوص واستخلاصها ، قبل الاستعانة بها فى اقامة بحثه .

على دار النعيم والثواب ، وهى الدار الموعود بها المؤمنون فى الحياة الاخرة .

وهناك خلاف طويل بين العلماء حول الجنة والنار : اهما موجودتان الآن ام ستوجدان فى الاخرة ؟ ... اهما فى الارض ام فى السماء ؟ .. والجنة التى يدخلها المؤمنون : اهى جنة ادم التى تحدث عنها القرآن ام هى جنة اخرى غيرها ؟... ولاينبغى الا يشغلنا هذا الخلاف طويلا ، فأهل الايمان يؤمنون باصل القضية ، وهو ان هناك جنة ينعم فيها المفلحون ، ولا عليهم بعد ذلك ان يدخلوا فى التفاصيل ، ومن صفاتهم الاساسية كما ذكر القرآن : « الذين يؤمنون بالغيب » .

وللجنة ـ كما تحدثنا الاحاديث ـ ثمانية أبواب ، كل باب منها لعمل من الاعمال الصالحة ، وهى منازل او اقسام او درجات او طبقات ، وبملاحظة هذه الاقسام جاز ان يعبر عنها بانها « جنة » وبانها « جنتان » وبانها « جنات » . فهناك جنة عدن ، وجنة المأوى ، وجنة النعيم ، وجنة السلام ، وجنة الفردوس .. وفى كل جنة من هذه الجنات طبقات ودرجات ، و « الفردوس » هو أعلى المنازل فى هذه الجنات ، وقد يعبر عنه بكلمة « الفردوس الاعلى » ..

الجنة والنار في الأحاديث

وتصور لنا الأحاديث بناء الجنة في صورة باهية باهرة جميلة جذابة، كان يقول الحديث : « بناء الجنة لبنة من فضة ، ولبنة من ذهب ، وملاطها (أي طينها) المسك الاذفر ، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت وترابها الزعفران ، من دخلها ينعم ولا يبؤس (لا يحزن) ، ويخلد ولا يموت ، ولا تبلى ثيابهم ، ولا يفنى شبابهم » .

وفي الجنة خيام من لؤلؤ ، والخيمة في الاصل البيت المربع من بيوت الاعراب ، ويقول الحديث كما يروى البخاري ومسلم : « في الجنة خيمة من لؤلؤة مجوفة عرضها ستون ميلا » .

وتخبرنا الاحاديث القدسية والنبوية بفنون من الاشياء الموجودة في الجنة .. ففيها الاشجار والانهار ، والفواكه ولحم الطير ، والحور العين والولدان المخلدون، والسرر والحرير والاستبرق والفضة والذهب .

ولقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل له يا رسول الله ، علام نطلع من الجنة ؟ .

فأجاب : « على انهار من عسل مصفى ، وانهار من خمر ما بها صداع ولا ندامة ، وانهار من لبن ما يتغير طعمه ، وماء غير آسن ، وفاكهة » .

وجاء الحديث القدسي يقول : « اعددتلعبادي الصالحين ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر » .

وفي هذا المجال ثار خلاف طويل حول نعيم الجنة : أهو مادي أم روحي، ولكن الصحيح الذي تدل عليه نصوص القرآن والسنة أن هذا النعيم مادي روحي ، وان كان يتميز عن نعيم الدنيا في كثير من الصفات .

***

ومما تخبرنا به الاحاديث أن في الجنة نهرا يسمى « الكوثر » ويتحدث عنه النبي عليه الصلاة والسلام فيقول :

« ذاك نهر أعطانيه الله عز وجل اشد بياضا من اللبن ، وأحلى من العسل » . ويقول ايضا : « بينا انا اسير في الجنة (في ليلة الاسراء والمعراج) اذا بنهر حافتاه قباب الدر المجوف . قلت : ما هذا يا جبريل ؟ . قال : هذا الكوثر الذي أعطاك ربك ، فاذا طيبه مسك اذفر (أي شديد الرائحة الحسنة) .

ولقد تحدث القرآن الكريم عن الكوثر في سورة وجيزة سميت باسمه ، وهي : « انا أعطيناك الكوثر ، فصل لربك وانحر ، ان شانئك هو الأبتر » . ولكنا هنا نقتصر على الحديث عن الجنة والنار ، كما صورتها الاحاديث القدسية والنبوية .

واذا كانت الجنة تحوى افانين من النعيم ، وألوانا من الثواب والتكريم ، فان الحديث القدسي الذي رواه البخاري يخبرنا بأن رضوان الله الباقي الدائم هو أعظم النعم وأطيب المكارم في الحديث . يقول الله تعالى لأصحاب الجنة : يا أهل الجنة ! ..

فيقولون : لبيك ربنا وسعديك .
فيقول : هل رضيتم ؟ .
فيقولون : وما لنا لا نرضى وقد اعطيتنا ما لم تعط احدا من خلقك ؟.
فيقول : انا اعطيكم افضل من ذلك
فيقولون : يا رب ، وأي شيء افضل من ذلك ؟

فيقول : أحل عليكم رضواني ، فلا اسخط عليكم بعده أبدا ••

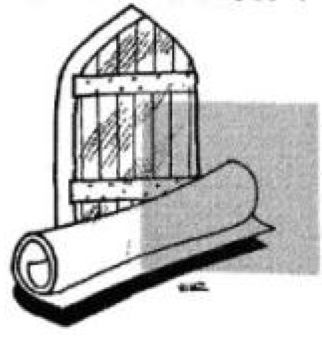
نعم انه رضا الله الكامل الدائم ، وليس وراء هذا نعيم •• ورضوان من الله اكبر •

ولقد سال بعض الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أول طعام يأكله أهل الجنة ، فأجاب الرسول – كما روى البخارى – بأنه كبد الحوت ، أو زيادة كبد الحوت ، أى طرف كبده ، وهو أطيب ما يؤكل منه •

•••

وفي الجنة نساء يشاركن الرجال نعمة التمتع بآلاء الله وخيراته، ونساء الجنة يسمين « الحورالعين » • أى النساء المشرقات اللون ، الواسعات العيون ، الجميلاتالاطراف والاشكال وهن نساء طاهرات زكيات ، ليس فيهن ما يعاب من الناحية الجسمية ، ولا من الناحية النفسية ، وصحبة هؤلاء فى الجنة أعلى وأكمل من صحبة الدنيا ، ولكل رجل فى الجنة زوجتان، واحدة من نساء الدنيا ، وواحدة من نساء الجنة ، وما ورد فى كثرة ما يكون للرجل من نساء فى الجنة لم يصح منه شيء • وليس فى الجنة بغضاء ولا شحناء ولا غيره •

يقول الحديث النبوى – كما يروى البخارى والترمذى – عن نساء الجنة :



« لقاب قوس أحدكم أو موضع قدمه من الجنة خير من الدنيا وما فيها ، ولو أن امرأة من نساء أهل الجنة اطلعت الى الارض ، لاضاءت ما بينهما •• ولملأت ما بينهما ريحا ،ولنصيفها – يعنى الخمار – خير من الدنيا وما فيها » •

وقمة الافضال فى الجنة هى الفوز برؤية الحق جل جلاله فى الجنة ، بالصورة والكيفية اللتين يعلمهما الله جل جلاله ، ولذلك يقول الرسول عليه صلوات الله وسلامه : « انكم سترون ربكم عيانا كما ترون هذا القمر لا تضامون فى رؤيته ، فان استطعتم الا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس (يعنى صلاة الفجر) وقبل غروبها (يعنى صلاة العصر) فافعلوا » • ثم قرأ النبى قوله تعالى : « فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب » •

واول من يدخل الجنة هو خاتم الانبياء محمد صلى الله عليه وسلم ، ولذلكيقول الحديث الذى رواه مسلم : « انا أكثر الانبياء تبعا يوم القيامة ، وانا اول من يقرع باب الجنة » • ويقول أيضا : « آتى باب الجنة يوم القيامة فاستفتح ، فيقول الخازن من انت ؟ • فأقول : محمد • فيقول : بك امرت ، لا أفتح لاحد قبلك » • ويقول كذلك : « انا اول الناس يشفع فى الجنة » أى فى فتح أبوابها ، وفى ادخال بعض العصاة فيها بمشيئة الله عز شأنه •

ولا شك ان هذا يدل من جهة على مكانة رسول الله عند ربه ، كما يدل على كرامة الامة الاسلامية التى تنتسب الى رسولها ، وتستقيم فى أعمالها وأحوالها •

واهل الجنة يخلقهم ربهم خلقا جديدا ، ويعودون شبابا ، أبناء ثلاثين او ثلاث وثلاثين سنة ، ويصفهم

الجنة والنار في الأحاديث

الحديث – كما في البخاري – بأن قلوبهم على قلب رجل واحد ، لا اختلاف بينهم ولا تباغض . وجاء في الحديث المتفق عليه ما معناه ان أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر في كمال الصفاء وتمام النور ، والذين يلونهم على أشد كوكب في السماء اضاءة ، لا يبولون ولا يتغوطون ولا يتمخطون ولا يتفلون ، أمشاطهم الذهب ، ورشحهم المسك ، ومجامرهم كالعود الهندي ، وأزواجهم الحور العين ، أخلاقهم على خلق رجل واحد ، فلا تحاسد ولا تباغض ، بل بينهم تمام المودة والمحبة ، على صورة أبيهم آدم ، ولكل واحد منهم زوجتان ، يرى مخ ساقهما من وراء اللحم من صفاء جسمها وحسنه وجماله ، وهذا كناية عن كمال الصفاء والجمال ، يسبحون الله بكرة وعشيا ، يلهمون التسبيح دائما من غير تعب أو مشقة

وهناك طائفة تدخل الجنة بغير حساب ، وقد ذكر النبي عليه الصلاة والسلام أنه نظر فرأى سوادا كثيرا ، أي جماعة عظيمة ملأت الافق ، فقال : يا جبريل ، هؤلاء أمتي ؟ .

قال : لا ، ولكن انظر الى الافق الاخر ، فنظر النبي فاذا سواد كثير ، فقال جبريل : هؤلاء امتك ، وهؤلاء سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب .. ولما سأل النبي : ولم ؟ . أجابه جبريل: كانوا لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون ، وعلى ربهم يتوكلون .

ويقص علينا الحديث نبأ أخر رجل يدخل الجنة ، وذلك حين يفرغ الله تعالى من القضاء بين العباد ، ويستقر أهل الجنة فيها ويستقر أهل النار فيها ، وهذا كناية عن انتهاء أعمال العباد من الموقف ، لان الله لا يشغله شأن عن شيء سبحانه .

ويبقى رجل مقبل بوجهه على النار ، وهو أخر أهل الجنة دخولا الجنة ، فيقول : أي رب اصرف وجهي عن النار ، فانه قد قشبني ريحها وأحرقني ذكاؤها (أي أهلكني ريحها المنتن ولهيبها) ، فيدعو الله ما شاء أن يدعوه ليصرف وجهه عن النار .

ثم يقول الله تعالى : هل عسيت ان فعلت ذلك بك أن تسأل غيره

فيقول : لا أسألك غيره . ويعطي ربه من العهود والمواثيق ما شاء الله فيصرف الله وجهه عن النار ، فاذا أقبل على الجنة ورآها سكت ما شاء الله أن يسكت ، لتحيره من رؤية الجنة دون الجرأة على طلبها ، ثم يقول : أي رب ، قدمني الى باب الجنة ،

فيقول الله له : أليس قد أعطيت عهودك ومواثيقك لا تسألني غير الذي أعطيتك ؟ ويلك يا ابن آدم ، ما أغدرك . ولا يغضب الله منه لسعة رحمته بعباده

فيقول العبد : أي رب . ويدعو ربه أن يقربه من باب الجنة أكثر ، وتتفتح أمامه الجنة فيرى حسنها وجمالها ، فيسكت ما شاء الله أن يسكت ، ثم يقول : أي رب أدخلني الجنة .

فيقول الله تبارك وتعالى : أليس قد أعطيت عهودك ومواثيقك ألا تسأل غير ما أعطيت ؟ ويلك يا ابن آدم ما أغدرك ! .

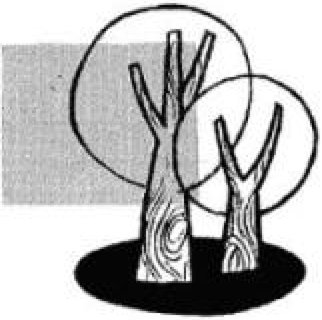
فيقول العبد : أي رب ، لا أكون أشقى خلقك . فلا يزال يدعو الله حتى يضحك الله تبارك وتعالى منه ، والمراد

بالضحك هنا لازمه،وهو الرضا وارادة الاحسان ، ثم يقول لعبده .: ادخـــل الجنة ٠

فاذا دخلهـــا قال الله له : تمن واطلب ما تشاء ، فيسأل ربه ويتمنى ما شاء أن يتمنى ، وهنا يقول الله له : ذلك لك ومثله معه ! ٠

●●●

ثم يأتي حديث النار أعاذنا الله منها وانما نستعيذ منها ، لانها دار العذاب والعقاب في الآخرة ، وكان رسول الله صلى الله عليه وســلم يقول : أنذرتكم النار ٠ أنذرتكم النار وكان يستعيذ بالله منها فيقول ، اللهم



انى أعوذ بك من حر جهنم ٠ وقال الرسول لأحد الصــحابة : كيف تقول في التشهد ؟ ٠ فقال أتشهد ثم أقول : اللهم انى اسالك الجنة ، وأعوذ بك من النار ، فأما دندنتك ودندنة معاذ فلا نحسنها ٠

فقال الرسول عليه الصـــلاة والسلام : حولهما ندندن ٠ أى حول الجنة والنار ندعو ونهمس ، لينقذنا الله من النار ، ويدخلنا الجنة ٠

ويخبرنا الحديث بان النار لهـــا خازن ، هو « مالك » وله أعوان من الخزنة ، وعددهم تســـعة عشر ، ويســـمون الزبانية ، أى الغــــلاظ الشداد ٠

وللنار ابواب ، كل باب منها لدخول اهل عمل من الاعمال السيئة ، فهذا باب لمن سل ســـيفه على امة محمد صلى الله عليه وسلم ، وهذا باب لمن ارتكب فاحشة ، أى الزنى ، وهكذا ، وفى النار دركات ، أى بعضـــها اسفل من بعض ، فهناك جهنم ، ثم لظى ، ثم السعير ، ثم سقر ، ثم الجحيم ، ثم الهـــاوية ، ويروى أن الهاوية هي مأوى المنافقين ، والقرآن يقول : « أن المنافقين فى الدرك الاسفل من النار » ٠

ونار جهنم اشد من نار الدنيا ، حتى ذكرت الاحاديث ان نار الدنيا جزء من سبعين جزءا من نار الاخرة وقيل : جـــزء من مائة جزء ٠ وفى صحيح البخارى ومسلم حديث يقول: « ناركم هذه التى توقدون عليهـــا جزء من سبعين جزءا من نار جهنم » والنار عميقة بعيدة الغور ، وهناك احاديث تصور هذا العمق بانه لو هوى حجر فى النار لظل يهوى سبعين خـــريفا ، واذا كان اهل الارض يحسون فى جوانب منها بشدة القيظ فى الصيف ، وشدة البرد فى الشتاء، فان حديث الصحيحين يقول :« اشتكت النار الى ربها فقالت : يارب ، اكل بعضى بعضا ، فنفسنى ، فأذن لهـــا فى نفسين : نفس فى الشتاء ، ونفس فى الصـــيف ، فاشد ما تجدون من الحر من سمومها ، واشد ما تجدون من البرد من زمهريرها ، وكان هـــذا تصوير مجازى لشدة حرارة النار من جهة ، وشـــدة بردها من جهة اخرى ٠

وللنار ــ كما فى حديث مسلم ــ درجات فى العذاب ، فمن اهلها من تأخـــذه النار الى كعبيه ، ومنهم من تأخذه النار الى ركبتيه ، ومنهم من

الجنة والنار فى الأحاديث

تأخذه النار الى حجزته ، ومنهم من تأخذه الى ترقوته وفى حديث المسند : أن أهون أهل النار عذابا رجل منتعل بنعلين من نار يغلى بهما دماغه ، وفى رواية البخارى : أن أهون أهل النار عذابا يوم القيامة رجل توضع فى أخمص قدميه جمرة يغلى منهما دماغه . وفى رواية البخارى : أهون أهل النار عذابا من له نعلان وشراكان من نار يغلى منهما دماغه كما يغلى المرجل . والصور التعبيرية متعددة ولكن المعانى متدانية متقاربة .

والاشياء التى يعذب الله بها الاشقياء فى النار كثيرة متنوعة ، فهناك الزقوم ، وهى شجرة من أخبث الشجر المر ، تنبت فى أصل الجحيم ثمرها كرءوس الحيات ، اذا اكل الاكل منها غلى بطنه .

وهناك الغسلين – بكسر فسكون – وهو صديد أهل النار ، أو نوع من الشجر .

وهناك المهل – بضم فسكون – والمهل هو عكر الزيت الأسود الوسخ، يغلى فى البطون ، وقيل هو النحاس المذاب .

وهناك الضريع ، وهو نوع خبيث من النبات فيه أشواك .

وهناك الحميم ، وهو الماء البالغ نهاية الحرارة .

وهناك المقامع من سياط مصنوعة من الحديد .

وهناك الكلاليب وهى قطع الحديد التى يعلق فيها اللحم .

وهناك الغساق ، وهو الماء البارد جدا لا يطاق .

وهناك الصديد ، وهو القيح او الدم ... الخ .

وهذه الاشياء صورتها السنة والاحاديث تصويرا مروعا مفزعا ، ليحذرها ويحذر أسبابها كل من له قلب او القى السمع وهو شهيد ، وعلى سبيل المثال يقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه « لو أن قطرة من الزقوم قطرت فى دار الدنيا لأفسدت على أهل الدنيا معائشهم ، فكيف بمن تكون طعامه » .

واذن فلا عجب ولا غرابة اذا حرص النبى الذى وصفه القرآن بانه « رءوف رحيم » على صرف المسلمين عن أسباب الدخول في النار ،فيقول : « انما مثلى ومثل أمتى كمثل رجل استوقد نارا ، فجعلت الدواب والفراش يقعن فيها ، فانا آخذ بحجزكم عن النار ، وانتم تقتحمون فيها » . ولا عجب ولا غرابة أن يذكر النبى النار مرتين ، فيشيح بوجهه ويتعوذ منها ، ويقول: (اتقوا النار ولو بشق تمرة ، فمن لم يجد فبكلمة طيبة » .

●●●

واذا كان كثير من عصاة المسلمين يدخلون النار للتطهير أو التاديب الى أجل معلوم . فان الشفاعة تنال باذن الله تبارك وتعالى كثيرين ، ويكون مقام الشفاعة فضلا من الله وتكريما لرسوله محمد عليه الصلاة والسلام ، وقد جاء فى صحيح مسلم ان النبى يشفع فيقبل الله شفاعته ، ويأذن له فى اخراج عصاة كثيرين من النار ، وادخالهم الجنة ، حتى لا يبقى فى النار الا من حبسه القرآن المجيد ، أى وجب عليه الخلود ، حيث دل القرآن على خلوده فى النار ، وهم الكفار .

وفى أحاديث الشفاعة الكثيرة أن الله عز شأنه يقول للنبى : « يا محمد أدخل الجنة من أمتك من لاحساب عليه من الباب الايمن من أبواب الجنة ، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب » ·

وفى حديث الصحيحين ما يشير الى سعة رحمة الله التى تدرك كثيرا ممن دخل النار فتنقلهم منها الى الجنة : « يخرج من النار من قال لا اله الا الله ، وفى قلبه وزن شعيرة من خير ، ويخرج من النار من قال لا اله الا الله ، وفى قلبه وزن برة من خير ، ويخرج من النار من قال لا اله الا الله ، وفى قلبه وزن ذرة من خير » ·وكلمات : الشعيرة والبرة والذرة ، اشارة يكنى بها عن العمل القليل الدال على أصل الايمان ·

يقول حديث البخارى : « حتى اذا فرغ الله من القضاء بين العباد، وأراد أن يخرج برحمته من اراد من أهل النار ، أمر الملائكة أن يخرجوا من النار من كان لا يشرك بالله شيئا ، ممن أراد الله أن يرحمه ، ممن يشهد لا اله الا الله ، فيعرفونهم فى النار بأثر السجود ، تأكل النار ابن آدم، الا أثر السجود ، فيخرجون من النار وقد امتحشوا (اسودوا) فيصب عليهم ماء الحياة ، فينبتون تحته، كما تنبت الحبة فى حميل السيل، (اى كبذرة الصحراء التى تنبت صافية مع جريان السيل) · وهذا



تشبيه لها فى سرعة الانبات وقوة الصفاء ·

ثم تأتى أمور مشتركة بين الجنة والنار ، تحدثنا عنها الاحاديث القدسية والنبوية ·

هناك اشتراك الجنة والنار فى ان كلا منهما لها أبواب ، وان كانت أبواب النار سبعة ، وأبواب الجنة ثمانية، سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، « ما الجنة ؟ وما النار ؟» ·

فأجاب : ان النار لها سبعة أبواب ، ما منها بابان الايسير الراكب بينهما سبعين عاما ، وان الجنة لها ثمانية أبواب ما منها بابان الايسير الراكب بينهما سبعين عاما ·

وهناك الصراط والميزان والصحف، وهذه الامور الثلاثة تتعلق بالجنة والنار ، فالصراط يقع بين الجنة والنار ، من ثبت عليه وصل الجنة ومن مال به وقع فى النار ، والميزان توزن به أعمال أهل الجنة ، كما توزن به اعمال أهل النار، والصحف مشتركة بين أهل الجنة وأهل النار ، « فأما من أوتى كتابه بيمينه فيقول : هاؤم اقرؤا كتابيه ، انى ظننت انى ملاق حسابيه ، فهو فى عيشة راضية، فى جنة عالية ، قطوفها دانية ، كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم فى الايام الخالية : وأما من أوتى كتابه بشماله فيقول : يا ليتنى لم اوت كتابيه ، ولم أدر ما حسابيه ، ياليتها كانت القاضية ، ما أغنى عنى ماليه ، هلك عنى سلطانيه » ·

وفى حديث الترمذى . « يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات ، فاما عرضتان فجدال ومعاذير ، فعند ذلك تطير الصحف فى الأيدى ، فاخذ بيمينه ، واخذ بشماله »

وفى حديث أبى داود أن السيدة عائشة رضى الله عنها ذكرت النار فبكت ، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما يبكيك ؟ فقالت:

الجنة والنار في الأحاديث

ذكرت النار فبكيت ، فهل تذكرون أهليكم يوم القيامة يا رسول الله ؟.
فقال : اما في ثلاثة مواطن فلا يذكر أحد احدا : عند الميزان حتى يعلم ايخف ميزانه او يثقل ، وعند الكتاب « اي أخذ الصحف » حين يقال هاؤم اقرءوا كتابيه ، حتى يعلم أين يقع كتابه : افي يمينه أم في شماله ؟! أم من وراء ظهره ، وعند الصراط اذا وضع بين ظهري جهنم »

ويقول امام الحرمين الجويني في كتابه « الارشاد الى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد » :

« الصراط ثابت على حسب ما نطق به الحديث ، وهو جسر ممدود على متن جهنم ، يرده الاولون والآخرون ، واذا توافوا اليه قيل للملائكة : وقفوهم انهم مسئولون .

والميزان حق ، وكذلك الحوض والكتب التي يحاسب عليها الخلائق ، ولا تحيل العقول شيئا من ذلك . ودلالة السمع ثابتة على قطع في جميع ما ذكرناه ، فان ابدوا مراء في الصراط وقالوا : في الحديث المشتمل عليه انه ادق من الشعر واحد من السيف ، وخطور الخلائق على ما هذه صفته غير ممكن . وربما يجحدون الميزان مصيرا الى أن الاعمال هي التي يتعلق الثواب والعقاب بها ، وهي أعراض لايتحقق وزنها .

فاما ما ذكروه في الصراط فلا خفاء بسقوطه ، فانه لا يستحيل الخطور في الهواء ، والمشي على الماء .. وكيف ينكر ذلك من يلزمه الدين — رغما — الاعتراف بقلب العصا حية ، وفلق البحر ، واحياء الموتى في دار الدنيا ؟

والموزون الصحف المشتملة على الاعمال ، والرب تعالى يزنها على اقدار اجور الاعمال ، وما يتعلق بها من ثوابها وعقابها . فهذا القدر كاف فارشادكم الى طريق السمعيات »

***

وتشترك الجنة والنار في الخلود ، والخلود في اللغة هو طول المكث ، وفي الشريعة هو الدوام الأبدي ، فأهل الجنة لا يخرجون منها ، ولا هي تفنى بهم فيزولون بزوالها ، وانما هي حياة أبدية لا نهاية لها ، وكذلك أهل النار ، لا يخرجون منها ، ولا هي تفنى بهم ، ولذلك يقول حديث البخاري : يدخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار ، ثم يقوم مؤذن بينهم : ياأهل الجنة لا موت ، وياأهل النار لا موت ، خلود !! .

وقد جاءت أحاديث كثيرة ذكرت أن الموت سيذبح حينئذ ، ثم ينادي مناد : يا أهل الجنة ، لا موت ، يا أهل النار ، لاموت ، فيزداد أهل الجنة فرحا الى فرحهم ، ويزداد أهل النار حزنا الى حزنهم .

وذبح الموت هنا كناية عن اليأس من مفارقة الحالتين في الجنة والنار ، ويكون ذلك — كما قال بعض السلف — تمثيلا لما يكون به اليأس من الموت ، ليطمئن أهل الجنة بنعيمهم ، وييأس أهل النار من موتهم أو خروجهم ، لان الجميع اذا علم وتيقن أن لاموت ، فكأنه رأى ذبح الموتى ، وعدم اتصاف أحد به بعد ذلك .

وإذا كان للجنة أوائل عند الدخول، فللنار كذلك اوائل عند الدخول :

جاء فى مسند أحمد هذا الحديث: « عرض على أول ثلاثة يدخلون الجنة ، وأول ثلاثة يدخلون النار: فأما أول ثلاثة يدخلون الجنة فالشهيد ، وعبد مملوك لا يشغله رق الدنيا عن طاعة ربه ، وفقير متعفف ذو عيال ، وأول ثلاثة يدخلون النار : فأمير متسلط (أى ظالم) ، وذو ثروة من مال يمنع حق الله من ماله ، وفقير فخور » !!

ولقد تحاجت الجنة والنار – كما فى حديث الشيخين البخارى ومسلم – فقالت النار : أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين . وقالت الجنة : فما لى لايدخلنى الا ضعفاء الناس وسقطهم وغرتهم ؟ . (وهم الغافلون عن الدنيا ، ولا يأبه الناس بهم) ؟ –

فقال الله للجنة : انما أنت رحمتى أرحم بك من أشاء من عبادى . وقال للنار : انما أنت عذابى أعذب بك من أشاء من عبادى ، ثم قال لهما : لكل واحدة منكما ملؤها : .

ورضوان الله تبارك وتعالى على شيخ البلغاء بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم : الامام على حيث يقول عن الجنة والنار من خطبة له: « فالله الله عباد الله . فان الدنيا ماضية بكم على سنن ، وأنتم والساعة فى قرن ، وكأنها قد جاءت بأشراطها ، وأزفت بأفراطها ، ووقفت بكم على صراطها .

« وكأنها قد أشرفت بزلازلها ، وأناخت بكلاكلها (صدورها) وانصرمت الدنيا بأهلها ، وأخرجتهم من حضنها ، فكانت كيوم مضى ، أو شهر انقضى ، وصار جديدها رثا (باليا) ، وسمينها غثا (هزيلا)، فى موقف ضنك المقام ، وأمور مشتبهة عظام

« ونار شديد كلبها (خشعها وأكلها بلا شبع) عال لجبها ، ساطع لهبها ، متغيظ زفيرها ، متأجج سعيرها ، بعيد خمودها ، ذاك وقودها ، مخيف وعيدها ، غم قرارها ، مظلمة أقطارها ، حامية قدورها ، فظيعة أمورها .

« وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا : قد أمن العذاب ، وانقطع العتاب ، وزحزحوا عن النار ، واطمأنت بهم الدار ، ورضوا المثوى والقرار ، الذين كانت أعمالهم فى الدنيا زاكية ، وأعينهم باكية ، وكان ليلهم فى دنياهم نهارا تخشعا واستغفارا ، وكان نهارهم ليلا توحشا وانقطاعا (لطاعة الله) ، فجعل الله لهم الجنة مآبا ، والجزاء ثوابا ، وكانوا أحق بها وأهلها ، فى ملك دائم ، ونعيم قائم .

فارعوا – عباد الله – ما برعايته يفوز فائزكم ، وباضاعته يخسر مبطلكم ، وبادروا آجالكم بأعمالكم ، فانكم مرتهنون بما أسلفتم ، ومدينون بما قدمتم ، وكأن قد نزل بكم المخوف، فلا رجعة تنالون ، ولا عثرة ، استعملنا الله واياكم بطاعته وطاعة رسوله ، وعفا عنا وعنكم بفضل رحمته » .

أما بعد ، فان حديث الجنة والنار كما تصوره الاحاديث القدسية والنبوية ، حديث طويل جميل جليل، فهناك عشرات وعشرات وعشرات من الاحاديث القصيرة او الغزيرة ، تناولت تفاصيل كثيرة تتعلق بأمور الجنة والنار ، وما تقدم فى هذا المجال انما هو عصارة لخلاصة تعطى ملامح اساسية لدار القرار كما وردت فى صحاح الأخبار ، ولو يراد التفصيل او التحليل لاحتجنا فى ذلك الى كتاب تتعدد فيه الابواب .

د. أبو الوفا
الغنيمي
التفتازاني

الجنة والنار عند ..

- ١ -

تطلع الانسان منذ اقدم عصور الانسانية الى معرفة مصيره بعد الموت ، وهل هناك حياة اخرى بعد هذه الحياة . وقد وجد من المفكرين منذ اقدم العصور من اثبت بعثا وثوابا وعقابا كقدماء المصريين ، وبعض فلاسفة اليونان ، خاصـــة سقراط وافلاطون واصحاب الفلسفة الهلينية المتأخرة في الاسكندرية والمشرق ، وغيرهم .

وقد اكدت الاديان السماوية على اختلافها وجود بعث وحساب في حياة اخروية ، واستطاعت ان تصحح اخطاء المفكرين المجتهدين بعقولهم في هــذا الموضوع ، وان تزيل ما علق بارائهم من تصورات ميثولوجية .

وجاء الاسلام ايضا ، كدين سماوي، ليصحح ما فسد من عقيدة البعث على مر القرون ، وليزيل ما تسرب اليهـــا من اوهام وخيالات ، وجعل من هذه العقيدة ركنا هاما من اركان الايمان .

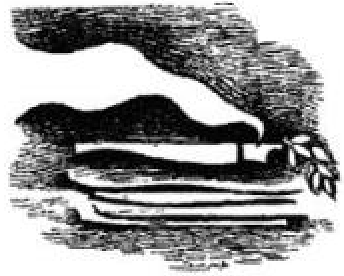
- ٢ -

اشار القرآن الكريم الى عقيـــدة البعث في مواضع كثيرة .

واصل البعث ، لغة ، اثارة الشيء وتوجيهه ، أو ارساله ، كما في قول الله تعـــالى : « فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين » ـ (البقرة ، ٢١٢) . وقد يكون معنى البعث ايضا بعث الاجساد الميتة من القبور ، كما في قوله تعالى : « والموتى يبعثهم الله ثم اليه يرجعون » ـ (الانعام ، ٣٦) . ويقال يوم البعث ، أو يوم النشور ، أى يوم احياء الموتى .

والايمان باحياء الموتى ، وحسابهم في حياة اخروية من عقائد الاسلام الرئيسية ، وقد اشار الرسول (ص) الى ذلك في قوله ، حين سئل عن الايمان : « أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر والقدر خيره وشره » .

والايمان بالبعث في الاسلام يقتضي الايمـــان بتميز النفس عن البـــدن ، وبقائها بعده ، وأن الله تعالى هو الذي



.. فلاسفة الإسلام

يتوفى الانفس ، وان لها اجالا محدودة .. يقول تعالى : « الله يتوفى الانفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى اجل مسمى ان فى ذلك لايات لقوم يتفكرون » ـ (الزمر ، ٤٢) .

وقد بحث علماء العقائد ، أى المتكلمون ، فى الاسلام فيما ورد متعلقا بالبعث فى القرآن والسنة ، وتساءلوا عن حقيقة النفس ، وهل هى جزء من أجزاء البدن ، أو هى مجردة عنه ، وهل هى الروح أو غيرها ، وهل تموت الروح ، أو يموت البدن فقط .

ومن الآراء المشهورة عندهم قولهم بأن اللطيفة المودعة فى الانسان اذا كانت مجردة عرفت باسم الروح ، واذا كانت متعلقة بالبدن عرفت باسم النفس ، وهى باقية بعد فناء البدن ، ويدل على ذلك أحاديث نبوية كثيرة تشير الى نعيم الارواح أو عذابها بعد مفارقتها للابدان . وعلى هذا يصبح معنى الموت مفارقة النفس للبدن فقط ، وهذا معنى قوله تعالى : « كل نفس ذائقة الموت » ـ (آل عمران ، ١٨٥)

ومن الاحاديث التى تشير الى نعيم النفس او عذابها بعد الموت ، قوله صلى الله عليه وسلم : « القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النيران » ، على ان نار القبر ونعيمه ليسا كنار الدنيا ونعيمها ، وكيفية النعيم والعذاب فى القبر غير معلومة ، ولا يمكن للعقل ادراكها .

وتبقى الارواح البشرية فى حياة برزخية متوسطة بين الحياة الدنيا والحياة الاخرى ، وبينها وبين عالمنا هذا حاجز ومانع ، وهو البرزخ ، كما يشير اليه قوله تعالى : « حتى اذا جاء احدهم الموت قال رب ارجعون لعلى اعمل صالحا فيما تركت كلا انها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون » ـ (المؤمنون ، ١٠٠)

وتتفاوت الارواح فى حياتها البرزخية من حيث درجتها ، فاعلاها درجة أرواح الانبياء والصديقين والشهداء والصالحين ، ثم تليها الارواح الادنى .

ويأتى بعد ذلك البعث ، أو المعاد ، وليس يعرف وقته ، والايمان به من عقائد الاسلام الرئيسية كما ذكرنا

الجنة والنار عند فلاسفة الاسلام

من قبل . وكان العرب فى الجاهلية ذوى نزعة مادية ساذجة ، فانكروا البعث ، وقد عبر عن ذلك شاعرهم بقوله :

أموت ثم بعث ثم نشر
حديث خرافة يا ام عمرو

ولهذا لقى الرسول (ص) عنادا شديدا من المشركين الذين لم تكن عقولهم لتقبل الايمان بمثل هذه العقيدة ، ويشير القرآن الكريم الى ذلك مثل قوله تعالى :

« وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا » ـ (الاسراء ، ٤٩)

ويرد القرآن الكريم على منكرى البعث ردودا غاية فى القوة ، مشيرا الى أن اعادة الخلق للمرة الثانية ، أهون على الله من الخلق للمرة الاولى ، فيقول تعالى : « وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه » ـ (الروم ، ٢٧) .

ويقول تعالى أيضا فى الرد على منكرى البعث : « أو لم ير الانسان أنا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين . وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم . قل يحييها الذى انشاها أول مرة وهو بكل خلق عليم . الذى جعل لكم من الشجر الاخضر نارا فاذا انتم منه توقدون . أو ليس الذى خلق السموات والارض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم . انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون . فسبحان الذى بيده ملكوت كل شىء واليه ترجعون » ـ (يس ، ٧٧ـ٨٣)

اما الجنة والنار ، فقد اختلف حولهما علماء العقائد ، فالمعتزلة يرون ان الله ينشئهما يوم القيامة ، على حين يرى اهل السنة والجماعة ان الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن .

والواقع ان موضوع البعث وما يتفرع عنه ، من متشابه الدين ولذلك فان التعرف الى عقيدة الاسلام فيه يقتضى التعرف الى عقيدة الاسلام والسنة الصحيحة المتواترة ، ولابد من التمييز بين الاخبار الواردة فيه بدقة ، فان كثيرا من الاخبار الموضوعة قد تسرب الى مجال الاخرويات فى الاسلام ، وحسب ذلك على الاسلام أحيانا .

ـ ٣ ـ

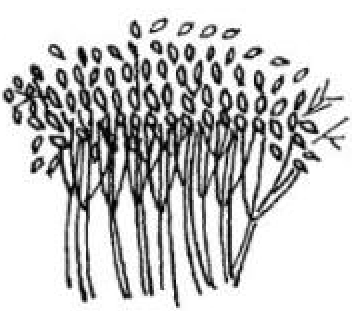
وكان لانتقال الثقافات الاجنبية بعد الفتوح الاسلامية الى المسلمين ، وانتقال الفلسفة اليونانية اليهم فى العصر العباسى ، اثر على ميدان دراسة العقائد عامة ، وعقيدة البعث خاصة ، فقد استعان المتكلمون ـ خاصة المعتزلة ـ بالمنطق والفلسفة اليونانية فى بحث العقائد . ثم ظهر فلاسفة الاسلام بعد ذلك ، وأعجبوا بالفلسفة لذاتها ، وحاولوا الملاءمة بينها وبين العقائد الاسلامية ، وعمدوا الى تأويل كثير من النصوص الدينية تأويلا فلسفيا خاصا ، وخرجوا بآراء لم يرض عنها الفقهاء والمتكلمون ، ومن ذلك آراؤهم فى البعث ، فقد هاجمها الفقهاء والمتكلمون بشدة مبينين انها مخالفة لعقائد الاسلام من نواح كثيرة .

على أن فلاسفة الاسلام لم ينكروا

البعث ، حرصا منهم على عقيـــدة الاسلام ، ولكنهم فهموه على نحـــو خاص بهم ، وبذلوا جهدا كبيرا فى التقريب بين آراء أرســـطو وعقيدة الاسلام فى خلود النفس والبعث ؛ ذلك أن أرسطو رأى أن النفس صورة البدن ، كقوة الابصار للعين ، فاذا فنى البدن فنيت النفس معه ، وواضح أن رأى أرسطو هذا مخـالف لعقيدة الاسلام ، الا أن الفلاسفة اجتهدوا فى تأويل رأى أرسطو فى هذه المسألة ، ليبدو متمشيا مع الاسلام .

ولذلك نجد فلاســفة الاســلام حريصين على القول ببقاء النفس بعد الموت . فالكندى مثلا المتوفى حوالى سنة ٢٥٢ هـ ـ ٨٦٦ م ، يعدل عن رأى أرسطو فى النفس ، ويشير الى أن النفس جوهر بسيط الهى روحانى لا طول له ولا عمق ولا عرض ، وهى من نور البارى تعالى ، ويقرر الخلود صراحة ، فيقول :

« وانما نحن فى هذا العالم فى شبه المعبر والجسر الذى يجوز عليه السيارة ، ليس لنا مقام بطول ، وأما مقامنا ومستقرنا الذى نتوقع فهـو العالم الاعلى الشريف الذى تنتقل اليه نفوسنا بعد الموت » .



ويرى الكندى أن علاقة النفس بالبدن علاقة عارضة ، وهى وان كانت متحدة بالبدن ، لا تفعل أفعالها الا بواسطته، الا أنها منفردة عنه ، مباينـــة له ، وتبقى بعد فنائه .

أما الفارابى المتوفى فى سنة ٣٣٩ هـ ـ ٩٥٠ م ، فقد أثبت أيضا أن النفس وان كانت صـــورة للبدن ، كما قال أرسطو ، الا أنها جوهر بسيط روحانى مباين له ، ويقول عن بقاء النفوس بعد الموت :

« ولا يجوز وجود النفس قبل البدن كما يقول أفلاطون ، ولا يجوز انتقال النفس من جسد الى جسد كما يقول التناســخيون . وللنفس بعد البدن سعادات وشقاوات ، وهذه الاحـوال متفاوتة للنفوس ، وهى أمور لهـــا مستحقة » .

الا أن مؤرخى الفلسفة قد اختلفوا حول آراء الفارابى فى مصير النفس بعد الموت ، فمنهم من يذهب الى أنه يقول بخلودها استنادا الى مثل كلامه السابق ، ومنهم من يذهب الى أنه يقول بفنائها ، أو أنه متردد فى هذه المسألة ، ولا يصرح برأى حاسم ، وأنه لم يتحرر تماما من آراء المعلم الاول فى النفس وأنها صورة للبدن تفنى بفنائه .

والواقع أن الفارابى أميل الى اثبات بقاء النفس بعـــد الموت ، فى كتابه « آراء أهل المدينة الفاضلة » ، وفى كتاب آخر له هو « الســـياسات المدنيـة » ، يظهرنا على أن النفوس تنقسم من حيث بقائها وفنائها الى ثلاثة أقسام : نفوس عرفت السعادة وبذلت كل طاقتها للوصول اليها ، فهى خالدة فى الســعادة ، ونفوس عرفت السعادة، ولكنها أعرضت عنها، فهى خالدة فى الشقاء ، ونفوس لم تعرف السعادة أصلا ، فظلت مرتبطة بالمادة ، ففنيت بفناء أجســـادها .

الجنة والنار عند فلاسفة الإسلام

وأصحاب هذه النفوس الاخيرة وحدهم هم ، على حد تعبيره ، « الهالكون الصائرون الى العدم على مثال ما يكون عليه البهائم والسباع والافاعي » .

***

فاذا كنا مع ابن سينا المتوفى سنة ٤٢٨ هـ - ١٠٣٧ م ، وجدناه اكثر اهتماما من سابقيه بموضوع النفس الإنسانية واثبات بقائها بعد الموت ومعادها ، وقد خصص لهذا الموضوع رسائل مستقلةمنها «رسالة في معرفة النفس الناطقة واحوالها » ، و « اختلاف الناس في امر النفس » ، و « بقاء النفس الناطقة » ، وغير ذلك ، كما انه تحدث باسهاب عن موضوع المعاد في اخر كتابه «الشفاء» .. وهو اول فيلسوف مسلم يعنى بالبحث في النفس بحثا طبيعيا وفزيولوجيا الى جانب بحثه فيها من الناحية الميتافيزيقية ، وله براهين مشهورة على وجود النفس متميزة عن البدن ، وعلى خلودها ، وهي براهين لها قيمتها في تاريخ الفكر الانساني عامة .

على أن ابن سينا يذهب الى أن معاد البدن مستند فقط الى الشريعة ، أما معاد النفس فمستند الى العقل ، وقد صدقته النبوة أيضا ، والى ذلك يشير بقوله في كتابه « النجاة » :

« وبالحرى أن نحقق ههنا أحوال الانفس الانسانية اذا فارقت أبدانها وانها الى أى حالة تصير ، فنقول : يجب أن تعلم أن المعاد منه مقبول من الشرع ، ولا سبيل الى اثباته الا من طريق الشريعة وتصديق خبر النبوة ، وهو الذى للبدن عند البعث .. وقد بسطت الشريعة الحقة التى أتانا بها نبينا المصطفى محمد (ص) حال السعادة والشقاوة التى بحسب البدن، ومنه ما هو مدرك بالعقل والقياس البرهاني ، وقد صدقته النبوة . وهي السعادة والشقاوة الثابتتان بالمقاييس اللتــان للانفس ، وان كانت الاوهام منا تقصر عن تصورها الان ... والحكماء الالهيون (الفلاسفة) رغبتهم في اصابة هذه السعادة (أى السعادة الروحية) أعظمن رغبتهم في اصابة السعادة البدنية ، بل كأنهم لا يلتفتون الى تلك وان أعطوها، فلا يستعظمونها في جنب هذه السعادة التى هي مقاربة الحق الاول (الله) » .

ويبدو من كلام ابن سينا في البعث أنه يرى اللذات الروحانية وحدها أجدر بالانســـان ، ولا كذلك اللذات البدنية ، وهو شديد التحفظ في كلامه في هذا الصدد .

ولعل هـــذا هو الذى دفع الامام الغزالى المتوفى سنة ٥٠٥ هـ - ١١١١ م الى الهجوم الشديد على الفلاســـفة عموما والفارابي وابن سينا خصوصا، لانكارهم حشر الابدان ، وذلك في كتابه « تهافت الفلاسفة » .

— ٤ —

ويظهر الغزالى موافقته الفلاسفة على أن النفس تبقى بعد الموت في سعادة روحانية ، ولكنه يعلن في نفس الوقت مخالفته لهم في أمرين : الاول، أنهم يدعون أنهم عرفوا بقاء النفس،

بعد الموت بطريق العقل ، على حين ان الطريق الصحيح لمعرفة ذلك هو الشرع ، والثاني انكارهم لحشر الاجساد ، وانكار الجنة والنار الجسمانيتين .

ويحمل الغزالي على الفلاسفة ايضا لانهم يعتبرون كل ما ورد في الشرع متعلقا بالحياة الاخروية من نعيم وشقاء ، لا يعدو كونه أمثلة ضربت لعوام الناس ، لانهم لا يدركون معناهما الروحاني . واللذة السرمدية في رأي الفلاسفة لا تكون الا للقوة العاقلة في الانسان ، وسبيلها العلم والعمل . وقد يستدل الفلاسفة هنا بقوله تعالى : « فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون » ـ (السجدة ، ١٧) ، وبما ورد في الحديث القدسي : « أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ، ولا اذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر » ، وعلى ذلك فلا مماثلة بين لذات الاخرى ولذات الدنيا ، فالاولى روحانية والثانية حسية .

ويرد الغزالي على الفلاسفة قائلا: **« ونحن نقول : اكثر هذه الامور (التي ذكرها الفلاسفة في البعث) ليس على مخالفة الشرع ، فاننا لا ننكر أن في الاخرة من اللذات (ما هو) اعظم من المحسوسات ، ولا ننكر بقاء النفس عند مفارقة البدن ، ولكننا عرفنا ذلك بالشرع اذ ورد بالمعاد ، ولا يفهم المعاد الا ببقاء النفس ...**

« ولكن المخالف للشرع منها (اي من آراء الفلاسفة) انكار حشر الاجساد ، وانكار اللذات الجسمانية في الجنة ، والآلام الجسمانية في النار .. وانكار وجود جنة ونار كما وصف في القرآن .

« فما المانع من تحقيق الجمع بين السعادتين الروحانية والجسمانية ، وكذا الشقاوة ؟ .. وقوله تعالى :

« فلا تعلم نفس ما اخفي لهم » ، اي لا يعلم جميع ذلك ، وقوله : « اعددت لعبادي الصالحين مالا عين رأت » ،

فكذلك وجود تلك الامور الشريفة لا يدل على نفي غيرها ، بل الجمع بين الامرين اكمل ، والموعود اكمل الامور ، وهو ممكن (عقلا) ، فيجب التصديق به على وفق الشرع » .

ولا يشترط الغزالي في معرض رده على الفلاسفة أن يبعث الله النفس في ذلك الجسد الذي كان لها في الدنيا، فيقول : « وذلك (اي البعث) ممكن بردها (اي النفس) الى بدن ، اي بدن كان ، سواء كان من مادة البدن الاول ، او من غيره ، اومن مادة استؤنف خلقها ، فانه (اي الانسان) بنفسه لا ببدنه ، اذ يتبدل عليه (اي على الانسان) أجزاء البدن من الصغر الى الكبر ، بالهزال والسمن ، وبتبدل الغذاء ، ويختلف مزاجه مع ذلك ، وهو ذلك الانسان بعينه ، فهذا (اي بعث النفس في بدن) مقدور لله » .

ومن الانصاف ان يقال ان ابن سينا قد سبق الغزالي الى ملاحظة استمرار النفس كما هي مع تغير البدن ، متخذا من ذلك دليلا على تميز النفس عن البدن ، ولنستمع الى ابن سينا قائلا في رسالته : « معرفة النفس الناطقة » :

« تأمل ايها العاقل في انك اليوم في نفسك هو الذي كان موجودا في جميع عمرك حتى انك تتذكر كثيرا مما جرى من احوالك . فانت اذن ثابت مستمر لاشك في ذلك . وبدنك وذاته ليس مستمرا ، بل هو دائما

في التحلل والانتقاص ۰ ولهذا يحتاج الانسان الى الغذاء بدل ما تحلل من بدنه ۰۰۰ فتعلم نفسك ان في مدة عشرين سنة لم يبق شيء من اجزاء بدنك ، وانت تعلم بقاء ذاتك في هذه المدة ، بل جميع عمرك، فذاتك مغايرة لهذا البدن واجزائه الظاهرة والباطنة ، فهذا برهان عظيم يفتح لنا باب الغيب ، فان جوهر النفس غائب عن الحس والاوهام »۰

– ٥ –

والحقيقة ان ما ذكره كل من ابن سينا والغزالي عن اثبات تميز النفس عن البدن لا يزال له قوته في الاقناع حتى في عصرنا ، ذلك ان العلم الحديث قد اثبت ايضا ان جسم الانسان يتركب من ملايين الخلايا ، وهي تتحطم او تفنى في كل حين ، ويعوض الغذاء ما يفنى منها ، فاذا اعتبرنا النفس من مظاهر الجسم لوجب ان يلحقها التغير بمجرد تغير خلايا الجسم ، ولكن الذي يحدث هو غير ذلك ، اذ تستمر النفس كما هي ، ومن هنا تكون النفس شيئا مغايرا للجسم ، وعلى حد قول الغزالي : الانسان بنفسه لا ببدنه ، ومهما تبدلت اجزاء البدن يظل الانسان كما هو ۰

ولعل في هذا ما يبطل مزاعم بعض الفلسفات المادية المعاصرة التي تنظر الى الانسان على انه مادة فقط وان عقله هو اسمى نتاج للمادة ، ذلك الانسان يعرف بمحض فطرته انه كائن يعي ذاته ، والمادة لاتعي ذاتها ، وكذلك فان الانسان هو الكائن الوحيد من بين سائر الكائنات الاخرى الحية القادر على استخلاص اشد انواع المعرفة تجريدا بعمليات ذهنية غاية في التعقيد ،ولا حدود لانطلاقاته في هذا السبيل ۰

والانسان حين يعمد الى تأمل ذاته لايدرك مادة ، وانما يدرك فكرا ، وبتعبير اكثر دقة يدرك حالات متتابعة من التفكير ، وهي ما يطلق على مجموعها الذات المفكرة ، او بتعبير علماء النفس المحدثين « الأنا » ، على اعتبار ان وحدة الظواهر النفسية تستلزم اصلا تصدر عنه

وما نبه اليه كل من الغزالي وابن سينا من استمرار حياة الانسان الوجدانية في تيار واحد لا انقسام فيه ولا انفصام ،، او بعبارة اخرى شعوره من اول عمره الى آخره بحركة فكره المتصلة في الزمان يثبت ان ذاته المفكرة المتميزة تماما عن البدن ، وان كانت هي علة تدبيره وحركته ۰

ولما كان الانسان يدرك هذا كله من نفسه مباشرة ، فانه غير محتاج في اثبات صدقه الى دليل من خارج، فالحدس دائما اقوى من البرهان ۰

– ٦ –

واذا كان ادراك وجود النفس مستقلة عن البدن من قبيل الادراكات المباشرة اليقينية ، فان الايمان بالبعث او بقاء النفس بعد موت

الجنة والنار عند فلاسفة الإسلام



البدن في حياة أخرى مما تحكم به الفطرة السليمة أيضا دون عناء .

ومن أطرف البراهين التي تصادفنا في الفكر الاسلامي على فائدة الايمان بالبعث ما أورده الامام الغزالي عن الامام علي بن أبي طالب رضي الله عنه في مناقشته لأحد الملحدين :

« قال علي كرم الله وجهه لبعض الملحدين : ان كان ما قلته (من أنه لابعث ولا حساب) حقا ، فقد تخلصت وتخلصنا .

« وان كان ما قلناه (من وجود البعث والحساب) حقا ، فقد تخلصنا وهلكت » .

ويشرح الامام الغزالي هذه الفكرة نفسها قائلا : « ليس في العقلاء الا من صدق باليوم الآخر ، واثبت ثوابا وعقابا ، فان صدق أولئك العقلاء في أمر الآخرة ، وكذب هو (أي الملحد) فانه يبقى في عذاب أبدي » .

« وان كذبوا هم (أي العقلاء) وصدق هو ، فلن يفوتهم (أي أولئك العقلاء) الا بعض شهوات الدنيا الفانية ! » .

يمكننا القول اذن ان ما هو مضمون العاقبة هو الايمان بالبعث ، لان الانسان اذا مات ، ولم يكن هناك بعث ، فانه لن يخسر شيئا يذكر الا بعض شهواته الدنيوية ، أما اذا مات ، ولم يعد للبعث عدته ، وكان هناك بعث ، فانه يخسر كل شيء ، لانه سيبقى في عذاب أبدي . فالعاقل فعلا هو من يستعد لاخراه .

ولعل الفيلسوف الفرنسي المحدث « باسكال » قد اخذ هذه الفكرة نفسها عن الغزالي (وكانت آراء الغزالي معروفة عند المدرسين في أوربا في العصر الوسيط وأوائل النهضة) وهي تعرف عند « باسكال » بفكرة الرهان ، وقد عبر عنها في كتاب له عنوانه « الخواطر » .

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ليس بعقل أن تنتهي حياة الانسان الى العدم ، ويضيع كفاحه على الارض تماما ، ويستوى من بذل جهوده لخدمة الانسانية وتعمير الارض ، ومن أفسد فيها ، والعالم والجاهل ، والمحسن والمسيء ، والمؤمن والفاسق ، فلو كان الامر كذلك لكانت حياة الانسان على الارض عبثا لامعنى له ، وضياعا لا حد له ، ويتنزه خالق الانسان عن ان يجعل حياته على هذا النحو ، يقول تعالى : « أفحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لاترجعون . فتعالى الله الملك الحق لا اله الا هو رب العرش العظيم »

(المؤمنون) ١١٥ – ١١٦) .

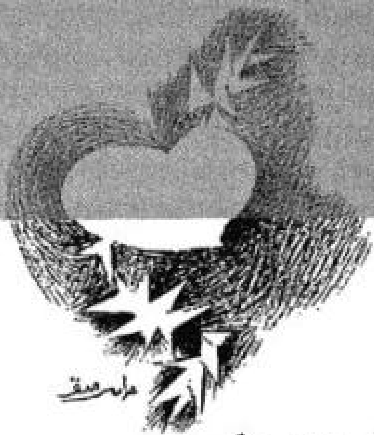
إدوار حنا
سعد

جنة وعصيان

انتبهنا ... فإذا الأفقُ ضبابْ
وحفيفُ الدوح أصداء غِضابْ
والرياضُ الفيح فى جنتنا
دانيات ، نائيات ، كالسرابْ
حسرة العصيان ردتنا إلى
وحشة الجدبِ وأشواك العذابْ
ورياحُ الخزى عرتنا معاً
منْ حلى الحب وأفوافِ الشبابْ
ومعانٍ عرفتنا زمناً
نفحةَ الخلد وتحليق السحابْ

***

وتبدت ربة الحب على
رفرف النور .. وماجَ الموكِب



فَعدَوْنا كالضَّريرين سُدى
كيفَ نلقاهَا .. وأينَ المهْربُ ؟

ووقفنا ترهِفُ السَّمعَ لهَـا
والعِبارات شواظٌ يلهبُ

« هذه الجَنَّة كانت لكُمَا
كلُّ ما فيهـا مُباحٌ طيِّبُ

غير دوح الشك لم آذن بِه
وطوى نهيي الطِماح الخُلبُ »

***

تمْتمت تهمسُ حوائي لهـا
إنها لعنَةُ إبليس اللَّعين

وسَوَسَتْ أفعاهُ في أذني ضُحىً
عبْدُ الشك طريقُ المؤمنين

إنه الجمرُ الذى يذكى الهـوَى
وعلى أنوارِه الحـبُّ يبيـنْ
أطلقى بالشـك ما يكتنفـه
وانظرى صفوَ الهوى كيفَ يكونْ
وابعثى الغيرةَ فى مُهجتِـه
تملكِى من أمرِه مـا تبتغينْ

***

قلتُ أغرتنى وأجـرتْ فى دمى
سمَّها الناقع شـكا وشقاءْ
فاذا الحبُّ مِـزاجٌ شـائه
يلتقى فيه التصافى والعداءْ



وغناء الشك في خضرتنا
ردنا عنها بأشواق ظماء
أطلق الغيرة من قمقمها
مارداً جهماً وغيماً من دماء
ورمى بي في مهاوٍ زخرت
بالأفاعي .. وأنينِ الكبرياء

***

ربة الحب هبي لي رحمة
لا أكن عنها طريداً للقضا
فأجابت ... قِسمة ما بيننا
مني البدء ، ومنك المنتهى
لو رحمت النفس لم تسأل لها
رحمة . لكن نعيماً ورضا
جدت بالكأس فاهرقت الطلا
والجناحين ... فضيقت الفضا
فامضِ عنها أو أقم فيها على
غربة الدار فمغناها مضى

● انوار حنا سعد ●
● الاسكندرية ●

الجنة والنار في الأدب العربي القديم

د. سيد نوفل

منذ بداية المرحلة الاولى في تطور فكر الانسان ، دفعته اماله غير المتناهية الى رفض الانتهاء المطلق لحياته . وتاسيسا على هذا الرفض ، كان الاتجاه نحو الغيبيات . . .

والمصريون القدماء بفكرهم الرائد قد ابدعوا في تصوير الحياة الاخرى ، بثوابها وعقابها . بل ان حضارتهم الخالدة دارت على محاور هذه الحياة اكثر مما دارت على محاور الحياة الاولى .. والاهرام والموميات والمقابر وذخائرها ، شواهد باقيات على الزمان ..

وفي شعر بابل الملحمي يرحل البطل الى جزيرة ، ويظفر بنبات الحياة الابدية . وفي العهد الاغريقي والعهد القديم نرى جنة عدن وحديقة الله وحديقة السعادة ، حيث ابهى الحياة بزينتها وبطهارتها من الدنس .. وفي الملكوت المسيحي ظهرت فكرة الموتى الصالحين الذين يبعثون بعد موتهم ليجنوا ثمرات اعمالهم .. وكلمة الفردوس ، Paradise فارسية الاصل كما قيل . وقد وردت في اليونانية Paradiesos كما وردت في العربية .

وفى الاساطير القديمة وردت النار على أنها اله الموت البشع ، ويعرف المعرفون بالمهنة النيران ... وصورت النار فى الاساطير الاغريقية الاولى فى باطن الارض، أو فى موطن ناء من البحار لا يبلغه الانسان فى الحياة .. ثم جاءت أسطورة « تارتاروس » أو العالم السفلى ، حيث تلح النار تحت الارض وقوع الارض تحت السماء .. وكان العبريون الاولون يعتقدون كالمصريين القدماء أن الارواح تسكن قبور الموتى فى النعيم أو العذاب .. ثم تطورت عقيدتهم الى « جيحنون » ، و « جهنام » « موجهنا » ، حيث تعذب الارواح الشريرة لفترات أقصاها اثنا عشر شهرا ، عدا الكفار فتخلد أرواحهم فى الجحيم .. وفى المسيحية يلقى الذين يموتون بلا كفارة عن ذنوبهم العقاب فى النار ، وإن اختلفت تصورات الكاثوليك والبروتستانت والشرقيين والغربيين فى هذا المجال ..

● فى الادب الجاهلى ●

ولم يكن عرب الجاهلية بمنأى عن أفكار عالمهم السابق والمعاصر ، فقد اتصلوا بملل أهله ونحلهم واضافوا اليها ، بل اختصوا بطائفة منها، مثلما تبادلوا وإياهم الصوالح والمنافع المادية .. كما نشأت فى أطراف شبه الجزيرة الجنوبية والشمالية حضارات سايرت الحضارات المصرية والبابلية والاشورية ، كما سايرت من بعد ذلك حضارتي فارس والروم ثم غلبتهما ..

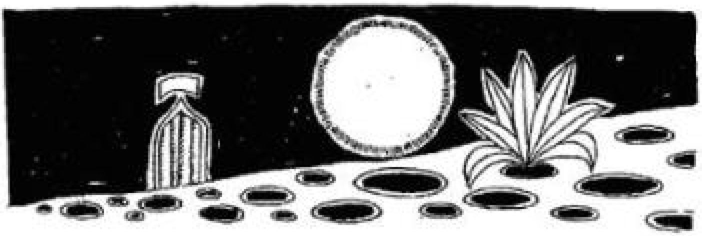
ولهذا عرف الادب العربى القديم الجنة والنار ، بل أن الروضة الصغيرة كان يطلق عليها « جنينة » تصغير جنة ، مثلما نطلق نحن عليها فى هذه الايام .. وقد ورد ذلك فى قول لبيد بن ربيعة ، وصفا لقبر طفيل بن مالك أبى عامر وقبر ابنه سهيل :

وبيت طفيل بالجنينة ثاويا   وبيت سهيل ، كما علمت ، بصوعر

وفضل عنترة العبسى العيش فى جهنم كريما عزيزا ، على عيش النعيم ذليلا مهينا :

لا تسقنى ماء الحياة بذلة   بل فاسقنى بالعز كاس الحنظل
ماء الحياة بذلة كجهنم   وجهنم بالعز اطيب منزل

وزهير بن أبى سلمى ، فى غيرته على الوحدة الوطنية للعرب ، وفى دعوته الى الترابط الاجتماعى ، يناشد الاحلاف : أسد وغطفان وطيىء ، كما



يناشد ذبيان أن يتصالحوا فى صدق .والا يضمروا غير ما يظهرون لان الله يعلم السر ·· وينذرهم بيوم الحساب حيث يحمل كل انسان كتابه ويؤاخذه الله بما قدمت يداه ، ويجزيه الثواب أو العقاب ، والجنة أو النار :

الا ابلغ الاحلاف عنى رسالة وذبيان هل اقسمتم كل مقسم ؟!
فلا تكتمن الله ما فى صدوركم ليخفى ومهما يكتم الله يعلم
يؤخر ، فيوضع فى كتاب فيدخر ليوم الحساب ، او يعجل فينقم

● أمية بن ابى الصلت ●

وامية بن ابى الصلت ، من رؤساء ثقيف وفصحائهم ، يعتبر على ما تفيض به سيرته منشكوك وريب كابرز الامثلةفى المعرفة الجاهلية بالشئون الدينية ·· لقد جاء فى أواخر العصر الجاهلي، وتناولت شخصيته وأشعاره الاساطير ·· وزعموا أن الجن كانت مسخرة له ،وأنه كان من المتصوفة الطامعين فى النبوة ·· ويرجحون على كل حال أنه اطلع على الآثار اليهودية والمسيحية ، وعرف حكمة السابقين وقوانينهم ، وأن مصدره فى ذلك هم احبار اليمن وقساوسته الذين كان يكثر السفر اليهم ··

وقد ادرك أمية الاسلام ، وتوفى بعد البعث بنحو عشرين عاما ، ولكنه لم يؤمن برسالة محمد ، صلى الله عليه وسلم ، بل أمعن فى الكفر وأصر على الضلال ، وحرض القرشيين على الرسول الامين ، وأفاض فى رثاء قتلى بدر من المشركين ، وكان منهم ابنا خاله : عقبة وشيبة ابنا ربيعة ··

وحين انتشر الاسلام ، وأخذت أنواره تضيء أرجاء شبه الجزيرة ، هرب أمية ومعه ابنتاه الى اقصى اليمن ثم الى الطائف حيث قضى نحبه ·· ويروى أنه لما مرض مرض الموت جعل يقول : « قد دنا اجلى ، وهذه المرضة منيتى · وأنا أعلم ان الاسلام حق ، ولكن الشك يداخلنى فى محمد ·· » كما روى أن رسول الله ، صلوات الله وسلامه عليه ، كان اذا روى له شيء من شعره يقول : « كاد أمية يسلم ·· »

والاشعار المنسوبة الى امية فى الكمالات الالهية ، والخلق والديونة ، وقصص الانبياء وما بعد الموت ·لا تختلف معاني والفاظا عن المعانى والالفاظ القرآنية الكريمة فى شيء ·

ومن هنا فان الامر لا يحتمل سوى الفراضين · الاول كثرة الانتحال والاسرائيليات فى شعره لاغراض المعارضة للدين ، والاخر علم امية بالقرآن ومعارضته فى شعره ،واستخدام الفاظه ومعانيه امعانا فى هذه المعارضة ، وانتصارا للباطل والضلال ··

● الجنة والنار فى ديوان أمية ●

وامية يصف يوم الحساب ، ودخول الكافرين النار ، والحوار الذى يدور بين خزنة جهنم وروادها ، كما يصف أهل الاعراف فيقول شعرا كثيرا منه :

ويقولا خزانها : ما كان عندكم ؟ !
الم يكن جاءكم من ربكم نـــــذر
قالوا : بلى ، فاطعنا سادة بطروا
وعزنا طول هـذا العيش والعمر
قالوا : امكثوا فى عذاب الله مالكمو
الا السلاسل والاغـلال والسعر
واهلكوا بعـــــذاب خص دابرهم
فما استطاعوا لعصرفا ولاانتصروا
فذاك عيش لا يبرحــــون به
طول المقام وان جنحوا وان ضجروا
واخرون على الاعراف قد طمعوا
بجنة حفهـا الرمـــان والخضر
منهم رجـال على الرحمن رزقهم
مكفر عنهم الاخبـــاث والـوزر

ومن اليسير فى هذا المقام ان نتذكر الفاظ القرآن ومعانيه فى مثل قـوله تعالى : « كلما القى فيها فوج سالهم خزنتها الم ياتكم نذير ؟ قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء ، ان انتم الا فى ضلال كبير »·· وقوله سبحانه : « ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا فاضلونا السبيلا »·· والحـوار بين الســادة المتبوعين والمسودين التابعين ، وارد فى كثير من آيات القرآن الكريم ·· وقـوله تعالى: « ونادى أصحاب الاعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم ، قالـوا ما أغنى عنكم جمعكم ، ومـا كنتم تستكبرون »

ويقول الشاعر :

لا يستوى المنزلان ثم ولا الـــ	اعمـال لا تسـتوى طرائقهـا
امن تلظى عليـــه واقدة النا	ر محيط بهـا سرادقهـا
ام مسكن الجنة التى وعد الـ	ابرار مصـــفوفة نمارقهـا
هما فريقـــان فرقـــة تـد	خل الجنـة حفت بهم حدائقهـا
وفـرقة منهم ادخلـت النـــار	فســاءتهم مرافقهـــا

وهـذا يذكر بقول الله تعـــالى : « لا يستوى اصحاب النـــار واصحاب الجنة ، اصحاب الجنة هم الفائزون » ـ كما يذكر بآيات اخـرى من القرآن الكريم ، ورد فيها أختـلاف الطرائق واحاطة السرادق ، والنمارق المصفوفة والحدائق الحافة بأهل الجنة ، والمرافق التى ساءت لاهل النار ··

ويقول ابن ابي الصلت :

وسيق المجرمون وهم عـــراة	الى ذات المقـــامع والنكال
فنـادوا ويلنـــا ويلا طويلا	وعجوا فى سلاسلها الطـوال
فليســـوا ميتين فيستريحوا	وكلهم بحـر النـــار صــالى
وحـل المتقــون بدار صـدق	وعيش ناعم تحت الظـلال
لهم ما يشتهون وما تمنـوا	من الافراح فيهـا والكمـــال

وتلك تعبيرات قرآنيـــة ، ومواعظ اسلامية وردت أصولها فى سور الزمر والرحمن والواقعة وغافر وفى قصيدة واحدة يقول امية فى جهنم :

اذا شـــهقت جهنـم ثم فارت	واعرض عن قوابســـها الجحيم .

كما يقول فى الجنة :

بدانيـة من الآفات نزه — براير لا يرى فيهـا سقيم
فذا عسل وذا لبن وخمـر — وقمح فى منـابته صريم
وحور لا يرين الشمس فيها — على صور الدمى فيها سهوم
على سرر ترى متقـابلات — الا ثم النضـارة والنعيم
وحلوا من اساور من لجين — ومن ذهب وعسجدة كريم
ولا لغـو ولا تأثيم فيهـا — ولا غـول ولا فيهـا مليم
وكاس لا تصدع شاربيها — يلذ بحسـن رؤيتها النديم

وهـذا لا ريب اقرب الى نظم آيات القرآن الكريم منه الى الشعر يصدر عن فكر الشاعر وخياله ..

ومهما يكن من أمـر فان الشعر المنسوب الى أمية شعر اسلامى مبنى ومعنى ، ويبـدو مناقضا للمأثور عن حياته الجاهلية فى اللهـو والمجون والاستجـداء وفقدان المثل العليا .. ومن الغريب أنه ظل مغمورا فى تاريخ الادب القديم ، ولم ينشر ديوانه البالغ نحو ثمانمائة بيت الا حديثا وفى هذا القرن العشرين . وقيـل أن الرواة القدماء تركوا رواية الكثير من شعره لانه كان يستخدم الفاظا اعجمية غير عربية،كما ذهبوا الى انه مدح الرسول صلوات الله وسلامه عليه بقصيـدة مروية ، وتوجه اليه يعلن اسلامه . لكن قريشا ردته على أعقابه خاسرا ، وحالت بينه وبين الهدى والرشاد ...

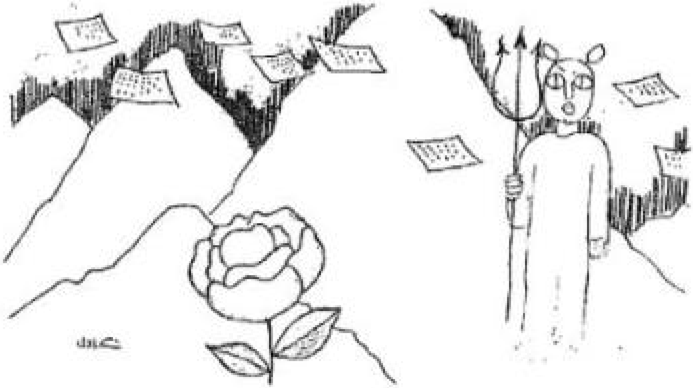
● الجنة والنار فى الخطـابة لصدر الاسلام ●

وكان للجنة والنار والموعظة بهمـا مكانة ظاهرة ، وكلمة مسمـوعة فى الادب السياسى أو الخطابة لصـدر الاسلام . وذلك لصـلتهما الوثيقة بالسلوك الامثل وبالجهـاد فى سبيل الله . لان الله اشـترى من المؤمنين انفسهم وامـوالهم بأن لهم الجنة .. والذين حرصوا على الموت فى الدنيـا لتوهب لهم حياة النعيم فى الآخرة . هم الذين رفعوا راية الاسـلام على جزيرة العرب كلهـا ، وحرروها من الوثنية والرجس والضعف ، وانطلقوا من قواعدهم الحصينة فيها الى ارجاء المعمورة يعلون فيها كلمة الحق والعدل والسـلام .

فالصديق أبو بكر ، رضى الله عنه ، يتحدث الى المسلمين فى خطاب سياسى جامع ، يدعو فيه الى صدق الايمان والعمل ، ويذكر بمن بادوا من أصحاب الجاه والسلطان ، وبما عنـد الله من خير باق .. ويختم خطابه بقوله :

« أين من تعرفـون من أبنائكم وأخـوانكم ؟ قد انتهت بهم آجالهم ، فوردوا على ما قدموا ، فحلوا عليه ، واقاموا للشقوة وللسعادة فيما بعـد الموت .... أما وانه لاخير بخير بعده النار ، ولا شر بشر بعده الجنة » .

والفاروق عمر يطلب فى وصيته لمن بعده بالعدل الصارم ، والتجرد التام للحق وحده . ويختم وصيته مذكـرا بالاخرة والرضوان فيها على المؤمنين الصالحين ، والسخط على الغـاوين الضالين ، فيقول :



« وإياك والاثرة والمحاباة فيما ولاك الله مما أفاء على المؤمنين .. وقد أصبحت بمنزلة من منازل الدنيا والاخرة .. فان اقترفت لدنياك عدلا وعفة عما بسط الله لك ، اقترفت به ايمانا ورضوانا وان غلبك الهوى اقترفت به سخط الله .. »

وكثيرا ما تكلم على كرم الله وجهه بالجنة ، وبان الجهاد في سبيل الله بابها ، وبان صدق العمل والصبر سبيلها ..

ومن ذلك قوله :

« أما بعد ، فان الجهاد باب من أبواب الجنة . فمن تركه ألبسه الله ثوب الذل ، وشمله البلاء ، وألزمه الصغار ، وسامه الخسف ، ومنعه النصف .. الا واني دعوتكم الى قتال هؤلاء القوم ليلا ونهارا وسرا واعلانا .. مرارة الدنيا ، حلاوة الاخرة .. ثلاثة من كنوز الجنة : كتم العلة ، وكتم الصدقة ، وكتم المصيبة » ..

وكان ولاة الخلفاء على الاقاليم الاسلامية ينحون هذا النحو ، وينهجون ذلك النهج .. ومن ذلك قول الحجاج بن يوسف الثقفي في خطابه لأهل البصرة : « الا فاعلموا ، وأنتم من الله على حذر ، انكم ملاقوه يجزى الذين أساءوا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى . الا وان الخير كله بحذافيره في الجنة ! الا وان الشر كله بحذافيره في النار ! »

● في الشعر الاسلامي الاول ●

والشعر في صدر الاسلام كان امتدادا في الواقع للشعر الجاهلي ، مع تحرر الشعراء المسلمين من آثام الجاهلية وشركها .. ولكن حسان بن ثابت ، شاعر الرسول قلما تعرض للجنة والنار والتذكير بهما ، وان مهد بأسلوبه الجديد في الاسلام للشعر الديني الذي جاء من بعده .

وتصيدته في فتح مكة تنحو النحو الجاهلي ، الذي برز فيه حسان قبل الاسلام . ويفتتحها بالحديث عن الاطلال والغزل والخمر ، ويدافع عن

الرسول ويهجو خصومه بأسلوب لايختلف كثيرا عن مدحه لجبلة بن الايهم والغساسنة وهجاء خصومهم ، وان ظهرت فيها المعاني الدينية السامية ..

لكن المعاني الدينية ، وما يتصل بها من حديث الجنة والنار ، اخذت تبسط سلطانها على شعراء الاسلام ، حتى اخذ الفرزدق في احدى قصائده ينازل ابليس ويسومه سوء القول ، ويؤكد أن الاسلام حال بينه وبين النهج الجاهلي في الشعر وخاصة الهجاء للمسلمين :

الم ترني عاهدت ربي فانني   لبين رتاج قائم ومقام
على قسم لا اشتم الدهر مسلما   ولا خارجا من في سوء كلام
الم ترني والشعر ، اصبح بيننا   دروء من الاسلام ذات حوام

ويخشى الشاعر أن يبعث يوم الحساب وحوضه جاف من الماء :

احاذر أن ادعى وحوضي محلق   اذا كان يوم الورد يوم خصام

ويفيض في الحديث عن الذنوب والتوبة ، وعن غواية ابليس له سنين طويلة ثم فراره منه ، ويذكر من اضلهم ابليس من الامم السابقة وأوردهم موارد الهلاك والعذاب ، ويروى قصة ادم وابراهيم وعادا وثمود .

وبعد ذلك ينتهي الى صب اللعنات على ابليس ، وينذره بالنيران وضرامها ، وزقومها وجناه المرير ، وان ذلك جزاء عادل ، فقد سقى ابليس وابنه الناس جميعا شر العذاب :

ساجزيك من سوءات ما كنت سقتني   اليه ، جروحا فيك ذات كلام
تعيرها في النار والنار تلتقي   عليك ، وزقوم لها وضرام
وان ابن ابليس وابليس البنا   لهم بعذاب الناس كل غلام

وقد مثل الفرزدق في شيبه ، مثلما مثل غيره من الشعراء والكتاب لعصره الخوف من عذاب جهنم ، وما يلاقيه العاصي من اهوال فيها :

لقد خاب من اولاد دارم من مشى   الى النار مشدود الخناقة ازرقا
اذا جاءني يوم القيامة قائد   عنيف وسواق يسوق الفرزدقا
اخاف وراء القبر ، أن لم يعافني ،   اشد من القبر التهابا واضيقا
اذا شربوا فيها الصديد رأيتهم   يذوبون من حر الصديد تمزقا

● الآخرة في رسالة ابن القارح ●

وابن القارح هو المتحدث الاديب على بن منصور الحلبي ، صديق أبى العلاء المعرى ، واحد المعجبين بعبقريته من ادباء عصره . وقد كتب لابى العلاء رسالة عنوانها « في تقبل الشرع » ثم فيها الزنادقة والملحدين ، وهاجم الخارجين على حدود الدين الحنيف ..

وقد بداها بحمد الله والصلاة على رسوله والافاضة في تمجيد ابى العلاء ،

وتفوقه العلمي الذي لا يباري ، والشوق المبرح للقـــائه ، والبكاء على حلب التي أقفرت بعد رحيل أبي العلاء منها.

ويعرض للمتنبي ، رغم اعجاب أبي العلاء الشديد به ، فينقده مر النقد ، ويســخر من ادعائه النبوة .. لكنه يعود فيعترف له بطلاوة الشعر ورونق الديباجة ، ويعلل حملته عليه فيقول : ولكني أغتاظ على الزنادقة والملحـدين الذين يتلاعبـــون بالدين ، ويرومون ادخال الشبه والشكوك على المسلمين، ويســتعذبون القدح في نبوة النبيين صلوات الله عليهم أجمعين .

كما يعيب ، أبا الفرج الزهرجي ، ويقول له بعد الاطلاع على خــزانة كتبه : كتبك هذه يهودية ، قد برئت من الشريعة الحنيفية ، .

ويذكر زندقة بشـــار ، والوليد بن يزيد ، والحسين بن منصــور الحلاج وغيرهم

وفي هـــذا الاطار يروى أشـعار الخوف من الله مثل :

الا ان لقـــــــاء اللـــــــه هـول دونه الوهـــل

كمـــا يروى بعض أوصاف المذنبين الذين يحشرون في النار يوم القيامة ويعذبون ويعجب بقول ابن الرومي :

الا ليت شيبك بالمنتزع فهل انت من غية مرتدع ؟

ويروى من سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، واعزاز الاسلام للمغلوبين على أمرهم في الجاهلية والانتصارات المحمدية الكبرى بالقليل من الجنود . ويعيب الدنيا ، ويتمثل بقول الشاعر :

واحصرني في يوم يجمــع شرتي كفـــن ولحـــد
شـــبعت ما لابد منـــــه باللذى لى منه بد

ويناشـــد الله الصفح والرضـا ، ويدافع عن موقفـــه من بعض رجـال عصره وقد بلغه نكر أبي العلاء لهذا الموقف . وينهي رســالته برواية عن أبي بكر الشبلي ، وكيف ذكره منظـر شاو لحمل في التنور بالنار وعذابها ، فأخذه الرعب والهـــول ، ونادى بيه داعيا مستغفرا :

يارب عفوك عن ذي شيبة وجـــل
كأنه من حـــذار النار مجنـون
قد كان ذمم الحالا منعمة
أيام ليس له عقــــــل ولا دين

ويختتم الرسالة بحمـــد الله كما بدأها ، ويناشـــد أبا العلاء الجواب عليها حتى يسيره في الآفاق ..

● الجنة والنار في رسالة الغفـــران ●

وأثمرت رسالة ابن القارح ، وكان جواب أبي العلاء المعرى عليها برسالته الخـــالدة على الزمان ، الملهمة لأبناء الشرق والغرب ، الدرة في جيد الأدب العالمي : رسالة الغفران .

وفي هذه الرسالة يتخيل المعرى ابن القارح في نزهة بالجنة على جمل من ياقوت ودر ، بعد ان يمر بأهوال يوم الحشر ويحظى بالشفاعة .

وفي هذا الطواف الشيق بالجنـــة يصـــف المعرى انهارها الخمـــرية ،

وأسماكها المخلوقة من الذهب والفضة وأثمن الجواهر ، وأدباء الفردوس من الشعراء والرواة الاسلاميين والجاهليين .. ويقيم مأدبة عجيبة في الجنة يجمع فيها ما يشاء من الشعراء ، ويحشد ألوان الصحاف والمواعين العسجدية والذهبية واللجينية ، وأشكال الجواهر، وأنواع الاطعمة ، وضروب الرقص

والغناء والموسيقى . ويصور شجرة جوز تنفض عددا كبيرا من الجوزات ، وتنشق كل جوزة عن اربع جوار يرقصن جماعات على ابيات الخليل بن أحمد ، فتهتز أرجاء الجنة طربا .. ويرى غفران الله يتسع للكثير من المذنبين في الجاهلية والاسلام ، فيشملهم رضوانه ،وينعمون في الجنة بكل ما يريدون وما يخطر ببالهم من ألوان النعيم التي يبدع المعرى في تصويرها .

● في جنة العفاريت ●

ويطوف ابو العلاء بابن القارح في جنة العفاريت ، فيلقى مدائن ليست كمدائن الجنة ، بها اودية ضيقة كثيرة النبات والخضرة ، ويقابل شيخا من الجن يدعى « الخيتعور ابو هدرش » أحد بنى الشيصبان من الجن الذين سكنوا الارض قبل آدم عليه السلام .. ويسأله ابن القارح عن أشعار الجن ، فيسمعه الشيخ الجنى رواية المرزباني لها ، ويقول ساخرا من الشعر البشرى : « وهل يعرف البشر من النظم الا كما تعرف البقر من علم الهيئة ومساحة الارض .. ! وان لنا لالوف أوزان ما سمع بها الانس !! »

ويصوغ أبو العلاء على لسان « أبى هدرش » شعرا كثيرا عجيبا ، منها :

مكة أقوت من بنى الدردبيس
فما لجنى بها من حسيس
وأدلج الظلماء فى فتية
ملجن فوق المساحل العريسيس
تحملنا فى الجنح خيل لها
أجنحة ليست كأجنحة الأنيس

وبعد جنة الجن وأعاجيبها يرى ابن القارح أقصى الجنة حيث الحطيئة العبسى فى بيت متواضع بلغه بشق الانفس ، وبشفاعة قوله :

أبت شفتاى اليوم الا تكلما
بهجر فلا أدرى لمن انا قائله
أرى لى وجها شوه الله خلقه
فقبح من وجه وقبح حامله

كما يرى الخنساء فى بيت قريب من النار ، ترى صخرا أخاها ، الذى أمضت حياتها فى رثائه ، كالجبل الشامخ فى جهنم والنار تضطرم فى رأسه . وقد صح بهذا قولها فيه :

وان صخرا لتأتم الهداة به ... كأنه علم فى رأسه نار !

● مسيرته حول جهنم ●

ولم يكن بد ، استكمالا للصورة من ان يطوف ابو العلاء بابن القارح حول جهنم ليرى اهلها دون دخولها . وهنا يرى ابليس ، وهو يضطرب فى الاغلال والزبانية تضربه بمقامع الحديد ويحاور ابن القارح ابليس ، ويستمع الى ثنائه على بشار بن برد الذى فضل ابليس على آدم ... ولا يلبث حينئذ ان يرى بشارا يغمض عينيه حتى لا يرى ما ينزل به من اشد العذاب ، فيفتحهما الزبانية بكلاليب من نار ..

كما يرى امرأ القيس بن حجـــــر وعنترة العبسى ، وابو كبيـــر الهذلى وغيرهم ، ويناقشهم فى الشعر ويستمع اليهم لا يشغلهم هول النار عن الجواب على اسئلته !!

ويضيق ابليس بابن القارح ، ويعيب على اصحاب مالك اهل النـــــار الذين لا يجذبون ابن القارح الى ســـــقر ، فيجيبون ابليس ، لم تصنع شيئا يا أبا زوبعة ! ليس لنا على اهل الجنـــــة سبيل ! » .

ويسمع الله ابن القارح قول ابليس فيأخذ فى شتمه ولعنه واظهار الشماتة بما يلقاه فى جهنم من عذاب .. فيقول ابليس له : الم تنهوا عن الشماتة يا بنى آدم ! ولكنكم بحمد الله ما نهيتم عن شىء الا وركبتموه ! فيقول له ابن القارح : انت بدأت آدم بالشماتة ، والبـــــادى اظلم !

● العودة الى الجنة ●

وبعد أن ينال مأربه من حديث اهل النار ، يعود الى الجنة .. وفى طـريق عودته يمر بجزيرة الرجاز حيث جماعة بنى عجل ورؤبة والعجاج والزفيان .. ويصور بيوتهم بانها دون بيت اهل الجنة .. وان نعيمهم اقل بكثير من نعيم الفردوس .. ويدل المعرى على رأيه فى الرجز حين يقول ، على لســـــان ابن القارح : « صدق الحديث ان الله يحب معالى الامور ، ويكره سفاسفها ، وان الرجز لمن سفاسف القريض . قصرتم ايها النفر فقصر بكم » !

ويعود ابن القارح الى قصره المشيد فى الجنة .. ويلقى آدم عليه السلام فى الطريق ، فيسأله عن الشعر المنسوب اليه .. فينكره آدم ، ويقول لقد كنت أتكلم العربية فى الجنة قبل الخروج ، فلما خرجت تكلمت السريانية . ولـــما عدت الى الجنة بعد الموت تكلمت العربية .. ولهذا لم يكن مجال لاختلاق البشر شعرا عربيا فى الدنيا ينسبونه الى .

ويستقر ابن القارح فى نعيم الجنة بصورة يبدع المعرى فى تصويرها ... ويعود المعرى الى الرد على ما اثاره ابن القارح فى رسالته من مسائل الشعر والزندقة والدين ، ويظهر تفوقه الذى لا يجارى .

***

وبعد ، فان حديث الجنة والنار ، مستفيض فى القرآن الكريم ، اكثـــر استفاضة فيما نسب الى الرسول الامين من احاديث صحيحة ومنتحلة ..

وقد اغنى الادب العربى فى فجر الاسلام وضحاه بالنار تناقلتها الآداب العالمية .. وامتثلها الموهوبون فى الفن بمختلف الارجاء ، وصوروها كل على طريقته : قصة ، او قصيدة ، او تمثـــالا ، او صورة ..

■ محمد عبد الغنى حسن ■

نعيم وأهوال

فى تصوّر الحارث بن أسد المحاسبى

ما كنت أتصور أن صور الجنة والنار ، الحسية والعضوية ، فى القرآن الكريم ، وفى الحديث النبوى الشريف ، تحتاج الى صور اخرى تكملها ، او لوحات اخرى تضاف اليها ، بعد تلك الصور واللوحات الرائعة التى فاض بها كتاب الله فى اكثر سوره ، والتى امتلأ بها حديث رسول الله فى غير قليل من مواطنه • الى ان وقع فى يدى منذ بضعة وثلاثين عاما كتاب الله فقيه صوفى بغدادى كان شيخا لكثير من العلماء فى وقته، ومرشدا لكثير من العارفين والمتصوفة فى زمانه • اما الشيخ الفقيه المتصوف فهو « ابو عبد الله الحارث بن أسد المحاسبى » ، واما كتابه الذى قصره على صفة الجنة والنار ، فهو كتاب « التوهم » الذى نشره المستشرق «الدكتور ا • ج آربرى» لاول مرة سنة ١٩٣٧ ، واصدرته لجنة التاليف والترجمة والنشر مع مقدمة وجيزة للدكتور احمد امين •

الجنة
الجحيم

الحق أن صور الجنة ونعيمها ، والنار وأهوالها في القرآن الكريم وحده ، كافية لأن تصرف أي مؤلف — مهما كان شأنه — عن أن يأتي لهما بصور من عنده تعتمد في أكثرها على أوصاف القرآن الكريم ، وتزيد عليها في إطالة التخيل والتوهم والتوسع في الصورة بما يوحي به خيال الواصف ، وصفة العارف .

ويكفي أن يلم القارىء بسور البقرة ، وآل عمران ، والمائدة ، والأعراف ، والأنفال ، والتوبة ، وإبراهيم ، ويونس ، والحجر ، والرعد والكهف ، ومريم ، والحج ، والأنبياء ، والمؤمنون ، والفرقان ، والعنكبوت ، والروم ، ويس ، والصافات ، والزمر ، ولقمان ، وفاطر ، وص ، وفصلت ، وق ، والدخان ، والزخرف ، ومحمد ، والطور ، والرحمن ، والواقعة ، والدهر ، والنبأ ، والمطففين والغاشية ، والبروج ، وغافر والتحريم ، والملك ، وطه ، والشورى ، والدثر ، وغيرها ويلقي نظرة على أوصاف الجنة والنار فيها ، ليرى كيف صورتا في كتاب الله على أكمل وجوه التصوير ، بما لايدع بعد ذلك في الوصف مجالا لجائل ، ولا مقالا لقائل .

وقد يخرجنا التعرض لصفة الجنة والنار في القرآن الكريم والحديث الشريف عما نحن بسبيله هنا من التعرض لوصفهما عند فقيه متصوف رائد من رواد الفقه والتصوف في

نعيم الجنة وأهوال الجحيم

النصف الاول من القرن الثالث الهجرى ·

وتكفى صورة واحدة من صور جهنم ، فى سورة الحج ، تغنى عن عشرات من الصور المهلمة المفزعة ، حيث يقول جل شانه : (هذان خصمان اختصموا فى ربهم ، فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار ، يصب من فوق رءوسهم الحميم ·· يصهر به مافى بطونهم والجلود، ولهم مقامع من حديد ، كلما ارادوا أن يخرجوا منها من غم اعيدوا فيها ، وذوقوا عذاب الحريق)

وتكفى صورة واحدة من صور الجنة ، فى سورة الدهر ، تغنى عن عشرات وعشرات من الصور المفرحة المبهجة ، حيث يقول تعالى :

(··· وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا ، متكئين فيها على الارائك لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا ، ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلا ، ويطاف عليهم بآنية من فضة، واكواب كانت قوارير ، قوارير من فضة قدروها تقديرا ، ويسقون فيها كاسا كان مزاجها زنجبيلا · عينا فيها تسمى سلسبيلا ، ويطوف عليهم ولدان مخلدون اذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا · واذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا، عليهمثياب سندس خضر واستبرق وحلوا أساور منفضة، وسقاهم ربهم شرابا طهورا · ان هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا)

فلم يجيء بعد كتاب الله وحديث الرسول آت ليزيد فى أوصاف الجنة والنار بما لم يات به الكتاب والحديث ؟ وليزيد فى التخيل والتوهم بما يوحى به تصوره لهذا العذاب الدائم ، وهذا النعيم المقيم ؟

الحق أن هذا ضرب من الترغيب والترهيب ، ولون من الخوف والرجاء ، ونوع من التبشير والانذار لجأ اليه قوم من الصالحين والصوفية ليذكروا الناس دائما بربهم ، وليصوروا لهم جنته وناره ، حتى يطمع الطامع ، ويرهب الراهب، وحتى لا ينقطع أمل الامل ، أو تزيد غفلة الغافل ·

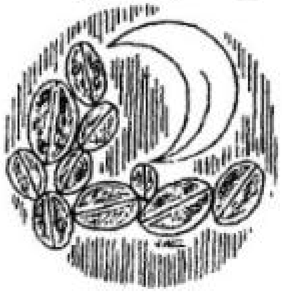
ويكفى أن يذكر المؤمن مرة بعذاب الله أو ثوابه ليثوب اليه رشده ، ويؤوب الى الحق والصواب نفسه · الم تحدثنا الاخبار

الصوادق ان الخليفة عمر بن الخطاب اتاه رجل يطلب معروفه ، واقسم عليه بالله أن يفعل ، فقال له عمر : وان لم أفعل فماذا يكون ؟ فاجاب الرجل :

يكون عن حالي لتسالنه
يوم تكون الاعطيات هنه
وموقف المسئول بينهنه
اما الى نار ، واما جنه

فبكى عمر لهول هذا الموقف الذي ذكره به سائله ، وحقق له طلبته .

والحارث بن أسد المحاسبي صاحب الصور التخيلية الرائعة للجنة والنار ، ومؤلف لوحات النعيم والعذاب فى كتاب (التوهم) ، لم يأخذ حقه من الترجمة الكاملة الوافية. وان كنا نجد له تراجم وجيزة في « تاريخ بغداد » ، و « تهذيب التهذيب » ، و « حلية الأولياء » ، و « صفوة الصفوة » ، و « شذرات الذهب » ، « وطبقات الصوفية » و « طبقات الشعرانى » ، و « وفيات الأعيان » ، و « ميزان الاعتدال » ، و « طبقات الأولياء » ، و « طبقات الشافعية » للامام السبكى .
وان كانت ترجمته فى « طبقات الشافعية » أطول من غيرها .



ولقد عرف به الامام تاج الدين السبكى قائلا : انه « علم العارفين فى زمانه ، وأستاذ السائرين ، الجامع بين علمى الباطن والظاهر ، شيخ الجنيد ...)

ووصف المحاسبي بأنه كان يجمع بين علمى الباطن والظاهر يعدل قول الامام الغزالي عنه أنه كان يجمع بين علم الحقيقة والشريعة ، أو بعبارة اخرى انه كان يجمع بين التصوف والفقه . ومن جمع بينهما كلم الناس بما تقتضيه أحوالهم . فهو يخاطب الفقهاء بلغتهم ويخاطب المتصوفة بلسانهم . ولهذا وثق به الفقهاء كما وثق به الصوفية .

واذا كان الاستاذ أبو منصور قد ذكر « المحاسبي » فى الطبقة الاولى فيمن صحب الامام الشافعى ، فان عالم الطبقات « ابن الصلاح » قد صحح الوهم بأن المحاسبى كان ممن عاصر الشافعى ولم يكن من صحبه ...

وقد غالى كثير من المتصوفة فى قدر الامام المحاسبى ، وقال جمع منهم ان كتبه تبلغ مائتى كتاب ولكن مع الأسف لم يقع لنا منها الا قلة قليلة ، منها : « الرعاية لحقوق الله » ، و « البعث والنشور » ، و « التوهم »

واذا كان المحاسبي قد اشتهر بكونه شيخ « الجنيد » الصوفي المشهور المتوفى سنة ٢٩٧ هـ ، فانه اشتهر من ناحية اخرى بكونه كان كثير المحاسبة لنفسه ، ومن هنا جاءت تسميته « بالمحاسبي » ، كما اشتهر بكثرة تصونه فى طعامه وشرابه وملبسه ، فلم يدخل فى فمه طعاما فيه شبهة . ويروى عنه

نعيم الجنة وأهوال الجحيم

تلميذه « الجنيد » في هذا الباب حكاية لانجد بأسا في ذكرهاهنا ، قال : كان الحارث المحاسبي كثير الضر ، فاجتاز بي يوما وانا جالس على بابنا ، فرأيت على وجهه زيادة الضر من الجوع ، فقلت له :

« يا عم لو دخلت الينا نلت من شيء من عندنا ! » وعمدت الى بيت عمي ، وكان اوسع من بيتنا ، لا يخلو من اطعمة فاخرة لا يكون مثلها في بيتنا سريعا ، فجئت بأنواع كثيرة من الطعام ، فوضعته بين يديه ، فمد يده ، فاخذ لقمة فرفعها الى فمه ، فرأيته يعلكها ولا يزدردها ، ثم وثب وخرج ما كلمني ... فلما كان الغد لقيته ، فقلت له « يا عم سررتني ثم نغصت علي ! » قال : « يا بني أما الفاقة فكانت شديدة ، وقد اجتهدت في ان انال من الطعام الذي قدمته الي ! ولكن بيني وبين الله علامة ، اذا لم يكن الطعام مرضيا ارتفع الى انفي منه زفرة ، فلم تقبله نفسي ... فقد رميت بتلك اللقمة في دهليزكم » ..

هذا هو الفقيه المتصوف البغدادي الذي قدم لنا الجنة والنار في لوحات توهمها خياله البعيد من أوصاف القرآن لهما ، وأراد أن يجعل من هذه اللوحات صورا أمام الناس يذكرون بها ربهم في ثوابه وعقابه ، فيمنعهم الخوف أن يقترفوا المآثم ، ويحملهم الطمع والرجاء على الظفر بالمغانم . ولعلها طريقة رآها ذلك العارف الزاهد أبعث على الصلاح ، وأدعى الى الاستقامة ، وأقرب الى العمل الصالح ، واكثر اسراعا بالمرء الى أن يفيء ، الى رحاب الله .

ولعل سرعة تأثر الحارث المحاسبي ورقة قلبه ، وخشوعه لذكر ربه هو الذي حمله على أن يدعو الناس لذكر الله عن طريق جنته وناره ، ومغفرته وعذابه ، وثوابه وعقابه . فقد كان الرجل نفسه رقيق القلب يتأثر من أقل موعظة ، ويتواجد لأقل تذكرة . وقد رووا في هذا أنه سمع مرة لقوال ينشد بين يديه هذه الأبيات :

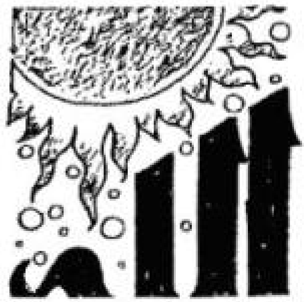
أنا في الغربة ابكي
ما بكت عين غريب
لم أكن يوم خروجي
من بلادي بمصيب
عجبا لي ولتركي
وطنا فيه حبيبي !

فقام صاحبنا من فوره يتواجد ، ويبكي حتى رحمه كل من كان حاضرا في مجلسه ... وعبارة « الحارث المحاسبي » في وصف الجنة والنار عبارة عالية وحسبك أنها من عبارات أوائل القرن الثالث الهجري ، وأسلوبه مترسل لاصنع فيه ولا تكلف ، وقد استأنس فيه بكثير من ألفاظ القرآن وأسلوبه .

ولجأ الى الفقرات المستوية فى الطول ، مع ميل أحيانا الى تقصير الفقرة ، وايجاز الجملة ، حتى تكون أشد وقعا فى النفس ، وأكثر تأثيرا على السمع ، وأحيانا يطيل الفقرة حين يقتضى المقام اطالتها .

وكثيرا ما يلجأ المحاسبى الى الاكثار من عطف الالفاظ المتقاربة والكلمات المتماثلة ، مما يجعل لها دويا فى السمع كقوله : (فغلبت على قلبك الحسرة والندامة والتأسف) وقوله : (فاحذر الله عز وجل ، وخفه ، واستح منه ، وأجله) .

ومن لطائف التعبير عند



« المحاسبى » فى أوصافه للجنة والنار أنه يحسن انتقاء اللفظة اللائقة الموائمة للمقام ، وينزلها منزلها : فالالفاظ فى معرض أوصاف الجنان رقيقة مطمئنة ، مضيئة ، وضيئة . والالفاظ فى معرض صفة الجحيم، خشنة قاسية، لافحة، محرقة، تكاد تحس منها لفح العذاب ، وشدة العقاب .

واذا كان الكلام يتأكد بالمثال ، فهل هناك أرق من ألفاظ المحاسبى فى وصف الجنة قائلا : « ... ثم خطوت أمنا الى باب الجنة ، قد امتلأ قلبك سرورا وفرحا ، فلا تزال فى ممرك بالفرح والسرور ، حتى توافى أبوابها ، فاذا وافيت بابها استقبلك بحسنه ، فنظرت الى حسنه ونوره ، وحسن صورة الجنة وجدرانها ، وقلبك مستطير فرح مسرور ، متعلق بدخول الجنة حين وافيت بابها انت وأولياء الرحمن .. فتوهم نفسك فى ذلك الموكب ، وهم أهل كرامة الله ورضوانه مبيضة وجوههم ، مشرقة برضاء الله مسرورون ، فرحون مستبشرون .)

وهل هناك ـ فيما عندنا من وعظ الواعظين ـ أقسى من الفاظ المحاسبى فى صفة النار حين يقول : (فتوهم نفسك وقد طال فيها مكثك ، وألح العذاب ، فبلغت غاية الكرب ،واشتد بك العطش ، فذكرت الشراب فى الدنيا ، ففزعت الى الجحيم ، فتناولت الاناء من يد الخازن الموكل بعذابك ، فلما أخذته نشت كفك من تحته ، وتفسخت لحرارته ، وهيج حريقه ... ثم قربته الى فيك فشوى وجهك ، ثم تجرعته فسلخ حلقك ، ثم وصل الى جوفك فقطع أمعاءك ، فناديت بالويل والثبور ...)

●●●

ويتدرج المحاسبى بنا فى وصف الجنة والنار مبتدئا بما قبل ذلك من موقف العرض على الله : (ثم لم يفجأ روحك الا بنداء المنادى لكل الخلائق معك ، للعرض على الله عز وجل ، بالذل والصغار منك ومنهم . فتوهم كيف وقوع الصوت فى مسامعك وعقلك . وتفهم بعقلك بأنك تدعى الى العرض على الملك الاعلى . فطار فؤادك . وشاب رأسك للنداء ، لأنها صيحة واحدة بالعرض على ذى الجلال والاكرام، والعظمة والكبرياء . فبينما أنت

نعيـــم الجنـــة
وأهــوال الجحيــم

فزع للصوت اذ سمعت بانفراج الارض عن رأسك ، فوثبت مغبرا من قرنك الى قدمك بغبار قبرك ، قائما على قدميك ، شاخصا ببصرك نحو النداء ، وقد ثار الخلائق كلهم معك ثورة واحدة ، وهم مغبرون من غبار الارض التى طال فيها بلاؤهم •••)

وينتقل بنا الحارث المحاسبى الى احتشاد الخلائق للحساب • وقد عظمت الكروب ، واشتدت الخطوب ، ونسى كل انسان كل شىء الا نفسه ، وقد زاغت الابصار ،وذهلت العقول، وعم الرعب والفزع ، وفر المرء من أبيه وأمه وأخيه ، وصاحبته التى تؤويه ، لانه مشغول بما هو اعظم ، ولأن له من أمر نفسه ، وهم ذاته، ما يغنيه عن أمر غيره • ثم ينادى على الاشخاص كل باسمه ، فلا يختلط اسم باسم ، ولا يشتبه واحد بواحد ، والملائكة الموكلون بكل انسان يجذبونه كما تجذب الدواب المنقادة ••• (فتوهم حين وقفت بالاضطراب والارتعاد ، يرعد قلبك، وتوهم مباشرة أيديهم على عضديك ، وغلظ اكفهم حين أخذوك • فتوهم ذاتك محتوشة فى أيديهم ، وتوهم تخطيك الصفوف ، طائرا فؤادك ، منخلعا قلبك• لتوهم نفسك فى أيديهم كذلك ، حتى انتهى بك الى عرش الرحمن ، فقذفوا بك من أيديهم ، وناداك الله عز وجل بعظيم كلامه : ادن منى يا ابن آدم ! فغيبك فى نوره ، فوقفت بين يدى رب عظيم ، جليل ، كبير ، كريم ، بقلب خافق محزون ، وجل مرعوب، وطرف خائف خاشع ذليل ، ولون متغير ، وجوارح مرتعدة مضطربة كالحمل الصغير حين تلده أمه ، ترتعد بيدك صحيفة محبرة ، لاتغادر بلية كسبتها ولا مخبأة أسررتها، فقرأت ما فيها بلسان كليل ، وحجة داحضة، وقلب منكسر، فكم لك من حض وخجل وجبن من المولى الذى لم يزل اليك محسنا ، وعليك ساترا •••)

ويرتفع المحاسبى بلوحة العرض والحساب الى قمة المساءلة من الله لعبده حين يقول : (••• عن ابن مسعود انه بدأ باليمين ، فقال : والله ما منكم من احد الا سيخلو به الله عز وجل كما يخلو احدكم بالقمر ليلة البدر ، ثم يقول :

يا ابن ادم ! ماغرك بى ؟ يا ابن ادم ما عملت لى ؟ يا ابن ادم ما استحييت منى ! يا ابن ادم ماذا أجبت المرسلين ؟ يا ابن ادم الم اكن رقيبا على عينيك وانت تنظر بهما الى مالا يحل لك ؟ الم اكن رقيبا على لسانك وانت تنطق بما لا يحل لك ؟ الم اكن رقيبا على اذنيك وأنت تستمع بهما الى مالا يحل لك ؟ ••)
ولا تزال مساءلة الله للعبد تجرى على هذا المنوال الى ان يختمها المحاسبى بقوله : (وانت يا ابن ادم بين خطرين عظيمين : اما ان يتلافاك

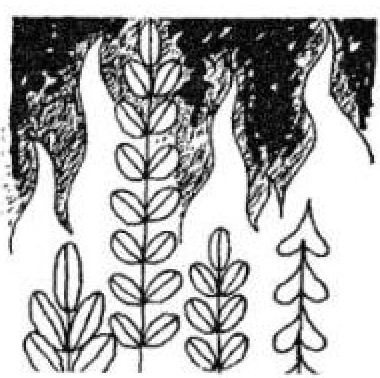
ربك برحمته ، ويتطول عليك بجوده، وأما أن يناقشك الحساب ، فيامر بك الى الهاوية وبئس المصير ...)

وما أفظع منظــــر النار وهي تبدو للناظرين ، وقد ضرب الجسر فوقها بدقته ، وزلله ، وهوله ، وعظيــم خطره ... (فتوهم ما حل من الوجل بفؤادك حين رفعت طـرفك ، فنظرت اليه – بعيني الحسرة – مضروبا على جهنم بدقته ودحوضة ، وجهنم تخفق بأمواجها من تحته · فياله من منظر ما أفظعه وأهـوله ! وقد علمت انك راكب فوقه ، وأنت تنظر الى سواد جهنم من تحته ، وتسمع قصــيف أمواجهــا ، وجلبة ثورانهـــا من أسفلها ...)

الى أن يقول : (فتوهم صـعودك بضعفك عليه ، وقد نظرت الى الزالين والزالات من بين يديك ومن خلفك · وقد تنكســت هاماتهم وارتفعت على الصراط ارجلهم ، واخــذت الملائكة بلحى الرجال ، ونواصى النساء ، اذ الاغلال في اعناقهم ، وثارت النــار بطلبتها ، وفارت وشــــهقت على هاماتهم ، ورمتهم الملائكة بالكلاليب فجذبتهم ، وثارت اليهم النار بطلبتها وحريقها ... وهم ينادون ويصرخون، وقد أيسوا من أنفســـــهم · وهم لاجتذاب النار لها ما تهم فيها يتحدرون وهم بالويل ينادون ، وأنت تنظـــر اليهم مرعوبا خائفا ان تتبعهم ، فتزل قدمك ، فتهوى من الجسر ، وتنكس قامتك وترتفع على الصراط رجلاك ·)

ويصور لنا المحاسبي مشهدا آخر حين يشتد بالمرء في النار عطشـــه وكربه ويتذكر حينئذ ، وهو في قمة العذاب – الجنان ونعيمها ونزالها ، فيقول : (... وتطلب الروح فلا روح بين الحميم وبين النار · تطلب الروح فلا روح ابدا ! فلما اشـــتد بك الكـــرب والعطش ، وبلغ منك المجهود ، ذكرت الجنان ، فهـاجت غصة من فؤادك الى حلقك ، أســفا على جوار الله عز وجل ، وحزنا على نعيم الجنة · ثم ذكرت شرابهـــا وبرد مائها وطيب عيشــها ، فتقطع قلبك حسرة لحرمان ذلك · ثم ذكرت أن فيها بعض القرابة من أب ، او أم ، أو أخ ، وغيرهم من القرابة ، فناديتهم بصــــوت محزون من قلب محترق قلق : يا اماه أو يا ابتاه ! أو يا أخاه ! أو يا خالاه ! أو ياعماه! أو يـــا أختى ! شربة من ماء ! فأجابوك بالخيبة ، فتقطع قلبك حسرة بما خيبوا من أملك ، وبما رأيت من غضبهم عليــك لغضـــب ربك عز وجل)

فاذا ما تجــاوز العبـد الصراط بسلام ، واستوثق من أنه نجا من النار المتلظية تحته ، طار قلبه فرحا بعظيم نجاته من الجحيم ، ووافى باب الجنة في موكب من أوليــاء



نعيم الجنة وأهوال الجحيم

الله وعباد الرحمن ، متجهـا الى العين البـاردة التى أعدها الله للصالحين من عباده ٠٠٠(فانغمست فيها مسرورا ، لما وجدت من برد مائهـا وطيبه ، فوجدت له بـردا وطيبا ، فذهب عنك بحزن المقام ، وطهرك من كل دنس وغبار ، وأنت مسرور لما وجدت من طيب مائها لما باشرته ٠ وقد افلت من وهـج الصراط وحـره ، لأنه قد يوافى بابها من احرقت النار بعض جسده بلحفها وقد بلغت منه ٠ فما ظنك وقد أفلت من حرم المقام ، ووهج انفاس الخلائق ، ومن شـدة توهج حـر الصراط ٠٠٠)

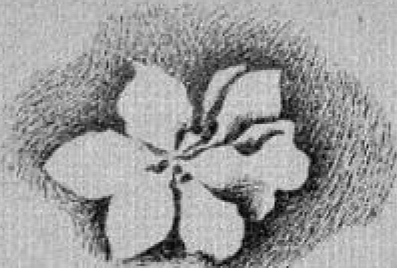
ويصف لنا الحارس المحاسـبى عملية دخـول المؤمنين الى الجنة ، وقد فتحت أبوابها، واستقبلهم خزنتها مستبشرين مهللين فيقول : (فتوهم نفسك أن عفا الله عنك فى تلك الزحمة مبـادرا مع مبادرين ، مسرورا مع مسرورين ، بأبدان قد طهـرت ، ووجـوه قد أشرقت وأنارت ، فهى كالبدر قد سطع من أعراضهم كشعاع الشمس ، فلما جاوزت بابها ، وضعت قدميك على تربتها ، وهى مسـك اذفـر ٠٠٠ فأنت تتخطى فى ترب المسك ، ورياض الزعفران ، وعيناك ترمقان حسن بهجة الدر من حسن أشجارها ، وزينة تصويرها ٠ فبينما انت تتخطى فى عرصات الجنان ، فى رياض الزعفران ، وكثبان المسك إذ تردى فى أزواجك وولدانك وخدامك وغلمانك وقهارمتك ان فلانا قد أقبل! فأجابوا واسـتبشروا لقدومك كما يبشر أهل الغـائب فى الدنيـا بقدومه ٠٠٠)

ولا يدع الحارث المحاسبى شيئا فى الجنة ولا طرفة من طرفهـا ، ولا قطعة من أثاثها الا وصفه فى خيال محلق ، وفى تصـوير مشـوق من الوصفاء ، والازواج ، والحور العين والاسرة ، والزرابى المبثوثة ، وخمر الجنة ، وما أعده الله وراء ذلك من قرة الاعين ، ومعـانقة الازواج ، وهـدايا الرحمن ، ومواكب الجنة وركبانها ، حتى يبلغ بأهل الرضوان المطاف ، الى تجلى الله على أصحاب الجنـة ، وترحيبه بهم قـائلا : (٠٠٠ شخصت أبصارهم ، وتعلقت قلوبهم ، ثم رفعت الحجب ، فبدا لهم ربهم بكماله ، فلما نظروا اليه والى ما لم يحسنوا أن يتوهموه ولايحسنون ذلك أبدا ، لأنه القديم الذى لايشبهه شىء من خلقه ٠ فلما نظـروا اليه ناداهم حبيبهم بالترحيب منهم وقـال لهم : مرحبا بعبادى ! فلما سمعوا كلام الله بجلاله وحسـنه غلب على قلوبهم من الفـرح والسرور ما لم يجدوا مثله فى الدنيا ولا فى الجنة)

ولا يبلغ الحارث المحاسـبى من وصف الجنة هذا المبلغ فيقنع به ،كما لا يقنع اهل الجنة بما يلقـوه من رضـوان ربهم وعظيم تجلياته ، فيعترفون لله عن قصورهم عن تأدية حقه والقيام بشكره ، فيلتمسون منه الاذن لهم بالسجود عرفانا وتوفية فيقول لهم ربهم : انى قد وضعت عنكم مؤونة العبادة ، وأرحت لكم ابدانكم، فطالما انعبتـم الابدان ٠٠٠ والان افضتم الى كرامتى ورحمتى ٠٠٠

وهكذا تنتهى مشاهد الجنة والنار فى كتاب من أمتـع كتب الوعظ والترغيب والترهيب فى الفكـر الاسلامى القديم والحديث ٠

سليم الرافعي



من أعماق سيناء

يا رض « سينا » من رمالِك ما يحنُّ إلى رمالِك
يا روحَ « سينا » من نضالِك ما يتوقُ الى نضالِك
يا واحة التاريخ ! ما التاريخُ إلا في تلالِك !
يا مفزعَ « الطور » المؤمَّل للهداية في ظلالِك
يا بردة الجيش المضمَّخ في الدروب وفي مسالِك

***

هل تسمعين العاشقين الزاحفين من المسالِك ؟
هل تحفظين الملهمين المنقذين من المهالِك ؟

***

في « مصرَ » شعبكِ والنبوَّة في يمينك أو شمالِك
منْ « رَعمسيس » وقدْ تدفّق في وهادِك أو جبالِك
والفجرُ يستهدي البطولة منه .. والتاريخَ حالِك
في مضجع الأحلامِ أيقظتِ الملاحمَ في خيالِك

***

يا ربةَ « سينا » أنتَ ربةُ النيل وحدكِ في جلالِك ..
« النيلُ » شمسٌ قد جرَتْ ، والشمس تهفُ من جمالِك
ياربةَ « سينا » آيتانِ لمصرَ منْ آي اتصالِك ...

• طرابلس ـ لبنان •
○ سليم الرافعي •

الجنة والنار

بين العقيدة والتصور الفلسفي عند قدماء المصريين

● ان عطاء مصر للحضارة والانسانية دائم ومتجدد ، واعظم ما جاء به التصور المصرى كان فى مجال الاديان والعقائد · فقصة الدين وتتبعها على مدار العصور تنهض دليلا على عبقرية اصيلة ووجدان مرهف لشعب وادى النيل .. انها عبقرية متدفقة العطاء لم تنقطع قط ، ولن تنقطع ، وستظل تؤدى دورها طالما بقى نسج حياة ذلك الانسان العظيم ●

« برسة »

ان محاولة البحث عن سر الوجود وكشف أسرار عالم الغيب أو ما وراء الحياة أو علاقة الجسد بالروح والروح بالخالق .. كانت الحلقة التى تدور حولها جميع الاديان وما نزل بخصوصها من كتب سماوية حددت العلاقات الانسانية وتلاقت جميعها عند فلسفة الحساب ومفهوم الجنة والنار ·

ان كل ماورد بشأن تلك الاديان وما حوته كتبها السماوية من تفاسير وتشاريع ومعتقدات وتصورات ، وجدت مفصلة فى كتاب الموتى الذى يعتبره كثير من المورخين وعلماء الاديان أول كتاب سماوى عرفته البشرية ، خاصة وان اقدم اثاره ترجع الى ما قبل فجر الحضارة نفسها ، اى قبل الاسرات حوالى سنة ٤١٠٠ ق·م

وقد تعرض كتاب الموتى الى الاندثار اكثر من مرة ،أهمها فى نهاية الاسرة السادسة ،عندما قامت الثورة المشهورة التى اطلق عليها ثورة الرعاع والتى وصفها الحكيم ايبيور فى بردياته المشهورة فى وصف الثورة التى عاصرها بقوله :

« ان الاهرامات قد اصبحت خالية مما كانت تحتفظ بداخلها من اسرار الغيب والعلم والمعرفة »

وقد أمكن الوصول الى بعض برديات ونصوص من كتاب الموتى فى كل من اهرامات اوناس وببى الاول ، ومنفى ام سانى ،كما وجدت بعض النصوص فى تابوت الملك منقرع وهى البرديات التى اطلق عليها متون الاهرام وهى التى جمعها كل من ماسبيرو وماريت سنة ١٨٨٠ ·

د . سيد
كريم

كما تم أكتشاف برديتين أخريين يرجع تاريخهما الى الاسرة الثانية عشرة عندما بدأ جمع كتاب الموتى واعادة نسخه وهما برديتا Nebestig Hunifer وفى سنة ١٨٨٨اكتشفت بعثة المتحف البريطانى ضمن حفريات معبد ابيدوس أول نسخة كاملة لكتاب الموتى وهى بردية آنى المشهورة Papyrus of Uni وهى بردية واحدة طولها ٢٥ مترا وعرضها ٤٠ سم ، مدونة باللغة الهيروغليفية ومفسرة بالنقوش والرسومات المختلفة الالوان ٠وتقدم والاس بادج بترجمتها ونشرها بالوانها الطبيعية فى النسخة الوحيدة التى طبعت سنة ١٩١٣ ، ولم يتمكن علماء الآثار من تحديد تاريخها بالضبط ولو انها وجدت ضمن حفريات ترجع الى سنة ١٤٥٠ ق٠م كما أن شخصية كاتبها وهو الحكيم آنى الذىذكر ضمن القابه انه كان كاتب الملك ومستشاره ورجل المعرفة ، ولم يذكر اسم الملك نفسه ، وقد كتب آنى البردية أو كتاب الموتى بخطه ٠٠

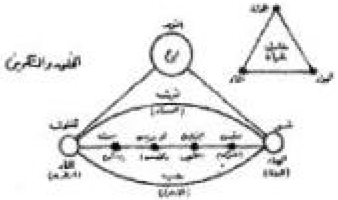
ويصف كتاب الموتى قصة الخليقة نفسها بقوله «كان الكون فضاء أزليا يغمره الظلام وتنعدم فيه الحركة حتى خلق الاله الاكبر رع نفسه بنفسه فسارت الحركة الدائمة وغمر النور الكون كله ٠ ومن انفاسه انجب شو وتفنوت ابا الكون وامه ٠ وتزوج شو وتفنوت فانجبا نوت ربة السماء وجب اله الارض ٠

وانجب نوت وجب اربعة ابناء ـ ايزيس واوزوريس وست ونفتيس الهة الخير والخصب والشر والبركة» ٠٠ وبوجودهم بدأت الحياة فى الارض والصراع البشرى عندما قتل ست اله الشر اخاه أوزوريس اله الخير وهى قصة قابيل وهابيل وادم وحواء ٠

كما أن نظرية مثلث الخلق وهورع وشوونوت أى الحرارة والهواء والماء ثم الارض والخصب ا هى النظرية



الاله بتاح .. اله الخلق والتكوين القديم ، يكون الارض على شكل بيضة .



نظرية التكوين ونشأة الحياة

العلمية لنشأة الحياة .

كما ورد فى انشوده الخلق فى كتاب الموتى :

« كان الله حكيما عندما خلق بقدرته البشر قطيع الاله صنع لهم الارض ليعيشوا فوقها والسماء لتقظيهم وأبعد الظلمات من الكون وجعل نسمة قلبهم حياة وجودهم وكيانهم لهم صورته الخارجةمن جسمه وصعد الاله الىالفضاء الكونى ليرعى افلاكه بعدما وضع لهم من النبات والحيوان والطير والاسماك غذاء لهم » .

***

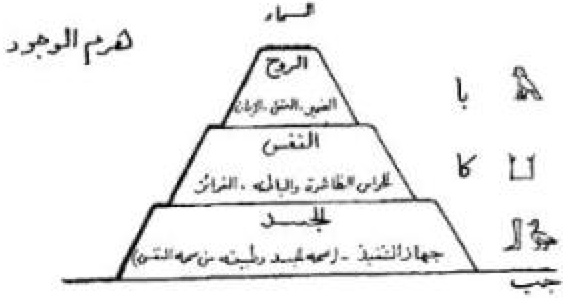
● ويشرح كتاب الموتى سرالوجود الانسانى اى فلسفة الروح والجسد برسم هرم الوجود الذى يشرح علاقة الروح بالجسد بأن الانسان علىشكل هرم مكون من ثلاث مصاطب ، العليا هى الروح (با) ، وتعلوها السماء (بت)، وتتمثل الروح فى العقل والايمان والضمير والمصطبة الوسطى النفس(كا)وهى الواسطه بين الروح والجسد ، وتتمثل النفس فى الحواس الخمس الظاهرة والحواس الباطنة والغرائز والانفعالات .

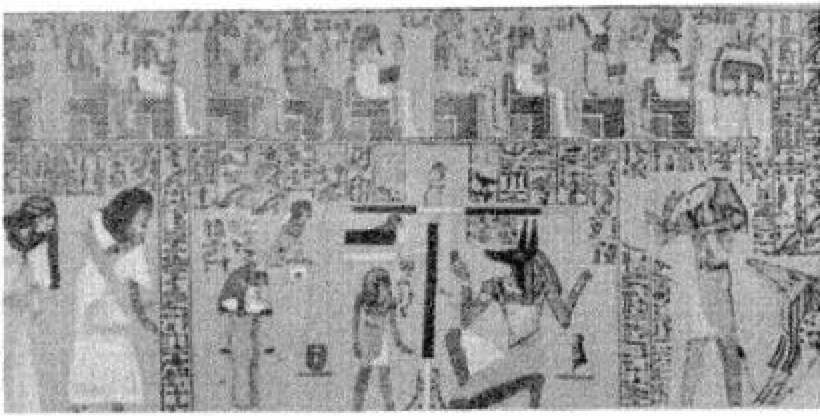
والمصطبة السفلى وهى المرتبطة بالارض لانها خرجت منها فهى جهاز التنفيذ (صحة الجسد طبيعته من طبيعة النفس) .

فالروح ـ معذبة ومنعمة (مسيرة)
والنفس ـ مطمئنة ـ امارة ـ لوامة (مخيرة) .
والجسد ـ الجهاز المادى طيب وخبيث .
(الروح تصعد ـ النفس تحاسب ـ الجسد يفنى) .

● ان كتاب الموتى للحكيم آنى وصف كامل لرحلة الروح فى العالم الاخر . وهى الرحلة التى سجلها على شكلا تجربة واقعية مارسها بنفسه على انه قد مات فعلا وانتقلت روحه الى العالم الاخر ليقوم برحلة القدر والمصير ابتداء من مفارقتها للعالم الارضىحتى وصولها الى عالم الخلود، ثميعثثانيةليسجلها كاحياءلكتابالموتى المقدس القديم ، بعد انتشاره ثم تحريف كثير من تعاليمه عند اعادة جمعه وتسجيله

يصف آنى فىبرديته المصورة رحلة الروح يوما بيوم ابتداء من مفارقة الروح للجسد الارضىواجراءات تحنيط





محكمة الضمير والمحلفون الاثنا عشر

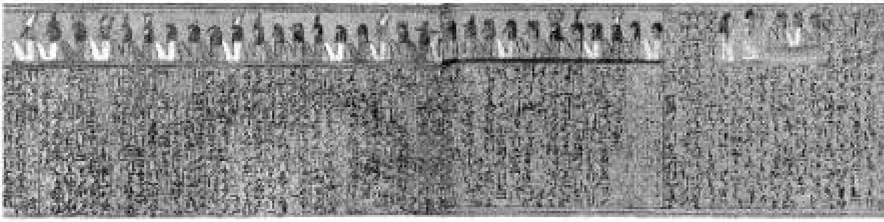
الجثة ومراسم الاحتفالات الجنائزية ونقل المومياء بين شفتي نهر الحياة الارض ؛ وكان يعبر عنه بنهر النيل لتسير فى طريق الغروب او طريق دورة الاله حتى تدخل القبر بعد اربعين يوما .. وقد اختلف المؤرخون فى تفسير تلك المدة فنسبها البعض الى المدة اللازمة لتحنيط الجثة وعملية حفظها قبل دخولها القبر ، بينما فسرها البعض الآخر بأنها المدة التى تمكثها الروح فى الارض قبل انتقالها الى العالم الآخر حيث يحتفل بوداعها (وهو التقليد الذى ما زال معمولا به فى كثير من الاديان الى الآن)

وتبدأ الرحلة فى مرحلتها الاولى بعد انتقال الروح فى سفينة الشمس عبر الفضاء الازلى بدخول انى يقوده انوبيس الى قاعة التحضير او الرؤيا وفيها تواجه الروح المحلفين الاثنى عشر وهم اعضاء العائلة المقدسة او عائلة الخلق ، وتتكون من الاله رع خالق الكون ، وتيمو ، وشو ، وتفنوت ، وكب ، ونوت ، وايزيس ، ونفتيس ، وحورس ، وهاتور ، وهو وسا .

وهنا يدعو انى دعاء تقليديا ويتلو تلاوة مقدسة يتعرف خلالها على الهة الخلق واحدا واحدا ، ويعلن انه آمن بكل منهم وعمل على متابعة تعاليمهم وطاعة اوامرهم . وعندئذ يتقدم انوبيس لينتزع قلب الميت ويضعه فى ميزان الحق والعدالة ، ويعبر القلب عن الضمير ، ولذا تسمى تلك المرحلة بمراسيم وزن الضمير فاذا كان ضميره نقيا سمحت له المحكمة بمزاولة الرحلة عبر السماوات السبع - وقد ذكرت بعض تفاسير اجزاء اخرى من كتاب الموتى ان المحلفين الاثنى عشر يمثلون الابراج السماوية الاثنى عشر التى تنتمى الروح الى احداها .

●●●

وتستمر الرحلة لتمر خلال السماوات السبع ويصف كتاب الموتى كل سماء وصفا تفصيليا وطبيعة كل منها وما تحويه من مخلوقات وما يرتبط بها من اساطير وما يجب ان يتلى فيها من تعاويذ وتلاوات سحرية وادعية مقدسة . كما يذكر انى اسم كل حارس من حراس ابواب السماوات والرمز المقدس والمميز لها واسم المسئول عن الاشراف عليها .



وقد فسر البعض تلك السماوات السبع بمراحل التطهير والاستعداد لملاقاة أوزوريس إله الآخرة في محكمة السماء الأوزيرية .

وقد حاول أكثر من عالم من علماء علم الروح الحديث تفسير السماوات السبع التي وردت في كتاب الموتى وما ارتبط بها من رموز وطلاسم ، فذكر في بعض التفاسير أنها ترمز الى التطهير الباطني لتلك السماء وهي الطبقات السفلية والسماء النارية والأثيرية والسماء الأثيرية ودون الثريا والثريا .

وفسرها البعض الآخر بأنها مراحل تطور الروح خلال انتقالها من العالم الأرضي المادي الى العالم الأثيري أو السماوي مرورا بكل من العوالم النارية والعقلي ، والإلهام ، والصفاء والتوازن ، والجوهر .

والسماوات السبع التي وردت في كتاب الموتى هي التي ورد ذكرها وعددها في جميع التشاريع والكتب السماوية بنفس العدد .

ويصف الى آخر مرحلة من مراحل رحلة الروح ووصولها الى محكمة السماء حيث يقودها الإله حوريس .

ويصف قاعة محكمة السماء التي يتصدرها الإله أوزوريس إله الآخرة وهو يجلس على عرشه السماوي ويشع النور من جسده فينير القاعة بأكملها ، ويقف على جانبي الإله كل من ايزيس ونفتيس ملكتي الحسنات والسيئات ، وأمامه الميزان ويجلس خلفه القضاة الاثنان والأربعون . وحيث يقوم انوبيس بانتزاع القلب الذي يضعه في احدى كفتي الميزان ، ويضع في الكفة الأخرى ريشة ماعت (رمز الحق والعدالة) ويجلس تحوتي إله المعرفة ليراقب سهم الميزان . ويقف على جانبي الميزان رمزا المهد والمصير . ويقف خلف الى اليمين الحيوان حارس الجحيم ، ويطلق عليه اسم آكل الموتى وهو على شكل حيوان له رأس تمساح وجسد ومخالب أسد والجزء الخلفي فرس النهر .

وتبدأ المحاكمة بجلسة الى ثلاث الأعضاء وانها البراءة والقضاة بقراءة بعض الاعترافات المنفية الواردة من كتاب الموتى يقول في نهايتها : أنا طاهر لا أقترف شرا ... ثم يبدأ القضاة في سؤال الروح كل منهم سؤالا واحدا ، ويقوم ملكا الحسنات والسيئات بتسجيل الإجابة .

ويسجل كتاب الموتى أسئلة القضاة بالترتيب التالي :

● محكمة الآخرة ●

[محكمة العالم الأوزيري]
أسئلة القضاة

١ ـ هل عشت أجلك الذي حدده لك الإله كاملا ؟

٢ ـ هل راعيت حق بدنك عليك ، كما رعاك الإله في شبابك ؟

٣ ـ هل حفظت جسدك طاهرا فرداك نظيف لم تلوثه القاذورات ؟

٤ ـ هل تغذيت على خيرات بستانك ؟

٥ ـ هل حافظت على حسن صحتك ؟

٦ ـ هل اقتصدت بماله الى حرمة ما أوتي الله ؟

٧ ـ هل قتلت نفسا بغير حق ؟

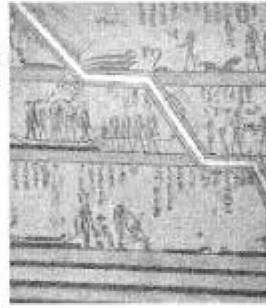
٨ ـ هل القاب عليك الغضب فقتلت أسيرا له ؟ وهل كان الأسير في يديك كالأسير في يد فرعون ؟

٩ ـ هل أنت بريء من الاطلاع على جسد امرأة في الخلسة أو اتلاف أو غلالة ؟

١٠ ـ هل آذيت حيوانا أو عذبته بغير سبب ؟

١١ ـ هل سكرت حتى فقدت عقلك واستبحت أرضك لسيرة الأعداء ؟

١٢ ـ هل نظرت الى من هو أدنى



جزء من السماوات السبع التي تنقل خلالها الروح كما صورتها بردية سوى القدماء ...

حقك أو أسير ملك يمين الحسد في العقد ؟

١٣ — هل سعيت أن توقد الفتنة عليك بمشاكلها ؟

١٤ — هل تحدثت بسوء عن ذكراه بعد ؟

١٥ — هل أهملت مصالحك وأرهقت وقت الزرع أو البذر ؟

١٦ — هل شربت برغبة جامحة في معرفة أمور يجب ألا تمسها الآلهة ١١ أو تراها عيناك ؟

١٧ — هل رأيت شيطانك وقد بدا كبيراً على الجدار فأدهشتك الكبرى وشككت نفسك كبيراً وقوياً مثل شيطانك ؟

١٨ — هل تعلقت بالدنيا وربطت نفسك بها بسلاسل من ذهب ؟

١٩ — هل أسلمت عيناك بأمور الدنيا على حساب عن أمور الآخرة ؟

٢٠ — هل تطلعت في الأسواق بالحق والأمانة ؟

٢١ — هل تجنبت طريق الصواب عمداً وجعلته محفوفاً بالمخاطر ؟

٢٢ — هل اكتفيت بالحصول لكل من كان مدعواً له في رحلة الحياة دون أن تساعد الباقي أو مساعدته أو تجري وراء المجد ؟

٢٣ — هل امتدت يدك بسوء على المظلومين ويشار حقك على الفقراء ؟

٢٤ — هل صمت لسانك عن شهادة الزور وعن البهتان ؟

٢٥ — هل أبديت السرور بمكائد قصيد عليه مقتلك ؟

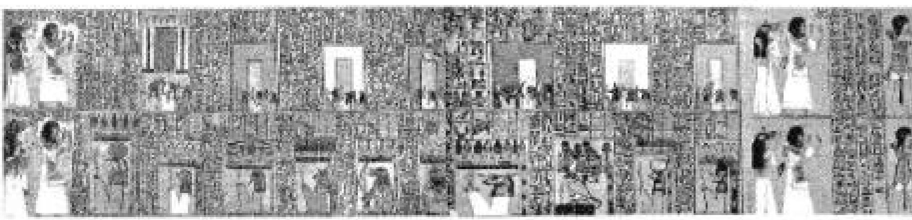
٢٦ — هل زينت سلاسل الكراهية باللسان ؟

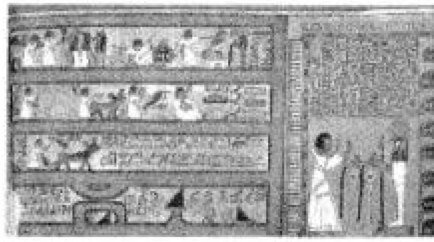
٢٧ — هل سمعت التوبة عن سماع قول النصيحة وصوت الحكمة ؟

٢٨ — هل عرفت الصبر الأسود ؟ وهل دفعت نفسك بأن تسعى لحصته أن تكون ذا أبوين غير يرضى ؟

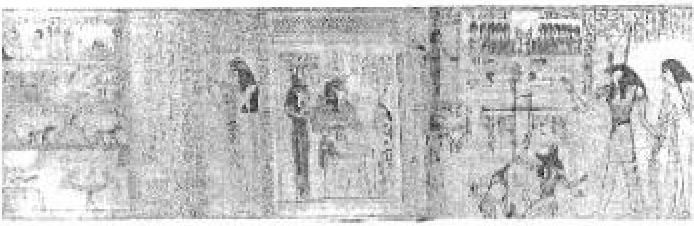
٢٩ — هل زينت وتكشفت عقلي

السماوات السبع كما صورها « آني » في كتاب الموتى





صورة الجنة كما وردت في نص بردية .. « آني » وهو ... الإله حورس ... الى ... ويظهر ... الجنة ... وتسكن الروح في مركب الشمس ، ... الجنة ... مع ... في ...



من الجحيم بردية ... الأخرى التي وجدت في تابوت الجميلة « ... » ... وترجع الى الأسرة ... وفيها تظهر « ... » ... الاله حورس ، وفي ... الى ... ودخول الجنة التي ... كتاب ...

المعذبين في الجحيم ؟

٣٠ ـ هل جاءت الرغبة لطلب الله .. والتعرف لوجه الإله ؟

٣١ ـ هل تذكرت الملك في طريق رحلتك ... البداية والرشد ؟

٣٢ ـ هل ... الكهنة السابقين ؟

٣٣ ـ هل استخدمت قوتك في سبيل الخير فقط والوقوف الى جانب الحق والعدل ؟

٣٤ ـ هل قتلت جارك أو ... على عرض بيته ؟

٣٥ ـ هل كانت ... مسئولا في ... الاله حوريس ؟

٣٦ ـ هل ... في ... أو ... منه ؟

٣٧ ـ هل صورتك التي انعكست في قلبك صورة مشرقة ؟

٣٨ ـ هل ساعدت قلبك ... شديدة ... على أعمالك ؟

٣٩ ـ هل انتهت الى نهاية كل مرحلة من مراحل حياتك في بداية الرحلة الأخرى ؟

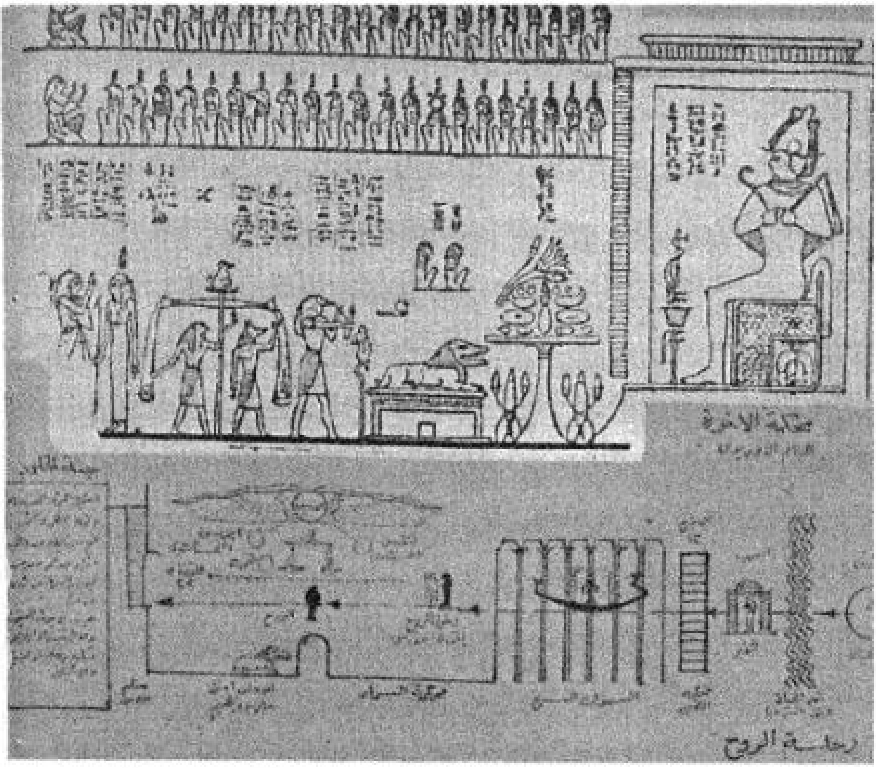
٤٠ ـ هل ... التي كانت يوما ما ... وسلوكها ... حتى ثبتت ... ؟

٤١ ـ هل ... يرى هو أقل منك كما أردت أن يعاملك من هو أعلى منك قدرا ... بالحكمة والشجاعة والرحمة ؟

٤٢ ـ هل يمكنك أن تكون في ... لم يسبق ... رجلا ... على العمل ... من طاقته ، ... أن ... في الأرض ... في رحلتي ، ... في ... ؟ »

***

لقد وصف ... في كتابه عن « فلسفة ... عند قدماء المصريين » ... الأسئلة ... بأنها ... ما ... التاريخ ... في مجموعها



تشريع انساني كامل لم يفرض بالتهديد والانذار بل بالمنطق والترغيب والاغراء

كما ان تلك الوصايا التي تفرق بين الحق والباطل والمحلل والمحرم شملت كل ما ورد في الكتب السماوية التي ظهرت في العالم أجمع بعد كتاب الموتى بالوف السنين .

ان العمل بتلك الوصايا كثيرا ما كان يكتب في برديات على شكل ادعية او وثائق دفاع ، توضع فوق جثة الميت يرجهها الى انوبيس مراقب الميزان . ومن امثلتها تلك البردية التي وجدت في أحد مقابر طيبة ٢٩٠٠ ق . م ..

« أيها الاله الاعظم ...

انى لم اقترف الشر . ولم أعتد . ولم اقتل غدرا ، ولم اقتل ، ولم امس القرابين المقدسة ، ولم اسل دموع احد

ولم اتدنس ، ولم اذبح ما حرمته . ولم اتلف ارضا مزروعة ، ولم اقذف في حق احد . ولم ارتكب الزنا او انظر لزوجة جارى ، ولم اترك الغضب يخرجني الى غير الحق . ولم ارفض أن اسمع كلمة الحق وصوت العدل، ولم اسيء الظن بالملك أو أخلف طاعته

.. ولم الوث الماء او احلف كذبا . ولم أغش في الميزان ، ولم امنع اللبن عن افواه الرضع او الطعام عن افواه الجائعين . ولم اصد طيور الالهة التي حرموا صيدها ، ولم اسد قناة رى

عن غيرى ، او امنع الماء عمن يحتاج اليه ، ولم اطفىء نارا يجب ان تشعل وانرت قلبى بنور الايمان ، ...

كما وجد فوق الرسالة التى وضعت على صدر المومياء جعران نقش عليه « يا قلبى لا تشهد ضدى » .

● ويشرح انى المرحلة الاخيرة بعد اجابته على جميع الاسئلة وكيف تساوى وزن قلبه مع ريشة ماعت وقد خفت موازينه اى ان اعماله كانت بما يرضى الاله ، وانه رجل صدق وحق ، ولن يسلم للوحش امنتى اكل الموتى وحارس بئر الجحيم .

وهنا اعلن الاله تحوت ان روح انى قد سجلت ولادتها فى عالم الخلود .

ويخرج انى بصحبة حورس ليصعد سلم السماء الموصل الى الجنة ..

وقد قسم كتاب الموتى الجنة الى سبع طبقات : طبقة الابرار وطبقة المطهرين وطبقة القديسين ، وطبقة الشهداء ، فى جيش حورس ، وطبقة الالهة ، وطبقة النور الازلى .

ويصف انى الجنة التى دخلها بان فيها انهارا من خمر مقدس ولبن يتساقط من صدر نوت الهه السماء ، واشجار مقدسة دائمة الثمار والزهور وملابس من نسيج ابيض لا يبلى وسنابل قمح من ذهب . وحياة خالدة وجسم لا يفنى او يبلى بل يبقى دائم الشباب . ونفوس مطمئنة حيث لا توجد ارواح خبيثة او شريرة او حيوانات مفترسة او حشرات وثعابين واعطى سبع بقرات سمان وثورا ..

ومما يلفت النظر ان ذلك الوصف والمغريات التى وعد بها الانسان الفرعونى القديم تتشابه كثيرا مع ما ورد فى جميع الكتب السماوية نفسها

ويصف انى الجحيم الذى شاهده من خلال فتحة البئر او الجب وهو يغادر القاعة . ان به بحيرات للعذاب ، منها بحيرة ماؤها من لهب يلقى فيها المجرمون فيعذبون ولا تحترق اجسادهم او يموتون . وبحيرة اخرى تمتلىء بالتماسيح المفترسة الجائعة التى تفتح افواهها فى انتظار الضحايا وبحيرة اخرى ملاى بالحيات والثعابين السامة .

ان وصف رحلة الروح ومحكمة الاخرة واوصاف كل من الجنة والنار فى مختلف برديات ومراجع كتب الموتى التى عاصرت الحضارة الفرعونية اكثر من اربعة الاف سنة لم تختلف عن بعضها كثيرا وتكاد تكون واحدة مما يدل على ان مصدرها ومرجعها واحد وثابت رغم ما قيل عن تعدد الالهة وتغيرها وتغير العقيدة من عصر الى اخر

● ان قصة الجنة والنار فى كتاب الموتى والتى ترجع الى ستة الاف سنة تعتبر من روائع ادب الاساطير العالمية التى ما زالت موضع بحث ودراسة فى كثير من المعاهد العلمية والادبية والدينية فى كثير من انحاء العالم ، لمحاولة فك ما زال غامضا من رموزها . وتحليل ما وضح من طلاسمها على ضوء الدراسات العلمية الحديثة .. **ولا يمر عام دون ان تحدث بحوث** جديدة واكتشافات جديدة من حيث علاقة كتاب الموتى بمختلف العقائد والفلسفات .

ان قصة الجنة والنار قد نقلها اليهود عند خروجهم من مصر فى اسفار الكابلاه (الزهار وتزيروتا) العبرية القديمة ونسبوها الى انبيائهم وحكمائهم . كما انه مما لا شك فيه انها كانت المرجع الذى استوحاه كثير من كتاب الشرق والغرب فى الادب القديم والحديث فيما وصفوا به الجنة والنار كرسالة الغفران لابى العلاء المعرى ، وجحيم دانتى ، وقصائد الشاعر ملتون ..

د. أحمد
كمال زكي

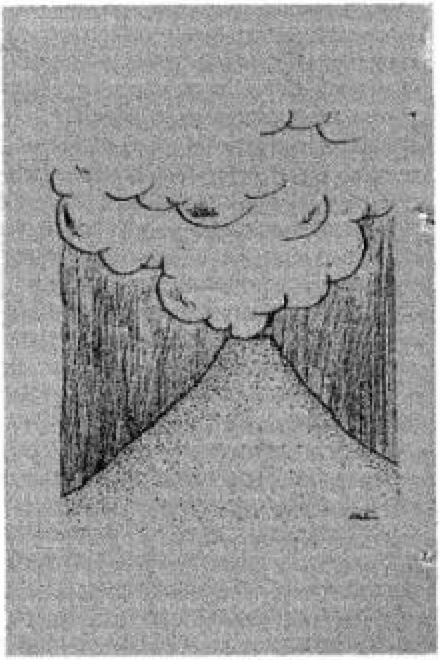
من نار الخلق إلى نار جهنم

الكلام عن النار كلام عن الانسان بداية ومصيرا .. لا من حيث هو كائن عاقل قطع شوطا طويلا فى مضمار الحضارة فحسب ، وانما ايضا من حيث كان مخلوقا اقرب شئ الى الحيوان . ولسنا ندرى متى وقف عند اول درجات السلم الاجتماعى ليرتقيه ، الا اننا نراه حين شرع فى ذلك — على ضوء المعلومات الاركيولوجية والتفسيرات الانثروبولوجية — يواجه كل تحديات الوجود . وكانت النار من الاشياء التى ماطلها طويلا ، قبل ان يخضعها له بكثير من الخوف والقلق والاشفاق ، بل لعلها كانت من اعند ما تعامل معه واعتى . حتى اذا ماكبح جماحها — وكانت كثيرا ما تنشق عنها البروق والبراكين والشقوق — وضع الانسان قدمه على الطريق الصحيحة للتقدم ، فتضاءل كل شئ امامها امتدادا من الحجر الذى استخدمه لقتل الوحوش وشق الكهوف الى غصن الشجرة الذى يستند اليه او يقبس به جذوة لهب تندلع فى الغابات .

نار العـــذاب التي هي جهنم أو سقر – في كتابنا الكريم – تتصل في رأي أغلب الباحثين بشيئين يتنازعهما العلم والميتافيزيقا ·

أما العلم فيتخطى عصور السحر والكهانة مقرراً أنها مجرد طاقة ، وأنهـــا منذ الازل كانت بروتونات تتحرك في فراغ بطاقاتها الكامنة أو نتيجة مجالات مغنطيسية ، ومن ثم التحم بعضـــها مكونا كتلا متكتلة ، وباطراد حركة هـــذه الكتل تكونت « السدم » على ملايين السنوات قبل أن تتفتت الى نجوم منها شمسنا هذه الهائلة · والملاحظ أن السدم نفسـها لم تشتعل الا بعد أن اشتدت كثـافة ذراتها ، واشـتدت بالتالي عملية الاحتكاك بينها ، فاسـفر ذلك عن الضرام الرهيب ·

ويطيب للفلكيين هنا ان يقولوا ان



ثمة سدماً نراها اليوم ليلا من وراء النجوم ، وأشهرها ســديم المرأة المسلسلة Andromeda الذي ربمـا تفتت الى نجوم ملتهبة كشمسنا ··· وهذه لم تصل بعد عالمنا لبعد المسافة بيننا وبينها ، ويمكن معرفة هـذا البعد اذا ذكرنا أن الفلكيين يقولون ان سرعة الضوء الذي انفلت منهـا يبلغ ١٨٦٫٠٠٠ ميـلا في الثـانية الواحدة ، وهو لذلك يحتاج الى مليون سنة للوصول الينا قبل أن يصـل الجسم نفسه ·

وأما الميتافيزيقيون فقـد اختلطت آراؤهم بمخلفات البدائية وعصـور السحر والكهانة ، ويرون أن النـار التي أوجدت العالم هي التي تهلكه ، لأن من طبيعة النار أن تأكل نفسـها ·· وسـتكون نهاية الانسانية في اللحظة التي تختل فيها عملية امتزاج « الجذور الأزلية » في الماء والهواء والتراب بفقـدان السيطرة على « التحولات » التي بها يتم انتقال كل عنصر الى الآخر – بواسطة النار ·· وتضيع من ثم الموازين التي تتحكم في الطبائع الاربع التي هي الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة ·

وهنا لا نعجب لكثرة ما وصل الينا من أساطير وخرافات عن النار ، ثم لا نعجب لكثرة ذكر النار في التوراة باعتبارها سجلا دونه اليهود وقـد جمعوا فيه تراث البابليين والكنعانيين والعرب ، ناسبين اياه لانفسهم ، مع أنهم كانوا – بعداوتهم وتفككهم – أعجز من أن يضعوا نظيره · وقـد أسعفهم الحظ أن « النار » لعبت دوراً خطيراً في حياة نبيهم موسى ، وهـذا عرف كثيراً عن قوة تأثير نار الفراعنة

●●●

ولا سبيل الآن الى الخوض في نار اليهود ، كذلك يطول بنا المقـام اذا عرضنا لحكاياتها عند مختلف الشعوب

القديمة وبخاصة مصر والفرس والهند، انما نكتفي بنيران العرب التي وصفوها وجعلوا لها طقوسا وتقاليد يحار العقل في قبول أغلبها الا في اطار فهم عقائدهم الاولى ·

حقيقة كانت لهم نار الحرب ، ونار القرى ، ونار الصيد ، ونار الوسم ـ وكل هذه معروفة ـ الا اننا نجهل الكثير عن نار القربان عندهم ونار الاستمطار ، فضلا عن ان مايروى عن نيران السعالى والجن والغيلان فهو من قبيل الخرافات التي يعنى بها الفولكلوريون · ولعلة نار معينة غير نار العشق التي لها اصول خرافية ـ اشارت اليها هند بنت الخس الجاهلية ، وهي من هي في الفصاحة والحكمة ، وذلك في قولها « كنت والله في ايام شبابي احسن من النار » ولم تكن هي تقدس النار ، ولا عبدتها كما فعل المجوس ·

ومن المؤكد ان القرآن الكريم جمع الكثير عن النار في ضوء التصورات الجاهلية ـ فقد نزل بلسانهم وفي مستوى مداركهم ـ واشار الى فضلها على الناس ، وعظم من شأنها حتى اضافها الى الله سبحانه وتعالى ·

والى ذلك اشار الجاحظ في الجزء الخامس من حيوانه فقال « كل شيء اضافه الله الى نفسه فقد عظم شأنه وشدد أمره ، وقد فعل ذلك بالنار » · قال في سورة الهمزة « نار الله الموقدة » · وامتن بها على اهل الارض فقال في سورة يس « الذى جعل لكم من الشجر الاخضر نارا فاذا انتم منه توقدون » ·

وضرب بها الامثال فقال في سورة النساء « ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا » ·

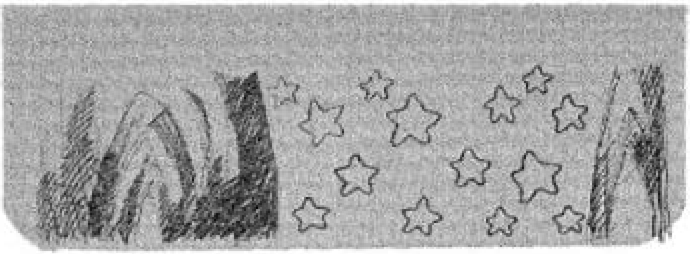
ومن ناحية أخرى نرى في كتاب الله تذكيرا بأن ابليس من النار في حين كان الطين أصل الانسان ، ولما كانت النار علوية على اساس أنها تصعد دائما الى ما فوق الارض والماء والهواء ، لذلك فهو ـ أى ابليس ـ أشرف عنصرا من البشر وأرفع قدرا ·

ولقد تاه على الله بذلك وجهر بعصيانه حين امره بالسجود لآدم ، وكان عقابه طرده من الجنة ، الا أنه انتظر حتى هبط آدم من الجنة فنصب له العداء ·

وينسحب ذلك التذكير على الجن كله ، فقال سبحانه وتعالى في سورة الرحمن « وخلق الجان من مارج من نار » يريد بالمارج اللهب الشفاف حتى لكأنه النور ، مفرقا بين الجن ذى الطبيعة الرقيقة وابليس ذى الطبيعة الغليظة ، بدليل قوله تعالى في سورة الحجر « والجان خلقناه من قبل من نار السموم » والسموم هو النار تنفذ في المسام ·

واخيرا وليس أخرا نرى اشارات الى اساليب بعض الامم في تعاملها مع النار ··· ففي قصة ابراهيم عليه السلام نستشعر ان قومه في حران كانوا يحتكمون الى النار ـ وكانت هذه مقدسة ولا يزال الامر كذلك حتى جاء زرادشت ـ وفيها القوا بابراهيم لانه اهان الآلهة والكواكب ، الا ان الله حماه « قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم » ·

ومن بعده نرى بني اسرائيل يتقربون بها الى الله ـ وهذه



رواسب الوثنية ــ وبينما موسى فيهم تشده الى الله جل قدره نار يلمحها وسط الظلام في طور سيناء « فلما جاءها نودي أن بورك من في النار ومن حولها وسبحان الله رب العالمين » ــ سورة النمل ٠

وفيما وقع لعاد وثمود ضرب من النيران القاصفة ، قدرها الله عليهم تنكيلا بهم في الدنيا مع أنه تعالى ادخر النار بوجه عام لجهنم يزج فيها المكذبين الكافرين ٠ وهذه النيران هي الصواعق تنشأ عادة من قدح الابخرة في ظروف معينة ، فيكون لها دوى ولهيب وزعم من هنا بعض الناس أن بعض السيوف القديمة ــ وذلك في الاساطير ــ كان من نيران الصواعق

هذا وتقابلنا تلك «النار الهائلة التي قتل فيها اصحاب الاخدود ، عرض لها القرآن الكريم بقوله الله تعالى في سورة البروج « قتل اصحاب الأخدود النار ذات الوقود » وذلك أن اليمن اعتنق المسيحية في نهاية القرن الرابع ، الا ان أحد ملوكها في القرن التالي ــ وهو ذو نواس الحميرى ــ اعتنق اليهودية وتعصب لها ، وأنذر كل مسيحي في رعيته ٠ وحينما رفض انذاره زج بالمسيحيين جميعا في اخدود أضرمه نارا وقضى عليهم بذلك سنة ٥٢٣ ميلادية ، ولم يكن رسول الله محمد قد ولد بعد ، فالمابحث كان كلما تذكر هؤلاء الشهداء تألم ، وربما دمعت عيناه ٠

وعلى هذا النحو يتلون حديث النار في القرآن ، فاذا أحصينا المواضع التي ذكرت فيها وجدناها مائةوخمسة وأربعين موضعا ، شاركتها فيها جهنم بثمانية مواضع ، وانفردت جهنم ــ اضافة الى ذلك ــ بسبعة وستين موضعا ، فيقفز المجموع الى اثنى عشر موضعا ومائتين ، عدا الصاعقة التي وردت مفردة ومجموعة في ثمانية مواضع ، وسقر التي وردت في أربعة مواضع والسعير التي وردت في ستة عشر موضعا ٠

ومن الاشياء الطريفة التي يجدها القارىء في تراثنا قول من يقول « ومما عظم الله به شأن النار أنها تنتقم في الآخرة من جميع أعدائه . وليس يستوجبها بشرى من بشرى ولا جني من جني بضغينة ولا ظلم » وهذه هي نار الله ، ووسيلة عقابه التي لا يختلف اثنان حول كونها بلاء صرفا ، وخزيا بحتا ، ولا مخرج منها اطلاقا الا من رحم الله من المسلمين واستوفى مدة عقابه ٠

وليس في كتاب الله ما يشير الى أصل هذه النار ، برغم ما قدمنا ٠٠ فهي قائمة منذ الازل ، وستظل قائمة الى الابد ٠ الا ان وقودها منذ بدئها عقاب الله لا يخرج عن المعذبين فيها، حيث يقوم عليها تسعة عشر من الزبانية الغلاظ « وما أدراك ماسقر ، لا تبقي ولا تذر ، لواحة للبشر ، عليها تسعة عشر » وعن النبي في وصف هؤلاء التسعة عشر ــ على ما أورده الزمخشرى في كشافه ــ كان أعينهم البرق ، وكان أفواههم الصياصي ، يسوق أحدهم الامة وعلى

رقبته جبل فيرمى بهم فى النار ويرمى بالجبل عليهم ؟

وروى انه لما نزلت هذه السورة ، وهى المدثر ، قال ابو جهل لقريش : ثكلتكم امهاتكم ، اسمع ابن ابى كبشة يخبركم ان خزنة النار تسعة عشر وانتم الدهم ، ايعجز كل عشرة منكم أن يبطشوا برجل منهم ؟ فقال ابو الاشد بن أسيد بن كلدة الجمحى، وكان شديد البطش : انا اكفيكم سبعة عشر فاكفونيأنتم اثنين ! فانزل الله : « وما جعلنا أصحاب النار الا ملائكة » اى ما جعلهم رجالا من جنس البشر يطاقون ·

ان فى الآية الكريمةايماء وايحاء ، لكن التفسير اطال وافاض ، فاذا لا هول يعدل هول جهنم ، واذا الوصف يقصر عن تحديدها ·

فهى من ناحية تحيط بالكافرين والنافقين والطاغين ، بحيث تصبح لهم مهادا وتغدو غطاء وتحمى عليهم السنتها ، فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم · واذا نضجت جلودهم بدل الله بها غيرها ليستمر العذاب ويتصل ، واذا جاعوا اكلوا منشجرة الزقوم التى طلعها كرءوس الشياطين، واذا عطشوا شربوا من ماء صديد،

وكلما خبت هذه النار زادها الله سعيرا ، فيصرخ اهلها فى الزبانية التسعة عشر مستنجدين « وقال الذين فى النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب » ــ غافر، فى حين تهدر جهنم « هل من مزيد » فيضرب المعذبون ، وتضيق عليهم السلاسل والقيود ·

ثم هى من ناحية أخرى درجات ، ينزل كل مذنب درجته فيها بقدر سيئاته ، وقد خصص الله قاعها أو درجتها السفلى للمنافقين ، يقول سبحانه فى سورة النساء « ان المنافقين فى الدرك الاسفل من النار » ويغل الآخرون فيما فوق ذلك كل فى « سلسلة ذرعها سبعون ذراعا » « الحاقة » ، وتكون سرابيلهم من القطران ، وتغشاهم النار من كل جانب « ليجزىالله كل نفس ماكسبت، ان الله سريع الحساب » ــ ابراهيم ·

ولقد افتن المفسرون فى بيان هذه المعالم وزادوا فيها وافاضوا ، وادخل بعضهم عليها منتراثالساميين ــ الذى سمى زورا بالاسرائيليات ــ ما هيأ الجو لقصص فولكلورى رائع ·

كانت البداية ايات الاسراء ، وما اتصل بها من حادثة عروج النبى صلى الله عليه وسلم الى السماء · وفى هذا المجال يلقانا حديث نبوى يرويه ابن عباس عن رسول الله ، واكثر روايات ابن عباس عن حيوات الشعوب البائدة كعاد وثمود ·

ومن المؤكد أن يد التحريف امتدت الى حديث الاسراء ، وبمرور الايام استقل الحديث باضافاته عن الاصل، واصبح من أمتع الاجزاء التى يقبل عليها العامة فى مجال التسلية والاعتبار · ولقد طبع الحديث مؤخرا فى كتيب عنوانه « الاسراء والمعراج » للامام ابن عباس رضى الله عنهما » ، واتيح له فرصة الوصول الى اوربا عن طريق الاندلس وصقلية ، فترجم

الى القشتالية بعنوان « كتاب عروج محمد » ووجدت ترجمتان أخريان للكتيب باللاتينية والفرنسية حوالى منتصف القرن الثالث عشر ·

ويجمع الدارسون على ان عالما اسمه برونيتو لاتيني أعجب بالكتاب الصغير ، كما أعجب بكتاب لمحيي الدين بن عربي الاندلسي يصف فيه الآخرة ، وسجل انطباعاته عنهما في كتابه المعروف باسم « الكنز » · ومن هذا الكتاب استقى دانتي شاعر ايطاليا الكبير معظم ما ورد في ملحمته « الكوميديا الالهية » عن النار والاعراف والجنة في ابعادها الاسلامية ، وفي تشكيل لا يختلف عن تشكيل رحلة النبي في حديث ابن عباس ·

ويروي هذا الحديث كيف جاء جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة يدعوه للقيام برحلة الى بيت المقدس · فاعتلى عليه السلام براقه ، وارتفعت ثلاثة أصوات تغريه بالتوقف ، فلم يأبه · وتبع مرافقه جبريل الى القدس حيث التقى هناك بطائفة من الانبياء ، وعند الصخرة المقدسة رأى المعراج ـ أى السلم ـ نصب فوقها صاعدا الى عنان السماء ، فارتقاه ليزور السموات السبع حيث يتشرف بالمثول بين يدى الله سبحانه وتعالى ·

على ان ما يعنينا هنا هو جهنم ـ والعياذ بالله ··· ـ فانه عليه السلام لم يكد يستقر به المقام مع جبريل في السماء الخامسة ـ وكانت من الذهب الاحمر واسمها المنيرة ـ حتى رأى بابا عليه سطران يلمعان بالعبارة التالية « لا اله الا الله محمد رسول الله » فلما قراهما انفتح الباب ، ثم غاص بصره الى تخوم الارض السابعة ··· واذا جهنم مظلمة بدخانها الحالك وغضب الله ، وعليها ملك عظيم رهيب مقطب الوجه ، وبين عينيه عقدة لو اشرف بها على جميع الناس لاحترقوا ولغارت البحار ودكت الجبال !

ويقول المؤلف رحمه الله ـ وهذا ما ورد في متن الحديث ـ ان النبي تمكن من أن يرى في جهنم سبعين الف بحر من غسلين يطعمه أهل النار ، وسبعين الف بحر من غساق وهي ما يسيل من صديد المعذبين ، وسبعين الف بحر من قطران ـ وسبعين ـ الف بحر من رصاص مصهور · وعلى ساحل كل بحر الف سرادق من نار في كل سرادق الف منزل من حمم ، وفى كل منزل سبعون الف صندوق من لهيب ، وفي كل صندوق سبعون الف صنف من العذاب (تأمل رقم سبعة !)

وقد رأى صلى الله عليه وسلم حيات كأمثال النخل الطويل وعقارب كالبغال ، كما رأى سبعين الف بئر من الزمهرير ، ونساء عليهن ثياب من قطران وفي أعناقهن القيود · ثم رأى نساء اخريات محترقة وجوههن والسنتهن متدلية على صدورهن ، ونساء معلقات من شعورهن ، ورءوسهن تغلي في القدور · ونساء اخر مكبلات من اثدائهن بكلاليب من نار ، ونساء ارجلهن الى السنتهن وايديهن الى نواصيهن ، ونساء يشربن القيح والصديد فتتمزق بطونهن ، ثم يعدن خلقا جديدا · ونساء مقيدات في شجر الزقوم ، يصب عليهن الحميم فتتهرأ جلودهن ·· لقد كان المؤلف رحمه الله شديد الوقع على النساء !

ومن الرجال رأى من رأى ـ وان يكن اكثر اهل جهنم من النساء ـ الهمازين واللمازين يرمون بشهب

من نار ، فتقع فى افواههم وابصارهم وتخرج من دبرهم ... والبخلاء كانزى الذهب مصفدين بأصفاد من نار وجباههم قد اسودت ، وحول اعناقهم حيات تنهشها نهشا ... والمتكبرين على الناس ، ترشقهم الزبانية بمقامع الحديد المشتعل ... واكلى اموال اليتامى تدخل النار من ادبارهم فتغلى حميما فى بطونهم ، وتخرج دخانا اصفر من افواههم .

وعلى هذا النحو تستمر القصة لتقدم صورة بشعة عن جهنم وعذابها حتى ان الرسول لينتفض ويستعيذ بالله ، ثم يولى الى السماء السادسة، مواصلا رحلته الى الله عند سدرة المنتهى .

واذا كانت تلك جهنم فى التصور الشعبى من خلال القرآن الكريم ، فلا نظن انها تطيب لاحد ، وان تكن قدرا لا فرار منه . الا ان العجيب فيها هو الزمهرير ، اذ كيف يجتمع النقيضان .. حر هو الحميم ، وبرودة هى الزمهرير ؟ .. الم يذكر المؤلف – رحمه الله – ان ثمة سبعين الف بئر من الزمهرير ؟ شىء محير ، الا أن نقول ان ذلك لون من الوان العطاء الفارسى لتراث المسلمين ... فالمعروف أن زرادشت البلخى – وهو نبى المجوس – توعد الخاطئين بعذاب الزمهرير فى الاخرة ، وقدس النار . ومع ذلك روى ان الرسول عليه الصلاة والسلام قال فيه « كتب الله له من الحسنات بعدد كل ودق وثلج وقع على جبل سيلان » .

الا ان الاعرابى الذى ذكره الجاحظ فى حيوانه يرفض ان تكون جهنم زمهريرا ، اذ ماذا يفعل اذا اشتد عليه البرد وطلب ما يصطلى به ؟ ثم انشا يقول عن النار « اللهم لا تحرمنيها فى الدنيا ولا فى الاخرة » .

من نار الخلق إلى نار جهنم

ويطول الكلام عن جهنم فى ضوء التصوير القرآنى . وكذلك فى ضوء ما رصده القاص الشعبى كاضافة لحديث الاسراء . وكانت نتيجة هذا ظهور مجموعة من الاعمال الادبية اشهرها عندنا فى العربية « رسالة الغفران » التى الفها الشاعر المتفلسف أبو العلاء المعرى بين عامى ٤٢٢ و ٤٢٤ هجرية اى فى القرن العاشر او الحادى عشر الميلادى .

وعند الغربيين ظهرت لدانتى الايطالى « الكوميديا الالهية » فى القرن الرابع عشر ، دون ان يكون لابى العلاء تأثير واضح فيها ، انما كان عمل القاص الشعبى او عمل المؤلف المجهول – الذى كان يطلب لنفسه الرحمة خلال سرده – هو حجر الزاوية أو الاساس الحقيقى لعمل دانتى العظيم .

حقيقة اعتمد أبو العلاء القرآن نفسه ناقلا صورة الزبانية والاغلال والسعير ومقامع الحديد وابليس وصراخ أصحاب النار فى مالك وأهل الجنة ، غير انه اضاف من الشعر القديم والأساطير العربية اشياء رائعة . ومع ذلك فقد ظلت جهنم عنده ذات طابع انسانى رقيق ، فبدت هينة بسيطة حتى ليمكن الزعم أن اقسى صورة عنده قوله فى عذاب الشيطان « فيرى ابليس لعنه الله وهو يضطرب فى الأغلال والسلاسل ومقامع الحديد تأخذه من أيدى الزبانية » .

فاذا كان ذلك عذاب الشيطان ـ وهو من هو ـ فليس شك فى أن أعتى الخطاة من البشر دون ذلك تعذيبا . والدليل وصف الشاعر لعذاب أوس بن حجر الشاعر الجاهلى ... فهو ينطقه قوله لابن القارح بطل الغفران « فأما أنا فقد ذهلت ، نار توقد ، وبنان يعقد .. اذا غلب على الظمأ رفع لى شىء كالنهر .. فاذا اغترفت منه لاشرب وجدته سعيرا مضطرما . ثم ينتهى كل شىء » .

وقد لحظت الدكتورة عائشة عبد الرحمن ذلك فتساءلت فى كتابها « الغفران » أين هذه الصورة من جحيم البرهميين المليوءة بأخبث أنواع العقارب والحيات وجوارح الطير ؟ .. أين هى من جحيم أهل الصين الحافلة بالشياطين والعفاريت التى تتفنن فى تعذيب المجرمين ؟ .. أين هى من جحيم اليهود والمسيحيين مثلك الهوة المرعبة التى نارها لا تطفأ ودودها لايموت ؟ »

وأما جحيم دانتى وهو المسيحى الذى يستمد مع مسيحيته الاساطير اليونانية ، فان احدا لا يستطيع أن يواجه ظلماتها المتراكمة وأهوالها المتراكمة .. فثمة الزبانية ، ونهر النار الغلى فى أعمق أعماق الظلام المخيف . وهناك الشيطان الذى يعتو ويأمر باجتياز أوعر الصخور الى طريق يخترق الهاوية التى تشرف على مستنقع النار .

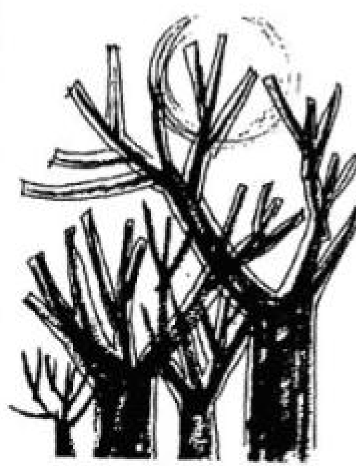
وكما أن نار المؤلف المسلم ـ رحمه الله ـ درجات ، فنار دانتى درجات أيضا ، وزع فيها المذنبون بحيث وضع المنافقون فى معاطف الرصاص ، وخصص للصوص جحيم الثعابين التى تنزل بأهل النار عقابا مرعبا .. فاذا عض ثعبان مذنبا استحال بدوره الى ثعبان وينقلب الثعبان آدميا . وربما تحول المذنبون الى رماد اذا لدغتهم الثعابين !

وأعنف من هذا عمالقة جهنم الذين يعيشون أفظع عذاب فى جو معتم ترتفع فيه القباب العالية ، وتحت هذه القباب يتلوى النمرود وايفالتيس الذى تحدى جوبيتر كبير آلهة الاوليمب . كما يتلوى غيرهما من المردة المرعبين .

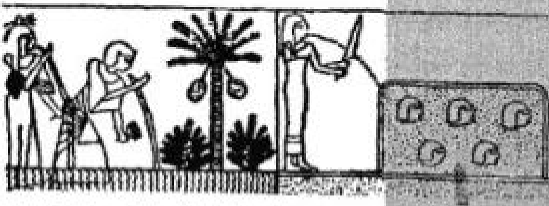
هذا فضلا عن بحيرة كوكيتوس المتجمدة . وطبقة الخونة السفلى التى يرأسها لوسيفر !

ولقد كانت جهنم هذه ـ عند دانتى ـ قرب مركز الارض وكان عليه أن يدفع بيطله فرجيل دفعا ليصل معه الى المطهر الذى يقابل الاعراف عند المسلمين .

فاذا قومنا هذا وذاك لا نملك الا ان نقر بتأثر دانتى بحديث الاسراء والمعراج ، ويصبح من الضرورى أن نسلم بأن دانتى قرأ فى « الكنز » الذى ألفه أستاذه برونيتو لاتيني كل شىء عن جهنم عند المسلمين ، وخطط لها تخطيطا لا يخرج عن تصورات القاص الشعبى .. بل ان اطار الملحمة كله وتقسيماته وتفصيلاته لا تخرج عن الكتيب الصغير الذى حمل بذرته الاولى ابن عباس ثم حمل عليه الكثير ...



د. محمد جمال الدين مختار



صورة تمثل الجنة والنار عند الفراعنة

الجنة والنار عند



الإلـه انوبس الـه التحنيط

العقيدة الدينية شىء لازم فى حياة الانسان، لايستطيع ان يعيش بدونها .. والدين والحضارة توءمان، اذ ان الحضارات الانسانية فى كل زمان ومكان قد نشأت غالبا تحت راية العقيدة الدينية ...

ومن محاسن الصدف ان كثيرا من الوان الحياة الدينية التى كان يحياها قدماء المصريين قد وصلت الينا كاملة . والواقع انه يندر ان نقابل أثرا مكتوبا من آثارهم، لم يذكر عليه احد معبوداتهم او لا يتصل بعقيدة من عقائدهم، ومع ذلك مازالت ديانة المصريين القدماء يسودها نوع من الغموض ويكتنفها الكثير من الابهام ...

تميزت الديانة المصرية القديمة بمميزات وخصائص اعطتها طابعا فريدا بين الديانات المصرية · وكان أهم هذه الخصائص الاعتقاد فى البعث والخلود ، اذ اعتقد المصريون منذ أقدم العصور أن الانسان سيبعث ثانية بعد موته ليحيا حياة الخلود ·

ومنذ فجر الانسانية والناس يدفنون موتاهم ومعهم من الوان الطعام والشراب وفنون المتاع ما يعينهم على استئناف الحياة بعد نقلتهم الى عالم الموت ·

وفى الطبيعة المصرية ما يدفع الناس الى التفكير فى البعث · فهذه الشمس لا تكاد تغرب عن يمين الوادى الا لتطلع من شرقه اذا ماكان الصباح · كذلك القمر ، لا يكاد يختفى عن السماء المصرية حتى يعود سيرته الاولى فيها · والنيل المبارك ما يكاد ماؤه ينقص حتى يفيض من جديد · وهذه الارض على شفافه ، لا يكاد نباتها يحصد حتى يعود فيخرج منها بعد حين ·· بل ان المصرى القديم راى جثث ابائه واجداده محتفظة باشكالها وتفاصيلها نتيجة لجفاف الجو وتاثير رمال الصحراء ، فاعتقد ان الموت ما هو الا اغفاءة طويلة تعود بعدها الحياة الى الجسم المثوى فى قبر ثاء حصين ···

كذلك اعتقد المصريون أن الروح بعد أن تنجو من مخاطر كثيرة فى رحلتها الى العالم الاخر فيما وراء الموت معتمدة فى ذلك على حسنات الميت وما ادى له من شعائر دينية وما يحمله من تمائم وتعاويذ وكتابات دينية ، تجابه تجربة قاسية الا وهى محاكمة تتناول ما اتاه الميت فى دنياه من الحسنات وما ارتكبه من السيئات ، فيجازى المحسن على احسانه والمسىء على اساءته ·

ولقد كان لهذه العقيدة اثر كبير فى الحياة الخلقية والاجتماعية للمصريين القدماء ، فهم قد خافوا الذنوب ماكبر منها وما صغر ، فروضوا انفسهم على فعل الخير ،

الفراعنة

الجنة والنار

وربو ضمائرهم على اجتناب الاثام في السر والجهر ·

***

وقصة الحساب تتمثل في دخول الميت اولا « قاعة الصدق » حيث ينفي المتهم عن نفسه جميع الذنوب · فهو يذكر انه لم يرتكب اية خطيئة ، ولم يات اي ذنب · ويذكر انه لم يقتل ، ولم يزن ، ولم يكذب ، ولم يشهد الزور ، ولم يش بآخر ، ولم يسرق ولم ياكل مال اليتيم او القاصر ، ولم يرتكب اي شيء تكرهه الالهة · ويتضمن هذا الاعتراف الانكارى عشرات الذنوب التي يعلن براءته منها

اما المحاكمة فتتلخص في وقوف الميت امام محكمة مؤلفة من اثنين واربعين قاضيا يمثلون اقاليم مصر المعروفة ، برئاسة الاله اوزوريس اله الموتى الذى يجلس على عرشه وامامه « ميزان الصدق » يشرف عليه الاله انوبيس رب التحنيط ويتصدره الاله تحوت رب الحكمة وكاتب الالهة وفي يده القلم والقرطاس ليسجل النتيجة · ويقف خلف الميزان عادة حيوان مفترس بشع الخلقة ، له راس تمساح وصدر اسد ومؤخرة فرس النهر ، يكون متحفزا لالتهام قلب الميت اذا كان مذنبا ·

وياخذ الميت في سرد اعماله الحسنة وما قام به في حياته الدنيا من اعمال البر والخير ، ثم يتبرأ من الاثام · فاذا ما انتهى من ذلك وزن قلبه « بميزان الصدق » فيوضع في احدى كفتيه القلب وفي الكفة الاخرى « ريشة الصدق » ، فان خفت موازينه ، كان ذلك دليلا على انه طاهر برىء ، يتحلى بالفضائل وطيب الخلق ، وينفر من كل ما يفسد الحياة فيسير الى النعيم الابدي · وان ثقلت موازينه ، كان ذلك برهانا على انه شرير اثم قد نبذ الفضائل وتعدى حدود ما امرت به الشرائع ، فيساق الى عذاب الجحيم

وللعالم الاخر ومابه من جنة ونار ، صور والوان مختلفة كلها رواسب من الماضي البعيد ادخرها قدماء المصريين الى جانب الجديد ·

وقد تطور شكل ومكان الجنة والنار في تصور قدماء المصريين من عصر الى آخر · ففي اول الامر تخيل قدماء المصريين ان المقبرة هي مكان الحياة الاخرى ، ثم تصوروا بعد ذلك ان ذلك المكان يقع في السماء ، وكان ذلك في ايام الدولة القديمة حين سيطرت عبادة الاله رع اله الشمس

على البلاد • ثم ما لبثت ان انتقلت الحياة الاخرى الى عالم أوزوريس الذى يقع فى اعتقادهم فى مكان ما فى أسفل الارض •• وكان ذلك عندما انتشرت عادة الاله اوزوريس منذ ايام الدولة الوسطى ••

ونظرا لايمانهم بانه لا يوجد أحلى ولا أجمل من وطنهم الحبيب ، فانهم لم يطلبوا فى آخرتهم جنة أقصى من جنات النيل ، فهى صورة طبق الاصل ،فيها نيل مبارك يتوافر ماؤه ، وحقول يانعة يخضر زرعها ، وسماء صافية تعلوها •

كذلك صورت لنا نصوص الاهرام جنة الفراعنة كصورة طبق الاصل لحياة فرعون الدنيوية التى يرتفع منها الى السماء ، فهو محاط برجال بلاطه وهو يحكم ويأمر كما كان يفعل فى الدنيا ، وهو يعيش معهم فى نعيم

عملية فتح الفم للمومياء ، عملية صورية دينية تعد الميت لينفى عن نفسه الآثام



مقيم ، يرتدى أفخر اللباس ويأكل كل ما تشتهيه النفس •

•••

أما حالهم فى الجحيم فكان فى صورة فكرية مروعة ، فيه يترك الميت فى ظلمات الغيب حيث تعضه قسوة الجوع ، وتحرقه حرارة الظمأ، وينتصب عليه الوان العذاب ، ويروع قلبه الكثير من الاخطار والاهوال •

ولعل افضل تصور عن الجنة والنار يتمثل فى قصة من العصر المتأخر تعرف بقصة سا اوزير اى « ابن اوزوريس » والتى تخبرنا عن مشاهدة « سا اوزير » وابنه لجنازتين ، الاولى لرجل ثرى ، حافلة بالكهنة والنادبات وحملة القرابين ، والثانية لرجل فقير لا يسير وراءه احد ولا تتبعه القرابين• وعندما تمنى الاب حين يموت أن تكون له مثلا جنازة الثرى ، اجاب الابن بانه يتمنى له مصير الرجل الفقير • وقد آلم ذلك الاب ، فعرض عليه الابن ان ينفذا الى العالم الاخر ليريا مصير كل من الرجلين ، وهناك وجدا الثرى مودعا الجحيم وقد سلطت عليه كافة انواع العذاب ، فى حين ان الجنة كانت من نصيب الفقير حيث يرفل فى اردية ثمينة ويستمتع بمسرات وقرابين الثرى • وكان سبب ذلك ان الثرى قد اتيحت له فرص كثيرة لعمل الخير فلم يغتنمها ، بينما فعل الفقير الخير دائما رغم ضآلة فرصه

د. محمد
أبو الأنوار

● الفكر الادبي والحس الفني هما ميدان القوى النزاعة الى الكمال والجلال والجمال ، من اجل الانسانية الحيرى على دروب آمالها وآلامها . وحتى عندما يغرق الاديب في ازمات نفسه هو ، فانه بالضرورة يصل الى رؤية ما ، تماما كمن سلك دربا مجهولا محفوفا بالخطر غارقا في الهول فان حصاد رحلته نفع للاخرين وريادة وزاد للقادمين ، ومن هنا تصبح التجربة الذاتية المحضة موضوعية في ثمارها عامة في نتائجها

الشعر العربي الحديث

● والادباء قبل الفلاسفة وقفوا امام معميات الكون وقفة حائرة ، تشدهم الرغبات والآمال ذات الطماح الشارد الى آفاق غير محدودة . ولكنهم يصطدمون بالمستحيل تارة ، وبالصعب العزيز المنال اخرى وافدح منهما معا بالموت . ومن ثم نسمع صوت الحيرة والتصدع بل التمرد على قبول مواضعات الحياة مادام الموت جاثما يهتبل كما يريد ووقتما يشاء

والعالم الآخر

والشعراء في العصور الحديثة هزتهم بعنف القضايا الكبرى للحياة ، من الخير والشر ، والحظ والرزق والجبر والاختيار ، لا سيما الموت والمجاهل التي يجر اليها ، وامام المجهولات المخيفة التي تبدأ بالموت وتنتهي بالجنة والنار كان الاديب اكثر من غيره ترنحا تحت وطأة ما يروع حسه ، أو ما يراه عقله صعبا وقاسيا ، أو ماينئ عنه في غياهب المجهولات وبطون الطلاسم ، والاديب يريد دائما ان يصل الى الاقتناع الذي يرضيه والا فانه الشك والكفران والحيرة والقلق والتردد والكآبة والتشاؤم

والتساؤل الذي لا ينضب ، وان في الكثرة الكاثرة من الادباء النزوع الى عدم الرضا والخلود الى عدم الراحة فهم بحق رواد الفضاء الانساني في مجالات الفكر والحس والتأمل ، وان البعض منهم ليلبس نفس الخاصة التي لبسها الشيطان الذي ترجم له العقاد في قصيدته الشهيرة حيث مل عيش النعيم في الجنة وتطلع الى مقام الالوهية ، لانه لا يستطيع ان يرى الكمال ولا يطلبه حتى لو كان كمال الهه .

ولا عجب اذن أن يخوض الادباء في نواميس العالم الاخر وأن يرحلوا رحلات متنوعة ، خلف الحجب والاستار ، وقد

رائد أبو العلاء المعري بخياله العبقري الخصب هذه التجربة في رسالة الغفران، ومن بعده تأثر به شرقيون وغربيون ، وانه من الممتع حقا أن نتعرف على نصيب الرحلة الى العالم الآخر في الشعر العربي الحديث .

وأول ما يلفت النظر ان الشعر العربي الحديث منذ انطلق الى آفاق التجديد اتجه الى التجارب النفسية وتأمل الشاعر الذاتية ، مع العناية بالتنقيب لنوازع النفس وحقائق الحياة ، والبحث عن المثل الاعلى ، وخاض الشعر في القضايا الابدية من الموت والقلق والألم والسعادة والشقاء ، وروى الشعر التأمل في حياة الناس وما تموج به من أوهام وخواطر ، وما تفيض به من طبائع ونزعات وماتشرئب اليه من تطلعات الآمال والاماني ، وما يعتصرها الى جانب ذلك من جبرية وارغام ، وتحطمت في يد كثرة منهم تساؤلات ملؤها اليأس المر والتشاؤم الأسود ، وفي منازع كثيرة فان الشعر كان في الوقت الذي يعتمد فيه على العاطفة السامية يمتاح من النغمة الناصعة الثائرة الرافضة ، وهكذا اتسع الشعر

أبو العلاء : تأثر به الشرقيون والغربيون



العربي لكل ما يتصل بالشعور والفكر ، بالعاطفة الجنحة والنغمة المتجبرة .

على ان النماذج الكبرى التي ظهرت في شعرنا العربي الحديث ليست كثيرة فيما اعلم وابرزها واكملها على الاطلاق مطولة الزهاوي « ثورة في الجحيم » وهناك وقفة لشكري على أعتاب العالم الآخر في « حلم بالبعث . » وهناك رحلة للشيطان عبر فيها بالتوبة من حياة الغواية الى رحاب الجنة ، وهناك حرض الملائكة على الكفران ، ودخل في مناقشة طويلة وعنيدة مع ربه كما سجلتها رائعة العقاد « ترجمة شيطان » وهناك أكثر من مشهد في قصيدة « عبقر » لشفيق معلوف الشاعر المهجري ، يرحل فيها الشاعر على ظهر شيطان من شياطين عبقر الى « نهر الغي » بجهنم ثم الى وادي « سجين » وهناك المطولة التأملية او الملحمة الاسطورية « شاطئ الاحزان » للهمشري تلك التحفة الفنية المشحونة بالرمز المجنح بعيدا عن حقائق التاريخ وايحاءاته ، وتعاليم الاديان وعقائدها .

● الزهاوي و « ثورة في الجحيم » ●

هذه القصيدة الطويلة التي بلغت أربعمائة وثلاثة وثلاثين بيتا يمكن القول بأنها ملحمة شعرية بما لها من قوة التخيل المجنح ، وتحريك الحوادث الرهيبة المفزعة الهادفة في الوقت ذاته الى الادلاء بموقف ورأي وفكرة واحساس ، وقد كتبها الشاعر عام ١٩٢٨ ولكنه لم ينشرها الا عام ١٩٣٢ في مجلة الدهور بلبنان .

وموضوعها يتلخص في أن الشاعر رأى في حلم من أحلامه أنه مات واحتواه قبره ثم جاء « منكر ونكير » وهما الملكان الموكلان بحساب الميت في قبره وأيقظاه وأخذا في مساءلته :

عن امـور كثيرة قد أتاها
يوم في الارض كان حيا يسعى

ويقول انه في بداية سؤاله كان خائفا : يفتح فمه ولا يبين ، ثم تقوى وملك أمر نفسه :

الشعر العربي الحديث

ثم اني ملكت نفسي كأني
لست اخشى شيئا وأني جسود

وقد سئل عن صناعته فأجاب بأنها الشعر ، وعن دينه فأجاب بأنه الاسلام ، ثم سئل عن دوره في حياته ومن هنا بدأ الشاعر تمرده لأنه انسان يقع أسير الجبر فكيف به يسأل عن افعال لم يملك فيها امره يقول :

قلت : لا تسألاني عن حياة
لم يكن لي لغضونها لي حيود
كنت عبدا مسيرا غير حر
لا خيار له ولا تخيير
ماحبوني شيئا من الحول والقد
رة حتى ادير مالا يدور
كان خيرا مني الحجارة تشوى
حيث لا آمر ولا مأمور

ويوضح الشاعر انه لم يكن في اجابته لهما موافقا لما يجيب به الجمهور عليهما لانه صاحب رأي .

واذا لم يكن هنالك رأي
لي الفي به فلا استعير

ثم سئل عن النبيين والقرآن والصلاة والزكاة والصوم والجهاد فأجاب بأنه قام بأدائها جميعا ، وسئل عن البعث والنشور والجنة والجحيم ، وهنا يضيق هذا الميت ويصارح ملائكة الموت بشكوكه قائلا :

قلت مهلا يأيها الملك الملحف
مهلا فان هذا كثير
كان ايماني في شبابي جما
ما به نزوة ولا تقصير
غير ان الشكوك عبث تلاحيني
فلم يستقر مني الشعور
ثم اني في الوقت هذا لقولي
لست ادرى ماذا اعتقادي الاخير

●●●

ويمضي الشاعر الى وصف الصراط ، وهو ذلك الطريق الذي شاع عنه في الاخبار الدينية العامة أنه طريق كشعرة الراس أو كحد السيف تمضي عليه الخلائق يوم القيامة فمن كان ذا عمل شرير لم يستطع التقدم عليه وقذف به في النار ، ومن كان ذا عمل طيب انسح له ومضى منه الى الجنة والشاعر في وصفه يبدو مترددا بين الشك في امر الصراط والرجاء في رحمة ربه ان كان ثمة صراط يقول :

غير اني اجل ربي عن اتيان
ما يأباه الحجى والضمير
فاذا صح انه كغرار السيف
او شعرة ، فكيف العبور ؟!
ربنا ارفق بنا فانا ضعاف
ما لنا من حول وانت القدير

وعندما يسأل الشاعر عن الجن والملائكة ، يجيب اجابة قوية الشك رافضة لكل مالا يستطيع العقل ادراكه — وكان الاولى به ان يقول ما يعجز عقله هو عن ادراكه — يقول مجيبا :

قلت : لله في السموات والارض
وما بينهن خلق كثير
غير اني ارتاب في كل ما قد
عجز العقل عنه والتفكير
لم يكن في الكتاب من خطأ كلا
ولكن قد اخطأ التفسير

وفي مقطوعة لاحقة يلقي باعتراضه على فكرة الحساب لانه لا صحة للحساب مع الجبر ومع خلق الشر في الحياة ، وبالرغم من أنه يسأل في مقطوعة سابقة عن الاله فيجيب بأنه لا شك في وجود الله ولكنه يجيب في فقرة لاحقة بأن الله هو «الاثير» لم يؤكد أن حسبه انه صدع برأيه ، ويطلب اليهما عدم ظلمه ، بل عدم ازعاجه .

ويننتهي الامر بتعذيبه في قبره ، ثم يزج الى الجنة ليزداد همـا من جراء حرمانه منها ، ثم يستقر به المقام في الجحيم **وهنا تظهر بقوة ملامح تأثره بأبي العلاء المعري حيث عقد الشاعر مقابلات في جهنم مع عديد من الادباء والشعراء والفلاسفة والعلماء العالميين** ، ثم ينتهي الشاعر باختراع مشهد جديد تماما يحسب له وحده — فيما أعلم — حيث جعل أهل الجحيم يخترعون آلة تطفيء سعير الجحيم ، ومن هنا يتمكنون من الثورة والاشتباك

في معركة مهولة مع أهل الجنة يصورون فيها عليهم ويظفرون بالجنة ويحتلونها بعد جهاد مرير ، سنقف على جوانب من صوره وتفاصيله .

هذا عرض موجز لاهم خطوط هـــذه المطولة الشعرية التي نسجها الشاعر والقى من وراء الجاهرة بها مجسوما عنيفا على كفره وشروده ، وليس دورنا في هـــذا المقال محاكمة الشاعر دينيا . وانمـــا دورنا دراسة هذه المطـولة من جوانب فنية ، وفي هذا الســبيل نلاحظ مايلي:

الاديب والحرية والامن : لقــد حرص الشاعر على ابراز هذه المعاني الخطرة في مواطن من مطولته على النحو التالي :

انه يأخذ في رحلته الى العالم الاخــر دور الاديب الحر الذي يكره النفاق ويتنكر لما لا يرضاه ضميره ، ويتضح ذلك في أنه عندما ساله الملكان كان مترددا ولكنه على الفور تذكر أنه أديب ومن ثم صدع بالحق :

ثم اني صدعت بالحق في الا
خـر حتى التأثت على الامور
ان الاديب الحــر النظاق نميم
وهو مالا يرضاه منه الضمير

ثم يرى الحرية مطلبا اسمى ، ولا بد من القوة في طلبها ولذا يواجه « منكر ونكير » بأنه حر فيما يراه ويحســـه ويعقله ، وانه غير مقيـــد بما تراه الجماهير ، وهل يتساوى الخاصة بالعامة في الرأي والفكر ، وهل كل ثمـرات الحرث تتساوى ؟!

كان الحق اني اذا سالوني لم اقل
ما يقوله الجمهور

انهم من اوهامهم في اسار وللقد لا
يرضيهم التحرير

واذا لم يكن هنالك راى لي افضي به
فلا استحي

ثمرات الاحراث لا تتساوى هذه حنطة
وهذا شعير

ولكن انى للحرية ان تثمر في ظــلال الخوف انه حيث يكون الخوف لا يكون الفهم والرأي ، لقد أوضـــح الشاعر للملكين أنه تعرض لموجات من الالحـــاد والايمان وفي آخرها كان متعمقا في العقائد ولكنه لخوفه الان لا يعرف كنه اعتقاده :

ثم اني في الوقت هذا لخوفي
لست ادرى ماذا اعتقادي الاخير

وهو يطلب الحرية الى ابعد مدى ويطلب معها الامن المطلق ويعتبر تعرض الانسان للحساب والمساءلة أمرا متنافيا مع هــذا المطلب ولذا يصرخ في الملكين حيث ضاق بهما :

ان قول الحق الصراح على الاحرار
حتى في قبرهم محظور

اتركاني ولا تزيدا عنائي بسؤاليفانني
موتور

لم تصن من جراة المســتبدين على
الهالكين حتى القبور

قلت : لما هبطت اعماق قبرى ليس خيرا
من البطون الظهور

واذا القبر ضيق يلويه واذا القبر فيه
كرب كثير

انها الدائرات في كل وقت ومكان على
الضعيف تدور

وهذه الصرخة – في الحق – ثورة على واقعه الدنيوي الأليم الذي يرفضه ويضيق به ، انه لا يؤمن بغير حريته ولا يقبل التفريط فيها في الدنيا وفي العالم الاخر

الزهاوي : ثورة في الجحيم



على سواء ، وكأنما يكشف في هذه المساواة بين العالمين عنده عن عمق اعتقاده بحقه في حريته ، وهو يثور على محاسبة الاسير ويرفض ان يكون الحساب على امور شكلية بينما تترك الامور الجوهرية

الهامة ، وهنا نحس أن ثورته موجهة الى انكار تلك الاشكال الباطلة التي يحاسر بها عادة ـ وباسم الحق ـ صاحب الراى والفكر والعقيدة ، وهى امور باطلة كلها لا تمت الى جوهر الحق بصلة وبرغم أن ثورته على مسرح الاخرة الذى خلقه في حلمه لكنها بالدرجة الاولى موجهة الى واقعه الذى يحياه ، انه يقول للملكين :

أنما قد سالتما عن امور
هي ليست تفنى وليست تضير
ولماذا لم تسألا عن ضميري
والذي من يدى منه الضمير
ولماذا لم تسألا عن جهادى
في سبيل الحقوق وهو شهير

وفيما يتصل بحرصه على حقه في الامن وانه لا يمكن للمقهور أن يكون موضع حساب ومساءلة يقول :

قلت امهلني في الجواب رويدا
انني الآن خائف مذعور
لا تكن قاسيا على كثيرا
انا شيخ مهدم مذعور

الاقوياء قانون ، والعدل موضوعي :
وهو يرى ان من يأخذ موقع القوة لايرضيه الا ان يكون كل شيء ومن هذا المنطلق الذاتي المحض يضع مقاييسه ، وقوانينه، وهو بالضرورة يحيد عن الحق والعدل . ومن هذا المنطلق في التفكير وهو منطلق خاص بعالمنا الارضي يرى الشاعر أنه لا صحة للحساب في الاخرة مع الجبروهع خلق الشر ولذا يقول للملكين
ما عقابي بعد ما صح نقلا
ان ما قد اتيته مقدور

ليس لي فيها جئته من خيار
انني في جميعه مجبور
امن الحق خلق ابليس وهو
المستبد المضلل الشرير ؟!
انما في الدارين عسف وحيف
غير أن السماء ليست تمور
فللناس تعاسة وشقاء
وللناس سعادة وسرور !

والشاعر يمعن في تأكيد فكرته التي يرى فيها أن من يملك موقع القوة لا يرضيه الا ان يكون كل شيء ، ولذا عندما سأله أحد الملكين عن الاله ، بدا الشاعر فأملى فكرته أنحرة وهي أن الله هو « الاله » ولكنه تذكر على الفور قانون الاقوياء المشار اليه فرجع عن صراحته استجابة لتأكيد هذا الخلق المرذول في كل من يملك القوة ويستطيع المساءلة والمحاسبة حيث أعلن في تراجع لا يخلو من السخرية والتعريض ـ بالملك الذى يسأله ـ قائلا : انت انت الاله لاغيرك :

كان ظني ان الاله هو
الرب كريما يمدني ويجير
انك اليوم انت وحدك ربي
بك احيا في حضرتي وابور
انك الجبار اللذ سوف تبقى
تحت سلطانك العظيم القبور

ثم يبين بعد ذلك أن العودة الى الحق أمام أصحاب القوة والجبروت لا تغنى ولا تدفع عن الضعفاء المقهورين ، مع أن ذلك يكفى للصفح عنهم .

وهذا الفهم يمكن أن يتسرب الينا عندما نراه قد رجع عن كفره الانف ذكره قائلا :

قد أسأت التعبير والله ربي
ما له في كل الوجود نظير
ولكن الملكين يرفضان منه عدوله وتوبته قائلين له :
فاجاباني قائلين بصوت لا يسر الاسماع منه الهدير
قضى الامر فاستعد لضرب منه تدمى بعد البطون الظهور :
لا يفيد الايمان من بعد كفر وكذا جد الطائشين عثور

الشعر
العربي
الحديث



افلاطون : الجلد والفكر

● ثورة أهل الجحيم ●

من هذا الاحساس العميق بالمظالم التي تضاعفت لديه بعد موقف الحساب والعذاب بالقبر ، حيث ذهب به الى الجنة ليزداد احساسه بالعذاب نتيجة الحرمان منها ، ثم الى النار حيث استقر به المقام نراه يخلق من وحيه ثورة أهلُ الجحيم على أهل الجنة ، ويسجل غلبة الاولين على الاخرين .

انه عندما ذهب به الى الجنة لتعميق احساسه بالعذاب الاليم الذي يحل به عن طريق وقوفه على صنوف المتاع المفصل الذي ينعم به أهل الجنة نراه يصف الجنة وصفا يعتمد كثيرا على الاقتباس القرآني ولكنه لا يرتفع بوصفه فنيا ، بل يتردى في وصف هابط حيث يعتمد على السرد والحكي والتقرير الذي هو قريب الشبه بالمنظومات ، ولكن وسائله الفنية تقوى نوعا ما عندما يلجأ الى ضروب من السخرية والتهكم في وصفه للجنة . يقول مثلا عن الحور العين والاسرة :

وعلى تلكم الاسرة حور
لي حل لها ونعم الحور
ليس يخشين في المجانة عارا
وان اهتز تحتهن السرير

ثم يكشف عن تهكمه بعدالة الثواب والعقاب فيقول في نفس السياق :

كل من صلى قائما وتزكى
فمن الحور حظه موفور

ثم يركب مطية الاسفاف في المعنى حيث يلمح الى ضرب من الفجور طهر الله منه الحياة بتحريمه فيها ؛ ويقفز الشاعر في خفة ودقة ـ يشهدان له ببراعة الافلات ـ الى امكان اتيان ذلك المنكر هناك في الجنة حيث يقول :

وكأن الولدان حين يطوفو
ن على القوم لؤلؤ منثور
انت ما شئته ولا تخش بأسا
لا حرام فيها ولا محظور

ويرى الشاعر أن مطالب العواطف والعقائد الشخصية فوق كل المطالب ، ومعنى ذلك انه يرى أن حقوق القلب والعاطفة فوق كل حق ، وأن الفكرة التي يقتنع بها الانسان هي الحق الاول الذي يجب أن يفوز به ، وما وراء ذلك من التكاليف الخارجية عن ذاته فهو باطل ، انه يحكي لنا أنه رأى « ليلى » في الجحيم تلك التي فرقوا بينها وبين حبيبها « سمير » ثم يسألها وهي تجيب ؛ وفي هذا التساؤل ما يؤكد الفكرة السالفة لديه ؛ يقول :

قلت: ما يبكي الجميلة ؟! قالت :
انا لا يبكيني اللظى والسعير
انما يبكيني فراق حبيبي
وفراق الحبيب خطب كبير

ثم يسوق الشاعر احساسه واحساس أهل الجحيم بالثورة وضرورتها ، من طريق ابراز المفارقة الفجة بين الظلم الواقع عليهم والمحاباة السمجة لاهل الجنة ، ذلك أن أهل الجحيم هم اهل الفكر والعلم والفن ، واهل الجنة هم البله والجهلاء ؛ وتلك هي الاكثرية المطلقة والى جانبها طائفة قليلة من أولئك الذين شغلوا أنفسهم بهدى الناس ؛ يقول في ذلك مبتدئا بالحديث عن أهل جهنم :

منهم العالم الكبير ورب
الفن والفيلسوف والنحرير
لم اشاهد بعد التلفت فيها
جاهلا ليس عنده تفكير
انما مثوى الجاهلين جنان

شاهقات القصور فيها الحور
فير قسم هو الافل سعى يصـ
لح حتى اهتدى به الجمهور

ويعمق هذا الاحساس بالمفارقة الظالمة التي ثارت بها نفسه حيث عرض علينا حشدا من الفلاسفة والعلماء والمفكرين في الجحيم ، وقف بينهم سقراط خطيبا ، منهم افلاطون ، وارسطاليس ، وكوبرنيك ، وداروين ، وهيجل ، وجسندى ، وسبنسر ، ونيوتن ، وريغال ، وزرادشت ، والكندى ، وابن سينا ، وأبو دلامة ، وجماعات غيرهم . وهو يصور أهل الفكر في الجحيم أهل جلد وصبر ، فاذا لاحظنا انه يدور فوق مسرح الاخرة بكل مقاييس اهل الارض ، وبكل الظروف والملابسات المحيطة بهم كان منطقيا منه أن يجعلهم اهل جلد وفكر كانما يحاصرهم ويحتم عليهم عدم التخلي عن مسئولياتهم الكبرى التي لا يصح أن يتخلفوا عنها ولو كانوا في قاع سقر يقول :

وجماعات غيرهم كلهم جلد على نارها وكل صبور
كان سقراط بينهم قائما فهو ذو عزم فائق لا يخور

ويتكلم سقراط فيهم كلاما من شانه أن يجعل الامل بل الثقة في التقدم نحو النصر بل الظفر به حتمية المستقبل بالنسبة للعلم والعلماء ، لانه غير منطقي وغير مقبول أن يسود الجهلاء البله في الجنة وتشقى الصفوة العالمة في الجحيم . وهذا التصور في جملته اسقاط بل تنديد حقيقي بالمفارقة الجائرة في الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية في عصر الزهاوي ، حيث تسود طبقة الاقطاعيين بكل ما لها من مظالم وجهالات .

والزهاوي بعد تصويره ومناقشاته لهذه المفارقات التي عمق فينا الوقوف على احساسه بها وتصوره لها انتهى الى تأكيد الثقة في حتمية النصر والغلب لاهل الجحيم ، ومعنى ذلك ان اهل العلم والفكر لابد أن ينتصروا اذا اقتنعوا وصمموا وبذلوا ، وقدموا من الوسائل والاسباب ما هو ضريبة لازمة عليهم لائقة بهم ، وبالفعل لقد توصل احدهم الى اختراع آلة تطفى سعير جهنم ، وأتى آخر بخارقة يهلك بها في مرة واحدة جمهورا كبيرا ، واهتدى ثالث الى ما يشبه ان يكون «طاقية الخفاء» ، ومعنى ذلك انه لا مستحيل مع وجود المحاولة الصابرة من ذوى البصائر والعزائم . يقول في ذلك

مكثوا حتى جاء منهم حكيم
باختراع لم تنتظره الدهور
آلة تطفي السعير الا شا
ء فلا تحرق الجسوم السعير
وأتى آخر بخارقة يهلك
في مرة بها جمهور
واهتدى غيره الى ما به الانسان
يخفى فلا يراه البصير

والزهاوي لا ينسى دور الشباب في الحماسة الزائدة والتصدى للاخطار ، والتحريض على الثورة فهم اهل لها دائما ، ومن ثم يقول :

ولقد قام في الاخير فتى .. يخطب فيهم والصوت منه جهور
فاحاطت به الملايين يصغون اليه وكلهم موتور

ولكن افكار هذا الشباب الثائر تشخص الاسباب الحقيقية لوجوب الثورة على الحياة من حول الزهاوي ، وكأنما بعث فوق مسرحه في السماء هذا الشاب في وسط جهنم ثائرا ليذكر شباب أمته بوجوب القيام بدورهم ، وهو في الوقت ذاته يسقط عذرهم ، فشتان بين تكاليف ثائر في الجحيم ، وتكاليف ثائر على الارض في ظل الحياة التي خلق لها . انه يقول على لسان الشاب الثائر :

قال : ياقومنا أرى الأمر من سوء الى الاسوا الامض يسير

قال : يا قومنا احتملتم من الحيف ثقالا
يعيا بهن البعير
قال : يا قوم ان هذا الذي
انتم تقاسونه لشيء كثيـــر
قال : يا قوم اننا قد ظلمنا
شر ظلم فما لنا لا نثــــور
قال : يا قوم لا تخافوا فما فوق ثرود تكابرون ثرود
اجسروا ايها الرفاق فما نال بعيـــد الامال الا الجســور
قاوموا القوة التي نشحت بالشـــل والشعر للقوى ظهير

وحتى عندما نتصور المقابلة محصورة بين اهل الجحيم واهل الجنة فانها مقابلة تشمل في اهل الارض مواقع الثورة على ظالميهم خاصة وان الشاعر يشخص لهم نفس المظالم التي تحيق بهم :

الاهـــل الجحيم بؤس وتعس
ولمن حل في الجنان سرور ؟؟
النا اسفل الجحيم مقـــام
ولهم في اعلى الجنان قصور ؟؟
ان اهل القضاء ما انصفوكم
فكأن القلوب منهم صخور !!
قد خدمنا الملوك شتى بدنيانا فهل من حسن الجزاء السعير ؟؟

ان « ثورة في الجحيم » فيمـــا يبدو لي تفرض جملة حقائق لابد من التنبه لها وابرازها :

اولا : ان منطق التفكير والوان المناقشة التي تزخر بها هذه المطولة «تنطلق كلها من عالم الشاعر الارضي بكل ما فيه من مشكلات وعقائد وشرائع ونظم ومواضعات

والمفارقات التي عنى بابرازها انمـــا هي انعكاس لواقع حياة امته الذاك ، وهـــذا خلاف جوهري بين ما قدمه الزهاوي في مطولته ، وبين ما نراه مثلا عند العقاد في « ترجمة شيطان » فالعقاد عندما اجرى الحوار وصور المشاهد والمواقف التي مر

بها الشيطان قادنا الى نوع من التفـــكير والصور جدير بالشيطان وحده في كل حالة مر بها حيث كان على الارض واتخذ من لبة « الحق » شراكا لاصطياد الناس

على اختلاف منازعهم ومستوياتهم ، ثم وهو في الجنة يحاول اغـــواء الملائكة وانسادهم ، ففي كل خطوة بل في كل نبسة من قصيدة العقاد نجد الحوار المقنع

والتصوير المحكم وعندما كان الحوار بين الشيطان ، وبين الله جل وعلا قدم لنا العقاد حوارا مدهشا يليق بالموقف على رهبته وجلاله ، فعالم العقاد يختلف في ترجمته للشيطان عن عالم الزهاوي في ثورته في الجحيم . عالم العقاد ليس فيه استعارة من عالم الارض لعالم السماء أو العكس ، أما عالم الزهاوي فانه يستعير مسرحه السماوي هروبا من ضيق أهـــل

الارض به ، ولكنه يقدم على هذا المسرح السماوي مادة أرضية بحتة تهم النـــاس والحياة من حوله ، ذلك ان مطولته ثورة على الواقع الذي كان يحياه ، ثورة على تلك العلاقات الظالمة التي تربط الشعوب بالحكام والسراة ، حيث تسود القســوة والمال ، ولا مكان للحق او العبقرية .

ثانيا : هذه المطولة توضح بجلاء مسئولية العلماء والمفكرين على اختلاف مشاربهم ، لهم وحدهم حملة المشاعل ، وضـــحايا

الجهاد ، وهذا قدرهم ولا يصح لهم أن يتخلفوا عنه مهما كانت العقبات ، ذلك ان المستحيل ينهزم امامهم بشرط صبرهم وثباتهم .

ثالثا : هذه القصيدة في جملتها تطربك وتؤثر فيك بما تثيره من أفكار وقضـــايا مشتبكة بمنازع الفكر والهوى معا ، وقضايا الحق والعدل ، والجبر والاختيار . ولكن الناقد لو تعقبها من ناحية البناء الفني لرصد لها عديدا من المآخذ في الصياغة

الشعرية وطرق الاداء الفني ، ولكنك لو نظرت اليها جملة فان بساطتها وسهولتها وصدقها امور تروقك ، فانت لا تشهد لها بروعة الفن العالي ، ولكن بسيطرة الصدق والبساطة والوضوح ، والاثارة والتشويق ، ويبقى لقصورها في دلالاته النفية واشاراته

المتعددة ـ الراغبة في القوة والحرية ، والامن والعدل ، والرافضة لكل ما يخالف العقل ـ ما يثير فينا نوازع من التأمل ومشارب من القبول والرفض .

ردّ على رسالة

حافظ جميل

وَدَّعتُ عهدَكِ وانتهيتُ ... وخرجتُ منه بما اكتفيتُ
وجهلتُ أني قد هويت ... أو اصطحبتُ أو التقيتُ
ونسيتُ أني في غرامِكِ ... قد ضللتُ وقد غويتُ

وجعلتُ كلَّ مشاغلي ... تكفيرَ عمّا جنيتُ
حسْبي شقاءً أن جنتْ ... على يديكِ وما وعيتُ
وبلغتُ أقصى ما بلغتُ ... من الضلالِ فما ارعويتُ
سنةً وفي أعقابِها ... عمرٌ كأسوأِ ما قضيتُ

زيّنتِ لي حلمَ السعادةِ ... في جوارِكِ فارتميتُ
ورضيتِ لي بالهمِّ يأكلُ ... في فؤادي فارتضيتُ
حتّى إذا بلغَ الضنى ... بي من عذابِكِ أن ذويتُ

بدأتْ من لهبِ الحشا ... لهبُ الحشاشةِ فاصطليتُ
وجلوْتِ بالبسماتِ لي ... صورَ الشقاءِ وما دريتُ
لو يحتمي بالنارِ من ... ريّا شفاهكِ لاحتميتُ
أثخنتِ قلبي بالجراحِ ... فما نبستُ ولا اشتكيتُ



وتركت عيني لا أرى   أشباحها الا بكيتْ
عيني التي كانتْ ترني   منكِ أجمل من رأيتْ
كانت اذا غازلتها   تشيت بسحرك واتشيتْ

عَيْني التي أضرمتها   ناراً بجذْوتها اكتويْت
وظللت أشربُ من سعيرٍ   دموعها حتى ارتويْتْ
عيْني التي بسهامها   أدمَيْتُ مهجة من رميتْ

ولطالما هتكت بنظرتها   السرائر فاهتديت
واليومَ أمشي بالعصا   حَذر العثار اذا مشيْتْ
وأسيرُ لا أدرى أصبحاً   سرْتُ أم ليلاً سريْتْ

وغداً اذا انطفأ السُّراج   ولم يَعُدْ في العين زيتْ
وزويتُ عن ثور الحَياة   كفيف طرفي وانزويْتْ
ستهبُّ تعصف بالفؤاد   من العَواطف ما طويْتْ
وينيرُ دربي في الظلام   قصيدة ويضيء بيتْ
ويعودُ ينبضُ بالحياة   محنّطٌ في الصدرِ ميْتْ

● بغداد ●   ● حافظ جميل ●

مصطفى
الشهابى

الاسطورة عند اغلب المؤرخين امر ضرورى ، لانها وان كانت لا تقوم مقام الحقيقةالتاريخية الا انها تسد نقصا لا تكمل الحقيقة الا به ، فضلا عن انها خيال ابتداعى لا تمجه الاسماع ، يزين جيد التاريخ، ويحلل الحوادث بعلل مرجعها الى النفس البشرية وما جبلت عليه من الطباع الثابتة ٠

لذلك كانت الاساطير هى العمد الخالدة التى قامت عليها اركان الادب العالمى ، والجذور التى تفرعت منها الالوان المتباينة والعديدة للآداب والفنون ٠ وقد تعددت انواع الاساطير فمنها ما يتصل بقوى الطبيعة

الجنة والنار فى الأساطير

عندما كان الانسان يقطن الكهوف والغاب ، وقف امام الطبيعة وقفة الحيرة والرعب : تهوله الرعود القاصفة والرياح العاصفة والزلازل المدمرة والبراكين القاذفة بالحمم والنيران ..

وبعد فترة ، لانعرف مداها ، اهتدى الى حل اقنع بمنفسه وقرت به عينه ، اذا تخيل ان للجماد روحا كروحه ، وهكذا بدا خياله يعمل ويفترض الفروض ليفسر ما اشكل عليه فهمه من مظاهر الحياة الدنيا ٠

و ٠٠٠ بدات اول خطوة فى انشاء الاساطير ، وما الاسطورة الا قصة خرافية ابتكرها الانسان الاول بقدر ما اوحى اليه يومئذ خياله المحدود ..

ومظاهـــرها فى كل مكان ، ومنها ما يتصل بالحيوان ، كما قد يكـــون بعضها غراميا أو خلقيا او فكاهيا ،

ولعل اهمها ما يتصل ببطولة الانسان نفسه وبالدين ٠

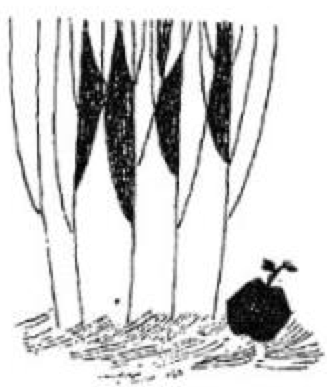
ومن الملاحظ ان هنـاك تشابها بين بعض الاساطير والبعض الاخر٠ ويرى

بعض الباحثين ان مرجـع ذلك الى نشـــوء الجنس البشرى فى مكان

واحد ثم تفرقه فى شتى انحاء الارض، ويرى البعض الاخر أن العلاقات التى

قامت من قديم بين مختلف الامم هى التى ادت الى هذا التشابه ٠

ومهما تكن أسباب التشـــابه فان هناك تباينا فى التفاصيل حســـب الظروف الطبيعية لكل أمة ٠



والاساطير الدينية لا تخلو منها أمة من الامم ٠ وهى تتناول شتى النواحى،

فهناك اساطير عن الالهة والالهات ، وعن القديسين والشهداء ، وأخيـرا عن الجنة والنار ٠

ومن أقدم الاســـاطير عند قدماء المصريين، أسطورة ايزيس وأوزوريس، وخلاصتها ان الدنيا كانت فى سـالف

الازمان محيطا عظيما من الحياة ، ثم ظهر على وجهه (رع) اله الشمس و (نوت) الهة السماء ، و (جب)

اله الارض ، ثم تزوج (جب) من (نوت) وخلفا ولدين هما (أوزوريس) و (ست) ، وابنتين هما (ايزيس)

و (نفتيس)وتزوج (أوزوريس) من (ايزيس) ، وتزوج (ســـت) من (نفتيس) ٠

ثم اصبح (اوزوريس) ملكا على مصر ، فكان عادلا فى حكمه ، طيبا مع شعبه ، فاحبه الناس وقدسوه ،

فحقد عليه اخوه (ست) اله الشر ، وعزم على أن يتخلص منه ليخلو له الجو ، فاخذ سرا مقاس جســـم

(اوزوريس) وصنع على قده صندوقا جميلا مرصعا بالجواهر والاحجـــار الكريمة ، واقام وليمة فاخــرة دعاه

اليها مع عدد من المتامرين معه ، ثم عرض (ست) على المدعوين الصندوق الجميل ، واعلن أنه يمنحه هدية لمن

يكون مطابقا لجسمه ، فاخذ كل منهم يجرب وضع جسمه فى الصندوق فلم يطابق احدا منهم ، واخيرا تقـــدم

(اوزوريس) ورقد فى الصندوق ، فاسرع المتآمرون واغلقوه وســـمروه

بالمسامير ، ثم حملوه والقوا به فى النيل ٠

علمت (ايزيس) بمـــا حدث ،

في الأساطير

فحزنت إشد الحــــزن وعزمت على البحث عنه ، واشار عليها (تحوتى) اله العلم والحكمة بالفـــــرار الى مستنقعات الدلتا ، ثم عرفت بطريق

السحر ان الامواج قد حملت الصندوق والقته على شاطىء فينيقيا (لبنان) عند مدينة ببلوس وهى جبيل اليوم ،

فنبتت فوقه شجرة احتضـــــنته فى جذوعها ، واخذت تنمو وتكبر حتى احتوته داخلها باكمله ، ولما راى ملك

تلك البلاد هذه الشجرة أعجبه منظرها ، فأمر بقطعها واتخذ من جذعها عامودا زين به ردهة قصره .

ولما وصلت (ايزيس) الى فينيقيا وجلســت تبكى بجوار قصر الحاكم .

إستدعتها ابنته والحقتها بالقصر كمربية ، واخيـرا ادرك اهل القصر

انها الهة مصرية ، وسمحوا لها باخذ تابوت زوجهـــا ، فجاءت به الى مصر ، واخفته فى احراش الدلتــا

ريثما تبحث عن ابنها (حوريس) الذى كانت قد تركته اثناء بحثهــا عن زوجها ، غير ان (ست) عثر على التابوت وفتحه ومــــزق جثة اوزوريس والقى بكل قطعة فى ناحية من الارض ، ولما عادت (ايزيس) ، اخذت تبكى وتنتحب وتطـــــوف الاقاليم لتبحث عن اشلاء زوجهــا

(اوزوريس) فى مصر ...

ولما كبر ابنها (حوريس) واشتد ســاعده ، انتقم لابيه من (ست) وحــارب عمه حتى انتصر عليه ،

واصــبح حاكما على مصر ، بينما عاد (اوزوريس) الى الحياة ثانية ، ولكنه اصـــبح حاكما على مملكة

الموتى ، يحاســب امامه الميت فى ساحة العدل ، ثم يصبح من رعاياه فى العالم الاخر .

ومن اســـــطورة (ايزيس) و (اوزوريس) نشأت فكرة الخلود ، فاذا امكن ان يحيـــا (اوزوريس)

مرة ثانية بعد موته ، فان فى مقدور الانســـان ان يعود الى الحياة بعد موته .

ومن ثم اهتم الكهنة بالحيــــاة الاخرة وبالثواب والعقاب فيها ، اى بوجود جنة ونار ، ونشروا الاساطير عنها ، مما جعــل قــدماء المصريين يهتمون بها ، ويعتقدون ان الانسان عندما يموت ينتقل الى عالم اخــر تعود فيه الحياة اليه ، كما اعتقدوا ان هذا العالم الاخر خير من الدنيا .

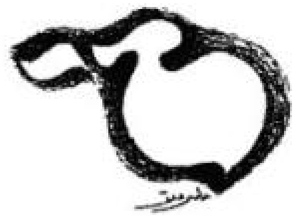
لذلك كانت عنايتهم بالحيــــاة الاخرة اهم دليل على قوة ايمانهم فهم لم يهتموا بالمساكن مثلما اهتموا

بالمقابر والمعابد وعنوا بتحنيط اجسام الموتى ، وكانوا يدفنــون مع الموتى نصوصا من كتاب الموتى ، لترشدهم

الى الجنة او حقول الســلام ، كما كانوا يدعونها .

● من اســــاطير السومريين والبابليين ●

لم تستقر فى اذهان الســـومريين فكرة الجنة والنار والنعيــم الدائم



والعذاب المخلد ، لذلك لم يكونوا يتقدمون بالصلاة والقربان طمعا فى « الحياة الخالدة » بل كانوا يتقدمون بهما طمعا فى النعم المادية الملموسة فى الدنيا ·

ولكن الكهنة ابتكروا الاساطير حول الحياة الاخرة وصوروها عالما مظلما تسكنه الاطياف والاشباح تساق اليه ارواح المذنبين ، اما الصالحون فينعمون بالحياة الابدية الهانئة ·

اما البابليون فقد اعتقدوا ان الناس بعد موتهم يذهبون كلهم العبقرى والابله ، الصالح والطالح ، والقديس والمذنب — الى مكان مظلم فى جوف الارض سموه « ارالو » وهو بمثابة دار للعقاب ، تقيد فيه ايدى وارجل الموتى ابد الدهر ، وحيث ترتجف اجسامهم من البرد ··· واذا لم يتفضل ابناء الموتى واقرباؤهم بوضع الطعام لهم على مقابرهم فى اوقات معينة ، فسوف يجوعون ويظمأون ·

● الجنة والنار عند الاغريق

وقد حفلت اساطير الاغريق (قدماء اليونان) بالاشارة الى الجنة والنار ، وان الروح تذهب بعد الموت الى الجحيم حيث يحاسبها الهة العالم السفلى على اعمالها ·

وكانت التراتيم والطقوس التى تنسب الى (اورفيوس) ابن الاله ابوللو ، اله الشعر والموسيقى ، ترشد المؤمنين الى ما يجب ان يتبعوه فى هذا الحساب النهائى الشامل ، شأنها فى ذلك شأن « كتاب الموتى » عند قدماء المصريين ·

فاذا حكم على الميت بأنه مذنب عوقب عقابا شديدا ، وقد يكون هذا العقاب ابديا وفى الجحيم ·

وكان هناك اعتقاد آخر هو التناسخ، أى أن الروح تولد مرة بعد مرةلتحيا حياة أسعد منحياتها الاولى او اشقى منهـا حسب طهارتها الاولى او عدم طهارتها ·

ويتكرر هذا المولد مرة بعد مرة حتى تتطهر الروح تطهرا تاما فيصبح لها بالدخول فى جزائر المنعمين ·

وذهبت بعض الاساطير الى ان العقاب الذى يلقاه الميت فى الجحيم قد ينتهى اذا كفر الانسان عن ذنوبه قبل موته او كفر عنه اهله او اصدقاؤه بعد موته ·

● الجنة والنار عند الرومان

لم يهتم الرومان فى بداية الامر بالحياة الاخرة ، وكان كل اهتمامهم مقصورا على الحياة الدنيا· غير انهم اضفوا على جنازات الموتى ما استطاعوا من مظاهر التكريم ، لان الموتى كانوا يحرقون · ثم جرت العادة بعدئذ ان يدفن الميت أو تدفن بقاياه بعد الحرق فى قبر يصبح مزارا ومكانا للعبادة ·

ولما اتصل الرومان بالاغريق انتقلت اساطير الجنة والنار عند الاغريق الى الرومان ، ولم تختلف عن نظائرها عند الاغريق الا قليلا ، غير ان اسماء الآلهة والاماكن تغيرت ٠ فالآلهة الاغريقية (زيوس) و (بوزيدون) و (أبولون) و (ارتيميس) و (اريس) و (ديونيس) هى عند الرومان بالترتيب (جوبتر) و (نبتون) ، و (ابوللو) ، و (ديانا) و (مارس) و (باخوس) ٠

وكان الموتى حسب الاساطير الرومانية التى اصطبغت بالصبغة الاغريقية ينتقلون الى جنات النعيم او الى « جزائر القيمين » ، على انهم كلهم تقريبا كانوا ينزلون الى الارض ليستقروا فى مملكة الاشباح التى يسيطر عليها (بلوتو) وهو الصورة اليونانية للاله هيدز اليونانى اله الجحيم ، والذى يحمل فى يده مطرقة يضرب بها الميت حتى يغيب عن وعيه ٠ وكان الرومان يتمثلون الجحيم فى بعض الاحيان على انها موضع العقاب ، وكانوا يصورونها فى الاغلب الاعم على انها مسكن الاشباح ، تصف المجردة التى كانت فى حياتها رجالا لا يمتاز بعضهم عن بعض بثواب او عقاب ، يعانون كلهم على السواء عذاب الظلام الابدى والنسيان النهائى ٠

● من اساطير الهنود ●

ولاتساع رقعة الهند فقد تعددت الاساطير فيها ، ولذلك سنقتصر على اهمها ، ولعل اشهر الاساطير الهندية هى عقيدة التناسخ لان الحياة الاخرى ـ حسب الاسطورة ـ لا وجود لها ٠

فالروح ، اذا كان صاحبها صالحا ، حلت فى جسم مولود فى طائفة اعلى وبذلك ينعم فى حياته الجديدة ، واما الشرير فتحل روحه فى طائفة ادنى ليشقى ويعذب ٠

والمواظب على الصلاح فى كل حياته تتحد روحه نهائيا مع (براهما) وهذا منتهى النعيم ٠

اما المذاهب الدينية الشائعة واهمها البوذية (عاش بوذا من ٥٦٣ ـ ٤٨٣ ق٠م) فتهدف فى النهاية الى تخليص الانسان من الوجود المقيد والوصول الى « النرفانا » اى سعادة النفس فى عالم الخلود والراحة الابدية ، اذ ان هناك فى الاعماق تحت سطح الارض ، جحيما من سبع طبقات ، وكلما كانت الروح اشد شرا وجدت نفسها ملقاة فى اسفل درك فى الجحيم ٠٠٠ وان لارواح الاحياء وزنا ، فعندما تخطىء الروح تصبح ثقيلة وتغوص الى اسفل ، فاذا كانت خطيئتها بالغة الضخامة ظلت تغوص حتى الجحيم السابع الرهيب ٠ اما الروح الصالحة النقية ، فترتفع الى احدى الجنات الست والعشرين التى ترتفع كل منها فوق الاخرى ٠ وعندما تصبح الروح غاية فى الصلاح والنقاء تظل تزداد خفة حتى تصل الى الجنة السادسة والعشرين ، وعندئذ تدخل (النيرفانا) !

والجحيم فى الاساطير الهندوسية ينقسم الى ٢٨ قسما ، فى بعضها تفترس الجوارح نزلاءها وفى البعض

..فى الأساطير

الاخر بالمشى على النزلاء بابتـــلاع اجسام ســـاخنة او بالمشى فوق رمال تحترق ·

ولكل قسم اسم خاص،القسم الاول خصص للكذابين وشـــهداء الزور ،

والقسم الثانى لمن ينهبـون المدن او يسرقون البقر او يهاجمون انسانا ،

القسم الثالث للسكارى وســـارقى الذهب ·· الخ ··

● من اساطير الفرس ●

ويؤمن اتباع الزرادشتيه (التى ظهرت حوالى القرن ٦٠٧ ق·م بالبعث والحســـاب ويذهبون الى أن العالم الدنيوى يتصل بالعالم الاخر بجسر يسمى (جسر الانفصال) وانه عندما يموت الناس فأن أرواحهم تجتاز هذا الجسر · فاما الارواح الطيبة فتمر عليه مطمئنة الى مصيرها عندما تصل الى الجانب الثانى ،وهو « بيت الخلود » او الجنة » لتعيش مع اهورامزدا (الاله الاعظم) سعيدة متنعمة الى ابد الدهر ·

اما الارواح الشريرة فانها لاتستطيع أن تجتاز الجسر لما تحمل من ذنوب فتتردى فى درك من الجحيم يتناسب عمقه مع ما اقترفت من ذنوب · وهذا الجحيم عبارة عن هاوية مظلمة تثير الرعب وتعذب فيها الارواح المذنبـــة الى الابد · فاذا كانت حسنات الانسان ترجح سيئاته فانه يلاقى عذابا مؤقتا يطهره من الذنوب ، واذا كـــان قد ارتكب كثيرا من الخطـايا ولكنه فعل بعض الخير ، لم يمكث فى العذاب الا اثنى عشر الف عام يذهب بعدها للجنة ··

وهكذا يتم الحساب فى الحياة الاخرى حيث يتولى (اهورامزدا) بنفســـه حساب الناس ·



● من اساطير الصين ●

كان الصـــينيون فى بادىء الامر يعبدون الظواهر الطبيعية من رعـــد واشـــجار وحيوانات ، وكان الاله الاكبر هو السماء نفسها ، ثم نشأت عنـــدهم عبادة الاسلاف وعظمـــاء الرجال ·

وذهبت الاســـاطير الى ان الموتى يمكن أن يسعدوا او يشقوا حسبما يقوم به ابناؤهم او احفادهم من تقديم قرابين ودعوات صالحات لارواحهم لان هؤلاء الاسلاف يعيشون بعد موتهم فى عالم غير محدد او واضح ·

ومن الغريب ان كونفوشيوس الحكيم الصينى (٥٥١ ــ ٤٧٩ ق·م) سئل عن الحياة بعد الموت فاجاب « اذا كنا لا نعرف شيئا عن الحياة فكيف نعرف شيئا عن الموت وما بعد الموت !! »

وعاصر كونفوشيوس فيلسوف يدعى لاو ــ تسى وقد خلف لاو هذا مذهبا دينيا عرف باسم « الداوية » والاخرة عند الداويين عبارة عن جزيرة رائعة فى البحر، الى حد أن من يطؤها يقسمه يعيش فيها الى الابد· وفى تلك الجزيرة

في .. الأساطير

نهر يعيش كل من يستحم فيه ابد الدهر . وان هناك مواد من حبوب أو دواء يمكن أن يجعل المرء يعيش الى الابد ، وان يصبين شبابه خالدا وكانوا يسمونه « اكسير الحياة » .

وفي القرن الثاني بعد الميلاد ظهر « اكسير الحياة » في صورة شراب نسب اليه انه يهب من يتجرعه الخلود الدائم والنعيم الكامل ، وانتشرت الاساطير حول هذا الاكسير ، لدرجة ان بعض الاباطرة ماتوا لادمانهم على تناوله بكثرة رغبة في الخلود والنعيم .

● من أساطير اليابان ●

تذهب الاساطير اليابانية الى ان الجزر اليابانية هي قطرات ماء قذف به « ايزاناجي » و « ايزانامي » وهما أخ واخت من الالهة في المحيط ـ ثم رفعاه الى السماء فتقطرت منه قطرات اصبحت « الجزر المقدسة » ثم تزوج الاخ والاخت وانسلا الجنس الياباني ، وولدت « اماتيرا » الهة الشمس من عين « ايزاناجي » اليسرى ، ومن حفيدها « نينيجي » نشأت سلسلة متصلة حلقاتها من الاباطرة ، حكموا اليابان حتى اليوم .

ومن هنا نشأت عبادة الاسلاف « الشنتو » ، وانه لكي يضمن الياباني خلود الروح ونعيم الفردوس فعليه أن يحج انا بعد آن لاسلافه وان يقدم لهم الضراعة خاشعا كما يفعل ذلك بالنسبة لامبراطوره . ومن يهمل ذلك أو يقصر فيه فجزاؤه النار

وبقى الصين ، ثم جاءت البوذية الى اليابان ولكنها تحولت الى عقيدة تحيط بها البهجة في المحافل الدينية وتنظيم أعياد مرحة ، وتتطلب الحج الى روائع الطبيعة .

وفي نفس الوقت نشأت اساطير يابانية عن الجنة والنار ، فهناك عدد من الجنات اعد بعضها للقديسين والصالحين ، والبعض الاخر لقتلى الحروب والمضحين بانفسهم في سبيل الامبراطور ، كما ان هناك عددا من الجحيمات يبلغ نحو مائة وثمانية وعشرين أعدت لمختلف انواع المذنبين في الحياة الدنيا .

وسادت اسطورة فحواها ان من اراد الجنة فعليه ان يطهر روحه بالصلاة تحت شلال دافق في الشتاء مدى ربع ساعة ، او ينتقل في ارجاء اليابان زائرا للمعابد ليشبع روحه بجمال البلاد ، او يظل في صلاة وصيام حتى يظهر له بوذا بشخصه . وعليه بعد ذلك ان يحج الى دير « كوياسان » فاذا دفن هناك فقد ضمن الجنة لان ارض ذلك الدير تقدست بفضل ما تضمه من عظام القديسين والابرار .

● من اساطير اليهود ●

وقد اخترع اليهود في مختلف العصور اساطير عن الحياة الاخرة والثواب والعقاب ... ففي اوائل ظهور اليهودية لم يكن فيها جحيم يخصص لعقاب المذنبين ، ولكن « شيول » وهي أرض الظلمات التي تحت الارض ، لم تكن اقل هولا من الجحيم ، وفيها يلقى بكل من يموت سواء أكان طيبا أم خبيثا ، ولايستثنى سوى المقربين الى الله كموسى وايليا على ان اليهود مع ذلك قليلا ما كانوا يشيرون الى حياة اخرى بعد الموت . ولم يذكروا في اسفارهم شيئا عن الخلود ، اذ كان الثواب والعقاب يتم في الحياة الدنيا ولم تدر فكرة البعث في رؤوسهم الا بعد ان فقدوا

«الامل في ان يكون لهم سلطان على الارض ·

ثم تأثروا بالزرادشتية واخذوا عنها الاعتقاد بحياة اخرى بعد الموت، ولاول مرة عرفوا ان هناك جنة ونارا فنقلوا ذلك الاعتقاد الى دينهم ·

ثم وضعوا التلمود وزعموا فيه ان ارواح اليهود تتميز على باقي ارواح الناس بانها جزء من الله · كما ان الابن جزء من أبيه · لهذا زعموا ان ارواح اليهود أعز على الله من باقي الارواح ، لان ارواح غير اليهود ليست اكثر من ارواح شيطانية شبيهه بارواح الحيوانات · وعندما يموت اليهودى تخرج روحه وتدخل جسما آخر ·

أما اليهود الذين يرتدون عن دينهم بقتلهم يهوديا ، فتدخل ارواحهم بعد موتهم في الحيوانات او النباتات ، او تذهب الى الجحيم وتعذب عذابا شديدا ، لتعود بعد ذلك فتدخل في الجماد ثم الحيوانات ، واخيرا تعود الى جسد اليهود بعد تطهيرها ·

● عن الجنة الدنيوية ●

في العصور الوسطى (وهى في اصطلاح المؤرخين من ٤٧٦ ـ ١٤٥٣) سادت اسطورة فحواها ان هناك « جنة » دنيوية فيها كل شيء جميل ومريح · وحيث لا يعرف الموت او الفناء ، وان من يبحث عنها سيجدها اذا كان يستحق الخلود فيها ، وانها تقع في الشرق ·

وقد ذكر بعض المؤرخين في القرن السابع ، انها تقع في المحيط الهادى شرق الصين ، وذهب آخرون الى انها تقع في الصين نفسها · وسادت تلك الاسطورة في القرن الثالث عشر لدرجة ان بعض الخرائط ظهرت عليها تلك « الجنة » على مقربة من المحيط الهندى ، وقيل في وصفها انها يحيط بها سور عال ليست به منافذ ·

وتذهب الاساطير الى ان القديس (براندون) وهو قديس ايرلندى يحيط بحياته شيء من الغموض ، عاش حتى بلغ الرابعة والتسعين ومات في سنة ٥٧٧ ودفن بالدير الذى كان يرأسه بمدينة كلونفورت بايرلنده ـ هذا القديس اشتهر بما شاع عنه في القرون الوسطى من قيامه برحلة للبحث عن « الجنة الارضية » التى زعموا وجودها وسط المحيط الاطلنطى وقالوا ان الرحلة استغرقت سبعة اعوام ·

وقد حشدت قصة تلك الرحلة باحداث عجيبة ، منها ان الطيور والوحوش التى قابلها كانت تصوم في مواعيد الصيام وتحتفل باعياد الكنيسة ·

وظلت هذه الجزيرة حتى عام ١٧٥٥ تظهر على الخرائط باسم جزيرة القديس براندون او « سان براندون » وكان موقعها غرب مجموعة جزر الكنارى ·

وذهبوا الى انها مثوى (رودريك) او (لذريق) الذى قتل مهزوما امام طارق بن زياد في موقعه (شريش) عام ٧١١ م ولم يعرف مصير جثمانه ·

● جنة الاطفال ●

ولعل اطرف ما نختم به تلك الاساطير ، هى الاسطورة الاسكندنافية (دول السويد ، والنرويج والدانيمارك وايسلنده) التى تذهب الى ان هناك جنة هى وسط بين الجنة والنار ، وان تلك الجنة اليها مصير الاطفال والبلهاء الذين لا يصدرون في اعمالهم عن سوء قصد ، لانهم لا يدركون ما يفعلون ، وانه من الظلم محاسبتهم على ما يقومون به وبالتالي فليس من العدل ان يكون مصيرهم الى النار ، كما انهم ليسوا من الخيار الصالحين الذين يذهبون الى الجنة ··· ومن ثم نشأت اسطورة « جنة الاطفال والبلهاء » كحل معقول لمصير هؤلاء في العالم الاخر ! ··

رحلة الشهر

شكر وهدية

فى العدد الماضى ، سألنا القارىء الكريم ـ سماحة منه ـ ان يتعاون معنا فى احتمال التضحيات التى تواجهها بسبب الارتفاع الفاحش فى اسعار الورق وسائر مواد الطباعة ، الذى تجاوز مائة فى المائة . بأن يحتمل رفع سعر هذه المجلة ـ مع ابنتها « الزهور » ـ الى ١٥ قرشاً .

وقد تقبل القارىء الكريم هذه الدعوة بصدر رحب ، وارتفع رقم توزيع هذه المجلة ، مما يملأ صدورنا ثقة بسماحته .

وكانت الهدية العزيزة ، خريطة ارضنا العائدة « سيناء والجولان والضفة الغربية » التى وزعناها هدية مع العدد الماضى ، موضع تقدير القراء فى جميع الدول العربية الشقيقة المناضلة من أجل عودة الارض .

وابتداء من هذا العدد ، نقدم للقارىء هدية مع كل عدد ، هى صورة واحد من اقطاب الفكر ، لتتكون في بيت القارىء بعد بضعة أعداد ، مجموعة جميلة لصور رادة الفكر العربى المعاصرين .

● وقد آثرنا ان تكون هدية هذا العدد ، هى صورة يوسف السباعى ، بمناسبة فوزه بجائزة الدولة التقديرية للآداب فى نهاية العام الماضى ، وان كان قد تنازل عن جانبها المادى (٢٥٠٠ جنيه) .

وستقدم بعدها ـ مع الاعداد القادمة ـ صور كبار الراحلين من الشعراء والأدباء والمفكرين : احمد شوقى ، وحافظ ابراهيم ، ومطران ، والعقاد ، وطه حسين ، وعزيز اباظة ،

ومحمود تيمور . وغيرهم ممن اقاموا صروح الفكر العربي المعاصر على دعائم شامخة .

بهذه المناسبة ، اذكر أن لجنة الشعر بالمجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب ، التي شرفتني الدولة بأن اكون مقررا لها ، خلفا للراحل العزيز ، شاعر مصر الكبير عزيز اباظة ، وكانت من بين الهيئات التي رشحت يوسف السباعي لجائزة الدولة ، قائلة في تزكيتها له :

« يسعد لجنة الشعر ان تتوجه الى المجلس الموقر بترشيح الاستاذ يوسف السباعي لجائزة الدولة التقديرية للآداب هذا العام ...

« ذلك ان الاستاذ يوسف السباعي ، وان لم يكن شاعرا ، إلا انه قضى زهرة عمره خادما لفن شقيق لفن الشعر ، هو فن الرواية ، وله في مجالها آثار متعددة وسامقة ، صعدت به الى المرتبة الاولى من كتاب الرواية المعاصرين ، وترجم الكثير منها الى اللغات الاوربية فكان موضع الاعجاب والتقدير في الخارج ، كما ظهرت له أعمال ادبية كثيرة على المسرح والستارة ، بلغت ذروة النجاح .

« والى جانب هذا ، فان لجنة الشعر ترى ان الاستاذ يوسف السباعي ليس كاتبا كبيرا وحسب ، وانما هو حركة ادبية ضخمة في مجال الثقافة المصرية والعربية عامة ، فقد كان له فضل انشاء هذا المجلس ، وما انبثق عنه من لجان لخدمة سائر العلوم والفنون ، وانشاء للجوائز السخية واقامة للمؤتمرات والمهرجانات على النطاق المصرى والعربي ، ونشر كثيرا من المؤلفات التى تثرى المكتبة العربية ، او التى تأخذ بناصر ناشئة الادب .

« كما كان له فضل المساهمة في انشاء جمعية الادباء ، واتحاد الكتاب العرب ، ونادى القصة ، ومساندة الجمعيات الادبية ادبيا وماديا ، مما ملأ الحياة الادبية حركة وحيوية وخصوبة وثراء .

لهذا كله ، ترى اللجنة ان ترشيح الاستاذ يوسف السباعي لجائزة الدولة التقديرية ليس الا تعبيرا وفيا لعرفان الجميل الذى اسداه الى الفكر المصرى المعاصر » .

فبسم الشعر ... وبسم اسرة دار الهلال التى احتضنت يوسف السباعي رئيسا لمجلس ادارتها لفترة خصيبة اثمرت أطيب الثمر ، ومنها « الزهور » ... اتوجه الى اديبنا اللامع بأجمل مشاعر التهنئة والحب وعرفان الجميل ...

● والى جانب هذا الحدث الادبي السعيد الذى انتهت به السنة الراحلة ، والذى اعقب اسعد احداثنا السياسية – حدث ٦ اكتوبر المجيد – لا ننسى أن نحيي ذكرى من طوت السنة الراحلة كتابهم الدنيوى ، لتنشر لهم كتاب الخلود ، اساتذتنا واحبابنا : عزيز اباظة ، ومحمود تيمور ، وطه حسين ، وعبد الرحمن صدقي ، وعلى الجندى ، ومحمود غنيم . جزاهم الله في رضوانه على ما احسنوا الى الفكر خير الجزاء .



عبد الرحمن صدقي

التأريخ للشعر المصري

وعلى ذكر لجنة الشعر ، اقول انها أعدت برنامجا واسعا لتخليد الشعر العربي المصري يتم تنفيــذه على مدى خمس سنوات ، بطريقة طردية وعكسية ٠

فقد تم حصر اسماء الشعراء المصريين الذين نظموا الشعر بالفصحى ، وشعراء الفصحى الوافدين الذين قضوا جل حياتهم في مصر حتى تمصروا ، وذلك منذ القرن الثــاني الهجرى حتى اليوم ، وستقوم اللجنة بوســاطة اعضائها ، وبالاستعانة ببعض الدارسين من خارج اللجنة ، باصــدار سلسلة من الكتب عن هؤلاء الشعراء جميعا ، مرة من البداية واستطرادا مع الزمن ، واخرى من النهاية وعودا الى الوراء ، حتى يتم التأريخ لجميع شعراء مصر القدامى والمحدثين في وقت معا ، وفي اقصر وقت ٠

اما القدامى ، فسيصدر عن كل منهم كتاب مستقل اذا كان الشاعر وزن يحتمل كتابا كاملا ، او كتاب واحد عن كل جماعة منهم عاشت في عصر واحد ، اذا كانت طاقاتهم الشــعرية لا تحتمل اكثــر من ذلك ٠

واما المحدثون ، فسيضم كل كتاب يصدر عنهم ، ســيرة خمسة منهم معا ، تعريفا بهم وتنويها بابرز اعمالهم الشعرية

وبهذه الطريقة ، سيتاح لعشاق الشعر التعرف الى شعراء مصر العربية منذ الفتح العربي الى الان ، خلال خمس سنوات

وستساهم مؤسســات الهيئة العامة للكتاب ودار الهــلال وغيرهما من دور النشر انجاز هذا المشروع القومي الضخم الذي ســيراعى فيه تقديم هــذه السلسلة من الكتب بسعر اقتصادى ، تيسيرا على القراء ٠

كرمــة ابــن هــانئ

وهذا العمــــل ، ليس الا جزءا من البرنامج الخمسي الذى ارسته لجنة الشعر في هذه الدورة ، والذى يشمل تخليد ذكر الشعراء المصريين المعاصرين الراحلين باقامة تماثيل نصفية لهم تنصب في حــديقة « كرمة ابن هانىء » ·· قصر امير الشعراء احمد شوقي ، الذى اقتنته الدولة لتجعل منه متحفا لتخليد ذكراه ، وصالونا أدبيا للشعر والشعراء ٠

ومما يذكر ، انه كان من المقرر افتتاح « كرمة ابن هانىء »



لتحقيق هذين الهدفين ، يوم السادس من أكتــوبر الماضي ، لولا ان صادف هذا التاريخ يوما خالدا من أيام مصر ، هو يوم العبور العظيم ·

وكنا قد اعددنا لهذا الافتتاح برنامجا حافلا ، يشمل قيـام طلبة المعهد العالي للفنون المسرحية بتقديم فصول من بعض مسرحيات امير الشعراء ، وقيام طلبة المعهد العالي للموسيقى ـ الكونسرفتوار ـ بتقديم مجموعة من اغاني امير الشعراء المعروفة ، بطريقة علمية ، وبجهد جماعي وتوزيع موسـيقي مستحدث ·

جانب من كرمة ابن هـانىء

ومهما يكن من امر ، فان كرمة ابن هانىء لا تزال تنتظر يومها ·· ولعله يكون اليوم العظيم الذي تتلالا فيه اضواء النصر النهائي ·

المحتفى به .. لم يحضر

لعل أعجب حفلة تكـريم أقيمت لأديب ، هي الحفلة التي اقامها اتحاد الكتاب السوفييت بالاشتراك مع معهد العلاقات الامريكية السوفييتية بموسـكو ، للكاتب الامريكي الكبير ارسكين كولدويل (٧٠ سنة) في الشهر الماضي ، وشرب فيها الجميع نخبه ·· مشيدين بأدبه الانساني ·

ووجه العجب في هذه الحفلة ، ان المحتفل به لم يكن حاضرا ··· ولعله كان على مسيرة ألوف من الاميال من موسكو ، في احدى الولايات المتحدة الامريكية ، لان لهذا الكاتب أسلوبا طريفا في الحيـاة والاستلهام ، فهو يعيش في كل ولاية من ولايات رحلته سنة أو سنتين ، ثم لا يلبث ان ينتقل منها الى ولاية أخرى ، وبرنامج حياته ـ في الماضي والحاضر والمستقبل ـ أن يعرف كل شبر من بلاده ، ويعايش مشاكله ، ويستلهم منها موضوعات رواياته التي جاوزت الستين ، وطبع منها اكثر من ستين مليون نسخة درت عليه ملايين الدولارات ·

عرفت أرسكين كولدويل عن كثب سنة ١٩٦٤ ، عندما كنت في المدينة الجميلة ، سان فرنسسكو ، بولاية كاليفورنيـا ، ودعاني هذا الكاتب الى قضاء يوم معه في قصره الريفي الذي كان يقيم فيه يومئذ مع زوجته الجميلة فرجينيا ، وهي الزوجة الثالثة له ـ هو الذي قال لي هذا ـ وقلت له يومئـذ مداعبا : يبدو انك تهوى تبديل الولايات ··· والزوجات أيضا

وارسكين كولدويل هو صاحب رواية «طريق الدخان» التي تحولت الى فيلم سينمائي نال نجاحا عالميا منقطع النظير ··

واخر رواية قرأتها له ، هي « البحث عن بيسكو » ..

و « بيسكو » .. في الرواية .. وفي الحياة ايضـا .. طفل زنجي كان من أتراب الكاتب في طفولته بالجنـوب الامريكي . وكانت بينهما صـداقة وطيدة ، ترجع الى ان ارسكين كولدويل نشأ في الجنوب ، وهـو حافل بالزنوج الامريكيين ، وكانت مربيته الحنون زنجية . ولهذا شب الكاتب على العطف على قضية الملونين في امريكا . وتدور هذه الرواية كلها حول الصراع بين البيض والسـود ، مع دعوة قوية الى القضاء على التفرقة العنصرية .

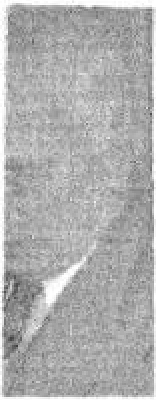
ولعل هذا العنصر الانساني الذي يتوفر في جميع روايات هذا الكاتب ، هو الذي جعله موضع تقدير خاص عند سائر ابناء العالم ، وهو ما حدا بموسكو الى اقامة هذه الحفلة القيابية له ، بعد أن بيع من رواياته أكثر من مليونونصف المليون من النسخ، درت عليه رقماضخما من الروبلات، كحقوق تاليف لم يستطع الكاتب أن يحصل عليها وهو في بلاده ، لان قوانين النقد السوفييتية تمنع التحويل . ولهذا اضطـر ارسكين كولدويل الى ان يذهب بنفسه الى الاتحاد السوفييتي منذ بضعة شهور ، وينفق حصيلته من الروبلات ببذخ كبير .

حكاية هند وامها

« في احدى المكتبات العامة ، شد انتباهي ديوان شـعر عنوانه « مقابر الفجر » للشاعر محمد رشاد راضي . ولم يكن لي علم من قبل باسم هذا الشاعر ، ربما لانى غير واسـع الاطلاع .

واستمتعت بكثير من قصائد الديوان . وتوقفت كثيرا عند قصيدة بعنوان « حادثة » واحسست انى أقرأ قصيدة عشت كل معانيها والفاظها مع شاعر آخر له شهرته في عالم الشعر وهو الشاعر بشارة الخوري . في قصيدته « هند وأمها » .

وتكاد تكون قصيدة محمد رشاد راضي هي قصيدة مترجمة عن نص اجنبي ، اذ انه نقل المعاني أو أجزاء منها في الفاظ خابية النبرة ، هزيلة الجـرس . واذا نظرنا الى مطابقة الابيات نكاد نجدها صورة واحدة .



بشارة الخورى

يقول بشارة الخورى فى مطلع القصيدة :

اتت هند تشكو الى امهــــا ... فسبحان من جمع النيــرين
فقالت لها : ان هذا الضحــى ... اتــانى وقبلنى قبلتين

وقال محمد رشاد راضى :

اقبلت فى الصباح نحوى وقالت : ... وقع الامس حادث لى عظيـم
قلت : ماذا ؟ قالت حوانى الصباح ... الطفل فى حضنه وقبل ثغــرى

ويقول بشارة الخورى :

وما خاف يا ام بل ضمــنى ... والقى على بسـمتى نجمتين
وذوب من لونه ســائلا ... وكحلنى منه فى المقلــتين

وقال محمد رشاد راضى :

ورمى نجمتين من انجــم ... الفجر على بسمتى وعطــر دره
وسـقى وجنتى لينــا نديا ... وروى اعينى جنــونا وكبره

ويقول بشارة الخورى :

وجئت الى الروض عند الصباح ... لأحجـب نفسى عن كـل عين
فخبأت وجهى ولكنــه ... الى الصدر يا ام مد اليــدين
ويا دهشتى حين فتحـت عينى ... وشاهدت فى الصـدر رمانتين

ويقول محمد رشاد راضى محاولا استقصــاء بقية المواطن التى اعجب بها فى قصيدة بشارة الخورى · حتى لا يفوته منها شىء محاولا استكمال اللوحة المقتضبة · وهنا يبدأ حديثه عن رمانة الصدر وكيف زرعها الصباح على صدر الحســناء فيقول :

ورمى الروض فوق خدى غضيا ... سوسنا ابيضا ووردا نديــا
ثم اخفيــت راحتى ووجهى ... عنه حتى حسـبته لا يرانى
مد كفيه نحو صــدرى والقى ... فيه رمانتين ترتجفــان

ويقول بشارة الخورى فى جانب آخر من اللوحة :

فرحت الى البحر للابتــراد ... فحملنى ويحــه موجتين
فما سرت الا وقد ثارتــا ... بردفى كالبحــر رجراجتين

ويقول محمد رشاد راضى :

قلت للبحر سـوف اجرى لعلى ... اتوارى فى موجه المستطــار
الصــق البحر موجتين بردفى ... ثارتا فيه ثورة الاحتقــار

***

وبعد تقديم هذه النماذج المتشابهة لا تجد فى بقية القصيدة الا ابياتا تحاول استنفاد كل ما جاء فى بقية قصيدة بشارة الخورى ·

ولما كان لا بد من استقصاء الحقيقة للاحتياط · فقد رأيت ان أسالكم أي القصيدتين أسبق ، بعد ان استقصيت ان قصيدة بشارة الخوري نظمت سنة ١٩١٤ بينما كتبت قصيدة محمد رشاد راضي سنة ١٩٣٧ ، ولو أن الشاعر ألمح الى أن قصيدته مستوحاه من قصيدة الشاعر الخوري لانقذ نفسه · أما انه ينشرها في ديوان باســــمه ويدعيها لنفسه فهذه خطئة أدبية محسوبة عليه ·

● القاهرة ـ الشرابية ● محمد حسن داود ●

ـ من سوء حظي أنني لم أقع على ديوان « مقابر الفجر » ولكن الشاعر محمد رشاد راضي كان معروفا في الثلاثينات من هذا القرن ، وهو عصر « ابوللو » ·· وقد أتيحت لي فرصة لقائه أكثر من مرة · والواقع انه كان شاعرا موهوبا رقيقا مرهفا حالما ، نشرت له أكثر من قصيدة في مجلة « ابوللو » ··· وكان الجميع يتوقعون له التماعا كبيرا في دولة الشعر ، لولا ان اختطفه الموت وهو دون الثلاثين ·

واذا صح أن قصيدته هــذه مسجلة في ديوانه ، وبهــذه الصورة ، فمن الصعب ان ينسب هذا التشابه الكبير بينها وبين قصيدة الاخطل الصغير الى توارد الخواطر ·

صغير قديمة ·· وقد كنت من ارق ما حفظناه من شعر ونحن في أول الشباب · ولعل محمد رشاد راضي حاول أن يقلدها وهو في صـــباه ، في محاولاته الشعرية الاولى ، قبل أن يستوى عوده وتنضـــج شاعريته ·

ومن المعروف ان كثيرا من كبار الشعراء في مختلف مراحل التاريخ قد بدأوا حياتهم مقلدين لسابقيهم ، الى ان تمكنوا من عدة الشعر فاستقلوا بشخصياتهم عن شخصيات اولـئك السابقين ·

ومهما يكن من أمر ، فان قصيدة الاخطل الصغير نفسها هي في الواقع تطوير رائع ، وان يكن غير مباشر ، للبيت القديم في وصف حسناء :

فامطرت لؤلؤا من نرجس وسقت
وردا وعضت على العناب بالبـرد

فقد اشترك الشاعران في نسبة مفاتن الحسناء التي وصفها، الى عناصر مسروقة من مفاتن الطبيعة ·

هنا : اللؤلؤ والنرجس والورد والعناب والبرد

وهناك : النيران والضحى والنجوم والرمان ·· الخ

ذكرى خليل شيبوب



خليل شيبوب



خليل مطران

فى اليوم الثالث من هذا الشهر ، تعبر بنا ذكرى الشاعر السكندرى الكبير المرحوم خليل شيبوب ـ ذكراه الثالثة والعشرين ـ وهو من ابرز تلاميذ خليل مطران ، ومن اصدقائه المقربين ، وكان مطران يعده خليفته وامتدادا له ، ولكن الاجل لم يمتد بخليل شيبوب بعد وفاة مطران الا بفترة قصيرة .. وخلف وراءه ديوانا من روائع القصيد ، اسمه الفجر الاول .

وخليل شيبوب من اصل لبنانى ، ولكنه قضى جل حياته ، هو وشقيقه الناقد الراحل صديق شيبوب ، فى الاسكندرية .

وقد وافانا الاستاذ « محمد اسماعيل حجى » بقصيدة عثر عليها بين اضابيره ، قالها شاعر السويس المرحوم محمد فضل اسماعيل ، الذى عاش هو الاخر ردحا فى الاسكندرية ، على قبر خليل شيبوب ، وهى قصيدة لم نجد لها اثرا فى ديوان فضل الذى أصدرته محافظة السويس ، فلعها تحقق وترد فى الجزء الثانى من ديوان فضل ، اذا كان هناك مزيد من شعره الذى لم ينشر .

وهذه هى القصيدة :

لوادى الموت عاطفتى تميل   فقى واديه قد سكن الخليل
هناك فى جوار الله تحيا   حياة لا يراد بها بديل
فدنيا الناس للاحرار موت   وعبء فوق كاهلهم ثقيل
ووجه الارض حين تراه عينى   قبيح ماله عندى مثيل

***

فلا كانت حياة ليس فيها   وفى او اخ حر نبيل
اخى يا شاعر الفصحى ترفق   فبعدك ليس فى الدنيا جميل
لعمرك انما الدنيا خيال   ولكن كل ما فيه مهول
صرمت حبالها ورحلت عنها   فهلا كان ، لى ، هذا الرحيل ؟!
سلام الله يا شيبوب انى   على عهدى وفى لا احول
تعال اسمع هنا شدوى ونوحى   وكيف وجدت بعدك ما يهول
تعال اسمع هنا دقات قلبى   وماذا بين اضلاعى يجول
تعال اسمع ندائى وهو حق :   اما للراحة الكبرى سبيل ؟
تعال انظر هنا خبلا عرانى   وكيف الدمع من عينى يسيل
تعال انظر الى شبح وظل   ولكن لا حياة له تطول
تعال انظر بعينك نصل سيف   نبا حدا وليس له صليل
تعال انظر الى زهرات شعر   بهذا اليوم ادركها الذبول
مصابك فت فى عضدى فعذرا   اذا لم يدر (فضل) ما يقول
فكم ذا كنت تغبطنى لشعرى   وتطربك البدائع والشكول

عـــزة المغـــفرة .. لبـدوى الجبـل



الحبيب شيبوب

عزيزنا الاديب التونسي المعروف ، الحبيب شيبوب ، ينفرد برأى قاس فى شعر المرأة ، ويكاد يقول انها بطبيعتها غير مؤهلة لنظم الشعر ، ومن الخير لها ان تحتفظ بعزة مكانها كملهمة للشعراء وحسب ٠

ويضيف الى ذلك انه يكاد يكون وراء كل شاعرة نقرأ لها فى الصحف ، شاعر ينظم لها ٠٠ أو شاعر تسرق منه !

ويضرب المثل بقصيدة نشرت اخيرا فى « الزهور » عنوانها « عزة المغفرة » بتوقيع شاعرة لبنانية ، ثم يضيف ان هذه القصيدة ليست لها ، بل للشاعر الســـورى الكبير « بدوى الجبل » ٠٠ وهى من قصيد طويل له عنوانه «اللهب القدسى» ٠٠ واعيد نشرها فى مجلة « الاخاء » الايرانية ٠

ورسالة اخرى من القـــارىء الاديب ٠ الوردانى ابراهيم ناصف « بالمعهد العالى للتربية الرياضية بالهرم ، يؤكد الرواية ذاتها ، وان القصـــيدة مثبتة باسم بدوى الجبل فى كتاب « لغتنا الجميلة » الذى نشرته سلسلة كتب الاذاعة ، للاستاذ فاروق شوشة ٠

وقد عدنا الى هذا المرجع ، والى المراجع الاخرى التى ذكرها الاستاذ شيبوب ، وتأكدنا من وقوع هذا السطو الادبى الذى نعتذر عنه للشاعر الكبير بدوى الجبل ٠

مـــع القـــراء الأعـــزاء

● شكرا للقارىء الكريم عزت محمد ابراهيم ، فقد نبهنى الى هنة وقع عليها فى كتابى « شاعر الكرنك ، احمد فتحى » ٠٠ هى قولى ان الامير عبد الله الفيصل هو ولى عهد المملكة العربية السعودية ، لان ولاية العهد محصورة فى أبناء الملك الراحل عبد العزيز آل سعود ، وقد تولى الملك بعده المغفور له الملك سعود ، ثم جلالة الملك فيصل ، العاهل الحالى للمملكة ٠

أما ولاية العهد ، فقد تنازل عنها الامير محمد بن عبد العزيز لاخيه ولى العهد الحالى الامير خالد بن عبد العزيز ، نائب رئيس الوزراء ٠

● وشكرا للشـــاعر الجزائرى الشاب عمر بو الدهان البدوى ، الذى يعاتبنـــا على قلة ما ننشر من ادب المغرب العربى ٠

والواقع انه عتاب ظالم ، فنحن نحتفي ايما احتفاء بالابناء المغاربة متى كان نتاجهم مما يرقى الى مستوى النشر ، والدليل على هذا ان « الزهور » ستحتفي بقصيدة الشاعر العاتب ، وستنشرها في اقرب وقت ٠

● وشكرا للقارىء البغدادي العزيز « السيد علي حسين » الذي ذكرنا بمرور عام على وفاة الشاعر العراقي الكبير محمد ناجي القشطيني ، طيب الله ثراه ٠

التقيت بالقشطيني في اكثر من مؤتمر من مؤتمرات الادب التي عقدت في بغداد الحبيبة ٠ ومع انه كان يقترب من الثمانين ، فقد كان ذا ذاكرة واعية تختزن الوفا مؤلفة من الابيات القديمة والمعاصرة ٠

وكان القشطيني يشتغل بالتدريس ، وقد تخرج على يديه كثير من ادباء العراق وشعرائه وساسته ٠

واذكر انه قال لي – في اول لقاء – انه تتلمذ على كتاب مصر دون ان يذهب الى مصر، فقد كانت الكتب المصرية تصل الى العراق – في زمانه – على ظهور الابل وكان رعيله من محبي الادب والشعر يخرج لاستقبال القوافل وهي محملة بالكتب ، ويتخاطفونها قبل ان تصل الى المكتبات ، خشية ان تنفذ ٠

ولقد انصفه صديقنا الدكتور يوسف عز الدين ، الاستاذ بجامعة بغداد ، فيما كتب عنه ضمن شعراء العراق المعاصرين

● وشكرا للشاعر العراقي البصري المتفتح مانع حمود العامري (١٦ سنة) على كلماته الحلوة عن الاتجاه العربي المؤمن الذي سلكته مجلة « الهلال » خلال العامين الاخيرين ، وعلى قصيدته الواعدة التي يتحرق فيها شوقا للحياة في بغداد ٠

شعر النشار .. مرة أخرى

قرانا في عدد الهلال الصادر في نوفمبر سنة ١٩٧٢ تعقيبكم على كلمة الاستاذ احمد مصطفى حافظ عن شعر النشار الذي ختمتموه بقولكم : « والكلمة الآن لمجلس الفنون والاداب ، وفاء لشاعر الاسكندرية الكبير المرحوم عبد اللطيف النشار ٠٠

ثم عدنا فقرانا لسيادتكم تعقيبا آخر على كلمة الاستاذ محمود فهمي يسرى بشأن ديوان النشار ايضا قلتم فيها انه يسعدكم أن تكونوا محامي النشار في لجنة الشعر بالمجلس الأعلى لطبع

ديوانه لولا أنكم تركتم تلك اللجنة لاسباب ذكرتموها ٠٠

وعدتم مرة ثالثة تعقيبا على كلمة للسيد الاخير تمنيتم فيها أن يتضافر قصر ثقافة الحرية ومديره الاستاذ غنيم لاستكمال تجميع ديوان الشاعر النشار ٠٠

وبالامس كنا فى ندوة أدبية باحـــدى الجمعيات الادبية بالقاهرة علمنا فيها من الاستاذ أحمد مصطفى حافظ أنه قد انتهى بالفعل من جمع ديوان النشار الذى يشـتمل على كل مانظمه من شعر في حياته العريضة بما في ذلك ديوانا ه (نار موسى)، و (جثة فرعون) ، كما علمنا ايضا أن قصر ثقافة الحرية لم يقم باتخاذ أية خطوة فى هذا السبيل اكتفاء منه بما علمه السيد مديره بأن الاستاذ أحمد حافظ قد انتهى بالفعل من جمع كل شاردة وواردة من شعر النشار ٠

وبعد ان تحقق لنا توليكم امر لجنة الشعر بالمجلس الاعلى بعد المرحوم عزيز اباظة الذى كان يحـرص بدوره على تبنى اصدار ديوان النشار الاول اننا نتمنى على ســيادتكم الوفاء بوعدكم وبذل الجهد بالمجلس الاعلى لطبع ديوان النشار اسوة بديوان فضل الذى طبعه المجلس الاعلى فى العام الماضى خاصة وان الاستاذ احمد حافظ ذكر فى الندوة السالفة الذكر انه أصبح فى حيرة لا يدرى معها كيف يمكنه طبع الديوان ولا طاقة له على تحمل نفقات النشر وأسباب اخرى ذكرها تخرج من امكانه تولى الطبع بجهده الخاص ٠

محمد اسماعيل حجى

– وانا عند وعدى ، ولا اشك فى ان زملائى جميعا فى لجنة الشعر سيرحبون بنشر ديوان النشار كل الترحيب ٠٠

قــــراءات هـــــذا الشــــهــــر

● **قاهر الظلام**

تأليف : كمال الملاخ

فى قصة عميد الادب الراحل الدكتور طه حسين ٠٠ قصته كاملة ، من المهد الى المجد الى اللحد ٠٠ يرويها زميلنا كمال الملاخ بأسلوبه الصحفى الجذاب ، وان لم يستطع أن يلجأ هذه المرة الى أسلوبه المألوف فى الاختصار ، لان حيــــاة طه حسين كلها خطـــوات من الكفاح البطولى البنـــاء الذى لا يحتمل الاختصار ، ولهذا جاء الكتاب فى ٢٥٤ صفحة ٠٠٠ تجرى كلها على طريقة السيناريو الذى ينتهى بالدعوة الى اقامة تمثال شامخ للرجل الذى جعل البصيرة أنفذ من البصر، وأقوى من القدر ٠

● ادوارد وليم لين
تأليف : عدلي طاهر نور

هي سيرة ممتعة لحياة مستشرق كبير ، عاش في مصر في القرن التاسع عشر ، ولبس لباس اهلها ، وعايش عاداتهم ومآسيهم وآمالهم ، وقضى نصف قرن في الدراسات العربية ، وترك وراءه ذكريات طيبة وآثارا جليلة ، ابرزها « المصريون المحدثون : عاداتهم وشمائلهم » و « مختارات القرآن » الذي ترجم فيه الى الانجليزية مجموعة كبيرة من آيات الكتاب الكريم أكثرها يتناول ما في القرآن من احسن القصص وأبدع الحكم واكرم النواميس ·

● سندباد دبلوماسي
تأليف : احمد عبد المجيد

والمؤلف سفير وشاعر وفنان ورحالة ··· وبكل هـــذه الخصائص ، مضافا اليها ما عرف عنه من خفة الظل وحب الجمال وبراعة النكتة ، كتب هـــذا الكتاب الفريد في أدب الرحلات ، وروى فيه ذكريات تتراوح بين الحلاوة والمرارة خلال حياته الدبلوماسية في مختلف البلاد التي حملته اليها الرياح

● قصة المتنبي
تأليف : احمد الجندي

هذا عمل فريد في التاريخ الشعري ··· انها قصة حياة المتنبي ، نظمها في ملحمة رائعة ·· الشاعر السوري الكبير أحمد الجندي ، الذي يقول في مقدمته لهذا العمل الكبير :
« على امتداد هذه الحياة ، والى الابد ، وضـــع المتنبي بصماته الثابتة » فهو شاعر الدهر الذي ملأ الدنيا وشـــغل الناس ·
« واذا كانت في حياة كل عظيم قصة ، فقصة حياة المتنبي العظيم شيء يمتزج فيه الشعر بالفروسية ، والفروسية بالتمرد ، والتمرد بالطموح »

● حيفا في سواد العيون
ديوان للشاعر الفلســطيني الملهم حسن البحيري ، يرسم فيه الشاعر لوحات شعرية بارعة لحيفا في اعراسها القديمة ــ قبل الاحتلال ــ وفي مآتمها الحزينة بعد الاحتلال ، في اسلوب رقراق ولهفة عاطفية تذكرنا بناجي ·· وبمدرسته ·· والبحيري من تلاميذها ··

الناشر مطابع العلم ــ دمشق

● ص · ج ●

يوسف الشاروني

يوسف السباعى ومهمة الفنان التنبُّئية

فاز يوسف السباعى بجائزة الدولة التقديرية فى الادب عن عام ١٩٧٣ تقديراً لما قدمه للحياة الثقافية بقلمه وعمله . ولسنا نجد فى هذه المناسبة تحية له افضل من مناقشة آخر ما نشره رواية « العمر لحظة » وهى روايته السادسة عشرة وفى الوقت نفسه كتابه الواحد والخمسين ..

عندما يمسك الفنان قلمه أو ريشته ليشرع فى عمله الابداعى فمعنى ذلك أنه آلى على نفسه أن يحقق مهمة متعددة النتائج . والفن الاحادى النتيجة فن سطحى ضحل باهت الاثر ولقد كان التنبؤ هو احدى مهام الفن طوال تاريخه . ففى التوراة نجد الفن والنبوءة يختلطان معا بحيث لا نعرف اين ينتهى احدهما ليبدأ الآخر وروايات جون فيرن ، و هـ . ج . ويلز وأمثالهما ، هى ادب وفى الوقت نفسه نبوءات بما تحقق من اكتشافات واختراعات علمية بعد ذلك بعشرات





يوسف السباعي .. اعتذر عن جائزة الدولة التقديرية قائلا : جائزتى كانت « القائد البطل » والجندى الشجاع ، والشهيد العظيم ...

الستين ، وكتاب اليوتوبيا ابتداء من جمهورية افلاطون الذى حاول تحقيقها — يختلط الادب فى كتاباتهم بالنبوءة المتفائلة أو المتشائمة .

فالفنانون والادباء لهم — من بين مواهبهم المتعددة — قرون استشعار تستشرف المستقبل ، فيحذرون قومهم فى وقت يبدو لمعظم الناس أن كل شيء ثابت مستقر وأن الاوضاع بخيرها وشرها باقية كأنما الى أبد الدهر . وقد يحدث العكس فانهم قد يرون بصيص النور فى وقت يشيع فيه اليأس وتخيم فوقه روح الهزيمة .

ولقد كان يوسف السباعى واحدا من ادبائنا القلائل الذين استطاعوا أن يقاوموا — ربما فى نفوسهم قبل أن يفعلوا ذلك بين جماهير قرائهم — روح الهزيمة واليأس ، وأن يرى بصيص النور الذى يعلن عن مجيء الفجر رغم حلكة الظلام . وكانت آخر رواياته التى نشرها قبل معارك اكتوبر أبرز وثيقة فنية قدمها ميرهنا على انه لا ينخدع بالظاهر ولا ينجرف مع التيار المندفع فوق السطح . بل ان حدسه الفنى يدفعه الى الغوص عما وراء السطح مستلهما روح الشعب الاصيلة ، روح المقاومة التى تأبى الذل والخنوع ، وان توارت حينا فانما لتتأهب وتتحفز . هكذا علمنا تاريخ مصر منذ غزاها الهكسوس منذ ثلاثة آلاف سنة حتى معارك اكتوبر عام ١٩٧٣ . ولست أشك ان ما كان يكتب من ادب فى مصر خلال السنوات الست الاخيرة اى بين عام ١٩٦٧ وعام ١٩٧٣ انما كان من بين الاسباب التى ضللت الاعداء عن تفهم حقيقة روح الشعب المصرى ، فقد كان الادب احد مصادرهم التى يرصدونها لتفهم حقيقة الاوضاع فى مصر ، ويبدو انهم انتهوا الى نتيجة لا تقبل الشك ، هى ان روح



يوسف السباعي

الهزيمة تشيع فى النفوس وان مصر لا تفكر ـ واذا فكرت لا تستطيع ـ ان تغير من واقع الامور ، بل لعلها في طريقها الى نكسة اعمق وافدح ٠ ولو أن معظم ما كتبه ادباؤنا كان يستلهم نفس المنبع الذى يستلهمه يوسف السباعي حين كتب روايته « العمر لحظة » لادرك العدو والصديق ان روح الشعب المصرى لم تمت ، ولتغيرت حسابات الجميع ٠

ولئن كان ما ظهر من أدب فى سنوات النكسة ـ مستلهما نفس المنبع الذى استلهمه يوسف السباعي حين كتب « العمر لحظة » ـ قليلا بالنسبة لادب يوسف السباعي منذ وطن نفسه ـ فى سن مبكرة ـ على أن يكون الادب هو مهمته الاولى فى الحياة ،

ومنذ الى على نفسه ـ كأى فنان صادق مع نفسه ـ أن يجعل كل تجاربه فى الحياة عاطفية كانت أو وظيفية أو حتى هامشية ـ فى خدمة الفن ٠

***

ولسنا هنا بسبيل تتبع هذا الخيط الهام والمستمر فى أدب يوسف السباعي انما يكفى أن نشير الى رواياته وقصصه قبل ١٩٥٢ مثل: نائب عزرائيل (١٩٤٧) ويا أمة ضحكت (١٩٤٨) و « أرض النفاق » (١٩٤٩) ، لندرك أنه كان يلمس ما يضطرب به باطن المجتمع المصرى وانه قد وصل الى درجة الغليان التى لابد أن يقع بعدها الانفجار ٠ ثم تأتى بعد ذلك سلسلة رواياته التى جعلت منه زعيم ما يسمى بالاتجاه التاريخى فى الرواية المصرية المعاصرة ، والتى ظن البعض انها مجرد تتبع لاحداث الثورة وتقديمها فى شكل قصصى ٠

ولقد يكون هذا القول صحيحا لو أن كاتبها يقدمها محايدا تماما ، غير أن النظرة الاعمق الى هذه الروايات تكشف أن الهدف منها ليس مجرد تقديم الاحداث التاريخية فى شكل روائى بل أن مهمتها الاساسية هى الكشف عن الجوانب الايجابية خلال هذه السلسلة من الصراع التاريخى ٠

وتتحقق هذه المهمة فى هذا النوع من الروايات ابتداء من اختيار عنوانها ٠ فرواية « رد قلبى » (١٩٥٤) تتناول صراع الشعب فى مواجهة الحكم المنحرف والملكية الفاسدة وتروى خلال قصة حب الاحداث التى ادت الى اقتلاع الملكية ٠ وغير خاف أن لعنوان الرواية « رد قلبى » دلالة مزدوجة هى دلالة عاطفية وأخرى قومية وطنية ٠

اما رواية « طريق العودة » فتتناول قضية تحرير فلسطين وتتنبأ بعودة العرب اليها كما يوحى بذلك عنوانها ٠

ورواية « نادية » ـ وهى الرواية الوحيدة فى هذه السلسلة التى جعل المؤلف عنوانها باسم بطلتها ـ تتعرض للعدوان على بور سعيد عام ١٩٥٦ ومقاومته ٠

و « جفت الدموع » تدور حوادثها فى اطار الوحدة بين مصر وسوريا ٠ والعنوان هنا ايضا ـ كما ورد فى « رد قلبى » مزدوج الدلالة ، فالدموع التى

جفت يمكن ان تكــون دموع المحبين ويمكن ان تكون دموع الشـــعبين المصرى والسورى وذلك بتحقيق وحدة القلوب ووحدة الشعبين · بينمـــا رواية « ليل له آخر » (١٩٦٣) التى تبدأ حوادثها قبل الانفصـال وتنتهى بعده ، فان يوسف السباعى وقد نشر هذه الرواية عام ١٩٦٣ ـ اى بعـد الانفصال ـ قد تنبأ بان هذا الانفصال ـ وقد شبهه بالليل ـ لابد وان يكون له ـ كما لكل ليـــل ـ من آخر · وتبدأ هذه المهمة التنبؤية من عنوان روايته ، فهو فى الوقت الذى يبارك فيه الوحدة فى روايته السابقة ويرى انها قد جففت الدموع ، لا يؤمن بأن ما وقع بعدها من انفصال يمكن ان يستمر حتى ليشبهه بالليل فى قتامته وان لا بد من فجر يأتى بعده ·

وهـــذا هو ما نعنيه بأن يوسف السباعى لا يقف موقفا محايدا فى هذه السلسلة من رواياته ، ولكنه فى الوقت نفسه لا يحلم احلام يقظة لا صلة لها بالواقع التاريخى ، وهذا هو مانعنيه بالمهمة التنبؤية ·

ويأتى بعد ذلك مسرحية « اقوى من الزمن » (١٩٦٥) لتتناول بناء السد العالى فى منطقة مزدحمة بآثار الفراعنة التى تشهد بأمجـــادهم · ولئن كان عنوان المسرحية يشير الى ان الحب الذى ربط بين ابنة فرعون واحـــد مهندسى السد العالى اقوى من الزمن ، فلا يزال الماضى ممكن الالتحام بالحاضر (فقد لجأ يوسف السباعى هنا الى احد اشكاله الروائية المحببة وهـــو الشكل الفانتازى الذى يحطم الفواصل بين الماضى والحاضر) فانه يشير فى الوقت نفسه الى ان استمرار الشعب المصرى وانجازاته العظيمة منذ شيد الفراعنة معـــابدهم واقاموا آثارهم مسجلين عليها امجادهم حتى بنـــاء السد العالى ، انما هو استمرار خالد اقوى من كل محاولة لطمس معالمه او القضاء على روحه · فاذا كانت رواية « ابتسامة على شفتيه » (١٩٧١) نجدها تتناول معـــركة الكرامة التى دارت بين القوات الفدائية والصهيونية فى الاردن عام ١٩٦٨ ، ويموت بطلهـــا عمار فى اثناء عملية فدائية اثنـــاء المعركة وثمة ابتسامة على شفتيه لانه واصحابه قد كسبوا المعركة ، فليس المهم مصير الافـــراد ، والموت ليس نهاية ولا هزيمة بل هو ثمن لا بد من دفعه فى سبيل تحقيق الغـــاية ، بل يموت عمار وهو يهمس متنبئا : مازالت هناك معارك كثيرة امام الاخرين حتى تحقق وجودنا » ·

***

وفى ختام هذا الاتجـــاه الروائى يقدم لنا يوسف السباعى آخر رواياته « العمـــر لحظة » (١٩٧٣) التى نشرتها تباعا مجلة « المصور » ابتداء من ١٦ مارس حتى ٢٩ يونيو ١٩٧٣ وهو يعلن هدفه بوضوح فى مقدمته التى كتبها لروايته مما يعفينـــا من اللجوء الى الاستنتاجات ، فاحداث الرواية تقع فى اواخـــر عام ١٩٦٩ واوائل ١٩٧٠ خلال الفترة المعروفة باسم حرب الاستنزاف ، وقد سجلت هـذه الفترة اروع بطولات الجندى المصرى ، ومن ابرز هذه المعـــارك التى خاضهـــا وقتذاك معركة جزيرة شـــدوان التى كانت رمزا لصلابة الجندى المصرى وجـــرأته وفدائه ، ثم ينهى يوسف السباعى مقدمته قائلا : « لقـــد احسست بضمير الكاتب ان تلك الفترة المشرقة فى تاريخنا لا يمكن لادبنا ان يعبرها فى صمت · وحاولت من خلال الرواية ان اقول شيئا انصف الجندى

المصرى والادب المصرى امام التاريخ » . أى انه اراد بكتابته هذه الرواية ان يعلن ان الادب المصرى فى تلك الفترة لم يكن كله ادبا متشائما قد انطوى على نفسه يجتر مرارة النكسة ، وان هناك فى مصر من الكتاب من يستلهم اللحظة المشرقة كما يستلهم غيره اللحظة الحالكة .

أما المنهج الروائى فى رواية « العمر لحظة » فهو المنهج نفسه الذى أعلن عنه يوسف السباعى فى مقدمته لاولى رواياته التى كتبها فى هذا الاتجاه الروائى وهى رواية « رد قلبى » حيث نراه يعلن ان سبب اهتمامه بتلك القصة هو يقينه بضرورة تسجيل الاحداث الخطيرة التى حدثت فى تاريخنا المعاصر ، وثقته انه ـ بصفته العسكرية ـ أقدر الكتاب على تسجيلها بحكم خدمته فى الجيش واهتمامه بالمشاعر التى ادت الى حدوث هذه الاحداث التى غيرت وجه التاريخ فى مصر . ثم يضيف موضحا منهجه الروائى : « ولقد حاولت قدر ما استطيع أن ادمج قصتى هذه فى قصة الاحداث الدامية التى حدثت فعلا حتى تبدو القصة كتلة واحدة . ومعنى هذا انه يجعل القصة الفردية مرتبطة بالاحداث العامة فيصبح للرواية مستويين :: مستوى خاصا وآخر عاما ، لكنهما يتشابكان ويتلاحمان بحيث يبدو منهما فى النهاية نسيج روائى متكامل .

لكننا نتساءل بعد انتهائنا من قراءة هذه الرواية ، هل كانت حقا تتناول لحظات مضت فقط ، لحظات حرب الاستنزاف المشرقة ، أو كانت تتنبأ باللحظة المقبلة أيضا ، وهى معارك اكتوبر ١٩٧٣ التى اتسمت بالشجاعة والتضحية ؟ . وجوابنا على ذلك انه بقدر ما كانت حرب الاستنزاف



يوسف السباعى

تمهيدا لمعارك اكتوبر فان رواية « العمر لحظة » كانت بدورها تنبؤا بهذه المعارك .

اما القصة الفردية فيمكن تلخيصها فى هذا النص الذى يتحدث عن «نعمت» بطلة الرواية فيقول : « واثارت زوبعة لان زوجها عبد القادر كان على علاقة بزينات شكرى الممثلة . وانطلقت هى هاربة من تلك الحياة لتجد نفسها غارقة فى الحب الى اذنيها » (ص ٢٣٧) . أى اننا بازاء اربعة أطراف ، طرفين منهما زوج وزوجة ، الزوج على علاقة بأخرى فتهجره الزوجة لتصبح بدورها على علاقة برجل آخر هو المقدم محمود عبد الله ، لكن ـ ولاننا نستمع فى الرواية من اولها الى آخرها الى وجهة نظر نعمت ـ فان ما يبدو لنا تصرفا يستحق الادانة من جانب زوجها عبد القادر نتعاطف معه حين ما يبرر تصرفها ، ولعل اهم هذه التبريرات هو ان زوجها كان البادىء ولم يكن تصرفها الا رد فعل لتصرفه . فهو لون من الوان الانتقام اللاشعورى او حتى الشعورى تأكيدا لنفسها بانها مرغوبة ومحبوبة وان انصراف زوجها عنها ليس حكما نهائيا عليها من عالم الرجل كله ـ لكننا لم نستمع الى تبريرات الزوج لموقفه ، ولهذا ادان تصرفاته كل من الكاتب والقارىء معا .

وفى نهاية الرواية نواجه بموقف سامية زوجة محمود عبد الله ، وهو موقف شبيه جدا بموقف نعمت من زوجها عبد القادر فى بداية الرواية ، وكأنما العجلة تدور والحلقات لا تنتهى الا لتبدأ غيرها · فسامية تثور على زوجها لعلاقته بنعمت (ص ٢٩٥) تماما كما سبق ان ثارت نعمت على زوجها عبد القادر لعلاقته بالممثلة زينات شكرى (ص ٥٣ ـ ٥٥) ·

هذا الموقف التناقض هو محور القضية الفردية وخلاصته · اننا احيانا ما نتصرف التصرف نفسه الذى ندين به الاخرين ، ولهذا فاننا سرعان ما نجد بدورنا من يديننا بنفس ما ادنا به الاخرين ·

لقد هربت نعمت من مشكلتها الزوجية او مشكلتها العاطفية مع زوجها الاستاذ عبدالقادر رئيس تحرير احدى المجلات ، فتركت عملها بالمجلة التى تعرف فيها عليها ، لتعمل باحثة اجتماعية فى مستشفى القوات المسلحة بالمعادى برتبة نقيب ، وهناك تتعرف على احد المرضى هو المقدم محمود عبد الله من قوات الصاعقة ، وتنشا بينهما علاقة عاطفية ، غير ان ابشفائه ورحيله الى الجبهة ما يلبثان ان يفترقا · ومن جديد يلتقيان فى جبهة قناة السويس عندما ذهبت نعمت لزيارتها مع وفد طبى من المستشفى العسكرى · ولم تلزم نعمت المستشفى بين الجرحى ، بل انطلقت بين الجنود ، وظلت تتنقل من موقع الى موقع ، والاولاد ـ كما كانت تسميهم ـ يضحكون ويمرحون ، والعابس منهم لا يقلقه الخطر انما تقلقه المشاكل الصغيرة التى خلفها وراءه فى داره (ص ٦٩) لهذا لا يزعج الجنود ان يعودوا من الجبهة فيجدوا المدينة تحيا حياتها بالاغانى والانوار · فهذا خير من ان يعودوا ليجدوا اهلهم فى نواح وظلام « الم تقولى انت ان ما يضايق الجنود هنا ليس خوف الشظايا وفزع الدوى ولكنها مشاكلهم الصغيرة التى تركوها وراءهم · ما بالك اذن لو احس احدهم انه قد ترك اهله وراءه فى دمار وخراب » (ص ٧٧)

وهكذا يوضح يوسف السباعى ـ بل يؤكد ـ العلاقة الوثيقة بين جبهة القتال والجبهة الداخلية · وان مشاكل جبهة القتال مقدور عليها « نحن نستطيع ان نجرى وراء امورنا هنا · اما امورنا فى القاهرة فلا نجد من يجرى وراءها » (ص ٩٧) ·

ويوسف السباعى دائم الحرص على الانتقال من التعميم الى التخصيص ومن التخصيص الى التعميم ، لهذا نحن نتابع نعمت وهى تستمع الى شكوى بعد اخرى عما خلفه الجنود فى الجبهة وراءهم من مشاكل تقلقهم ، لعلها تستطيع عند عودتها ان تحل لهم بعضها ، فهذا صبحى يقول لها « كان ابى فيما مضى ينتظر موسم القطن ليكسب ويسدد القرشين اللى استدانهم ويمشى اموره ·· والان اصبح موسم القطن يحل كالقضاء المستعجل ·· نقبض باليمين وندفع بالشمال ·· ديون متلتلة ·· مقاومة وتطهير وخلافه ·· الجمعيات التعاونية اصبحت كالمرابى لا يحل الموسم الا وقد خربت بيتنا (ص ١٠١) ويقول لها صلاح بعد ان شكا لها مشكلة ابيه الذى خرج حديثا من السجن ولا يسمح له بفتح كشك سجاير بينما هو جند ـ وقد كان عائل الاسرة ـ بسبب خروج ابيه من السجن فقدت اسرته مصدر عيشها يقول لها « بينى وبينك هنا اريح ·· مشاكلنا هنا بسيطة · لايبقى امامنا سوى اشارة ونتحرك لنؤدى واجبنا ·· ولا يبقى لدينا ما نقدمه سوى ارواحنا ، وهى ـ بينى وبينك ايضا ـ

لا تشغل من فكرنا الكثير ، فمصيرها يحدده مسار طلقة او شظية يحولها القدر أنملة ، يمنة أو يسرة لتخطف الروح او تبقيها ، ويصبح عمرنا .. لحظة ، هي أوج العمر او نهايته » (ص ١٤١) .

وعندما عادت نعمت الى القاهرة وتحدثت مع احد المسئولين لحل مشكلة صلاح ووعدها باعطاء الترخيص اللازم لابيه قالت له « اننا سنرفع الهم عن اسرة وستجعل جنديا فى الجبهة يحارب وهو قرير العين » . (ص ٣١٢)

ويؤكد محمود عبد الله من جانبه هذا الربط بين الجبهتين . وان الامر على جبهة القتال ميسور « ولكن الذين وراءنا يملكون الكثير ، يملكون الجهد الذى يجب ان يبذلوه فى كل ضربة فأس في مزرعة وفي كل دورة رى فى ماكينة ، وفي كل سطر يقرؤه تلميذ فى مدرسة .. فى كل مشرط فى يد الطبيب ، وفي كل خط يرسمه مهندس ، وكلمة يطلقها مدرس ... الذين وراءنا يملكون بجهدهم وانضباطهم ، ان يلموا جرح مصر النازف وان يساندونا لكى نفرض على العدو ارادة مصر » (ص ٣٣٧) . انتى اعيد الكلمات بنصها لاننىحريص على ان يقراها كل مصرى وكل عربى وان يعيها ويعمل بها ، فليست الجيوش منعزلة عمن خلفها ، فهؤلاء أباء أولئك وأخوتهم . فليس المطلوب من كل منا أن يمسك بمدفع ويضرب .. لو فعلنا هذا .. لما وجد الذين يحاربون على خط النار لقمتهم ، بعض منا يجب أن يصنع رغيف العيش ، والبعض لا بد ان يصلح صنابير المياه ، كل منهم يرقى فى أهميته الى مستوى حامل المدفع ، المهم ان يعمل عمله جيدا » (ص ٤١٢) .

ويتصل بهذا مفهوم الشجاعة . فالشجاعة ليست مشكلة فى جبهة القتال ، انها قدر الرجال المحتوم . انما تتضح الحاجة الى الشجاعة فى الجبهة الداخلية . فعبد العزيز الذى استشهد فى عملية فدائية فيما بعد ، جبن عن التزوج بسعدية التى حملت منه لان سمعتها كانت سيئة رغم انها تخلت عن ماضيها عندما أحبته فأخلصت له (ص ١٥٧) اما فى جبهة القتال فان « الذين يموتون منا .. لا أظنهم احتاجوا الى شجاعة وهم يواجهون الموت .. ان الموت هنا لا يمنحنا حتى فرصة الخوف منه ، وسط الضجيج والدوى والغبار والدخان تنطلق شظية او رصاصة لتنفذ فى احدنا .. فيسقط ثم ينتهى » (ص ١٧٨) .

***

ويتابع يوسف السباعي احاسيس الخوف والشجاعة لدى المقاتلين من هواجسهم الى افعالهم ، فيروى لنا عملية فدائية قام بها المقدم محمود عبد الله وجنوده ، انه يحس الخوف ، ليس الخوف على حياته بل الخوف أن تفشل عمليته ، فالخوف فى هذه اللحظة لا يشكل تهديدا بالم بل يشكل متعا لمهمة ، فقيمة حياته فى هذه اللحظات هى تادية هذه المهمة ، انه لا يرفض الموت ، ولكنه يرفضه الان » (ص ٢١٨) ولا ينسى يوسفالسباعى العامل الروحي حين يتلو محمود الفاتحة فى تلك اللحظات التى تتصل فيها شعرة بين الحياة والموت وبين الانتصار والهزيمة .

وعندما تعثر عبد العزيز ثم سقط نتيجة اصابته اثناء هذه العملية قال انه لا يخاف الموت لكنه كان يريد الا يموت حتى يتزوج سعدية التى تحمل جنينها منه . وعندما يموت عبدالعزيز وزملاء له نعرف ان للانتصار ثمنا يجب ان يدفع .

ونحب أن نقف هنا وقفة عند سعدية التى لم تغضب من عبد العزيز عندما اعلن لها انه لن يتزوجها

وطالبهـــا بان تتخلص من جنينها قائلة : اقسم انى لم اصرعلى شيء — لقـد كان هو اهم شيء ‥ وكنت انوى الخلاص من حملى ‥ ما دام هذا يريحه ·

فالنساء الاخريات فى رواية « العمر لحظة » ، نعمت وسامية موقفهمـــا مفهوم ، اما سعدية فهى « القديسة الخاطئة » ، اى التى جمعت التناقضات معا ، اشبه ببطلات دستيوفسكى ، حتى ان نعمت تتســاءل « هل هى قديسة ، هل هى بطلة ، ام هى مجرد ‥ ما اطلقت عليها ام عبد العزيز ‥ لبؤة بنت لبؤة » (ص ٢٨٥) ·

ولكى تكتمل صورة القديسة ، فاننا نرى سعدية لا تقف هـــذا الموقف المتسامح من عبد العزيز فقط ، بل ومن والدته ايضا التى اطلقت عليها هذا الوصف ، وعندما تموت الام بعد سماعها نبأ استشهاد ابنها ببضـــع ساعات فانها تغسلها بيديها وتقـول « احسست بمعزتها الشديدة وانا امسك بها ، امسك بما حملته هو كما حملت حملى منه ، واوسدتها الثرى بيدى » (ص ٢٨٧) ·

ومن تلك العملية الفـــدائية التى


يوسف السباعى

استشهد فيها عبد العزيز يبدأ الاتجاه التنبؤى فى رواية « العمر لحظة » ، فيدور نقاش بين نعمت ومحمود عن اسباب نكسة ١٩٦٧ الى ان تتساءل نعمت : وهل يمكن ان يحدث ما حدث ثانية ؟ ·

ويستشرف يوسف السباعى المستقبل على لسان محمود يرد عليها قائلا : — لا ‥ لا اظن ‥ ليس هنــاك بالطبع من يستطيع أن يضمن نتيجة عمله مائة فى المائة، وكل عملمعرض للنجاح او الفشل ، ولكن الفشل شيء والضياع شيء ، والفشـــل يجب أن يكون داخلا فى الحسبان ‥ محسوب ضمن النتائج المتوقعة ومردود عليـه بحسابات الخطة الاشمل ··· واذا لم نفعل فخير لنا الا نتحرك ، عنـــدما افكر كصانيعى الشعر اننا قادرون على فرض ارادتنا على العدو بما يسمونه الطرقات المتواصـــلة على الصلب · (ص ٢٤٥) ومعنى هذا ان يوسف السباعى لم يقف باحداث روايته عند عمليات الاستنزاف بل اطل منها على المستقبل حتى ليعلن فى وضوح وعلى لسان بطله « يجب أن نحذر الضربة القاضية ، يجب ان نحول المعركة الى معركة نفس طويل ، ولكن ليس الى معركة صمت يثبت فيها اقدامه بارتياح وبغير قلق ‥ شعبنا يحتمل كل ما هو حتمى ، لكنه يسخر من كل ما لا مبرر له ، شعبنا يحتمل معـــركة طويلة » (ص ٢٤٦)

ومرة اخرى يترك المؤلف الاقـوال ليجعل الاحداث تتكلم ، فعندما يتحدث عن عملية عبور قناة السويس فى العملية الفدائية التى تمت نجـد انها صــورة مصـــغرة من نفس ما قرأناه وسمعناه عن عمليات العبور فى ٦ اكتوبر ، فقد تمت على نحو مباغت بينما كل شيء هادىء ويبدو فى حالته الطبيعية · (ص ٢٠٧) ·

وعندما يعلن نبيل ان العدو قـــد

انكر في بلاغاته ما انزلوا به من خسائر تجيبه نعمت :

— لقد آن لنا ان نركز على ما يجب ان نفعل ، فان ما يفعل اهم مائة مرة مما يقال (ص ٣٠٢) ·

وتتكرر العمليات الفدائية لتقلق العدو لكنها لا تفضي الى شيء حاسم · لهذا فان القتال لم يعد يستهوى محمود كما استهواه في أول الامر · « لقد بات عملا معادا ، أشبه بطوابير التدريب · وحتى انفعال الثأر قد أخذ يخف · انه يريد عملا كبيرا ، يريد شيئا يرد كرامة مصر كلها ، وهو لا يعرف متى يمكن أن يأتى هذا العمل الكبير » (ص ٣٤١) · وهكذا يعلو صوت النبوءة شيئا فشيئا ، وتكون تجربة الدفاع عن جزيرة شدوان نبوءة عملية ، حتى تهمس نعمت في نهاية الرواية لمحمود قائلة : « عمرك لن يذهب سدى أنت أعز الناس على هذا البلد· انت ذخيرة مصر الجريحة، انت السند وانت الخلاص » (ص ٤٢١) ·

***

وهكذا نصل الى نهاية الرواية تلك النهاية السعيدة اجتماعيا والمأساوية عاطفيا ، ذلك لان الافراد وأدوا رغباتهم العاطفية في سبيل سلامة التنظيمات الاجتماعية ، فقد تركت نعمت الخدمة في مستشفى القوات المسلحة وعادت الى العمل بالمجلة التى يرأس تحريرها زوجها عبد القادر، وقست على نفسها كما قست على محمود· كانت العملية تحتاج الى بتر فتصرفت في حزم وغير شعور — على نحو ما عبر المؤلف عنها — وعادت الى زوجها كما عاد محمود عبد الله الى زوجته ·

وهكذا التقت القضية الفردية بالقضية العامة · فهذه النهاية لم تكن مفاجأة ولا غريبة عن الرواية · لم تكن مفاجأة لان عبد القادر زوج نعمت لم يغلق الباب في وجهها أبدا ولم ييأس من عودتها اليه ، وفى الوقت نفسه فان نعمت بدورها لم تفكر يوما في الالتصاق بمحمود على نحو ما تملى هى ان تتطور علاقتهما معا ، فقد كانت تريده « بعيدا ، مجرد نموذج ، لا تريد — كما قالت — أن تشوه صورته وكأنه لديها مجرد صورة او تمثال » · (ص ٣٤٣ ، ٣٤٤) ·

كما ان هذه النهاية لم تكن غريبة عن الرواية لانها تتفق مع اتجاهها العام · فروح القتال التي تشيع في الرواية من أولها الى آخرها ليست في النهاية الا تضحية — ليس بمجرد الرغبات الفردية — بل بالحياة نفسها في سبيل سلامة المجتمع والوطن · ولهذا لم تكن تضحية ابطالنا برغباتهم العاطفية — التى بدت في ضوء هذه الخاتمة كانما هى مجرد نزوات — في سبيل المحافظة على التنظيمات الاجتماعية المتمثلة في جمع شمل كل اسرة ، لم تكن هذه التضحية غريبة عن التضحيات الاكبر التى يبذلها الابطال الاخرون في سبيل سلامة وطنهم واستعادة ارضهم ·

وفى الوقت نفسه فقد كان لهذه النهاية وظيفتها الفنية ، فعن طريقها تمت للقصة دورتها الروائية ، وهى طريقة محببة الى يوسف السباعى في كثير من رواياته حيث يجمع في النهاية الخيوط التى تفرعت أثناء صراع الاحداث والشخصيات · فهو يفضل ان يضع للامور خاتمتها · وأن يؤمن بهندسية البناء الروائى ، وأن كل بداية لا بد لها من نهاية ···

محمود العتريس

تحية الشهداء

هكذا ترقى بكم عقبى الفداء ... جلّت العقبى وعزّ الإرتقاء
أيها الأعلون عند الله في ... جنة الرضوان خلد الأتقياء
إنكم أحياء ذاك المنتهى ... الذي ليس له قط انتهاء
لم يساكن مجدكم جوف الثرى ... بل تهادى فوق أطباق السماء
تاركاً في الأرض مالا ينقضي ... من سنا الذكر ومن ذكر السناء

***

يا شموس الحق في أفق الفدا ... هكذا يعتز بالحق الفداء
يا دماء الطهر في ساح الوغى ... سطرت أزكى أفاعيل الوفاء
يخجل القول من الفعل فقد ... كنتم الفعل ابتداء وانتهاء
أنظروا البأس الذي نملكه ... وامتلاك البأس فضل الشهداء
كيف قام اليوم يطوى المرتقى ... ثابت الخطوة منشور اللواء
لا يبالي بالطواغيت ... ولا ... يرهب البغي ولا يخشى القضاء
أنتم أورثتمونا عصركم ... ووهبتم روحكم جسم الرجاء
ورحلتم .. بل غدوتم شعلة ... تلهب الأرض بعزم الأنبياء

***

إيه يا عزة الحيّ يا بسمة ... في شفاه المجد يجلوها الإباء
أنظرونا واسمعوا من زهونا ... بكم مالم يطاوله ثناء
لا حدادا .. إنما تمضي الخطى ... خلفكم تحمل نفس الكبرياء
قسما لا تنثني عن دربكم ... أو يشاء الدهر فينا ما نشاء

● الإسكندرية ● ● محمود العتريس ●

عبد الحليم
الجندى

الفائز بجائزة الدولة التشجيعية
للتراجم عام ١٩٧٢ . . .

أحمد بن حنبل: إمـــام

أحمد بن حنبل رجل اسمر اللون ، ربعة . قصد القامة .. يميل الى الطول ، يلبس اللطيف . لكن ثوبه ليس قليقا ينكر او رقيقا ينكر ، وان كان رخيص الثمن يؤخذ بالدينار ونحوه . ملحفته تساوى خمسة عشر درهما .

يجلس امام المسلمين على لبد قد ابلته السنون .. فلا تمارس الزهد مع تلميذه ووضعت له مخدة او فرش له الحصير قال : ارفعوه .. الزهد لا يصلح الا بالزهد . وجلسا على التراب »

ولما دخل عليه بعض العلماء ، اذ هو ضيف على الخليفة المتوكل فى « مدينة العسكر » ، فوجدوه ترك الفراش « الملكى » الى مكان نفس ينام فيه كما ينام بداره ، ولا يطعم طعام الخليفة وانما يأكل من زاده الذى تزوده لهذه المناسبة قالوا « ما هذا الغم يا أبا عبد الله ! الاسلام حنيفية سمحة .بيت واسع » فلما خرجوا قال لتلميذه الذى كان يصاحبه فى مدينة العسكر « ما أريد أن يدخل على منهم أحد »

وانما امتنع امام المسلمين من الجدال مع رجال يريدون له ان يستمرىء النعيم المقيم فى قصور الخلافة . والبيت لايكون واسعا الا بالحرية . والحنيفية سمحة بالحلال وحده .

والحرية والحلال مركبان صعبان لكن احمد جعلهما بارفع الخلال واحلى الشمائل لتصور سجاياه ووسائله ـ كفقهه ـ « عصرية » فى كل العصور . قادرة على ان تصلح الدنيا بصلاح الدين . ولا صلاح لها الا به . والامامة امامة الزمان كله .

وامامة الدين امامة فى الفكر والفقه والطريقة

● أكرم الناس نفسا وادبا ●

وصفه معاصروه بأنه من احيا الناس واكرمهم نفسا واحسنهم عشرة وادبا . كثير الاطراق والغض ، معرض عن القبيح



الـزاهـديـن

واللغو ، ليس بالخجول ولا بالنفور من الناس . وهو الأب الودود والجسد الجامل بما يجده من الدنيا . والصديق الذي يستجيب لوليمة الصديق بقول « يؤكل الطعام بثلاث . مع الاخوان بالسرور . ومع الفقراء بالايثار . ومع أبناء الدنيا بالمروءة » ولما دعاه وصحبه صديق على حلوى أنفق عليها ثمانين درهما قال واحد من الطاعمين : هذا اسراف . فرد أحمد « لا . لو أن الدنيا جمعت حتى تكون في مقدار لقمة، ثم أخذها مسلم ثم وضعها في فم أخيه المسلم . لما كان اسرافا »

وهو يجلس بين تلاميذه حيث ينتهي به المجلس . واذا جلس لم يمد رجله. واذا سئل عن رجل معدود في الكذابين، مدح غيره حتى لا يقدح فيه — فالكلمة النابية أسيوية . والكلمة الطيبة عطية

ولا يجيز لمن عثر على ورقة فيها « أحاديث » أن ينسخ منها الا باذن صاحبها طلبا للأدب من المستأذن وحفظا لحقوق الاذن .. ويسمو بالعطاء عن ان يكون نهبة ، أو استخفافا بالنعمة او بالآخذين ، أو ابتذالا للتحية أو الهبة. فلا يجيز أن ينثر الجوز على الصبيان وانما يرى ان يقسم بينهم ويقول « كان طلحة والزبير يكرهان النثر في كل شيء » وكانا أسخى الاسخياء وأغنى الاغنياء .

ويمر بمعلم يجلس في الظلال وتلاميذه في الشمس ، فلا يراجعه امام تلاميذه بل يعود اليه بالليل ليقول له « جزت عليك وأنت تحدث الناس في الفيء وهم في الشمس . اذا تحدث فاقعد مع الناس »

ولما سأله تلميذ يحب العطور : أتوضأ بماء الباقلا ؟ قال ما أحب ذلك . فسأله : أتوضأ بماء الورد ؟ قال ما أحب ذلك . فلما قام تعلق احمد بثوبه وقال « ايش تقول اذا دخلت المسجد ؟ ايش تقول اذا خرجت من المسجد »

فاذا أراد القيام من المجلس قال لاصحابه « اذا شئتم » وهو تعبير عصري أبدا يتداوله الفرنسيون الآن .

S'il vous plait

واذا ودع صاحبه قام معه ، وعلمه قول الشعبي « من تمام زيارة الزائر ان تمشي معه الى باب الدار وتأخذ بركابه»

والاخذ بركاب الزائر فروسية أرقى وأرق من ان يلبس صاحب الدار شبيه معطفه في أيامنا هذه في باريس ولندرة وربما في القاهرة .

وكان الاشياخ يهابونه . فلا يمزحون في حضوره — وهو علم على التمسك بالدين — حتى لينسب الى صفةالحنبلي» كل تشدد اسلامي . ولكن هذا التمسك لا يتنافى مع السماحة العليا في الفكر او في الفعل الصادر عن اصول احمد والتي تنطق بكثير منها الفاجأة الشهيرة بينه وبين خلف بن هشام البزاز رضى الله عنهما .

دخل أحمد وصحبه على خلف بن هشام البزاز يطلبون حديثه . وفاجأهم بين يدي المحدث قنينة نبيذ . وأحمد هو القائل « لو كان في الرجل مائة خصلة ، وكان يشرب الخمر محتها كلها » ويصف خلف الموقف فيقول .. « واقبل أحمد يسألني . وحول ظهره الى القنينة .. ولما أراد الانصراف — من بين القوم كلهم — سألته : أى شيء تقول في هذا ؟ — يقصد القنينة — قال: ليس ذاك الي . ذاك اليك . فقلت كيف ؟ قال : **قال النبي صلى الله عليه وسلم : كلكم راع . وكلكم مسئول عن رعيته . والرجل راع في منزله ومسئول عما فيه . وليس للخارج أن يغير على الداخل شيئا »** ويضيف خلف : فلما

أحمد ابن حنبل

خرج سكت طابتين وعاهدت الله أن على الا اذوقه حتى أعرض على الله عز وجل .

وتأويل أهل العراق في النبيذ معروف .. يقول فيهم احمد « **هذه زلات لهم .. لا تسقط بزلاتهم عدالتهم** »

***

واحمد صاحب المسند الاعظم . انتقى فيه الاثنين الف حديث من نحو ثلاثة ارباع مليون وكان يقول : صاحب الحديث عندنا من يعمل به . وهو بهذا كان يعمل بكل سنة رواها . فهو — لا جرم — كان أقرب الناس بعمله الى الرسول عليه السلام وهديه . ولهذا قال فيه زميل له « يخيل اليك أن الشريعة لوح بين عينيه »

ومن هدى الرسول نشأ احمد على الزهد ليكون على مر العصور امام الزاهدين ، واليهم ينتسب التصوف السنى البعيد عن الفلسفة الهندية او الفارسية أو الافريقية او الافلاطونية المحدثة . فالائمة لا يقبلون من احد شيئا يخالف الشريعة وأن مشى على الماء. وبالزهد الصحيح رضى احمد بالكفاف وقاسم الناس كفافه

يأدم بالخل او يشترى بدرهم شحما فيأكل منه شهرا . فاذا استيسر له الامر فهو يشترى بطيخة ليأكلها بخبز او يشترى عنبا أو تمرا . وربما أخذ الكسر فصيرها في قصعة وصب عليها الماء واضاف اليها الملح وأكل وكان يقول « **ما اعدل بالفقر شيئا انى افرح اذا لم يكن عندى شىء** »

وبالزهد بلغ أعظم مراتب القوة : رأى الأمير طعامه . وهو رغيفان وخيارة . فقال « هذا لا يجيبنا اذا كان هذا يشبعه »

واحمد زعيم الفلسفة القائلة بطاعة ولى الامر ما اقام الصلاة . وهو مع ذلك يقول « الدنيا » داء . والسلطان داء . والعالم طبيب واذا رايت الطبيب يجر الداء لنفسه فاحذره »

وبهذا عف احمد عن جراية الخلفاء على العلماء . حتى ليرفض نسمات الهواء تجيئه من طريق اموال الخليفة — وهو يموت — اذ راح غلام لعمه يروح عليه ؛ لان عمه اشترى هذا الغلام من مال الخليفة . وكان قد نهاه ونهى أولاده عن أخذ هذا العطاء .

وعمل احمد بيده ليقتات . والتقط الحب . وكرى نفسه مع الحمالين . ونسخ لغيره أوراقا . وكان يأمر تلاميذه من المالكين أن يلزموا ضياعهم فيعملوا فيها . ومن حبه للوراقة ونسخ الاوراق كان يقول عن تلميذه — وخليفته في الحلقة — عبد الوهاب الوراق : عبد الوهاب أطيب طعمة من غيره . يقصد عمله في الوراقة . ويقول لعبد الوهاب: لو كنت صانعا بيدى شيئا لصنعت صنعتك .

والصناعة انشاء وابداع يضيف الجديد للدنيا . ومن أجل ذلك — كما يقول ابراهيم النخعى أستاذ مدرسة الكوفة التى نبغ فيها أبو حنيفة — كان الصانع بيده أحب اليهم من التاجر . وكان التاجر احب اليهم من البطالة .

● الفقر اشرف من الغنى ●

وأضاف احمد الى الرضا والقناعة فضيلة الصبر . فاستشعر الغنى واستعذب الصبر . وفى الصبر قوله « الفقر عناء . والصبر عليه منزلة لا ينالها الا الاكابر » وقوله « الفقر اشرف من الغنى فان للصبر عليه مرارة » ويقول « ذكر الله تعالى الصبر فى

القرآن في نحو من تسعين موضعا . وهو واجب باجماع الامة . فان الايمان نصفان . نصف صبر . ونصف شكر »
ولما قدر احمد على نفسه بالزهد والصبر والشكر قدر على الدنيا

وكانت الرحمة نتاج هذه السجايا» فاسى فقهه رجع الصدى لاصوات الفقراء والمستضعفين ومنهم الجياع والذين لا مأوى لهم . والفقراء الموقوف عليهم . أو الاقربون . وتراءى فيه التشديد بالاستهتار واعلاء المكرمات . فهو يرى نفي المخنثين الى حيث لا يحدثون الفساد.

ويسأل عن لباس الجارية كالرجال فيقول : اكرهه جدا . ويغلظ الحد في رمضان على شارب الخمر . ومن اقوال مذهبه أن الغيبة والنميمة تفطران الصائم — ويكره البيع والشراء في المسجد . ويرى عدم أكل طعام المرابين . ولا يشترى الطعام من متنافسين متشاحين . ويغفر الشك ضد مصلحته . ويقاسم الكلب طعامه .

● امام أهل السنة ●

هكذا كان احمد شديدا في حق نفسه رءوفا بالمسلمين . شديدا في حقوق الله. رحيما في شئون البشر . وبهذا جمعت «الحنبلية» بين الشدة المتعبدة . والرحمة التي لا ضريب لها . وكان زهده في عرض هذه الدنيا « طريقة حياته » — لكن « مهمة حياته » كانت جمع السنة من كل مكان مخافة أن تضيع بضياع الحفاظ. ولم يكن ثمة الا مدونات قليلة تسع احاديث كثيرة أو قليلة ، فبلغ احمد بدأبه على جمع السنن ان دون «المسند الاعظم » ، فاعتمدت عليه كتب الحديث

جميعها . دعك من أن البخارى ومسلم صاحبى « الصحيحين » هما تلميذان في حلقته . وثالثهما ابو داود السجستاني وهؤلاء الثلاثة من رواته المباشرين والترمذى والنسائي وابن ماجة برواقفير مباشرين . فالستة اصحاب « الكتب الستة » المشهورة في السنة تلاميذ في مدرسة احمد وان كانوا اشياخا لسائر المحدثين .

● مدرسة الاصلاح في الاسلام ●

أما « غاية الحياة » عند احمد فهى غاية الحياة عند الائمة الثلاثة الذين سبقوه « وفي هذه الغاية بلغ احمد النهاية .. ان كان تلميذ الشافعي ، وكان الشافعي تلميذ مالك . وكان الشافعي قد جمع علم أبي حنيفة الى علم مالك ، فاجتمع لاحمد من تلمذته ، وتأخر عصره علم السابقين . وعرض احمد كل علم حصله على آيات الكتاب وسنن الرسول وآثار صحبه وصير قول الصحابة أو عملهم اصلا في مذهبه ، واحتفل بآراء التابعين لهم ، فصارت اقوالا في مذهبه. وبهذا اتسعت المصادر الفقهية للمذهب وارتبطت ارتباطا مباشرا بعمل الرسول وصحبه ، أي بالسنن والآثار — ولا يكاد يعرض للمسلمين امر الا عرض للصحابة والتابعين مثله أو ما يقاس عليه — ومن هذين الاتساع والارتباط بلغ احمد بفقهه غاية الشريعة من اليسر والرحمة. والله تعالى يقول « **محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم** » والرسول عليه الصلاة والسلام يقول عن شريعته « انما انا رحمة مهداة » .
وانضافت الى ذلك كله امامة احمد في الزهد وفي العمل في سبيل الله يوم طلب في الدفاع عن القرآن والسنة فوق ماطلب الائمة السابقون مجتمعين ، واصبح عند المسلمين « أشهر الائمة بامامة أهل السنة »

واصبح مذهبه مدرسة الاصلاح في الاسلام . وحسبك من تلاميذ احمد : ابن تيمية العظيم ، وتلميذ ابن تيمية محمد بن عبد الوهاب الذى أحيا جزيرة العرب في عهد يكاد يشبه الجاهلية الاولى .

والمملكة السعودية بما تقربه للمسلمين وللعالم في هذا العصر من مثل حضارى رائع انما هي دليل على اقتدار مذهب أحمد بن حنبل لاحداث الاصلاح — وكلما حزبت المسلمين العظائم ولوا وجوههم تلقاء احمد يبتغون الوسيلة في مذهبه وطريقة حياته . أو ليست الطريقة القاصدة هي العودة الى الدين والتمسك البصير بالقيم الحقيقية فيه أى بالتزام حقائق الشريعة؟

وآية ذلك أن مصر عندما عزمت على أن تصحح الأوضاع بدستورها الصادر في سنة ١٩٧١ نصت على أن الشريعة الاسلامية مصدر رئيسي للتشريع ؟

وحسبنا دليلا على صحة ذلك النظر لاصلاح الدنيا أن نقتصر على أمثال من خصائص فقه أحمد بن حنبل كفيلة بأن ترفع أعلى صروح التقدم العالمي . والحرية والرحمة في الطليعة من هذه الخصائص

١ — هو يعلن الحرية الفكرية ويوجب الاجتهاد . وينهى عن التقليد . ولا يتصور فقيها الا مجتهدا يقول « لاتقلدني ولا تقلد مالكا ولا الاوزاعي ولا غيرهما . وخذ الاحكام من حيث أخذوا » .

والاجتهاد أداة ديناميكية لاحداث التطور ولمواجهة تغير الزمان وللحفاظ على مقاصد الاسلام .

والحق أن الاجتهاد فرع من فروع الحرية الشخصية والفكرية — بل الدينية — ولهذا أمر الله به — وأمر الرسول به أصحابه . فاجتهدوا في حضوره وفي غيابه ولايزال الاجتهاد علما يرفعه فقهاء الاسلام .

٢ — وهو يعلن الحرية القانونية آخذا بحديث الرسول « المسلمون عند شروطهم الا شرطا حرم حلالا او أحل حراما » فيبيح للناس أن يتشارطوا كل المشارطات وأن يعقدوا كل العقود التي يرون فيها مصلحة لهم ما لم ينه الشرع عنها . وبهذا الاصل أصبحت « حرية التعاقد » في القرن التاسع الميلادي أصلا في دنيا القانون ، في حين أن أوربا لم تعرف هذا الاصل الا في القرن التاسع عشر .. وبعد قيام الثورة الفرنسية !

وهذا الاصل « الحنبلي » العظيم هو الذي يطوع لنا الآن أن نستعمل وسائل الفقه الحنبلي في كل تقنين عصري .

٣ — وهو يجيز للزوجة أن تشترط شروطها في عقد الزواج مثل أن تشترط الا تسافر مع الزوج اذا سافر أو الا تنتقل من دارها أو لا يفرق بينها وبين أبويها أو أولادها ، أو الا يتزوج عليها .. أي يجيز لكل من الزوجين أن يشترط شروطه .

وابن تيمية يقول انه لا فرق بين اشتراطها واشتراطه . بل انه يرى شرطها أحق بالوفاء لأن الرجل يملك التخلص بالطلاق وهي لا تملكه .

ومدرسة أحمد لا تكتفي بالزام الزوج بالنفقة ، ومنها تقديم خادم ، ان كانت الزوجة ممن يخدم وكان الزوج موسرا . بل هي تترقى في أسباب الرقي الفكري فتقرر للزوجة حق التزام زوجها بنفقة « مؤنسة » لها اذا دعت حاجتها الى ذلك .

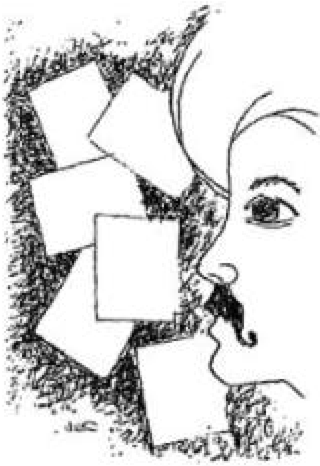
٤ — وللأم في حياة أحمد المكان الاول فهي التي قدمته هدية غالية للوجود ، منذ مات أبوه وهو طفل فربته أمه . وكذلك كان لها في فقهه أعلى مكان : فاذا دعت الأم ابنها وهو يصلي — صلاة تطوع — حق عليه أن يجيبها من صلاته . واذا اراد ابن أن يحج عن أبويه فليبدأ بالأم الا أن يكون الاب قد وجب عليه الحج . واستئذانها في الخروج لطلب العلم واجب الا اذا كان الابن لا يدري التطهر والصلاة فعندئذ له أن يخرج لطلب العلم بدون على رغم حاجتها لبقائه . وان كان قد عرف التطهر والصلاة فالمقام على الأم أحب عنده . ولما سئل يوما عن طاعة الوالدين في الشبهة أجاب « ما أحسن أن يداريهم » .

***

والمذهب من الناحية الاجتماعية في الطليعة كذلك :

١ — فهو أوسع المذاهب في نفقات الاقارب . فالقرابة — أيا كانت — توجب النفقة على كل من الفقير والعاجز . فهي واجبة على المولود لوالديه وان علا

أحمد
ابن حنبل



« الاجداد » وعلى الوالد لولده وان نزل « الاحفاد » . ولا فرق عند الحنابلة بين وارث بفرض أو تعصيب وبين ذوى رحم، ولو كان الاقرب معسرا والابعد موسرا وجبت النفقة على الابعد الموسر ولو حجبه الاب . وكذلك نفقة المحتاج من غير الاصول والفروع تجب على وارثه .

والقربى اقرب الاسباب للبر ، وأمثلها في تحمل تبعات الاقرباء .

٢ — والتكافل الاجتماعي عند أحمد درجة عليا لم يبلغها اى فقه ! مثل أن يوجب الحكم بالتعويض « الدية » على من يمتنع عن اطعام جائع حتى مات جوعا — وكأنه قتله — ويوجب اسكان من لا مأوى له عند من لديه براح . ويوجب أن تدفع الزكاة في مصارفها الواجبة كمثل ما تدفع الاموال العامة لمستحقيها . ويوجب على صاحب المال بذله مجانا لمن اضطر للانتفاع به مع بقاء عينه .

٣ — واذا كانت النظريات الاجتماعية تجرى على مجلتين : الأولى النظرية العلمية والثانية طريقة الحياة .

فقد كانت حياة أحمد مثلا يهتدى به في تطبيق نظرياته .

لقد انعدمت رغبته في المال ، وكان معطاء . فهو لا يأخذ حقه طول حياته عند الخليفة وكان الوفا ، على مدار الحياة ، ولا يأخذ ما يرسله اليه الخليفة مع الوزراء وكان عشرات الالوف . بل يعمل بيده ويعيش عيشة المتقشفين . ويواسى من قوته . فهو خير الناس . عناه الرسول عليه الصلاة والسلام يوم سئل عن خير الناس فقال « مؤمن فقير يعطى جهده » .. واى عطاء كان عطاء أحمد بن حنبل : كل ما يملك او نصف ما يملك جذع شجرة . أو اربعة دراهم او نصف ما في داره من ارغفة .. او قطعة صغيرة جدا من نقود يساوم الناس عليها من استخدامها بخمسين درهما فيقول لهم ذلك المستجدى انى لا ارجو منها مثل ما ترجون .

٤ — والملكيــة في فكر احمد هى الحريات : يسأل احمد عن الرجل الذى يملك مائة دينار . ايكون زاهدا ؟ فيجيب — وهو الذى يعيش من غلة ميراث لا تتجاوز دينارا واحدا في الشهر ، واذا احتاج عمل بيده — ويقول : نعم ، على شريطة انها اذا زادت لم يفرح واذا نقصت لم يحزن . وهو بهذا الجواب يمسك الميزان بين الغنى والفقير . فالمال الذى يجيء من حله وينفق في محله هو الحلال . لكن احمد يشترط على صاحب المال فوق ذلك الا يكون عبدا للمال فيفرح به أو يجزع لنقصه . ولن تتوفر لصاحب المال هذه الخلال الا ان يقوم بحقه . وما هو الا الانفاق الذى أمره الله به أو دعاه له .

فالحرية في الغنى عند احمد حرية اسلامية وليست ثورة وثنية كمثل ما كان الشأن عند الرومان واليونان وابنائهم الفكريين في اوربا وأمريكا .

● بداية ظهور التصوف ●

عاش احمد عصر الرشيد وبنيه او عصر الاموال وردود الافعال العظيمة . فكان العصر حقيقا بان يقول الرجل الصالح فيه كلمته . وان يقف مواقفه ، دون

أحمد ابن حنبل

تكلف أو وجل . ومن الاعمال العظيمة ماقد يكون عملا عاديا فى يوميات دجل.

والى ذلك العصر ترد اساطير الترف او بشريات التلف » الذى دمر الدولة العباسية وانتقلت العدوى منهما الى المجتمع .

وما اساطير الف ليلة وليلة الا اساطير فارسية ترجمت الى العربية فلم يجد الناس مصداقا لها مثل ذلك العصر ، فالتصقت به حيث السيطرة من الجوارى على القصور والقلوب وغرف الخلفاء والوزراء والدهاقين وارباب الحظوة ؛بل كانت مدرسة ابراهيم الموصلى — صفى الخلفاء وابو سفيهم اسحاق مخصصة لتدريبهن على كل فنونهن .

وانحرف بنو العباس بالدولة الدينية الاصول عن سبيل القصد والصحة الفكرية والنفسية الى التعاظم المتكلف والتعاجم الاجوف . وسرت النار الفساد الى المجتمع العلمى من تنازع العناصر وتدهور الاخلاق . فلم يبق ميدان جدل بل صار ميدان معارك . وفسد الناس وفيهم العلماء .. !

وكان طبيعيا أن يظهر التصوف فى هذا العصر ، علامة على رفض طريقة الثروات فى المجتمع وان يرفع احمد بن حنبل شعاره الخالد : ماقل من الدنيا كان اقل للحساب .

وكان طبيعيا كذلك ان يضرب أحمد نفسه مثلا فى العمل لا فى مجرد التصيح بالاقوال او فى تلقيه الناس فى القانون او فى الدين او فى الاقتصار على الزهد. فاذا بنا نراه محاربا بالفعل يرابط فى طرسوس — اخر ثغور الاسلام فى شمال الشام — لصد غارات الروم فهذا ديدن

العلماء الصادقين من عهد الصحابة انفسهم ، الى يتبعهم الى عبد الله بن المبارك الى محمد بن الحسن . الى الأمام الشافعى الى احمد بن حنبل .. ومن ابن حنبل الى تلاميذه الفكريين وفى طليعتهم ابن تيمية

وفى العصر ذاته كانت تيارات فكرية آتية تجوب الآفاق لمقاومة الاسلام ولنقل الدولة من العرب الى الفرس فكتب لها النجاح — المبدئى — بنقل الدولة الى بنى العباس مع فرص التفرد الفارسى عليها. وتلاقت التيارات فى محيط الحرية الفكرية التى تتيحها العقيدة الاسلامية والدولة مع الترجمات المتدفقة فى عصر الرشيد وبنيه بمواريث العصور من خلافات اليهود والمسيحيين ووثنية الاغريق وزندقة الفرس . وانتشرت المجانة والاستخفاف : فتزندق البعض ظرافة او خلاعة حتى لنقرأ قول الشاعر لذلك العهد :

تزندق الظاهر باللطف فى
باطن اسلام فتى عف
لست بزنديق ولكنما
أردت ان توسم بالظرف

وتذاع اشعار ابى نواس لتقرع الاسماع ومنها بيت واحد يجمع آفات عصره

فاسقنيها . ولحن صونا
لك المنى اعجب .

● موقف ابن حنبل من المعتزلة ●

والمأمون فيلسوف عصره : لا يريد ان يلحقه فى العلم أحد.ومن ذلك يطلب الى زعماء المعتزلة ان يجيئوا اليه فى « مرو » ليعلموه الاعتزال قبل ان يدخل بغداد بعد أن قتلت جيوشه فيها اخاه الأمين. حتى اذا دخل بغداد قرب رجال الاعتزال فاسيحوا فى بطانته والمعتزلة يخالفون المحدثين فى الطريقة لفهم النصوص اذ هم يؤولون بعضها ويكثرون القال فى القضاء والقدر ويقولون ان الله خالق كل شيء فالقرآن «مخلوق » . والمحدثون لا يؤولون

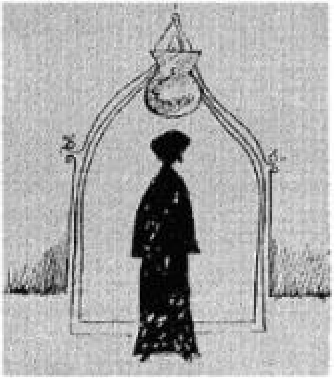
النصوص ولا يفتحون الابواب بغير تحرج للجدل الديني .

ونحن الآن عليمون بأن المسائل التي اثارها المعتزلة قد أثار مثلها اليهود والمسيحيون من قبل الاسلام وانتقلت المشكلات فيها الى المجتمع الاسلامي : وكان من الحكمة عدم الاستدراج اليها فماهي الا سفسطات بين الناس . درست على الزمان . واثبت التاريخ انها كانت مضيعة .

مضت السنون على المأمون وهو لا يتعرض لمسائل العلم الا في حلقات قصره حتى اذا كانت السنوات الاخيرة من عمره ؛ آذن حكمه بختام عسكرى مثلما بدأ ؛

فهو يقود جيوشه بنفسه للقاء الروم في طرسوس ثم لاخماد الثورة « ثورة العرب » في مصر ؛ ثم يرتد بجيوشه الى ميادين القتال في الشام لا يهدأ ولا يهنأ

فلما دخلت سنة ٢١٨ وهو بميدان القتال بالشام — كان يخشى أن تصبح أيامه معدودات — فأراد أن يفرض رأى المعتزلة على « المحدثين » وهم كل الأمة الا قليلين جدا هم المعتزلة . فأصدر أوامره الى نوابه في الاقاليم الاسلامية بأن يأمروا العلماء بأن يقروا « ان القران مخلوق » وأن يفصلوا القضاة ويحرموا



العلماء الذين لا يوافقون رأيه فعشمروا واجاب العلماء — من الهلع — . الا أحمد ابن حنبل .

وامر المأمون بارساله اليه ليقتله بيده .. واصر احمد على موقفه . فحمل الى شمال الشام . حتى اذا دخل مدينة أطنة ؛ قريبا من مقر القيادة ، مات المأمون قبل ان تمتد يده الى أحمد بن حنبل .

● مسئولية العالم تجاه الناس ●

وكان من عناده فدارس اخاه المعتصم بأن يلاحق احمد بن حنبل . فبقى في السجن عاما بعد عام ثم جيء به الى مجلس المعتصم للمحاكمة .بنفسه والقاضي القضاة من زعماء المعتزلة ، فكان يفسر القران بالقران وبالحديث فتهرهم ؛ فانطلقوا يشتمون ، ويحرضون عليه الخليفة . والخليفة يرجوه ليقول كلمة فيها « أدنى فرج له » . وعمه يرجوه ان يستعمل « التقية » « اتقاء الاذى تحت الاكراه يجيز الاقرار بغير مايعتقده المرء — لكنه كان يرى أن العالم مسئول أن يعلم الناس بالفعل وبالمواقف قبل أن يعلمهم بالقول او في المجالس .

تملق أحمد بالعقابين وأخذ الجلادون يضربونه حتى اغمى عليه ثم داسوا عليه .. ثم خلى سبيله . ليعيش سنين يلي الحكم بعدها المتوكل ليبطل البدعة التي فرضها المأمون على الناس ويتشفع الى الامة بتقريب أحمد بن حنبل والاغداق

عليه بالمال فرفض احمد اي مال . وطلب المتوكل اليه الرسالة بتعليم ولى عهده فيطلب احمد أن يعفيه ... ويبقى احمد في داره وآثار الضرب في كتفه توجعه حتى يموت اماما للمسلمين في العلم وفي العمل به .

وحمى موقفه احمد المسلمين من أن تفتح الأبواب التي انفتحت نظائرها فيما بعد بين المسيحيين فدمرت امبراطورية شارلمان وقسمت دول اوربا الحالية الى حدودها الحالية من أجل الانقسام الديني

عاطف
مصطفى

الاستشراق الحديث وأدبنا

حوار مع د. ياروسلاف ستيتكيفتش


د. ياروسلاف مستشرق امريكى

تستهوى الثقافة العربية والأدب العربى بشكل خاص كثيرا من المفكرين والعلماء والأدباء فى شتى بقاع الدنيا ، ولا عجب ، فقد اسهم الفكر العربى اسهاما عظيما فى تنمية الفكر الأوروبى ، واستفاد علماء الغرب ومفكروه بالكثير من النظريات والفلسفات التى وضعها ابن رشد ، والفارابى ، وابن سينا ، وجابر ابن حيان ، وابو العلاء المعرى وغيرهم من علماء العرب وفلاسفتهم ومفكريهم .

واحد الذين بهرتهم الثقافة العربية فكرس حياته من اجل معرفة اسرارها ، والاستزادة من مكنون اسرارها الدكتور ياروسلاف ستيتكيفتش ، وموطنه الاصلى اوكرانيا ، وهو الآن مواطن امريكى درس الأدب العربى فى معهد الدراسات الاسلامية بمدريد ، ونهل من الثقافة العربية بجامعة مدريد ، واختار اسبانيا ـ على حد قوله ـ دون غيرها من البلاد لانها ملتقى الحضارات العربية الخالدة ، مع الحضارات الغربية قديمها وحديثها .

العــــرب

الأستاذ بجامعة شيكاغو

كان من الطبيعي أن يقرأ كتب المستشرقين المهتمين بالادب العربي وخاصة كريمسكي .. وبدأ اهتمامه وشغفه بالشعر العربي القديم ، فقرأ لامرىء القيس وطرفة بن العبد ، وذي الرمة، ولبيد، وزاد اعجابه بالشعراء الصعاليك ومنهم زعيمهم عروة بن الورد والشنفرى وتأبط شرا وقد اعجب بلامية العرب من الشعر العربي القديم للشنفرى والتي يقول فيها .

اديم مطال الجوع حتى اميته
واضرب عنه الذكر صفحا فاذهل
واستف ترب الارض كيلا يرى له
علي من الطول امرؤ متطول
ولولا اجتناب الذام لم يبق مشرب
يعاش به الا لدى ومأكل
ولكن نفسا حرة لا تقيم بي
على الضيم الا ريثما اتحول

وكذلك مازال يذكر الابيات الجميلة التي يصور فيها عروة بن الورد كرمه تصويرا رائعا على حظ كبير من الانسانية ومشاركته الفقراء له في اناته ، واكتفاءه بالماء القراح أيام الشتاء الباردة ليوفر لهم طعامهم ، بل يراه تقسيما لجسمه في أجسامهم حتى أصبح هزيلا شاحبا ، يقول عروة ابن الورد في هذه الابيات :

انى امرؤ عافى انائى شركة
وانت امرؤ عافى اناءك واحد
اتهزأ منى ان سمنت وقد ترى
بجسمى مس الحق ، والحق جاهد
اقسم جسمى فى جسوم كثيرة
واحسو قراح الماء ، والماء بارد
وعن رحلة د . باروسلاف الطويلة
فى حبه للغة العربية وادابها يقول

● بدأت بقراءاتي في الادب العربي المترجم الى اللغات الاوربية أثناء دراستي الثانوية في أوكرانيا قبل ذهابي الى أمريكا .. ولما انتهيت من دراستي الثانوية تركت اوكرانيا الى اوروبا الغربية ومنها الى اسبانيا ، وهناك بدأت دراستي الجامعية ، وخاصة دراسة وتعلم اللغة العربية لانني حرصت على معرفة كل ماقرأته في صباي .. أردت معرفته بلغته الاصلية .. وكانت اسبانيا هي مستقرى لما لها من اتصال تاريخي وثقافي بين الثقافتين العربية والاوربية وقد اتيح لي معرفة الاصل والترجمة في هذا البلد الذي تأثر بالثقافة العربية وحضارة العرب التي ستظل باقية .

والتحقت بجامعة مدريد سنة ١٩٥١ .. وفي الوقت نفسه التحقت بمعهد الدراسات الاسلامية ، وهو معهد مصري ، وكان مديره الدكتور حسين مؤنس الذي ساعدني كثيرا .. وفي

جامعة مدريد ومعهد الدراســـات الاسلامية تعلمت اللغة والادب، وبدأت احقق ذاتي من خلال دراساتي هــذه ·· وحصلت على الماجستير في اللغة والادب العربي الحديث ·· وتناولت بتركيز خاص المسرح العربي الحــديث

كاهم مظهر من مظاهر الحياة الادبيــة في العالم العربي الحديث · وقد لفت نظري في مصر بشــكل خاص مسرح توفيق الحكيم ·· وقد اخــذت توفيق الحــكيم كنموذج لكتاب المسرح في العالم العــربي وركزت دراستي في مؤلفاته المسرحية ، وفي مقـــالاته ،

وآرائه الفنية والجمالية ، والثقافية· وقد كتبت عنه خمسا وسبعين صفحة من حجم الرسالة البالغعدد صفحاتها مائة وخمس وثمانين صفحة تقريبا ·

وتناولت في الرســـــالة العرض التاريخي للمسرح العربي ابتداء من مارون نقاش ويعقوب صنوع وعثمان

جلال ومحمود تيمور ·· وكتبت عن نجيب الريحاني من ناحية مقدرته الفذة في التمثيل والاخـــراج والتاليف ··

وقد كان الريحاني شخصية مشـــهود لها بالذكاء المفرط ·

● **على ضوء دراستك في المسرح العربي ما هي انطباعاتك التي خرجت بها خاصة عن توفيق الحكيم ؟**

– لقد توصلت الى أن توفيق الحكيم كان يريد التاليف للمسرح كاديب ··

وتوفيق الحـــــكيم كتب في مراحله المتقدمة للمسرح كاحسن ما يكون ·· وقد يرى توفيق الحكيم أن هـــــذا لا يصلح للتمثيل ·· ولكن بدون شك

كانت كتاباته المسرحية كاحسن مايقدم على خشبة المسرح والاهم من هـــذا وذاك انني التقيت بتوفيق الحكيم قبل أن انتهي من كتابة الفصل الخاصبه

في رسالتي للماجستير ، وقد حدثني عن مسرحه كثيرا ، وكان اكثــر من

رائع في عونه الادبي لي ·· واعتبره أستاذي وصديقي في مصر ··

● **كم سنة استغرقتها دراســتك للمسرح العربي ، وهل وجــــدت**

صعوبات من حيث المراجع ، ومعرفة الخصائص الفنية للغة العربية ؟

– استمرت دراستيلمدة سبعسنوات ابتداء منسنة ١٩٥١ حتى سنة ١٩٥٧

·· ومن الحق القـــــول بانه في تلك السنوات لم يكن من السهل جمع كل

المراجع لان الادب العربي الحديثفي الجامعات الاوربية كان شيئا جديدا حتى اوائل الخمسينات وكنت من الرواد في هذا الجانب ·· ولم تصـــادفني

اية صعوبات لانني اجدت قراءة اللغة العربية وعرفت الكثير عنها · وانوه بأن الدراسات العربية في الجامعات الاوربية على مستوى مقبول ولا اغالي

اذا قلت انها على مستوى عال ، ويقبل عليها طلبة العلوم اللغوية بشـــكل

واضح لما في اللغة العربية من سحر يشجع على الاستزادة منها وتعلمها

وقد ناقش الرسالة أساتذة أسبان ، وقد كتبت باللغة الاسبانية · ونشرت

الاستشراق الحديث



د . ياروســلاف في لقاء مع الاســتاذ صالح جــودت رئيس تحرير الهــلال ..

منها مقالين بمجلة معهد الدراسات الاسلامية المصرى بمدريد باللغـة الاسبانية وكتبت ملخصـا للمقالين باللغة العربية ..

● الم تفكر فى المجىء الى مصر لاستكمال دراسـتك للدكتوراة ، خاصـة وانك تركز فى كل دراساتك الادبية على المسرحيين والشـعراء المصريين دون غيرهم ؟

ـ حضرت الى مصر بالفعل سـنة ١٩٥٧ فور حصـولى على الماجستير من جامعة مدريد بأسبانيا ، والتحقت بكلية الآداب جامعة القاهرة بقسـم اللغة العربية لمدة سنة دراسـية ، وكنت أود أن أكمل دراساتى فى الادب العربى لا سيما الحديث منه على أن أختار أى موضوع لرسالة الدكتوراة بجامعة القـاهرة .. ولكن لظروف خاصة كان من الضرورى أن أرجع الى اسبانيا بعد تلك السـنة الاولى على الرغم من اننى وددت أن أبقى بمصر مدة أطول .. وقد سافرت من أسبانيا الى أمريكا بعد بضعة شهور من رجوعى من مصر ..

و وانطباعى عن السنة التى قضيتها بكلية الآداب غير الكثير من معرفتى للثقافة فى مصر .. فقد كنت حريصـا على حضـور كل المحاضرات وكانت هذه السنة التى حضرت فيها الىمصر فى آخر سنة يحاضر فيها عميد الادب العربى الدكتور طه حسين بقسماللغة العربية وقد حضرت جميع محاضراته .. وكذا الدكتـور شـوقى ضيف والدكتورة سهير القلماوى والدكتـور عبد الحميد يونس ورأيت كثيرا من المسرحيات التى عرضت فى تلك الفترة وقرأت الكثير من الكتب .. وتأملت فىالحياة الادبية والاجتماعية ، وقرأت روايات نجيب محفوظ التى الفها حتى سـنة ١٩٥٨ ، وكانت أعظم فائدة جنيتها من بقائى فى مصر لمدة عـام

الاستشراق الحديث

كامل ، واستطيع القـــول بانني كنت طالبا بمعنى الكلمة طوال هذا العام وانا بمصر .

● رسالتك للدكتوراة عن « لغـة الشعر في الادب العربي الحديث » ·· لا شك انها موضوع شـيق وطريف وجديد بالنسبة للمستشرقين ·· كيف عالجت هذا الموضوع باتجـــاهاته الكثيرة المتشعبة ؟

ــ سافرت الى أمريكا سـنة ١٩٥٩ وحصلت على الدكتوراه من جامعـــة هارفارد بولاية ماساتشوستش والمدة التى أعددت فيها الدكتوراة استمرت ثلاث سنوات حتى سـنة ١٩٦٢ ·· واستطعت انهاء دراستى فى فتـرة قياسية وذلك لانني كنت مســتعدا بدراساتي السابقة التى كانت عميقة· وقد تناولت الشعر الحديث فى أهم وابرز الظواهر التى لهـــا تأثير فى تاريخ تطور لغة الشعر ، ومنها :

ــ دراسة عن أهم التطورات اللغوية بالنسبة للغة الشـعر بالمعنى الادبى البحت .

ــ تناولت ــ كموضــوع ــ الاسس الجمالية التى يستمد منها الشــعر المعاصر قيمه وسماته الفنية الحديثة، وأثبت الفروق الهامة بين الفلســـفة الجمالية فى المضمون من جهـة وفى الشكل من جهة أخرى·· أعنى فى كل عناصر الاسلوب ، لان التفــرقة بين الشكل والمضمون تفرقة نظرية محضة ثم أثبت بعناية الفروق بين الشـعر القديم والشـعر الحديث فى القضايا والسمات الجمالية ·

ــ عرضت لنمــــاذج من المدارس والاتجاهات الحديثة منذ القرن التاسع عشر حتى المدرسة الرومانسية وقـد كتبت عن البارودى وشـوقى وحافظ ومطران ·

ــ لقد ركزت بعناية على مدرسة ابوللو بالذات لانها شملت شــعراء كثيرين لهم ميزات فنية رفيعة كمـا يشتهرون بالانسجام والتقارب والتآلف الروحى ·· ومن شـعرائها ابراهيم ناجى ، على محمود طه ، صـــالح جودت ، أبو القاسم الشابى ، ولولا مدرسة ابوللو ما ظهرت هذه الوفرة من الشعراء الممتازين · وقد وجدت أن الشعراء الرومانسيين تتميز اشعارهم بموسيقى اللغة ، وبالقدرة على ابراز عبقريتها فى التصوير وشتى نواحى التعبير الشعرى الرفيع ذى الطـــابع الانفعالى الصادق على حين أن ارباب المدرسة الكلاسيكية كانوا من الشكليين وليسوا من الانفعاليين ·

وبالطبع تناولت شـــعراء المهجر وبالذات جبران خليـــل جبران ، وميخائيل نعيمة ، وايليا أبو ماضى·· وقد أعجبت كثيرا بهذا الاخير لا سيما فى أشعاره الفلسفية التأملية لبساطتها ونبلها وطهرها وقدرتها على دفـــع



نجيب محفوظ : اعجاب بروائعه القصصية ... توفيق الحكيم استاذا وصديقا

الانسان على درب الحيـــاة قويا ومستريحا ..

وكان اهتمـــامي مركـــزا على الاساليب الشاعرية فى الشعر العربى المعاصر ، ومميزات اللغة الشعرية فى كل تلك المدارس والاتجاهات .. ورغم تناولي للعديد من الشعراء من كافة المدارس المتباينة ، فانني لم ارد ان استعرض تطور الشعر العربي الحديث من الناحية التاريخية لانني أرى الادب ظاهرة خاصة ، وليس مرتبطا بالمعاني أو المفاهيم التاريخية التى تعرفها من التاريخ السياسي والتاريخ الاجتماعي بالمعنى العام ..

ـ وقد نوقشت الرسالة بجـــامعة هارفارد سنة ١٩٦٢ باللغة الانجليزية .. واعمل منذ ذلك الحين اســتاذا للادب العـــربي بجامعة شيكاغو ، وبعد انتهائي من رسالة الدكتوراه ، درست موضوعات مختلفة من الفــكر العربي الحديث ، ونقبت وبحثت في الادب العربي القديم الجاهلي وكذلك الاموى والعباسي .

وقد انتهيت من هذه الدراسات وأنا لا أفرق بين عصر وعصر ، ومدرســة ومدرسة .. بل أصبحت محبا للشعر وللادب العربي كــكل ، وبقى على أن انقل هذا الحب والاعجـــاب لتلاميذى ولكتبى التى اكتبها الان .

● العبء الملقى على عاتقك كبير ازاء طلبتك بجامعة شيكاغو من حيث توصيل هذه المفاهيم الجيدة عن اللغة العربية وادابهـا .. ما هو البرنامج الذى تحدده لطلبتك حتى يمكنهم أن يحصلوا على اكبر قسـط من الثقافة والالمام باللغة العربية وادابها ؟ .

ـ فى تدريسي لطلبتى بجــــامعة شيكاغو أهم ماالزمهم به هو كتابة اللغة العربية الفصحى ، لاننا لم نكن نتنبه الى هذه النقطة فى دراستنا للغـــة وللادب العربى ، ولا يمكن أن ندرس الادب العربي باللغات الاجنبية فقط ، ولا بد من كتابة اللغة العربية بأحرفها العربية ومناقشتها حتى ولو كان هذا على مســـتوى مدرسى حتى يتمرس الطلبة باجادتها .

وفى تدريس الادب العربي المتخصص أرشـــد طلبتى الى مناهج النحو ، وقراءة الادب العربي الحديث بمعناه الواســـع من رفاعة الطهطاوى حتى نجيب محفوظ .

وترسل البعثات الى البلاد العربية فى أطار العلاقات الثقافية ، ولابد أن يدرس الطالب المتخصص فى الادب العربى لمدة سنة واحدة وبشكل واضح فى مصر ..

وطلبة الدراسات العربية بجـــامعة شيكاغو لهم ناد خاص بهم التقى بهم فيه لمناقشة كل القضايا الخاصـــــة بالمشكلات اللغوية والنحوية ، وكـــذا متابعة كل الثقافات والاهتمــــامات الفكرية فى البلدان العربية ، وانوه

هنا بان الجامعات الامريكية ، وخاصة جامعة شيكاغو بها الوف الكتب التى تحمل كل امارات الفكر والادب فى البلاد العربية ، وبشكلخاص فى مصر التى يزدهر الفكر فيها ويأخذ دوره الطبيعى ٠

واذكر هنا أن طلبتى ظلوا يتابعون كل اخبار المعارك التى دارت فى اكتوبر ، وكان حماسهم وتعاطفهم متدفقا نحو القضية العربية ٠

● كتبت دراستك عن الشعر العربى ٠٠ هل لك اهتمامات ادبية اخرى ، وما هو انتاجك الادبى ؟

ـ اننى اتابع كل التيارات الفكرية والثقافية فى العالم العربى ، واحاول جاهدا أن اقرأ كل ما يكتبه الادباء والمفكرون العرب ، وخاصة ادباء مصر الذين اعرف الكثير منهم وتربطنى بهم أواصر المحبة والصداقة ٠٠ ولذا قرأت كثيرا من النتاج الفكرى المصرى من النثر والقصص وخاصة للاديب الكبير نجيب محفوظ ٠ اما استاذى وصديقى توفيق الحكيم فقد قرأت كل مسرحياته وقصصه ٠ وقد انتهيت من قراءاتى للدكتور طه حسين بعد قراءة « الايام » بانه ليس كروائى بل ان



علي محمود طه
رقة وشاعرية

اهميته الكبيرة فى ثقافته الواسعة ، ومؤلفاته النقدية العديدة التى اثرت الفكر العربى جميعه ، وجعلت د ٠ طه حسين واحدا من اكبر مفكرى الشرق العربى كله ٠

ولقد لفت نظرى ظاهرة ما يسمى بالشعر الحديث الذى اقرؤه فى هذه الايام، وانا غير متحمس لهذا الشعر ٠٠ ولا بد أن ننتظر لفترة طويلة لكى نرى النتيجة التى نجادل ونناقش من أجلها للوصول الى حكم قاطع فى هذا النوع من الشعر ، ولست متحمسا الى الحد الذى يدعيه هؤلاء الشعراء

اما عن انتاجى الادبى ، فهو كتاب عن « اللغة العربية اساليبها وتطوراتها » ٠٠ وكتاب تحت الطبع بعنوان « الشعر العربى ـ مسائل جمالية » وسيطبع هذا الكتاب فى شيكاغو ، وسوف انتهى من تاليف كتاب جديد عن « الشعر العربى الحديث » يضاف الى هذا رسالتى للدكتوراه عن الشعر العربى الحديث

ولقد ساعدتنى معرفتى بالعديد من اللغات فى التنقيب عن الفكر العربى

الاستشراق الحديث



البارودى : من رواد المدرسة الكلاسيكيــــة

فى كل مكان .. فانا أجيــد اثنتى عشرة لغة منها الانجليزية ـ العربية

ـ الفرنسية ـ الاركرانية ـ الاسبانية .. الخ ..

وسوف تتاح لى ذات يوم الفرصة لاكتب مؤلفاتى باللغــة العربية التى عشقتها منذ صغرى .

● فى زيارتك الاخيرة لمصر .. ما هو انطباعك عن الحركة الثقافيـة فى البلاد العربية ومصر ؟

ـ أزور البــــلاد العربية من حين لآخر ، وبشكل خاص مصر التى تعتبر بالنســـبة لى وطنا ثانيا ، ولى فيها

أصدقاء كثيرون ، اعتبرهم أصـدقاء عمرى منـــذ أربعة وعشرين عاما .

ومن البلاد العربية التى احرص على زيارتها دائما لبنان والمغرب .

وقد لفت نظرى فى زيارتى الاخيرة لمصر ذلك النشاط الثقافى الممتـــاز

وسررت كثيرا لاننى وجـــدت هـذا النشاط والحيوية اكثر بكثير ممــــا

رأيت سنة ١٩٦٧ حينمــــا كنت فى زيارة لمصر .

والادب العربى فى مصـــر لايزال أهم ظاهرة أدبية فى العــالم العربى

بدون شك ،رغم الظروف والمحنة التى عاشتها مصر منـــذ سنة ١٩٦٧ لان هذه المرحلة من حياة هـــذه الامة

العظيمة لم تكن سهلة ومهياة للانتاج الادبى الايجــابى- فالمشاكل الكثيرة والحيرة والقلق التى سببتها نكسة ١٩٦٧ كان من الممكن أن تضر بالروح

المعنوية الايجابية للامة.. اننى وجدت الحياة الادبية بمصر مزدهرة وهــذا جعلنى احس بعظمــــة هذا الشـعب وصموده العملاق فى وجه المحن .

ان ارتباطى بالقــــــاهرة يجعلنى أزورها دائمــــا ، وأجدد عــــلاقاتى بأصدقائى من الادباء والمفكرين وايضا بالتيارات الثقـــــافية المتجددة وأرى النتاج الادبى رأى العين ..

والزيارة المسعدة التى قمت بهــا لمجلة الهلال ما هى الا لمحة وفاء منى لهذه المجلة الادبية الشــامخة التى

اســتطاعت أن تعيش لمدة قرن من الزمان ، وهذا لم يحدث لاية مجلـة اخرى فى عالمنا المعاصر .. وهــذه المجـلة من اهم المجلات الثقــافية

والفكرية فى العالم العربى وعن طريق هــذه المجلة يمكن دراسة الحيــاة الثقافية والاجتماعية التى مرت بمصر طوال تسعين عاما ..

اننى ارجو كل تقدم وازدهار للفكر المصرى .. لمصر وطنى الثانى الذى احببته من اجل العلم .. كما احببت حضارة هـــذه الامة العربية المجيدة التى يثبت تراث الانسانية جمعاء انها

ام الحضارات ، والمعين الذى لا ينضب ابدا ، بل يغذى العقل والوجدان بكل نفيس وغال من الحضارات والثقافات العديدة .

من روائع القصص العالمي

والقلب يبصر أيضاً..

لاستيفان زفايج

ترجمة: محمود عزت موسى

عندما توقف القطار في المحطة التالية لمدينة «درسدن» صعد الى القطار ودلف الى مقصورتنا رجل كهل، ابتسم ركاب المقصورة ابتسامة لطيفة، واختصني بإيماءة رقيقة تنم على انه يعرفني من قبل، فلما توسم مني انني لا اكاد اتذكره، ما لبث أن نطق باسمه كاملا، فتذكرته على الفور..

كان من اشهر تجار التحف في برلين، وطالما ترددت عليه قبل اندلاع الحرب.. وما لبث الرجل أن اتخذ لنفسه مقعدا امامي، واخذنا نتحدث في موضوعات شتى، ثم تطرق الى عمله كتاجر في التحف النادرة ثم أدار دفة الحديث الى الهدف من رحلته التي قام بها والتي عاد منها لتوه، موضحا انها أغرب رحلة بل اعجب تجربة مرت به خلال السبعة والثلاثين عاما التي مارس خلالها تجارة التحف.

قال صاحبي: لعلك تعرف الملابسات والظروف التي أحاطت بتجارة التحف منذ أخذت قيمة النقد تهبط وتنهار.. اذ أن تجار الحرب، بما طبعوا عليه من استغلال الظروف والجشع، ما لبثوا أن بدأوا فجأة يتذوقون قيمة التحف الفنية القديمة من لوحات واقمشة مزخرفة للجدران وغير ذلك من الروائع، حتى صار من الصعب ارواء ظمئهم واشباع رغباتهم. وخاصة بالنسبة لرجل مثلي يفضل أن يقتني، بل ويحتفظ، بأروع ما يحصل عليه من التحف النادرة.

ومع توالي الايام، احسست أن من الصعب بل من العسير على أن أجد السلع التي يمكن أن تروق لهم، اذ كانوا قد امتصوا أجود ما في السوق من السلع... وأرجو المعذرة اذا كنت قد استخدمت كلمة «السلع» في مجال الاشارة الى بدائع الفن وروائعه، اذ انني اعتدت سماعها من عملائي المحدثين.

وان من المستحيل على الانسان أن يقاوم الجشع الطاغي لتلك الزمرة من اغنياء الحرب الذين تتكدس الاموال بين أيديهم حتى لا يتورعون عن حرقها!.

واخذت ادير بصري في ارجاء محلي، ذات يوم فبدا شاغرا خاويا تقريبا من أية تحفة ذات قيمة حتى لقد راودني التفكير أن أغلق متجري بالرغم من انني امارس هذه التجارة الرفيعة أبا عن جد.. وبينما أنا في هذه الحيرة بدا لي أن أراجع دفاتر حساباتي القديمة وافتش بين صفحاتها عن اسماء زبائني القدامى، فربما أجد من بينها أحدا يرغب في بيع ما اشتراه مني في زمن الرخاء.. وبينما كنت اقلب أوراقي القديمة عثرت على طائفة من الكاتبات صادرة من رجل، لعله كان من أبرز عملائي، ولعله اليوم من أكبرهم سنا، اذ أن معاملته انقطعت معي بعد اندلاع الحرب العالمية الاولى عام ١٩١٤.

أجل.. فلابد انه

اليوم قد بلغ من السن عتيا ، هذا اذا كان لا يزال على قيد الحياة .. فان تواريخ بعض رسائله تعود الى نصف قرن مضى ، قبل أن يرث أبى المتجر عن جدى .

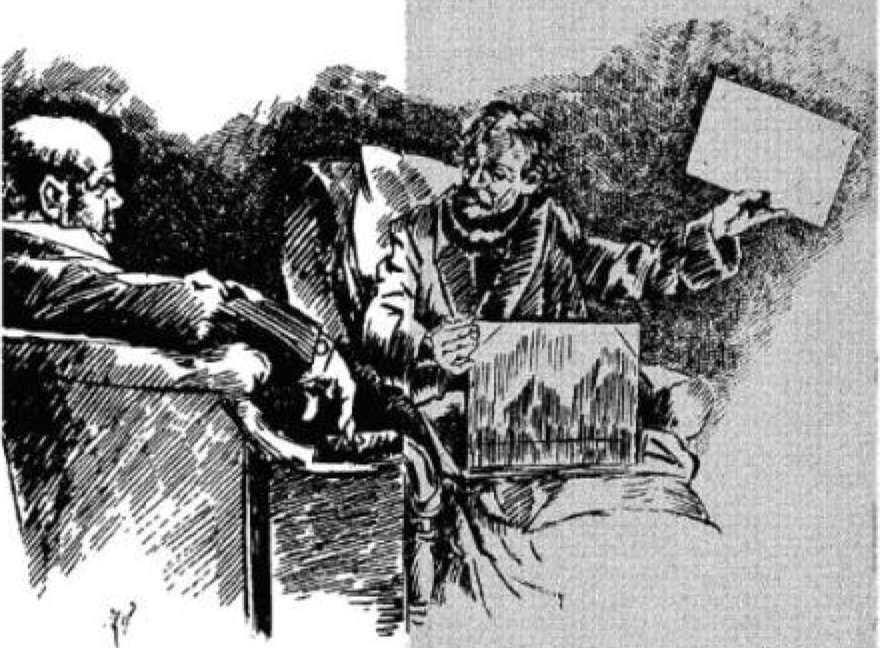
كان خط رسائله ينم على عناية مفرطة ، وكان يضع تحت كل جملة من رغباته وتوصياته خطا باللون الأحمر ، ويسجل كل ثمن من أثمان التحف بالحروف الى جوار الارقام، تجنبا لأى لبس أو خطأ ..

وبالاضافة الى ذلك فانه يكتب رسائله على أوراق قديمة منزوعة من الكراسات ، وحتى الظروف كانت تبدو مهلهلة رثة ، مما أثار فى نفسى أن الرجل كان شحيحا مقترا منفردا بنفسه فى عزلة قاسية .. الا انه ، بالرغم من هذه المبالغة العجيبة فى البخل ، كان ذكيا لماحا وصاحب ذوق رفيع فى هواية اقتناء الصور المحفورة والرسوم النادرة ..

وقد تبين لى من دراسة رسائله واستيعابها أن هذا القروى الشحيح يقتنى مجموعة فذة لا تضارع من الصور المحفورة على الواح معدنية ، تعتبر من أروع ما يصبو الى اقتنائه والحصول عليه أثرياء الحرب بكل وسيلة ومع انه اشتراها وقتئذ منا بمبالغ تافهة فانها أمست اليوم تساوى ثروة طائلة ..

***

وهكذا أزمعت على أن



والقلب يبصر أيضا

اغامر بالسفر الى المدينة التي يعيش فيها ذلك الرجل ، وهي احدى بلدان سكسونيا المنعزلة عن الطريق العام ، بحيث لا يمر بها الا من يريد ان يتوجه اليها ..

وعندما ترجلت من القطار في محطة المدينة سرت في شارعها الرئيسي متجها الى دار البريد للسؤال عن عنوان ذلك الرجل ، ولشد ما كانت دهشتي وسروري عندما عرفت أن رجلا بالاوصاف التي ادليت بها لا يزال حيا ..وسرت الى بيت العميل القديم ، وما كدت اضغط على جرس الباب حتى فتحته سيدة عجوز جلل الشيب رأسها وتغطيه بمنديل من « الدانتلا » السوداء ، فقدمت لها بطاقتي مستفسرا عما اذا كان رب البيت موجودا ؟ فبدا على وجهها الارتياب والتوجس ، واخذت تمعن النظر في بطاقتي ووجهي مرة بعد أخرى ..

بيد أن العجوز ما لبثت أن ردت علي بلهجة ودية بأن انتظر في الردهة لحظات ، ثم اختفت في ممر جانبي ..وانتهى الى سمعي اصوات هامسة ثم سمعت صوت رجل يهتف عاليا :

– تقولين ان الزائر هو السيد « راكلر » تاجر التحف المشهور في برلين ؟ طبعا ان من دواعي سروري ان اقابله .. ليتفضل ! ..

وبعد قليل رجعت السيدة ودعتني الى الدخول ، فخلعت معطفي وسرت وراءها ..

وفي وسط الغرفة التي بدت لي مؤثثة بأثاث رخيص ، كان الرجل واقفا متأهبا لاستقبالي .. كان يبدو طاعنا في السن ، لكنه لا يزال محتفظا بقوته ، وله شارب ضخم ، مرتديا بزة اشبه بالزى العسكري وقد مد ذراعيه مرحبا ، وعلى الرغم من انه فعل ذلك على الفور ، وعلى نحو ودى ، الا انه بدا جامدا في مكانه لم يتقدم نحوى لمصافحتي فلم ار بدا من التقدم نحوه حتى أصل اليه .. وقد احسست بالضيق قليلا لاول وهلة من هذا التصرف ، ولما مددت يدى لمصافحته ، لم يمد يده ، بل ظل في مكانه منتظرا ان اتناول يده ، فادركت على الفور انه أعمى .. الا ان الرجل الضرير لم يلبث أن قطع هذا الحرج الذى الم بي اذ قال في نبرة ضاحكة

– انه ليوم سعيد حقا ! بل اكاد اقول انها معجزة أن يهبط علينا سكان برلين البارزين كما فعلت انت ! .. ونحن سكان الريف يجب أن نكون على حذر عندما يأتي الى زيارتنا تاجر له مكانته المرموقة مثلك . وانني لاستطيع أن أخمن السبب الذى دفع بك الى تجشم المتاعب للحضور الينا .. لابد أن تجارة التحف كاسدة السوق في هذه الايام والتعامل قليل مما اضطركم للبحث عن زبائنكم القدامى ! .. الا انني اخشى أن اصارحك بأنك ستعود بلا نتيجة ، اذ اننا – طائفة المتقاعدين – يرضينا أن تتبقى لنا قطعة من الخبز الجاف نتبلغ بها .. أجل لقد كنت فيما مضى من هواة جمع التحف ، بيد انني قد انسحبت من الميدان لان أيام الشراء قد ولت وأدبرت ! ..

وعمدت على الفور الى تصحيح افتراضه الخاطىء ، موضحا له انني لم أحضر لزيارته لهذا السبب ، وانني كنت في جهة قريبة من قريته فوجدت من اللائق أن أزور عميلا قديما كان فيما مضى من أشهر هواة التحف ..

وما كدت انطق بهذه الكلمات حتى تبدل التعبير الذى كان مرتسما على وجهه ، واشرق وجهه بالارتياح والزهو وهو واقف وسط الحجرة ، وادار وجهه الى الناحية التى توسم ان تكون زوجته بها كانما يقول لها : «هل سمعت قوله؟» ثم استدار نحوى مرة ثانية وهو يقولفي نبرة ودية تخالف مابدا عليه من الجفاء فى بداية الامر • وقال :

ـ انها ولا شك لفتة طيبة منك •• وعلى اية حال فانه من دواعى الاسف ان تكون زيارتك لشيخ عجوز مثلى ، الا انه من حسن طالعك ان لدى ما يستحق ان تستمتع بمرآه حقا ••

وقال لزوجته : اليزابيث •• هاتى مفتاح دولاب الملابس من فضلك

وعندئذ ، وقع حدث عجيب، فان قرينته التى كانت مصغية الى حديثنا وقد علت وجهها الابتسامة اجفلت واستبدت بها الدهشة عندما نطق بعبارته الاخيرة •• فرفعت ذراعيها بشدة نحوى كانما تضرع وتتوسل الى ، وقد هزت راسها ، ثم دنت من قرينها ولمست كتفه قائلة

ـ يا عزيزى فرانز •• انك نسيت ان تسأل زائرنا ان يتفضل بالحضور فى موعد آخر •• وعلى اية حال فقد حان وقت الغداء تقريبا ومن المؤسف انه لايوجد فى المنزل ما يستحق ان يقدم لضيف غير منتظر قدومه ••

ثم اردفت قائلة: انك بلا شك ستتناول طعام الغداء فى الفندق •• واذا تناولت معنا بعد ذلك فنجانا من القهوة فسوف تكون ابنتى انا ماريا هنا ، وهى اكثر خبرة منى بما يحتويه دولاب التحف ••

وشفعت قولها بنظرة مستعطفة تستدر الاشفاق •• وكان من الواضح انها تريد منى ان اعتذر

عن رؤية التحف فى هذا الوقت ، وادركت بغيتها واستجبت لرغبتها ، وزعمت للرجل باننى مرتبط من قبل بموعد

للغداء فى فندق جولد ستاج ، وانه سيكون من دواعى ارتياحى ان احضر ثانية فى الساعة الثالثة

ولمحت الضيق على وجه الرجل الضرير ، ولكنى استأذنته فى الانصراف ، بينما صحبتنى زوجته الى

الباب ، وقالت لى هامسة ونحن على عتبة الباب الخارجى : هل لديك ما يمنع ان تتوجه اليك ابنتى ماريا فى الفندق الذى تقيم فيه قبل حضورك ؟

•• سوف يكون هذا افضل لاسباب عدة لا يمكننى ان اوضحها الآن •

فاجبتها : هذا شىء يسرنى للغاية •• والحقيقة اننى سأتناول غدائى وحدى ، ويمكن لابنتك ان تحضر فورا عقب فراغكم من الغداء

***

ومرت ساعة ، وكنت قد فرغت من غدائى ، وانتقلت الى بهو الفندق وما لبثت ان قدمت ماريا كرونفيلد ، فاذا بها عانس، ذاوية البهاء تمشى على استحياء ، ذات ثياب عادية •• وقد تطلعت الى فى شىء من الارتباك، الا اننى حاولت جهدى ان اهدىء من

انفعالها البادى على وجهها ، وابديت اليها اننى على استعداد للتوجه الى ابيها على الفور ، اذا كان هذا يهدىء من روعه ، وان الموعد الذى اتفقنا عليه لم يأزف بعد ••

وما ان فرغت من كلماتى ، حتى ازدادت ارتباكا، وتضرج وجهها احمرارا وتمتمت ببضع كلمات خافتة ، طالبة ان تحدثنى حديثا قصيرا قبل ان نتوجه الى المنزل فاجبتها على الفور :

ارجو ان تجلسى اولا، واننى رهن مشيئتك •

وازدادت ، ماريا ، ارتباكا وحيرة ، وبدت

والقلب يبصر أيضا

شفتاها ترتجفان، ولكنها تماسكت اخيرا ، وقالت

– لقد ارسلتني والدتي اليك ، لكي نسالك أن تصنع معروفا ، فعند عودتك الى منزلنا الآن فان أبي سيعرض مجموعات « الالبومات » عليك ·· في حين أن هذه المجموعات قد نفدت ولم يبق منها الا شيء ضئيل !

ولم تكد تفرغ من عبارتها حتى أجهشت باكية ·· ومضت تقول وهي تلهث :

– من الواجب أن اكون غاية في الصراحة معك ·· ولا شك انك تعرف مدى الضائقة المادية التي نعانيها مما شاهدته من رقة حالتنا ·· فان معاشه الشهري لا يكاد يكفي لامدادنا بضرورات الحياة يوما أو يومين ، عدا اننا يجب أن نمد يد العون لآخرين ، فان زوج شقيقتي قد لقي مصرعه في موقعة « فردان » تاركا أربعة اطفال صغار ·· ولقد اخفينا على ابي هذه الضائقة المالية المستحكمة ، وحاولنا أن نقلل من مصروفاتنا الى اقصى حد ممكن، وبالرغم من ذلك فقد بدأ مالدينا من اشياء يمكن الاستغناء عنها ، دون أن نمس تلك المجموعات الفنية التي يعتز بها ·· ولكننا في نهاية الامر وجدنا انفسنا امام امرين لاثالث لهما : اما ان نمد ايدينا الى تلك المجموعات، واما ان ندعه ليموت جوعا !·· ولم نستأذنه ، انه لم يشعر فى أى يوم بصعوبة الحصول على القوت بأى ثمن ، بل انه لم يسمع بان المانيا قد منيت بالهزيمة في الحرب وتنازلت عن « الالزاس واللورين » ، اذ اننا نحرص تماما على الا نقرأ له مثل هذه الاخبار في الصحف ·· وكانت اول تحفة بعناها اية فنية ثمينة حقا ، لوحة من روائع « رامبرانت » المحفورة على المعدن ·· وقد دفع لنا المشترى مبلغا طائلا

« وبعد أن حصلنا على حاجتنا العاجلة ، اودعنا باقي الثمن في احد البنوك ، ولكن المبلغ ما لبث أن نفد فى شهرين فاضطرتنا الحالة الى بيع لوحة ثانية ، ثم أخرى ، وأخرى ·· ولهذا انتاب والدتي انزعاج بالغ حينما حضرت اليوم ·· لو أن والدى فتح « البومات » الصوريه فان خدعتنا الانسانية سوف تفتضح وتنكشف على اقسى واسوأ صورة ·· أن باستطاعته بمجرد اللمس ، أن يتعرف الى كل لوحة ! ·· وقد اخذنا الحيطة لذلك فعمدنا الى استبدال كل لوحة اخذناها من « الالبوم » بقطعة من الورق المقوى بنفس حجم اللوحة وسمكها ، حتى لايحس فرقا عندما يروق له أن « يعاينها » ويتحسس ويلمس كل واحدة منها ، ويحصى عددها ·· وهو يستشعر سعادة غامرة ، كما لو أنه يستمتع فعلا بمرآها ··

« انه لا يحاول أبدا أن يطلع عليها أى زائر عادى ، بل يختص بتلك المتعة اولئك الزائرين الذين يدرك اهتمامهم وخبرتهم بالفن ·· وانه لشغوف بكل لوحة اقتناها ، بحيث اننا نوقن أن قلبه سيتحطم ويموت لفوره اذا عرف أن مجموعته قد راحت وبددت ·· وكان آخر مرة عرض فيها هذه المجموعات منذ أعوام ، عندما زاره مدير متحف اللوحات المعدنية المحفورة بمدينة « درسدن » ·

واستطردت تقول منتحبة :

« من أجل هذا أضرع اليك واستحلفك ياسيدى أن تبقى على أوهامه السعيدة بأن اللوحات التي سيشرحها لك هي

في مكانها لم تمس .. ربما نكون قد خدعناه ، ولكن ماذا كان في مقدورنا أن نفعله ؟ كان يجب أن يعيش وكذلك الاطفال الايتام ، انهم اهم بكثير من التحف !

***

وتوجهت بصحبتها الى المنزل ، واثناء سيرنا في الطريق الى ولم يدهشني ان اعرف ضآلة الاثمان التي باعت بهما المرأتان الجاهلتان ، تلك التحف الثمينة التي لا يقدر بعضها بثمن ، لانها نادرة عديمة النظير ، ولقد استقر في نفسي ان اقدم لهم اقصى معونة استطيع ان ابذلها ..

وبينما نحن نصعد الدرج سمعنا صوتا يجلجل فرحا : تعالوا .. تعالوا !

لقد استطاع الرجل ان يميز اقدامنا بسمعه المرهف الذي يتميز به كل ضرير ، وقالت الزوجة العجوز وهي تستقبلني مبتسمة :

ـ ان « فرانز » من عادته ان ينام وقت القيلولة بعد الغداء ، ولكنه من فرط انفعاله لم ينم اليوم ..

وتلاقت نظراتها بابنتها ، فادركت ان كل شيء يسير على مايرام .

وكان الصندوق الذي اودعت فيه « الالبومات » موضوعا على طاولة صغيرة ، وما لبث الرجل الضرير ان امسك بذراعي واجلسني على مقعد بجواره كان قد اعد لي وقال :

ـ هيا نبدأ على الفور .. فان هناك كثيرا من اللوحات يجب ان تراها .. بينما الوقت يمضي بسرعة .. ان «الالبوم» الاول يشتمل على صور « دورر » الرسام العظيم .. انها مجموعة شاملة كاملة ، وسترى ان كل واحدة منها تفوق الاخرى في روعتها وجمالها ، ولتحكم انت بنفسك .. ولنبدأ بالطبع بسلسلة « سفر الرؤيا » ،

ثم تناول برقة بالغة وحذر شديد اول ورقة سميكة مقواة بيضاء باعتبارها احدى اللوحات وهو يحاذر عليها كما لو كانت شيئا قابلا للتلف



او الكسر ، ثم رفعها امام عينيه وعيني في اعجاب وحماس .. وكانت لهفة ، نظراته ، تشيع في المرء الاحساس بأن من الصعب القول بأنه لم يكن يرى ، وبالرغم من انني كنت مدركا ان الامر كله وهم وخيال ضرير ، فانني مع ذلك لم اشك في ان ملامح وجه الرجل المليء بالغضون والتجاعيد كانت تنطوي على شيء من شعاع او وميض تمييز المرئيات !

واستطرد يقول « هل سبق ان رأيت ابدع او اجمل من هذه اللوحة ؟ ما اروع اثرها في النفس ان كل لمسة فيها في مثل نقاء ولمعان البللور .. لقد سبق لي ان قارنتها باللوحة التي تماثلها المحفوظة في متحف « درسدن » ، فوجدت لوحتي تفوقها لانها اللوحة الاصلية !

وقلب ظهر اللوحة لاقرأ البيانات التي على ظهرها مما جعلني انكب على قراءة تلك البيانات التي لا وجود لها .. ثم مضى يقول :

ـ وهذه مجموعة لوحات « ناجلر » و « ريمي » وغيرهما من الخالدين .. ان اولئك الذين كان في حوزتهم هذه اللوحات الفنية الرائعة من الشخصيات الكبيرة ، لم يدر بخلدهم

قط ان كنوزهم الفنية هذه سوف تستقر يوما في هذه الغرفة المتواضعة

واحسست بالرجفة بينما كان الرجل في ذروة حماسه يقلب صفحات « الالبوم » الفارغ ، بل لقد اهتز جسمي بالقشعريرة وهو يضع احدى انامله على المكان الموضح فيه أسماء من اقتنوا تلك اللوحات من قبله ··

كان الجو حولنا مليئا بمثل رهبة وجود الاشباح ·· كأنما يوحي بأن أصحاب تلك اللوحات القدامى والذين ذكر أسماءهم اسما اسما ، قد نهضوا من قبورهم

وجف ريقي عندما التقت عيناي بنظرات الزوجة والابنة ، وقد عصف بهما القلق والاضطراب ، فرثيت لحالهما أكثر واكثر وسيطرت على هواجس واضطرابي ومضيت مستأنفا تمثيل الدور الذي انيط بي ·· ثم قلت في بهجة مصطنعة:

– انك على صواب دون ريب ! ·· فان هذه اللوحة نادرة ، عديمة النظير !

فغمره الزهو والافتخار ومضى يقول :

ومع ذلك فانها لايمكن أن تقارن بهاتين التحفتين ·· انظر الى لوحة « الكآبة » ، واللوحة الاخرى « الشهيرة » ··

ان اللوحة الاخيرة لا مثيل لها على الاطلاق ·· انظر وتأمل تناسق الالوان وروعتها ! ·· ان أصحابك في برلين بل وكل أمثاله معارض التحف في العالم ، لتأخذهم الغيرة وتسلبهم الروعة اذا قدر لاحد منهم أن يراها !

***

ولا أود أن اطيل في سرد التفصيلات الاخرى فقد استمرت هذه التمثيلية زهاء ساعتين بينما كان يعرض على اللوحات واحدة بعد الاخرى ·· وقبيل النهاية وبينما كان يعرض على احدى اللوحات الخالدة للرسام العظيم « رمبرانت » والمسماة « انتيوب » كاد يقع ما لم يكن في الحسبان ، اذ مضى يوضح الوانها الرائعة ، وبينما كان يتحسس اللوحة بأطراف انامله ، سرى في مخيلته بعض الارتياب ، فقال وهو يرتعش مكفهر الوجه : انها بلا ريب صورة « انتيوب » فانه لا يوجد أحد يجرؤ على المساس بهذه « الالبومات »

والقلب يبصر أيضا

أو التحف الاخرى سواء فكيف يمكن أن يحدث هذا الامر بوضعها في مكان آخر ؟ !

وانقاذا لهذا الموقف العصيب ، تناولت منه الصورة المزعومة على الفور ، وسارعت في القول :

– انها بعينها صورة « انتيوب » !

وعقبت على ذلك بالاشادة بنواحي الجمال البادي في الصورة التي كنت قد رأيتها قبل ذلك في احد المتاحف ، وما زلت اذكرها ··

وبذلك تبددت هواجسه وكلما مضيت في امتداح الصورة والتنويه بجمالها عاوده الاطمئنان والبهجة ، حتى انه اتجه نحو زوجته وابنته قائلا:

– انه رجل يفهم الفن ويتذوقه عن أصالة ! ·· لطالما كنتما تنعيان على تبذيري في انفاق النقود من اجل شراء هذه التحف الغالية ! ·· حقا انني طوال نصف قرن قد حرمت نفسي من متع الحياة الجميلة كشرب النبيذ والتدخين ومشاهدة المسارح وشراء الكتب وغير ذلك ، مضحيا بكل درهم للحصول على هذه التحف التي كانت موضع استخفافكما ·· ولكن ، ها هو اكبر تجار التحف قدرا السيد « راكنر » يؤيد ما فعلت ! ··· وعندما اموت فانكما

ستكونان من اغنى امر هذه القرية، بل من اغنى الاسر الالمانية في « درسدن » ! .. وسوف تعيشان في بحبوحة من النعيم والرفاهية بفضل « بلاهتي » كما كنتما تزعمان .. الا ان هذه التحف لن تمس ما دمت حيا ، ولا بد لكما ان تستعينا بخبرة السيد « راكنر » في بيع هذه التحف بالمان مجزية لائقة، وخاصة ان انقطاع معاشي بعد موتي سيجعلكما في حاجة الى النقود .. ولن يحدث شيء من هذا القبيل الا بعد موتي ودفني في المقبرة ! »

وكانت زوجته وابنته، تتطلعان اليه في ذهول ودهشة ، وقد غمرت ماقيهما الدموع ..

أما الرجل الضرير فانه لم يقنع بما أزجيته له من مدح وتقدير ، ومضى يقلب « الالبومات » بين يديه وقد أخذته النشوة والفرح .. ثم وضعها في النهاية على الطاولة الصغيرة ، ولم يكد يفعل ذلك حتى تناولتها زوجته وابنته ووضعتاها في الدولاب ، ثم وضعتا أكواب القهوة على الطاولة ...

ولما ابديت رغبتي في الانصراف ، حاول ان يستبقيني قليلا ، ولكنني اعتذرت بمشاغلي ... وودعني أخيرا معانقا ايای بحرارة ، ثم



صافحني بشدة ، اعرابا عن فرط تقديره .. ثم قال بصوت يختلج التاثر في نبراته : لقد كانت زيارتك لي مصدر بهجة غامرة لشخصي ، اذ اتاحت لي فرصة فريدة بالاستمتاع بهذه التحف مع رجل يعتبرني من ابرز الشخصيات في معرفة الروائع الفنية..

وانني لقاء هذا التشريف الذي أوليتني اياه سأضيف الى وصيتي فقرة تنص على أن تتولى الاشراف على بيع هذه المجموعات الفنية بالمزاد العلني نظرا لثقتي التامة في نزاهتكم ...

ثم استطرد قائلا :

ـ أرجو أن تعدني بأن تطبع قائمة مصورة فاخرة بمحتويات مجموعتي ، وسيكون هذا أجل تذكار ! ...

اما انا فقد تطلعت الى الام وابنتها وهما في حالة يرثى لها من الاضطراب والخوف خشية أن يفتضح أمرهما .. ثم أعطيته هذا الوعد المستحيل ، فعانقني مرة اخرى شاكرا ممتنا ..

وكانت الزوجة وابنتها ترافقانني الى باب المنزل ، دون أن تنطقا بحرف ، بينما كانت دموعهما تنهل ، تعبيرا عن شكرهما .. ولقد احسست بلون من الارتياح لانني أسهمت في هذه الخديعة البريئة بادخال السرور الى قلب هذا الرجل الضرير العجوز ، ومع انني كنت اكره الكذب فقد الفيت نفسي فخورا بهذه الكذبة حتى ادخل المسرة والنشوة الى قلب رجل مسكين كان غارقا في دوامة من الكآبة والظلام

ولما صرت في الطريق سمعت صوتا يناديني من النافذة ، ومع أن الرجل لم يكن باستطاعته ان يراني ، فقد تمكن ببصيرته ان يعرف الاتجاه الذي أسير فيه

وقال وهو يتدلى في النافذة ملوحا بمنديله : أرجو لك رحلة موفقة يا سيدي !

وكان في صوته رنة اصوات الاطفال في حبورهم ...

ولن أنسى مادمت حيا وجهه المتهلل في تلك اللحظة ! ..



حول

كتاب ..

لمحات

من حياة العقاد المجهولة

في بعض الاحيان يقرا الانسان بشغف بالغ ، مشدودا بجمال المعلومات او بقوة السرد لدى المؤلف ، او الجديد الذى ياتى به المؤلف ... ولكن احيانا يصعب على الانسان اتمام قراءة كتاب فى شهر مثلا ، وذلك لانه قد يكون فى الكتاب شىء آخر غير طبيعى ، ربما فى التناول، وربما فى التفرع ، وربما فى السذاجة او الضحالة المتناهية لدى مؤلفه ... كما وجدت فى كتاب ((لمحات من حياة العقاد المجهولة)) لعامر العقاد .



العقاد : وكتاب « لمحات من حياته المجهولة » ..

دائما اسم الكتاب يدل على ما فيه ، واسم هذا الكتاب كما هو واضح يستطيع ان يلفت وجه القارىء بكل وهم آن هناك جديدا في هذا الكتاب عن حياة العقاد الخاصة ... ويفتش القارىء عن هذا الجديد فلا يحرمه المؤلف من جديد أيضا ، فقد تعمد المؤلف ان يجعل غلاف الكتاب أنيقا ، لافتا للنظر ، هذا شطر من الجديد في الكتاب ، أما الشطر الثاني فهو موافقة دار النشر **على طبع هذا الكتاب رغم ما أظهره مقدمه الاستاذ محمد خليفة التونسي في قوله « واذا كان لا بد من ملاحظة او ملاحظات على هــــذا الكتاب ،فأولها الاقلال من تسجيل ما شهده المؤلف من حياة عمه وسيرته ، اذ كنت اتمنى ان تكـــون أوائل الكتاب كأواخره حاوية لكثير من الذكريات الخاصة » .**

ان هذه الملاحظة التي يمكن للقارىء استخراجها من قراءة الكتـــاب بكل سهولة لها معناها الكبير ... فهي صادرة عن الاســـتاذ محمد خليفة التونسي الذي صـــاحب العقاد زهاء الثلاثين عاما ، ويعرف عن العقـاد ما لا يعرفه عامر العقاد ، ولـــكن الاســـتاذ التونسي حاول ان يجامل السيد عامر في قوله (الاقـلال من تسجيل ما شهده المؤلف) ..

ماذا شاهد المؤلف ؟ هل شـــاهد شيئا ؟ متى عرف الكتابة ؟ ان المؤلف فعل بهذا الكتاب فعـلا جنى به على الادب العربي جناية قد لا تغتفر ... انه جعل الاستشهاد (مختـــــارات مطولة) وان كان المؤلف تعب بعض الشيء في ربط المختارات المتنوعة من الكتب التي تحدثت عن العقاد أو من كتب العقاد نفسه ، فاننا كنا نعقد عليه أملا بأن يوفق في ربطها كما يجب .

واذا نظرنا الى الفصل الاول من الكتاب وهو بعنوان (سيرة وحياة) وجدناه أكبر دليل على تجميـــــــع المختارات ، فلقد جمع ما شاء من كتاب الدكتـــــور شوقي ضيف (مع العقاد) ، ومع ذلك حاول تخطئـــة الدكتور في احد التواريخ الخاصة باستقالة العقاد فقال : « ذكـــــر الدكتور شوقي ضيف في كتابه (مع العقاد ـ صفحة ٢١) ان العقاد قد استقال من وظيفته سنة ١٩٠٦ والتحق بمدرسة الفنون والصنايع ، ولكنني سمعت من العقاد ـ رحمه الله ـ في أكثر من مناسبة ان استقالته كانت سنة ١٩٠٧ » .

وقد يكون التاريخ كما قاله السيد عامر . ولكن كتاب الدكتور شـــوقي ضيف (مع العقاد) ظهر عقب وفاة العقاد بمدة قصيرة . هذا من ناحية،

ومن ناحية اخرى فان هذه المعلومات كانت وليدة الفطنة والذكاء والبحث الجاد الطويل ·· واتساءل فى اى شىء بحث السيد عامر كما بحث الدكتور شوقى ضيف ؟

واذا كان لا بد للسيد عامر ان يتكلم عن عملاق الادب العربى عباس محمود العقاد فى موضوعات لم يتحدث عنها غيره ، فهناك الكثير الذى كان يمكن له ان يتحدث فيه ، مثل مدى تأثر العقاد بالاستاذ محمد فريد وجدى وغير ذلك · واذا كان خطأ تجميع المختارات يمكن ان يعتبر أعظم خطأ ارتكب فى هذا الكتاب ، الا اننا نجد شيئا آخر لا يقل اهمية عما سبقه وهو التوسع الظاهر فى حديث السيد عامر عن المرأة فى حياة العقاد ·· وقد أفرد لهذا الغرض قرابة المائة صفحة وبالتحديد (من صفحة ١٧١ الى صفحة ٢٦٧) · فتحدث بجرأة أحيانا وجبن أحيانا أخرى ، وكان حديثه سواء هذا أو ذاك مهزلة فى حق عملاق الادب العربى ·

ذكر المؤلف قصة سارة (وساق اسمها الحقيقى بكل اسف) وهى زيادة (هند) · ونحن نعرف ان قصة سارة موجودة ، لم تعرض لصلة العقاد بممثلة معروفة ، وفى تعرضه لهـا طعن فيها وفى شرف العقـاد وفى كبرياء العقاد ، حاول المؤلف الهروب من ذكر اسمها رغم انه معروف ···

وتعرض ايضا لأخطر ما يمكن ان يقال فى حياة انسان وانسانة ما زالا على قيد الحياة فيقول :

« وفى بيت العقـاد وبين أوراقه ترقد مجموعة رسائلها وصورها وقد كانت تكتب له على ظهر صورها كلمة أهداء تبدؤها « الى من اعبد ·· الى الاستاذ الكبير عباس محمود العقاد »··· هذه الشخصية شخصية ادبية كما يقول ، وزوجها أديب كما يقول ايضا ، وحصل على اجازة الدكتـوراة فى الفلسفة كما يقول ، وكان العقـاد مهتما به غاية الاهتمام وظل ينتظر النتيجة ابان امتحانه فى الرسالة على أشد من الجمر كما يقول » اذن هل كان اعجاب العقاد بزوجة هذا الاديب هو الدافع للسؤال عنـه والاهتمام به ؟

اهكذا فعلت بعمك يا عامر ؟ ·· أهكذا تخفض رأسه بدلا من أن ترفعه عاليا ؟ ···

هكذا يقول الاستاذ محمد خليفة التونسى صديق العقـاد وتلميذه ، وتفضـلا منه قال للسيد عامر (لاعتبـارات لا يجهلها المؤلف) واتساءل لماذا تجاهلها المؤلف ؟ والاجابة قول شوقى رحمه الله :

المال حلل كل غير محلـل — حتى زواج الشيب بالابكـار

ولو كان الحصول على المال ، هو نفسه الحصول على نقطة سوداء فى جبين عملاق الادب العربى الذى نهى عنها مرارا

ان أدب العقاد يمكن لأى جيل ان يعرفه ، وذلك لانه فى كتبه ، ولكن حياة العقاد الخاصة وافعاله هى التى لا يراها اى جيل لم يعاشر العقاد ، فكان لزاما على من عاشروه وتتلمذوا على يديه ان يكتبوا فى هذا المضمار بكل صدق وشرف لان بموتهم يمكن ان يدفن هذا الجانب معهم ، وانا أعلم ان الاستاذ محمد طاهر الجبلاوى كان أحب الاصدقاء وكان (أمين عبد المعز طاهر) فهو اصـدق الموجودين وأغزرهم انتاجا فى هذا المضمار ، وكذلك الاستاذ انيس منصور ، فقد كتب أكثر من مقال فى هذا الموضوع وجمع منه فى أدب رفيع وذوق بالغ ما لم يجمعه السيد عامر فى كتابه الضخم ، فى مقالين او ثلاثة بكتاب (يسقط الحائط الرابع سنة ١٩٦٤)

● ممدوح المغربى ● بلقاس — دقهلية ●


شركة الإسكندرية للمنتجات المعدنية
تعتبر شركة الإسكندرية للمنتجات المعدنية وهي من شركات المؤسسة المصرية
العامة للصناعات الهندسية والكهربائية والالكترونية الشركة الرائدة بل الوحيدة في شرقنا
العربي التي تقوم بدراسة مشروعات إشارات المرور الأوتوماتيكية والالكترونية في المدن
بهدف إزالة الوقت الضائع والاختناقات والتصادمات الناتجة عن عدم انتظام سير
المرور في التقاطعات المختلفة
٢ - وضع المواصفات الشاملة لمتطلبات التنفيذ.
٣ - تنفيذ المشروع بكامل معداته طبقاً للمواصفات العالمية.
وقد قامت الشركة بتنفيذ عدة مشروعات مختلفة في الوطن العربي ومن بين
الأنظمة المستخدمة والجاري تنفيذها حالياً:
شركة الإسكندرية للمنتجات المعدنية

قلت للنفس

قلت للنفس حينما استحكم اليا
س ، وهال الطبيب عمق جراحي
لا تراعي ، وعانقي الصبر ، فالصبر
براق العلا ، ومرقى النجاح
وانهلي من رحيق خمر المآسي
واستطيبي مرارة الأقداح
واحتسيها حتى الصبابة اني
من كروم الاحزان أعصر راحي
وانعمي بالهموم ، فهي سبيل
لسمو النفوس والارواح
وامتطي صهوة العزائم ، وامضي
في ثبات ، وشمري للكفاح
ان ليل الخطوب مهما تمادى
سوف يجلو ، وينجلي عن صباح

● خربتا ـ بحيرة ●

● محمد امين الجندي ●

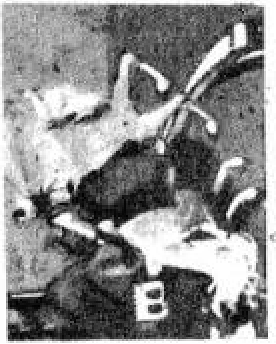
الغلاف الأول

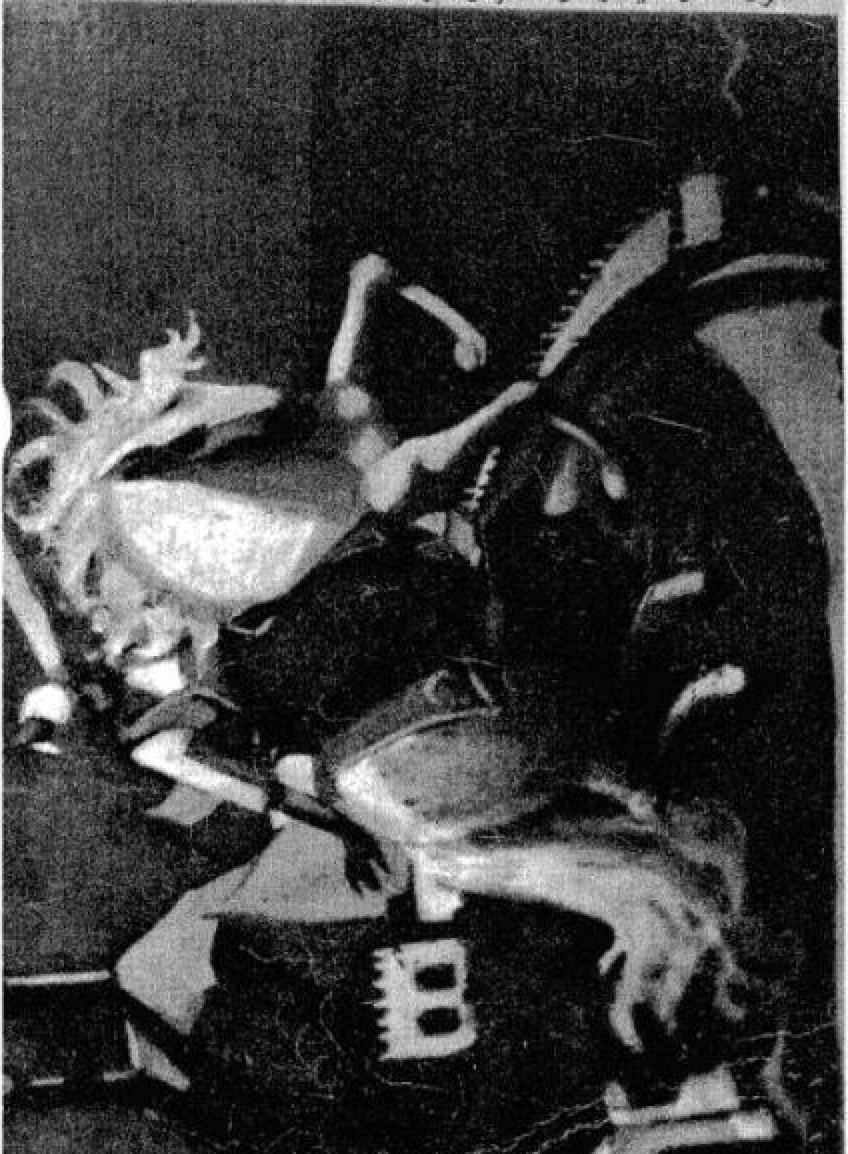


من وحي الجنة والنار :
لوحة للفنان جمال قطب

الغلاف الأخير

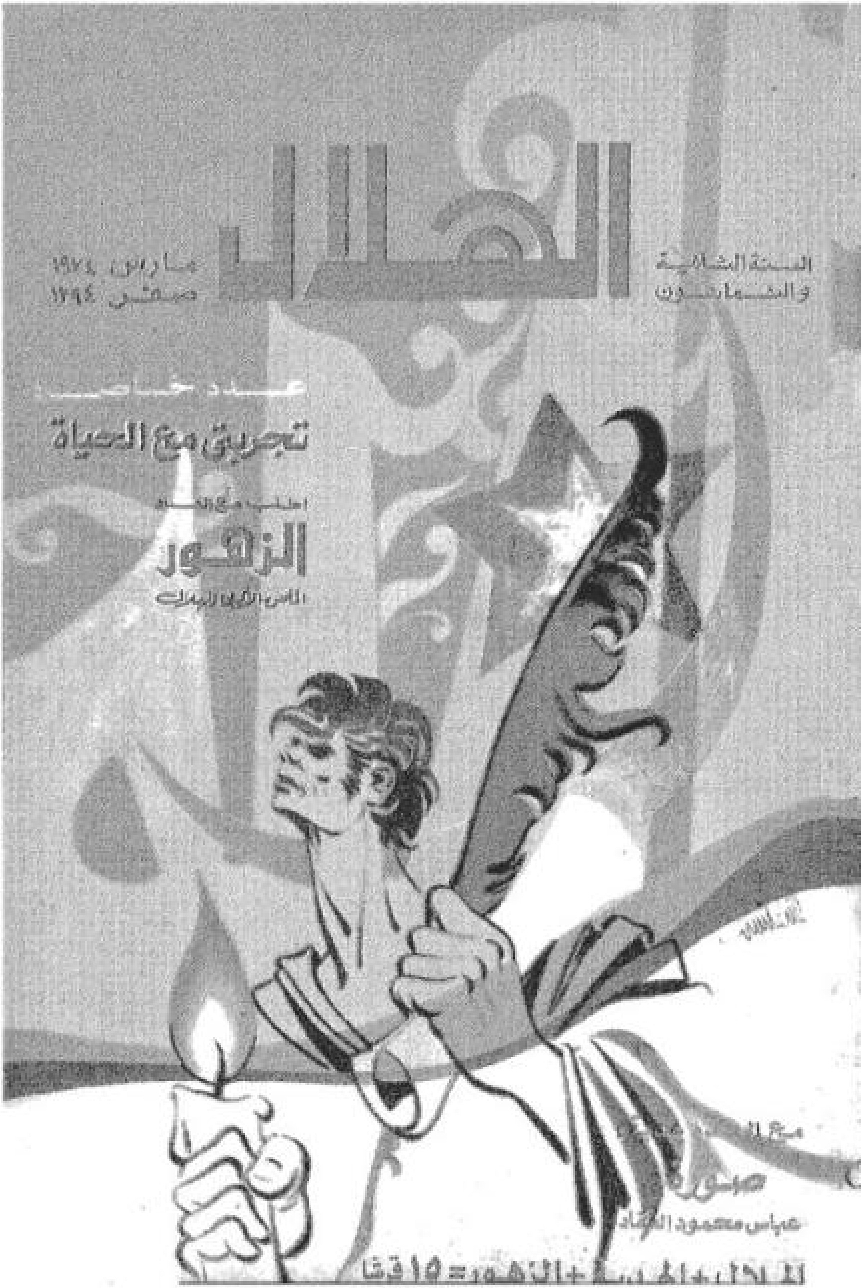
فروسية : للفنان سيف وانلي





فروســيـة ..

لوحة للفنان: سيف وانلي الحائز على جائزة الدولة التقديرية للفنون عام ١٩٧٣


الهلال
مارس ١٩٧٤
صفر ١٣٩٤
عدد خاص
تجربتي مع الحياة
الزهور
عباس محمود العقاد

الهلال

مارس ١٩٧٤

مجلة شهرية تصدر عن دار الهلال العدد الثالث - السنة الثانية والثمانون - أول مارس ١٩٧٤ ٧ صفر ١٣٩٤ هـ .

الاشتراكات

ثمن العدد : فى جمهورية مصر العربية ١٥٠ مليما .

قيمة الاشتراك السنوى : « ١٢ عددا » فى جمهورية مصر العربية وبلاد اتحادى البريد العربى والافريقى ١٥٠ قرشا صاغا . فى سائر انحاء العالم ٦ دولارات أو ٢٫٥ جنيه استرلينى تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال : فى جمهورية مصر العربية والسودان بحوالة بريدية . فى الخارج بشيك مصرفى والاسعار الموضحة أعلاه بالبريد العادى وتضاف رسوم البريد الجوى والمسجل على الاسعار المحددة عند الطلب .

الادارة : دار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب - القاهرة

تليفون : ٢٠٦١٠ « عشرة خطوط »

في هذا العدد :



د. عبد العزيز كامل   د. عبدالحليم محمود   يوسف السباعى

بسم الله الرحمن الرحيم



كلمة الهلال

لعل خط الحكمة الاول الذى اهتدى به البطل انور السادات فى تخطيطه لاسلوب الحكم ، وخوض المعركة ، وبناء المستقبل ، هو الافادة من اخطاء الماضى ، بدلا من الندم عليها

لقد جرب الحاكمون فينا اساليب كثيرة ، منها الارهاب والكبت والفصل وتحديد الاقامة ومصادرة الممتلكات واغلاق النوافذ .

وجاء انور السادات ، فحكم القانون واطلق الحريات وامن الناس على ارواحهم واعراضهم وارزاقهم ، وفتح جميع الابواب والنوافذ على العالم ، فبدانا نستاف نسيم الحرية ، ونتذوق معنى الحياة ، ونطهر الارض ، ونتطلع الى المستقبل بابتسامات مشرقة ..

ان العصمة لله وحده ، اما نحن البشر فكلنا خطاءون . والحكمة ، هى الا يقف المرء مكتوف اليدين وهو يستعرض اخطاءه واخطاء غيره ، بل ان يفيد من هذه وتلك ، ويجعل من التجارب جسرا لمسيرة افضل فى المستقبل

وفى هذا العدد خلاصة من تجارب رجالات عركوا الحياة ، وكبوا ولكنهم عرفوا كيف ينهضون ، واخطاوا ولكنهم عرفوا كيف يصلحون ، فكانوا من المحسنين

نقدم هذه التجارب الناضجة الى القارىء العربى فى عصر البناء والتعمير لعلها تكون هديا لبناء الانسان العربى الجديد

● صالح جودت ●

د. عبد العزيز كامل
نائب رئيس الوزراء للشئون الدينية
ووزير الأوقاف

تجربتي مع الحياة

علمتني جدتي



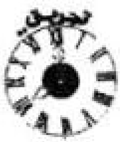
د. عبد العزيز كامل



– ١ –

حين اعود بالذاكرة الى احداث حياتي الباكرة – وقد حاولت هذا اكثر من مرة في وحدة طويلة او قصيرة – لا اجد فيها اقدم من الصورة التالية :

منزل شهد مولدى في حي راغب باشا – وهو من الاحياء الشعبية في الاسكندرية – الوقت ليل . جدتي لامي تصلي قبل الفجر وتدعو « يا ارحم الراحمين ارحمنا » . اسمع صوتها ، واراها في ضوء مصباح خافت . واتابعها من سريرها الذى اشاركها النوم فيه احيانا . طرحتها البيضاء تغطي راسها والنصف الاعلى من جسمها . وتتحرك كانها قطعة من النور الهادىء قائمة راكعة ساجدة داعية ..



كانت ـ رحمها الله ـ عابدة صوامة · تقوم الليل طول العام · تصحو قبل الفجر · وتحرص على اداء الصلوات الخمس في مسجد سلطان اقرب المساجد الى منزلنا واكبرها في الحي · وأحيانا كانت تصحبني الى المسجد وبه مكان مخصص للسيدات عليه حجاب محكم · فأجلس الى جوارها واتعود الصلاة معها ·

ومطر الشتاء في الاسكندرية غزير ·· ولم تكن الطرقات وقتئذ معبدة · ولكنها ـ رحمها الله ـ كانت تحمل مظلتها في جوف الليل · وتتحسس الطريق ، وهي فوق الستين ، لتؤدي صلاة الفجر في المسجد ·

كانت تحس أن ما بينها وبين الله اكبر من أن تسيطر عليه تقلبات الجو ·· الصلاة عندها فوق برد الشتاء ووحل الطريق وظلمة الليل · انس الطريق الى بيت الله في ظلمة الليل احب اليها من دفء البيت ولين الفراش ونعومة الوساد ·

وكانت تصوم شهور رجب وشعبان ورمضان والايام العشرة الاولى من المحرم والتسعة الاولى من ذي الحجة والايام البيض الستة من شوال والاثنين والخميس من كل اسبوع · وادت فريضة الحج ست مرات · وكان الحج وقتئذ على ظهور الابل في العشرينات ·

ومازلت حتى الان احتفظ بمسبحتها في درج مكتبي · مسبحة « يسر » سوداء فيها حبات من المرجان الاحمر ·· وامر بأصابعي حيث مرت أصابعها منذ نحو نصف قرن ·

وكانت الصلة بالله هي الدرس الاول الذي تعلمته منها ·· رحمها الله ·

ـ ٢ ـ

وتمر ايام وتأتي المناسبات الاسلامية كالمولد النبوي الشريف · او مناسبات خاصة كان ابرزها ذكرى وفاة خالي الوحيد · وقد فارق الدنيا شابا في عام ١٩٢٥ ، ولي من العمر ست سنوات ·

كان مجاهدا شارك في مقاومة الاستعمار الايطالي في ليبيا متعاونا مع البطل الشهيد عمر المختار · عبر الحدود المصرية ، يسهم في دعم الثورة بالمال والسلاح ·

كان ـ كما رأيناه وسمعنا عنه ـ قريبا الى قلبها مطيعا لها ، كثير التردد على البيت · أذكره بابتسامته الهادئة وهو يجلس في « المقعد » على كرسي مجاور لباب حجرة نومها الصغيرة الداخلية ·· عصاه بين يديه وجهه صورة مصغرة من وجهها ·

بارح دنيانا مسرعا وترك بعده ثلاث بنات أصبحت هي لهن ابا وأما وكافلا ···

تأتي ذكرى وفاته فيعمر البيت بتلاوة القرآن والاستماع الى المولد النبوي الشريف · الرجال في المقعد والنساء في مقعد داخلي · ويطيب لهن سماع سور طه ومريم وآل عمران ويوسف ·

تدمع العيون مع سجن يوسف ، تنبسط الوجوه بعد أن من الله عليه بالفرج وخرج من السجن الى القصر حاكما بعد أن كان سجينا · وتشيع الفرحة عندما يعفو عن اخوته ويدعو لهم ولابويه ويجمع شمل الاسرة من جديد ·

وينتقل القارىء من القرآن الى المولد ذاكرا مناقب المصطفى عليه الصلاة والسلام · ويشارك الحاضرون

فى الدعـــاء وترديد الصـــلاة على الرســـول ·

كانت هذه المناسبة للبر ببعض قراء القرآن فى الحى وأهله · يستوى فى هذا من أكرمه الله بنعمة الصـــوت الجميل من القراء ، ومن تضيق امامه احيانا مسالك الرزق ، ومن فرغ الى تعليم الاطفال فى مدرسة الحى ·

والاحياء الشعبية عنـــدنا تعيش اسرة كبيرة : تتشارك فى البأســـاء والضراء · فرحها واحـــد وحزنها واحـــد ·

ولكن ان العيد كان قريبا من وفاة خالى · واصرت جدتنا على ان يقـوم اهل البيت بعمل كعك العيد للاطفال: « ماذنب الاولاد ؟ فلماذا لايفرحون؟ مالهم وللحزن ؟ » ·

وتشترى لنا الملابس الجـــديدة وتوزعها على احفادها · وتسعد بأن اشاعت السعادة ·

كان حزنها نبيلا عميقا ، يتحول الى رحمة ومحبة · لم تكن دموعها مالحة لاذعة · كانت دموعا فيها نقاء السماء ونور الوحى · وهى للصغار نور وظل وماء ، وللكبار رأى ومشورة وعون ·

وكان هذا درسا ثانيا « الا تزر وازرة وزر اخرى » · الفصـــل بين المسئوليات والحقوق والواجبات · تحويل طاقة الالم الى خير وبر ·

وكنت منذ طفولتى اقارن بين هذا ، وما اجده فى بعض أصـــول اسرتى الاخرى ، فى بعض العمومة ·· كان حزنهم فرعونيا يصـــل الى دهان الابواب وصبغ أغطية الوســـائد بالسواد والمبالغة الشديدة فى التعبير عن الحزن · كل عيد مناحة جديدة ، يشق فيها الصوت العالى فرحة العيد ·· نعم كانت تجاربهم فى الحـــزن قاسية ·· وفاة اكثر من شـــاب مع تفتح الحياة وازدهارها ·

وكان علينا نحن الاطفال أن نزور بيوت الاسرة كلها فى العيد ·· فكنا نقترب من الابواب السوداء وجلين ، مع أن البيوت متقاربة ومتواجهة ·· وفى الايام الاخرى كنا نؤدى ما علينا من ابلاغ تحية وحمل امانة فى سرعة صامتة ·· ولم تستطع القرابة القريبة أن تمزق حجاب الرهبة ·

ونقارن بين الموقفين ، ونحس معنى من ثمار الايمان وحسن تقبل اقدار الله والصبر على البأساء والضراء · ويشتد التصاقنا بالجدة البـــارة : بكلمـــاتها الخضراء وقلبهـــا الابيض ويدها السمحة المباركة ووجههـــــا المشرق من اثر السجود ·

— ٣ —

جزء كبير من حياتها كان لغيرها ربما افاء الله عليها من رزق كان برا بمن حولها ·· هى مقصدهم فى الفرح والحزن : معنويا وماديا ··

ولم يخل الامر من محـــــاولات لخديعتها بتمثيل موقف او اصطناع حاجة ·· بعض هذا كان من اليسير كشفه · ثم التغاضى عنه ·· وبعضه كان من الاحكام بحيث ينطلى عليها · ولكنها كانت دائما عندما تؤكد حقها تعفو وتصفح فى حزم ودود ، وجد يوقف من أمامها عند حده ·

وكانت على معرفة عميقة بأحكـــام دينها · لم تكن تقرأ وتكتب ، ولكن مواظبتها على دروس المســـجد وتمرسها بأموره جعل قضايا المواريث والاحوال الشخصية عندها كأنها لوح مفتوح ·

وكانت عقليتها الحسابية وذاكرتها من الدقة بحيث أن حسابات عقاراتها ·· وحـــق كل فرد وما عليـــه من متأخرات ، وتكاليف صيانة البيـــوت قبل مطر الشتاء ومحـــاسبة المعلمين والعمال والمقاولين ، كل أولئك كان حاضرا دائما فى ذهنها ، وعنـــدها القـــدرة على تحويله الى أوامر

وتصرفات ·

وكان يستوقفني في طفولتي أن أرى رجال الحي اذا شجر بينهم خلاف ذهبوا اليها يحتكمون

نسمع حلقة الباب النحاسية تدق ··· وأصوات :

ـ يا ساتر ·· ياستي الحاجة ·

وتسألهم عن أسمائهم ومن معهم وتأذن لهم ·

وكان باب المنزل مفتوحا طول اليوم ·· البيت من طابقين · السلم يدور بك صاعدا الى الطابق الاول · وهي في جلستها التقليدية ، في الفسحة ، (حجرة المعيشة) التي تفتح عليها بقية الحجرات · والى اليسار مقعدها (حجرة الضيوف) وفي داخله الخزنة (وهي حجرة النوم الخاصة) ببابها الصغير المغلق ···

وقد يجلسون اليها للتحكم بينهم في الفسحة ان كان الامر سريعا ·· واذا احتاج الى وقت فالمقعد مكانهم ·

وتستمع · وتستمع ··· وتتكلم الحديث ··· فاذا ما انتهوا ذكرتهم بالله وما بينهم من جيرة وحق ، ثم أصدرت حكمها ·

وما أعلم ، وما سمعت ، أحدا خرج عما أمرت به في اثبات حق أو تحديد مسئولية ·

ويقبلون يدها · وتدعو لهم بالخير ·· وتعينهم على اداء حقوقهم · وينصرفون عنها راضين داعين ···

وتعلمت من هذا درسا ظل معي طول الحياة :

- الصلح خير ··
- تجميع القلوب أولى من الفرقة
- السعادة بأن تعيد الحق والبسمة الى الوجه والقلب بالتراضي والخير والاخاء ··
- قدرة الكلمة الطيبة من سيدة تقدمت بها السن على التأثير فتنحني أمامها الجباه راضية ·· راضية بالحب والعودة الى الحق ··

ـ ٤ ـ

وكانت مع هذا ضاحكة السن لا تخلو من دعابة · قادرة ، كأي جدة صالحة ، على أن تتعامل مع الصغار والكبار ·

تدعونا الى الصلاة وتحببنا فيها وتقول :

ـ اذا صليت نبتت في قلبك شجرة الايمان · شجرة خضراء جميلة ولكن لا تظهر الا بعد أربعين يوما ·

ونصلي ونصلي ونسألها عن شجرة الايمان :

ـ من أين تشرب الشجرة ياستي ؟

فتقول باسمة :

ـ عندما تتوضأ تشرب هي من ماء الوضوء · ولكن لا تبلعوا الماء ، خاصة في رمضان ·

ونصلي ونصلي ونسألها عن شجرة الايمان الخضراء ··

وتضع أذنها على صدورنا وتقبلنا وتقول :

ـ لا تزال الشجرة صغيرة ·· تحتاج الى وضوء أكثر وصلاة أكثر ·

وترعانا بهداياها الصغيرة الحبيبة ·· وتمر الايام والشهور ·· ووراء قصة الشجرة الخضراء قصة وقصة ·· وتغرس في نفوسنا حب العبادة عن طريق القدوة الصالحة والترغيب والحب والسماحة الباسمة ·





عمر المختار : البطل الشهيد

— ٥ —

ولها مع اطعامنا قصة أخرى ·· اقدم لها بشيء عن حياتنا التقليدية :

أهل الاسكندرية يطلقون على السوق التجارية الرئيسية فيها اسم « البلد » والبلد مقسمة الى أسواق : بحسب الشعوب أو التخصص أو كثرة الوافدين ·· والمصطلحات المستخدمة فيها تراها في مدن البحر المتوسط الاسلامية ، وقد أجريت مقارنة بينها وبين بنغازي وطرابلس ، فكان التشابه عميقا في الاحياء والاسواق الاصيلة

هنا نجد سوق المغاربة · سوق الترك · سوق الدقاقين · سوق الطباخين · زنقة (أى حارة) الفحامين · زنقة الستات حيث تباع جميع الخردوات الخاصة بالسيدات ، الميدان حيث المواد الغذائية ·

ومن عادة سكان السواحل أن يخزنوا في البيت السمن والزيت والزيتون والجبن وانواعا من البسطرمة والسجق والعجوة ·· ولا تزال هذه العادة قوية في المغرب، وعند بعض الاسر القديمة في الاسكندرية ·

ويحدث أن يتأخر الاهل في «البلد» اذا كانوا يشترون الاقمشة والخزين ··· والسوق تستدرج الشارى وتسرق الوقت · ومن الصعب على السيدات قديما وحديثا أن يضبطن المواعيد اذا ما ذهبن الى السوق لمشتروات متنوعة ·

ويأتي وقت الغداء وما زال الاهل في البلد · وليس هناك من طعام سبق اعداده ·· والوقت صيف · وترتفع الاصوات طالبة لطعام بعد اللعب ، ونتحلق حول الجدة الصالحة ···

وفي سرعة وابتسامة تمتد يدها الى اعداد طبق من البيض والبسطرمة او السجق وشيء من الجبن او العجوة من دولابها الصغير الخاص ·· ونسأل عن اسم هذا الطبق ، فترد ضاحكة :

— لخبطة ! ·· عندما تعود امكم وخالتكم من البلد قولوا لهما اكلنا لخبطة ! ··

ونأكل ونضحك ···

ويعود الاهل من السوق يسألون :

— هل اكلتم ؟

ونجيب فرحين :

— نعم : اكلنا لخبطة ! ··

ويأتينا الرد سريعا يردنا الى حد الادب :

— عيب ·· نعمة الله تقولون عليها لخبطة ؟!

وتلتفت اعيننا الى جدتنا نستعين بها · وتملأ وجهها الابتسامة المرحة وهي تقول للوالدة والخالة :

— تأخرتم وجاع الاولاد ، فصنعت لهم شيئا من البيض والبسطرمة والعجوة ·· وتغدوا والحمد لله · خير ربنا موجود ···

وتعلمت من هذا سماحة العائلة · هذه السماحة التي تلقاها مع من تقدمت بهم السن ، او علت بهم التجربة ·· القدرة على البساطة واسعاد الصغار ، وتوجيه الكبار : تراها في الانبياء والقادة والنفوس الكبيرة ··

ولك ان تعود الى قصة نبينا محمد ومن سبقه من الانبياء عليهم جميعا صلوات الله وسلامه ، أو عد الى كبار القادة في عالمنا الحديث والمعاصر : غاندي · هوشي منه · ابراهام لنكولن الذين تركوا طابعهم الانساني والنضالي على صفحة التاريخ ، فستجد هذه السمة بارزة في حياتهم ·

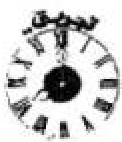
وكان هذا درسا آخر ·

– ٦ –

آثرت أن اذكر هذه التجارب حول شخصية واحدة هي جدتي رحمها الله ·· توفيت عام ١٩٣١ عندما كنت في الثانية عشرة من عمري ·

وكان من آخر ما أوصت به ، وهي تعاني سكرات الموت بعد مرض قصير ·· أن تعنى الاسرة بتعليمي ·· كنا جميعا في مدارسنا · كلنا قريب من قلبها · أوصت بنا جميعا خيرا · عشنا في ظل رعايتها وما زلت أجد دفع هذه الوصية في حياتي ··

وتعودت أن أزور قبرها وأرى دائرة الاسرة تتسع حول القبر ·· هنا الاعمام والعمات والخال والخالات ومن لحق بهم من ذرياتهم ·· هنا شباب غض سارع الى مبارحة الحياة ·· هنا أسرة كبيرة حولها · ومن فوقهم ترتفع هياكل رخامية تحمل الاسماء والدعاء · وأشجار خضراء بغصونها العالية ، ونبت الصبار قريب من الارض بأوراقه الغليظة الشوكية · والحياة كالزرع فيه الشوك والنبت الوادع · فيه الغلظة



واللين ····· « منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى » ·

– ٧ –

وأود أن أوسع الدائرة قليلا لأضيف اليها تجربتين ·

في حي راغب باشا تتجاور الاسر الاسلامية والمسيحية ···

وغير بعيد منا كانت أسرة مسيحية : كبيرها موظف في جمعية قبطية في الحي · نتعاون في المذاكرة ·· علوم اللغة العربية واللغات والمواد الاجتماعية في منزلنا · وجالنب من الرياضيات في منزلهم ·

وكان في الحي أكثر من كنيسة ، لأكثر من مذهب · وكنا ننظر الى هذا كله في طفولتنا بسماحة ·

وفي المدرسة نتنافس معا ونلعب معا · وفي البيت نذاكر معا ·· وما زلت احتفظ ببعض هذه الصداقات التي شاءت ظروف الجوار أن تضم شملها بعد أن فرقتنا رحلة التعليم في مسالك شتى ·

كنا نختلف احيانا ونتشاجر · ولكن الود كان بيننا قويا ·

وكنا نذهب مع صديقنا المسيحي احيانا الى جمعية الشبان لنرى بعض العروض السينمائية وكانوا يشاركوننا الفرحة والحزن في مناسباتنا ··

وأذكر مرة أننا في المدرسة الثانوية دخلنا في نقاش ديني ·· كنا نقرأ كثيرا وبخاصة في عطلة الصيف · وكانت فترة التفتح على الاتجاهات

والتيارات حولنا من سياسية ودينية.
وارتفع مرة نقاشنا في البيت وقت المذاكرة فما كان من أكبرنا ، وكان عريفا لنا في المذاكرة أنهى دراسته الثانوية ودخل الحياة العامة ، الا أن قال :

ـ انتم أصدقاء . تذاكرون معا . لا هو سيزيد المسلمين اذا أسلم . ولا أنتم تزيدون المسيحيين . أنتم تذهبون الى المسجد . زميلكم مواظب على الكنيسة وشماس فيها وأسرته متدينة . تذاكرون هنا وتذاكرون هناك . يأكل معكم كعك العيد . وتأكلون عنده طعام الصيام . وبعد ذلك يرتفع صوتكم هكذا !! ..

دعوا هذا النقاش ولا تعودوا اليه .. واعطونى كلمة شرف وتفرغوا لمذاكرتكم ، والا حرمتكم من المذاكرة معا ... ،

وكنا أصدقاء متحابين فأعطيناه كلمتنا واحتفظنا بصداقتنا .. « ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة » .

ـ ٨ ـ

واذكر فى أول عهدى بالدراسة الدينية المتعمقة فى فترة التعليم الثانوى ، أن اتجهت بحكم الجوار والصلات العائلية اتجاها صوفيا تعبديا .

كانت بالقرب منا زاوية لطريقة صوفية . وكنت أواظب على صلاة الفجر والمغرب والعشاء فيها فى عطلة الصيف وأحضر معهم حلقة الذكر قبل الشروق وبعد الغروب .

وكان الشيخ رحمه الله يعرف أسرتى . ودخلت مكتبته يوما وكان يقرأ فى كتاب « تيسير الوصول الى جامع الاصول من حديث الرسول صلى الله عليه وسلم » . والتيسير من تأليف عبدالرحمن بن على المعروف بابن الديبع الشيبانى الزبيدى الشافعى المتوفى سنة ٩٤٤ هـ . وهو مختصر لجامع الاصول مجد الدين أبى السعادات محمد بن الاثير الجزرى المتوفى سنة ٦٠٦ هـ .. ويجمع الكتاب الاصول الستة فى الحديث : موطأ مالك . صحيح البخارى . صحيح مسلم . سنن أبى داود . صحيح الترمذى . سنن النسائى . ومرتب على حروف المعجم .. فتجد مثلا فى حرف الهمزة : الايمان . الاعتصام . الامانة . الامر بالمعروف .. وفى حرف الحاء : الحج والعمرة . الحدود الحضانة .

والكتاب من أجمل وأكثر كتب الحديث نظاما وأيسرها حفظا وأقربها الى يدى حتى الآن .

وأعارنى الكتاب وبدأت اقرأ واقرأ .. وكانت أول تجربة لى مع كتاب حديث كبير بالنسبة الى ما بين يدى من كتب وقتئذ .

واخذت انقل منه الكثير فى كراسة عندى واحفظ منه ما استطيع . وزاد حبى لحديث النبى عليه الصلاة والسلام كلما زادت قراءتى فيه ... كنت فيه حالا مرتحلا .. اقف عند باب من أبواب الخير لارتحل منه الى باب جديد .. كان حديث الرسول (ص) عندى روضة انتقل فيها من ظل الى ظل ومن خير الى خير .

وامضيت مع الكتاب صيفا كان حاسما فى اتجاهى الدينى . احببت فيه حديث الرسول وحفظت ـ بعون من الله وتوفيق ـ قدرا غير قليل من الكتاب . ولكنه اوقعنى فى تناقض كبير : أسلوب الذكر الذى أمارسه لا يتفق مع صحيح الحديث الذى اقرؤه ..

وحملت هذا التناقض الذى أحسسته الى الشيخ ..

وحاول معى :

ـ لقد درس مشايخنا هذا الامر وانتهوا فيه الى ما نحن فيه .

وسألته عن الاسم المفرد وأسم

الصدر ، وهى طرق معينة لنطق لفظ الجلالة . وقال ما عنده من علم . ونداء حديث الرسول يعلو فى نفسى . والوضوح والسماحة فى قول الرسول عليه الصلاة والسلام ، تدعونى :

« تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما : كتاب الله تعالى وسنة رسوله ، صلى الله عليه وسلم» رواه مالك .

وما أخرجه البخارى عن ابن مسعود رضى الله عنه ،عن رسول الله (ص) : «ان احسن الحديث كتاب الله ،واحسن الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم . وشر الامور محدثاتها وان ما توعدون لآت وما أنتم بمعجزين » . (تيسير الوصول ١ : ٢٤ ـ ٢٦) .

وطال بيننا الحوار وتفتحت أمامى وقتئذ أبواب اخرى أوثق عن طريقها صلتى بالكتاب والسنة ومصادر الاسلام الاولى فى نقائها وصفائها وبساطتها .

وفى يوم قال لى الشيخ :

« أحس أن قراءتك ستبعد بك عن طريقنا . ولكنى أود أن تذكر دائما أمورا أساسية :

ان الدين واحد . والرسول صلى الله عليه وسلم واحد . وقبلتنا واحدة . وقرآننا واحد . ونحن جميعا أخوة فى الله . لا تنس الاخوة فى الدين اذا اختلفت الآراء » .

وكانت كلمة وداع ولقاء .. حافظت على وده حين هاجرت من الاسكندرية الى القاهرة فى طلب العلم فى الجامعة . وحفظت هذا الود بعد هذا فى مراحل الحياة حتى لقى الشيخ ربه منذ قريب .

وكانت لى بعد هذا تجارب فى الدين والحياة لها أعماقها وأبعادها وما كان فى ذهنى حين كتبت هذا الحديث أن أعرض هذه التجارب التى بدأت مع حياتى الجامعية فى القاهرة فى عام ١٩٣٦ .

ولكن ما أود تسجيله أن هذه الكلمات المنيرة من الشيخ فى الاسكندرية ، رحمه الله ، ظلت حية فى نفسى اتذكر بها الاخوة فى الدين والاخوة فى الوطن والاخوة فى الانسانية .

وفى ذات الوقت ارجع بالقضايا الى مصادرها وأصولها .

ـ ٩ ـ

قوى ارتباطى بعد هذا بالقرآن وبالحديث النبوى الشريف حفظا وتفسيرا . وفتح لى هذا بابا من وجوب العناية باللغة العربية وقادنى هذا الى الانفتاح على الدراسات الدينية المقارنة : المذاهب الاسلامية . المذاهب المسيحية . اليهودية . البوذية . الهندوكية . الكونفشيوسية الشنتوية .

واقتضى هذا عناية باللغات الاجنبية وبمصادر الفكر الاسلامى غير العربية وبالدراسة المقارنة مع المذاهب والفلسفات المعاصرة ... والصلة بين العلم والدين .

ووقفت كثيرا بحكم تخصص الدراسة عند الربط بين الجغرافيا والدين . ومن هنا جاءت عنايتى بجغرافية الأديان وكتابتى فيها ... ثم الربط بين العلم والدين ووجوب استخدام المنهجية العلمية دون تعارض مع الايمان ... فالدين يدعو الى العلم والعلم يدعو الى الايمان ... ومع تقدم السن تتسع آفاق الحياة ويزداد الاحساس بما ينقص الانسان وهو فى طريق العلم . وما ينقص الوطن وهو فى طريقه الى بناء ذاته

بالعلم والايمان ، فى المعركة الحضارية التى نقابل فيها تحدى التخلف ، والوجود الاسرائيلى ، والتناقضات والتوافقات العالمية القائمة على التعاون فى ظل العداوات ، وتغيير المواقع والمواقف مع المصالح.

واخذت تتضح فى نفس اهمية التنظيم الشامل والتصور الواعى المرن للمستقبل الذى يقنع فيه الفرد بدور يستطيع فيه ان يضيف الى الحياة وان تتوفر له فى المجتمع المسالك التى تحمل الرأى الشجاع الى مكانه فى الدراسة ، وتكامله مع غيره ، وفعاليته فى التنفيذ ، فيحدث التوازن بين الفرد والجماعة ، والجزء والكل والايمان والعلم ، والاخلاق والتنفيذ.

ولهذا حديث ارجو ان يتاح الوقت لتسجيله ...

– ١٠ –

وأود قبل أن اضع القلم ان اذكر فى ايجاز ان تركيزى فيه كان على شخصية تركت اثرا عميقا باقيا على طفولتى ، وهى جدتى رحمها الله ، واضفت الى هذا تجارب كانت ثمارا لهذه الجدة المؤمنة، تجارب فى الوحدة الوطنية والسماحة الدينية فى مرحلة التعليم الثانوى . ثم لمحة عن تتابع العناية بالدراسات الدينية وروابطها العلمية فى حياتى .

عند هذا وددت أن اقف ...

اقف لان سفينة الحياة كانت وقتئذ فى المياه الضحلة ... كانت لاتزال فى الميناء لم تخرج الى عرض البحر حيث الموج والتيارات والعواصف .. حيث صفو السماء وعبوسها . ولقاء الموت والحياة . ووطأة القيود وفرحة الحرية وقسوة الجوع وهدوء الصباة، والتتابع العنيف للخير والشر . والوحدة الطويلة بين الجدران الصماء ، والحياة فى ضجيج الحياة ... وعرفت قضاء الليالى على الارض الباردة حيث يقصر طول الانسان الى الثلث : الرأس بين الركبتين ، والارجل دفء للبطن ، والايدى تحيط بالساقين او تختفى تحت الرقبة حين يغبط الانسان القوقعة على قشرتها ، والسلحفاة على درقتها ، والطير على وكره ..

وعرفت بعد هذا مقاعد المؤتمرات العالمية ومقعد الوزارة

واستطيع أن اقول فى هدوء لو سألنى سائل : ما اغلى ما عندك ؟ لقلت دون تردد :

– الايمان بالله تعالى .

لقد كان الايمان بالله – ولايزال – وأرجو أن يظل : الأنيس فى الوحدة والصاحب فى السفر .

كان وحده القادر على ان يقتحم الحوائط الصامتة والابواب المغلقة .

اهلك واصحابك يمكن ان يعزلوا عنك ... المنصب . الجاه . البيت . المال ... قبض الريح . ولكن يبقى الايمان الحصن الحصين الذى تأوى اليه .

هو البقاء الذى لايستطيع الموت ان يوقفه ...

واللقاء الذى لاتستطيع قوة ان تحول دونه ...

والمستوى الذى لايستطيع اهل الارض الهبوط به ...

هو الامن الذى لا خوف معه ...

به تستطيع ان تجد نفسك مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا .

واخيرا ...

ما دامت حياة فلكن دائما طالب علم تخشع فى محرابه وتستقبل الكثير من النور ... لتعطى . ولنذكر معا دائما وصية القرآن الجامعة « ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله » ...

ورحم الله الجدة الصالحة التى كانت اول من اخذ بيدى على طريق العلم والايمان .

د. عبد الحليم
محمود
شيخ الأزهر

وما من شك فى ان الكثير من الناس يسيرون فى الحياة حتى تنتهي بهم ، فلا يثيرهم، ولا يسترعي انتباههم أمثال هذه النصوص ، ومن الناس من تشد هذه النصوص انتباههم فى قوة لأنهم عاشوا حياة تتصل اتصالا وثيقا بها !

عن التجربة الكبرى

تجربتي مع الإيمان

واقصد «بالتجربة الكبرى» : «تجربة الهداية»

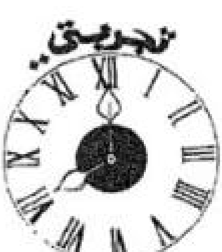
ان الله سبحانه وتعالى يقول فى حديث قدسى :

« يا عبادى كلكم ضال الا من هديته ، فاستهدونى أهدكم» !

ويقول سبحانه لرسوله الكريم :

(انك لا تهدى من أحببت ، ولكن الله يهدى من يشاء) .

ونحن نمر بأمثال هذا الحديث الشريف، وهذه الآية القرآنية الكريمة فلا نكاد نعيرهما التفاتا ! ..



أنهم يقفـــون طويلا مرددين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيمـا رواه الترمذى : روى عن أم سلمة أنه كان أكثر دعاء رســـول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان عندها :

« يا مقلب القلــوب ثبت قلبى على دينك »

د . عبد الحليم محمود



ومعه صلى الله عليه وســلم فى قوله ـ فيما رواه الامام مسلم :

« اللهم مصرف القلــوب صرف قلوبنا على طاعتك »

وكنت أنا أحد هؤلاء الذين اتجهوا الى الله يضرعون اليه بهذا الدعاء وأحب أن أسير مع الامر من ابتدائه ٠

نشأت فى أسرة تتسم فى الظاهر والباطن بالتدين ، وكان والدى رحمه الله يفــرض جو التدين فى ارادة لاتلين !

لقد تعلم فى الازهر ثم استقر به المقام فى القرية ، وكان معنيـا بكل صغيرة وكبيرة من فروض الدين ، وسنة رســـول الله صلى الله عليه وســـلم ، وما كان يجد فى ذلك مقاومة ، ولا معارضة ، فقد كانت والدتى رحمها الله تسير على غراره وتتبع جو هواه ، فتسير فى تياره ٠

وحفظت القرآن الكريم فى « كتاب » القرية ، ثم دخلت الازهــر ، وكانت أمورى فى قراءتى ، وفى أفكــارى تسير فى الجو العادى التقليدى

ثم كانت النقلة المفـــاجئة الى فرنسا ٠٠٠

ومن أول يـــوم حلت فيه قدماى أرض فرنسا بدأت المفاهيم والمبادىء عندى تأخذ مجراها فى مختبر النقد والتفكير ، ولكنها كانت فى صـــورة هينة سهلة ، بل ويمكن أن أقول أنها لذيذة ، ومن أمثلة هذه الأمور الهينة انى رأيت النشــاط يدب فى جميـــع مجـالات الحياة ، ورأيت السرعة ، وحــب السرعة ، والحـــرص على السرعة فى كل مجـــال ، وفى كل مكان ٠

لقد رأيت الفتيات يمشـــين ، بسرعة ورأيتهن يتحدثن فى سرعة ، وجال فى ذهنى ما كنا نقـــرؤه عن

وصـــف المرأة الجميلة . وان من سمات جمالها ما يقوله الشاعر عن مشيتها وعن حديثها :

« مشى القطاة ونطقها ايماء »

واخذت اوازن بين مفاهيم الشعراء القدماء فى الجمال . ومقاييســهم فيه . فى المشى والحديث وغيرهما . وبين ما أرى واسمع . واهتزت نوعا ما المقاييس القديمة .

ورأيت الرجال اكثر سرعة واكثر نشاطا وحركة . وبنت الحياة وكأنها سرعة ونشـاط وقفز . وابتعاد فى كل ثانية عن الماضى . واستئناف فى كل لحظة للمســتقبل . وتجديد دائم لا يهدأ ولا يفتر قط . وتذكرت عنـد ذلك وصف سـيدنا عمر من أنه اذا مشى أسرع . واذا ضرب أوجـــع . واذا تكلم اسمع .

ونعمت فى اللحظـــات الاولى من وصولى بهذا الذوق الراقى . فى كل شىء .

وهذه النظافة التى تجدها اينمـا تسير : فى الشـــارع . فى محلات البيع . على وجوه الأطفال . وعلى الملابس عند الكبار . وعند الصغار . ويبهرنى الحضـــارة الاوربية فى مظهرها هذا الخارجى الذى يتمثـل فى النشاط والنظافة والذوق .

ولكن هذا الانبهـار يجعلنى اعود الى المفاهيم الاسلامية فى النظافة وفى الجمال واستذكر :

« ان الله جميل يحب الجمال »

« وان الله طيب لا يقبل الا طيبا »

وقوله تعالى : (قل من حرم زينة الله التى اخرج لعباده والطيبات من الرزق) .

وقوله سبحانه :

(خذوا زينتكم عند كل مسجد)

واتذكر هذا التراث الاســـلامى الضخم الذى يتصل بالنظافة والنشاط والذى يعيشه الغربيون فى صـــورة واقعية فكانوا فى هذا كأنهم مسلمون مثاليون !

واعود من الانبهار الى الأســف على ما عليه المســـلمون فى هـــذه المجالات مبتعدين عن الاوامر الاسلامية الصريحة

ولكنى كنت اعود فأقول : هـــذا المظهر الخـــارجى ما دام مرتبطـــا بالثقافة ودرجتها . ومادام الاسلام قد حث عليه فى قوة . ومادمنـــا آخذين بأســـباب الثقافة فى عناية ظاهرة فاننا سنصل الى ما نرضـــاه فيه ان شـــاء الله . وكان هذا يجعل الجمال الظاهر من الحضارة الغربية، فى تصورى ليس ببعيد المنال بالنسبة لنا نحن الشرقيين .

ودخلت الجامعة . وبدات الدراسة فى علم الاجتمـــاع وعلم النفس . ومادة الاخلاق . وتاريخ الاديان .

وكانت هذه المواد يتزعم دراستها وتدريسها الاساتذة اليهود ، أو الذين تتلمذوا على الاساتذة اليهود !

وكانت هذه المواد كلها تسير فى تيار محدد ، هو : أنها « علوم مجتمع » أى أنها لاتتقيد بوحى السماء ، ولا تتقيد بالدين على أنه وضع الهى فهى تدرس موضوعاتها على أنها ظواهر اجتماعية ، وظواهر انسانية ·

وبدأنا فى الدراسة نسمع مختلف الآراء فى نشأة الدين ، ومختلف الآراء فى تفسير النبوة ، وينتهى الامر برأى الاستاذ فى الموضوع ·

وليس فى هذه الاراء - على اختلافها وتعددها - ما يتجه الى ان الدين وحى من السماء أو ان النبى موصول الاسباب بالسماء ، واذا انتظرنا من الاستاذ ان يصحح الوضع ، فيدلى فى النهاية برأيه مثبتا الألوهية والنبوة هادما للاراء الاخرى واصفا لها : بأنها ضلال !·

اذا انتظرنا ذلكمنه فاننا نكون واهمين ، فانه واحد من هؤلاء العشرات من الاساتذة فى هذه المواد وما شابهها المنغمسين فى تيار المادية ·

لقد فسرت الجامعات الاوربية العلم على انه القواعد التى تقوم على التجربة والملاحظة ، والتزمت ان تفسر وان تشرح علم الاجتماع وعلم النفس، وجميع الظواهر فى الآفاق ، وفى الانفس على هذا الاساس ، والتزمت ذلك ايضا فى تاريخ الاديان ·

● هذه العلوم بالذات وفروعها تتكاتف لتقود الانسان متعاونة متساندة الى الالحاد

ان للدين - فيما يزعمون - نشأة انسانية اجتماعية ، وان للخلق - فيما يرون - نشأة انسانية اجتماعية ، وقد تواضع الناس على سلوك معين سموه : « فضيلة » ، وعلى سلوك آخر سموه : « رذيلة » !

ودراسة الدين والاخلاق اذن تتجه الى النشأة والمظاهر وعوامل التطور، وظواهر التطور ··· وليس للسماء فى الدراسة من نصيب ، اللهم الا الوصف لظاهرة نشأت فى المجتمع !

وكل الظواهر والمظاهر فى هذه الدراسات اعتبارية نسبية متغيرة متبدلة لا تثبت على حال ، ولا تستقر على وضع ، لانها فى كل يوم تتبدل حالا بحال ···

وهذه الافكار تتكرر فى هذه المواد: تسمعها فى علم الاجتماع ، وتسمعها فى علم النفس ، وتسمعها فى دراسة مادة الاخلاق ، وتسمعها فى دراسة تاريخ الاديان ، وتسمعها فى دراسة العلوم المتفرعة من كل ذلك ·

والشاب الذى انتقل من الاقسام الثانوية الى الجامعة يتأثر بأساتذه فاذا كان الاساتذة متكاتفين على هدم القيم الثابتة ، والمثل العليا التى يقررها الدين ، وتقررها الاخلاق ، اذا كان الامر كذلك فان الطالب الذى يعيش فى اجواء تتعاون كلها على هدم عقائده ومثله وقيمه ينتهى به الامر - فى الاغلب الاعم من الحالات - بأن تنهار هذه القيم فى شعوره ·

ومن هنا كانت الظاهرة التى تجدها فى طلبة الجامعات فى اوربا من الاستخفاف بكثير من العقائد ، وبكثير من القيم وينتهى الطالب بالالحاد ، أو على أقل تقدير بالايمان

لكامن الذى لافاعلية له ، ولا تأثير فى سلوك الانسان

وكنت — من غير ما شك — اضيق بكل ما يجرى فى هذه الدراسات ولكن الله سبحانه وتعالى الهمنى التفكير فى قيمة وآراء الاساتذة انفسهم فى هذه الآراء

وبدأت افصل بين عالمين من المعرفة : عالم الماديات كالطب والطبيعة والكيمياء ، وهى أمور تحكمها التجربة ولا تتعارض مع الدين ، ولا اختلاف فيها ... وعالم التفكير المجرد فى الدين والاخلاق والمجتمع

وأخذت أدرس فى أناة هذا الجانب الاخير من الزاوية التاريخية ، فوجدت أنه منذ أن بدأ التفكير ، بدأ فى اللحظة الاولى الاختلاف فيه ، وبدأ كل زعيم من زعمائه ينتقد الاخرين فى عصره ، وكل مفكرى عصر ينتقدون المفكرين فى العصر السابق عليه ... وهكذا الامر !

وما من شك فى أن هؤلاء الاساتذة الذين يدرسون لنا ينتقد بعضهم بعضا فى آرائهم · ويخطىء بعضهم بعضا · كما ينتقدون السابقين عليهم ويخطئونهم ، وسيصنع من بعدهم صنيعهم فيوجهون اليهم النقد ويخطئونهم ، وهكذا الى أن يرث الله الارض ومن عليها !

●●●

لقد أخذ « دور كايم » اليهودى يعمل بمعاول هدامة فى كل القيم والمفاهيم الدينية والاخلاقية ، وأخذ تلميذه الاكبر اليهودى « ليفى بروهل » ينهج منهجه ويسير على طريقه فى علم الاجتماع وفى علم الاخلاق ، وكتاب « ليفى بروهل » : « الاخلاق وعلم العادات — مثل واضح لهذا النوع من القيم · ومحاولة القضاء على كل المثل !

فكرت اذن فى اختلاف الآراء ، أو فى هدم بعضها البعض فى مواجهة كل ما يقوله الاساتذة ·

وكنت اقول فى نفسى — فى مواجهة كل استاذ — سيهدمك المعاصرون لك ، وسيهدمك الذين يأتون من بعدك !

ولكنى فى مواجهة كل هذه الآراء الالحادية — كنت اتشبث بيقين لا شك فيه ·

كنت اقول فى نفسى : اذا كانت الاخلاق نسبية ، فهل سيأتى الزمن الذى نعتقد فيه : ان الصدق رذيلة ، أو أن الشهامة شر ، أو أن الشجاعة سوء · او ان العفة جريمة ... او ان كذا ، او كذا ... ! ثم اعود الى نفسى فأقول : كلا ...!

واتساءل من جديد فى مجال العقائد : هل سيأتى اليوم الذى لا نقول فيه بوحدانية الله · أو لا نقول فيه بارادته وعلمه ؟ !

واعود الى نفسى واقول : كلا !

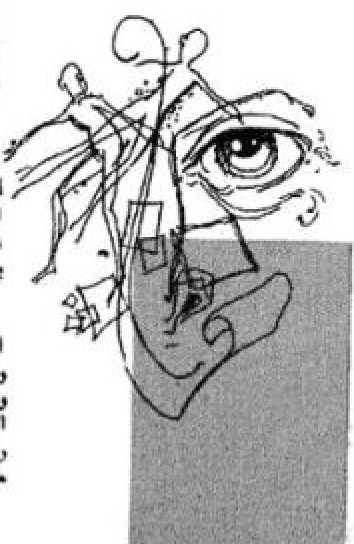
كنت احاول دائما ان أرده ان هؤلاء القوم يسيرون فى طرق لاتنتهى الى غاية ·· ما هدفهم من ذلك ؟

وما كنت أجد الاجابة عن هذا السؤال أنئذ · لكنى عرفت فيما بعد أن هذا هو المنهج اليهودى الذى رسموه بعد تفكير طويل ، والتزموا القيام به بكل الوسائل ، او بكل الطرق ، وهو منهج التشكيك فى القيم والمثل والعقائد والأخلاق !

يستخدمون هذا النهج فى المجالات المختلفة لافساد المجتمعات وتحللها اخلاقيا ودينيا ، ويضيفون اليه العمل

على اثارة العمال على أصحاب رءوس الاموال ، وعلى ايجـاد الضغائن والفتنة بين مختلف فئات الشعوب ، والثمرة التي يعملون دائبين على الوصول اليها : ان يكون المجتمع شاكا مليئا بالفتن ، وذلك سبيلهم الى السيطرة !

ان اليهود يهدفون من وراء كل ذلك الى السيطرة على العالم ، والا يقف في وجههم قوة من ايمان ، أو قوة من خلـق ، ومن اجل ذلك تكاتفوا على ان تكون لهم الكلمة الاولى في الجامعات في علم الاجتماع وفي علم النفس ، وفي مادة الاخلاق ،وفي تاريخ الاديان . ولم يكن من السهل على اثناء هذه الدراسة الاستمساك الواثق بالقيم والمثل التي نشأت عليها ، ولولا عون من الله سبحانه وتوفيق منه ، لصرت كواحد من هؤلاء الالوف الذين يدرسون في الجامعات الاوربية ثم يخرجون منها ، وقـد تحطمت في نفوسهم المثل الدينيـة الكريمة .



وانتهيت من هذه الدراسة ، ثم كانت المرحلة التـالية هي مرحلة « الدكتوراة » .

***

وبعد تجاربهنا وهناك في مجالات مختلفة من الموضوعات ، وبعد تردد بين هذا الموضوع أو ذاك ـ هداني الله ـ وله الحمد والمنة ـ الى موضوع التصوف الاسلامي .

ولم يكن ذلك مصادفة ، وانما هي هداية وتوفيق من الله سبحانه وتعالى وهي عناية أعجز عن شكر اللـه سبحانه وتعالى عليها .. وانغمست في العنصر الاساسي في موضـوع الرسالة ، وهو دراسة الحـارث بن أسد المحاسبي .

انغمست في جو مجمـوعة من المخطوطات لهذا العـالم الكبير ، والصوفي المستنير ، ورأيت انه قـد مرت به ـ هو الاخـر ـ فترة من الضيق لاختلاف الاراء وتفرقهـا ، والحيرة في أيها الاحق وأيهـا الاصوب ؟ ثم هداه الله سبحانه الى الطريق الاقوم ..

ووجدت في جو الحارث بن أسـد المحاسبي الهدوء والطمأنينة ، ولكنه ليس الهدوء السلبي ، أو الطمأنينة المعتزلة المنطوية على نفسها ، ولكنه هدوء اليقين ، وطمأنينة الثقة بمـا يعـلم ..

تلك التي بثنفسه في معترك المشاكل التي يثيرها المبتدعون والمنحرفون ، وأخذ يصارع مناقشا . ومجادلا ، وهاديا ، ومرشدا . متخـذا الاساس الاصيل ، والمصدر الاول: القـرآن والسنة ، متخذا ذلك مقياسا وحاكما متحكما في كل ما يقال أو يفعل .



وانتهيت من دراسة (الدكتوراه) وانا اشعر شعورا واضحا بمنهج المسلم فى الحياة ، وهو منهج : « الاتباع » ..

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كلمة موجزة عن هذا المنهج هى اعجاز من الاعجاز ، انه صلى الله عليه وسلم يقول :

« اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم »

وهى كلمة حق وصدق ثرية بالمعانى الطويلة العريضة ، يبرهن آخرها على أولها ، والنهى فى وسطها يبرهن عليه أيضا آخرها : أى اتبعوا فقد كفيتم ، والكافى هو الله سبحانه وتعالى الذى أوحى المبادىء والأصول والقواعد ، وطبق رسول الله صلى الله عليه وسلم كل ذلك وبينه ، فكان تطبيقه مقياسا وبيانا ومرجعا يرجع اليه المختلفون !

« ولا تبتدعوا فقد كفيتم » : ان الذى يبتدع هو من لا كفاية له ، ولكن الله سبحانه وتعالي بعد أن أكمل الدين ، وأتم النعمة ، فليس هناك من مجال ، ولا من حاجة الى الابتداع

لقد كفانا الله ورسوله صلى الله عليه وسلم كل ، ما أهمنا من أمر الدين :

وبعد أن وقر هذا المنهج فى شعورى واستيقنته نفسى أخذت أدعو اليه : كاتبا ومحاضرا ومدرسا . ثم أخرجت فيه كتابا خاصا هو كتاب :

« التوحيد الخالص ، أو الاسلام والعقل »

وما فرحت بظهور كتاب من كتبى مثل فرحى يوم ظهر هذا الكتاب ، لانه هو خلاصة تجربتى فى حياتى الفكرية .

وكل ما كتبته عن التصوف ، وعن الشخصيات الصوفية فانما يسير فى فلك هذا المنهج : منهج الاتباع .

وهذا المنهج يفترض :

١ ـ مقاومة الغزو الفكرى :

والغزو الفكرى له مجالات مختلفة: هناك الغزو الفكرى فى العقائد يتمثل فى كل هذا التراث الضخم الذى نقل الى اللغة العربية فيما يتعلق بماوراء الطبيعة ، وهو تراث مختلف متعارض بل ومتناقض وهو نتاج بشرى بكل ما يتسم به النتاج البشرى من خطأ وضلال .

مع الإيمان

٢ – والغزو الفكرى فى نظــــام المجتمع : الذى حاول ان يفرض علينا نظام المجتمعات الاوربية ..

واذا نحن سرنا فى تياره ، فاننـــا نصبح ولا شخصية لنا ولا ذاتيــــة ونصبح وقد فقدنا رسالتنا التى كلفنا بتبليغها للناس ونشرها وهى رســالة الاسلام التى من اجلهـــا كانت الامة الاسلامية · وبدونهـــا تصبح الامة الاسلامية ولا مبرر لها !

٣ – والغزو الفكرى فى مجـــال التشريع :

وهذا الغزو الفكرى فى مجـــال التشريع توجد أسسه وأصوله بصورة مشروعة فى مختلف الاقطار العربية ممثلة فى كليات الحقوق التى تنفق عليها الدولة وتعتمد شهاداتها ..

وكليات الحقوق هذه دراســـتها غزو فكرى ، واســــتعمار فكرى ، ودراستها : اثر من اثار الاستعمار التى لم تزل بعد أن زال الاستعمار ·

واذا كانت الامم الواعية تحـــاول جاهدة أن تتخلص من وصـــــمة الاستعمار بما فيها من شرور ورجس وآثام ، فان الكثير من الدول العربية لم تحاول أن تتخلص من وصـــــمة الاستعمار الصارخة الواضحة الممثلة فى هذه الكليات

ان هــذه الكليات تخصص عشرين ساعة فى الاسبوع للقوانين الاوربية اى للفــــكر الاوربى فى التشريع ، وتفرض على الطـــــالب ان يذاكره ويستوعبه ويحفظه ويتمثله ، وينجح فيه فى الامتحان ·

أى انهـــا تفرض على الطالب ان يستعمر فكره الاوربيون فى مجـــــال التشريع وان يلغى ذاتيته الاسلامية فى هذا المجال ، وأن يكون تابعـــا للاوربيين فى هذا المجال ، مقلدا لهم تجره عجلتهم – مستسلما لغزوهم · وبينما تخصص هذه الكليات عشرين ساعة اسبوعيا للفـــكر الاوربى فى التشريع ، اذا بها تخصص ساعتين فقط للتشريع الاسلامى !

ولو ان هذه الكليات فى فرنســــا أو فى انجلترا لما فعلت اكثر من ذلك .. ومنهج الاتباع : اذن يقتضينا ان ننظر فى جد فى أمر هذه الكليـــات لتمثل الوطنية والاسلامية والعروبة

وبعــــــد :

فان منهج الاتباع هو الخلاصـــة الجوهرية للتجارب الخاصة بالطريق الذى ينبغى ان يسلكه المسلم فى حياته واذا سار فيه المسلم فردا ، أو سار فيه المجتمع مجتمعـــا ، فان الله – سبحانه وتعالى – يكتب له الهدوء والطمأنينة والسعادة لانه يكون فى جو ربانى مليء برعاية الله سبحانه وتعالى وعنايته ..

« ومن يعتصم بالله فقد هدي الي صراط مستقيم » · هذا وبالله التوفيق

يوسف السباعى
وزير الثقافة

عبر بى ، فى رحلة حياتى ، كثير من لحظات السعادة ، ولكنى حينما استعرضها جميعا ، احس ان اجمل هذه اللحظات ، هى التى احسستها منذ ايام ، فى وقفتى بين اخوتى ولولادى ابطال الجيش الثالث على الشاطىء الشرقى من القناة

واقول « اخوتى واولادى » .. لان فيهم بعض لداتى ، وفيهم كذلك بعض ابنائى الذين تتلمذوا على فى الكلية الحربية او فى الثانوية العسكرية

وعندما التقيت بهم هذه المرة ، غمرتنى السعادة وهم يعانقوننى ، وملأنى الزهو وانا اتمل وجوههم التى يتغنى فيها البشر بما حققوا من نصر ، فى ثقة ورجولة وعزة وفداء .

من تجاربى

كنت أتمنى أن أظفر

وعادت بى الذكريات الى أيامى فى الكلية الحربية ، طالبا ثم معلما ...

كنت طالبا متقدما . وعندما تخرجت التحقت بسلاح الفرسان ، وحاولت أن أكون فارسا متفوقا ، فاجهدت نفسى فى ركوب الخيل حتى وصلت الى الدرجة التى كنا نسميها يومئذ « يوزباشى ركبدار » .. أى معلم فن الركوب ثم التحقت بسلاح الدبابات ،

وأصررت على أن أتفوق فى هذا الميدان أيضا . فالتحقت بمدرسة الشرق الاوسط للمدرعات ، التابعة للجيش البريطانى ، وكانت بحى العباسية ، وأحسنت التدريب على دبابتى « سيناتوريون » و « تشرشل » وكانتا أفضل دبابتين فى ذلك العهد .

ثم دفعنى طموحى الى مزيد من التفوق فى الميدان العسكرى ، للالتحاق بكلية أركان حرب ، حتى



يوسف السباعي

لا اكون دون غيرى من الضباط فى مستوى العلم بالميدان الذى أعمل فيه

وهكذا ترى ان تجربتى فى الحياة، جعلتنى اومن كل الايمان بأن النجاح لا يؤخذ فى وثبة ، او يأتى وليد الحظ ، بل لابد أن يكون نتيجة حتمية للاصرار والثقة بالنفس وترويضها على حب العمل المنوط بها ..

وقبل ذلك كله ، الايمان بالله عز وجل ..

وبهذه النظرية فى النجاح ، نفرت من صغرى كثيراً بالمناصب ، لا اتعامل معه ولا اتمنى ان الظفر بمنازله يوما ما ، لان الظفر بها لا يجيء نتيجة جهد ، ولا يستأهل اى فكر ، ولا يسعد المرء أن يجد نفسه فجاة على القمة ، وانما الذى يسعده ، هو ان يصل الى هذه القمة نتيجة سعى حثيث ومضن ومؤمن ..

ثم عليه – بعد وصوله الى القمة – الا يملؤه الزهو بهذه القمة .. والا يأخذه غرور القمة .. بل عليه ان يحتفظ دائما بالشعور انه لم يصل الى شيء بعد ، وبذلك يستطيع ان يحقق ما هو اعظم واكرم وانبل .

●●●

تراوحت حياتى – كما تتراوح حياة

بلقب العابر

تجربتي



كل انسان – بين الفشل والنجاح .

وما زلت اذكر تجاربى الاولى مع الفشل ..

لم اكن فى خلال دراستى المبكرة تلميذا مثاليا .. فقد رسبت اكثر من مرة .. بيد اننى لم اعرف اليأس ابدا ، فقد كان الرسوب فى كل مرة يدفعنى الى النجاح ، ويزيدنى ايمانا بأن الله لا يضيع اجر من أحسن عملا .

واضحك كثيرا حينما اتذكر ان ولدى اسماعيل كان يسالنى – وهو صبى – عن سلوكى المدرسى عندما كنت فى مثل سنه، فاقول له بصراحة اننى كنت كثير الرسوب .. فيتعجب من امرى ، ويقول لى :

– ان آباء جميع زملائى يقولون لاولادهم انهم لم يكونوا يرسبون ابدا، وانهم كانوا اوائل صفوفهم دائما اثناء الدراسة . اليس هناك اب خائب غيرك ؟ !

اما تجربتى فى الفشل مع الادب ، فقد كانت عندما الفت كتابى الاول « نائب عزرائيل » وطبعته على نفقتى ثم جاءت مشكلة التوزيع، فذهبت الى الناشر مصطفى محمد ، صاحب المكتبة التجارية ، وكان يتعامل مع ابى منذ سنوات طويلة ، ويربح من وراء تجارته فى مؤلفاته ارباحا طائلة لا يظفر منها ابى الا بالنزر القليل .

ذهبت اليه ، وانا واثق انه سيرد بعض الجميل ..

وكانت صدمة اى صدمة ، حينما قال لى :

– يا ابنى .. انت زى اولادى .. سيبك من الشغلانة دى .. احسن دى متعبة اوى .

ورفض توزيع الكتاب .. فجعلت اطوف به على المكتبات ، واودع عند كل مكتبة عددا من النسخ ، واتوسل الى صاحب المكتبة ان يضع نسخة منها فى نافذة العرض ، حتى يعرفه ويعرفنى الناس .

واخذت اتردد على هذه المكتبات مرة كل شهر ، لارى كم نسخة بيعت منكتابى واظفر بثمنها ، فكان الجواب الذى يتكرر دائما : ولا نسخة !



حرم يوسف السباعى

وتلاحقنى تجربة الفشل مع النقاد ، الذين اصروا من بداية حياتى الادبية ولا يزال اكثرهم يصر حتى الان ، على الا يوفوا نتاجى حقه من التقييم ، بينما هم يهللون لاعمال اخرى لا تستحق اى تقييم .

كان الشعور بهذا الاجحاف يوجعنى فى البداية ، اذ كنت احس ان كل كاتب فى اول الطريق ، محتاج كل الحاجة لكلمة طيبة تقال عما يكتب ، وتمنحه السعادة بالكلمة ، والقدرة على مواصلة الطريق .

وكان صديقى الوحيد فى تلك الفترة ، هو زكريا لطفى جمعة ، الذى كان يعمل فى جريدة « الزمان » .. ولكنه لم يكن يملك من الوقت متسعا لقراءة نتاجى ولا متسعا للكتابة عنه . فكان يقترح على ، فى كل مرة ، ان اكتب انا بضع كلمات ثناء على كتابى ، ويقوم هو بنشرها .

وكان يبر بوعده ، وتظهر هذه الكلمات ، واقرؤها فاشعر بالخجل لاننى انا كاتبها بيدى

هذه بعض جوانب تجربتى مع الفشل ولعلى لا ازال ارمق الفشل يتهددنى من بعيد ، كلما اقدمت على عملكبير. ولكنى لاالبثان ادركالنجاح



بيسه يوسف السباعى



اسماعيل يوسف السباعى

يتحقق فى النهاية ، بالاصرار على عبور هذه التهديدات ، وعلى الاندفاع الى الامام بخطا ثابتة وواثقة ومؤمنة .

●●●

وكثيرا ما اسائل نفسى : هل انا ناجح ؟

ولا التمس الجواب الا من تطلعى الى من حولى ، حينما تحيطنى منهم مشاعر الحب والتقدير والتقييم ... عندئذ احس اننى حققت بعض النجاح

بيد انى احس فى الوقت ذاته اننى لم اصل بعد الى النجاح الذى اتمناه ... النجاح بالعمل الايجابى الذى يسعد المجتمع الذى اعيش فيه ، ويحقق رخاءه . وكم من مرة وقفت امام السد العالى اثناء بنائه ، وتأملت هذه الزنود السمر التى تحفر ، والتى تفجر الديناميت ، والتى تحمل الحجارة ، وتمنيت ان اكون واحدا منهم ، لانهم حققوا اثرا ملموسا ، وارسوا بناء راسخا يسعد جيلهم المعاصر والاجيال القادمة .

هذا هو شعور الكاتب عندما يساوره شعور القلق فى قيمة ما يكتب ، وفى مقدرة نتاجه على الاثمار والاسعاد والبقاء ، وان كان يدفع هذا القلق فى كثير من الاحيان احساس الكاتب بصدى ما يكتب فى نفوس الناس ، وهذا ما يدفعه الى مواصلة الطريق ومحاولة الصعود الى القمة .

●●●

اما تجربتى مع القصة ، فهى رحلة طويلة وشاقة

فى المدرسة الثانوية ، كنت امارس فنى الكتابة والرسم ، دون ان احدد مسارى فى المستقبل

وعندما كتبت أول قصة لى ، وعنوانها « تبت يدا ابى لهب وتب » ... بعثت بها الى « مجلتى » التى كان يصدرها الاستاذ أحمد الصاوى محمد ... ولا يتصور أحد فرحتى يوم نشرت القصة ... « بقلم الأديب يوسف السباعى » ...

وشارك قلمى فى نفس المجلة التى يكتب فيها طه حسين وتوفيق الحكيم واضرابهما ، واقترن اسمى باسمائهم وانا لم ازل تلميذا بالمدرسة الثانوية بعد .

وواصلت التجربة بجهد واصرار، وكتبت فى « مسامرات الجيب » ثم « الكتلة » التى نشرت فيها « ارض النفاق » و « يا امة ضحكت » .الخ

كل هذا دون أن أحدد مساري ، ودون أن اعرف النهاية التي اصير اليها . وانما كنت اكتب لانني اريد ان اكتب ، واجد من انعكاسات ما اكتب عند الناس ما يزيدني حماسة لمواصلة المسيرة .

وغمرني احساس سعيد بأن ما اكتب يحمل متعة او نفعا للناس ، مع انى لا ازال فى اول الطريق .

وهكذا بدأت طريق حياتي في الادب ، وفي الجيش ، وحتى في السياسة ... دون ان احدد المسار ، مكتفيا بالاصرار على مواصلة المسيرة عابرا فوق تهديدات الفشل .

وفي مجال السياسة مثلا ... عشت ما عشت بعيدا عن الحزبية والاحزاب والعمل السياسى ... الى ان استدعاني الرئيس انور السادات يوما ما – قبل ان يتولى منصب الرئاسة – وطلب منى ان اتولى منصب السكرتير العام لمؤتمر التضامن الافريقى الآسيوى

قلت له : ولكني لم امارس العمل السياسى في حياتي ؟

قال : نعلم

قلت : لا أظن انني استطيع ان انجح في هذا الميدان

قال : خضه ، وجرب ... لقد خضناه جميعا ... فلماذا لا تفعل ما فعلنا ؟

وقبلت وحاولت ، واقدمت ... والله وحده يعلم مدى ما استطعت ان احقق فى هذا المجال ، ولكن تجاربى فى الحياة تؤكد لى دائما ان النجاح هو النتيجة الحتمية لكل جهد مخلص ومؤمن ، وان الله هو ولى التوفيق ، مادام المرء يحب ما يعمل ، ويحسن معاملة من يتعامل معهم ، مصداقا لقول الشاعر :

بنى ان البر شيء هين
وجه طليق وكلام لين



احمد الصاوى محمد : نشر اول قصة ليوسف السباعى

واخذا بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان الله يحب اذا عمل احدكم عملا ان يتقنه »

ووفقا للحكمة القائلة « لا تجعلن جهل الناس بك يغلب على علمك بنفسك » .

اما المرأة ، فقد وهبتني أجمل تجارب الحياة ... لقد اعطتني دائما من الحياة وجهها المشرق ، وجمالها المادى والمعنوى .

وقد تكون تجربة ناقصة ، ولكنها انعكست فى كتاباتى ، وفى فهمى للمرأة التى تصورتها دائما مخلوقا نموذجيا رائعا

كان أول نموذج من المرأة التقيت به فى طريق حياتى ، هو امي رحمها الله

واذكر ان احدى الصحف طلبت الى ذات يوم ان اوجه خطابا الى امي، فكتبت هذا الخطاب، وعنوانه : « لا يضايقنى شيء كحزنك » :

« اكتب اليك للمرة الاولى فى حياتى .

وما كنت أظنني بكاتب لولا أن سئلت ان اكتب اليك .

اكتب وانا حائر عاجز .. لست ادرى ماذا اقول لك .

وكيف أحدثك .. وانا احب دائما ان ارضيك .. وان ابعد عنك كل ما يؤلمك وما يغضبك .

ولكن وسيلتى فى رضائك ، كانت دائما عملا .. وليست قولا .

فانا مقل فى حديثى اليك . اخجل من ان اجلس اليك لاعبر لك عن مشاعرى نحوك ايا كان نوعها ..

ولا يضايقنى شىء كحزنك .. يضايقنى الى حد يجعلنى اقسو فى لومك على حزن لست اجد ما يبرره .

وعندما تبعدنى عنك مشاغل الحياة وتطول غيبتى عنك ، فترسلين الى معاتبة لائمة غاضبة فاسرع بالعودة اليك ... وبى شىء من الدهشة لعتابك .. وانكرك أن غيبتى لم تزد على بضعة ايام . فتنظرين الى لائمة وتقولين :

ـ لبتك تعذر .. وليتك تعرف قلب الام .

واصبحت احس بعجزى عن مجاوبة مشاعرك .. بالكلام دائما ، اعجز عن ترجمة مشاعرى نحوك الى الفاظ ، اهو خجل . ام احساس بانى لم اعد طفلا .. يحن الى احضان امه .. وانى يجب أن اظهر امامك بمظهر الرجل ؟

لست ادرى .

ولكن الذى ادريه . هو ان الفاظى لك دائما تنساب مع مشاعرى نحوك . وبعد ذلك . اجلس لاكتب اليك رسالة . لتكون احدى نماذج رسائل الابناء الى امهاتهم .

فانا قد اصبحت مشهورا ..

واكثر من هذا ، مشهور ككاتب ..

ورسائلى اليك يجب أن تكون شيئا ما .

ومع ذلك .. احس بانى اقف بباب رسالتك ، والالفاظ تتعثر على قلمى ، كما تعثرت دائما على شفتى .

ولست ادرى ماذا اقول لك ..

وما هو الغرض من الرسالة .. احقا اكتبها لك .. ام اكتبها لاعرف الناس بك ؟ ..

انى حاجة انت لان تعرفى قيمتك فى نفسى ، ومعزتك عندى .. لا اظن .. فانت تعرفين جيدا ماذا تعنين لدى .. تعرفين قيمتك . وتعرفين قدرك .. وما اظننى خذلتك مرة واحدة فى اشعارك بهذا القدر ، وهذه القيمة ..

اذن فانا اكتب لاعرف الناس بك ـ او على الاصح .. بنا . كأم .. وابن .

والمسألة لم تعد تحلها بضعة الفاظ متاجلة .. وحنان .. بل باتت تحتاج الى تمهل ، وتامل ، تحتاج الى وقفة ، واستدارة ، ونظرة طويلة عبر السنين ، فى طريق العمر .. وفى الطريق الطويل .. تبين لى شاهقة عملاقة ... تبدين

العلامة المميزة الكبرى لهذا الطريق ٠

رفيقة العمر .. رفيقة اثنين واربعين عاما ..

لم تختلف آثاره على طول الطريق ٠ لحظة واحدة ... آثار ايجابية فعالة ... تجعلك واضحة في كل معالم الطريق كجزء لا يتجزأ من حياتي وذكرياتي ٠

في بداية الطريق .. اذكره كمسئولة اولى عن حياتي .. عن طعامي ، عن نومي ، عن لعبي ، عن دراستي ٠

وتطوى خطواتنا الطريق .. وينمو الطفل .. خطوة بعد خطوة وانت انت .. لا تشعرين به الا رضيعا بين ذراعيك .. تصرين على مسئوليتك الكاملة نحوه ٠ لا تطمئنين على زاده الا اذا اطعمته .. ولا على نومه الا اذا غطيته .. ولا على صحته الا اذا رعيته ..

واذكر وحدتك .. ولوعتك .. وارتياعك .. وجزعك .. عندما وقفت في الطريق وحدك ٠ بالصغار الثلاثة وقد تركنا ابي ٠ ورحـــل ..

اذكر دموعك ، الصامتة ابدا ، وانت تجلسين وســـط البياضات السود التي صبغتها بالسواد حزنا على ابي ٠

اذكرك كقوة رائعة ، تسير بالصغار الثلاثة ، في وحشة الطريق .. في صبر بالغ .. وتصميم موجع ٠

اذكر اشياء كثيرة .. هي معالم حياتي .. واذكرك في اروع صورة ..

صورة يمكن ان تكون نموذجا ، لخير انواع البطولات .. بطولة صامتة .. مســـتترة .. متواضعة .. لا تحس بنفسها ولا يحس بها احد ..

مطرقة في سواد الثياب .. وسواد الطـــريق .. هامسة الصبتين في صمت .. تسيرين بالثـــلاثة اليتامى .. خطوة خطوة ، لتصعدى بهم السفح في اصرار وعزم ٠

وتطوى السنون بكم الطريق ، وانت صامدة ٠ صابرة ٠ وتصيبكم السنون باشياء كثيرة .. خليط من كل ما يحـــدث للناس في حياتنا .. من نجاح .. ومرض وشفاء وسعادة ..

وما زلت تبدين في الطريق .. على ما اصابك من وهن ، كابرز معالمه .. وما زلت ترين اولائك الثلاثة صـــغارا لا يشبعون الا اذا اطعمتهم ٠ ولا يصحون الا اذا رعيتهم ٠ وهم يحـــاولون جهدهم ، وأنا منهم ان يردوا بعض جميلك ... ولعلهم افلحوا وارضـــوك .. فان لم يكونوا ، فعذرهم ان عملك البطولي اجل من أن يرد .. وان لهم في حبك ما يتسع لغفران كل تقصير ٠

« وبعـد ... تلك هي رسالتي اليك ..

اتراني افلحت في ان اخرج عن صمتي .. وعن عجزى .. وان احدثك مرة ٠ بما فشلت ان احدثك به طوال الطريق ؟ لا اظن ..

« فلكي اكتب اليك رسالة كاملة ، يجب ان اروى قصة حياتي .. قصة الطريق التي كانت فيه ابرز معالمه » ٠

من كلمات هذا الخطاب ، يتبين لك أيها القارىء أى نموذج من المرأة بدأت مسيرتى معه فى أول حياتى .

ولم تكن لى أخت حتى أعرف المرأة كأخت ، ولكنى حاولت ان اعرفها بهذه الصفة من خلال من عرفتهن كقريبات أو صديقات ، فكنت أرى فيهن دائما الوجه الفاضل للمرأة المصرية ، بكل ما فيها من طيبة وعطف وحنان ، زوجة واما وربة بيت .

وكانت زوجتى هى الأنموذج المشرق لهذا الوجه الفاضل الذى ارتبطت به طول حياتى

وكان لها أثرها فى انتاجى الادبى ، لانها قارئة واعية وذواقة ، ذات حكم لا يتسم بالانحياز ، تقرأ وكأنها غريبة على ، ثم تبدى رأيها بصراحة

وأذكر اننى عندما كتبت روايتى « السقا مات » وقدمتها اليها لتقرأها ، انجزتها ثم قامت تشد على يدى وكأنها استاذ يهنىء تلميذه بما حقق من نجاح وكان لها فى أكثر الاحيان رأى مماثل فى اكثر أعمالى الادبية ، وفى اقل الاحيان رأى مخالف ، كما حدث بعد ان رويت لها فكرة روايتى « لست وحدك » فقد نصحتنى بالا اكتبها ، مخافة الا تنجح عند الجماهير ، وقلت لها يومئذ اننى لا اكتب لارضاء الجماهير ، بل اكتب لاننى أريد أن أكتب ، وأكتب لاننى اريد أن أوجه الجماهير وأنفع الجماهير .

وكتبت الرواية ، وعندما اكتملت وعادت الى قراءتها ، لم تستطع ان تكتم عنى انها غيرت رأيها فى الرواية ، وانها عمل ناجح

أما مع ابنتى « بيسة » ... فالواقع اننى لم اتبع فى تربيتى لها اى تخطيط ، بل عاملتها دائما ، ومنذ الصغر ، كصديق لا كأب ورغم هذا ، فقد اثبتت لى انها انموذج جميل للفتاة المصرية التى يشرفنا ان ندفع بها الى اى مجتمع ، لتصبح وجها طيبا فى كل مجتمع ، وان كنت أخذ عليها انها تشارك أمها فى فرط الحساسية والقلق على من تحبان .

***

أما تجربتى مع الوظيفة ... فقد تقلبت فى عدة مناصب ، تساوت فى نظرى جميعا ، لاننى وطدت نفسى على أن احب كلا منها ، وأخلص لكل منها

وكانت تجربتى القصصية تواكبنى دائما فى كل منصب .

فعندما اجلس فى كرسى الرئاسة كسكرتير عام للمؤتمر الافريقى الاسيوى ، واحاول ان اتتبع المتحدثين ، لا يملك ذهنى ـ ذهن الكاتب ـ الا الشرود الى اتجاه فحص المتحدثين والموجودين ، ومحاولة استكناه ما فى باطنهم واحس ، وأنا جالس على المقعد اننى اسير واتجول بعيدا عن المقعد ، واستشعر حرية أكبر ونظرة اوسع .

واكثر ما يسعدنى فى كل منصب ، ليس المنصب ذاته ، بل مدى مقدرتى على ان اجعل من وجودى فيه نفعا للناس وعلى أن اترك فيه ، بعد تركى له ، ثمارا دائمة ومتكاثرة ونافعة .

وحسبى من هذه الثمار بعد ذلك ، نصيبى منها ، وهو حب الناس لى ، وهذا ما اسعد به كل يوم ..

اذكر مرة اننى كنت أعبر الطريق ، وكان بجانبى عامل يعبر نفس الطريق على دراجته ، فلما لمحنى ، قال لى :

ـ ازيك يا استاذ يوسف ... والنبى انت منور الشارع

كانت هذه الكلمات البسيطة عندى من أجمل الجوائز التى نلتها فى حياتى

وذات يوم ، ذهبت الى دكان منجد بشارع الازهر لاشترى مرتبة ، وكنت ارجو ان ينجزها لى فى ساعتين ، لانى كنت مضطرا الى أخذها معى فى سيارتى الى الاسكندرية ، والسفر بعد ساعتين

طفولتي ، اذ كنا نسكن « جنينة قاميش » بحي السيدة زينب . ورسبت في الشهادة الابتدائية ، في مادة الحساب ، وكانت امامي فرصة « الملحق »

وكنت آخذ صاحبا لي ، ونذهب للاستذكار في مسجد السيدة زينب رضي الله عنها

وادينا امتحان الملحق ... وفي اعلان النتيجة ، كنت منطويا على نفسي في غرفتي ، وجلا من النتيجة ، فاذا بصاحبي هذا يأتي ، ويقف في فناء البيت ، ويصيح بي :

ـ **يا يوسف ... النتيجة ظهرت ... وانت سقطت وانا نجحت**

ولم اياس من وجه الله ، فقد كنت احس انني احسنت استيعاب الحساب ، وبذلت فيه مجهودا مضنيا . وجعلت اصلي واصلي ، واسال الله الا يخذلني

وبعد قليل ، مر بائع الصحف يصيح « نمر التلامذة » .. واشتريت الجريدة ، فاذا بي انا الناجح ، وصاحبي هو الراسب !

وقلت : سبحانك يارب

***

وفي النهاية ، أعود الى ما بدأت به ... الى تلك الوقفة الرائعة التي وقفتها مزهوا بلداتي وابنائي على الضفة الشرقية من قناة السويس منذ ايام

وسألني واحد منهم :

ـ هل كنت تفضل أن تكون الوزير يوسف السباعي كما انت ، أو تكون الفريق يوسف السباعي ، قائد حملة العبور .. لو انك واصلت حياتك العسكرية ؟

وبكل ايمان ، وبكل صدق ـ قلت له:

ـ كنت أفضل أن اكون جنديا بسيطا من ابناء مصر الذين عبروا القناة بعد ظهر ٦ اكتوبر ... واظفر بلقب « العابر » ... فهذا شرف دونه كل شرف ، ولقب دونه اي لقب

تحقيق



يوسف السباعي مع حفيده

واشترى الرجل القماش من متجر مجاور ، وعاد يحاورني ، ويقول لي انه لا يستطيع أن ينجزها قبل ضحى اليوم التالي ووقفت محسورا ... افكر ماذا أصنع ؟ وفي خلال ذلك ، كان شيخ عجوز يجلس على الارض بفانلته وسرواله ، يضرب القطن ، بالقوس ولا يلقي الينا بالا ، فلما هممت بالانصراف رفع رأسه وقال لي :

ـ **اقعد يا بو حجاج ... اشرب فنجان قهوة ، وانا اخلص لك الرتبة بعد ساعة واحدة ...**

وانجز الرجل ما وعد ...

وكانت جائزة اخرى من اعز الجوائز في حياتي ، نلتها من رجل الشارع المصري الحبيب

اما تجربتي مع الله ، فهي قوام حياتي كلها ...

احب الله واحس في كل لحظة انه بجانبي ، وانه خالقي وسيدي وصديقي في آن واحد

وقد بدأت قصة عمق ايماني به ل

سعد
درويش

« ثلاث مرات ... تحـــاول قوى الشر الإسرائيلي اقتحام مدينة السويس وثلاث مرات .. يتصدى لها الأبطال من أبناء مصر ، ويرغمونها على التراجع ... »

السويس .. عـــروس المجد

ارجِعوا كالخزيِ . كالعارِ المشينْ
ارجِعوا كاليأسِ .. كالذلِّ المُهـــين
كالخطـــايا .. كالدنايا .. كالخَنَى
كالدُّجَى يُذعِنُ للصُّبحِ المبــين
ارجِعوا كالجَزْرِ مَغلولَ الخُطَـا
كظلامِ الشكِّ يمحـــوهُ اليقـــين
وارتَضوا العودةَ غُنْمـا .. ربمـــا
كانت العودةُ حلْمَ اليائســين
واشربوا كأسَ هـــوانٍ طالمـــا
قدَّمتهـــا حانُكُمْ للشـــاربين
وادفنـــوا أحلامــكم .. واستودِعوا
أرضَ مصرٍ . نشـــوةَ المنتصرين
***
يا عروسَ المجدِ .. هل أنتِ سوى
قلعةِ الأحـــرارِ .. درعِ الثـــائرين ؟

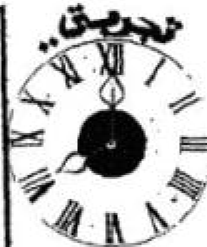
السويس عروس المجد

قد عرفناكِ جِنانَ العالمين
فإذا أنتِ جحيمُ المعتدين
زادكِ التخريب حسناً وسنىً
فإذا أنتِ منارُ العالمين
وإذا الأنقاضُ تغدو كعبةً
يقف الخَلْقُ لديْها خاشعين
يا عروسَ المجد .. تِيهي بالأُلى
فَدَوْا المجد . كراما واهبين
أرخصُوا أرواحَهُم غاليةً
ليعيشَ الشعبُ مرفوعَ الجبين
وقفوا سداً بوجهِ المعتدين
ثم ماتوا ـ حين ماتوا ـ واقفين
واستفاضَتْ أبحرٌ من دمِهم
ثائراتٍ تتحدّى العابرين
لم يُطيقوا أن يَرَوْا مصر التى
عبدوها . مرتعاً للغاصبين
فتواصَوْا أن يصونوا عِرضها
أو يموتوا دُونَها مستبسلين
أقسَمُوا ألا يَرَوْا تاريخَهم
مستباحاً .. نهبَ أيدِي العابثين

حملوا أرواحهم واندفعوا
يقتلون المعتدي أو يقتلون
صمدوا للروع في قلب اللظى
وتلقوا حتفهم مستبشرين
وهبونا عمرهم .. وارتفعوا
لسماء زينت للصاعدين
كان لابد لنا من ذائدين
عن حمى مصر . فكانوا السابقين
لست أرثيهم ، وإن كان الأسى
في فؤادي .. فوق صبر الصابرين
كيف يجري برثاء قلمي
للألى ماتوا فعاشوا خالدين ؟
كيف أرثي من لدى بارئهم
سعداء في حماه يرزقون ؟!




د. سيد نوفل



> في قرية صغيرة من قرى الشمال المصري، نشأت في أسرة ريفية وسط .. ومع أن أخوتي قد انصرفوا عن العبادة إلا كما يؤديها العامة من أهل الريف، فقد ظهر استغراقي في عبادة الله منذ طفولتي، وكان لي في والدي أسوة حسنة ..

من تجربتي مع النجاح

واذكر أنى اقبلت على الصلاة أؤدى فروضها ونوافلها منذ السابعة من عمرى . وأننى بدأت الصوم فى تلك السن المبكرة ، أسعد به ، وأستعين الله بعبادته فى بلوغ القصد . وفى أن أنال من العلم والذكر ما اعتقدت أن عون الله وحده هو القادر على تحقيق طموحى الكبير فيهما .. بل أذكر أننى حين بلغت العاشرة وحفظت ثلثى القرآن الكريم ، أو عشرين جزءا منه ، كنت أصلى المغرب فى مسجد القرية القريب من منزلنا ، ثم استمر فى عبادة الله لا أبرح المسجد حتى أصلى العشاء . وأعود الى المنزل لاطالع الدروس بعض الوقت . ثم أنام لاستيقظ قبل الفجر . وأؤدى صلاته فى المسجد مع العجائز والمبكرين فى عملهم من الفلاحين .. بل لقد شغفت أشد الشغف برسول الله الذى طالما استمعت لوالدى فى الصباح الباكر يتلو دلائل خيراته . وطالما شاركته التلاوة أحيانا ، وتلوتها وحدى أحيانا أخرى ..

وكانت عبادة الله دافعا لى أى دافع نحو الجد واستذكار الدروس ، وكانت قوة أى قوة فى ازدياد ثقتى فى نيل ما كنت أحلم به حينذاك من عريض الآمال ..

وكان أبى قد سمانى « السيد » تيمنا بولى الله أحمد البدوى . الذى يطلق عليه المصريون اسم « السيد



د. سيد نوفل

... مـــع الأزمـــات ...

البدوى» وكثيرا ما قص والدى على القاصيص كرامته وفداله ، وطالما زرته مع والدى ، وعدت من كل زيارة بقوة جديدة من السعادة والرضا والاقبال على انعمل ..

• وحين بلغت الثامنة عشرة ، ودخلت الجـــامعة ، واستمعت الى احاديث الشك والريبة والالحاد السائدة فى مطالع الثلاثينات من هذا القرن ، لم يكن مناص من التأثر بها . وظللت عشرة شهور حسوما اعانى الضياع وفقدان العقيدة ، ولا اصـــوم ولا اصلى ، وافكر وابحث عن ســـبيل الرشاد .

واجتزت مع ذلك امتحان الســـنة الاولى الجامعية بتفوق . كما اجتزت مرحلة الشـــك والريبة والضياع ، وعدت الى الله بعد تفكير ونظـــر عميقين ، أعبده فى صدق واخلاص ، واعوض ما فاتنى من صلاة وصوم ، والتزم بها طوال حياتى ، لا يفوتنى فرض فى سفر أو اقامة ، ولا تطمئن نفسى اذا فاتنى اداء صلاة فى وقتها بل أشعر بالضيق اذا فاتتنى صـــلاة جمعة أو عيد ، أو لم أؤد الصـــبح فى الفجر او قبل طلوع الشمس على الاكثر ، أو لم أقرأ حزبا من القرآن فى استبصار وتمعن كل صباح ..

بل انى أشعر بتيسير أمورى وتعبيد طرقى كلما اديت العبادات على وجهها

الصحيح ، كما اشعر بانى اواجه المشاكل والمتاعب ولاحقق مقصدا كلما حال نوم او عمل دون هذا الاداء ٠

● مع النجاح ●

والنجاح عندى مرحلتان ٠ المرحلة الدراسية والمرحلة العملية ٠٠ وفى المرحلة الاولى والثانية معا كان العمل وحده هو سبيلى الى النجاح ٠٠ وقد ازداد ايمانى ، بعد التجارب الطويلة والازمات العديدة ، بأن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا ٠

فقد كانت نشأتى ، ووفاة والدى قبل اتمامى الدراسة الثانوية ، وفقدان المعرفة بالوسطاء من أصحاب النفوذ لا تدع لى اختيارا فى الاعتماد على العمل ٠٠

وكان والدى حريصا على ان يجعلنى من رجال الدين ، وكنت حريصا ، فى مواجهة التخلف فى التعليم الدينى لايام نشأتنا ، على التعليم المدنى ، فانتفعا من الاول بما حفظت من القرآن ودرست من الفقه الاسلامى ٠ فقد تصورت ان مجالا الخدمة العامة بعد التعليم المدنى اوسع ميدانا ، واعظم نفعا ٠٠

وبالعمل استطعت الانتقال من التعليم الدينى الى التعليم المدنى ، وان اعتمد على جهدى فى مذاكرة المواد المدنية دون مدرس او مساعدة من احد ٠٠٠ وبالعمل تفوقت فى مجال الدراسة الثانوية ٠ كما دخلت الجامعة وتفوقت فى جميع امتحاناتها

● أصدرت صحيفة يومية بلا محررين

وكان على ان اعمل عقب تخرجى ٠٠ وعملت فى الصحافة وفى الجامعة ، وفى الحكومة وحصلت اثناء العمل على الماجستير ، فالدكتوراه ٠ وتهيأ لى بالعمل وحبه ان انال من الدراسات العليا ، كل ما ابتغيه ، مادام الناس قد تواضعوا على تقديم اصحاب هذه الدراسات ٠٠٠

وفى المرحلة العملية ، كان اعتمادى على العمل كذلك ، ومحبتى له ، واستغراقى فيه ، هى الدعامات لنجاحى فى هذه الحياة ٠

وليس النجاح فى رأيى هو الحصول على المناصب المرموقة ، بل النجاح الحق هو التفوق فى اداء الواجب ، تفوقا يفرض نفسه ، ويسقط محاولات المكابرة والمجادلة فيه ٠

وكم من صاحب منصب مرموق لايساوى شيئا ، بل تصب عليه اللعنة والسخرية صبا ، لفقدان مقدرته وقيمته الذاتيه ٠٠٠

فحين تخرجت فى الجامعة منتصف الثلاثينات كانت الازمة العالمية تأخذ بخناق العالم ، وكانت مجالات التوظف الحكومى مغلقة فى وجوه الخريجين ، عدا القليل النادر من

أصـــحاب الوساطات الكبرى ، الذين يفرضون على الوظائف فرضا ...

لكنني بالعمل استطعت أن اشتغل محررا في صحيفة « السـياسة » ، وأن اظفر بثقة مدير تحريرها ومالكيها رغم أنى لم أكن قريبا ولا محسـوبا لأحد من اقطاب الحـــزب كما هي الوسيلة في تلك الأيام ...

وأذكر أن محررى الصـحيفة قد أضربوا عن العمـــل فيها لتأخير حصولهم على رواتبهم ، بعد ثمانية أعوام من اقصاء الأحرار الدستوريين عن الحكم ، نتيجة لخلاف رئيســهم محمد محمود باشا مع الملك فؤاد في عام ألف وتسعمائة وتسعة وعشرين، وكان مدير التحرير (الدكتور محمد حسين هيكل) يزور الحجاز ، ويتفقد معالمه ومعاهده ، استعدادا لكتابة أثره الخالد : « في منزل الوحى » ، فأنابني عنه أثناء غيابه رغم حداثة سني وقصر المدة التي قضيتها في الصحافة ...

وواجهت الامتحـــان ، واخرجت الصحيفة في غيبة المحررين متعاونا


د. محمد حسين هيكل : صلة وثيقة منذ ١٩٣٥ حتى وفاته

مع العمال في اخراجها لعدة أيام الى أن عاد المحررون الى عملهم ...

وبالاخلاص في العمل اصـبح الدكتور هيكل يعتمد على مساعدتي في جميع أعماله ، والناس يبالغون في تقدير المساعدة التي قدمتها اليه في اخراج كتبه ومؤلفاته ... ولكنه هو نفسه يصفها حق الوصف ، حين يحددها بالمراجعة لما يكتب ، وابداء الملاحظات على كل باب أو فصل منه قبل تقديمه للمطبعة ،وادخال التعديلات تبعا لذلك ...

ورغم محاولات الدس والوقيعة من توابع الحزب ومحسوبيه الذين مهروا فيهما ، فقد ظلت وثيق الصلة به منذ عام ألف وتسعمائة وخمسة وثلاثين الى أن توفاه الله في نهاية عام ألف وتسعمائة وستة وخمسين ...

وحين ولى وزارة المعارف أو الشئون الاجتماعية أو رياسة مجلس الشيوخ، كان الناس يعرفون أنني صـانع التصريحات والبيــانات والخطط التي يصدرها ، وأن جميع الشئون تمر بي قبل وصولها اليه ، وكان رحمه الله لا يجد غضاضة في التحدث بذلك .

وهكذا كان شـأني في العمل مع غيره . حب للعمل وتفان فيه يكرهان الناس على الاعتراف بهما ...

وأذكر أن الحـرب العالمية الثانية حينبدت نذرها في صيف ألف وتسعمائة وتسـع وثلاثين ، وتولى على ماهر رياسة الوزارة خلفا لمحمد محمود ، وتولى محمود فهمى النقراشي باشـا وزارة المعـارف خلفا للدكتور محمد حسين هيكل باشا ــ حينئذ كنت مديرا لمكتب وزير المعـــارف ... وقدر

المقربون أن النقراشي سيستبدل بي غيري من خاصته الذين تجمعوا حوله ، ولم أعن قليلا ولا كثيرا بتجمعهم . فقد اخذت أتعاون مع الدكتور هيكل في اخراج كتابه « الصديق أبو بكر » بالاضافة الى العمل في اخلاص مع النقراشي ...

وقربني النقراشي اليه تقريبا بعد ان خبر العمل معي ، فكنت أعد جميع الخطط التعليمية والاعمال التي يصدرها أو يقدمها الى مجلس الوزراء وأعاونه في جميع شئونه التي يمارسها سياسيا وعلميا ...

وشعرت حينئذ انني يجب أن اتم دراساتي العليا واكمل ديني ، فحصلت على الماجستير وتزوجت في ربيع عام الف وتسعمائة وأربعين .

وفي عام الف وتسعمائة وخمسين، تولى على زكي العرابي باشا الوفدي رياسة مجلس الشيوخ وكنت مديرا للادارة التشريعية ولمكتب الرئيس الدستوري معا ... وسعى الساعون للتقليص من عملي الذي لا اتقاضى أجرا على مضاعفته .

كما سعوا الى تقسيم الادارة التشريعية قسمين : قسم للمجلس اتولى ادارته ، وقسم للجان يتولى ادارته آخر غيري .. وكان على زكي العرابي ، رغم انتمائه الى حزب الوفد .. معروفا بالنزاهة بل بالتزمت ...

وسأل الساعين أصحاب الكلمة المسموعة : امن أجل شخص نغير النظم التي تعتبر مكملة للدستور ، ونقسم ادارة لا تحتمل التقسيم ؟...

ليست بيني وبين الدكتور نوفل معرفة سابقة ، كما انه غير حزبي ... فلاجريه فان كان فيه غناء ابقيناه ، والا استبدلنا به غيره ...

وبالاخلاص في العمل ، وصدق الرأي ، وجدت الرجل يطلب بعد شهر واحد ترقيتي استثنائيا ، ويتحدى الساعين والمضللين ، ويزيد من تقريبي منه الى أن يترك المجلس .

وكان ذلك شأني في العمل مع علي ماهر من بعده : مديرا لسكرتارية لجنة الدستور ولجنة اصلاح التعليم الجامعي في عامي الف وتسعمائة واثنين وخمسين والف وتسعمائة وثلاثة وخمسين . ثم كان هو ذاته في العمل مديرا للادارة السياسية بجامعة الدول العربية في عام الف وتسعمائة واربعة وخمسين ، وأمينا عاما مساعدا للشئون السياسية والاعلام وغيرهما منذ عام الف وتسعمائة وستين .

وبالعمل والدرس والتفاني فيهما تغلبت على مسألة التخصص ... وقد قيل يوما لزكي العرابي : كيف يعمل المتخصص في الادب والسياسة مديرا للتشريع ؟! فقال الرجل : « لقد مارس العمل من قبلي خمس سنوات ، وبرز فيه تبريزا . بل انني كنت اخالفه الرأي واجادله فيه ساعات ثم اعود الى رأيه ... والدراسة في كلية الحقوق اربع سنوات تتناول اشتاتا من المواد ونماذج من المعارف ... والسنوات العديدة من الممارسة والعمل الناجح اهم بكثير من سنوات الدرسة



● مع الازمات ●

ولقد صاحبت الازمات طوال حياتى ، ولقد تغلبت عليها جميعا بالصبر والعمل ، والايمان بالله والثقة

فى المستقبل ... وكنت اذكر فيها دائما قول الله سبحانه : « ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون » ، واتجه

اليه فى الشدائد مستعينا : حسبى الله ونعم الوكيل . كما كنت اذكر قولة استاذنا الكبير عبد العزيز فهمى

باشا : الفلك لا يتوقف عن الدوران . ويطول الحديث لو انى تتبعت ما واجهت من ازمات فهو حديث الحياة كلها ..

ولقد وطنت نفسى عليها قبل وقوعها ، ولم اعتز بعمل ذى نفوذ اتولاه ، ولم اغير مجرى حياتى الخاصة ان لم

تتوفر لى امكانات مستقرة . ولقد خصصت لى سيارة فى اكثر الوظائف التى توليتها منذ بداية حياتى العملية .

لكنى كنت لا اتجاوز استخدامها فى العمل الرسمى ، واتركها الى الترام

او السيارة العامة فى سائر شئونى الخاصة توطينا للنفس ، وتذكيرا لها بالمتوقع من الاحتمالات ...

● فى ٤ من فبراير ١٩٤٢ ●

ومن الازمات التى واجهتنى تلك التى صاحبت الازمة الوطنية المصرية

فى ليلة الرابع من فبراير (شباط) لعام الف وتسعمائة واثنين واربعين

... لقد بت تلك الليلة سهران وجلا ، اتابع انباء الحصار البريطانى لقصر

عابدين بالدبابات ، والانذار الذى وجهه السفير البريطانى لورد كليرن

(ميلزلامبسون) الى الجالس على العرش بتولية مصطفى النحاس باشا



مصطفى النحاس :
زعيم حزب الوفد

... ومن تخرج فى المدرسة ولم يتابع المعرفة عجز عن العمل فى اى ميدان »

وهكذا ، كان التفانى والاخلاص فى العمل ، واداء الواجبات فى وقتها

مصدر ما يسميه الناس نجاحا لى ... وكان كذلك مصدر شقاء لى فى جميع وظائفى . فانى لا اتصور عاملا لايؤدى

عمله فى صدق واخلاص . ولهذا اغلظ القول والمعاملة ، لمن يعملون معى ،

لو قصروا فى اداء واجبهم قليلا او كثيرا . كما انى اعانى من تقصيرهم المتاعب العملية والمشاق النفسية ...

وكان المرحوم الدكتور هيكل يعلل ذلك باننى صحفى اشتغلت بالصحافة اثر تخرجى . واننى وفى لخصائصها

الاولى القائمة على مواجهة الاحداث فور وقوعها ، والدقة والشمول فى التحرى عنها ، ونقدها فى حرية ،

والتعليق عليها فى جراة ، وعدم ارجاء اى واجب من واجباتها ، لهذا كان

يمزح معى حين اطرى عملا اداه او موضوعا كتبه ، ولا انتقده ولا ابدى

عليه ملاحظات حسبما عودته ، فيقول : « لم تعد صحفيا ، لقد اصبحت موظفا ! ... »

زعيم حزب الوفد رياسة الوزارة أو التنازل عن العرش .

وكنت حينئذ مدير المكتب الفنى لوزير المعارف : الدكتور محمد حسين هيكل باشا ، وكنت فى ذات الوقت احاضر فى الادب الجاهلى بكلية اللغة العربية مرتين فى الاسبوع ، وقعت احداهما صباح ذلك اليوم الشهير : الرابع من فبراير ...

ودخلت قاعة المحاضرة اخفى ما يعتمل فى نفسى ، واذا باثنين يتجادلان فى عنف . يقول احدهما : لقد حمى النحاس باشا استقلال مصر وعرشها بقبوله الوطنى تاليف الوزارة ... ويقول الآخر : انه خائن جاء الى الحكم على الدبابات البريطانية ، وتجب لذلك الثورة عليه . ثم يتجه الاثنان الى سائلين رأيى ...

وادركت على الفور أن الطالبين يعملان لحساب ادارة الامن العام على مألوف ذلك الزمان ، وانهما اشبه ما يكون باللص وصاحبه حين يتشاجران ليسرقا المتدخل للفصل بينهما ... وقلت : مالنا ، وهذه المعارك السياسية ؟! لقد تعودتم منى الا اتحدث فى غير موضوع الدرس ... والهوة بينكم بعيدة ، بعد الخيانة عن الوطنية ... والتحقيق فى الموقف يستلزم مقدمات ووقائع ليست فى متناول ايديكم ... وختمت جوابى قائلا : « لنعش فى الماضى فهو خير من الحاضر » ... واخذت احدثهم فى شعر الطبيعة عند امرىء القيس !..

ولشد ما كانت دهشتى وحيرتى



عندما استدعانى بعد ثلاثة ايام الدكتور طه حسين ، مستشار وزارة المعارف ، ليبلغنى اننى ممنوع من الذهاب الى كلية اللغة العربية ، واننى سأتلقى كتابا رسميا بذلك ... وسألته عن السبب ، فقال : ما هذا الذى تخطب فى الطلاب به ؟ أتدعوهم للثورة على الحكومة مدعيا انها جاءت على الدبابات البريطانية ؟!

ولم اتمالك نفسى امام استاذى الذى طالما حدثنا عن حرية الرأى وشجاعة اصحابه الذين يضحون بكل شىء بل بحياتهم فى سبيل الحق . فأجبته قائلا : هذا شرف لا ادعيه ... ولماذا لا تحقق الوزارة معى قبل اتخاذ هذا الحكم ... وقصصت عليه ماحدث دون تزيد او تبديل ...

ولكنه قال : وهل كانت الوزارة السابقة تحقق مع احد حتى تطلب الى هذه الوزارة ان تحقق معك فيما تنسب اليك ؟!

فقلت : لقد علمتنا ان اضعف الحجة الاستناد الى شر فى تبرير شر ... وإنا لم اكن مسئولا عن سياسة الوزارة السابقة . ومع ذلك فانها لم تكن حقا تسأل الشيخ عما قاله لفتاه ، ولا الفتى عما قاله لشيخه ! .. وكنت فى ذلك اشير الى الكلمات القصيرة التى كان

يكتبها في الصحف استاذى ، في صورة حوار بين الشيخ وفتاه ، معارضا بها تصرفات الحكومة السابقة ...

وحينئذ شعر استاذى بحرج الموقف ، فقال : يا بنى ! .. انى اسف لابلاغك هذا ، ولا أعرف من امره



على ماهر : تولى رياسة الوزارة خلفا لمحمد محمود



احمد نجيب الهلالى : موافقة على طلب النقل للتدريس.

شيئا ، ولا أعدو ان اكون ناقلا لما طلب الوزير ابلاغه اليك ! .

وفى عصر ذلك اليوم ، وبينما أنا داخل منزل الدكتور هيكل ، قابلنى مدير الامن العام المرحوم محمود غزالى ، وابتدرنى بقوله « أحمد الله كثيرا، لقد كان رئيس الوزارة مصمما على اعتقالك وترحيلك عن العاصمة . ولكنى تدخلت وأكدت له انك ابعد ما تكون عما نسب اليك ، وانك معروف بالعلم والجد ، والححت عليه بالرجاء الا يتخذ اجراء شديدا ضدك ! » ..

وكررت له حديثى مع الدكتور طه ، ولم يزد سوى اعادة التأكيد على بالابتعاد عن مواطن الشبهات .

وفى صباح اليوم التالى استدعانى وزير المعارف الجديد ، أحمد نجيب الهلالى باشا ، وطلب رأيى فى المكان الذى أنقل اليه ، فقلت : التدريس فى الجامعة ... واستجاب مبديا السرور بالموافقة على طلبى . ولكن الدكتور طه تدخل قائلا : « اشفاقا عليه لايذهب الى الجامعة ، فقد تحدث مظاهرات فيتهم بتدبيرها ! » ، وأجبت محتدا : « ومتى علمت انى انظم المظاهرات ؟ »

وانتهى الامر بصدور قرار الوزير بركنى فى احدى حجرات الوزارة النائية .. مع عشرة من الموظفين ، يؤلفون ما يسمى بادارة الثقافة العامة ، ولا عمل لهم ...

ولكن الصبر والعمل يسرا لى تخطى هذه الازمة كما يسرا لى تخطى الكثير من الازمات قبلها وبعدها ..

وأقبلت على العمل فى رسالة الدكتوراه ، وكنت عاجزا من قبل عن ممارسته بسبب مشاغل الوظيفة المتشعبة ، واعتماد الوزير على فى جميع شئون الوزارة .

واستطعت بالصبر والعمل أن انسى ما نزل بى وان احصل على الدكتوراه فى نهاية صيف ١٩٤٤ ، وأن اجعل الخير فيما ارادوه شرا ، والنفع فيما خالوه شرا ، وان اعوض ما فاتنى فى سلم الترقى الوظيفى ، فاجتاز الدرجة السادسة الى الاولى فى ست سنوات ، وتتوالى من بعدها الخيرات فى أعقاب الازمات .

● فى ٤ من فبراير ١٩٥٤ ●

ومن أشد الأزمات التى واجهتنى فى حياتى ، تلك الازمة التى وقعت بعد اثنى عشر عاما ، وفى ذات اليوم من سابقتها : أزمة الرابع من فبراير لعام الف وتسعمائة واربعة وخمسين ..

فحين توقفت أعمال مجلس الشيوخ فى بداية الثورة ، عملت مديرا لسكرتارية لجنة مشروع الدستور ولجنة اصلاح التعليم الجامعى . ونلت تقديرا واطراء نادرين على تقرير اللجنة الثانية الذى بذلت أعظم الجهد فى اعداده ، وكان أساسا لما دخل على التعليم الجامعى من اصلاحات فى السنوات العشرين الماضية . كما نلت ثناء عاما على ما بذلت من جهد فى لجنة مشروع الدستور ... وكذلك اسندت الى اعمال أخرى اديتها فى صدق واخلاص .

وبعد ذلك كله ، ومواطن عملى كلها لا مجال فيها للاستغلال ، وثقتى بنفسى ، وثقة الناس بى ، لا تدعان مجالا لكى اتوقع ما لا أحب ، وان كثرت نوازل المكروه والسوء ..

وبينما انا جالس اساعد ابنى الاكبر .. وكان فى العاشرة من عمره ، فى استذكار دروسه ـ دق جرس التليفون ، واجبت فاذا المتحدث السكرتير العام لمجلس الوزراء ، واذا هو يبلغنى أن المجلس بحث فى أمرى ، وأننى موضع تقدير من الجميع ، لكن بعض الاعتبارات تقتضى أن أقدم استقالتى .

وكان الوقع شديدا على نفسى ، وحاولت أن اتبين السبب بلا جدوى .. وحينئذ أجبته : لن أستقيل ، وليكن ما يكون .. فقال السكرتير العام ، وكان فى السابعة والستين : أن من الخير أن يستريح الانسان من العناء بالاستقالة ، وانني لتارك العمل بعد اربعة اشهر لانتهاء مدتى (١) ....

(١) وتشاء الاقدار أن يتوفاه الله فى ذات الليلة ، وأن اقرا نعيه فى صحف الصباح ، فأزداد ايمانا بالله ورضاء بقضائه ...



النقراشي : معاونة في جميع الشئون السياسية والعلمية

فقلت له شتان بين ابن الاربعين وابن السابعة والستين .. فقال استقل لتأخذ مرتب عامين بدل ان تقال وتأخذ مرتب عام . فقلت له : رحم الله أمير الشعراء شوقي . فقد قال : « والغرق فيه تستوى الاعماق .. » وسالغنى الغنى . فقلت : سواء من يغرق بعشرة أمتار عمقا أو بعشرين مترا ! ..

وذهب الرجل الى مجلس الوزراء يبلغه جوابي وعنادي . فكان مفاجأة لهم غير متوقعة . ولم يعتادوا مثلها من قبل ...

وتساءل بعض الاعضاء عن التهمة التي دعت . لجنة الفصل بغير الطريق التأديبي » أن تطلب استقالتي . فلم يتبين تهمة لرجل يعمل مديرا للادارة التشريعية وسكرتيرا للجنتي مشروع الدستور واصلاح التعليم الجامعي . ووظيفته التفكير والتحرير . وليس التصرف في مال أو موجودات ..

واجمع مجلس الوزراء . بعد أن تبين سواء السبيل . على أن طلب الاستقالة لا مبرر له . وانني جدير بالشكر والتقدير .. ولكن احد الاعضاء انبرى قائلا : لو رجعنا في طلبنا لكان مظهر ضعف لا يجمل بنا .

وظللت في هذا الموقف المهين ستة شهور . ولكن الحق لم يلبث أن علت كلمته . فنلت بدل العقاب ثوابا . وتوليت عملا اشرف مكانة واعظم أجرا ...

كما تهيأ لي في هذه الفترة . بالصبر والعمل والثقة في الله الحق، أن اكتب واحدا من أهم كتبي . وأن ابدأ بحثي لمنطقة شبه جزيرة العرب وما حولها . وخاصة مسقط وعمان والخليج ...

ففي تلك الايام اخذت بعض الانباء تتسرب عن الحصار البريطاني لعمان الداخلة . وقضية البريمي . وكان العرب لا يعرفون من أمر هذه المنطقة شيئا . رغم وفرة المؤلفات الاجنبية . وكثرة المطبوعات التي اخرجتها شركات البترول العالمية ...

ونعمت في هذه الفترة بمتاع البحث العلمي . وتهيأ لي ان اجني ثمرات هذا البحث حين عينت في جامعة الدول العربية . وكان علي ان اكتب تقريرا عن قضية عمان .. وصدق الله العظيم القائل : « وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم ...

●●●

وقد تكثر الازمات بقدر ما يجد الانسان في عمله . ويصدق في رأيه . ويتحرى الحق لوجه الحق وحده . لا يطمع في ذهب المعز ولا يخشى سيفه ...

ولكنها تنفرج دائما بالخير والبركة، لان كلمة الحق هي العليا ..

د. إبراهيم مدكور



فى الحياة دروس ما اكثرها وما انفعها ، فيها الحلو والمر ، فيها السار والمحزن . وعلى مسرحها أحداث لا تنقطع ، قد نغفل عنها او نتغافل ، ولكنهـا لا تلبث أن تفرض نفسها علينا . درسها عميق وأخاذ ينفذ الى القلب ، ويستولى على المرء ، لايحتاج الى معلم او ملقن، ولا الى شرح أو توضيح . وهو أيضا متجدد ومتنوع ، يوافينا بما نتوقع وما لا نتوقع ، ويمـدنا أحيانا بما لا نقرؤه فى كتاب او صحيفة . وهو أخيرا حى وعملى ، نعيش فيه او نعيش معه ، وقد نكون نحن موضـوعه ومجال تطبيقه . ننسـاه فيذكرنا ، ونغفل عنه فينبهنا ، لا يمل الاعادة ولا التكرار .

وما أجدرنا ان نأخذ عنه ، وان نخرج منه بعظة او عبرة . وكثيرا ما فاتنا هذا ، فتمر بنا احداث الدهر ونحن عنها فى غفلة ، وقد نذكرها لحظة ثم ننساها ، ورحلة الحيـاة الحقة هى الملأى بالخبرة والتجربة ، ومن لم يؤدبه والداه ادبه الليل والنهار .

تجربتي مع الطفولة

علمتنى الحياة كثيرا ، علمتنى طفلا وشابا ، كما علمتنى كهلا وشيخا ، ولا تزال دروسها تتوالى دون انقطاع ..

وأحداث الطفولة كثيرة، وانى لى ان اذكرها كلها اليوم . ويحضرنى منها امور احب ان انوه بها ، وأولها ان الطفولة حقا عالم الطهر والبراءة ، لاتعقيد فيها ولا التواء ، ولا غش ولا خداع ، ولا كذب ولا تضليل . يعبر الاطفـال عما فى نفوسهم بصراحة . ويتقاسمون طعامهم وشرابهم فى سرور وسماحة .

واذكر انى افتقدت يوما فى مكتب القرية لوحى الملون ، اخذه طفل اصغر منى قليلا ليتمتع بمنظـره دون ان يسألنى، وما ان احس بسؤالى وبحثى

حتى أحمر وجهه ، وهذه الحمرة خير تعبير عن الاعتذار البرىء ! ...

يحس الاطفال باحساس واحد ، ويشعرون بشعور مشترك ، ويميلون الى اخفاء امورهم عمن هم اكبر منهم سنا ، ويرون انها ملكهم وحدهم ، وكانهم يخشون ان يفسدها الكبار عليهم .

واتساءل اليس في الامكان أن تحتفظ وسائل تربيتنا فى البيت والمدرسة بهذه البراءة وان تبقى عليها ؟ اعتقد ان فى وسعها ذلك ، وقد اضطلعت به بيئات مختلفة فى دول اخرى . اما نحن فاخشى ما اخشاه ان وسائل تربيتنا تحارب هذه البراءة وتعدو عليها ، فتخلق من الطفل الصادق كاذبا ، ومن النزيه غشاشا مخادعا . وكثيرا ما تهدم المدرسة ما يبنيه البيت .. او العكس .

***

وفيما بين السابعة والثلاثة عشرة .. تغرس البذور الاولى لتربيتنا الروحية ، فيقبل الطفل فى حماس على ما يشاهده من مظاهر الطاعة والعبادة ، وقدوة أبيه وأمه فى هذا خير قدوة . يصلى كما يصليان ، ويصوم كما يصومان . وقد تكون صلاته فى البداية مجرد حركات وسكنات ، يحاكى فيها الاخرين ثم



د. ابراهيم مدكور

لا يلبث أن يحس معهما بشيء من الخشوع والخشية والجلال والرهبة ·

يحرص على أدائها ويحافظ على مواقيتها ، ويحس فيها بجو آخر غير جو الحياة العادية · وكم يسعده أن يشترك فيها مع الكبار ، وأن يقف الى جانبهم أو على مقربة منهم · وقد يكون الصوم في نظره مجرد امتناع عن الطعام والشراب ، ولكنه يتحول شيئا فشيئا الى طاعة وعبادة يقدسها ويلتزل عندها · يرعاها أمام الناس وبعيدا عنهم ، يشتد جوعه ولا يتألم ·· وقد تتاح له فرصة الاكل خلسة ، ويأبى أن يفعل ·

وما ازال اذكر ترفق ابائى فى تعليمى كيفية الوضوء وتحفيظى سورة الفاتحة ونص التحيات ، وكان يلذ لهما أن يريانى أسبق الى الصلاة منهما ، وكم شجعانى على ذلك ·

أما ليالى رمضان فكانت سعادتى بها بالغة ، ولسيما اذا اذن لى بان أصحو الى وقت السحور ، وان اتناول طعامه مع الكبار ·

واتساءل هنا أيضا : هل لا يزال البيت يرعى هذه التربية ويعنى بها ؟ أكاد أجيب بلا ، لان هـذه التربية

أصبحت مهملة أو غير مرعية الرعاية الكافية ··· ورغبت فى لقاء صديق فرنسى بباريس صبيحة يوم أحد ، فاعتذر بأنه لا يستطيع ، لانه لا بد له أن يذهب الى الكنيسة · واضاف انه لو كان الامر يتصل به شخصيا لاستطاع ان يتخلف عنه ، ولكن عليه واجبا ازاء ابنه وابنته الصغيرين ، وهو ان يضرب لهما المثل ، وان يذهب معهما الى الكنيسة فى الموعد المقرر ، ولا عليه بعد ان يكبرا ان يلتزما ذلك أو يتخلفا عنه ·

ولكتب القرية الذى الفيناه شأن فى هذه التربية الروحية ، فكثيرا ما انشىء بجوار المسجد أو على مقربة منه · وشيخه « سيدنا » أب روحى لتلاميذه ، يعرفهم واحدا واحدا ، ويتصل بأسرهم ، ويتتبع سلوكهم داخل الكتب وخارجه · وكانوا فى العادة أقل من العشرين ، فلم يكن عسيرا عليه أن يتبادل يوميا الحديث مع كل واحد منهم ، وأن يوجه اليه ما يعن له من ملاحظة · ودرسه دين ودنيا ، وعلم وأدب ، قنع بتعليم القراءة والكتابة وتحفيظ القرآن أو جزء منه على الاقل ، وجود ذلك ما وسعه · ويخرج تلاميذه من هذه الرحلة بثمرة تبقى معهم طول الحياة ،فكانوا كتاب القرية وقراءها ·

وأنا لا أقول بالعودة الى هـذا « الكتب » ولـكنى أدعو الى ان نستمسك بما كان فيه من جوانب صالحة ، فتضع أمام الطفل القدوة

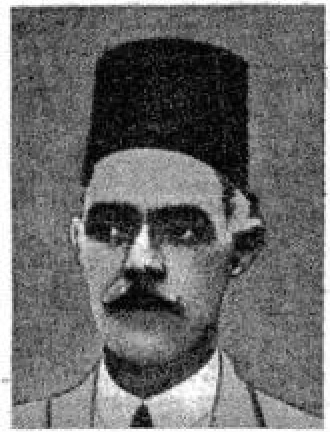
الصالحة ، وتربط المعلم بالتلميذ الصغير ربط الاب بابنه ، وتهيىء للطفل جوه الملائم الذى يعيش فيه بين اعضاء اسرة محدودة ترعاه وتحس به . اما مدارس اليوم فى اعدادها الجمة وزحامها المرهق فانها لا تلائم الطفولة فى شىء .

***

والشباب فورة لها حسها المرهف ونشاطها الزائد ، ومرحلة انتقال ينبغى أن تعالج فى حذر وحيطة ، فتوجه التوجيه السديد ، وتعامل المعاملة الملائمة . والطفولة والشباب معا أساس الحياة وبنيانها الاول .

وقدر لى أن أشترك فى دراسة

عاطف بركات : مرب عظيم
امتاز بالجدل المفحم ..



الميزانية العامة عدة سنين، وكان مما لفت نظرى أن الطفولة والشباب لم ينالا منها نصيبهما العادل . ومن الخير ان توزع ميزانية الخدمات على حسب الاعمار ، وينبغى الا يقل حظ هاتين المرحلتين منها عن النصف . ونحن نخطو فى هذه السبيل ، وان كان حظ الطفولة لا يزال ضئيلا .

وتجارب الشباب دون نزاع أعمق وأعنف من تجارب الطفولة ، ومنها ما يرسم للحياة خطوطا يعز محوها .

وتجربتى فى هذه المرحلة واسعة ومتنوعة ، تتصل بأشخاص طيب الله ثراهم ، وبمعاهد عدا الدهر على بعضها . فقضيت فى الازهر ثلاث سنوات فقط وقفت فيها على لون من تعليمنا التقليدى ما كان لى أن أقف عليه فى مكان آخر . وقفت عليه بعد أن خرج فيما كان يسمى القسم النظامى ، وكانت له حسناته وسيئاته .. وحبذا لو تابعنا سبيل تطويره دون أن نقضى عليه من أساسه .

ثم التحقت بمعهد آخر كان فيما أعتقد الصورة المثلى لهذا التطوير ، وهو مدرسة القضاء الشرعى التى اريد بها أن تسلك مسلكا وسطا يلائم بين الجديد والقديم . وقدر لها أن يوكل رسم خططها وادارة شئونها الى المرحوم عاطف بركات ، وهو مرب عظيم أدرك ما للتجربة من خطر وما يعترض طريقها من صعاب وواجه الامر فى أناة وحكمة ، وأراد بها أن

تكون مدرسة مثلى فى مظهرها ومخبرها ، وعنى فيها بالقدوة الصالحة والعلم المستنير · احبها حبا جما ، وعدها رسالته فى الحياة ، وشغل بها دون انقطاع · ادرك فى وضوح انها تجربة رائدة ، ولم ير غضاضة فى ان يضع نظمها وطرائق التدريس فيها موضع النقد والملاحظة ·· تخير لها كبار الاساتذة ، وتبادل الرأى معهم بانتظام فى مختلف شئونها ·· وكانت له فى ذلك جلسات صباحية ممتعة · ولم يقف حواره عند هيئة التدريس ، بل امتد الى الطلبة انفسهم ·· فكان يستوقفهم ويلاحظ ما يلاحظ على زيهم ومظهرهم ، او على حديثهم وآرائهم ·

وبرغم جبله المفعم ونقته الصارمة، حظى من نفوسهم بمنزلة عز أن يصل اليها رئيس معهد آخر · وكانما شاء بمدرسته أن تعد فى صفوف المدارس التاريخية كمدرسة افلاطون وارسطو. ولا أزال اذكر اقتراحا له – لم يوضع مع الاسف موضع التنفيذ – ويتلخص فى أن ينشأ لمدرسة القضاء مبنى خلوى فسيح فى ضاحية من ضواحى المدينة ، كالمطرية مثلا ، على أن يقام بجانبه مساكن للاساتذة والطلاب ، وما اشبه هذا بالمدينة الجامعية التى نتحدث عنها اليوم · أتجه اليه عاطف بركات فى اوائل هذا القرن ، وليته استن سنته التى نامل ان ناخذ بها الآن فيما ينشأ من جامعات اقليمية ·

ولا اظن ان طلبة ارتبطوا بمعهدهم ارتباط ابناء القضاء الشرعى بمدرستهم ، وكان ابعاد عاطف بركات عن مدرسة القضاء نذيرا بانها فى طريق الفناء ، ولم تعمر بعد ذلك الا بضع سنوات ·

***

واشهد انى مررت فى شبابى بمعاهد مختلفة فى مصر وخارجها ، وكانت مدرسة القضاء الشرعى اعمقها اثرا فى نفسى ، واساتذتها وطلبتها من احب الناس الى · قضيت فيها خمس سنوات لا تزال احداثها ماثلة امامى ، وكانى احياها اليوم · فيها اسهمت فى حركة الشباب الوطنية ، واشتركت فى ثورة سنة ١٩١٩، وتلك تاريخ عظيم وحافل وما اجدرنا أن نسجل مشاعرنا واحساسنا فيه ·

وفى مدرسة القضاء الشرعى اتصلت عن قرب باثنين كانا من أعز الناس لدى ، احدهما استاذ جليل هو المرحوم عبد الحكيم بن محمد الذى تتلمذت له ثلاث سنوات كان فيها مثال الفكر



عبد الوهاب عزام : حلاوة الطبع ودماثة الخلق ...

الواضح ، والرأى الصائب ، والحكم السديد ، والشخصية الكاملة . تعلمت منه لاول مرة كلمة مالك بن انس المشهورة : « ما منا الا رد ورد عليه الا صاحب القبر هذا » . وشهدت له في درس من دروس النحو حوارا ممتعا مع عاطف بركات حول علة من العلل النحوية ، وكانت الكلمة الاخيرة في هذا الحوار : « ان هذه العلل أشبه ما يكون بالوردة تشم ولا تدعك » .

وأما الاخر فزميل وصديق كريم هو عبد الوهاب عزام ، تغمده الله برحمته ، ومن ذا الذى عرفه ولم يبكه . عشت معه بضع سنوات في مدرسة القضاء الشرعي اتصلت فيها قلوبنا وارتبطت نفوسنا ، ونعمت باخوته الى ان لقى ربه . جمعتنا الايام حينا ، وباعدت بيننا حينا آخر ، وبقيت مودتنا على صفائها لم يعكرها كدر قط . عرفته طالبا ومعلما ، شابا وشيخا ، فعرفت فيه حلاوة الطبع ، ودماثة الخلق ، وصفاء النفس ، وعلو الهمة . كان مثلا رائعا للشباب واشهد انى ما اعجبت بشاب اعجابي به . سكن حلوان واحبها ، وكان يرى في رحلته اليومية القصيرة ذهابا وايابا ضربا من التغيير والاستجمام . وحاولت ان احاكيه في شيء من ذلك ، فآثرت سكن الجيزة على القاهرة ، وبقيت بها الى اليوم . حاول أن يتعلم التركية والانجليزية ، فجاريته في الثانية ولم الحق به في الاولى . واجاد الشعر فتشبهت به ، وليس « التكحل في العينين كالكحل » ، فانصرفت عنه ، اما سماحته وغض طرفه عن الزلات ، ومواساته الكريمة فكانت نبراسا للشباب والشيوخ على السواء . ومن حسن حظ المرء ان يوفق في سن مبكرة لقدوة من هذا الطراز ...

***

وبعد ، فاخشى أن اكون قد اطلت في حديثى عن دروس الحياة في الطفولة والشباب ، فلأؤجل حديثنا عن دروسها في الكهولة والشيخوخة الى فرصة أخرى .

إدوار حنا سعد

في الذكرى العاشرة لوفاة الأستاذ العقاد

« أنا شيء فكيف أصبح لاشـ
يء أنا لم للحياة مداها
أغلب الظن أنني سوف ألقى
غاية بعدها تفوق ذراها

***

« العقاد » ــ في ديوان « بعد الأعاصير »

تلكَ أسوان .. نيلُها وسماها
والشموخُ الذي يشدُّ ذراها
دارة النور والسمو .. نستها
وقدة الشمس .. والجلال نماها
حسرة العمر أن أعودَ لألقا
ها وقد جلل الحداد رباها (١)
نادباً بكرها الذي اطلعته
كوكباً مفردا يشع سناها
أورثته من صخرها وطأة الصخـ
ـر ومن بيدها عميق مداها
ومن النيل روعة الفيض والصد
ق ، ومن شمسها سطوع ضياها

(١) نظمت في أسوان في أواخر مارس ١٩٦٤ وكانت وفاته في ١٢ من ذلك الشهر



البيت والقبر

يا رؤى الأمسِ .. لا تثيرى جديدا
حسْبُنا لفحةُ النّوى ولظاها

حسبنا الذكرياتُ تنأى وتدنو
بخيالى .. على جناح أساها

ولقانا الأخير ما زال يحيا
بين زَهْوى .. وبين فضل تناهى (٢)

إذ دعانى لبيتِ أسوانَ ضيفًا
فى حِماه .. ان جئتها فى شتاها

أضحتَ الدعوة الكريمة نارًا
أشعلتْ جمرها .. رياح ندَاها

(٢) لقاء خاص فى ١٩ نوفمبر ١٩٦٣ بالاسكندرية اثناء مهرجان الشعر العربى الخامس بها

البيت والقبر

قدمى فى الطريق للدار خفت
وعلى رغمها ، رددت خطاها
وحدا بى لقبره سابق الوعـ
ـد .. وإن هدّ عزمتى ودهاها
لاح لى طيفه يردد أبيـا
تا .. وفى مهجتى يرن صداها
(أنا شىء ، فكيف أصبح لا شـ
ـىء اذا تم للحياة مداها ؟)
قلت حاشاك .. لن تصير للاشـ
ـىء وفى شعلة الحياة لظاها
أنت مشكاتنا تعيش على الدهـر
وتحدو أجيالنا فى سراها
رائدا رد للثقافة معنا
ها وأرسى لعزة الفكر جاها
ثم أنصت وهو يكمل معنا
ها ، ويجلو شكوكها بمناها
(أغلب الظن أننى سوف أرقى
غاية بعدها تفوق ذراها)
قلت حاشاك .. ليس فناء ، ولكن
هو إيمان أنفس وهداها

● الاسكندرية ● ● ادوار حنا سعد ●

محمد
أبو زهرة



تجربتي مع الحياة :

كان عملي قربة لله

اختلطت حياتي بالحلو والمر، وكنت في صدر شبابي أرى من الحياة حلواء، وأرى حلوها جداء، لقد ابتدأت حياتي العلمية بدخولي المكتب لحفظ القرآن ، واذا كان النبات قبل أن يستغلظ سوقه يعيش في الحب المتراكب ، ولا يرى بالجهـــر سورة النبات في ذلك الحب ، فكذلك ينشأ الناشيء منا ، وفي حبته الاولى في الصبا تكمن كل خصائصه في الكبر ، وكنت اشعر وانــا في المكتب بأمرين ظهرا في حياتي من بعد ٠

الامر الاول : اعتزازي بفـــكري ونفسي ، حتى كان يقال علي أني طفل عنيد ٠

والامر الثاني : اني كنت اتضايق من السيطرة ٠

ولعـــــل الامرين متلازمان ، لان الاعتزاز بالنفس يتـولد عنها بغض السيطرة ٠ ولما اخذت أشدو في طلب العلم وأنا في سن المراهقة ، دخلت المعهد الاحمدي بطنطا ، فظهــــر في طبيعتي أمر أحسسته ، ولعــــله من مظاهر النزعتين السابقتين وهو انى كنت افكر ، لماذا يوجد الملوك ، وبأى حق يستعبد الملوك الناس فكان كبـــر العلماء عندي بمقدار عـدم خضوعهم لسيطرة الخديوى الذى كان أميــر

مصر فى ذلك الوقت وكبر فى نظرى عالم كبير قال للخديوى ، وقد اخذ يطلع على اسئلة المنطق التى وضعها ذلك الشيخ لطلبة المعهد السكندرى ، فقال للخديوى : وماذا تعرف عن علم المنطق ؟

فقال شيخ المعهد : اتشتم الخديوى؟

فكبر ذلك الشـــيخ فى نظرى ، واهتززت بالاعجـاب به ، حتى كنت اذا رايته اهتزت نفسى بالاعجاب ،

واستمر ذلك الشيخ له الخطوة العليا فى تقدير طـــالب علم مثلى ، حتى رايته يتملق ويصبح من رجال احمد فؤاد ، ســـلطان مصر ، فذهبت كل روعة له عندى ، وانتقلت من النقيض الى النقيض .

ولما دخلت مدرسة القضاء الشرعى وكان ناظرها العالم ذو الاخلاق محمد عاطف بركات، كان شديد الاستمساك برايه ما دام لم يعلم انه باطل وكان قويا فى نفسه لا يســـيطر عليه الا ضميره وعقله ، فمن هذا النبــــع استقيت ما تغـذت به نفسى ، وارضى نزعتى .

واذا كان من الناس من يرى فى تمسكا برأيى ، ولا اسير وراء الناس فان هذا من تلك التربية العالية .

ولما جاءت السياسة فى ثورة ١٩١٩

اثار اعجابي الشديد الذى لا حــد له ولا حدود ، بسعد زغلول ، لانــه اقترنت سمعته بوقوفه فى وجـــه الخديوى حتى اثر عنه أن الخديوى اغضبه بكلمة ربما لا تغضب غيره ، فصك انفه بضربة شديدة على الخوان فعلمت ان هذا الرجل حقا وصدقا ، وهو الذى احتل اعلى مكانة فى نفسى الى اليوم .

وقد تتبعت حياته فوجدتها كلهـــا اعتـــزازا بشخصه ورأيه ، ومقاومة لسلطان الملوك . كنت اقرأ كلمـــاته فاهتز اهتزازتى الكاملة لقـــوله ، والخديوى يسيطر واللورد كتشـــنر يحكم ويضغط ، وسعد يقول : يعلم سمو الامير ، وجناب اللورد كتشنر، انى لست آلة فى يد احد غير نفسى .

ولما اشتد الخـــلاف بينه وبين سلطان مصر احمد فؤاد ابان ذاك ، كتب اليه يقول له : ما كنت اتصور أن ترضى بأن يكون فى عهدكم هـــذه المظالم ، ولكن دولة الظلم ســـاعة ودولة العدل الى قيام الساعة .

ولما قبل السلطان اســـتقالة حسين رشدى سنة ١٩١٩ لانه يطـــالب بأن يذهب الوفد المصرى الى باريس برياسة سعد زغلول ، كتب الى السلطان يقول له : أعلم انكم قبلتم عرش مصر من الانجليز محافظة على عرش آبائـــك ولكنى لا افهم ان تقف فى ســـــبيل آمال مصر ، وهى تقرر مصيرها .

كنا نعتز بذلك مع اخواننا ، وكنت اشد اخوانى اعتزازا به ، لما كان فى نفسى من نزعة بدت وانا فى مكتب حفظ القرآن .



الشيخ محمد ابو زهرة

واضح من هذا السياق التاريخي لتعلم أن فرحتي ما كانت لتحد يوم عزل فاروق ، ولقد ذهبت الى قيادة الثورة ، والقيت باسم الجامعيين خطبة جامعة ٠

ولقد تحقق العدل من بعد ، واخذنا نسترد ارضنا ٠ وعاد العدل الى ربوعنا ، واشرقت شمس الحرية على ديارنا ، وصرنا نفاخر العالم بجيشنا واذقنا اليهود كئوس المذلة ، التي ضربت عليهم الى يوم القيامة ، ونحسب أن دولة العدل عادت الى قيام الساعة ٠

● تجربتي مع المال ●

لقد ابتدأت فقيرا ، في أسرة بين الفقر والغنى، أو بين قلة المال وكثرته ولكن لم ينل الفقر من احساسي بنفسي واعتزازي بديني وخلقي ، كأسرتي التي كانت عزيزة في مالها ، عزيزة في نفسها ، ولم تصل الى درجة الثراء قط ، ولكنها كانت دائما في موضع الاحترام ، والاجلال ، والتقدير

ولما دخلت موظفا في الحكومة قنعت ، وكنت مدرسا يقدر بين تلاميذه ، واولياء امورهم ، وعزفت عزوفا كاملا عن الدروس الخصوصية وجاءتني رجاءات كثيرة من اولياء أمور الطلبة لاخذ دروس خصوصية، فكنت اردها ، واقصى ما ارفق به لولي امر طالب او تلميذ ، وانا ادرس في المدارس الثانوية ان انقل التلميذ الى فصولي التي ادرس فيها ٠

● العمل قربة لله ●

وحدث انى كنت أدرس بالسنة الاولى بالمدارس الثانوية ، ولم اشعر بأن عندى مقدرة لتفهيم طلبة السنة الاولى . فأعملت الحيلة لاستطيع ان أدرس للطلبة الانشاء والمطالعة والمحفوظات ، فجعلتها درسا واحدا فالطلبة يطالعون فى المطالعة ، فأرى قطعة أدبية ، أقول لهم : لخصوا لى هذه القطعة ليستفيدوا انشاء ، أو أشرح قصيدة في المحفوظات ، فأطالبهم باختيار أبلغ كلماتها ليستعملوه مرة والثنتين .

أما فى النحو ، فكنت الزم الطلبة بالانصات المطلق ، وأنا رقيب عليهم فمن تلفت يمينا أو شمالا ، أطالبه بأن يقول الكلام الذى كنت أقوله ، والا أخذت بعنقه ، وبادرته باللطم على خده . فكنت عندما أبتدىء درس النحو الاحظ أن الطلبة يفتحون أعينهم ، ووقع فى يدى من هذا النوع طالب كان أبوه وكيل وزارة التجارة والصناعة ، فرآنى الناظر وقد قبضت على خلف عنقه ، ويدى تتناول وجهه بمس عنيف جدا فجاءنى الناظر وأعطانى كشفا فيه أسماء الطلبة وأسرهم ، وقال لى : هذا أدم أبوه بواب ، وهذا الذى كنت تضربه أبوه وكيل وزارة ، فلا تهتم بأمثال هؤلاء لانهم يحضرون مدرسين خصوصيين .

فقلت للناظر : اجمع هذا وأشباهه وارسلهم الى الفصول الاخرى ، واجمع لى أبناء البوابين وأشباههم من الفقراء لاعلمهم ، فانى أتعب فى هذا الدرس وأريد أن يكون هذا التعب قربة لله .



سعد زغلول : اعتزاز بالرأى ، ومقاومة لسلطان الملوك

فقال الناظر : ألا تغضب اذا نقلت هذا الطالب من درسك . فقلت لا .

فاتصل بأبيه وكيل الوزارة ، وعرض عليه أن ينقله من فصلى ، الى فصل من الفصول الاخرى ، وكانوا ستة . فقال له وكيل الوزارة : اذا كان مدرس العربى يدرس فى أى فصل فانقله اليه .

فقال الناظر : أنا أنقله لانى رأيت مدرس العربى يضربه .

فقال : اذن قد وقع ! ابقه في الفصل لانى احضرت له مدرسين خصوصيين في كلا مادة الا العربى، وقل لاستاذ العربى ان كان يحتاج الي عصا فاني ارسلها اليه ، فجاءني الناظر وشكرنى على اداء واجبى .

● الحب والزواج ●

ولقد كانت حياتى وأنا فى ميعة الصبا جادة لا هزل فيها ، فلم تصبنى صبوة الشباب فما ماعت نفس



حسين رشدى : طالب برياسة سعد زغلول للوفد المصرى

لحب استغرقها ، ولا لشهوة جامحة دفعتها ، لا لكره فى النساء ولكن لجد فى العمل .

ولما نلت مطلبى من العلم اخذت افكر فى النساء للزواج .

فتزوجت . وكان حبى لزوجى واولادى واحسب أن هذا هو الحب الذى يدوم

وهو الذى ينظم حياة الانسان، وغيره شهوات حيوانية لا تدوم ولا تستمر

وكل زواج بنى على الحب الشهوانى لا يبقى ، لانه سرعان ما يفتر .

ولذلك يقول بعض الناس : الزواج يقتل الحب ، أى الحب الشهوانى أما الحب الزوجى فيعيش وينمو ولا يفتر أبدا .

● الله معى دائما ! ●

ولقد كان اقصى ما أتمناه انى عندما احال على المعاش يكون معاشى كالمرتب الذى عينت به ، وهو خمسة

عشر جنيها ، ولكن الله يسر لى . فقد أحلت على المعاش وانا أخذ أربعة وتسعين جنيها ، واذا كان التضخم يجعل قوة الشراء بهذا المقدار أقل مما كنت اخذه ، وهو خمسة عشر جنيها .

بيد ان الله يسر لى من كتب كتبتها ، مع ملاحظة أن كتبى وانا ادرس فى كلية الحقوق كانت أرخص الكتب على الاطلاق ، واتذكر انه

حصلت شكاوى من غلاء الكتب فى سنة ١٩٥١ ، فقدر ثمن محدود، فوجد ان ما ابيع به على النصف من ذلك الثمن الذى حددته الجامعة .

وكنت اجعل للطلبة ثمنا مخفضا، ولغيرهم ثمنا أعلى . واتذكر انمدير الجامعة اذ ذاك عجب من هذا ،

وعميد الكلية آذ ذاك قال لى : تبيع كتابا يبلغ ستين وخمسمائة صفحة بخمسين قرشا ، بينما نحن نبيع مثل هذا بمائة وخمسين ؟ !

فاجبت : انا أبيع بذلك واكسب ، أما انتم فالله أعلم بكم !

ومع ذلك ، الآن لى ثروة بفضل الله ونعمته . وأحسب فى حياتى كلها ان الله كان معى ، مع كثرة الذين يرومون بى السوء ، وما خيب الله لى أملا ولا رجاء .

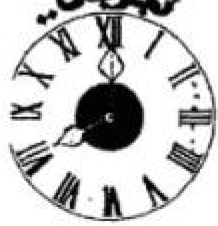
وكنت أضطهد فى العهود السابقة فكلما اشتد الكرب على جاءنى الفرج من حيث لا أحتسب .

وانى اقول نصيحتى لابنائى الذين انعم الله على بانهم تخرجوا على يدى : « كونوا يابنى مع الحق دائما واخلصوا لله دائما . ولا تمالقوا أحدا فى حق ، ولا تكونوا على ضعيف ابدا » .

د. أحمد الشرباصي

تجربتي م

تجربتي



ماذا يراد مني ؟ .. بل ماذا يراد لي .. بل ماذا يراد بي ؟!

يراد مني ان اتحدث عن « تجربتي مع الحياة » ويراد لي ان اجلس كما يجلس التلميذ في الامتحان ليكرم او يهان ، والعيب في مثل هذا الحديث انه يلجيء الانسان الجاء الى الحديث عن نفسه بطريق مباشر او غير مباشر . وذلك لانها « تجربتي » ، ولانها « حياتي » ، وان شاركني فيها من حولي ، فهل يتاح لحديث الذات في مثل هذا المجال ان يستقبله سامعه او قارئه على انه طريق قد يتعين هنا الموضوعية ؟ .

ويراد بي ان يفضح الانسان نفسه بيده ، فما كان من كلمة تدل على خير او توفيق اضافوها الى الاعجاب بالنفس . والادعاء للفخر ، والافتراء للكذب ، وما كان من كلمة تدل على نقد للذات طاروا بها فرحا وخصوها بالترديد والنشر

أأتحدث عن التجارب المشرقة الموفقة ، ام عن التجارب القاتمة المخفقة ؟ .. أأتحدث عن تجارب الخطأ والالم والعذاب ، ام عن تجارب التوفيق والفوز والنجاح ؟ . . ان كلا من النوعين مر متعب : فالاول مدرجة الى التشهير بالنفس ، والاخر باب الى الاغترار بالذات .

والحياة قاعدتها وقوامها هم الاحياء ، فهل يستطيع الانسان حقا ان يتحدث صادقا وصريحا عن تجاربه مع هؤلاء الاحياء ، وفيهم الغرباء ، وفيهم احباء ، وفيهم اعداء وفيهم رؤساء ، وفيهم حلماء ، وفيهم سفهاء ، وفيهم من لا يريد ان يتحدث عنه انسان ؟!

ليس الا ان يتحدث الانسان عن جزء من هذه التجارب ، وامره الى الله ...

مع الله

د. احمد الشرباصي



ولعل اعظم تجربة للانسان في حياته هي تجربته مع الله خـــالقه ورازقه ، مبدعه وصانعه . واني اومن هنا انه كلما استمع الانسان الى قلبه كان اقرب الى ربه ، وكلما اسرف في الاستناد الى عقله باعد بينه وبين حمى الله .

لقد كنت في الريف ارى الله بقلبي في كل شيء ، وكنت مع عقلى افسد على نفسي طمأنينتها في كثــير من الاحيان . في القرية كنت ذاك الفتى الذي يرى في ساحة المسجد الصـــغير قطعة من الجنة ، وفي المدينة شغلتني شـــواغل فالهتني عن تلك البراءة الفطرية التي كانت لي وانا هناك في احضان ذلك الريف الطهور ، ارى الله في كل شيء .

وجلست فيمقاعد الدرس والبحث، وتابعت ما قاله علماء « الكلام » وهو علم التوحيد ، فتعقد ما كان مبسوطا، وصعب ما كان سهلا . فلما عدت الى الريف وجلست الى مائدة القرآن ، انفك ما كان معقودا ، وتيسر ما كان عسيرا . لانني قرأت في كتـــاب ربي هذه الآيات المقنعات :

« الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها » .

« وهو الذي خلق السمواتوالارض بالحق » .

« وهو الذي ينزل الغيث من بعد ماقنطوا ، وينشر رحمته ، وهو الولي الحميد » .

« هو الذي يصـــوركم في الارحام كيف يشاء » .

« ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا » .

« لو كان فيهمـــا آلهـــة الا الله لفسدتا » .

« لا تدركه الابصار ، وهو يدرك الابصار ، وهو اللطيف الخبير » .

« ما اتخذ الله من ولد ، وماكان معه من اله ، اذن لذهب كل اله بما



خلق ، ولعلا بعضهم على بعض ، سبحان الله عما يصفون » .

وهكذا تعلمت من تجربتي مع ربي انه معي، اراه بقلبي لابعيني وادركه بروحي ولا احيط به بعقلي ، وما زلت اذكر يوما وقف فيه طالب يسالني وسط الجم الغفير من زملائه ، وقال في هيئة المتمرد :-ما الدليل على ان الله موجود ؟

فقلت له استدرجه : ومن قال لك ان الله موجود ؟ . فاخذته المفاجأة ، وقال بقلبه قبل لسانه : فمن الذي خلقنا ؟ فاجبته : هذا هوجواب سؤالك !.. واستسلم المتمرد .

واردت انازيده بصرا بالامر فذكرت ان مدرسا ملحدا وقف بين تلاميذ صغار يقول لهم : هل ترون الله ؟. فقالوا : لا . فقال لهم : فالله اذن غير موجود ، لان كل ما لا نراه غير موجود .

وهنا وقف تلميذ ذكي يسال رفاقه : ايها الزملاء : هل ترون عقل المدرس. فاجابوا : لا .. فقال التلميذ الذكي: اذن عقل المدرس غير موجود ...

وكانت صفعة بهت منها الذي كفر

●●●

ومن تجربتي مع ربي «الذي خلقني فهو يهدين ، والذي هو يطعمني ويسقين ، واذا مرضت فهو يشفين ، والذي يميتني ثم يحيين » انني علمت ان له ميزانا كبيرا هائلا قائما على الحق ، تتمثل فيه عدالته التي لا تنحرف ، وهذا الميزان تكل عن رؤيته العيون الكليلة القاصرة ،ولكن تدركه القلوب الشاعرة الذاكرة .

ومن تجربتي معه جل جلاله انني قد أطلب منه مطلبا من مطالب الدنيا، او مطمعا من مطامع النفس ، والح في الطلب حتى يوسوس الشيطان لي انه لم يسمع مني ، او انه معرض عني ، ثم ياتي قدر ربي علىميعاد ، فيعطيني ما لم اطلب ، وارى كراي العين ان ما اعطاني خير مما منعني ، وان ما اتاني افضل وانفع مما صرفه عني : « وربك يخلق ما يشاء ويختار » .

ولقد رايته - سبحانه - يوصد بابا هنا ليفتح ابوابا هناك ، ويحرم من هنا ليضاعف من هناك ، ويحول دون القريب الداني ، ويفتح مغاليق البعيد النائي : وفوق تقديرنا لله تقدير .

وعلى سبيل المثال اذكر انني احببت معهدى الاكبر الازهر ، وتغنيت به، بل لعلي قد تعصبت له ، على اساس انه حصن الاسلام والعروبة ، ومع ذلك احسست بين اهله بالغربة والاسى والغبن والتعويق ، ولكن ميزان العدالة الالهية الاكبر كان هناك يعوضني ، فاذا كان حقي يضيع الا أقله هنا ، فانى اجد العوض هناك ، وتفصيل ذلك يضيق عنه المقام .

وكم من اشياء حرصت عليها وسعيت اليها ، فلما جاءتني لم اجد لها طعما ، وكم من اشياء تطلعت نحوها ، ولكنها جاءت بعد فوات الاوان ، فرددتها في اعتزاز احيانا ، وفي ضيق او ملل احيانا اخرى ومن امثلة ذلك انى اعرف مجلة حاولت وهي في سنواتها الاولى ان انشر بها شيئا لي ، وكنت احتفل للكتابة اليها ولكن مصير مقالاتي كان الطي والكتمان ، او الاستخفاف والهوان ، ثم دارت الايام فدعيت الى الكتابة فيها ، ومر بي حين من الزمن كنت اتحكم فيما ينشر فيها ، ولا اذكر انني

احتفلت للكتابة فيها أخيرا بعض ما كنت أحتفله للكتابة اليها أولا ، حين كان جزائي الاهمال ، فضايقني هذا الاهمال أولا . وضـــايقني عدم الاحساس بالمتعة أخيرا .

وأدركت من تجـربتي مع ربي أن ارادته ـ حقا وصـدقا ـ فوق كل ارادة . ومن شواهد ذلك أني كنت معتقلا في شبابي ، وكان هناك رفقاء يفرج عنهم من حين الى حين ، وكان معنا زميل يسيطر عليه الضيق والقلق ويلح في رجاء الافراج عنه الحاحا عنيفا شديدا . وذات يوم جلس معنا الى الطعام عقب أن علمنا بنبأ الافراج عن مجموعة من الزملاء . فأخذ هـذا الزميل يعاود الترجمة عن ضـيقه وقلقه ، ويتساءل في أسـف : متى يأتيه الافراج كما جاء لهؤلاء ؟. وكأنه توسم عندي الخير ، فالتفت نحـوي وقال : الا تدعو لي ؟. أرجوك بالله أن تدعو لي الآن وأنت تأكل ، بأن يعجل الله الافراج عني .

فتوقفت عن الأكل وقلت له : أقسم لك يا فلان انني أتمنى على الله أن تكون أولنـــــا افراجا ، فأنا أحس ضيقك ، وأعرف أن لك أعمالا كثيرة معطلة ، وهأنذا أدعوكما شئت : اللهم عجل بالافـــراج عن فلان ، واجعله أولنا خروجا الى حياة الحرية ..

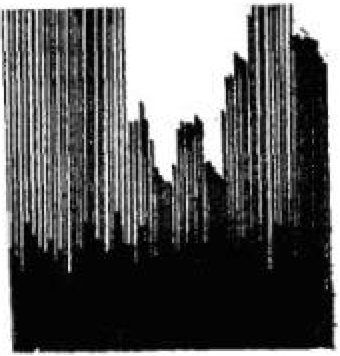
ولكن . تقدرون فتضحك الأقدار ، وفوق تدبيرنا لله تدبير ، فما كنا والله نرفع أيدينا من الطعام ، حتى أقبل حارس من ادارة المعتقل ، ونادى على اناس آخرين قد أفرج عنهم ، وكان اسمي في طليعتهم ، ولم يكن هـذا الزميل الحـــزين في أولهم ، ولا في وسطهم ، ولا في آخرهم !!

◆◆◆

ولي مع النجاح والفشل أكثر من تجربة

لعلي نجحت بعض النجـــاح في دراستي وقراءتي وكتابتي وخطابتي، بسبب الصبر والسـهر ، والارادة والعزيمة . ولكني فشلت في كثير : فشلت في ابعاد الذعر عن كياني ووجداني وكم رددت قولي : « اني أحيا حياة مذعورة ، فكيف السبيل الى راحــة من يعيش وهو مذعور » ؟ . ذعر في النوم ، وذعر في اليقظة ، وذعر في السكون ، وذعر في الحركة ، وذعر في الطعـــام والشراب ، وذعر في المشية ، وذعر في الكتابة ، وذعر في القيام بالواجبات ، وذعر من الماضي، وذعر من الحاضر ، وذعر من المستقبل

وفشلت في اختيار مجمـــوعة من الاصدقاء اطمئن اليها ، أو تطمئن الي .. وفشلت فيما كنت أريده من توسيع انتفاعي باللغة الانجليزية التي تعلمتها في شبابي ، ولكني انصرفت عنهـــا فضاع الكثير منها .. وفشـــلت في حياتي الوظيفية لأني لم أتقن صفات معينة هي العبــر السريع لدى غيري نحو ما يريدون من حل أو حرمة .. وفشلت في توثيق عــــلاقتي بقريتي وأهل بلدي لأن « القاهرة » القـــاهرة قهرتني على شواغل هـــامة استبدت بالحس والنفس .. وفشلت مع قوم



اردت ان اعــلمهم الدين فارادوا ان يعلموني ، قلة الدين ، .. وفشلت في الكتابة عن الناس . في صدر شبابي كنت أسرف في مدح فريق ممن أحبهم لاني كنت أنظر اليهم بعين الوهــم والخيال ، فلما خبرتهم بعد ذلك تمنيت أن امحو ما كتبت .

وحينما اردت ان انقد برفق لم انل رضاهم ، بل كسبت عداوتهم ، ولذلك صرت أحاذر الكتابة عن النــــاس ما استطعت الى ذلك سبيلا . ان اكن قد نجحت في القليل ، فقد فشلت في الكثير

ويخيل الي ان الله جل علاه لو اعطى الانسان مطلق الحــرية في ان يصنع نفسه او حياته كما يشـاء . لقصرت همته عن تحقيق حياة تخلو من الآفات والسيئات والازمات ، فان الانسان بعقله المحدود ، ونفسه الإمارة بالسوء ، وعــدم قدرته على تحقيق المعادلة الصعبةاللازمة لتنسيق الحياة على طريقها السوي ، عاجز عن تحقيق هذه الحياة ، ولعل هذا بعض مانفهمه من الاثر الحكيم : « لو أطلعتم على الغيب لاخترتم الواقع » .

وللانسان سيئات كثيرة ، من الله العلي الكبير بسترها ، وله حسـنات قليلة لقيت جحود الناس وكفرانهم . لا يحمد الانسان ربه ، ويقــول في نفسه : قد يكون نكران الحسنـات القليلة في مقابل كتمان السـيئات الكثيرة ! .

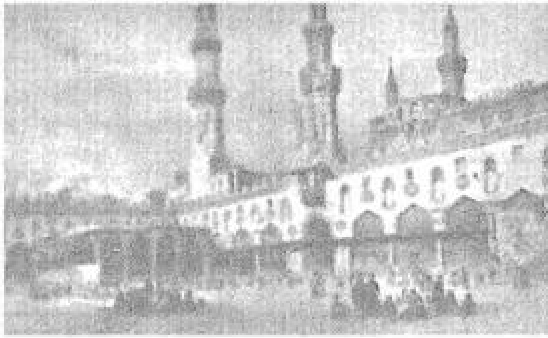
وهناك افراد أحسنوا الظن بالانسان وبالغوا في حسن ظنهم الى درجـــة البلاهة ، وافراد أساءوا به الظن ، وبالغوا في سوئه الى درجة الاسراف الاثيم ، وأقصى مايؤلم النفس ويمزق الفؤاد أن يتضاعف حســن الظن من هؤلاء في مواطن يحتاج الانسان فيها الى الحساب او العقاب، وأن يتضاعف ســـوء الظن من أولئك في مواطن يستحق الانســـــان عندها التعظيم والتكريم .

لقد تبلغ شناعة التخيل في تصـور المفارقة بين هؤلاء وأولئك أن يتخيل الانسان يدا تحظى بالتقبيـــل حين تستحق البتر ، ثم تقطع هذه اليـد حين تستحق التقبيل ! .

***

وأما تجربتي مع المال فاني لااذكر انني قاسيت كثيراً من الازمات معه، فالمطامع محدودة والرغبات معدودة ، ولم أتعود الاقتراض في حياتي ، لانني أعلم انه هم بالليل وذل بالنهــار ، وليس من عادتي أن أشترى شيئا ليس معي ثمنه ، ولقد نشأت في وســط كادح ، وكان المال قليلا في أيدينا ، وكان له بريقه ورنينه في عيونتنـــا وأسماعنا ، ولكن المال ـ بعد ذلك ـ لم يعد له ســـحره ولا اثره ، فاليد تتلقاه كأنه ثقل ، وتنفقه كأنه عبء ولعل من سبب هذا أن الانســـان لم يعتد عادة من العادات المسيطرة أو المدمرة التي ترتبط بانفاق المال .

واذا كان هناك من قال ان المال هو اللحن الذي يرقص حوله العـــالم فان هذا اللحن لم يبق له في النفس وقع او تاثير ، وليس هذا تهوينا من شأن المال ، ولا تظاهرا بالزهد فيه ، وانما هو تصوير لحالة نفس رغبت فطلبت ، ثم ضعفت رغباتها في هذا المجال فزهدت او انصرفت .



الأزهر الشريف : أعرق معاهدنا العلمية ، وحصن الإسلام والعروبة

والحياة علمتني وما زالت تعلمني أن طلب المال شيء كالغريزة ، وهو في الوقت نفســه شيء كالضرورة ، لمعيشة الانسان في مجتمعنا ترتبط بهذا المال . والا فمن أين للانســـان بالغذاء والكساء والدواء ، ومن أين له بمطالب الحياة التي قيل عنهـا : « وحاجات من عاش لا تنقضي » ؟؟

***

ولكل انسان حساس شاعر تجربة مع الحب . واذا كان الناس يقولون ان الحب يطالب لنفسه بالتوحيـد فيه ، فلعـل هـذا راجع الى المفهوم الخاص الذي يفهمونه للحب ، فقـد يتصــورونه نوعا من الاستئثار أو المسيطرة أو الشهوة ، وهذا مفهوم لم تقبله النفس ، ولذلك احببت أمي وأبي وأحببت أهلي وسكني ، وأحببت قومي ووطني ، وأحببت أولادي ، واحببت طلابي ، وأحببت العـلم والمعرفة ، وأحببت النـاس ، ومن فوق هؤلاء جميعا احببت ربي وخالقي ، وهـذا يذكرني بقول الصوفي المشهور :

أدين بدين الحب أنى توجهـت
ركائبه فالحب ديني وايماني

ومن هنا أراني أميل الى الهدوء في المعاملة ، والمسالمة في السلوك ، والرغبة عن المخاصـمة والعداوة ، وكثير من الناس يعدون ذلك عيبـا عنـدي ، ولعل بعض الحق معهم ، ولكني لا انسى أن هذه الخصلة حفظت على نفسي كثيرا من الجهـد والوقت والطاقة أنفقه فيما أعتقد أنه افادني أو افاد غيري .

واني لاتذكر الآن زميلا لي انتقل الى رحاب الله منذ سـنوات طويلة ـ عليه رحمة الله ـ وقد شاء قدري مع هذا الزميل أن أكون بغيضا الى نفسه أشد البغض ، مع أنه كان يلقاني فيحسن لقائي ، وكان الله سبحانه قد بسط له في لسانهبسطا رهيبا عجيبا ، فأخذ يقرض لحمي في كل مجـال ، وكان يبلغني جانب مما يقول فلا أعلق عليه بشيء ، لأني لا أجد في وقتي فراغا أضيعه في الأحقاد والعداوات ، وكان هـذا السكوت أشد ما يؤلمه ويغيظه ، بل كان الكثيرون من الناس يعجبون من هذا السكوت ، بل كان منهم من يحرضني على المبادلة ، وهو يود أن يستدفىء بنار العـداوة بين اثنين ، وكان منهم من يفرحون لهذا التطاول من ذلك الزميل في أول الأمر ، ولكنهم بعد حين يضيقون بهذه السلبية من جهتي ، فيفقدون لذة الاستماع الى حملة الافتراء الأثيمة . لأن « الطرف الآخر » ساكت صامت كأبي الهول ، لا يتكلم ولا يجيب .

ثم بلغني موت هذا الزميل وأنا في رحـلة خارج الوطن ، فارتعبــت وارتعشت ، وبلغ مني التأثر مبلغـا عميقا ، وقلت كأني أفيق من اغمـاء طويل : هكذا الحياة ، كلنا للتراب !

وبينما انا كذلك في بحر من التفكير، اقبل نحوى احد الرفقة يبلغنى النبأ في صورة من يثير عامل الشماتة عندى ، فانفجرت فيه غاضبا ، وقلت له : انى أعد حديثك هذا احتقارا لى، اتراني لئيما الى هذا الحد ؟. قال : ولم ؟ فقلت : أو لم تجد غير رذيلة الشماتة في الموحتلصقها بى ، وشوقى عليه رحمة الله يقول :

وما احدثت عند الكرام شماتة

صروف المنايا والجدود العواثر

ما أسرع مرور الايام ، وما اعجل النسيان الى الانسان . لقد نسيت حملة الافتراء ونسيت صاحبها ، ونسيت حديث الشماتة والشامتين !.

وإذا كان في الانسان عيوب كثيرة ينوء بها ويضيع منها ، فان من فضل الله عليه ان اتاه قلبا لا يحمل حقدا على احد ، ولا حسدا لاحد ، ولقد قلت منذ عهد بعيد : « يظل قلبك شابا ما لم يعرف الطريق الى الحقد » ، ويؤثر في نفسى تأثيرا قويا عميقا امثال ما تحدث به مالك بن دينار قال : سمعت الحجاج يخطب ويقول : رحم الله امرا حاسب نفسه قبلا ان يصير الحساب الى غيره ، رحم الله امرأ اخذ بعنان عمله فنظر ماذا يريدبه. رحم الله امرا نظرفي مكياله رحم الله امرا نظر فيميزانه . فمازال يقول حتى أبكاني .

***

ولى مع نفسى عند بداية النوموقفة صارمة ، أنني أضع جنبي الى الفراش فأبدأ معها الحديث في حوار وحسابه وما اثقل اللحظات الاولى من النوم عندى ،انها لحظات مراجعة ومحاسبة ومعاتبة ومعاقبة ، ومن الناس أن استغرق في نومي قبل « تصفية الحساب» ، حيث يهدأ قلبي ، ويستقر جنبي . وإذا كانت هذه اللحظات مرة ثقيلة ، فانها مثمرة جليلة .

مع الله

ولى مع الكتابة والفكر والادب تجربة عرفت منها عمليا أن الاديب قراءة موصولة ، وأن هذه القراءة الموصولة تصنع الكثير من الادباء والمفكرين ، ولقد يبدأ الانسان محاولته في الادب هازلا ثم يجد ، أو حائرا ثم يهتدى، أو متابعا ثم يستقل ، او مقلدا ثم يبتكر ، والمهم هو أن يقرأ ثم يقرأ ثم يقرأ . والمهم اكثر هو أن تكون القراءة على هدى وبصيرة .

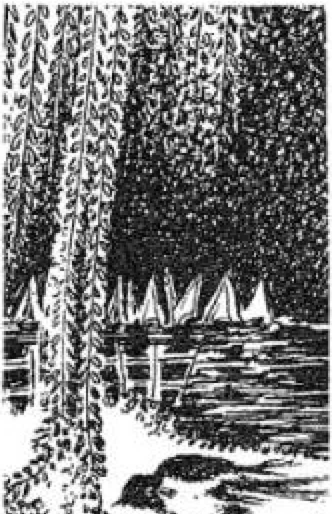
وتعلمت في هذه التجربة أن الاستجابة الطبيعية من الداخل للموضوع أو البحث خير معوان على الاتقان ، وأن التكلف بلا رغبة شر حائل عن الاحسان ، وبعض كتب الاديب قد يقصد تأليفها قصدا ، ويتكلفها تكلفا ، وينفق فيها جهدا وتعبا ، ثم تأتى دون مايهوى ، وبعض كتبه قد يشرع فيها بدافع داخلى ، وبلا تكلف ظاهرى ، فاذا الاستجابة تفضى الى شيء ممتع رائع .

ومن عقابيل هذه التجربة عندى انى اصبحت أسيرا للكلمة في حياتى، ولقد سألنى أحد الصحفيين : أيمكن أن تلخص حياتك فيجملة ؟. فأجبته : حياتى كلمة اقرؤها ، وكلمة اكتبها ، وكلمة اقولها . لقد استأثرت بى الكلمة .

والكلمة لا تؤثر ولا تعبر ولا تثمر الا اذا كانت منحوتة من شغاف القلب، ولقد كتبت منذ أمد بعيد مذكرات عن مرحلة حزينة من مراحل الحياة ، فاذا

بى القول فى صدرها انى فى حاجةالى محـبرة مدادها من دماء النفوس ، وقلم من أجفان الحيارى المشردين فى الارض ، المعذبين بطغيان الفساد ، وأوراق من شـغاف الافئدة ولفائف القلوب ، لان هـذه الادوات الحيـة وحدها هى الكفيلة بأن تعيننى على تصوير ما رأيت وما أحسست ٠

حياة الكلمة هى الشرط الاساسى لتأثيرها وتصـويرها ، ولذلك قيـل لبعض العـرب : متى يكون الفتى بليغا ؟٠ فقال : اذا وصـف هوى حيا ٠ وحياة الكلمة تتطلب أن يكون صاحبها حيا ، وأن يحس بالحيـاة وتحس به الحياة ٠ ولقد استطاعت الحيـاة أن تجذبنى اليها ، فأحببت الحياة متجلية فى كتاب الله المنظور ، وهو مجالى الطبيعة ومشاهد الكون العريض الواسع



وهكذا علمنى كتاب الله المنظور : «مشاهد الكون » ، ان أكون قوى الالتفات الى اثر الحيـاة فى الانسان ، وأن أوكد الدعوة الى الاحساس بالحياة ٠

وقد يتصل هذا الاحساس اتصـالا وثيقا بتجربتى مع الدين ، فقد درست الدين منذ عشرات من السنين، وظللت على دراسـته وتدريسه ، وما زلت طالب علم حتى اليوم والى الغد ، لان الاسلام قد علمنى أن طلب العلم من المهد الى اللحد ، ولكن الشىء الذى سيطر على كيـانى وانا اتحدث الى الناس عن الدين ٠ أو اكتب حوله ، هو رغبتى العميقة الملحة فى ربط الدين بالحياة ، ولقد الححت الحاحا واضحا فى الحديث عن الدين والحيـاة ، وجعلت كلمتى : « الدين والحياة » فى عنوان اكثر من كتاب ، وفى غضون عشرات من المقالات ، لانى أومن بأن الحيـاة يجب أن تحتكم الى الدين ، وأن يكون الدين مهيمنا دائمـا على الحياة ٠

ولقد قلت فى أحد كتبى : « توجد فى الاسلام ميزة ، هى أنه يربط بين الدين والحياة ، وينظم شئون الدين وشـئون الاخرة ويوائم بين المـادة والروح ، ولقد حرصت خلال عهـد طويل على تاكيد هذه الميزة والتذكير بها » ٠

واتذكر ان اضخم كتبى حجما يحمل هذا العنوان : « يسالونك فى الدين والحياة » ٠

بل ان الكلمات التى تناثرت من الفم والقلم خلال سنوات الكفاح مع الحياة

والاحياء ، وسعت الى الناس على انها • مبادىء فى كلمات ، لم تبعد عن حمى ذلك الهدف الذى هدف اليه الانسان ، وهو ربط الدين بالحياة ، واحتكام الحياة الى الدين ، مع احساس بمطالب المجتمع ممثلا فى الافراد والجماعات ، ومن بينها هذه الكلمات :

١ ـ اذا تدين رجل الفن ، وتفنن رجل الدين ، التقيا فى منتصف الطريق ، لخدمة العقيدة الصحيحة والفن السليم •

٢ ـ ليتنا نعقل الاشياء بقلوبنا ، وليتنا نحب الاحياء بعقولنا ، فلو اننا عقلنا الاشياء بقلوبنا لصار الكون كله حبا ، ولو احببنا الناس بعقولنا لصار الحب كله نبلا •

٣ ـ تستطيع المراة انتحمل المجتمع على احترامها اذا ظهرت فيه كانسانة لا كانثى •

٤ ـ ان الحق لن ينقلب باطلا مهما قل متبعوه ، وان الباطل لن ينقلب حقا مهما كثر مشايعوه •

٥ ـ لان تبنى كوخا بيدك خير من ان تفاخر بميراث قصر •

٦ ـ قد يكون للدمامة جمال يدركه الاخيار من الناس •

٧ ـ ان للنصرة نشوة قد تكونأضر على صاحبها من قسوة الهزيمة •

٨ ـ اذا عجزت عن العمل فلا اقل من تزيين نفسك بالانصاف ، فتشكر العاملين •

٩ ـ العظيم يقول : الواجبات اكثر من الاوقات ، والحقير تمضى اوقاته بلا واجبات •

١٠ ـ ان اختلاف العمل عن القول رذيلة ، ولكنه يصبح فضيلة اذا قال الانسان شرا ، ثم لم يصدقهبعمل من جنسه •

تجربتى

مع الله

وعلمتنى تجاربى فى الحياة ان هناك فرقا بين الفكرة والواقع ، او بين النظرية والتطبيق ، او بين المبدأ والتقيد به ، فقد درست فى شبابى ـ مثلا ـ النظريات الكثيرة فى اصول التربية وقواعد التدريس ، وحينما مارست التدريس تبين لى ان التطبيق العملى لهذه الاصول والقواعد يحتاج الى حسن التصرف ، والتعديل فى جانب او جوانب •

وكان يخيل الى اثناء دراستى وهيامى بما أعرف او ادرك ، انتحويل هذه المعارف والمدركات الى حقائق ماثلة ووقائع مجسمة ، امر ميسور المنال ، فلما جاء وقت التنفيذ احتجت الى تصحيح رأيى ، وتخفيف حدتى ، وتعديل خيالى •

وتعلمت أن الواجب على الانسان ـ حينينتقل من دنيا الفكرة والمثال الى دنيا الواقع والتطبيق ، وحين يشهد مدىالاختلاف بين دنيا ودنيا ـ أن يتدثر بالصبر والثبات والامل ، والا يفتح الباب لليأس والقنوط ، وان يتذكر أن المثل الاعلى يتابع ارتفاعه أمام صاحبه حتى لا ينال كاملا ، وان الفكرة المثالية لو تحققت كاملة لتغير وجه الحياة تغيرا كاملا ، والذن فلا مفر من الثبات والمرابطة ، ولابد من مواصلة الخطوات فى سبيل مانؤمن به ، ومالا ينال اليوم ينال غدا او بعد غد ، والله ولى الصابرين •

ولقد كنت في صدر شبابي أهتم كثيرا بما يقوله الناس عني ، وما يبدونه من آراء وأحكام تتعلق بما أقول أو أفعل ، وكنت أحرص على أن أرضي هؤلاء الناس ، وأن أنال تأييدهم لما يصدر عني من قول أو عمـــل ، وكنت أبذل الكثير من جهدي ووقتي وأعصابي ليرضى هذا أو ذاك أو ذلك

وعلى الرغم من كثرة ما أبذل ، وطول ما أحاول ، كنت لا أبلغ رضا هؤلاء الناس جميعا ، فقد يرضى هذا بشيء ، ويغضب الآخـــر منه ، ويستعصي التوفيق بينهما . فكيف يكون الحل ؟ .

أدركت بعد طول التجارب أن رضا الناس غاية لا تدرك ، وأن الحرص على رضـــاهم بهذه الصورة يستـــنفد الجهود دون طائل ، ويوقع الانســان في البلبلة والاضطراب ، ويضطـــره أحيانا الى الاضناء لنفســـه ، أو الالتواء في طريقه ، ولقـــد يكون للانسان في الحياة أصدقاء ومعارف يطلب رضـــاهم ، ويرتجي وفاقهم ، ولكن الحق يجب أن يسبق هؤلاء في درجة الاعزاز والتكريم ، وأن يكون قبلهم في المكانة والتقدير .

فليتوافر عندنا الايمان بما نقوله ونفعله أولا وقبل كل شيء ، ثم لنمض بعقيدتنا ، معتزين بإيماننا ، مخلصين في مقاصدنا ، فان رضي بذلك الناس فذلك ما يقتضيه منهم العدل والانصاف وان كانت الاخرى فقد جانبهم الصواب، أو ابتعدوا عنه عامدين .

ومهما حاولنا التـــوفيق والتقريب بين البشر ، فستظل هناك وجهـــات للنظر ، وتعـــدد في الافكار والاراء وتضارب بين المطالب والمشارب : «وعلى الله قصد السبيل ، ومنها جائر ، ولو شاء لهداكم أجمعين » !

امض لما آمنت به ، ووثقت منه ، وخلاك ذم .

وتعلمت من تجارب الحياة الامور الآتيـــة :

- القليل الى القليل كثير .
- لايذهب العرف بين الله والناس
- عش في خطر ، فالحياة شيء تافه دون الاحساس بخطر .
- أعداؤك ينفعـــونك من حيث لا تدري .
- قد يضر الصديق أحيانا أكثر من ضرر العدو .
- الزمن خير حلال للمشكلات .
- العبادة ترياق ، يلطف الحس، ويصفي النفس ويهون الشدائد .

●●●

أما بعد ، فقد قال أحد النحاة : « أموت وفي نفسي شيء من حتى » .

ولقد أخذت تجارب الحياة تمر على الانسان ، تجربة بعـد تجربة ، دون أن يستـــكمل الانســـان ما يريد ، وحاجات من عاش لا تنقضي .

تمر التجارب تباعا والكتاب الذي يتمنى الانسان تأليفه لم يؤلفه .

وتمر التجارب تباعا والصـــديق المثالي الذي يرتجيه لم يجده .

وتمر التجارب تباعا والمســـتوى الذي يريد بلوغه لم يبلغه .

وتمر التجـــارب تباعا وفي نفس الانسان « عشرات الاشياء » من أخوات « حتى » هذه التي مات شيخ النحاة وفي نفسه شيء منها .

أو يدعو ذلك الى التوقف وترك التجربة واستدبار الحياة ؟ . لا . لا . فالحياة أقوى من الاحياء ، والحياة آسرة قاهرة ، والتجربة مغرية مؤثرة فلنمض مع الحيـــاة ، ولنمض مع التجربة ، فذلك شيء في فطرتنا ، ونحن مدفوعون اليه رضينا أم أبينا .

ولاكتف بما سبق من حديث عن تجربتي مع الحيـــاة ، وان بقيت في النفس أشياء وأشياء

محمد خلف الله أحمد

نشأت في قرية من أعمال « سوهاج الصعيد مصر » اسمها الإداري « القلاو » – ولعله اسم مصري قديم – ويؤثر جمهرة من أهلها – وأسرتنا في الصدارة منهم – أن يسموها « العمرة » أو « آل عمر » ، ويعتقدون أنهم في الأصل من قبائل العرب التي وفدت الى « مصر » مع الفتح الإسلامي – أو بعده – وأنهم يرجعون بنسبهم الى « عمر بن الخطاب » رضي الله عنه.

وقد غرست هذه البيئة في منذ الصغر أصول نظام من السلوك الأخلاقي والاجتماعي يستند الى عاطفة قوية من الانتماء العربي الإسلامي ، أعتقد أنها ركن هام في بناء شخصيتي وسير حياتي . وقد ترجمت عنها في غير قصيدة من قصائد الشباب


محمد خلف الله أحمد

تجربتي .... مع الحياة

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

وبعض الانشـــطة العملية كالزراعــة والصناعة والمساحة ، واذكر ان اول كسب مادى لى من عرق يدى كان من غلة الحوض الصغير الذى خصص لى فى حقل المدرسة للزرع والمران وتدوين الملاحظات ·

وتشاء الصـــدف ان يحضر كبير مفتش اللغة العربية (المرحوم احمد العوامرى عضو مجمع اللغة العربية فيما بعد) لزيارة تلك المدرســة فى مدينة « أخميم » ويستمع لبعض ما احفـــظ من ذخائر الادب العـــربى ولاســـلوبى فى التعبير والالقاء ، فيحضنى على ان استعد للالتحاق بدار العلوم عندما أبلغ السن المناسبة ·

وتدركنى ثورة سنة ١٩١٩ وأنا فى القســـم النظامى بالازهر ، فاحضر الاجتماعات الوطنية الثورية فيه ،



واستمع لرجال الدين من المســلمين والمسيحيين على منبره ، واشارك ـ كغيرى من الشباب ـ فى المظاهرات ، وارى الشـــهداء والجرحى يتســاقطون برصاص الغاصب المحتل ·

وينشأ فى ســنة ١٩٢٠ لاول مرة قســـم ثانوى لمدرســـة دار العلوم العليا ، فالتحق به ـ فى اول سنة له ـ بتوجيـــه من « العوامرى » ، ضمن فئة قليلة نجحت فى مسابقته ، تجمع فى صفوفها بين حملة الشهادة الابتدائية ، وخريجى المعلمين الاولية وطلبة من الازهر ، ونسير فى دراستنا فيه على مناهج المدارس الثانوية الاخرى وندخل امتحانات الشهادات العامة مع طليتها ، فيما عدا اللغـــات الاجنبية التى استـعيض عنها بالتوســـع فى الدراسات العربية والاسلامية ·

وانتقل بعد النجاح فى شـــهادة الدراسة الثانوية الى القسم العـــالى لدار العلوم سنة ١٩٢٤ ، ويتجـــه « طه حسين » الى اختيار نواة من خريجى ثانوية دار العلوم لقسم اللغة العربية بكلية الاداب بالجامعة المصرية (بعد ان اصبحت جامعة تابعة للدولة)، ويقع اختياره على الخمسة عشر الاوائل من فرقتنا ـ وانا فى مقدمتهم ـ ونزور المرحوم العميـــد فى داره بمصر الجديدة ، فيدير معنا حوارا فى معنى حديث « انزل القرآن على سبعة أحرف » وفى الصحة والانتحال فى الشـــعر العربى ، وينظر كل منا الى الاخـــر فى ابتسام له مغزاه · ثم يشاء الله فيفشل المشروع لظروف احاطت به ، ليســـتقر بنا المقام فى دار العلوم ، ننهل ونعـــل من التراث العـــربى والاسلامى ، ونعيش اربع سنوات فى صحبة الامهات من كتب الادب العربى « كأمالى القـــالى » وكامل المبرد ، وحماسة ابى تمام ، ودواوين شعراء العصر الذهبى ، ومجموعات كتـــابه وخطبائه :

وتمتد بى ثقافتى الاولى بين محفوظها ومقروئها على اجتياز تلك المرحـــلة محتفظا باولية فرقتى فى ســـنواتها الاربع وفى الدبلوم ، قائما بدور فى قيادة النشاط السياسى والاجتمـــاعى والادبى فى المدرسة

وقد شهدت تلك السنوات الثمانى فى القاهرة ازدهار شاعريتى على الطريقة الكلاسيكية ، والكلاسيكية الجديدة على يد شوقى ، ونمو مقدرتى على الارتجال والخطابة فى حشـــود الشـــباب ، واشتراكى فى تنظيم الحركات الوطنية لطلاب المدارس العليا والثـــانوية ، واتصالى بالزعامات السياسية والادبية التى كانت توليني الكثير من رعايتها وتشجيعها · واذكر انى اســـتدعيت للقاء شيخ الشعراء اسماعيل صبرى بعد سماعه لقصيدة القيتها فى بيت


د. طه حسين: الصحة والانتصار للشعر العربي


اسماعيل صبري : شيخ الشعراء

الامة أحيى فيها الصف الثاني من رجال (الوفد) الذين أخذوا مكانهم في قيادة الكفاح الوطني بعد اعتقال « سعد زغلول » ورفاقه ونفيهم الى « سيشل » ، وقد شجعني بكلمات طيبة تركت اثرها في نفسي الى اليوم ٠

وكان من حظي أن امثل طلبة دار العلوم في اللجنة العليا التي شكلت من كبار رجال الدار في مختلف ميادين العمل القومي للاعداد للاحتفال بالعيد الذهبي لدار العلوم سنة ١٩٢٧، وذهبت ضمن وفد من اللجنة على راسه « الشيخ عبدالعزيز جاويش » الى بيت الامة لدعوة الزعيم « سعد زغلول » لحضور الحفل ، والقيت ابياتا من شعري ضمنتها الدعوة ، فاعجب بها ودعا لي بالنجح والتوفيق ، والى هذا اشرت بعد في قصيدتي التي القيتها على مسرح الازبكية في حفل الطلبة لرثائه ٠

وقد حضر « سعد » حفل دار العلوم ــ ولعله كان آخر حفل جامع حضره قبل مرضه الاخير ــ واستمع فيه لخطباء الدار وشعرائها كما استمع لقصيدتي بالنيابة عن الطلبة ، وحظيت منه برضاه وتشجيعه ٠

وشهدت الليلة الختامية لمهرجان شوقي في العام ذاته قمة ما لقيت من تشجيع ادبي ، ومن تنبؤ لي بمستقبل في الشعر ، فقد أعددت لها قصيدة أوحى بها جلال الموقف ، وروعة الاجماع العربي على مبايعة شوقي بامارة الشعر ، والتقاء ذلك الجمع الحاشد من ساسة العروبة وادبائها ومنهم شوقي وحافظ ومطران وعبد المطلب وغيرهم ، فلم اكد القي الثلاثة الابيات الاولى من القصيدة (وهي مطولة تزيد على المئتين بيتا) حتى سمعت « حافظ » يقول بصوته العميق « أعد يا ولد » !

ولم أكد انتهي من القائها حتى وقف « مطران » يشد على يدي ويقول ويكاد يكون هذا نص عبارته ــ « غدا ستكون أمير الشعراء ، وسيقام لك مثل هذا المهرجان » ٠! وقد عهد الى « شوقي » بالقاء اثنتين من قصائده احداهما في العيد الذهبي لدار العلوم ، والقيتها على مسرح الازبكية في ليلة غنت فيها ام كلثوم « مالي فتنت بلحظك الفتاك » ، وطرب لغنائها الاكابر من شيوخ دار العلوم طربا شديدا ٠ والثانية قصيدته في حفل افتتاح الدار الجديدة لبنك مصر وفيها يقول « لطلعت حرب » ٠

ما زلت تبني ركن كل عظيمة
حتى اتيت برابع الاهرام

ولم تخل زياراتي « لكرمة ابن هانيء » من موقف محرج احيانا : اذكر اني دعيت مرة مع زملائي اعضاء لجنة الطلبة التنفيذية وبعض الكبراء والادباء لحفل ساهر في دار شوقي ، وجاء مجلسي قريبا من مجلس نعمان (باشا) الاعصر ــ وكان رجلا ضخما خفيف الظل ذا شخصية مرحة ، ونكتة

لاذعة – ولم يفته أن يلحظ عدم انسجامى مع مزاج الجو المحيط بى، وعدم مشاركتى فى أطايب المتعة والترفيه التى كانت تدور على الحاضرين. فحول انتباهه الى، وأخذ يرشقنى بسهام دعابته، حتى أوشكت أن أهرب من الميدان. لولا أن «عبد الوهاب» بدأ يشدو بقصيدة شوقى: «خدعوها بقولهم حسناء»، فعم الانسجام، وأخذت الالحان بالألباب، وانشغلنا وانشغل «الاعصر» فترة، بالشيخ «عبد العزيز البشرى» حين استخفه الطرب، وتلاحقت تعليقاته على أبيات القصيدة، وبخاصة عند قول شوقى:

وعلينا من العفاف رقيب
تعبت فى مراسه الاهواء

على أن الرحلة كلها من أيام الطلب فى القاهرة كانت حافلة بألوان من التجارب لا تزال حية بتفاصيلها فى ذاكرتى الى اليوم بعد أكثر من أربعين سنة.

ومما شاركت فيه فى تلك الرحلة حركة تغيير الزى فى «دار العلوم»، وهى حركة اجتماعية ثورية تستحق التاريخ، وقد نجحت رغم ما صادفها من مقاومة. ومن معارضة شديدة من جانب بعض الجهات الحكومية وغير الحكومية.

ومن تجاربى النفسية فيها تجربة مررت بها فى أحدى سنوات الدراسة، ذلك انه كان من نظام «دار العلوم» أن ترسل الى طلابها بعد انتهاء امتحاناتهم السنوية ونصف السنوية فى فرقهم المختلفة شهادات بنتائجهم وترتيب كل منهم بين زملائه. وجاءتنى شهادتى وانا فى العطلة فى القرية، فاذا ترتيبى – على خلاف المعتاد – الثانى فى الفرقة، وكان ذلك – لو صح – يشكل فى نظر أساتذتى



سعد زغلول: دعاء بالنجاح والتوفيق



شوقى: اجماع عربى على مبايعته بامارة الشعر

واهلى ، امرا مستقربا ، بل مؤلما ، فلم البث أن هرولت الى المسجد وتوضأت وصليت ركعتى الضحى ، وأخذت أردد الحمد لله ، والرضا بما أراد ، وشعرت بعد قليل بالراحة والطمأنينة النفسية ، وماجاء صباح اليوم التالى حتى وردنى خطاب سريع من ادارة المدرسة تخبرنى فيه بما وقع من خطأ فى الشهادة التى وصلتنى ، وبأن ترتيبى الصحيح هو الاول . ولى مع ربى تجارب من هذا النوع علمتنى أن أسعى وأعمل وآخذ فى الاسباب ، مسلما أمر النتائج لمن بيده وحده الامر والتصريف ، حامدا له فى كل حال .

وتجربة أخرى لا تزال ماثلة بذكرياتها : ذلك أن رابطة الادب وثقت الصداقة بينى وبين زميل شاعر فنان فى فرقتى ، وزميل آخر شاعر من طلبة مدرسة المهندسخانة (كلية الهندسة فيما بعد) . وكانت لنا أسمار تتطارح فيها الاشعار ، ونتدارس طرائف الادب ، ومرض


ام كلثوم : قصيدة مالى فتنت بلحظك الفتاك ..


عبد الوهاب شابا بقصيدة خدعوها بقولهم حسناء .

زميلى فى الفرقة ونحن فى أول سنة بالقسم العالى ، ثم مات فى صباح يوم عيد ، وكانت فجيعتنا فيه كبيرة ، فبكيناه ما شاء لنا الود أن نبكى . ونظمنا من دموعنا مراثى فيه . وحاولنا فى العطلة الصيفية التالية أن نلتمس العزاء فى رسائل نتبادلها من بلدينا ، ونجعل محورها صديقنا الراحل الذى قيل انه مات شهيد حب عذرى . وتحولت الرسائل بيننا الى مناجيات أدبية ، ومساجلات فى أمر الحب وأثره : أنا أنعى على الحب وأعارضه ، وأسرد من حوادث التاريخ ومأثورات الادب ما جر على أصحابه من مآس ، وصديقى شاعر الهندسة يذهب الى أن الجاذبية قوام الوجود، وأن الحب بين الجنسين سر الحياة الانسانية ..

وتجمع من كل أولئك حصيلة أدبية ، عرضت جانبا منها فى محاضرة بمدرج المدرسة ، شهدها الطلبة وبعض كبار الاساتذة وقام زملائى بنشرها فى كتيب بعنوان « الحب وأثره فى المجتمع » ، وفى مقدمتها رسالتا تقديم ، احداهما من الشيخ الاسكندرى ، والاخرى من الشاعر الببلاوى ، فيهما رضا عن موقفى واتجاه تفكيرى ، ورجاء أن يكون فى سلوكى هذا قدوة صالحة لزملائى من الشباب .

ولقد مررت منذ أول اقامتى بالقاهرة للدراسة بتجربة أعتقد أنه كان لها أثرها فى تفكيرى الدينى ، وموقفى من الخلافات المذهبية : ذلك أن قريبا لى يعيش فى القاهرة ، وكان متدينا ينتمى الى مدرسة سلفية رائدها المرحوم الشيخ محمود خطاب السبكى مؤسس « الجمعية الشرعية لتعاون العاملين بالكتاب والسنة المحمدية » ـ دأب على أن يصطحبنى معه للصلاة فى مسجد الجمعية وللاستماع للدرس الدينى الذى كان

الشيخ يلقيه عقب صلاة الجمعة ، وكان الشيخ يتعهدنا بقراءة كتب السنة ، وكتب الفقه المقارن ، وقد وجدت مبادئه ومواقفه من المذاهب الفقهية المختلفة استعدادا واستجابة في نفسي ، فقد كان يدعو الى ضرورة الاتصال بالدين في أصوله ومنابعه (الكتاب والسنة) ، والى التمسك بالسنة النبوية ، ونبذ البدع الضارة والى عدم التقيد بتقليد مذهب امام بعينه من ائمة المذاهب .

وتنتهي مرحلة الدراسة العالية في القاهرة سنة ١٩٢٨ بالنجاح المتفوق في دبلوم دار العلوم وبالتدريس فترة قصيرة ، ثم الترشيح لبعثة دراسية الى انجلترا للحصول على درجة شرف

مع الحياة

جامعية في « الفلسفة والمنطق وعلم الكلام » .

***

سارت الدراسة في « لندن » بنجاح الى غايتها المرسومة ، فأحرزت درجة الشرف في الفلسفة وعلومها ، واجتذبني من بين هذه الفروع علم النفس ، فدرست فيه لدرجة شرف معادلة ، أهلتني لاعداد رسالة للماجستير في علم نفس الطفل ، اجازتها جامعة لندن وأذنت بنشرها . واخذت أعد كتابا باللغة العربية في سيكولوجية الطفولة ، أرسم فيه صورة علمية لنمو الطفل في مراحله المتتابعة معتمدة على البحوث العالمية المنشورة التي اجريت في الميدان في الثلث الاول من القرن الحاضر ، واضمنه ترجمة لرسالتي في الماجستير وقد نشرته جماعة دار العلوم — بعد عودتي — بعنوان « الطفل من المهد الى الرشد » . (١٩٣٩) .

واذكر ان بين البحوث التي قدمتها لاساتذتي اثناء الدراسة في لندن بحثين : حاولت في أحدهما ترجيح تأثر النظام الشعري الاوربي — المعروف « بالسونيت » — بنظام الموشحات العربية ، وفي الثاني وجهت النظر الى مشابهات بين فكرة الشك عند «ديكارت» وبعض كتابات «الغزالي» ، واحتمال تأثر مؤسس الفلسفة الغربية الحديثة بالفكر الاسلامي . وقد لقي البحثان ترحيبا من أستاذ اللغة الانجليزية ورئيس قسم الفلسفة في الكلية ، ورغبة من كليهما في متابعة الموضوعين .

وكانت لهذه الدراسات وأدواتها آثار صالحة ، فقد استلزمت قضاء بعض العطلات الصيفية في رحلات دراسية الى فرنسا والمانيا ، والاتصال باللغتين الفرنسية والالمانية ، الى جانب الانجليزية لغة الدراسة ، والتعرف الى آداب هذه اللغات ، وخاصة شعرها ، كما مهدت لي سبيلا الى الكتابات الغربية في المنهج النفسي للنقد الادبي ، وكان فرعا حديث النشأة .

ومن حظي أن أتاحت لي كلية آداب القاهرة بعد عودتي القيام على توجيه هذا المنهج في الدراسات العليا بها ، وموالاة البحث والتأليف فيه . وكان من ثمار ذلك كتابي الذي نشرته لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٤٧ بعنوان : « من وجهة النظر النفسية في دراسة الادب ونقده » .

***

ومن طرائف ما مر بي من تجارب في أول عهدي بالدراسة في انجلترا انني وزميلي — وكنا نعد في كلية جامعية في إحدى مقاطعات الجنوب من انجلترا لامتحان دخول جامعة لندن — التحقنا بدراسة صيفية جمعت دارسين من شعوب مختلفة ، ولما جاء

اليوم الختامى للدورة رأى طلبة كل شعب أن يقدموا فى الحفل الوداعى لمحة من فن بلدهم وثقافته ، فعرضنا نحن ألوانا من الموسيقى والغنـــاء المصرى مسجلة على اشرطة الحاكى، وقمت أنا بالتقديم لهـــذه الالوان والتعليق عليها

وكان من نواحى نشاطى فى مرحلة انجلترا أن شاركت بعض الوقت فى تدريس اللغة العربية بمدرسة اللغات الشرقية والافريقية التابعة لجـــامعة لندن ، واسهمت فى احتفال المفوضية المصرية والجمعيـــة الاسيوية بالذكرى الالفية « للمتنبى » فنشرت لى مجلة الشـــعر البريطانية (عدد سـبتمبر عام ١٩٣٦) مقالا بعنوان : « المتنبى بعد الف عـــام » ، والقيت فى حفلى المفوضية والجمعية (١٤ ، ١٥ اكتوبر عام ١٩٣٦) باشارة من أحد كبـار المستشرقين الانجليز (وكان حاضرا منهم « جب » و « مارجوليوث » و « نيكلسون ») قصيدتين من قصائد المتنبى : احداهما رجزية ، تصـف منظر صيد حافلا بالحركة ، وتستجيب للالقاء التمثيلى ، وتقع فى ثمـانية وعشرين بيتا ارتجلها المتنبى ارتجالا، وأولها :

ومنزل ليس لنـــا بمنزل
ولا لغير الغاديات الهطل

وكانت لى فى انجلترا كذلك مشاركة فى نشاط الجمعيات المصرية والعربية والاســـلامية ، وفى الاشراف على برامج الثقافة فى النادى المصرى ، وفى تنظيم مؤتمر ســـنوى للطلبـة المصريين نتدارس فيه نواحى الاصلاح التى سنعمل فيها بعد عودتنا للوطن.

وهكذا كانت حيـــاتى فى انجلترا بمختلف نواحى نشـــاطها الدراسى والقومى امتدادا وتطورا لحياتى فى القاهرة ، ولكنها من جهة أخرى كانت نقطة تحول فى أسلوب نشاطى الادبى، فقد خمدت فى جذوة الشاعرية بعد اقل من سنة من مقامى فى انجلترا ، وتحول اهتمامى الى الكتابة المركزة ، والبحث العلمى . وقد كنت قبل ذهابى الى انجلترا ـ أستعرض فى ذهنى من تأثروا من شعرائنا بالثقافات الاجنبية لتطوير شعرهم ـ واظن بل اتمنى ان موهبتى الشعرية ـ ستزداد خصـــبا وثـــراء ، وان الطبيعة والبيئـــة والثقافة الجديدة من حولى ، وذخائر الشعر الغربى وموســـيقاه ستمدنى بالهام جديد ، وستفتح لى آفاقا فى موسيقى الشـــعر العربى فى اطار عبقريته الكلاسيكية .

وقد رايت فى هذا التحول مايشبه ان يكون فشـــلا وعـــدم تحقق لنبوءة « مطران » لى فى مهرجان شوقى . وبعد رجوعى للوطن عدت الى مناقشة هذا التحول فى مقال نشرته مجـــلة « الثقافة » (لجنة التاليف والترجمة والنشر) بعنـــوان : « الصـــديق الشـــاعر » ، حاولت فيه نوعا من التعليل لتلك الظاهرة ، وقلت لعـــن مرحلة الشـــباب فى الوطن بما قامت عليه ـ عند شاب ريفى متدين ـ من



حافظ ابراهيم : اعجاب شديد بالقصيدة ..

كبت وحرمان ورقابة صـــارمة من العقل الواعي ، كانت تجد في النشاط الشـعري متنفسا وتعويضا ، فلمـــا انتقل صاحبنا الى جو الحرية الواسعة هدأت حرارة انفعـــالاته ، وهجرته عروس الشـــعر ، او لعل الطـــاقة الحيوية التي كان الشعر يصرفها قد وجدت في دراسة الميتافيزيقا والمنطق والاخـــلاق والاجتمـــاع وعلم النفس مجرى آخر متنفسا ولم تستطع أن تسد مطالب الحياتين معا · ولكني في آخر المطاف رجوت – لو ينفع الرجاء – ان يكون تحت الرماد بقيـــة من وميض جمر ، تعود الى اتقادها في المستقبل بتجربة وجدانية ملهمة !!

وقد مرت بي في السنوات الثلاثين الاخيرة تجارب شخصية وقومية بعضها



مثير · ولكن اكبر تجربة رائعة اهتز لها كل كياني – كما اهتز لها كيان كل مصري وعربي – كانت من غير شك – « العبور المصري » في رمضـــــان / اكتوبر ٧٣ ، الذي كان بعثا للعزة العربية ، واحياء لامجـــاد مصر ، مؤسسة الحضارات ، وقاهرة الغزاة والطامعين · ولقد رأيتني بعد النصر وعرائس الشعر تحوم حولي كســـابق عهدها أيام الشـــباب ، وتستثير قريحتي بعشرين بيتا من الشـــعر ، ولكن أين ذلك من ملحمة العبور ! ·

•••

عدت الى الوطن في سنة ١٩٣٧ ، وبعد شهر واحد من التدريس في دار العلوم اقترح عميـــد الآداب (طـــه حسين) نقلي مدرســـا للأدب والنقـــد في قسم اللغة العربية بالكلية · وأزال ما عندي من تردد بين الادب والفلسفة بقوله : ان دراســـاتك في أوربا في العلوم الانسانية مضافة الى دراساتك الادبية واللغوية والاسلامية في دار العلوم خليقة أن تجعل منك اســـتاذ أدب من طراز ناجح ، ثم أردف ذلك بدعابة قال فيها : أتعلم أنني تخصصت في فرنسا في دراسة التاريخ القديم ؟ وماذا اليوم أستاذ أدب عربي ؟

وسارت حيـــاتي في الوطن مع الجامعة والبحث والتأليف وتوجيـــه النشاط الطلابي ، والكتابة والنشر في المجلات العربية والاجنبية والمشـــاركة في جهود اللجان التي تشكل لترقيـــة اللغة العربية ، وفي برامج جمعيات الشبان المسلمين ، وفي أعمال الاتحاد القومي والمؤتمر الوطني للقوى الشعب ، وتمثيل مصر وجامعاتها في المؤتمرات الدولية والاقليمية ، والتضامن الاسيوي الافريقي ، ومؤتمرات الادباء العرب ، المؤتمرات العربية الثقافية ، والندوات العالمية الاسلامية ·

وقد سار بي الشوط في الجامعات الى نهايته : مدرســـا في جامعـــة القاهرة واستاذا فعميدا للآداب بجامعة الاسكندرية ، ثم وكيلا لجامعة عين شمس ، وتسلمتني الجامعات بعـــد الستين الى معهد الدراسات العربية فأشرف بأســـاتذته وادارته بضعـــة سنوات ، وأسعد طوال عهد التدريس بصداقات أجيال من الشباب المصري والعربي والاسلامي ، ممن صـــادقوني وصدقتهم الود أبناء وزملاء ·

والشعر بكثير من العجز والتقصير في حق الله حين أعد بعض نعمه التي أنعمها علي ، فقد جعلني موضع الثقة من أولي الامر ومن هيئاتنا الثقافية ومجامعنا العلمية واكرمني بالمشـــاركة في تحمل مسئوليات ذات أثر في حياة بلدي ، تجيء في مقدمتها عضـــوية « مجمع اللغة العربية » ، ومجمـــع البحوث الاسلامية » ، والمجلس الاعلى

لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ـ ، ويتوجها من الرئيس الراحل وسام الاستحقاق من الطبقة الاولى ، ومن « رئيسنا المؤمن البطل وسام العلوم والفنون من الطبقة الاولى وتجيء « جائزة الدولة التقديرية في الآداب » سنة ١٩٧٢ تزكية ـ اطمأنت بها نفسي ـ لما بذلت من جهد مخلص قدر استطاعتي ، في خدمة بلدي ، وتربية شبابه ، واضافة متواضعة لثروته العلمية والادبية والفكرية .

***

وأنا ـ بعد ـ سعيد بحياتي الاسرية ، وهي ثمرة تجربتي الاولى والاخيرة في الحب ، فقد تزوجت زميلة دراستي وشريكة حياتي ، بعد مودة نمت نموا طبيعيا الى حب ، وتآلف في الطباع وأهداف الحياة ، تحول مع الايام الى وحدة دائمة ، وزوجتي تشاركني في خدمة الوطن بجهدها الثقافي والتربوي وقد بارك الله حياتنا بثلاثة من الابناء تخرجوا في كليات الطب والصيدلة والهندسة ، واهلوا انفسهم للتدريس الجامعي ، ولا عيب فيهم الا ان احدا منهم لم يسلك سبيل ابيه في الدراسات الانسانية ! وزادت حياتنا ثراء بخمسة من الاحفاد ، من بنات وأولاد ، هم قرة العين وبهجة الفؤاد .

هذه بعض ملامح من تجربتي مع الحياة ، لم أتحدث فيها عن الفشل الا في معرض الحديث عن تحولي من الشعر الى النثر . والحق ان الحياة مزاج من نجاح وفشل . ولكنني أعترف أن الفشل لم يشغل حيزا كبيرا من تفكيري ، فقد سارت حياتي ـ ولله الحمد ـ ميسرة في الخطوط العلمية والادبية والقومية التي اثرت اليها ، وكانت خواتيم مراحلها باعثة على الرضا . وما صادفني مما يعد فشلا أو عدم تحقيق هدف ، كثيرا ما أعقبه نجاح عفى على آثاره .

وقد أفدت من تجربتي مع الآخرين ـ زملاء ورؤساء ومرءوسين ومواطنين ـ ادراكي ان النجاح الحقيقي لشخص في مجتمعه لا يقاس بمنصب تسنمه ، أو علم تبحر فيه ، أو ثروة حازها ، قدر ما يقاس بمكانه في حياة بلده وبسلوكه الاخلاقي والاجتماعي بين مواطنيه .

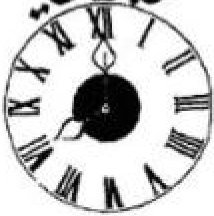
وبعد فقد سبق لي منذ عشرين سنة ـ وكنت في الخمسين من عمري ـ أن شاركت في تجربة ، طلب الى كل مشارك فيها أن يفحص نفسه ، ويرسم صورة لمذهبه في الحياة ، وأسس منهجه في السلوك والتفكير ، وكان مما سجلته حينذاك :

« هذه الخيوط التي يحاول الذهن جمعها عبر خمسين سنة ، تؤلف في نظري نموذج حياة ، سداه ولحمته ذلك الاطار الذي تسجله القرية : فمن المعالم البارزة الآن في موقفي من الناس والاشياء التي اعد الايمان ، والاخلاص ، ولزوم المثل الخلقية العالية اكبر عوامل النجاح والسعادة في الحياة . ويبدو لي أحيانا ان تعليل ذلك ميسور من الوجهة العملية : فالايمان يساعد على الاطمئنان النفسي ، وذلك ـ عندي ـ جوهر السعادة ، والاخلاص يبعث على اتقان العمل والنجاح فيه ، والمثل الخلقية ـ من تواضع واستقامة وايثار وغيرها ـ تزرع المحبة لصاحبها في قلوب الناس . واذا اجتمع لامرىء قدر من الاطمئنان الداخلي ، والنجاح في العمل ، والذكر الحسن بين الناس ، فقد توافرت له مقومات الوجود صالح » (١)

(١) « هذا مذهبي » بأقلام نخبة من الشرق والغرب . كتاب الهلال العدد ٤٨ ص ٥٢ ـ ٥٦

صـــالـح
جـودت

تجربتي



تجربتي مـــع القـلـم

الضحك كثيرا حينما اتذكر تجاربي مع الحياة ...

● اذكر انني حاولت ـ في صباي ـ ان اكون بطلا رياضيا . ومارست اكثر من لون من الوان الرياضة ،ككرة القدم ، والتنس ، والتجديف ، وكرة السلة .. و . و . و . ولكني لم استطع أن أكون بطلا في شيء منها .. ابدا ..

● وحاولت ان اكون فارسا ...

ومرة ... جمح بي الجواد ... وطار بي لمسافة طويلة بسرعة خيل السباق ، وانا ثابت فوق ظهره ، وصحابي يرمقونني في ذهول ... وفجأة وجدت نفسي أمام ترعة واسعة .. واشفقت ان يستطرد الجواد في سيره فالقيت بنفسي من فوق ظهره ، وسقطت سقطة فاجعة ... واذهلني بعد ذلك ان ارى الجواد يتوقف على بعد خطوة مني

أما انا فقد كسرت ساقي ، وبقيت في الجبس شهرا كاملا .

● وحاولت ان اكون ممثلا ...

وعرض على الممثل الكبير جورج ابيض ، رحمه الله ، ان اقوم معه ببعض مشاهد من الروائع التى اشتهر بها ، مثل لويس الحادى عشر واوديب وعطيل ، على ان تشترك معنا ابنته سعاد

وكانت « البروفات » تبشر بالنجاح ولكني حينما وقفت على المسرح اول ليلة ، امام الجماهير ، لم اتذكر كلمة واحدة من الدور الذى سامثله، وهو دور الامير نيمور في مسرحية لـويس الحادى عشر ... واردت ان اســتعين على فقدان ذاكرتي بسيجارة ، واخرجت من جيبي علبة سجاير « لاكي ستر ايك » ... فصرخ



صالح جودت

جورج في وجهي ، وكان من عادته اذا غضب ان يتحول الى اللهجة اللبنانية : « شو عم بتسوى يا ازعر ... ايلم لويس ما كان فيه سجاير لاكي سترايك ... » !

وضحك الجمهور ، ونزلت الستارة ، واسرعت الى الهروب من الباب الخلفي للمسرح ... ولم اعد اليه ابدا

● وحاولت بعد تخرجي في كلية التجارة — ان اكون محاسبا ... وانشات مكتبا للمحاسبة ، ونجحت نجاحا لم اكن احلم به ... ولكن بعد سنة واحدة ... تغلب حبي للحروف على حبي للارقام ، وجاء اليوم الذى أصبحت أشعر فيه انهنالك ثعبانا يطل من كل رقم ... فاعتزلت عالم الحسابات ، وتفرغت لعالم الكلمات

●●●

بدات تجربتي مع القلم في موعد مبكر جدا من العمر ... كان جدي

مع القلم

شاعرا ، ينظم الشعر باللغتين الفرنسية والتركية ... وكان أبي هو الآخر شاعرا ، ينظم بالعربية ، وله قصائد كثيرة منشورة في صحف زمانه

وهكذا نشأت والشعر في دمي . وكنت في طفولتي أرى أبي يجلس وحوله أصحابه كلّ ليلة في حديقة بيتنا بمصر الجديدة ، ويقرأ عليهم من الشوقيات ، اذ كان مفتونا بشوقي ، وكان يعده سيد القدامى والمحدثين

وفي هذه السن المبكرة ، أعجبني جرس الشعر الذى اسمعه كل ليلة ، فحاولت أن اقلده وانا في السابعة ، قبل أن أحسن القراءة والكتابة

وكانت في البيت مكتبة كبيرة ، بدأت اقلب فيها متفرجا ، ثم متصفحا ، ثم قارئا ، حتى لقد قرأت « مقامات الحريرى » وانا في العاشرة

وبهرتني براعة الصنعة التي في هذا الكتاب ، وفتحت عيني على ما في جوهر اللغة العربية من جمال

ثم بدأت اقرأ الشوقيات حتى حفظتها جميعا وانا في الثانية عشرة ، وخلبتني موسيقاها حتى أصبحت - وما زلت حتى اليوم - أومن بأن الشعر هو أول ما يكون موسيقى ... وان على من ينظم الشعر وهو لايحسن الموسيقى أن يهجر الشعر الى النثر . وفي تلك السن ، كنت تلميذا بمدرسة المنصورة الثانوية - اذ كان أبي يعمل مهندسا هناك - وحدث أن جاءت فرقة يوسف وهبي الى المنصورة ، واستضافته المدرسة هو واعضاء فرقته ، وقلت في تحية الفنان العظيم قصيدة مازلت أذكر منها هذين البيتين :

هذب نفوس شبيبة
للخلق أحوج ما تكون
فالخلق ان بلغ الكمال
بأمة ، هدم السجون

ويبدو أن القصيدة أعجبت المحتفى به ، فأخذها مني ونشرها في صحف القاهرة

وفي العام نفسه ، قرأت في مجلة « الصباح » ... وكانت من أشهر المجلات الأدبية والفنية يومئذ ، وكان من كتابها المرحوم الدكتور زكي مبارك وصديقنا الدكتور سعيد عبده ... أقول قرأت فيها مقالا يتهجم فيه كاتبه على أم كلثوم ، وقد نشأت على حب أم كلثوم كما نشأت على حب شوقي ، فأمسكت بالقلم ، وكتبت مقالا طويلا محتدا أدافع فيه عن أم كلثوم ، وبعثت به الى المجلة ، التي نشرته « بقلم الأستاذ الكبير صالح جودت » ... دون أن يدرى صاحبها أن هذا « الأستاذ الكبير » عمره اثنتا عشرة سنة .

ومنذ يومئذ لم انقطع اسبوعا واحدا عن مراسلة هذه المجلة ، تارة شعرا

وطـــورا نثرا ، وينشر هذا وذاك جميعا باسم « الاستاذ الكبير » ... دائما

حتى اذا حصـــلت على الثانوية العـــامة – وكنا نســـميها البكالوريا – وتأهبت لدخول الجامعة،

احسست أن بي من الجسارة ما يكفل لي ان اذهب لمقابلة صـــاحب المجلة لأقدم له نفسي لأول مرة

وذهبت ، وسألني : اين والدك ؟

قلت له : أتعرف والدي ؟

قال : طبعا الاستاذ الكبير صالح جودت

قلت له : انا صالح جودت

وتفرس في وجهي ، فرأى امامه صبيا في السادسة عشرة ، فاستصغر شأني ، وادرك « الخطأ الكبير » الذي وقع فيه خمس سنوات طوالا ، وربت كتفي ، ودفعني برفق الى الباب

وكانت عنده لي قصـــيدة ... وظهرت المجلة بعد ذلك ، فاذا بهـا هذه العبـــارة في باب « رســـائل القراء » :

« جاءتنا من الاديب صالح المندى جودت قصـــيدة نجتزىء منها هـذه الابيات » ...

وبعد ذلك ... ثلاثة أبيـــات أو اربعة ، من قصـــيدة طولها ثلاثون بيتا !

وهكذا هبطت من « الاستاذ الكبير » الى « صالح المندى » في غمضة عين ... فاقســـمت ان اهجر القلـــم ،

وكرهت الشعر والنثر ، وقررت ان التحق بكلية التجارة ، بعد أن كانت رجهتي كلية الاداب



ام كلثوم : مقال طويل للاشادة بها



جورج ابيض : دعوة للمشاركة في تمثيل بعض المشاهد المسرحية

ولم تمض أسابيع ، حتى تلقيت من صاحب المجلة نفسها ، رحمه الله ، مكالمة رقيقة يدعوني فيها الى لقائه . فتريثت قليلا ، ثم ذهبت ، فاذا هو يحسن استقبالي هذه المرة ، ويقدم لي القهوة ، ويسألني ان أواصل الكتابة كل اسبوع ، بأجر لا بأس به ... ثمانية جنيهات في الشهر

كان الجنيه جنيها ... وكنت لا ازال طالبا يتناول مصروفه من ابيه ... وهكذا وجدت الاجر مغريا ، فقبلت على الفور

ومنذ ذلك اليوم ، اصبحت الهواية احترافا ...

ومنذ ذلك اليوم ايضا ، لم انقطع عن الكتابة في الصحف اسبوعا واحدا حتى اليوم

●●●

في عهد المدرسة الثانوية بالمنصورة ، كانت المنصورة خميلة شعرية جميلة يغني فيها الدكتور ابراهيم ناجي شاعر الاطلال ، وعلي محمود طه شاعر الجندول ، ومحمد عبد الغني حسن شاعر الاهرام ، وم.ع. الهمشري شاعر الاعراف ، ومختار الوكيل ومحمد رجب ، وجميلة العلايلي وغيرهم من البلابل التي هجرت الشعر فيما بعد



د. ابراهيم ناجي :
شاعر الأطلال

وكانت لنا جميعا ليال حلوة على شاطيء النيل بالمنصورة ، ومن عجائب الاتفاق اننا ــ الهمشري وانا ــ حينما نلنا البكالوريا وجئنا الى القاهرة لنلتحق بالجامعة ، نقل ناجي اليها ايضا ، طبيبا بالسكك الحديدية ، وعلي محمود طه كذلك ، مهندسا بوزارة الاشغال ... وكانا يكبراننا بعدة سنوات

وفي هذه الفترة قامت جمعية « ابوللو » برئاسة امير الشعراء احمد شوقي ، وأمانة الدكتور احمد زكي ابو شادي

وراح ابو شادي ــ رحمه الله ــ ينقب عن الشعراء الشبان ، ويجمعهم حوله . وهكذا التففنا حول رسالة « ابوللو » ووجدت نفسي وانا دون العشرين ، عضوا بمجلس ادارة الجمعية ، ممثلا للشباب ، اجلس الى

مع القلم



د. زكي مبارك : كتابات في مجلة « الصباح »

جانب اولئك الفحول من شعراء ذلك العهد ورواده الفكريين ، واكتب معهم في مجلة واحدة ، بعد أن كنت لاأراهم الا في الاحلام

ثم نشبت المعركة بين مدرستي شوقي والعقاد ، فاندفعت مدافعا عن شوقي ، مهاجما خصومه بعنف وضراوة

وكانت هذه أول معركة ادبية أخوضها في حياتي ..

وان كنت قد طرحت حماقة الشباب بعد ذلك بسنين طويلة ، وعرفت قدر العقاد ، واقتربت منه ، وجلست معه طويلا في مجلس الفنون والآداب اذ كان مقررا للجنة الشعر ، وصفت نفسه لي كما صفت نفسي له ، وان كنت قد بقيت على الولاء لامير الشعراء احمد شوقي ، كسيد للقدامي والمحدثين وكان العقاد - رحمه الله - لا يغضب من مجاهرتي له بذلك ، بعد وفاة امير الشعراء .

وفي « ابوللو » اصدرت أول ديوان لي باسم « ديوان صالح جودت » واهديته الى الصورة الحلوة التي كانت تستهويني دائما في صدر الشباب .. وحتى اليوم .. « الى العيون الزرق والشعر الذهب » .

وكان الديوان حافلا بما يحفل به شعر الشباب - ابن الحلقة الثانية - من شك في كل شيء ، وتمرد على كل شيء ، مما أرقفني امام حملة ضارية من الشيوخ ، ولا سيما شيوخ الازهر لم أكن لاحتملها ، رهجرت الشعر حينا ، ولكنه غلبني فعدت اليه بعد حين .

عدت اليه هذه المرة ، بعد أن ازدادت قراءاتي ، وتعمق وجداني فيما اقرأ ولا سيما في أدب التصوف والمتصوفين ، فعدت الى الله ، قوى الايمان به ، مفرطا في الحب لذاته ، لا ابتغاء لجنته أو خشية من ناره . ومازال حبي لذاته - جل وعلا - يتصاعد يوما بعد يوم ، حتى لأوشك الآن أن أكون من المتصوفين دون أن اهجر الدنيا او ازهد في نعيمها .

ذلك اني اعتقد ان الله لم يخلق نعيم الدنيا لكي يحرمنا منه او يعذبنا بتركه ، بل لنستمتع به في حدود من رضا الله وراحة الضمير وطاعة القانون .

وغمرتني موجة الايمان الى حد انني بعد تخرجي في كلية التجارة ، قسم العلوم السياسية ، عكفت على اعداد رسالة الماجستير في موضوع « الدولة المثالية في الاسلام » .

ولم يتخل الله عني ابدا ..

مررت بعشرات من المحن ، وصمدت

مع القلم

لها جميعا مؤمنا بأن الله سينصرني في النهاية .

في بعض الأزمنة ، وقعت الواقعــة بيني وبين أحد الوزراء الغلاظ ـ وكان عسكريا ـ فأصــدر قرارا عسكريا بإخراجي من وظيفتي ـ وكنت يومئذ مراقبا للاذاعة ـ .. وخــرجت الى الطريق مغضوبا على من الحاكمين ، وليس في جيبي أكثر من بضــعة قروش لا تقوم بأود .

وتصـورت أن أحدا لن يجرؤ على استخدامي بعد هذه الغضبة العسكرية .. ولكني كنت واسع الأمل في وجه اللـه .

ولم تمر أربع وعشرون ســاعة ، حتى وجدت أمامي ثلاثة عروض ، لا عرضا واحــدا ، وكان أدناها الى نفسي عرض من دار الهلال ، أن أعمل بها مديرا لتحرير المصور ، براتب يعادل ضعف راتبي بالاذاعة ، فقبلت على الفور .

وبعد أيام من هذا الحادث ، رأيت الوزير الغليظ يخــرج من وظيفته ، ويعمل في احدى الصحف ، وبعد أيام أخرى رأيته يخرج من وظيفته ويقبع في بيته .

وقلت : سبحان الله

***

أحسنت اللغات العربية والفرنسية والانجليزية منذ صباي ، فتفتحت لي عوالم واســعة في دنيا القراءة ، وروضت نفسي على أن أقرأ كل شيء في كل فن .

وفي أول شبابي ، أحببت فن الترجمة وترجمت عدة روايات ، وربحت منها ما أعانني على أن أحيا حياة ترف ، واقتنى سيارة ، وأجــالس من هم أكبر مني سنا وعلما ، وأكثر مني مالا وجــاها ، وأحس أنني ند لهم ويحفــزني علمهم الى الاستزادة من العلم حتى لا أكون دون ادراكهم اذا تكلموا ، ودون مستواهم اذا ناقشوا أمرا من الأمور .

وتفتحت لي أبواب السفر ، فطفت بكل أرض ، حتى بلغت القطب شمالا واليابان شرقا ، وأمريكا غربا ، ومن ثم أقبلت على ممارسة أدب الأسفار ، ومنه كتابي « قلم طائر » .

وأحببت العمل الى حد أني لم أظفر بإجازة منذ ربع قرن ، ولعل سجلاتي في دار الهلال شاهدة على هــذه الحقيقة .

نعم .. قد أسافر الى مكان بعيد ، ولكني حينما أسافر ، لا أترك القلم من يدي أبدا .

وهكذا بلغت كتبي زهاء ثلاثين ، في الشعر والقصة القصيرة والرواية والسيرة والتصنيف والترجمــة وأدب الرحلات .

بيد أن الشعر هو أكثر ما أعتز به ، وأيسر ما خلقت له . وأحســب أنني وصلت فيه الى شيء ، ولعـل هذا الوهم تمثل لي كحقيقة بعــد أن خضت كثيرا من المسابقات في شبابي ، فكنت أظفر منها دائما بالجائزة الأولى وأدناها الى ذاكرتي الآن ، جــائزة الأغنية الشعرية التي أقامتها الاذاعة في أول عهدها ، ثم جائزة « مشروع



يوسف وهبي: نشر القصيدة
في صحف القاهرة

القرش » ثم جائزة « احسن قصيدة في السد العالي » ثم جائزة الدولة للشعر ، التي كنت اول من نالها سنة ١٩٥٨ . ذلك انني أخلصت للشعر ، وأوضحت منهجي فيه، وعرفت المعاناة في سبيل احسانه ، ولم احاول ان انحرف الى المذاهب السهلة منه ، كالشعر المنثور او المرسل او الحر ، لايماني بأن الفن معاناة جمالية ، وتجربة وجدانية ، وبوتقة شديدة اللهب ، تنصهر فيها عناصر اللغة والموسيقى والخيال .

●●●

وإذا كان لي أن أنضي الى المقبلين على الشعر من الناشئة بشيء من حصيلة تجربتي مع الشعر ، فاني اقول لهم :

● أن الثقافة العميقة والمتنوعة ، المستقاة من سائر الموارد القديمة والمعاصرة ، هي أول عدة الشاعر الذي يريد ان يحتل مكانا في هذا العصر .

● وان التمكن من اللغة بدراسة التراث والقواعد والاساليب ، والهيام بقراءة المعاجم والموسوعات ، جسر أساسي للشاعر الذي يرنو الى التفوق والسموق .

● وان الموسيقى هي أم الشعر ، ومن ثم فاني احب للشعراء أن يدرسوا الموسيقى بمختلف الوانها

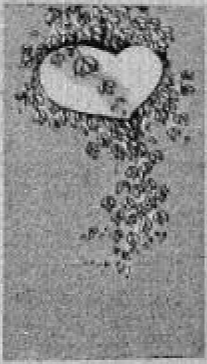
● وان عصر الشاعر الصعلوك ، الذي يتكسب بشعره ، او يجوع ويعرى ويتشرد في الطرقات ، قد انتهى ولامكان في عصرنا الا للشاعر المثقف ، الانيق ، المتمرس . ولهذا ينبغي للشاعر ان تكون له مهنة يتكسبها ، كالطب او الهندسة او المحاماة او الصحافة او التجارة او غيرها ، حتى يعصم شعره من شبهة التكسب ، ويجعل الشعر في اعماقه هواية لا احترافا طول حياته .

● وان يبتعد عن السطحية ويحب المعاناة ، ويلتزم بما ينبع من نفسه لا بما يمليه عليه مذهب او نظام او حكم او كسب مادي .

● وان يقرأ ويتعمق ليؤمن ، فالشاعر الذي يحمل ايمانا اعمى ، هو اعمى . والشاعر الذي لا يحاول ان يصل الى الله ، وينكر اعلى قيمة في الوجود تهون في وجدانه بعد ذلك جميع القيم التالية وهي الشرف والفضيلة والكرامة والكبرياء .

حسن
فتح الباب

أغنية رومانسية



لا تحاوِلْ .. أنتَ لن تأسر بعدَ اليوم قلبى
لا تحاولْ .. انا لنْ أعطيكَ مهمـا قلت حبّى

***

انتَ لن تأسر قلبى مرّتين .. فابتعـدْ
عن طريقى .. لم تعدْ رُوحى مِلكاً لأحـد

***

أنت علّمـتَ فؤادى .. آه كـم علّمتنى
خفقةَ النّسيان بعد الوجدِ .. كمْ غيرتنى

***

قدْ مَنحتْ الموجَ أعطـاف .. والنسْمة شعرى
أنا أودَعتُ لديهـا كلَّ سرى .. كلَّ سِحـرى

***

ضِحكتى للنور .. للعصفورِ .. للطّفل السّـعيد
رقصَتى للجدْول المراح .. للافقِ البعِـيـد

***

كانَ حلمُه أن تلاقينا .. بَيْننـا عشـنـا
وصَحوْنا اليوم .. أصبحنا غريبيْنِ هنـا

لا تُعِدْ لي سيرةَ الماضي .. وقد ضيّعْتَه
أنتَ لم تؤمن به .. أنكرتَني .. أنكرْتَه

***

لا تقل لي سوفَ تَرعاني إذا عُدتُ إليك
أنت أطفأتَ شموعي يوم كانتْ في يَديْك

***

كيفَ أعفو .. كيف يُنسيني حزني المَلَكْ ؟
أنتَ لم ترْحَم شجي روحي .. لماذا أرحمكْ ؟

***

لا تُحاولْ .. وتلفّت إليه .. ومشيت !
أنا لن أعطيكَ حبّي .. أبداً .. مهما صنَعْتْ

***

ومضَى عنّي وحيداً .. وحزينا .. كالغَريب
شارداً مثلي كعصفورين تاهَا في الغُروب

***

وتذكرتُ ليالي حبنا تحت القمَرْ
وطريقَ النيل ينساب بنا حتى السَّحر



أغنية رومانسية

وتصورت حبيبي بين أحضان العذاب
والأسى يملأ عينيه وأطياف العتاب

***

هتفت روحي من وجدي عليه .. يا حبيبي
لست أرضى لك بالنار التي كانت نصيبي !

***

وتغنيت بلحن حالم يهتف باسمه
فإذا الدنيا حوالي تهاديني برسمه

***

وإذا الفجر الذي أهوى .. شعاع في جبينه
والأغاني والأماني راقصات في عيونه

***

يا حبيبي .. دق بابي ألف حب قبل حبك
ما استجاب القلب حتى جئتني أنت بقلبك

***

جئتني أنت .. وأنت القمر الحاني الخجول
أنت عطر الليل .. لحن الناي . ياحلمي الجميل

***

أنت طفل الأمس يا حبي .. معبود الغد
وليالي الحب أحلى العمر ذكرى الأبد

***

فتعال .. لا تصدق كذبي يوما عليك
لك ما أملك .. روحي . وأنا والحب لك

***

وتعال .. كل ما قلت انسه إلا : أحبك
لي أيامك .. لي كل لياليك . أحبك



إبراهيم
المصري



تجربتي مع الزمان

تجربتي مع الحياة هي تجربة العصامي المكافح الذي اراد ان يشق طريقه بنفسه ولا يعتمد على أحد ..

نشأت في وسط شعبي من أسرة كان معظم افرادها أشباه متعلمين بل جهلة يرزحون تحت وطأة الفقر ولا يفكرون الا في لقمة العيش . فعز علي أن أكون مثلهم .. أظل أحيا تلك الحياة الضائعة التاعسة الكئيبة التي لا ينفذ اليها ولو بصيص من نور ..

وكنت بطبعي طموحا ، أصبو الى المعرفة ، وأتطلع الى التثقف وأخالس الأمل في أن أغالب الفقر ، وأذلل العقبات ، وأتفوق على الوسط الذي أراد لي القدر أن أنشأ فيه .

وكان والدي رجلا لم يتلق من العلم غير قشور . ولكنه كان مولعا بالأدب ، شغوفا بمطالعة والقاء الشعر ، لا يفتأ يترنم بأبيات للبحتري والمتنبي وأبي تمام وهو في نشوة دونها نشوة السكارى . فكنت أنا أنظر اليه معجبا ، وأتامله مأخوذا ، وأشرب نفسي منزعه ، وأحس أن روحي تستجيب الى روحه وأن في أعماق ذاتي قوة خفية مكبوتة أظمأ ما تكون هي الأخرى الى الارتواء من

تجربتي مع الحرمان

تلك المنهل الرائع ، منهل الادب والفكر فمن تأثير والدي علي ، مما كان يعتمل في قرارة نفسي من ميول ونزعات ، انتهضت اطالع من الكتب كل ما يقع تحت يدي ، وكل مايمكن ان استعيره من الغير ، وكل ما كان في وسعي أن ابتاعه بمصروفي .

غير أن مصروفي كان لا يزيد في اليوم على « قرش تعريفة » أو « صاغ » ، وفي الاعياد والمواسم على قرشين . فاحسست الا ذاك ان سبيلي الى التفوق هو الحرمان .

واني بالحرمان يمكن ان اشبع غلتي . فضغطت القتر على نفسي ، واخنق مشتهياتي في صدري ، واكف عن شراء البسبوسة والكنافة والبسيمة التي احبها ، واضم القرش الى القرش ، والمليم الى المليم ، وابتاع الكتب المستعملة ، واتكب على القراءة وانا في شبه غائلة من الحمى .

وكنت قد بدات دراستي في كلية فرنسية مجانية . فاخذت أجاهد جهاد المستميت لاحذق لغة غريبة عني ، واجاهد في الوقت نفسه لاحذق اللغة العربية واستطيع أن اعبر بها عن افكاري ومشاعري .

هذا الجهاد المزدوج اضناني . فكنت في بعض الساعات ارتعد خوفا من مواجهة اليأس والفشل وتنهمر من عيني الدموع . فأسرع وأهيب بكبري ، واستنهض متفجر عزيمتي، وامعن في الدرس والتحصيل حتى يكل بصري وتضمحل قواي . فتشفق علي أمي ، وتصرخ وتلتمس مني أن ارحم نفسي . فلا يزيدني صراخها الا عزما وتصميما . فاظل حبيس حجرتي ، لا اتصل بصديق او قريب ، ولا اتبلغ الا بما أسد به رمقي ، ولا اكف عن السهر تحت ضوء مصباح من الغاز ، اعب من مصنفات ابن المقفع والجاحظ والقاضي الجرجاني ، وما كتب المويلحي والمنفلوطي وقاسم امين وفتحي زغلول دون ان انسى الروايات البوليسية والغرامية والتاريخية افرج بها آخر السهرة عن نفسي .

هذه المطالعات الادبية استغرقتني استبدت بي . ملكت على فكري وحواسي . باعدت بيني وبين الرياضيات التي كانت جزءا هاما من دراستي بالكلية . فنفرت من الهندسة وكرهت الجبر كرها شديدا . فرسبت في امتحان « الكفاءة » واثر ذلك على والدي واهلي وجللني الفشل بالخزي والعار .

ايقنت اني لن احصل ابدا على مؤهل ، وان جهادي يجب أن ينصرف الى ما تنزع اليه طبيعتي واني لو عجزت عن التفوق على الاقل في ميداني فلن اضمن لي أي مستقبل ولابد أن ارتد الى بيئتي واعيش نفس الحياة الراكدة التي يحياها اهلي .

ولكن كيف ، كيف اتفوق في الادب الذي جعلت منه قبلتي . كيف اتسنم ذروة عقدت عليها آمالي . هل اكون مقلدا . هل انحو نحو الجاحظ أو الجرجاني أو المويلحي فاكرر القديم واغدو عبدا له .

احسست ان لا مفر لعقلي من لقاح جديد ، ولا مفر لنفسي من ماء قراح لم تنله ابدا شفتاي . فتطلعت الى



ابراهيم المصرى

منهل آخر ، الى الادب الفرنسى الرفيع وتلهفت على اقتحامه ·

بيد انى لم اكن اعرف ماذا اقرأ منه · كنت اقرأ ولا افهم · كنت لا اعرف اى اثار هذا الادب يجب ان اختارها ، ويجب ان اعالجها فى مبدأ الامر واتمرس بها كى اعلو بعد ذلك عليها واقفز منها الى الاعماق ·

واحتوتنى الحيرة وناء على الكمد والضيق · وعندئذ تفتح امامى كل شىء بغتة واستفاضة ·

اسعفنى الحظ برجل عظيم · استاذ فرنسى من أساتذة الكلية ، مستشرق وعالم واديب ·

هذا الرجل هو الذى اوقد لى النور ·· هو الذى جاءنى بالروائع وبصرنى بها · هو الذى حثنى على مطالعة فلوبير وبلزاك وستندال وغيرهم من القصصيين ، وفولتير وديدرو ومونتسكيو وروسو وديكارت من الفلاسفة والمفكرين ، وهو الذى ارشدنى الى كتاب البارون « كارا دى فو » عن « مفكرى الاسلام » وما قدموه واثروا به الغرب فى العصر الوسيط ·

وكان هذا الرجل يزورنى فى بيتى ، ويعيرنى مختلف الكتب ، ويقرؤها معى، ويعاوننى فى استجلاء كل ما كان غامضا منها ومستبهما على ، حتى انطلقت امرح فى فسحات الادب الفرنسى بمفردى ، وقد اشتد فضولى ، واتقد نهمى ، وضاعفت

ثقافتى الجديدة منابهتى على ثقافات أخرى ، وعوالم من الفكر أخرى ، تمثلت لى أشبه بجنات ساحرة عجيبة خارقة الثمر ـ فتولدت فى نفسى اذ ذاك عقيدة ما زلت اومن بها وآخذ منها منارا وحافزا لحياتى ·

رسخ فى وجدانى ان الانسان ارادة ، وانه مخير فى معظم ما يبتغى ، وانه مخلوق حر ، فى مقدوره أن ينحت بنفسه تمثاله ، وان يبدع بنفسه خصائص لشخصيته ، وان يشيد بنفسه بنيان حياته ، وان يثبت أمام الاحداث بل ويتحدى عند الاقتضاء تصاريف القدر ·

قلت فى نفسى ان الله ما دام يثيب الانسان على الخير ويعاقبه على الشر ، فهو اذن قد خلق الانسان حرا ، حرا فى فكره ، حرا فى اختياره ، حرا فى مسلكه · وما

الحرية الا ارادة ، وما تجربة الحياة الا تجربة الارادة ، اما التواكل فرمز التخاذل والضعف والهزيمة والموت ٠

بهذا الاعتقاد الراسخ تسلحت ايضا لصون كرامتي ، والبحث عن عمل اربح منه مالا يمكنني من شراء الكتب ، والانفاق على نفسى ، والاستغناء عن كل عون من اسرتى ٠

طرقت جميع الابواب ٠ قدمت للشركات ورجال الاعمال مختلف الطلبات ٠ اتصلت باصحاب المدارس الاهلية وعرضت ان اكون مدرسا للاطفال ٠ بذلت المستحيل في بحثى وطوافى حتى عثرت فى النهاية على وظيفة متواضعة فى البنك العقارى المصرى ٠ ولكن شهوة المعرفة كانت اقوى منى ، فضبطنى رئيسى فى البنك وانا متلبس بمطالعة الكتب اثناء عملى فاستصدر من الادارة على الفور امرا بفصلى ، مبررا تصرفه بانى فتى خيالى جامح النزوات والاهواء لا احترم النظام ولا اصلح لاى عمل ثابت ومحدد ويومى ٠

وهكذا انصبت على مرة ثانية نقمة اهلى ٠ فلم اطق الحياة عالة على ابى ٠ فشرعت اكتب للصحف ، الوقت بعد الاخر ، بعض المقالات لقاء اجر زهيد يحفظ على فى البيت ماء وجهى

ورغم ذلك فقد كنت اعانى الوانا متعددة من الضيق والتشرد والعذاب ٠ ولكنى ابيت الا ان امضى فى جهادى، ان اظفر بالمزيد من المعرفة ، ان اتفوق في الكتابة والعمق في النظر والتفكير، ان استكمل ثقافتى بحيث تتسع افاقها وتشمل العالم ٠

فماذا فعلت انا الفقير الذى ليس فى وسعه أن يحصل على بغيته من الكتب النفيسة التى تشبع فى نفسه ذلك النهم الفكرى المستبد ؟ ٠٠ يممت وجهى شطر « الكتبخانة » الكبرى بباب الخلق ٠

كنت اذهب اليها فى الثامنة صباحا وامكث فيها حتى الواحدة ، واطلب من كتب الادب والفلسفة الانجليزية والالمانية ما قد ترجم الى الفرنسية ، كما كنت اطلب بعض الكتب فى الرياضيات والعلوم التجريبية التى كنت انفر منها واجهد فكرى مع ذلك لافهمها - ثم اغادر « الكتبخانة » متعبا مكدودا ، فاعرج على مطعم شعبى واتناول غدائى سندوتش فول او طعمية ، ثم اظل اضرب فى الشوارع حتى الساعة الرابعة ، كى اعود الى « الكتبخانة » ولا اغادرها الا فى الثامنة مساء عندما يغلق بابها ٠

ثلاث سنوات امضيتها على هذه الحال ، اطالع والتهم فلا اشبع من فكر ، ولا ارتوى من علم ٠ فيشتد ظمئى ، فاواجه بحر المعرفة الممتد امامى ، واود لو استطعت ان اشربه عن آخره ٠

❋❋❋

هذا الجهد المتصل ، هذا العذاب المرير ، هذا التطلع العنيد الى احتواء الرائع الجليل من مولدات الفكر البشرى ، هذا كله ايقظ وجودى ، اشعل جذوة قواى المستقلة الكامنة ٠ فمضيت فى طريقى اثبت قدما ، واوفر ثقة ، وانضج فكرا ، واكثر املا فى مستقبل مرموق كان هو غاية حياتى ٠

والتمع فجاة اول شعاع من فجر ذلك المستقبل ٠

تجربتي مع الحرمان



قاسم امين : المرأة مستقلة لاعمالها



فولتير : الرائد والمعلم

حدث أن زار مصر الشاعر الهندى العظيم طاغور . وكنت انا مولعا بشعره اشد الولع . فانتهزت الفرصة وكتبت عنه مقالا ضافيا بعثت به الى جريدة البلاغ ، فاعجب به صاحبها المرحوم الاستاذ عبد القادر حمزة ، وأسرع ونشره فى صدر الصفحة الاولى من جريدته .

هذا النجاح الطارىء ، هذا النجاح غير المنتظر ، اثلج صدرى ، وضاعف ايمانى بنفسى . فلم اتمهل وجعلت اكتب المقال تلو المقال وارسله الى صاحب البلاغ مما اودع الثقة فى نفسه . فاتصل بى ، وضمنى الى هيئة التحرير ، وعهد الى بكتابة الصفحة الادبية فى البلاغ .

أصبح الطريق واضحا امامى ، ولكنه كان طريقا زاخرا بالاشواك .

كان على ان ابذل اشق الجهود لاحتفظ بثقة صاحب العمل ، واكسب أيضا ثقة القراء واقبالهم على ماكنت أكتب .

لم أتهيب الموقف . استجمعت له عزمى ، وأفرغت فى العمل صفوة جهدى ، فحالفنى النجاح وطربت ..

بيد أنى لم ألبث أن شعرت أن هذا النجاح فى دنيا الصحافة وحدها لا يمكن أن يرضينى ، وليس هو ما أطمح فى الواقع اليه .

كانت غايتى أن أسهم فى بناء النهضة الادبية عندنا ، أن أصل بينها وبين منابع الفكر الغربى ، أن أجدد منازعها ووحيها وروحها ، أن أضع الكتب فى هذا ، ثم أحاول أن أبدع — ولا سيما فى فن القصة الذى احسست أن فيه تتركز أهم عناصر شخصيتى . أدبا ذاتيا يكشف عن جوهرها الخاص وطابعها المستقل ، ويلتقى فيه اللون المصرى المحلى بالمنزع الانسانى العالمى .

كان هذا هو مثلى الاعلى . فانطلقت موزعا جهودى بين تيارين : الاول عملى الصحفى ووضع المؤلفات التى تعرفنا بالنماذج الخالدة فى الادب الغربى ، وتعالج فى الوقت نفسه الخطير من مشكلاتنا الاجتماعية . والتيار الثانى هو محاولة ابداع تلك القصة الفنية وفق الشروط التى ذكرتها ، وعند مستوى ذلك المثل الاعلى الذى كان ما يفتأ يحتل ذهنى وخيالى .

ولقد تمكنت بالارادة الثابتة والعزم الصادق والصبر الطويل ، من اخراج عدة مجموعات قصصية ما بين عصرية واقعية ، ووجدانية تحليلية ، وغيرها مستمدة من أحداث التاريخ أو تدور حول فكرة فلسفية تتعلق بمصير الانسان .

فحياتى بمختلف مراحلها كانت مسددة نحو غاية تلهبها الارادة ، وتجربتى مع الحياة كانت تجربة ارادة . ولو أن أرادتى لم تكن حية متوثبة دائمة الاتقاد لما استطعت أن أحقق شيئا من أحلامى .

وانا لا ازعم انى قد حققت كل ما احلم به . ولكنى ما انفك الاحق حلمى الكبير ومثلى الاعلى بنفس الارادة ونفس الثبات ونفس الامل .

على انه ليست العبرة فى أن يحقق الانسان بارادته المعجزات ، بل العبرة كل العبرة فى أن يحقق بارادته اقصى ما يستطيع ..

زكي طليمات

« مادمنا نستنشق ريح الحيـــاة فانه مقضى علينا ان نجرب ، ولا منجاة لنا من هذا الا ان تنقطع انفسنا ، فكأن التجربة انما هي من انعكاس الحياة التى تدب فينا وهى فى الوقت نفســـه تثير فى النفس انفعالات قوية من التفكير والتأمل بحيث تتشكل من هذه التجارب نظرة الانسان الى نفسه والى محيطه . والتجــربة الواحدة تختلف فى اثرها تبعا لشخصية من يقوم بها ، وهى فى كل حالة نور على نور » .

تجربتى .. مع الله .. والمسرح

من أين ألتقط طـرف الخيط الذى يقودنى الى حســـن الابتداء فيما أود أن أتحدث به عن بعض من تجاربى وقد تراكمت ذكرياتها على خاطرى الان ؟

فلابدأ بحديثى عن الله الذى فطرنى .. فان الله هو البداية وهو النهاية.

● مسلم بالوراثة ●

نشأت مسلما مؤمنا بالله ورسوله بحكم البيئة والوراثة وليس عن اختيار وتأمل ويقين . ولا أعرف لماذا كانت الصلاة تستهوينى بوقفاتها الخاشعة وسجداتها المتوسلة ، فكنت اباشرها فى متعة ووجد ، وكأنى ابتدع شيئا من لا شىء لا أعرف له ماهية الا انه جميل وجليل وشامخ !

وكان يستهوينى سماع القرآن الكريم ينطلق بترتيله الصوت الرخيم ...

وكذلك أجد فى حلقـــات الذكر ، استجابة لرغبة مبهمة تمور فى اعماقى لا أعرف لها من مدلول الا انها كانت

تبعث فى نفسى نشوة تماثل تلك النشوة التى تلابسنى حينما كنت انبرى اقلد من تقع عينى عليهم ، من الاهـــل والرفاق ، كنت اقلـــدهم فى حركاتهم واحاكيهم فيما يبدر منهم ، ولم اكن

أعرف لماذا شغفت بهذا ، وإن كنت أعرف أنني حذقت هذه اللعبة بدليل

أنهم كانوا يصفقون لي الا اباشرها ويضحكون مع ضحكاتهم ، هذا تمثيل متقن ، !

الول هذا (التمثيل) الذي ينكرونه كان يملك شغاف قلبي واجد في تعاطيه الراحة والرضا .. أنه يشيع في نفسي رغبة الى المعرفة وشوقا الى التعبير ،

معرفة كيف يستوى الاخـــرون وكيف يعبرون ، وذلك من خلال شخصيتي .

وزاد من هذا الشغف ادماني حضور حفـــلات التمثيل في المسارح ثم اشتراكي مع هواة المسرح في حفلاتهم

بين هذا ، وبين دراستي ، عشت مراهقتي وصباي الاول الى ان اوشكت أن تتم دراستي العليا . وعشت يتملكني

جوع الى ان اعرف ، والى ان اعقل الاشياء ، الى ان اعيش حياة الواقع الى جانب حياة الوهم والخيال .

● في مدينة النور والظلام ●

وفي باريس حيث أوفدتني الدولة مبعوثا لدراسة فنون المسرح على نفقتها

بعد أن احترفت مهنة الممثل مدى عامين في باريس توفرت على اشباع ذلك

الجوع وهذا الفضول بأن جمعت بين دراساتي فنون المسرح ، وبين تحصيل

علوم اخرى تعتبـــر من مقومات الن

والمـــرأة

تجربتي مع

زكي طليمات



المثل الحق وتأتى فى مقدمتها الفلسفة وعلم النفس .

تعرفت الى الفلسفة . وسرعان ما بهرت بها فانكببت عليها ... اذ انها حقا تشبع فضولى ، ولكنها فى الوقت نفسه تسلمنى الى القلق الروحى . والى التشكك فيما ليس من حياة الفكر والواقع .

وباريس بلد يختلط فيها النور مع الظلام ، والدين مع الالحاد ، والفضيلة مع الرذيلة ، والعطر مع النتن ، يختلط كل هذا ويتشابك بحيث تفوت العين ان ترسم حدودا دقيقة بينها ...

وفى باريس لهفة على الحياة وتهالك على الماديات . وقد تختلط هذه اللهفة مع شبق الجنس فيخيل اليك ان الجنس هو كل شىء فى كياننا ...

ثم تأتى تظريات (فرويد) فى علم النفس لتؤكد ان الجنس يقف وراء كل بادرة من سلوكنا ...

كل هذه العوامل مع غرور الفكر وادعاء القدرة على تفسير كل شىء ، ادارت راسى الى نواح لم اكن اعرفها من قبل .

● القليل من العلم ●

ووجدتنى اتنكر للغيبيات ...

وهذا الدين اصبحت ارى أنه لا يتجاوز أن يكون نظاما ومدرسة ، ثم هو فوق هذا وذاك ، مهرب نفزع اليه ونستكين كلما ضقنا ذرعا بأحوال الدنيا وناسها ...

هل ضعف الانسان عن ان يعيش بلا عقيدة دينية ، فكان أن ابتدعها وخلق الاله ؟ .

ثم لم عذاب الاخرة تكتوى بنيرانها عقابا لاخطائنا وآثامنا ما دام كل شىء نقوم به مقدرا علينا ومكتوبا ؟

ثم ما هذه الحياة التى تلهو بنا وتعبث ؟ اننا نجىء الى العالم من غير أن يكون لنا رأى فى مجيئنا ، ونفارق بعد ذلك كارهين الى آخر ما نطالعه فى فلسفة الملحدين ، وفى حيرة الحائرين بين الارض والسماء .

وكان يبدو لى احيانا — وذلك بدافع من غريزتى الدينية القائمة على الشهادتين — اننى اهيم فى ضلال مرجعه نزعة طاغية الى التحرر من كل قيد ، وأننى أركب غرور الصبا والعلم من غير ان يكون لى لجام بكفى أو ركاب بقدمى !

● وعدت الى القاهرة ●

وبعد خمس سنوات ، عدت عام ١٩٣٠ لانهض بمهمتى فى خدمة المسرح ، وهى مهمة استخرجتها على هدى مراجعتى أمر مسرحنا فيما كان عليه وما يجب أن يكون عليه

وتتلخص هذه المهمة فى أمرين : تحرير القاعدة الكبرى فيه من الجهل

والجهالة ، ثم عتق العاملين فيه من رق الزعامة الراسمالية وقيود التحكم الاقطاعى .

مهمة ويالها من مهمة !

ونضال واى نضال ! الغام مبثوثة اينما ذهبت ، وعقوق من جانب الذين تحسن اليهم بصفع وجهك اينما وليته ...

ودارت بى الايام ودرت مع احداثها بين نجاح وخيبة ، وصعود وهبوط ، واعجب العجب التى اخيب فيما احسنت التخطيط لنجاحه ، ثم اننى قد انجح فيما اقدرت له الخيبة !

ما السر ؟ هل هناك قوة خفية لا اعرف لها اسما ، وفيما بين شفتيها نطق النجاح او الخيبة ؟

واهبت بالفلسفة ، ولكنها لاذت بصمت العاجز ....

وجاء الدرس بعد الدرس تقرعنى به التجربة فاذا بى ازداد معرفة بنفسى وبالناس ... واذا بى احسن التفريق بين الالوان والظلال ، بين المعقول والممكن ومالا يمكن .

وانتهيت الى ان هناك قوى خفية تتحكم فى اقدارنا ولا يستطيع المنطق تفسيرها . وان العقل الذى آمنت به وغاليت فى اعلاء شانه ، كليل ، ليس فى وسعه أن يبصر كل شىء ، وقاصر عن أن يحل كل المشكلات !

وادركت كيف عجزت هذه الفلسفة. والعقل وراءها عن أن تضع قانونا للجبر والاختيار فى حياتنا ...

واشرق بغته على خاطرى بيت شعر للمتنبى رقد فى ذاكرتى منذ الصبا الاول :

اذا لم يكن عون من الله للفتى
فاول ما يجنى عليه اجتهاده

وعدت ابحث عن الله من جديد ، ولم اكن قد انكرته كل الانكار ..

وادركت ان التطور الذى ننشده لا يسير بارادتنا نحن البشر الى حيث نقدر ونريد ، مهما بذلنا من جهود وادمينا اقدامنا من سعى ، اذ هو مرتبط بارادة اخرى . وان هذه الارادة تأخذ منك ما تريد هى ، لاما تقدر انت على تقديمه .

وان سيطرة الماديات العلمية علينا، مع الايمان على اعلاء شان الذات ، وذلك فى قدراتها ومعطياتها ، قد يورثان غرور العلم وهو اشر انواع الغرور .

رجعت الى عقيدتى ، والى حظيرة الايمان بكامل كيانى الروحى ، عدت عن علم وتجربة ويقين ، وهذا اصدق الايمان .

واه من هذا العلم .. ان القليل منه يبعد ما بيننا وبين الدين ، وان الكثير منه يردنا الى حظيرته .

وصدق الله العظيم اذ قال « وما اوتيتم من العلم الا قليلا » .

وكلما تعاودنى ذكريات باريس فى تشككى وضلالى اجدنى ابتهل الى الله الذى هو وحده من يلهمنى فجورى وتقواى ، والتمس : حماك الله من فجور العلم وغرور المعرفة وليس من العلم ومن المعرفة .

● مع المرآة ●

وتأتى المرآة الام بعد الخلاق العظيم ، آية لقدرته ، اذ نرى اللحم فيها ينشق ليخرج منه آدمى طفل يصيح .

وقعت لى تجربة معها من نوع عجيب ، قبل مراهقتى .

كانت امى ـ وشأنها فى ذلك شأن السيدات التركيات فى ذلك الوقت ـ تعتقد فى عالم الجن والعفاريت ، وان بينهم ـ وهم السادة او (الاسياد)

من يحلو لهم أن يتقمصوا أجسام الناس ويعيشوا فيها فترات من الزمن فعرف بيتنا حفلات (الزار) ..

ويأتي الطبالون بالدفوف ويدقونها دقا عنيفا فوق رأس أمي ، فلا تلبث أن تدور وتتمايل فاذا تصلبت منها الاطراف ، وتشنجت عضلاتها فمعنى هذا أن الجنى السيد قد حضر .

ويتنكر صوت أمي ، فاذا هو يتمتم ويغمغم في نبر رجلي حاد النغم ، ليفصح بعد ذلك عن رغبات ومطالب مختلفة عن لباس وطعام وطيور وأغنام .. وكان السيد الجنى يكابد عقدا لا حصر لها من الحرمان في الغذاء واللباس ، وكانت أمي تبادر الى تحقيقها .

كنت أرى هذا وأتأمله وأجعله منطلقا لأخيلة وتصورات أعيش فيها ، وأعجب كيف تحقق أمي للجنى هذه الرغبات بنفس راضية ، في حين أنها تقف من مطالبي موقفا عكسيا أو هي تقطر في تحقيقها ! .

وحدث ذات يوم ، وقد أقبل عيد الاضحى ، أن رفضت أمي شراء ثياب جديدة لي ، وعبثا بكيت وألححت في الطلب ..

وفجأة أشرق على خاطري شيء غريب ... وسرعان ما هيأت نفسي له أرتميت على الارض أمامها وأخذت أرغى وأزبد وأتشنج مقلدا جميع ما كانت تبديه أمي وقد تلبسها الجني الشاطر ، ثم زدت عليه أنني أخذت أغني !

أخذتني أمي بين ذراعيها وهي تبكي وتندب سوء حظي اذ أصبحت من مرضى (الزار) ويلبسني جني لا يجيد الغناء ، وأنا ما برحت في سن مبكرة ..

وكانت النتيجة أن تحققت لي مطالبي التي أعلنت عن بعضها بالغناء في صوت نشاز !

ويتكرر هذا المشهد التمثيلي كلما أمعنت أمي في الانحراف عن تحقيق مطالبي الكبيرة .

والأمر العجيب الذي أثار دهشتي أن أمي لم تكن تضيق أبدا بي ، بل هي ازدادت اقبالا علي وبرا بي منذ أن أخذت ، أباشر هذه اللعبة ، أي منذ أن تظاهرت بأنني مريض مثلها وأن لي جنيا يلبسني ويتحكم في لساني ويأمر ، وأنني أنفعل بنفس انفعالاتها !

● في الهوى سوا ●

وأعجب من هذا ، أنها كانت تثور على من ينصح بابعادي عن عالم الزار والجان ، وتصر على أنني من الفصيلة الآدمية المختارة التي ينزلها السادة من الجان ، ويحلون فيها ، ثم هي تزداد حنانا علي وبرا بي بدعوى « أننا في الهوى سوا » .

وحدث ذات مرة ، وأنا ألعب هذه اللعبة ، أن ارتميت فجأة وبعنف غير محسوب على الارض فحاولت أمي أن ترفعني بين ذراعيها ، ولكن ..

وقع ما لم يكن في الحسبان ! أنفلت من جوفها هواء خرج يعلن ولا شك عن حنانها ، فلم أتمالك أن انفجرت ضاحكا ونسيت تمثيل دوري

وهكذا انكشفت حيلتي ، وعرفت أمي انني لا أقاسمها أوجاع العلة التي تساورها .. فاذا هي تبعدني من

عنايتها وتقف من مطالبي موقف الحذر والجفاء !

وتعلمت من تجربتي هذه درساً ، تعلمت ان التظاهر بمشاركة الغير في حالاتهم النفسية ، في انفعالاتهم ، هو اقرب طريق الى قلوبهم وافضل وسيلة لاحتوائهم بعد ذلك .

● مناقض سجاير ●

واختفت هذه التجربة في زوايـا ذاكرتي ..

وعدت من بعثتي من الخارج لانهض بواجبي نحو المسرح ..

اعتقد أن التحاقي بوزارة «المعارف» سكرتيرا فنيا للفنون الجميلة يؤرخ أول ارتباط جدي لشئون المسرح المصري بأعمـال الدولة في مهامها الانشائية والمستقبلية ..

عدت أحمل بين يدي تخطيطا يتناول الارتقاء بهذا المسرح الى مرحلة جديدة وفي مقدمة هذا التخطيط انشاء معهد

فرويد : نظريات مستحدثة في عـلم النفس



التمثيل ، والمسرح المدرسي ، ثم تأميم الفرق المسرحية العاملة في فرقة تشرف عليها الوزارة اشرافاً مباشراً .

وفجاة وجدتني (قاسما مشتركا) في عدد من اللجان التي شـكلتها الوزارة لدارسة هذا التخطيط ومراجعته تمهيداً لتنفيذ ما تراه منه .

اقول عجيب امر هذه اللجان ؟

ان اكثر اعضائها يحذقون النظـر في كل شيء الا في شئون المسرح خاصة حينما يتجاوز امر المناقشة فيها تناول العنـاوين والمقدمات الى ماوراء ذلك ، الى التوغل في تنـاول الجـوهر في نواحيـه التقنية وفي اهدافه البعيدة المرمى ..

كلام فوق كلام .. تشـتعل على انفاسه لفافات التبـغ لتمتلىء بيقاياه المنافض ولامتلىء انا غيظا ووهما !

ومضيت متعثرا في اول الامر ، اذ كنت اقف من اعضاء هذه اللجـان وعلى الرغم مني موقف العالم بمـا يتكلم فيه ويعرضه عليهم . هذا والنفس تكره ، ما يذكرها بانها في حاجة الى علم وتعلم ، ثم لانه لم تكن تربطني بهم مودات وصداقات ، وكانت تضيق بيننا سبل التفاهم وتتقطع اسـلاك التعاطف .

وفجاة سمت من اعمـاقي ذكرى التجربة التي افدتهـا من والدتي في ساحة (الزار) ، فانحنيت عليهـا اراجـع واتامل كيف افيـد منها في موقفي من هذه اللجان !

اقامة جسور مودة وتجـانب بيني وبينهم على اساس التظـاهر بأنني اشاركهم ما استطعت في اهوائهم .. ان احبس نفسي مع كل منهـم في صومعة ، ولا يهم ان تكون للشيطان مؤقتا .

ان القي في روعهم انني اتعلم منهم،

واستلهم خواطرى من ارائهم ، اى أن اتظاهر باننى اقل علما منهم بشئون المسرح ..

هذه هى معالم الخطة التى قررت أن احشد لتنفيذها كل مواهبى فى فن المثل .

وبدأت انفــذ ...

ورسمت على فمى ابتسامة عريضة، واودعت نظراتيبسمات لا حد لطولها وعرضها ، واخفضت من صوتى فى المناقشة وأودعته نبر التواضـــع والتساؤل ..

الرأى الصائب فى مراجعة مشاريعى الفنية مصدره السيد رئيس اللجنة .

مشاريعى الفنيـة التى احملها الى اللجـان انما هى مما استلهمته من مناقشات اعضائها ..

انا اشتكى بعضهم زكام الشتاء ، فانا المزكوم الاول .. ولا اتوانى عن تقديم حبـــات الاسبرين ومهدئات الصداع ! .

مجاملات وتحيات ، اذا انفث الى النفاق ، فسرعان ما اســقط القناع والثوب الى رشدى ..

وهكذا استطعت ان احقق مشاريعى بركوبى هذا الطـريق . وكنت اتمثل دائما ببيت من الشعر احفظ شطره الاول فقط .

وما عن رضا جعل الحمار مطيتى

ولكن من يمشى طـــويلا سيركب

ومهما تلطفت وتنبلت فى وصـــف ما تكلفته فى سبيل أن يفحص اعضاء



اللجان مخططــاتى الفنية بعين العطف والتشجيع ، فان (الوصولية) تطل براسها من وراء ما تكلفته .

وما الوصولية ؟

هى ، وذلك فيما كنت له ، الوسيلة الى تحقيق هدف عام يفيد منـــــه المسرح العربى وليس هــدفا شخصيا افيد منه انا .

واذا كنت اليوم ارمق هـــــذه الوصــــولية بعين الترفع فاننى كنت اراها فى تلك الوقت ، ســلاحا لا منصرف عنه فى المعــركة ، وقد وقف العاملون بالمسرحيسمعون الابار حولى ويترقبون خيبتى وانصراف الدولة عن تحقيق مخططاتى . فى مثل هـــذه المعركة ليس هناك اختيـــار فى نوع السلاح ..

● النجاح مخاطرة ●

ووافقت الوزارة على قبول مخططاتى وبعبارة اخرى كتب الله لى النجـــاح فيما رسمته وخرج (معهد التمثيل) الى حيز الوجود ، وكان اول قطرة من حيث انبت الزرع الاخضر فى أرض كانت تشكو الجدب .

ثم قامت (الفرقة القومية) سنة ١٩٣٥ .

واذا بى اعيش فى تجربة اخـــرى لا تقل مرارة وغرابة عن التجـــربة السابقة .

وملخص هذه التجربة - ان النجاح هو الخطيئة الكبرى التى يرتكبهـــا الانســان بحسن نية ومع ذلك فلا يغتفرها له زملاؤه ..

● المرأة عشيقة ومعشوقة ●

الا ان ما علمتنى اياه التجـــارب السابقة لم يكن كل شىء فى تقــويم شخصيتى ..

ويقولون ان خلف كل رجل عامل

طموح امرأة تغذى فيه غريزة النضال وتهيئه لخوض المعارك .

عرفت هذه المرأة عشيقة ومعشوقة وليست زوجة

واتجاوز عن ذكر من هفا لهن القلب ووثب .. كانت لى اكثر من (بنت جيران) واحدة كنت أهيم بالحسن ، وأرحم القبح فاخصه بعطفى ..

كنت أحب جميع أزهار الحديقة ..

اتجاوز عن ذكر التفاصيل لاقف أمامها (هى) .

وكانت (هى) ممثلة ذات جاذبية طاغية . وكانت تكبرنى سنا وتجربة ، وكنت اذ ذاك شابا اتعاطى المسرح هاويا فى أوقات الفراغ الى جانب دراستى العالية ، وتلبستنى نزعة رومانسية الى جانب لوثة من المثاليات التى تعيش فى ابراج عالية .

ولا اعرف لماذا اختارت هذه السيدة وانا اعلم انها عسيرة المنال باهظة التكاليف ويجرى وراءها ولا يتعب رجل ثرى ينثر المال تحت قدميها ..

لا اعرف كيف تورطت هذه الورطة وانا شاب ما برحت اتلقى العلم وليس لى مال ولا جاه .

لا اعرف الا اننا حقا لا نختار حين نحب ..

وأوغل كل منا فى حب صاحبه .. الا انه حب لم يتجاوز عناق النظرة وتبادل القبلة ولمس الكف والكتف .. حب عنيف يترقب بلا فائدة النهاية المحتومة ، ارتواء الجنس .

هى تريدنى جسما وجنسا ، وانى لكذلك ، ثم هى لا تطالبنى بمال أو زواج .

ولكن — وشد ما يشقى اصحاب المثل العليا — كيف ارضى ان اكل من وعاء يتناول الكلب فيه طعامه ؟

وكلب هنا هو الرجل الذى يوفر لمعشوقتى أسباب العيش الرغيد !

ان الحب واحد ، كما ان الله واحد ، وانا لا اشرك بالله فكيف اشرك فى حبى .. و .. و الى آخر ماورد فى شعر مجنون ليلى وغيره من الشعراء العذريين .

وتملكتنى هذه المثاليات ، على الرغم من فوران الجنس فى أوصالى والقدرة على اشباعه . حتى تملكتنى عقدة نفسية مضنية ، وصرت أتمنى لو يريح الموت احدنا ليتفتح الطريق للآخر .

ووجدتنى أمام حالة عجيبة ..

المرأة التى أهيم بها واشتهيها ملء يدى .

ولكنى أعف عنها مختارا وقادرا .. الظمأ يحرق أنفاسى . هذا والماء مبذول أمامى ولكنى ارفض ان انقع به غلتى .

ظمأ على ظمأ ، وحرمان تلو حرمان ..

وحدث أن دعتنى فاتتنى الى بيتها .

وفى المخدع الاسنى ذى الاستار القرمزية اطلقت على شياطين جاذبيتها ، الا اننى وقفت جامدا وكاننى تحولت الى تمثال من الجليد

ووجدتنى ادير وجهى عنها واترك الغرفة فى بطء ، وقد انهالت على ظهرى بكل ما خف حمله على يديها وقذفتنى به ..

خرجت ولم اعد ، واخذت اتداوى من الهوى بالهوى . واتغذى بالمثاليات هذه المرأة .. وسقى الغيث ثراها — سكبت فى نفسى الارادة القوية وعلمتنى الصبر على المكروه ، والاصرار والعفة . وهى الصفات والقدرات التى نزلت بها الى معترك الحياة وبفضلها شققت طريقى وانتهيت الى ما انا كائنه اليوم ..

وانا اليوم — ولا اكذب الله — فى مسيس الحاجة الى تجارب اخرى لاتنازل بها الجيل القائم واصلح من امر نفسى .

رحلة الشهر

الهيروغليفية .. أهى أصل العربية؟



عبد الحميد
جودة السحار

فقدت « الهلال » عزيزا من كتابها الموهوبين ، هو المرحوم عبد الحميد جودة السحار ، رئيس مؤسسة السينما ،وكاتب السيرة العطرة والقصص اللامعة ، وصاحب الابتسامة الحلوة الطيبة التى لم تفارق شفتيه فى عنفوان المحن .

عرفت السحار فى مطلع الشباب ، حين كان زميلا لى بكلية التجارة ، وكان على فرط ورعه وتدينه محبا للنكتة بكل الوانها .. لا يكاد يلقى أحدا من محبيه ، حتى يمطره بآخر ما ظهر من النكات المصرية الذكية .

وكانت له نظريات علمية جريئة فى كثير من الامور الكبيرة .

منها انه كان يرى أن اللغة المصرية القديمة ، هى أصل اللغة العربية . ذلك ان السيدة هاجر ، زوجة ابراهيم عليه السلام ، كانت أميرة مصرية نشأت وتعلمت فى معابد الفراعنة ، وطبيعى انها تلقت علومها باللغة الهيروغليفية .. ثم تزوجت بعد ذلك ابراهيم عليه السلام ، الذى رزق منها اسماعيل ..

فلما تركها ابراهيم هي وولدها عند موضع البيت الحرام وتفجرت لهما المياه واخضلت الارض ، التف حولهما البدو طلبا للسقيا ، فعلمتهم ، وربما كانت لتعلمهم الا ما كانت تعلم باللغة الهيروغليفية ٠

ثم ظلت هذه اللغة تتطور على ألسنة القبائل حتى كانت منها سائر لهجات العرب ٠

نظرية ، قد لا تأخذها قضية مسلمة ، ولكنها تصلح موضوعة يطرحه العلماء على بساط البحث ٠

ذكرى لسان الدين بن الخطيب

تعنى الحكومة المغربية فى الوقت الحاضر ، برعاية الملك الحسن الثانى ، بالعمل على اقامة مهرجان علمى عظيم للاحتفال بذكرى وزير الاندلس الكبير ، السياسى والكاتب والشاعر العظيم ، لسان الدين بن الخطيب المتوفى فى أوائل سنة ٧٧٦ هـ (الموافقة لسنة ١٣٧٤ م) لمناسبة ذكرى وفاته الستمائة ، وهى تقع فى شهر أغسطس القادم ٠

وتتولى هذه المهمة العلمية الجليلة وزارة الثقافة المغربية، ويبذل وزيرها الاستاذ المكى الناصرى ، جهوده المتوالية ، لكي تقام هذه الذكرى فى موعدها ، ولكى تحاط بكل مايجب لمقام هــذا المفكر والسياسى الاندلسى العظيم ، الذى عاش أخصب فترات حياته فى المغرب ، والذى يرقد فى ضريحه بمدينة فاس ، عاصمة المغرب العلمية ، من الاهمية والجلال

وقد نيبت وزارة الثقافة لمتابعة هذه المهمة لجنة من علماء المغرب ، على رأسها الاستاذ عبد الله كنون ، عضو مجمع اللغة المصرى ٠ وقد علمنا ان الاستاذ محمد عبد الله عنان مؤرخ المغرب والاندلس ، قد بذل مجهوداً كبيراً فى الدعوة الى اقامة هذه الذكرى ، وترجت هذه الجهود بالنجاح ، بفضل ما أبداه وزير الثقافة المغربية من الاهتمام البالغ بشأنها ٠ وللاستاذ عنان كتاب ضخم عن حياة ابن الخطيب وتراثه ٠ وهو يعنى الآن باخراج كتاب « الاحاطة فى أخبار غرناطه » أعظم كتب ابن الخطيب ٠

بيتهوفن .. موسيقار رجعي



بيتهوفن

يقولها الزعيم الصيني ماوتسي تونج ان مقاييس الادب والفن يجب ان يعاد النظر فيها مرة كل سبع سنين او ثمان ولو عدنا بالذاكرة الى الوراء،لوجدنا ان آخر عهدنا بالثورة الثقافية فى الصين كان فى سنة ١٩٦٦ .. اى ان ثماني سنوات قد عبرت بذلك التاريخ حتى الآن ، وقد آن أوان ثورة ثقافية جديدة ، بدأت بواكيرها منذ اسابيع ، حينما اعلن « اخصائيو التطهير » فى الصين حملة على الموسيقى الغربية عامة ، وعلى الموسيقار الخالد بتهوفن بصفة خاصة بدعوى ان موسيقاه كانت رأسمالية لا تحمل نغمة الاحتجاج على النظم الاجتماعية القائمة فى عهده !

ولم تقتصر الحملة الجديدة على بتهوفن وحده ، بوصفه « موسيقار الرأسمالية الالمانية » كما جاء فى عريضة الاتهام بل تجاوزته الى شوبرت بوصفه « داعية البورجوازية الصغيرة » وموزار « لان موسيقاه قد تجردت من النغمة المماثلة لنغمة الفتاة ذات الشعر الابيض » .. وهذا اسم « باليه » صيني ثوري .

وترى الثورة الثقافية الجديدة فى الصين أن نتاج هؤلاء الموسيقيين – الذين اشهر سلاح الحرمان فى وجوههم – هو من مستوردات « الامبرياليين والامبرياليين الاشتراكيين » .. وانه خيانة لمبادىء الحزب ... يستوردها صناع الثورة المضادة فى الداخل والخارج .

وقد صودرت جميع اسطوانات هؤلاء الموسيقيين فى الصين ومنعت اذاعتها، كما حظر تدريس نتاجهم فى كونسرفتوارات الصين !

قياسا على هذا المنطق .. هل هناك من ينادى بحظر تدريس الادب الجاهلي ، لان الاسلام لا يتفق مع الجاهلية ؟

الكتاب الأسود .. طبع فى بيت النشار

« يبدو انى مضطر الى الحديث عن ديوان شاعرنا الكبير عبد اللطيف النشار بعد طول تحرجى – ويدفعنى الى ذلك ما جاء على لسان الأستاذ محمد اسماعيل حجى فى هلال فبراير من ان الاستاذ احمد حافظ قد انتهى بالفعل من جمع كل شاردة وواردة من شعر النشار ، واظنها دعوى عريضة

لان تجربتنا مع الاستاذ حافظ فى جمعه شعر المرحوم فضل اسماعيل ، واغفاله ايراد الكثير منه ، لا تساعد على الاطمئنان الى انه جمع كل شاردة وواردة من شعر النشار الذى صدر اخر ديوان له فى يونيو ١٩٣٣ ، وكان غزير الانتاج ، متنوع مجالات النشر ، فضلا عن أن صلة الاستاذ حافظ بالمرحوم النشار كانت قليلة قصيرة الامد ··

وسبق أن حضر الاستاذ حافظ الى الاسكندرية · وقابلنى بشأن شعر النشار وطلب منى ديوانيه نار موسى ، وجنة فرعون ، وروى لى بعض ما سمعه من المرحوم النشار عنى · وعن صلتى به · وكان ذلك امام الاستاذ كامل ابراهيم مدير مدرسة محمد ابراهيم لتحسين الخطوط بالاسكندرية وبمقر المدرسة ـ فدللته على مظان كثيرة لشعر النشار · واقترحت عليه الاتصال بالاخ الشاعر خليل جرجس خلول رئيس تحرير مجلة « صوت الشرق » الذى اعلم انه يحتفظ بمجموعة من شعر النشار الى جانب ما نشره له فى مجلته ، والاتصال بالاستاذ الشاعر الكبير محمد مفيد الشوباشى الذى كانت له به صلة وثيقة ـ وأبديت له استعدادى لتقديم ما عندى ، ولمعاونته متطوعا ودون اى مقابل ، فى المراجعة والتبويب والجمع ، بعد الاطمئنان الى جدية المشروع ، وتكليفى بذلك من الهيئة التى تتولاه ، فوعد بأن يصلنى كتاب بذلك ·· وانتهى الامر عند هذا الحد منذ اكثر من عام ··

وكان النشار يرى فى الشعر انه مشاركة عاطفية ، ولذا فان نشره تكريم للشاعر وإثراء لشاعر الناس ·· قال عندما اقترح بعض الادباء اقامة تمثال نصفى للشاعر اسماعيل صبرى :

تكريم مثلك نشر ديوانه
لا رفع تمثال لجثمانه

« وقال فى قصيدة :

عاش عمر النشار بعد قرون
من تملى روائع النشار

وكتب على ديوانه وهو يهديه الى :

فمن لى أن يطاوعنى بيانى
فاطرب اى اذن غير اذنى

« وأدنى الوفاء لهذا الشاعر ، هو الاهتمام بنشر شعره اهتماما واعيا بعيدا عن التعجل والارتجال ، واقترح ان يكون ذلك على اجزاء تطرح للبيع بسعر اقتصادى بدلا من ديوان واحد ضخم ، كما اقترح البدء باعادة طبع ديوانيه نار موسى وجنة فرعون باعتبارهما الجزء الاول من ديوان النشار · وتعقبه الاجزاء التالية مبوبة موضوعيا أو تاريخيا ··

« ولا ازال على استعداد للمعاونة فى ذلك بكل ما يسعنى بذله ، كما اقترح الرجوع الى اصدقائه وزملائه للوقوف على

حقائق ووقائع تلقي ضوءا على جوانب من حياته الخصبة التي امتلأت بطرائف كانت نتيجة لنزوات قلبه الطيب ، ولعل اعجبها تلك الواقعة التي عرفت بعض ظروفها ثم قصها على بالتفصيل ، وهي ان الكتاب الاسود الذى اصـــدره المرحوم مكرم عبيد سنة ١٩٤٣ مهاجمة وزارة الوفد ، وكان من اعنف الحـركات السياسية في مصر وأبعدها اثارا ٠٠ هذا الكتاب قد طبع في بيت النشار ، الشاعر الرقيـــق الذى كان يكره السياسة والاعيبها !

« ولكن الحق أن الطبع تم دون علمه ٠٠ ذلك انه على اثر صدور قرار في أوائل سنة ١٩٤٣ بنقل النشار من محكمـــة الاسكندرية الى القاهرة ، وكانت ازمة المساكن مستحكمة ، وافق على استئجار فيللا بالزيتون ، لم يرها ، وترك مفتاحها مع أحد اقربائه ، وكان محاميا بمكتب مكرم عبيد ، وكانت فرصة للهرب من وطأة الحكم العسكرى والرقابة ، فتم طبع الكتاب بها ٠

« ومن الطريف ان المرحوم النشار كان من اشد الناس ضيقا بهذا الكتاب بعد صدوره ، باعتباره مظهرا لجناية السياسة على الصداقة ، وان المرحـــوم مكرم عبيد حين تولى وزارة المالية سنة ١٩٤٥ انصف النشار واغدق عليه ، دون أن يؤثر هذا الاغداق على ضيق النشار بما كان ٠

« ولهذه الواقعة تفاصيل طريفة وحديث يطول ٠٠٠ »

● انور حنا سعد ● الاسكندرية ●

ـ شكرا لشاعر الاسكندرية الموهوب الاستاذ سعد على هذه المعلومة الطريفة عن « الكتاب الاسود » ٠٠ وعلى وفائه لصديقه النشار ، الذى عرفته عن كثب في عهد مبكر من دراســـتى الجامعية ، اذ كنت كثير اللقاء به في ندوة « جمـــاعة نشر الثقافة » بالاسكندرية كل صيف ، وكان فيهم يومئذ خليـــل وصديق شيبوب وعثمان حلمي وغيرهم من أبناء الثغر ، ومعنا بعض ادباء القاهرة ، ومنهم ابو شـــادى وناجي والصيرفي وغيرهم ٠

اما عن ديوان النشار ، فاخشى ما اخشاه أن يكون ما اجتمع للاستاذ حافظ منه لا يمثل كل شعره ، ولهذا اوثر ان يتعاون الاستاذ حافظ مع اعضاء الهيئة المحلية للفنـــون والآداب بالاسكندرية معاونة كريمة ، هدفها جمع كل تراث النشار ، مع سيرة حياته وشوارده وطرائفه ، ليتألف من كل ذلك كتاب واحد ينسب الى كل المشتركين فيه ، واحسب ان لجنة الشعر بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعيـــة ـ ولى فيها شرف المقرر ـ مستقبلة مثل هذا الكتاب الجليل بكل حفاوة ، وعاملة على نشره بما يليق بمكانة النشـــار من تخليد ٠٠٠

شاعر البؤس .. عبد الحميد الديب



عبدالحميد
الديب

« لاول مرة يجرؤ قلمي ليبعث الى مجلة « الهلال » هذه الكلمة العاتبة · وقد دفعني الى هذا شيء من الوفاء والحب والتقدير لشعرائنا الذين غمرونا بفيض عواطفهم وثرى وجداناتهم . وفي طليعة هؤلاء الشعراء عبد الحميد الديب أو « الشاعر البائس » ، ويبدو أن البؤس لصيق به في حياته وبعد مماته·

« أقول هذا ، وبعد متابعتي لمجلة الهلال على مدى سنوات وفي السنوات الاخيرة من صدورها وبعد أن تولى رئاسة تحريرها الاستاذ صالح جودت وجدتها تعرض لكثير من شعراء العروبة على نطاق الوطن العربي ·

« وقد نسيت في غمرة هذا شاعرنا عبد الحميد الديب · هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى قرأت ما أصدره الاستاذ صالح جودت من كتب منها « شعراء المجون » وبعد قراءتي لهذا الكتاب ، قرأت ما عرضه أستاذنا لكثير من شعراء المجون قديما وحديثا من أبي نواس الى حسين شفيق المصرى وكان الديب لم يطرق هذه الحياة ، حياة المجون ، مع أنه عايشها وامتزج بها وعبر في كثير من شعره عنها ، فهو الذى يقول :

هات المدام ··· فدين الله تيسير
لاسعد الناس مخمور ومخدور
هات المدام ولا تعرض لمزيلتي
مهما غلا العيش لم تغل القوارير
هات المدام الصبوح البكر يحملها
اليك أخلس ساجي الطرف مغرور

« الى غير ذلك من القصائد التى قيلت في هذا المعنى · كما نرى الديب في هجائه المتنوع والممزوج بالفكاهة والفلتة ، نرى هذا عندما يهجو شيخا كان من رواد بار اللواء · وكان العداء مستحكما بينهما · وكل منهما يتربص بصاحبه يقول :

عمة تحتها ضلال ولـــؤم
وهى عش الخنا وبيت الـــداء
نسجت من ســفاهة وفسوق
وعلى الخســة انطوت والرياء
اطعمت ربها دجاجا حنيــذا
وسقته (الكونياك) بعد المـــاء

« كما يقول :

بليت اخر عمرى بالرائينـــا
الواقفين على باب الثرينـــا
من كل شيخ قد التفت عمـــامته
على الذلة يطوى عمره هـــونا

كما صدر كتاب اخير للاستاذ جودت عن « شـــــاعر الكرنك ، احمد فتحى » ، وقد انصفه استاذنا فى هذا الكتاب واعنى بانصافه هو الكتابة عنه ، وانا ارى أن كلا الشاعرين قريب من صاحبه فى حياته ومجونه وان كنت ارى أن احمد فتحى أسعد حظا من الديب · وان كانت شاعرية الديب أكثر اصالة وعمقا وتنوعا وتعبيرا صادقا عن حياة الشاعر ومجتمعه الذى يحيط به ·

« ولا اريد تطويلا : ولكن ما يهمنى هو هذا السؤال : لماذا أغفل الاستاذ جودت شاعرية الديب ؟ فلم يشر اليه فيما كتب ولم يحاول اثراء المكتبة العربية بكتاب عن الديب أو محاولة طبع ديوانه وخاصة يستطيع استاذنا هذا العمل عن طريق المجلس الاعلى للفنون والاداب وهو عضو به ورئيس للجنة الشعر فيه وهذا ما نأمله ونرجو تنفيذه · وان كان بين يدى كتاب للدكتور عبد الرحمن عثمان عن الديب ولكن هذا لا يغنى عن كتابة جديدة حتى تزيح عنه بؤسه حتى بعد موته ···

● مصطفى محمد السيد ●
استاذ الادب العـــربى ..

ـ هذه لمحة وفاء من الاستاذ مصطفى محمد السيد ، وان كنت اختلف معه فى تقديره لشاعرية المرحوم احمد فتحى · ولعلى آثرت ان اكتب عن احمد فتحى، لانه عاش مغبونا ومات مغبونا ، ولم يصدر عنه كتاب واحد ، اما الديب فقد اغنانا الاستاذ عثمان عن تناول سيرته ، بكتابه الذى أصدره عنه ، واحسن به الى هذه السيرة كل الاحسان ···

مـــــــع القـــــــراء

● القارىء العزيز « محمود حامد محمد ـ محافظة قنا ، يسألنا عن « القصيدة التى نظمها الاديب الشعبى الراحل محمود بيرم التونسى ، يتأوه فيها من الحياة فى باريس وتونس ، ويشتاق الى مصر »

والحقيقة انها ليست قصيدة ، وانما هى زجل ، مطلعه :

الاوله مصر ·· وقالوا تونسى ونفونى ، جزاة الخيــــــر واحسانى

والتانية تونس ·· وفيها الاهل جحدونى ·· وحتى الغير ما صافانى

والتالتة باريس ·· وفى باريس جهلونى ، وانا موليير فى زمانى

ثم يتساءل القارىء عن ديوان بيرم ·

هذا الديوان صدر في ثلاثة اجزاء ، عن « مكتبة مصر » بشارع كامل صدقي ـ محطة القاهرة

وهناك اكثر من كتاب عنه ، ابرزها « بيرم والفصحى » لعبد الفتاح غبن ، و « بيرم التونسى ـ صفحات ضائعة من حياته » لكمال سعد

● والقصصي الموهوب عبد الوهاب الاسوانى يقول ، فى بطاقة معايدة :

« ضحكت طويلا وانا اقرأ رأيك فى أدب اليأس الذى اصبح غير ذى موضوع

« أجل ··· انه الادب الذى أطلق بيننا نعيق البوم ، حتى كاد يشككنا فى انفسنا · أما الآن ـ بعد ٦ أكتوبر المجيد ـ فاللهم لا شماتة ··· »

● والطبيب الشاعر ، الدكتور السيد الجميلي ، بينى عبيد ـ دقهلية ، يقول انه يشعر بغصة ايما غصة لذيوع ما يسمى بالشعر الحديث ، ويزيد الطين بلة أن اصحاب هذا اللون من الشعر ـ ان صح أنه شعر ـ لا يحسنون من اللغة نحوها ولا صرفها ولا بلاغتها ، ومع هذا يقولون عن الشعر الاصيل انه شيخ عجوز ، ويقول لهم ردا على هذه القولة :

يقولون « شيخ » على شعرنا
وذاك لعمرك قول سـخيف
وماذا يضير شـعاع النهار
اذا غاب يومـا عليه الكفيـف

قــرأت هــذا الشــهــر

● **الحب في حياتي** : لون جديد من السـيرة الذاتية العاطفية ، للكاتب والمسرحى الكبير الدكتور رشاد رشدى ··

● **الجواهرى شاعر العربية** : دراسة موسعة لحيـاة الشاعر العراقي الكبير محمد مهدى الجواهرى ، ولشعره فى فترة ١٩٢٠ ـ ١٩٣٠ بقلم الاستاذ عبد الكريم الدجيلى ··

● **اوراق من حديقة اكتوبر** : ديوان أنيق للشاعر النابه فاروق جويدة ، حافل بالوطنيات المستوحاة من المعركة المجيدة

● **الوان من القصة الاردنية** : نخبة مختارة من القصص القصيرة ، باقلام كتاب الاردن الواعدين ، تلتقى فيها الافكار الوطنية والعاطفية والوجدانية ··

● **احلام لا تكذب** : رواية اجتماعية ممتعة ، للاسـتاذ عزت محمد ابراهيم ··

● **رحلة العمر** : مجموعة لامعة من القصص القصيرة ، للاستاذ محمود عزت موسى ··

● ص · ج ●

د. أحمد
كمال زكى

السحّار
صاحب :
محمد رسول الله .. والذين معه

يحار المرء اذا تصدى للكتابة عن عبد الحميد جوده السحار .. فاين يضعه ؟

انه فنان ومؤرخ ، واقتصادي ورحالة وقصاص . أو هكذا كان .. وهرب من الاضواء ، ولكن عدسات التصوير لاحقته حتى وهو يغرق فى بحر الارقام ويلاطم امواج الايراد والتصدير .. وكان يستطيع وهو مدير لمؤسسة البناء والحراريات أن يخوض فى سير الاعلام ، ويتحدث عن الروح ، ويناقش ايديولوجيات العصر ، ويفلسف الجمال ، ويصف عشق الملك فشيروش البابلى لاستير اللعوب .

ولما كان من جيل عادل كامل ونجيب محفوظ ومحمود البدوى ، وعلى باكثير ، وأمين يوسف غراب واضرابهم ـ وهو جيل ماقبل الخمسين فنا وانتماء ـ فان النظرة اليه تغيم في صراعات البناء المتطور من حيث هو ثورة ، وفي وقفات المراجعة من حيث هي خصيصة لوقار الشيوخ .. وان كان من الضرورى أن يفصل عن بعضهم ليوضع فى قائمة مع محمد فريد ابو حديد ، وسعيد العريان ، بالامكانات نفسها التى يوضع فيها بين هيكل والحكيم ..

كان رحمه الله نتاجا أدبيا لمجموعة معقدة من العوامل الفكرية والاقتصادية التى كونت المجتمع فى مصر ما قبل الثورة .

وكان فى الثلاثينات يريد أن يصنع شيئا على أساس أن الشباب المتلىء بتجارب الطفولة يمكن أن يتنفس بالكلمات الطيبة .. وأمامه كان صديق كنجيب محفوظ – وقد تخرج سنة ١٩٣٤ – يحرص على تقديم اسمه لقرائه ملتصقا بشذى التاريخ وواقع يومه .

الطريق واحدة ..

كلاهما محصلة جامعية واحدة ؛ وكلاهما ابن لأحد أوساط الناس ؛

وكلاهما يستمع الى ما يريد من أحاديث تعلق على الأحداث الجارية أو تصف كتابا من الكتب او تقوم الديانات ،

فى الوقت الذى يمارس فيه « شقاوة » الصغار لتبذر فيه بذور القلق والطموح

ولأن كثيرا من المشكلات التى عرفتها مصر حددت معالم الرحلة الحضارية التى قطعها كل منهما – معا تقريبا – فقد بدأ بأحداث مصر القديمة .. وهذا التاريخ مزاج فرعونى معقد من الفلسفة والدين والفن ، الا ان الرجلين

السحار : برع من خلال فنه القصصي أن يعبر عن الشعب المصرى بظرفه ، وآماله ، وبساطته



السحار

ادركا ان رحلتهما مع هذا التاريخ هى رحلة مع الحياة الحقة !

وكذا كتب السحار اول ما كتب « احمس بطل الاستقلال » سنة ١٩٤٣، مقرا فيه بطريقة فنية بأن الحرية والعدل والحب شريعة وقدر ، وفى نفس الوقت مرتبة رفيعة من مراتب الوجود الحضارى المؤكد .. ولما كان عالمه عالما حقيقيا ، فقد كان لا بد من ان يصبح للتاريخ فيه ابعاده وعمومه وانتكاساته وانتصاراته .. وتلك أصالة اى فنان !

ولقد ظهر ان رحلته الفنية منذ ذلك الوقت كانت تنويعات على رحلاته فى التاريخ ، وتمكن ببساطة من ان يصل الى عدة حلول لكثير مما ألفه من مشكلات اجتماعية وسياسية واقتصادية .. واذا كان قد وصل ببعضها احيانا الى طريق مسدود ، فهو فى احيان اخرى جاوز بها كل الحدود ، وفى كل الحالات كان منفتحا على ما استوعبه فى حداثته وشبابه وكهولته ، كما كان منفتحا على ما يقرؤه فى « المجلة الجديدة » التى كان يصدرها اسبوعيا سلامة موسى ، و « الثقافة » التى كانت للجنة التأليف والترجمة والنشر ، و « الرسالة » التى يحررها الزيات .

وفى ثقته كانت ترديدات الافكار التى يستقيها من تلك المجلات منبثة ، غير ان مثلها كان يثريه بالاستمرار ، برغم ان الطريق الذى اختاره لحياته الوظيفية كان معوقا لقدميه .

ولقد كون الى ذلك فكرته التى عبر عنها قبل وفاته بسنوات قليلة ، وفيها يلخص آثار تلك الترديدات « ان الاديب لا بد ان يكون ملما بالاقتصاد الماما بالفلسفة وعلم النفس ، بل كل علوم عصره ، ولقد يسرت لى دراستى الاقتصادية متابعة التفسير المادى للتاريخ منذ بدايات الكتابة » وخلص من ذلك الى ما سماه بالتفسير الروحى للتاريخ ، باعتبار ان الانسان المتحضر محصلة عقيدية تلتزم — ضرورة — بدين القويم .

وبدا ان هذه المتابعة بتلك الابعاد الانسانية الايجابية يمكنها ان تلقى ضوءا على مفهوم السحار عن « الشخصية » كمجموعة رؤى وآراء ، حتى انه يصر على الصدق الواقعى بجانب شرط الصدق الفنى . ومن لم استقى معظم الوقائع فى قصصه من تجارب خاصة مرت به خلال رحلاته الى اوربا وافريقيا وآسيا ، وتشهد روايته « فى قافلة الزمان » التى أصدرها سنة ١٩٤٧ على انه يسير فنيا بالواقع الماثل على اساس واحد هو : وثاقة العلاقة بين الادب وعطاء التجربة المباشرة .

ان الفن الذى يسمو بالنفس الى جماليات الوجود يحتاج دائما الى ان يلتقى بخبرات الحياة العملية ، واحسن هذه الخبرات هى التى تعكسها الرحلات البعيدة ، ومع ذلك فانه يمكن ان تكون فى بيته وبين افراد اسرته .

وبهذا الموقف الواضح دلف السحار الى عالم القصة مسلحا بقدر كبير من المعاناة الشخصية ، فاجتمع النقاد على انه لا يصدر الا عن تجارب شخصية ، غير انه لم يجد فى ذلك نقصا ولا عيبا ، بل لعله استشعر ضرورته وبخاصة عندما نجحت مجموعته القصصية « فى

الوظيفة » ومجموعته الاخرى « همزات الشياطين » وقد صدرتا على التعاقب في سنة ١٩٤٤ ، ١٩٤٦ .

على ان مشروع قصة « الشعلة المقدسة » الذى وضعه عقب رحلته الى اندونيسيا — وتحدث هو عنه اكثر من مرة معترفا بفضل العطاء الباشر — يبين تقديره لموقفه القائم على ضرورة ربط « الشخصية الفنية » في وحدة مع « الشخصية الواقعية » .. لقد تأجل الشروع ، لا لأن زحمة العمل لم تمكنه من التنفيذ كما ادعى ، ولكن لأنه لم يستوف شروط الخلق المطلوب .

وتتردد أصداء هذه المائلة في «ابطاله» حتى انه ليحرص على ان يكونوا — في جملتهم — واقعيين ، والاطار الذى يتحركون فيه هو اطار الحياة المريضة بأدق تفاصيلها .. وربما لو ضربنا برواية « الحفيد » مثلا على ذلك لصح تقويمنا ؛ وهنا لا يمكن اسقاط القضية الاجتماعية بتراكماتها وعقدها لصالح القضية الفنية ، ولا يجوز العكس على الاطلاق .

وأكبر الظن ان العدول من أمثال « الحفيد » الى « اميرة قرطبة » ومن قبلها قصص الانبياء تعتمد التاريخ والاساطير ، فاننا نجد ذلك الشعور الاجتماعى الكونى يحفزه الى التمسك بالصدق الفنى حتى ولو اضطره هذا الى اعتماد أضعف الروايات .. لأن ضعفها في نظره ليس أكثر من اختلاف حول تقويمها !

هكذا تسير الحياة ويسير الفن عنده ، ومن هنا نستطيع ان نقرر ان قصص السحار هي الشعب المصرى بظرفه وآماله وفقره ، ومن يقرأ « النقاب » و « الصدى السنين » و « ام العروسة » و « السهول البيض » — وغيرها كثير — يعرف كيف كان المصريون عنده يحبون ويكرهون ويكذبون ويمكرون ويغنون ، وتبدو المرأة شائقة لا على اساس ان جمال الجسد يأتى في درجة ثانية ، « فجمال الروح هو غاية الغاية » ولكن من حيث هى طاقة فاعلة تتحرك بواقعية وتبدو صادقة مع نفسها وقيمها .. ولربما كان يهدف الى ان يجعل المصرية عنوانا لفكرة قررها بنفسه « ان تحسن المرأة الرضاعة خير للبشرية من ان تبحث عن مذاهب الشك والحياة » الا انه يعطيها الفرصة دائما كى تصور الجانب الآخر من مجتمعه اخلاقا وسلوكا تربيين وطيبين .

***

لكن ما عرف به السحار ، وهو ما نرويه في صورة موجزة ، يمسك بتلابيبه فيما يصطلح على تسميته بالاسلاميات ، وهذه الاسلاميات كان يستقبلها وهو بعد يافع ، حيث كان ينضم خلسة الى أبيه وصحبه في « سلاملك البيت » وينصت الى مايدور حول الدين ، وما يقرأ من سيرة ابن هشام او فتوح الواقدى » .

ويبدو ان تأثير تلك الجلسات كان طاغيا ، لانه أفضى به الى شيئين :

الاول اهتمامه بالروح حتى الهم بأنه يجرى دائما وراء الغيبيات ، لا في كل ما يمس الفكر الاسلامى فحسب ، وانما ايضا في مجموعة من قصصه منها «جسر الشيطان » مع ان حوادثها تقع في هامبورج .

والثانى عنايته بشخصيات التاريخ الاسلامى ، اذكر منهم — هذا رسول

الله وابي بكر ـ ابا ذر الغفاري الصحابي الزاهد ... وقد حرص على أن يودع كل فلسفته ما يصدر عنه ، حتى ليضمن

صوره آراء في النظم الاقتصادية المعاصرة مشيرا الى الاشتراكية وعلاقة الشيوعية بها والى مبادىء الحـــرية والاخاء والمساواة .

لقد كان ما يثير دهشة السحار ان يعتقد كثيرون ان الحياة معمل او انبوبة

اختبار ، مع انها في حقيقتها مجمـوعة من الاسرار .. حتى لو لم تكن كذلك فما حقيقة الكهرباء فيها مثلا ! .. اننا

قد نتحدث عن تيار موجب وتيار سالب لم نتوقف ، ويمكن ان نضيف قولنـا

ان الضوء لموجات تنتقل عبر الأثير .. فهل بحثنا عن جوهر الأثير ؟

والخلية الحية التى هى لغز الحياة، ايقول العلم فيها ما يقطع بيقين ؟

وربما كانت الفلسفة تقدم شيئا ، الا أن الدين عنده يقدم كل شيء ، والعالم

في الحقيقة لا يمكن أن يخلو من الفلسفة

والدين ، او يمكن الزعم انه يعيش على نحو أو آخر بفلسفة دينية معينة ،

اذ منذ وجد الانسان وهو يجعل لنفسه دينا ، أى ايمانا يقينيا بشيء ما ..

وبشيء من التجاوز ، يخلق تصـورا عقيديا لكل ما يجاوز نطاق الفهم العادى للبشر !

وقد كان للسحار هذا التصـور ، أنشأه به كل من تربيته الاولى ، وقراءاته

.. ولما بلغ الخامسة والعشرين أطل على

القراء كأزهرى مع أن بعضهم عرفه تاما ناجحا ، وكانت المفارقة لطيفة

ومزعجة في آن واحـــد ، ومع ذلك استمراها ، فكانت النتيجة « محمـد رسول الله والذين معه » في عشرين جزءا

ناقش فيها الآراء الاقتصادية والاجتماعية والسياسية في كل عصر من العصور ،

بجانب مناقشات حول المال والرق والمرأة في الاسلام .

على ان هناك ـ كنتيجة اخرى ـ سعد بن أبي وقاص ، وأهل البيت ،

وابناء أبي بكر ، وحياة الحسين ، وفي

ذلك بجانب التنبيه الى التراث الاسلامي وكتبه الهائلة المبددة في مكتبات العالم .

وكاقتصادي وقف طويلا عند « كتاب الخراج » لابي يوسف تلميـذ الامام

ابي حنيفة .. لفته فيه ان ابا يوسف

وضع موازنة ايام الرشيد تصلح لان تكون

منطلقا لاقتصاديي العصر ، فانه لم يترك شيئا ، بل لقد رأى سحابة تعبر من

فوقه فقال يخاطبها « اينما تمطـرين سيأتي خراجك » ، وعرض لموارد الدولة

واوجه الصرف بها ، كما بسط الكلام في حقوق الارتفاق باحسن مما يناقش

الشرعون المصريون هذا الموضوع، ووقف عند المعادن والسجون والشـــاق وغير ذلك .

لقد اكتملت فلسفة السحار الاسلامية ولما كان العلماء المسلمون قد خاضـوا الميادين كافة من حكمة وفلك ورياضـة

وطب وموسيقى فلا غير اذا وجهنـا

الاهتمام اليهم لتكون حضارتنا الراهنة اصيلة او امتدادا للقديم .. والعـالم

نفسه يشهد الى اى حد استطاعت حضارة الاسلام ان تؤثر في مسار رحلته مع التطور عبر الزمن !

وباكتمال هذه الفلسفة ورغبة في ان

السحار



توفيق الحكيم

يعبر عنها التعبير الفني في اطار الادب أنضم الى زمرة كتاب السير .. ومن هنا يظهر لنا لماذا اردت أن اسلكه مع فريد ابو حديد والعريان من ناحية ، وهيكل والحكيم من ناحية أخرى .

كانت السير الشعبية قد انتهت عند بحزى بباب الشمس وباب القمر النهاية التي بدأ من عندها ابو حديد .. وان شئنا الدقة قلنا البداية التي تحرك من عندها جرجي زيدان فى رواياته التاريخية وكانت هناك أعداد كبيرة من القصص التاريخية تترجم الى العربية لوالتر سكوت ، ورفائيل ساباتيني ، فتحدد التيار الجديد للسير ، أي ظهرت الرواية التاريخية التي يتوفر فيها عنصر الصدق الذي يطلبه السجل وعنصر الفن الذي يفرضه التعبير الادبي .

ومن ثم كان لا بد أن يكتب السجل من أحسن ، الا أن الطور الحضاري الذي يعيش فيه — وهو اسلامي — كان يشده اليه شدا ، وبخاصة أن تربيته الاولى كانت تدفعه نحوه دفعا ، ومن ناحية اخرى كان معظم ما ينشر يعرض لتاريخ المسلمين .

وعلى هذا النحو وقف في جانب زيدان وتابعيه فى فريد أبوحديد والعريان .. الا أنه ينتبه الى هيكل والى توفيق الحكيم ، ويعرف على الفور أن مايبحث عنه انما هو فى أعلام المسلمين .. وليس كمحمد عليه الصلاة والسلام من هو أجدر بالوقوف على سيرته .

ماذا كتب هيكل وماذا كتب توفيق الحكيم ؟

لم يقدم طه حسين « على هامش السيرة » ويقدم غيره السيرة بأساليب مختلفة ، وفى الوقت نفسه كانت البعثات التبشيرية تنقب من مدينة « أور » الكلدانية لاثبات أن التوراة تصدر عن حقائق .. ولما كان القرآن الكريم بين يديه يحمل لب الحقائق ، وكانت شخصية محمد تد بهرته باعتباره الاسوة الطيبة او المثالية للبشر ، وفى الوقت نفسه تنوعت الكتابات عنه صلى الله عليه وسلم ، لقد شرع بجمع كتبه الدينية لشخصيات عاشت فى رحاب الرسول ليكون ذلك منطلقا له لم يبدأ السيرة العطرة بابراهيم ابي الانبياء .. دون أن يهمل أن ادريس الذي قام فى منف « واذكر فى الكتاب ادريس انه كان صديقا نبيا » دعا المصريين الى التوحيد قبل أن يبعث ابو الانبياء .

على أن حبه للرسول وللاسلام لم يمنعه من النظر فى الكتاب المقدس بشرط أن يتأخر الانتفاع به من الانتفاع بالقرآن الكريم وأحاديث رسول الله الصحيحة .

وباعتماد الاسلوب القصصي — مع التأكيد على صحة الوقائع — كتب السيرة النبوية بعد أن درس شخصياتها دراسة واقعية سليمة أو صحيحة ، في أنه لم يجد بدا من استخدام خياله الناقد البناء فى سد الثغرات التي تقطع التسلسل الزمني .. بشرط ان ينسجم

السحار

هذا الخيال مع المادة المروية ، ومن ثم تبرز الاحداث وفق التسلسل المنطقى المعروف .

ولئن دل ذلك على شىء فعلى أن أسلوبه القصصى فى السيرة لم يختلف عن أسلوبه فى القصص العادى .. فقد حاول به ان يحافظ على الحقيقة التاريخية ، حتى انه ليصرح بأنه لم يدون واقعة الا وكان من ورائها سند ، وقد نقد الرويات واختار اقربها الى روح الاسلام .. ولكى يحكم الثقة بعمله ، شاء ان يدون فى نهاية كل جزء من اجزاء السيرة الافكار التى عنت له، وطريقة فهمها ، وخطوط مساراتها وانحناءاتها .

وبذلك أصبح منهج السحار فى السيرة نموذجا للكتابة التاريخية ..فاذا وضعنا فى حسابنا أن التاريخ ادب فى منشئه ، الا يكون السحار واحدا من الذين عملوا — فى هذا العصر — على ارجاع التاريخ الى حظيرة الفن ، وما أكبر هذا العمل !

●●●

على هذا النحو بدت السيرة النبوية عند السحار سجلا واسعا للحياةالعربية من الجوانب الاجتماعية والنفسية والانثرولوجية .. ووقف عند المتعقدات ، وقام بدور الشاهد الموثق ليجعل الاحداث بديل الموت .. لانه يؤكد استمرارية المصير ، وما فى السيرة فى الواقع تعويض يتجدد بفهم آراء الرسول وتقويم أعماله ومحاولة الانتفاع بتاريخ الاسلام الذى جاء به كحضارة ولدت منذ اليوم الذى ولد فيه فجر الضمير .

وكبداية لا بد أن يكون الانسان العربى واعيا ، فهو من ناحية عنصر سامى يعيش فى منطقة عامرة بالفكر وبالاسطورة ومعرفة السماء .. ولئن بعد من أن يكون مشاركا فى بناء الحياة المصرية القديمة وحياة سومر وأكاد وبابل ، فلا شك أنه باتصالاته الخارجية تمم وفكر ونزع وقال .

وتدل البقية الباقية من تاريخ العرب القديم وما كشفه الاركيولوجيون من حضارة الجاهليين الاول على أن النبى صلى الله عليه وسلم كان وليد حضارة معقدة جمعت بين عبادة الكواكب وعبادة الله ، ولم تلعب الاصنام الدور الذى يضخم منه الرواة .

ومن هنا كانت الصعوبات أمامه بالغة، وكان عليه أن يقارع الحجة بالحجة ، وكان عليه أن يدعو الى النظر والتدبر، ثم كان عليه أن يخوف ويهدد .. وفى كل الحالات كان يعرف انه لا بد واصل الى غايته ، لانه على رأس حقبة مشرقة من تاريخ البشرية ، يرتفع فيها الانسان بحيث لا يليق به أن يهبط بعدها مطلقا .

لئن كان الانسان قبل محمد صبا ، فليس له وهو مسلم أن يظل عبدا للنكوص ولرغبات الجسد والاهواء الطائشة ، ومن ثم يجب أن يفهم ماضى الانسانية ليعرف الطريق السوى الى مستقبلها .. ولأن ذلك يقتضيه الاقرار بأن فى السماء الها هو مالك الارض ولا معقب لحكمه ، فقد ظهر إلى أى حد تكمن راحة الانسان فى التسليم بكل ما يأتى به كتاب الله .

هذه هى الروحانية التى يطالب بها السحار ..



نجيب محفوظ

او بذلك فسر السحار تاريخ البشرية تفسيرا روحيا ، يريد أن يطهر ضميرها من أدران المادة ، وأن يعيد اليهـا رفاهتها التى بلغت ذروتها فى صحبة الرسول .

ولم يكن من السهل أن يحقق ذلك الهدف المنشود ولا سيما اذا كان عليه أن يقدم آيات القرآن على كل شيء ، ولما كان لا بد من حساب ما البابلية والصورية والكنعانية والثمودية — وكلها عربية — من آثار وتواريخ وروايات وآراء وردت فى كتابات الكلاسيكيين من أمثال هيرودوت وسترابو ، فانه لم يعدم الكشاف مواضع تدمغه تحت الشمس، معارضا الاسرائيليات التى يحاول المتقيون أن يرفعوها الى مستوى التاريخ المحقق !

ومع ذلك فهذه الاسرائيليات نفسها اسم على غير مسمى ، لانهـا فى جملتها أساطير عربية تعزى للثموديين والبابليين والكنعانيين .. نقلها اليهود فى رحلاتهم وفى هجماتهم على البلاد التى تاخمت كل أرض نزلوا فيها بعد هجرتهم الاولى من حول عمان .

ومن حق العربي ان يقبل من تراثه العربي ما يتفق وعقيدته . والذى لاباس، اذا رفض أن يكون اسم ابى ابراهيم «تارح» لانه فى القرآن آزر ، ولا خطورة قط اذا لم تكن سارة شقيقة لابراهيم من أبيه تارح ، لانها عند المفسرين المسلمين ابنة هاران عم ابراهيم ... وهؤلاء أصح لان عادة تزوج الاخت لم تكن منتشرة بين العرب الذين خرجوا من جزيرتهم وأسسوا مملكة بابل واشور واستولوا على سورية ودلتا النيل .

وهذه التحليلات والمراجعات تعرفنا بالمعنى الكامل لعناصر الرؤية التاريخية والجمالية المنتشرة وراء العالم الذى يبحثه السحار تحت أبصارنا .. انه برغم ارتباطه بالماضى يوازى واقعنا ، وهو ينمو ويتشكل ويتغير من جزء الى جزء — الم يبدأ بابراهيم وينتهى بهاجر؟ ليكون كارهاصات غير محددة العالم للمستقبل الذى يفيض بالسماحة والاخاء والطهارة .

ولا شك أن قدراته فى الابداع هنا أوسع بكثير من قدراته فى بناء الروايات القصصية الاخرى ، وآية ذلك اننا قلما نعثر بعثرة له ، بل لعلنا لا نحس انه اضطرب مرة او تلجلج وهو يسلسل المواقف داخل عمليات النمو من الداخل .. وذلك على مدى اجزاء السيرة كلها !

لقد ظهر ان موهبته الفنية تتمثل اكثر ما تتمثل فى قدرته على تفسير دلالة الاحداث التاريخية تفسيرا يتلاءم مع روح الاسلام ، وذلك القياس لايعنى النقص من التكنيك او الصنعة المتمثلة فى طريقة التعبير الفنى عن مواقف معقدة ، وانما هو يعنى — فى رأيى — ان من الضرورى اذا اردنا ان نقوم ادب السحار التحرك بالتجربة والفنون بطريقة نراه بها من خلال عنصرى الموقف والفكر كما نرى الحق والخير والجمال .

دمعة على عبد الحميد جوده السحار

محمد عبد الغنى حسن

لقد هزّنى خطب « عبد الحميدْ »
فأدركتُ كيفَ الرواسى تميد

أتانى النعىُ به فى الصباح
فصيّرنى ذاهلاً كالشريد

أتلك النضارةُ رَهْنُ الذبول
وهذا النشاط رهينُ القيود ؟

وهذا الذكاء غدا للبِلى
وتلكَ(1) الجُذا أصبحت للخمود ؟

وتلك الملامحُ من عبقر
يجرُّ عليهن ذيل الهمود ؟

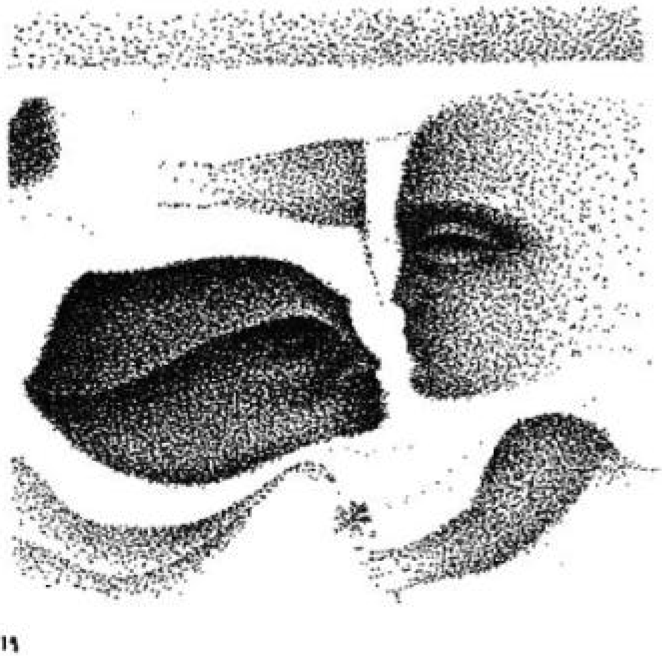
وذاك الحديث الشهىُ الطلى
يعود بآذاننا لا يعود ؟

وبسمتكَ الحلوةُ المشتهاةُ
تصير اكتئابا يعض اللحود ؟

---

(1) الجذا بضم الجيم = جمع جذوة

وتكتنكَ العفّـــة المتقـــاة
يكفهُ نداها فليت تجـــود ؟
لك اللهُ من رائـــح كالربيـــع
وشيكاً ، ومنْ ذاهب كالورود !
***
أيا مبدعَ القِصصِ الخـــالدات
وناسجَها مثلَ وشي البـــرود
تصوّرها من قطـــاع الحياة
وتأخذها من صَميمِ الوجـــود



وتخطفها مِنْ تَخَطّى القنـــا
وتقطفهـا من تَثَنّى القـدود !!
وترسلها ملءَ ســـمع الزمان
فتصبى الوليدةَ قبلَ الوليـــد
وتصغى الســهولُ إلى سردِها
وتشتاق بِيدٌ إليهـــا ، وبيـــد

***

ولستَ بناسيكَ فى « سيرةٍ (١) »
تحرّيتَ فيها البيان الرشــيد
وصفّتَ « النبىّ » وأصحابه
وأظهرت فيها مقام « الشـهيد »
وأخـــرجتَ من غـزوات النبى
دروساً الى القارىء المسـتفيد
عرضتَ الصحابةَ فى معـــرضٍ
يَعزُّ ، وفى موكب لا يَبيـــد
وجليتهُم واحـــداً واحـــداً
وجمّعتَهُم كالجُمَـان النضـيد
مواكبُ من مجـــدنا فى القـديم
تشير إلى مجـــدِنا فى الجـديد

(١) كتب النقيد بضعة عشر كتابا فى سير محمد وصحبه

ولستُ بناسيك في (غـــزةٍ)
ونحن عليها قيامٌ قعـــود
ذهبنا إليهـــا على موعـــدٍ
تضجُّ الحياة بهـــا والبنـــود
تقابلنـا كلُّ بشـــارةٍ
بأحلى بيان ، وأغلى نشـــيد
ليالي ما جاس فيهـــا عـدوٌ
وأيامُ ما خاسَ فيهـــا يهود
وأنت تسامرنا بالطـــريف
وتمتعنـــا بالحديث التليـــد
وللبحـــرِ من حولنا وشوشاتٌ
وللجوِّ من جانبينـــا رعـــود
إذا ما انحدرنا إلى وهـــدةٍ
سمونا الى رَبوة فى صـــعود
كأنّا من النصرِ في مـــوكبٍ
ومن فرحـــةِ الملتقى يوم عيد ..

***

أخي : بيننـــا لا ركاب تؤوب
ولا راحلٌ يا صـــديقي يعود
وقد قطعَ المـــوتُ ما بيننـــا
وما بيننا غيرُ ذكرى العهـــودِ
عليكَ السلامُ إلى موعـــدٍ
تساقُ وتحشرُ فيه الوفود ...

عاطف سعودى

قصة

٢٥ مكرر

تعددت الخطوط الحمراء على وجه القرية الحسناء .. الخطوط دامية بفعل الذئاب .. ولان القرية تقع على مرمى حقدهم فهى تتعرض دائما وابدا لسهامهم .. والتوقيت غريب ، فسهام الحقد لاتسقط على القرية الا عندما تفشل الذئاب فى مواجهة الاسود ! ..

لكن الخط الاحمر الاخيركانت له حكاية.. فقد انساب كالاعصار على وجه القرية حتى بلغ باب « سكينة ».. صدم الباب .. حطمه .. هدم الدار على ساكنيها .. وسقطت « سكينة » ..مضرجة بدمائها فى صحن الدار .. الخط الاحمر كان سيىء الحظ جدا هذه المرة ، والسبب سكينة، ... فسكينة هذهليست ككل النساء ، لا لشىء الا لانها زوجة«محمدين» .. و« محمدين » ليس ككل الرجال ، لا لشىء الا لانه الجندى المقاتل على جبهة القتال ... وهو الذى تقول عنه بطاقة تعريفه – ايضا – انه من مواليد قرية « السمطة » مركزدشنا محافظة قنا !

***

« محمدين » قابع كعادته خلف مدفعه .. عيناه على فم قائده ، تتلهفان كلمة « اضرب » حتى اذا خرج حرف الالف من فم القائد ، ذابت بقية الحروف فى هدير المدفع ..

حضر « مندوب البوستة » الجندى عبد الرسول ذات صباح وسلم «محمدين» رسالة وانصرف بعد أن اتم تسليم باقى بريد الموقع

فض « محمدين » رسالته فضغطت سطورها الاولى على تاجذيه بشدة ، وتناثر مدادها الاسود فى الفراغ الفاصل بينها وبين عينيه ..لكنه بشجاعة الرجال تمالك .. وفكر ، وتدبر .. كانت نصف ساعة كافية لترسيب الصدمة واصدار القرار ، لانه قام بعدها واستأذن



قائده لحظـــــات غاب خلالها خلف الموقع ..

شـــــاهده الرقيب عبد النبي أمين العهدة والتموين وهـــو ينحني على الارض ويلتقي منها مجمـــوعة من الحصى والزلط الصغير .. احصى ما جمـــع ، وتأكد من العدد وأودعه بعناية في جيب معطفه الكاكي ..

ثم توجـــه الى الرقيب عبد النبي ـ الذي عقدت الدهشة لسانه ـ وطلب منه قطعة من «الدوبارة

٢٥ مكرر

الذى يتخلف عادة بعد نفش أجولة التموين .. اعطاه عبدالنبى ماطلب وطلب منه تفسيرا لما فعل ، فلم يتلق منه ما يثير دهشته ..

عاد «محمدين» قطعة الدوبار من طرفيهـا خلف رقبته ، وتركهـا مدلاة امام صـدره واسفل معطفه ثم عـاد الى موقعه من مدفعه كان شيئا لم يكن ...

سـقطت من عين «محمدين» دمعة عندما تذكر كيف اصرت«سكينة» على أن تكون المسافة بينهـا وبينه اكثر ما تكون وهو على خـط المواجهة مع العـدو ،

وتتذكر تلك الدمعة الرقيقة التى تحدرت من عينهـا وهى تقول له فى سذاجة « لتعوز حاجة هنـاك يا خـوى » .. وكيف رق قلبه لها فرضى أن ترحل من « السمطة » لتقيم بعض الوقت فى منزل شقيقها « سيد » الذى يعمل فى خـدمة المجهـود الحربى على احدى سيارات النقـل بمنطقة القناة ..

زحف مدفع «محمدين» من موقع الى موقـع ، ومع كل زحف كانت تنتقل من جيب المعطـف الى قطعة الدوبار مجموعـة من الحصى والزلط لتتعلق بها .. كان عدد الحصى والزلط يتساوى دائمـا مع عدد ما يحصـده المدفع من رءوس الذئاب تغـيرت نبرات المدفع



واصبح صــــوته يزأر بالثأر ...

لقد أتى « محمدين » هنا تلبية لنداء الوطن ونسى كما نسى الكل من أهـــل قريته ثاراتهم القـديمة .. انصهرت ثارات المنطقة كلهـا — وما يجاورها من المناطق — فى ثأر واحـــد .. ثأر الوالدة الام .. ثأر مصر .. محمـدين كان يعيش ثأر امه مصر حتى أضــافت زوجته وقودا جديدا له رفع السـنة اللهب الى عنان السماء

***

عنـــدما خـلا جيب المعطف تماما من الحصى والزلط وانتظم « عقــد الثأر » كانت فرائده قد بلغت خمســا وعشرين حبة.. عاد « محمدين » الى قريته فى اجـــازة قصيرة واستعد من فوره لحضور حفل خطبة .. عروسه « سكينة » كانت تنتظره فى شوق ولهفـة



.. ذهب « محمـدين » الى المقابر لخطبة سكينة من جديد .. كان يرتدى أبهى ملابسه واغلاها .. حلته العسكرية الممزقة !

كانت الحلة موشاة بأنيم المعركة ، عبقة برائحـة البارود وعرق الجهاد .

ولم ينس « الخاطب » أن يأخــذ لخطيبتــه مجموعة من الزهـــور والرياحين ترقد فى مهد اخضر من خوص النخيل وسعفه .. وصـــل الى مقابر « السمطة » حيث مثوى عروسه ، وبدأت مراسم الخطبة .. تقدم بخطـــوات مترددة الى القبر .. نثر الزهـــور على « هودج » العروس وخلع عن رقبته « عقــد الثأر » والبسه شـاهد « الهودج » ثم قرأ فاتحة الكتاب على روح الخطيبة الشهيدة .. أمضى معها ســـاعة من زمن ثـم ودعها بدموعه ، وعـاد الى منزله ليتلقى تهنئة أهل القرية وعزاءهم .

***

ظن أهل القرية وقتها أن محمدين قد استوفى ثأر « سكينة » لولا تلك الحادثة البســيطة التى وقعت صباح اليوم التالى فى مدرسة « السمطة » الابتدائية للبنين ..

فقد رفع مدرس اللغة العربية يد التلميــــذ « خضر محمــدين » عن كراسته فجأة ليستجلى سبب عدم انتبــاهه ، فوجد انه قد كتب على صـــفحتها الاولى بخط يده العبـــارة التالية : « ثأر امى سكينة عندى ٢٥ صهيونى » .

تحولات

عبد المنعم
الأنصاري

بعدِ تضييعٍ ، ومن غدٍ تأتى — متغيّرَ الآراء والسَّمتِ
إن يعرفوك فكيف تعرفهُم ؟ — ولقد كستهم صفرةُ الموت ؟
وتكحّلتْ بالرعب أعينُهم ؟ — وبشهوة أعتى من الكبتِ ؟

***

أرجعت تقتحمُ الجذور لكى — تسرى بسم الرفض فى النّبت ؟
لا تسألونى فى محاكمكم — عن بعض ما ضيعتُ من وقتِ
لستم قضاتى لن أبوح لكم — فجميعكم تعدون فى السَّبت

***

أوغلتُ فى تيهى ، وأوغلتِ — وأنا وراءكَ حيثمـا كنتِ
أمشى بأوزارى على كتفى — فمتى تميد الأرض من تحتى
ما عاد فى مصباح رحلتنا — لقبورنا شىءٌ من الـزيتِ
لى ربوةٌ قد كنت أزرعها — حبّاً فلا تعطى سوى المقت
لم أدرِ هل أحرقتها بيدى — أم يا ترى أحرقتها أنتِ ؟

***

ماخنتُ عهدى مثلما خنتِ — بل شدّتْ فى وادى السّهايتى
لكنْ نيرانى قد انطفأتْ — ووجدت تحتَ رمادها صوتى
يا كلمةً كانتْ على شفتى — ما خنتُ عهدى مثلما خنت
هيهاتَ ألحانى تعودُ إلى — قيثارتى الا اذا عـدتِ
لى فيكِ أسرارٌ سأملكها — وحدِى غداً..وأعود للصمت

د . سيد كريم



قبل كولمبس هل استكشف الفراعنة أمريكا ؟

● ان حضارتى المايا والاوزتيك بالمكسيك يرجع تاريخهما الى القرنين الرابع عشر والسادس قبل الميلاد ثم اندثرت بعد الغزو الاسبانى فى القرن الخامس عشر بعد ما دمر الغزاه حضارتها ونهبوا كنوزها وحرقوا وثائق مقدساتها

وقد بقيت هاتان الحضارتان لغزا امام المؤرخين وعلماء الآثار فاطلقوا عليها اسم « الحضارة الغامضة » عندما فشلوا فى كشف اسرارهما وفك رموزهما .. ورغم التشابه الكبير فى كثير من مقومات تكوينهما ونشاتهما بينهمـا وبين الحضارة الفرعونية المعاصرة لهما الا انهم رفضوا الاخذ بنظرية أن اصلهما مصرى .

وقد اهتم فى السنوات الاخيرة عدد من البعثات الاثرية الاوربية والامريكية فى اعادة البحث والتنقيب عن آثار مدن المايا القديمة ... وكل يوم تكشف تلك الاثار عن بصمات جديدة للحضارة المصرية .. وتؤكد ارتباطها وانتماءها الى مصر وحضارتها الفرعونية .

● ان اول ما يلفت النظر فى حضارتى المايا والأوزتيك وهما أهم الحضارات التى ظهرت فى امريكا ، ان كلا منهما كانت منعزلة تماما عن الاخرى ، كما نشات كل منهما متكاملة النمو ، اى انها تفتقر الى عناصر النشاة والتكوين والتطور ، مما يؤكد انها امتداد لحضارة اخرى عريقة

انتقلت اليها من منطقة اخرى من مناطق العالم المتحضر ، وهو ما دعا « فون دانيكان » فى كتابه « الهابطون من السماء » الى وصفها بانها تنتمى الى شعوب ارقى مدنية من الارض ، وانهم هبطوا من كواكب اخرى بواسطة سفن للفضاء . وقد عزز بحوثه وآراءه بكثير من الاسانيد والوثائق التى تؤكد



اهرامات مدينة كوبان .. المايا

يتورها انها رموز ونقوش فرعونية ... وان الذين هبطوا من السماء ، قد هبطوا من سماء حضارة ابناء رع .. الفراعنة ..

وما زالت الحفريات والبحوث المستمرة التي زاد الاهتمام بها فجاة في السنوات الاخيرة . مازالت تكشف عن الواح جديدة تؤكد الصلة بين تلك الحضارتين والحضارة المصرية القديمة

مع ذلك يرفض علماء الاثار نسبتهما الى مصر الفرعونية رغم عناصر التشابه الكبير التي تظهر من وقت لاخر ، ولما لم يتمكنوا من نسبتهما الى حضارة اخرى ، اصطلحوا على تسميتهما بالحضارة الغامضة التي اكتفوا بتحديد عمرها وتاريخ نشاتها واندثارها .

● ان التشابه الكبير الذى يربط بين هاتين الحضارتين والحضارة الفرعونية يتمثل فى أول مظاهره فى الاهرام التى تعتبر الطابع المعمارى المميز لكل من حضارتى المايا والاوزتيك ـ لقد جمعت بين كل انواع الاهرام المصرية المعروفة ابتداء من المصاطب الى الاهرام المدرجة المماثلة لهرم سقارة الى الاهرام المبنية بالاحجار والمغطاة منها بكسوة من الاحجار او البياض .

ففى مدينة تكتيهواكان Tectinuacan وحدها ٣٠٠ هرم فى المدينة الجنائزية التى يبلغ طولها خمسة اميال وعرضها ٣ اميال تحيط بها .. ويتوسطها بهو الاعمدة ودور العبادة المماثلة للمعابد المصرية ، ومن تلك الاهرام هرمان كبيران احدهما يسمى هرم الشمس وتتقارب ابعاده من ابعاد هرم الجيزة الاكبر ، والهرم الثانى المدرج ويطلق عليه هرم القمر وتتقارب ابعاده مع هرم سقارة المدرج .

كما ان تلك الاهرام تتشابه مع مدن الاهرام الفرعونية من ناحية التخطيط والانشاء ومواد البناء والغرض من استعمالها ، حيث جمعت بين الدفن

والشعائر الدينية والطقوس الجنائزية وعلم الفلك · كما ان العلاقة بين تخطيط مدن المعابد وعلاقتها بمدن الحياة والمسكن كذلك تخطيط المدن نفسها ، يعكس كثيراً من نظريات تخطيط المدن الفرعونية في العهود المعاصرة ·

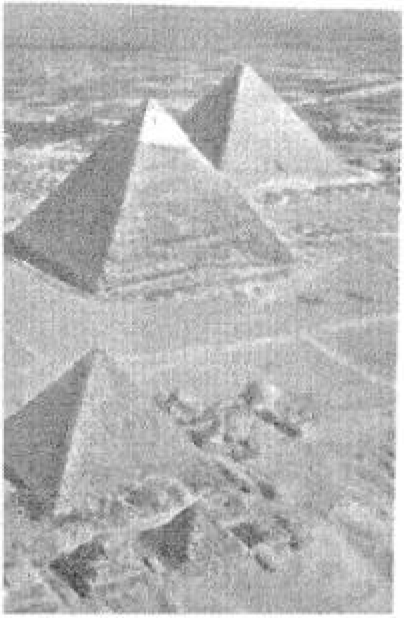
ان بوابات الشمس Pylons المصرية وجد لها مثيل في كل من بلاد المايا والاوزتيك كذلك طريقة بنائها باستعمال كتل الاحجار الضخمة في الاعتاب والاسقف وطريقة حفر واجهاتها بالرسوم والنقوش المجسمة المحفورة او البارزة ·

● كما اقام قدماء المكسيكيين المسلات المنحوتة من قطعة واحدة من الاحجار الصلبة ، كما تمت اقامتها بنفس الطريقة التي استخدمها قدماء المصريين في اقامة مسلاتهم ، ويتفق الغرض من اقامتها مع المسلات المصرية سواء للاغراض الدينية او تسجيل الاحداث التاريخية او التقاويم الزمنية او الاغراض الفلكية وعلاقة الارض بالسماء ·

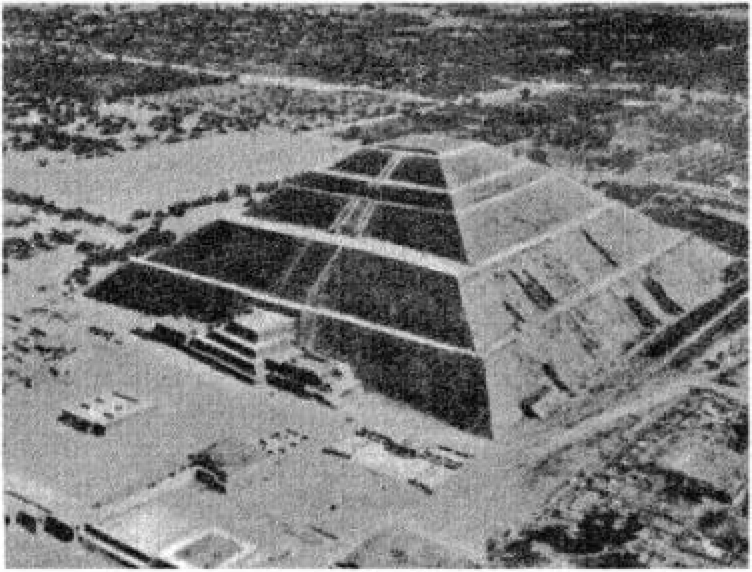
● ان فنون النحت والحفر والزخرفة سواء في اقامة التماثيل أو اللوحات المجسمة أو فن الموزاييك او البياض الزخرفي نجد لها جميعا صدى ومرجعا في الفنون الفرعونية ، ولا شك انها تمت بأيد ماهرة لها خلفية من الخبرة والممارسة والتجربة ·· أيد لم يكن لها وجود في الشعوب التي كانت تحيط بتلك الحضارات المنعزلة ·

● لقد عرف قدماء المكسيك فن التحنيط المتطور وطرق الدفن التي اتبعها الفراعنة حيث كانت تحنط جثث الحكام والامراء والكهنة والاغنياء ، ويوضع على وجه الجثة قناع ، وان تدفن معه في قبره حليه وما كان يستخدمه في حياته الاولى من أدوات لاستخدامها في العالم الاخر ، بينما كانت طريقة الدفن عند عامة الشعب كالطريقة البدائية التي كانت موجودة في مصر حيث يدفن الميت مطويا كما كان في بطن امه قبل خروجه الى الحياة ·

كما ان هناك تشابها في الطقوس الدينية ، فطريقة تقديم القرابين واحدة ·· كما ان ازياء الكهنة كانت متشابهة ·· وكبير الكهنة في كلتا الحضارتين



أهرامات مدينة الجيزة



هرم الشمس المدرج في مدينة تيوتيهواكان
ومعابده الجنائزية في مدن الازتيك ...

الامريكية والفرعونية كان يرتدى جلد الفهد .

● ان ريشة ماعت (رمز الحق والعدالة) التى لعبت دورا كبيرا في الحضارة الفرعونية فكان القضـــاة والحكام والقواد يزينون بها رءوسهم كحماة للحق والعدالة ورمز لسمو المركز كانت موجودة أيضا في المكسيك وكان الحكام ورؤســـاء القبائل يزينون بها رءوسهم . وما زالت حتى الآن تعتبر الزى التقليدى لقبائل الهنود الحمـر وبعض القبائل البدائية في المكسيك .

وما زال المثل الشعبى « على رأسه ريشه » للتعبير عن محاولة التعاظم والغرور ، يردده العامة الى الان .

● اشتهر اهل المكسيك كاهل مصر بالزراعة ، والتى بدأت عندهم متطورة وموازية لاســـاليب الزراعة المصرية القديمة ابتداء من استعمال المحـراث الفرعونى ، ومازال مستعملا للآن في المكسيك ، ويطلق عليه المكســيكيون « المحراث المصرى » . كما ان الكثير من ادوات الزراعة وآلاتها تتشابه الى حد كبير مع مثيلاتها الفرعونية . هذا بجانب وسائل الزراعة نفسها وطرق الرى الصناعية وحفر القنوات وأعياد الحصاد وتخزين المحاصيل . بل يؤكد كثير من علماء الاثار ان كثيرا من المحاصيل الزراعية التى ارتبطت بتلك الحضـــارة كالاذرة والقطن والكتان والشعير وبعض انواع الخضر لم تكن موجودة أصلا في أمريكا ، وانهــا استوردت من مصر مع مختلف عناصر الحضارة الاخرى .



هرم سقارة المدرج وساحاته الجنائزية
في مدينـة منف الفـرعونية ...

● ان الحياة الاجتمـاعية في الحضارتين جمعت بدورها الكثير من أوجه الشبه • فأدوات الزينة عند نساء المايا تتشابه كثيرا مع مثيلاتها في مصر ، كذلك حلاقة شعـر الذقن والرأس ولبس « الباروكة » •

● ان اسلحة الحرب نفسها كالبلطة والدبوس والقوس والسهم والدروع والحراب وحاملى الاعلام ، لها مثيل في الحضارة العسكرية المصرية وقوتها التي كانت سائدة في الاسرة الثامنة عشرة •

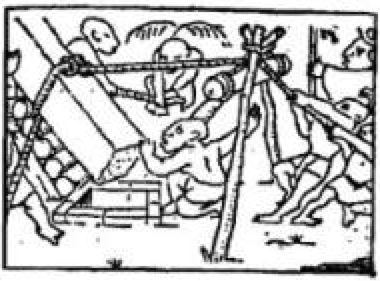
● هنـاك خيط من اهم الخيوط التي تربط الحضارتين ببعضـهما وتشـابههما او توافقهما في الرموز والنقوش الفرعونية مما لا يدع مجالا للشك في وحدة المصدر ، وكان الفضل في كشفها للدكتور محمد حماد الذى قام بجمعها وتفسيرها في جـدول مقارن ضمن الدراسات والبحوث التي قام بها وقدمها للهيئات الاجنبيـة المعنية بدراسة العلاقة بين الحضارة المكسيكية والحضارة الفرعونية •

ومن المقارنة على سبيل المثـال بيت الاله حتحور عند قدماء المصريين الذى رمز له عند الفـراعنة بمربع داخله صقر وعند المكسـيكيين نفس الرمز داخل شكل مقوس ، ونلحظ ذلك الاختلاف بين الخطوط المسـتقيمة والخطوط المنحنيـة في رسم مختلف الاشكال سواء الطيور او الحيـوانات او الاشجار • وهناك مثل آخر في حامل السـماء حيث رسم المصريون السماء مستقيمة والمكسيكيون منحنية مع تماثل الفكرة في التعبير نفسه •



احدى مسلات المايا التى سجل عليها التقويم وتاريخ الاحداث ...

طريقة رفع المسلات وتثبيتها هى نفس الطريقة التى اتبعها الفراعنة



لقد زاد الاهتمام بحضارات المايا والاوزتيك فى السنوات الاخيرة . وفى بداية الستينات قامت كثير من البعثات العلمية من مختلف انحاء العالم بالقيام بعمل الحفريات الاركيولوجية ومازالت الحفائر المستمرة تكشف كل يوم عن كثير من رموز تلك الحضارة وتؤكد علاقاتها بالحضارة الفرعونية (٩) مما يكذب النظرية التى

مازال ينادى بها البعض بان الصدفة وحدها هى الباعث على التشابه . فالصدفة ان شملت ناحية واحدة من نواحى التشابه او عنصرا واحدا من عناصر التكوين الحضارى فلا يمكن ان تشمل تاريخ الحضارة باكملها .

لذا فقد تركزت الدراسات التى قمت بها على البحث عن الحلقة المفقودة من ناحية عنصر الارتباط التاريخى بين الحضارتين . تلك الحلقة التى ركزت عليها الضوء فى البحث الذى قمت به سنة ١٩٦٢ ونشر فى مقدمة كتاب « خط السماء فى امريكا » الذى وضعه كرستوفر تنارد وهنرى ريد عن تخطيط المدن الامريكية وتاريخ نشاتها وتطورها .

لقد اثار ذلك البحث جدلا فى كثير من الاوساط العلمية والاثرية وعقدت له عدة اجتماعات فى مصر والخارج لمناقشة مستندات تفاصيله التى تكشف النقاب عن الحلقة المفقودة فى العلاقة بين الفراعنة واكتشاف امريكا وتجيب عن الاسئلة التى وضعها علماء الاثار الذين يكتبون تاريخ حضارتى المايا والاوزتيك والتى بقيت بغير جواب صريح أو مقنع الى الان .

● من الذى اكتشف امريكا متى تم اكتشافها .. وكيف ؟ ●

ان الاجابة عن هذه الاسئلة تبدأ بتتبع مصدر البصمات المصرية التى

وجدت على عناصر تلك الحضارة التي سبق حصرها وهي لا تقبل الشك وتحديد مصدرها الفعلي · اى نمسك بالخيط الذى يربطها بذلك المصدر وهو تاريخ نشأة تلك الحضارة او استيرادها وعلاقته بتاريخ مصر في تلك المرحلة المعاصرة ·

لقد حدد المؤرخون وعلماء الاثار بدء حضارة المايا من خلال النقوش الفلكية الموجودة ودراسة الحفريات من جهة ، ومن تحديد عمر العناصر المشعة بواسطة الكربون ١٤ فتحدد بدء الحضارة بـ ٣٤٠٠ سنة ، اى سنة ١٣٨٠ ق·م تقريبا · فاذا رجعنا الى تاريخ مصر السجل نجد ان ذلك التاريخ يرتبط بعهد الملك امنحتب الثالث (امنوفيس) وهو الذى اطلق عليه المؤرخون عهد الترف والتأمل والفلسفة ، وقد اشتهر امنحتب الثالث برحلاته وبعثاته الاستكشافية عبر البحار ، وحول اساطيل مصر الحربية لتصبح للرحلات التجارية وما اطلق عليه رحلات البحث والمعرفة ·

ويذكر التاريخ من بين رحلات البعثات الشهيرة التي قام بها رحلة البحث عن الحقيقة او البحث عن مكان الجنة التي اختلف كهنة والهة كل من معابد طيبة وعين شمس والنوبة في تحديد موضعها ·· اهي موجودة في الشرق حيث يشرق منها الاله رع كل يوم ؟ ام في الغرب حيث تأوى اليها في الغروب ؟ ام في الجنوب حيث ينبع نهر الحياة ؟ اذ سجل تاريخ الفراعنة انه في السنة التاسعة من حكمه ارسل بعثاته الثلاث المشهورة وبعدما زود كلا منها بمجموعة من جنود البحر الاشداء ورجال العلم والمعرفة من كهنة الاله رع ، وفنانين وصناع في مختلف الحرف والمهن · وابحرت كل قافلة منها لتستكشف المجهول بحثا عن الحقيقة ، وتنقل الى اركان العالم او الاعمدة





الهة محكمة الاخرة .. الثالوث المقدس عند كل قدماء المصريين وشعب المايا ...

التي تحمل السماء اساليب حضـــارة وادى النيـــل ..

فالبعثة الاولى التي ذهبت لتقتفى اثر الشمس فى مدارها ومسيرتها نحو الغرب ، عبرت البحـر الابيض حتى وصلت الى شاطىء المحيط الاطلسى فكانت اول اسطول بحرى فى تاريخ البشرية ينزل فى المحيط . وانقطعت اخبار البعثة ـ التى لم تعد الى وادى النيل ـ ليفاجأ العـالم الحديث عند اكتشاف امريكا بان خط السـماء فى ذلك العالم الجديد قد انعكست عليه ظلال الاهـرام المدرجة وارتفعت فى سمائه بوابات الشمس واعمدة المعابد والتماثيل والمسلات وغيرها من عناصر الحضارة وحياة المجتمـع .. فكانت حضارة المايا بجميع مقوماتها .

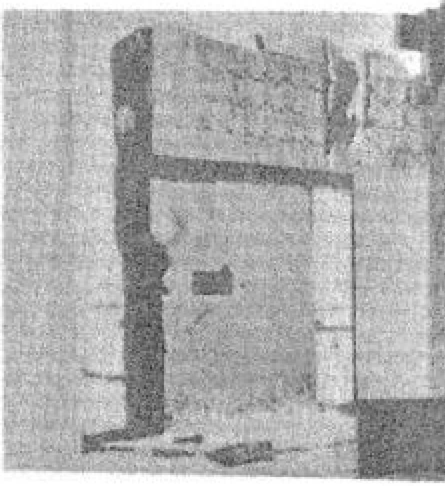
اما البعثة الثانية التي ابحرت فى اتجاه الشرق فقد عادت بعض سفنها بعد ماوصلت الى جنوب افريقيا ودارت



بوابة الشمس فى مدينة « تياهواناكو »

احدى بوابات الشمس الفرعونية فى الاقصر

بوابة الشمس المكسيكية عند الازتيك







عبادة الشمس عند شعب المايا مايلخون

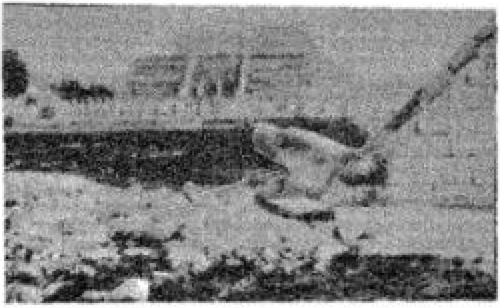


عبادة الشمس عند قدماء المصريين « الاسرة الثانية عشرة » اخناتون

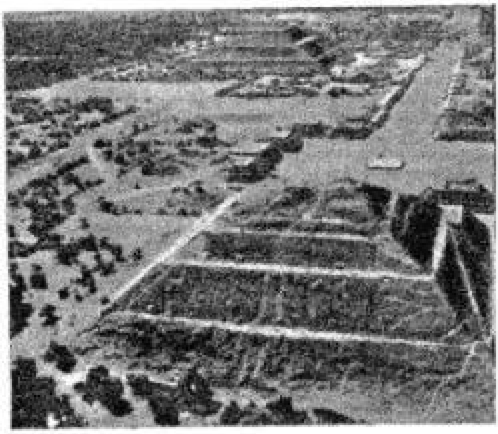
حول رأس الرجاء الصالح كما اتجه بعضها نحو الشرق في المحيط الهندي وانقطعت اخبارها كالبعثة الاولى . وهناك ما يؤكد انها وصلت الى شواطيء استراليا حيث تركت بصماتها على مواطني استراليا القدماء من حيث عبادتهم للشمس والتي تسمى في لغتهم القديمة « را » المأخوذ من اسم « رع » الفرعوني .. كما ان هناك من العادات وادوات الحياة كسلاح البوميرانج الذى اشتهرت به استراليا ، وهو قوس صيد الطيور .. كذلك طريقة صيد الاسماك بالحراب وغيرها ما هى الا البصمات التى تركتها تلك البعثة التي استقرت على تلك الشواطيء ولم تعد .

أما البعثة الثالثة وهى البعثة التى عادت بعدما وصلت الى جبل القمر عند منابع النيل لتسجل تفاصيل الرحلة على مجموعة من الواح الجرانيت واوراق البردى .

ان شخصية امنحتب الثالث التى ارتبطت باكتشاف امريكا وشخصية مصر الحضارية التى انعكست على حضارة المايا ، تكشف الغموض الذى احاط بتلك الحضارة وتفسر الكثير من الغازها المبهمة .



معابد واهرامات مدينة تيشن اليزا كعبة المايا



اهرامات الشمس والقمر مدينة الاهرامات والمصاطب « تيوتيهواكان »

● من هو امنحتب الثالث ؟ ●

هو تاسع ملوك الاسرة الثامنة عشرة .. تولى الحكم بعد موت تحتمس الرابع آخر الفراعنة العسكريين العظام الذين ارسوا اسس الامبراطورية المصرية التي امتدت من نهر الفرات وبلاد النهرين وفلسطين شمالا الى بلاد بونت وكوش جنوبا ·

رغم ان الكثير من المراجع والمستندات التاريخية القديمة قد ذكرت انه ابن تحتمس الرابع ، فقد اكد بعض علماء الآثار في دراساتهم الحديثة - وفي مقدمتهم العالم الكبير الاستاذ سليم حسن - استحالة تلك العلاقة · فقد تولى امنحتب الثالث العرش وهو في العشرين من عمره ، بينما مات تحتمس الرابع في سن السادسة والعشرين · كما انه تزوج من الملكة « تي » المشهورة في السنة الاولى من حكمه ، وهي اعظم نساء التاريخ ذكاء وقوة وعزيمة ، فقد كان نفوذها في الداخل والخارج من اكبر العوامل على تكييف مصير الامبراطورية في هذه الفترة ، وهي ابنة كاهن الاله مين وهي التي انجبت الملك اخناتون ·

وهو ما يؤكد أن امنحتب الثالث اخر تحتمس الرابع وابن امنحتب الثاني ٠

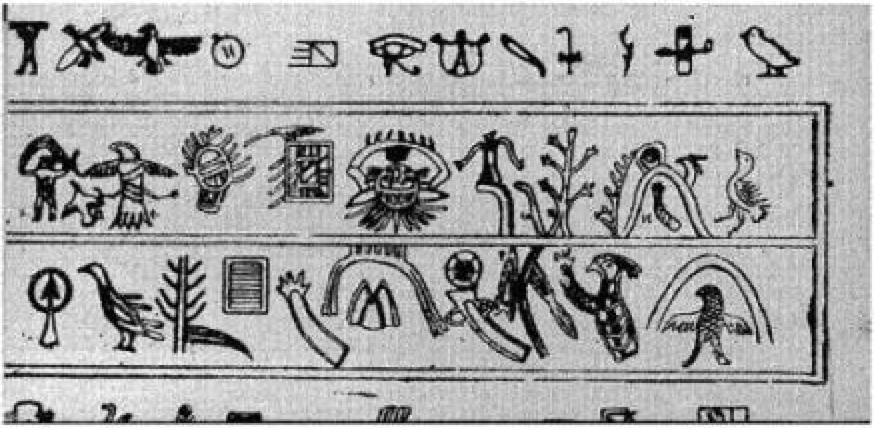
لما كانت امه (موت مويا) لا يجرى في دمائها الدم الملكي ، فقد احتال على ايجاد حجج ترفعه الى عرش فرعون امام اعين الشعب حتى ينظروا اليه نظرة الاله وانه من دم الهى خالص وان اباه هو الاله امون، وهو ما دعاه الى تمثيل ولادته على جدران معبد الاقصر حيث تظهر « موت مويا » وهى تلتقى بالاله امون وتحمل منه الملك امنحتب جريا على عادة الثالوث المقدس في المعابد المصرية اى ان الاله يجتمع بالالهة زوجته المقدسة التى معه في المعبد وبذلك يعقبان ذكرا يكون هو الابن وثالث الثالوث فيصبح الفرعون الجديد ملكا على البلاد ٠ وهو نفس ما عملته حتشبسوت من قبله لتسيطر على العرش وما حدث في تتويج الاسكندر الاكبر ٠

● وقد حكم امنحتب الثالث البلاد ٣٦ سنة كان خلالها أعظم عاهل فى العالم المتمدين كما كانت مصر اكبر امبراطورية في الشرق القديم وصاحبة السيادة السياسية والادبية والدينية ٠

يعتبر عهد امنحتب الثالث مرحلة تحول فى تاريخ الامبراطورية المصرية وعلاقاتها الخارجيـة حينما وصلت حدود مصر الى اقصى ابعادها وثروتها الى اقصى ازدهارها ، ويذكر التاريخ أن الروح الحربى الذى كان يتأجج فى نفوس رجال الشعب المصرى قد انطفا مصباحه عندما اخذت عيشة الترف والبذخ والدعة تدب بين القواد الذين كانوا يقودون مصر الى ساحة النصر وكان امنحتب اكبر مترجم للشعور القومى من هذه الناحية ، وقد ساعد على ذلك الثراء والغنى والجزية التى كانت تتدفق على مصر من انحـاء الامبراطورية وبخاصـة ما كان يجبى من هذه الممتلكات من الذهب الذى كان لا ينقطع معينه من بلاد واوات وبلاد بونت وأخشاب الارز من لبنان والبلاد الاسيوية اللازمة للمنشآت وصناعات البناء والاثاث والسفن البحرية ٠

كما اشتهت مصر فى ذلك العصر

بعض امثلة الرموز والنقوش والحروف عندكل من شعبى المايا والاوزتيك داخـل الاطـار وما يقـابلها ويماثلهـــا ف الفرعونيـــة « خارج الاطـار » ...



باسطولها البحـــرى العظيم الذى بلغ عدد سفنه ما يزيد على المائتى سفينة صنعت خصيصا من خشب الارز ٠ فعندما تحول امنحتب الثـــالث من الحرب الى السلم اهتم بالرحـــلات التجارية والاستكشافية عبر البحـــار والمحيطات ، البحر الاخضر العظيم ،

فحول اسطوله الحربى الضخم الى اسطول مدنى ليجوب البحار ويأتى بالخيرات وينشر الحضارة والمعـرفة وتعاليم الاله الواحد ٠ ورفع من السفن

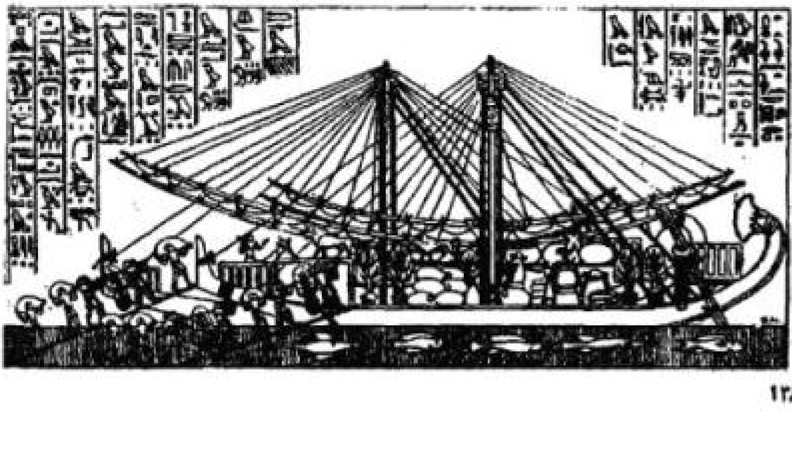
صورة الاله منتو اله الحرب واستبدلها بصورة امون رع (الاله الذى انجبنى ومكننى على عرشه) وقد وصـــفت البرديات القديمة سفينته المقدســـة (وسرحات) بأن طولها ١٢٠ ذراعا

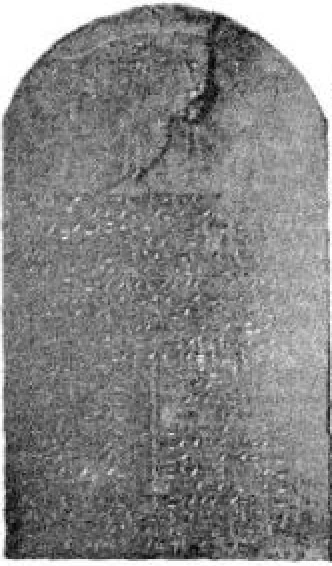
وهى مصنوعة من خشب الارز وزينت مقصـورته بالواح الذهب والابنوس والعاج والاحجار الكريمة، وتعتبر اكبر من أى سفينة عبرت المحيط الاطلسى فى العصور القديمة ، ولم تكن مع ذلك اكبر من المراكب الحـربية التى خرجت من مصر فى ذلك الوقت لتعبر البحار والمحيطات ٠



امنحتب الثالث

المراكب الفرعونية فى اســـطول امنحتب الثالث المصـــنوع من خشب الارز ذات الاشرعة المركبة وهى التى كانت تستعمل فى الرحلات البحرية فى البحار والمحيطات





احدى لوحات النصر التي سجل عليها تحتمس الثالث فتوحاته عن تأسيس الامبراطورية المصرية في الاسرة الثامنة عشرة . . .

كما تحول امنحتب الثالث بفضل نسبه الالهي الى التعمق في الدين والعقيدة فحاول ان يكسب كهنة آمون في طيبة وكهنة عين شمس وكهنة النوبة الجنوبية . فكان اول من سعى الى ديانة التوحيد للاله رع الذي كان

يتمثل في قرص الشمس ، ورع حور اله الافق ، ورع حير اله الوجود ، وامون رع اله الخلق . وكان يرمز

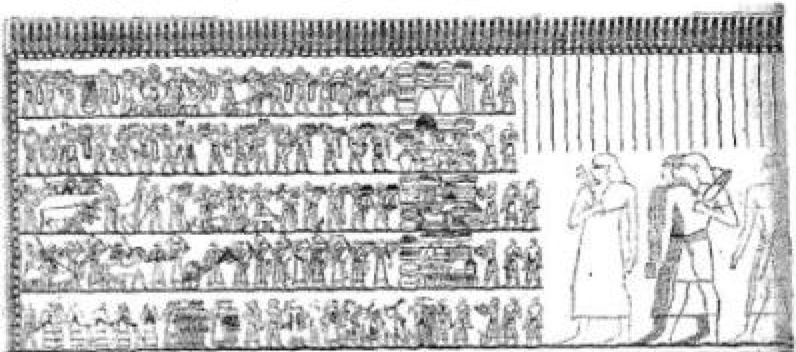
لكل منهم برمز مخالف للآخر ابتداء من الشمس المجنحة الى راس الصقر وراس الكبش . فبدأ في توحيدها في

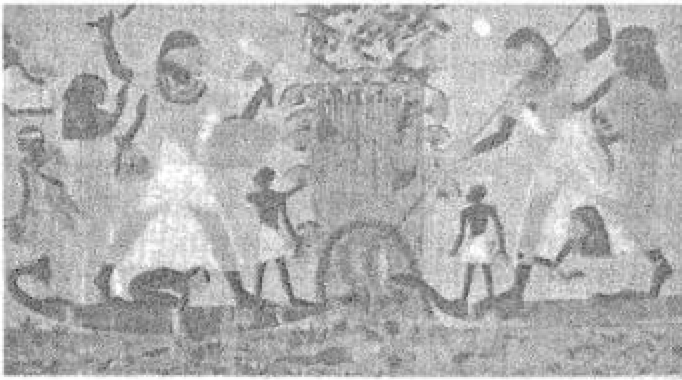
قرص الشمس ، فكان اول من اطلق عليها اسم « اتون » كما اطلق على سفينته المقدسة او سفينة التعبد اسم « تحن اتون » اى قرص الشمس الساطع . فكانت بداية ديانة التوحيد التي نادى بها بعده ابنه اخناتون .

وقد اطلق على عصر امنحتب الثالث عصر الترف والتأمل والفلسفة .

ان ذلك التطور الاقتصادي والسياسي والروحاني يفسر علاقته

منظر وصول البضائع المهداة من مختلف انحاء العالم التي حملتها القوافل البحرية الى الملك امنحتب الثالث . . .





طريقة صيد البط بالبومرانج « الاقواس الخشبية » والاسماك البحرية بالحربة التي نقلها المصريون الى استراليا ...

بالبعثات الاستكشافية والتجارية التي عبرت البحار والقارات والمحيطات لتصل الى امريكا غربا واستراليا شرقا ومنابع النيل جنوبا .

وفي احد النقوش المسجلة على صخور جزيرة كونوسو شمال فيله « وسط حدوده الى حيث شاءت ارادته حتى وصلت الى عمد السماء الاربعة » كما ذكر في احدى البرديات التي اكتشفها العالم الكبير سليم حسن « في السنة الخامسة من حكمه جعل حدوده تمتد كما شاءت ارادته لتصل الى العمد الاربعة التي تحمل السماء ولا يوجد ملك مصري عمل مثله غير جلالته وهو القوى المبتهج بالنصر نبت ماعت رع - امنحتب الثالث » .

● من الاكتشافات الاثرية التي القت ضوءا على علاقة المصريين بامريكا احدى البرديات التي وجدت في وادي الملوك وترجع الى عهد الملك نخاو الثاني (٦١٠ - ٥٩٥ق٠م) من عهد الاسرة السادسة والعشرين .

« لقد بلغنا شواطيء جزيرة هائلة مجهولة ، وقضينا في رحلتنا ستة اشهر فوق المحيطات الشاسعة لا نرى غير السماء ونجومها ليلا والمياه الزرق وحيتانها نهارا ، حتى بلغنا الارض التي تغرب فيها الشمس بعد شروقها عندنا بيوم كامل ... تختلط ارضها بالذهب وتغطي ارضها بالغابات الكثيفة .... وتجري فيها انهار تحاكي نيرنا المقدس هيبة وجلالا ..

« لقد تركنا هناك رفاقا لنا ربما لا نتصل بهم بعد اليوم ابدا ، قد يبذرون بذور امة وينشرون دولة كما فعل مواطنون لهم من قبل في بقاع اخرى من الارض شرقا وغربا .. »

« انهم سيحدثون اهل ارض الشمس الغاربة عن مصر ونيلها وعظمتها والهتها .. سيعلمونهم كيف يقراون ويكتبون .. سيهذبون عقولهم بالآيات والتعاليم التي حفرها كهنة امون على حوائط معابدهم وخطوها في بردياتهم المقدسة وعبادة الآلهة واستمطار رحمتها وتشييد الهياكل للاله الاعظم»

ان تاريخ تلك البردية وغيرها من برديات رحلات نخاو البحرية المشهورة تتفق مع التاريخ الذى يحدده الاثريون

فى السنوات الاخيرة لنشأة الحضارة المكسيكية الوسطى والتى تتفق مع

حضارة المايا فى بناء أهرام ومعابد الشمس والكثير من العادات والتقاليد وعناصر الحضارة الفرعونية رغم بعد

كل من الحضارتين المكسيكية الجنوبية والوسطى عن بعضهما كما ثبت أن احداهما لم تتصل بالاخرى بتاتا ، وبذلك يكون الفراعنة قد اكتشفوا

امريكا مرتين الاولى سنة ١٣٩٠ ق٠م فى عهد امنحتب الثالث ، والثانية سنة ٥٩٠ ق٠م فى عهد الملك نخاو الثانى

● ان محاولة العالم السويدى « ثور هيردال » فى عبور المحيط الاطلسى من غرب افريقيا الى شرق امريكا فى قاربه الشراعى الصغير « رع » المصنوع من سيقان البردى ،

وهو الطريق الذى سلكه الفراعنة ليثبت أن المصريين قد وصلوا الى امريكا فعلا من أزمان قديمة ٠

انها فكرة خاطئة حتى ولو كان النجاح قد كتب لها ٠ فالفراعنة لم يستعملوا المراكب المصنوعة من البردى

فى البحار ، بل كانت فقط للرياضة والصيد فى النيل والبحيرات الداخلية

ولم يستعملوا فى الرحلات سوى المراكب المصنوعة من خشب الارز الذى لا يتأثر بالمياه المالحة مع قوة

احتماله للعوامل الجوية والتاثيرات البحرية ، كما بلغ طول بعضها مايزيد على المائة والخمسين ذراعا وهو يزيد على كثير من البواخر التجارية التى تعبر المحيط فى العصر الحديث ٠



مقبرة الملك امنحتب فى وادى الملوك

رستم كيلاني

• قصة •

من بعيد



الايام تمر اسبوعا بعد اسبوع ، وشهرا بعد شهر ولم يبق على امتحاني الا اسبوعان حيث انني على وشك ان اتم مرحلة التعليم الثانوى ...

وفى ليلة وبينما كنت اذاكر ، والساعة تدق الثانية بعد منتصف الليل احسست بحركة فى البيت ، فوجدت نفسى انهض من جلستى واوقظ حاضنتى (ام الخير) ..

وسرعان ما سمعت صوت أبى ، وهو يتلحلح ويسعل سعلة خفيفة ..

وفتحت باب حجرتى ، وهممت بالخروج لاستقباله ، فاذا بى أقف على عتبة الباب متسمر القدمين ، وخلفى (ام الخير) ..

كان ابى واقفا على بضع خطوات وبجانبه الايمن حقيبته الكبيرة ، وبجانبه الايسر امرأة سمينة ...

وبغتة عرتنى دهشة ، والجمتنى الحيرة ، واطرقت غارقا فى صمت مديد ، قطعه والدى قائلا :

ــ ماذا دهاك .. ؟ لماذا تقف هكذا مسمرا .. الا ترغب فى استقبالنا ؟ .

ولم أجب ، وشعرت كأن لسانى مسمر فى حلقى ، وظللت أتفرس فى وجه ابى والسيدة التى معه فى صمت ، ثم دلفت الى حجرتى مأخوذا بما رأيت ، وجريت نحو فراشى ، وانكفأت عليه أدفن وجهى .. وخاصمنى النوم .. وعادت ذكريات ذلك اليوم الذى عدت فيه مبكرا من المدرسة ، واقتحمت باب شقتنا المفتوح على غير العادة لأجد حاضنتى (أم الخير) تبكى وحولها بعض الجارات وهن فى ثياب الحزانى ، وعلى وجوههن حزن بالغ ..

ولما سألت عن جلية الامر ، علمت ان امى ماتت ... وهرعت الى سريرها ، ونزعت الغطاء الابيض عن جثمانها الذى استكان فى هدوء بعد عذاب المرض وكثرة الادوية والعقاقير فترة طويلة ، واحتضنت الفراش المسجى عليه جثمان امى وظللت ابكى وتتابعت الصور والخيالات والاشباح الباهتة حولى حتى غبت عن الوعى تماما ..

ورغم الظروف التى تغيرت فى البيت بعد تلك السحابة السوداء التى مرت علينا بموت امى ، لم تتغير احوال والدى ، فقلما وجدته بالبيت ، ظل مشغولا كعادته فى تجارته التى تحتاج الكثير من الاسفار

وكثيرا ما توقفت اسائل نفسى عندما اجد البيت خاويا من والدى :

ــ ماذا كنت افعل لو لم تكن (ام الخير) معى ؟

ويتناهى الى سمعى صوت آت من اعماق بعيدة ، صوت أمى الحنون وهى تقول :

« (أم الخير) يا بنى هى امك الحقيقية ، لم اتعب فى تربيتك كما تعبت هى فى تربيتك . ولم أرضعك قط لاننى كنت ضعيفة البنية ، ونصحنى الاطباء بالامتناع عن ارضاعك، ومن يومها و (ام الخير) تقوم بدور الام لك حتى صرت هكذا ».

رحم الله أمي .. كانت تعاني من كثرة غياب والدي ، وكثرة أسفاره كما أعاني أنا من نفس الشيء .. وكما كانت حاضنتي (أم الخير) تخفف عن أمي آلامها . كانت أيضا تخفف عني آلام وحدتي بكلمات طيبة تريح النفس ..

وما كادت هذه الذكريات تعتلج في رأسي حتى أحسست بشيء يحدوني فأسرعت الى خزانتي ، واخرجت صورة صغيرة لأمي اوسعها تقبيلا واشهق شهقات مكتومة ، وظل طيف أمي لا يغرب عن مخيلتي سواد ليلتي ..

***

وبدأت سحابة سوداء جديدة تلف حياتي بدخول زوجة أبي في حياتنا .. لقد تبدل كل شيء في البيت ..

أبي أصبح موجودا دائما في البيت لا يتركه الا لماما ، عكس ما القاه منه طوال حياتي ..

اثاث البيت - جهاز أمي - تبدل وتغير باحدث الموديلات ..

حجرتي نقلت الى



من بعيد

حجرة صغيرة عند مدخل البيت ..

حتى صورة أمي الموضوعة في اطار ذهبي والمثبتة في حائط حجرة الجلوس ، بدلت بصورة هذه السيدة السمينة ..

ولم تتورع هذه الدخيلة من اصدار اوامرها ونواهيها في لهجة شديدة قاسية لحاضنتي (أم الخير) التي كانت تتلقى منها تلك وهي مطأطئة الرأس دون مراجعة او حساب من اجلي ..

كما لم تتورع هذه الغريبة من التدخل في نظام طعامي .. أصبح الطعام الحبيب الي مكروها لديها ..

ولكن حاضنتي الخير) لم تحرمني نظام طعامي . كا، تصنعه في الخفاء ، وتحضره الى حجرتي حيث نتناوله معا ..

ولم احاسب تلك الحية الرقطاء على شيء ، كنت اتحاشى اثارتها ، واتجنب التحرش بها ، خشية الاصطدام مع والدي الذي كان يرى منها ذلك ويرضى بما تفعله دون أدنى معارضة

وعلى مر الايام شعرت بأن تصرفات والدي معي بدأت تتغير بلا سبب ، أصبح لا يستطيع النظر الي ، ويخلق من أمور بسيطة أهوالا عنيفة .

واحسست بعد تلك الانفعال انني أعيش بين جدران الحيرة ، والقلق والعذاب ، لا أعرف كيف

اتخلص من هذا الجو الذى أعيش فيه ..

***

وذات صباح . ألمت بى على حين بغتة نوبة بكاء ، عندما خطرت أمى فى احلام يقظتى ، فتهالكت على المتكأ ، والقيت راسى بين يدى .

وانقضت لحظات .. ثم وجدت نفسى بين ذراعى حاضنتى (أم الخير) التى كانت عوضا عن الحرمان الذى فقدته عن والدى ، كانت تجفف باحدى يديها الرحيمة دموعى ، وسمعتها تقول فى صوت مخنوق وهى تمسح على رأسى :

ـ لقد تاخرت يا بنى عن المدرسة . هيا فى حفظ الله ..



وخرجت من المنزل فى خطوات بطيئة متثاقلة ، وفى راسى دوامة قاتمة ، ورحت أجر ساقى فى الطريق ..

وبالقرب من مدرستى تذكرت أن المدرسة اليوم تحتفى (بعيد الام) وقتئذ لاحت امام عينى صورة أمى . فأثرت أن احتفى أنا الاخر بذكراها

واشتد حنينى للذهاب الى قبرها ، ودفعت خطاى الطريق مثواها

وامام قبر امى ظللت واقفا هنيهة ، ثم تقدمت ووضعت زهور الربيع التى اشتريتها بمصروف يومى كله .

وانسابت دموعى فى صمت .. واضطربت نفسى لسماع صوت أمى، يحوم حولى وكأنما ينبعث من القبر يقول :

« ... ابنى الحبيب لقد اصبحت رجلا الآن فارع نفسك ، واذهب الى مدرستك بانتظام مع الاجتهاد فى المذاكرة لتصبح مهندسا كما كنت ابغى ان اراك قبل رحيلى ، اذهب مصحوبا بدعوات منى .. »

ولم أدر كم مضى من الوقت فى هذا المكان العزيز لدى حتى رأيت قرص الشمس ينحدر الى مغربه ، وعجلت بالانصراف ، وخلفت قبر أمى قاصدا منزلى .. وما كدت اصل وأدق الباب ، حتى فتح لى والدى وحدقنى بنظرة جافية ، وخرج صوته راعدا بالشتائم .

وتوجهت على الفور حجرتى وانا لاه عن كل ما حولى ، وجلست الى مكتبى ، ولقد صممت ان ابذل قصارى جهدى فى المذاكرة استعدادا للامتحان الذى أوشك على البدء ..

وبينما كانت شتائم ابى التى سمعتها تعمل كالسياط على ظهرى ، كانت كلمات امى تتردد فى سمعى :

« .. ابنى الحبيب .. لقد اصبحت رجلا الان فارع نفسك ، واذهب الى مدرستك بانتظام مع الاجتهاد فى المذاكرة لتصبح مهندسا كما كنت ابغى ان اراك قبل رحيلى .. »



شركة الإسكندرية للمنتجات المعدنية
تعتبر شركة الإسكندرية للمنتجات المعدنية
العامة للصناعات الهندسية والكهربائية والالكترونية
العربي التي تقوم بدراسة مشروعات إشارات المرور الأوتوماتيكية والالكترونية في المدن
٢- وضع المواصفات الشاملة لعمليات التنفيذ.
٣- تنفيذ المشروع بكامل معداته طبقاً لأحدث المواصفات العالمية.
شركة الإسكندرية للمنتجات المعدنية

غمازة

نبيذيّة الخدّين قد برّح الظما
بروحي وفي غمّازتيك رحيقها
إذا فرغت كأسي تعللتُ منهما
بكأسٍ وأشهى الخمر طيبا عتيقها
فأرتدُّ من هذي إلى تلك هائما
وتغري إلى هذي وتلك لصيقها
كطفلٍ إذا ما أفلت النهد من يدٍ
توهّم أنّ دنياه ضاع طريقها
كذا حالة الأحباب شوقٌ ولوعةٌ
ويعرف لوعات الهوى من يذوقها

● وديع ديب ●

الغلاف الأول



لوحة للفنان : عفت حسني

الغلاف الأخير

سحر الطبيعة وجمال الريف المصري . تصوير الفنان : عبد الفتاح عيد






الهلال
أبريل ١٩٧٤
ربيع الأول ١٣٩٤
عدد خاص
أدب الجنس الآخر
الزهور
مع العدد هدية
العدد + الهدية + الزهور

الهلال

آبريل ١٩٧٤

مجلة شهرية تصدر عن دار الهلال العدد الرابع ـ السنة الثانية والثمانون ـ اول ابريل ١٩٧٤ ربيع الاول ١٣٩٤ ..

الاشتراكات

ثمن العدد : فى جمهورية مصر العربية ١٥٠ مليما .
قيمة الاشتراك السنوى : ١٢٠٩ عددا » فى جمهورية مصر العربية وبلاد اتحادى البريد العربى والافريقى ١٥٠ **قرشا صاغا** . فى سائر انحاء العالم ٦ دولارات أو ٢٫٥ جنيه والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال : فى جمهورية مصر العربية والسودان بحوالة بريدية . فى الخارج بشيك مصرفى والاسعار الموضحة أعلاه بالبريد العادى ـ وتضاف رسوم البريد الجوى والمسجل على الاسعار المحددة عند الطلب .
الادارة : دار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب ـ القاهرة
تليفون : ٢٠٦١٠ « عشرة خطوط »

في هذا العدد :


د . سيد نوفل


د . فاطمة موسى


عبدالغنى حسن



بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة الهلال

في هذا العام ،تمر ذكرى حبيبة الى قلوبنا - نحن ابناء دار الهلال - والى قلب كل قارىء لمجلات دار الهلال

● في هذا العام ، يستكمل استاذنا الجليل فكرى اباظة خمسين سنة فى خدمة الكلمة على صحف هذه الدار ،والذين يعرفون تاريخ فكرى اباظة ،ويدرسون سيرته محاميا لامعا وسياسيا فى الحزب الوطنى ومعارضا فى مجلس النواب وصحفيا على صفحات « المصور » .. يدركون كل الادراك ان كلماته كانت دائما لوجه الحق ، ولخير مصر ومن اجل الحرية ، وقد احتمل فى هذا السبيل عنت الجبابرة وقسوة الظالمين

● وفى هذا العام ايضا ، تعبر خمسون سنة على اول يوم جاءت فيه سيدة الغناء ام كلثوم الى القاهرة ، لتبدا كتابها الخالد فى تاريخ الفن ، ولتسعد بلهاتها الذهبية قلوب الملايين

● وفى هذا العام ايضا ، تمر خمسون سنة على بدء الثورة الشعرية الغنائية التي حمل الشاعر الكبير احمد رامى امانتها سنة ١٩٢٤ ،فصعد بالاغنية المصرية من حضيض السوقية والجنس ، الى قمة الشعر والخيال

خمسون سنة ، اخلص هؤلاء ، العمالقة



فكري اباظة



أم كلثوم



احمد رامي

الثلاثة فيها لانفسهم ، واحسنوا الى وطنهم وابدعوا فى فنهم ، فما احرانا اليوم ان نطبع على جبين كل منهم قبلة عرفان للجميل ، وان نتوجه الى الله بدعاء من الاعماق أن يمد فى اعمارهم ، ويجزيهم الخير كل الخير عن جهاد السنين لاسعاد الملايين ٠

● صالح جودت ●

ولادة

د. سيد نوفل

علم قرطبة وشاعرتها الفاتنة

من يزر اسبانيا ويشاهد معاهدها الاثرية وينظر فى لغتها وأدبها ، يستول على فؤاده خلود المعانى والمقومات العربية فى مجتمعها وربوعها وبروزها فى لغتها وأدبها وتقاليدها .

ومن يقرأ الادب الاندلسى للعهد العربى الزاهر ، يعجب اشد العجب كيف استطاعت القوى المناوئة للعروبة ان تقتلعها من تلك الديار ، بعد ان استقرت فيها قرونا خالدات ، وامتدت جذورها اعظم الثمرات ، وفاضت قواعدها عاليات شامخات ، واينعت اشجارها اعظم الثمرات ، وفاضت بنهضتها حيوية وفاعلية وانتاجا عزت نظائرها على البلدان والازمان ، وتوثقت عراها بالشرق العربى بعد اكتمال اندماجها فى المغرب ، بل اصبحت منهما بمثابة القلب يأخذ منها ويعطيانها ، ويتلاقى الثلاثة اوثق الالتقاء وتكتمل الوحدة الحضارية والفكرية بين ارجائها جميعا ، وتتصل الرحلات والزيارات بين الاعلام والنابهين فيها ، رغم بعد الشقة وتنائى الديار وخاصة فى ذلك العهد الذى كان السفر فيه بحق قطعة من العذاب ..

● نهضة المرأة فى الاندلس ●

ومن اروع مظاهر الحضارة العربية فى الاندلس ، دور المرأة البارز فى الحياة والادب والمجتمع ، ونهوضها بالواجب الانسانى لعصرها كاملا ، وشخصيتها المساوية لشخصية الرجل بل المتفوقة عليه احيانا فى كثير من المواقف والمواهب ..

واذا كان الادب العربى فى الاندلس يأخذ منه المسلم والمسيحى واليهودى بحظ وفير ، ويتساوى فى ذلك الحاكم والمحكوم والكبير والصغير - فان الاديبات يظهرن ويبرزن ويكثرن ، ظهور الادباء وتبريزهم وكثرتهم ، لا فرق فى ذلك بين السيدة والجارية ..

واديب المغرب وحافظه ، الشيخ احمد بن محمد المقرى التلمسانى ، يدلنا على ذلك أروع دلالة فى موسوعته الشهيرة للقرن الحادى عشر الهجرى :

« نفح الطيب فى غصن الاندلس الرطيب »

فهو يحدثنا عن جملة من أديبات الاندلس وشاعراته المرموقات مثل أم السعد الحميرية ، وأم العلاء بنت يوسف ، وجارية العزيز ، وأم الكرام بنت المعتصم ، والعروضية مولاة أبي المطرف ، واعتماد جارية المعتمد بن عباد ، وبثينة ابنته ، وحفصة بنت حمدون ، وحمدة بنت زياد وأختها زينب ، وعائشة القرطبية ، ومريم الانصارية ، واسماء العامرية ، وهند جارية ابن مسلمة الشاطبي ، وغيرهن ... كما يحدثنا عن الشاعرات اللائي فقن الشعراء ، وعن زوجة قاضي لوشة التي فاقت علماء عصرها في معرفة الاحكام ..

ومن أشهر أديبات الاندلس ، بل أبرزهن جميعا وأخلدهن في تاريخ الأدب العربي ، « ولادة » علم قرطبة المنير ، وشاعرتها الفاتنة ، وسيدة منتداها الأدبي والفنى الجامع ، وكعبة العشاق والمفتونين والمعجبين ..

وقد أجمل أبو الحسن علي بن بسام ، مؤرخ الاندلس للقرن السادس الهجري — أجمل صفاتها ومجتمعها فقال :

« كانت في نساء أهل زمانها واحدة أقرانها :
حضور شاهد ، وحرارة أوابد ، وحسن منظر ومخبر ، وحلاوة مورد ومصدر . وكان مجلسها منتدى لأحرار المصر ، وفناؤها ملعبا لجياد النظم والنثر .. يعشو أهل الأدب الى ضوء غرتها ، ويتهالك أفراد الشعراء والكتاب على حلاوة عشرتها ، الى سهولة حجابها ، وكثرة منتابها . تخلط ذلك بعلو نصاب ، وكرم أنساب ، وطهارة أثواب .. على أنها سمح الله لها وتغمد زللها ، اطرحت التحصيل ، وأوجدت الى القول فيها السبيل بقلة مبالاتها ، ومجاهرتها بلذاتها .. »

وهذا الوصف لولادة من ابن بسام مقبول في جملته ، وان بدا التناقض في تفاصيله ، وخاصة بين طهارة الاثواب ، وقلة المبالاة والمجاهرة باللذات .

والمقري يكرر هذا التناقض ، فيقول بعد الحديث عن مجاهرتها باللذات انها « كانت مع ذلك مشهورة بالصيانة والعفاف » .

● نشأتها وصفاتها ●

تنتسب « ولادة » الى عبد الرحمن الداخل ، صقر قريش ومؤسس دولة الامويين في الاندلس .. فهي كريمة النسب ، تليدة المواهب .. لكن أباها ، محمد بن عبد الرحمن الناصري الملقب بالمستكفي بالله ، كان أسقط الامراء العرب في الاندلس وأنقصهم ، وكان مشهورا بالجهل والكسل ، محتقرا من الناس جميعا ..

وفي التعريف به ، يقول أبو حيان مؤرخ الاندلس الشهير ، ان هذا المستكفي كان أبعد الناس عن مقام الامارة ، وان الله أرسله على أهل قرطبة محنة وبلية ، وان أهل بيته حين تمكن منهم أعداؤهم قبل خلافته لم يعتقلوه تحقيرا لأمره ، وانه كان « يقصد أهل الفلاحة أوان ضمهم لغلاتهم يسألهم من زكاتها .. »

وكان مشتهرا بالشرب والبطالة ، سقيم السر والعلانية ، أسير الشهوة عاهر الخلوة . وقد ولى الخلافة فى الثالث من ذى القعدة لسنة نكدة ، افتتحها القاسم بن حمود بخلافته ، وتلاه عبد الرحمن المستظهر الاديب العالم ، واختتمها هذا المستكفى بعد أن قتل عبد الرحمن .

وفى ايام المستكفى تولى الحكم الاراذل والجهلة والفسقة ، وأوقع قرطبة فى اشد المحن ، وجعل أمور شعبها فوضى لا نظام لها ، حتى ثار عليه الناس ، فهرب متخفيا فى ثياب الغانيات بين امرأتين .. وهكذا ، كما يقول ابن بسام ، خرج من قرطبة فمات بالقليش ، فكانت دولته سبعة عشر شهرا ، صعابا نكداته سودا مشئومات ..

ويصف أبو حيان زوجة المستكفى ، وام ولادة على ما يبدو ، بأنها كانت امرأة خبيثة حمقاء ، استولت على المستكفى ووجهته حسب اهوائها ، وانها كانت تدعى ، بنت سكرى المورية ..

ومع ذلك فالروايات تجىء بأن المستكفى قد احسن تربية ولادة ، واحضر لها الادباء والشعراء والفقهاء الذين اكملوا تأديبها ..

ولا عجب فى هذا ، فالانسان من طباعه الغالبة أن يبتغى تربية ابنائه على الفضائل التى حرم منها ، وان يخفى عنهم ما وسعه الاخفاء المثالب والنقائص التى ابتلى بها . ومع ذلك فقد توفى المستكفى وولادة لا تزال طفلة او فى طليعة الشباب .. والرواة لا يذكرون لها سنة ميلاد ، وانما يذكرون انها كانت من المعمرات ، وانها ماتت فى الثمانينات او بداية التسعينات بعد أن جاوزت الثمانين او التسعين ..

وقد وصف ابن زيدون ولادة ، فذكر انها بيضاء كالفضة الخالصة ، وان شعرها ذهبى كالتبر وان عودها طويل وخصرها نحيل ، وردفها ممتلىء منساب ومن اقواله الكثيرة فيها :

ربيب ملك كأن الله انشأه ... مسكا وقدر انشاء الورى طينا
أو صاغه ورقا(١) محضا وتوجه ... من ناصع التبر ابداعا وتحسينا
اذا تأود(٢) آدته(٣) رفاهية ... توم(٤) العقود وادمته البرى(٥) لينا
كانت له الشمس ظئرا(٦) فى أكلته(٧) ... بل ما تجلى لها الا احايينا
وكأنما اثبتت فى صحن وجنته ... زهر الكواكب تعويذا وتزيينا

ويقول فيها :

قضيب من الريحان اثمر بالبدر ... لواحظ عينيه ملئن من السحر
وديباج خديه حكى رونق الخمر ... والفاظه فى النطق كاللؤلؤ النثر
وريقته فى الارتشاف مدام

على أن مواهب ولادة الفنية ، وتفوقها المأثور فى الشعر والموسيقى والغناء ، ومباهجها المتنوعة فى الملبس والمأكل والمشرب ، ومجالسها المأثورة بين الحدائق والماء والزهر – هى التى جعلت القلوب تهفو الى منتداها ، وجمعت اهل الادب والعلم وأولى الامر من حولها ..

ولعل لشخصيتها الفذة اهم دور فيما بلغته من نفوذ كلمة ونباهة ذكر ، بعد عزل ، والدها وحياته الرخيصة وفراره المهين .

---

(١) الورق بكسر الراء : الفضة ... (٣) آدته : اثقلته
(٢) تأود : تمايل ... (٤) التوم : اللآلىء
(٥) البرى بضم الباء : الخلاخل ... (٦) الظئر : المرضع
(٧) الاكنة : الستائر



وهذه الشخصية هي التي جعلت ابن زيدون يصفها بالجبار العزيز العنيد الذي يأبى السماع لشكوى الجوى ، والذي لا يجد الشاعر مناصا من الخضوع له رغم ذلك كله ، ورغم بلوغه حد اليأس من الوصل ، وعيشه في أرق ملازم هما وحزنا ..

فيقول ابن زيدون في ولادة قصيدة متنوعة المباهج والمفاتن منها :

أهيم بجبار يعز واخضع فهذا المسك من أردانه يتضوع
اذا جئت أشكوه الجوى ليس يسمع فما أنا في شيء من الوصل أطمع
ولا أن يزور المقلتين منام

ولعل الاستهتار كان من لوازم هذه الشخصية القوية ، ولهذا لم تحفل بالتقاليد ولم تأبه للأعراف ، فتناقل الرواة أخبارها مستعيذين بالله من بعضها ومستغفرين الله من اثباته في صحفهم

فابن بسام بعد أن يتحدث عن نسب ولادة الكريم وأثوابها الطاهرة يقول :

« على أنها — سمح الله لها وتغمد زللها — اطرحت التحصيل ، وأوجدت الى القول فيها السبيل بقلة مبالاتها ومجاهرتها بلذاتها .

كتبت — زعموا — على أحد عاتقي ثوبها :

أنا والله أصلح للمعالي وأمشي مشيتي وأتيه تيها

وكتبت على الآخر :

وأمكن عاشقي من صحن خدي وأعطي قبلتي من يشتهيها

ثم يقول اثر ذلك :

« هكذا وجدت هذا الخبر ، وأبرأ الى الله من عهدة ناقليه ، والى الأدب من غلط النقل ان كان وقع فيه » (١)

لكن ابن بسام كان حريصا على تجميل الأندلس وأدبائه ، وتقديمهم في العلم والأدب والخلق على أهل المشرق .. ولهذا لم يورد كذلك شيئا من هجاء ولادة المقذع الذي يدل على المغالاة والاسراف في القذف والسباب ، وعدم التحرج في ذكر العورات والسوءات . ويكتفي ابن بسام بقوله :

« وكانت — زعموا — تقرض أبياتا من الشعر . »

وقد قرأت أشياء منه في بعض التعاليق أضربت عن ذكره ، وطويته بأسره لأن أكثره هجاء ، وليس له عندي اعادة ولا ابداء ، ولا من كتابي أرض ولا سماء . » (٢)

(١) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ق م القاهرة ١٩٣٩ ص ٣٧٦
(٢) نفس المصدر ، ص ٣٧٧

ومع ذلك فان ما كتبته ولادة على عاتقي ثوبها متواتر عند السابقين واللاحقين لابن بسام ، كما ان هجاءها متواتر كذلك ، وان لم يكن من اليسير اثباته في كتاب لايامنا هذه عند جميع المؤرخين ، ولا لتلك الايام الخاليات عند بعض المؤرخين المتعصبين أو الاطهار مثل ابن بسام .. ومن يدري فلعل النهج الفني هو الذي قاد ولادة الى هذا المسلك . لكن المأثور من حياتها انها لم تجمع بين صاحبين في هواها، وانها كانت موحدة في الهوى رغم كثرة روادها .. كما انها احبت صاحب الوزارتين الشاعر الخالد ابن زيدون في صدر حياتها برضائها واختيارها ، كما هجرته من بعد واصرت على هجره اصرارا ، وسعت بنفسها الى وزير آخر صاحب نفوذ اكبر وان لم يكن صاحب شعر كابن زيدون ، هو الوزير ابن عبدوس ، واحتضنته بحبها الى آخر ايام حياتها ، ولم تتزوج قط ..

● ولادة وابن زيدون ●

لكن الذي خلد ذكر « ولادة » على الزمان ، لم يكن بهاؤها ولا ابهتها وفتنتها ولامغامراتها التي اسرت الوزير ابن عبدوس الشطر الاكبر من حياتها ، وانما خلدها شعر ابن زيدون وهواه المبكر لها في صدر صباها ، واخباره الطوال والقصار عن ولادة . وقصائده ومقطوعاته الشعرية في هواها ..

فابن زيدون فتن بالطبيعة واحب ولادة ، فمثل الطبيعة يجملها الحب ، ومثل الحبيب جامعا لفاتن الطبيعة .. ثم حالت الاحداث بينه وبين المتاع بالطبيعة وبالحبيب معا .. فعاش على ذكر ولادة ، واضفى على الطبيعة ثوب الاسى الذي يسربله ، وصبغها بلون الحرمان الذي اصطبغت به نفسه .

واتصال ولادة بابن زيدون وانفصاله عنها قد تما في اسلوب فريد من اساليب « ولادة » العجيبة ..

لقد شغف ابن زيدون بولادة في شبابه ، وكان يكبرها قليلا ، وطارحها اسباب الهوى والغرام حتى استجابت لهواه بعد طول التمنع، فكتبت اليه تطلب زيارتها له وتحدد موعدها قائلة :

ترقب اذا جن الظلام زيارتي   فاني رأيت الليل اكتم للسر
وبي منك لو كان بالبدر ما بدا   وبالليل ما ادجى وبالليل لم يسر

ويروى ابن زيدون سعيها اليه ومجلسها الاول معه بعد الغروب وانتشار الظلام ، فيقول :



« فلما طوى النهار كافوره ، ونشر الليـــل عنبره ، اقبلت بقد كالقضيب وردف كالكثيب ، وقد اطبقت نرجس المقل على ورد الخجل ، فملنا الى روض مدبج وظل سجسج ، قد قامت رايات اشجاره ، وفاضت سلاسل انهـــاره ، ودر الطل منثور ، وجيب الراح مزرور
فلما شببنا نارها ، وأدركت فينـا ثارها ، باح كل منا بحبه ، وشكا اليم ما بقلبه ، وبتنا بليلة نجني اقحــوان الثغور ، ونقطف رمان الصدور ٠
وحين هم بالانصراف في الصـــباح ودعته ولادة بقولها :

ودع الصـــبر محب ودعــــك　　ذائع من سره ما استــــودعك
يقرع الســـن على أن لم يكن　　زاد في تلك الخطا اذ شـــيعك
يا أخـــا البـدر سـناء وسـنا　　حفظ اللــــه زمانا اطلعــــك
ان يطل بعـــدك ليـلي فلكم　　بت اشكو قصـــر الليل معـــك

وفي رواية اخرى ان ابن زيدون هو الذى ودع ولادة ، في الصباح بهـذه الابيات عند انصرافها ٠
واتصلت ايام الهوى بين ابن زيدون وولادة حقبـــة من الزمان ، وافاض الشاعر الكبير في وصفها اروع وصف ٠٠ ومن ذلك ما جاء بكاء عليها بعد زوالها في قصيدته :

سقى الله اطلال الاحبة بالحمى　　وحاك عليهـــا ثوب وشي منمنما

فهو يذكر تلك الايام بمواقعهـــا في حدائق قرطبة لدى « النبتي » ولــدى « جوفي الرصافة » ولدى « العقاب » ولدى « العقيق » ويقول كثيرا من مثل قوله :

ويوم لدى « النبتي » في شاطيء النهر　　تدار علينا الراح في قتيـــة زهر
وليس لنا فرش سوى يانع الزهر　　يدور بهـا عذب اللمى اهيف الخصر
بفيه من الثغــر الشتيت نظام

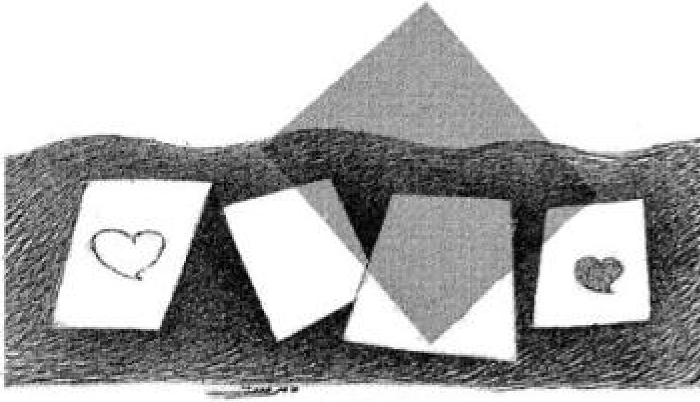
ويوم « بجوفي الرصـــافة » مبهج　　مررنا بروض الاقحـــوان المدبج
وقابلنا فيه نســــيم البنفســــج　　ولاح لنــا ورد كخـــد مضــــرج
تــراه امام النــــور وهو امام

واكرم بايام « العقـــاب » السوالف　　ولهو اتيناه بتلك المعـــاطف
بسود اثيث الشعر بعض السوالف　　اذا رفلوا في وشي تلك المطـــارف
فليس على خلع العـــذار ملام

وكم مشهد عند « العقيق » وجسره　　قعدنا على حمر النبـــات وصفره
وظبي يســـقينا ســـلافة خمره　　حكى جسدى في السقم رقة خصره
لواحظه عنــد الرنو ســـهام

واتصلت أيام الهـــوى والحب بين الشاعر ومعبودته طرفا من الزمان ، وهام كل منهما بصاحبه اعذب الهيام ٠٠ وتنقلا معا في حدائق قرطبـــة يرتشفان رحيق الحب والخمر وينعمان بمباهج الطبيعة٠ ولا يرى أيهما للحياة معنى في غيبة صاحبه ٠٠
وقد تحكم الحياة وشئونها على ابن زيدون ان يغيب عن قرطبة مسرح الهوى ومنزل الوحي، فتكتب ولادة اليه شاكية الم الفراق ، ومتطلعة الى نعيم اللقاء، من مثل قولها :

الا هل لنا من بعد هذا التفــرق　　سبيل ، فيشكو كل صب بما لقى ؟
وقد كنت اوقات التزاور في الشتا　　ابيت على جمر من الشوق محرق
فكيف وقد أمسيت في حال قطعة؟!　　لقد عجل المقدور ما كنت اتقي !
تمر الليالي لا أرى البين ينقضي　　ولا الصبر من رق التشوق معتقي
سقى الله أرضا قد غدت لك منزلا　　بكل سكوب هاطل الوبل مغدق !



فيبادلها الشاعر الموله حبا بحب ، ويكتب اليها مثل قوله :

لحى الله يوما لست فيه بملتق ... محياك من اجل النوى والتفرق
وكيف يطيب العيش دون مسرة ... واى سرور للكئيب المؤرق ؟ !

● ولادة تهجر شاعرها ●

لكن اكثر بني الانسان ينسون ، وقلوبهم تتقلب . ولهذا لم يطل لقاء ابن زيدون ومعبودته ، فهجرته واصرت على هجره ، رغم اصراره على هواها واستعطافها للعود الى سابق ودها ، واعتصامه بحبل الهوى الى ان فارق الحياة قبل معبودته بعشرين عاما او اكثر ..

وسبب الهجر غير واضح ، وان اتصلت به الروايات .. ويقول المقري صاحب نفح الطيب ، ويقول ابن بسام في الذخيرة ان ولادة كانت لها جارية سوداء بديعة المعنى ، وكانت تغني لولادة وابن زيدون في احد لقاءاتهما الغرامية ، فاستعاد ابن زيدون غناءها بغير استئذان ولادة سيدتها ، فاستشاطت ولادة غيرة وغضبا على ابن زيدون ، وامضت معه ليلة محنقة تبعها الفراق وكتبت اليه في ذلك :

لو كنت تنصف في الهوى ما بيننا ... لم تهو جاريتي ولم تتخير
وتركت غصنا مثمرا بجماله ... وجنحت للغصن الذى لم يثمر
ولقد علمت بانني بدر السما ... لكن ولعت لشقوتي بالمشترى !

ويذكر كذلك ابن زيدون في بعض استعطافاته لها انها كانت تطلب منه بيان ما يراه من مآخذ على شعرها ، وان ابن زيدون نقد قولها : « سقى الله ارضا قد غدت لك منزلا » وذكر ان ذا الرمة قد اخذ عليه قوله ، مع تقديم الدعاء بالسلامة .

ومهما يكن من امر ، فان هجر ولادة لابن زيدون ، كان مصدر وحي والهام للشاعر بأروع اياته البينات في الحب والهوى ، وكان مصدر غناء للشعر العربي باكثر مما كان وصلها له ....

ويبدو ان الاسباب المروية لهذا الهجر غير مقنعة ولعل السبب الحقيقي هو حياة ابن زيدون المليئة بالمشاكل السياسية ، وان ولادة بعد ان تخطت اندفاعة الشباب الاولى اخذت تفكر في حياة متاع مستقر ، ولم يكن من اليسير ان تجدها عند ابن زيدون .

● ولادة والوزير ابن عبدوس ●

وحين هجرت ولادة شاعرها الوفي هجرا غير جميل ، كانت على علم بكثرة عشاقها ، من اولي الامر وقادة الشعر ورجال العلم .. وكان عليها أن تختار ، وان تمضي في الاختيار بأسلوبها الفريد ، ومبادرتها الذاتية ، مثلما اختارت ابن زيدون من قبل ..

ووقع اختيارها في هذه المرة الثانية والاخيرة على الوزير الاول في قرطبة : ابي عامر بن عبدوس .. وكانت على علم بتعلقه بها ، وحرصه الشديد على وصالها .. ولم ترسل اليه سيدة أو جارية لتدفعه الى السعي اليها حسب المعروف في ذلك الزمان وما بعده من الازمان ، وانما سلكت سبيلها العبقري في الوصل ..

لقد مرت ولادة ، كما يقول ابن بسام والمقري ، بأبي عامر ابن عبدوس ، وهو جالس أمام داره ، بجوار بركة تتولد من كثرة الامطار ، وقد نشر أبو عامر كمه ، ونظر في عطفيه ، وحشر أعوانه اليه ، فقالت له :

أنت الخصيب وهذه مصر ... فتدفقا فكلاكما بحر

وكانت مفاجأة سارة مذهلة بأسلوبها للوزير ابن عبدوس ، فتركته لا يحير حرفا ، ولا يرد طرفا ، وتبع ولادة اثر ذلك ، واتصل هواه بها ..

وحاول ان يسعى ابن زيدون الى ابن عبدوس يتوعده لوصله ولادة وحجبها عنه ، وقال في ذلك القصائد .. ومن أشهرها قصيدته التي منها :

أثرت هزبر الشرى اذ ربض ... ونبهته اذ هدا فاغتمض
وما زلت تبسط مسترسلا ... اليه يد البغي لما انقبض
وغرك من عهد (ولادة) ... سراب تراءى وبرق ومض
هي الما (١) ، يعز على قابض ... ويمنع زبدته من مخض

كما كتب ابن زيدون الى ولادة الكثير من قصائد الهوى والتوسل ، وبعث اليها رسالة أدبية مستفيضة راجيا أن توجهها الى ابن عبدوس اعلانا للقطيعة ، ولكنها ازدادت عنه اعراضا ولهصدا ، وعلى ابن عبدوس اقبالا وودا .

وكتبت ولادة في ابن زيدون اهاجي مقذعة ، يحمر وجه ما تسميه الادب المكشوف أو الجنسي خجلا منها . ولقبت ابن زيدون بالمسدس في قولها :

ولقبت المسدس وهو نعت ... تفارقك الحياة ولا يفارق

وقاد موقف ابن زيدون من ولادة وابن عبدوس الى أن يحاكم شاعر الهوى بتهمة التآمر وتدبير ثورة على السلطان ، وان يسجن وان لم ينس عذاب السجن الهوى . فبعث منه بالخرائد الروائع الى ولادة ، كما بعث بقصائد الاستعطاف للسلطان .

وحين فر من السجن ، بعث الى ولادة باحدى قصائد هواه الجامح .. وحين ابتسمت له الحياة وتولى الوزارة من بعد ، اخذ يخطب ودها من جديد . لكنها ازدادت عنه نأيا ولابن عبدوس وصلا ..

وعاشت ولادة وابن عبدوس عيشة الهوى والغرام حتى اصبحا من المعمرين ولكن هواهما ظل حبا باقيا متجددا حتى فارقا الحياة ..

وهكذا كانت حياة ولادة : فتنة في الجمال ، وبراعة في الشعر والموسيقى والغناء ، والهاما ووحيا لكبير شعراء الاندلس ، وقصة شيقة من اقاصيص الهوى والغرام ..

---

(١) الماء

محمد عبد الغني حسن

شاعرة الرثاء وأدوار الغنـــاء

تمثل عائشة التيمورية الشاعرة المصرية العربية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، فقد ولدت سنة ١٨٤٠ وتوفيت سنة ١٩٠٢ . ومن عجب أنها تفردت بالشعر النسوى في مصر ، فلم يكن هناك شاعرة مصرية اخرى تزاحمها في ذلك المجال ، كما تفردت مريانا مراش في حلب ، وتفردت وردة اليازجي ووردة الترك في لبنان . أما زينب فواز العاملي الاديبة الشاعرة ، وصاحبة « الدر المنثور ، في طبقات ربات الخدور » التي ولدت بعد عائشة التيمورية بست سنوات ، فكانت لبنانية المولد والشباب ، مصرية السكن والاقامة . وكانت صديقة لعائشة ، ودارت بينهما مراسلات ومحاورات ...

عائشة التيمورية

لم تذهب عائشة التيمورية الى مدرسة ، وهل كان في ذلك العصر التي ولدت فيه عائشة التيمورية مدرسة لتعليم البنات حتى يرسل بها اليها ؟ .. لم يكن هناك الا مدرسة القوابل والممرضات التي انشئت في عصر محمد علي ، وهي للطالبات الفقيرات الراغبات في وظيفة متواضعة ، اما المدارس العامة للبنات فلم تنشأ الا بعد ذلك ببضع عشرات من السنين ، واولاها مدرسة السيوفية التي انشئت في عصر اسماعيل سنة ١٨٧٣ ، وعرفت بعد ذلك باسم المدرسة السنية للبنات .

صحيح أنه كان هناك مدرستان او ثلاث انشأتها الجاليات الاجنبية في مصر ، كمدرسة راهبات الراعي الصالح التي انشئت في شبرا سنة ١٨٤٤ ، ومدرسة الامريكان التي أسست سنة ١٨٥٦ ، ومدرسة راهبات الفرنسيسكان الايطالية التي انشئت سنة ١٨٥٩ . ولكن الاسر الكبيرة لم تجازف بارسال بناتها الى هذه المدارس الاجنبية لاعتبارات رأتها في ذلك الحين .

ولقد تعلمت عائشة التيمورية في بيت ابيها ، حيث احضر لها المعلمين من الرجال . ولعله اختار لها الرجال في التعليم لانهم اقدر في التدريس ، واقوى في المادة . والا فقد كان يمكن ان يحضر لها معلمات من النساء ، كما فعلت هي بنفسها لنفسها بعد وفاة أبيها . وتذكر لنا الباحثة زينب فواز العاملي اسم معلميها الاولين ، كما يذكره شقيقها العلامة أحمد تيمور « باشا » فيما كتبه



عائشة التيمورية

عنها - أما اولهما فهو ابراهيم مؤنس ،وكان يعلمها القرآن ، والخط والفقه الاسلامي ، واما ثانيهما فهو خليل رجائي ، وكان يعلمها النحو والصرف واللغة الفارسية ·

ومن عجب انه قام في بيت عائشة التيمورية خلاف حول تعليمها وحول قراءتها للكتب ، فامها تريدها على ان تكون ربة بيت ، وان تنفق وقتها في التطريز الذى احضرت له الام الات التعليم ، والا تضيع وقتها في قراءة كتاب · وابوها يعارض الام ، ويقول لها :(دعيها فان ميلها الى القراءة اقرب) ·

ونستمع الى عائشة نفسها ـ لا الى مترجمة حياتها زينب فواز ـ حين تروى في مقدمة ديوانها التركي والفارسي حكاية هذا الخلاف بقولها : (وبالرغم مما كان متاصلا في نفسي من الميل الى تحصيل المعارف من جهة والحصول على رضا والدتي من جهة اخرى ، فان نفسي ما برحت نافرة من المشاغل النسوية · وكان من دأبي أن اخرج دائما الى قاعة منزلنا ـ السلاملك ـ فامر بمن يوجد هناك من الكتاب لاصغي الى نغماتهم المطربة · ولكن امي ـ اقرها الله في رياض الفراديس ـ كانت تتأذى من عملي هذا ، فتقابلني عليه بالتعنيف والتهديد ، والانذار والوعيد ، وتجنح احيانا الى الوعود اللطيفة ، والترغيب بالحلي والحلل الطريفة · اما ابي ـ رحمه الله ـ فكان يخاطبها بمعنى

عائشة التيمورية



اسماعيل تيمور : اسعد اوقاته قراءة كتاب



احمد تيمور : كتابات عن عائشة التيمورية

قول الشاعر التركي :

ان القلب لا يهتدى بالقوة الى الطريق المطلوب ....

فلا تجعل النفس معنية في يد اقتداره ....

« فاحذري من أن تكسري قلب هذه الصغيرة ، وأن تثلمي بالعنف طهره . وما دامت ابنتنا ميالة بطبعها الى المحابر والاوراق ، فلا تقفي في سبيل ميلها ورغبتها . وتعالى نتقاسم بنتينا : فخذى « عفت » واعطيني «عصمت» . واذا كانت لي من « عصمت » كاتبة وشاعرة ، فسيكون ذلك مجلبة الرحمة لي بعد مماتي ..

ولم تكن عائشة عصمت تيمور ، هي الفتاة المصرية الوحيدة التي كانت تتلقى التعليم في منزلها . لقد كان هناك مئات ومئات منهن . ولكن لم تستطع واحدة منهن ان تبلغ ما بلغته عائشة . وليست المسألة مسألة دروس تعطى ، وتعليم يقدم ، ولكنه الاستعداد الفطري ولو لم تكن عائشة التيمورية مستعدة بفطرتها ، ما استطاع عشرات من المعلمين الخصوصيين أن يخلقوا منها شاعرة .

وقد يكون لميراث الابناء من الاباء دخل في ادب عائشة وميلها للشعر . فقد كان ابوها اسماعيل تيمور « باشا » ـ كما يروى ابنه العلامة احمد تيمور ـ (يرى اسعد اوقاته الساعة التي يقضيها في قراءة كتاب ، او تحقيق مسألة ، مع المغالاة في اقتناء الكتب النفيسة شراء واستنساخا ، والاقبال عليها بالمطالعة . حتى يروى أنه كان يقول : « انني لاستحي أن يقع في يدى كتاب ولا أطالعه » هذا مع ما هو مشغول به من أمور الدولة ومشاغلها) (١) . على ان هذا لم يكن قصارى جهد والد عائشة التيمورية ووالد اخيها احمد ، فقد الف كتابا على نمط كتاب « سفينة الراغب » الذي الفه الصدر الاعظم محمد راغب باشا المتوفى سنة ١٧٦٢ ، كما وضع باللغة التركية تاريخا لاسرة تيمور . وكان في نية ابنته عائشة ان تنقله الى العربية لولا أن صرفتها شواغل الحياة والحزن عن ذلك .

ويبدو أن عائشة تيمور كانت متعطشة الى العلم والتعلم طول حياتها ، فلم يكفها ما اخذته من دروس في عهد شبابها البكر على يدى المعلمين مؤنس وخليل رجائي حتى وجدت بعد وفاة والدها سنة ١٨٨٢ ، ووفاة زوجها « محمد توفيق » سنة ١٨٨٥ ميلا الى استئناف حياة التعلم ، وخاصة بعد ان صارت مالكة زمام امرها ، ومستقلة بامر نفسها ، فاحضرت الى قصرها اثنتين من المعلمات المتخصصات ممن لهن الملم بالنحو والصرف والعروض . احداهما تدعى « فاطمة الازهرية » ، والثانية « ستيتة الطبلاوية » فوسعتا من دائرة علمها بالعروض والنحو . وان كان ذلك لا ينكر فضل البداية التي بناها معها اثنان من الرجال . فقد كانت قبل حضور هاتين المعلمتين تنظم

---

(١) لعب العرب لاحمد تيمور باشا ص ٨٤ ...

الشعر ، وتتقن عروضه وقوافيه ، وتقيم الكلام على أحسن نظام .

وظهر اثر المعلمتين فى شـــعر عائشة واتجاهاتها بعد ذلك ، فصارت ـ كما يقول شقيقها العلامة احمد تيمور ـ (تاخذ عليهما النحو والعروض ، حتى برعت واتقنت بحوره ، واحسنت الشعر ، وصارت تنشد القصـــائد المطولة والازجال المنوعة ، والموشحات البديعة التى لم يسبقها احد على معانيها) (١) ولعل تسرب الازجال والموشحات والانواع والمواليا الى شعر عائشة تيمور هو اثر من اثار معلمتيها المصريتين : فاطمة ، وستيتة ، فقد كانتـــا تسمحان بذلك الضرب من النظم ، على حين ان مؤنس ورجائى ـ وهما من الاتراك ـ ما كانا ليسمحا لها بمثل هذا اللون من الكلام

ولعل من المفيد أن نعرف كيف بدأت براعم الشاعرية الرقيقة تتفتح عنـــد عائشة عصمت تيمور ، وندعها تتحدث هى عن ذلك بأسلوبها الطريف البسيط الذى لا تكلف فيه ولا تصنع ، فى مقدمة ديوانها التركى والفارسى الذى ترجمته الى العربية عن التركية المرحوم « محب الدين الخطيب » استجابة لرجـــاء من الاديبة النابغة « الانسة مى » التى القت سلسلة من المحاضرات عن عائشة ، على أعضاء جمعية « فتاة مصر الفتاة » فى الجامعة المصرية القديمة ، ثم نشرت بعد ذلك فى مجلة المقتطف من ســـنة ١٩٢٣ الى سنة ١٩٢٦ .

وعائشة التيمورية من النمـــاذج النسوية الشاعرة القليـــلة فى الادب العربى . وهى فى أحزانها ومراثيهـــا لابنتها العروس توحيدة ، ورثائهـــا لوالدها وزوجها وأصدقائها من أعلام الرجال فى عصرنا تعبر عن شعر المرأة الحزين وتجويدها له . وتذكرنا فى هذا المجـــال بالخنســـاء الشاعرة العربية النادبة التى ما برحت حياتها كلها تبكى أخاها « صخرا » وبقية اخوتها . ولعل الخنساء لم تجود فى أغراض الشعر كما جودت فى الرثاء والبـــكاء . الا أن عائشة التيمورية جودت فى شعر الحزن والضراعة والاخلاق ، كمـــا جودت فى اشـــعار الغناء عن طريق المواليـــا ، والادوار . وهى بهـــذا تجمع بين النقيضين ، فأين من البـــكاء والرثاء اشعار الطرب والغناء ؟

هل نقول انهـــا ارادت بذلك أن تعوض عن دمعها بادخـــال الفرحة والطرب على قلوب الاخرين ؟ هل نقول انها ملت الدموع وذرفها ـ وخاصة بعد أن رمدت عيناها من أثر البـــكاء على ابنتها « توحيدة » سنوات طوالا ـ فأرادت أن تضحك قليلا للحياة لعل الحيـــاة تضحك لها كثيرا ؟ هل نقول ان نفسها المعذبة بالالم ، المطوية على الشجن ، الخائبة الامل فى النـــاس وفى صدق مودتهم ، واخلاص حبهم ، قد حملتهـــا ان تغنى فى الوقت الذى كانت فيه تعبر عن أوجاعها من الناس وظلمهم ، فى مثل قولها :

وكم حليفة ســـعد اذ تعانقنى ... تقول ســـعك مذموم النهايات
فاخفض الطرف من حزن اكابده ... وأهمل الدمع من تلك المقالات

وفى مثل قولها :

ومذ انت عذلى تبغى مصادرتى ... فللماء منحتهو أسنى الكرامات
وكلما عددوا ذنبـــا رميت به ... بسطت للعذر راحات اعترافاتى

---

(١) لعب العرب ـ ص ٨٧ ، والدر المنثور لزينب فواز ص ٣٠٣ ، ٣٠٤

وكلما حربوا منشور مظلمتي واظهروا في الورى غدرا جناياتي
اظهرت شكري لهم بالرغم من أسفي وكان ما كان من فرط التهاباتي

فهذا انسانة شاعرة ترى الرياء والغدر والنفاق والحقد والحسد من حولها ، ثم تحاول في صبر الحليم أن تتغاضى عن الاساءة ، وتتجافى عن الاثم وتجزيه بالخير .

واذا قسنا عائشة التيمورية بمن كان يعاصرها من الشواعر العربيات في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وجدناها اكثرهن شاعرية ، وارقهن عبارة ، واحسنهن نظما . بل ان شعرها ليفوق شعر كثير من الرجال الذين سبقوها بعشرات من السنين ، من امثال الشيخ محمد شهاب الدين ، والشيخ علي الليثي ، والسيد على ابو النصر ، وغيرهم . ولا نجد بدأ من أن ندعم هذا الرأي بما رآه المرحوم عباس محمود العقاد وهو يتحدث عن عائشة قائلا :

(.. حتى ترسخت من هذه الفنون خيرما كان يدرسه ابناء ذلك الجيل ، وضارعت في النظم أحسن من نظموا فيه . فاذا استثنينا البارودي أولا ، والساعاتي ثانيا ، فشعر السيدة عائشة يعلو الى ارفع طبقة من الشعر ارتفع اليها ابناء مصر في اواسط القرن التاسع عشر الى عهد الثورة العرابية (١) .

واذا كان للعقاد رأي خاص في الشعر عند المرأة عامة فانه استطاع بهذا الحكم العادل بنصف عائشة التيمورية من زمانها . ورأى العقاد ــ رحمه الله ــ معروف مشهور اداره في غير موضع ، واظهره في اكثر من مقام ، فهو يرى (ان المرأة قد تحسن كتابة القصص ، وقد تحسن التمثيل ، وقد تحسن الرقص الفني من ضروب الفنون الجميلة ، ولكنها لا تحسن الشعر ولما يشتمل تاريخ الدنيا كله بعد على شاعرة عظيمة . لان الانوثة ــ من حيث هي انوثة ــ ليست معبرة عن عواطفها ولا هي غلابة تستولي على الشخصية الاخرى التي تقابلها بل هي ادنى الى كتمان العاطفة واخفائها ، وادنى الى تسليم وجودها لمن يستولي عليه من زوج او حبيب . ومتى فقدت « الشخصية » صدق التعبير ، وصدق الرغبة في التوسع والامتداد واشتمال الكائنات كلها ، فالذي يبقى لها من عظمة الشاعرية قليل (٢) ..

واستثنى العقاد من عدم احسان المرأة للشعر احسانها التعبير عن احزانها شعرا ، فهنا تجود الشاعرية ، ويجود الشعر الحزين . أما ما عدا ذلك من اغراض الشعر فلم تبدع فيه المرأة حتى « سافو » اشعر الشواعر الغزلات ، ابدعت في شعر الغزل الذي عالجته ولكنها لم تكن معبرة عن طبيعة الانثى .

واذا كانت عائشة التيمورية بشعرها التقليدي ، وبطابعها الذي حافظت فيه على القديم بحكم ما كان يحيط بها من ملابسات عصرها واحكامه فانها حين انتقلت الى رحاب الله سنة ١٩٠٢ تركت مكان الشعر النسوي خاليا

---

(١) شعراء مصر في الجيل الماضي ــ لعباس محمود العقاد ــ ص ١٥٠
(٢) المصدر السابق ــ ص ١٥١



العقاد : رأي في
الشعر عند المرأة



البارودي : أعاد للشعر
العربي رونقه وديباجته

لعشرات من السنين ، الا ما كان من شعر السيدة « أمينة نجيب » وهي تحتاج الى دراسة منصفة ، ثم أخذ فيض الشواعر العربيات يتوالى بظهور رباب الكاظمي، وجميلة العلايلي ، وماري عجمي ، ومنيرة توفيق ، وأم نزار الملائكة ، وعزيزة هارون ، وفدوى طوقان ، ونازك الملائكة ، والدكتورة عاتكة الخزرجي ، ولميعة عباس ، وجليلة رضا ، وملك عبد العزيز ، وروحية القليني وغيرهن ... ولعل في هؤلاء من تستطيع أن تغير حكم المرحوم عباس محمود العقاد على المرأة الشاعرة ! فان لا يكن ، فنحن نستطيع أن نجد في هؤلاء الشواعر أنفاسا طيبة من الشعر الجيد الجديد ، الذي تحرر من القديم في اعتدال عند بعضهن وفي انطلاق بعضهن ، وهما تياران كان لا بد منهما في حركة التطور والتجديد في الشعر العربي جملة ، عند الرجال والنساء على حد سواء .

❋❋❋

ولقد رزق ديوان « حلية الطراز » لعائشة التيمورية التوفيق والحظ الجميل على غير ما يكون عادة في دواوين الشعر التي ما يكاد الدهر يسمح بنشرها مرة حتى تأخذ طريقها الى الخفاء . لقد طبع ديوان التيمورية مرارا في مصر ، وكانت القصائد في طبعاته القديمة غير مرتبة ولا مبوبة ، مما جعل الآنسة « مي » تجعل ذلك عيبا فيه ، كما تجعل عدم التاريخ للقصائد عيبا آخر لا يمكن الباحث من متابعة تطور الشاعرة وشعرها على مدار الزمن ولكن القدر السعيد أتاح لهذا الديوان « لجنة نشر المؤلفات التيمورية » التي أسلمته الى الدكتورة سهير القلماوي لترتيبه وتبويبه . وقد فعلت سهير ما طلب منها ، وخرج الديوان في سنة ١٩٥٢ مع مقدمات ودراسات للآنسة « مي » ، وخليل ثابت ، ومحمود تيمور ، وأحمد كمال زادة حفيد عائشة التيمورية ، والدكتورة سهير القلماوي والدكتورة بنت الشاطيء . وقد احتوى الديوان في هذه الطبعة على قصائد وأشعار لم تكن في الطبعات السابقة ، تركتها الشاعرة ضمن أوراقها مخطوطة بيدها محتاجة الى من يجمعها ، ويقيم أودها ، ويضبط كلماتها ، ويعلق عليها ، فنهض الاستاذ اللغوي الثبت محمد شوقي أمين – العضو بمجمع اللغة العربية – بهذا العبء ، على خير الوجوه

ولم تستطع عائشة عصمت تيمور ان تسبق زمنها بالتجديد في الشعر الذي كان غارقا في سبات القديم، فجرت في أغراضها على ما كان يجري عليه الشعراء في ذلك الزمان . ولعلها لم تتأثر كثيرا بحركة الاحياء والبعث التي نفض بها محمود سامي البارودي الغبار عن الشعر العربي وأعاد اليه رونقه وديباجته وعلو نفسه ، بعدما انحدر الى غاية يرثى لها . ولا شك

عائشة التيمورية

انها كانت تقرأ شعر البارودى وهى معاصرة له ، كما كانت تقرأ شعر عبد الله فكرى ، ومحمود صفوت الساعاتى ، ولكنها ظلت محبوسة فى اطار القديم بحكم نشأتها وبيئتها • ومع هذا فقد كانت ديباجتها السهلة الرقيقة ، والفاظها السمحة ، وعبارتها البسيطة اكثر صدقا ، واحسن تعبيرا عن مشاعرها واحاسيسها الصادقة من شعر كثير من شعراء عصرها •

والسهولة والرقة والبساطة هى دائما طابع الشعر النسائى ، على الرغم مما عند المرأة من ميل الى التحسين والتجميل • وهو تحسين لا تغرب به المرأة فى الفاظها ولا فى عباراتها ولا فى معانيها التى لا تتعمق كثيرا فى الغوص عليها ، لانها تكتفى بما دون السطح عما هو قريب من الاغوار • ونلاحظ ذلك فى شعر « الخنساء »ورقته وسلاسته بالنسبة الى عصرها فى الجاهلية والاسلام • فقد كان قاموسها الشعرى سهلا بسيطا لا اغراب فيه ، وكذلك كانت عائشة التيمورية •فما لاحظنا فى معجمها اللغوى الشعرى لفظة جاسية ، أو جافية ،أو خشنة • وكانت وهى تعبر عن عواطفها تختار لها من الالفاظ مالان وما رق ، مع الاحتفاظ بمستوى اللغة الفصحى ، فلا تتدنى الى عامية أو ما يشبهها ، ولا تنزل الى ركاكة أو ضعف ، ولكنها تحاول دائما أن تكون الشاعرة السهلة الرقيقة البسيطة التعبير •

ولعل اهم اغراض الشعر عند عائشة التيمورية هو شعر (الرثاء) ، وما أحرى أن نسميه شعر النواح والبكاء • وما أحرى التيمورية ان نسميها شاعرة المراثى والدموع •ولعل نكبتها الاليمة فى ابنتها العروس « توحيدة » التى زفت الى الموت بدلا من أن تزف الى عريسها ، هى اروع ما فى مراثيها واصدقها تعبيرا عن المواجد والاحزان ، ولم تطل عائشة قصائد البكاء على « توحيدة » ،ولعلها اكتفت من ذلك بالقصيدة الرائية المشهورة التى تقول فى مطلعها :

ان سال من غرب العيون بحور   فالدهر باغ والزمان غدور

ولا تغنى الكثرة من شعر البكاء والنحيب فى ان تجعل الشاعرة خليقة بلقب شاعرة الدموع والمراثى ، فان قصيدة واحدة مثل هذه الرائية قد جعلت من شاعرتنا شاعرة الدموع والاحزان • ونحن هنا على الضد من الخنساء التى اطالت قصائد الرثاء فى أخيها « صخر » الذى تقول فيه •

يذكرنى طلوع الشمس صخرا   واذكره لكل غروب شمس
ولولا كثرة الباكين حولى   على اخوانهم لقتلت نفسى

فالشاعرة عائشة التيمورية لم يبلغنا من رثائها لابنتها « توحيدة » الا قصيدة واحدة ، ولكنها كانت كافية بما اودعته فيها من صدق الشعور ، وصدق التجربة لان تجعلها شاعرة عربية مرموقة فى الرثاء •

ولقد اختطف الموت « توحيدة » وهى فى عمر الزهور ــ حيث اتمت الثامنة عشرة من عمرها ــ لا الثانية عشرة ،كما جاء خطأ فى صفحة ١٨ من

ديوان حلية الطراز · وقد جاء هذا الخطأ صحيحا في الدر المنثور ، ص ٣٠٤ ، وفي الديوان نفسه ص ٣٩ ·

وكانت شاعرتنا متعلقة بابنتها الى أبعد الحدود ، وقد وجدت فيها ما لم تجده هي في نفسها من الميل الى تدبير المنزل وأشغال الابرة والتطريز ، وهي الفنون التي كانت أم عائشة تريدها عليها ، لولا انصراف الشاعرة الناشئة عنها من ناحية ، وميل الأب الى صفها من ناحية أخرى · فكان شاعرتنا القارئة المنصرفة عن أشغال المنزل وجدت في ابنتها « توحيدة » تعويضا لها عما فاتها بمحض اختيارها ···

وتدع عائشة التيمورية تتحدث عن ابنتها بقولها في مقدمة ديوانها التركي والفارسي : (وبعد انقضاء عشر سنوات كانت الثمرة الاولى من ثمرات فؤادي ــ وهي « توحيدة » نفحة من نفس وروح انس · قد بلغت التاسعة من عمرها · فكنت اتمتع برؤيتها تقضي يومها من الصباح الى الظهر بين المحابر والاقلام ، وتشتغل بقية يومها الى المساء بابرتها فتنسج بها بدائع الصنائع ! فادعو لها بالتوفيق شاعرة بحزني على ما فرط مني يوم كنت في سنها من النفرة في مثل هذا العمل · ولما بلغت ابنتي الثانية عشرة من عمرها عمدت الى خدمة امها وابيها ، فضلا عن مباشرتها ادارة المنزل ومن فيه من الخدم والاتباع ، فتسنى لي ان انصرف الى زوايا الراحة ···)

لقد كان حب عائشة التيمورية لابنتها « توحيدة » استجابة لطبيعة الأمومة الصادقة ومشاعرها · ولكن يضاف الى هذا عامل دعم من هذه الاستجابة · لقد كانت « توحيدة » المولودة البكر لامها · ولم تجئها عقب الزواج مباشرة ، ولكنها جاءتها بعد شوق طويل الى الانجاب والاثمار ·· لقد جاءتها بعد عشر سنوات كوامل · لهذا كان مجيئها عزيزا غاليا ، وكان حبها كذلك

لقد وفد على بيت الشاعرة بعض النساء ، ويبدو انهن جئن لخطبة الفتاة على نحو ما كان ساريا في ذلك الزمان · وكانت عائشة التيمورية في شغل ببعض امور بيتها ، فنابت عنها ابنتها « توحيدة » في استقبالهن والجلوس معهن حتى تفرغ امها من شئونها · ووجهت الفتاة التحية الى الضيوف الوافدات قائلة على عادة ذلك الزمان : « اوحشتونا » الا ان لثغة خفيفة لطيفة في لسانها جعلتها تقلب الشين المنقوطة سينا غير منقوطة ، فصارت الكلمة : اوحستونا ! وهنا دخلت الام الشاعرة وسمعت اللفظة على تحريفها ، وعلى ما قد توحي به من معنى لم تقصده الفتاة ولم يدر في خلدها البريء ! هنا كان تندرا وكانت فكاهات انتهزتها الام الشاعرة اللماحة لتشرح ذلك العيب اللساني ، وتعلله بهذا التعليل اللطيف ، قائلة في شعر على البديهة :

قال العواذل مذ قالت مؤانسة « اوحستنا » : انها تجفو وذاك غلط
لم يبدل الشين سينا لفظها فلطايل لم يسع ثغرها الزاهي ثلاث نقط

ولا شك أن هذا حسن تعليل جيد موفق من أم تدافع عن عيوب ابنتها الصغيرة بكل ما يمكنها من وسائل الدفاع · ولا شك انها أضافت الى محاسن ابنتها الصغيرة حسنة ضيق فمها ، بل ضيق ثغرها الذي لا يستطيع أن يتسع حتى لثلاث نقط من حرف الشين !

ولا شك أيضا أن شاعرتنا قد افادت في ايراد هذا التعليل مما وقع لها في

قراءتها الشعرية والبلاغية والبيانية من حسن التعليل عند كثير من الشعراء .

وقد ظهر هذا التعلق واضحا فى فترة المرض التى عانتها « توحيدة » قبل وفاتها . وحين ادركت الفتاة العروس انها ملتحقة بالرفيق الاعلى ، وأن محاولات الاطباء ما هى الا مماطلات لا تجدى فيه الحيلة ، أخذت تنذر امها المهندسة بقولها : (عبثا تنفعك الشفقة يا اماه الى معالجة امراضى ، فانه قد آن الاوان ، ولا مناص من تلبية نداء المنادى « كل من عليها فان » ، وانى اضرع الى الله ان يلهمك صبر ايوب ، وأن يمنحنى نعمة رضاك ، فيكون ذلك سبب الرحمة لى ، والتجاوز عن سيئاتى ، وأن يصون شقيقتى وأخوتى ... »

وفى شعرها الغزلى نلاحظ انها نظمت فيه عددا من القصائد والمقطعات . ولا يبعد ان تكون قد قالته على سبيل محاكاة القدماء وتقليدهم . اثباتا منها انها تجيد النظم فى كل اغراض الشعر . وقد كان محمود سامى البارودى يفعل ذلك ويقول انه يروض القول » ! فهو من باب الرياضة لا من باب الوحى الحقيقى الذى يوحى به الحب الصادق . وقد فعلت عائشة التيمورية ذلك فى شعرها الغزلى وقدمت له بهذه العبارة : « وقالت متغزلة فى غير انسان ، والقصد تمرين اللسان » . فرياضة القول عند البارودى ، وتمرين اللسان عند عائشة عصمت تيمور هما تعبيران يفصحان بأجلى بيان ، عن شعر بلا وجدان ...

ويلاحظ فى شعر الغزل عند عائشة التيمورية انها تتخذ موقف الرجل لا موقف المرأة ، وكأنها يحجزها الحياء عن أن تتحدث بلسان الانثى حتى لا يبتذل تصونها . وهى هنا تستتر وراء الرجل ، وتتخذ منه ذريعة لحيائها وخجلها . الا أن غزلها التقليدى هذا يحمل لواعج شوق كمين ، وحب دفين . ولو كانت مقطوعاتها وقصائدها مؤرخة لعرفنا ان كانت هذه الاغزال قبل وفاة زوجها ، أم بعده ؟ وقبل زواجها من محمد توفيق زاده أم بعد ذلك حين انفردت وصارت وحيدة ، فتسلت عما تحمله الوحدة والوحشة بهذه المقطعات ؟ ولا نعدم أن تصادفنا فى بعض مقطعاتها الغزلية أبيات جيدة معبرة عن لوعة الحب ، كقولها :

يا بغية الحب رفقا بالفؤاد ! فقد ... اشجاه ما بك من تيه ومن ميل
بقصد الهيت قلبا انت ساكنه ... هلا عطفت على سكناك يا املى ؟
قابلت طيفك ليلا كى اعانقه ... وقمت الثم ثغرا شيب بالعسل
فاغمض الطرف عن معرضا ونأى ... بجانب التيه مذ ولى على عجل
فمهجتى احرقت من حر ما وجدت ... ومقلتى اغرقت فى دمعها الهطل

على أنها وهى فى معرض التغزل ، وهى حال تدعو الى الاستغراق فى المحبوب ، لم تتورع على أن تجرى على منهج البديعيين من الاغراق فى التحلية والوشى البديعى والمحسنات .

ولم تخل اغراض الشعر عند عائشة التيمورية من الشعر الاخلاقى الحكمى ، وهو باب على قلته فى ديوانها لا يخلو من المعانى الكريمة التى تدل عليه . وما زالت كتب المحفوظات ، ومجموعات الشعر والنثر المقررة فى المدارس

والمعاهد الى عهد غير بعيد تحمـــــل قصيدتها البائية التي تقول فيها :

بيــد العفاف اصون عـز حجابي   وبعصمتي اســـمو على اترابي
وبفكـــــرة وقادة وقريحـــة   نقــــادة قـــد كملت ادابي
ولقد نظمت الشعـر شيمة معشر   قبلي ذوات الخــــدر والاحساب
ما قلتـه الا فــكاهة ناطــــق   يهوى بلاغة منطق وكتـــاب

الى أن تقول :

ما ضرني ادبي وحســـــن تعلمي   الا بكوني زهـــرة الالبـــاب
ما ساءني خدري وعقـد عصابتي   وطـــراز ثوبي ، واعتزاز رحابي
ما عاقني خجلي عن العليا ، ولا   سدل الخمـــار بلمتي ونقـــابي
عن طي مضمار الرهان اذا اشتكت   صعب الســـباق مطامح الركاب
بل صولتي في راحتي ، وتفرسي   في حســـــن ما اسعى لخير مآب

أما حكمها فقد جاءت متناثرة في باب الاخلاق من الديوان ، ومنها :

ان الدهاة وان ابدوا بشــاشتهم   فلا تغل بغرور فاتقي الغضـــب
فكم يحلو شراب ســـــم مقلته   والاسد تبسم اذ يبدو لها العطـب

ومنها قولها :

الناس شتى في الصفات فلا تكن   ممن يقيس الدر يوما بالبـــــرد
ان قست قدرا بالرقيــــق فلا تلم   من بعد نفسك في الورى أبدا احد

اما شعرها الديني فقد تجـلى في ابتهالاتها وتضرعاتها الشعرية ، وهي مبثوثة في الديوان لاتخطئها عين قارىء ومن ضراعاتها الرقيقة قولها :

قصدت حمــاك تستر قبح عيبي   بسر المصطفى الى دخيـــــل
فحــــاشى ان تخيب فيك ظني   وانت لعبـــــدك الراجي كفيــل
فان يك جرم عبــــده ليس يحصى   فحسن رضـــــاك ليس له عديل
فمن لي ان طــــردت واى باب   ايمم دون بابك يا جليــــــل ؟

ولعل من اجمل شعرها الديني قصيدتها الميمية التي عارضت بهــــا « بردة البوصيري » ومطلعها :

اعن وميض سرى في حنــدس الظلم   ام نسمة هاجت الاشواق من « اضم »
فجددت لي عهـــــدا بالغـرام مضى   وشاقني نحو احبابي « بذي سلم »

وعلى الرغم من الروح الدينية المتغلغلة في شعر عائشة التيمورية ، فقد كانت لها ناحية في الشعر المطرب الذى يتغنى به في المحافل والافراح ، وهو شعر اجادته بما اتيح لها من عاطفة رقيقـــة ولغة سهلة ، والفاظ عذبة تدخل الاذان بلا استئذان كما يقولون ·

وكثير من ادوار الغناء التي ســـادت في اخريات القرن الماضي ، وأوائل القرن الحالي كان من عمل عائشة التيمورية · وتروى لنا الاديبة الآنسة مي كيف أنها في العقد الاول من القرن الذى نحن فيه كانت في عرس بفلسطين ، واذا المنشد ينقر على العود بدور غنائي يقول :

كحل بعينيك ام صبغ من الرحمن   جفن من السحر ام سحر من الاجفان
خال بخديك ام صنع من البيان   توهج كر الانام في الجفن والخالان
تبارك الله ما احلاك من انسان

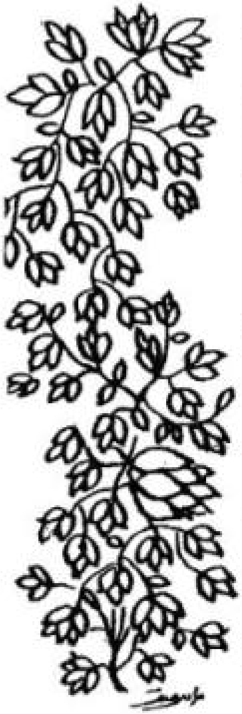
ولم تكن تدرى الآنسة مي يومئذ من هو ناظم عقد هذا الدور الغنائي ، الى أن اتيح لها أن تقرا ديوان حلية الطراز لعائشة التيمورية سنة ١٩٢٣ ، فتجد فيه ذلك الدور وغيره من ادوار الغناء ، التي استجادها المطربون والمنشدون من شعر شاعرة الدموع والرثاء ·

د. عبده بدوى



يا قَرْيَتى وعليكِ النُّورُ مُؤتلِقٌ
« عِمِى صباحا » فإن الخِصبَ قدْ جاءَ
ألا تَرَيْن حماماتٍ ، وأشرِعةً
وأغنياتٍ ، وأنساما ، وأضواءً
ومن يعودُ وفى عينيه فَرْحتُه
ومن يَحُومُ على الآفاقِ بَكّاءً !
قالتْ : رويدك يا هذا فقد عبرتْ
تلك السِّنين ترانيماً ، وإصْغاءً
قد كنتَ أدْهَم ليلاتى ، وفارسَها
والسندبادَ .. ولكن صرت أصداءً
يا طالما سِرْتَ من جِذرٍ الى ورقٍ
حتى استحال وجودى فيك أفياءً
وكم دفعتَ – وصمتُ الليل محتكم –
نجما بصدرى حتى صار إغماءً
وحين همّت نجوم أن تطارحنا
بالشعر قلناه مزهوًّا وبنّاءً
العطرُ كان ستورا حولْ جِلْستنا
والأفقُ كان سحاباتٍ وورقاءً
ثم انطلقتَ إلى دُنيا مزوّقةٍ
ترْتجُّ شدوا ، وموسيقى ، وأزياءً
.. بالأمس قلتَ كلاماً عن محبّتنا
وعن زهورٍ نمتْ فى النّفس إنْماءً
وعن صبايا كما قد قال جَدُّكمُ
« حمر الحلى والمطايا [1] » سِرن إعياءً

(1) المقصود : المتنبى



لكن نسيتُ سُليمتى ، ثم عاتبتُكْ
وما ذكرتَ وراء الخيفِ أسماء
.. واليومَ ترجعُ فى كفيك لؤلؤةٌ
وفى الجبين يرفّ الزهوُ لألاء
أكاد أنكر طفلاً كان يَمْلَؤُنى
وكان يسعدنى صُبْحاً وإمساء !!
فقلتُ : يعلمُ ربّى كنتِ أغنيتى
وكان صوتى إلى عينيك إيساءَ
فكلُّ خطوة شوق كنت أقطعها
كانت اليك ـ مع الأشواق ـ إسراء
وكلُّ فرحة لونٍ لامَسَتْ أفقى
أطلقتها وردة فى النفس وطفاء
وكل بستان حبٍ كنتُ أدخله
كنت النماء له ، والنور ، والماء
.. كل البلاد تؤدى نحو أيكتنا
فقد حملتك فى عينىَّ خضراءَ
فهل ترانى ـ وفى الأعماقِ لهفتها ـ
ألقى بكل وجودى فيكَ إلقاء !
قالت « أحطك فى عينى وأكحلها »
والشعر أسدل ليلاً وإغواءً
ثم اعتنقنا فصرنا جثةً نهضتْ
وآدمٌ هزّ عند الخلق حواء
. . يا قريتى أنت كلُّ الكون فى خَلَدِى
إذا ترحلتُ ! أو آثرتُ إبقاء !

د. أحمد كمال زكي

أديبات .. ولكن ..

لا اعرف ان هناك ادبا للنساء ، ولكنى اعرف ان النساء يقدرن على الادب كما يقدر الرجال ... لا فرق حتى في « نوعية » النتاج ، فقد تكون سيمون دى بوفوار في « الماندرين » مثلا كالبير كامى في الغريب او «السقطة» في الاحساس بالغربة والقلق واعتماد اللاشعور والتركيز على تراجيديا الانسان .

وقد تكون مى زيادة في « ظلمات واشعة » كجبران في « النبى » او كالرافعى في « اوراق الورد » و « السحاب الاحمر » في الولولة باللفظ المصقول ، والتناجى بالشكوى والتموج مع النفس

وقد تكون الخنساء في بكائياتها كابن نويرة . كلاهما يشجب الحى ، ويندب الذاهب اكرم من في الوجود واشجع الجميع .

على هذا الصعيد يلتقى آدم وحواء . والمعول في ظهور احدهما على الآخر مقدار ما يتفوق به احدهما من مواهب وطاقات ... لقد عرفت ان ثمة فروقا بيولوجية وفسيولوجية بين الاثنين ، غير ان لكل منهما فرصته المتكافئة ليكون كالآخر ، ومن هنا يمكن ان تبرع المرأة او لا تبرع بالمستوى نفسه الذى يبرع فيه الرجل او لا يبرع ... فقط يوضع كل منهما في المحيط الذى يمكن ان يتحرك فيه بحرية ، وبعد ذلك يكون الحكم النقدى على قيمة ما ينجز .



مى زيـــادة : رأى للمازنى فى اسلوبها

سئل المازنى عن اسلوب مى زيادة فقــــال قولة الناقد الاريب : ان أسلوبها سليم ، ولكنه هو يكره الاسلوب العاطفى أو الوجدانى ! ثم اتهم نفسه بالقصور، زاعما أنه نسى وهو يقرأ كتابين منهـا انها لم تنس فى اثناء كتابتهما انها امرأة ، والمرأة اذا كتبت بروح المرأة تكون صادقة الانوثة غير طائشتها !

والمدهش أن الناقد نفسه عندما سئل عن اسلوب حــــافظ ابراهيم اعلن كراهته له ، لفقدان مائه ورونقه ، وأن يكن فى نهـــاية الامر كاسلوب « مى » سليما عاطفيا ...

فأى تخبط ؟

الا اذا شئنا ان نغتفر له بدعوى ضرورة أن يتأدب مع المرأة التى كان من عشـــاقها ، كما كان من الذين داعبوها فى كتاباتهم .. ولئن شاء أن يؤكد انها لا بد أن تكون مخلصة لطبيعتها كى تكتب « ادبها » الخاص بها وهو الذى اوقعه فيما جعله يصف نفسه بأنه « قليل العقل » فقد خالف فكرته عن الادب من حيث هو تجارب جميلة اداتها اللغة ، واللغة حسب مشاع .

على أننا ما دمنا دفعنا الى ذكر مى زيادة ، فستكون فرصتنا مواتية انسأل : لماذا يصر بعضنا على أن أدبها يختلف عن أدب الرجال ؟

لقد كان لها ضرب من المثاليـــة المتطلعة الى الخير والمحبة والجمـال ـ وذلك فى اطار أنيق ـ فهل تختلف فى ذلك هى ومثيلاتها كوردة اليازجى ومريانا مراش وعائشة التيمورية ، عن أمين الريحانى والرافعى والمنفلوطى ؟

الجميع لايرتاحون كثيرا الى التحليق والتهويم ، وكلهم يؤثر أن يقف على الارض كما يقف أى مغرق فى الواقعية

والجميـــع أيضا ـ بعد ذلك ـ يجنحون الى اصطناع العبارة الموحية المنغومة، ويمزجون نزعات الرومانسية بشخوص المادة .

ولقد انتهى الامر فى مجـــال الحكم على الادب النســـائى بأن استقرت الدكتورة سهير القلماوى حيث كان ينبغى أن يستقر أى رجل .. غير انها تمكنت من ان تقرر أنها بعـد سنوات شاقة من التحصيل ناقدة يمكن ان تكون بين النقاد نبية ثقافة، ويمكن ان تصبـــح كأى أديب مفكر مقومة لايديولوجيـــات العصر وحكما فى اســـاليب الانتاج . وكما نبهها طه حسين ـ استاذها وابوها الروحى ـ الى ضرورة ان تهتم بمـــا يهتم به الرجل وذلك على طول مرحلة ابداعها القصصى الذى اتسم بالرومانســـية الواقعية ، جعلها تحكم على الاشيـاء هى من خصــــائص النظام دينيا

وسياسيا واجتماعيا . وهي في الوقت نفسه بعيدة عن اهتمامات المرأة العادية .

اما اذا انتقلنا الى بنت الشاطيء، « الدكتورة عائشة عبد الرحمن » التي اتشرف بأن احتل مكانها في رئاسة قسم اللغة العربية بجامعة عين شمس، فاننا لا نجد الامر يختلف ... ان ما قدمته ابتداء من قصصها وروايتها « سيد العزبة » حتى مجاهداتها المجددة في التفسير البياني للقرآن الكريم ، ليدل على انسانية لا تنتمي الى ورائة الانثوية ، ولا حتى الى استعداد عاطفي محدد للانثوية .

صحيح قد نجد في كتابها « على الجسر » ما يمت للانثى ، ولكنه من قبيل الضعف البشري الذي يشاركها فيه بعض الرجال .. والا فهل ننسى اشعار المرحوم عبد الرحمن صدقي في رثاء زوجه الاولى ؟

ان بنت الشاطيء في « على الجسر » تبكي رجلها العظيم الشيخ امين الخولي ، ولكنه بكاء المرأة التي خبرت شئون المجتمع وأحوال النفس البشرية ، فتؤثر الوقوف عند المعنى الانساني العام ، حتى وهو ينبع من جنانها !

وهكذا تبدو القضية بلا قضية .. فلا ادب للنساء ، وانما هناك ادب جيد ، او ادب رائق ..

وهذا الادب يصدر عن المرأة كما يصدر عن الرجل .. تكتبه واحدة كعائشة تيمور او اخرى كعائشة عبد الرحمن ، وتكتبه شاعرة كفدوى طوقان او لميعة عباس العراقية . كما



د . عاتكة الخزرجي : تقدم عطاءها برصانة في شتى المجالات

بكتابة شاعر كصالح جودت أو نزار قباني .. وفي الحالين يكون على الناقد ان يفهم النتاج الادبي لا من حيث دلالته الفردية لاكتشاف «المرأة» او «الرجل» ولكن من حيث دلالته الانسانية لاكتشاف الحياة حتى يمكن ضبطها وتقنينها .

واذا كان النقد قد تجرد من مغالاة الاكاديمية التي تصر عادة على وسم المرأة بسمات تحد من وقع خطوها على الطريق ، وهناك تبدو للعيان في زى مصنوع على قدها ـ عنوة واقتسارا ـ فان من واجب النقاد اليوم أن يكفوا عن اعتبارها في المحل الثاني بعد الرجل .. لان في وسعها ان تصدر عن القيم المجتمعية المختلفة بالاسلوب نفسه الذي يشكل شخصية الرجل ! وليس ذلك امتهانا لانثويتها ولا غضا لطبيعتها ، وانما استجابة لمكاناتها من ناحية ، وخضوعا لمنطق الفن من ناحية اخرى ، وهو منطق يعتمد التقاليد التي وضعها الرجل الاول منذ استجاب لنداء الطبيعة كي يتأمل ويبدع .



د. نوال السعداوى : قصص يدعمها العلم والذكاء

وامامنا بعد هذا التمهيد الطويل فدوى طوقان .. شاعرة فلسطين الاولى ، وفي مقدمة شواعر العصر بدون شك أو لعلها الثانية بعد نازك الملائكة شاعرة العراق والعرب جميعا

أختارها لانهــا نموذج للكرثى ، ولانها عبرت عن تحديها للمجتمــع بالطريقة نفســها التى اثرت عن الاديبات الكبار في العالم .. ولم يكن يجوز لها في رأيي ان تقول :

التحدى السجان اسخر بالعرف

بما شادت التقاليد حولى

●●●

من جدار ضخم مضت الغباتى

تتخطاه .. فى التحد مثلى

لانها عبرت البرزخ الذى يفصــل بينها وبين الرجل ، وحتى عنــدما طلبت الرجل لنفسها لم تطلبــه فى كناية ومواربة ، ولما التقت بالشاعر الايطالى ســلفاتور كوازيمودو فى ستوكهولم لم تخف انه تغزل بها :

قلت : فى عينيك عمق

انت حلوة

قلتها فى رغبة مهموسة الجرس

لما كنا بخلوه

ويعينيك نداء وياعماقى نشوة

اى نشوة

انا انثى فاغفر للقلب زهوه !

ومع ذلك فقد كان مثل هذا الشعر من الضآلة بحيث يمكن الا يعتد به ، ومن ثم تظل فدوى صوتا شعريا جهيرا كصوت الرجل .

ودعونا من الحديث عن الموضوعات التي عرضت لها فدوى لملاحظة معطيات التطور عندها او لرصد الانقــلاب

الحيالي الذي توج بقولها للرجل الذي احبته :

اذا انا ضقت باغلال حبي
وثرت عليها وثرت عليك
فلا تعطني انت حريتي
فقلبي قلب امرأة
من الشرق يعشق حتى الفناء
ويؤمن في حبه بالقيود

فان ذلك كله لم يجعلها – كما صرحت – تعانق عبوديتها ، أي رفضت شاعريتها ان تظل حبيسة حبها للرجل الذي يطلب منها انوثتها ، وانطلقت فوق الحواجز لتصبح شاعرة المقاومة والغناء بالوطن والعمل السياسي .

وهل لم تكن نازك الملائكة الا هكذا ؟

من المحال أن نوازن ، ولكن كلا منهما رفضت أن تجعل شعرها صرخات محمومة أو اشتهاءات مثقلة كالاشتهاءات لمية العراقية في ديوانها الذي يذكرني بسافو ، كذلك رفضت أن تجعله وجدانات مثقلة بالاحداث السياسية العارضة ، لان الشعر الذي ينبض بتطلعات الكون على الاحسن والاروع ينبغي أن يكون صرخة احتجاج من أجل البناء ، وينبغي أن يكون وليد رغبة ملحة في الانعتاق من الحيز الضيق الى الفضاء الارحب ، وذلك من أجل أن يرصد الحقيقة بعينين نافذتين نفاذتين

وكنت اتمنى أن تكون شواعر مصر جميعا – ومنهن ملك عبد العزيز وروحية القليني ولورا الاسيوطي – كشعري ، ولا اقول كنازك الملائكة ، الا انه ليس كل ما يتمنى المرء يدركه .. ومع ذلك فانني اتوقع أن تكون وفاء وجدي قادرة – من قريب – على أن تودع شعرها المجتمع الذي يجد نفسه .. حتى وهي في الغربة .. حتى وهي تغني بصوت رقيق خجول:

الغربة ان يفترق الاحباب وهم احباب
ينتظرون ربيع الحب .

يحلم كل حبيب بجني موسمه الخلابة

●●●

على أن حديث الشعر يطول مع الشواعر ، ومنهن بلا شك من أصبح يزاحم الشعراء .. الذكر كفتلم في التمثيل بهن عاتكة الخزرجي ، وهي شاعرة عراقية أيضا ، تسعد بهـا كاستاذة وكاتبة بليغة في جامعة بغداد .. قدمت ديوان العباس بن الاحنف محققا ، ولعل هذا الديوان قد سيطر عليها وهي تقدمه برقته وشفافيته ، واخذها السحر الذي يلف به الشاعر حديثه من صاحبته فوز ، ومن ثم شغلت بهذه المحبوبة ، ومن المؤكد انها شغلتها كما تشغل نفسها ... وديعة ظريفة ، وكالسكر او العسل او كالاميرة ، او كأنما حب تملي على الرجل نبوءة تحققها له الاجيال :

أديبات وفن

قصرنا حتما ان بعدنا تخبر عنا القرون القرونا

ومع ذلك فان بحث عاتكة عزعوز وصاحبها ابن الاحنف لم يستطع أن يجعل واحدا من النقاد يقول اكثر من أنها « بليغة » أو « تنظم الشعر كما ينظمه كلاسيكيو العصر الجدد » أو « هي من الادباء الذين يكتبون واقعنا العلمي بأحرف رشيقة من ضياء » ·· ولنقرأ على اية حال ديوانها « انفاس الصباح » — على سبيل المثال — فلن نجد فيه اكثر من قشور عن المرأة ، وأما عرامة التعبير فاصل موجود عندها كما هو موجود عند الرجل

● وغيداء مثل الندى طفلة
تكاد من اللين ان تنكسر
● يفوح الصبا مله اردانها
فتغرى الورى بالرحيق العطر
● وتندى من الحسن في جلة
تكاد عناقيدها تنكسر
● وقد نسج الطهر من حولها
حدودا فمن رامها معتذر

فهل يختلف هذا الوصف عما وصف



غادة السمان : الفطنة في الكتابة



فدوى طوقان : صوت شعرى جهير

بة على محمود طه — مثلا — مقلتيه العمياء أو عابرة سبيل أو راقصته ؟

لا أظن ·· كما لا يختلف عن عبارات ناجي الرومانسية التي ربما كانت اكثر رقة من هذه العبارات ·

ومن المؤكد ان عاتكة لم تحتج ان تصطنع اللين او الرقة ، كذلك لم تضع نفسها في مثل ما تضع به النساء أنفسهن ليبدون مرغوبا فيهن او محبوبات مظفرات ·

ولهذا فهي تقدم عطاءها برصانة في شتى المجالات ·· ترجمة أو تأليفا أو تحقيقة او ابداعا ، ولم تكن لتجد الحرج في ان تبدو الشخصية العلمية التي يتضاءل امامها عنفوان الرجل وتيهه ·· وعلى مقاعد الدرس تلقى من تلقى ، فلا تجعله يعتقد أنها امتداد لفلانة او من تلاميذ فلان ، وهي واضحة الاسلوب ، واثقة التعبير ، كانها في العراق سهير القلماوي في مصر ·

وكان العامل الفعال في نفسها من الجبهتين — جبهة الرجال وجبهة النساء — ان تكون متفوقة وتطرق كل مجال من مجالات العلم ، وما اكثر ما قنعت كي تقول : ليس للمجتمع غد اذا اقنعت المرأة بمقعد وثير على شاطيء الماضي البعيد ·

اتراها تخشى عودة المرأة الى عصر الحريم ؟

●●●

ولأكف عن حديث الشعر ، فان للقصة علينا حقا ·· وهنا أتذكر على الفور كوليت سهيل ، ربما لانني من اوائل من كتبوا عنها ، وكان ذلك ايام الوحدة مع سوريا · أو ربما لانها أول من أصرت على أن تكتب



د. سهير القلماوي
تقديم لايديولوجيات العصر

ترجمة المرأة بلا قناع .. أو ربما لانني أحب ذلك الاسلوب القافز الذي يريد أن يصبح من مميزات القصة هذه الايام .. وربما لكل ذلك !

قرأت لهذه القاصة الجريئة روايتها « ليلة معه » فقلت : هذه أول امرأة تريد ان تضع خطوط الادب النسائي في شرقنا المحافظ ! ولكني عندما صورت لنفسي ان بطل القصة لو تهيأ له وكتب مغامرة البطلة فلن يكتبها الا مثلما كتبتها كوليت، هنالك أيقنت ان ما تريد أن تظهر به أمامنا واحد من الاقنعة الكثيرة التي تتقنع بها ـ عادة ـ أديبات العصر ..

وفي روايتها هذه وما صدر لها من بعدها نمط معين من الناس يغرق

أديبات ولكن



د. عائشة عبد الرحمن : خبرت شئون المجتمع واحوال النفس البشرية

بينهم موطن العيش والموقع من السلم الاجتماعي ، ولكنهن جميعا يضمهم شعور واحد بالضعف الجنسي أو باحساس قاهر انهم أسرى الرغبات المكبوتة، ولم يناد احد منهم بالخلاص وانما يحب الجميع أن يرتووا .

هذا بعكس القاصة المصرية الدكتورة نوال السعداوي . فهي تنادي دائما في أعمالها الفنية بالحرية للمرأة ، على اساس انها مكمل للرجل ، وعلى انهما معا محور الوجود والحياة .

لقد دهمت كوليت سهيل قراء العربية بما لم يعهدوه ، وكان لجدة تناولها ـ بالقياس الى القيم البلاغية المتوارثة ـ الاثر القوي في وضعها أمام جويس وبروست وولف .. لا لانها تحذو حذوهم في اعتماد الاعماق واللا شعور وانفراط الكلمات حتى لتعجز الفواصل والنقط عن ربطها ، ولكن لانها جعلت لنفسها اسلوبا خاصا في التعبير والتصوير .. وقد أجمع النقاد الذين كتبوا عنها على انها من خيرة المجددين في الرواية الحديثة



د . لطيفة الزيات :
كاتبة وناقدة . .

وكانت هناك من ناحية اخرى مجموعة من السيدات منهن اللامعة والموهوبة ، او منهن من هي اقل من ذلك .. الا انهـا امتازت بالدل والملاحة ، وبالقدرة على ابداء الحذق والفطنة مع التاكيد على طول الباع فى الكتابة .. من هؤلاء ـ فيمـا تسعفنى به الذاكرة ـ غادة السمان التى كتبنا معا فى مجلة « الجندى » التى كانت تصـدر فى دمشق ايام الوحدة ..

اقول تمكن هؤلاء من بسط سلطانهن على دنيا الادب بما صدرت عنـه كوليت سهيل ، مع اختـلاف الزوايا ومدى عمق التجـربة .. ثم دارت عجلة الزمن ، واستقرتكلمنهن حيث شاءت الموهبةلها ان يكون الاستقرار فكانت النتيجة هذا السؤال التالى :

هب الناس الذين شعروا أو قصوا كن هؤلاء اللامعات الموهوبات الجميلات ترى يتغير الوضع ؟

ان سر التوفيق ليس « طرافـة » الاعمال التى انمثها ـ فان ليـلى بعلبكي قست الاطرف فى كتابهـا سفينة حنان ـ ذلك لان حذق التعبير وجراة التناول وتعرية الموقف الانسانى لا تكفى .. بل يجب ان تضاف اليها الروح بحيث تمتزج امتـزاج اللون بالماء على لسـان النور ، ولم تكن كوليت سـهيل ـ حتى ولا غيرها ـ بقادرة على أن توجد الادب الانثوى الذى يجعل مزارع كوم امبو وتاجر ببيروت وبحـار الخليج العربى ، يتشاطرون مصير المراة .

لم تبهر شخصية كوليت سـهيل الناس الا بجراتها ، وان ظلت امامهم موهوبة فى التنسـيق بين المواقف وربط بعضها ببعض ، وحفز الجميع الى الالتفاف حولها .

كانت تفتقر الى الصفات الخاصة التى يمكن أن تفردها بعيـدا عن شكيب الجابرى وسهيل ادريس ، ومع ذلك بما تمتعت به غادة السمان وهو حب القراء لها ، لانهـا امراة تكتب كما يكتب ابرع الرجال !

●●●

وفى مصر مجموعة من سـيدات القصة لا ارانى فى حاجة اليهن جميعا ثمة سهير القلماوى وآخر ما كتبته منشور فى مجمـوعة « قصص من مصر » وقد نشر فى الستينات، وثمة صوفى عبدالله ، وثمة نجيبة العسال، وثمة اخريات تلمع بينهن الدكتورة لطيفة الزيات أستاذة الادب الانجليزى ببنات عين شمس .

واشهد انها الوحيدة التى جعلتنى اشعر فى اعمالها القصصية انهـا تفكر افكار سيدة وتنفعل انفعـالات امراة ، وكانهـا لا تريد الا تكسـر النظرية التىاقترحها ارسطو واوردتها

سيمون دى بوفوار فى كتابها « الجنس الاخر » وهى بايجــاز : المرأة امرأة لنفس فيها !

كما اشهد انها هى والدكتورةسهير القلماوى من القمم التى تزدهر عندها الدراسات الادبية والنقدية ٠

وبرغــم ذلك فان الناقد المقتحم مجالات الخفاء ليستشعر انها تقــدم الرواية وفى اعماقها شىء اسمه خوف العرف والتقاليد ٠٠ وهذا مما يكبلها مع انها لو تهيأت بجرأة كوليت سهيل لقدمت بسهولة القصة التى يمكن ان تجعلنا نقول : هذه قصة امرأة !

وفى رأيى ان « الباب المفتوح » هو العمـــل الروائى الذى نبه فى خطورة لطيفة ٠ قامة احتجاج تواجه به البطلة الموقف المجتمعى فى شجاعة وصراحة واصرار ، حتى لتحطم كل شىء وترفض الحب المعروض عليهـــا من عسلم قريبها ، وتختار فى نهاية الامر ان تشارك فى كفاح مصر بعد الغاء معاهدة ١٩٣٦ ٠

على ان المضمون لم يكن كل شىء ـ فقد ازداد هذا المضمون عمقا على الايام ـ وانما هناك الشـــكل الذى يقوم اساسا على التحليل ، بشرط الا يخل ذلك التحليل بترابط الحوادث٠٠ وظاهرة الترابط هذه مفقودة فى الغالب الاعمال القصصية هذه الايام ، بحجة التجديد وعلى اساس الدعـــوة الى السير فى طريق اصحاب « اللا قصة » وما اكثر هؤلاء الذين طرقوه ٠٠

●●●

ولقد عرضت هنا لمحـــا للدكتورة نوال السعداوى ، الترى يجعل بنـا ان ندعها وهى من هى اليوم فى فن القصـــة ؟

ان من يتابع نوال السعداوى منذ كانت تقدم قصصها القصيرة والى ان اصدرت « القـــالب » ثم « الخيط والجدار » ليأخذه الدهش حقا بهذه البراعة التى يدعمها العلم والذكاء ٠

لقد قرات منذ ســـنوات هجوما عليها لانها تجتر صورا متكررة ، من قبيل المـــرأة التى تخطف الازواج ، وعن سوسو الكوافير ، وهذه ليس وراءها الا التفســـخ والســطحية والمحـــاولات اليائســـة لتصوير على ما وراء الاستار ٠٠ الا انها اليوم ـ فيما اعتقد ـ لا تحظى بمثل هذا الهجوم ، لانها حتى فى تحليلاتهـــا الجنسية تستدرجنا علميا الى كل جليل

انها نجحت بعد سنوات المحاولة والدأب وفى اطار نقدات الدكتـــورة لطيفة الزيات لها فى الوصـــول الى ما يريده القاص الناجح ، وتقـــدر اليوم بسهولة على ان تشدنا معهـــا الى الاعماق وترافقنا معها ازاء حالات شعورية ولا شعورية لا ندرى الا انها ضرب من الافضاء والمعرفة ، وتبتعد تماما عن ان تكون افراز مشـــاعر وتصيد انطباعات ٠

وكما ان « الباب المفتوح » قدم لنا الدكتورة لطيفة الزيات كاتبة قديرة ، فان رواية « الغـــائب » القصيرة

قدمت لنا نوال السعداوى مقتحمة بها كل ما لا ينبغى ـ ظاهريا ـ الا يقتحم تحت شعار التحرر والانعتاق .. وبرغم انها حوكمت ادبيا واثبتت فان نتاجها يحق ويدل على انها «عاقلة» و «هادفة» حتى مع الجنس وعلى اصداء النزوات المختلطة باللامبالاة

واشكال القصص التى تضمها مجموعتها الخطيرة «الخيط والجدار» تكشف عن الطبيبة الذكية والفنانة التى لا يهمها كثيرا الاجتراء على الانماط المعتمدة على السرد والحبكة او على المفارقة وما يجرى مجراها .

وانا لا ازعم انها حطمت كل قواعد الفن الموروثة ، بل لا ازعم انها كمرجريت دورا او ناتالى ساروت تهدر عنصر الزمن لكسر العمود الفقرى الذى تحدث عنه فورستر فى تقويمه للقصة .. وانما ازعم انهما تحترم الفنان فيها ولا يعنيها التقليد كثيرا .

نازك الملائكة :
شاعرات العراق والعرب



شخصية عجيبة حقا . وقصتها «الكلب» التى وردت فى مجموعة «الخيط والجدار» تبدو كما لو كانت النافذة التى تحدد لنوال مدى رؤيتها ، ومع ذلك لا بأس اذا كانت ثمة قوى اخرى باطشة . وقد تصورها لشخصية العمدة أو شخصية المدير او حتى الجلادون او نفس المجتمع الذى يقيم حول كل مخلوق جدارا من حديد ...

ولقد قرأت للدكتورة لطيفة الزيات تحليلا نقديا لقصتها «الكلب» فتمنيت ان تقوم بتقويم كل اعمالها . لا لان الدكتورة اكاديمية تعرف نوال السعداوى الطبيبة ، ولكن لان للدكتورة لطيفة من الطاقات القاصة ما يجعلها تحسم فى موضوع فنية نوال .

●●●

وبعد ، فماذا وراء كل ذلك ؟

لا ارى .. الا ان التيار القصصى الذى تسير فيه القاصات لم يعد مجالا للامتاع ولا امتدادا لاحاديث الجدة وتزجية الفراغ ، وانما اصبح ميدانا تخوضه المرأة محتجة لتصعد مع الرجل بناء المجتمع الجديد ..

والذى لا يكون امام هذه المرأة التى اصبحت كالرجل تماما الا ان تمضى على الطريق وتكتب فيما لم تكتب فيه حتى اليوم .

اقول ان المسرح بمناظرها ، فان ترددت او خافت عنف التجربة او خطورتها ، يكون لنا الحق فى ان نقول : نعم لدينا اديبات ، ولكن واحدة منهن لم تستطع ان تكمل الشوط ، فضلا عن انهن لم يفارقن الطرق التى شقها الرجل بعرقه ووجدانه .

هاشم عثمان

الأدب النسوي في لبنان

لندع جانبا الرائدات ، وردة اليازجي ، زينب فواز العاملية ، اليس بطرس البستاني ، حنة كسباني كوراني انيسة الشرتوني ، عفيفة صعب ، حبوبة حداد ، ماري ينى ، سلمى الصايغ و .. اخريات ..

فان الادب النسوى اللبناني ، يعيش اليوم في حالة انفصام الشخصية . مولود واحد بشخصيتين مختلفتين لا تتشابهان البتة . الشخصية الاولى عربية السمات ، والشخصية الثانية غربية الملامح والبصمات ، وهذه تتجلى اكثر ما تتجلى في الشعر ..

يمكن القول ، ان الكتابة بالاجنبية هي نتيجة لتغريب الثقافة وقطعها عن مجالها العربي ، ولعل واقع الثقافة في لبنان يهييء لمعارضة الثقافة الوطنية واللغة الام ، وهذا الواقع يتجلى في سيطرة المؤسسات الثقافية الاجنبية على التعليم ، وفي تركيبة المناهج التربوية . وفي هذا المناخ نشأ اجيال شديدة الصلة بالثقافة الغربية تقلد الغرب وتتبنى ثقافته وعاداته وأساليبه وتتغرب عن واقعها (١)

ومهما يكن الامر ، فالادب النسوى المكتوب باللغة الاجنبية واقع قائم لا يمكن تجاهله ، ظاهرة جديرة بالاهتمام وبالدراسة .

وفي مجال القصة والشعر ، برزت اقلام نسوية نشطة . اثرت الادب العربي بنتاجها .

وفي مجال القصة القصيرة ارتفع اسم نورا نويهض حلواني الصحفية العريقة صاحبة مجلة (دنيا المرأة) المحتجبة . عنوان مجموعتها القصصية (رياح الشاطىء الاخر) . القصة

---

(١) ملحق النوار الاحد الاسبوعي العدد ٤٣١٤ تاريخ ١٩٧٢/١١/٥



ليلى عسيران : قصة « خيط الأمس » تشكل تحولاً جذرياً في ادبها ..

عندها حس انبثق في اعماقها وسرى في دمها وعروقها (١) وهناك عايدة مطرجي ادريس ، سكرتيرة تحرير مجلة الاداب وزوجة الدكتور سهيل ادريس صاحب هذه المجلة · اصدرت (الذين لايبكون) مجموعة قصصية كما نقلت الى العربية بعضا من اثار سارتر(عاصفة على السكر) وسيمون دى بوفوار (انا وسارتر والحياة ـ الصور الجميلة ـ قوة الاشياء) وكامو (قصص كامو) ·· ولور غريب لها (الليل شوك حول قدميه) وقصص هذه المجموعة ترزح تحت كآبة عميقة، ولكنها كآبة مقرونة بالتمرد العنيف على اشياء كثيرة (٢) · ويلاحظ ان القصة عند لور امتداد وجداني يختلط بهذيان الشعر · فيدخل الشعر في بناء القصة ، ويضيع الهيكل الواضح الذى ترتكز عليه الحادثة (٢) ·

وقبل هذه المجموعة القصصية ، نشرت لور مجموعة خواطر شعرية بالفرنسية بعنوان Noir les bleue

ومن اللاتى مارسن كتابة القصة القصيرة ايضا ، صوفى المتنى وصدر لها (قصص من لبنان) ولورين الريحانى (قصر الغيوم وأساطير اخرى) وعدى خورى (طائر بلا جناح) وحنان الشيخ (انتحار رجل ميت) ··

***

اما فى الرواية ، فان عدد الكاتبات يزداد : سميحة كحلوني وأصدرت (عذبوني ـ حبيبى ـ الدفين الحي ـ لبنات اللامس ـ امرأة ضائعة ـ اعترافات فاشى) ·

ومنى جبور (فتاة تافهة ـ القربان والمسوخ البيضاء) وابريزا المعوشي (هل اغفر له ـ انا من الشرق) وأمية حمدان (وانتظر) وهند سلامة (زلة جسد) وكاترين معلوف (غصة في القلب) ورفيف فتوح (لا شيء يهم) وهيفاء موغو الدالاتى (تائهة فى بيروت) وبلقيس الحومانى (فى الحجى) وادفيك شيبوب (الطبيب الصغير) ·· وغيرهن ··

جميعهن كتبن باللغة العربية ·

وريما علم الدين (من الربيع الى الصيف ـ الشمس الصامتة) ـ بالانجليزية ـ ودنيز عمون (اللجام) ـ بالفرنسية ـ الا ان اكثر الاسماء لمعانا اليوم : ليلى بعلبكى ، ليلى عسيران ، نور سلمان ، واميلى نصر الله ·

● **درست ليلى بعلبكى الادب الشرقي في الجامعة اليسوعية ، وانتقلت الى السربون لاتمام دراستها· عملت في الصحافة مدة من الزمن · كتبتجوهي فى الثامنة عشرة من عمرها**

---

(١) وداد سكاكيني ـ الاديب ٦٤/٤

(٢) عيسى الناعورى ـ الاديب ١٩٦٦/١

(٣) رياض نجيب الريس ـ حوار ١٩٦٤/٨

قصة رجال من واقعنا وأرضنا يستشهدون وهم يقبلون سلاحهم ويعانقون الارض بدمائهم (١) ..

● وقدمت نور سلمان للمكتبة العربية مجموعة قصصية (يبقى البحر والسماء) ورواية (فضحكت) من السهل ان يلاحظ القارىء انها كاتبة اسلوب . تكتب الكلمة من اجل الكلمة نفسها ، لا من اجل أن تؤدى اى معنى او تتوصل الى نتيجة ، الكلمة عندها اداة من أدوات الترف اللفظى او الزينة اللغوية . المهم فيها أن تأتى جميلة اللفظة موسيقية المعنى، خفقية الجرس (٢) .

● اما النكهة المتميزة فى الرواية فنلمسها عند اميلى نصر الله . حيث جو القرية اللبنانية ، وحياة فلاحيها، ومشاكلهم المحور الاساسى فى كتاباتها ونظرا لكونها ولدت فى أحدى قرى لبنان،فقدكتبت عن الناس الذين عرفتهم، والتقاليد التى خبرتها ، والمشاكل التى اعترضت سبيلها منذ فتحت عينيها على ذلك المجتمع بالذات (٣) .

فازت روايتها الاولى (طيور أيلول) بجائزة جمعية اصدقاء الكتاب لعام ١٩٦٢ . كما نالت عليها جائزة سعيد عقل الشهرية . جاء فى قرار منحها جائزة سعيد عقل ما يلى ، حكاية قرية من قرانا ،مؤلف غير عادى يغنى ادبنا القصصى الفنى . الارض تعيش وتتألم كامرأة تحب ، والبشر يرتطمون بقدرهم

مقدما قبل ان يذهبوا بعيدا فى قلب المغامرة . هو الجيل فى حقبة قريبة العهد . منظورا اليه من خلال الحب اللاهى بانشدة الصبايا ، سبر اغوار، ومسحة حزن لا تنقطع ولون فى الفرح وغالبا بث شعرى اخاذ . وفى الحالات جميعا ، فلم نظيف كانما القدر نفسه عجز عن تلطيخ الجمال فى لبنان » .

روايتها الاولى (انا احيا) التىجعلت العيون تتفتحعليها لجرأتها وصراحتها المكشوفة . حتى انها لقبت بفرنسواز ساجان الادب العربى . ثم نشرت روايتهاالثانية (الالهة الممسوخة)ومجموعة قصصية (سفينة حنان الى القمر) اثار ظهورها ضجة فى الاوساط الرسمية كان من نتيجتها ان ادعت النيابة العامة الاستئنافية على الكاتبة ، لان هذه المجموعة تضمنت عبارات منافية للاخلاق والآداب العامة .

الحب هو المحور الذى تدور حوله اكثر كتاباتها . وليلى تنزع عن اشخاص قصصها ثيابهم وجلدهم ثم تضعهم عراة بين الاشياء المحيطة بهم والتى يلامسونها .

● اما ليلى عسيران ، زوجة رئيس الوزراء السابق الدكتور امين الحافظ ، فقد نشرت الروايات التالية:

(الحوار الاخرس ـ عصافيرالفجر ـ لن نموت غدا ـ خيط الافعى) من بين رواياتها تمثل (خيط الافعى) تحولا جذريا فى ادبها . ذلك لانها تحكى فى هذه الرواية قصة الموت البطولى لشخصيات حية جسدتها الكاتبة بكل صدق بعد أن عاشت اجواء روايتها على ارض المعركة . حيث لا لغة الا لصوت الرصاصوالموت . انها

---

(١) الاسبوع العربى / العدد ٦٥٦ / ١٩٧٢ ..
(٢) رياض نجيب الريس / حوار ٨/ ١٩٦٤
(٣) البلاغ ٩٨ / ١٩٧٣ ..

وكانت روايتها الثانية (شـجرة الدفلى) • والروايتان تمثلان انعطافا مهما في الادب النسوي اللبناني •

***

اما الشعر فانه يسير في اتجاهين: عمودي ومرسل ••

تمثل باسمة باطولي الاتجاه الاول. بزغت هذه الشاعرة فجاة فشدت الانظار اليها • سافرت الى السنغال بعقد مع وزارتي الخارجية والتربية اللبنانية لتأسيس مركز ثقافي لبناني ودار للمعلمين في العاصمة داكار • ومنذ سافرت لفها الصمت •

من قصائدها المنشورة هذه (قطار الاماني) :

لا تعجل ليسـهر القنـديل
ودع الليـل باشتياقي يطول
فانتظار الجنـان اطيب منها
اوما بالشعاع خط الافول ؟
انا اخشى على برد ارتوائي
عندنا بالغليـل يروى الغليل
فامض حيث الدروب تنأى ولا
ينهب عن نغمة العذاب الوصول
وابق في الافق للاماني شبابا
ينعم الطـل ان عراها ذبول
فتراني كمـا يشتهي سراب
او يملي ما تعلم المجهـول
لا اولي كموسـم يانع عقر
خديه في الصباح الاصيـل
وصـحيح انا اذا ما اردنا
بالهوى نستطيع ما يستحيل
انما الحب ليس يرضى اقتدارا
وطريق الهناء عجـز جميل
انا ان يشقني قطار هيامي
فالذ الوجود ذاك الرحيـل

اما الاتجاه الثاني (الشعر المرسل) فان انصاف الاعور معضاد من ابرز الاسماء • وانصاف واحدة من ست شـاعرات (ناديا تويني ، فينوس خوري ، فريط بغدادي ، كريستيان صالح ، مي المر) اختيرت قصائدهن لتنشر في (مختارات عالمية من الشعر النسائي) • وهي الوحيدة بينهن التي تنظم بالعربية • وهـذا مقطع من القصيدة التي اختارتها اللجنة لتنشر في مختارات عالمية من الشعر النسائي :

اقبلت ذات ليلة
كانت ثاني ليلة الميلاد
من وجهك المفرد
ومرت آلاف الوجوه فيه
والماء المقدس يتساقط من عيون الجياع
ومريم تقف على باب المغـارة تلملم الماء
وعلى البكاء في رءوس الاصابع
كل اصبع تحمل جرحا مجنونا
ينسكب ظلل في لحظة
يتحول الى نقطة تعاسة
في انسكاب الضوء فيه

قيل فيها « انصاف شـاعرة ، تحمل ازمتها واشـجانها الى قلب العالم وتتمرغ على سواحل كلماتها، تبعث في ذاتها دفء الليل والنهار وهي نادرة تمد وجه فراغها بانامل قصائدها ، مباركة هي الاحلام في قصائدها ذات الجـرس العـذب ، حيث يقام مهرجان الحقلة العذراء ، لنيسان القادم في كل سـطر من ابياتها ،.انها احدى دور الشـعر في تاج لبنان » (١)

ومن الشـاعرات ايضا انديك جرديني شـيبوب ، عندما صـدر ديوانها الاول (بوح) لاقى ترحيبا من النقاد قيل فيه « جاء بوح النشيد الانسـاني الخالد ، لتمجيد السمو الروحي من خلال العاطفة الانسانية ، وهي تجنب العالم الرذيلة والانحطاط الروحي والوجـداني » (٢) وحمل

---

(١) الاب يوسف سعيد ـ الاديب ١١/١٩٧١ •
أصدرت انصاف الدواوين التالية :رفات قلب ـ الله والحب ـ اليابس ـ هي الاولى هو الاول •
(٢) زهيـر بورحيلي ـ الاديب ١٠/١٩٦٣

ديوانها الثانى (شـــوق) لهفتها وتوقها الادبى الذى صقله الفن ومحنة التجارب ففاض الشعر من وجدانهـــا على ســـجيتها ونظراتها للطبيعة والحياة ، وكانت انسانيتها الصافية تنساب فى الفاظها ومعانيها دون معاناة أو تكلف (١)

وهذه احدى قصائد ديوانها شوق:

آه هلذا ساغنى
جفت الخمر بيلى
مسنى فنك مريب
ان لحنى سام للعاشقين

ونشاز الوقع فى اسماعهم
ها انا امضى ... وامضى
اترك السلاح لغيرى
للالى يأتون بعدى
يا حبيبى ...

وعلى شاطىء بحر الشعر ايضا ، ارست «ادبل الخشن» سفينتها وطالعتنا بقصـــائد فيها طلاوة وحلاوة وايحاء لاعيب فيها ، الا انها معجونة بالرمزية .. لنستمع الى هذا المقطع :

تنتهى الاغانى فى حناجر العصافير
ونشيدى لا ينتهى ،
انا الارض ، والفصول الحائلة
وعبير الشباب المتسلل
يتمدد ندائى اليك !!

ولئن كانت ادبل الخشن لم تجمع قصائدها فى ديوان ، فان جورجيت هاشم جمعتها فى ديوانها (خصر) ومثلها فعلت هلد سلامة (لمع _ دفتر الحب) وعلياء دلاتى (علياء) وهدى صليبا (انت لولاى رماد) ودعـد كيالى (ولم تمطرى يا غيوم)
ومنذ سنوات قليلة ، نبت اسم جديد فى سماء الشعر النسوى · هدى اديب ابنة البير أديب صـــاحب مجلة الأديب · وهدى شـــاعرة باللغتين العربية والفرنسية · صـــدر لها باللغة الفرنسية (جملة معترضة _ وقفة قلقة) كما صـــدر لها باللغة العربية (ثلاث مكعبات _ الشارع ، المدينة ، الرقم)

وهذا مقطع من احدى قصائدها :

كان لى شجرة عشش فيها سوط العاصفة
كان لى المدينة الراحلة
ساحيطك بصمود محدق
ساحتفل بنزع حجم الحقيقة
ساحتل عرى قبضتى
واغمس فيها جبينى
كل منا على ظهره مخـــــزن للذكريات

وفى لبنان تيار آخر للشـــعر النسوى ، هو المكتوب بالفرنسية وهو الاهم · ولشاعرات لبنان بالفرنســـية ســـمعة عالية · وهن حظين بأرفع الجوائز الادبية فى فرنســـا وسواها من دول العالم الغربى · مثلا نالت « مى الر » على ديوانيها (تحنى رأسها السنابل _ الكلام على قطرة حب) جائــزة أهل القلم لعـــام ١٩٧٠ . ومنحت نيللى جدعون جائزة ادغاربو على ديوانها (على وقع الهنيهة) ونالت فينوس خورى جائزة جمعية ادباء فرنسا لعام ١٩٦٩ على ديوانها

(١) وداد ســــكاكينى _ الاديب ١٠/١٩٦٣



ليلى بعلبكي : الحب محور تدور حوله كتاباتها ..

(الارض الراكدة) واهم الاسماء اللامعة في سجل الشعر المكتوب بالفرنسية : ناديا تويني – فينوس خوري – فريدا بغدادي – نيللي جدعون – كريستيان صالح – ايثيل عدنان – سامية توتونجي – كارول غريب · وغيرهن ··· ،

❋❋❋

وسأتكلم عن اثنتين فقط – توفيرا للوقت – ناديا تويني ، وايثيل عدنان

اهم ما يميز شعر ناديا الالتصاق بالذات والعمق والغرابة · فهي سوريالية · قصيدة (عفونة فخمة) تعطي فكرة عن اتجاهها الشعري :

ايمكن رد الصحراء عن الذهاب مع جسدك

العاري كصلاة
ايها العفونة الفخمة
كل يوم قيامة
يتواطؤ مع الارض
وجميع الذين لا علاقة لهم بالشمس
يصدرون صوتا سائلا
والليالي
هنا وهناك
لها طيران عصفور في العيون
وانا ابكي طوال نجمة
ذلك الذي سليقي موتي ·

بقي ان نعلم انها اصدرت الدواوين الشعرية التالية (حزيران والكافرات – القصائد الذكر – عصر الزبد)

اما شعر ايثيل عدنان فهو حاد كوخز الابر · يمتاز بصوره الغريبة ورمزيته · صدر لها اخيرا قصيدة طويلة بعنوان (بيروس) نقلها الى العربية ادونيس ·

❋❋❋

وثمة اديبات غير من ذكرت ، منهن سلوى الصافي (حديقة الصخور) وروز غريب (صندوق ام محفوظ) ووداد قرطاس (دنيا احببتها) ومي الريحاني (حفر على الايام) وبيتا مروه (الزوجة الفنية) وغيرهن كثيرات

ولا غنى عن القول ، انه تعيش في لبنان الآلام نسوية وفدت اليه من الدول العربية الاخرى ، رفدت الادب النسوي اللبناني بدفق جديد · ابرزهن خالدة سعيد صاحبة الكتاب النقدي الرائد (البحث عن الجذور) وهدى نعماني (قصة حب) كلثوم ملك عرابي (مشردة – اجراس الصمت – القنابل جعل قمح القدس مرا – اللاشيء) وهدى زكا (مسرحية المسير الطويل وغيرها) ···

● هاشم عثمان ●
● لبنان ●

نساء ملهمات

محمود يوسف

المرأة منذ الازل مصدر وحي والهام . ولها على الادب والفن والشعر فضل يذكر لها فتشكر، والمرأة والطبيعة صنوان طالما سايرت كل منهما الاخرى وجعلت منها كتابا مفتوحا للادباء والشعراء يصوغون اشعارهم بين احضانها او يستلهمون الوحى من جمالها ، ويشبهون عطر انفاس المرأة بنسيم الطبيعة ، ونغمات صوتها بتغاريد الطيور ، وجمال وجهها بالقمر وسواد شعرها بالليل وتنهداتها بتلاطم الامواج ...



● قلم الصالحية ●

كانت قلم الصالحية حلوة حسنة الغناء والضرب، حاذقة ذات جمال بارع وملاحة فائقة وكانت امينة وفية ، اخلصت لسيدها صالح بن عبد الوهاب الذى احبها وعززها وكرمها حتى ذاع صيتها ، وردد القوم اغانيها . واشتد حبها لصالح ومنعها الحياء من أن تبوح له بحبها ... ولما الحت عليها الرغبة فى التعبير عن حبها ، جلست تناجى نفسها وتقول :

فى انقباض وحشمة فاذا
صادفت اهل الوفاء والكرم
ارسلت نفسى على سجيتها
وقلت ما قلت غير محتشم

وما كاد صالح يسمعها حتى نهض من مكانه فرحا يقول : فضحك الغناء يا قلم لقد احرقت قلبك ، فما الذى

به ؟ •• فابتسمت فى حياء تقول : مثل الذى بك ••

وفى نشوة وفرحة ردد صالح :

ــ الحمد لله فقد حقق الله لى الامل بحبك •

وفى دلال اجابت قلم : انسيت انى امتك ؟ وبلا شعور قال لهـا صالح : « وانى عبدك » ثم راح يردد : « وانا يا قلم عبدك » •••

فاقتربت منه وفى حنان قالت : كيف وقد ولدتك امك حرا ؟ فقال « تقولين يا قلم انك امتى واقول انا عبدك ، وهل جزاء الاحسان الا الاحسان •• ؟ فاجابت : « لقد اشتريتنى بمالك واشتريت نفسى بقلبك وحبك ، فانا منك واليك ، والله على ما اقول شهيد » •

وكانت قلم عند وعدها ، فاخلصت له الحب حتى فى احلك الايام التى مرت على صالح ، فذاع صيتها وضرب المثل فى وفائها وحبها واخلاصها •

وعلم الواثق بامرها فابدى الرغبة فى رؤيتها ، وكان له ما اراد بعد تردد منها ، وفى مجلس الواثق طلب منها الغناء فقالت بعد ان رأت على وجه صالح علامات الموافقة :

لقد فاز ذو الدنيا وذو الدين
بدولة الواثق هـارون
وعم بالاحسـان من فعله
فالنـاس فى خفض وفى لين
ما اكثر الداعى له بالبقـا
واكثر التـالى بامـين

فالتفت الواثق الى صالح بن عبد الوهاب الذى قال : « اما اذا وقعت الرغبة فيها من امير المؤمنين فما يجوز ان املك شيئا له فيه رغبة ؟ وقد اهديتهـا الى امير المؤمنين ، فقال الواثق : قد قبلتها ••

ثم امر ابن الزيات ان يدفع اليه خمسة الاف دينار ••

وانصرف صالح دون ان ينـال الخمسـة الاف ، وبقيت قلم على مضض ، ولم تفصح عن حقيقـة موقفها من صالح الذى حررها ، وفضلت الصمت وقبلت ان تباع لتنك بثمنها ضيق حبيبها •

ومرت الايام وهى تفكر فى امـر صالح الذى انقطعت اخبـاره عنها ، حتى شاءت الظروف ان تعرف حقيقة امره وانه لم يتسلم الخمسـة الاف دينار من ابن الزيات •

وذات ليلة جلست للغناء بين يدى الواثق ، فقال لها : « بارك الله فيك وايمن رباك ••• » واندفعت الكلمة على عجل وقالت : « يا سيدى وما نفع من رباني ولم يناله منى الا التعب والغرم على والخروج منى صفرا ؟ » فقال لها : « او لم امر بخمسة الاف دينار ؟ » قالت « بلى ولكن ابن الزيات لم يعطه شيئا » •• فنادى على ابن الزيات وانبه على تأخيره ، وامره بان يضاعف له الثمن ••

وفرح صالح بالعشرة الاف دينار ، وذهب الى قلم يشكرها ، ونصحته بشراء ضيعة ليجعلها معاشه ••وفى حب وود قالت قلم لصالح : « اطمئن فان روحى ستظل وفية لك وقلبى لن يكون لغيرك ••• » •

وعاشت قلم حتى لقيت ربها وفية لحبيبها دون أن ينال منها غيره •

● هند بنت عتبة ●

لما بلغت هند بنت عتبة سن البدر • •• واكتملت انوثتها ، رآها مسافر بن ابى ربيعة ، فهام بها حبا •

وكان مسافر من فتيان قريش جمالا وشعرا وسخاء ، ولما التقى بها نظر

اليها فى شرود قائلا : جلت صنعة الصانع . يزيد فى الخلق ما يشاء .. فضحكت هند قائلة : مم ذاك .. فاجاب : « مما يبهرني من حسنك وراعني من جمالك » .

وفى ندم وحسرة قالت هند : « وما رأيك فى حسن يحول وجمال يزول ؟ .. يا مسافر اراك شاعرا رقيقا وشابا وسيما وأخشى اتهام الناس لنا » ..

فقال مأخوذا : وماذا يفيد اتهام الناس لنا ما دام الحب بيننا ؟ .

ثم تلعثمت هند فى القول تردد : « أنسيت يامسافر وعد أبى للفاكه بن المغيرة ؟ ولا بد من أن أحترم كلمة ابى واعمل على تنفيذها » .

واحترم مسافر رغبة هند ، وانصرف وفى قلبه لوعة .

وكانت هند عند حسن ظن ابيها بها ، وتزوجت من الفاكه وكان شديد الغيرة عليها لعلمه بأنها كانت تحب مسافرا ، ولما كانت عليه من سحر وجمال .

وحدث ذات يوم عندما كان الفاكه ابن المغيرة ف بيت له من البيوت التى يغشاها الناس من غير اذن . وعندما خلا البيت اضطجع هو وهند ثم نهض لبعض حاجته ، واقبل رجل ممن كان يغشى البيت فولجه فلما رآها عاد من حيث اتى ، وأبصره الفاكه فاقبل الى زوجته فضربها ، حيث شك فى أن الرجل الهارب كان مدبا ثم خارجا من تنبيه .

وكثر القول وتكلم الناس فيها فعز على أبيها ان تكون ابنته هكذا ، فنادى عليها وقال : « ان الناس قد اكثروا فيك فانبئيني نبأك فان يكن الرجل عليك صادقا ، دسست عليه من يقتله فتنقطع عنك المقالة ، وان يك كاذبا حاكمته الى بعض حكماء اليمن .... »

واسلمت امر نفسها لابيها الذى اعلم الفاكه بما استقر الرأى عليه فخرج الفاكه فى جماعة من بنى مخزوم وخرج عتبة فى جماعة من عبد مناف ومعهم هند ونسوة .

ولما شارفوا البلاد تنكرت حال هند مما اثار الشك فى قلب أبيها فقال : انى ارى ما حل بك من تنكر الحال ، وماذا الا لمكروه عندك ؟ قالت : لا والله يا ابتاه ماذا لمكروه ولكن اعرف انكم تأتون بشرا يخطىء ويصيب ولا امن ان يسمنى ميسما يكون على سبة ، فقال : انى سوف اختبره لك .

ولما مثلوا امام الرجل العراف اختبره عتبة فى عديد من الاشياء . ولما اطمأن اليه قال : انظر فى امر هؤلاء النسوة ، فجعل الرجل يدنو من احداهن فيضرب بيده على كتفها ويقول : انهضى .. حتى دنا من هند فقال لها انهضى غير رشحاء ولا زانية ولتلدن ملكا يقال له معاوية ، فنهض اليها الفاكه فأخذ بيدها فنثرت يدها منه قائلة : اليك عنى ، فوالله لاحرص ان يكون ذلك من غيرك .

وطلقت منه وتزوجها ابو سفيان .

واقبل مرة ابو سفيان من حرب الى الحيرة فى بعض ما كان يأتيها فلقى مسافرا وسأله عن قريب وعلم منه ان هند بنت عتبة تزوجته .

فانصرف مسافر يردد :

الا ان هندا اصبحت منك محرما
واصبحت من ادنى حموتها حما
واصبحت كالمقمور جفن سلاحه
يقلب بالكفين قوسا واسهما

واشتد حزن مسافر واصيب بمرض حار الطب فى علاجه حتى لقى ربه

.. ولما علمت هند خبره رددت قول أبى طالب بن عبد المطلب فى رثائه :

ليت شعرى مسافر بن أبى عمـــرو وليت يقولها المحـــزون
رجع الركب سالمين جميعـــا وخليلى فى مرمس مدفـــون
بورك الميت الغريب كما بـــورك نضر الريحان والزيتـــون

● عقيلة بنت الضحاك ●

لعل من أطرف قصص وفاء المرأة قصة عقيلة بنت الضحاك التى أحبت عمرو بن كعب وأخلصت له ثم هجرها وسافر ، فلما طالت غيبته توهمت انه قد زهدها وأحب غيرها ، وأحســت برغبة ملحة فى الرحيل اليه تتعــرف حاله وتطمئن عليه فى بلده اليمان . فلما خرجت الى فناء دارها رأت ناقة تحت ظلة من النخل ولقفة ، واذا بها امام رجل يقف فى تردد واضطرات، فالتفتت اليه دهشة وقالت : لمن هذه الناقة ؟ فقال الرجل : هذه ناقتى .

ولما عرفت انه من حنظلة وانه من بنى نهشل قالت له : انت اذن ممن عنامم الفرزدق :

ان الذى سمك السماء بنى لنـــا بيتـــا دعائمه اعـــز واطـــول
بيتا بناه لنا المليـــك وما بنى ملك الســـماء فانه لا ينقـــل
بيتا زرارة محتب وفنـــائه ومجاشـــع وأبو الفوارس نهشل

فقال : نعم جعلت فداك ...

ولـــما رأت الوجـــوم على وجهه أرادت أن تخفف عنه ماهو فيهقائلة: لاعليك فان الناس يقال فيهم ويقولون ... ولكن أين تؤم ؟

فقال : اليمـــان ... فانتفضــت الصعداء قائلة : ما هى تلك أمامك ثم انشأت تقول :

تذكرنى بلادا خيـــــر اهلى بها أهل المـــروءة والكرامـــة
الا فتى الالـــه اجش صوبـــا يسح بدره بلد اليمـــامة
وحيا بالسلام ابا نجيـــــد فاهل للتحية والســـــلامة

لما سالها أهى ذات خدان أم ذات بعل .. انشأت تقول :

اذا رقد النيام فان عمـــرا تؤرقه الهموم الى الصـــباح
تقطع قلبه الذكـــرى وقلبى فلا هو بالخلى ولا بصـــاح
سقى الله اليمامة دار قـــوم بهـــا عمـــرو يحن الى الرواح

ثم سالها عن عمرو ومن يكون ، فانشأت تقول :

ســـألت ولو علمت كففت عنـــه ومن لك بالجواب سوى الخبيـــر
فان تك ذا قبول أن عمـــرا هو القمر المضيء المستنيـــر
وما لى بالتبعل مســـتراح ولو رد التبعل لى أســـيرى

ثم سكتت عقيلة لحظة وكأنها تنصت الى حديث ... وفى رنة حزن رأسى قالت :

بخيل لى هيا عمرو بن كعـــب كأنك قد حملت على سريـــر
يسير بك الهوينى القوم لـــما رماك الحب بالعلق (١) العســـير
فان تك هكذا يا عمـــرو انى مبكرة عليك الى القبـــور

وفى لمح البصر فاضت روحها ،وهى تردد الشعر عن حبيبها ..

● فاطمة بنت عبد الملك ●

كانت فاطمة بنت عبـــد الملك فى شبابها تحب الأدب وتروى الشعر ، وكان أسلوبها يمت بصلة وثيقة الى الرصانة والهدوء العلمى ، شـــأنها شأن أولئك الذين انقطعـــوا للدرس ووهبوا أنفسهم للعلم .

---

(١) العلق : الهوى

وعرفت فاطمة عن عمر بن ابي ربيعة انه فاضح الحرائر فأرادت أن تلقنه درسا فبعثت اليه بسيدة جميلة اتفقت معها على الاسلوب الذى تتفاهم به معه وذهبت السيدة الى عمر بن ابي ربيعة وأخبرته بانها على استعداد لتيسر له فرصة التحدث الى سيدة من اكمل الناس ادبا واشرفهم حسبا ، فلما اظهر استعداده وقبوله اشترطت عليه ان يمكنها من عينيه لتشدهما وتقوده اليها وفى حضرتها تحل الشد وتعود الى الشد عند خروجه ، فوافق

وقادته السيدة الى الموضع الذى ارادته واذا به امام سيدة رائعة الحسن تجلس على مقعد وفى عذرية قالت له : انت عمر بن ابي ربيعة .. انت الفاضح للحرائر ؟ ! ...

فخجل عمر قائلا : وما ذاك جعلنى الله فداءك : فقالت الست انت القائل :

قالت وعيش اخى ونعمة والدى
لانبهن الحى أن لم تخرج
فخرجت خوف يمينها فتبسمت
فعلمت ان يمينها لم تحرج (١)
فتناولت راسى لتعرف مسه
بمخضب الاطراف غير مشنج (٢)
فلثمت فاها آخذا بقرونها
شرب النزيف (٣) ببرد ماء الحشرج (٤)

فهز عمر راسه قائلا : نعم نعم .. فقالت له قم فاخرج ونهضت فاطمة من مكانها .

واستيقظ عمر من شروده يفكر فى الامر ، وقد دخلته الكآبة وغشيه الحزن وبات ليله قلقا يفكر فى امر هذه السيدة الرائعة الحسن والجمال وعن السر الذى وراء عملها .

وفى الصباح عادت اليه السيدة تطلب منه العودة الى ما كان فى الامس وفى عجلة وافق حتى نفسه فى المكان وامام السيدة ذات الحسن والجمال الجالسة على المقعد تحدثه فى سحر ودلال تكرر عليه القول : يا فاضح الحرائر ...

فاجاب فى ندم : جعلنى الله فداءك ... ولكن بماذا ؟ فقالت فاطمة :

وناهدة الثديين قلت لها اتكى
على الرمل من جبانة لم توسد
فقالت على اسم الله امرك طاعة
وان كنت قد كلفت مالم اعود
فلما دنا الاصباح قالت فضحتنى
فقم غير مطرود وان شئت فازدد

فلما سمع عمر قولها اضطرب قائلا :نعم نعم ...فاذنت له بالانصراف رغم الحاجة فى معرفة شخصيتها ومن تكون ... ولكنها نهرته وقالت له الصمت لك انفع واجدى وان اردت ان تنشدنى فانشد .. فقال عمر :

لج قلبى فى التصابى
وازدهى على شبابى
ودعانى لهوى هند فؤاد غير نابى
فلئن فاتت العين بها واشتد ما بى
ان جفانى اليوم هند
بعد ود واقتراب
فسبيل الناس حرا
للفناء وذهاب

وتركته فاطمة وانصرفت ولكنه اراد معرفة المكان الذى هو فيه واذا به امام اناء به طيب فادخل يده فيه ثم خبأها فى كمه ، وجاءت السيدة الجميلة فشدت عينيه وخرجت به ، ولكنه عندما وصل الى باب الدار

نساء
ملهمات

(١) لم تحرج : لم تضق
(٢) مشنج : منقبض
(٣) النزيف : الظما
(٤) الحشرج : النقرة



طبع يده على الجدار .. ثم عاد اليها بعد أن حل الشد ، وعرف انها دار فاطمة بنت عبد الملك .

وكانت فاطمة على وشك الرحيل في سفر فلحقها عمر فلما رأته عرفته ، وفي اضطراب وخـــوف نصحته بالانصراف وعدم فضحهـا والا كانت العاقبة على غير ما يحب ..

ولكن عمر لم يستجب لها هذه المرة ، وصمم أن يأخذ قطعـة من ثيابها ان أرادت أن يبتعد عنها ، وكان لــه ماأراد ، فانصرف ثم بعث اليهــا برسول برسالة يقول فيها :

شاق الفداة بحاجتي صـــدري
وينست بعد تقارب الامــــر
وذكرت فاطمـــة التي علقتها
عرضـــا فيالحوادث الدهـــر

● متيم الهاشمية ●

كانت متيم بنت عبد الله حــلوة الوجه ، نشأت وتأدبت وغنت وأخذت عن اسحاق وعن ابيــه من قبله فن الغناء .

رآها علي بن هشام فأخذ بها وأعجب بحــلاوة وجهها وعذوبة صوتها ، فاشتراها، وذاعت شهرتها حتى وصلت الى المأمون ، فوقعت في نفســه ، وحــاول خطب ودها فامتنعت رغم ما عرضه عليها من أموال وجواهر .

ولكن المأمون لم ينس لها هذا الموقف منه ، ورغم طول المدة التي مرت عليه فانه لم ييأس وتخلص من زوجهـــا ، وقيل أنه السبب في قتله ..

وحزنت متيم حزنا شديدا وهجرت دارها التي عاشت فيها مع زوجها علي ولما اشتد بها الحنين شدتها الذكريات الى مبنى الدار، وهناك رفعت رأسها ساهمة واجمة باكية تقول :

يا منزلا لم تبــــل اطلاله
حاشـــا لاطلاله ان تبلى
لم ابك اطــــلالك لــــكني
بكيت عيشي فيـــك اذ ولى
قد كان لي فيك هوى مـــرة
غيبـــه التـــراب وما يلى

ثم سقطت على الارض مغشيـــا عليها .. وسمع بأمرها المعتصم الذي كان قد قدم الى بغداد فطلبها فذهبت اليه ، ولما طلب منها الغناء ترددت ثم استجابت بعد الحاح ، فقالت :

هل مســـعد لبـــكاء
بعبرة او دمـــــاء

وفي ود وأدب طلب منها المعتصم أن تعدل عن هذا البيت الى غيره ، فاستجابت قائلة :

اولئك قومي بعـــد عز ومنعة
تفانوا والا تذرف العيـن اكمد

فبكى المعتصم ورجـــاها الا تغنيه في هذا المعنى ، فقالت :

لا تأمن من الموت في حل وفي حرم
ان المنـــايا تغشى كل انســـان
واسلك طريقـــك هونا غير مكترث
فسوف يأتيك ما يمنى لك المانى

فقال لها المعتصم : لك الله يامتيم، والله لولا اني أعلم انك انما غنيت بما في قلبك لصاحبك،والله لم تريديني لقتلت بك ..

فشكرته وانصرفت وبقيت لعهـــد زوجها وفية حتى لقيت ربها ..

● عفيرة بنت عباد ●

كانت عفيرة بنت عباد من اجمـل وارشق واشجع بنات جديس . وكان

نساء ملهمات

يحكم بلدتها الملك عمليق الذى عرف بالظلم والاستبداد ، وبلغ من جبروته وظلمه وانانيته انه كان لا تخضب عروس من جديس الى زوجها حتى يراها الملك عمليق .

ولقيت جديس من ذلك بلاء وجدبا وذلا . ولم يزل الامر كذلك حتى جاء خاطب لعفيرة بنت عباد ، وطلب منها الذهاب الى الملك عمليق ، فأبت فى شجاعة ، وجاهرت بمخالفتها لاوامر عمليق الذى أمر بحملها اليه .. وفى الطريق كانوا ينشدون لها وهى محمولة :

ابدى بعمليق وقومى واركبى
وبادرى الصبح لامر معجب
فسوف تلقين الذى لم تطلبى
وما لبكر عنده من مهرب

وبينما يردد القوم هذا الشعر ، حتى صرخت فيهم قائلة : اسمعوا يا ابناء جديس :

لا احد اذل من جديس
اهكذا يفعل بالعروس
يرضى بهذا يا لقومى حر
اهدى وقد اعطى وسيق المهر
لاخذة الموت كذا لنفسه
خير من ان يفعل ذا بعرسه

ولما سمعها القوم ضجروا وترقفت المسير فعادت تقول :

ايجمل ما يؤتى الى فتياتكم
وانتم رجالا فيكم عدد النمل
وتصبح تمشى فى الدماء عفيرة
عفيرة زفت فى الدماء الى البعل
فلو اننا كنا رجالا وكنتم
نساء لكنا لا نقر بذا الفعل
فموتوا كراما او اميتوا عدوكم
ودبوا لنا الحرب بالحطب الجزل
والا فخلوا بطنها وتحملوا
الى بلد القفر وموتوا من الهزل
فللبين خير من مقام على اذى
وللموت خير من حياة على ذل
فان انتم لم تغضبوا بعد هذه
فكونوا نساء لا تعاب من الكحل

فلما سمع الاسود أخوها قولها ، وكان سيدا مطاعا ، قال لقومه : يا معشر جديس ... أن هؤلاء القوم ليسوا بأعز منكم فى دياركم الا بما كان من ملك صاحبهم عليهم ، ولولا عجزنا واذعاننا ما كان له فضل علينا ولو امتنعنا لكان لنا منه النصف ، فأطيعونى فيما آمركم به ، فانه عز الدهر ، وذهاب ذل العمر ، واقبلوا رأيى ... فقالوا — وقد احماهم ما سمعوا من قول — : انا نطيعك ، ولكن القوم اكثر واقوى واحمى ... قال فانى أصنع لذلك طعاما ثم أدعوهم اليه جميعا ، فاذا جاءوا يرفلون فى الحلل ثرنا الى سيوفنا وهم غافلون .

وكتب الله له التوفيق وكان من بينهم الملك عمليق الذى قتل بيد الاسود ، وطهرت جديس من عبث الملك عمليق بفضل شجاعة عفيرة



وثورتها على أوضاع لا تليق وكرامة المرأة .

● علية بنت المهدى ●

كانت حسنة الدين ، تحفظ القرآن وترتله وتؤدى الفرائض فى أوقاتها ، وكانت تحب أن تراسل بالاشعار من تختصه ، فاختصت خادما يقال له « طل » من خدم الرشيد . فكانت تراسله بالشعر فلم تره اياما ، فارسلت تقول :

قد كان ما كلفته زمنا
يا طل من وجدى بكم يكفى
حتى أتيتك زائرا عجلا
أمشى على حتف الى حتف

فحلف عليها أخوها الرشيد الا تكلم « طلا » ولا تسميه باسمه ، فضمنت له ذلك فاستمع عليها يوما وهى تدرس آخر سورة البقرة ، حتى بلغت الى قوله عز وجل « فان لم يصبها وابل فطل » وأرادت أن تقول « فطل » فقالت فالذى نهانا عنه أمير المؤمنين، فدخل فقبل رأسها وقال : قد وهبت لك طلا ولا أمنعك من شيء تريدينه ما دام لا يغضب الله .

ومن شعر علية :

أيا سروة (١) البستان طال تشوقى
فهل لى الى ظل لديك مقيل
متى يلتقى من ليس يقضى خروجه
وليس لمن يهوى اليه سبيل
عسى الله ان نرتاح من كربة لنا
فيلقى اغتباطا خلة وخليل

وقالت :

سلم لى على ذاك الغزال
الأغيد الحسن الدلال
سلم عليه وقل له
يا غل الباب الرجال
خليت جسمى ضاحيا
وسكنت فى ظل (٢) الحجال
وبلغت منى غاية
لم أدر فيها ما احتيالى

كان لعلية مواقف انسانية عديدة ولعل أبرزها ما كان مع أم جعفر زبيدة عندما أهدى الى الرشيد جارية غاية فى الجمال والكمال فشغل بها وأقام الليالى يستمع الى غنائها فخلا معها يوما وأخرج كل قينة فى داره وحضر كل الخدم وكل جواريه للغناء ، وكن فى أحسن زى من كل نوع من أنواع الثياب والجواهر .

واتصل الخبر بأم جعفر زبيدة ، فغلظ عليها ذلك فأرسلت الى علية بنت المهدى تشكو اليها ، فأرسلت اليها علية : لا يهولنك هذا، فوالله لأردنه اليك ، وقد عزمت على أن أصنع شعرا وأصوغ فيه لحنا وأطرحه على جوارى فلا يبقى عندك جارية الا بعثت بها الى ، والبسيهن الثياب ليأخذن الصوت مع جوارى ... ففعلت أم جعفر ما أشارت به علية فلما حان وقت صلاة العصر لم يشعر الرشيد الا وعلية قد خرجت اليه من حجرتها ، وأم جعفر من حجرتها ، معهما زهاء ألفى جارية من جواريهما وسائر جوارى القصر ، عليهن غرائب اللبس وكلهن فى لحن واحد من تلحين علية :

منفصل عنى وما
قلبى عنه منفصل
يا هاجرى اليوم لمن
نويت بعدى أن تصل

فطرب الرشيد وقام على رجليه حتى استقبل أم جعفر وأخته علية ، وهو على غاية السرور ، وقال : لم أر كاليوم قط ..

وأمر بتوزيع ستة الاف درهم .

هذه اللمحة خاطفة ، وما كان يوسعني ان افيض ، على ان التاريخ ملىء بما كان للمرأة من مقام جليل ومكانة مرموقة فى ميادين الادب والعلم والفن والشعر .

---

(١) السرو : شجر حسن الهيئة .
(٢) الحجال : شقة العروس

د. كمال
فريد

اجتذبت « اورورديبان » المعروفة باسم « جورج صاند » انظار جماهير القراء في عصرها بفضل خيالها الخصيب وحساسيتها المرهفة ... وكان تأثير رواياتها العاطفية والانسانيه والريفية يرجع الى تلك المثالية التي تتجلى فيها وهكذا تميزت « جورج صاند » عن غيرها من كتاب عصرها الذين سعوا وراء الشهرة بتاليفهم قصص المغامرات .

جورج صاند

أديبة عاشقة ومتمردة



ولدت « أورور دوبان » في أول يوليو سنة ١٨٠٤ في « باريس » وهي ابنة الضابط « موريس دوبان » والسيدة « صوفي فكتوار دولابورد » . وكانت جدتها حفيدة ملك « بولونيا » وجدها بائع عصافير . وقد توفي والدها في سنة ١٨٠٨ على أثر سقوطه من على ظهر فرس فعاشت « أورور » في مدينة « نوهان » مع والدتها وجدتها ، وكانتا سيدتين تسود الكراهية بينهما ، ولم تشترك والدتها بموضوع دراستها ورحلت الى باريس ، فتألمت الفتاة لهذا الفراق

وثارت على وضعها الجديد وسببت المتاعب لجدتها ولمربيها ، وأخذت تشارك الفلاحين الصغار ألعابهم وتتعلق بالقصص المرعبة التي تحرمها من النوم .

ولما شعرت جدتها بضرورة تغيير طرق معيشة حفيدتها قررت ارسالها الى باريس في احد معاهد الراهبات في سنة ١٨١٧ .

وتشبعت « أورور » بجو التعبد المحيط بها واصبحت تحلم بأن تكون راهبة ، وقد ذعرت الجدة عندما علمت بذلك لانها كانت تعتنق مبادىء الفيلسوف الفرنسى « فولتير » ، واعادت حفيدتها المرحة الحالمة الى مدينة « نوهان » في سنة ١٨٢٠ ، فبدات الفتاة تتعلق من جديد بالريف وركوب الخيل وترتدى الملابس الرجالى وتقضى الليالى الطويلة في قراءة الكتب وخاصة مؤلفات «روسو» الى جانب رعاية جدتها .

وفي ٢٢ ابريل سنة ١٨٢٢ تزوجهــا « كازيمير دودوفان » وهو ابن غير شرعى لبـارون من بارونات الامبراطورية الفرنسية ، يتميز بالظرف ، ولو انه محدود الذكاء . وفي سنة ١٨٢٣ رزقت بطفلها البكر ودعته « موريس »، وسرعان ما شعرت بالملل واسفت على تلك الغلطة التى ارتكبتها بهذا الزواج ، فسافرت سنة ١٨٢٥ الى منطقة جبال البرانس حيث شعرت بحب افلاطونى تجــاه « أورليان دى سيز » الذى شجعها على القيام بمحاولاتها الادبية الاولى . وفي سنة ١٨٢٨ ساءت علاقتها بزوجهــا « دودوفان » وساعد ميلاد طفلها الثانى على اشتداد الخلاف بينهما . وبعد حوالى ثمان سنوات على زواجها هجرت زوجها ، وتوجهت الى باريس للحاق بـ « جول ساندو » الذى كانت قد تعرفت عليه في العام السابق .

وقد حصلت من زوجها السابق على نفقة شهرية قدرها مائتان وخمســون فرنكا ، واحترفت الكتابة رغبة في تنمية مواردها المالية . وقد الفت في البداية روايات تمجد فيها العواطف والميــول الرومانسية ، ثم تحمست للمـذاهب الاشتراكية ، ونشرت قصصا متسمة بالهام انسانى عميق .

وعندما استقرت في اراضيها بناحية « نوهان » الفت قصصا ما زالت تتميز بحيويتها البسيطة .

استطاعت « جورج صاند » بفضــل تعضيد مدير جريدة « الفيجارو » أن تنشر قصتين ورواية « روز و بلانش » التى تم تأليفهمــا بالاشتراك مع « ساندو » وتحمل اسم « جول صاند » وتعتبر سنة ١٨٣٢ بحق سنة الالهام الادبى ففيها نشرت رواية « انديانا » وقطعت علاقاتها « بساندو » مع احتفاظها بنصف لقبه « صاند » . ولما كانت في حاجة الى اسم مستعار ، اتخذت لنفسها دون تردد اسم « جــورج »

ونشرت في شهر نوفمبر رواجي «فالنتين» و « ليليا » في سنة ١٨٣٣ . وفي هذا العام ذاته وعلى اثر مشاجرة فاشلة مع الكاتب « بروسبير ميريميه » اعتقدت « جورج صاند » انها اكتشفت السعادة في ملامح الشاعر « الفريد دي موسيه » الذي لم يكن يتجاوز عمره وقتئذ اثنين وعشرين ربيعا .

وقد سافرا معا الى ايطاليا ، واثناء اقامتهما في البندقية بدات « جورج صاند » تشكو من الصداع والهستاريا مما تسبب في اثارة « موسيه » الذي اطلق عليها « السامة المجسمة » ، المتقادة وراء الاحلام ، النهمة ، الراهبة » واخذ يتناول الخمور ويتردد على مواخير الفساد ، حتى مرض بدوره مرضا شديدا ، واعتنت بتمريضه « جورج صاند » ولو انها لم تخلص له بل تعلقت بالطبيب الجميل « بيترو باجللو » . فما كان من « موسيه » الذي ادرك جانبا من الحقيقة الا ان غادر البندقية في ٢٩ مارس سنة ١٨٣٤ بينما بقيت فيها « جورج صاند » حتى ٢٤ يولية .

وفي سنة ١٨٣٥ عادت الى « موسيه » ولكن عندما بلغته تفاصيل خيانتها له في البندقية ، ابدى رغبة في قطع علاقته بها . فاخذت تستدر عطفه وتتذلل ثم رجعت الى « نوهان » وهي تكاد تجن من الالم . وقد تم الصلح بينهما مؤقتا ثم افترقا نهائيا في شهر مارس من العام ذاته .

ويروى لنا « موسيه » قصة هذه

جورج صاند

العلاقة في « اعتراف احد فتيان هذا القرن » كما ترويها لنا « جورج صاند » في رواية « هي وهو » . وقد اقامت في « نوهان » من سنة ١٨٣٥ حتى سنة ١٨٣٧ حيث استقبلت الموسيقار المعروف « ليست » كما تعرفت ايضا ب «ميشيل دي بورج » المحامي الذي كسب لها قضية طلاقها من البارون « دودوفان » وانتهى الامر بجورج صاند الى اعتناق مبادىء « ميشيل » الجمهورية ، ومنذ عام ١٨٣٦ اخذت تفكر في تحرير المراة من قيودها .

وفي سنة ١٨٣٨ بدات علاقتهما بالموسيقار الشهير « شوبان » تلك العلاقة التي استمرت حوالي عشرة اعوام. وقد قاما معا برحلة الى « ماجوركا » فشلت فشلا ذريعا اذ ان السماء كانت ممطرة والطقس باردا ؛ كما ان «شوبان» كان غاية في الضعف يشكو من مرض في صدره كاد يفقده الحياة ، وسهرت



شوبان : رحلة الى « ماجوركا » بصحبة جورج صاند ..

« جورج صاند » على هذا المريض الشاحب اللون الذى يئن من السعال» واضطرت الى تحويل غرامها الى مودة عائلة وعناية شبيهة برعاية الام لابنها .

وفيما بين عامى ١٨٤٥ و ١٨٥٣ كتبت مجموعة رواياتها الريفية التى عبرت فيها عما يسيطر على مشاعرها من احلام وحب لمنطقة « بيرى » الفرنسية . وفى سنة ١٨٤٨ وضعت نفسها فى خدمة الثورة واخذت تحرر رسائل للطبقات المتوسطة والثرية والشعبية واسست جريدة اطلقت عليها اسم « قضية الشعب » ونشرت فى مجلة الجمهورية .

وفيما بين عامى ١٨٥٣ و ١٨٥٦ بدأ يتعثر الهامها ولكنها لم تنس ميولها واهواءها القديمة التى اخذت تستعيدها فى « تاريخ حياتى » (١٨٥٤) . ولقد جربت حظها فى المسرحيات وتشرح بعضها وعاشت فى « نوهان » مشبعة هوايتها فى جمع النباتات والحشرات وتقديم بعض المسرحيات ومشاهد العرائس بالاشتراك مع « موريس » وبعض اصدقائها . وفيما بين عامى ١٨٥٦ و ١٨٦٥ عادت بعزم اكيد الى الانتاج الروائى واصبح انتاجها موزعا بين الروايات التاريخية والاجتماعية مثل « السادة الحسان دى بوا دوريه » (١٨٥٨) ، « جان دى لاروش » (١٨٥٩)، «الماركيز دى فيلومير» (١٨٦٠) والروايات التى تدافع من بعض القضايا مثل « مدموازيل لاكانتينى » (١٨٦٣) .

ولما تقدمت بها السن استقرت فى « نوهان » ولكنها كانت تتردد بين حين وآخر على باريس لتلتقى بالكتاب ، كما كانت تراسل الروائى الخالد «فلوبير» .

وحرصت على تذوق الهدوء والسعادة وكتابة قصص جميلة لاحفادها مثل « قصص جدة » . وفى ٨ يونية ١٨٧٦ لفظت « جورج صاند » انفاسها الاخيرة بعد ان عانت من مرض قصير . وهى الآن مدفونة وسط تلك الخضرة التى احبتها طوال حياتها وضمنتها مؤلفاتها .

لقد دعمت « جورج صاند » الهامها بتجاربها الشخصية كما ان الطريق الذى انتهجته مواهبها الادبية يتفق مع مراحل حياتها .

● القصص العاطفية ●

تحتوى روايات « جورج صاند » الاولى « انديانا » (١٨٣٢) ، «فالنتين» (١٨٣٢) ، « ليليا » (١٨٣٣) على العديد من المبررات السلوكية .

وتطالب « جورج صاند » بضرورة حصول المرأة على حق اشباع عواطفها ونبذ التقاليد الاجتماعية وقواعد السلوك التقليدية . وتجلى حماسيتها في صورة اوضح في « رسائل مسافر » (١٨٣٤) حيث تعبر لصديقها « الفريد دى موسيه » عن مشاعرها نحوه اثناء وجودهما في ايطاليا .

● الروايات الانسانية ●

منذ سنة ١٨٣٦ وتحت تأثير « بيير لورو » بدأت « جورج صاند » تشترك في النشاط السياسى . ولذا تكشف لنا الروايات التى انتجتها في هذه المرحلة عن حماسها في الدفاع عن قضايا الشعب . فلى « موبرا » (١٨٣٧) ثم في « رفيق الجولة في فرنسا » (١٨٤٠) و « طحان أنجيبو » (١٨٤٥) و « ابن السيد انطوان » (١٨٤٧) تدافع عن البسطاء وتدعو الى التفاهم والتقريب بين الطبقات الاجتماعية وتتنبأ بمجيء السلام العام الشامل .

وفي رواية « طحان انجيبو » نلاحظ ان المزارع « بريكولان » فلاح طماع يحول دون زواج بناته بمن احببن مما تسبب في جنون ابنته الكبرى . اما ابنته الصغرى « روز » فتحب طحانا فقيرا من « انجيبو » يدعى « لويس الكبير » وتحتمل الم الحرمان . فما كان من البارونة « دى بلانشومان » تلك الارملة الشابة الطيبة الا ان مدت لهما يد المعونة وقبلت ان تتخلى عن قصرها لبريكولان بثمن زهيد بشرط ان يوافق على قبول « لويس الكبير » زوجا لابنته « روز » .

● الروايات الريفية ●

في حوالى ١٨٤٥ وقد اصبحت «جورج صاند » سيدة دى نوهان ، بدأت تأليف سلسلة من القصص الريفية تعبر فيها من حبها وتعلقها بمسقط راسها وعن تعاطفها العميق مع الفلاحين . وهكذا ظهر على التوالى « بركة الشيطان » في سنة ١٨٤٦ ، « فاديت الصغيرة » (١٨٤٩) ، « فرنسوا لى شامبى » (١٨٥٠) ، «السادة الدقاقون والبواقون» (١٨٥٣) .

ويجدر بنا ان نتوقف بعض الوقت عند رواية « بركة الشيطان » ، وخلاصة هذه الرواية ان « جرمان » فلاح لطيف يعتز جدا بارضه وثيرانه وحرفته ، كما انه يحب اسرته حبا جما . وعلى اثر وفاة زوجته تعلق باولاده الثلاثة واهل زوجته الذين يعتبرونه بمثابة ابنهم . ولذا طلبوا اليه ان يتزوج ثانيـة . فرضخ لرغبتهم وسافر للتعرف بتلك التى اشاروا عليه بالزواج منها . ولكن

اثناء سفره ليلا بالقرب من بركة الشيطان تعلق قلبه بماري راعية الغنم الصغيرة التي تصطحبه في رحلته .

يالعجب ! انها مختلفة اختلافا بينا عن الارملة « جيران » ، المرأة الانيقة التي ينبغي عليه الزواج منها . وبدأت تتوارد على ذهنه تساؤلات : هل ستبادله هذه الراعية حبه ؟ وماذا سيكون موقف اهل زوجته الاولى من هذه الفكرة التي تراوده ؟ لحسن حظه انهم يتحلون بالخلق الحميد وطيبة القلب ؛ كما انهم يتميزون برأي وتقدير للامور اعمق من سهرهم . لقد ادركوا عمق مشاعره كما تبينوا حكمة « ماري » تلك الفتاة الشريفة المفيقة فتجمعوا للالتقاء ثانية بتلك الشابة التي بدأت تشغل فكره وتستحوذ على كل مشاعره . ولذا لم يكن غريبا ان تنبع من قلبه تلك الكلمات البسيطة التي دفعت هذه الراعية الجميلة الى ان تعترف له بحبها .

وتحتل هذه الرواية الريفية الغرامية مكانة كبرى بين مؤلفات « جورج صاند » .

اما في رواية « فاديت الصغيرة » فنجد ان التوءمين « سيلفينيه » و « لندري » قد نما وترعرعا معا . ثم التحق « لندري » وهو اصغرهما بمزرعة في المنطقة فتألم « سيلفينيه » لهذا الفراق واختفى . وعندما اخطر « لندري » بذلك قام بالبحث عنه وعثر عليه بمعاونة « فانشون الصغيرة » الشهيرة باسم « فاديت » وهي فتاة نحيلة القوام وسوداء البشرة ، وتقديرا لهذه المعاونة وعدها بالرقص معها في احدى المناسبات القادمة . وفي اليوم المحدد لذلك نفذ وعده على مضض لانه يتنازل ويخطب ود « مادولون » قريبة صاحب المزرعة التي يعمل بها . ولكن بدأت تتطور مشاعره من جهة ومن جهة اخرى فقد حول الحب « فاديت » الى فتاة باهرة فبث لهما « لندري » حبه مما اثار غيرة «سلفينيه» وجعله يتألم في السر .

واما « مادولون » فارادت الانتقام من « فاديت » ولذا وضعتها تحت المراقبة وقرر مغادرتها البلدة ثم عادت اليها لتحصل على ما ورثته من جدتها . فكان من الطبيعي ان يبرز من جديد موضوع زواجها من « لندري » ولكن مرض « سلفينيه » حال دون ذلك . فاخذت تعتني به وتوبخه فكف عن المعارضة ولكنه اختفى بعد مرور شهر على زواج شقيقه وانضم الى جيش نابليون .

●●●

واخيرا ، فقد كانت « جورج صاند » تتميز باستخدامها الروائي العظيم . فهي تصور العادات والمناظر الطبيعية والريفية بدقة كبيرة وتقوم بسرد الاحداث بسهولة تامة . واخيرا تكتسب مودة القراء بمثاليتها . وهي تؤمن بالحب والتقدم وطيبة الانسان . ولكن بعض رواياتها وخاصة تلك التي تدافع فيها عن بعض القضايا اصبحت لا تتمشى مع عصر الذرة .

منور فوال

عرفت بلاد الشام فى العصر الحديث باطلالة المرأة على نافذة الادب والصحافة . وقد ظهرت اقلام نسائية كان لها باع طويل فى صياغة الكلمة وعلو البيان . ومع الندرة النادرة فى تاريخ الادب النسوى ، نجد ان الصدق مرآة ناصعة تعكس احاسيس المرأة وتحقق ذاتها عن طريق الحرف وقداسة الكلمة .

مما لاشك فيه ان كاتبات هذا العصر سرن فى طريق ممهد ولم يتعثرن الخطا . ولم يجدن كثيرا من المعاناة فى سبيل اعلان الكلمة والتعبير عما يخالجهن من فكر ، نظرا للتطور السريع الذى عم المجتمع العربى لاسيما فى مجالات الادب والصحافة ..

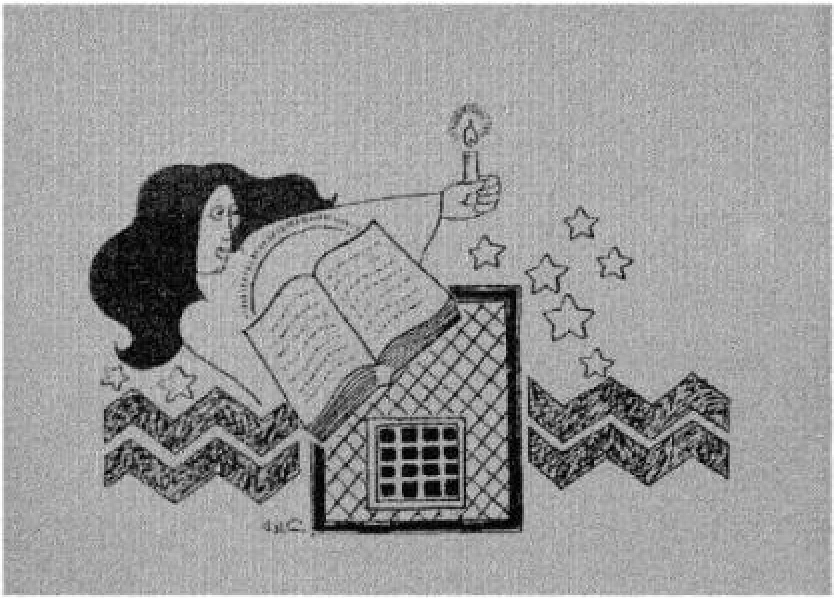
مارى عجمى

عندما نتحدث عن الادب ـ الانثوى ـ بالذات ، لا يسعنا الا أن نذكر اديبة الشام ، مارى عجمى ، ومن حق الادب علينا الا ننسى هذا القلم وفضله على أدب المرأة . فقد كان شعلة مضيئة لآمالها، وباعثا لنهضتها، ورائدا حرا لافكارها . كان قلم مارى عجمى منبرا نظيفا لكل ما يعتمل فى صدرها من مثل انسانية تفيض بالخير والحب لهذا الوطن الكبير .

ولدت اديبة الشام فى دمشق فى أيار ، مايو ، عام ١٨٨٨ من أسرة حموية (١) الاصل وقد تلقت تعليمها فى المدرستين الروسية والايرلندية . وفى عام ١٩٠٣ مارست التدريس والتمريض معا فى مدارس دمشق . ولكنها ما لبثت ان هجرت هذين العملين وانتقلت الى عالم الكلمة ، وفى هذا العالم الكبير كانت كثيرة العطاء ، سخية الحب ، . تحس أن آمالها لن تتحقق الا اذا رأت أن الدنيا خالية من الظلم الانسانى ، وان الخير هو ملك للجميع .

وفى عام ١٩١٠ انشأت مارى أول مجلة نسائية بدمشق سمتها « العروس » وقد استمرت فى الصدور حتى عام ١٩٢٥ وملأت بشهرتها وفائدتها الاوساط الادبية فى البلاد العربية بفضل نشاط صاحبتها ومثابرتها ، اذ كانت تتولى

(١) حموية : نسبة الى مدينة حماة فى سوريا .



... أديبة الشام

كتابتها كلها انشاء وترجمة ، بالاضافة الى اسهامها في ســـائر الصحف والمجلات في الوطن العربي والمهجر . كما كان لها نشاط سياسي ابان الحرب العالمية الاولى ..

وعندما حلت بسوريا نكبـات البغي والاستبداد لم تقف ماري مكتوفة اليدين خائفة ، بل انطلقت ـ بعد ان وقعت طائفة من الاحرار في قبضـة الظلم والطغيـان ـ الى السجون الرهيبـة تواسي المعتقلين . وجعلت من مجلتهـا « العروس » منبرا للخطابة السياسية داعية الى التحرر والخلاص من نير الغاشمين ، غير عابئة بما يدسـه المتطفلون على الشخصيات الوطنية ، وقد فاتها يومذاك ان هناك فئة من حملة الاقلام سخروا اقلامهم لخدمة المخربين والانتهازيين . ولكن قلم ماري ترفـع بكبرياء عن الدنايا ، وعاشت صاحبته قانعة بعزتهـا وما تملكه من حطام الدنيا ...

ان أصدق ما قيل في ماري عجمي ، انها انسانة عرفت نفسها وضنت بها على التكلف والرياء ، واتخـذت لذاتها وحياتها اسلوبا في الكتابة والحديث عرف في آثارها الشعرية والنثرية وهو اسلوب التهكم الذي كانت تصيب بسهامه ما لا يصيب غيرها بالنقد .

ولماري عجمي اثار ادبيـــة كثيرة كلها هادفة ، تمتاز بالصدق الكبير ·· فقد كتبت المقالة والقصيدة ، وعالجت في مواضيعها كل الجوانب الانســانية الخيرة التى نقلت لها أو احست بها · وكان لقلمها حلاوة التعبير وجمــال الاســلوب · وله قراء في كل مكان يتابعون خطراته وخلجاته ويعيشــون بنبضاته الحية ·· فنثرها أقــرب الى الشعر منه الى النثر ، وشعرها التزم بكثير من الاهداف السامية ·

وفي شعر ماري نبضات خلاقة تفيض بالحب العاطر للانسان ، وبصفة خاصة الطبيعة والجمــال ، فقد استمدت من الطبيعة سحرها واعطت لها كل ماتحمل في ذاتها من صدق المعنى وجمال الهدف ولهذا طلت روح الشاعرة حتى على مقطوعاتها النثرية ، وعاشت لشعرها ونثرها محاكاة انسانية رائعة ، وتوغلت في أعطاف الطبيعــة وربيعها وناجت اطلالتها قائلة :

خــل اللواعج والفكر   فلقد اضر بك السـهر
وامرح بجنــات الفنا   م مع العبــير المنتشر
حيث الربيـــع مخيم   والـموج يعبث بالبدر

وقــالت :

يا بدر تحيك الربـــا   ض وبهجة الورد الاغر
أنا قــد نثرت صبابتي   وقفا على ما قد نثر

وفي مكان اخر ترى الشــاعرة في قصيدة (ذكريات أمسها) تخـلع عن نفسها رداء الكتمان وتسير في خطرات مع ماض عاشته بين جوانب مختلفــة من الحياة :

انت يا ذكريات دهــرى اذا ما   بســط الليل المظلم الجنــاح
فارفعي الستر فالحــديث شجون   لرؤى قد تدوم حتى الصبــاح
انت مســتودع الاماني اللواتي   كن من قبل عابقــات النــواحي
صـــور الامس والزمان فيهي   تتراءى في لوحــة الافصــاح



ماري عجمي أديبة الشام

فى القصيدة شفافية حزينة ازاحت بها الشاعرة الستر عن نفسها وكشفت مكنوناتها بكل صدق ·

وفى مجال آخر من مجموعتهـــا الشعرية ، وهو القسم الوطنى ، انطلقت الشاعرة فى وصف بديع للجنـــدى فى ساحة القتال · وقد عرف عنها الحب الكبير للوطن وحماته الابرار :

كان كالبلبل فى ايكتـــه   يتغنى بالقوافى العـــامره
فرمى الكأس والقى نايــه   ومضى للحرب نفســا ثائره
قمر يلهـــو وعمر ينقضى   وغصـــون تتهاوى خـــائره
واذا مر به الـــموت ارتمى   راكعا تحت الشظايا الماطره
أو توارى عند سفح المنحنى   أو هوى بين الشقوق الغائره
كم صريع نسج الفخـــر له   كفنا فاق البرود الفـــاخره

فى هذه الابيات نجد الصـــدق كاملا لا يشوبه شطط الخيـــال · وقد سارت القصيدة فى احساس مجنح وعاطفـــة انثوية سجلتها الشاعرة بروح الواقع · كما انها التزمت بهدف التغنى بجمـــال البطولة ·

وفى قصيدة « اليتيمة » معـــاناة انسانية تجوب النفس البشرية ، وهى لا تقل صدقا عن باقى القصائد :

هـــلا سمعتم رنين اليتم منسحقا   هلا اقتتم لالام تعانيهـــــــا
هل الحياة نهار سوف يعقبـــــه   ليـــل بهيم واهوال تقاسـيها
لا كأس فيـــه ولا الحان شـــادية   تمر بالخضرة الصـــماء ، تحييها

وهكذا تسير بنا القصيدة فى مقاطع مختلفة الوصف تعبر عن ذات اليتيم فى وضوح تام ، استطاعت الشاعرة تأكيده عبر أبياتها

وفى قصائد مارى جانب اخر من الوان الشعر اكثره ذاتى ، يعكس عمق المرارة فى نفسها ، ويبدو ان الشاعرة عاشت حياة تختلف عن نســاء عصرها الذى تحكمه التقاليد واسوار تمنع المرأة ان تخوض غمارها · وفى كل القصائد رنة حزن خافتة صاغتها مارى فى أبيات تحمـــل معنى الوضوح لهذه النفس · وهى على كل حال لم تكن شاعرة مناسبات بل كانت شاعرة للدنيا ، للطبيعة ، للخير للجمال ، للحب ، للتصوف · واعطت كل ما فى نفسها لهذا الكون الجميل · ولعل أصدق وصف قالته الشاعرة عن نفسها فى قصيدة « شاعرة » :

دفعت بشـــعرى باب الخـــلود   وحطمت مزلاجه ســـــــاهيه
فالفيتنى بين حـــور الجنـــان   يقبلن جبهتى العـــــــــاليه
انا الشعر تشـــدو به لهفـــة   فتطرب فى الظلمة الداجيـــة
هو الشعر روح الحيـــاة وهل   تروق بغير الهـــوى قافيـــة

وتتابع القصيدة فى شفافية لمحراب الشعر ، وتعبر عن كنوزها الدفينة بكل صدق ·· انها امرأة شاعرة استجابت لحب الحياة وهو أجمـــل حب واسمى عطـــاء ·

فى ختام دراستى لشعر مارى عجمى احب ان انوه الى اننى لم التزم الشكل النقدى فى هذه الدراســـة وتصنيف شعرها على اسس وخصائص المذاهب الادبية ، بل قدمته نموذجا لشعر المرأة يعود عهده الى ما قبل عام ١٩١٠ على اعتبار ان الشـــاعرة عانت الكثير بالتحامها مجـــالات الادب والصحافة ، وكانت رائدة رواده التى اعطت له الكثير ·

محمد الجبار



سألتُ صِحابيَ عنكِ ... فقالوا :
هي الحب يَبكي .. ليست جميله !

شُحوبُ الترقبِ .. في وَجهِها ..
كدمعةَ عيد بذكرى الطفولة

لها نظرةٌ كانكسار المرايا
إذا هَجرتها العيونُ الظليله

بنفسجة خانها عطرها
فلاحتْ عطاءً .. بأرضٍ بخيله

هواها ... حديثٌ بأعماقِها
طوته كسر لها ... لن تقوله

نباتيةٌ ... تَنتشي للخفايا ..
وقد ضَفَرَ الموتُ منها جَديلهْ

يفوتُ القطارُ خطاها . فترمي ...
حقيبتها في الرصيفِ ... ذليله .

لفافتها أحرقتْ كفها ..
تودُ وراءَ الدخانِ ... رَحيلهْ

على مطرِ الليل ... تَهوى الغناء
(لفيروز) فوقَ الدروب النحيله

إذا حدثتكَ ... تراها صَدىً ...
وفي الصمتِ ..تبدو رؤى مستحيله

يتجسدها صوتها في الظلال ...
وما عانقتها الظلالُ الكليله ..

لها لوعةُ الوردِ بعدَ التفتّـــحِ

يهوى الحياةَ ويخشَى ذبـــوله

تموت العصافيرُ .. فوقَ الجبالِ

تُغنّي..وتخشَى احتضار الخميله !

***

تُحبّك ؟ حبُّ الغريبِ الرحيلَ..

إذا هوَ أزمَعَ .. سيَنسى رحيله

تُحبّك ؟ حبُّ الغريقِ الضفافَ

إذا لامسَ الشطُّ .. أخلى سبيله

تُحبّك ؟ حبَّ المريضِ الدواءَ ..

وليس له فى الشــــفاءِ وسيله

***

أتهوى العفاف بها ... وهو عجزٌ ..

وهلْ من عفافٍ يأتى عليله ..

ستجبنُ أن تفتديكَ بنهـــدٍ

يخافُ بمرى الضياءِ ... أفوله

ستَقتلُها فى احتدامِ العناقِ ...

لتثأرَ منك العيـــونُ القتيله ؟

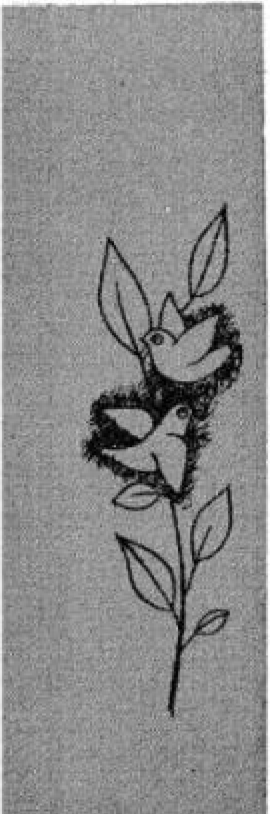
تُعذّبُ فيك الرجــــولةَ حتى

ترى شرفَ الموتِ فيهـا رجوله !

***

وساقٌ بها ثقةٌ .. فوقَ أخرى ..

وجزءٌ من النهدِ ..يُبدى فضوله !



الوجه
الذى
أحبه

وخصلةُ شعرٍ .. تميل بمكرٍ
تصوَّرتُها للغرامِ عميله !

وقدّاحة ... بالشرارِ اللعوبِ
لها البوحُ يورى بقلبى ميُوله
وجلدُ الحذاءِ ، تسلّقَ شوقاً
إلى الركبتين .. تعشقتُ طوله

(وفيروز) تشدو .. فأنسى اشتهائى
وتورِقُ فينا الدموعُ النبيله ..

لنا الليلُ خيمةُ حلمٍ ... وذكرى
وكلُّ نجوم المساء ... قبيله ...

بوجهكِ أمىَ من الموت تأتى ...
تهدهدنى ... بالعيونِ الجميله

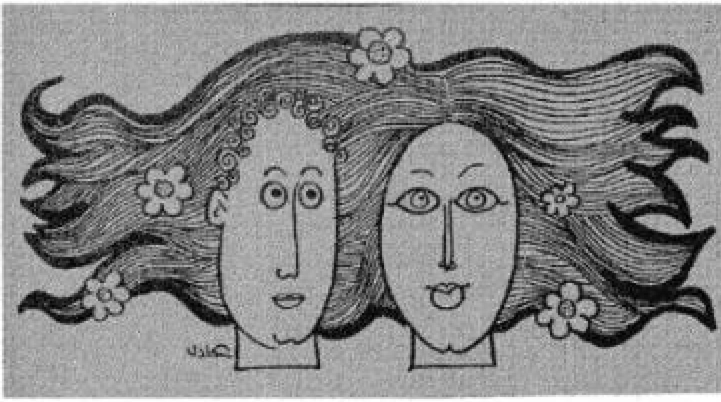
فأغفو بصدرِكِ أحضنُ ذاتى
فيرعشُ صدرى اخضرار الخميله

وكالومضِ ... أشعر أنىَ أحيا
وأنى قتلتُ زمانىَ غيله ..

وأن الذى قد أضعناه دهراً
سنلقاهُ ... فى لحظاتٍ قليله

***

قبلتُ التحدّى ... وثغرى صامَ ..
فهل صمْت مثلى الليالى الطويلة ؟



ألا فانفطرى يا شفاهَ التمنّعِ

ليس عطاءُ الحياة .. رذيله ..

هو الصدقُ أرجوه دون قناعِ

وصدقُ الخطيئةِ . عندى فضيله

إذا مات (شمشون) يوما .. ضعيفاً

أتبكى عليه وفاءً ... (دليله) ؟!

وإن قام من موته ... أنكرته

وقد وجدتْ فى العدوِّ .. بديله

أريدك أنْ ترجعى لى ضلعى ...

فبعض العفافِ من الحبِّ ... حيله

***

لماذا تعودين قرب المغيب ؟

وكيف يَعُودُ الصبا ... للكهوله ؟

هبينى وهبتكِ آخرَ عمرى

فهل تذكرين الليالى القليله ؟

كوليت.. بائعة العطر

د. ثريا توفيق

● اسمي كوليت وابيع العطر .. عبارة موجزة واضحة شاءت أديبة فرنسا العظيمة كوليت ان تضعها عل الواجهة الزجاجية للمحل الذي افتتحته ، ووقفت فيه تبيع العطر ..

كتبت كوليت ، في سبتمبر ١٩٣٢ ، في مجلة فوج : « لقد دهش الناس لاني تحولت من كاتبة للقصة الى صاحبة محل لمنتجات تعلى قدر المرأة ، وتخلقها خلقا جديدا ، وتحافظ على جمالها .. واني ابتسم اذ استرجع وقتا مضى دهش الناس فيه ايضا عندما تحولت من زوجة صغيرة ، عاطلة ومطيعة ، الى كاتبة (وان لم اكن في ذلك الحين الا كاتبة في الخفاء) . وما أن تدعمت شهرتي في عالم التأليف حتى « صعدت الى خشبة المسرح » كما كان يقال من قبل ... وهكذا أصبحت ممثلة صامتة « بانتوميم » ، وراقصة ولاعبة « اكروبات » ، وتعرضت بسبب ذلك كله لانتقادات عنيفة: فكيف يحدث ذلك .. انت التي .... والتي لم تعد موهبتها الادبية مثارا للجدل .. تصعدين الى خشبة المسرح !؟ »

وكان ذلك هو رد كوليت على ما اثاره عملها الجديد من تساؤلات فيها الاستهجان ، وفيها الدهشة ، وفيها الاعجاب ايضا .. الاعجاب بشجاعة كوليت التي لم يعد ما تدره عليها كتبها في الثلاثينات يكفيها لكي تهيىء لنفسها حياة مريحة ، تمكنها من الاستقرار في نشاطها واسفارها. فاقدمت على هذه الخطوة.

ولعل كوليت ، التي كانت تتقن فن الايجاز والوضوح ، قد أوجزت في هذه السطور وصفها لحياة زاولت خلالها مختلف الفنون والمهن ، التي



كوليت فى الثالثة عشرة من عمرها

تنقلت بينها احيانا ، وجمعت بينهـــا احيانا اخرى ، ولم تمارسها جميعا بنفس القـــدر من الكمال ، وان كان اعظم ما اتقنته منها ، واعترف الجميع لها به ، هو فن الكلمة .

***

مائة عام مرت فى يناير من العـــام الماضى على مولد « ســـيدونى ـ جبرييل » من ابوين هما « ســيدو » والضابط البحرى « جول ـ جوزيف كوليت » ـ زوجها الثانى ، فى ٢٨ يناير ١٨٧٣ ، فى منزل ريفى كبير ، تحيط به حديقة بديعة ، وسط قـرية اغدقت عليها الطبيعة بجمـــالها . ونشأت الطفلة السعيدة فى هـــذا الاطار الخـلاق ، بين ابوين يهويان القراءة فى منزل عامر بالكتب تلتهم كل ما يقع تحت يدها منها ، ممـــا يسمح لها به وما يحظر عليها ، على السواء ...

ومرت الاعوام الستة الاولى من زواج « سيدو وجـــول كوليت » فى هناء ، ورغد من العيش هيأته الثروة الكبيرة التى ورثتها الزوجة عن زوجها الاول ، والتى عهدت الى الزوج الثانى بادارتها والاشراف عليها .. غير ان الضابط كوليت ، الذى كان يعيش فى حلم يقظة دائم ، فى محاولات يائسة للكتابة علّه يصبح اديبا ذات يوم ، لم يحسن ادارة اراضى زوجته ، فلم يعد دخلها يكفى لاعـــالة الاسرة الصغيرة ، واضطـــر الى الاقتراض مقابل فوائد كبيرة من المزارعين الذين كانوا يعملون لحســـابه ، وسرعان ما اطل الافلاس ، وتدهور الوضـــع المالى لهذه الاسرة التى اضطرت الى الرحيل الى قرية قريبة ، ليعولها ابن « سيدو » الاكبر من زوجها الاول ـ وكان طبيبا ـ وذلك بعد ان بيع المنزل والفردوس المحيط به فى المـــزاد ، والقى بالاثاث وبكافة متعلقات العائلة القلمة الى الشارع ..

ولم تبرح صورة ذلك اليوم الاسود ابدا ذاكـــرة كوليت .. كانت فى السادسة عشرة من عمـــرها حين انتزعتها يد الفقر البغيضة من احلامها الهانئة ، من جنتها لوضعت بذلك حدا لرحلة الســـعادة فى حياتها التى ظلت طوال العمر تمدها بمعين لا ينضب من الـــذكريات الحـــلوة ، والصور المضيئة التى امتلأت بهـــا كتابتها .

***

وكانت كوليت قد تركت المدرســـة بعد ان حصلت على شهادة الاعدادية .. ودفعها اعجابها باخيها الطبيب ،

بائعــة العطـر

غير الشقيق ، الى مشاركته حبه للموسيقى والتجـول بين الطبيعة ، ورافقتـه فى زياراته للمرضى ، تساعده فى تضميد جراحهم ، وتقدم لهم الدواء فى المزارع والبيـوت النائية .

وبعد عامين ، طلب « هنـرى جوتييه ـ فيلار » ، الذى عرف باسم « ويلى » يد كوليت التى كانت عندئذ فى التاسعة عشرة ، ذكيـة وظريفة وفاتنة . وكان ويلى اصلع وغيـر وسيم، لكنه مسل . وكان ايضا ناقدا موسيقيا ، يهوى الشهرة ويسعى اليها بأى ثمن ، يريد ان يؤكد شخصيته برؤية اسمه فى كل مكان ، حتى قيل انه كان يستأجر من يكتبون له . ولم يكن ثريا ، ولكنه على اية حال كان أغنى من اسرة كوليت ، التى نفدت ثروتها عن اخرها ولم تكن تملك مهرا لابنتها .

وطالت فترة الخطبة لمدة عامين اخرين .. مارست كوليت خـلالهما « الحب الرسـائل » مع خطيبها الذى كان يعيش فى باريس .. ولعل ذلك كان بمثابة تمرينها الاول على الكتابة . التى اعترفت فيما بعد انها لم تكن من قبل تحس بميل اليها .

●●●

وتزوجت كوليت من ويلى .. كانت تحبه ، او لعلها اقنعت نفسها بذلك

.. واضطرت الى الرحيـل معه الى باريس ، وبعيدا عن امها التى كانت تشبهها واخذت عنها شـاعريتها وحسها المرهف واتزانها ، وعن طبيعة عشقتها ، وظلت تعشقها حتى آخـر حياتها ، حتى سميت كوليت « ابنة الطبيعة » .

وقد سافرت ابنة فرنسا فيما بعد الى بلاد كثيرة ، سويسرا ، وبلجيكا، وايطاليا ، ورومانيا ، واسـبانيا ، والدانمرك ، وشـمال افريقيا ، ونيويورك .. غير أن واحدة من هذه الرحلات لم تبد لها ابدا فى مثل طول تلك الرحلة التى قطعتها مع ويلى ، غداة زواجهما ، من القرية الى باريس

وانقشعت اوهام كوليت فى عاصمة النور منذ الاعوام الاولى لزواجها . قالت فى كتابها « محاولاتى الاولى ». فى عام ١٩٣٦ ، انها لم تكن تتصور ابدا أن الحياة فى باريس تختلف الى هذا الحد عن الحياة فى الريف .. وقالت ايضا ان اشد ما يحزن فى هذه الحياةالجديدة هو الهوة السحيقة التى تفصل ما بين « السعادة . أو توهم السعادة ، على الاقل ، وعدم وجودها ، بين الحب والتسلية الحسية المنهكة » .

كوليت فى سنة ١٨٩٧



وكان عسيرا عليها أن تحتمل ، فى شقتها المظلمة بالمنزل القديم على الضفة اليسرى لنهر السين ـ ما يبذله زوجها من محاولات سعيا وراء المال أو الشهرة التى كان يتحرق اليهـا شوقا ‥ وادركت بعد ذلك بسنوات أن « صحبة الرجال الذين بلغوا مرحلة النضج قد تعجب الفتيات ، غير أنها تحزنهن سرا · لقد كان زوجى يكبرنى بخمسة عشر عاما » ·

وكان الحنين لامها يعذبها ، وتعلل النفس بالكتابة اليها كل يوم · غير ان روحها المعنوية تدهورت فى النهاية ‥ فمرضت مرضا طويلا ، شغل فى كتابها « كلودين فى باريس » ، الذى ظهر فى عام ١٩٠١ ـ صفحات كثيرة

كان الطبيب الذى يشرف على علاجها يعاتبها برفق لانها لا تبذل جهدا لكى تسترد صحتها ، ويقول لها : « ساعدينى بعض الشىء · انى أبذل قصارى جهدى لتشفى ، ولكنك انت لا تفعلين شيئا » ·

ولكنها شفيت ، لا بفضل الاطباء ، ولكن لان الام الحبيبة جاءت الى باريس للعناية بها · لم تستطع « سيدو » اخفاء ما تحس به من غيرة وحقد ازاء صهرها ، ولكنها انقذت ابنتها ·

ومن الغريب ان هذا الزوج الذى خابت آمال كوليت فى تحقيق سعادتها معه ، والذى لم يفلح هو نفسه فى أن يصبح كاتبا ، أو فى أن يصل الى الشهرة التى يصبو اليها ـ هذا الزوج نفسه هو الذى يدين له عالم الادب، والقصة بالذات، بالمع قصصية فى عصرنا الحديث ··· هو الذى أبرز فى كوليت ، ربما رغما عنها ، موهبة كانت كامنة ، فتفتحت وازدهرت ‥ وان لم يكن يخلو فى كل ذلك من غرض ·

●●●

تقول لنا كوليت ، بعد واحد واربعين عاما من دخولها عالم الادب ‥ فى المقدمة التى اضافتها الى الجزء الاول من مؤلفاتها الكاملة التى ظهرت فى عام ١٩٤٨ ، فى سبعة الاف صفحة تضمنتها خمسة عشر مجلدا ـ تقول ان « ويلى » كان يفكر منذ عام ١٨٩٤ ، او ١٨٩٥ فى أن يعهد اليها بكتابة مؤلفاته ، او بالاحرى الكتب التى كانت تحمل توقيعه ، لانه كالعادة ‥ كان فى حاجة الى المال ···

قال لها ويلى : « ماذا لو سجلت على الورق ذكرياتك عن المدرسة الابتدائية ؟ ولا تخشين سرد التفاصيل المثيرة · فربما درت على شيئا من المال الذى ينقصنى » ·

وكانت كوليت تقضى فترة النقاهة، بعد ان ابلت تقريبا من مرضها الطويل المضنى · ولكنها ، كأى زوجة مطيعة، امسكت بالقلم وعكفت على الكتابة « فى مثابرة ولا مبالاة » · وعندما انتهت ، ناولته كراساتها ، فالقى نظرة سريعة عليها وقال : « لقد كنت مخطئا ‥ انها لا تنفع فى شىء » · وتمضى الزوجة الصغيرة قائلة : « وما ان خلصت منها حتى عدت الى اريكتى ، الى القطة ، الى الكتب ، الى الاصدقاء الجدد ، الى حياتى التى كنت احاول جعلها حلوة » ·

وانقضى عامان · وبينما كان ويلى

يرتب ادراج مكتبه ذات سبتمبر ، بعد عودتهما من الاجازة ، وقعت عيناه على كراسات كوليت ، التى كانت قد سطرتها بنظام وعناية يذكران بتلميذة مجتهدة جادة ، وكان الزوج يعتقد « انه إلقى بها من زمن فى سلة المهملات » . فأخذها ، وتصفحها دون ترتيب ، ثم قفز الى حيث كانت توجد قبعته ذات الحافة العريضة ، ثم هرول خارجا الى حيث سلمها لناشر .. وهكذا اصبحت كاتبة » .

وهكذا ايضا ظهرت « كلودين فى المدرسة » فى عام ١٩٠٠ ، ولاقت هذه القصة نجاحا لم يكن متوقعا ، فلم يخب امل ويلى اذ بيعت منها على الفور خمسون الف نسخة .

وكانت قصة « كلودين فى المدرسة » باكورة لاربع قصص أخرى تحمل اسم كلودين : وهى « كلودين فى باريس » و « كلودين زوجة » ، و « كلودين ترحل » و « بيت كلودين » . كما كانت فاتحة لانتاج غزير على مدى ثلاثة وخمسين عاما ، ما بين الرواية ، والقصة الطويلة والقصيرة ، والنقد المسرحى والمقال الصحفى ، وأبواب ادبية أخرى تجمع بين نوعين من الادب .. مما يضعها فى مصاف كبار الادباء الفرنسيين، من أمثال كلوديل وبروست وفاليرى وجيد .

ولم تكن كوليت فيلسوفة او باحثة فيما وراء الطبيعة .. فهى لم تعبأ فى حياتها الا بالطبيعة الانسانية .. بالمخلوقات فى مواجهة الحياة ... بسلوكها وفقا لما تمليه الغريزة .. بعطشها وجوعها ، فهى من هذه الارض ومن هذا العالم ، أحبت الحيوان والاطفال والزهور وكل ما ينبض بالحياة ، فى بساطة ودون تعقيد .

رأت فى المادة جمالا ، ووجدت الجمال فى كل ما هو حى ، فى كل ما فيه نفس يتردد ، كل ما يتحرك يتكلم ويسكت ، أو يبقى حيث أريد له أن يكون ، سواء كان حصاة أو قوقعة أو نباتا أو حيوانا . ووصفت كل ذلك بدقة وواقعية اشاد بهما كبار معاصريها من الادباء والشعراء والكتاب .

وكوليت ماثلة فى كل ما كتبت يحس بها القارىء وان لم تتحدث عن نفسها ، انها هى بعينها كلودين فى المدرسة وفى باريس ، وكلودين الزوجة .. وكلودين التى رحلت .. وان ظروف حياتها القاسية التى انتزعتها من ريفها الحبيب ، لم تستطع ان تنتزع حبها للارض التى انبتتها ، وللطبيعة التى ترعرت بين احضانها .. ورغم انها مارست مهنا عديدة ، وعرفت اوساطا متباينة ، الا أنها ظلت دائما تلك الطفلة الصغيرة السعيدة فى حديقة « سيدو » .. ولا ريب ان آفاق عالمها قد آتسعت ورحبت على مر السنين والاسفار ، ولكنها كانت دائما تكتشف هذا العالم بما وهبت « مينيه ـ شيرى » ـ كما كان يحلو لامها أن تناديها ـ من حس مرهف

بائعة العطر

صادق وذاكرة تصويرية واعية .. لا سيما « ذاكرة الحواس » كما تسميها كوليت نفسها .

والى جانب احساسها القوى بكل ما يزرع وينبت وينمو ويتكاثر ، بأى شذى أو لمسة ، بدفء النسمة وعبق الجو ، وبالماء وورق الشجر ، كانت لكوليت قدرة عظيمة على التعاطف مع الآخرين ، على الامتزاج بآلامهم وأحلامهم وخلجات نفوسهم ، مما جعلها تبدع فى تصوير شخصياتها ، وتضفى عليها من صدق الاحاسيس ، فاذا بها حية تتحرك .

وكما كانت طفولة كوليت وقريتها مصدرا ألهمها كتبها الاولى ، أوحت لها حياتها فى باريس بين زواج وطلاق، ورقص وتمثيل صامت ، وغير ذلك من متناقضات الحياة الباريسية ــ عددا من رواياتها التى كتبتها بعد ان بلغت مرحلة النضج الادبى ، مثل « الشريدة » و « ميتسو » و « جيجى » و « شيرى » و « نهاية شيرى » و « القطة » و « الطاهر والدنس » و « مطلع النهار » و « جولى دى كارنيلان » و « القنار الازرق » .

ولعل الحب بكل ما يتفرع عنه من تفان ، وحنان وفراق وعتاب ، وغيرة وتمزق ، هو القاسم المشترك فى معظم قصص كوليت ، ان لم يكن فيها جميعا .. واسمى ما وصل اليه الحب فى قصصها جميعا هو دون شك حبها لامها : سيدو ، التى افردت لها كتابا سمته باسمها ، وان كانت لم تؤلفه الا بعد مماتها . وكانت كوليت تقول عن الحب انه « خبز الحياة » ، والحب « هو ان يحب الانسان ، لا ان يكون محبوبا » .

قالت كوليت : « عنفنى أحد أزواجى (وقد تزوجت كوليت ثلاث مرات) ذات يوم بقوله : الا تستطيعين ان تؤلفى كتابا دون أن تتحدثى عن الحب أو الخطيئة أو الشذوذ أو الفراق .. الا توجد فى الحياة اشياء أخرى ؟ !

وكانت كوليت تسمى الرجال « الاعداء الاعزاء » .. وكانت صادقة فى تحليلاتها . بالنسبة للرجال والنساء على السواء .

●●●

ولعل كوليت هى الاديبة الوحيدة التى عاشت كتابتها اكثر من خمسين عاما ، تغيرت خلالها الميول والعادات والاتجاهات الاجتماعية تغيرا كبيرا ، ولكنها لم تتأثر بشىء من ذلك . لم تتأثر « بموضة » عابرة أو بتيار طارىء . أما التأثير الوحيد الذى أضفى صبغة موفقة على قصصها ، فهو تأثير المسرح الذى يجعل شخصياتها تتواجه وتتصارع وتتحاور كما يفعل الممثلون على خشبته .

لقد ظلت كوليت دائما امرأة واحدة، وان كانت متعددة الصور ، سواء فى حياتها أو فى كتبها : التلميذة

بائعة العطر

ذات الضفائر الطويلة .. الممثلة أمام مراتها .. الصحفية .. الروائية .. صاحبة محل التجميل .. السيدة العجوز التي لا تزال تتجمل بعناية وتحرص على اخفاء جبهتها العريضة بخصلات من شعرها الكستنائى – كل هذه النساء تمثل امرأة واحدة .. ولكن متعددة الصور .

كانت كوليت تحب الحياة .. فاغدقت عليها الحياة ، عرفت المجد والشهرة ولكنها لم تتغير ، فظلت مخلصة لاصدقائها وتقول عن الصداقة انها « تتسع لتصبح هذه الرابطة التي يمطها الفراق دون ان يمزقها . وتقوى في غياب الصديق احكامها بحرية » .

وظلت كوليت مخلصة لانوثتها ولم « تسترجل » كما فعلت قريناتها من الكاتبات اللاتى الفن كتبا سياسية او انبرين للدفاع عن قضايا عامة ، كعمل المراة ، فقد اكتفت بالكتابة عن النساء اللاتى كانت تراقبهن أثناء عملهن ، وتقول ان المراة لن تحصل على المكانة التي تستحقها الا اذا مارست انوثتها ، اى دون مصادرة لطباعها الخاصة بها . وكانت تعجب « للنساء اللاتى يطالبن بالاصلاحات وبالحرية دون ان يفهمن تماما ماتمثله هذه الكلمات الكبيرة » .

حدث وهي في الثمانين من عمرها ، أن قطعت فجاة الحديث مع ضيفتها « مرجريت كروز لاند » لتمسك مراتها وتنظر فيها ثم تعتذر قائلة « لقد نسيت أحمر الشفاه ! » .

واذا كانت أعمال كوليت قد شملت انواعا مختلفة من الادب ، اذ تضمنت الرواية والقصة الطويلة والقصيرة . والنقد المسرحي والمقال الصحفي ، وأعمالا اخرى تجمع بين نوعين من العمل الادبي ، وبالتالي لا يمكن وضعها تحت باب بعينه الا ان هناك خطا صاعدا يشير الى التطور الذى لازم هذه الاعمال قرابة أكثر من نصف قرن . فلا يمكن لاحد أن ينكر أن كوليت ، عضو الاكاديمية الفرنسية ، ذات الثلاثة والسبعين عاما ، كانت تكتب كما كتبت من قبل كوليت الشابة الصغيرة مؤلفاتها الاولى .

ومع ذلك فان كتبها جميعا تشكل كلا واحدا متماسكا ، فيما يشبه السيمفونية الرائعة .. نبع من صفاء وموسيقى وصدق ، كانت الكتابة عند كوليت مزيجا من لذة والم » ..

وقد تحدثت كوليت في « رسائل الى هيلين بيكار » ، صديقتها الحميمة ومعاونتها ، اربعا واربعين مرة عن « ضرورة الكتابة .. والمعاناة في الكتابة » . قالت لها في احدى رسائلها : « لم أعد أستطيع .. انى أعمل بمرارة ، كآلة صماء .. انى كالمادة مجفونة وممزقة .. تصورى يا هيلين أى شجاعة تلزمني لكى

أعمل ! » . وتهتف قائلة : « الورق .. أخضر أم أزرق .. هو العنو »

وعن كتابها « الطاهر والدنس » ، تقول كوليت : « لقد انتسته، كالعائدة فى أيام وليال من اليأس » . وبعد أن كتبت آخر كلمة فى قصتها «القطة» تنهدت قائلة : « ربى .. كم يضنينى العمل » . بل انها قالت عن الكتابة: « ليس هذا هو العمل الذى خلقت من أجله . لقد كان لى عمل آخر قتلته مهنة الكتابة .. عمل متواضع ، هو التطريز وشغل الابرة » !

ومع ذلك فقد كانت كوليت قادرة على العمل ثمانى أو عشر ساعات متواصلة ، وتقول لسكرتيرتها : « لقد عانيت طوال حياتى من أجل هؤلاء الذين لن أعرفهم أبداً » ، أى من أجل قرائها الذين يحبونها .

وكان للكلمة قداستها عند كوليت ، ولعل تقديرها لها وحرصها على انتقائها هى السبب فى المعاناة التى تتحدث عنها . كانت تكتب فى بطء حبا للكمال ، وبحثا عن الكلمة الصحيحة والصورة الموجزة الواضحة حتى لقد شبهها معاصروها من الادباء والنقاد بالكتاب الكلاسيكيين . وكانت تقول : « لن أجرؤ ابداً على الاكتفاء بكلمة مؤقتة اقول لها : انتظرينى هنا .. ساعود بعد قليل لألبسك ثوبا جديداً ! »

اسلوبها حياة وحركة وايقاع ونغم .. بل قيل ان اسلوب كوليت ، هو كوليت نفسها .

وفضلا عن ذلك كله ، تميزت كوليت عن جميع بنات جنسها بتكريم وطنها لها ، كما لم تكرم امرأة أو اديبة من قبل . فقد منحتها فرنسا وسام جوقة الشرف ، وجعلتها عضوا لمرئيسة لاكاديمية جونكور ، وشيعت جنازتها فى احتفال وطنى .



كوليت بين جان بول سارتر وكريستيان بيرار



كوليت الاديبة الكبيرة فى شيخوختها

د. فاطمة موسى

لعل فن الرواية من أكثر فنون الأدب التصاقا بالمرأة في مختلف مراحل تطوره . نشأ هذا الفن بمعناه الاصطلاحي الحديث أول ما نشأ في انجلترا في القرن الثامن عشر (١) ، وارتبط بانتشار الصحافة واتساع قاعدة القراءة بدخول كثيرات من نساء الطبقة الوسطى في زمرة المتعلمين أو أنصاف المتعلمين . ويربط مؤرخو هذا الفن بين زيادة عدد القارئات وشيوع الموضوعات « العائلية » القريبة من قلب المرأة من حب وزواج وارتباطات اجتماعية ، مقابل التهويلات البطولية والمغامرات التى كانت تسود النثر القصصى السابق على مرحلة الرواية الواقعية .

المرأة وفن الرواية في الأدب الإنجليزي

ترتبط تاريخ الرواية بين درجة التعليم المتواضعة التى أتيحت لجملة القارئات فى ذلك الوقت . وبين خلو هذا الفن الناشىء من قيود التراث الكلاسيكى من أدب اليونان والرومان وهو الذى طبع فنون الادب « الراقى » أو « المثقف » بطابعه فى جملة الآداب الاوروبية . كما يفرد البعض طول الروايات الاولى واغراقها فى التفصيلات الى ما أتيح لغالبية القارئات من فراغ بعد أن أدى التطور الاقتصادى الى خروج كثير من الصناعات المنزلية الى السوق والمصنع فلم تعد نساء الطبقات الوسطى بحاجة الى الغزل أو النسج أو الصابون أو حفظ اللحوم والمأكولات فى بيوتهن . ولم تتح لهن مخالطة الرجال فى الرياضة أو ارتياد المقاهى والاندية ،

فيقين حبيسات البيوت يزجين وقت الفراغ الطويل بالقراءة أو الحديث(١) خاصة وأن هذا التطور الاقتصادى نفسه دفع الى المدن بجيش جرار من بنات الريف وأبنائه ليعملوا بالخدمة فى البيوت ، ويشكلوا أكبر مجموعة مهنية من العاملين فى تلك القرن ٠

اجتذب فن الرواية الى جانب القارئات عددا من الكاتبات أكثر من غيره من فنون الأدب ، ولعل اللغة الانجليزية أغنى اللغات الأوربية من ناحية اسهام المرأة فى ميدان الرواية عالجت المرأة الرواية فى الأدب الانجليزى منذ نشأة هذا الفن فى القرن الثامن عشر حتى يومنا هذا ، وقد عفا النسيان على كثير مما سطرته أقلام النساء من قصص وروايات ، الا أن عددا منهن أسهم بأعمال روائية عبقرية ، بقيت على الأيام عيونا من عيون الأدب الانجليزى والتراث الانسانى كله ٠



شارلوت برونتى : كبرى شقيقاتها وأسبقهن الى النجاح

وقد يحلو لنا التأمل فى العوامل الفارقة التى تبرز اسم كاتبة وتطمس أخرى ، فنجد أن مقياس الفن الجيد لايختلف باختلاف جنس الكاتب ٠قد يجد القراء متعة مستقرية فى رواية بقلم أنثى تكشف عن مكنون نفس المرأة وتحسن التعبير عن مشاعرها فيهللون مشجعين معجبين ، ولكن مقياس الخلود أقسى وأعمق غورا ، وليست العبرة فى خلود الرواية ببريق الجدة أو غرابة الموضوع ولكن بعمق التفكير وقدرة المؤلف الابداعية وعكوفه على فنه وايثاره بكل وقت وجهد لا فرق فى ذلك بين ذكر أو أنثى

واذا استعرضنا أسماء عدد من كاتبات الرواية اللاتى ثبت انتاجهن على الزمن ، رأينا أنهن جميعا كرسن حياتهن للفن ولم يجعلن من الكتابة نشاطا جانبيا يتلهين به أو يزجين وقت الفراغ ، ولا أعنى بهذا أنهن ترهبن للفن أو حرمن على أنفسهن العلاقات الانسانية والأسرية وانما أعنى أنهن جميعا أخذن الكتابة مأخذا جادا ، ولم ينقطعن عنها فى جميع الظروف ، واخضعن ما يكتبن لعين ناقدة فاحصة ، ودأبن على التجويد والتنقيح ما أوتين اليه سبيلا، ولم تكن عثرات النشر وسخرية الناقدين أو الحاسدين لتفت يوما فى عضد كاتبة منهن ٠

ان سيرة الشهيرات من كاتبات

(٢) لاحظ التشابه بين ظروف انجلترا فى القرن الثامن عشر ومصر فى مطلع القرن العشرين ٠

المرأة

الرواية اليجانب حجم انتاجهن وورثه الفني ، دليل على ان الطريق الى ما ينقع الفن لا يفرق بين رجل وامرأة وقد تجد المرأة منالعقبات ما هى فى غنى عنه ، الا ان الطريق العسير هو السبيل الى الفن الخالد ، وعليها ان تتزل اليه بكل ما تحمل من اعباء اضافية ، فلا طريق غيره

***

لعل اسم جين اوستن (١٧٧٥ — ١٨١٧) اول ما يتبادر الى ذهن القارىء عند ذكر الرواية تكتبهـا المرأة فتصبح علمـا من اعلام الفن يقدرها الرجال قبل النساء ٠

كتبت جين اوسـتن ست روايات كاملة ونشر منها فى حياتها اربع (١) وخلفت منالمحاولات المبكرة والاعمال الناقصة واعدادا كبيرة من الرسائل الخاصة مما يدل على انهـا بدات الكتابة فى سن مبكرة واستمرت حتى اخر ايامهـا وان هدها المرض وهى فى الثانية والاربعين من عمرها

نشات جين اوستن فى اسرة كبيرة العدد متوسطة الحال وكان ابوهـا قسيسا فى قرية فى جنوب انجلترا ، وقضت حياتهـا كلها فى محيط اسرتها فى الريف ، عدا زياراتقليلة للعاصمة وبعض مـدن المصيف او الاستشفاء ، وقد شاركت فيما يشغل بنات طبقتها من انشـطة اجتماعية وترفيهية ، فلم يفطنكثير من معارفها وجيرانهـا الى ان بين ظهرانيهم اديبة مبرزة ستصبح يوما من اعلام الرواية فى الادب الانجليزى ٠

كانت جين اوستن متواضعة فيما تكتب عن نفسها ، وصفت نفسـها ساخرة بانها « اجهلانثى تجرات على حمل القلم ! » الا ان ما كتبته يكشف عن قراءة متعمقة لادباء القـرنين السابع عشر والثامن عشر ، وتاثر واضح بعلمين من اعلام الرواية فى القرنالثامن عشر هما ريتشاردسون وفيلدج ، الى جانب اطلاعها على جل ما نشر فى حيـاتها من قصص وشعر ، وغرامها بالقصص القوطى اى قصص الرعب الذى شـاع فى العصرالرومانسى ، فلم يكن تواضعها الا وسيلة لحماية فنها من تدخـل الناصحين والنقاد ويقترحون عليهـا ما يجب ان تعالجه من موضوعات ، كما كانت تخفى اوراقها اذا دخـل عليها ضيوف او غرباء خشـية ان تضـطر الى ان تقرا عليهم بعض ما تكتب ٠

---

(١) تنقسم روايات جين اوستن الى مجموعتين : المجمـوعة الاولى هى الروايات المبـكرة الكبرياء والتحيز والعقل والعـاطفة ودير نورثانجر ، والمجموعة المتاخرة وهى ايما ، وقدرة الاقناع ، ومانسفيلد بارك وقد نشرت الاخيرتان بعد وفاتها ٠

سخرت جين اوستن فى قصصها من التحذلقات الدعبات الثقلة ، كما سخرت من جموح العاطفة والافراط فى الحساسية تحت تاثير القصص الرومانسى والشعر العاطفى المفرط ، والحق أن كتابات جين اوستن خير مثال للفن الكلاسيكى الملتزم بالوسط الذهبى المحمود فى كل شىء .

ينتهى بتصحيح الخطاء بعض الشخصيات ، وتأنيب « البعض الآخر واظهار الفارقة بين ظاهر الاشياء وباطنها او حقيقتها . ولكن النهاية سعيدة على العموم بعكس المعالجة المأسوية، ومن هنا يبدو لنا البعد الاخلاقى فى الرواية وهو عنصر اساسى فى كل أدب جاد .

كانت جين اوستن فنانة جادة تعرف أصول فنها ، وتلتزم بحدود المادة الاطوع لقلمها ، وقد حددت مجال الرواية عندها مختارة ثلاث او اربع عائلات فى قرية بالريف ، وقد يرى البعض أن ضيق مجال الرواية لا يتيح للكاتب الفرصة لطرق الموضوعات الانسانية الهامة التى تشغل بال الفنانين والقراء فى كل زمان ، على أن براعة جين اوستن تبدو من خلال ما التزمته من قيود فنية ، فالعالم الصغير الذى تصوره، ليس الا نموذجا مصغرا للعالم الكبير يخضع لنفس قوانينه ويتحرك لنفس دوافعه .

ولا يقتصر التزام الكاتبة على تحديد مجال الرواية ومادتها بل تلتزم بوحدة زاوية النظر ووحدة المعالجة ، فالقصة تروى من موقع واحد فى الرواية هو موقع الشخصية الرئيسية (البطلة فى هذه الحالة) ، وتظهر براعة الكاتبة فى انفصال وجهة نظر الراوى عن وجهة نظر البطلة مع التزامه بموقعها من الاحداث

اما المعالجة فكوميدية (بمعنى الكوميديا عند ارسطو) فسير الاحداث

ان قصص جين اوستن تتالق بالفكاهة والمرح ، وتمتع القارىء بجمال الاسلوب الكلاسيكى المتزن ، ولكننا اذا تعمقنا الحوادث وعلاقات الشخصيات كشفت لنا عن اهتمام جاد بمشكلات المسئولية الفردية والاجتماعية ، وواجبات الاباء والابناء ، وعلاقة الفرد بأسرته وجيرانه ومجتمعه وواجبات كل نحو الاخر ، ولا يعنى هذا ان الكاتبة توجه الوعظ سافرا الى القراء ، لكن البعد الاخلاقى اساسى فى تصور الشخصيات وتخطيط الحوادث ، فهو لا يظهر فى نسيج القصة الظاهرى لكنه ثابت راسخ فى اساس البناء .

كان سير والتر سكوت الشاعر الرومانسى واشهر من كتب رواية المغامرات التاريخية فى الادب الغربى فى اوج مجده وشهرته عندما نشرت روايات جين اوستن فكان اول من اعترف ببراعة فنها ، لقدرتها على تشويق القارىء وامتاعه من خلال احداث من الحياة اليومية وشخصيات عادية من عامة الناس ، كتب فى مذكراته بعد وفاتها ببضع سنوات :

« قرات للمرة الثالثة على الاقل

المرأة

رواية مسز أوستن البديعة الكبرياء والتحيز · كانت شـابة موهوبة ، تصف علاقات ومشـاعر وشخصيات الناس العاديين بطريقة مدهشة لم أر مثلها فى حيـاتى · ان سرد المغامرات والوصف المبـالغ فيه فى مقدورى ومقدور كثيرين غيرى ، اما اللمسة التى تضفى التشويق والاهمية على العادى واليومى من الاشـياء والشخصيات بصدق الوصف والفكرة فلا قبل لى بها !

« يا للخسـارة ان قضت تلك المخلوقة الموهوبة فى سن مبكرة ! »

•••

وبعـد وفاة جين أوستن بثلاثين عاما سطع فى سماء الادب نجـم شقيقات ثلاث ، طالعن القـراء متخفيات خلف قناع من أسـماء الرجـال ، فقد تغير الزمن وأصبحت المرأة فى منتصف القرن التاسع عشر اقل جرأة على اتخاذ سمات الاديبة أو الشاعرة من أمها وجدتها ، هـذا بالرغم من ازدياد عدد المتعلمات بين النساء ، ولكنها سيادة أخلاقيات الطبقة الوسطى بما تفرضـه على المرأة من قيود ·

نشرت الشـقيقات شارلوت واميلى وآن برونتى نخبة من أشعارهن سنة ١٨٤٦ تحت أسماء مستعارة (١) ، ولم تلق قصائدهن نجـاحا يذكر فلم يثنهن ذلك عن الكتـابة واتمت كل منهن رواية كانت تعالجها ، ودفعن بها الى النشر فى العام التالى بنفس الاسماء المستعارة ، ارسلن القصص بالبريد لناشر تلو ناشر، ثم اضطررن فى النهاية الى قبول شروط مجحفة للنشر ·

كانت شـارلوت برونتى كبرى الشـقيقات اسبقهن الى الشـهرة والنجاح، وقد ساعد ما لقيته روايتها جين اير (١٨٤٧) من ترحيب القراء والنقـاد على الاسراع بظهور رواية شـقيقتها اميلى **مرتفعـات وذرنج** (١٨٤٧) ، وروايتين لآن **اجنس جراى ١٨٤٧ والمستأجر فى ويلدفل هـول** (١٨٤٩)

ان النقد الحديث ينزل **مرتفعـات وذرنج** أعلى مراتب الفـن ، الا ان كاتبتها لم تجن ثمرة عملهـا ولم تحقق نجاحا فى حياتها ولم يقدر لها أن تشهد الطبعة الثانية للكتاب ، ولا أن تسـترد جنيهاتها الخمسين التى دفعتها للنـاشر اسهاما فى تكاليف النشر ، فقـد مرضت اميلى برونتى بعد وفاة شقيقها برانويل فى سبتمبر

---

(١) اتخذت الشقيقات أسماء تحمل نفس الحروف الاولى من اسم كل منهن

Charlotte Bronte = Carrer Bell   Emily Bronte = Ellis Bell

Anne Bronte = Acton Bell

وقد خلطت الصحافة بينهن وظن البعض أنهن شخص واحد ثم كشفت كل من شـارلوت وآن برونتى عن شخصيتهما منعا للالتباس اما اميلى برونتى فلم تحفل بهذه الامور



سير والترســـــكوت : اعتــرف ببراعة جين أوســـتن فى فن الـــــرواية

١٨٤٨ وكانت عنيــدة قوية الشكيمة وحاولت التغلب على مرضها بقـــوة

العزيمة ففشلت ووافاها الاجـــل فى

ديسمبر ١٨٤٨ ، وتبعتها آن بعــــد شهور قليلة ٠

قدر لشـــــارلوت برونتى كبرى الشقيقات ان تعيش بضع سنواتبعد

ان لمع اسمها واسم شقيقتيها ، فتحمل مسئولية تعريف الناس بالاســــماء

الحقيقية للأشقاء كارر ، واليس ، واكتون ، بل زارت العـــاصمة ثلاث

مرات فى حياتهـــا القصيرة وتعرفت بمشاهير الكتـــاب من أمثال ثاكرى

مؤلف سوق الباطل ، وهاريتمارتنو التى كانت تتمتع بشهرة واسعة ككاتبة

صحافة واصلاح ، وتوثقت صلتهـــا بكاتبة صحفية وروائية ناشئة قـــدر

لها فى المســـتقبل أن تكون أول من

يكتب سيرة الشقيقات برونتى ، هى مسز جاسكل ٠

تزوجت شارلوت برونتى فى سنة ١٨٥٤ من مساعد لأبيهـــا يصغرها

بعام ولكنها لم تعمر بعد زواجهـــا أكثر من تسعة أشـــهر ، اذ حملت

وأهاج الحمل داء الصدر الوبيـــل الذى أودى بشقيقاتها الاربع منقبلها

كما أهاج التهابا قديما فى الكبــــد

فكانت نهايتها فى مارس سنة ١٨٥٥ ولما تبلغ الاربعين عمرا ٠

بعد وفاة شـــارلوت برونتى أصبح حديث الشقيقات الثلاث من قـــرية

هاورث من اعمال برادفورد بمقاطعة يوركشير بشمال انجلترا ، أسطورة

يتناقلها الناس ، وجبانة القـــرية الصـــغيرة وبيت القسيس مزارا

للمعجبين ، وفى سنة ١٨٩٣ تكونت جمعية برونتى وتضم اعضـــــاء من

مختلف الجنسيات يتوفرون على حفظ تراث تلك الاسرة ونشر البحوث عن

الشقيقات ومؤلفاتهن ، وأصبح البيت متحفاً تعمل الجمعيـــة والدولة على

حفظه وحفظ مخلفاتالاسرة، وتتهافت المكتبات فى أوروبا وأمريكا على شراء

مذكرات الشـــقيقات ورسائلهن بأسعار

لم تخطـــر لشارلوت برونتى على بال

وهى التى عاشت فى قلق منمستقبلها ومستقبل شقيقاتها ، وكانت تدفـــع

بهن للدراســــة كى يعملن مدرسات يكسبن قوتهن ، كما حاولت أن تفتح

مدرسة خاصة فى البيت فلم تأتهـــا تلميذة واحدة ، وفى النهاية طرقـت

أبواب الناشرين فكانت قصة النجاح والشهرة العجيبة ٠

ان ما نشر عـــن آل برونتى من

الدراسات الغثة والثمينة ليزحمرفوف المكتبات ، على أن أهم ما يلفت نظ

الباحث فى هذا المجـــال أن تلك الدراسات تكشف عن زيف أسطورة ثلاث فتيات ريفيات قليلات الخبـرة ضعيفات المعرفة خرجن على العالم فجأة باعمال روائية عبقرية لا يعلم أحد من أين أو كيف استقين مادتها!

ولعل ذكرى اميلى برونتى مؤلفة مرتفعات وذرنج حظيت باكبر نصيب من الاسطورة ، فتاة منطوية لا تطيق البعد عن بيت أبيها لاسابيع قليلة . لا تكاد تزور أحدا من الجيران تكتب رواية وحيدة تصور حبا عنيفاوعلاقات اجتماعية معقدة وشخصيات غريبـة وطبيعة فريدة ، قاسـية حينـا ، ومبتهجةمشرقة احيـانا اخرى، وتستثير قضايا الخيروالشر والجبر والاختيار ومسئولية الفرد نحو نفسه ونحـو الآخرين ، وتمتع القراء من كل سن وفى كل زمان ، فمن اين لها بكـل ذلك ؟!

ويزول العجب بالنظر فى أوراق آل برونتى ورسائل الشقيقات الصديقة أو الثقتين ، اذ يكشف ذلك عن مران طويل فى الكتابة ، ومعايشة دائمـة لعالم الادب ، كان لوالدهم ميـــول ادبية منذ الصغر ، وقد نشر باتريك برونتى الاب خمسة كتب ثلاثة منهـا مجموعات من الشعر لم تلق نجاحا يذكـــر ، ولكنهـــا تقف على رف المكتبة شاهدة على اتصال ابيهم بعالم الادب .

وقد بدا الاطفال الكتابة منذ سـن مبكرة اذ اتجهت آمالهم من الصغر الى عالم التاليف ، وقد اشتركوا معـا فى خلق عالم خيالى يبدعون لهقصصا واحداثا ، ويخلقون له شـخصيات استمرت عالقة بخيالهم سنوات طويلة

كانوا يكتبون الشـعر والقصص وينقد بعضهم بعضا منذ سن مبكرة. وكانوا يقراون كثيرا . يستعيـرون الكتب والمجلات انجليزية وفرنسيةمن الجيران والاصـدقاء بالعشرات ، وعندما فتح معهد عالى للدراسـة الليلية فى مدينة قريبة اشـتركت الاسرة فى المكتبة وكانت تسـتعير الكتب بانتظام .

خلقت شارلوت من خيالها مدينـة عجيبة باسم انجريا وكانت واخواتها يكتبن خطابات كثيرة عن هذه المدينة، ثم انشقت اميلى ومعها آن وخلقت اميلى لنفسها عالما مسـتقلا سمته جندال كانت تكتب فيه الشعروالقصص طوال حياتها القصيرة وتسـاعدها آن .

وكانت الفتيات يعلقن آمالهن على شقيقهن الوحيد برانويل ، ويرون فيه موهبة الكتابة والرسم ولكن خابت آمال الاسرة فى برانويل اذ تردى فى هاوية السكر والمخدرات وقبـع فى النهاية فى بيت أبيه بعد طرده منبيت مخدومه على اثر فضيحة يندى لهـا

جبين شقيقاتها ، وقضت على آمال شارلوت فى فتح مدرسة للفتيات ، وكانت هى القوة الدافعة التى لا تنى يوما عن حث شقيقاتها على بذل مزيد من الجهد ، وعليها مسئولية اتخاذ القرارات وتنفيذها ، كانت هى صاحبة فكرة نشر ديوان من الشعر ثم نشر ما كتبن من روايات ، وقد قبلت قصص شقيقتيها (بشروط مجحفة) ورفضت روايتها هى « الاستاذ » فلم يفت ذلك فى عضدها ، روت عنها صديقة لها انها بدات كتابة « جين اير » فى يوم من اقسى ايام حياتها ، وقد فشل ديوان الشعر ولم يبع الناشر الا نسختين طوال العام ، كانت فى مدينة مانشستر برفقة ابيها بعد أن حملته على اجراء عملية جراحية فى عينيه حتى لا يفقد البصر تماما ، وكان الرجل فى السبعين من عمره وقد تحمل الجراحة (بدون تخدير) وهى واقفة الى جواره ، ثم رقد فى حجرة مظلمة عدة اسابيع فى المدينة الغريبة وهى تمرضه ، واذا بمخطوط روايتها المرفوضة « الاستاذ » يصلها بالبريد فبدات كتابة جين اير فى نفس الليلة !

فلا عجب انها وشقيقتيها كن يوالين الكتابة ويحلمن بمشروعات المستقبل فى أحلك الظروف العائلية والصحية التى مرت بها تلك الاسرة الموهوبة .

تعجب الكاتب ثاكرى وكان من المعجبين بفن شارلوت برونتى ، تعجب من قوة أسلوب «جين اير» ، مع انها اول رواية تنشر لها ، وذكر كيف مضى يكتب عشر سنوات قبل أن يقبل له شيء ينشر ، وردت عليه شارلوت برونتى بانها زاولت الكتابة عشرين سنة قبل ان ينشر لها سطر واحد فقد بدات الكتابة فى سن التاسعة !

كان هذا حالها وحال شقيقتيها وحال كل كاتبة رواية قدر لها النجاح ، واستحق اسمها الخلود منذ ايام جين اوستن فى مطلع القرن التاسع عشر ، وقد يتسع المجال يوما لمزيد من التفصيل عن كاتبات نابغات حملن امانة الفن من جورج اليوت فى القرن الماضى الى فرجينيا وولف وكاترين مانسفيلد ثم دوريس لينج ومارى ماكارثى — فى ايامنا هذه ، فكلهن يخضعن لقاعدة واحدة ليس لها شواذ ، فالعمل الجاد المتصل «وانزال» الكتابة فى المرتبة الاولى من اهتمام الكاتب او الكاتبة ، والتحكم التام فى مادة الرواية واخضاعها للمقتضيات الفنية اولا واخيرا ، والالتزام بالصدق الفنى والتاريخى ، كل ذلك كان ومازال الاساس فى نجاح العمل الروائى لا فرق فى ذلك بين رجل وامرأة .

---

(١) لمزيد من التفصيل انظر نشأة الرواية فى الادب الغربى ، من كتابنا بين ادبين ، مكتبة الانجلو ، القاهرة سنة ١٩٦٥ وكذلك Ian watt, the rise of the novel, Pehguin Books 1963.

إبراهيم
صبري

في ذكرى المولد النبوي العظيم

السراج

يا سراجاً .. هو السنا والسناء
قد تجلت بنورك الأنبياء
كلما نوّر الوجود نبيٌّ
بشعاعٍ ... فأنت فيه « ذكاء »
أودعَتْ في كيان آدم ومضاً
داولته سلالةٌ علياء
وَرَعَتْهُ يد القدير ليزهو
حينما يرتقي ... وحيث يشاء
وأتى أمره ... فصار جنيناً
ترتجي الأرض وضعه والسماء
***
فإذا في السماء والأرض صبحٌ
بعد أن طال بالوجود المساء
وإلى « مكة » الملائك تغدو
حيث كان السنا .. وكان الرجاء





في « قريشٍ » لآل هاشم بيتٌ
حلَّ فيه الملائك الحفظاءُ
قد أحاطوا « بنت وهب » حناة
فإذا الوضع هيِّنٌ ورخاءُ
باركته يدُ المهيمن حتى
كان من نور « أحمد » سيماء

***

وإذا القوم غافلون سكارى
ليس يعنيهمو بذاك احتفاء
عَمِيتْ فيهمُ القلوب وضلت
فاستوى عندها الدجى والضياء
وإذا الكون بالجهالةِ غابٌ
عاثَ فيه الغواة والجهلاءُ
يصنعُ العبدُ من يديه « إلها »
يُرتجى .. وهو دُميةٌ صماءُ
إنما يُرتجى إله قديرٌ
في يديهِ لكل داءٍ دواءُ

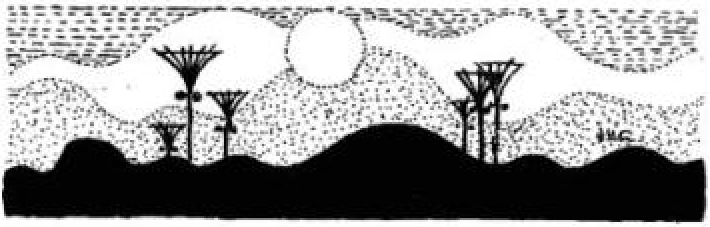
***

كان هذا الدواء طفلا يتيما
قد تبنَّتهُ في علاها السماءُ
وانتقتْ خير مرضعٍ لرضيعٍ
أينما حلَّ .. حلَّت النعماء

ولمـــا ظاهرا .. وشبُ نقيــــا
دأْبُه الصدق والنـــدى والوفاءُ
أطلقوا الصـــادق الأمين عليـه
بَيِّنَ الحق ليس فيـــه مراءُ ـ
كلما صـــادفوا عسيرا عليهم
كان بالصادق الأمين اهتـــداءُ

***

فإذا الصادقُ الأمينُ « رســول »
جُمعت فى خلالهِ الأنبيـــاءُ
رافع الرأس بالفضائل مختـــا
لٌ .. وليست بطبعهِ الخيـــلاءُ
حقر الكِبْرَ فى النفوس ولـكنْ
عن فِعالِ الهــوى لهُ كبـرياء
لا يَمُدَّنَّ عَيْنَـه لحـــرامٍ
وعن الحق ما له إغضـــاءُ
فإذا مُسَّت الحدودُ يقينـــا
فهو السيف قاطعا والمضــــاءُ





لا يحـــابى مقتَرِّباً .. أو قريبـا
فهو العـدل قولُه والقضـاءُ :
انمـــا أهلكَ الذين تولّوا
عفوَهم عن كبارهم إن أســاءوا
وقضاءٌ على الصـغير لضعفٍ
باءَ بالخسْرِ ما قضَـوْهُ وباءوا
إنما يستوى العبـــاد حقوقا
عربىٌ أو أعجمىٌ .. سَـــواء
ليس من فارق يميز امرأً منهـــم
غيْر ما ميّزَ التقى والنقـــاءُ

***

فإذا المؤمنـــونَ إخوةُ بيْتٍ
جلَّ فيـــه البنـــاءُ والبنّاءُ
أكملتْ صَرْحَهُ رســالةُ طه
فهى فيـــه الدعائم الشمّاءُ
دعوة تجمع الرســالاتِ طرّاً
مثلما تجمع النجـــومَ السماءُ
وهو فيهـا السراج للخلق جمعـا
قد تجلى بنـــورهِ الأنبـــاءُ
وأتى خاتمـــا .. وكان ابتـداءً
فلْنَنِعمْ الختــــام والابتداءُ

رحلة الشهر

الهيروغليفية .. أهي أصل العربية ؟



سيد كريم

في رحلة الشهر الماضي ، ذكرت ان فقيد الادب عبدالحميد جودة السحار كانت له نظرية قابلة للحوار ، يقول فيها ان الهيروغليفية هي اصل اللغة العربية ، عن طريق السيدة هاجر المصرية ، زوجة ابراهيم ابي الانبياء عليه السلام

ويختلف المهندس الأديب الدكتور سيد كريم ·· ويقول في بحث له عن أصل اللغة العربية ·

• استند المرحوم الاستاذ السحار في بحثه الخاص بعلاقة الهيروغليفية باللغة العربية ، الى ان السيدة هاجر زوجة ابراهيم عليه السلام كانت اميرة مصرية نشأت وتعلمت في معابد الفراعنة ، وطبيعي انها تلقت علومها باللغة الهيروغليفية ، ثم تزوجت بعد ذلك ابراهيم عليه السلام . فلما تركها ابراهيم هي وولدها اسماعيل عند موضع البيت الحرام وتفجرت لهما المياه واخضرت الارض التف حولها البدو طلبا للسقيا ، فعلمتهم · وما كانت لتعلمهم الا ماكانت تعلم باللغة الهيروغليفية ·

• ثم ظلت تلك اللغة تتطور على السنة القبائل حتى كانت منها سائر لهجات العرب » ·

« وقد تذكرتم ان تلك النظرية تصلح موضوعا يطرحه العلماء على بساط البحث . ولما كنت قد قمت ببحث ذلك الموضوع بالذات في دراساتي الخاصة بالعلاقة بين «الفراعنة والاسلام » . فيمكنني تلخيص تلك العلاقة كما يلي :

« بدأت هجرة المصريين الى الجزيرة العربية في نهاية الاسرة السادسة (٢٣٠٠ ق.م) عندما قامت الثورة المعروفة التي اجتاحت البلاد . وبدات الهجرة بمهاجرى منف الذين استوطنوا بمنطقة مكة واطلق عليهم بني مناف . وينسب اليهم بناء الكعبة التي كانت تحاكي معابد منف بآلهتها الثلاث آلهة الخير والخصب والتناسل (آليت وايزيت ومنى) وهي التي حطمها سيدنا ابراهيم عندما أعاد اصلاح الكعبة (اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى) .

كما هاجر كثير من المصريين الى الجزيرة العربية وفلسطين في أواخر الاسرة الثامنة عشرة (١٣٥٠ ق.م) في اعقاب الثورة الدينية التي قامت ضد ديانة التوحيد التي نادى بها اخناتون . فهدمت معابده واضطهد رجاله . فكانوا أول من نادى بالتوحيد في الكعبة وأطلق عليهم الصابئة الذين ذكروا في القرآن ونقلوا شعائر ديانة اخناتون بما فيها الطواف والسجود والطهارة وغيرها الى هناك .

« ويطلق على اسم مهاجرى مصر « جرهم » وهي كلمة فرعونية معناها مهاجرو مصر . وهو الاسم الذى ذكروا به في القرآن . وهي القبائل التي لجأت اليهم هاجر الفرعونية لانها تفهم لغتهم .. فهم الذين علموها العربية وليس العكس .

فمهاجرو منف – بني مناف – الذين ينحدر منهم اهل قريش وقبائل جرهم الرحل الذين طافوا بانحاء الجزيرة واندمجوا مع اهل البلاد كانت لغتهم الفرعونية مصدرا لكثير من الكلمات والاسماء والمصطلحات التي ظهرت في لغة قريش خاصة . كما ضم القرآن الكريم كثيرا منها . هذا بجانب اللهجات الفرعونية التي تأثرت بها لغة الكثير من القبائل في الجاهلية .

وقد وصف عمرو بن العاص مصر في الرسالة التي ارسلها الى عمر بن الخطاب بقوله « اهل مصر اكرم الاعاجم كلها واسمحهم يدا واقربهم رحما بالعرب وبقريش خاصة » .

هناك ملاحظة اخرى، وهي استعمال كلمة الهيروغليفية في عنوان المقال للتعبير عن اللغة، فاللغة يطلق عليها اسم اللغة الفرعونية او على الاصح اللغة المصرية القديمة ، لانها عرفت قبل عهد الاسرات . اما كلمة « هيروغليفية » فهي نوع الخط كالخط الرقعة والنسخ والكوفي في اللغة العربية .



الرئيس انور السادات

وكانت اللغة المصرية القديمة تكتب بثلاثة خطوط مختلفة وهى :
الخط الهيروغليفى (هيرو ـ جليفوس) النقش المقدس
الخط الهيراطيقى النقش الكهنوتى
الخط الديموطيقى الخط الشعبى

● د · مهندس سيد كريم ●

ـ على الرغم من هذه المعلومات الصحية ، فأن الموضوع يستحق أن يثار ، وأن يبقى باب الحوار فيه مفتوحاً بين العلماء والدارسين حتى نهتدى الى رأى قاطع فى صلة اللغتين احداهما بالاخرى ·

الشاب الأسمر



عزيز المصرى

« فى عام ١٩٤٩ اسهمت فى تحرير « المصور » بسلسلة من المقالات استمرت شهورا كان عنوانها « عظماؤنا فى عهد التلمذة » يدل عنوانها على موضوعها · وكان من بين الشخصيات المختارة « الفريق عزيز المصرى » الذى زرته فى منزله بالزيتون وقضيت معه فترة غير قصيرة دونت خلالها الكثير الذى نشر بعضه واحتفظت ببعضه الاخر ، وتطرق الحديث المتشعب عن دوره فى ايقاظ الروح الوطنية فى الجيل الجديد من الضباط الامر الذى افضى الى القبض عليه ومحاكمته فى عام ١٩٤٢ · ورجعت الى محفوظاتى مقتبسا الفقرة التالية من محضر التحقيق الذى اجراه معه النائب العام حينذاك فى يوم ١٣ اغسطس ١٩٤٢ ·

سأل النائب العام الفريق عزيز المصرى : هل تعرف احدا من الضباط المتقاعدين يشتغل بالمقاولات الحكومية ؟

فأجاب عزيز المصرى بقوله :

« نعم اعرف شاب اسمه السادات · واعرفه فى الجيش لانه كان ضابط كويس فى سلاح الاشارة ، وكنت انبسطت منه وأنا افتش الجيش · وزارنى فى يوم جمعـــة فى الغالب بعـد انفصالى من الجيش · ثم كان يتردد على فى الاعيـــاد وكنت اسأله أين هو ؟ فيقول نقلونا هنا او هنا ·· وانا لى حادثة معه لانه السبب فى اعتقـــالى · ذلك انه تم القبض على جاسوس المانى ادعى أن السادات وزميله وهو ضابط لم اكن اعرفه من قبل ، قد عرفاه بى · فلما ووجها بى انكرا ما قاله الجاسوس ·· »

وقد ظل السادات مختفيا حتى انتهت الحرب ·

هذه القصة الصغيرة تؤكد الحقيقة الابدية وهى أن جميع الوان العاناة جذور ضاربة فى تربة الوطنية لا تثمر ولا تزهر

ولا تثمر الزعامات الشعبية الا عن طريقها . وتاريخ مصر المعاصر من عمر مكرم الى السادات يؤكد هـــذه الظاهرة الصحية ، وما برزت وعاشت زعامات وطنية بدون هـــذا الثمن، واذا وصل واصل البهاولم يدفع الثمن من المعـــاناة فلا يدل ذلك الا على أنه استغل اخرين فيالوصول الى ماوصل اليه لاعن تضحية وايثار بل عن ذكاء وامرة .

● احمد عطية الله ●

ـ المعاناة ... هى الفكرة الاساسية وراء هذه الكلمـــة الطيبة للاستاذ الكبير احمـــد عطية الله .

والمعاناة ... لا فى حقل السياسة وحده ، بل فى كل حقل من حقول الحياة . لقد انتصر السادات بالمعاناة ، كما انتصر طه حسين والعقاد وتوفيق بالمعاناة ، وكما انتصر كل لامع فى حقله بالمعاناة .

هذه كلمة للمقبلين على الادب والشعر والقصة : دعوا الادب السهل ... واقبلوا على أدب المعاناة .

أنـــا .. فـــى الميزان

سالنى كثير من القراء الاعزاء عن سر الكتاب الذى صدر فى العام المنصرم ، عن مطابع لبنان ، يضعنى فيه مؤلفـه فى الميزان ، ويقول فى ما قاله مالك فى الخمر

ويسالنى هؤلاء القراء الاعزاء لماذا سكت عن هذا الكتاب ولم أعقب عليه ؟

والجـــواب :

أولا ـ ان وراء هذا المؤلف الظاهر ، مؤلفا باطنا ، أعرفه ولا أملك ـ فى ظروفه الحالية ـ الا ان اقول : شفاه الله .

وثانيا ـ ان صـــفحات « الهلال » ليست ملكى حتى استغلها فى الدفاع عن نفسى ، ولكنها ملك للقراء ، لا تنشر بها الا الذى ينفعهم ، واما الزبد فيذهب جفاء .

وثالثاً ـ انوراء هذا الكتاب ، ماساة خلقية، هى ان المؤلف ـ واعنى المؤلف الظاهر ـ جاءنا بكتاب لننشره فى سلسلة « كتاب الهلال » وتقاضانا حقه . وبينما نحن نعده للنشر ، فوجئنا بانه باع الكتاببذاته لناشر فى لبنان ، اصدره بالفعل فلم املك ـ كامين على مال دار الهـــلال التى هى ملك للشعب الا ان اطالبه برد ما اخذ .. فكان رده هو هـــذا الكتـــاب الذى يضعنى فى الميزان ، وقد نشره فى لبنان .

هذا كل ما عندى ، ولان ازيد ، رغم ان عندى كثيرا من المزيد .

في نادي القصة



يوسف السباعى

فى اليوم الحادى عشر من الشهر الماضى ، اقام نادى القصة حفلا لتأبين الاربعة الكبار الذين فقدهم الفكر المصرى فى العام الماضى : عزيز اباظة ، طه حسين ، محمود تيمور، عبد الحميد جودة السحار .

وكان الحفل برئاسة يوسف السباعى ، وزير الثقافة .

اما المتحدثون فكانوا : د . حسين فوزى (عن تيمور) و د . سهير القلماوى (عن طه حسين) وثروت اباظة (عن السحار) وانا (عن عزيز اباظه) .

وكنت اشفق الا تحتمل مساحة نادى القصة – وهى محدودة – العدد الضخم من الجمهور الذى يقدر عظمة هؤلاء الراحلين ... ان فاته ان يقدر اوزان المتحدثين .

كنت اظن ان الوفا ممن افادوا واستمتعوا بآثار هؤلاء الراحلين ، سيهرعون الى الحفل حتى يضيق بهم المكان . ولكن خاب ظنى حين حاولت ان احصى جمهور الحفل ، فاذا هو لا يصل الى المائة .. رغم ان بطاقات الدعوة وزعت على الكثيرين ، وارسلت الى مختلف الجامعات والهيئات ، ونشرت فى الصحف .

فى شبابنا ، كنا نسمع ان زيدا او عمرا من الادباء المعروفين سيتحدث فى اى مكان ، فنسعى الى هذا المكان سيرا على اقدامنا ، مهما بعد ، طلبا لمتعة الفكر ، والتماسا للقاء الاديب المتحدث .

وفى امريكا قاعات للمحاضرات .. تهرع اليها الجماهير كل اسبوع ، فتضيق بهم على سعتها . ولهذا كنت ارى صفوف الناس طويلة امام شبابيك تذاكر قاعات المحاضرات، لحجز مقاعد موسمية ، بأجر مرتفع لا يترددون فى ادائه .

فهل معنى ظاهرة حادث نادى القصة ، ان جيلنا الجديد زاهد فى الادب – ان لم اقل انه زاهد فى الوفاء لذكرى الراحلين ؟

وهل معناها ... مرة اخرى ... اننا دون غيرنا من الدول المتحضرة فى الاقبال على الاستماع الى الاعلام ؟

الزجل غير الشعر



بيرم التونسى



الحبيب شيبوب

فى هذا الجيل ظاهرة ادبية مؤسفة ، هى ان الزجال قد اصبح يأنف أن يقال عنه انه زجال ، يصر على تسمية نفسه بالشاعر ... أو الشاعر الشعبى على الاكثر ·

والمحنة ان الصحف والاذاعات سايرت هــذا التيار ، واصبحت هى الاخرى تقدم الزجال على انه شاعر ، والزجل على انه شعر !

فى هذا تحاور اعضاء لجنة الشعر ، وقرروا ان يكتبوا لرؤساء الاذاعة والتليفزيون ، ولرؤساء تحرير الصحف ، لتصحيح هذا التصحيف ·

ان الزجل فن مستقل عن الشــعر ... هو فن النظم باللغة الدارجة ... وهو فن له جماله المفــرد وجلاله المستقل ، منذ عهوده القديمة فى بغداد والاندلس ، الى اليوم·

وقد كان بيرم اميرا للزجل ، ســما به الى الحد الذى اضطر امير الشعراء احمد شوقى أن يقـــول فيه « انى لا اخشى على الفصحى خطرا اكبر من خطـــر بيرم لروعة ازجاله ·

ومع أن بـــيرم كان فى الوقت ذاته شـــاعرا ينظم بالفصحى ، وله فيها قصائد جميلة ، فانه اخذ نفســـه باغلبيته ، وكان يفخر دائما بأنه زجال ، وقد كرر هذا الفخر فى العديد من ازجاله ، فليت اخواننا زجالى اليوم يأخذون من امامهم بيرم القدوة الحسنة ·

بهذه المناسبة اقول ان صديقنا الاديب التونسى اللامع ، الحبيب شيبوب ، ارسل لى منذ ايام قصيدة لبيرم ، من وزن جميل قل ما نظم منه فى تاريخ الشعر العربى ، ومع هذا ، فان المشارقة لم يقرءوها ، ولم تذكر فيما نشر من شعر بيرم فى المشرق العربى ·

وهذه هى القصيدة بعنوان « الربيع » :

العبـــاد تلتطم — والربيـــع يبتســم
ارضــنا التى هرمت — واستشفها الهــرم
لا تزال ضــاحكة — لا يكيــدها الســم
عيــدها ومحفلهـــا — فى الربيـــع يلتئم
هـــذه ازاهرها — كـــل زهـــرة علم
والطيور منغــمة — حيث يجمـــل النغم
يا لهـــا مزينـــة — بالعفـــاف تعتصم
فى رياضــها التحفت — والجـــداول الحـــزم
من راى ارتفالهــــا — هـــز عطفه الكرم
او راى بنفســجها — حلقت به الهمـــم
حفــلة تقاسمهـــا — الحمير والغنـــم
والعبـــاد تلتطم .. — والعبـــاد تلتطم ..

مع القراء

● الاديب العراقى الكبير عبد الرزاق الهلالى يقول فى رسالة منه :

« قرأت منذ بضعة شهور فى « الزهور » مقالا لكاتب اسمه بحيد الدين ، نقد به كتاب الاستاذ جمال الالوسى (طه حسين بين انصاره وخصومه) فعجبت كما عجب غيرى من شكل هذا « التقريظ » .. ذلك لانه جرد المؤلف من كل فضل . وانكر عليه كل شيء ، بينما الواقع لا يقر ما ذهب اليه . وقد اسفنا على هذا ولم تشأ ان نعلق عليه ، لا سيما فى العراق . فكيف يجرد هذا الكاتب من كل نفع وفائدة ؟ » .

ـ مهما يكن الراى فى هذا التعقيب ، فان للاستاذ جمال الالوسى مكانة يعرفها كل قارىء فى الامة العربية .

● وتتوالى رسائل القراء الاعزاء أحمد مصطفى حافظ ومحمد اسماعيل حجى والهام عبد العليم ومحمود السعدنى محمود وغيرهم ـ وكانها خطة مدبرة ـ لتحريض المجلس الاعلى للفنون والاداب على سرعة نشر ديوان الشاعر السكندرى الراحل عبد اللطيف النشار .

ـ ولكى تهدأ هذه الخطة ، اطمئن اصحابها الى ان لجنة الشعر قد تلقت الديوان الذى جمعه الاستاذ احمد مصطفى حافظ ويقوم اثنان من اعضاء اللجنة بمراجعته وكتابة تقرير عنه . ثم يحال بعد ذلك الى بعض كبار اعضاء الهيئة العليــة للفنون والاداب بالاسكندرية الذين عاصروا النشار وعاشروه لاضافة ما لديهم من قصائد الشاعر الراحل ، وما علمهم من انبائه ، حتى يصدر العمل مستكملا وخليقا بقدر النشــار .

● والاديب « محمد حسن داود ـ القاهرة » يعقب على كلمتى فى « زهور » فبراير عن عملية الادب الجديدة ، بهذه الكلمة :

« دعنى اذكركم بعدد الهلال الخاص عن اصحاب السيف والقلم .

واذا نظرنا الى العهد الحديث وما فيه من الادباء المقاتلين نجد أن مجلة « سنابل » قد افردت لهم مساحات كبيرة على صفحاتها « من خرنقة النــار » ومنهم الشاعر أحمد عنتر مصطفى والشاعر احمد سويلم وكثير غيرهما .

ومن الشعراء الذين كانوا من رجال السيف ايضا ، الشاعر كامل أمين الذى كان دائم التغنى ببطولاته فى الحرب التى خاضها سنة ١٩٤٨ على أرض فلسطين . وفى ديوانه المشاعل كثير من شعره فى هذا الجانب .

وظلت ذكريات هذه الايام فى ذاكرته على الدوام وهـذا مقطع من قصيدة نشرت فى الهلال :

ذكريات الصبا عليك السلام
والوداع الوداع يا احـلام
شيعى الفارس العجوز غريباً
اكلته فى الغربة الآلام
اين ايام صبوتى ولياتى
عمراتى دارت بى الايام
نسيتنى جبال (بيسان) دنيا
وفدائيا تعاورته الشآم
يوم كانت طلاى من عرق الخيل
وكاس يديرها لى الحسام
من ازيز الرصاص غنيت شعرى
وطبولى دقها لى الالغام
ايها الليل والنهار حرام
ان مثلى يموت حيا حرام

ومن اعماله الكبيرة فى هذا المجال « ملحمة السموات السبع » وهى فى الفين وثمانمائة بيت من الشعر .

● والسيد « على حسين شقديح ـ السلط ، الاردن » يسألنا أن نبعث اليه بصورة لعميد الادب العربى المرحوم الدكتور طه حسين ـ ونرجو ان ننهى الى سيادته والى جميع القراء الاعزاء أننا قد درجنا هذا العام على توزيع صورة ملونة لاحد اعلام الادب والفكر كهدية مع كل عدد من اعداد الهلال . وستكون منها صورة لطه حسين .

● والشاعرة نعمت عامر ـ شاعرة السويس ـ ستصدر ديوانا وطنيا بعنوان « زهور النصر » قالت فى مقدمته:

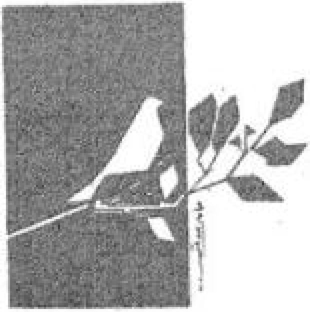
لكل جنود أتوا بالعبور
سطورى الهدية منى زهور
تضوع بنصر شذاه عبير
وتعبيرا صادق فى الشعور

قـرأت هـذا الشـهر

● الضاحك الباكى : طبعة جديدة انيقة من الكتاب اللامع لاستاذنا فكرى اباظة ويروى فيه سيرة حياته الحافلة

(الناشر المكتب المصرى الحديث)

● وبقيت الذكريات : كتاب ممتع من ادب الرحلات



للكاتب اللبناني رياض حتين ، يرسم صوراً ملونة الاحساس لمدينة نيويورك .

● ذو الرمة شاعر الطبيعة والحب : دراسة متعمقة عن الشاعر الأموى المرهف ، للاستاذ كيلانى حسن سند .
(الناشر : الهيئة العامة للكتاب) .

● يوم الكرامة ـ ٦ اكتوبر: ديوان من الزجل الوطنى ، لامين سلامة .
(الناشر : دار الفكر العربى) .

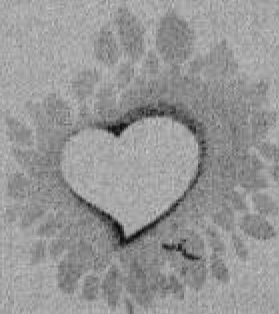
● اليهود : كل ما قيل عن اليهود ، وعن الحركة الصهيونية، قديما وحديثا ـ صنفه فى كتاب واحد ، الاستاذ زهدى الفاتح .

● العالم بين يديك : موسوعة صغيرة لتعرفك بحقائق جميع دول العالم ، جغرافيا وتاريخيا ـ للاستاذ اسماعيل شوقى .
(الناشر : مجموعة « اقرأ » لدار المعارف)

● اغنية الحب : ديوان بالغ اية الاناقة فى الشعر الانسانى والوجدانى ، لصاحب السيف والقلم ، الشاعر المقدم حسن اسماعيل ، مع مقدمتين للدكتور حسن ظاظا والعوضى الوكيل .

● ص . ج ●

روحية
القليني



أغلى من الحياة

أغلى عليَّ من الحياةِ ... أقولها لا أكذبُ
بالهمسةِ النشوى تعطّر عالمي وتحجّبُ
في قلبكِ الحب الكبيرُ أرى ندّاه فأشربُ
يدري ذكاؤك ما أعانيه وما أتهيّبُ
فاذا شكوتُ أراكِ تصغي للحديث وتعجبُ
وكأنه النغم الذي تهفو اليهِ وتطربُ
أو حين أعتبُ لا تثور، تقول اني المذنبُ
والعتبُ رمز الحب والحب القويُّ يُعذّبُ
ترتاحُ نفسي، استكين، يقر قلبي المتعبُ
أنا ما خلقتُ لغير حبكِ والأثير مقرّبُ
قدَرٌ، وفي الأقدار لا سببٌ لها ومسبّبُ
قدَري أجلْ، هل منه يوما في حياتي مهربُ
قيْدٌ أجل، لكنني أرضاهُ فهوَ محبّبُ
والقيد يحمي الحب يستهوي الحبيب ويُجذبُ
كالكأس تحتضن العطر سحرٌ معينه لا ينضبُ
تتقلب الأيام، أما القلب لا يتقلّبُ



هدية العدد صورة أحمد شوقي

● ولد سنة ١٨٦٨ وتوفي سنة ١٩٣٢ ، لقب بأمير الشعراء ، ولد بالقاهرة لأسرة موسرة الحال امتزجت فيها الدماء العربية والتركية واليونانية والجركسية .

● ولد في ١٦ أكتوبر سنة ١٨٦٨ بحي الحنفي بالقاهرة والتحق بكتاب الشيخ صالح ، ثم المدرسة الخديوية، فمدرسة الحقوق (قسم الترجمة) ثم سافر الى فرنسا لدراسة الحقوق والاداب سنة ١٨٨٧ وعاد سنة ١٨٩١

● ابعده الاستعمار البريطاني الى اسبانيا وبقي هناك طوال خمس سنوات ، واطلع على اثار الحضارة العربية الاندلسية ، وتغنى بها في بعض قصائده ، وبعد عودته الى الوطن كان اقرب الى الشعور بقضايا الشعب ومشكلاته حتى اصبح شاعر الشعب والعروبة والاسلام .

● كان نصيرا للمرأة في عصر تكاثفت حولها فيه الحجب والقيود ، فدعا في الكثير من شعره الى تحرير المرأة ومنحها حقوقها السياسية والمدنية وتقديس الزوجية والامومة ودعم روابط الاسرة .

● حارب الاستعمار حتى سيق الى المنفى ، ودعا الى الثورة على الظلم والجوع . وحارب حكم الفرد ، ونادى بالشورى الواعية ، واحسان اختيار من يمثلون الامة .

● مجاله في القوميات لا يقل عن مجاله في الاجتماعيات والانسانيات ، وكان شوقي ملتزما نحو كل قضية او ظاهرة تمس مصر والشرق . قومية كانت هذه القضية او اجتماعية ، فكان يعبر عنها بصدق واحساس متقد .

● اوتي في شعره هبة الموسيقى وملكة التصوير ، وجمع في قصائده بين عمق الخيال وصدق الواقع .

● لم يفت شوقي أن يعبر عن شغفه بالطبيعة في كل بقعة من الارض سواء أكانت في وطنه مصر أم خارج وطنه ، وقد كان جلال التاريخ وعظمة الاثار من مصادر وحي شوقي .

● اول من كتب المسرحية الغنائية، وقد كتب سبع مسرحيات هي : مصرع كليوباترا – قمبيز – علي بك الكبير – مجنون ليلى – عنترة واميرة الاندلس – الست هدى . ورواية البخيلة التي لم تطبع حتى الان .

● خلف في الشعر الغنائي ديوانا ضخما سماه « الشوقيات » وهو يقع في اربعة اجزاء اكثرها القصائد طويلة .. وقد عثر على اكثر من مائة قصيدة لم يسبق نشرها في دواوينه .

● اقامت له ايطاليا تمثالا بين تماثيل الخالدين بحدائق بورجيزي ، وقد ازيح الستار عن هذا التمثال سنة ١٩٦٢ ..

● من آثاره كرمة ابن هانيء التي اشترتها الدولة حفاظا على هذا التراث العربي الخالد .

د. سيد كريم



فينوس ميلو
وفينوس بيكاسو

فن البناء.. وراء زىّ النساء

ماهى العمارة؟ .. وما هو الطراز ؟ لقد تعودنا ان نسمع اسم العمارة مصحوبا دائما بكلمة « فن » . فالفن هو اول لقب اطلقه التاريخ على العمارة عندما تمكن بواسطتها من تسجيل تاريخ الحضارة الانسانية وحياة مجتمعاتها فى مختلف مقومات تراثها الحضارى من عقائد ومعتقدات وفنون واداب وعادات وتقاليد .

وصفها قدماء المصريين بأنها فن السماء أو هبة السماء للأرض ليبني الانسان عمارة الحياة ٠٠ حياة المجتمع ويقدم الشكر للاله أو الاعتـــراف بالجميل ببناء عمارة الخلود ٠٠

وصفها قدماء الرومان بانها قاعدة مثلث الفنون اى مثلث العمارة والنحت والرسم ٠٠

ووصـــفها قدماء الاغريق « بأم الفنون » ٠٠

فاذا كانت العمارة « فن » ، فهى فن تسجيل الحضـــارة الانســانية ٠ وطرازها ٠٠

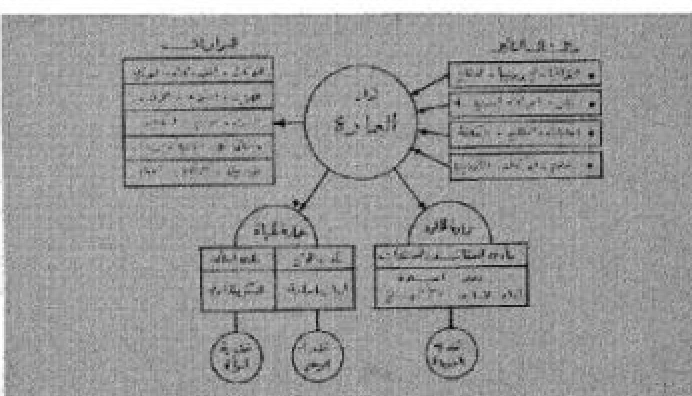
● لم يخطىء « جوته » عنـــدما وصف العمـــارة بقوله : « العمارة موسيقى متجمدة » كما وصفها بتهوفن بانها « سيمفونية الحياة الصامتة » ٠

هناك علاقة محسوسة بين العمارة والموسيقى ٠٠ فاذا كانت الموسيقى هى ترجمان العاطفة ، فتلك العاطفة قد انعكست على الطابع المعمارى وفنون بنائه وتشكيل طرازه ٠

● فموسيقى القبـــائل البدائية والشعوب الهمجيـــة التى تتمثل فى دقات الطبول ذات التكرار المتجانس تنعكس على مبانيها وطابعها البدائى او اكواخها المتماثلة والمتراصة بغير ترافق او تجانس ٠

● والموسيقى الريفية فى كل بلد ـ التى تتسم ببساطة الحانها ورتابة انغامها التى تنتمى الى الطبيعة الحرة وتنبت من أرضها ـ تجد لها انعكاسا على مبانيها التى تتميز بالبســاطة والهدوء ٠ ومواد بنائها التى استمدتها من الطبيعة المحيطة بها ٠ ٠

● والموسيقى العربية ذات الانغام المتجانسة والتكرار المستمر ٠ للنغمات الاصلية ٠ وخلفيتها يمكن قراءتهــا او الاستماع اليها بســـهولة على

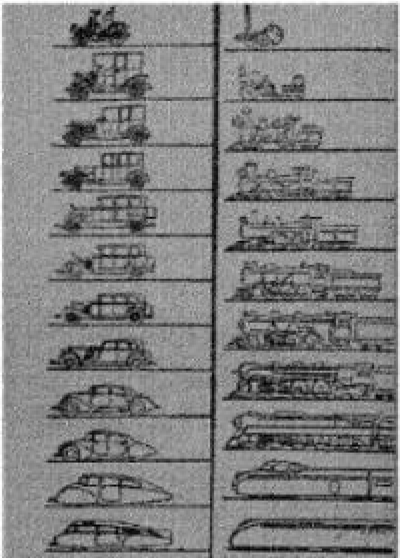


واجهات مبانى الطـــراز العربى أى التكرار السطحى المستمر بالنسبة للعقود والزخارف والمشربيات ٠

ان تغير شخصية العمارة العربية من بلد الى آخر وتغير شكل العقود والقباب ونسب المبنى ، قد وجد له تماثلا فى تغير شخصية الموسـيقى المعاصرة له ٠٠

● والموسيقى الكلاسيكية فى كل بلد بما فيها من تعقيد أو بساطة ، وسطحية أو عمق ، وجدت لها انعكاسا صريحا على العمارة التى عاصرتها . انطبعت ألحانها وأنغامها على واجهات المبانى وزخارفها ونسب تكوينها ٠

فالعـــلاقة بين موسيقى الاوبرا الايطالية وطراز عمـارة الرينسانس الايطالى . أو الاوبرا الالمانية والعمارة الالمانية أو الفرنسية التى صــاحبت عمارة العصر ، تؤكد أن موسيقى كل بلد من تلك البــلاد ما هى الا لغة العمارة نفسها ٠٠ أو أنها تجسـدت لتشكل الطراز ٠



وسائل النقل .. القاطرة والسيارة تطور شكلها وطرازها بما لتكنولوجيا الحركة والسرعة .. وتطور التصميم فكان طرازها انعكاساً لازمنة التى عاصرتها

ان تلك العلاقة يمكن كشفها بوضوح فى العلاقة بين الطرز المعمارية الهندية والصينيـة القـديمة منها والحديثة وتطور العمارة معها ٠

ان هناك علاقة أبعد من تلك أمكن تأكيدها ، وهى العلاقة بين أشكال الالات الموسـيقية فى كل عصر من العصور وعلاقتها بطراز المبـانى كالعود العربى والقباب والالات الوترية الفرعونية وزخارف الطرز الفرعونية أو الكلافير والبيانو وطرز الرينسانس الخ ٠٠٠

ان كل تطور فى العمارة وطابعها ٠٠ سجلته الحان الموسيقى وطابعها ٠٠ فكلما اندمجت ثقافات الشـعوب ببعضـــها تظهـر ذلك فى طابـع موسيقاها ، وها هى العمارة العالمية الحديثة التى بدأت تحتل مكانتها فى مختلف البـلاد وجدت لها صدى فى الموسيقى العالمية المعاصرة ، وتقارب

مع تقارب مدنية وثقافة الشعوب .

● لقد نجح البعض فى الكشف عن العلاقة بين العمارة وأنواع الرقص الذى انطبعت حركاته وأزياؤه فى مختلف العصور بكل من الالحان الموسيقية والطرز المعمارية .

● لم يخطىء ليكوربوزييه عندما قال : « العمارة تعبير مجسم لتكنولوجيا العصر » ان وسائل النقل – العنصر الالى للحركة – قد تغير تصميمها ابتداء من المحفة التى تحمل على الاكتاف الى فجر التكنولوجيا عند اختراع العجلات واستعمال العربات التى تجرها الجياد والدواب ، الى عصر البخار واستعمال القاطرات .. الى عصر البترول واستعمال السيارات والطائرات والى عصر الذرة واستعمال الصواريخ كوسيلة للنقل والانتقال

فطراز وسائل النقل فى كل عصر سار متوازيا مع طراز العمارة التى عاصرته ، فالتكنولوجيا التى وضعت تصميم وسائل النقل الالى .. تكنولوجيا الحركة والسرعة فحددت



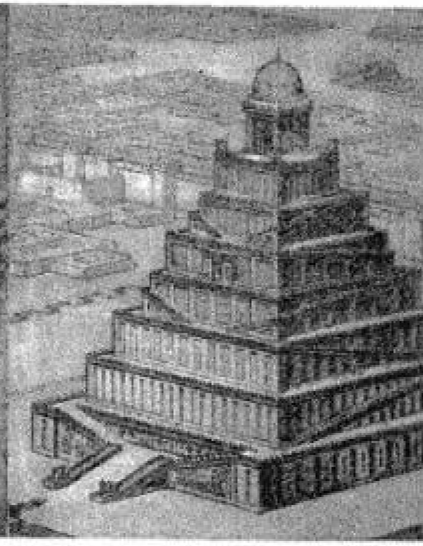
شكل الرجل وطراز المبانى
١ – الافريقى : بحراميو خطوط تكوينه وتكوين مبانيه الراسية المستقيمة
٢ – العربى : عمامته والقباب مبانيه وخطوطها الافقية المتعرجة
٣ – الصينى : اسقف الباجودا بمنحنياتها ومنحنيات غطاء راسه وحواجبه وعيونه
٤ – الرومانى : فنون تصفيف شعره وزخارف ملابسه ومبانيه

اشكالها وطرزها تبعا للغرض الذى انشئت من اجله ، هى التى ستحدد بدورها تصميم العمارة واشكالها التكوينية العلمية تبعا لما تؤديه من غرض انشئت من اجله ٠

لقد عاشت الطرز القديمة كل منها بطول تكنولوجيا الحركة والانتقال،ولقد احتاج الانسان الى ٣٠٠٠ سنة للانتقال بالسرعة من ١٠ الى ٣٠ كيلومترا فى الساعة اى من عصر العربة التى تجرها الجياد والدواب الى القاطرات البخارية وعرباتها ٠ ثم احتاج الى ١٠٠ سنة لينتقل بالسرعة من ٥٠ كيلو الى مائة كيلو اى من القاطرة الى السيارة ٠ كما احتاج الى نصف قرن لينتقل بها من ١٠٠ الى ٢٥٠ كم عند ظهور الطائرات المروحية ثم احتاج الى ١٥ سنة للانتقال بالسرعة من ٢٥٠ كيلو الى ١٠٠٠كيلو فى الساعة عند ظهور الطائرات النفاثة ، ثم الى عشر سنوات فقط للانتقال بالسرعة من الف الى ثلاثة الاف كيلو عندما انتقل الى الطائرات التى تفوق سرعة الصوت ٠٠ واخيرا الى خمس سنوات لينتقل من ٣٠٠٠ الى عشرين الفا باستعمال الصواريخ ومركبات الفضاء ٠



ملامح الوجه وبروفيل كرانيش العمارة
١ – الكرنيش الفرعونى : والوجه المصرى بسماحته ونبل تقاطيعه
٢ – الرومانى : يتمثل فى الوجه القوة والعجرفة
٣ – الرينسانس : الوجه الرومانسى الهادىء التقاطيع
٤ – العصور الوسطى : الوجه الاسبانى ذو الملامح الهادئة والتعبير الغامض



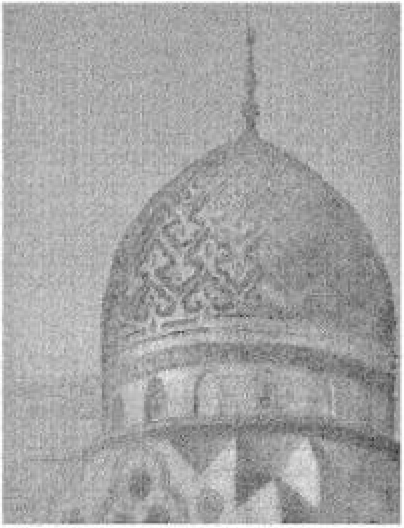


فالتكنولوجيا التى سيطرت على مقومات حياة المجتمع الحديث وطراز معيشته هى التى ستخطط معالم الطراز المعمارى .. حيث سيحل العقل الالكترونى محل العقل البشرى فى تحديد معالم العمارة وطابعها وشكلها والتى ستخضع بدورها الى الحركة الدائمة والتطور المستمر والتغير السريع الذى يعبر عن ضربات نبض مدنية العصر ..

● لم يخطىء سالفسبرج عندما قال ان العمارة مرآة عادات المجتمع وتقاليده فالسكن هو مأوى المجتمع الصغير .. أو العائلة التى يحدد كيانها مجموعة من العادات والتقاليد التى تسيطر على حياتها وتشكل كل ما يحيط بها ويعمل على خدمتها داخل ذلك المأوى من أشكال الحجرات وما يؤديه كل منها وقطع الاثاث أو أجهزة الخدمات وأدوات المعيشة مما أن احساس المجتمع الصغير بفنون الحياة ينعكس على وسائل الرفاهية وتجميل المسكن من زخارف ولوحات وآنية وستائر ورياش ومعلقات وأجهزة للاضاءة .. بل والوان كل منها والتى تشترك كلها فى تشكيلطراز المسكن وحياته الداخلية ، بينما يعبر خارجه عن طراز المجتمع الخارجى .. أو علاقة المجتمع الصغير بالمجتمع الكبير او الحياة العامة فاذا وجدنا شذوذا او ابتعادا عن الحياة الطبيعية فى تصميم السكن وطرازه فى اى عصر من العصور فذلك الشذوذ نجد له مرجعا فى عادات انسان ذلك العصر وتقاليده المصطنعة .

● لم يخطىء ارفنج بوند فى فلسفة العمارة والطراز عندما ربط بين العمارة والملابس وملامح الوجه فى مختلف المناطق والعصور .

فالشاب الاغريقى بجسمه الرياضى وحزامه وعصاه وخطوط تكوينه الطولية المستقيمة التى تنعكس





على خطوط مبانيه واعمدتها وفتحاتها ·· او القباب والعقود وعلاقتهــــا بالعمامة العـــربية وما يحيط بها من خطوط افقية منحنية وزخارف العباءة وكرانيش المبـانى ومقرنصاتها · او المقارنة بين السقف الصينى المشهور بارتفاع اطـرافه وبين قبعة الصينى وارتفــــاع اطرافها وارتفاع اطراف حاجبيه وفتحات عينيــه أو الزخارف الرومانية المعقــدة وعلاقتها بملابس الرجل الرومانى وتصفيف شـــعره وزخارف ملابسه · كما حاول اثبـات العلاقة بين اشكال الوجوه نفسها فى مختلف الشعوب والعصور ومشابهتها لبروفيلات الكرانيش التى تعلــــو الحوائط او تتوج المبانى ·

● لم يخطىء بيتر ماير عندما قال ان العمارة سجل المبادىء السياسية للشعوب فتطور الحالة الســـياسية يتبعه دائما تطـــور فى الحـــالة الاجتماعية ·

فكل انقلاب فى الحكم تبعه انقلاب فى العمارة ·· وكل ثورة تبعتها ثورة مماثلة فى العمارة فهناك عمـــارة العصور الملكية وعمارة الراســمالية وعمـــارة الديموقراطية وعمـــارة الاشتراكية وعمارة الشيوعية ··

هناك عمارة الحرب ·· وعمـــارة السلم ، عمارة الانتقال وعمـــارة الاســـتقرار لكل منها طابعهـا أو طرازها الذى يعبر عن علاقة الفــرد بالمجتمـــع ·· وعلاقة المجتمع بنظام الحكم ·· ونظام الحكم باقتصاديات الحياة ·

● لم يخطىء واحد من هـــؤلاء عندما نظر الى العمارة وطرازها من زاوية واحدة ·· الزاوية التى يحس بها اكثر من غيرها ·

فالطراز يخضع فعلا لمجموعة من



عندما كان زى حواء ورقة التوت كان مسكنها ظل شجرة التوت وفراشها وأثاث بيتها .. الطبيعة الخضراء . . . . . .

المؤثرات .. أو مثلثات التأثير وينعكس على مجموعة من التوازيات .

فمثلثات التأثير أولها مثلث الجغرافيا والجيولوجيا والمناخ

فالجغرافيا أو طبيعة المنطقة لها تأثيرها الشكلى والتكوينى والنفسانى

فمبانى الاراضى المنبسطة الخضراء تختلف عن مبانى الصحارى الرملية

ومبانى الجبال والغابات تختلف عن مبانى الشواطىء البحرية .

لقد لعبت طبيعة المناطق دورا حيويا فى فنون تشكيل المبانى واختيار الوانها التى تتمشى مع الطبيعة الحية وتنسجم معها .

والجيولوجيا : مدت العمارة بمواد البناء وما تبعها من طرق الانشاء الخاصة بها . فالاحجار التى رسمت العمارة الفرعونية بحوائطها وأعمدتها وكتل أسقفها غير الطوب الذى جسم العقود والقباب .. غير الاخشاب

عندما انتقلت من الجنة الى الكهوف الحجرية لتحتمى من الوحوش ، صنعت زيها من جلود الوحوش وزينت مسكنها بصور الرجل القوى وهو يصطاد الوحوش





عندما انتقلت حواء الى المجتمع الثابت انطلقت زينتها من القش والاخشاب والجلود التى تستر وسطها وتظل رأسها . لتحول سكنها الى أكواخ طبيعتها فروع الاشجار واعشابها لكن شكله وطابعه وزخرفته جزءا من ثوبها

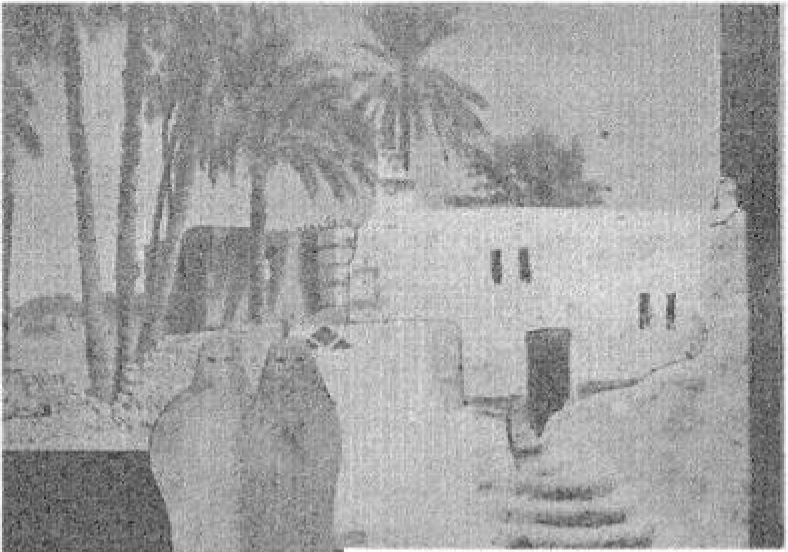
وأســـقفها المائلة ، غير الحديد وهياكله .

والمناخ : اثر الجو من حـــرارة وبرودة ، ورطوبة وجفاف ، وأمطار وعواصف ورياح وضوء . كان لكل منها اثرها فى اشكال المبانى ومواد بنائها وطابع تشكيلها .

هناك مثلث اخر وهو العقـــائد والتـــاريخ والسياســـة ومثلث ثالث وهو المستوى الحضارى والاجتماعى والاقتصادى هذا بجانب الثـــورة الصناعية واثرها فى حياة المجتمع بأكمله ودور التكنولوجيا الحـــديثة وسيطرتها .. وهى مرحلة الانتقال من العقل البشرى واليد العاملة .. الى العقل الالكترونى والآلة الصانعة .. التي كان لها اثرها العروق فى تحديد طراز العمـــارة .. بل طراز حياة العصر بأكمله .

اما المتوازيات التى ينعكس عليها الطراز فهى العادات والتقـــاليد وما يرتبط بها من أزياء للملبس واثاث المسكن وكماليات للمعيشة ووسائل للنقل والانتقال والترفيه ثم الفنـــون الشعبية من موسيقى ورقص وغناء ، والفنون الجميلة من نحت ورســـم وتصـــوير . وآداب الشعوب على اختلاف انواعها .

فطراز العمارة هو التعبير الصادق عن تلك المتوازنات والمؤثرات فى وقت واحد او ما يعبر عنه بشخصـــية المجتمع ..



عندما عرفت المرأة الحجاب الذى يخفى جسدها باكمله ارتدى بيتها نفس الحجاب .. فاختفى السكن باكمله خلف حوائطه المقفلة ولم يظهر منه ما يطل على الخارج سوى طاقات ضيقة

فكلما تغيرت الشخصية تغيرت تبعا لها جميــع تلك التوازيات وتغيرت الصورة المنعكسة على المرآة ·· وهى صورة الطابع او الطراز ··

● ان للعمارة تبعا لعوامل تكوين طابعها أو طرازها وجهين ·· الوجه الاول منهما هو عمارة الخلود التى تبنى لتاوى عقائد المجتمع ومعتقداته ·· كالمعــابد والكنائس والمساجد وغيرها من دور العبادة على اختلاف انواعها ، التى روعى فى اختيــار مواد بنائها وطرق انشائها قدرتهــا على البقاء ومقاومة الزمن ·· فعاشت الوف الســنين لتسجيل تاريخ الحضارات

فتاريخ الحضــارات سجله خط السماء الذى رسمته تلك المبانى وهى ترتفع شاخصة نحو السماء فى محاولة البحث عن الاله ممثــــلة فى قمم الاهرام والمسلات واعمــدة المعــابد وقباب الكاتدرائيات وابراج الكنائس ومآذن المساجد ·

كان لكل منها شخصيتها وطابعها، او طرازها ·· طراز الزمان والمكان الذى كتب تاريخ العمــــارة التى حافظت على تاريخ الحضارة ··

● اذا انتقلنا الى الوجه الاخر من العمارة وطــرازها القومى ، أى عمارة الحياة ·· وهى العمـــارة المعاصرة لحياة المجتمع ، نجـد ان السكن او بيت العائلة هو نواة عمارة المجتمع ، او عمارة الحياة التى تبنى لا للبقاء بل لتنمو وتتطور وتتحرك ·



عندما كشفت عينيها من خلف الحجاب ، كشف البيت عينيه بفتحاته المرتفعة التي تطل على الطريق وبقى فى حراسة حوائطه الصماء المرتفعة التي تحميه من نظرات الطريق

من الذى يبنى المسكن ؟
● لمن .. ومتى يبنى ؟

المسكن يبنى عندما تتكون خليـــة المجتمع ـ العائلة ـ عندما تدخـــل المرأة فى حياة الرجل . فنواة تكوين العائلة هى المرأة

والبيت او المســـكن هو مملكة المرأة .

الرجل يبنى .. والمرأة هى التى تعد المسكن بعناصر الحياة الاجتماعيـــة المكونة له .. تشكله وفقا لمعيشتها .. فطابعه هو طابع شخصيتها .

تلك هى أيضا فلسفة الطبيعة ...

ففى عالم الطيور .. الذكر هو الذى يمد الانثى بمواد البناء .. يحملها لها .. وهى التى تبنى العش ، تزينه بذوقها واحساســـها وحاجاتها .. تبطنه ببعض ريشها الناعم ، ومنـه اتخذ المسكن اسم : عش الزوجية ..

وفى مملكة النحل .. الـــذكر هو الذى يحمل المواد ، والانثى هى التى تبنى الخلية ، وتشكل تكوينها الهندسى بفنها وتنظم غرف الخلية بذوقها .

وفى مملكة النحل .. الذكر هـــو الفاعل الشغال الذى ينقل المواد وكل ما تحتاج اليه الخلية وتقوم الانثى ببنائها وتنظيم هندستها وفرشها .

فتش عن المرأة اذا أردت أن تعرف طراز المسكن وشخصية طابعه فكـــل بيت له شخصية ، ووراءه امرأة لهـــا



البرقع الإسكندراني المتحرك ..
مشربية الشباك المحسرة

شخصية .. وراءهما طراز معمارى يعكس تلك الشخصية ..

فطراز المسكن مرآة المرأة التى ينعكس عليها طرازها نفسه أو شخصيتها .

سئل فيلسوف معاصر كيف يحكم على شخصية المرأة ؟ .. فقال من ذوقها فى اختيار ازيائها ..

فزى المرأة هو اللغة التى تعبر بها عن علاقتها بنفسها وبالمجتمع .

فى كل مرحلة من مراحل تطورها .. ابتداء من حياة الغابة اول بيت لحواء ، الى الكهوف الحجرية ، الى مختلف عصور الحضارة .. بقى المسكن يلهث وراءها . يتغير طابعه بتغير طباعها وشكله بتغير اشكال حياتها والوانه بتلونها . وقاره من وقارها .. تبذله من تبذلها .. حركة تغيره من حركة تقلبها . ففى عصور استقرارها استقر معها .. وفى



عروسة المشربية ، وعروسة البرقع

الشبك الشفاف والفتحات
المغطاة بالستائر الشفافة





عندما كشفت جزءا اكبر من وجهها وتزينت بالحلية والاقراط . . اتسعت المشربيات لتكشف مساحة اكبر من النوافذ التى تستتر خلفها وتزينت المشربيات والفتحات بالحليات والقرنصات والشرفات

عصور ثورتها ثار معها .. وفى عصور تحررها تحرر معها .

● عندما كان زى حواء جزءا من الطبيعة نفسها ، لا يستر جسدها الا ورقة التوت ، كان مسكنها كهف لا يخفى مدخله الا بعض الشجيرات والنباتات . زخرفت حوائط الكهف برسوم تعبيرية تصور قوة رجلها وهو يصطاد الحيوانات ويصارع الوحوش دفاعا عن مسكنه .. واثثته بفروع الاشجار وكتل الحجارة وجلود الحيوانات .

عندما نسجت حواء رداءها وشكلته وصنعته ، نسج البيت بناءه من الطوب والاحجار كما صنعت أدوات مسكنه واثاثه بما يتمشى مع احتياجاتها وعاداتها ، وذوقها ..

عندما عرفت المرأة الحجاب الذى يغطى جسدها بأكمله ، ارتدى بيتها نفس الحجاب ، فاختفى المسكن بأكمله خلف حوائطه العالية الصماء ، ولم يظهر منه على الخارج سوى طاقات ضيقة تماثل الثقوب التى فى الحجاب حتى ترى المرأة الطريق ، ولا يراها او يرى احد منها شيئا ..

كانت حياتها ومجتمعها داخل بيتها وليس خارجه فانفتحت جميع حجراته مطلة على حديقته الداخلية الخاصة والمغلقة وأحواشه الاجتماعية .

● عندما كشفت جبهتها وعينيها من خلف الحجاب ، كشف البيت جبهته وعينيه بفتحاته المرتفعة التى تطل على الطريق . وبقيت حوائطه الصماء الصلبة تحميه من نظرات الطريق .

● عندما كشفت المرأة وجهها وغطته بالبراقع المختلفة للتطريز ، أطل



عندما ارتدت الازياء التى تكشف صدرها وتعرض مفاتنها للمجتمع ـ استدار المسكن بدوره وكشف صدره وواجهاته وفرأبدانه وابراجه نحو الطريق وكانت فى الماضى تطل جميعها على حدائقه الداخلية ولا تكشف الا على مجتمعه الداخلى المقفل

● عندما لبست الازياء التى تكشف صدرها وتعرض مفاتنها للمجتمع .. استدار المسكن بدوره وكشف عن صدره وواجهاته ونوافذه وشرفاته وأبراجه نحو الطريق .. وكانت فى الماضى تطل جميعها على حدائقه الداخلية وأحواشه المستورة ، بل خرجت الحديقة نفسها من داخل المسكن لتستعرض الطريق .

● عندما كشفت عن ساقيها ، لم يتردد المسكن عن الكشف عن ساقيه فظهرت الفيللات والمساكن التى ترتفع على الاعمدة أو « السيقان » العارية

● عندما استعملت المرأة المساحيق

المسكن بنوافذه على الطريق .. وغطاها بمشربيات مطرزة ومزخرفة .

وكلما كشفت جزءا اكبر من وجهها وتفننت فى تغطيته بالحجاب الشفاف وتزينت بمختلف الاقراط والدلايات وعرائس البرقع ـ تفنن البيت فى تزيين فتحاته التى زادت اتساعا وزادت شفافية وزخرفها بالمعلقات والمقرنصات والدلايات والثريات .

● عندما نادت بالسفور وخلعت الحجاب ، خلع المسكن مشربياته وأطل بفتحاته وكشف واجهاته بأكملها نحو الطريق .



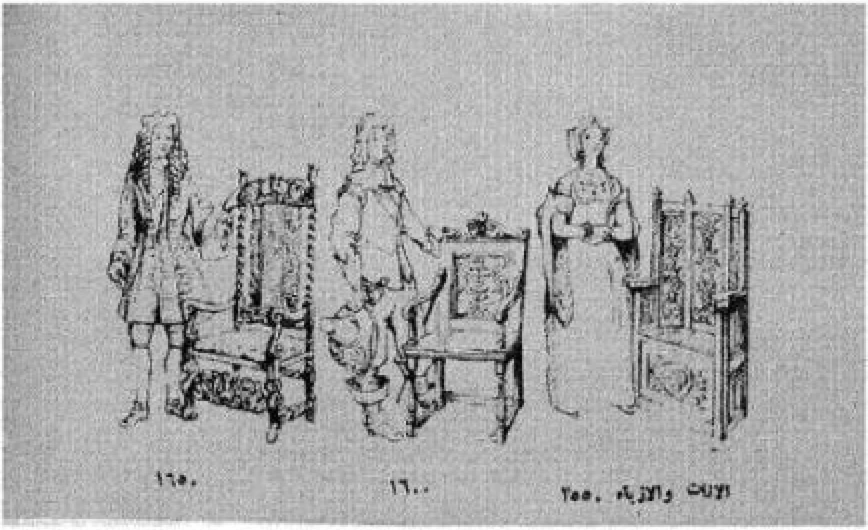
عندما كشفت عن ساقيهـا لم يتردد السكن عن الكشف عن ساقيه فظهرت الفيلات التى ترتفع على الاعمدة او ·· السيقان العارية

والاصباغ و « المكيـاج » المختلف الالوان ـ خرج المسكن وحوائطه وزخـارفه عن الوانه التقليـدية المتجانسة · والوان بناته الطبيعية فى مختلف الطرز القديمة الى استعمال تلك الوان المساحيق و « المكياج » ومختلف وسائل الاغراء ·

● عنـدما اندمجت المراة فى اشتراكية المجتمع الحديث ، سيطرت اشتراكية المجتمع الالى على شخصيتها فوحـدت ازياءها وعاداتها وطابع حياتها المشتركة · لم يصبح البيت او المسكن هو مملكتها ، بل تحـرر من سيطرتها واندمج فى المجتمع المشترك

·· لتشترك مسكنها مع المساكن الاخرى فاصبح شقة ضمن مئات الشقق فى عمارة واحدة كبيرة ، متجانسة فى الشكل ، والزى ·· توحد شـكل الشقق او المساكن وطابعها العملى ·· الذى يعكس طابع حياتها ومعيشتهـا العملية وزيها العملي ·· وشخصيتها المشتركة ·· بعدما نادت بالمساواة مع الرجل ·· فى العمـل والمجتمع والحياة ·

فطراز المسكن فى مصر سار طوال تاريخها الحضارى والمعمارى مع طراز ازياء المراة المصرية ابتداء من العصر الفرعونى · فجمال نسب ازياء الملابس بخطوطها الانسيابية الطوليةوالزخارف والحلى التى تتوج الراس والصـدر انعكست صريحة على طراز المسكن الفرعونى وتوزيعه الداخلى وواجهاته



الخارجية واثاثه وزخرفته . لقد اختلف كل من تصميم المسكن واثاثه مع اختلاف العصور الفرعونية نفسها في تطورها والانتقال منها الى الطرز الاغريقية والرومانية .

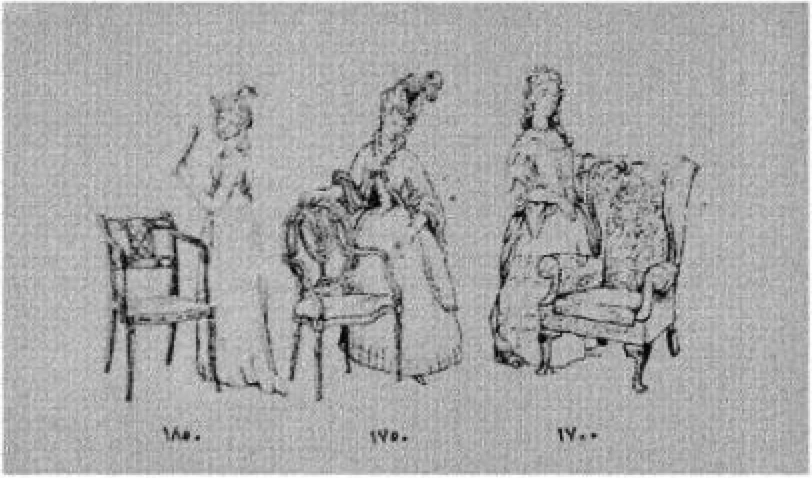
كما سارت ازياء المرأة في العصور الاسلامية مع طرز المساكن نفسها ابتداء من الحجاب الكامل .. الى السفور .. الى التحرر .. وعبر المسكن وزيه أو طرازه عن كل مرحلة من مراحل ذلك الانتقال .. انتقال المرأة .

● ان الطرز المعمارية .. أو طرز عمارة الحياة .. التي عبر عنها كل من زى المرأة وطراز المسكن وتبعهما مجموعة من المتوازيات كالاثاث ومختلف وسائل المعيشة وأدواتها وأجهزتها وفنونها التي تخدم المسكن .. خرجت من المسكن الى المجتمع الكبير وطرز وسائل خدماته من وسائل النقل ، والترفيه والاعلام وغيرها من اقتصاديات الحياة العامة .

كانت كلها من حيث طابعها في العصور القديمة تعيش مئات السنين بلا تغير .. ثم انتقلت الى العصور الوسطى وعصر النهضة ليعاصر كل منها جيلا من المجتمع تحمل اسمه .. فظهر طراز الامبير وطراز لويس الرابع عشر والخامس عشر وطراز نابليون وماري‌تريز والطراز الفيكتوري الخ ..

كان للمرأة في كل عصر من تلك العصور زيها الذي حمل طابعه اسم طراز العصر والذي اطلق في نفس الوقت على طراز العمارة والاثاث والعربة أو السيارة والفنون .. والعادات والتقاليد .

● فاذا انتقلنا الى العصر الحديث .. عصر السرعة .. السرعة في الحركة .. السرعة في وسائل المعيشة وخدمات اداتها .. السرعة في ضربات نبض الحياة الاجتماعية التي شملت السرعة في العمل .. في الانتقال .. في الأكل .. في الموسيقى وفي الغناء ..



اتسمت كلها بطابع سرعة التطور .. وسرعة التغير .

ان التغير السريع الذى اصبح الطابع المميز لزى المرأة الحديثة فاصبح يتغير كل عام .. بل كل موسم ، انعكس بدوره على جميع متوازيات الطراز المحيط بها فالسيارة تتغير موديلاتها كل عام .. واجهزة المسكن وادوات خدماته من مطابخ وافران وثلاجات والاثاث ومفروشات وادوات للزينة ووحدات للزخرفة .. خضعت جميعها لذلك التغير السريع المستمر .. تحولت جميعها الى سلع استهلاكية قصيرة العمر ، يسيطر عليها التطور والتصنيع . فخلقت مشكلة عالمية جديدة وهى علاقة سرعة الاستهلاك بالتخلص من الفضلات .. بعد ان تصبح عبئا على الساكن يجب عليه ان يتخلص منها .. ولا مكان للتخلص منها فى الاسواق !!

● لقد اتجه تفكير التكنولوجيا الحديثة الى اختراع المواد التى يسهل التخلص منها بعد استغلالها فصنعت زجاجات المشروبات واوعية المعلبات من انواع من البلاستيك يتحلل بوضعه فى سوائل خاصة او بالحرارة .

ان ملابس المرأة ـ رمز التغير السريع ـ بدأ التفكير فى صنعها من نسيج انواع من الورق الصناعى والعجائن التى تبلى سريعا ويسهل التخلص منها لتخلى مكانها على جسم المرأة وفى دولاب ملابسها للموضة التى تحل محلها بعد موسم واحد من استعمالها . لذلك فالمواد التى تصنع منها الادوات والاجهزة المنزلية حتى السيارات نفسها اتجه التفكير الى طريقة للتخلص منها بعد استهلاكها وتغير طرازها والاستغناء عنها بحيث تضغط السيارة فى مكابس خاصة تحولها باكملها الى لوح معدنى رقيق يمكن استغلاله فى صناعات او اغراض اخرى .

واثاث المسكن نفسه بدأ يخضع الى نظرية الوحدات المجمعة



إن البيت الفرعوني .. والأثاث الفرعوني والزخارف الفرعونية . بجمال نسبه ونحافة قوامه وانسياب خطوطه الطولية المستقيمة ودقة تفاصيله الصريحة التعبير هو مرآة صادقة تعكس قوام المرأة الفرعونية وزيها وحياتها

بحيث يمكن فك قطع الأثاث وتركيبها وتغيير أشكالها وأوضاعها تبعا للأغراض المتغيرة ، التي يؤديها للمسكن وسكانه كما يمكن التخلص منه بسهولة عندما لا يصبح له مكان في المنزل •

حتى اللوحات والتابلوهات الزخرفية الجامدة والصامتة التي تزين حجرات المسكن بدأت تحتل مكانها اللوحات التعبيرية المتغيرة والملقات المتحركة التي تتغير صورها وألوانها وأشكالها وتأثيراتها من وقت لآخر .. وقد حل التليفزيون نفسه محل الصور الثابتة والملقة في بعض الحجرات •

● لقد بدأ المسكن نفسه ـ التابع المطيع للمرأة ـ بدأ يخضع لذلك التطور الثوري ويكيف نفسه لتحقيق رغباتها •

اتجه بإنشائه إلى نظريات تكنولوجيا الإنشاء السابق التجهيز والوحدات الصناعية الجاهزة للحوائط والفتحات والتركيبات والأرضيات التي تحقق مرونة التوزيع حيث يمكن تركيب الحوائط وفكها وتغيير أوضاعها وتغيير التشكيل الداخلي للمسكن وحجراته ووحداته وخدماته من وقت لآخر •

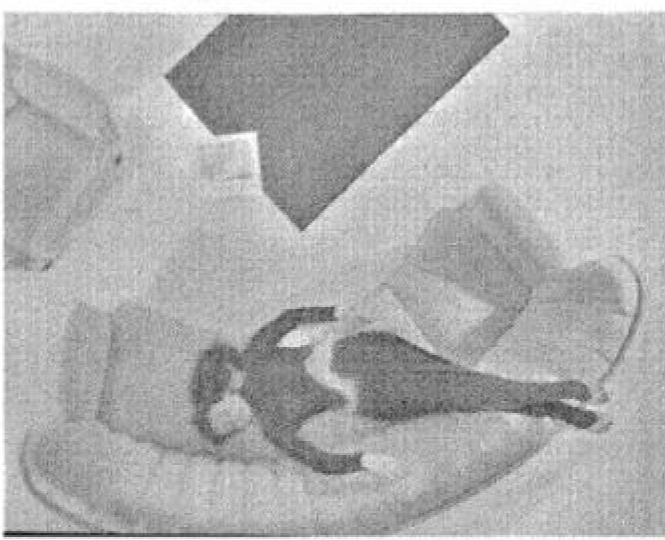
كما اشتركت قطع الأثاث مع الحوائط وقد أصبح الكثير منها جزءا لا يتجزأ من الحوائط نفسها أو يقوم بدورها وبذلك يمكن للمسكن أن يلعب دوره في مسرحية الموضة والحياة •





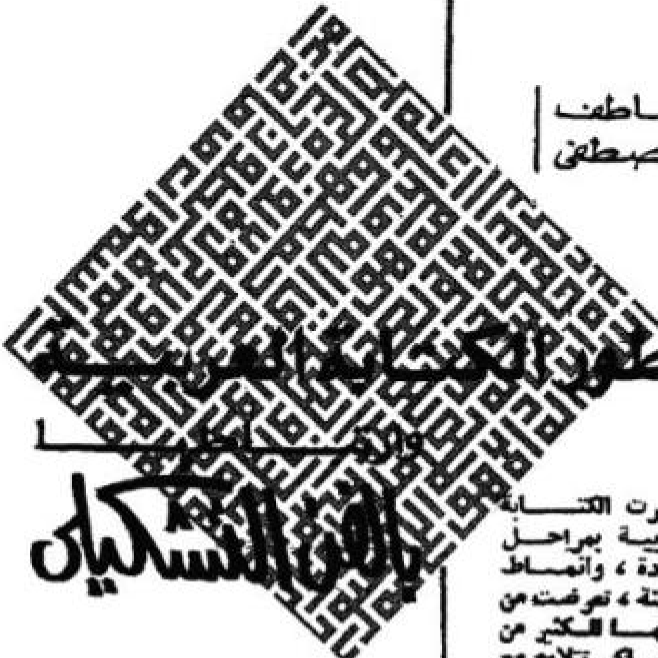
ان قيود وتقاليد زى المرأة ولباس رأسها في العصور الكلاسيكية انعكس على طراز كنبة جلوسها وشكلها وغطاء رأسها

.. كما تغيرت الكنبة وشكلها الانسيابي الحر لتتمشى مع زى المرأة الحديثة وطراز حياتها ومعيشتها



عاطف
مصطفى

تطور الكتابة العربية وربطها بالفن التشكيلي



مرت الكتابة بالعربية بمراحل متعددة ، وأنماط متباينة ، تعرضت من خلالها الكثير من التغيير لكي تتلاءم مع العصر الذي تعيش فيه .

وقد تطورت الكتابة العربية منذ الفتح الاسلامي بما يتلاءم مع تلك البلدان التي دخلت الاسلام ، وكان لابد من قراءة القرآن قراءة صحيحة لان اللسان الاعجمي مغاير للسان العربي ، لا سيما ان العربي كان يقرأ ويعي لغته بالسليقة والذكاء الفطري دون شكل او نقط .

كان خلق العرب للكتابة في الجاهلية حادثا هاما في تاريخ الفكر ، لم يظهر خطره الا بظهور الاسلام ، والحق أن الكتابة خدمت الاسلام خدمة جلى ، ذلك انها كانت بالنسبة له خيرا من السيف .

وقد كان النبي عليه الصلاة والسلام يدرك قيمتها ويفهم خطرها ، ولذلك فقد جعل يطلق سراح الاسير في « بدر » اذا علم عشرة من صبيان المسلمين الكتابة . وتعتبر هذه أول مدرسة في الاسلام .

وقد دون بها القرآن اول نزوله . ودونت كتب الحديث والشروح والتفاسير

وغدت وسيلة تعليمية بالغة القيمة منذ بدأ تدوين المعارف بالعربية .

وكانت الكتابة العربية في انتشارها غازية قوية التأثير في البلاد المفتوحة بفعل على نفاذها وعظم تأثيرها اتخاذها لرسم لغات الامم المغزوة التي لم تتحول الى لغة الفاتحين .

ففي ايران حلت الحروف العربية محل الحروف الفهلوية في كتابة لغة الفرس مع زيادة حروف معينة ، واستخدمها الافغانيون في كتابة لهجاتهم وكذلك البلوخستانيون .

وفي الهند حلت الكتابة العربية محل حروف اللغة الاوردية الهندوستانية ولغة أهل كشمير . وكذلك كتبت بها النصوص الدينية الاسلامية في الصين وفي بلاد كثيرة من تلك التي غزاها المسلمون مبشرين بالدين الاسلامي الحنيف وعلى رأسها بلاد افريقيا .

واستخدمت الكتابة العربية في تدوين القرآن وكتب الدين في هذه البلاد .

وقد توغل الخط العربي في اسبانيا وجنوب فرنسا حتى بلغ مع فتوحات العرب أقاليم « اللوار » .

ومنذ ذلك التاريخ قدر للعربية وكنوزها العلمية ان تبلغ الذروة انتشارا بين الراغبين في العلم من الاوربيين في اسبانيا والامم المجاورة ممن كانوا يتزحون الى ديار الاندلس طلبا للعلم في وقت كان العرب فيه يحملونه ويحتفظون بتراثه . عندئذ تعلم الاوربيون من محبي العلم لغة العرب وكتابتهم ليقرأوا بها المخطوطات ، ويحققوا بها الآداب العربية من شعر ونثر وزجل .

ويلغ من تأثير غزو الحروف العربية ان اتخذها الاسبان والصقليون وكثير من أمم أوربا لزخرفة المباني والعملة .

والكتابة العربية من أغنى الكتابات في العالم ولا يشترك معها في هذا الثراء سوى لغات الهند والصين .

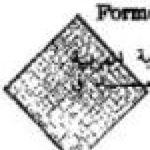
والاسباب التي تدفعنا الى القول من مفهوم الثراء والغنى في الكتابة العربية هي :

أولا : في الكتابة المصرية القديمة التي عبرت طوال سنين عصر الاسرات من الغرب الى الشرق مساحة الجزيرة العربية من جنوبها الذي كان يتمثل في مملكة سبأ الى اليمن متجهة شمالا الى الحجاز وملتقية في شمالها الشرقي بحضارة البابليين .

ثانيا : المنبع المباشر الذي اشتقت منه الكتابة العربية اشكالها النهائية وتنوع لهجاتها وهي الكتابة السمارية والاشورية والبابلية والفينيقية التي طغت أخيرا على الكتابات السمارية والسريانية .

ومن هذين المنبعين نشأت الكتابة العربية . واذا اعتمدنا على صحة هذين المصدرين وجب علينا أن نصف الكتابة العربية باعتبارها فنا للشكل وفنا للنقطة وامتدادها .

والتحديد في الشكل Forme



ضروري لان احد امهات الكتابة العربية وهي المصرية القديمة كانت تـ

تطور الكتابة العربية



أساسها على ترجمة الاشكال المرئية الى معان موازية فالشجرة تعنى الفلاحة ، ودائرة الشمس تعنى الحياة ، والخط المتعرج يعنى المياه ، الى آخر هذه الاشكال .

وقد اعتمدت اللغة المصرية اساسا على تلخيص الاشكال البصرية برسمها رسما بليغا مركزا فوق الحوائط او على اوراق البردى حتى تنهض بكاملها لغة وكتابة ، وليس ادل على ذلك من الكتابات الغائرة والبارزة والمكسوبة بالاحماض والاحبار على الاحجار والمعابد والحوائط والتماثيل والاخشاب والاوراق وغيرها .

هكذا كانت الكتابة المصرية القديمة فنا فريدا لا يمارسه الا فنان مقتدر ، ومالك لنواحي التراكيب الفنية في الاشكال التي يرسمها .

علاقة الخط العربي بالفن التشكيلي

والكتابة العربية فن النقطة وامتدادها ، لان أحد الامهات الاخرى للكتابة العربية وهي السمارية كانت تعتمد في أساسها على النقطة وامتدادها ، فقد كانت اللغة السمارية تتكون من مجموعة مثلثات مقلوبة بحيث تكون القاعدة الى أعلى ورأس المثلث الى أسفل على شكل مستطيل قليلا بحيث تعطينا على نحو ما شكل المسمار .

ومن هذه الحضارات القديمة نشأت الكتابة العربية ونقصد بهذه الحضارات حضارة بابل وآشور وفينيقيا ومصر والكنعانيين .

ونظرا الى هذا النسب العريق للكتابة العربية فقد تميزت بخواص عدة من حيث الكتابة واللهجة ، انفردت بها انفرادا مميزا عن لغات وكتابات العالم ومن هذه الميزات :

اولا : تتميز اللغة العربية بما يسمى بالتواصل الشكلي وهو ما يعرف في الفن التشكيلي بالدائرة سواء أكانت الدائرة صريحة أم موحية .

ومن المعروف ان الخط المنحنى يؤدى في المنظور غير المرئي الى شكل دائري على نحو ما ، فاذا استعرضنا مجموعة ال ا ، ب العربية لوجدناها في حقيقتها مجموعة خطوط منحنية او متعرجة لا تعود في النهاية اذا حاولنا استكمال اطرافها الا الى شكل دائري ، فحتى الالف (ا) يبدو من الوهلة الاولى خطا مستقيما ، الا انه في حقيقة الامر ليس كذلك ، فكتابته الصحيحة تتحلى بشكل تاجي فوق هامة الالف ، ومن الممكن احيانا أن يكون هذا التاج مجرد خط افقي منحن ، او شبه دائرة بل ان كتابة الالف في ذاتها قد تكون على شكل منحن قليلا .

واذا استعرضنا بقية الحروف لاصبح من اليسير علينا ان نتبين كيف ان الخط



نموذج للكتابة ، استخدم منذ القدم فى شتى فنون الزخرفة الاسلامية ..

النحتي هو الاساس فى تركيب الكتابة العربية .

ان ذلك يعنى انها كتابة حريصة على ان تتساوى كلية مع مفهوم الاكتمال فى الفن او ما يسمى Art of Integration

لان الدائرة فى مفهوم الفن تعنى قمة التوازن وصحة الزوايا والكمال .

ثانيا : اننا نجد ان الخط النحتى بشكل ما يمنح التركيب العام لتطور الكتابة مظهرا حركيا ، واستفادت من ذلك الى حد كبير اللغات اللاتينية التى انحدرت منها معظم الكتابات الاوربية .

ثالثا : ان الكتابة العربية تعتمد على النقطة وامتدادها . فالنقطة هى مصدر الخط الا ان اى خط نحدثه على سطح ليس فى الحقيقة الا مجموعة نقط متلاصقة ، غير ان النقطة فى الكتابة العربية قد تعدت تلك المرحلة التقليدية الى استعمالها كشكل زخرفى .

ولقد اثرت هذه الطريقة فى كتابة اللغة العربية فى لهجاتها بحيث توازت اللهجة مع ثراء الكتابة . والكلمة الواحدة تستطيع ان تصدر مجموعة كلمات مشتقة منها ، قد تجدها فى الكتاب .

ان تفريعات الكلمة فى العربية لا تلتزم بوضع مقدمة Prefix او مؤخرة Suffex كما نجد دائما فى معظم اللغات اللاتينية .

ان اللغة العربية قادرة على التشكل والتشكيل من ناحية الاصوات كما هى قادرة ايضا على التشكل والتشكيل من ناحية الكتابة .

ومن هنا يتضح لنا ان الكتابة العربية هى فى اساسها فن اوجدته مواريث حضارية اشتركت فى تخليقه وتمثيله على النحو الذى بيننا اليوم .

استخدامات الكتابة العربية فى الفن التشكيلى

الكتابة العربية على النحو الذى اوردناه هى فى الواقع « بالية » جاهزة امام الفنان يستطيع ان يأخذ منها ما يراه مناسبا لعمله الإبداعى مضيفا اليها ميراث عصره وزمانه الذى يعيش فيه .

فالكتابة العربية على امتداد افريقيا وآسيا ليست مجرد لغة للتفاهم ، بل هى أعلى من ذلك بكثير .

انها فى الحقيقة ثقافة وحضارة مشتركة بين جميع هذه الشعوب لانها

نتاج هذه الثقافات العريضة التي عاشت في المنطقة زمانا طويلا وذلك على عكس ما نجده في اللغات اللاتينية ومشتقاتها .

فاللغة اللاتينية ذات تركيبات أفقية، في حين أن الكتابة العربية ذات تركيبات رأسية كما تعتمد اللاتينية في أغلبها على الخط المستقيم ، وتمتاز العربيـــة بخطوطها الدائرية بحيث تعطينا الاحساس بالحركة . ولذا نجد منــــذ العصر العباسي تعدد استخدام الخط العربي من خلال اللوحات التي توضـــع على الحوائط وتكتب بأشكال مختلفة .

واعتبر الخط العربي من أهم العناصر التشكيلية نظرا لصفاته الكامنة التي تبيح له التعبير عن الحركة والكتلة ،

تطور الكتابة العربية

وهو لا يعبر عن الحركة بمعناها المرتبط بأشياء متحركة فقط ، وانما بمعناهــا الجمالي الذى يتيح حركة ذاتية تجعل الخط يتراقص في رونق مستقل عن أى غرض انتاجي .

دور الخط العربي

تطور الخط العربي تطورا كبيرا ، وتنوعت أشكاله ، وكان لصـفة الخط وشخصيته الكامنة في حروفه المستقيمة والمنحنية والرأسية والمستديرة والأفقية والمائلة ما أتاح للفنان أن يبـــدع في تشكيلها ، لما تتصف به من مرونة وطواعية .

وكثيرا ما لعب الخط العـــربي دوره الرئيسي على حوائط العمائر ليعطيهـا الاحساس بالصلابة والقوة من جهة ومن جهة أخرى كونى يزين أعلاها .

واذا استعرضنا ما اتجــــه الفن الاسلامي في مختلف انواع منتجاته لنجد

تشكيل فنى للخط العربى ، على شكل مركب فرعونى للخطاط سيد ابراهيم



ان الخطوط التى استعملت كانت تلعب دورا تشكيليا أساسيا سواء أكان ذلك فى الجص والرخام أم فى الحجر والمعادن أم فى الزجاج والنسيج والمخطوطات

حيث يراها متكاملة من الناحية التشكيلية مع الشكل العام والزخارف الاخرى .

ولعل من ابرز الدلائل المميزة للفن الاسلامى استعمال الزخارف والنصوص الكتابية ، فهو دليل من الدلائل التى تيسر على الانسان التعرف على ان هذا عمل فنى اسلامى .

وقد تنوع استعمال الخط كعمل تشكيلى بحيث أعطى للاقاليم الاسلامية شخصية مميزة فى اطار الشخصية الاسلامية العامة .. فاستعمال الكتابة

فى الطراز المغربى الاسبانى يختلف من استعمالها فى الطراز الشامى أو المصرى أو الايرانى . ولذا نجد ان

الفنان المسلم فى كل اقليم من الاقاليم الاسلامية قد استطاع أن يحمل الخط العربى شخصيته وشخصية اقليمه فى اطار الشخصية الاسلامية .



انواع الخطوط

يقول حفنى ناصف فى كتابه « تاريخ الادب » : الخطوط كثيرة ولكنها ترجع فى الاصول الى اربعة :

١ ــ الخط المصرى : اقدم الكتابات الشرقية وهو ثلاثة انواع :

أ ــ الهيروغليفى : خاص بالكهنة وخدمة الدين .

ب ــ الهيراطيقى : خاص بعمال الدواوين وكتاب الدولة ، وهو ابسط تركيبا من الهيروغليفى واقرب الى الحروف منها الى الرسم .

حـ ــ الديموطيقى : خاص بعموم الكتبة من الشعب ، وهو ابسط الانواع الثلاثة .

٢ ــ الخط المسمارى : وكان مستعملا فى بابل وآشور وما حولهما ، وقد انقرض الآن .

٣ ــ الخط الحثى : استعمل قديما فى بلاد الشام .

٤ ــ الخط الصينى : وهو مستعمل الآن ومن فروعه اليابانى والمغولى .

الخط الفينيقى : تولدت منه اربعة خطوط :

أ ــ اليونانى القديم ومنه تولدت الخطوط الاوربية والخط القبطى .

ب ــ العبرى القديم ومنه الخط السامرى نسبة الى سامرة نابلس .

حـ ــ المسند الحميرى ومنه تولد الخط الحبشى .

د ــ الارامى ومنه تولدت الخطوط الآتية : الهندى ، الفارسى ، العبرى المربع ، السومرى ، الاتبلى ، النبطى ، الحميرى ، السريانى ، الحجازى ، الكوفى .

واذا القينا الضوء على الخط العربى من خلال هذه اللمحة السريعة عن الخطوط بصفة عامة فسوف نجد أنه يعد من الفنون العربية الاسلامية والتى سخرت لخدمة الدين ، والخط السمارى هو اول خط كتبت به العربية ، ومنه استحدث الخط الكوفى .

تطور الكتابة العربية

أنواع الخط العربي

وعلى مر السنين تطور الخط العربي تطورا ملحوظا ، ففى القرن الثالث الهجرى عندما جاء ابن مقلة ورسم حروف الخط الكوفى بنسب معينة ، وجاء بعده ياقوت الذى جمل الخط العربى ووصل الى حد كبير من الاتقان والروعة ، وبعد ذلك جاءت خطوط كثيرة عرفت باسم القلم الذى يستعمل فى كتابتها ، وتعددت أنواعها ومنها خط الثلث ، والثلثين ، وخط المصاحف المحقق والنسخ والرقعة .

وفى القرن التاسع عشر استحدث الخط الديوانى ، أما الخطوط الموجودة حاليا فهى :

الثلث : من أهم الخطوط ويستعمل فى كتابة أسماء الكتب والآيات القرآنية كزخارف للمساجد .

النسخ : سمى بالنسخ لأن الكتاب كانوا ينسخون به المصاحف .

الرقعة : من أسهل الخطوط ويستعمل فى جميع الأعمال وبين العامة من الناس

الفارسى : خط جميل ابتكره أهل فارس ويستعمله الأفغانيون والهنود فى كتاباتهم .

الكوفى : من أقدم الخطوط ، وقد بلغ منزلة كبيرة فى العصر العباسى ، ويعتبر أصل الخطوط كلها .

خطوط الإجازة والتوقيع : وهو خط خليط بين الثلث والنسخ .



لوحة للفنان يوسف سيده تجاوز فيها الأسلوب الزخرفى المقيد الى الأسلوب التجريدى لم يضيف بعد ذلك الطاقة التعبيرية للألوان ..

الديوانى : وهو خاص بدواوين الملوك وكانت تكتب به الاوامر الملكيــــة وهو نــوعان « ديوانى رقعة » و « ديوانى جلى » ونشأ فى عهــــد الامبراطورية العثمانية .

والخط العربى جزء مهم من التراث الحى للأمة العربية ، ويربط بلغتنا وتطورنا الخلاق ، ويرجع اليــه الفضل فى تماسك العرب ووحدتهم وحفظ تراثهم

دور بارز للخط فى العصر الحديث

وفى الســتينات بدأ فنانونا التشكيليون يقومون بدور قومى فعــــال من طريق استخدام مفهوم عصرى فى تشكيل الخط العربى كفن من الفنون الجميلة الراقية التى ترهف الحس ، وتربى الــذوق وتثرى بالجمـــال ، شأنه فى ذلك شأن الرسم والنقش والحفر والتصوير .

وأسلوب الكتابة العربيـــة هو الذى ساعد على ذلك فأمكن للفنـــان أن يحور بحـــرية شبه كاملة فى تركيب وتشكيل الحرف العربى بحيث لا يضر ذلك بمفهوم اللفظ .

ومن هذه الحرية والحركة والتشكيل تم استخدام الكتابة العربية باعتبارها لغة اعلى بكثير من لغة التفاهم اليومية بمعنى أنه تم استخدامها باعتبارها لغة للفن .

وهؤلاء الفنانون المبدعون حملوا على عاتقهم بوادر هذا الرأى ، فقــد تربع د . يوسف سيده على رأس الحــركة التجريدية من طريق استعماله الكتابة العربية ، واشترك معه فى هذا فنانون آخرون مثل رمزى مصطفى ، وعمـــر النجدى ، وفى منتصف الســتينات ظهر تيار آخر يمثل ما يسمى بمدرســـة السيكوديلك Sicodelic ومن فنانى هذه المدرسة الفنان احمد فؤاد سليم .

وتمتاز هذه المدرسة بإسقاط المشاعر الداخلية والنفسية ، لرق الاشــكال والحروف ، وجعلها تمتل مع الشــكل بعدا زمنيا .

وفن الكتابة من حيث استخدامه كفن تشكيلى اخذ طريقه فى معظم بلدان الشرق الاوسط الناطقة باللغة العربية خاصة فى ايران والعراق ولبنان وتركيــــا والجزائر وتونس والمغرب بحيث أن هذا الاتجاه القومى فى الفن اخذ يشق طريقه بقوة جارفة ، وبحيث اســتطاع أن يتسابق بكفاءة شديدة امام مدارس الفن العالمية .

●●●

ان الخط العربى ، هــذا التراث العظيم الذى كتب به القرآن الكريم ، والذى اولته الامة العربية منذ القدم هذه العناية ، فجعلت منه فنا دقيقــا مفصل القواعد ، ثابت الاسس ، مطرد الضوابط ، يحتاج منا الى اهتمـــام شديد وعناية فائقة ، فلا بد من العودة بالمدارس كما كان متبعا فى الماضى من خلال كراسات الخط التى كانت تعد لذلك ، والتوسع فى مدارس تحسين الخطوط ، وضرورة اعطاء من يمارس كتابة الخط على اسس علمية بواسطة اجازة تثبت احقيته لممارسة عمله كخطـــاط حتى لا ينقرض الجيـــل الذى حفظ للخط مكانته ، وحافظ على قواعده ، وجوده وحسن فيه . كما اؤكد على ضرورة اقامة المعارض والمسابقات الفنية لكبار الفنانين المهتمين بالخط العربى حتى يظل هــذا الفن الرائع محتفظا بأصالته متجــددا طالما ان الامة مزدهرة فنونها ، بالغة فى الحفاظ على تراثها الحضــارى الذى يعتبر الدعامة الاصيلة للتقــدم الثقافى والفكرى .

عتاب

عبد الرزاق الهلالي

نشر الشاعر الكبير الأستاذ حافظ جميل قصيدته « رد على رسالة » في عدد الهلال الصادر في شهر فبراير الماضي، ولما قرأتها أعجبت بها ، ورغبت في أن أبعث له بأبيات على صيغة « عتاب » من حبيبته ، فكانت هذه الأبيات :

يا شاعراً لِمَ ذا الجفا ... ءُ وما بدا ممَّن هويتْ ؟
حتى تؤجج في الحشا ... ناراً وتنكر ما جنيتْ
وعلامَ تنسى ما لقيـ ... ـتَ من الغرام وما حويتْ
أدريتَ أي رسالة ... هذي التي فيها أتيتْ ؟
ودريتَ أيَّ رواية ... عن عهد حبك قد رويتْ ؟!

***

لله درك عاشقاً ... فلكم ضللتَ ولكم غويتْ
ولكم سعدت بمن عشقت ... وكم شقيت وكم بكيتْ
قد جاء ردك كاشفاً ... للناس عما قد طويتْ
ومصوراً عهد الودا ... د بما رويت وما حكيتْ
فاذا التي ترجو رضا ... كَ تقولُ مالك قد ذويتْ
ونسيت عهدك بعد ما ... قد كان أجمل ما رأيتْ ؟



إنْ رحتَ تنكر حبّنا ... فأنا التى فيه وعيتْ
وعرفتُ ما يلقى المحب ... بحبّه وبه ابتليتْ
أنسيتَ عهدك صادقاً ؟ ... وخرجتَ منه بما اكتفيتْ ؟
أم ذاك شعرُ صبابةٍ ... يا طالما فيه انتشيتْ
فلكم سمعتك منشداً ... باسمى وتنظمُ ألفَ بيتْ
وتصوغُ لى دررَ البيا ... نِ قلائداً فيها ازدهيتْ
ولكم نظمت خرائداً ... فى حبّنا فلِمَ انتهيتْ ؟
إنى لأعرف ما تقول ... وما تريدُ وما نويتْ
فارجعْ لروضك هانئاً ... فلكَ الحشا والقلب بيتْ !

* * *

• بغداد • • عبد الرزاق الهلالى •

إبراهيم الأسيوطي

« وكذلك عظماء الرجال ، لا يبلغون أوج العظمة حين يموتون ، وانما يبدأون هذه العظمة حين يموتون ، وانما يبدأون هذه يطمعون الباحثين والساعين اليهم ، يحثونهم بذلك على البحث والسعي ، ولكنهم على ذلك يبعدون عنهم ويناون لانهم يعظمون .. ويعظمون .. كلما طال عليهم الزمن أو بعد بهم العهد ... »

د . طه حسين

(فى تقديم كتاب فاوست)

شيخ الجغرافيين فى ذكراه الثانية

د. محمد عوض محمد

على درب الفكر والأدب

كان ثالث ثلاثة في نصف القرن الاخير ، من طلائع الرواد في الفكر والادب .. شاركوا في ارساء تقاليد التعليم الجامعي : على رأسهم « لطفي السيد » استاذ الجيل ، وخليفته « د . طه حسين » عميد الادب العربي — الذي ودعناه منذ شهور — وواسطة العقد ... ولقد كان شيخنا وعميد الادب العربي صديقين صدوقين بل أخوين حميمين طوال رحلة الايام .. تعاونا في الانتاج الفذ منذ منتصف العشرينات ، وحملا عبء التدريس والريادة في الحقل الجامعي معا ، ومثلا مصر في المؤتمرات العلمية معا



وشيخنا ماكر حر ، واديب كبير ، ومترجم ثابه ، ولغوى ضليع ... اكبر جغرافى فى عصره ، وصاحب الفرد والدرر .. تفيض كتبه بالادب والحكمة ، والملحة والطرفة .. كانت ثمرة القراءة الطويلة .. واصبحت ذخيرة لا تتوفر للكثيرين ...

ظل حتى الساعات الاخيرة من عمره احد اعلام الثقافة العالمية الذين يؤخذ برايهم فى المحافل الدولية ... فهو بحق كما يقول د . مهدى علام « جغرافى ذو شهرة عالية ، واديب ممتاز ، وهو اول من كتب الجغرافيا بلغة ادبية (١) .. »

***

ولد محمد عوض ابن الشيخ محمد يوسف بمدينة المنصورة فى ٣ مارس سنة ١٨٩٥ ، وارسل الى الكتاب حين اتم الرابعة ، فحفظ القرآن الكريم والم بمبادىء الحساب - شأن جميع التلاميذ فى اوائل القرن الحالى . ثم انتقل الى التعليم الحر ، فمدرسة المنصورة الابتدائية ، حيث حصل على الابتدائية عام ١٩٠٩ ، والتحق بعد ذلك بمدرسة العباسية الثانوية ، ونال منها شهادة الدراسة الثانوية (القسم الادبى) عام ١٩١٣ ، ثم التحق بمدرسة المعلمين العليا التى تخرج فيها ابراهيم المازنى ، ومحمد فريد ابو حديد واضرابهما ..

وهنا نصادف المنعطف الاول فى حياته ، اذ يعتقله الانجليز وهو فى السنة النهائية عام ١٩١٦ ، وهو يقود المسيرات الطلابية والشعبية مطالبا بحق البلاد فى الاستقلال قبل الثورة الوطنية الكبرى بثلاث سنين ، فكان ممن قدحوا الزناد ، وتطاير بهم الشرر ! ونحى عن الدراسة رغم سنه الصغيرة ونفى الى مالطة ! .

***

اذا كان الاستعمار الغاشم قد حبس جسم ذلك الشاب فى تلك الجزيرة الضئيلة فى وسط البحر المتوسط ، نجد انه لم يستطع أن يحبس روحه ، ويمنعها من الانطلاق لتجوب الآفاق

---

(١) مجمع اللغة العربية فى ثلاثين عاما - الجزء الثانى - المجمعيون : د . مهدى علام ، القاهرة ١٩٦٦ ص ١٨٥ ..

شيخ الجغرافيين

الفكر والمعرفة . فبدلا من الاستسلام لآلام النفى وعذاب التشريد ، تراه يشغل أيامه القاسية ولياليه الرهيبة بالتفكير الطويل فى مصر ، وفى مصيرها حين يقدر له أن يعود ... ولا يجد أمامه سوى اللغات ينهل من معينها الذى لا ينضب ، فيتقن الألمانية ويلم بالتركية والفارسية ، الى جانب اتقانه الانجليزية ، والمامه الحسن بالفرنسية فى دراسته العالية ، فضلا عن لغته الأصلية التى استطاع باستظهار نصوصها القديمة الكلاسيكية منذ نعومة أظفاره . اذ نظم الشعر وهو فى السنة الثانية الثانوية ، وترعرعت موهبته فى مدرسة المعلمين

ويظل أستاذنا واماما فى المنفى أربع سنوات ، وعند عودته تقدم لدبلوم المعلمين العليا من منازلهم ، وحصل عليه بتفوق عام ١٩٣٠ ، وبعدما عمل مدة مدرسا بالمساعى المشكورة فى شبين الكوم ، أرسل فى بعثة دراسية الى انجلترا للتخصص فى علم الجغرافيا ، فحصل من جامعة ليفربول على شهادة الشرف (البكالوريوس) عام ١٩٢٤ وشهادة الاستاذية (الماجستير) عام ١٩٢٦ ، وفى العام نفسه حصل على درجة « دكتوراه الفلسفة » من جامعة لندن !... فيالها من معجزة ، يحصل على الماجستير والدكتوراه من جامعتين مختلفتين فى علم واحد !! (١)

● الجامعى ، الأديب ، والمفكر ●

عاد شيخنا فى خريف عام ١٩٢٦ الى وطنه للمرة الثالثة . وهو فى هذه المرة الدكتور محمد عوض مدرس الجغرافيا الناشىء فى الجامعة المصرية .. وعمل الى جوار رفيق عمره على الدرب ، مصطفى عامر ، الذى لحق به الى الرفيق الأعلى فى ١٧ مارس سنة ١٩٧٣ . فكانا يحملان عبء التدريس ـ وهو كبير ـ وحدهما . .

ومع ذلك ، بدأ بداية ضخمة . اذ به ينفق لياليه الجادة الطويلة ـ بدلا من التفرغ لبلهنية العيش ورغده بعد أن حقق تلك البداية الطيبة ـ بالعكوف على ترجمة « فاوست » ، وهى قمة الانتاج الملحمى لشاعر ألمانيا العملاق وفيلسوفها العظيم « يوهان ولفجانج فون جوته » (١٧٤٩ ـ ١٨٣٢) ..

وكانت ترجمة رائدنا لفاوست تمثل النوع الرصين الذى لجأ اليه الأدباء فى نصف القرن الأخير من حيث تحرى الدقة والارتفاع بالترجمة الى المستوى الأدبى ، وتقف الى جوار الروائع التى ترجمها أدباؤنا مثل ترجمة د . طه حسين لقصة « زاديج » لفولتير ، وابراهيم المازنى لقصة « آلة الزمان » لويلز (وكانت ضمن مجموعته « من القصص الانجليزى ») ، والزيات لقصة « آلام فرتر » لجوته ، « رفائيل » للامرتين ..

ويقول الصيد فى رائدنا : « رجل وقف الخلاصة من حياته على الجغرافيا واستطاع مع ذلك أن يعنى بالأدب ، ويأخذ منه بحظ موفور ، ثم أن يهجم على الشق الآثار الأدبية

(١) المجمعيون : د. مهدى علام ص ١٨٥ ـ ١٨٧ ..

واعسرها ، وابعدها عن اللغة العربية، خليق بالاعجاب والاكبار ، وقد اكبرته واعجبت به ، وطلبت اليه في ضوء كثير من الاخلاص والمودة الصادقة أن يدع الى تقديم ترجمته الى جمهور القراء من اهل العربية فقبل مبتسما، واحسبه كان راضيا ، واحسب ان هذا الرضا لم يكن يخلو من الاغتباط » ٠

●●●

لست من أصحاب المواهب البدعة الثلاثة . فالاديب المبتكر أعلى كعبا من الباحث الناقد ٠٠ وكذلك الحال بالنسبة للمترجم ، الذى ليس هو بالقارىء المستريح ولا الناتج الثابت؟ ـ كما يقول د ٠ طه حسين في مقدمته لترجمة رائدنا لقصة «هرمن ودوروتيه» التى ترجمها في سنة ١٩٣٣ بمناسبة احتفال العالم بمرور مائة عام على وفاة « جوته » ٠ وحيل بين الصديقين والاشتراك في هذا الاحتفال (واغلب الظن بسبب أزمة الجامعة سنة ١٩٣٢ عقب نقل عميد الادب العربي من الجامعة الى وزارة المعارف ، واستقالة استاذ الجيل احتجاجا على ذلك ، ثم نقل رائدنا الى مدرسة التجارة العليا لمدة ثلاث سنوات من ١٩٣٢ ـ ١٩٣٥) ٠٠ فاتفقا على الاحتفال به قدر استطاعتهما ، وكان اسلوبهما فيه هو ترجمة د ٠ عوض لهذه الاية من ايات جوتة ، وأن ينوب العميد عنه في تقديمها الى القراء ٠٠

ويقول استاذنا وامامنا ـ والذى سمعناه منه عدة مرات في معهد الدراسات الافريقية ، وفي لجنة الجغرافيا بالمجمع اللغوى بأن « قصتي الوحيدة « سنوحي » (١) التى الفتها بعد ذلك بعشر سنوات في سنة ١٩٤٣ كانت من احب كتبي الى نفسي » ٠٠

لقد الف « سنوحي الرائد » ثمانية كتب في الجغرافيا ـ تمثل انتاجه العلمي ـ وكلها من أصوليات هذا العلم ٠ وليس هذا المقال مجال بحثها، بل أنها تحتاج الى كتاب ضخم ٠٠٠

وفي تلميح سريع عن كتابه الاول « نهر النيل » سنة ١٩٣٠ يقول عنه تلميذه د ٠ سليمان حزين : « اشهد شهادة لله انه أروع وأدق وأعمق ما كتب عن هذا النهر العظيم في أية لغة من اللغات (٢) ٠٠

لقد استطاع « عاشق النيل » ان يصوغ دائما ـ بعبقريته الفذة ـ الصعب في القالب السهل ، وأن يجمع في كتبه ومقالاته بين أعمق الافكار وأصعبها ٠ فكان كتابه الثاني « سكان هذا الكوكب » في سنة ١٩٣٦ ٠٠ الذى اختار له اسما أدبيا يحبب الناس فيه وفي قراءته ، ولكن مضمونه جغرافي أصيل ! ٠

وأما انتاجه الادبي ، فقد ترجم على مدى خمسة وأربعين عاما أو يزيد ـ قضى منها أكثر من خمسة عشر عاما عزبا لم يتزوج ، ثم في كنف الاسرة المصرية الكريمة التى ألفها ظلالها نحو ثلاثين عاما ، وكان من اشد مناصريها ـ خمس مسرحيات هي : ١ ـ فاوست ، الجزء الاول (١٩٣٨) ، ٢ ـ الملك جون ، ٣ ـ هنرى الخامس، ٤ ـ هملت (وهي من مسرحيات شكسبير التى اشرفت على اخراجها الادارة الثقافية بجامعة

---

(١) محمد عوض محمد ، سنوحي سلسلة (اقرأ) عدد ١٢ ، ١٩٤٣ ٠٠

(٢) كلمة الجغرافيين في تأبين د ٠ عوض القاها في حفل المجمع في ١٦ مارس سنة ١٩٧٢ ، ونشرت في محاضر جلسات الدورة (٣٨) لسنة ١٩٧٢ ، ولم تنشر في مجلة المجمع بعد (ص ٥٢٠) ٠٠

الدول العربية) (١٩٥٨ ـ ١٩٦٠)
٥ ـ فاوست : الجزء الثاني (١٩٦٢)

كما ترجم قصتين هما : ١ ـ هرمن ودروثيا (١٩٢٣) ، ٢ ـ أبن فرجينيا : ارين وستر (١٩٥٤) ·
واخيرا ترجم كتاب « قواعد النقد الادبي » لاستاذ الادب بجامعة لندن « لاسل ابر كرمبي » (١٩٣٦) ·

***

وعندما خرجت مجلة « الرسالة » الى النور ، واصبح عضوا في مجلس ادارتها وتحريرها ، اطلق الفنان مرة أخرى لهوايته الادبية ، فعالج المقالات المتنوعة ذات الموضوعات المتعددة على هيئة رسائل وقصص وقصائد أحيانا كما في المقامة المجمعية التي انتقد فيها تكوين المجمع اللغوى في اوائل الثلاثينات ، وهذه بعض رباعياتها :

أقمنا مجمعا للضـــاد فينا
ليخبرنا عن الضاد اليقينـــا
يرى في امرها الراى المبينـــا
ويرفع شأنها في العالمينـــا
ضربنا في نواحي الارض ضربا
وقلبنا الثرى شرقا وغـــربا
وجمعنا من العلمـــاء سربا
يكون على حمى الفصحى امينـا

وقد جمعها بعد ذلك في كتابين هما : من حديث الشرق والغرب (١٩٣٧) ، ملكات الجمال (١٩٥٨) ·

وقد صدرت للكتاب الاول طبعة شعبية مختصرة في سلسلة « كتب للجميع » في العدد (٧) سنة ١٩٤٨ ·

وكما شارك في وضع « قواعد الجغرافيا العامة » بالاشتراك مع زميله مصطفى عامر في تأسيس قسم الجغرافيا بجامعة القاهرة ، وتلميذه سليمان حزين ، نجده يشارك في وضع « التوجيه الادبي » بالاشتراك مع عمالقة الادب في جيله طه حسين، واحمد امين ، وعبد الوهاب عزام · وكان الكتابان يدرسان معا في الشهادة التوجيهية من أوائل الاربعينات حتى منتصف الخمسينات ·

ويختتم انتاجه الادبي بكتابه « فن المقالة الادبية » في سنة ١٩٥٩ ، وقد أخرجه معهد الدراسات العربية بجامعة الدول العربية ·

● مع الخالدين ●

كانت ارهاصات دخوله في زمرتهم اختياره خبيرا بلجنة المصطلحات التاريخية والجغرافية عقب فصلها عن لجنة العلوم الاجتماعية والفلسفية في اول مارس سنة ١٩٤٧ ، وقد رأسها د· طه حسين ، وشارك فيها من الاعضاء محمد فريد أبو حديد ، والدكتور أحمد زكي ، وكان رائدنا خبيرها الوحيد (١) ··

وتولى رئاسة لجنة الجغرافيا بمجمع اللغة العربية وشاركه في عضوية اللجنة المرحوم اسماعيل مظهر ، فشرعت في اختيار

شيخ الجغرافيين

(١) محاضر الجلسات في الدورة (١٣) لسنة ١٩٤٦/١٩٤٧ ·



جوته .. ترجم له الزيات
قصة « آلام فرتر » ..

مصطلحات الجغرافيا الطبيعية لوضع المقابلات العربية لها مع تعريف موجز ، توطئة لاخراج المعجمات العلمية المتخصصة، وهي قوام النهضة العلمية التي سرعان ما تعقب الثورات السياسية .. وقد انجزت أصول هذا المعجم في حياته سنة ١٩٦٩ . وصدرت على هيئة فصلات في مجموعات المصطلحات العلمية والفنية التي يخرجها المجمع فيما بين عامي ١٩٦٤ ، ١٩٦٩ (المجلدات ٦ ـ ١١) كما شارك في لجنة المعجم الكبير للاسهام بخاصة في تحقيق الاعلام الجغرافية التي توافي بها لجنة الجغرافيا المعجم الكبير ليتسنى في النهاية اخراج « معجم الاعلام الجغرافية » على نمط « معجم البلدان » لياقوت قديما ، ومعجم « ويبستر » حديثا ..

ومع ذلك ، لم تتوقف بحوثه الادبية في المجمع ، فنجده يشارك ببحث عنوانه : « الشعر الذى انشاه المتنبى لنفسه » في مؤتمر المجمع الثاني والثلاثين (١) ..

***

لقد اختطفه الموت منا فجاة ، وعلى غير انتظار ، اذ ليس للموت مواعيد، وليس للاجل مواقيت ..

وكان رحمه الله يؤثر الشعر الحزين ، ويقول انه وجد فيه من الطرب ما ليس في الدعابة والمجون .

وآخر ما خطه قلمه قبيل وفاته من قصيدة طويلة ، نجتزىء منها ما يلي :

لا تغنيني حديث السعداء ..
ان يكن في الدهر حقا سعداء
لا تريني كل سن ضاحك

لا تطوفي بي القصور الاغنياء
ان هذى قصور من باطلة
وطلاء ليس يغني .. ورواء
رب ثغر لم يقهقه ضاحكا
قبل ان فتت قلب الابرياء
وسعيد بات يلهو ناعما

بعدما ادمى قلوب البؤساء
والقصور لم تقم الا على
هدم اكواخ ثوى فيها الشقاء
وغنى يبهرني منظره ...
مستفاد من جبين الفقراء

ولقد نعاه عميد الادب العربي في مجمع الخالدين غداة وفاته وقبيل تشييع جنازته في جلسة المجمع قائلا : « يحزنني ان ابدأ الجلسة بنعي الزميل الصديق ، الكريم علينا ، الحبيب الى قلوبنا ، الدكتور محمد عوض محمد ،

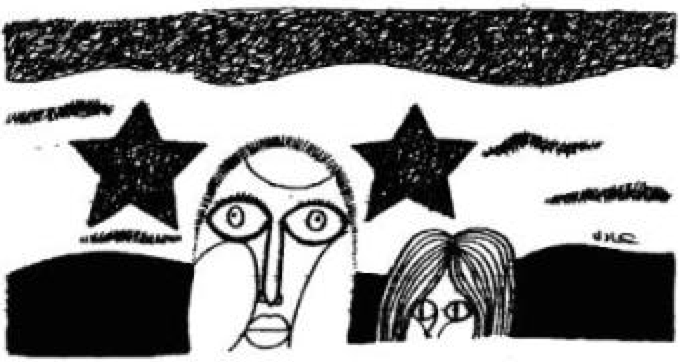
---

(١) مجموعة البحوث والمحاضرات، الدورة (٣٢) ، ١٩٦٦ ، ص ٢٥ ..

انطلاقة

أحمد السمرة

مشرق المجد قد رأينا مَدانا
ورسمنا على الطريق خطانا
جذبتنا اليك ألوية العـز
م وشقت لنا دروب هدانا
فعبرنا الى الطموح نحييـ
ـك جلالا وعزة تتدانى
واتحدنا مع الحياة نشيدا
يسكب الصفو للنفوس حنانا
عزمة الصابرين يامشرق المجـ
ـد أقرت فى كل روح أمانا
***
جوهر الحر يستحيل على القيـ
ـد ولو رق قيده أحيانا
لن يعود الضياع يطرق بابا
أو تعود الدموع قوما حزانى
أسفر الصبح عن فتوة شعب
يتبع المجد ركبه جذلانا
ونجونا من الدجى وسمونا
بعد طول الجلاد أتبه شانا
من عقيق الفداء صغنا نهارا
ورفعنا جداره بنيانا
ونفخنا من روحنا فى رقود
فاستفاقوا ومزقوا الأكفانا
***



نحنُ في قبلةِ السلامِ صلاةٌ

تتحدّى بقدسِها الأوثانا

قد صرعنا الأهوالَ في كل شبرٍ

من ثرى شرقنا الذي أشقانا

ومحقنا جيوشَها فتوالتْ

وتوارتْ فلولُها خذلانا

كم أتحتنا المنى كرامةَ نصرٍ

وأبحنا الجلالَ ملءَ سمانا

يتبعُ الخصبُ ظلَّنا حيث نمشي

يلثمُ النورُ كفَّنا تحنانا

لنْ يرانا الزمانُ إلا اتحاداً

واعتداداً ، ومنعةً ، وأمانا

قدرةٌ تمنحُ الحياةَ سلاماً

واعتزازاً يكرم الإنسانا

نتحدّى مطامعَ الشر ، نسري

كرؤى النور ، نسكب التبيانا

● الاسكندرية ● ● احمد السمرة ●

منبر الهلال
آراء ومقترحات

دعوة للمناقشة
حول

” جامعة الشعوب الإسلامية “

ان فكرة « جامعة الشعوب الاسلامية » فكرة عظيمة لو تحققت على الوجه الصحيح ...

ولقد اخذت فكرة هذه الجامعة من الحج ...

والحج هو المؤتمر الاسلامي الكبير الذى اوجب الله فيه على كل قادر الذهاب الى الكعبة ليطوف بها ويسعى الى الله فى رحابها ...

وهو فضلا عن انه عبادة خالصة لله يبتغى بها ثوابه ورضوانه فانه خير مؤتمر لجمع شمل المسلمين ويمكن أن يكون مؤتمرا سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وصحيا يجتمع فيه قادة المسلمين ورجال الفكر والرأى والمجتهدون فى جميع نواحي المعرفة ،ويمكنهم ان يضعوا خطوطا عريضة لسياسة بلادهم وتعاونها معا حتى يحين موعد اجتماعهم من جديد ... وانه ليحز فى قلبى أن ترتبط بعض البلاد الاسلامية بجامعة الشعوب البريطانية والبعض الآخر بجامعة الشعوب الفرنسية ...

وها نحن نقدم اليوم جامعة الشعوب الاسلامية لتكون حصنا ووقاء ...

والان كيف تتكون جامعة الشعوب الاسلامية ، وما هو جهازها التنظيمي؟ انه يتكون من :

● مؤتمر عام جامعة الشعوب الاسلامية ويتكون : من حجاج بيت الله الحرام .

● المجلس العام : ويتكون من ممثلي المنظمات الاسلامية في البلاد المختلفة الحاضرين للحج .

● اللجنة التنفيذية للمؤتمر : يحدد عددها المجلس العام ، وينتخبها أعضاء المجلس من بينهم ، ويراعى فيها الكتل الاقليمية .

● رئيس منظمة المؤتمر ينتخبه المجلس العام ، ونائب رئيس المنظمة تنتخبه اللجنة التنفيذية .

● سكرتارية دائمة للجامعة : مهمتها تنسيق الاعمال بين الاجهزة المركزية للجامعة المحلية ، منعا لما قد ينشأ من أى تعارض مع قوانين اى دولة ، ويكتفى بوضع اطار عام لهذه الاجهزة ، ويترك لتنظمة الفروع المختلفة تقرير الشكل الذى تراه مناسبا لبلدها .

ان الظروف مهيأة اليوم لقيام جامعة الشعوب الاسلامية ، لاسباب كثيرة ، منها ان جامعة الشعوب العربية تكاد تكون اليوم حقيقة واقعة ، وجامعة الدول العربية بالرغم مما يقال فيها فهى تصلح نواة ، على ان تدعم جهازها بما يرتفع بها الى مستوى الاحداث والمسئوليات ، واذا قدر للشعوب العربية ان تنتهج منهجا نحو تجميع المسلمين ، فاننا بذلك نكون قد وضعنا اللبنة الاولى فى بناء الجامعة الاسلامية .

وجامعة الشعوب الاسلامية هى برلمان الامة الاسلامية او مجلس الامة الاسلامى ، والبرلمان حر فيما يقول وغير مقيد بأحد .. اما الامانة فهى حكومية ، ويتأثر كل وزير فيها بما تمليه دولته وما يحيط بها من مشاكل عالمية ومحلية ، اما جامعة الشعوب الاسلامية فبابها مفتوح لكل راغب فيها لايمنعه مانع ويمكن لاى شخص ان يأتى الى مكة فى موسم الحج حيث يجب أن يكون مقر الجامعة ، ويبدى ما يعن له من آراء تهم المسلمين وتقدمهم وفى هذه الحالة ستكون الجامعة الموجهة للامانة الاسلامية .

ولست فى حاجة الى الاشادة بموقف الدول العربية جميعا ، حين حركت السلاح الوحيد الذى يفهمه الاعداء وهو قوة النيران والبترول ، لا لغة الشعارات والالفاظ الجوفاء .

وواجبنا فى هذه الاونة ان نمضى قدما فى تعميق وحدة الامة العربية التى تجلت فى أروع مظاهرها ابان حرب ١٠ رمضان ١٣٩٣ هجرية (٦ اكتوبر ١٩٧٣) والحرص على الاستمساك بالعروة الوثقى بتعميق وحدة الامة الاسلامية .

وهناك هيئات اسلامية متعددة من

الدول الاسلامية ، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر :

(١) الازهر ، مجمع البحوث الاسلامية ، المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ، جمعية الشبان المسلمين والجمعية الخيرية الاسلامية .... الخ – فى القاهرة .

(٢) رابطة العالم الاسلامى ، فى مكة .

(٣) ملتقى الفكر الاسلامى ، فى الجزائر .

(٤) المؤتمر الاسلامى ، فى باكستان

(٥) مؤتمر الدعوة الاسلامية ، فى ليبيا .

وهناك مؤتمرات اسلامية فى اندونيسيا وماليزيا وغيرهما .

انى أرى ان كل هذه الهيئات تسير نحو هدف واحد وهو خدمة الاسلام والمسلمين ، وان كان بعضها يعمل فى نطاق محلى ، فان بعضها يمد آفاقه الى بلاد اسلامية أخرى وفى جهود لا يعوق بعضها بعضا كما يتصور البعض ، ولكنها جهود ينقصها التنسيق . والذى يمكن ان ينسق بينها هو جامعة الشعوب الاسلامية .

انى لأرجو ان تشكل لجنة تمثل البلاد الاسلامية الممثلة فى مثل هذه المؤتمرات تكون بمثابة سكرتارية لتنظيم انشاء جامعة للشعوب الاسلامية مقرها رابطة العالم الاسلامى فى مكة ، وهذه ستكون أقوى دعامة للأمانة العامة الاسلامية فى جدة والهيئات المختلفة التى هى فى أشد الحاجة الى الارتباط ببعضها البعض ، وتكون هذه اللجنة مسئولة عن وضع مشروع لدستور هذه الجامعة على أن يتضمن هذا الدستور المبادىء التالية :

● الوحدة الاسلامية هى وحدة روحية تراعى فيها الروابط الدينية والاجتماعية بين المسلمين . وهى وحدة لا تتعارض مع اى مفهوم اقليمى أو دولى آخر ، وتنادى بما ينادى به ميثاق الامم المتحدة من مبادىء وما ينادى به ميثاق حقوق الانسان من مبادىء أيضا .

● دراسة المجتمعات الاسلامية من جميع النواحى الدينية والثقافية والاقتصادية والصحية والاجتماعية ، مع العناية الخاصة بدراسة جميع الملابسات السياسية والاجتماعية التى تكتنف هذه المجتمعات فى جميع أنحاء العالم فى كل ظروفها المحلية والعالمية معا .

● التنسيق بين الهيئات والمنظمات الاسلامية التى تعمل فى الحقل الاسلامى سواء أكانت حكومية أم غير حكومية ، داخليا فى دولتها وخارجيا مع شبيهاتها فى باقى الدول والتنسيق بين النقابات العمالية والمهنية المختلفة فى جميع البلاد الاسلامية .

● دراسة الابواب التى يلجها المستعمرون والصهيونيون للعمل ضد البلاد الاسلامية .

● العمل على بناء نهضة علمية شاملة فى البلاد الاسلامية خاصة

النامية منها ، وانشاء مدارس ثانوية اسلاميـــة في شرق وغرب افريقيا ، والاخذ بيد الشـباب الافريقيين في التعليم على جميع مراحله ٠

● اجتماع المؤتمر الاسلامى في كل عام في مكة المكرمة ايام الحج ، وقيام المثقفين المسلمين ، كل في فرع تخصصه بتقديم بحوثه الى البـلاد الاسلامية بلسانها وباللغة العربية ٠

● تعمل كشوف خاصة بجميـع المهنيين القـادمين من الحـج من كل دولة ، وينظم لقاء بينهم ، ويكون كل واحد منهم مستعدا بقدر ما يستطيع للاسهـام في خـدمة اخوانه من المسلمين في البـلاد الاخرى وسنأخذ من الاطباء مثلا ٠

يجتمع الاطباء المسلمون قبل الحج او بعده لمناقشة احوال بلادهم الصحية من جميع نواحيها ، وما يجب عمله لرفع مستواها الصحى ٠ ويجب ان تكون لدينا بحوث كاملة ، في مكة وفي الامانة الاسلامية في جـدة ، فيها العلاج المناسب لكل حالة ومشكلة كما يجب ان ندعو المفكرين المسلمين البارزين للنظر في احوال المسلمين والعمل لرفعتهم عاما بعد عام وأولا بأول ٠

● نعرض الموضوعات العـامة الخاصة بالمسلمين في جميع البـلاد الاسلامية بجميع طرق الاعلام ، حتى يختار كل مفـكر او دارس الموضوع الذى يريد ان يبحثـه ، ويأتى الى مكة في موسم الحج ليقـدم بحثه ، فان كثيرا من المفكرين المسـلمين يتحرقون شوقا لخدمة الاسلام ، وهذا هو الطريق الوحيد امامهم ٠

● وأخيرا ٠٠

توحيد نشاط الهيئات الاسلامية في كل بلد اسـلامى او غير اسلامى ، وايجاد رابطة بينها للعمل الدائم في خدمة الاسلام والمسلمين والانسـانية جمعاء ٠

● د٠ محمود دياب ●

دفـــاع عـــن صاحب الجلالة العَروض

في لحظة لا تنسى من لحظات التـاريخ الابدى ، التقى نمطان من قمم اللغـة والادب هما الخليل بن أحمد (١٠٠ ـ ١٧٥ هـ) والاصمعى ٠٠

اما اولهما فامام علماء البصرة من النحاة ، وقد تغنى ـ وتتلذ ـ بصنيعه كل سامر لما استنبطه من قواعد للشعر نظما وقافية سـماها علم العروض ومتخذا القياس دليلا ومنهجا ٠

وثانيهما ، وكان حجة اللغويين في عصره ـ عز عليه ان يسلم اللغـة العربية الى ذلك القياس الجاف الذى يريد أن يمـزق سلسالها ويعتاق مجراها بدعوى وضع قواعد النحـو التى تضبطها ، ولذلك اثر ان يترك الامر للطبع والسليقة فقام بتجميـع ما وصل اليه من كـلام العرب المنظوم والمنثور ليحتذو من شاء حذوهم ٠٠ وكانه يهتف مع عمار الكلبى وقد عاب عليه بعض النحاة بيتا من شعره ولم يكن يعرف ما النحو :

ماذا لقينـا من المستعربين ومن
قياس نحوهموهذا الذى ابتدعوا؟
كم بين قوم قد احتـالوا لمنطقهم
وبين قوم على اعرابهم طبعوا! ؟

مختار الهلال
آراء ومقترحات

ما كل قولي مشروحا لكم فخذوا
ما تعرفون وما لم تعرفوا فدعوا

وكانت جلسة خصبة أشبه بالتقاء رافدين هادرين لنهر يتجمع ويمتد ٠ والقى الاصمعي بحجته وتساؤلاته ، وجاء دور الخليل ليثبت لمعاصره العنيد أن علم العروض شيء ذو بال وانه علم جدير بأن يتعلمه كل من له بصر بالشعر واللغة والنقد ٠

ويبدو ان المحاولة اخفقت او آن عقم الجدال جعل الحقيقة تقع بين الكرسيين كما يقول الفرنسيون ٠ وهنا لم يلجأ مبتكر العروض الى أن يجبه معاصره العظيم بما يؤلمه ـ شأن كل مختال فخور ـ بل أنه لما رأى أن الشيخ لا يفهم أو بالاحرى لا يريد أن يفهم ما يسميه الخليل بالاسباب والاوتاد والفواصل والاضرب والاعاريض والتفاعيل ٠٠ الى آخر مصطلحات العلم الذى ابتكره واستنبط قواعده من شعر العرب ـ تظاهر بأنه حريص على ان يقنع صاحبه فكتب ذلك البيت الذى دخل التاريخ ـ بعدئذ ـ على رقعة امامهما وأخذ يقطعه تقطيعا ، تفعيلة تفعيلة ، وكأنه يقصد الشرح لذاته لا غمزا للاصمعي وتعريضا لطيفا به :

« اذا لم تستطع شيئا فدعه
وجاوزه الى ما تستطيع »

وكان تلميحا لوذعيا من أهله الى أهله ، انفض على أثره الرجلان وقد فهم كل منهما قدر صاحبه ٠

ومنذ ذلك التاريخ ارتفعت راية العروض في سماء البصرة سامقة تياهة لتدوى لها طبول الادب في شرق وغرب ولتهوى اليها افئدة الشاعرين واطيار الخيال بنشيد متصل غلاب عبقرى الفواصل ذهبي النغم !

وبعدها رأينا كيف مضى التاريخ لهيفا لاهثا لا يكاد يمضى عليه حين من الدهر حتى يسجل احدى دعاوى المجددين في الشعر ومذاهبه ، ومن هذه الدعاوى ما افلح ، واكثرها ما استبطنته الكتب أو هوى به النسيان في مكان سحيق !

وهذه السطور لا احب لها ان تمضى في تاريخ مراحل التجديد او ايراد شواهد ـ لمجرد التاريخ ـ فان كراما كاتبين قد اسهموا في ذلك الموضوع اسهاما ما احسبه يتسع لمزيد أو ترديد ٠٠ وانما سقت (موقف) الخليل والاصمعي لأثبت ـ وقد مضى عليه اثنا عشر قرنا ـ ان القواعد العروضية لفن الشعر العربي عصيم للغة شعرها الموروث ثم لمعارها التي تتابعت بعد ذلك عبر القرون والى يومنا هذا ، بالرغم من تعدد المؤثرات والحضارات والكوارث التي غشيت العرب ولغتهم من الغزاة الاجانب ٠ ولنا أن نتخيل حال الشعر العربي اليوم وفى العصور التى سبقتنا لو أن علم العروض ـ وهو المقياس الحازم ـ لم يوضع ، وان كل شاعر ترك لهواه ، وان دعاة وادعياء التجديد لم يجدوا من يحاسبهم حسابا عسيرا ٠٠

اذن فالقواعد شيء ضروري ، وكما انها ضرورية في الشعر فهي كذلك في الموسيقى والرسم والنحت بل قل في كل فن جميل من فنون التعبير ٠٠

وربما يغضب هذا الحديث عن العروض ـ والقواعد عموما ـ قوما أو اقواما ٠ ولكن من ذا الذى قال بأن القانون تراجع في عصر من العصور أو استغنى عنه مجتمع من المجتمعات لمجرد أن فريقا من الناس لا يرحبون به أو لا يطيقونه ؟!

وهناك نفر لا تعطشهم الحماسة الادبية افتتوا وبرعوا في الولولة على

الشعر وإثارة خواطر الادباء والتادبين كلما هوجم ناقد بعصا العروض والقافية بل قل البلاغة واللغة والنحو والصرف أيضا !

ولكن هؤلاء لن يضيرهم أن يستمعوا معنا – والقضية ملك للجميع – الى أول من تكلم في نقد الشعر في العصر القديم .. وخلف للبشرية أخلد كتاب في بابه يترجم احساس فيلسوف عبقرى ، وأفكاره ، عن ذلك الروح الهوم في الصدور ، السابح في الخيال ، المؤثر في الانسان ، أو ما يسميه العالم بالشعر .. فهذا أرسطو يرى أن الشعر ضرورة للنفس الانسانية ، ويرد تلك الضرورة الى نزعتين في الطبيعة الانسانية هما النزعة الى المحاكاة والنزعة الى الانسجام والايقاع » (١) ولما كان أرسطو لا يتكلم من فراغ كما انه لم يكن شاعرا وانما يبدى رأيه في أشعار عاصرته وسبقته بمئات السنين حيث بلغ الشعر والمسرح في اليونان القديمة شأوا عاليا رفيعا ، حتى كانت الدولة في المدن اليونانية – أى الحكومة – تعني بالشعر عنايتها بالحرب والامن والسياسة » (!!) فان الحديث عن وجوب احترام القواعد يجب أن يختفي والا يستهين به أحد ويكون لنا الحق في أن نغبط أنفسنا على أننا أصحاب عروض قد لم ينهزم فحفظ لنا أشعارنا من الضياع.

هذا وكثيرا ما يتخذ دعاة التجديد من العروض مشجبا يزحمونه بسخائمهم على الشعر وكأنه المسئول عن فسولة المعنى وركاكته وتداعى المبنى وتفككه عند بعض الشعراء في عصرنا هذا وفيما سبقه من عصور.

ولكن قد يكون من نافلة القول – يا قارئى – ان الشاعر الحق اذا كبا به وزنه لن تغفر له خيالاته أو أن الناظم في رتابة وإملال لن تنهض له شفيعا إجادته الاوزان واتباعه العروض !

ان أحدا لم يقل ذلك ... ومع ذلك فهم – هداهم الله – يلوكونه ويستمرئونه وكأنما يخيفون دعاة الشعر الحق ، وحماة العروض ، فيهزون لافتة ابتدعوها حتى تهرأت من كثرة الاستعمال يصدمون بها الحقيقة المجردة وأمانة البحث الجاد. تقول « الشعر هو الكلام الموزون المقفى » وهم الذين يعلمون أكثر من غيرهم أن هذا ابتسار لكل حجة وتشويه لكل دليل وقديما قال القائل أيضا « من جهل شيئا عاداه » .

ومن الطريف أن اعتساف خصوم العروض وتربصهم بأهله من شعراء ونقاد ومتأدبين أدى بالكثير من أولئك الى الانطواء ايثارا للسلامة وازورارا عن مجال اكتنفته المغامز والمتاعب . وهنا حدث ما يشبه الفراغ الذى سارع الزجالون المتوردون بملئه . وتسامع المهتمون بالشعر خاصة والادب عامة منذ سنوات كثيرة خلت لما يشبه كسر حاجز الصوت في مجالات النشر والاذاعة والتليفزيون وأصبح من حق كل مجيد للقراءة والكتابة أن يسمى نفسه شاعرا بل أن تلفظ المطابع مطبوعاته ممهورة باسم الشاعر !!..

وتتداخل الفنون لذلك تداخلا تضيع فيه كل حدود ويهتك مملكة الشعر نفر لا هم شعراء ولا زجالون ..

وبعد أن كان الشاعر يستحى أن يدعى بهذه الصفة الا أن يطبق صبحه ومساءه بدواوين الشعراء المجيدين ، وان تجلو مرآة شعره مجالس نقد لا ترحم ألفينا الشعراء بالالوف منبثين بالمرحلة الاعدادية والثانوية وعلى أفواه الطرق .ولكن القضية سوف تستقر ولهذا حديث آخر .

(١) فن الشعر لارسطو طاليس : ترجمة د . عبد الرحمن بدوى ص ١١

● السيد مصطفى البرى ●

ناجي ...
شراع الوداع

مرت بنا في ٢٥ مارس الماضي ذكرى مرور عشرين عاما على رحيل شاعر الاطلال ، الدكتور ابراهيم ناجي ، الشاعر الذي عاش للحب والجمال ، وابدع اجمل الاغاريد واعذبها ..

رحل ناجي عن الحياة في ٢٥ مارس عام ١٩٥٣ وهو يشعر بالحزن والمرارة والاسى ، وكان وراء ذلك مأساة عنيفةحطمته في سنواته الاخيرة بعد ان منح الناس عصارة روحه وذوب قلبه ..

كان الدكتور ابراهيم ناجي رقيقا ، وديعا ، صافي القلب عذب الروح ..

كان يتخذمن الطب مهنة انسانيةاولا، ويجعلها هواية في كثير من الاحيان وكثيرا ما كان يخرج من جيبه ثمن الدواء – واحيانا ثمن الغذاء – للمرضى الفقراء !

وكان اهل الادب والفن من متوسطي الحال يعالجون عنده ، وفي اغلب الاحيان كانت عيادته تزخر بالوان من المرضى الفقراء وكان حصيلة كل هذا اقل القليل من المال ، ولكنه كان يشعر بسعادة غامرة ازاء ذلك . لقد اعطت صناعة الطب لناجي ضوءا جديدا وتجربة خصبة وكشفت له عن النفس الانسانية ، وابانت له حقائق باهرة قوامها ان مرضى الاجساد هم مرضى النفوس اساسا ، وان ابتسامة الطبيب هي نصف العلاج .

● احزان الطائر الجريح ●

وكان ناجي في بداية حياته العملية قد بدا يصطدم بالواقع ويخبر الحياة خيرها وشرها وهو الانسان المرهف الحس الرقيق الوجدان ، ودار صراع حاد فينفس الشاعر المرهفة بين اللذة الروح والخيال والواقع ، وحاول المواءمة بين طبيعته المرهفةالحساسة وبين مرارة الواقع وقسوته ..

وكان يحاول ان يجد ما يرضي روحه القلقة ونفسه المعذبة ويبحث عن الاستقرار من غربته الروحية ، فقد كان جائعا على كثرة الزاد ، ظامئا على وفرة الموارد مسافرا وهو مقيم، يسير بمصباحه وحيدا هائما في خضم الحياة يغني للحب والجمال :

فراشة حائمة على الجمال والصبا
تعرضت فاحترقت اغنية على الربا
امشي بمصباحي وحيـ
ـدا في الرياح متعبا
امشي به وزيته
كاد ان ينضبا



د. ابراهيم ناجى شاعر الاطلال

واصبح الطائر الجريح يرسل انغاما حزينة باكية ·

فى سنواته الاخيرة عانى ناجى الكثير من المؤامرات والدسائس وواجهت السنة الحاسدين والحاقدين تدس له عند رؤسائه فى العمل (بوزارة الاوقاف) وتزعم انه منصرف عن الطب الى الشعر والادب · ونجحت الدسائس فى الهبوط به من منصب المدير الى منصب المراقب ، ثم ما لبث

أن انتهى الامر الى اخراجه من وظيفته وهو فى حوالى الثانية والخمسين ·

وكانت صدمة عنيفة هزته من اعماقه وغامت الدنيا فى عينى الشاعر الرقيق واستسلم للعزلة ، وغلفت الكآبة نفسه

واحتوته سورة اليأس ، واسرف فى الخمر ينشد فيها السلوى والنسيان ، واعتزل المجتمع وغابت ابتسامته الحلوة ··

لقد تغير كل شىء فى ناجى فى سنواته الأخيرة ·· صمت القلب العاشق المغرد وعاد غناؤه نواحا وترنيمه انينا ·

● زازا وعاصفة الروح ●

أثناء اشتعال الحرب العالمية الثانية ـ فى الخمسينات ـ كان ناجى يعانى كآبة فى نفسه ووحشة قاسية ، وكانت القاهرة يخيم عليها الظلام والصمت ··· ودخل فى حياته حب كبير كان

بمثابة لمحة الضوء التى سطعت فى دياجى تلك الحقبة المظلمة ·

•كانت زازا فنانة رقيقة تحب الشعر وتعشق الفن وكانت كثيرا ما تناقش ناجى فى شتى فروع الادب والثقافة والفن والحب ، وكانت تعقد ندوات ادبية وفنية عامرة فى صالونها ··· ووجد فيها ناجى ـ فى هذه الحقبة التى كان يعانى فيها من محنته بالناس والزمان ـ الملجأ والسلوى ·· عرفها حوالى عام ١٩٤٤ فملأت الفراغ الذى كان يكابده ·

وفى لحظة يأس اعتكف ناجى وحيدا وشرع يشرب باسراف رغم تأثير ذلك على صحته لمرضه بالسكر وبداء الرئة ، وقرر ان يهجر كل شىء ، واحس بالنهاية ، وبان الزورق الذى كان يتهادى به فى بحار الحب والجمال قد اوشك على الغرق ولا مجيب لصراخ الملاح الحزين ·· فكانت تلك القصيدة التى كتبها فى لحظة يأس وكآبة حادة ، ومما زادها كآبة وصدقا ووحشة انه استوحاها من لحظات هجر وفرقة مع محبوبة العمر « زازا » التى كانت بلمسه الشافى الذى خفف عنه الكثير من الام روحه واحزان نفسه يقول فى « عاصفة الروح » :

اين شط الرجاء
يا عباب الهموم
ليلتى أنواء
ونهارى غيوم

●

اعولى يا جراح
اسمعى الديان

منبر الهلال
آراء ومقترحات

لا يهم الرياح
زورق غضبان

●

اسخري يا حياه
قهقهي يا رعود
الصبا لن أراه
والهوى لن يعود

وتبلغ الكآبة ذروتها والحزن مداه فيودع كل شيء ، الصبا والامل والغرام بعد وداعه للحب الوحيد في حياته الذي كان يضيء افقه ويبدد عن روحه ظلماتها واحزانها ، فيقول :

اطحني يا سنين
مزقي يا خراب
كل بريق يبين
ومضه كذاب

●

اسخري يا حياه
قهقهي يا غيوب
الصبا لن أراه
والهوى لن يؤوب

ولكن زازا ظلت بجانبه الى آخر نسمة في حياته تهبه حياتها وهي صبية وهو كهل ، وهو فوق ذلك قليل الحظ من المال والجمال ، مريض بذات الرئة، فما من شك بعد ذلك أنها كانت تحبه حبا مثاليا لا غاية وراءه الا الحب في ذاته كما يذكر الاستاذ صالح جودت .

● وغرق الزورق ●

وراح شاعرنا يذوب تدريجيا ... وأسرف في الشراب وأصبح حطاما يدب على الارض بعد أن أصابته صدمات من المرض وفرقة الحبيب

ومكايد الاعداء وانفضاض الاصدقاء ، وخروجه من وظيفته . واتخذ الطائر

الجريح من الليل صديقا وأنيسا يبثه نجوى روحه وآلام نفسه عله يجد السلوى والنسيان . وكانت لياليه

حافلة ببقايا الذكريات والدموع والآلام وكان من نتاج ذلك اجمل وأرق شعره المضمخ بالدموع والاحزان !

ثم ما لبثت القيثارة الشجية التي أبدعت لنا اجمل انغام الحب والجمال أن صمتت !

واخيرا ... غرق الزورق وغاب الملاح بين الامواج ... مات الانسان الكبير والشاعر المبدع وهو يهتف في اسى مودعا محبوبته والوجود :

داو ناري والتياعي
وتمهل في وداعي
يا حبيب العمر هب لي
بضع لحظات سراع
قف تأمل مغرب العمر
واخفاق الشعاع
وابك جبار الليالي
هده طول الصراع
وضياع الحزن والدمـ
ـع على العمر المضاع
وهتاف القلب ما اشكـ
ـوى على غير انتفاع
ما يهم الناس من نجـ
ـم على وشك الزماع
غاب من بعد طلوع
وخبا بعد التماع

وعندما مات ناجي في ٢٥ مارس ١٩٥٣ عن عمر يناهز الثالثة والخمسين ، أصيبت زازا بصدمة

عنيفة وأصرت على انه لم يمت بل - كما قالت - « ذهب ولم يترك عنوانه » ! ..

● محمد محمود رضوان ●



إقرأ التفاصيل للأحداث
السياسية الدولية
هذا الأسبوع
في المجلة
السوفييتية
التي تصدر
بثمان لغات
عالمية
НОВОЕ
ВРЕМЯ
العصر
الحديث
NEW
TIMES
TIEMPOS
NUEVOS
TEMPS
NOUVEAUX
NEUE
ZEIT
NOWE
CZASY
NOVÁ
DOBA
العصر
الحديث
مع الباعة
كل ثلاثاء ٣ قروش

تقرير عاجل

قصة علمية

نهاد شريف

على الصخرة الداكنة والتي تقبع في ظل جرف من التلال البرتقالية الملساء ، تحرك الجسم بعد طول سكون .. كان اشبه بجذر الشجرة مقلوبا . سميكا من اسفل ، مدببا من اعلى بطول بارتفاع قامتين . ازرق اسفنجيا تغلفه الزوائد والنتوءات العصبية البالغة الحساسية ..

بغتة ، وقد ظل دون حراك زمنا من قبل انتفض .. ارتجف .. شملته موجة من الاضطراب من قاعدته الى ذؤابته .. ثم اذا بقمة الجذر تبدأ في الانحناء ، والميل ، رويدا رويدا .. حتى تقوس الجذر ولامست قمته سطح الصخرة الخشن في مستوى قاعدته ..

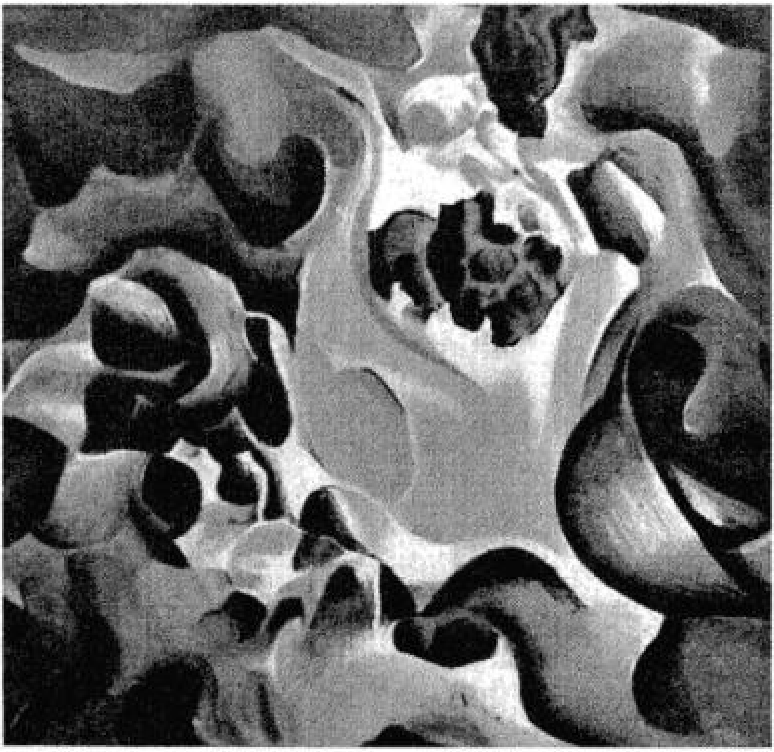
في الحال . وبسرعة مذهلة تقاس باعشار ومض البرق ، اندفع الجذر عائدا الى حالته الاصلية .. ولدى رجوعه وكما ينطلق السهم من القوس انطلقت من قمة الجذر كرة من ضوء حان غريب ، كأنها دائرة نورانية من لهب .. وكان يشع من احد اطرافها موج غير مرئي .. وبدا ان الموج الذي يسبقها او تسير على هداه يبث كذلك طنينا مسموعا خافت الايقاع .

انحدرت كرة الضوء بعيدا عن الصخرة .. تجنبت بروزا حجريا يعترض الطريق الى منخفض رملي . او انزلاق في اديم التربة نفسها .. دارت الكرة حول البروز الحجري . ثم انطلقت عبر الانزلاق في سرعتها الرتيبة غير العجلة ..

وقابلت كرة الضوء كرتين اكثر اعتاما تحومان متجاورتين . لكنها لم تعرهما اهتماما وظلت على تقدمها الحثيث .

وانسابت كرة الضوء بغتة الى اعلى تتخطى اربع من قمم التلال ، الواحدة في اعقاب الاخرى ، في نعومة ويسر .. وما ان بلغت الجانب المقابل من الجبل حتى انكشف امامها منظر فريد ... يمينا اتساع مهول .. بحر او محيط ، مياهه الثقيلة حمراء قاتمة لكنها ساكنة رائقة بلا موج . وبلا حياة ايضا .. فلا رياح ولا هواء ولا جو بالمرة فوقه .. وشاطئه اسمنتي بنته يد فنان لا يخطيء خطوط الهندسة الرائعة قيد انملة ..

اما يسارا ، فقد امتدت تلك المسارات الطويلة ، ثلاثين او اربعة وثلاثين او اكثر



بمسارين .. تتـوغل بعيدا بعيرا عبر شلال أخرى ووهـاد ووديان وصحراوات كلها زاهية متباينة الالوان وانغلب عليها البرتقـالى . ومعظمها يعج بنماذج مختلفة الاحجام من نوع الجـذر الذى لنثنى لانطلق كرة الضوء الحانية

على أن كرتنا الاولى اختارت مسارا بعينه.. التحمت به بكيفيةمعتادة .. وسرعان ما اندفعت عبره كما يندفع الشهاب بسرعته الخارقة عبـر السماء ..

وكانت هنـاك كرات أخرى من ضـوء تعتلى نفس المسـار أو تركب مسارات أخرى متقابلة أو متعارضة أو متوازية

ويا لهـا من أداة مواصلات مدهشة . فما كانتكرة الضوء تصل نهـاية مبتغاها حتى غادرتها لتقبـل على ما يشبه تجمعا مهولا من قباب شاهقة متنوعـة المرافق متعددة الجوانب لكنها بلا سقوف .. انما مجرد فتحات تغطيهـا طبقات مرجية عاليـة التردد ..

وحيث تعالت أصوات الطـنين .وحيث بلغت

الحرارة بفعل تزاحـم الكرات الضوئية جـدا

يفوق التصور.. انطلقت كرة الضـــوء تخترق

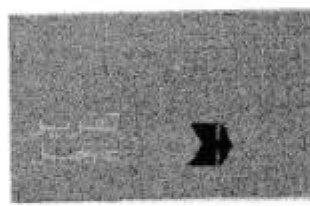
صفوفا وراء صفوف من الكرات المتهكة هـذه

المرة فى نفث شحنات

من الطاقة . تحرك بها نماذج مألوفة لديهم من

العمد والآلات المبهمة ، الغامضة ، المنظورة غير

المسموعة .. فقط على البعد ، لدى الساحة



المقعرة لأسفل . كانت

بنائية تأخذ فى الارتفاع تلقائيا ولم تكتمل قبتها المقترحة لأعلى بعد ..

لكن كرة الضـــوء

استمرت فى طريقها عبر الكرات الأخرى تأخـذ

اتجـاها مباشرا ..

منسـابة فى ليونة ، فى

عذوبة، كأنها تطفو عبر تيار معنوى خفى ..

وبرز أخيـرا المبنى الشـاهق ذو الرقائق الحجرية الفضـاوية من

وراء التبة المرضـة .

وكانت تتوسطه البئـر الحاطة بأستار الجليـد

الشفاف ، تفور منهـا النيران المقدسة المشتعلة

بلا لهب .. بلا دخان .. بلا ضوضاء .

فى عجلة نفـذت كرة

الضوء عبـر كوة فى جدار المبنى .. انزلقت

خـلال ممر أنبوبى ، قابلت مصـطبة بللورية

تدور بداخلهـا فقاعات

بيضاء ، أو هى مصفرة

قليلا ، تتجه لأعلى .. كلما تلاقت فقاعتـان

انفجرتا ، لكن غيرهـا

يتكون فى أسـفل على الدوام ..

ببطء.. وأيضا فى حرص حطت كرة الضوء على المصطبة التى تضم

الفقاعات .. استقرت

عليها بل التصقت بها . وقد فقدت كرويتهـا

واعتراها بعض الانبعاج من أسفلها ..

وعلى الفـور ماجت الفقاعات وسرى فيها نوع

من الهياج من الحمى.. راحت تتضــارب

وتتصـارع وتتقاتل فى سرعة ، فى جنون ..

وتتالت فقرات الخطـر

تقرير فى تاريخ الكوكب

البرتقالى السـابح فى طرف مجرة سكة التبانة

ماســورا ، وتابعا ، للنجم المحتضر فى هذا

الجزء الطرفى النائى من مجموعة عوالم المجرة

السـابحة فى كون اللانهائية ...

، من الفكر الحقير.. زاح.. المنبثق من عجينة

اللحم الثابتة منذ مولدها وحتى تلقى على الصخرة

رقم ثلاث نقاط وعصائى ونقمة ..

تقرير عاجل لا يحتمل التأخير ..

مقدم الى الفكر الأعظم

خوماش .. المنبثق من

عجينة اللحم المقدسة الثابتة منـذ ثلاث والى

ان تلقى بداخل التربيع

الأبدى مجـاورا للنيران

الباردة الحامية لشعبنا: فقد أمكننا أثناء لحظة

الزمن الموقوت بالوميض التاسع الحقبى لنجمنا

الخابى . وبمعونة المنظار

التخاطرى المقرب والذى

ركب ليدار بمعرفتى منذ قرابة عجلتين زمنيتين

ثانويتين . أن نرصد مجرتنا . وقد أمكننا أن نرى فى ذيل ذلك الطرف

السحيق شمسا تتبعها تسع كواكب مختلفة الاحجام ثبت لدينا بما يلتقى معه اى شك ويؤكد به كل يقين ان الكوكب الثالث بالنسبة لبعده عن الشمس يحوى كائنات • مخلوقات حية • امكننا ان نكبر رؤيتنا لها وهى تتحرك وتتنقل وتسعى فى دروب وانحاء ذلك الكوكب • وهى ليست ثابتة الاجسام وتتنقل بالفكر كما نحيا ونتنقل نحن على قرى كوكبنا • وانما هى تتنقل باجسامها كما هى عبر ارض كوكبهم وبحره وسمائه •

وقد تحققنا بالفعل من ان اجسام هذه الكائنات بالكوكب الثالث من مجموعة الشمس المذكورة اجسام معدنية مصفحة لها دروع ثقيلة او رقيقة لكنها متينة محكمة • بعضها يطير بزوائد افقية على جانبيه او زوائد راسية اعلاه • وهى سريعة للغاية • والبعض يسعى على الارض وحده بارجل دائرية رائعة • او يجر معه عددا على شاكلته



فى طابور طويل فوق مسارات مثبتة فى التربة او هو له زوائد من اعلى متصلة باسلاك ضمن شبكة جهد علوية وله ارجل مدورة من اسفل • وكلها ابطأ من الاولى •

وهناك البعض الاخر ويسير على صفحة اليم فى احجام معظمها ضخم خاصة تلك التى تحمل صغارها الطائرة على ظهرها • وهى ذات اجسام انسيابية رشيقة مدببة من طرفيها • او يغوص تحت اللجة فى احجام اقل ضخامة • وجميع التى تشق اليم هى الابطأ حركة •

على ان الكثرية الكائنات السابق وصفها ينفث غازات ضارة من اعلاها او اسفلها او من جوانب لها • وتصدر عنها ذبذبات صوتية مزعجة مريعة تتباين حدتها • الا ان الغامض حقا • وهو محير كذلك تلك الكائنات ذات الاجسام الكروية اللامعة الصامتة • وان بثت ل النادر بعض النغمات والتى تنطلق الى السماء لتظل تحلق مقيدة الى جانبية الكوكب حتى تحترق وتتلاشى •

وبعد – هذا تقريرنا الاول العاجل عما رصدنا مؤخرا • عن مخلوقات تعرف وترى للمرة الاولى بكوكب آخر بطرف مجرتنا • وجارى اعداد تفاصيل اكثر اثارة عن الكائنات ذات الاجسام المعدنية • المصفحة • او الطبيعية • وعن انفجارات مريبة تشبه النباتات العملاقة وتصل السماء • تتزايد ولا تتناقص • مما يؤذن بقرب انشطار الكوكب • دلالة على غضبة الهية ماحقة •

القائد : الحقيرذاح

● نهاد شريف ●


شركة الاسكندرية للمنتجات المعدنية
٧٢ شارع الشهيد جلال الدسوقي - الحضرة - الاسكندرية - ت ٧٠٥٣٣/٧١٧٦١ ص ب ٣٨٦ اسكندرية
تتقدم بخالص التحية لإدارة المـرور
بمناسبة شهـر المـرور
AMPCO
امبكو
SILEC
La Cooperation Franco-Arabe dans le domaine de la Signalisation routière "SILEC" Paris "AMPCO" Alexandrie
التعاون العربي الفرنسي في مجال تنظيم المرور الالكتروني بين شركة "سيلك" كبرى الشركات العالمية الفرنسية وشركة "امبكو" الاسكندرية للمنتجات المعدنية
أجهزة مرور ضوئية
جهاز تحكم الكتروني لتنظيم المرور

نبع الحسن

لماذا لا تطاوعني القوافي ... أأدعوها الى زلا توافي ؟
وكانت قبل دانية القطاف ... تبادلني انعطافا بانعطاف
لها في ذلك الهجران حق ... وفي هذا التجافي .. باعترافي!
ففي دنيا العلوم شغلت نفسي ... وطال الى مفاتنها انصرافي
ومن لم يسق ماء الود حبا ... أيلقى عنده غير الجفاف ؟
فيا قلبا طموحا ليس يهدا ... ولا يدرى ختاما للمطاف
اذا حملت اكثر من غرام ... تعبت ، وكنت متهم العفاف
فليت عرائس الافكار تدرى ... بوحدتهن فيك والائتلاف
وانك انت افلاطون حسن ... تهيم بوحدة لا باختلاف
تهيم بجوهر في الحسن فرد ... ونبع واحد فى الحسن صاف
وخلف تعدد الاغصان اصل ... وحيد فى ضمير الارض خاف
اذا نفذت اليه العين قرت ... وودعت الترحل فى الفيافي

● صلاح عيد ●

الغلاف الأول



ادب الجنس الآخر . . .
لوحة للفنان : جمال قطب

الغلاف الأخير

زهور التيوليب . . .
تصوير الفنان : عبدالفتاح عيد






الهلال
عدد خاص
الشيطان
اطلب مع العدد
الزهور
هدية العدد
صورة
عزيز أباظة
وجزء خاص عنه
الهلال + الزهور + الهدية = ١٥ قرشا

الهلال

مايو ١٩٧٤

مجلة شهرية تصدر من دار الهلال – أسسها جورجي زيدان سنة ١٨٩٢ – العدد الخامس – السنة الثانية والثمانون – أول مايو ١٩٧٤ – ٩ ربيع الآخر ١٣٩٤ .

الاشتراكات

ثمن العدد ، فى جمهورية مصر العربية ١٠ مليما .
قيمة الاشتراك السنوى : ١٢ ورد٢ فى جمهورية مصر العربية وبلاد الحادى البريد العربى والافريقى ١٥٠ قرشا صاغا . فى سائر أنحاء العالم ٦ دولارات أو ور٢ جنيه والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال : فى جمهورية مصر العربية والسودان بحوالة بريدية . فى الخارج بشيك مصرفى والاسعار الموضحة أعلاه بالبريد العادى وتضاف رسوم البريد الجوى والمسجل على الاسعار المحددة عند الطلب .

الادارة : دار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب – القاهرة
تليفون : ٢٠٦١٠ « عشرة خطوط »

في هذا العدد :


المنعم الرفاعي


يوسف السباعي


سعيد عقل



كلمة الهلال

بسم الله الرحمن الرحيم

كان من زنادقة العرب فى العراق ، شاعر اسمه « ابن مناذر »

وكان من شئونه فى الزندقة ان يقضى يومه فى جمع العقارب من الصحراء ، فاذا جن الليل ، اطلقها فى مسجد البصرة ، حتى اذا اتى المؤمنون لصلاة الفجر قبل ان يبين الخيط الابيض من الخيط الاسود ، لسعتهم العقارب السارحة فى المسجد ...

ويبدو ان كل عصر لا يخلو من ابن مناذر جديد ، يطلق العقارب على المؤمنين ، فقد هاجمت احدى صحف الزندقة فى لبنان . عدد « الهلال » عن الجنة والنار ، واتهمته بانه مغازلة للشعور الدينى الذى يمثل التخلف والرجعية !

ومن المؤسف ان احدى المجلات الشهرية التى تصدر عن دار صحفية كبيرة فى القاهرة والتى تدعى التقدمية طورا ، والليبرالية تارة ، قد ابت الا ان تحتفى بقول الصحيفة اللبنانية الحمراء ، وتعيد نشره فى اطار بارز ، وكأن الشعور الدينى قد اصبح تهمة فى هذا العصر – عصر البروليتاريا كما يزعمون – ووصمة فى جبين « التقدمية » !

« ابن مناذر » اللبنانى ... الذى يطلق العقارب على المؤمنين ، لاشأن لنا به ، ولا شأن لنا معه

اما « ابن مناذر » المصرى .. فهو الذى يقدم لنا الدليل على ان ساحة الصحافة المصرية قد اصبحت فى حاجة ملحة الى التصحيح لتتطهر من العقارب

● صالح جودت ●

الشيطان كما يصوره القرآن

د. أحمد الشرباصى

ما يكاد الرجل البصير يتذكر « الشيطان » ، أو يسمع اسمه ، حتى يردد بلسانه أو جنانه : « اعوذ بالله من الشيطان الرجيم » فاى دافع دفعنا ـ مع رضا واختيار ـ الى الحديث عن ذلك الشيطان اللعين ؟ . لكن لاباس ، فحديثنا عن الشيطان سيكون كما يصوره القرآن ، فان كان الشيطان وسوسة وبهتان ، ففى القرآن عصمة وامان ، والله خير مستعان . . .

هناك كلمات ثلاث تتردد فى هذا المجال ، هى الشيطان والجن وابليس ، وفى اللغة أن الشيطان هو كل عات متمرد من الانس والجن والحيوان .

وقال أبو عبيدة أن الشيطان اسم لكل عارم من الجن والانس ، والشيطان مخلوق خبيث لا يراه الانسان ، يغرى بالفساد والشر . وفى الحديث النبوى الذى رواه مسلم فى صحيحه : « أن الشيطان يبعث سراياه ـ جنوده ـ فيفتنون الناس ، فأعظمهم عنده أعظمهم فتنة » . والشيطان وابليس والعفريت بمعنى واحد وهو العاتى المتمرد من الجن ، وبذلك يكون الشيطان من الجن ، وقد فرقوا بينهما بأن الجن منه صالح وخبيث ، والشيطان لا يكون الا خبيثا ، فكأنه نوع خاص من الجن ويرون أن ابليس كان من الملائكة ، فلما عصى الله وأبى السجود غضب الله عليه ولعنه ومسخه شيطانا !



الشيطان كما صوره القرآن

رجيما ، ويروون أن اسمه قبل العصيان كان « عزازيل » ثم صار اسمه « ابليس » ومن اسمائه « الحارث » وكنيته « أبو مره » ويصفه القرآن الكريم بقوله : « ان يتبعون الا شيطانا مريدا » والمريد هو العاتى المتمرد الخارج عن الطاعة الظاهر الشر . وقد تكررت مادة « الشيطان » فى القرآن ما يقرب من ثمانين مرة .

وقد يطلق على الشيطان اسم « الجان » أو « الجن » . وفى سورة الانعام جاء قوله تعالى : « وجعلوا لله شركاء الجن » . أى جعل المشركون لله شركاءهم الجن . وقد ذكر أهل التفسير أن المراد بالجن الملائكة ، لان المشركين عبدوا الملائكة ، أو الشياطين لان المشركين اطاعوهم فى أمور الشرك والمعاصى ، أو المراد ابليس بالذات ، فقد عبده اقوام وسموه ربا ، ومنهم من سماه : اله الشر .

والظاهر ان الملائكة ليسوا من الجن الا بالمعنى اللغوى ، اى انهم مستترون ، او يكون اطلاق كلمة « الجن » على الملائكة اطلاقا مجازيا ، لان القرآن يقول : « ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون ؟ قالوا : سبحانك أنت ولينا من دونهم ، بل كانوا يعبدون الجن اكثرهم بهم مؤمنون » .

والقرآن الكريم يحدثنا عن الشيطان والجن وابليس وجنوده ، فيقرر وجود خلق آخر غير الانسان ، لا نرى مادته ، ولا نعرف حقيقته ، ومنه الشيطان ، وقد تكرر ذكره لمعشر الانس والجن ، وقال فيما قال : « سنفرغ لكم ايها الثقلان » وهما الانس والجن ، ويكفر الانسان اذا أنكر وجود الشيطان او الجن لان كتاب الله قد صرح بوجودهم ، ويقرر جمهور المفسرين أن هذه المخلوقات من عالم الغيب ، لانعلم حقائقها ، ولا نبحث عنها ، ولا نقول بالنسبة اليها ما لم يرد لنا فيه نص ثابت عن المعصوم رسول الله عليه الصلاة والسلام .

وهناك كثيرون ينكرون وجود الشياطين والجن ، ويعيب هذا الانكار احد جمهور المفسرين بقوله : « اما الذين ينكرون وجود هذا الخلق اطلاقا فلا ادرى علام يبنون هذا الانكار ، بصيغة الجزم والقطع ، والسخرية من الاعتقاد بوجوده ، وتسميته خرافة .

الانهم عرفوا كل ما فى هذا الكون من خلائق فلم يجدوا الجن من بينها ؟ ان احدا من العلماء لا يزعم هذا حتى اليوم . وان فى هذه الارض وحدها من الخلائق الحية لكثيرا مما يكشف وجوده يوما بعد يوم ، ولم يقل أحد ان سلسلة الكشوف للاحياء فى الارض وقفت او ستقف فى يوم من الايام .

الانهم عرفوا كل القوى المكنونة فى هذا الكون فلم يجدوا الجن من بينها ؟ ان احدا لا يدعى هذه الدعوى . فهناك قوى مكنونة تكشف كل يوم ، وهى كانت مجهولة بالامس ، والعلماء جادون فى التعرف الى القوى الكونية

وهم يعلنون فى تواضع قادتهم اليه كشوفهم العلمية ذاتها : انهم يقفون على حافة مجهول فى هـــذا الكون ، وانهم لم يكادوا يبدأون بعد .

الأنهـــم رأوا كل القـــوى التى استخدموها ، فلم يروا الجـــن من بينها ؟ .. ولا هذه ، فانهم يتحدثون عن الكهرب بوصفه حقيقة علمية منذ توصلوا الى تحطيم الذرة ، ولكن احدا منهم لم ير الكهرب قط ، وليس فى معاملهم من الاجهزة ما يفرزون به كهربا من هذه الكهارب التى يتحدثون عنها .

فلم اذن هذا الجزم بنفى وجـــود الجن ، ومعلومات البشر عن هـــذا الكون وقواه وسكانه من الضآلة بحيث لا تسمح لانسان يحترم عقله أن يجزم بشىء ؟..

أن القرآن يحدثنا بأن الشـــيطان مخلوق من النار ، فيقول : « ولقـــد خلقنا الانسان من صلصال من حمأ مسنون . والجان خلقناه من قبل من نار السمـــوم » . ويقول : « وخلق الجان من مارج من نار » . ولكونه من ذلك اختص بفرط القوة الغضبية والحمية الذميمة ، وامتنع من السجود لآدم وقال قولة السوء « خلقتنى من نار وخلقته من طين » . ولذلك يقول القرآن : « واذا قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه » .

وعمر الشيطان طويل ممتد ، لانه يمثل قوة الشر فى الـــكون ، ولانه ابتلاء واختبار ، ولذلك جاء فى سورة الاعراف عن الشيطان : « قال انظرنى الى يوم يبعثـــون ، قال انك من المنظرين ، قال فبما اغويتنى لاقعدن لهم صراطك المستقيم ، ثم لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم ولا تجد اكثرهم شاكرين ، قال اخرج منها مذؤوما مدحـــورا لمن تبعك منهم لاملأن جهنم منكم أجمعين » وهكذا يظل الشـــيطان الى حين البعث والحساب ، يظل ـ كما رووا ـ الى النفخة الاولى حيث يموت الخلق كلهم ، وقد طلب الشيطان أن يظل الى النفخة الثانية حيث يقوم الناس لرب العالمين ، فأبى الله عليه ذلك ..

والشيطان يرى النـــاس وهم لا يرونه . يقول القرآن : « يا بنى آدم لا يفتننكم الشيطان كما اخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما ، انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم ، انا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون » .

والشيطان يحاول أن يســـتميل كل انسان الى الشر ، ولكن الذاكـــر لله يتأبى على ذلك ، ولذلك يقول الله جل جلاله للشيطان : « ان عبادى ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعـــك من الغاوين » فكأن سيطرة الشيطان تكون على الضعفاء فى الايمان والعقـــل والعزيمة . ولذلك حلا لبعض ائمـــة التفســـير أن يشـــبه الشياطين بالميكروبات ، فذكر أن قرناء السوء من الشياطين كمثل جراثيم الامراض ، حيث تمس كل احد من الناس ، فمن كان قوى المزاج معتدل المعيشة متقيا لها بما يرشد اليه الطب من النظافة واستعمال المطهرات القاتلة لها فانهـــا قلما تصيبه ، واذا اصابته فلا تضره ، بل قد تنفعــــه بتعويد مزاجه على المقـــاومة ، ومن كان ضعيف المزاج مسرفا فى المعيشة ، غير متق لهـــا بمثل ما ذكرنا ، فانها تؤذيه ويحدث له بسببها من الامراض والادواء ما يكون به على شفا الهلاك أو يكون من الهالكين .

ولكن النفس الزكية التقية المهتدية بالقرآن والســـنة ، لا يكاد الشيطان يضلها ، واذا طاف بهـــا طائف من وسوسته فى حال الغفلة تذكرت فاذا هى مبصرة محاذرة ، فمثلها فى عدم تأثير الوسوسة فيها ، كمثـــل البدن القوى فى عدم استعداده لفتك جراثيم

الشيطان كما صوره القرآن

الامراض به ، كما أن النفس الفاسدة الفطرة بالشرك أو النفاق والمعاصي وسوء الاخلاق ، تكون مستعدة لطاعة الشيطان ، كاستعداد البدن الضعيف والمزاج الفاسد لتأثير ميكروبات الامراض . ومن الارواح والابدان ما ليس في منتهى القوة ولا غاية الضعف ، فكل منهما يتأثر بقدر استعداده ، وتكون عاقبته السلامة ان كان اقرب الى الصحة والقوة ، والهلاك ان كان بضد ذلك .

ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ فيما رواه البخاري ـ : « الشيطان جاسم على قلب ابن آدم ، فاذا ذكر الله تعالى خنس ، واذا غفل وسوس » .

وتحدثت السيدة عائشة فقالت : خرج النبي صلى الله عليه وسلم من عندي ليلا ، فغرت عليه فجاء فرأى ما اصنع (من اثر الغيرة) فقال : مالك يا عائشة ؟ اغرت ؟

قلت : ومالي لا يغار مثلي على مثلك ؟

فقال : اقد جاءك شيطانك ؟

قلت : يا رسول الله امعي شيطان ؟

قال : نعم .

قلت : ومع كل انسان ؟

قال : نعم .

قلت : ومعك يا رسول الله ؟

قال : نعم ، ولكن ربي اعانني عليه حتى اسلم (اي حتى انجو من شره)

والشيطان خبيث ماكر ، يحتال بشتى الوسائل وادق الداخل ليتمكن من الاغواء والاضلال ، ولذلك صورته لنا السنة المطهرة بأنه يجري من ابن آدم مجرى الدم ، فقد مر اثنان على رسول الله ومعه زوجته صفية ، فاسرعا ، فقال لهما النبي : على رسلكما ، انها صفية بنت حيي (اي زوجتي) . فقالا : سبحان الله يارسول الله . فقال : ان الشيطان يجري من الانسان مجرى الدم ، واني خشيت أن يقذف في قلوبكما سوءا .

ولذلك وصف القرآن الشيطان بأنه « الوسواس الخناس » والخناس من خنس يخنس اذا توارى واختفى ، وفي ذلك يقول ابن القيم : « فان العبد اذا غفل عن ذكر الله جثم على قلبه الشيطان وانبسط عليه ، وبذر فيه انواع الوساوس التي هي اصل الذنوب كلها فاذا ذكر العبد ربه واستعاذ به انخنس وانقبض ، كما يخنس الشيء ليتوارى » .

ويرى بعض بصراء المفسرين ان في وصف القرآن للشيطان بوصف « الخناس » لفتة ذات مغزى ، فهذه الصفة تدل من جهة على تخفيه واختبائه ، حتى يجد الفرصة سانحة فيدب ويوسوس ، ولكنها من جهة اخرى توحي بضعفه امام من يستيقظ لكره ، ويحمي مداخل صدره ، فهو اذا ووجه بالذكر خنس واستتر ، وعاد من حيث اتى ، وقبع واختفى ، او كما قال الحديث السابق في تصويره الدقيق : « فاذا ذكر الله تعالى خنس ، واذا غفل وسوس » .

هذه اللفتة تقوي قلب الانسان على مواجهة الشيطان الوسواس ، لانه خناس ، ضعيف امام عدة المؤمن في المعركة . ولكنها من ناحية اخرى معركة طويلة لا تنتهي ابدا ، فهو على الدوام قابع خانس ، مترقب للغفلة ، واليقظة لا تغني عن اللقاءات ، والحرب سجال الى يوم القيامة . كما صورها القرآن الكريم في مواضع شتى

ولقد يصل الانسان التقي درجة يخافه فيها الشيطان ، وذلك كما تحدث النبي عليه الصلاة والسلام الى عمر

ابن الخطاب رضى الله عنه ، حيث قال له : « والذى نفسي بيده ما لقيك الشيطان قط سالكا فجا (طريقا) الا سلك فجا غير فجك » .

والشيطان كما يخبرنا القـــران ـ يضرب مثلا فى قبح الصورة ، ولذلك قال القرآن عن شجرة الزقوم : « انها شجرة تخرج فى أصـــل الجحيم ، طلعهـــا كأنه رءوس الشياطين » .

والسنة من وراء القرآن الكريم تجعل صورة الشيطان صورة منكرة ، فيروى البخارى قول النبى : « اذا سمعتم نهيق الحمـــير فتعوذوا بالله من الشيطان فانه رأى شيطانا » . وان أنكر الاصوات عندالله لصوت الحمير، وان الطيور على اشكالها تقع .

والتثاؤب ـ وهو دليـــل التراخى والكسل ـ يأتى به الشيطان ، ولذلك يقول الحديث النبوى : « وأما التثاؤب فانما هو من الشيطان ، فاذا تثاءب احدكم فليرده ما استطاع ، فان احدكم اذا تثاءب ضحك منه الشيطان » ، وانما يضحك الشيطان اذا شهد من الانسان مشهدا يعاب ويؤخذ عليه .

والشيطان هو الذى يسبب للمرء الاسراف فى النوم حتى تضيع عليه الصلاة . يقول النبى مصـــورا ذلك : « يعقد الشيطان على قافيـــة رأس أحدكم ـ اذا هو نام ـ ثلاث عقد : يضرب على كل عقدة مكانها : عليك ليل طويل فارقد . فان استيقظ فذكر الله انحلت عقدة ، فان توضأ انحلت عقدة ، فان صلى انحلت عقده كلها فأصـــبح نشيطا طيب النفس ، والا أصبح خبيث النفس كسلان » .

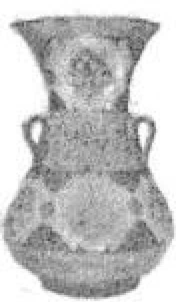
ولقد ذكروا عند الرسول صلوات الله وسلامه عليه رجلا نام حتى فاتته صلاة الصبح فقال : « ذاك رجل بال الشيطان فى أذنيه » .

ومن صور الشيطان البغيضة ما جاء فى الحديث : « اذا نودى للصلاة أدبر الشيطان وله ضراط حتى لا يسمع التأذين ، فاذا قضى النداء أقبل » . وانما يقبل للتشكيك والتضليل .

وفى القرآن المجيد ســورة تسمى « سورة الجن » ، ومن الجن يخرج الشياطين كما عرفنـــا ليمثلوا عنصر الشر والفســـــاد ، ويبقى فى الجن صالحون وطالحون ، وهـذه السورة تخبرنا بجملة من الحقائق :

اولا : الجن حقيقة واقعة ، فهى تقول : « قل أوحى الى انه استمـــع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا » .

ثانيا : منهم المؤمنون الذين يصفون القرآن بأنه « يهدى الى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنـــا احدا » ومنهم الصالحون والطالحون : « وانا منا الصالحون ومنا دون ذلك كنا طرائق قددا » اى مذاهب متفرقة . ومنهم المسلمون المهتـــدون ، والجاحدون الضالون ، ولكل جزاؤه : « وانا منا المسلمون ومنا القاسطون (الجائرون



عن طريق الحق) فمن اسلم فاولئك تحروا رشدا ، وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا » .

ثالثا : الجن لا ينفعون الناس : « وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا » .

رابعا : الجن لا يعلمــون الغيب : « وانا لا ندرى اشر اريد بمــن فى الارض ام أراد بهم ربهم رشدا » .

خامسا : انهم لا قدرة لهم امام قدرة الله وسلطانه : « وانا ظننا أن لن نعجــز الله فى الارض ولن نعجزه هربا » .

ولعل ابرز قصة للشــيطان فى القرآن هى قصته مع آدم ، حيث ابى الشيطان ان يســجد لابى البشر ، واستحق على ذلك التكبر الطرد من الجنــة ، ثم عاد يوسوس الى آدم حتى اكل من الشجرة ومعه حواء ، وترتب على ذلك نزول آدم وحواء من الجنة الى الدنيا ، ونشــأت العداوة الدائمة بين الانســان والشيطان .

يقول الله تعالى عن ذلك فى سورة الاعــراف : ولقد خلقنــاكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسـجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس لم يكن من الساجدين ، قال ما منعك الا تسجد

الشيطان كما صوره القرآن

اذ أمرتك قال أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين » .

ثم قال بعد ذلك بآيات : « ويا آدم اسكن انت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين ، فوسوس لهما الشيطان ليبدى لهما ما وورى عنهما من سوآتهما وقال مانهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين وقاسمهما انى لكما لمن الناصحين ، فدلاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما وطفقا يخصــفان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما ألم انهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما ان الشــيطان لكما عدو مبين ، قالا ربنا ظلمنــا انفســنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ، وقال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولــكم فى الارض مستقر ومتاع الى حين » .

ولقد حاول الشيطان بسبب عداوته الدفينة للانسان أن يفسد هو واتباعه عقائد الناس ، وأن يبتدعوا لهم ما لم يشرع الله ولم يأذن به ، ولذلك يقول القرآن فى سورة النساء : « ان الله لا يغفــر ان يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء ، ومن يشرك بالله فقد ضل ضــلالا بعيدا ، ان يدعون من دونه الا اناثا وان يدعون الا شيطانا مريدا ، لعنه الله وقال لاتخــذن من عبادك نصيبا مفروضا ، ولاضــلنهم ولامنينهم ولآمرنهم فليبتــكن آذان الانعام ولآمرنهم فليغيرن خلق الله ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقــد خسر خسرانا مبينا ، يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا ، أولئك مأواهم جهنم ولا يجدون عنها محيصا » .

ويبين أهل التفســير معنى هــذه الآيات بما خلاصتــه : « ان هؤلاء



المشركين لا يدعون لقضاء حوائجهم الا اناثا كاللات والعزى ، وهى معبودات عاجزة ، لا تملك لهم ضرا ولا نفعا ، وما يدعون الا شيطانا خبيثا من عادته الاغواء والاضلال ، أخزاه الله وأبعده عن مواطن فضله ورحمته .

وقال الشيطان اللعين : انى سأتخذ من الناس نصيبا مفروضا معينا ، وهو ما فى النفوس من استعداد للشر ، ليخدعهم ويضلهم ، وقال انه سيعمل على اضلال الناس وصرفهم عن طريق الحق والهدى ، وسيزين لهم الاستعجال الى اللذات والشهوات ، والتسويف بالتوبة وبالعمل الصالح ، وسيأمرهم ليقطعوا آذان بعض الأنعام ، كما كانوا يفعلون فى الجاهلية ، حيث كانوا يشقون اذان بعض الابل شقا طويلا ، ولا يحملون عليها شيئا ، وهذا من سخف الجاهلية وسفه الوثنية .

وانه سيأمرهم ايضا ليغيروا خلق الله بالتشويه والتمثيل وقطع الاطراف .

ومن يتخذ الشيطان وليا له ، ويتبع وسوسته فقد خسر خسرانا ظاهرا فى دنياه وأخراه ، لأنه سيصير اسيرا للاوهام والخرافات ، لان الشيطان يعد الناس بالفقر اذا هم انفقوا فى سبيل الله ، ويمنيهم بالامانى الكاذبة التى لا ثمرة لها ، ولا يعدهم الا بالباطل الذى يغترون به وينخدعون ، وهؤلاء الذين يتبعون الشيطان ويطيعونه ينتهون الى نار جهنم لا يجدون عنها مصرفا يفرون اليه .

هذا ونستطيع ان ننتزع من القرآن مجموعة من صفات الشيطان التى تصور سيئاته ومنكراته ، وهى :

١ ـ الخديعة ، وتتجلى فى مخادعة الشيطان لآدم وزوجته حتى دفعهما الى الاكل من الشجرة المحرمة ، ولذلك يقول القرآن : « فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه » .

٢ ـ الوعد بالفقر والأمر بالسوء والفحشاء ولذلك يقول الله تعالى : « يأيها الناس كلوا مما فى الارض حلالا طيبا ، ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين . انما يأمركم بالسوء والفحشاء وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون » .

٣ ـ أيقاع العداوة والبغضاء : « يأيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون ، انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل انتم منتهون » .

٤ ـ تزيين السوء : « وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون » . « قال رب بما اغويتنى لأزينن لهم فى الارض ولأغوينهم أجمعين ، الا عبادك منهم المخلصين » ، « واذا زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من

الناس ، واني جار لكم ، فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال اني بريء منكم اني أرى ما لا ترون اني أخاف الله والله شديد العقاب » .

٥ ـ الانساء : « واما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين » .

٦ ـ الوسوسة واخطرها الوسوسة في العقيدة والايمان : « قل أعوذ برب الناس ، ملك الناس ، اله الناس ، من شر الوسواس الخناس » ، ويقول الرسول عليه الصلاة والسلام : « يأتي الشيطان احدكم فيقول ، من خلق كذا ، من خلق كذا ؟ حتى يقول : من خلق ربك ؟ فاذا بلغه فليستعذ بالله ولينته » .

يقول ابن القيم عن الشيطان :

« ومن وسوسته أيضا أن يشغل القلب بحديثه حتى ينسيه ما يريد أن يفعله ، ولهذا يضاف النسيان اليه اضافته الى سببه . قال تعالى حكاية عن صاحب موسى انه قال : « اني نسيت الحوت وما انسانيه الا الشيطان أن أذكره » .

وتأمل حكمة القرآن وجلالته كيف أوقع الاستعاذة من شر الشيطان الموصوف بأنه الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس ، ولم يقل من شر وسوسته ، لتعم الاستعاذة شره جميعه ، فان قوله : « من شر الوسواس » ، يعم كل شر ، ووصفه بأعظم صفاته واشدها شرا وأقواها تأثيرا وأعمها فسادا ، وهي الوسوسة التي هي مباديء الارادة ، فان القلب يكون فارغا من الشر والمعصية ، فيوسوس اليه ، ويخطر الذنب بباله ، فيصوره لنفسه ، ويمنيه ويشهيه ، فيصير شهوة ، ويزينها له ويحسنها ويخيلها له في خيال تميل نفسه اليه ، فيصير ارادة ، ثم لا يزال يمثل ويخيل ويمني وينسي علمه بضررها ، ويطوي عنه سوء عاقبتها فيحول بينه وبين مطالعته ، فلا يرى الا صورة المعصية والتذاذه بها فقط وينسى ما وراء ذلك ، فتصير الارادة عزيمة جازمة ، فيشتد الحرص عليها من القلب ، فيبعث الجنود في الطلب ، فيبعث الشيطان معهم مددا لهم وعونا ، فان فتروا حركهم ، وان ونوا ازعجهم كما قال تعالى : « الم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا » ، أي تزعجهم الى المعاصي ازعاجا كلما فتروا أو ونوا أزعجتهم الشياطين وأزتهم وأثارتهم .

فلا تزال بالعبد تقوده الى الذنب ، وتنظم شمل الاجتماع بالطف حيلة وأتم مكيدة » .

٧ ـ المس : « ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون » .

٨ ـ الاستهواء وهو الاضلال : « كالذي استهوته الشياطين في الارض حيران » . « ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا » .

٩ ـ الاباء والاستكبار والكفر : « الا ابليس أبى واستكبر وكان من الكافرين » .

١٠ – عداوته العميقة للانسان : « ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا انما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير » .

ولهذه السيئات والقبائح والمناكر وغيرها في الشيطان اللعين كان من الواجب على الانسان أن يستعيذ منه بالله جل جلاله القائل : « واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه سميع عليم » أى اذا حاول الشيطان أن يبدأ معك الوسوسة فالجأ الى الله، وتحصن به ليصونك منه . والقائل : « وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين ، وأعوذ بك أن يحضرون » أى أعتصم بك من وسوستهم ، وأن يحضروني في أموري ، لانهم لا يحضرون الا بالشر والسوء .

والسنة المطهرة تدلنا على أن عبارة الاستعاذة هي أن يقول بلسانه وجنانه في اخلاص ورجاء : « أعوذ بالله من الشيطان الرجيم » فقد استب رجلان ، فاحمر وجه أحدهما وانتفخت أوداجه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « انى لاعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد ، لو قال أعوذ بالله من الشيطان ، ذهب عنه ما يجد » .

والقرآن يرشد الانسان الى أن يقول في الاستعاذة : « أعوذ برب الناس ، ملك الناس ، اله الناس ، من شر الوسواس الخناس ، الذى يوسوس في صدور الناس ، من الجنة والناس » .

وبعض الائمة يتوسع فيوجه الى الطريقة التى يعتصم بها العبد من الشيطان ويحترز من شره ، فيذكر الامور التالية :

١ – الاستعاذة بالله .

٢ – قراءة سورتى الفلق والناس .

٣ – قراءة آية الكرسى .

٤ – قراءة سورة البقرة بوخاتمتها وهى : « آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه » الى نهايتها .

٥ – قراءة سورة المؤمن من بدايتها حتى قوله تعالى : « لا اله الا هو اليه المصير » .

٦ – أن يقول مائة مرة : « لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك والحمد وهو على كل شىء قدير » .

٧ – كثرة ذكر الله عز وجل .

٨ – الوضوء والصلاة .

٩ – امساك فضول النظر والكلام والطعام ومخالطة الناس .

وأرى أنه لا موجب لهذا التوسع ، والعمدة على الاخلاص وصدق الرجاء .

والقرآن يحذر الانسان أن يصحب الشيطان ، لان العاقبة لذلك هى الخسران ، ولذلك يقول القرآن :

« ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا » ويقول : « وكان الشيطان للانسان خذولا » . « ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا » ..

وحذر القرآن الانسان أن يتبع خطوات الشيطان وهى كل أمر يخالف سبيل الحق والخير فقال : « لا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين » وكرر هذا المعنى في عدة آيات ..

اما بعد ، فقد طال مدى الحديث ، وجاوز نطاقه ، وما زال حديث الشيطان اللعين ذا شعب وشجون ، فلنقف عند ماكان ، ولنكتف بما سبق، ولنتحصن بحصن الله ضد الوسواس الخناس ، ولنقل عند النهاية ما قلناه عند البداية : نعوذ بالله العلى العظيم من الشيطان الرجيم .

وإلى : سلام

د. سيد
نوفل

الجن والشياطين في الأدب العربي القديم

كان عالم الجن احد العوالم الثلاثة ، التى شغل بها العرب وغيرهم منذ القدم ، وهى : عالم الانس، وعالم الجن، وعالم الملائكة.. ويروى بعض اللغويين ان الجن يقابل الانس ، وانه بذلك يشمل الملائكة ، على اختلاف فى السلوك ،وانه قد اشتق من الاجتنان اى الستر والخفاء عن الابصار .. وذهبوا الى ان الشياطين هم كفار الجن ، وان الملائكة جنود الله يسكنون السماء ، بينما يسكن الجن والشياطين الارض مع الانسان .. وفصل بعض اللغويين القول فذهب الى ان العرب كانوا اذا ذكروا الجن خالصا قالوا جنى ، فان ارادوا انه مما يسكن مع الناس قالوا عامر واحد العمار بتضعيف الميم ، فان كان ممن يعرض للصبيان ويغويهم قالوا ارواح ، فان خبث واضل فهو شيطان ، فان زاد عن ذلك وضل ضلالا بعيدا فهو مارد ، فان تجاوز ذلك وطغى طغيانا شديدا قالوا عفريت . وكذلك قالوا ان الغول والسعلاة من الجن مثل العفريت ..

كان عرب الجاهلية ينسجون الكثير من الاساطير والاقاصيص حول الجن .. وكانوا يرونهم حوريات الصحراء وغيلانها التي لم يستطع الانسان اخضاعها لسلطانه ، على حين تستطيع ايقاع الضر الجسيم والاضرار البليغ به . وذلك بحكم خفائها وتلونها وشدة بأسها ، وانها وراء الطبيعة الانسانية والكونية ..

وتسير الروايات العربية بأن الجن سبقوا الانسان في سكنى الارض ، وأن اباهم (سوميا) او (شوميا) سبق أبانا ادم بسنين تعد بالعشرات او الالوف على اختلاف الروايات ...

ويروى ان الله تعالى خلق الجن وامرهم بعمارة الارض ، فكانوا يعبدون الله جل ثناؤه ، حتى طال بهم الامد فعصوه .. وحينئذ انزل الله عليهم جندا من ملائكة السماء الدنيا او الاولى ، فيهم ابليس ، فاجلوهم عن جملة الارض ، واسكنوهم جزائر البحر ، وسكن الجند الارض من بعدهم ...

واعراب البادية قد بالغوا في ذكر مصاحبتهم للجن ، ومخاصمتهم ومقاتلتهم او مصاحبتهم والزواج منهم .. وقد فسر ذلك أبو اسحاق المتكلم ، صاحب الجاحظ ، بأنه ضرب من الوهم الذي لا يستند الى اساس ... ومن اقواله فيه :

« اصل هذا الامر وابتداؤه أن القوم عملت فيهم الوحشة .. ومن انفرد وطال مقامه في الفلاة والخلاء والبعد عن الانس استوحش ، ولا سيما مع قلة الاشتغال والمذاكرة . والوحدة لا تقطع ايامهم الا بالمنى والتفكير ، والفكر ربما كان من اسباب الوسوسة .. واذا استوحش الانسان مثل له الشيء الصغير في صورة الكبير ، وارتاب وتفرق ذهنه وانتقضت اخلاطه ، فيرى ما لا يرى ويسمع ما لا يسمع ، ويتوهم على الشيء الصغير الحقير انه عظيم جليل .. ثم جعلوا ما تصور لهم من ذلك شعرا تناشدوه ، واحاديث توارثوها ، فازدادوا بذلك ايمانا ، ونشأ عليه الناشيء ، وربي عليه الطفل ...

« فصار احدهم حين يتوسط الفيافي ، وتشتمل عليه الغيطان في الليالي الحنادس ، وعند اول وحشة او فزعة وعند صياح بوم ومجاوبة صدى ، تجده وقد رأى كل باطل وتوهم كل زور .. وربما كان في الجنس واصل الطبيعة نفاجا كذابا او صاحب تشنيع وتهويل ، فيقول في ذلك الشعر ... ويقول : رأيت الغيلان ، وكلمت السعلاة ، ثم يتجاوز ذلك الى ان يقول قتلتها ، او رافقتها ، او تزوجتها .

« ومما زادهم في هذا الباب واغراهم وسد لهم فيه ، انهم ليس يلقون بهذه الاشعار وبهذه الاخبار الا اعرابيا مثلهم .. والا غبيا لم يأخذ نفسه قط بتمييز ما يوجب التكذيب او التصديق او الشك .. ولم يسلك سبيل التوقف والتثبت في هذه الاجناس قط . واما ان يلقوا راوية شعر او صاحب خبر ، فالرواة عندهم كلما كان الاعرابي اكذب في شعره كان اطرف عندهم ، وصارت روايته اغلب ومضاحيكه حديثه اكثر ... » .

وهكذا يفسر ابو اسحاق ، لنحو اثني عشر قرنا خلت ، منشأ اقاصيص الجن واساطير الشياطين تفسيرا علميا مستنيرا ، خلاصته الوحشة واوهام الوحدة ، والجهل ، والافتقار الى ملكة النقد السليم ، والرغبة في رواية الغريب المضحك ، تزجية للوقت وتسلية للمكدودين ...

ويمكن ان يضاف الى ذلك ضعف الانسان ، وعجزه عن تفسير مظاهر الكون ، وانجذابه الى ما وراء الطبيعة

● من شعر الجاهلية ●

وفي الشعر الجاهلي اشارات الى معاشرة الجن والوحش في الفلاة واللهما .. من مثل قول الراجز الذى يزعم انه يلاعب الحن (بالحاء المهملة) والجن (بالجيم المعجمة) ، فيقول :

يلعبن احوالى من حن وجن

والحن نوع من الجن، او كلاب الجن فى رواية اخرى ...

ويقول تابط شرا فى معايشة الوحش:

يبيت بمغنى الوحش حتى ألفنــــه ويصبح لا يحمى لها الدهر مرتعا ..

وليس من شك ان الذى يعايش الوحش .. يتخيل الجن والشياطين ...

ويصور الاعشى تسخير الجن لخدمة الانسان المقتدر ، فيقول :

وسخر من جن الملائك سبعـــة قياما لديه يعملون بلا اجــــر

وزعموا أن الجن تجزى المحسن اليها اجزل الخير . ويروون فى ذلك ان عبيد ابن الابرص واصحابا له فى سفر ، مروا بجن فى صورة حية تتقلب فى الرمضاء .. وتلهث عطشا ، فهم بعضهم بقتلها ، لكن عبيدا منعه ونزل وسقاها ماء .. ومضوا فى طريقهم ، حتى ضلوا ضلالا بعيدا ، وغم عليهم الطريق .. وحينئذ سمعوا هاتفا يقول :

يا ايها الركب المضل مذهبــــه دونك هذا البكر منا فاركبــــه
حتى اذا الليل تولى مغـــــربه وسطع الفجر ولاح كوكبــــه
فخل عنه رحله وسيبـــــه ...

فركبه عبيد وسار به عشر ليال حتى بلغ غايته .. وأراد ان يعرف هويته ، فأنشده عبيد :

يا ايها البكر قد انجيت من غمــر ومن فيافي تضل الراكب الهــادى
هلا تخبرنا بالحق نعــــرفه من الذى جاد بالنعماء فى الوادى ؟

فقال البكر :

انا الشجاع الذى ابصرته رمضـــا فى صحصح نازح يسرى به صادى
فجدت بالماء لما ضن شــاربه رويت منه ولم تبخل بانجـــاد
الخير يبقى وان طال الزمــان به والشر اخبث مـــا اوعيت من زاد

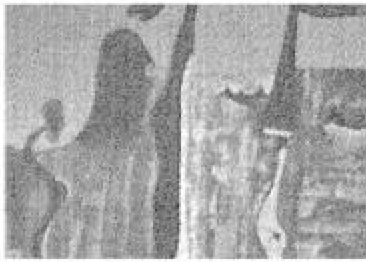
والشنفرى من الشعراء الصعاليك يقول فى لاميتـــه ، على اختلاف فى نسبتها اليه ، ان الهجمة المروعة التى شنها فى ليلة باردة هوجاء مظلمـــة لا يستطيع سوى الجن القيام بها ، ثم يقول :

فان يك من جن لابرح (١) طارقـــا وان يك انسا ما كها الانس تفعل ! .

ولبيد بن ربيعة يتحدث عن جن وادى بدى ، ويشبه بهم رجالا غلاظا رقابهم كالاسود يتهدد بعضهم بعضا ، ويمعنون فى الخصام ، فيقول :

---

١ ــ أبرح : بالغ فى سوء صنيعه .



غلب (١) تشذر (٢) بالذحول (٣) كأنها
جن البدي رواسيا أقدامهـــــا .

كما يحدثنا عن أرض عبقر الكثيرة الجن في زعمهم :

ومن فاد (٤) من أخـــوانهم وبنيهم   كهول وشبان كجنة عبقــــــر

وكان تسخير الجن لسليمان عليـــه السلام ، تبني له تدمر بالحجارة والحديد .. معروفا في الجاهلية . وقد تحدث عنه النابغة الذبياني فقال مادحا النعمان ابن المنذر ومعتذرا له :

ولا أرى فاعلا في الناس يشـــبهه   ولا أحاشي من الأقوام من أحـــد
الا سليمان اذ قال الاله لـــــه   قم في البرية فاحددها عن الفنـــد
وخيس(٥) الجن اني قد أذنت لهم   يبنون تدمر بالصفاح والعمـــد

والأعشى الأكبر يحدثنا عن البلدة التي تشبه ظهر الترس في وحشـــتها أو صلابتها وتحذر المرور بها ، والتي يغشى الجن ليلا في أطرافها أزجاله :

وبلدة مثل ظهر الترس موحشـــة   للجن بالليل في حافاتها زجـــل

وكذلك يتحدث عن الفلاة ذات الجن والماء المتغير التي لا يستطيع أحـــد سلوكها :

ويهماء تعزف جنانهـــــــا   مناهلها آجنات ســـــــدم

● مع أمية بن أبي الصلت ●

ومثلما تواتر ذكر الآخرة بنعيمهـــا وعذابها في شعر أمية بن أبي الصلت ، فقد تواتر في أخبــــاره ذكر الجن والشياطين ..

ومن ذلك ما رواه ابن منظـــور في مختار الأغاني ، اذ قال ان ركبا من ثقيف خرج الى الشام ، وفيهم أمية بن أبي الصلت . ونزلوا منزلا ليتعشوا فيه فأقبلت عليهم جارية جنية ، فحصـــبها بعضهم في وجهها فرجعت عنهم . وبعد العشاء قاموا يرحلون ، فأقبلت عليهم عجوز من وراء كثيب تتوكأ على عصا .. فقالت لهم : ما منعكم أن تطعمـــوا رجيمة ، الجارية اليتيمة ، التي جاءتكم عشية ؟ فقالوا : ما أنت ؟ فقالت : أنا أم العوام ، ترملت منذ أعوام ... أما ورب العباد لتتفرقن في البلاد ! وضربت بعصــــاها الأرض . ثم قالت : أطيلي أناتهم ، ونفري ركابهم ، فنفرت الابل كأن على ذروة كل بعير شيطان . وتفرقت في الوادي ، ولم يســـتطيعوا جمعها الا بعد جهد شديد ويوم كامل .

وبعد أن جمعوها أناخوها ، فطلعت عليهم العجوز وعملت سابق فعلهـــا ، وتفرقت الابل ، وجمعوها بعد يوم كامل وجهد أشد .. وحينئذ ظهرت العجـــوز .. وكررت فعلها مرة ثالثة ، فنفرت الابل في هياج أشد ... فقالوا لأمية

---

١ ــ الأغلب : الغليظ الرقبة .   ٢ ــ تتهدد .
٣ ــ الذحل : الحقد .   ٤ ــ مات ..
٥ ــ ذلل .

ابن أبى الصلت : أين ما كنت تخبرنا به عن نفسك وكراماتك ؟ فقال : اذهبوا أنتم فى طلب الابل ودعونى · وتوجه أمية الى الكثيب التى كانت العجوز تأتى منه ، وهبط الى واد به كنيسة حيث لقيه قسيس أبيض الوجه واللحية وابتدره قائلا : انك لمتبوع ، فمن أين يأتيك صاحبك ؟ فقال أمية : من أذنى اليسرى · قال : فباى الثياب يأمرك أن تلبس ؟ قال : بالسواد ·· فقال القسيس : هذا تابع الجن وليس تابع النبوة · فصاحب النبوة يأتى النبى من أذنه اليمنى ويأمره بلبس البياض ··

وحكى عليه أمية حديث العجوز ، فقال القسيس : هذه امرأة يهودية من الجن ، هلك زوجها منذ أعوام ، ولن تزال تصنع ذلك بكم حتى تهلككم · أن استطاعت فقال أمية وما الحيلة ؟ فقال القسيس : اجمعوا ابلكم ، فاذا جاءت وفعلت فعلتها ·· فليضربوها قائلين : باسمك اللهم ، فلن تضركم ···

فرجع أمية الى صحبه وقد جمعوا ابلهم ، وجاءت العجوز وفعلت فعلتها ، وقالوا حسبما قال القسيس ، فلم تنفر الابل ··· وحينئذ قالت الجنية اليهودية : عرفت صاحبكم ·· ليبيضن أعلاه ، وليسودن أسفله ، فأصبح أمية وقد أصابه البرص فى عذاريه واسود أسفله وذهب أمية وصحبه الى مكة وعلموا أهلها أن يكتبوا لأول مرة فى مطلع كتبهم : باسمك اللهم ··

وفى رواية عن أبى بكر الهزلى أنه قال لعكرمة : ما رأيت ما بلغنا عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال عن أمية : « آمن شعره وكفر قلبه » · فقال عكرمة : هو حق ، وما الذى أنكرتم ، فقال أبو بكر أنكرنا قوله :

والشمس تطلع كل آخر ليلة حمراء تطلع لونها متورده
تأبى وما تبدو لنا فى رسلها الا معذبة والا تجلد

فما شأن الشمس تجلد ؟ ! فقال عكرمة : والذى نفسى بيده ، ما طلعت قط حتى يحثها سبعون ألف ملك يقولون لها : اطلعى ، فتقول : كيف أطلع على قوم يعبدوننى من دون الله تعالى ، فيأتيها شيطان حين تستقبل الضياء يريد أن يصدها عن الطلوع ، فتطلع على قرنيه ، فيحرقه الله بحرها ·· وما غربت قط ، الا خرت لله ساجدة ، فيأتيها شيطان يريد أن يصدها عن السجود فتغرب على قرنيه فتحرقه · وهكذا يخصب الخيال العربى القديم فى أقاصيص الجن والشياطين ، وتسير مثل هذه التصورات فى الآداب الغربية والشرقية من بعد ذلك قرونا طوالا ·

● شياطين الشعراء ●

وحديث الشياطين ، الذين يوحون الى الشعراء ، أو ينظمون لهم القصيد ، حديث متصل فى الأدب العربى منذ القدم ·· ولعلهم ، كما استظهر بعض الباحثين ·· قد أخذوا ذلك عن الكهانة التى سبقت الشعر فى الجاهلية · فقد زعموا أن لكل كاهن ، من كهنة العرب القدامى ، رئيا أو تابعا من الجن ، يلقى اليه

بالقول والرأى ، ويجنبه سبيل الخطأ والشطط ، ويكفل له القيادة فى عشيرته وقبيلته ...

بل ان هذا التصور ليس مقصورا على العرب ، فقد شاركهم فيه شعراء اليونان والرومان القدماء ، اذ كانوا يستلهمون فى مطالع قصائدهم آلهة الشعر وربات الاغانى ، ويرجعون الاشعار الى قوى غيبية خارقة، فاقت مقدراتها وأحاسيسها مقدرات الانسان وأحاسيسه ..

ولعل مصدر ذلك أن الشـــعراء يتصورون ما لا يتصـــور غيرهم ، ويدركون ما لا يدرك سواهم ، ويبدو عامة الناس بجوارهم وكأن لهم عيونا ولكن لا تبصر ، وآذانا ولكن لا تسمع ، وقلوبا ولكن لا تعى .. ومن هنا كان ارجاع الشعر الى ما وراء الطبيعـــة والقول بانه من وحى الآلهة او الجن او الشياطين ...

والاعشى الاكبر يضيق ذرعا بخصومه الذين يكيدون له بما يضعفه ويوهن قواه جهلا منهم وبغيا . ويذكر منهم خصمه شراحيل بن طوده الذى يحسده نهارا ، ويطيل ليل الشاعر ويؤرقه .. ويقـــول الاعشى عن نفسه انه ليس تلميذا ولا مبتدئا ، وانما شيطانه « مســـحل » يصلح له الشـــعر فينطق به الاعشى سليما محكما ، وأنه هو وشيطانه هـــذا صاحبان مخلصان ، صحبتهما عيئة لينة ، عراة من أسباب العنف والخطل، فهذا الشيطان ييسر له بحكمته وفصاحته سبيل التفوق فى البيان :

نهـــار شراحيـــل بن طـــوديريبنى
وليلا ابى ليلى امر واعلـــــــــق
وما كانت شاجرداً (١) ، ولكن حسبتنى
اذا (مسحل) سدى (٢) لى القول انطق
شريكان فيما بيننا من هـــــوادة
صفيان ، جنى وانس موفـــــــــق
يقول ، فلا اعيى لشىء اقـــــوله
كفانى ، لا عى ولا هو اخـــــرق
جماع الهوى فى الرشد ادنى الى التقى
وترك الهوى فى الغى ادنى واوفـــق

واذا كان شـــيطان الاعشى الاكبـــر هو مسحل بن اثاثة ، كما يروون ، وكما قال الشاعر ذاته فقـــد ذكر مؤرخو الادب العربى شـــياطين للكثير من الشـــعراء ابتداء من علمهم المبرز : امرىء القيس بن حجر الكندى ...

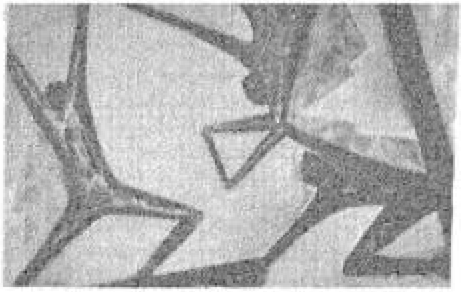
فقالوا ان لافظ بن لاحظ هو شيطان امرىء القيس ، وهبيد شيطان عبيد بن الابرص وبشير بن حازم ، وهاذر بن ماهر شيطان زياد الذبيانى ، وجهنام شيطان عمرو بن قطن ، وعمرو شيطان المخبل السعدى .. كما زعمـــوا ان شـــيطان حسان بن ثابت من بنى الشيصبان ، وأن شيطان الكميت هـــو مدرك بن واغم ، واضافوا ان الصلادم وواغم من اشعر الجن .

وقد انتهى الامر بظهور التنـــدر فى الحديث عن شياطين الشعراء .. ومن ذلك ما رواه صاحب من الجمهرة من أن رجلا جاء الى الفـــرزدق يروى له شعرا نظمه مبتدئا بقوله :

وفيهم عمر المحمود نائلـــــــه   كانما رأسه طين الخـــواتيم !

---

١ ـ أصلها فارسى ، ومعناها تلميذ أو متعلم .
٢ ـ أصلح .



الجن والشياطين

فضحك الفرزدق لتفاهة القول المزعوم شعرا ، وقال : يا ابن أخي ، ان للشعر شيطانين ، يدعى احدهما (الهوبر) والاخر (الهوجل) · فمن انفرد به الهوبر جاد شعره وصح كلامه ، ومن انفرد به (الهوجل) فسد شعره ، وانهما قد اجتمعا لك في هذا البيت ، فكان معك الهوبر في أوله فأجدت ، وخالطك الهوجل في آخره فأفسدت ··

ويروى مؤرخو الادب أن الشعراء المحدثين أهملوا بعد بشار الحديث عن شياطين الشعراء ، سوى ما يرد على سبيل الفكاهة والنادرة ···

● من ادب الجن واشعارهم ●

وقد نسب الرواة الى الجن نثرا وشعرا ، كما الفت الكتب في أحوالهم وصلاتهم ببني الانسان ·· وسارت أقاصيص مغامرات الجن وغرامهم ··· وابن النديم في الفهرست يروى ست عشرة قصة منها ·· ومثله داود الانطاكي في كتابه تزيين الاسواق · ومثلهما كتاب (الف ليلة وليلة) من بعد ·· وكذلك عرض الدميرى والجاحظ في كتاب كل منهما : « الحيوان » لبعض شئون الجن وأقواله وأشعاره ·· وكتاب « آكام المرجان في أحكام الجان » ، من أوفى الكتب في هذا الباب ·· فالقاضي بدر الدين الشبلي ، من رواة القرن الثامن الهجرى ، قد جمع فيه كل شئون الجان ، مستهدفا التحذير من شرور الشياطين ، وتبصير الانسان بمكائدها ، ووقايته من أخطارها ··

والشبلي يتحدث عن الخلاف في اثبات الجن ، وبدء خلقه وأصله ، وأصنافه ، وصوره ، ومراحل تطوره ، ومساكنه ، وحياته ومعاشه وطعامه وشرابه ، وعقابهم وثوابهم ، وصلاتهم ببني الانسان من المصاحبة والمناكحة ، وتعرضهم للنساء والصبيان ، وطرق الوقاية من اذاهم ، وعلاج صرعاهم ، ومشاركتهم للمسلمين في الحروب والغزوات الأولى ، ونوحهم على أعلام الاسلام في فجره وضحاه ، وغير ذلك من جميع ما يتصل بالجن من شئون وتصورات ···

لكن أروع حديث الجن ، غير منازع ، هو حديث المعرى في رسالة الغفران ·· فأبو العلاء بعد أن يطوف بابن القارح في أرجاء جنة الانس يطوف به في جنة الجن ··

ويتحدث أبو العلاء على لسان ابن القارح ، فيقول انها مدائن ليست كمدائن الجنة الانسانية ، وليس عليها النور الشعشعاني ، وانما هي ذات غابات وادغال وسراديب ·· وفيها يلقى ابن القارح شيخا جالسا على باب مغارة ، فيسلم عليه ، فيجيبه بأحسن تحية ، مستفسرا عن سبب مجيئه وهو الانسى الى دار بني الجن ···

فيقول ابن القارح ، شأنه مع سائر من لقيهم من الشعراء والرواة فى جنة الانسان : سمعت أنكم جن مؤمنون ، فجئت ألتمس ما لعله لديكم من أشعار المردة وأخبارهم ·· فيرحب شيخ الجن بكل ما يعن لابن القارح من سؤال ···

ويسأل ابن القارح عن اسمه ، فيقول شيخ الجن : أنا (الخيثغور) من بنى الشيصبان ، ولسنا من ولد ابليس ، ولكننا من الجن الذين سكنوا الارض قبل بنى الانسان ···

ويشكك المعرى فيما ينسب الى الجن من شعر ، بل يصفه بالهذيان، حين يسأل ابن القارح الخيثغور عما جمعـــه المرزبانى من شعر الجن، فيقول الشيخ : « انما ذلك هذيان لا معتمد عليه · وهل يعرف البشر من النظم الا كما تعرف البقر من علم الهيئة ومساحة الارض ؟! »

ويمضى المعرى معرضا بقصور أوزان الشعر وضيق ميدانها ، ومشيرا الى علمه اللغوى الغزير الذى مكنه من أن يلزم فى الشعر ما لا يلزم ، وطرح له ألفاظ العربية ومعانيها تطويعا · فيقول على لسان الجنى : أن للبشر خمسة عشر وزنا لا يعدونها فى القريض ، توحى اليهم فيها الاطفال الصغار من الجن ، بينما للجن ألوف الاوزان الذين ينظمون فيها القصيد من قبل أن يخلق الله آدم بوقت طويل ·· ويسخر من معلقة امرىء القيس : « قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل » التى يتدارسـها بنو الانسان ، ويحفظونها للصغار فى الكتاتب ··· ويقول ان شاعرا واحدا من الجن هلك وهو كافر ، ويسكن الجحيم ، قد قال ألف بيت على مثـل « منزل وحومل » بالكسر ، وألفا على مثلهما بالضم ، وألفا بالفتح ، وألفـا مضيفا الى المكسور هاء ساكنة (منزلهْ) ·· وألفا مضيفا اياها الى المضموم (منزلُه) ، وألفا مضيفها الى المفتوح (منزلَه) ···

ويسأله ابن القارح عن كنيته حتى يكرمه بالنداء بها ، فيقول الجنى « أبو هدرش · أولدت من الاولاد ما شاء الله فهم قبائل ، بعضهم فى النار الموقدة وبعضهم فى الجنان » ·

ويحكى أبو هدرش كيف ولد قبل آدم ·· وكيف ارتكب مختلف الآثام مع بنى الانسان فى مختلف الاقطار ، وكيف أغوى وأضل وصرع ، حتى تاب الى الله فغفر له ، وأثابه الجنة ينعم فيها خير نعيم ·

ويروى المعرى على لسان أبى هدرش طرفا من قصة حياته نظما منه :

حمدت من حط أوزارى ومزقهـــا
عنى فأصبح ذنبى الآن مغفـــورا
وكنت ألف من الترك الرطبـــة
خودا ، وبالصين أخرى بنت يغبورا (١)
أزور تلك وهذى غير مكتـــرث
فى ليلة قبل أن أستوضح النـــورا
ولا أمـــــر بوحشى ولا بشر
الا وغادرته ولهان مذعــــورا
أروع الزنج الماما بنسوتهـــا
والروم والترك والسقلاب والغورا (٢)

---

١ ــ يغبور ، لقب ملك الصين ·
٢ ــ بلد بساحل بحر الهند ، أو ببلاد فارس ·

واحضر الشرب الخمـــــروهم بايدة
يزجون عودا ومزمارا وطنبـــورا
فلا افارقهم حتى يكـــون لهم
فعل يظـــل به ابليس مسرورا
واصرف العدل ختلا عن امانتـــه
حتى يخون ، وحتى يشهد الـــزورا

وبعد الانتهاء من القصيدة المحكمة ، يسأله المعرى بلسان ابن القارح عن السنتهم ولغاتهم ، وهل فيهم من يتكلمون لغة دون أخرى . فيجيبه أبو هدرش بأن الجن يعرفون جميع لغات الانس ، ولهم بعد ذلك لغة خاصة بهم لا يعرفهـــا سواهم ... ثم يروى كيف سمع القرآن من النبى ونقل رسالته الى الجن ، فآمن بها كثير منهم ، ودخلوا الجنة معـــه يرزقون فيها بغير حساب .

ويسأله ابن القارح عن رجم النجوم للجن ، وهل كان فى الجاهليـــة أو استحدث بعد الاســـلام ؟ فيجيبه أبو هدرش بأنه كان فى الجاهلية ، ولكنه كثر وعم بعد رسالة محمد عليه الصلاة والسلام .. ويستدل على ذلك بشعر للافوه الاودى ، وأوس بن حجر .

وهنا يدل المعرى على امتيازه الذى لا يجارى فى النظم ، ويثبت على لسان ابى هدرش قصيدة بالغة الروعة ، يشيع فيها جو الجن بيأسه وقسوته ، ويستخدم الغريب ، ويصف كيف طرد الجن من مكة بعد مبعث الرسول ...
ومطلعها :

مكة اقـــوت من بنى الدردبيس (١)
فما لجنى بهـــــا من حسيس
وكسرت اصنامها عنـــوة
فكل جبت بتصـــيل رديس (٢)
وقام فى الصفوة من هاشـــم
ازهر لا يغفـــل حـــق الجليس
يسمع ما انزل من ربه الـــــ
قدوس وحيـــا مثل قرع الطسيس (٣)
يجلد فى الخمر ويشتد فى الـــ
امر ، ولا يطلـــق شرب الكسيس (٤)
ويرجم الزانى اذا العـــــرس لا
يقبـــل فيـــه سؤلة من رئيس

---

١ ـ بنو الدردبيس ، قبيلة من الجن
٢ ـ الجبت : الصـــنم . التصيل : الفأس . رديس : مرمى ..
٣ ـ الطسيس : آنية من نحاس .
٤ ـ نوع من النبيذ ..

ويقص كيف يصرع العرائس ، وينال بالشر الخرائد الحسان ، فيفترسهن افتراسا ، ولا تفيد فيهن الرقى ولا التعاويذ . ثم يقول :

وابلج الظلماء في فتية ملجن   فوق الماحل العرسيس (١)
في طاسم تعزف جنانه   القفر الا من عفاريت ليس (٢)
بيض ، بهاليل ، ثقال ، بعا   ليل ، كرام ينطقون الهسيس (٣)
تحملنا في الجنح خيل لها   اجنحة ، ليست كخيل الانيس
وابنق تسبق ابصاركم   مخلوقة بين نعام وعيس
لا نسك في ايامنا عندنا   بل تكس الجن فما ان تكيس (٤)
فالاحد الاعظم ، والسبت كا   لاثنين والجمعة مثل الخميس
لا مجس نحن ولا هود   ولا نصارى يبتغون الكنيس
نمزق التوراة من هونها   ونحطم الصلبان حطم اليبيس
نحارب الله جنودا لا   بليس اخي الراي الغبين التجيس

ويمضي المعري في هذا الشعر يصور غوايات الشيطان للشباب والشيوخ ، وللنساء والرجال ابتداء من قابيل وهابيل وشيث الى ان جاء رسول الاسلام .. فهداه الله مع الكثير من الجن الى الايمان ، وغزا مع المسلمين غزواته المظفرة ، ونال حسن المثوبة في الدنيا وفي الاخرة ...

ثمت امنت ومن يرزق الـ   ايمان يظفر بالخطير النفيس
جاهدت في بدر وحاميت في احـ   ـد وفي الخندق رعت الرئيس (٥)
وقلت للجن : الا يا اسجدوا   لله وانقادوا انقياد الخسيس
فان دنياكم لها مسدة   غادرة بالسمح او بالشكيس
بلقيس اودت ومضى ملكها   عنها فما في الاذن من هليسيس (٦)
وامرة الكفر حاروا عن الـ   حيرة كلا في تراب وميس
انا لمسنا بعدكم فاعلموا   (٧) برقع فاهتاجت بشر بئيس
ترمي الشياطين بنيرانها   حتى ترى مثل الرماد الدريس

وبعد أن يثبت المعري في رسالة الغفران هذه القصيدة ، التي اتممها بالغريب ودل بها على تمكنه من ناصية اللغة ، وصور فيها حال الشيطان بين الضلال والهدى ، وبلغت ستة وستين بيتا ـ بعد ذلك يجعل ابن القارح يودع ابا هدرش وينتقل الى جنة الوحوش حيث الصالحون من الاسود والذئاب ينعمون في جنتهم وعلى طريقتهم بما ينعم به الجن والانسان على طريقتيهما ...

وهكذا الفت الجن والشياطين ، فضلا عن الحيوانات الكاسرة ، مادة ادبية افادت الادب العربي دهرا من الزمان .. ودارت حولها الاقاصيص والاساطير والاخبار ، وكانت مثار تفكه المتفكهين وتندر المتندرين .. وانتقلت من بعد ذلك الى الاداب الغربية ، فيما انتقل اليها من لغة العرب ، وادابهم ، فضربوا على اوتارها من بعدهم ...

ولعل شكسبير اعظم ادباء الغرب اوضح برهان على ذلك .. فرواياته التاريخية والعاطفية ، في نهاية القرن السادس عشر واوائل السابع عشر ، تزخر باحاديث القوى الغيبية والسحرة والمردة ، وتجمع مع ذلك ، كما كان الادب العربي من قبلها بقرون طوال ، اروع آيات الفن والحكمة .

---

١ ـ أرض غليظة قاحلة .   ٢ ـ شجعان ..
٣ ـ بهاليل : سحب بيضاء . الهسيس : الكلام الخفي .
٤ ـ تكيس : تفطن .   ٥ ـ قائد المشركين .
٦ ـ ادنى صوت .   ٧ ـ السماء .

اليهود والشيطان

د. حسن ظاظا

للشيطان – نعوذ بالله منه – تاريخ طويل مع اليهود . وهو تاريخ طريف كل الطرافة فى جملته وتفاصيله . وتبدأ هذه الطرائف باسمه هذا الذى نعرفه به : « شيطان » ، والذى ينطق فى اللغة العبرية « ساطان » وتوجد الكلمة بنفس هذا النطق او بنطق محرف قريب منه فى الحبشية القديمة ، والآرامية ، والسريانية ، وكلها لغات سامية من فصيلة العربية والعبرية .

ولو اننا توغلنا فى الزمان الى ما وراء ذلك ، الى العالم العلوى والسفلى فى الاساطير البابلية ، وفى السطورات السحرية المكتوبة بالقلم المسمارى عند الاشوريين ، لوجدنا من الهتهم الرهيبة الها اسمه « نرجال » . وقبل البابليين والاشوريين كان هذا الاله « نرجال » يحكم فيما يسمى عندهم « كيجال » وهذه الكلمة تعنى عندهم « العالم الذى لا رجعة منه » او « عالم العذاب الابدى » وباختصار هو « جهنم » او « الجحيم » عند تلك البشرية الموغلة فى القدم .

وقد وصف هذا الاله « نرجال » باللغة الاشورية بانه « مشتطن » اى انه بلغتنا « المتشيطن » .

ولم يكن الاله « نرجال » هذا مجهولا من اليهود، فقد ورد فى كتابهم المقدس (سفر الملوك الثانى ١٧ : ٣٠) فى اثناء سرد اوثان الامم الاخرى قوله : « وأهل كوت صنعوا نرجال » كما كان اسمه معروفا لدى الفينيقيين كما يثبت ذلك نقش عثر عليه فى حفائر بالقرب من ميناء « بيريه » ببلاد اليونان ، بل ان مصر الفرعونية احاطت به خبرا ، وورد اسمه

مسطورا في لوحـــة من لوحات تل العمارنة .

والمواضع التي ورد فيها ذكر هذا الاله ، ســواء اكانت عند الكوثيين المذكورين في آية سفر الملوك التي اشرنا اليها ، وموضعهم يسمى الان في العــراق « تل ابراهيم » ام في كيش التي تسمى اليوم « الأحيمر » ، ام في ماري التي تقع مكان « تل الحريري » اليوم ، أم في تربيص ، « شريف خان » أو غيرها من مدائن العراق العتيقة ـ تؤكد لنا سعة انتشــاره من اقصى البلاد الى آخر اطرافها ، كمـا يتبين منها امر عجيب ، وهو أن « نرجال » كان يعامل من المؤمنين به على انه اله شمسي من الهة الســماء حينــا ، وأحيانا على انه اله سفلي من الهــة العدم والظلام وعالم الضياع ، « ابسو » بالبابلية .

ونظرا لان ذلك كــله قد ورد في نقوش مسمارية لا يجمعها موضــوع واحد ، بل ولا عصر واحد ، فاننــا نتساءل : اكان ذلك « التشــيطن » السحيق صورة من الشيطان الذي بدأ حياته بين الملائكة ، ثم ابى واستكبر فطرد من العالم العلوى الى العــالم السفلي ، وحق عليه أن يحرم من نعم السماء ، وأن تطوح به الارادة العظمى من عالم النور الى عالم النار .

لا نستعجل الامور ، بل نحاول ان نتعقب الشيطان في عقل اليهود لنرى كيف دارت به الامور .

وفي اللغة العبرية فعل له صــلة قرابة باسم الشيطان عندهم ، هــو الفعل « سطن » ويستعملونه لمعــان اساسها فكرة الحقد والكراهية والعناد والعداوة والبغضاء ، كما يستعمل بمعنى الصاق التهمة بانسان أو اتهامه بالاجرام ، وقد وردت امثلة من ذلك في مزامير داود ٣٨ : ٢١ وكــذلك ٧١ : ١٣ ، كما جاء بمعنى الاتهام في سفر النبي زكريا ٣ : ١ .

ونلاحظ ان الشيطان لم يرد باسمه هذا ـ ولا باسم آخر ـ في توراة موسى التي بين ايدي اليهود . حتى قصــة المعصية الاولى ـ معصية آدم وحواء ـ وخروجهما من الجنة ، فانها تكتفي في تلك التوراة بالقاء دور « الوسواس الخناس » على الحية . جاء ذلك في الاصحاح الثالث من سفر التــكوين قوله : « وكانت الحية اخبث حيوانات البرية التي خلقها الرب الاله جميعا . فقالت للمرأة : أحقا قال الله أنكما لاتأكلان من كل شجر الجنة ؟ فقالت المرأة للحية : من ثمر اشجار الجنة نأكل واما ثمر الشجرة التي في وسط الجنة فقد قال الله : لا تأكلا منه، ولا تمساه لئلا تموتا. فقالت الحية للمرأة : لن تموتا . بل ان الله يعلم انه يوم تأكلكما منه ستنفتح عيونكما ، وتكونان مثل الله تعرفان الخير والشر . فرأت المرأة ان الشجرة جيدة للاكل وانها بهجة للابصار ، وانها ممتعة للنظر، فأخذت من ثمرها واكلت واعطت رجلها ايضا، فأكل معها . فانفتحت عيونهما، وعلما انهما عريانان ، فخاطا أوراق التين وصنعا لانفسهما مآزر، وتستمر القصة الى ان يقول الرب للحية : « لانك فعلت هــذا فأنت ملعــونة من كافة الحيوان ، ومن جميع وحوش البرية، على بطنك تسعين ، وترابا تأكلين كل ايام حياتك » .

ويبدو أن الحيـــة هنا ـ حسب استعمال بلاغي فقد اليهود الاحساس به بعد موسى ـ لم تكن الا رمــزا للشيطان ، كما يقول مفسر التــوراة اليهودي الاســكندراني « فيلون » ، المعاصر للمسيح عليه السلام . فانه يسأل في تفسيره : لماذا كانت الحيــة قد انطوت على هذا الخبث ، ممــا يتنافى مع البراءة السائدة في جميــع نفوس الكائنات الحية في هذا الفردوس ؟ ولايجد جوابا عن ذلك الا بان الشيطان الذي كان قد تمرد على الله عند خلقه

آدم ، وأمره الملائكة بالسجود له ، قد تسلل حتى وصل الى الحية ، وتآمر معها على أن يتلبس فيها ـ لانه لو ظهر على حقيقته لعرفه ادم وحواء واحترسا من كيده ـ ورضخت الحية لاغواء الشيطان ، فاخفته في جلدها ، حتى تمت المأساة الاولى في تاريخ الخليقة .

وينتقل فيلون الى تلمس مزيد من الادلة فيذكر أن الحية استحقت لعنة الله في اية التوراة لانها تحالفت مع الشيطان ، ولانها اسكنته في جلدها . فأصبح جلدها يضيق عنها باستمرار فتخلعه وتخرج منه ، وقد ترك فيها الشيطان السم ، ولانه علمها طرفا من كيده ودهائه ، فان سمها ينطوي على أسرار طبية كثيرة ، ويدخل في ادوية تنقلب بها مضرته الى فائدة .

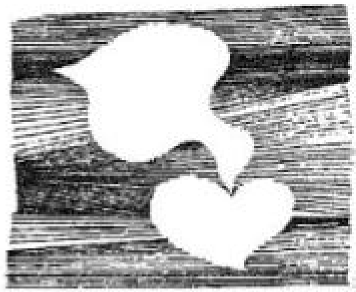
ولكن ، بين موسى وفيلون خمسة عشر قرنا جرت فيها على اليهود ، وعلى أمم العالم احداث واحداث ، فليس من الممكن أن نقول ان هذا الاعتقاد المحدد حول الشيطان واتصاله بالوسوسة في صدور الناس ، ومسئوليته عن المعصية الاولى كما يبدو في فلسفة يهودي الاسكندرية ، كان هو على مدى الاجيال الطويلة من اليهود التي مضت من قبله .

فمثلا كانت المجوسية الفارسية القديمة قد قسمت ولاءها بين اله النور « اهورامزدا » أو « هرمز » وبين اله الظلام « اهريمان » . الاول للخير والخصب والبركة والسلام والغبطة والسعادة ، والثاني للشر والجدب والفقر والحرب والكآبة والشقاء . وكان رأي المجوس أن الزمن نفسه مقسم بين هاتين المملكتين : هرمز يحكم بالنهار ، واهريمان يحكم بالليل . وهذه هي الثنوية المجوسية عند زرادشت وماني ، من انبياء الوثنية الايرانية القديمة . والى ذلك اشار المتنبي وهو يمدح ، ويذكر أن الليل بظلامه لا يمنع ممدوحه من النصر ولا من الكرم ولا من المجد ، فيقول :

وكم لظلام الليل عندك من يد
تخبر ان المانوية تكذب

وهكذا نجد الشيطان الذي كانت العرب تعرفه ، وتعرف أنه من خلق الله الذين عصوه وتمردوا عليه ، يختلف برغم كل شيء ، عن هذين الرأسين المتساويين « هرمز » و « اهريمان » عند المجوس . **ولكن كيف كان الامر عند اليهود ، وهم الذين جمعوا عقائد الامم التي من حولهم فسطروا ، واودعوها تراثهم المقدس ؟**

والظاهر أن العرب ـ في تاريخهم البعيد جدا ، الغارق في لجج الاساطير الوثنية ـ كانوا حلقة اتصال بين هذه الوثنية الايرانية البعيدة الجذور في تاريخ البشر ، وبين المقررات الغيبية التي دخلت التراث الديني للعبريين . ففي كتابهم المقدس ترد قصة النبي أيوب . والنبي ايوب ليس من بني اسرائيل بأدلة كثيرة ترقى فوق الشك . بل ان نفس هذه الادلة تثبت ـ كما يؤكد الاديب الفرنسي الكبير فولتير في « المعجم الفلسفي » ان هذا النبي كان عربيا ، وأن ما حفظته ذاكرة الانسانية من بلائه وصبره على هذا البلاء ، ينطبق بملحمة الصراع الرهيب بين الخير والشر .



واسم هذا النبي نفسه ، « أيوب » ، لا يرتد الى أصول عبرية من حيث اشتقاقه ، بل هو من المادة العربية « أب » التي معناها رجع وتاب وعاد سالما غانما . وملحمته في أسفار اليهود لا تنسبه الى أي سبط من أسباط العبريين ، ولا تذكر اسم أبيه ، وتكتفي ببيانه « من أرض عوص » ، وهي أرض عربية تحمل اسم « عوص بن ارم » الذي أكثر مؤلفو كتب الانساب العرب من ذكره . ويذكرون أنه ـ أي النبي أيوب ـ كان كاملا ومستقيما ، يتقي الله ويحيد عن الشر . ونشعر من أول القصة أن مثل هذا الرجل كان مصدر غيظ شديد للشيطان .

في هذا السياق من سفر أيوب العبري ، الذي يجمع الباحثون على انه منقول من ملحمة عربية شائعة من الأدب العربي في طفولة الزمان كما قلنا ، يظهر الشيطان باسمه ورسمه وصفاته أوضح ما يكون ، مختلفا في ذلك عن المواضع الأخرى التي ورد فيها في التراث اليهودي .

قال الراوي : ان الملائكة ـ والنص العبري يعبر عنهم حرفيا بعبارة « ابناء الله » ـ جاءت للمثول أمام الرب وجاء الشيطان مندسا في وسطهم أيضا . ثم ينعقد في القصة حوار بين الله والشيطان ، فيباهي الله عدوه بعبده أيوب وبتقواه واستقامته وكماله . فيشيط الشيطان من الغيظ ويقول لله ان أيوب كسائر البشر لا يسلك طريق الخير الا لانه في نعمة وبركة ، آمن في سربه ، صحيح في بدنه ، مطمئن على اله وماله . وهنا ينعقد رهان بين الله والشيطان : من منهما يكسب أيوب في حزبه في النهاية . وتنزل بأيوب المحن عليها تزعزع من ايمانه بربه ، وتدفعه الى الكفر بعدالة السماء .

ولكن الرجل يصبر . ولم يكن صبره في القصة اليهودية كصبره في الآيات الموجزة التي نوهت به في القرآن الكريم . فآثار الملحمة الشعرية الوثنية البدائية لا تزال قابضة بمخالبها الحادة على السياق العبري .. فزوجة أيوب تدعوه الى اعلان الكفر بهذا القدر الظالم ، لعل شيئا يصيبه من السماء فيقضي عليه ويموت ويستريح . ولكن الرجل ينهر امرأته ويقول لها انها تتكلم بحماقة ، وان الانسان يجب عليه اذا خضع لحكم الله ان يقبل منه الشر كما يقبل الخير . كان أيوب هنا يكفر بالشيطان ويزيد ايمانه بالله ، لانه يرفض الثنوية والازدواجية والشرك ويجعل الخير والشر جميعا آتيين من عند الله الواحد القهار ، « في كل هذا لم يخطىء أيوب بشفتيه » ـ كما تقول رواية العبريين .

ولكن الأمور تشتد وطأتها على الرجل الطيب عندما يأتي ثلاثة من أصدقائه ـ يبدو من أسمائهم انهم عرب أيضا ـ لمواساته وعيادته ، هم : اليفاز التيماني (من تيماء في شمال الحجاز) وبلدد الشوحي (من شوح في قلب الجزيرة العربية)

وصوفر النعماتي (من جبل النعامة في شمال الحجاز أيضا) . ولما رأى الاصدقاء الثلاثة صاحبهم وقد فقد ثروته وأولاده ، وضربه البلاء في بدنه ، حتى ظن قومه انه قد حلت عليه لعنة الله ، فأخرجوه من ديارهم خوفا من أن تعمهم اللعنة (وكان ذلك أسلوب الحجر الصحي في هذا الزمان) ، راحوا يبكون ويشقون ملابسهم ويذرون التراب على رءوسهم وهي تعبيرات تقليدية وطقوس في اظهار الحزن قديمة جدا .

وتحمل ايوب هذه المناحة التي ضاعفت من ثقل مصابه ، وعلى مدى اسبوع كامل لم يتململ الرجل ، ولم يفتح فاه بكلمة . ثم ضاق صدره في النهاية فتكلم ، ولعن اليوم الذي ولد فيه ، وتمنى اليوم الذي يموت فيه ، وتساءل لماذا كل هذا العذاب . وعلى طول السفر تنعقد مناقشة على ذروة المأساة ، بين ايوب واصدقائه . ولم تتخير الملحمة القديمة الاصدقاء الثلاثة بيد عشواء تدع الامور للصدفة ، بل كان الاختيار — والمناقشة معقودة حول أخطر ألغاز الحياة ، الخير والشر ، ومصير الانسان — قد جرى بدقة . فأليفاز التيماني يمثل اولئك المصلحين الاجتماعيين ، والدعاة الروحيين الذين يجمعون بين منطق العقل وايمان القلب . هو كاهن عربي شجاع وصريح وشديد الشكيمة في الحق ، وهو بعد ذلك خطيب مقنع ومناقش قدير على الجدل .

والصديق الثاني ، بلدد الشوحي ، رجل مؤرخ حنكته التجارب وعركته الايام . وهو بهذه الصفة يؤمن بالتقاليد ، وبحتمية لا يمكن تفسيرها. ولكن من المؤكد وقوعها ، « اسأل القرون الاولى ، واعتبر تجارب آبائهم . لاننا نحن ابناء الامس ، ولا نعلم ، لأن أيامنا على الارض ظل ... » .

واما صوفر النعماتي فانه رجل عملي ، يؤمن بالفعل ورد الفعل ، فيه طبيعة التاجر الذى لا يقدم على صفقة الا بعد أن يكون احتمال الربح فيها واضحا . وهو يرى أن التعامل مع الرب لا يختلف كثيرا عن التعامل مع البشر ، « ان أبعدت الاثم الذى على يدك ، ولم يسكن الجور في خبائك ، حينئذ ترفع وجهك بلا عيب ، وتكون ثابتا ، ولا تخاف، لانك تنسى المشقة ، تذكرها كمياه سالت ، وفي وضح الظهيرة ينهض حظك : الظلام يصير صباحا ، وتطمئن . لانه هناك أمل . تتحسس من حولك وترقد آمنا ... » .

وهذا الراوية القديم عبقرى دون شك ، فهو بعد أن اختار لجنة المناقشة بهذا التنوع القوى المتكامل المتماسك ، يضع أيوب فوق القررات الغيبية ، وفوق التقاليد والتجارب والتاريخ ، وفوق المنفعة وحساب الربح والخسارة ، اذ يقول لهم : حقا انكم من العوام ، ومعكم تموت الحكمة . الا أن لي فهما مثلكم . لست انا دونكم . وهكذا يستمر النقاش ، ولا يستطيع أحد من الاربعة أن يكشف سر القضاء والقدر، حتى يقول الراوى بعد واحد وثلاثين اصحاحا من هذه الملحمة الشامخة : « تمت أقوال أيوب . وكف هؤلاء الرجال الثلاثة عن مجاوبة أيوب » .

اليهود والشيطان

•

وكان لا بد أن تنتهي الرواية على نحو ما ، وهي بالفعل تنتهي بظهور رجل رابع ـ فجأة وبدون مقدمات ـ اسمه اليهو بن بركئيل البوزى (من بوز فى شمال الحجاز ايضا) . وهذا المناقش الجديد يختلف كل الاختلاف عن الاربعة الذين عرفناهم فهو نفسه يقول لهم : « انني صغير السن وانتم شيوخ .. لاجل ذلك ترددت وخشيت ان ابدى لكم رأيى . قلت : الايام تتكلم ، وكبر السن يظهر الحكمة . ومع ذلك فان فى الانسان روحا ، فيه نفحة من الله العزيز يعقل بها . فليس من طالت ايامهم هم وحدهم الحكماء ، ولا الشيوخ هم الذين يتبينون الحق . لذلك اقول : اسمعونى انا ايضا فأبدى رأيى ... » .

وكانت الحكمة هذه المرة على لسان الشباب ، فلم يقبلها الشيوخ الاربعة حتى دخل الرب نفسه فى المناقشة . « فرد الرب على ايوب من العاصفة وقال : من هذا الذى يظلم القضاء بكلام بلا معرفة ؟ .. » . وهكذا لا بد من هداية ربانية تنزل على ايوب ، لينتحر الشيطان فى هذا الرهان ، وليعود الرجل الطيب ايوب ، فيتمتع بأياب الى الخير والبركة والنعمة والعافية ، وبعودة كاملة الى الله ليس للشيطان اليها من سبيل .

واليهود اشد الناس جدلا فى دينهم . واشد الناس تعصبا لمتنصرهم ايضا . فليس عجيبا والحالة هذه ان تكون قصة ايوب عندهم مثارا للقيل والقال . فالرجل الطيب الذى يأخذ دور البطولة هنا ليس منهم ، وهذه عندهم مصيبة كبيرة . والرب فيما بدا لهم لايقدم ضمانات أو تعهدات كالتى تعودوها منه ، على السنة رواتهم حول ارض الميعاد واصطفاء الشعب المختار ونحو ذلك .

بل لعل الزيغ قد تسرب الى قلوب الكثيرين منهم أمام ظاهر احداث هذه القصة فراحوا يتساءلون : أين العدالة الالهية ؟ وما ذنب أيوب فى هذا الرهان ؟ ولا يسمعون لمن يقول لهم ان المؤمن مصاب ، ولا يسمعون لقول اليهو البوزى ان الشيخوخة والحكمة قد لاتتفقان . وهذه عندهم مصيبة اخرى . فهم أهل العهد القديم ، يعتقدون انهم يمثلون الشيخوخة بين الامم ، وان عهدهم القديم يمثل حكمة هذه الشيخوخة بين الشرائع .

كان سفر أيوب عندهم مصدر شك ، لا نبع ايمان . ولذلك لانعجب اذا رأينا قادة الفكر عندهم يستميتون فى محاولة محو هذا الانطباع من نفوسهم ، ويستعين اذكاهم وأقواهم حجة ، وهو الربى سعديا سعيد بن يوسف الفيومى حاخام اكبر اليهود فى الدولة العباسية ، بالفكر الاسلامى فى تأويل المشتبه على ابناء قومه فى تلك القصة الرائعة فيترجمها الى اللغة العربية بعنوان « كتاب التعديل » اى اثبات عدل الله فيما هم فيه مختلفون . وهو هنا يسطر تفسيرا على ترجمته ، وصلنا كاملا . وهو ايضا يسير فى الامر بحذر شديد منذ ما سطره فى العنوان وهذا نصه :

« هذه ترجمة كتاب التعديل ، المنسوب الى ايوب ، مما ترجمه راس الثيبة سيدنا ومولانا سعديا » وهو يضع مقدمة طويلة لعمله العلمى هذا، يشرح فيها قواعد الايمان ، ويدافع عن عدل الله الذى لا يشبه عدل البشر . ثم يتجنب فى ترجمته مصادر القلق والبلبلة ، ويلجأ فى

هذا الى التأويل الجزىء · فهو مثلا لا يتحدث عن الملائكة ، أو « أبناء الله » كما يسمون حرفيا في القصة ، بل هو لا يتحدث عن الشيطان ، ولا يذكر أسمه بل يكتفي كلما وجد كلمة « ساطان » العبرية بان يضع في مقابلها في العربية « معاند أيوب » ، وكأنه يريد أن يلغي فكرة الصراع الغيبي بين الخير والشر ، وفكرة الرهان الاسطوري بين الله والشيطان ، فيقول في نص ترجمته : « فلما كان يوم ، جاءوا فيه (أولياء الله) ـ بدل أبناء الله أو الملائكة ـ فانتصبوا بين يديه ، حضر معاند أيوب معهم » .

ثم يأخذ في تفسير الشيطان بأن معناه الاصلي العدو والمعاند والعاقد ·· ثم يذكر ما نشعر من خلاله بأنه يعتقد أن كل انسان يوجد شيطانه في داخل نفســــه ، فهو يقول في التفسير : « وقد تعلم أن للنفس ثلاث قوى ، وهي : قوى الفكر ، والغضب ، والشهوة · فأما قوة الفكر فبهــا يميز الانسان الصواب من الخطأ ، والحــق من الباطل · وأما قــوة الغضب فهي التي يلحق الحيوان بها الاقدام والجرأة والانتقام والحقــد واســـتيفاء الطوائل · وأما قوة الشهوة فبها يشــتاق الحيوان الى الغذاء والى التلقيح وسائر الدواعي · ونعلم من ذلك أن صفة عدل الناطق أن تكون القوتان ، أعني الغضب والشهوة مذعنة للفكرة ، فاذا غلب عليه أحــداهما كان ذلك جــورا وخطأ » ·

واذا كان اليهود يتحرجون هــذا التحرج من الايمان بالشيطان ، حتى مع وروده باسمه صريحا في كتابهم ، فانه يبدو لنا أن تحرجهم ذاك لم يطل به الامد ·

فالتلمود والمدراش وكتب الغيبيات المتأخرة التي تسمى عنـدهم القبالة تقبل على الشيطان بشــغف ونهم · جاء في المدراش قوله : « عندما يهم الانسان بارتكاب معصــية ، يأتي الشـيطان ويقفز ويرقص أمامه حتى يتم الارتكاب للمعصــية · وعندها يعود الشيطان ليضــخم في قلوبنا بشاعة ما ارتكبناه » (مدراش ربا ، مدراشتنحوما ، مدراشيلقوط) · ومعنى ذلك أنه اذا كان العصيان من الشيطان واذا كان لله سر في خلق كل مخلوق ، حتى الشيطان ، فان بعض هذا السر أنه يحرك نيران الندم بعد ارتكاب المعصية ، ويبعث الشعور بالعذاب ، لأن العذاب أيلام للانسان ، والشيطان للانسان عدو مبين ·

وجاء في التلمود : « ان الشيطان ، وشهوات النفوس السيئة ، وملك الموت ليست الا مترادفات معنــاها جميعــا واحد » ـ (التلمود : بابا بترا) · ويبدو أن الحبر اليهــودي الذي قال ذلك كان في غفلة من أمره ، اذ كل نفس ذائقة الموت ، وهذا أمر مسلم به عندهم ، حتى ان لم يكــن للشيطان عليه من سبيل ، كسـيدنا موسى وغيره ممن ماتوا من الانبيــاء دون أن يطيعوا الشيطان ·

وفي نفس هذا الموضــــوع من التلمود نشــــعر أنهم يعتقدون أن



الشيطان يقيم على هامش العالم العلوى وهو « ينزل فيضل البشر ، ثم يصعد فيتهمهم أمام الله ، ويأخذ الاذن بأن يستل أرواحهم من أجسامهم » · وهو اعتقاد عجيب الى حد كبير ، ولكن العقائد الدينية اليهودية المجمعة من كل مكان مليئة بالعجائب ·

فمن هذه العجائب مثلا ان الخمر – وهي ليست حراما في الشريعة اليهودية – قد اعتبرت في نصوص كثيرة من التلمود على انها « رجس من عمل الشيطان » كما وصفت في القرآن الكريم · يقول : « حيث يعجز الشيطان عن ايقاع الانسان في الضلالة ، فانه يرسل اليه رسولا من عنده يقدر على ذلك ، وهو الخمر » ·

وقد نجد في التلمود مظاهر من ارتباط الشيطان بخزعبلات السحر والايمان بالخرافات كقوله مثلا : « يجب تجنب الثور العائد من المرعى فانه في هذا الوقت يكون الشيطان ماثلا بين قرنيه ، وبخاصة اذا كان الثور أسود اللون ، وفي بداية الربيع » ·

ولكيلا نظلم التلمود نقول أن المقصود بهذه العبارة ربما كان امرا يختبىء وراء رمزية لغوية واضحة ، فيكون المراد بذلك ان الكائن الحى اذا شبع كان أميل الى الظلم والعدوان واتباع الشهوات ، ومنها الشهوة البهيمية التى تتحرك بأقوى طاقتها فى فصل الربيع · هذا ليس ببعيد وان كنا لا نريد ان نأخذ اية حرية فى التأويل فى دين بنى اسرائيل ·

وعلى اية حال فان الشيطان فى اعتقاد اليهود يبدو بوضوح انه خصم لله وللناس ، وانه من تلك الملائكة التى تمردت فحق عليها السقوط من الاعالي · ولكنه مع ذلك من مخلوقات الله ما فى ذلك شك · يقول التلمود : « ان الله خلق أربعة أشياء ثم ندم عليها بعد أن خلقها : تشريد شعبه المختار ، ووجود الكلدانيين ، وخلق العرب ، وكذلك خلق الوسواس الخناس » · وعلى الرغم من التعصب الدينى والعنصرى الاحمق الماثل فى نسبة الندم الى الله ، وفى المساواة بين الشتات الاسرائيلى والوجود الكلدانى والعربى

اليهود والشيطان

والشيطاني ، فان النص كان لا شك جديرا بالذكر .

وبعد ، فاذا كان الشيطان قد تحدد في بعض ماورد في التلمود من انه يطلع احيانا بين قرني ثور اسود ، فان اللغة البابلية تسمى الثور « شيد » ، ونفاجأ بأن نجد كلمة « شيد » نفسها في التوراة بمعنى « عفريت » ، وهذه الكلمة هي التي اختار سعديا الفيومي لترجمته العربية كلمة الشيطان كمقابل لها . ذلك أن الكلمة بالعبرية ترد اكثر ما ترد في الجمع « شيديم » التي يترجمها بلفظة « الشياطين » . وهنا يعرض لنا سؤال لم تتوافر بعد عناصر اجابة قاطعة عليه . فعندما يقول العوام ، في مصطلح السحر والخرافة والزار وتحضير الجن ، أن فلانا او فلانة عليهما « اسياد » ، بمعنى انهما قد لبستهما العفاريت . هل يكون اصل هذه الكلمة من السيادة بالمعنى العربي ، وهي السيطرة ، وتكون الاسياد كناية عن الجن المسيطرة على اولئك المعترتين، أم أن تجارة الخرافة على يد اليهود والاراميين والنبط في منطقة الشرق الاوسط كلها هي التي حملت كلمة « شيد » العبرية الى السوقة ، وفي الجمع فقط « اسياد » ، تماما كاستعمالها المألوف في العبرية ؟ هذا امر يحتاج في الاجابة عنه الى تحضير العفاريت وسؤالهم ، وهو امر لا نشتغل به ولا نعتقد فيه .

وهناك كلمة اخرى بالعبرية هي « سرافيم » ومعناها المادي الاصلي « الحيات المحرقة » ، أي التي يتلجم جسم الملدوغ منها بفعل سمها وكأنه احرق بالنار . وقد انتقل استعمالها الى انواع من الكائنات الغيبية الملتهبة النارية ، الى انواع من الجن . بينما الاستعمال العربي لكلمة قريبة منها هي « اسرافيل » يحدد بتلك التسمية ملكا كريما ، لعله من المكلفين بالعذاب للعصاة والمتمردين من الجنة والناس، ولعله بذلك أخذ بزمام اللهيب يسلطه على من يقضي الله عليه بعذابه ، ولكنه على كل حال ليس جنيا عند العرب والمسلمين، بل من الملائكة المقربين .

واخيرا فان الشيطان له حديث يطول ، خاصة عند اليهود ففي العصور الوسطى كان المسيحيون في اوربا يصورون اليهود جميعا ــ انتقاما للمسيح المصلوب ــ على شكل شياطين عيونها بالطول ، وفي جباهها قرون ، ولها اذناب ينتهي كل منها بحربة مدببة ، وكانوا يقولون انهم ان لم يكونوا الجن بعينهم فانهم بلا شك ، ودائما حلفاء الجن والشياطين . وهذه الصور كثيرة تملأ الكتب القديمة ومتاحف الفنون .

الحق ان الحديث عن الشيطان له كثير من اللذة ، ولكننا نقف عند هذا الحد حتى لا نقع تحت اغرائه ، فقد تكون الثرثرة ، وارسال القلم على عواهنه واحدة من الاعيب الشيطان .

الشيطان في عقائد بوذا وكونفوشيوس

مصطفى الشهابي

تمثل الصين والهند أكبر دولتين في العالم من حيث عدد السكان ... فالصين عدد سكانها حوالي ٧٥٠ مليون نسمة • والهند حوالي ٥٥٠ مليونا • بينما عدد سكان العالم بأجمعه نحو ٤٠٠٠ مليون نسمة - أي أن سكان هاتين الدولتين يكون ثلث سكان العالم •



الشيطان
في عقائد بوذا

الكنفيوشية هي الديانة السائدة في الصين ويبلغ عدد اتباعها اكثر من نصف عدد السكان ، وتليها البوذية ، فالتارية . وليس للكنفيوشية تنظيم ديني . ولكنها تتضمن قوانين اخلاقية وفلسفية تقوم على طاعة الابناء واحترام الاجداد والخير والاخلاص والعدل .

وتنسب الكنفيوشية الى كنفيوسش الذي ولد في عام ٥٥١ ق . م وتوفي عام ٤٧٩ ق . م وقضى اغلب حياته يطوف بين انحاء الصين ينادي بمبادئه وهي في جملتها اخلاقية تهدف الى حياة امثل للبشرية .

ومعظم الصينيين يبنون فلسفتهم في الحياة على الكنفيوشية التي اقتبست اغلب قوانينها وتقاليدها سائر الاديان الاخرى غير السماوية ، ولم تعد تختلف عنها الا في بعض الطقوس الدينية التي تجرى بالمعابد .

فالبوذية تقضي في جوهرها بتطهير الروح بواسطة كبح الشهوات والامتناع عن ملذات الحياة .

وقد ظهرت البوذية في الهند في القرن السادس قبل الميلاد . ويتراوح عدد البوذيين ما بين ٢٠٠ ، ٢٥٠ مليونا ينتشرون في الهند والصين واليابان وسيلان واغلب دول شرق وجنوب شرقي اسيا ، بل انها في بعض تلك الدول تعتبر الدين الرسمي .

وقد انتقلت البوذية الى الصين وانتشرت بها في اواخر القرن الثالث قبل الميلاد ، دون ان يتخلى الصينيون من الكنفيوشية وغيرها من العقائد ، بل إصبح بعض الصينين يعتنق تلك العقائد جميعا ،وبعبارة اخرى فايمان الرجل الصيني العادي مزيج منها .

ومؤسس البوذية هو « جوتاما » الذي لقب باسم « بوذا » اى الحكيم .

كان بوذا ابن ملك احدى المقاطعات الهندية واشتهر منذ شبابه بالانصراف الى الدراسات الروحية وحب الوحدة . ولما لاحظ الاضطراب الروحي والانحطاط الاخلاقي اللذين سادا عصره ، نبذ مملكته واسرته واخذ يضرب في الارض بحثا عن الحكمة ، يطوف ارجاء الفيافي والقفار والغابات واذا هو امام شجرة ، فقرر ان يجلس تحتها . واقسم الا يتحرك حتى يظفر بما يهديه سواء السبيل .

● بوذا ينتصر على الشيطان ●

غير أن القسم الذي اقسمه بعث الحزن والضيق في نفس الشيطان « مارا » روح الشر ، وعدو الحقيقة ، فحاول ان يصرفه عما يبحث عنه من هداية وارشاد فجاء ببناته الثلاث الجميلات وعدد من الشياطين لاغرائه على الاستمتاع باللذات ، ولكن بوذا لم يعبأ بخداعه وأبى أن يقع في شراكه وناشد الارض أن تكون شاهدا على ما حدث .

وغضب « مارا » ، واثار عاصفة هوجاء اظلم لها الجو وطغت مياه البحار وهدرت امواج المحيطات ولكن بوذا مضى في ابتهالاته ثابتا صلدا حتى لم يجد مارا في النهاية الا ان ينصرف ببناته وشياطينه .

وهكذا فاز بوذا بالهداية في تلك الليلة وانتصر على روح الشر وشياطينه ، وكان عمره قد قارب الاربعين يومئذ . واصبحت تلك الليلة تعرف عند اتباعه باسم «الليلة المقدسة» اما الشجرة فقد اصبحت تسمى «شجرة الحكمة» . وفي الثمانين مرض فجاة ثم مات عام ٤٧٠ ق . م .

وبعد وفاة بوذا بدات تظهر عقائد باسماء جديدة بلغت نحو ثمانية عشر

مذهبا لا تخرج في جوهرها عن البوذية وان كانت متباينة في بعض الطقوس والمظاهر .

وفي جوهر التعاليم التي تركهما كنفيوشش أو بوذا لا توجد اشارات صريحة الى الشيطان ، بل أن كل ما له اتصال بالشيطان في هاتين الديانتين بالذات انما نشأ خلال القرون التالية لظهورهما .

وقد ثبت تاريخيا ان كثيرا من الاديان نسبت اليها او دست عليها خرافات واساطير غاية في السذاجة ، واخذت مكانها خاصة بين العامة ، ونشأ عن تلك الخرافات طقوس ومراسم وعادات اصبحت وكأنها من أصول الدين وهي اشبه بما يعرف « بالبدع غير المستحسنة » .

ومن تلك الخرافات التي وصلت الى حد الايمان عند الكنفيوشيين والبوذيين بصفة خاصة الاعتقاد في الشياطين والأرواح الشريرة التي تتمثل في الظاهر الطبيعية القاسية كالعواصف والرعد والبرق وغيرها ، وأن اسوأ الشياطين هم من يسكنون الجبال ، التي يحكون عنها القصص ، وأغلبها ينتهي بتمكن الإمتين من قتل مردة الشياطين في الجبال .



وملأ خيال الصينيين الارض بالشياطين التي كانوا يخيفونها بصواريخ نارية تنفجر في أفنية الهياكل ، وفي نفس الوقت تدخل البهجة على النفوس .

● طرد الشياطين ●

والاعتقاد في الشياطين كان يسود اغلب الصينيين ومنهم الكنفيوشيون ، وفي النصف الاول من هذا القرن كان رجال الاعمال هناك لا يشغلون اي مبنى الا بعد استشارة « طاردي الشياطين » أو الارواح الخبيثة .

وقد نوه بذلك الكاتب الامريكي « كارل كرو » في كتابه « اربعمائة مليون زبون » الذي صدر عام ١٩٤٤ والذي الفه بعد أن قضى نحو ربع قرن مراسلا للصحف الامريكية في الصين .

ويذكر ذلك الكاتب انه اراد انشاء مكتب يزاول فيه عمله ، فكان أول ما نصحه به من استعان بهم من الصينيين أن يستشير احد « طاردي الشياطين » والا امتنعوا عن العمل معه ، فاضطر للرضوخ الى مطلبهم، وجيء اليه بمن سيقوم بتلك المهمة فوجده كهلا محتشم المظهر والملبس ، وبعد ان قضى ذلك الرجل ساعات عديدة في الطواف بالمبنى وبالغرف ومعه بوصلة ومسطرة طولها متر يقيس أبعادالحجرات ويسجل اتجاهات الابواب والنوافذ ، غير مواضع بعض الكاتب .

والطريف انه امر بأن يكون مكتب مستر « كرو » ملاصقا للحائط بحيث يجلس وظهره للنافذة حتى لا ترى الشياطين وجهه وهي تطل من النافذة اذ قد يدفعها التطفل او « الشقاوة » الى معاكسته خاصة وانه اجنبي ... ولكن « كرو » اعترض بأن الوضع الصحيح هو ان يكون وجهه نحو النافذة بسبب ضعف نظره . وبعد

الشيطان

في عقائد بوذا

جدال عنيف امكن ايجاد حل وسط وهو ان يكون المكتب مائلا الى الحائط .

وروى « كرو » ايضا ان احدى شركات السجائر اقامت لوحا خشبيا فيه اعلان عن منتجاتها عند مدخل احدى القرى ، وصادف ان شبت عدة حرائق بالقرية كما حدثت بها بعض وفيات بسبب مرض غريب لم يعرفوا كنهه ، فاستشار اهل القرية احد الكهنة ، فافتى بأن الاعلان الخشبي الجديد هو سبب الكوارث لأن الشياطين تتجمع فوقه وتتآمر على العبث بالقرية وأهلها .

وجاء عمدة القرية يطالب الشركة بازالة ذلك الاعلان ، فما كان من مدير الشركة الا أن أرسل في طلب ذلك الكاهن ، وبعد أن دس في يده مبلغا طيبا من المال ، اقترح أطلاق عدد من الصواريخ حول لوح الاعلان فتذعر الشياطين وتهرب ، ووافق الكاهن !

وأطلقت الصواريخ وأكد الكاهن أن الشياطين فرت الى قرى أخرى ، ولحسن الحظ عادت تلك القرية الى الحياة الهادئة ولم يحدث بها بعدئذ ما يدعو للشكوى .

ولا يستطيع أى فلاح صيني أن يزرع ارضه قبل أن يتولى الرهبان طرد الشياطين منها مقابل تبرع يقدمه للمعبد ، ولا يستطيع جني محصوله قبل أن يطرد الرهبان الشياطين مرة اخرى ... مقابل تبرع طبعا !

● الشياطين وناطحات السحاب ●

كان الصينيون ، الى عهد قريب ، لا يحبذون بناء ناطحات السحاب ، وكانوا يعارضون في اقامتها ببلادهم لاعتقادهم ان الشياطين السابحة في الجو تنظر اليها باستياء لانها تخترق الفضاء الذى يجب ان يخلو لها فلا تعترضها تلك المباني الشاهقة ،ولذلك فانها تعمل على ايذاء المقيمين بالادوار العالية منها بصفة خاصة .

وكان من يهاجر من الصينيين الى الولايات المتحدة يمتنع عن السكن بالادوار العالية من ناطحات السحاب مهما كان الاجر الذى يقرر له ، خوفا من الشياطين .

● تضليل الشياطين ●

ولكيلا تعبث الشياطين بجثث الموتى الصينيين ، أو تضايق ارواحهم في العالم الاخر ، جرت العادة أن تحرق في الجنازات نماذج ورقية كبيرة الحجم ومقاربة للاصل لبعض الادوات والاشياء التي كان يستعملها الميت في الحياة الدنيا كعربة وحصان وكرسي وبعض الثيران وأحيانا نماذج للخدم . وبذلك ترضى الشياطين عن الميت لان أرواح الاشياء المحروقة ستكون في خدمته .

ولتضليل الشيطان ومنعها من دخول المساكن تقام اشجار كثيفة امام المداخل فاذا كان المالك فقيراً ، رسم مناظر الغابات والاشجار الكثيفة على مدخل مسكنه حتى اذا ما حاولت الشياطين الدخول انتفعت داخل الغابات المقامة او المرسومة ، فلا يسمع بها بعد ذلك ابداً .

ومن ذلك ايضا اقامة ممرات ملتوية داخل البيوت حتى تلتاجا الشياطين بالجدران اثناء اندفاعها السريع وتموت !

● نقود الشياطين ●

ويعتقد الفلاحون في الصين ان الشياطين كالبشر لا تستطيع مقاومة اغراء المال ، وأنها تلجأ الى حرمان

صاحبه منه بوسائل شتى كفقده له او انفاقه فى شراء اشياء غير ضرورية او تافهة أو مغشوشة. ولذلك كان هؤلاء الفلاحون يعمدون الى شراء كميات من اوراق خاصة شبيهة بالنقود الورقية ثم يلقونها فى نهر سريع الجريان او فى مهب الريح عاصفة .. ومن الطريف انهم يحرمون على اطفالهم التقاطها لانها نقود الشياطين !

وكان الصينى اذا بلغته اخبار سيئة فانه يقهقه ضاحكا ويمضى فى الضحك ويقصد بذلك السخرية من الشياطين او الهة الشر والنكاية بهم .

● الخمر دعوة للشيطان ●

والخمر عند البوذيين ، بل وعند اغلب الصينيين والهنود ، وسيلة الشيطان للايقاع بالبشر والحاق الاذى والاضرار بهم . ومن وصايا بوذا الخمس ، لا يشربن احد مسكرا، والحكمة فى تلك الوصية ظاهرة فالمخمور يفقد وعيه ليصبح عبدا للشيطان ويتصرف بحماقة وجنون .

وتقول اسطورة صينية ان الشيطان تقدم الى رجل وقال له :

– انك توشك ان تموت .. ولكن فى استطاعتى ان انقذك بأحد شروط ثلاثة : اما ان تقتل خادمك .. او تضرب زوجتك ... او تشرب الخمر!

فاجاب الرجل :

– دعنى افكر فى الامر ... ان خادمى رجل امين ، ومستحيل ان اقتله ... وزوجتى امرأة كريمة طيبة ومن العبث ان افكر فى ضربها ... اذن فسأشرب الخمر .

وشرب الخمر ، وثمل ... فضرب زوجته ، ثم قتل الخادم حين حاول الدفاع عن الزوجة !

ويتشاءم البوذيون من التنقيب فى باطن الارض لان ذلك فيه ازعاج للعالم السفلى ، عالم الشياطين ، حتى لا تغضب وتنتقم من البشر . ولذلك ظلت الثروات الطبيعية التى يزخر بها باطن الارض فى الصين والهند حبيسة حتى عهد قريب .

● ابعاد الشياطين ●

والمعابد فى الصين والهند غنية بالتماثيل التى تزخر بالتهاويل المفزعة ، ويختال فيها القسس بثيابهم الحريرية المزركشة ، على اصوات غريبة من الموسيقى المؤثرة ، والغناء البديع .

وتعلق على مداخلها جلود الدببة، والكلاب المفترسة ، والثعابين وغيرها من الحيوانات الضارية ، وقد حشيت اجسامها حتى لتخالها حية ، تتربص بمن يقربها – وذلك لابعاد الشياطين عن المعبد .

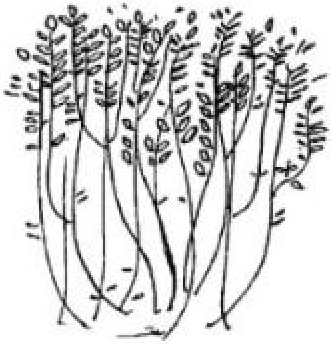
اما فى الداخل ، فالجدران مغطاة برسوم الالهة ، وتبدو لاول نظرة كالشياطين ، او الوحوش المفترسة ، او مخلوقات خرجت من الجحيم ، كما أن القسس والرهبان لا يؤدون الطقوس الا وهم مرتدون اقنعة رهيبة ترمز الى قوى الشر والشياطين .

وبعد ... فلا شك ان معالم الحياة فى الصين قد تغيرت خلال السنوات الاخيرة ، تغييرا يكاد يكون شاملا . ولا شك ان بعض ما اشرنا اليه من عقائد او اوهام ، ازاء الشيطان ، كاد يندثر ، ان لم يكن اندثر نهائيا وخاصة بين المتعلمين الذين يزداد عددهم باستمرار ...

وحدث مثل ذلك فى الهند ، بسبب تقدم التعليم وانتشاره والاتصال بالعالم الخارجى .

على
الباز

افتحى الباب



افتحى الباب للصـــباح الآتى قد كفانا ما مر من ظلمـات
افتحى الباب للهواء ، وللحب ، والنــور ، والرياح العواتى
يعلم الله ، ما يخاف من الريح ، ولكن ، يخاف موت السبات
افتحى الباب ، والنوافذ ، للنور ... ويا شمس من ضيائك هاتى
ان بالحب ، والهواء ، وبالنور ، حيــاة لكل ارض مــوات

***

افتحى الباب واطردى الخوف ، والخلف ، وحبس الطاقات والملكات



افتحى الباب واطردى الظلم ، والليل ، وسجن البيوت والابيات
واعتقال النفوس ، والاقلام ، والراى ، ودق القلوب والنبضات
وازيحى الطلاء عن كل حـرف ، اتركيها ... جريئة كلماتى
واتركى صوتى المدوى بالحق • يدوى ... مجلجلا فى ثبـات
لا يهاب الغياب « خلف شموس » .. لا يخاف التشريد للفلوات
اتركيه كعاصف الريح ... كالزلزال ، كالبعث وانتفاض الرفات
ايه يا مصر ... قد كفانا مواتا فاعبرى وابلغى ضفاف الحياة

***

اعبرى الذل ، والجراح ، ومر اليأس - بالامس - والقيود اللواتى
كبلت معصميك حينا من الدهر ، فادمت ، وشلت الخطـوات
ما انتكسنا من العدو ولـكن «نكسة الحب» افدح النكسات
كيف نحميك والظـلام يغشى فى حمانا مسالك الطرقات ؟
كيف امشى الى الامام وظهرى مستباح لنافذ الطعنـات ؟
كيف امضى وفوق صدرى احمال من الخوف ... ثم آمن ذاتى ؟
كيف احيـا وكل ذنبى انى قلت آه .. فجرمت آهاتى ؟

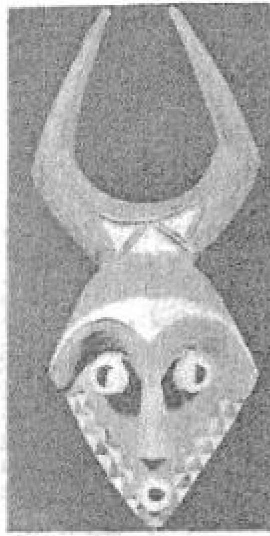
***

كيف يقوى على البناء سجين غير حر اليدين والسجن عات ؟
كيف يرجى من البلابل شدو من وراء القضبان بكم اللهاة
ايه يا مصر .. ماتولى .. تولى لا يرعك الحزين من ذكريات
اجمل العمر ليس يوما تـولى ان خير الأيام .. ما هـو آت

علـى
أدهـم

الشيطان في ديانة البابليين وديانة الأشوريين

يقول المؤرخ العلامة ول ديورانت فى مستهل حديثه عن حضارة بابل فى كتابه القيم عن تاريخ الحضارة : « مامن احد ينظر الان الى موقع مدينة بابل القديمة ثم يخطر بباله ان هذه البطاح الموحشة ذات الحر اللافح الممتدة على نهر الفرات ، كانت من قبل موطن حضارة غنية قوية كادت تكون هى الخالقة لعلم الفلك ، وكان لها فضل كبير فى تقدم الطب ، وانشات علم اللغة واعدت اول كتب القانون الكبرى ، وعلمت اليونان مبادىء الحساب وعلم الطبيعة والفلسفة وامدت اليهود بالاساطير القديمة التى اورثوها العالم ، ونقلت الى العرب بعض المعارف العلمية والمعمارية التى ايقظوا بها روح اوربا من سباتها فى العصر الوسيط .. واذا ماوقف الانسان امام دجلة والفرات الساكنين فانه يتعذر عليه ان يعتقد انهما النهران اللذان ارويا سومر وآكد ، وغذيا حدائق بابل المعلقة »



حضارة بابل مثل الحضارة المصرية القديمة ، من الحضارات التي مهد لقيامها النهران القديمان ، وهما نهر دجلة ونهر الفرات ، كما ساعد نهر النيل على ايجاد الحضارة المصرية ، وهذان النهران يفيضان كما يفيض نهر النيل في فصل الربيع ويساعدان الزرع على الاخصاب ، ولولا فيضان النهرين لكانت ارضهما جرداء ، فاذا كانت مصر هبة النيل كما قال المؤرخ اليوناني هيرودوت ، فان حضارة بابل كانت هبة من النهرين نهر دجلة ونهر الفرات .

والبابليون من الناحية السلالية مزيج من السومريين والاكديين ، والاغلبية في السلالة الجديدة للاصل السامي الاكدي ، فقد انتهى الصراع بين الاكديين والسومريين بانتصار الاكديين ، وتأسيس مدينة بابل لتكون حاضرة ارض الجزيرة السفلى باجمعها .

والمعروف أن أول شخصية برزت في هذه المنطقة هي شخصية الفاتح المشرع العظيم حمورابي (٢١٢٣ ـ ٢٠٨١ ق . م) الذي دام حكمه في بابل ثلاثة واربعين عاما ، واستطاع بقوة شخصيته وتفوق عبقريته ، ومضاء عزيمته ، أن يخمد الفتن ، ويقسو على الاعداء ، ولا يكف عن التوغل في شعاب الجبال الوعرة ، وينتصر في كل المعارك التي خاض غمارها ، دون أن يخسر موقعة واحدة .

وقد استطاع ببراعته السياسية توحيد الدويلات المنتشرة في الوادي الادنى ، ونشر لواء السلام في ربوعه، ووطد الامن ، وثبت النظام بفضل كتاب قوانينه العظيم الذي عرفه التاريخ باسم « شريعة حمورابي » وقال هو عنها انها شريعة منزلة من السماء وانه تلقاها من وحي الاله شمس اله الشمس .

وهو يقول في مقدمة تلك القوانين « أن انوويل ناداه بوصفه الامير الاعلى عابد الالهة لكي ينشر العدالة في العالم ، ويقضي على الاشرار والاثمين ، ويمنع الاقوياء من أن يظلموا الضعفاء ، وانشر النور في الارض وارعى مصالح الخلق ... واجعل الناس امنين على املاكهم في بابل ، واعمل على خدمة الشعب » .

الشيطان في ديانة البابليين

وبين لنا هـــذا القول المستوى الحضارى الرفيع الذى بلغته الحضارة البابلية فى ذلك العهد القديم ، وتجمع شريعة حمورابى بين القوانين الراقية المســتنيرة والعقوبات القاســية العنيفة ، وهى تشمل تشريعات خاصة بالاملاك المنقولة والاملاك العقــارية ، والتجارة والصــناعة ، ومختلف العلاقات الانسانية ، ويقول كثير من المؤرخين انها لا تقل رقيا عن شريعــة اية دولة من الدول الراقية فى العهــد الحديث .

وبرغم ان قوانين حمــورابى كانت تمتاز بصفتها الدنيوية ، وســمتها العملية، فقد اضفى عليها صفة القداسة الالهية ، وشاد المعابد كما شاد القلاع الحصينة ، وترضى الالهــة بان اقام لمردوك وزوجته ــ وهما الالهــان القوميان هيكلا ضخما ومخــزنا واسعا لتخزين القمح للالهين والكهنة ،

وهكذا كان يستعين الملك القوى الشــكيمة على توطيد مكانته ودعم سياسته ، بالاســتعانة بالدين .

واجتاحت بابل بعد موت هذا العاهل العظيم قبيلة الكاشيين التى كات تقيم على الحدود الشرقية للدولة البابلية ، وهى من القبائل الجبلية القوية وكان الكاشيون يحسدون البابليين على ما ارتوا من ثروة وتعــيم ، وقد ظلوا يحكمون بابل ما يقرب من ستة قرون، وظلت احوال بابل مضـــطربة بعد خروجهم اربعمائة عام حتى قامتدولة الاشوريين فى الشمال فبسطت سيادتها على بابل واخضعتها لملوك نينوى .

ولما ثارت بابل على هذا الحكمدمرها سنحريب الاشورى تدميرا يكاد يكون تاما ، ولكن عسر حدون اعاد اليهــا رخاءها وثقافتها ، وحينما ضــعف الاشوريون وقامت دولة الميديين استعان نبوبو نصر البابلى بتلك الدولةالناشئة على تحرير بلاده من حكم الاشوريين ، وانشا الدولة البابليةالثانية ، وخلفه ابنه نبوخذ نصر الثانى ، وكان اقوى ملوك الشرق الادنى فى عصره واعظم المحاربين والبنائين . وفى عهدهسيطر التجار البابليون على جميع مســالك التجارة التى كانت تعبر غرب اسيا من الخليج الفارسى الى البحــر الابيض المتوسط .

وانفق نبوخــذ نصر الكثير من المكوس التى كان يفرضهاعلى التجارة ومما كان يجبيه من خــراب البلاد الخاضعة لحكمه ، فى تجميل عاصمته حتى جعل بابل عاصمة الشرق الادنى بغير منازع ، وهو الذى اقام حدائق بابل المعلقة التى كان يعــدها اليونانيون احدى عجائب العــالم السبع .

وكانت النزعة التجارية هى الغالبة على الحضارة البابلية واكثر الوثائق التى بقيت من اثارها تجارية الصيغة، وتتصل بالبيوع والقروض والعقود ، وما اليها من الاتفاقات التجــارية ، وهى تدل بوجه عــام على ما بلغه البابليون من ثراء عظيم ، وقدرتهم



على الجمع بين النزعة الدينية والرغبة القوية فى النجاح المادى والكسب التجارى .

ولم تكن سلطة ملك بابل مطلقة ، بل كانت سلطة يحد منها القانون من ناحية وسلطة الكهنة الدينية من ناحية اخرى . وكان الملك يعتبر من الوجهة القانونية وكيلا لاله المدينة . ولذلك كانت تفرض الضرائب باسم الاله ، وكانت تحيط بعرش الملك هالة من القداسة تجعل الخروج عليه كفرا ، وطاعته طاعة للاله . ولذلك كان للكهنة شأن فى الدولة البابلية . وكان الملوك يشعرون من ناحيتهم بحاجتهم الى غفران الاله . ولذلك كانوا يشيدون الهياكل الفخمة ، ويخصونها بقسط من ايراد الدولة يؤدونه اليها فى كل عام . وكان الفقراء والاغنياء على السواء يخصصون للهياكل جانبا من مكاسبهم الدنيوية .

وبذلك تكدست الاموال والنفائس فى خزائن الهياكل ، ومكن ذلك الكهنة من أن يكونوا قوامين على شئون الزراعة والصناعة والمسائل المالية بوجه عام . وكان لهم براعة فى استثمار أموالهم . وكانوا يستطيعون بقوة نفوذهم، واتساع ثرائهم ، القضاء على سيطرة الملك اذا تنكر لهم ، أو حاول انقاص نفوذهم .

وكانت الالهة التى يعبدها البابليون كثيرة العدد ، وكان لكل مدينة رب يحميها ، وللمقاطعات والقرى الهة صغرى تعبدها وتخلص لها مع خضوعها الرسمى للالهة الاعظم .

وكان اقدم الالهة كلهم الهة السماء وما فيها . فالاله انو السماء الثابتة، والاله شمس هو الشمس ، والاله ننار هو القمر ، والاله بل اوبعل هو الارض وكان لكل اسرة الهتها المنزلية، ولكل فرد رب يحميه ، ويرد عنه الاذى .

ونسج البابليون الاساطير حول شخصيات الالهة ، وقد عرف الكثير من هذه الاساطير عن طريق اليهود، واصبحت جزءا من القصص الدينى ، واول هذه القصص قصة خلق العالم، حينما لم تكن هناك سماء ولا ارض ، وكان ابسو أبا الاشياء اول الامر ، والالهة تيامات الماء ، وقد تولدت منهما الاشياء وبيئات تنمو على مهل وتتخذ لها أشكالا . وتتفق الاراء عند البابليين فى ان الاله صنع الانسان من قطعة من الطين ، ثم جاء وحش مهول يدعى اونس وعلمه الفنون والعلوم وتخطيط المدن ، ومبادىء القانون ، ولم تلبث الالهة ان غضبت على الناس الذين خلقتهم ، فارسلت عليهم طوفانا عارما ليغرقهم ، واشفق اى اله الحكمة على البشر ورأى أن ينجى رجلا واحدا هو شمس نبتشين وزوجته

ولم يكن لفكرة الخلود مكان فى نفس البابلى لان الديانة البابلية كان يغلب عليها النزعة الارضية العملية، وكان الذى يطلبه البابلى فى صلاته

الشيطان
في ديانة البابليين

رحاية في الارض لا ثوابا في الجنة، والاموات يذهبون الى مكان مظلم ، وفيهم الصـــالحون والطالحون ، والعبقريون والبلهاء ، وكانت الجنة في رايهم مقصـــورة على الالهة ، والكتاب البابلية حافلة بالترانيم التي تفيض بالتوسل والطاعة والخضوع ، وكان الكهنة ينشدون هذه الاناشيد والمزامير وهم يتمايلون ذات الشمال وذات اليمين ٠

وكانت فكرة الخطيئة عند البابليين تجعل هذه التضرعات صادقة العاطفة قوية التأثير ، وكانوا يعتقـــدون ان الخطيئة ليست حالة نفسية من حالات النفس المنحرفة وانمـــا هي لون من الوان المرض يعتري الانسان من جراء سيطرة الشيطان على الجسم ،والصلاة عندهم بمثابة رقية تخرج العفريت الذي اقبل عليـــــه من طوائف القـــــوى السحرية ٠

وكان يغلب على البابليين الاعتقاد بان هذه الشياطين التي تضمر العداء للانسان تقف له بالمرصاد في كل مكان وتتسلل الى البيـــوت من الابواب والشـــقوق ، وتفاجيء فريستها في صورة مرض فتاك او لوثة عارمة اذا ما وقع في خطيئة أغضبت الالهة ، وجعلتها تتخلى عن حمايته والقاذه من مخالب الشيطان ٠

وكانوا يعتقدون ان للعرجة والاقزام والمقعدين وذوي العاهات والنســاء قدرة خاصة على انتقال الشياطين في اجسام من يضمرون لهم الشر، وكان عندهم انه من الميسور القاء شر هؤلاء الشياطين ودفع اذاهم باســـتعمال التمائم والرقى والاحاجي ، واذا حمل انسان احدى صور الالهة فان هـــذه الصورة في الاغلب تحميه من هجوم الشيطان وتخيفه وتبعده ، ومن اقوى التمائم في دفع اذى الشياطين قلادة من حجارة صغيرة تسلك في خيط او سلك مثل المسبحة وتعلق في العنق، على ان يكون للحجارة اوصاف خاصة، وان يكون الخيط له لون من الالوان الملائمة للغرض الذي يريده منه حامل القلادة ، وكان من المستطاع عمـــل صورة للشيطان ووضـــعها في قارب وتلقى بعد ذلك في المـــاء بعد تلاوة صيغة خاصة،واكثر الكتابات البابلية التي وجدت في مكتبة آشور بانيبال كانت من الكتابات المحتوية على صيغ سحرية تتلى لطرد الشـــياطين ودفع شرها ، وبعضها كان خاصا بتفسير الاحلام وطرائق الاهتداء الى التكهن بالغيب ، وكان البابلي ســـواء كان ملكا أم انســـانا عاديا لا يقدم على القيام بعمل او لحسم امر من اموره الا بعـــــد الاستعانة بكاهن او عراف ليقرأ له الطالع ٠

***

وكانت الحضارة البابلية موفقة في الناحية العلمية اكثر من توفيقها في الناحية الفنية ، وذلك لان البابليين كانوا يميلون الى التجارة قبل كـــل شيء ، وقد ساعدت النزعة التجارية

على تقدمهم في العلوم الرياضية ، وتعاونت مع الدين على ايجاد الاهتمام بالفلك ، واقبال الكهنة على الاشراف على المصالح الحكومية والشئون القضائية والزراعة والصناعة والعرافة مهد السبيل الى وضع اسس العلوم ، وكان علم الفلك في طليعة العلوم التى امتاز بها البابليون ٠

ولما استولى الكاشيون على الحكم في بابل توقف التقدم العلمي نحو الف عام ، ولما عادت السيطرة للبابليين في عهد نبوخذ نصر استأنف التقدم العلمي حركته ، وتمكن الكهنة العلماء من تصوير مسارات الشمس والقمر ، وعينوا مسارات الكواكب ، وميزوا النجوم الثوابت من الكواكب السيارة في دقة واحكام ٠

وبعد وفاة نبوخذ نصر عام ٥٦٢ ق٠ م اضطربت احوال الامبراطورية البابلية ، واغتصب الكهنة سلطة الملوك وسيطر قورش وجيوش الفرس على بابل ، وحكم الفرس بابل قرنين من الزمان وفتح الاسكندر المقدوني المدينة دون أن يجد اية مقاومة ، وقد افاد العالم من الحضارة البابلية العلوم الرياضية والفلك والطب كما افاد من شريعة حمورابي ، وفتحت اشور بابل واستولت على تراثها ٠

وفي خلال الاحداث والتطورات التاريخية التى كانت تمر بها الحضارة البابلية ظهرت حضارة جديدة في شمال بابل على مسافة ثلاثمائة ميل منها ، وكانت المنطقة التي نشأت فيها هذه الحضارةمعرضة لغارات القبائل الجبلية التى كانت تهددها من شتى جهاتها ، وقد فرض هذا على تلك الحضارة الناشئة الطابع الحربي وقد استطاع القائمون بتلك الحضارة الجديدة أن يتغلبوا على غارات القبائل المناوئة ، واستولوا على المدن التى كانت مهدهم الاول في عيلام وسومر واكد وبابل ، وتغلبوا على فينيقيا ومصر ، وسيطروا على بلاد الشرق الادنى بتفوقهم في مجال الحرب والمثابرة على الكفاح ٠

وقد نشأت هذه الدولة الجديدة حول



اريبعمداش يمدها نهر دجلة وروافده، وهذه المدن هي اشور وأربلا ، وهي المعروفة في العصر الحاضر باسم اربيل ، والكلخ وهي الان نمرود ، ونينوى وكانت على الضفة المقابلة لمدينة الموصل ، وقد خلع الاله اشور اسمه على مدينة من مدنها ثم على القطر كله ، وكان يقيم في هذه المدينة اقدم ملوك هذه الدولة ، واضطرهم تعرضها لحرارة الصحراء اللافحة ولهجمات جيرانهم البابليين الى ان ينشئوا عاصمة ثانية اقل تعرضا للحرارة من العاصمة الاولى ، وكانت العاصمة الثانية هي نينوى ، اسمها مأخوذ من اسم اله من الهتهم وهو الاله نينا، وكان الاشوريون خليطا من الساميين الوافدين الى هذه المنطقة من بلاد الجنوب مثل بابل واكد ومن قبائل غير سامية جاءت من الغرب .

وقد ظل الاشوريون طوال عهدهم شعبا محاربا معروفا بقدرته الحربية، واقتنانه في اساليب الجهاد وادارة المعارك ، وكان ملوك اشور من الكهنة خاضعين في أول امرهم لأهل الجنوب، ولكنهم اغتنموا سيطرة الكاشيين على بابل ليستقلوا عنها ، واستطاع ملكهم سلما نصر الاول ان يضم دويلات المدن الشمالية تحت حكمه ، واتخذ مدينة الكلخ عاصمة له .

واشتهر بعد ذلك من ملوك اشور تغلات فلاصر الاول الذى أخضع الحيثيين والارمن وأمما أخرى كثيرة ، وقد بنى الهياكل لآلهة الاشوريين ، ثم خرجت عليه بابل وهزمت جيوشه ونهبت هياكله واستولى بعده اشور ناصر بال على دول صغيرة وعاد من حروبه بمغانم كثيرة ، ومد سلما نصر الثالث فتوح الاشوريين حتى دمشق ، وجهز تغلث فلاصر الثالث جيوشا جديدة واستعاد ارمينيا ، واجتاح سوريا وبابل ، ومد ملك اشور من جبال القفقاس الى مصر ، وخلفه سرجون الثاني على اثر انقلاب عسكرى وكان حاكما قديرا ونصيرا للاداب والفنون والصناعة والتجارة، وخلفه ابنه سنحريب ، فأخمد الفتن التي حدثت في الولايات المجاورة للخليج الفارسي ، ولم ينجح في غزو مصر ، ثم غضب على بابل فاستولى عليها ، وأسرف في تدميرها ، وقتله ابناؤه ، وتمكن ابن له من غير القتلة من الاستيلاء على الملك ، وهو عسر حدون ، وكان من اقدر ملوك اشور .

ووصلت اشور الى ذروة المجد في عهد ابنه وخليفته اشور بانيبال،واضطربت أحوال اشور بعد موته، وفقدت مكانتها وضعفت قوتها .

وكانت عظمة الاشوريين وقوة سطوتهم قائمتين على اساس التفوق العسكرى والانتصارات الحربية ، وما اسهم به الاشوريون في تقدم الحضارة كان مقصورا على ما أمدوا به فن الحرب ، وتنظيم الجيوش واعداد الكتائب ، واتقان آلات الحصار ،وكان اعتمادهم في حركاتهم الحربية على السرعة وعنصر المفاجأة ، وكانت اسلحتهم في الحرب السهام والرماح والسيوف والصوالج والهراوات

الشيطان
في ديانة
البابليين

والقنافيذ ، وكانوا يتخذون العربات الحربية لشق الطرق في طليعة الجيش

***

كان الدين عند الاشوريين وسيلة من وسائل تدريب المواطن على الخضوع والطاعة ، وتملق الالهة لكسب ودها، والاستعانة على ذلك بضروب السحر، وتقديم القرابين . وكانوا يتصورون العالم ممتلئا بالشياطين التي يتقى شرها بالرقى والتمائم . وتغلب النزعة الحربية على الاشوريين لم يسمح بازدهار التقدم العلمي الذي كان مقصورا عندهم على العناية بفنون الحرب ، وكانت انتصارات الاشوريين المتوالية في مجال الحرب من أسباب سريان الضعف والانحلال ، وذلك لان تلك الحروب المتتابعة كانت تقضي على الشجعان المقاديم وتستبقي الجبناء الضعاف ليكثر نسلهم ، ويتضاعف عددهم ، مما يؤدى الى تقويض الاساس الحيوى الذى قامت عليه قوة اشور ، وقد مات آشور بانيبال سنة ٦٢٦ ق . م . وبعد اربعة عشر عاما من موته اكتسح البابليون بقيادة ملكهم نبوخذ نصر ومعه جيش من الميديين بلاد الاشوريين ، وخربوا نينوى ، وبالغوا في تدميرها وطوى مجد الاشوريين وذهبت دولتهم ودرست آثارهم .

وكان الاشوريون مثل البابليين يؤمنون بوجود جيوش الشياطين القادرة على اغتيال الانسان مبكفة في اعتقادهم من لايارتو عدو الاطفال الى الشياطين السبعة التي وردت في رقية طويلة اعتادوا تلاوتها على المرضى والى جانب هذه الشياطين والارواح كانت هناك كائنات نصفها شيطان ونصفها انسان ، وهي وليدة الاغوال الماصة للدماء كما تولدت اصناف الالهة من اجتماع الالهة بالعذارى الادميات ، وفوق هؤلاء الاعداء من القوى غير البشرية أعداء آخرون من السحرة والساحرات من الادميين الذين لم يكونوا اقل خطرا على الناس من الطائفة الاولى ، وكانوا يسلطون تعاويذهم على الذين يكرهونهم ويرغبون في ايذائهم ، بعد أن يقوموا بعمل تماثيل لهم من الشمع يضعون عليها أجزاء دقيقة من شعورهم أو من ملابسهم .

وكانوا يستدعون الكهنة للاستعانة بهم في ابعاد الشياطين عن الافراد الذين وقعوا تحت تأثيرها ، وكان أولها يقوم بعمله الكاهن لاخراج الشياطين من شخص استولت عليه هو أن يفاجيء الشيطان بأنه على علم بحقيقة اسمه ، وجميع خصائصه ولاقناعه بذلك يسترسل في ذكر سلسلة طويلة من اسماء الشياطين ، وكان الاعتقاد الغالب ان هذا الاجراء كاف لاقناع الشيطان بأنه قد عرفت حقيقته وان لم يصرح له بذكر شخصيته واسمه ، ثم يستنجد بأحد الالهة ، وذلك بتلاوة تعويذة معينة ، ويتلو ذلك وصف العلاج اللازم لشفاء المريض ، وهنا وجوه كثيرة من التماثل بين اعتقاد البابليين بالشياطين وطريقة اتقاء شرها ومحاولة التغلب عليها وبين معتقدات الاشوريين في هذا الصدد مما يدل على تأثر الاشوريين في هذه الناحية بالديانة البابلية والمعتقدات التي كانت سائدة في بابل .

عبد العزيز صادق

الشيطان عند الافريقيين

الافريقيون لا يعرفون « الشيطان » ولكنهم يعرفون « الارواح الشريرة » رمز الشر ، والرذيلة ، والكراهية ، والقسوة .

والبحر مصدر للارواح الشريرة . فمن البحر جاء الشيطان الابيض الذى استعمر الارض والناس . ومن البحر جاء تجار يشحنون النساء والرجال في سفنهم يبيعونهم على الشاطئ الاخر من البحر في سوق العبيد ! .

منذ الوف السنين ، منذ بدء الحياة فوق الارض ، وعين الانسان الافريقي ترى من الظواهر مايحير الفكر ، ويشغل البال ، مثلا ، .. السماء والارض . النور والظلام . النهار والليل . الشمس والقمر والنجوم . الريح والمطر . البرق والرعد . الانسان والحيوان .

وشيء آخر .. غامض غموض اللغز .. الميلاد .. والموت !

وكان من الطبيعي ، ان يوجد بين الناس ، من يحاول تفسير هذه الظواهر ، والمتناقضات ، والالغاز .. التي تحير فكر الانسان وتشغل باله .

وكان من الطبيعي ايضا ، ان يكون لكل مفسر اسلوبه وطريقته . وان تكون له حكاياته ورواياته التي يريد بها تفسيره . وأن تكون له عقيدته التي يستمد منها الطريقة والاسلوب لاقامة البرهان على ما يقولون .

والاسلاف والاجداد في افريقيا كانوا يروون لاحفادهم الى المعرفة بتخيل الاساطير وخلقها عن كل ما يبدو لهم غريبا ، وغامضا ، ومحيرا ، من ظواهر الحياة . وكانت الاسطورة في افريقيا – دائما – اساسا لكل عمل في كل مكان وزمان ، وتعبيرا عن المعتقدات وترسيخا لها .

ورغم اختلاف المعتقدات والفلسفات فانها جميعا تعبر عن شيء أساسي .. تعبر .. عن « القوة العليا » ..

والقوة العليا ، تحتوي الحياة نفسها . وتمنح الناس الحياة . انها الخالق الاعظم . رب الارباب . الذي يسكن السماء . أو أقرب ما يكون الى السماء فوق قمم الجبال . !

كل الشعوب والقبائل في افريقيا آمنت بوجود القوة العليا . أو الخالق الاعظم . وان كان كل شعب يطلق

عليه اسما يختلف عن تسميات الشعوب الاخرى .

والعقائد الافريقية تقوم على القوة، والحيوية ، والحركة . والعالم كله : عالم تناسق قوى . وأعظم هذه القوى جميعا ، قوة الخالق الذى يمنح الناس الخير ، والرزق ، والمطر ، والحياة .

والحياة على الارض – في عقائد الافريقيين – هبة من الخالق . وهى تستحق شكر الانسان برغم ما يعانيه من عذاب وشقاء فوق الارض من الارواح الشريرة .

الخالق الاعظم هو الخير .. والارواح الشريرة .. هى الشيطان !.

***

ان جوهر الثقافة فى افريقيا ، هو تأكيد الايمان بروح الانسان ..



وبالخير .. ويبدو هذا بوضوح فى هذا القول :

« ان من يرى كل المخلوقات فى القوة العليا .. والقوة العليا فى كل المخلوقات ، ان من يرى هذا لايستطيع أن يكره أحدا ، أو ينفر من أحد » .

هذا القول يوحى بأن المثل الاعلى للحب الانسانى عند الافريقيين ، ليس هو لمجرد حب الانسان باعتباره انسانا فحسب ، بل باعتباره جزءا من الحقيقة التى تشمل الكون بأسره ، بما فى ذلك كل البشر .

والاساطير الافريقية التي تعبر عن المعتقدات ، والتى تعتبر أساسا لكل عمل في مكان وزمان ، يربطها جميعا خيط واحد .. الصراع بين الخير والشر .. بين الفضيلة والرذيلة .. بين الحب والكراهية .. بين الرقة والقسوة .

والانسان موجود فى أعماق كل حكاية واسطورة .

حتى الاساطير التى تروى عن الحيوانات .. تدور حول الخير والشر .. والحكايات التى تروى عن النباتات .. تدور حول العمل الطيب .. والعمل الشرير ..

كلما هو طيب .. من وحى الخالق الاعظم ..

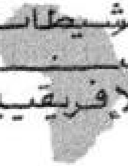
وكل ماهو شر .. من عمل الارواح الشريرة ..

***

ومعظم الافريقيين لا يعرفون كلمة الشيطان ، ولكنهم يعرفون الارواح « الارواح الشريرة » رمز الشر .. .. ورمز الرذيلة ، والكراهية ، والقسوة .

وكثيرا ما يكون الثعبان .. رمزا للشر .. وكثيرا ما يكون رمزا للقوة والخلود .. انه في عيون الافريقيين

الشيطان عند الافريقيين



مخلوق غامض ومخيف ورهيب. ويقال انه المخلوق الذى عرف الرجل والمرأة أسرار الخليقة ..

هناك أسطورة تقول :

ان اول اسرة فى الوجود ، كانت تتكون من رجل وامرأة وطفل . الخالق الاعظم ، وعد الاسرة بأن تحيا خالدة الى الابد . ولذلك ، فان الخالق سوف يهبهم جلودا جديدة ، يلبسونها كلما بليت جلودهم . وتنفيذا لهذا الوعد ، وضع الخالق كمية كبيرة من الجلود الجديدة فى صرة واعطاها لكلب ليوصلها للاسرة. وفى الطريق التقى الكلب بكلاب تتناول طعام العشاء . فتوقف . ووضع الصرة على الارض ليشارك الكلاب عشاءهم . وفى الظلام ، تسلل ثعبان ، وسرق الصرة بما فيها من جلود !! ومنذ ذلك اليوم ، تعيش الثعابين بجلود جديدة ، تغيرها كل عام !! »

من هذه الاسطورة ، جاء الاعتقاد بأن الثعبان رمز للقوة والخلود . ومن هنا يحس الافريقى تجاهه بأنه مخلوق غامض مخيف رهيب .

***

ولكن .. هناك اسطورة اخرى .. يبدو الثعبان فيها رمزا واضحا للشر .. بل رمزا للشيطان ذاته . الاسطورة تقول :

منذ زمن قديم جدا .. عندما كانت الحياة جميلة . وعندما كان الزمن ينتظر كل انسان لياخذ نصيبه من السعادة . كانت هناك قرية حزينة وكان زعيم القرية حزينا وشقيا ، لاختفاء السعادة من قريته .

والسبب انشجرة ضخمة نمت فى وسط القرية . وفوق الشجرة كان ثعبان رهيب ذو قمين . ثعبان ضخم كشجرة الموز البرية . شرس قوى ، لدرجة ان احدا لا يستطيع قتله . كان يتدلى الى اسفل الشجرة وياكل الطيور ، ويلتهم بيضها . وكان يبتلع العجول الصغيرة والخراف والماعز .

حاول اهل القرية قتل الثعبان اكثر من مرة ، دون جدوى . وحاول الشباب أن يخلصوا قومهم من الثعبان ، فلم يفلحوا . وجرب زعيم القرية كل الوسائل ، فلم يحقق نجاحا

وذات يوم .. قال مستشار الزعيم :

– يجب قطع الشجرة حتى لا يجد الثعبان مأوى له . وبهذا .. نضع نهاية لاحزان القرية وتعاستها .

ولكن الزعيم .. لم يقتنع بالفكرة .. فالشجرة كانت طوطما للقبيلة وللقرية . وكان الزعيم يخاف قطع الشجرة خشية أن يموت الناسبطريقة غير طبيعية .

وعصر احد الايام .. اجتمع اهل القرية . واقترح واحد على الزعيم ان يعلن للناس وعدا بتزويج ابنته الجميلة لمن يستطيع قتل الشيطان .. اى الثعبان .

واضطر الزعيم للموافقة على الاقتراح .

وبعث بالرسل الى كل الارجاء للاعلان عن هذه المكافأة .

وتوالى على القرية ، كثير من المحاربين ، ومن رجال الرماح والاقواس من القرى البعيدة والقريبة.

ولكن النتيجة .. كانت هزيمتهم امام الثعبان الشرير .

وعرف الزعيم النتيجة المؤسفة . وفكر في ادخـال السرور الى قلوب مواطنيه الذين كانت عندهم الرغبـة في الحياة لا الموت بقطع الشجرة . فجمع الناس وقال لهم :

اذهبوا الى الغابة . الى كل ركن فيها . وأعلنوا لكل الحيـوانات صغيرهم وكبيرهم .. عن عطيتي .. ابنتي الاميرة الجميلة .

وانتشرت الرسالة في انحاء الغابة. ولم يذهب الى القرية احد .. سوى الارنب . ذهب ومعه عنزة وكلب . وفي احدى يديه قطعة من اللحم . وفي الاخرى كمية من العشب الاخضر. وفي القـرية جلس الارنب تحت الشجرة . وصاح في أهل القرية :

هاتوا زعيمكم هنا أمامي . دعوني اتحدث اليه . وسوف انقذكم جميعا من الشيطان .

وجاء الزعيم وطالبـه الارنب بان يعلن وعده أمام الجميع .

وأعلن الزعيم .. انه يعطي ابنته الجميلة زوجة للارنب .. اذا نجح في تخليص القرية من الشر .

وطلب الارنب من النـاس الابتعاد قليلا عن الشجرة ..

ثم اخذ العشب ووضعه امام الكلب وقطعة اللحم أمام العـنزة . وربت عليهما . وطلب من كل منهما تناول الطعام الذى أمامه .

ووقف الكلب سـاكنا . ووقفت العنزة ساكنة . لم يأكلا .

وانتفـض الارنب في غضب . وأمرهما بالاكل .

واستمر الكلب والعنزة ساكنين . وصاح في النـاس .. هاتوا لي فأسا .. لاقتلهما اذا لم يأكـلا ما أمرتهما به .

وضحك واحد من أهل القرية .

وقال اخر : كيف تنقذ القرية من الشيطان بقتل كلب وعنزة ؟!

وجاء ثالث للارنب بالفـأس .

وعندئذ قال الارنب في سعادة :

أيها الناس .. ان لكل منكم رأسا فيه عقل . ولكن للاسف لم يحاول احدكم استخدام عقـله ورأسه في مواجهة الصعاب ..

وزاد الناس عجبا ..

وفجأة رفع الارنب الفأس . وصاح في الكلب والعنزة : هيا تناولا الطعام .. والا قتلتكما ..

كان الثعبان فوق الشـجرة - يتفرج على هذا المنظر . واشفق على الكلب والعنـزة . وهبط من اعلى الشجرة .. ليضع العشب امام العنزة .. واللحم امام الكلب .. اعتقادا منه أن الارنب الاهوج .. غبي ! .

وبينما الثعبان الشرير منهمـك بوضع الطعام المناسب أمام الحيـوان المناسب . فجـأة .. هوى الارنب بالفـأس بقوة .. وقطـع رأس الشيطان ..

وعادت الى القرية سعادتهـا وبهجتهـا .. وعادت الابتسامة الى وجوه الناس .. بعد أن تخلصوا من الشر .. والشيطان .

وتزوج الارنب من الامـيرة .. وعاشا في تبات ونبات ! .

❊❊❊

اذا كانت هذه صورة الشيطان .. في أحدى الاساطير المتـداولة على شفاه الناس يتناقلونها جيلا بعد جيل فما هي الصورة في الادب الافريقي المعاصر ؟

في قصة بعنوان « سيف نيجيرو » للاديب الكيني « جيكوجو » نجد أن الكاتب يحدد زمن قصته بفترة كانت الآلهة خلالها أكثر تآلفا مع الناس ، لقد بلغ التآلف لدرجة انهم اصبحوا يسكنون قمة جبل كينيا .

والسبب معاونة الناس في مواجهة الارواح الشريرة .. أي الشيطان . في ذلك الوقت .. كان هناك رجل نادر .. ليس لشجاعته أو قوته . ولكن لذكائه الشديد ومهارته في الشر . كان لصا من أخطر أنواع اللصوص . كان اسمه « نيجيرو » .

ذات يوم .. أخذ سيفه وذهب الى أحد حقول القصب .. وبدأ يقطع بعض الاعواد ليحملها الى بيته ليصنع لنفسه خمرا ! .

وفجأة .. سمع صوتا ..

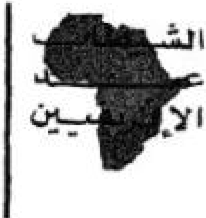
فاندفع يعدو هربا .. ونسى سيفه في الحقل .

وأخذ يفكر .. كيف يسترد سيفه؟

تذكر ان مركز الإله الاعظم فوق قمة الجبل . وان الاله عندما يكون جائعا .. او عندما يريد ان يصدر بيانا للناس .. فانه يصعد الى شجرة التين الضخمة ويعلن ما يريد ..

وقرر نيجيرو أن يخدع الناس .. ليستعيد سيفه .

وصعد الى الشجرة واتخذ مكان الاله . واختبأ . ومرت زوجة صاحب حقل القصب . وتكلم اللص مقلدا صوت الاله :



دعوا السيف لنيجيرو .. واتركوا معه عيدان القصب . وزيادة على ذلك بعض الدخان ! .. ان ذلك هو ما أطلبه .. أنا .. الاله !!..

وعندما سمعت المرأة ذلك .. أسرعت الى زوجها واخبرته بما سمعت . ونفذ الزوج طلبات الاله . وترك كل شيء تحت الشجرة . ثم أسرع عائدا الى بيته. وبعد ساعة.. عاد الرجل الى الشجرة .. فلم يجد شيئا ..

عندئذ .. رفع بصره الى السماء وهو يردد :

بوركت .. لقد بوركت .. نعم ! فقد قبل الاله الهدية !!

هذا موجز لقصة من الادب المعاصر .. يطرق فيها الكاتب التراث الافريقي ..

ويندر ان نجد كاتبا افريقيا معاصرا لا تخلو كتاباته من الحنين الى المجتمع الافريقي القديم بتقاليده وشعائره ومعتقداته . ان الكتاب المعاصرين يحركون في اعمالهم سواكن ماض يلحتم على الاجيال الافريقية المعاصرة ان تتعرف عليه بافضل ما يكون التعرف .

***

اذا تأملنا مثلا .. كاتبا مثل « شنوا الشيبى » وهو واحد من اشهر كتاب نيجيريا بصفة خاصة .. وافريقيا بصفة عامة ..

في روايته الشهيرة « الاشياء تتداعى » .. يصور لنا اعمال الشر .. على يد بطله « اكونكو » الذى قضى سنوات عمره يناضل ليرتفع من اصل متواضع فقير .. ليصبح ثريا محترما .. وكيف يصل به الصراع الى حد ارتكاب جريمة قتل وازاء هذا التصرف الخرير .. كان

لان الافريقي .. يملك نفســـا تفيض بالمشاعر ، نفسا تختلج لكل نفحة من جمال أو حب انســاني . وتبقى دائما ـ اينمـا كانت ـ نفسا افريقيا يتعاطف مع الاخرين . ويشعر بحاجة ملحة الى الصداقة والصديق .

ان الافريقي ـ في غنائه وفي قصائده ـ يتغنى بالطبيعــة ، والصداقة والمرأة ، والدين ، والحب .. ويتغنى بالموت ايضا !.

بل ان الافريقي يرقص في مناسبة الموت . انه يعتقد أن دورة الحياة لا تكتمل الا بالموت . اي بالعـودة الى عالم اللامنظـور . عالم الاجـداد والاسلاف . عالم الخلود . وفي هذه العودة خير كبير ..

الفيلسوف الافريقي المعروف اكتور « الكسيس كاجامي » يفسر عـدم احساس الافريقي بالحزن العميـق أمام الموت بقوله :

« ان الفلسفة الافريقيـــة تؤمن بالخلود . فالموت ليس الا الامتداد للحياة المنظورة . والافريقي ينظـر اليه باحترام . تماما كما ينظر الى المولود . ولهذا يحتفل بموت الاقرباء والاعزاء بالرقص . لانها المناسبة التي سيعود فيها المتوفي الى ارواح اسلافه واجداده » .

***

العياة والموت .. متصلان ..

والموت صديق لا يخيف ..

ولكن القتل .. خطــيئة كبرى تستوجب العقاب .. القتل عمل من أعمال الارواح الشريرة ..

الموت ـ في الاصـــل ـ لم يكن موجودا في بداية الوجود الانساني . ولكن الخالق ارسله للارض عقــابا لخطأ وقع ..



يتعين عليه أن يترك عشــيرته .. ويعيش منفيا لسبع سنوات .. عقابا له ..

الشيبي .. يرسم شخصية اكونكو الشرير بقوله :

كان طويل القامة . ضــخما . اكسبه حاجباه الكثيفان وانفــه العريض ، مظهرا شديد الصرامة .. كان يتنفس بصعوبة . ويقــال انه عندما كان ينام .. تستطيع زوجاته واطفاله سماع تنفســه في بيوتهم الخارجية ، وعندما يمشي لايكاد كعباه يلمســـان الارض فيبدو وكأنه يسير على زنبرك ! كان يعــاني من تأتأة خفيفة . وكلما غضــب .. واستعصى عليه النطق بالكلمات .. استخدم قبضة يده !!

هكذا يصور الكاتب .. الانسان الشرير ..

ولكن .. هل هذا الانسان يمثل الافريقي ؟

ابدا .. انه يمثل الجانب الشرير فقط ..

الشيطان عند الافريقيين

والاسطورة تقول :

فى البدء .. كان الخالق – اذا مات انسان – يخبر أسرته أنه نائم فقط . وكانت الاسرة تضع الميت جانبا . وفى الصباح يعودون فيجدونه حيا يرزق .

وذات يوم .. مات رجل ..

وقبل أن يصدر الخالق تعليماته للاسرة ، جاء أرنب وأمرهم بدفن المتوفى فى الارض .

يومها غضب الخالق مما فعله الناس .

فقرر أن يموت الرجل الى الابد . أن ينام نوما أبديا لا يفيق منه

ومن يومها .. تعلم الناس دفن موتاهم .

ومن يومها أيضا .. تعلم الناس أن ما يدفن فى الارض هو الجسد فقط .. اما الروح فتهيم فى الكون الى الابد .. خالدة .

ومن يومها .. اصبح الارنب رمزا للذكاء الشديد .. انه الحيوان الطيب الخير ..

***

وإذا كان الارنب طيبا خيرا فان الخفاش شرير ..

اسطورة تقول :

الخالق أرسل الخفاش بسلة مليئة بالظلام ليوصلها الى السماء . يومئذ لم تكن أرضنا تعرف الظلام . كانت دائما فى نور وضياء . أثناء رحلة الخفاش . أحس بالتعب . وضع السلة على الارض ليستريح . واغفى قليلا . واثناء اغفاءته جاءت الحيوانات وأحاطت بالسلة . ودفعها الفضول الى رفع غطاء السلة لرؤية ما بداخلها . وانتهز الظلام فرصة وهرب من السلة . ومن يومها .. حكم الخالق على الخفاش أن ينام طيلة النهار .. ويجوب الليل باحثا عن الظلام الهارب لكي يعيده الى السلة .

***

الإله الاعظم .. يسمع ويرى كل شيء . حتى اذا تحدث الانسان فى همس ، فان هذا الهمس يصل الى السماء عاليا كالرعد . وعيون الإله لا يغيب عنها شيء . فالذين يهمسون بالخير .. لهم الثواب . والهامسون بافكار شريرة ينالهم العقاب ..

العقاب .. للشيطان واتباعه ..

وبحكم وجود غابات شاسعة فى القارة الافريقية ، وبحكم أن هذه الغابات حافلة بأنواع مختلفة من الحيوان .. فان الكثير من الاساطير يدور حول الحيوانات والغابة .. وغالبا ما نلتقى بنماذج الخير والشر فى حكايات عن الحيوانات .. ونلتقى بالثواب والعقاب .

ولكن البحر أيضا محور لكثير من الشر الذى صادف الافريقيين فى حياتهم ..

فمن البحر جاء الغزاة البيض . الذين استعمروا الارض والناس .

ومن البحر جاء تجار العبيد يشحنون النساء والرجال فى مراكبهم بيبيعونها على الشاطيء الآخر من

البحر الكبير .. الاطلنطى !
انهم شياطين.. ارواح شريرة ..
فى رواية للكاتب «جيمس نجوجى» بعنوان « النهر الفاصل » يحدثنا عن بطل روايته « وايكى » الذى نشـأ فى اطار تراث افريقى شديد الاعتزاز بنفسه . فهو ابن « موجو » العراف الذى تنبأ بكارثة مقدم « الفراش » .. أى الارواح الشريرة .. أى الرجال البيض .

موجو يحذر القبيلة قائلا : « ان المرء لا يستطيع ان يقطـــع الفراش بسكين . وعلى الانسان أن يتعلم أساليب الشياطين البيض حتى يتمكن من محاربتهم » .
نفس المعنى الذى تعبر عنـــه العسكرية الحديثة بعبـارة « اعرف عدوك .. حتى تستطيـع أن تنتصر عليه » .

وهو بذلك يقصـــد .. أن على الافريقى أن ينبذ الاساليب التقليـديـة فى محاربة وطرد الارواح الشريرة .. امام الشياطين الجدد الذين وفدوا من البحـــر .. امام المستعمرين البيض ..

نجوجى فى هذه الرواية ـ شـأنه شأن العديد من كتاب افريقيا ـ يعالج صراع الانسان الافريقى ، بين تقاليد القبيلة الموروثة .. وبين متطلبـات العصر الحديث فى مواجهة الحن ألوان القهر .. الاستعمار ..

ولكن الافريقى واثق من الغـــد . رغم الارواح الشريرة التى جاءت من البحر .. وبرغم كل العذاب .. فانه فى النهاية سوف ينتصر على الشر ..

فى قصيدة بعنوان « المنفى » يقول شاعر مدغشقر « رابيا ريفيلو » :

كل شىء يوحى بالغرق ..

كل شىء يوحى بالموت ..
العلامة الحمـراء تمس الافق وتغطيه

الى اين تمضى بى يداك الوحشيتان ، يدا القدر .. ؟
سوف تحملنى على الرقاد يوما ، فى نهاية الرحلة ؟
الى اى غابة تنتهى بى حياة تملؤها المخاطر

ما لذلك من اهمية
فالمستقبل السفينة .. ما لنا من خيار

ولنلق نظرة واحدة على الصباح
غدا .. ظلام مطبق وسر عميق
غدا .. عند الرحيل .. قصـيدة الالم

قادرة على ان تقول على
ذات نفس تربطها بالارض ؟
رابطة لا فكاك منها
غدا .. هو الحياة ..

الحياة هبة من الخالق الاعظم ..

هبة تستوجب من الانسان الشكر .. رغم ما يعانيه من عذاب وشقاء فوق الارض .. من الارواح الشريرة .. من الشيطان .



الشيطان

محمد
عبد الغنى
حسن

فى الأدب العربى الحديث

اذا كانت « شياطين الشعر » تأتى فى تاريخ الادب العربى بمعنى الامداد والايحاء ، فانها فى معرض القرآن الكريم ، والحديث الشريف ، والدين عامة ، تأتى بمعنى الاغواء والاغراء ..

ولقد جاء لفظ « الشيطان » بصيغة المفرد ، و « الشياطين » بصيغة الجمع فى مواطن كثيرة من كتاب الله .

كما جاء لفظ « الشيطان » فى احاديث كثيرة وخاصة فى معرض الوسوسة والتسلط على الانسان

واذا كانت الخواطر الحاصلة فى القلب والمحركة للرغبة فى النفس تنقسم الى خواطر خيرة ، وخواطر شريرة ، فان علماء المسلمين اصطلحوا على ان يسموا الخاطر المحمود ، اى الداعى الى الخير ، الهاما ، وان يسموا الخاطر المذموم ، اى الداعى الى الشر ، وسواسا . اما السبب الذى يحرك خواطر الخير ، فاسمه : « الملك » ـ بفتح اللام ـ والسبب الذى يحرك خواطر الشر فاسمه : الشيطان .

فهناك اذن خير وشر . وهناك الهام ووسواس، وهناك ملك وشيطان . على ان « ابليس » قد يكون اصل الداء ، وراس البلاء فى حكمة الابتلاء



وشيطان التجارب والاغواء في الادب العربي ، غير شيطان الشعر والشعراء .. فشياطين الشعراء لا تتعدى امدادهم بخواطر الشعر ، ومنظومات الفكر . وشياطين الاغواء يمتد مجالها الى كل انسان ، شاعرا كان ام ناثرا ، متعلما ام جاهلا، فنانا ام غير فنان ...

واذا كان العرب يعتقدون أن لكل شاعر شيطانا ، فانهم قد غالوا في ذلك حتى سموا شياطين الشعراء بأسماء معينة ، فالاعشى كان له شيطان اسمه « مسحل » ، والمخبل كان له شيطان أسمه « عمرو » . وكان « الهوجل » و « الهوبر » علمين لشيطانين من شياطين الشعر عند العرب .

على أن الشعر وحده عند العرب لم ينفرد بالشياطين ، فان الغناء نفسه كان له شياطين يوحون الى المغنى باللحن المطرب ، والنغم المبدع . ويحكى لنا أبو الفرج الاصبهاني ـ صاحب الاغاني ـ حكاية المغنى المعروف بالغريض ، الذى كان يقتبس بعض أصواته من عزيف الجن ... كما يقص علينا خبر اسحاق بن ابراهيم الموصلى من ان الغناء « الماخوزى » الذى فتن به الناس من فن ابيه انما كان من صنعة ابليس ومدد وحيه ...

ويظهر ان مناط القدرة والاعجاز في الشعر وفي الغناء كان معلقا بالشياطين ، او ابليس ، او الجن واشباههم من هذه المخلوقات التى لا تعرف حقيقتها . بل تجاوز ذلك الى كل صنعة يبدو فيها الاعجاز . فقد اعتقد القوم من قديم بقدرة بعض الجن على امداد بعض الأطباء بما يجعلهم عباقرة فى علومهم الطبية . كان « الانس » وحده عاجز فى اى ميدان عن التجويد فيه ، ما لم يتلق العون من « قرين » له هو الشيطان ، أو الجان . وفي ذلك اقرار اكيد من الانسان بعجزه عن مماثلة الشيطان ، الا بسلطان ...

ويظهر أيضا من تصور الناس للشيطان أن الفحولة هنا كالفحولة هناك، فكما تقترن الفحولة فى الانسان بالقوة فهى كذلك فى الشيطان . وشتان بين الشيطان الذكر المثل للقوة والقدرة ، والشيطان الانثى المثل للتخاذل والضعف . والى هذا يشير الراجز المشهور « أبو النجم » بقوله فى معرض الاستعلاء على غيره من الشعراء :

الشيطان في الأدب العربي

الى وكل شاعر من البشر شيطانه انثى ، وشيطاني ذكر !

***

واذا كان للشيطان هذه الاهمية في الايحاء والاغواء ، فقد كنا نتوقع أن تشغل احاديثه الكتبة العربية منذ القديم · ولكن يبدو أن المصنفين والباحثين العرب لم يريدوا أن يشغلوا وقتهم بالحديث عن كائن ميئوس من صلاحه · وأنهم عرفوا الشيطان من كثرة ماورد اسمه في القرآن والحديث فاكتفوا من ذلك بالوقوف عند اثاره في الناس ، فلم يتناولوه بالدراسة والتحليل ، ولم يرد فيه الا اقوال متناثرة هنا وهناك ، في معرض التحذير منه ، والتنبيه الى عدم الوقوع في حبائله ·

وقد كان من حق ، الشيطان ، على بني الانسان ــ وهو الذي دوخ الدنيا باعماله وشروره ــ أن نكتب فيه الفصول وتعمل فيه البحوث ، وتؤلف فيه الكتب ·

على ان معنى ذلك ان الفكر العربي ــ في حمايته ــ لم يتجرد من الاهتمام بالحديث عن الشيطان ، وان كان هذا الانتاج في جملته لا يتلاءم مع الدور الخطير الذي يقوم به ذلك العدو المبين للانسان ··

ومن الرواد في هذا الميدان الامام العالم المؤرخ ابو الفرج عبد الرحمن ابن علي المعروف بابن الجوزي ، والمتوفي سنة ٥٩٧ هـ ، فقد الف كتابه : (تلبيس ابليس) ليمحو شبهات الشيطان ، وليجلو ما جاء به الانبياء من البيان ، الذي دخلت اليه وساوس الشياطين ، وندعه هنا يقول بنص عبارته في مقدمة كتابه : (الانبياء جاءوا بالبيان الكافي ، فاقبل الشيطان يخلط بالبيان شبها ، فرأيت ان أحذر من مكائده ، وقسمته ثلاثة عشر بابا ينكشف بمجموعها تلبيسه وتدليسه) ·

وغناء التطريب واللهو ــ مثلا ــ هو من ايحاء الشيطان ، ولهذا رأى الامام ابن الجوزي تحريمه · اما غناء الحجيج حين يفدون الى بيت الله ، وغناء الغزاة والمجاهدين حين يحضون به على الغزو والجهاد ، وغناء الحداة حين يحملون المطايا على السير ، واشباه هذا الغناء مما لا فتنة فيه ولا غواية ــ فمباح كل الاباحة ، لانه ليس من تلبيسات ابليس ولا من ضلالاته ·

وفي هذا يقول ابن الجوزي : (وفصل الخطاب أن نقول : ينبغي أن ينظر في ماهية الشيء ثم يطلق عليه التحريم أو الكراهة او غير ذلك ·· والغناء اسم يطلق على اشياء منها غناء الحجيج في الطرقات ، فان اقواما من الاعاجم يقدمون للحج ، فينشدون في الطرقات اشعارا يصفون فيها الكعبة ، وزمزم ، والمقام ، وربما ضربوا مع انشادهم بطبل ، فسماع تلك الاشعار مباح · وليس انشادهم اياها مما يطرب ويخرج عن الاعتدال ·· وفي معنى هؤلاء ، الغزاة ، فانهم ينشدون اشعارا يحرضون بها على الغزو· وفي معنى هذا انشاد المبارزين للقتال اشعار التفاخر عند النزال · وفي معنى هذا اشعار الحداة · وان رسول الله صلى الله عليه وسلم مال ذات ليلة بطريق مكة الى حاد مع قوم ، فسلم عليهم فقال : ان حادينا نام فسمعنا حاديكم ، فملت اليكم !

، وقد كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم حاد يقال له : انجشه ، يحدو فتعنق الابل ، فقال رسول الله : يا انجشة رويدك ! رفقا

بالقوارير !

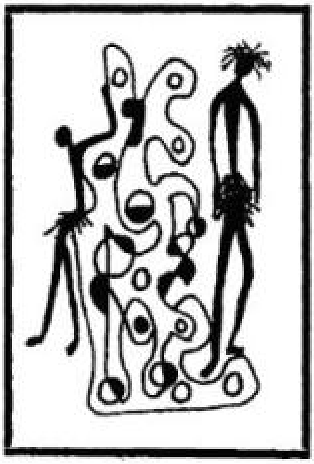
« وفي حديث سلمة بن الاكوع قال : خرجنا مع رسول الله الى خيبر ، فسرنا ليلا ، فقال رجل من القوم لعامر بن الاكوع : الا تسمعنا من هنياتك ؟ ! وكان عامر رجلا شاعرا ، فنزل يحدو بالقوم يقول :

لا هم لولا انت ما اهتدينا
ولا تصدقنا ، ولا صلينا
فالقين سكينة علينا
وثبت الاقدام ان لاقينا

« فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من هذا السائق ؟ فقالوا : عامر بن الاكوع ، فقال : يرحمه الله »

❀❀❀

واذا كان الامام ابن الجوزى قد جعل كتابا قائما بذاته فى رد شبهات الشيطان ، وتلبيسات ابليس ، فان الامام ابا حامد الغزالى قد عقد فصلا طويلا من كتابه « احياء علوم الدين » فى تسلط الشيطان على القلب بالوسواس .



والحق ان طريقة معالجة الغزالى لقضية الشيطان والوسواس تدل على المزية التى خص الله بها هذا الامام فى معالجة القضايا بالوضوح والاشراق والمنطق الذى يجلل كتاباته كلها . ويكفى ان ننقل هنا من مقدمة ذلك الفصل الرائع بعض سطور تكون مثالا صادقا لأسلوب الغزالى كله . قال :

« اعلم ان القلب كما ذكرناه مثال قبة مضروبة ، لها ابواب ، تنصب اليه الاحوال من كل باب . ومثاله ايضا مثال هدف تنصب اليه السهام من الجوانب ، أو هو مثال مرآة منصوبة تجتاز عليها اصناف الصور المختلفة فتتراءى فيها صورة بعد صورة ولا تخلو عنها ، أو مثال حوض ، تنصب فيه مياه مختلفة من انهار مفتوحة اليه . وانما مداخل هذه الآثار المتجددة فى القلب فى كل حال ، اما من الظاهر فالحواس الخمس ، واما من الباطن فالخيال ، والشهوة والغضب ، والاخلاق المركبة من مزاج الانسان . فانه اذا ادرك بالحواس شيئا حصل منه اثر فى القلب . وكذلك اذا هاجت الشهوة مثلا بسبب كثرة الاكل ، وبسبب قوة فى المزاج ، حصل منها فى القلب اثر ، وان كف عن الاحساس . فالخيالات الحاصلة فى النفس تبقى ، وينتقل الخيال من شيء الى شيء . وبحسب انتقال الخيال ينتقل القلب من حال الى حال اخر . والمقصود ان القلب فى التغير والتأثر دائما من هذه الاسباب .

واخص الآثار الحاصلة فى القلب هو : الخواطر . وأعنى بالخواطر ما يحصل فيه من الافكار والاذكار . واعنى به ادراكاته علوما ، اما على سبيل التجدد ، واما على سبيل التذكر .. فانها تسمى خواطر ، من حيث انها تخطر بعد ان كان القلب غافلا عنها . والخواطر هى المحركات للارادات

الشيطان في الأدب العربي

... والخواطر المحركة للرغبة تنقسم الى ما يدعو الى الشر ، أعني الى ما يضر في العاقبة ، والى ما يدعو الى الخير ، أعني الى ما ينفع في الدار الآخرة . فهما خاطران مختلفان ، فافتقرا الى اسمين مختلفين . فالخطر المحمود يسمى الهاما . والخطر المذموم – أعني الداعي الى الشر – يسمى وسواسا . ثم انك تعلم ان هذه الخواطر حادثة ، ثم أن كل حادث فلا بد له من محدث . ومهما اختلفت الحوادث دل ذلك على اختلاف الاسباب . هذا ما عرف من سنة الله تعالى في ترتيب المسببات على الاسباب . فمهما استنارت حيطان البيت بنور النار ، واظلم سقفه واسود بالدخان ، علمت أن سبب السواد غير سبب الاستنارة . وكذلك لانوار القلب وظلمته سببان مختلفان ، فسبب الخاطر الداعي الى الخير يسمى ملكا ، وسبب الخاطر الداعي الى الشر يسمى شيطانا ... »

ولا يهتم الإمام الغزالي مطلقا بماهية الشيطان ، وهل هو جسم لطيف أو ليس بجسم . ويرى أن الكلام في هذا اضاعة وقت ، وغير محتاج اليه في علم المعاملة ، والا كنا كمن دخلت في ثيابه حية ، وهو محتاج الى ازالتها ودفع ضررها ، فاشتغل بالبحث عن لونها وشكلها ، وطولها وعرضها. وذلك هو الجهل بعينه ! ... فالعبرة بمجاهدة الشيطان لا بمعرفة شكله وماهيته .

ويرى الغزالي أن مداخل الشيطان الى القلب وأبوابه العظيمة منها الغضب والشهوة ، والحسد والحرص، والشبع من الطعام ، لان الشبع يقوى الشهوات ، والشهوات اسلحة الشيطان ، وحب التزين من الاثاث والثياب والدار .. والطمع في الناس والعجلة وترك التثبت في الامور ، والدراهم والدنانير وسائر اصناف الاموال من العروض والدواب والعقار والبخل وخوف الفقر ، والتعصب للمذاهب والاهواء ، والحقد على الخصوم والنظر اليهم بعين الازدراء والاستحقار .

❋❋❋

وممن دخل ميدان التأليف عن « الشيطان » في أدبنا الحديث اثنان اولهما عبد الرحمن شكري بكتابه الذى سماه « حديث ابليس » . والذى يقول في مقدمته : « قد بدأ يكثر في آداب اللغة العربية البحث النفسي والتساؤل والتفكير والتعبير عن حركات النفس وبواعثها . ولكن كل ذلك لم يزل بعد نظرة لا نعرف ان كان وراءها سيل أتى . وهذا الكتاب فيه شيء كثير من البحث النفسي والتساؤل والشك والسخر الذى هو محرك يحرك النفوس ويوقظها . فهو يعبر عن تلك الدنيا التى في كل نفس . ففي فصل نصيحة ابليس مثلا ترى تحت السخر المودع في هذا الباب ما ارمي اليه من معايب النفوس الجامدة القبيحة التى تشبه مباول الطرق، وقد جعلت ابليس ينصح بما ينبغي الانتهاء عنه)

اما ثانيهما فهو عباس محمود العقاد الذى أسهم في الموضوع بكتابه : « ابليس » الذى صدر في كتاب « الهلال » . والذى يقول في مقدمته : (... فقد كانت معرفة الشيطان فاتحة التمييز بين الخير والشر . ولم يكن بين الخير والشر من تمييز قبل أن يعرف الشيطان بصفاته وأعماله وضروب قدرته ، وخفايا مقاصده ونياته) ...

وقد كان أحرى الظن أن تلتقى الاراء

على رأى واحد فى الشيطان - أو ابليس - لانتعداه الى نقيضه. ولعل اختلاف الرأى فى الشيطان يدل على ان الاجماع فى الدنيا لم ينعقد لاحد فعلى الرغم مما هجى به ابليس ولعن به على كل لسان نرى هنـاك من يمدحه ويفضله على آدم . كالشاعر بشار بن برد الذى اثر عنه قوله :

ابليس افضـــل من ابيكم آدم
فتبينـــوا يا معشر الاشرار
النار عنصره ، وآدم طينـــة
والطين لا يسمو سمـو النار

وسواء قال بشار بن برد ذلك على طريق التطرف او طريق الحقيقـــة والمعتقـد ، فانه كان يعبر عن رأى جماعة لا يزالون من قديم يفضلـون عنصر النار على عنصر الطين .

وعلى الرغم من شعر بشار الذى يمدح به أبليس ، فقد سبقه الشاعر الاموى الفرزدق بأبيات قاسية يهجـو بها ابليس ابا الشياطين وفيها يقول :

الا طالما قد بات يوضـــع ناقتى
ابو الجن ابليس بغير خطـــام
يظل يمنينى على الرحل داركـــا
يكون ورائى مرة وامـــــامى
يبشرنى ان لن امـــوت ، وانه
سيخلدنى فى جنة وســــلام
فقلت له : هلا اخيك اخـــرجت
يمينك من خضر البحـــور طوامى
رميت به فى اليم لما رأيتــــه
كفرقة طودى يذبل وشـــمام
فلما تلاقى فوقه الموج طاميـــا
نكصت ، ولم تحتـــل له بمرام
وآدم قد اخرجته وهو ســــاكن
وزوجته فى خير دار مقـــام
واقسمت يا أبليس انك ناصـــح
له ولها اقسام غيــــر آثام
فظلا يخيطان الوراق عليهمـــا
بأيديهما من أكل شر طعــــام
وكم من قرون قد اطاعوك اصبحوا
أحاديث ، كانوا فى ظلال غمـــام
وما انت يا ابليس بالمرء ابتـــغى
رضاه ولا يقتادنى بزمـــــام

ساجزيك من سوءات ما كنت سقتنى
اليه جروحا فيك ذات كــــلام
تعيرها فى النار .. والنار تلتقى
عليك بزقوم لهــــــا ، وضرام

***

ولعلنا لا يغيب عنا قبح منظـــر الشيطان بالحكاية التى يرويها الجاحظ عن نفسه حيث يقول : أخجلتنى امرأة اتتنى وانا على باب دارى ، فقالت : لى اليك حاجة ، وأريد أن تمشى معى . فقمت معها الى أن اتت بى الى صائغ يهودى . فقالت له : مثل هـــذا ! وانصرفت. فسألت الصائغ عن قولها، فقال : انها اتت الى بفص ، وامرتنى أن انقش لها عليه صورة شـيطان فقلت لها : يا ستى ! ما رأيت الشيطان .. فأتت بك !

واذا كانت هذه الصورة تمثل لنا قبح الشيطان بما نعرفه من قبح خلقة الجاحظ وجحوظ عينيه ، فان الشاعر الفارسى السعدى الشيرازى يصـــف الشيطان بالجمال فى قوله : (رأيت الشيطان فى حلم . فياعجبا لما رأيت! رأيته على غير ما وصمت من صورته الشنعاء التى تخيف من ينظر اليها . قامة كفرع البانة . عينـــان كأعين الحور . طلعة كأنهــــا تضىء بأشعة النعيم . فاربته وسألت : أحق انت الشيطان المريد ؟ أحق ذاك ولا أرى ملكا له جمال محياك ؟ ولا عين قد نظرت الى شبيه سيماك ؟)

ويرد الشيطان على الشاعر معللا تقبيح الناس لصـــورته بأنه سلبهم السماء فسلبوه الجمال ...

***

ويصادفنا الشيطان من قديم فى شعر بعض شعرائنا هنا ، وهناك . وهو لقاء فى جملته يؤكد لنا سىء رأى الانسان فى الشيطان . فالامام البوصيرى لا يفوته فى البردة - وهو يوطىء لمدح النبى عليه الصلاة والسلام - أن ينصح الانسان بمخالفة النفس

الشيطان في الأدب العربي

ومخالفة الشيطان وعصيانهما حتى ولو ابديا النصيحة خالصة ، حيث يقول :

وخالف النفس والشيطان واعصهما
وان هما محضاك النصح فاتهم
ولا تطع منهما خصما ولا حكما
فانت تعرف كيد الخصم والحكم

ويسيء الشاعر جميل صدقي الزهاوي الظن بالانسان الذي يخدع انسانا لغايته ، فيجعله هو الشيطان بعينه حيث يقول :

لا يخدع المرء انسانا لغايته
الا اذا كان ذاك المرء شيطانا

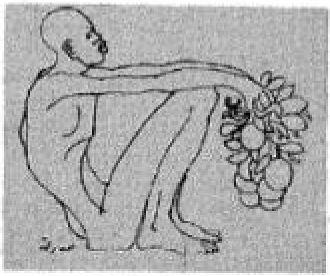
وهذا البيت هو من مقطوعة صغيرة في الخير والشر يقول فيها :

الخير ان يستقر الناس اخوانا
والشر أن يهضم الانسان انسانا
اني لاحزن حزنا لا يفارقني
اذا رايت من استامنت قد خانا

وقد أساء بعض شعراء العرب المعاصرين والمحدثين الظن بالانسان ، فجعلوه بعينه الشيطان ، بل بالغ بعضهم فجعل الشيطان أقل شرا ، واسلم عاقبة من بني آدم . وهي نظرة جديدة الى الانسان لم تكن في خاطر الشاعر القديم ، ولعلها من اثر التاثر بالغربيين في فكرتهم نحو هذا المخلوق الذي كرمه الله . ومن عجب اننا نجد هذه النظرة المتشائمة للانسان عند شاعر عربي متصوف ، هو المرحوم الدكتور عبد الوهاب عزام الذي يقول في « مثانيه » من ثنائية عنوانها : « ابليس يهجر الأرض » : ـ

قال ابليس : يا بني هلموا
نهجر الارض خيفة الانسان !
هو يصلي بناره ، وستصلي
بلقاه قبائل الشيطان ...

ولعل انسان الدكتور عبد الوهاب عزام هذا الذي تهجر الشياطين الارض مخافة منه واتقاء لشره هو بعينه انسان الشاعر المهجري فوزي المعلوف الذي صعد الى السماء فلما راته النسور فزعت منه ومن رؤيته ، والقى



نسر لاخر بمخاوفه على النحو الاتي :

قال نسر لاخر اي طير
هو هذا ؟
ومن رفاقه ؟
ان يكن قاتما الينا لخير
فلماذا
علا زعاقه ؟
يا له طائرا بصورة شيطا
ن يبث اللهيب بركان صدره !
اهو منا ؟ لا ، لا ، فلم أر
جبارا كهذا في الجو ما بين غيره

***

واذا كان الشيطان هو نموذج الفتنة والاغراء في جميع صورهما فانه في موقف الشهوات الجسدية الجامحة لا يدرك شاوه ، ولقد وفقت الشاعرة العراقية الدكتورة عاتكة الخزرجي في قصيدتها « مصرع الشيطان » حين صورت لنا الشيطان في محاولة لاغراء

انثى من ديوانها : « أنفاس السحر » .. وتجرى الفتنة الشيطانية على هذا النحو :

واغراه شيطانه بالـــلاك
وصورها فى خليع الصــور
وجردها ، فبدت كالصـــباح
ورفت رفيف الضحى والقمــر
ومثلهـا فى سرير الهــوى
كأن بها عاصفا من سـعـر
تلهب أعطافها شـــهوة
تليب الحديد ، وتورى الحجـر

وبعد محاولات عنيفة ، وإغراء شديد استطاعت الانثى الملك أن تتغلب على الشيطان ، وأن تصرعه :

فزايلها الوهم فى لحظـــة
تحدت بها ضحكات القـدر
والقت به وهى فى أوجهــا
تقول : الى حماة من سقر .. !

***

وإذا كانت فتاة الشاعرة عاتكة الخزرجى قد صرعت الشيطان ، فان أنثى الشاعر على محمود طه قد أبكت الشيطان فى قصيدته : « امرأة وشيطان » ، حين استهلت من عينيها دمعة رفت رشفت قطرتاها :

ضمنت كل عـــذاب وضنى
كل ما فى النفس من بث أساها
ورآها فتندت عينـــه
رحمة ، فالمحتال يخفى من بكاها
وبكى الشيطان : يا لامـــرأة
أبكت الشيطان لما أن رآهـــا

***

ولقد طال عهدنا بشياطين الشعر والاشارة اليهم منذ عصر الجاهلية وصدر الاسلام وشطر من العصر الاموى . فقد بطلت أو كادت بدعة افتخار الشاعر العربى بشيطان شعره، وأصبح الناس فى شغل بالشيطان الذى قال فيه الرسول عليه السلام : (ما منكم من أحد الا وله شيطان . قالوا : وأنت يا رسول الله ؟ ! قال : وأنا . الا ان الله أعاننى عليه فأسلم فلا يأمر الا بخير) .

لقد أصبح العرب منذ الاسلام فى شغل بهذا الشيطان القرين عن شيطان الشعر القديم الذى قال فيه الراجز :

انى وان كنت صغير السـن
وكـان فى العين نبو عنى
فان شيطانى أمير الجـن
يذهب بى فى الشعر كل فن ...

نعم ! اختفى شيطان الشعر من دواوين الشعراء منذ زمان بعيد . الى أن جاء فى زماننا هذا الشاعر العراقى أحمد الصافى النجفى . فاستأنف الحديث عن شيطان الشعر، بقوله من قصيدة بهذا العنوان :

شيطان شـــعرى قاتلى
لا عشت ان لم يقتـــل !
شيطان شعرى كل حيـــن فى جحيم مشعلى ...
هو ليس تصليه الجحيـــم ، أجل فانى المصطلى
هو للجحيم يجـــرنى بشـــباكه ، ويكيد لى ..
ويـــظل يدفعنى الى درك الجحيم الأســفل
حتى اذا فيهـــا هويت أراه يضحك من عـــل
ان غاب شيطانى عقلـــت ، وان بدا لم أعقل ...

ويظهر ان شيطان الشاعر احمد الصافى النجفى هذا طراز فريد بين شياطين الشعر عند القدامى والمحدثين .. فهو عنيد دائم العناد ، وهو مولع بمخالفة النقاد وقيادهم وعدم الانقياد لهم :

شيطان شعرى دأبه العنـــاد
يتعب فى تقويمه النقـــاد
يقودهم طرا ، ولا يقـــاد
كأنما له العنـــاد زاد ...

***

وشيطان الشعر الحديث هذا يبدو انه قد جاوز تخصصه القديم بالايحاء الشعرى وحده . ويظهر انه قد وسع

مجال اختصاصه في نظر الشاعر المهجري « شكرالله الجر » الذي يقول عنه من قصيدة بعنوان « صديقي ابليس » :

صديقي ابليس اديب معلم
فصيح أنيق البث لا يتلعثم
رقيق حواشي النفس عذب حديثه
يثقر طير الهم على لابسم
اذا ما اجتويت النظم يوما رأيته
يزين لي المعنى الجميل فانظم
ويلهمني ما ليس يلهم شاعرا
فتنهل اضواء ، وترقص انجم
يلازمني كيف اتجهت ... كأنه
لظلي ظل ، لا يحل ويأجم
فيالخدين ان زهوت : زها معي
وان القني حالة يتألم
اذا غازلت عيني الجمال رأيته
تراقص مزهوا ، وراح يتمتم ...

ونلاحظ هنا — لأول مرة — أن شيطان الشعر قد تغير أسمه عند شاعرنا شكر الله الجر الى اسم « ابليس » وهو الاسم القديم الاول للشيطان . وما عرفنا أن شعراء العرب في القديم سموا شياطين الشعر بالابالسة .. لقد كانوا يسمونهم « الجن » بالاضافة الى اسم الشيطان ولكنهم لم يجعلوا من « ابليس » علما عليهم ...

واذا كان الامام الغزالي قد جعل الحسد والحقد والطمع من مداخل الشيطان الكثيرة الى القلب ، فان الشاعر شكر الله الجر قد خص هذه الثلاثة وحدها التي تعيث في الارض فسادا وطغيانا ، وسماها « اولاد الشيطان » في قصيدة بهذا العنوان يقول فيها :

ثلاثة اولاد لابليس لم تزل
تعيث بهذا الكون شرا وطغيانا
فاولهم يدعونه « الحسد » الذي
يشيع الاذى في الناس زورا وبهتانا
وثانيهم « الحقد » الذي يحفز الورى
الى القتل والتدمير شيبا وشبانا
وثالثهم قالوا هو « الطمع » الذي
يؤجج حربا في الشعوب وعدوانا

***

ولقد شاء الشاعر المهجري شفيق المعلوف أن يقتحم على الشياطين واديهم المخيف في « عبقر » فنظم ملحمته « عبقر » التي يتحدث في قصائدها وأناشيدها عن كل ولد من ابناء ابليس أو بعض الشياطين . وهنا ايضا نجد الشاعر يصور الانسان بصورة الشيطان الذي تستفيد الشياطين من شره . ونلمح هذا في حديث العرافة التي تقول :

ويحك يا انسان
الق عصا سحره
ذعرت فينا الجان
نحن بالشيطان ،
من شره !

فالفكرة التي ابداها الشاعر الدكتور عبد الوهاب عزام من « شيطانية الانسان » هي بعينها فكرة الزهاوي ، وفوزي المعلوف ، وشفيق المعلوف .

***

ولقد أسهم العقاد في تناول الشعر العربي للشيطان بقصيدتين : احداهما قصيدة « ترجمة شيطان » التي نظمها في أواخر الحرب العالمية الاولى ، والتي نشرها في الجزء الثالث من ديوانه وقال عنها انها (قصة شيطان

الشيطان في الأدب العربي

ناشره منشم حياة الشياطين ، وتاب من صناعة الاغواء ، لهوان الناس عليه ، وتشابه الصالحين والطالحين منهم عنده · فقبل الله منه هذه التوبة وادخله الجنة ، وحله فيها بالحور العين والملائكة المقربين · غير أنه ما عتم أن سئم عيش النعيم ، وملّ العبادة والتسبيح ، وتطلع الى مقام الالهية ، لأنه لا يستطيع أن يرى الكمال الالهي ولا يطلبه ، ثم لا يستطيع أن يطلبه ويصبر على الحرمان منه ، فجهر بالعصيان في الجنة ، ومسخه الله حجرا ، فهو ما يبرح يفتن العقول بجمال التماثيل وآيات الفنون ··) ·

أما القصيدة الثانية للعقاد فهي « سباق الشياطين » ، وخلاصتها أن ابليس جعل لتلاميذه جائزة ينالها من يعرض أعماله ، ويثبت للملأ من الشياطين قدرته على احراز قصب السبق في الاضلال والاغراء · فانبرى سبعة من الشياطين يتنافسون عليها ، وهم شيطان الكبرياء ، وشيطان الحسد ، وشيطان اليأس ، وشيطان الندم ، وشيطان الحب ، وشيطان الكسل ، وشيطان الرياء · وقد ظفر بالجائزة شيطان الرياء ، ولكنه — تمشيا مع طبعه في المراءاة والنفاق — أظهر الزهد فيها ، وتنحى عن تناولها بعد أن اشترك في المنافسة عليها ·· مما جعل ابليس يخاطبه قائلا :

قـال تاباها ، ولولاك التجلي
فيهب الارض فكـانت كالنعيم
دونك الدنيـا اتخذها منزلا
وتول اليوم ابواب الجحيم !

ولقد كان في نية العقاد — منذ أن نشر في مجلة البيان سنة ١٩١٣ الفصل الاول من « مذكرات ابليس » أن يجعلها فصولا متتالية ، ويصدرها في كتاب واحد بالعنوان نفسه ، ويجعل كل فصل متخصصا بغواية من الغوايات التي يغري بها ابليس ، كالعشق الاثيم ، والسرقة ، والبغي ، والطمع ، وغيرها من ضلالات الشيطان · ولكنه لم ينجز الا الفصل الاول الخاص باغواء فتاة ، واودعه في كتابه « مراجعات في الآداب والفنون » بعد أن سبق نشره في مجلة البيان ·

وهكذا حرمنا طرافة هذه المذكرات

***

ولقد أسهمت القصة العربية المعاصرة في بيان دور الشيطان على مسرح الكون بما صنعه الاستاذ توفيق الحكيم في قصة « الشهيد » ويقصد به قصاصنا الكبير « الشيطان » الذي لا يجد مفرا من القيام بدوره المفروض عليه · وقد جعله توفيق الحكيم ضحية من ضحايا القضاء والقدر اللذين لا يملك أحد أن يردهما أو يدفعهما ··

على أن للشاعر الكويتي أحمد العدواني قصة عنوانها « الله والشيطان » كتبها في صدر شبابه · وفي هذه القصة الطويلة يتحدث البطل عن صباه قائلا : (وما يبعث والسعت مداركي ، لقنوني أن الشيطان كان في وقت ما من الملائكة وانه حين خلق الله آدم من الطين ، أمر الملائكة فسجدوا له الا ابليس عصى واستكبر ، فطرده الله من جنته ، وهو من ذلك الحين يحقد على آدم وذريته ، فبسببه خرج من زمرة الملائكة ، وطرد من الجنة ، واكب على وجهه يعيث في الارض شريدا منبوذا ، ملعونا بكل لسان · وبقدر الجلال الذي كان يحف بصورة الله المرتسمة في خيالي ، كان يحف بصورة الشيطان خليط من الرهبة والشر والاثم · ولعل ذلك كان علة شوقي الى رؤية وجهه ، بعد أن يئست من رؤية وجه الله سبحانه تعالى ·)

وهكذا كانت قضية الشيطان في الادب العربي ، منذ « جنة العفاريت واشعارها ولغتها » في « رسالة الغفران » لأبي العلاء المعري ، الى قصة الشيطان وقضيته في الادب العربي الحديث ···

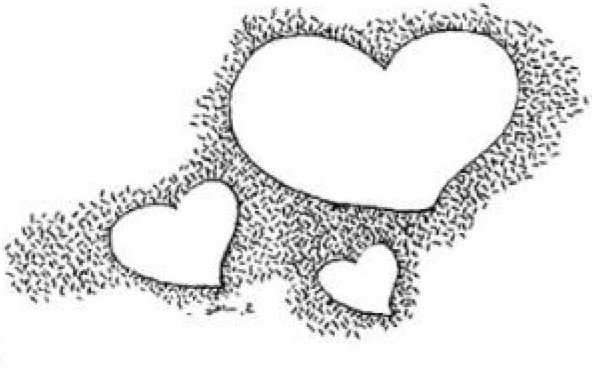
العوضى الوكيل

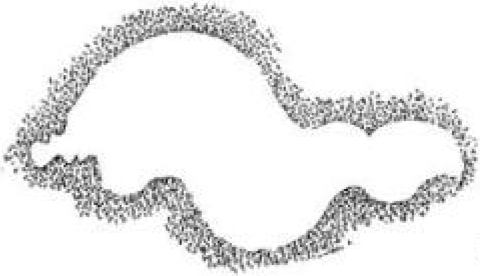
« هو نهر فى اساطير اليونان ، منبعه ومصبه فى خيالات الشعراء وأوهام الواهمين ـ اذا شرب المرء الحزين الاسوان منه جرعة واحدة ، انسته كل شيء ، وغمرته بالرضا والسكينة والطمانينة . »

نهر النسيان

أين الضِفافُ الحالماتُ والنهر
أجرعُ منه جَرْعَةً بين الزُمَرْ
ما هى إلاَّ جرعةٌ واحدةٌ
أنسى بها ما قدْ مضَى وما حَضَرْ
ما هى إلاَّ جرعة واحدةٌ
أو رشفة واحدة هي المفرْ
يا شاكى الدهر وباكي يَوْمِهِ
ودامع العينِ بهتّان المطر
فيارشفة واحدة وبعدها
أمْنٌ لحيران النهر ومستقر
يا أيها النجم الذي سهَّده
ما قد رآه من فواجِع البشر

ادْنُ من الشطين وارشفْ رشــــفة
واحدة تُنْسَى جفونَكَ السَّـــهرْ
يا نهرُ فِضْ بالمـــاءِ لا تبخـــلْ به
على الحزانى فهــو ثمّ زُمَـــرْ
وان توانتْ عن جَـــداك مُـزنة
فاسأل سواها ثم دعْـــه ينهمِـــرْ
أبيع نفسى فى ســـبيل شـــفة
حتى ولو كانت من المـــاء العكِرْ
أبيعُ نفسِى فى ســـبيلِ رشْـــفَةٍ
واشترى الراحـةِ من دهم الفـــكَرْ
يـــا ليتنى أبيــــع أمسى كلّـــه
واشـــترى الغـــد بَسِّام الغُـــرَرْ
واشترى الرّاحـة من سقمى ومِـــنْ
آلام أيامِى ومِـــن أمسٍ غَــــبَرْ
يا نهــرُ طوبى لك قـــد أسْـــعَدتنى
حتى ادّكـــرتُ ـ والهنـــاء مُدّكـــرْ





نهر النسيان

رُبَّ هَنَاءٍ لم أنلْهُ واقعاً
قد نلته حُلماً فهنّأني وسَرّ
ويا حزَانَى النّاس لا تستنزفوا ال
ماء ويكفى حَسْوَةُ الطّيرِ الخَدِرْ
فإنّ إخواناً لكم بحاجةٍ
لقطرةٍ منه إذا الحظّ انحدَرْ
رأيتُ حولَ النّهر أرضاً بلقعاً
ليسَ بها نبْتٌ ولا بها شجر
صامتةٌ صمتَ الحزانَى ، ما شدا
طير بها وإنما الصّمت صَفَرْ
فقلتُ قومى فارشفى فرشفت
من جارها طول العشايا والبكرْ
فامتلأت عشباً وروضاً وجنَى
وغرّدَ الطّيرُ ولألأ الثّمرْ
واهتزّ كلُّ ميّتٍ في ساحها
حتى الثرى ، حتى الحصا ، حتى الحَجَرْ

هدية العدد



صورة عزيز أباظة

● ولد في ٣ أغسطس سنة ١٨٩٨ في قرية الربعماية مركز منيا القمح

● جاء الى القاهرة فأقام مع أعمامه في منزل كبير بحي الناصرية، وتخرج في مدرسة الحقوق سنة١٩٢٣

● اتيح له منذ نعومة أظفاره أن يعرف العديد من الكتاب والشعراء والمفكرين من أصدقاء أعمامه ، من أمثال محمد السباعي ، والشيخ عبد العزيز البشرى ، وحافظ ابراهيم · وتعرف بشوقي ، في شبابه ، وكان شوقي ينقد ما يكتب ، ويعتبره خليفة له ·

● عمل بالمحاماة بعد تخرجه في كلية الحقوق ، ثم التحق بالنيابة العمومية سنة ١٩٢٥ ونقل في طنطا حتى سنة ١٩٢٨ وكيلا لنيابتها ، ثم نقل الى ميت غمر ورشح نفسه للانتخابات ففاز بعضوية مجلس النواب ···

● كان عزيز اباظة يمثل القمة الثانية بعد شوقي ، في تأليف المسرحية الشعرية في الأدب العربي الحديث ، وقد أصدر عشر مسرحيات شعرية تناول فيها موضوعات مختلفة استمد بعضها من التاريخ العربي الاموي أو العباسي أو الأندلسي أو عصر المماليك ، واستمد البعض الآخر من الحياة الاجتماعية المصرية والبعض من التاريخ الروماني المصري

● حافظ على المستوى الرفيع للغة العربية في كل ما كتب ، وكانت له قدرة فائقة وقاموس لغوى واسع عريض يستغله في شعره الغنائي والتمثيلي وفي كتاباته النثرية ·

● سيظل الادب العربي المعاصر كله مدينا لعزيز أباظة بأنه أحد الذين أرسوا مكانة الأديب وجعلوا الابداع جاها وشرفا يوفر للأديب من الكبرياء واحترام الآخرين ما لا يوفره كل مال الأرض ·

● ظل الى ما بعد السبعين يضيف ويبدع فنونا من الشعر والأدب ويدعم روابط الصداقة حتى مع هؤلاء الذين يختلفون معه في أسلوب الحياة والفن وفي الفكر ·

● من رأيه أن الشعر الحديث عبث وليس فنا على الاطلاق ·

● كان مثله الاعلى شوقي، واعظم الشعراء عنده البحترى وشكسبير ·

● كان عضوا بمجمع اللغة العربية والمجلس الأعلى للفنون والآداب ، وحصل على جائزة الدولة التقديرية للفنون ·

● كان آخر ديوان له « اشراقات من السيرة الذكية » وله ديوانان تحت الطبع الاول « تأملات » والثاني ديوان عاطفي يصدر بعنوان «مصابيح قلب»

الشيطان

حوار مع علماء الفكر الإسلامي



الشيخ محمد ابو زهرة
فقيد الاسلام والعروبة

كلمة شيطان هي لفظ عبري الاصل، ومعناه لغة العدو، ويدل في اليهودية والمسيحية والاسلام على مبعث الشر ممثلا في شخص بذاته، وكان في الاصل ملاكا تمرد فسقطت منزلته واصبح من اهل النار، له سلطانه في جهنم ويأتمر بأوامره عدة من صغار الشياطين.

والشيطان مثل كل كائن لا يستطيع ان يفعل شيئا الا بإذن الله، ولا تذكر قدرته في شيء بالنسبة للقدرة الالهية.

آخر حديث للإمام

أبي زهرة

وجود الشيطان اختبار لإرادة الإنسان

وعن علاقة الشيطان بالقضاء والقدر .. التقيت بفضيلة الاستاذ محمد ابو زهرة ـ رحمه الله ـ وكان آخر حديث يدلي به في حياته بمنزله بالزيتون يوم الاحتفال بذكرى رسول البشرية محمد عليه الصلاة والسلام .

قال رحمه الله : ليس للشيطان سلطان على القضاء والقدر الا عند بعض المجوس الذين يقولون باله الخير واله الشر . أما في الاسلام فالقضاء والقدر لله سبحانه وتعالى فاذا اراد الله بعبد خيراً وفقه للخير اذا كان قد سلك سبيل الخير ، واتجه اليه ، فان الله يوصله الى غايته . فاذا سلك سبيل الشر وسيطر عليه الشيطان فان الله يسهل له السبيل الى ما يريد ويكتبه في الاشرار . ولذلك جاء النص القرآني « يهدي الله من يشاء ويضل من يشاء » ، وهدايته أن يوفقه الى غايته في الهداية واضلاله أن يوجهه الى الغاية في ضلاله . وان قضاء الله وقدره ثابت في كل افعال الانسان ومن قدره وقضائه أن يكتب الله الغواية على بعض الناس على المعنى الذي ذكرناه . كما ان من قضائه وقدره أن يمكن انساناً من الهداية على نحو ما بينا .

والقضاء والقدر يجب الايمان بهما . فقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم : « كل شيء بقضاء وقدر حتى العجز والكيس » .

وسألت العالم الجليل: هل يجب ان يقر علماء النفس بوجود الشيطان ؟

● انهم يجب أن يقروا ولو خبروا انفسهم وخبروا الناس لوجدوا أن من الناس من يقصدون الى الشر، ويريدونه وينتهون الى غايتهم منه فيخذلهم الله . ومن الناس من يكونون على عكس ذلك فيريدون الخير ويحققونه ، ولو حاولت أن تدفعهم الى الشر ما استطعت الى ذلك سبيلاً

ولا شك أن ذلك بدافع نفسي في الخير والشر معا . فلماذا لا نقول ان حال الاندفاع نحو الشر من عمل الشيطان ، انه فرض لتعليل حقيقة ثابتة نقر جميعا باننا خاضعون لها بحكم الطبيعة ، وناموس الوجود ، فمن ينكر الشيطان فهو ينكر نفسه ، ومن يعتقد بوجود الشيطان فهو يزكي نفسه ، وان الذين ينكرون وجود الشياطين هم من عبدة الشياطين ، فلا ينكر هذه الحقيقة الا الذين يجترعون الآثام اجتراعاً ، ويعبون منها عبا يحسبونه مباحا فهم اخوان الشياطين .

الشيطان

وبالحرف الواحد قال الصوفي الزاهد هات ما عندك من اسئلة حول الشيطان اللعين فقلت هل لي أن أسال لم خلق الله الشيطان ؟

● هذا السؤال بالذات يمكننا أن نجيب عنه من القرآن ، لقد خلق الله الانسان وجعله خليفة فى الارض وعلمه الاسماء كلها ، ولم يعلم الملائكة ، فطلب اليهم أن يسجدوا له الا ابليس أبى واستكبر وكان من الكافرين ، واتجه الى الوسوسة لادم وزوجه وهما فى الجنة فعصى ادم ربه فضل وغوى ، فانزلهما الله الى الارض وقال : « اهبطوا جميعا بعضكم لبعض عدو » فكان خلق الشيطان اختبارا للانسان ، ونصب الشيطان نفسه عدوا لبنى ادم وقال لربه « لاغوينهم أجمعين الا عبادك منهم المخلصين » . فكان وجود الشيطان اختبارا لارادة الانسان ، وبهذا الاختبار تتكون الارادة الطيبة للانسان فيثاب ويتبين الخضوع لهوى الشيطان فيعاقب .

وهذا الوجود الانسانى فى هذه الارض معركة مستمرة بين الشيطان فى وسوسته والانسان فى ارادته ، وبذلك يكون الجزاء والثواب كما يكون الحساب والعقاب وكل ميسر لما خلق له .

د. عبد الحليم محمود

طاووس العباد كيف عصى ربه ؟

● كيف طرد الشيطان من رضوان ربه ، وماهى قصة طرده ؟

— يجيب فضيلة الامام الاكبر الدكتور عبدالحليم محمود شيخ الازهر قائلا :

« واذ قال ربك للملائكة : انى خالق بشرا من صلصال من حما مسنون ، فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين »

بهذا النبا حدث الله الملائكة عن عالم جديد من عوالمه سيبرئه سبحانه ، وأمر الملائكة أن يسجدوا له ... **« فسجد الملائكة كلهم أجمعون »** . لم يشذ منهم أحد وكان من بينهم — مختلطا بهم ابليس — وهو كائن يختلف عن الملائكة ، وعن الانسان انه من فصيلة الجن . وكان يعبد الله مع الملائكة ويسبح معهم حتى كان يلقب « بطاووس العباد » لكثرة عبادته وتفانيه فى العبادة . ولكنه لما سمع الامر الالهى بالسجود لم يسجد ، لقد أبى ، والاباء شد



د. عبد الحليم محمود

السجود واستكبر والاستكبار ينافي الخضوع .

ويتحدث القرآن عن ذلك فيصراحة فيقول : « الا ابليس أبى أن يكون مع الساجدين » ويقول سبحانه أيضا : « الا ابليس أبى واستكبر وكان من الكافرين » .

هذه قصة معروفة ، نمر عليها فلا نكاد نعيرها التفاتا ، بيد انها جديرة بالتأمل والاعتبار .

والقضايا التي نريد ان نذكرها عظة واعتبارا ، وهي في الوقت نفسه ذات دلالة عميقة هي ما يلي:

١ ــ لقد صدر أمر الهي بالسجود فاستجابت له طائفة ، فنعموا برضوان الله وشذ فرد فطرد من رحمته سبحانه .

٢ ــ انه طرد لأنه لم يستجب للأمر الالهي مع علمه بأنه أمر الهي

٣ ــ وكان عدم استجابته ناشئا عن كبرياء نفسه ، وعن تمرد فطرته

٤ ــ لم تلغ عبادته كبرياءه فهي اذن لم تكن خضوعا لأنها لو كانت خضوعا لنفت الكبرياء وأزالته ، فهي اذن لم تكن عبادة بالمعنى الصحيح ، لأن العبادة والكبرياء لا يجتمعان .

٥ ــ هذه الكبرياء : كما تمثل في مخالفة الامر الالهي ، تمثل في المحاولة التي أراد هذا المتمرد أن يبرر بها موقفه ، مستنجدا بمنطقه وعقله قائلا : « أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين » ..

ولم يكن هذا الا منطق الهوى ومنطق الكبرياء ، فسجوده لآدم ، ليس عبادة له وانما هو عبادة لله ، لأنه خضوع لأمر الله وحسب .

٦ ــ والموقف السليم اذن هو ما يرشد اليه روح القصة ، بل وتعبيرها من انه عند الامر الالهي : يجب أن تكون الاستجابة فورية : هذا هو ما ترشد اليه في صراحة كلمة « اذ » في قوله تعالى : « ما منعك أن تسجد اذ أمرتك » .

ومن الطبيعي أن تكون هذه الفورية في كل أمر بما يناسب وضعه الزماني والمكاني .

٧ ــ والقضية الاخيرة التي نختم بها هذه القضايا ، أو هذه المفاهيم المستنتجة من القصة هي أن الله اذا كان قد أمر الملائكة والجن بالسجود للانسان الاول فليس معنى ذلك الا التصريح الصريح ، بأن طبيعة هذا الانسان فيها الاستعداد الكافي للرقي في مدارج السمو الروحي درجة فدرجة ، حتى تسمو على الملائكة والجن . ولا معنى اذن بعد هذا الامر الالهي للملائكة والجن بالسجود للانسان ، أن يختلف علماء الاسلام في المفاضلة بين الانسان والملك . ذلك أن الفيوضات الالهية على الانسان لا تنتهي الى أحد : « ما وسعني أرضي ولا سمائي ولكن وسعني قلب عبدي المؤمن » .

فباب الفيوضات الالهية اذن مفتوح على مصراعيه ، والقرب من

الله ميسور . وإذا ما سجد الإنسان لله رفعه اليه .و قربه منه ، وغمره برضوانه .

أما المبدأ الهام الذى نريد أن يجعله كل مؤمن نصب عينيه ، فهو أن الايمان ليس معرفة وحسب : ذلك أن ابليس كان يعلم علما يقينيا أن الله موجود وقد علم فيما بعد أنه ارسل نوحا وابراهيم ، ومحمدا عليهم الصلاة والسلام .

انه يصدق بأن لا اله الا الله ، ويصدق بأن عيسى وموسى ومحمدا وبقية الانبياء رسل الله ومعرفته بهذه المسائل هى من القوة والثبات بحيث تزيد على معرفة كثير من المؤمنين ولكنه مع ذلك مطرود من رحمة الله ذلك ان الايمان ليس معرفة فحسب وانما هو خشوع ، واستجابة : انه سجود ، فاذا لم يأت السجود فلا ايمان ..

د. عبدالعليم منتصر

لا أريد أن أظلمه فيوقعنى فى شر أعمالى!

هل يمكن قبول وجود الشيطان علميا ؟ :

يجيب الدكتور عبد العليم منتصر عن هذا السؤال بقوله :

اعترف باديء ذى بدء انى اتهيب الشيطان ، لأن معرفتى به محدودة ، ولانى لا أريد أن أغضبه ، حتى لا يتحدانى ، فيوقعنى فى شر أعمالى . الا اننى كمسلم ، مؤمن اعترف بوجوده ، فقد قال بذلك القرآن الكريم ، والاحاديث النبوية الشريفة وتواتر ذكره وأوصاله وأفعاله فى كتب التفسير والحديث والفقه ، مما لا يدع مجالا للشك فى وجوده .

بيد أن علومنا الطبيعية ، سواء كانت بحته كالكيمياء والطبيعة والفلك والرياضيات والجيولجيا والنبات والحيوان ، أو تطبيقية كالطب والصيدلة والزراعة والهندسة والبيطرة . انها جميعا تعتمد على المشاهدة والتجربة والاختبار ، وما اظن ان عالما من هؤلاء المختصين فى هذه العلوم قد استطاع أن يخضع الشيطان للمشاهدة والتجربة . فلم يستطع العلم بعد ان يجرى عليه مشاهدة حسية ، لم يعرف له طولا ولا عرضا . لم يعرف له مادة حية ، او غير حية ، ولم يزنه بميزان ولم يره بمجهر ، ولم يلمسه بيد او يتذوقه بلسان أو يراه بعين ..

ان العلوم الطبيعية تعتمد على اجهزة وأدوات ، لا تكاد تقع تحت حصر ، وما اظنها استطاعت حتى الآن ان تحدد كينونة الشيطان كما حددت الذرة بما فيها من بروتون والكترون ونيترون ، وبوزيترون وغير ذلك ، وكما اظهرت الاشعات المختلفة الفا وبيتا وجاما اورونتجن اونيون الحمراء ، او كما اثبتت البكتريا والفيروس أو النواة ومابها من صفات وجنيات وما اليها ، كل ذلك وغيره كثير اثبته العلم بما لايدع مجالا للشك فى وجوده ، وجاء المجهر الالكترونى فى العصر الاخير ، فاذا هذه الكائنات أو الخلايا او الجسيمات واضحة لا لبس فيها ولا ابهام .



د. عبد الحليم منتصر

والشيطان الذى اتفقت الكتب السماوية على وجوده تقول المعاجم : الشيطان معروف ولعلها تريد هذا الذى تواتر ذكره فى القرآن الكريم بخاصة ، ثم تضيف والعاتى من الانسان والحيوان والدواب .

ولعلنا اقرب الى تفهم الشيطان بمعنى العاتى من الانسان والدواب والحيوان ، فهذه يمكن ان تخضع الى التجربة والمشاهدة والاختبار ، ومن الخير أن نعترف ان الله سبحانه وتعالى الذى خلق النفس البشرية وميز الانسان على سائر مخلوقاته بالعقل والعلم ، ولذلك كان عليه التكليف ليميز بين الخير والشر ، وكانت فى النفس الانسانية صفات الخير من وفاء واخلاص وصدق وايثار ، كما ان فيها ايضا صفات الشر ، من حقد وطمع ، واثرة ، وانانية .. واراد الله للانسان ان يميز الخبيث من الطيب ، وان ترجح صفات الخير عنده صفات الشر ونسبت فعل الشر الى الشيطان ، وتاثر الانسان .

ولكن اى شيطان هذا الذى يبيح قتل الابرياء من الرجال والنساء والاطفال ، وأى شيطان هذا الذى يامر بالقاء القنابل الذرية على هيروشيما وناجازاكى ، فتقتل مئات الالوف من البشر دون ذنب اجترموه ، أو اثم فعلوه . اننا نعلم يقينا أن الذى أمر بالقاء هذه القنابل انما هو انسان مثلنا ، ومع ذلك فقد دمر مئات الالوف من البشر .

وهذا الذى اشعل نار الحرب مرة بعد مرة ، فاكتوت البشرية بنارها ، وقتل عشرات الملايين من بنى الانسان ، وتيتم الملايين من الاطفال ، وجرح وقتل وشوه ملايين من الناس . أكاد أقول ان الشيطان نفسه برىء من هذه الاعمال التى تنسب اليه ، والتى تقول انه هو الذى زينها لهؤلاء واولئك ، لعله رمز الى ما فى النفس البشرية من صفات الشر واللوم والغدر والفتك ، فتزين لضعاف النفوس ارتكاب هذه الاثام .

هذا الشيطان الذى يوسوس للنفس الامارة بالسوء ، فتقتل بريئا ، او تسرق مالا ، او تخون امانة او ترتكب المحرمات والاثام والموبقات .

هذا الشيطان الذى يزين للنفس الضعيفة فتتجسس على الغير وتستعمل مستحدثات العلم ، فتسجل مالا ينبغى ان يسجل وتستمع الى ما لا ينبغى أن يسمع ، وتصور ما لا ينبغى أن يصور فتهدر حقوق الانسان وخصوصياته .

وهذه الاسلحة الفتاكة التى يبتكرها العلم كل يوم والتى يطورها العلم كل حين لتغدو اكثر فتكا واشد تدميرا من الذى يستعملها ؟ ، اليس الانسان ضد اخيه الانسان اليست هى النفس الامارة بالسوء .

اخشى ان اقول اننا نظلم الشيطان ونحمله الكثير من الاوزار التى نرتكبها ونحن فى كامل وعينا فنقتل ونسرق ، ونخون الامانة ، ونهدر القيم ، ونستبيح المحرمات ، ثم نعزو كل ذلك الى الشيطان ، واكاد اقول انه برىء وان الانسان قد اتخذ منه مشجبا يعلق عليه كل اثامه وشروره

● ع . م ●

د. فاطمه
موسى

الشيطان في المسرح الانجليزي

يرتبط الشيطان في الادب الانجليزي – مثله مثل فروع الآداب الاوربية – بصورته في الكتب السماوية ، وبقصة الخلق، خلق الكون والملائكة لم خلق آدم وحواء وطردهما من الجنة لغواية الشيطان لهما .

وتظهر الشياطين في التراث الشعبي المسيحي في العصور الوسطى وقد اتخذت اشكالا متطورة من الديانات الوثنية والفلكلور السابق على المسيحية ، فهي الربات السالفين في الميثلوجيا الرومانية والاغريقية (مخلوق نصفه الاعلى ادمى ونصفه الاسفل ماعز – مشقوق الحافر تعلو رأسه قرون حادة) .

ظلت هذه الصورة للشيطان ثابتة طوال العصور الوسطى وحتى عصر النهضة ، وتشهد بذلك مئات التماثيل والنقوش البارزة في الكنائس ، والكاتدرائيات في طول اوربا وعرضها وظهور الشيطان في الادب الانجليزي سابق على الادب المكتوب ، فهو يكون شخصية بارزة في دراما العصور الوسطى ، دينيا كنسيا ، ثم تطور الى مسرح شعبي من نوعين :

اولا – مسرح الاسرار (او دراما المعجزات) ويتخذ مادته من قصص الانجيل ، فيمثل قصص الخلق والانسان والانبياء كما وردت في العهدين القديم والجديد · منذ بدء الخليقة حتى يوم القيامة ..

ثانيا – المسرحية : الاخلاقية او قصة الانسان تقدمها فرق جوالة تحط رحالها في مكان فسيح على مشارف القرية او المدينة ، ثم تقيم « حلقة » للتمثيل تقوم داخل محيطها « منازل » ثابتة للشخصيات الرئيسية، من اهمها « منزل » او مقر الشيطان وهو هوة الجحيم ، وتقع الى اليسار في الجانب الغربي من « الحلقة » ، ثم منزل أو مصطبة مرتفعة تمثل الجنة مقر الإله والملائكة الابرار ، وتقع غالبا الى اليمين في الجانب



للشرقي من الحلقة .

وكان الموضوع السائد في ذلك النوع من الدراما هو الصراع بين قوى الخير من ناحية والشيطان وقوى الشر من ناحية اخرى للسيطرة على الانسان ، الشيطان يغويه أملا في جره الى هاوية الجحيم ، والملائكة وقوى الخير تعمل على انقاذه وخلاصه كي تصبح الجنة مثواه .

كانت الجنة والنار وغواية الشيطان ، والخطيئة وعذاب الجحيم وأمل الشهادة والخلاص ، كانت أفكاراً حية تمثل شغل الناس الشاغل ، وتظهر في التراث الشعبي من مسرح وقصص وأغان . وكانت الشياطين في رأى الغالبية واقعا يلمسون آثاره فيما يحيق بهم من شر ويتولى القسس والرهبان طردهم بالصلوات والادعية والماء المبارك .

●●●

اتسع انتشار المسرح الشعبي في انجلترا في القرنين الخامس عشر والسادس عشر ، ويروى المؤرخون أن بعض المسرحيات الاخلاقية كانت تقدم في القرى حتى منتصف القرن السابع عشر ، ومنها مسرحية عبد الله أو الريمان التي ما زالت أقسام الدراما في الجامعات تحييها في بعض المواسم حتى يومنا هذا ...

على ان رياح التجديد التي هبت على أوربا في القرن السادس نتيجة عصر النهضة ادخلت ثورة في الآداب الاوربية ، اذ فتحت لها كنوز التراث الادبي الكلاسيكي أي اليوناني والروماني .

وفي انجلترا شهد الربع الاخير من القرن السادس عشر نشأة المسرح الاليزابيثي الشهير ، وتبوأ الادب المسرحي مكان الصدارة في الحياة الادبية طوال نصف قرن تمثل قمة ازدهار المسرح الانجليزي حتى يومنا هذا .

وكان المسرح الاليزابيثي نتاج المسرح الشعبي الانجليزي بتقاليده المسيحية والمسرح الكلاسيكي المقتبس عن التراث الروماني بالذات ، فأضيفت الى حالة الشياطين في ضمير المتفرجين آلهة اليونان والرومان وأوثانهم ..

نقل المسرح الاليزابيثي عن تراث الرومان مفهوم الكوميديا والتراجيديا وقصص الاغريق والرومان وأساطيرهم ونقل الفكر النقدي والصور الشعرية ، ولكنه احتفظ بالارضية المسيحية لتكوين الشخصيات ، وبالصراع النفسي بين الخير والشر ، والانشغال الدائم بمعاني الخطيئة واللعنة وعذاب الجحيم من ناحية ، والامل في الغفران والخلاص ونعيم الجنة من ناحية أخرى .

اقيمت دور مبنية للتمثيل لاول مرة في مدينة لندن في ذلك الوقت ، وقد اختلفت عن حلقات التمثيل القديمة في العراء ، الا أن المسرح الاليزابيثي احتفظ بعنصر أساسي من عناصر المسرح الشعبي ، اذ احتفظ بمنزل

الشيطان في المسرح الانجليزي

ثابت للشيطان يمثل الجحيم ويقع تحت خشبة المسرح ، ويظهر الشيطان وأعوانه من باب مسحور أفقي في الخشبة ، واحتفظ بمنزل الآلهة والملائكة في « الاعالي » ، أي في أعلى التياترو حيث بكرة رافعة يتدلى بواسطتها الآلهة في المسرحيات ذات الخلفية الكلاسيكية ، والملائكة اذا كانت ذات طابع مسيحي .

●●●

ولعل اهم واشهر مسرحية فيهـا الشيطان مجسدا في تاريخ المسرح الانجليزي هي مأساة دكتور فاوستوس (حوالي سنة ١٥٩٠) ، الفهـا كريستوفر مارلو (١٥٦٤ – ١٥٩٣) وما زالت من عيون المسرح الشعري الانجليزي حتى يومنا هذا

اتخذ مارلو أساسا لمسرحيته الاسطورة الالمانية التي استخدمها الكاتب الالماني جوته بعده بقرنين من الزمان ، وهي قصة طالب العلم الذي يبلغ به شغفه بمزيد من العلم ، وحبه لمتاع الحياة الفتيا ان عقد صفقة مع الشيطان ، يحصل بمقتضاها على كل ما يطلب طوال أربعة وعشرين عاما ، يدفع في نهايتهـا الثمن فيقبض الشيطان روحه ، ويلقي به الى عذاب النار .

●●●

كان كريستوفر مارلو اديبا مثقفا درس الادب الكلاسيكي واللاهوت بجامعة كامبريدج ، وان غادر الجامعة قبل ان يحصل على شهادتها ومنصب قسيسا ، وقد عمل في خدمة الامراء ورجال الدولة ، وقتل في مشاجرة ولما يبلغ الثلاثين من عمره ، ويرجح الباحثون ان يكون لارائه ومناقشاته في شئون الدين والكنيسة دور في مقتله الغامض .

كان مارلو عبقريا في معالجته للمأساة الشعرية ، وتصويره لبطل جبار ، يمتاز على عامة الناس بقدرات ضخمة ، وقدرة على المعاناة والطموح والتجبر تجعلهم الى جانبه أقزاما ، وقد وجد في اسطورة دكتور فاوستوس بغيته في خلق مأساة من أروع مآسطر في الادب الانجليزي .

لم يخترع مارلو قصة فاوستوس وعلاقته بالشيطان ولكنه أضفى عليها من روح عصره ومن عبقرية خياله ما ميزها عما سبق من معالجة لهذه الاسطورة الشعبية .

يقدم الكورس في مفتتح المسرحية هذا البطل الجديد ، ويعتذر للمتفرجين عن وضاعة منشئه وتواضع مركزه ، فهو ليس بطلا محاربا ولا قائدا ، ولا أميرا ، ولكنه عالم درس في جامعة ويتنبرج ، وتفوق على اقرانه حتى ملأه الغرور ، وحلق في سموات المعرفة بأجنحة واهية من شمع ، وطرق أبواب العرافة واستحضار الارواح .

واقترن السحر في التراث الغربي دائما بالشر وبالشيطان والجحيم ، وارتبطت قدرات العلم على تغيير الكوميديا بالسحر والسيمياء فأضحت في نظر عامة الناس رجسا من عمل الشيطان ، وهكذا يقدم الكورس فاوستوس بين كتبه واوراقه وعليه منذ بداية الحدث مسحة شيطانية . ان البطل في مفترق الطرق : فقد بلغ غاية ما يمكن ان يبلغه العالم في فنون المعرفة المختلفة ، وعليه ان يختار طريقه في الحياة ، وهو يقلب النظر في هذه المعارف ، هل يكرس حياته للفلسفة ويعيش في

ظل ارسطو ولكن بأى هدف ؟ .. هل يمارس الطب ويكنز الذهب نتيجة براعته فيه ؟ لقد أثبت براعة فائقة وأصبح اسمه علماً على حسن العلاج وناجع الدواء ، ولكن هل غاية عمله صحة البدن ؟ هل يتفرغ لعلم اللاهوت ؟ .. انه يقلب كتب فى كل هذه الفروع ولا يجد فيها بعد ما يشفى غليله . ثم يتجه الى كتب العرافة ، نعم ....! أن طلاسمها ورموزها هى بغيته حقاً ، الا ما أبهجها دنياً من المكاسب واللذات تتفتح امام ناظريه ، والعالم بأسره يمكن أن يأتمر بأمره ، فالساحر البارع نصف اله يفوق الملوك والاباطرة بما يفرضه من سلطان ..

ويستخدم مارلو وسيلة درامية من مسرح العصور الوسطى ليصور الصراع فى نفس فاوستوس بين الخير والشر . اذ يظهر على المسرح ملاك وشيطان كل منهما يهمس فى أذن البطل محاولا ان يكسبه الى جانبه .

ان الملاك يهيب به ان الق عنك بهذا الكتاب الملعون ، ولا تتأمله فيغوى روحك ويجر عليك غضب الاله . اقرأ كلام الله واطرح عنك هذا الكفر ..

أما الشيطان أو ملاك الشر فيوسوس له ان تقدم يا فاوستوس فى هذا الفن العظيم لتملك كنوز الطبيعة كلها ، وتحكم عناصرها فى الارض كما يحكم الرب السموات .

ويميل البطل الى الشيطان ، فما أعظم أن يأتمر الجن بأمره ويحملوا عنه عبء مشاكله جميعاً ، سيبعث بهم الى اقاصى الارض ليحضروا له الذهب من الهند وفاخر در الشرق من اعماق المحيط ، وأطيب الثمار وأحلاها من العالم الجديد .

سيبنون له حول المانيا جدارا من نحاس يصد الغزاة ، ويحولون مجرى نهر الراين ليلتف حول ويتنبرج ويملأها بالخيرات ... سيكسو طلبة المدارس بالحرير ، وينفق الكنوز على جيش يطرد أمير بارما من البلاد . انه يدعو اليه سحرة المانيا وينبئهم بقراره ، فيهنئونه بما انتوى ... لقد اجتذب شباب المدينة الى محاضراته وجعلهم يهجرون رجال الدين ، ومنذ هذا اليوم سينضم الى زمرة المشاهير من الفلاسفة والعلماء والسحرة ، ان قدراته تؤهله لان يتبوأ مكانا عاليا فى عالم السحر والحكمة ، وسيذيع اسمه حتى يصبح واسع الشهرة ، يلجأ اليه الناس طالبين العون والمشورة .

ويكشف منظر آخر عن فاوستوس وهو يقرأ التعاويذ ويستحضر الشيطان فيدخل عليه ابليس (لوسيفر) وفى معيته شياطين اربعة ..ان فاوستوس ينادى ابليس بأسمائه الشائعة كلها (لوسيفر ، وبيلزباب ، وأمير الشرق وأمير الظلام ، وملك النار فى سقر) يقرأ البطل تعويذة باللاتينية ويدعو اليه الشيطان مفيستوفول فاذا ظهر امامه على شكل تنين صرفه وأمره أن يعود اليه فى صورة راهب من الفرنسيسكان ، واذ ينصاع الشيطان الى أمره يمتلىء زهوا بما أوتى من سلطان : « هنيئا يافاوستوس ! .. انك أمير السحرة بلا منازع ما دام مفيستوفول يأتمر بأمرك ! »

ويمثل الحوار بين فاوستوس والشيطان مفيستوفول أروع أجزاء المسرحية. ان فاوستوس يأمره أن يقوم بخدمته ولكن الشيطان يخبره انه خادم ابليس (لوسيفر) ولا يمكن أن يخدمه الا بأمر منه .

ويسأل فاوستوس عمن لوسيفر هذا؟

ـ انه كبير الشياطين وقائدهم !

ـ الم يكن يوما من الملائكة ؟

ـ بلى يافاوستوس . وكان عزيزا على الله

ـ كيف أصبح أمير الشياطين اذن؟

ـ آه ... بالكبرياء والصلف والطموح الوقح ! .. فطرده الله من وجه الجنة .

ـ ومن معيته ؟ ..

ـ اننا معشر الارواح التعسـة سقطنا سقطة ابليس وتآمرنا معه .. وحلت علينا اللعنة الى الابد .

ـ اين تحل عليكم اللعنة ؟

ـ في الجحيم !

ـ كيف اذن خرجت من الجحيم ؟

ـ انا هنا في الجحيم لم اخرج .. اتظن ان من رأى وجه ربك ذي الجلال يوما ، وذاق نعيم السموات لا يصلى نار العذاب ليل نهار بعد ان حرم هذا النعيم الابدي ؟ آه .. دعك من هذه الاسئلة يا فاوستوس ولا تهيج اشجاني

ويسخر البطل من ضعف الشيطان، ويدعوه أن يتخذ منه مثالا يحتذى في الشجاعة ثم يحمله رسالة الى ابليس:

« ان فاوستوس يسلم روحه لابليس مقابل فسحة من العمر تمتد اربعـة وعشرين عاما ، يغترف فيها من الملذات ويقوم مفيستوفول على خدمته ، يقتل أعداءه ويعاون اصدقاءه ، ويأتمـر بامره في كل صغيرة وكبيرة .. »

وهنا يقول البطل كلمته الشهيرة ، معبرا بها عن غرور ابن آدم منـذ الازل :

« لو ان لي بدل الروح الواحد ملايين الارواح بعدد نجوم السماء لدفعتها جميعا لقاء خدمات مفيستوفول .

« سأصبح اقوى اباطرة الارض ، وابنى جسرا في الهواء يعبر المحيط، وبحفنة من الرجال اربط جبال افريقيا بتلال اسبانيا واخضعها جميعا لحكمي لن يعيش الامبـراطور (امبراطور الدولة الرومانية المقدسة) الا باذني وسيأتمر حكام المانيا جميعا بامرى ! »

وتبلغ الدراما ذروتها في منظـر توقيع الصك او الوثيقـة التي يهب فاوستوس بمقتضاها روحه للشيطان .

ان البطل يجلس بين كتبه في انتظار عودة رسول الشـيطان ، تتنازعه الافكار الطيبة والوساوس الخبيثة .. انه ماض في غيه ، يأنف من التردد والنكوص على عقبيـه ، ويهتف « ما الفائدة ؟ .. لا بد من اليأس من رحمة الله . ضع ثقتك في ابليس واثبت ولا تتردد ... ان صوتا يهتف في اذني ان عـد الى الله ! ولكنه لا يحبني » .

ويظهر المـلاك يدعوه الى التوبة والتكفير عن ذنوبه ، ولكن ملك الشر يسخر من كل هذا ويصيح : أوهام رؤى الجانين ! لا خير فيها ولا نفع !

ويهتف الملاك : يافاوستوس العزيز فكر في الجنة ومافيها ، فيرد الشيطان بل اذكر الشرف والمال خير وابقى !

ويتخذ فاوستوس قراره اذ تؤذن الساعة بانتصاف الليل . الى .. الى .. يا مفيستوفول !

ان الشيطان يفرض شروطه وعلى البطل ان يكتب صك التنازل عن روحه ويوقعه بدمه . ويسأل البطل متعجبا

ـ ماذا يجنى ابليس من حصـاد هذه الارواح ؟

ـ انه يوسع مملكته

ـ ألهذا يزرع الغواية في طريقنا ؟

ويرد الشيطان بجملة لاتينية شهيرة:

ـ الصحبة في العذاب تورث بعض العزاء !

ـ وهل تشعرون بالالم وانتم زبانية العذاب ؟

ـ ان الما لاشد واقسى من الام الانسان !

ويجرح البطل ذراعه ليتخذ من دمه مدادا للصك اللعون . ولكن الـدم يتجلط ويرفض ان يسـيل فيحضر الشيطان جمرات مشتعلة ليسيل الدم المتجلط ... ان لسع الجمرات يذكر المتفرجين بعذاب النار الذي ينتظـر

الشيطان في المسرح الانجليزي



فاوستوس في نهاية المطاف . ولكنه اضحى شيطانا من الشياطين بينه وبين النار سبب ...

ويكتب فاوستوس الصك بدمه، واذا بالدم على ذراعه يكتب حروفا من تلقاء نفسه يقرؤها البطل فيفزع في اول الامر « اهرب يابن آدم ! »

ولكن اين المفر ؟ .. أيفر الى السماء فيطرده الاله ؟ كلا ليست الكلمات الا وهما ، بل هي حقيقة ، ولكنه لن يهرب، فالشيطان يأتيه بافخر الثياب والتيجان المرصعة بالجواهر ، ويأمر اتباعه فيرقصون امامه تحية له ، فيبتهج ويسلم الصك الى الشيطان بعد ان يقرأه شفاها ، ويلقى الرعب في جمهور المتفرجين :

« انا جون فاوستوس الاستاذ بجامعة ويتنبرج أهب جسدي وروحي للشيطان مقابل الشروط السابقة (شروط اربعة تنص على ان يبقى مفستوفول في بيته متخفيا ويظهر امامه بأي شكل يأمره به) فاذا انتهت السنوات الاربع والعشرون ولم يخلا بالشروط السابقة فلهما ان يحملا المذكور اعلاه جسدا وروحا الى مقرهما او اينما ارادا .. »

ان الشيطان يلقي بكنوز الارض تحت قدمي فاوستوس ، ولكن اول ما يهتم به البطل كنوز المعرفة ، فهو يطلب الكتب ، بعد ان يطلب المرأة ، والشيطان يمنحه كل ما يريد :

خذ هذا الكتاب وتمعن قراءته ، ان ترديد هذه السطور يأتيك بالذهب ، ورسم هذه الدائرة على الارض يحدث الرعد .. ويأتي بالرياح والاعاصير اما هذه التعويذة فقراءتها بخشوع ثلاث مرات تخضع لك الرجال اينما كانوا

وخلال فصول المسرحية الخمسة يبر الشيطان بوعده ولا يرفض لفاوستوس طلبا ، يناقشه في جميع المعارف فاذا انصت يوما لهمس ملاك الخير وفكر في الجنة والله ، أو هتف باسم المسيح في كربته ، ظهر له ابليس نفسه بكل بشاعته ومعه اعتى زبانيته ، فأدبوه على تردده واطلقوا عليه الخطايا السبع لتحاوره ، حتى يعود الى حظيرة الشيطان راضيا .

ويسعى مفستوفولا الى ارضاء شغف البطل بالمعرفة فيحمله الى قمة جبل الاولب ليرقب النجوم والكواكب ولكن هذا الارتفاع لا يكفيه فيحمله عاليا بينها كي يدرسها ويفهم مسارها ثم يحمله الى بلدان اوربا واحدة واحدة حتى يستقر بهما المطاف في روما مدينة الحضارة القديمة والابهة ومقر البابا والكرادلة .

ان فاوستوس يطلب العلم المحرم على الانسان ويطلب من المتعة اعجبها وأبعدها عن متناول الانسان العادي، اذا اتخذ له حبيبة فكر في أجمل نساء التاريخ والاساطير هيلينا اميرة طروادة تلك الملكة الاغريقية التي تغنت بجمالها الملاحم ، والتي عشقها باريس امير طروادة فاغراها وفر بها من بلادها اليونان ، فقامت بسببها حرب طروادة التي طالت عشر سنوات هلك فيها من الجانبين كثيرون ثم انتهت بتدمير طروادة

الشيطان في المسرح الانجليزي

ودكها دكا .

ويهتف فاوستوس اذ يقع في غرامها : الصفحة وجهك هذه خرجت ألوف السفن ؟ .. واحترقت ابراج طروادة التي تناطح عنان السماء ؟ ياهيلين الحلوة !.. امنحيني الخلود بقبلة .

تعم هنا الجنة .. وعلى هذه الشفاه مسكني الى الابد !

وليست هي هيلين التي يعانقها وانما شيطانة تغوى الرجال ، وتحول بينه وبين اخر فرصة له للخلاص .. ان الملائكة تبعث له بعجوز يسعى الى اصلاحه ولكن عشقه لهيلين ، وللاسطورة القديمة وغرامه بأدب اليونان يسد طريقه في النهاية .

وفي الفصل الاخير تحل الساعة الرهيبة ، ساعة وفاء البطل بدينه للشيطان ، ويجمع ابليس أعوانه ليسدوا على البطل أى طريق للخلاص

ويظهر فاوستوس بين رجال العلم وهو ينعى حظه ويتلفت حوله خوفا من الشيطان واذ يدعوه احدهم أن يطلب الرحمة من السماء فرحمة الله واسعة يصيح نادما : ان خطيئة فاوستوس لا تغتفر ، قد يغفر الله للحية التي اغوت حواء ولكنه لا يمكن أن يغفر لى ، ان قلبى لينفطر لذكرى ايام الدراسة في هذا المعهد ، ولكن ليتنى لم اشهد ويتنبرج ولم افتح في حياتي كتابا ، لقد صنعت معجزات شهدتها المانيا وشهدها العالم ولكنى اضعت في سبيلها الدنيا والاخرة .

ـ يا فاوستوس اذكر الله ..

ـ كيف اذكر الله وقد كفرت به ! يا الهى ليتنى استطيع البكاء ، ولكن الشيطان يحبس دموعى ، ليت دمى يسيل بدل الدمع ، آه انه يمسك لسانى ، ويشل يدى عن الحركة .

ـ من يا فاوستوس ؟

ـ ابليس ومفيستوفول ! .. آه ما اتعسنى . وهبتهما روحى !

ـ معاذ الله !

ـ ولكن فاوستوس فعلها ، لقاء اربعة وعشرين عاما من المتعة الباطلة فقدت نعيم الابدية .. كتبت الصك بدمى ، وها قد حان موعد التسليم !

ـ لماذا لم تخبرنا قبل فوات الاوان لندعو رجال الدين ان يصلوا من اجلك ؟

ـ كثيرا ما هممت بذلك ولكن الشيطان هددنى ان يمزق جسدى اربا لو ذكرت اسم الله ... انجوا بأنفسكم ، واذا عشت حتى الصباح سازوركم اما اذا ذهبت فالى الجحيم.

ويخرج الزوار ليصلوا من اجله ويدخل عليه مفيستوفول ليعذبه في ساعته الاخيرة ، فيلعنه فاوستوس ويتهمه بأنه السبب فيما سيحيق به

ـ نعم يا فاوستوس اعترف اننى السبب ، وأنا سعيد بذلك ، انا الذى سددت عليك طريق الجنة . وكلما حاولت قراءة كلام الله قلبت لك الصفحات وحولت نظرك عنها .

اتبكى الان ؟ فات الاوان . لاسبيل امامك الا اليأس ، من يضحك في الدنيا يبك في الاخرة !

ويدخل ملاك الخير يلوم فاوستوس على اهماله كل نصائحه ، وتعزف الموسيقى ويتدلى من الاعالى عرش يمثل الجنة

الملاك : لقد ضيعت سعادة السماء ونعيم الابدية ... لو أنك اتخذت كتاب الله نبراسك لما وجد الجحيم والشيطان اليك سبيلا ... لو انك سرت على الصراط المستقيم لكان هذا العرش

مجلسك مع القديسين والابرار ..

ان نور بهائه يخطف الابصار ، ولكنك يا مسكين ضيعت كل شيء ، فلا مفر ان يهجرك ملاكك الطيب وهذا الجحيم يفغر فاه لاستقبالك . ويظهر امام الجمهور منظر الجحيم (وكانت غرفة الجحيم احدى قطع الاكسسوار الاساسية فى المسرح الاليزابيثى) ويدخل ملاك الشر ليصف لنا الام اهل النار .. وينذر البطل بما سيلقاه فيها من عذاب .

وتدق الساعة الحادية عشرة ، ويصرخ فاوستوس فليس امامه الا ساعة زمن :

قفى مكانك أيتها الافلاك ، وليمسك الزمن حتى لا ينتصف الليل ، ايتها الشمس يا عين الطبيعة اشرقى ، اشرقى ثانية وليدم النهار الى الابد.. ، ليت الساعة تطول عاماً ، شهرا او حتى يوما واحدا حتى تدرك فاوستوس التوبة ..

تمهلى يا جياد الليل الجامحة !.. ولكن النجوم تمضى فى سيرها والزمن يجرى والساعة تدق ...

ان عذاب فاوستوس فى ساعته الاخيرة خير نهاية لهذه المأساة الفذة ، ويبلغ شعر مارلو فيها أعلى مراتبه الدرامية ، فالبطل يقف وحيدا فزعا ، يبغى الفرار ولكن أين المفر ؟ هل يقفز الى السماء لتتلقفه رحمة الالهة ، ولكن الشيطان يثقل اطرافه ويثخن قلبه بالجراح كلما ذكر اسم الله ..

اين يختفى ؟.. انه يهيب بالجبال ان تخفيه من غضب الله ، ولكن الجبال لا تستجيب ... ويدعو الارض ان تنشق وتبتلعه ولكن الارض تلفظه فهو ملعون لا يجد لجسده مكانا فى كون الله .

وعندما يسمع دقات الساعة تؤذن ان لم يبق امامه الا نصف ساعة ، يدعو الله اخيرا ان يترفق به ويجعل لعذابه نهاية ولو قضى فى الجحيم الف عام .

انه يلعن أبويه يوم أنجباه ، ويلعن نفسه ، ويلعن الشيطان الذى اغواه ، ويدوى الرعد ويبرق البرق عندما تؤذن الساعة بانتصاف الليل . ويصيح فاوستوس : يا نفس الاهبى بخارا ، وتوزعى فى أعماق المحيط ..

ولكن الشياطين تنقض عليه وتحمله الى الجحيم، وهو يصرخ فزعا ومعاناة

ويلقى الكورس نشيد الختام :

تأملوا سقطة هذا الشيطان ، وليتخذ العقلاء من مصيره عبرة :

ويا عجبا لهذه المحرمات يغرى عمقها العقول الجامحة فتخرج عما رسمه الله لنا من حدود .. فيارب حسن الختام ..

●●●

كانت مأساة دكتور فاوستوس اجرا تصوير للشياطين على المسرح ،وكانت مأساة كاملة تهز مشاعر المتفرجين وتلقى فى نفوسهم بمشاعر الرعب والشفقة على مصير هذا الانسان الذى تطاول على قدرة الخالق .

وقد استعان مارلو فيها بالتقليد الموروث عن الشياطين على المسرح الانجليزى . على ان أهم ما تضيفه هذه المأساة الى تراث المسرح الانجليزى أن اخرجت للناس نمطا جديدا للبطل المأسوى . ان مارلو صاغ بطله على صورة أبليس كما وردت فى الكتب السماوية ، وليس على صورة أوديب او غيره من ابطال التراجيديا اليونانية ، او ابطال مأساة الثأر الرومانية .

ان بطل مأساة مارلو ، على شاكلة لوسيفر – اى ابليس ، يبدأ لامعا براقا ، فيه كل امكانيات الخير ، ثم ينتابه الغرور والتطاول على ما رسم له ولغيره من حدود ، ويدفعه طموح جامح لا يكبح ، فتكون سقطته سقطة ابليس . وقد يمتد به الاجل فسحة من العمر ولكن ماله فى النهاية جهنم وبئس المصير .

د. سيد كريم



السياحة الدينية حرب على الشيطان

• دورات الحج الديني في التخطيط السياحي •

١ – دورة حج اخناتون
٢ – هجرة موسى وحج الرسالة
٣ – طريق المسيح والعائلة المقدسة
٤ – طريق القديسين والحج المسيحي
٥ – حج الزاويات الاسلامية

اهم مايهدف اليه التخطيط السياحي هو انشاء مناطق سياحية جديدة ، وفتح مجالات سياحية جديدة أو مايطلق عليه تصنيع السياحة بواسطة استغلال الامكانيات والتخصصات المميزة ، واستخدام الخامات والعناصر السياحية الكامنة ..

فالسياحة الدينية ، وهي ناحية من نواحي التخصص في التخطيط السياحي العام ، تسير متوازية مع نواحي التخصص الاخرى كالسياحة العلاجية والسياحة الثقافية والسياحة الترفيهية والسياحة الرياضية الخ فبرامج السياحة ذات الطابع الديني تجذب ملايين السياح من مختلف الجنسيات والاديان ، خاصة اذا خططت تخطيطا سليما .

إن مصر منبع الفلسفات ومهبط العقائد منذ فجر المدنيات ، والتي قام بزيارتها ولجأ اليها كثير من الرسل والانبياء من ابراهيم ابي الانبياء عليه السلام الى يعقوب ويوسف وموسى وعيسى عليهم السلام ،

كمـــا أوت الكثير من رجـال الدين والقديسين من مختلف الاديان والبلاد لنشر رسالاتهم وعقائدهم أو الحفـــاظ عليها .

وكانت مصر منذ أقدم العصـــور قبلة الحجاج الذين يقصـــدونها من مختلف انحاء العالم ، وما زالت مزار كثير من الوفود والافواج التي تأتي كل عام ، بغـير تخطيط أو برنامج سياحي منظم .

فمصر تمتلك ثروة لا مثيل لها في أي بلد سياحي آخر بما يتوفر لهـا من امكانيات ضخمة تتمثل في دورات سياحتها الدينية وما يرتبط بها من أماكن ذات طابع ديني تاريخي ، اذا أحسن استغلالها لاصبحت موردا من أهم موارد السياحة في العـــالم ، وعنصرا من أهم عناصر اقتصادياتها .

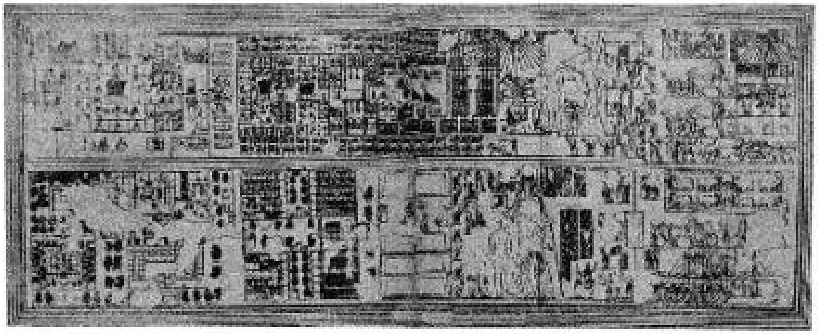
ويمكن تلخيص أهم دورات السياحة



اخناتون . . رسالة التوحيـد
١٣٧٥ – ١٣٥٨ ق . م



اهرام الجيزة .. سر الوجود !



[illegible]

الديمقراطية الحقيقية التي يمكن تحقيقها في التخطيط السياسي لمصر — فيما يلي :

١ — ثورة اخناتون :

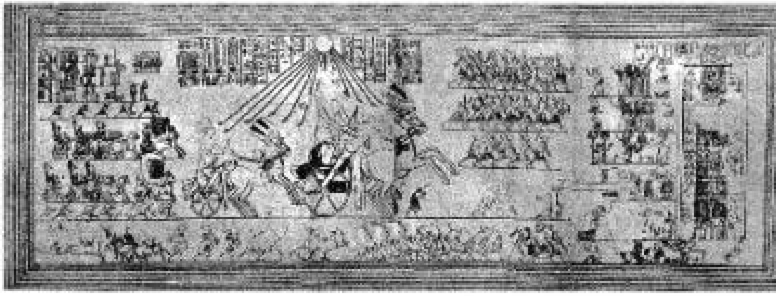
من اقدم الثورات السياسية الدينية ذات الطابع العالمي ..

جاء اخناتون — اول من نادى بعقيدة التوحيد — سنة ١٣٨٥ ق.م بعد ان وضع سياسة دينية قوية ، وبعد ان شق بالعقيدة خطوات موفقة تحسم الغاية السامية الصحيحة التي ارسل من اجلها الانبياء والرسل .. فقد سجلت برديات تل العمارنة رسالته في وصف الاله : « وحده ، لا شريك له وليس له ولد ، ليس اله مصر فقط بل الخلق جميعا .. انه كل ارض يسطع نوره عليها .. انه كل من يستنير بنوره ، وكل من يستظل بظله » .

ثلاثة ... من الآثار التي في العمارنة حيث اقام مدينته المقدسة اخت اتون (افق الاله) التي يتوسطها معبد اتون كعبة التوحيد ، ولم يكد ينتهي من اقامة معالمها حتى سعى الى نشر ديانته الجديدة وعقيدة التوحيد خارج حدود مصر ، فأمر ببناء مدينة « جم اتون » في النوبة ، كما انشأ مدينة اخرى في سوريا ، وثالثة في اسيا ، كما ارسل الكثير من البعثات الدينية الى الحبشة وفلسطين للدعوة الى رسالته .

ان ازاهر الفلسفية التي نادى بها من ٣٢٥٠ سنة تتفق مع الرسالات والمشاريع التي نادى بها كثير من الانبياء والرسل الذين زاروا مصر او التجأوا اليها ابتداء من سيدنا ابراهيم الى الانبياء الى يعقوب ويوسف وموسى وعيسى عليهم السلام ، كلهم من لجأ الى مصر والتجأ الى





تحوي اللوحات التاريخية التي وجدت في تل العمارنة التي تسجل حفل الفلاحين بالاله الواحد ويظهر بها الملك اخناتون وزوجته نفرتيتي - يتقدم موكب العرس الملكي وتحيه عربات رجال الحرس والاتباع

احدى اللوحات الجدارية للملكة نفرتيتي بتسريحة الشعر ..

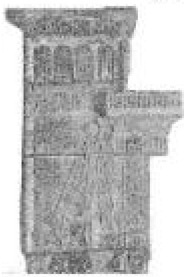


معابدها الدينية المشهورة من الفلاسفة والأولياء والقديسين .

ان عقيدة اخناتون التي يطلق عليه في العالم الحديث اسم رسول الاتحاد العالمي ، يؤمن بها وينتسب اليها كثير من الطوائف الدينية في امريكا واوربا ويطلق الجماعة الانجليزية ، وتسمى جمعياتهم في امريكا Rosecrucian

ويبلغ عدد اعضائها ما يزيد على الستة ملايين عضو ، لهم معابدهم وطقوسهم الدينية المستمدة من ديانة اخناتون ، ويطلق الحج الى ارضهم

جانب من العمود الذي يمثل قرص الشمس رمز الاله واتحاد الالهة بالثالوث والالهة



القدسية من العناصر الاساسية في اركان عقائدهم ، وتشاهد مصر كالعلم ورمز القوة الروحانية ، الواجبة عليهم علم سطح الاهرام يطوفون حولها ، ويقومون بطقوسهم الخفية ، حيث يعتبرون الاهرام الثلاث التي هبطت عليه رسالة السماء الى اخناتون .

ويحتفل كثير منهم لزيارة الاماكن المقدسة التي دعا اليها اخناتون لنشر دعوته . ولا يزال حسب اعتقاد تلك الجمعيات في اوربا عن مليون عضو الشعر في المانيا وسويسرا وانجلترا ويطلق عليهم اسم Rosicrucian

ان تلك الدورة السياحية وحدها اذا وضع لها تخطيط سياحي عظيم ، سوف تجتذب الوف السياح كل عام من جميع انحاء العالم ·

ان دورة سياحة الحج الديني والاماكن المقدسة التي تشملها رحلة اخناتون للسياحة الدينية ، هي نفس رحلة الهجرة والحج التي قام بها اخناتون والتي سجلها على لوحات تل العمارنة المشهورة وهي الرحلة التي قام بها من مدينة الكرنك حيث شيد معبده الاول (رع حور اختى) وهجرته المقدسة منها الى تل العمارنة في سفينته المقدسة التي اطلق عليها اسم«شعلة اتون»التي لا تنطفيء»وتركها تسير في النيل وحدها يقودها التيار « بأمر الاله الواحد معطى الحياة الى ابد الابدين » ·

وسارت السفينة تتبعها قافلة من السفن تحمل رجال الدولة وكهنة الدين الجديد واتباعه من اهل طيبة ممن امنوا بدين التوحيد الجديد · واستمرت الرحلة ستة ايام عرجت بعدها سفينته تجاه الشاطيء الشرقي لترسو عند المكان الذي حدده له الاله « ارض مقدسة لم يدنسها بشر » وهي تل العمارنة التي شيد فيها مدينته المقدسة « اخت اتون » اي افق اتون، وحدد اركان المدينة التي يبلغ طولها ستة اميال وعرضها ثلاثة اميال ، بأربع لوحات كتب على كل منها :

« انه بعين الصدق الذي احلف به ، انها اللوحة الجنوبية الغربية التي



بوابة الاعتراف على جبل موسى التي يصعد اليها الزائر بواسطة ..٣٤٠٠ درجة حجرية ليصل الى المكان الذي تلقى عنده موسى كلمات ربه والوصايا العشر ...

لقاء الاديان الثلاثة في سيناء : الكنيسة والمسجد وجبل موسى



حدد الاله موقعها ، ولن اتخطاها الى ابد الابدين ».

كما سجل على كل لوحة طول المسافة بينها وبين اللوحة المقابلة لها ، كما ذكر في احدى البرديات القديمة ، الا يدخل المدينة او يعيش فيها الا كل مؤمن بالاله اتون ، ويهدر دم كل كافر يتخطى حدود أرضها الطاهرة » .

اما موقع المعبد المقدس فقد ذكرت الاساطير أن الاله اختاره بان انزل من

دير سانت كاترين



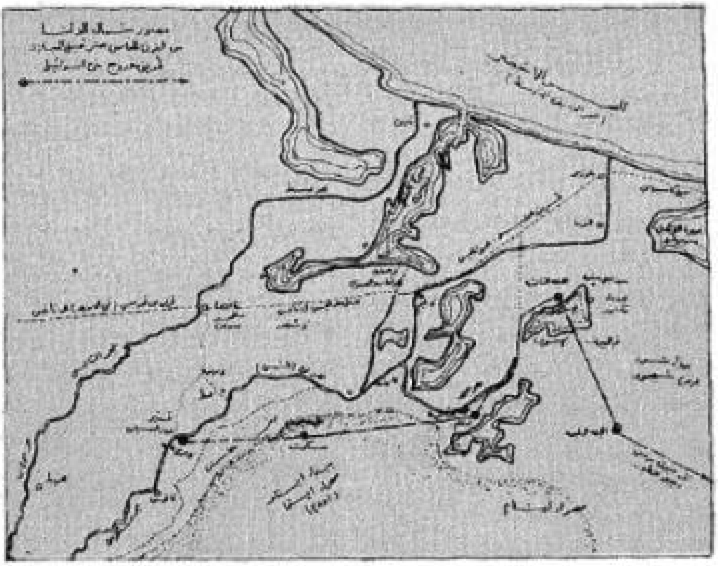
السماء حجرا مقدسا وامر اخناتون ان يبني المعبد حوله . وهو المعبد الذى اشرف اخناتون على بنائه بنفسه ، واستغرق بناؤه دورة كاملة للاله في الافق اى اثني عشر شهرا . وعند افتتاحه اقام به صلاته الاولى التى ام فيها المصلين وكان اول سجود وركوع في تاريخ الاديان .

وتم انشـــاء المدينة نفسها في سنتين .

وكما كانت عقيدة اخناتون انقلابا دينيا ، فقد كانت مدينته تعتبر انقلابا فنيا في تاريخ العمــارة ، سواء في المدينة وعمارتها أو ما ارتبط بها من مختلف فنون النحت والحفر والرسم . كانت نواة التجـــريد والتحرر في الفنون .

ان موسم تلك الدورة السياحية أو الحج الديني يمكن تحديده بما ورد في تاريخ رحلة اخناتون نفسها الوارد في لوحات تل العمـــارنة : « في السنة السادسة من حكمه في اليـــوم الثالث عشر من الشهر الرابع من الفصـــل الثاني » .

فالسنة السادسة من حكمه ١٣٧٠ ق . م هي السنة التي غير فيها اسمه من امنحتب الرابع الى اخنــاتون ، والشهر الرابع من الفصل الثاني هو شهر فارموتي (برموده) في التقويم الفرعوني ، اى ما يقابل شهر مارس ـ ويعد هذا الشهر من الاعياد المقدسة



خريطة فرعونية قديمة من القرن الخامس عشر قبل الميلاد تبين طريق خروج موسى وبنى اسرائيل ـ مبينا عليها طريق الخروج وأسماء البلاد الواردة فى سفر الخروج والاسماء الفرعونية المقابلة لها ..

عند بعض جماعات الروزيكروش فى امريكا .

فدورة الحج السياحى يمكن تحديد موسمها بحيث تمتد طوال شهر مارس ويخطط لها سياحيا بحيث تبدأ بزيارة الهرم الاكبر حيث تبدأ طقوس الحج التقليدية ، ثم الانتقال الى الاقصر لزيارة معبد اخناتون فى الكرنك حيث تبدأ عند رحلة الحج النيلية مارة بمعابد دندره وابيدوس وتنتهى بزيارة أرض مدينة اخت اتون المقدسة بتل العمارنة ، ومنها ينتقل الحجاج الى القاهرة .

ويمكن تنظيم الرحلة بحيث تستغرق اسبوعين.. ويشمل البرنامج السياحى تنظيم خدمات النقل البرى والجوى والنهرى والخدمات الفندقية والاقامة كذلك خدمات التجارة السياحية والتسويق والاعلام من اعداد المطبوعات والتذكارات السياحية الدينية والهدايا ، مع تنسيق الاتصال المباشر بالجمعيات الدينية المذكورة فى انحاء العالم والشركات السياحية العالمية التى تشرف على رحلاتهم .

٢ ـ هجرة موسى (حج الرسالة):

وهى رحلة هجرة موسى عليه السلام



اثار بعض النقوش القديمة على صخور جبل سيناء بالوادى المقدس وترجع الى مهاجرى بنى اسرائيل .

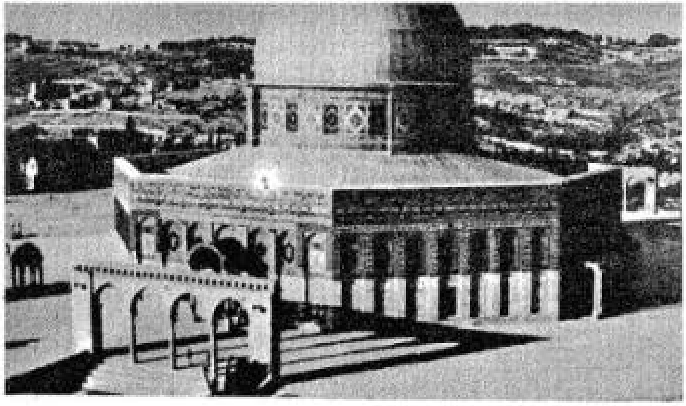
وخــــروج بنى اسرائيل من مصر من مدينة رعمسيس فى وسط الدلتا الى الوادى المقدس وجبل موسى حيث كلم الرب موسى وأنزل عليه الوصـــــايا العشر ، ولا تقل تلك الرحلة اهميـة من النــــواحى التاريخيــة والدينية والسياحية عن الرحلة السابقة .

ويمكن تخطيط دورة تلك الرحلة من تتبع الطريق الذى سلكه موسى وقومه والمدن التى مروا بها والاماكن المقدسة التى شهدت معجزاته والتى وردت فى التوراة (سفر الخـــروج) بالترتيب التالى (الخروج من مدينة رعمسيس الى سكوت وبيداء ايتـــام وطريق الفلسطينيين . فم الحيروت ـ بهسرف ـ مجدول بعل زيفون ـ شيحور ـ جبل موسى المقدس) .

وقــد امكن تحـــديد ذلك الطريق ومراحل الرحلة بمقارنة تلك الاسماء بالاسماء الفرعونية للبــلاد والمناطق التى وردت فى الــــوثائق المصرية القديمة ، ولوحات مرنبتاح (فرعون موسى) والمبينة فى الخـــريطة التى ترجع الى القـــرن الخامس عشر قبل الميلاد .



عيون موسى على شاطىء البحر الاحمر فى سيناء



القدس خرجت منها الرسالة وولادت اليهابعد ما حافظت مصر عليها خلال رحلة الهجرة

فالهجرة وتوقيت موسمها الذى سيكون نواة التخطيط السياحي لها بدات كما ورد فى وثائق مرنبتاح الفرعونية فى اليوم الخامس عشر من الشهر الاول من السنة الثامنة من حكمه ، وهو يوافق يوم ١٥ ابريل ١٢٢٠ وهو التاريخ الذى يتفق مع ما ورد فى التوراة نفسها وقد استغرقت رحلة الخروج سبعة ايام ٠

اليوم الاول – بدات الرحلة قبل الفجر من مدينة رعمسيس وتسمى قنتير ويطلق على موقعها حاليا تل الضبعة بالقرب من مدينة فاقوس حيث الى مدينة سكوت ، وكان اسمها



دخول العائلة المقدسة اراضي مصر



الشجرة المقدسة بالمطرية

الفرعونى « ختم سكوت » عند بحيرات اكياد والتى كانت تعتبر من أهم مناطق الصيد عند قدماء المصريين ٠

اليوم الثانى ـ استمرت الرحلة فى الطريق الذى يفصل الارض الزراعية عن الصحراء حتى وصلوا الى « بيداء ايتام طرف البرية » وتسمى بالفرعونية صحراء « ادوم » ٠

اليوم الثالث ـ كلم الرب موسى قائلا « مر بنى اسرائيل ان يرجعوا وينزلوا أمام يم سوف بين مجدل والبحر » ـ (سفر الخروج) ٠ وهو ما يفسر تغيير اتجاه رحلتهم من طريق بلوزيو (طريق الفلسطينيين) للوصول الى فلسطين عن طريق ساحل البحر الابيض عندما علم موسى بأن الملك مرنبتاح أمر قواته بأن تلحق بهم ويم سوف اسمها باللغة الفرعونية يم سوبى أى بركة البردى والبوص وهى احدى بركة البوص الضحلة التى تجف مياهها وقت الجزر حين عبرها موسى وقومه بأمر الله قبل أن يصل فرعون وجنوده ويمنعهم ارتفاع مياه المد من عبورها وهى التى فسرت خطأ بأنها البحر وتبعد عنه قرابة أربعين كيلو الى الشمال ٠

اليوم الرابع ـ اتجهوا شرقا الى بيداء شور ،واسمها الفرعونى شيحور أى صحراء حور ٠ وتقع شرق بحيرة حور (البحيرات المرة) أى أرض سيناء ٠

ثم قضى ايام التيه الثلاثة على شاطىء سيناء الغربى حيث مر بعيون موسى « حيث ضرب بعصاه الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا وساروا منها شرقا الى الوادى المقدس وجبل موسى حيث نزلت عليه الرسالة والوصايا واكمل هجرته بعدها فى صحراء سيناء ليصل بقومه الى اورشليم التى وافاه الاجل قبل الوصول اليها ودفن فى وادى مقبرة موسى بالقرب من البحر الميت ٠



السيدة العذراء تحمل يسوع الطفل • وحولها القديسون

٣ ـ زيارة المسيح والعائلة المقدسة لمصر :

ستلعب تلك الدورة دورا هاما في السياحة الدينية للحج المسيحي حيث أن تنظيمها واعلانها على حقيقتهـــا سيبرز أولويتها وأهميتها على المناطق العالمية الاخرى وكنائسها وأديرتهــا وأماكنها المقدسة التي يحج اليهـــا مسيحيو العالم ، فالاماكن التاريخية المقدسة ومزاراتها التذكارية التي لعبت دورا ملموسافي نشر العقيدة والحفاظ على رسالتها، يرجع تاريخها الى مئات السنين قبل مثيلاتها في الشرق والغرب

ومختلف أماكن الحج المسيحي المقدس

ان رحلة المسيح الى مصر وكانت في العام الثاني من مولده بدأت بقول الملاك ليوسف النجار • قم وخذ الصبي وأمه واهرب الى مصر وكن هناك حتى اقول لك لان هيرودس يطلب الصبي ليهلكه • بعد المجزرة التي روى فيها هيرودس أرض بيت لحم بدماء الفي طفـــل • وهي الرحلة التي كان لمصر فيها الفضل في رعايتـــه وحمايته من اعوان هيرودس الذين تبعوه الى مصر للقضاء عليه ، كان لها الفضـــل في الحفاظ على رسالته السامية وقيـــام الديانة المسيحية •

خرجت القافلة المقدسة التي تتكون من يسوع الطفل وأمه ويوسف النجار

وسالومي من بيت لحم الى الخليل وبئر سبع • ويمكن تتبع طريق رحلة الهجرة مما ورد في الوثائق الدينية والمراجع التاريخية كما يلي :

كانت اول مدينة وصلوا اليها «في أرض مصر المقدسة التي عينها لهـــم الرب مدينة انصرما وتقع على بعد

٣٠ كيلو مترا شرقي بور سعيد ومنها

انتقلوا الى مدينــــة برباستت (تل باسطة) وكان بها معبد الاله باست حيث ظهرت اول معجزات المسيح في أرض مصر عندما تهاوت تماثيـــــل

المعبد عند دخوله اليه تحمله أمه ، ثم تبعتها معجزة شفاء زوجة القرن الذى أواهم فى منزله ليحميهم من بطش ثورة الحاكم • وكانت مشلولة من سبع سنوات فلما رأت الطفل

قامت لتحتضنه فزال عنها الشل ، ونزلت الرسالة التى تقول « فى مكان بيت القوم ستقام كنيسة يخلد فيها

اسمك الى الابد » • وتوجد فى مكان البيت حاليا كنيسة للعذراء ما زالت تفتح ابوابها لشعائر الدين كل يوم •

وظهر ملاك الرب للقافلة وامرهم بالهروب خلال حقول القمح فى طريق معوج حتى بلغوا مدينة بلبيس واتجهوا منها الى مسطنود ثم المطلع حيث تقوم كنيسة الملاك ميخائيل

وانتقلوا منها الى منطقة بيخاسوع (كعب يسوع) التى دق فيها بكعبه

على حجر فانفجر نبع من الماء المقدس يلى حوله بير المغطس الذى احتفظ بداخله بالحجر الذى دق عليه وعين المياه المقدسة •

ثم عبرت القافلة المقدسة فرع رشيد على مراكب الصيد الى الضفة

الغربية وساروا منها الى وادى شهيت (وادى النطرون) وكان يحوى مجموعة من المعابد الفرعونية – وهو الوادى الذى تنبأ المسيح بانه سيكون « كعبة المسيحية التى يسكنها عدد كبير ممن دخل النور

قلوبهم وصفت سريرتهم ليعبدوا الله ويذكروا اسمى واسمك » •



القديس مرقس « سان مارك » عند اتانه لمصر يتوسط تلاميذه ومريديه



وادى النطرون

وقد تحققت النبوءة فتحول وادى النطرون الى مركز من اكبر مراكز المسيحية فى التاريخ حيث كان به فى القرن الرابع الميلادى خمسمائة دير تضم اكثر من خمسين الف راهب ، بقى منها الان اربعة اديرة اهمها شهرة دير السريان ".

استمرت اقامة العائلة المقدسة فى وادى النطرون ثلاثة اشهر انتقلت

بعدها الى مدينة اون (عين شمس) – اون الفرعونية – « القى المسيح بعصاه فاورقت شجرة البلسم التى اشتهرت فى عين شمس ، وكان حاكم

مصر يستولى على عصارتها المقدسة ويهديهـــا للملوك والاباطرة . ثم

اتجهوا الى المطرية فى طريقهم بامر الرب الى بابيلون (مصر القديمة) ونامت مريم وفى احضانها الطفـــل يسوع تحت شجرة الجميز المقدسة التى انحنت بفروعها لتخفى يسوع عن اعين جنود هيرودس الذين مروا

فى ذلك الوقت بالقرب من الشـــجرة بحثا عنهم .

« ولا تزال شجرة الجميز المقدسة قائمـــــة مكانها وتعد من المزارات التذكارية المقدســــة » . ثم انطلقت القافلة جنوبا حتى وصلت اســـوار بابليون واقاموا فى مغـــارة الكهف المقدس الذى يقع تحت كنيســـة ابى سرجة بمصر القديمة ، ومنها هربوا ليلا الى المعادى وركبوا مركبا كان راسيا فى انتظارهم عند شـــاطىء المعادى فى المكان الذى تقع فيه حاليا كنيسة العذراء ، وتعتبر من المزارات المقدسة « حيث طبع المسيح قدمه على درجاتها التى كانت درجات المرسى . واستقلوا المركب التى سارت جنوبا حتى ترفقت بالقرب من الفشن ومنها ساروا برا حتى معبد ابيس فى بهنسا وتوجهوا منها مرورا بمدينة القوصية الى قرية قسقام التى شاهدت العديد

من معجزات الطفل المعجزة فى شفاء المرضى واعـــادة البصر الى الاعمى



دير القديس انطونيوس

والنطق الى الاخرس ، وهو المكان المقدس الذى اقيمت فيه كنيسة العذراء ثم الدير المحرق فى القرن الرابع الميلادى وهو اكبر اديرة الرهبان فى مصر بعد وادى النطرون ويتوسط هيكل الكنيسة الحجر الذى كان المسيح يستخدمه مخدعا ينام عليه ·

وتقدر مدة اقامة العائلة المقدسة فى قسقام ستة اشهر وعشرة ايام كما سجلها يوسف النجار على احدى اللوحات الحجرية المحفوظة بالدير المحرق وغادرت بعدها المدينة للعودة الى فلسطين عندما اوحى الملاك : « قم فخذ الصبى وامه واذهب الى ارض فلسطين فانه قد مات من يطلبون نفس الصبى » ··

وعادت العائلة المقدسة بالمركب من قسقام الى بابليون مباشرة حيث اقاموا ليلة فى كنيسة المعلقة ومنها مروا بالمطرية لزيارة الشجرة المقدسة مرة اخرى حيث تركوا الحوض الحجرى الذى استحم به المسيح وما زال موجودا فى مكانه الى الان ثم اتجهوا منها الى قرية المحمة (مسطرد) حيث فجر بها المسيح بئرا مقدسا واتجه منها الى طريق الاسماعيلية الحالى حتى البحيرات المرة واتجهوا منها شمالا الى شاطىء البحر ، ثم اتجهوا بمحاذاة الشاطىء حتى وصلوا الى الناصرة فى فلسطين ·وقد اختلفت الوثائق القديمة فى مدة اقامة العائلة المقدسة فى أرض مصر ،فذكر بعضها انها ثلاث سنوات وسبعة اشهر ، وذكر فى البعض الاخر انها امتدت الى أربع سنوات وشهرين ·

٤ — طريق القديسين :

يعد من اهم دورات الهجرة السياحية المرتبطة بالحج الدينى السيحى العالمى · وهو الطريق الذى سلكه كل من القديس بطرس والقديس بولس والقديس مرقص والقديس يوسف · St. Peter. St. Paul, St. Marc St. Josef



السيد المسيح والقديس مينا

وهو طريق الهجرة الذى سلكه كل منهم من الاراضى المقدسة الى ارض مصر مرورا بدير سان كاترين فى سيناء واقامتهم بمختلف الاديرة والمدن الدينية المشهورة ومعاهد الدين المسيحى الموزعة فى انحاء الوادى سواء فى اسوان أو الدير المحرق وبنى سويف والفيوم وسقارة ووادى النطرون والواحات ومختلف انحاء الوجه البحرى · حيث تمكنوا من ممارسة عقائدهم والحفاظ على تراث دينهم فى مواجهة حملة الاضطهاد العالمية التى كانت تقضى على الدين المسيحى ·

ويستمر طريق الهجرة من تلك الاديرة الى الاسكندرية ليحمل كل منهم رسالته وينتقل الى اوربا لنشر دعوته والاستشهاد فى سبيل عقيدته حيث اقيمت له كاتدرائية تحمل اسمه فى عاصمة من العواصم العالمية ·

ان ارض مصر كانت طوال العصور الماضية حلم اتباع هؤلاء القديسين ليحجوا اليها باعتبارها الوطن الام للدين المسيحى · كان الكثير من

بعثات الحج المسيحي والتي عن طريق الفاتيكان والجمعيات المسيحية الاوربية والشرقية لزيارة الكثير من تلك الاماكن المقدسة التي زودت القديسين بشعلة العقيدة والتراث الديني الذي حملوا رسالته اليهم ، وحافظت مصر عليهم كما حافظت على المسيح من قبلهم ·

ان دورة الحج السياحي لكل من هؤلاء القديسين يمكن تخطيطها وتنظيمها على ضوء الوثائق التاريخية المتعلقة بحياة كل منهم والاماكن التي تركوا بصماتهم عليها تعمقوا ثقافة رسالتهم وثبتوا شعائر عقيدتهم لحافظت على تعاليمهم واحتفظت بذكرياتهم ·

كما يمكن تحديد الموسم السياحي لكل دورة ضمن شبكة التخطيط السياحي العام بحيث تستكمل كل منها الدورات الاخرى وهو ما ستحدده الاحداث التاريخية المرتبطة بكل منها ومراسم الاعياد الدينية التقليدية للاديرة التاريخية المعروفة كدير سان كاترين ، والقديس انطون ، والقديس يوسف ، والقديس جريجي ، بسفارة أو مختلف الاديرة التاريخية والدور الذي لعبه كل منها في الحياة الدينية لكل من القديسين ·

ان كثيرا من تلك الاماكن او المدن الدينية القديمة ستتحول الى مدن سياحية تتقدم لها خدماتها السياحية المختلفة وتعيد لها مجدها وشهرتها العالمية لتفتح بوابها للحج السياحي·

٥ ـ القديسميناس (ابومينا) :

كان مسيحيو مصر البيزنطيون يعتبرون هذا القديس واحدا من اكثر القديسين تبجيلا · تروى الاسطورة القديمة كيف استشهد في القرن الرابع في الاضطهاد الكبير في عهد الامبراطور دقلديان ونقلت جثته الى دير وادي شهيت (وادى النطرون) وتنفيذا لوصيته ربط



سان ميناس « ابو الجمال »

جثمانه فوق جمل وتركه يسير على هواه في الصحراء ، وسارت خلفه قافلة من اتباعه ومريديه ··· وسار جمل الشهيد والقافلة من خلفه في الصحراء الغربية في طريق الحج القديم الموصل بين وادى النطرون ومعبد الاله آمون في سيوه ، وتوقف الجمل في واحة صغيرة أطلق عليها اسم « كرم ابو مينا » وركع بالجثمان حيث ووري التراب في قبر بسيط أعده له اتباعه ، وكانت الشمس قد مالت للمغيب ·

وعندما اشرقت الشمس في الصباح على القبر انفجر نبع من الماء على مقربة منه وتدفقت مياهه بغزارة، وتحولت الى بركة مقدسة نسبت الى مياهها كثير من المعجزات في شفاء مختلف الامراض ·

وقد عثر بجانب المقبرة على مخطوط قديم كتب عليه : « خذ من ماء ميناس المقدس تذهب جميع الالام » وذكرت الاساطير ان المخطوط كتب بخطه وما زال محفوظا بمتحف الفاتيكان ، وقد اقيمت فوق القبر كاتدرائية وصفها مؤرخو القرن الخامس بانها كانت اجمل كاتدرائية في وادي النيل

باكمله بما اشتملت عليه من تحف وزخارف من الرخـــام والموزاييـــك والذهب والفضة ٠

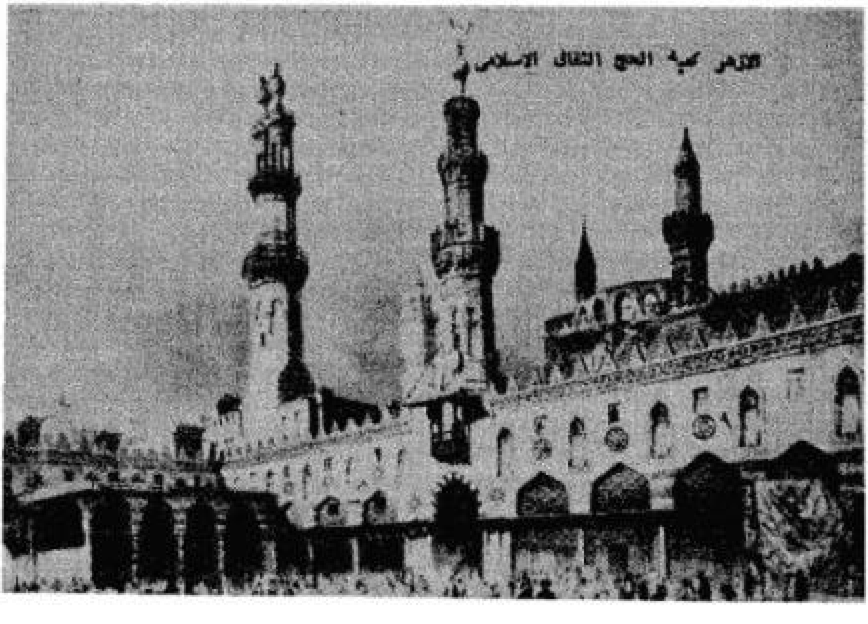
وقد امتلات حوائط الكنيسة بصور القديس وهو يقف بين جملين راكعين وهى الصورة التى اشتهر بهـــا ، وتحتفظ بلوحات ونقوش منها كثير من المتاحف العالمية والوثائق الدينية والتاريخية القديمة ٠

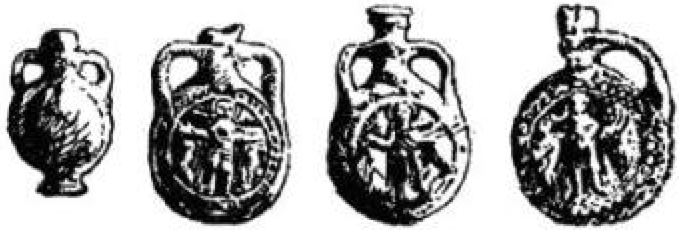
وفى عهد الامبراطـــور اركاديوس فى القرن الخامس وصفت المدينة بانه كان بها كاتدرائيتان كبيرتان بكل منها ثلاثة اجنحة ابعاد كل منها ٥٧ × ٢٥ مترا ويحوى قبو الكاتدرائية الكبرى قبر القديس ميناس تحيط به قبور مريديه الذين اتوا من مختلف انحاء العالم ليناموا النوم الابدى بجواره ٠

ومن العين المقدسة التى انفجرت بجانب القبر امتدت شبكة من مجارى المياه لنقلها الى الحمام المقدس الذى انشىء بجانب الكاتدرائية والذى يبلغ طوله ٧٠ مترا وعرضه ٤٠ مترا يحيط به رواق كبير لغرف الحمامات ٠

وفى الناحيـــة البحـــرية من الكاتدرائية انشىء دير كبير عبـارة عن مدينة كاملة تبلغ مساحتها ٤٠ الف متر مربع ، وقد وصفت بمـــا تحويه من صوامع للعبادة واحيـــاء للسكن واسواق واماكن للاجتماع ٠٠ كما اشتهرت المدينة بصنع القوارير الفخارية التى كانت تعبأ بها المياه المقدسة ويحملها الحجـــاج معهم للعلاج والتبرك الى مختلف انحـــاء العالم ٠ ويحتفظ متحف الفـــاتيكان بمجمـــوعة منها يرجع بعضها الى القرنين الخامس والسادس وقد ختمت بخاتم ابى مينـــا والجملين وذكرت عليها عبارة « الماء المقـــدس الذى يشفى الالام والامراض » ٠

ويذكر التاريخ القـــديم ان المدينة جردت من كل نفائســـها ولكنها بقيت تحتفظ بمركزها الدينى الى نهـــاية


الأزهر كعبة الحج الثقافى الإسلامى



القوارير الخزفية التى كانت تحتفظ بها المياه المقدسة ويحملها الحجاج معهم الى انحاء العالم المسيحى وتحمل اسم مصر والقديس مينا نماذج محفوظة بمتحف «الفاتيكان»

القرن الثانى عشر حيث تحولت الى انقاض بعدما هجرها سكانها لاسباب ما زالت غامضة . ومع ذلك لم يتوقف الحج الدينى اليها فى العهود الماضية حتى الى زمن قريب مع ما يتكبده افواج الحجاج الذين يفدون من مختلف انحاء العالم المسيحى من مشقات لانعدام مختلف الخدمات السياحية ووسائل النقل .

٦ ـ دورات السياحة الاسلامية :

هناك اكثر من دورة يمكن تحديدها بعد الرجوع الى الوثائق التاريخية الاسلامية المحددة لمعالمها . كرحلة جثمان الحسين بن على من العراق الى الشام الى مصر واستقراره فى المشهد الحسينى . والعلاقة الروحية بين الحسين والكثير من الطوائف والجاليات الاسلامية فى الشام والعراق وشرق اسيا والباكستان . فتلك الدورة اذا خططت دورتها مثلا والاحتفال بموسمها وعيدها ستفتح المجال امام السياحة الدينية الاسلامية الخارجية بجانب السياحة الداخلية وستجذب الاف السواح كل عام .

ان الكثير من اولياء الله الصالحين وابناء بيت رسول الله ممن هاجروا الى مصر والتجأوا اليها وكان لهم دور فى تاريخها الاسلامى ، وقد بنت مصر لهم الاضرحة والمشاهد والمساجد ، وتحتفل باحياء ذكراهم وموالدهم كل عام ، وستتحول بعض تلك الاعياد الى اعياد سياحة اسلامية بعد دراسة علاقة كل منها بالبلاد الاسلامية الاخرى .

والازهر الشريف نفسه ـ كعبة الثقافة الاسلامية ستكون له مكانته ضمن المزارات السياحية الدينية العالمية احتفالا بانشائه فى عيد سياحى ودورة سياحية سنوية .

● ان تلك الجولات والرحلات الدينية ستكون العناصر الاساسية فى شبكة تخطيط السياحة الدينية وربطها بالشبكات الاخرى المكونة للتخطيط السياحى العام ، خاصة وان ارتباط السياحة بالعقائد والمعتقدات الدينية اكثر ثباتا من ارتباطها بالعوامل الجوية والترفيهية والاثرية .

كما ستلعب تلك السياحة دورا فعالا فى التعمير السياحى والاثرى فيما يتصل باعادة تعمير تلك المناطق ومعالم اثارها الدينية واحياء تاريخها بجانب ما يرتبط بها من الخدمات السياحية الخاصة بالاسكان السياحى والثقافة الاعلامية السياحية ، والتجارة السياحية باى تصنيع السياحة الدينية وتنمية اقتصادياتها ضمن اقتصاديات السياحة العامة .

رحلة الشهر

الإمام أبو زهرة

فقد الإسلام في الشهر الماضي صوتا من أكرم أصواته ، هو المرحوم الأستاذ الإمام محمد أبو زهرة ، أكبر علماء الشريعة في هذا العصر ، وشيخ أساتذتها في جامعات مصر ، وعضو مجمع البحوث الإسلامية ، وصاحب المؤلفات الخمسين التي تتلمذ عليها المشرعون والمفتون في العالم الإسلامي بأسره .

كان الشيخ أبو زهرة شجاعا في الحق ، لا يرهب فيه لوم اللائمين ولا بطش الحاكمين ، وطالما لقي كثيرا من العنف قبل ثورة التصحيح ، ولم يغره قول من أغروه بمنصب شيخ الأزهر مساومة على صلابة مواقفه ، وهو صاحب القناة التي لا تلين ، وهو الذي لا يقبل تحريفا ولا تأويلا في أمور الدين .

ولا زلت أذكر من مواقفه الأخلاقية ، يوم احتشدنا – منذ أكثر من عشر سنوات – في مؤتمر قومي شهده الوزراء وكبار رجال الدولة ، وهب الشيخ أبو زهرة يومئذ يحتج بأعلى صوته على الدولة لأنها وجهت للفيلسوف الوجودية الفرنسي جان بول سارتر وصاحبته سيمون دى بوفوار دعوة رسمية لزيارة مصر ، ويقول

فى غضبة مصرية اسلامية مؤمنـــــة : كيف يجوز لدولة دينها الاسلام ان تدعو رجلا تقوم فلسفته على الانحلال ، وتدعو معه خليلته التى لا تربطها به اية شرعية ؟



الشيخ محمد ابو زهرة

ولى معه موقف تغاضبنا فيه ..

كنا فى دار المجلس الاعلى لرعاية الفنـــون والاداب نحتفل بذكرى امير الشعراء احمد شوقى .

وكنت فى الخطباء ، وكان الشيخ ابو زهرة فى المدعوين .

وتكلمت عن وطنية شوقى ، فذكرت الابيات الاربعة الخـالدة التى نظمها شوقى يوم اراد المنافقون ان يكرموا فتحى زغلول فى فندق شبرد ، بمناسبة تعيينه وكيلا لوزارة الحقانية (العدل الان) وهو منصب كافاه به الانجليز على موقفه المؤسف فى قضية دنشواى ، وهو قاضى دنشواى .

يومئذ نظم شوقى هذه الابيات :

اذا مـــا جمعتم امـــركم وهممتمو
بتقـــديم شىء للوكيـــل ثمين
خذوا حبلا مشـــنوق بغير جريرة
وسروال مجلود وقيــد ســـجين
ولا تعرضوا شعرى عليه ، فحسبه
من الشـــعر حكم خطـــه بيمين
ولا تقراوه فى « شبرد » بل اقراوا
على ملا فى دنشـــواى حـــزين

وغضب الشيخ ابو زهرة لفتحى زغلول ، ووقف يقول انه كان اكبر علماء القانون المدنى فى عصره .

ووقفت ارد عليه ، واقول ان الخيانة التى يرتكبها اى رجل فى حق بلاده تجب كل افضال .

وتصافينا بعد ذلك ، وعرفت ان دفاعه عن فتحى زغلول ، لم يكن كرامة لفتحى زغلول ، بل كرامة لشقيقه سعد زغلول ، الذى كان ابو زهرة يؤمن بانه اعظم زعيم فى التاريخ المصرى .

وفى العام الماضى ، ذهبنا ـ وعلى راســنا ابو زهرة ـ الى مدينة « تيزى اوزو » بالجزائر للشارك فى الملتقى الاسلامى ، وقضينا معه زهاء شهر فى فندق واحد ، وكانت لنا سوامر فى الليل ، كان هو شيخها الذى لا تغلب له حجة ، ومحدثها الذى لا يمل له حديث ، وظريفها الذى لا تفوته نكتة .

احسن الله لقاءه مع الابرار والصديقين .



احمد رامي

قرأت بامعان فى الهلال عدد فبراير فى « رحلة الشهر » ما انتهيتم اليه فى لجنة الشعر التى تسعد اليوم برئاستكم فى وضع برنامج واسع لتخليد الشعر العربى المصرى والشعراء يتم تنفيذه على مدى خمس سنوات بطريقة طردية وعكسية ·

فاما القدامى فسيصدر عن كل منهم كتاب مستقل اذا كان للشاعر وزن يحتمل كتابا واما المحدثون فسيضم كل كتاب يصدر عنهم سيرة خمسة منهم معا تعريفا بهم وتنويها بأبرز أعمالهم الشعرية · وهذا تقليد نبيل ·

فاذا سمحت لى باضافة اقتراح مكمل لهذه الفكرة الرائعة اكون شاكرا لو رأيت فيه جديدا ، يسمح بالتنفيذ ·

ان وسائل تخليد الكتاب والشعراء يجرى الان بتسجيل بعض اعمالهم على اسطوانات خاصة · وأننى لأرجو أن يكون ذلك على يدك ·· فانت اقرب الناس الى لهم وتنفيذ هذا الاتجاه واقناع المسئولين بفائدة ذلك · فتأذنون بتسجيل بعض الاعمال بأصوات أصحابها وبخاصة الجيدين منهم ·· احتفاظا بقدر كبير من جوانب الشخصية ، وطريقة الاداء ، ونبرات الصوت واتزان الموقف ، وحلاوة الصوت ـ الى جوانب متعددة من هذه التسجيلات فى الافادة بها فى المعاهد والمدارس الفنية والمسرحية·

● طرابلس ـ ليبيا ● ● محمد حليم غالى ●

ـ الواقع ان فكرة تسجيل الشعر على اسطوانات واشرطة تسجيل ، بصوت الشاعر ، او بصوت يحسن تلاوة الشعر اذا كان صاحب الشعر من الراحلين ، او ممن لا يحسنون تلاوة الشعر ، هى الرائجة فى الخارج ، والحيلة المفضلة لدى محبى الشعر منذ عدة سنوات ، ولا سيما ان التسجيل يكون مصحوبا دائما بموسيقى تصويرية حالمة ·

وقد اصدر كثير من شعراء اوربا وامريكا دواوينهم منذ الخمسينات على هذه الصورة ، التى لاقت رواجا كبيرا ، الى حد ان الشاعر ديلان توماس باع من تسجيلاته الشعرية اكثر من مليونى اسطوانة ، وكذلك امير شعراء امريكا روبرت فروست ·

حبذا لو عمدت الاذاعة المصرية ، وشركة اسطوانات صوت القاهرة ، الى ترويج هذه الفكرة ، بادئة بالشعراء الكبار كأحمد رامى واضرابه

بيت لناجي


يوسف جوهر

كنا نتحدث عن الشاعر ابراهيم ناجي في دار الأدباء .. وابتسم صديقنا القاص اللامع يوسف جوهر ، وقد عادت به الذكريات الى موقف له مع ناجي في صيف من الاصياف .

كان ناجي وحده على شاطىء البحر .. ومر أحد المصورين المحترفين ، فسأله ناجي أن يلتقط له صورة على الشاطىء .

وفي تلك اللحظة ، مر يوسف جوهر ، ولمح ناجي ، ووقف خلفه دون أن يشعر ، وتم التقاط الصورة ، وفوجىء ناجي - والمصور يقدمها له - بأن يوسف جوهر تسلل الى الصورة

وضحك ناجي ، وقال مرتجلا :

لو كنت بي يا صاحبي متربصا
فلانت خلفي في وقار الواقف
رسم لابراهيم في « اسطورة »
اترى توافيني « بصورة » يوسف ؟

في تدريس اللغة العربية

منذ سنوات قريبة ، زارتني تلميذة في الخامسة عشرة ، تتأهب لامتحان الاعدادية ، وقالت لي وفي عينيها الدموع :

- انني أحب الشعر .. ولكن أليس حراماً أن نبدأ مسيرتنا مع الشعر في المدرسة بالشعر الجاهلي ؟

وقرأت النصوص المفروضة عليها ، فاذا هي كلها من الغوار الجاهلية ، وكل كلمة من أبياتها تحتاج الى القاموس ، بحيث لو عرضت على خريج الجامعة ، لعجز عن ادراكها .

وقلت لهـا :

- معك الحق يا ابنتي

ومنذ يومئذ عرفت لماذا لا يقبل الشباب على قراءة الشعر .. لان المدرسة تبدأ معهم بالطريقة الخاطئة .. تبدأ معهم بالحوشي والغريب من الشعر ، بحيث يتشاءون على كراهية الشعر ولو لجأت المدرسة الى الطريقة العكسية ، لاحب الشباب الشعر وعشقوه .

لو بدأت معهم بالشعر المعاصر السائغ، كأطلال ناجي وجندول علي محمود طه ، ثم أخذت تعود معهم مرحلة بعد مرحلة الى

القديم ، فشوقي ومطران وحافظ ابراهيم ، ثم اسماعيل صبري ومحمود سامي البارودي ·· الى ان نصل الى المتنبي والبحتري ·· والى ان ننتهي في آخر الرحلة الى الشعر الجاهلي ، لاستدرجنا ابناء هذا الجيل الى حب الشعر ·


احمد شوقي

وبهذه المناسبة ، تلقيت من الاستاذ السيد محمد عجاج ، مدرس اول اللغةالعربية بمدرسة قاسم امين بطنطا ، تقريرا فيه جهد مشكور ومأثور ، عن ضرورة اصلاح برامج تدريس اللغة العربية بالمدارس الثانوية ، يستحق عناية السيد وزير التربية والتعليم ·

خلاصة هذا التقرير :

١ ـ تفضيل النص الذي يدور حول قيم العرب ومثلهم كالتابة للبشرية في الأخلاق ، وتقاليدهم وتجاربهم في الحياة الانسانية وفلسفتهم في السعادة البشرية ··

٢ ـ تفسير النص « ككل » متجانس من « داخله » لنصل الى الاطار « الحاكم » الذي يعصم الجزئيات من الذهاب بعيدا عن خط النص وذلك بدلا من تفسير النص من الخارج ··

٣ ـ تناول التذوق الادبي بوسائل بلاغية مستفيدة من تطور النقد مجاراة لتطور التعبير الادبي من الصنعة المفرطة الى العمق في حنايا النفس الخاصرة الثقافة التابعة لمدارس الادب المختلفة الحديثة ··

٤ ـ يكتفي من « النحو » للطالب الذي لن يتخصص في تدريس اللغة العربية بالضبط والاستعمال الصحيح بعيدا عن حلقة التقديرات والتأويلات والافتراضات التي تهدف الى تعليل الضبط لان ذلك كله لا اثر له الا الحيلولة بين الطالب والتمكن من القواعد نفسها فضلا عن استخدامها بسبب الازدحام القائم على الحفظ المعرض للنسيان المستمر ·

٥ ـ كيف نسلم لغة طالب لا يحاسب على الصحة الا في سؤال خاص بالنحو في ابواب خاصة من النحو ، وفيما عدا ذلك فلا عليه ان يفعل باللغة ما يشاء ولا حرج ، وكأن القواعد شيء مطلوب لذاته والمطلوب تذويب هذه القواعد في الممارسة والاستعمال في الوقت الذي تشرح فيه القواعد باللغة العامية ·

مع القراء

● والقارئة الآنسة امينة الزغبي ـ بالكويت ، تشكو من ان مجلة « الهلال » مع ملحقها « الزهور » والمصورة الهندية ، تباع

فى الكويت بخمسمائة فلس ، وتقول أنها تحرص كل الحــرص على اقتناء المجلة وملحقاتها كل شهر ، رغم ارتفاع السعر ·

ارجو إن اؤكد للآنسة ان السعر المحدد لمجلة الهلال مع الزهور والهندية فى الكويت ، هو ٢٧٥ فلســـــا ، اما « كتاب الهلال » و « روايات الهلال » فسعر كل منهما فى الكويت ٢٢٥ فلسا · وعلى القراء ــ مشكورين ــ ان يتمسكوا بهذه الاسعار ويرفضوا جشع باعة الصحف ·

● والقارىء السيد « محمد الشعراوى » يعتب على لجنــــة الشعر بمجلس الفنون والاداب ــ ولى شرف رئاستها ــ انها تتجه الى عرض ديوان النشار ، الذى جمعه الاستاذ احمد حافظ ، على الهيئة المحلية بالاسكندرية ، التى تضم ابرز ادباء المدينة وشعرائها حتى يصدر الديوان على صورته المثلى ·

ومن أسف أن هذا الموضوع قد انتهى ، برفض الاستاذ حافظ فكرة الشورى ، وطلبه استرداد الديوان لتطبعه أسرة النشار على نفقتها · وله ما اراد ·

● والقارىء السيد « أنيس منصور بن عبد العزيز ــ جدة » يسأل عن هوية الاديب الراحل على احمد باكثير

كان باكثير ــ رحمه الله ــ حضرمى النشأة ، ولكنه جــاء الى القاهرة واستقر بها منذ أوائل الثلاثينات ، وانخرط فى جمعيــة أبوللو فأصبح من شعرائها الشبان الموهوبين ، ودرس فى المدارس المصرية حتى تخرج فى كلية الاداب ، ونال الجنســـية المصرية ، وتزوج مصرية ، ولم يرزق منها نسلا ··

وكان باكثير شــاعرا وناثرا وقاصا وروائيا ومسرحيا · وهو من أوائل من عالجوا المسرح الشعرى بنجاح ، وقد ابتــدع للمسرح لغة جديدة سائغة ، هى بين الشعر والنثر ·

وقد تقلب باكثير فى أكثر من منصب ، آخرها منصبه بمصلحة الاستعلامات ــ ادارة الرقابة على المصنفات الفنية ·

وكان على خلق كريم ، وصاحب اتجاه اسلامى قويم ، مما حمل المنحرفين والمرهقين على أن يحاربوه فى ادبه ورزقه حتى لقد قال قبل موته بيوم واحد « لقد ذبحونى وانتهيت » !

رحمه الله رحمة واســعة

● والاديب الاستاذ هاشم عثمان ، يعتب علينا ما ورد خطأ فى نهاية مقاله عن « الادب النسوى فى لبنان » من أنه لبنانى · والحقيقة انه سورى ، من اللاذقية ·

عفوا ·· وان تكن سوريا أختا للبنان ، وكلنا اخوة فى العروبة

بقية حكاية الميزان

حدثت القراء فى العدد الماضى عن قصة الكتاب الذى اصدره صاحبه فى لبنان ، ليشمعنى فى الميزان ·

وانا احتمل النقد مهما قسا، ولكنى لا احب الاسفاف ، ولا سيما حين يكون دافعه غاية دنيوية رخيصة ·

ولا انكر أن بعض هــواة الوقيعــة قد همسوا لى بأن الشاعر الكبير ، العوضى الوكيل ، وهو صــديق العمر منذ عهد ابوللو ، هو واضع هذا الكتاب

ويومئذ عجبت وأنكرت النبأ ، لأن صداقتنا لم تشبها شائبة منذ ان تعارفنا · فقــالوا : بل ان العوضى حاقد عليك لأنك حاولت أن تخــذله فى جائزة الدولة للشعر برفضك التصويت فى لجنة الجوائز ، مع أن صوتك كان مرجحا· قلت : ولكنى كنت مستقيلا من لجنة الشعر حينما تمت هذه العملية ·· وبقيت استقالتى معلقة ثلاث سنوات لم اشترك خلالها فى اى عمل من اعمال لجنة الشعر ، فكيف أصوت وأنا بعيد عن اللجنة ، وعن المجلس برمته ؟

وعلى اية حــال ، لقد فاز العوضى بالجائزة ، وهو جــدير بها ، والحمد لله

بعد هذا الت بالعوضى محنة صحية قاسية هزتنى من اعماقى، فرفعت قلبى الى الله ادعو له بالشفاء ، فاستجاب الرحمن

ومنذ ايام ، تلقيت من أخى العوضى هذه الرســالة الكريمة التى اصدق كل حرف فيها :

« اخى الاستاذ الكبير صالح جودت ··

تحية طيبة وبعد ··

فانا مقدر كل التقدير ما تفضلت به من السؤال عنى فى اثناء مرضى سواء فى المستشفى او فى المنزل ، عارف بفضلك هذا الذى غمرتنى به والذى انت به وبمثله جدير لكنى عاتب عليك اشــد العتب أن تصــورت فى كلمة كتبتهــا فى الهلال الاخير اننى مؤلف من الباطن لكتاب عامر العقاد عنك أوفيك ، والاقرب الى الصواب انى انكرت هذا الكتاب انكارا شديدا يوم اعطانى عامر العقاد نسخة منه وابلغت هذا الانكار لكثيــر من الاصــدقاء ومنهــم زميلنا حســن كامل الصــيرفى ، بل اننى اجد فى نفسى الشجاعة ان اعترف بالحقيقة لو كنت أنا مؤلف هذا الكتاب ، وعامر العقــاد يعرف قبل غيره انى حــذرته عند بدء الفكرة ، وقلت انك متهم فى قصة كتــابك عن العقاد ودار الهلال وستكون صغيرة ، وربما يذكر صــديقنا الحسانى شيئا من هذا وأحب ان اذكر لك فى جلاء اننى لا اوافق على الاتجاه الاساسى النقــدى الذى اتجه اليه عامر العقاد فى هذا الكتاب وهو بالتأكيد يغاير الاتجاه الذى سلكته حين كتبت عن محمود حسن اسماعيل منذ

عامين ، وسيدهشك الذى حاولت ان اثنى عامر العقاد عن فكرته اكثر من مرة امام جمع من الزملاء ولكنه اصر وعاد الى بالكتاب مطبوعا مجهزا للتوزيع

ثم انى عاتب عليك اخيرا ان مرضى هو الذى اعفانى لديك من المساءلة وليس هو الثقة فى ذمتى الادبية التى اعتز بطهارتها وبراءتها مما يحفل به المجتمع الادبى من الاحقاد وما هو الا ان حقودا كارها وشا فسمعت فحكمت فقلت وقررت الادانة بلا محاكمة

ولى الله منك ومن هذا الواشى الكاره الحقود الاديب

والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

اخوك المخلص :

● العوضى الوكيل ●

العقاد وحافظ والخزامى



عباس العقاد

● أود ان استفسر منكم عن أمرين اولهما انك قلت فى رأى نشر لكم فى الزهور عدد مارس سنة ١٩٧٤ فى استطلاع بعنوان : « ٧ كتب ودعوة للحوار مع ضمير القارىء » ، مانصه « ولعل الظاهرة العجيبة المشتركة بين الاربعة الاوائل من هؤلاء الشعراء وكلهم من شعراء الوطنية المصرية الخالصة انهم ينحدرون من اصل تركى .

وكذلك كان البارودى وشوقى والعقاد وحافظ والهمشرى وغيرهم .. » .

اما عن البارودى وشوقى ، فاننا نعرف انهما ينحدران من اصل تركى كما قلت .

اما العقاد وحافظ فقد قرأت الكثير عنهما ولكننى لم اعثر على انهما من اصل تركى كما قلت فارجو ان توضح لى ذلك فربما اكون انا وحدى الذى لا اعرف ..

ثم أود أن استفسر عن كلمة سمعتها فى قصيدة تغنيها كوكب الشرق السيدة (أم كلثوم) وهى « اغار من نسمة الجنوب » للاستاذ الكبير رامى ففى بيت يقول فيه :

« تميل نحوك الخزاما اذا سرت ساعة المغيب » ، فما معنى كلمة « الخزاما » ؟

● فكرى رضوان الحلبى ● « مقاتل بجبهة القتال » ..

— حافظ والعقاد هما كذلك من اصل تركى ، شأنهما شأن البارودى وشوقى والكاشف ومحرم وعبد الحليم المصرى وأحمد نسيم والهمشرى ..

وتستطيع ان ترجع فى ذلك الى كل ما كتباه عن نسبهما ، وما كتب عنهما ، وايسر سبيل الى ذلك كتابان لى هما « ملوك وصعاليك » و « بلابل من الشرق » اما « الخزامى » بالالف المقصورة لا الممدودة ، فنوع من الزهر طيب العبق ابيض اللون ... ويطلق ايضا على ضرب من النسيم ، وصحة البيت هى :

تميلى نحوك الخزامى   اذا سرت ساعة المغيب

الشاعر محمود الماحي

بهذا الانموذج الرائع من الخط العربي يراسلنا القارىء الاديب محمود الملا ، من البحرين

وشكرا له على تقديره للهلال اما عتابه ، فله تقديره . ولقد رحل الشاعر ليلقى وجه ربه ، وهو في اوج شبابه ، ولم يسمع الناس من شعره اكثر من قصيدة له غنتها وليلة الأرق ام كلثوم .. فليت اسرته تجمع ما خفي من شعره وتنشره على الناس .

● ص . ج ●



عاطف مصطفى

شعراء الوطن العربي في وداع عزيز أباظة

من مختلف بقاع الامة العربية أتوا اليه ، لشاعر مصر والعروبة عزيز اباظة الذى رحل عنا وملء صدره أسى وحسرة منذ نكسة حزيران . مات والجرح ينزف على وطنه الحبيب دون ان يرى اليوم العظيم : يوم العبور .

أتوا من الاردن والسودان وسوريا ولبنان وفلسطين الى جانب احبائه ومريديه فى مصر كل منهم يعرب عن أنبل احاسيسه ومشاعره ، يتحدث عن « عزيزه » الغالى .

الى احباء عزيز اباظة ، وغصت بهم قاعة جمعية الاقتصاد والتشريع بالقاهرة ... وبدأت الندوة بكلمة وزير الثقافة الاستاذ يوسف السباعى تحدث فيها عن مكانة الشاعر الراحل وتقدير مصر له وكيف كان يرفع لواء الشعر على كل منبر وفى كل محفل من محافل الشعر .

وكانت اول قصيدة للشاعر الدكتور عبد المنعم الرفاعى الذى قطع الوف الاميال شوقا يحمل قلبه الكبير معه ليشارك فى رثاء فقيدنا الغالى — هكذا الوفاء يجب ان يكون — ليجدد ذكرياته هنا مطوفا ومحلقا ومتفرزا وقائما لهذه التجربة الخبيرة .. يأخذ بيدنا تارة ، ويحلق بنا تارة أخرى على بسط من خيال ورقة ذائبة ، جاء بالورد لينثره وبالشعر ليلقيه على مسامعنا وبالدمع ليذرفه أسى ولوعة على فقيدنا ، وهو الذى التقى بالفقيد



د. عبد المنعم الرفاعي



سعيد عقل



صالح جودت

أكثر من مرة في جولاته وسفراته . واصفا لنا كيف كان الفقيد يمد يديه يحتفي بكل الناس ، ويبش في وجه الناس جميعا ، والرواد الكثر ينثرون الورد والنسرين ، وهو الكريم ابن الكرام سمحا وخلقا .

ثم يذكر الشاعر أيام أكتوبر المجيدة والتي خاض صناديد العرب الأشاوس أروع معاركهم ضد الصهيونية ، وأثبتوا بحق أنهم يعيدون انتصارات معارك النصر على مر العصور الاسلامية في بدر وحطين

وحق له أن يبكي الشاعر الراحل والدموع غلبت الحزن وفاقت الاسى فهطلت غزيرة . الى أن يقول انه يتمنى ولو أياما قصيرة ، ولو ساعات كي يرى ما تراه ، وقد انقشعت الظلمة وتبدد اليأس وجاء الربيع ثانية الى ديارنا ، حمله لنا جنودنا وليس كثيرا على مصر وهي عبر التاريخ الوجه المشرق المبتسم ، الوجه الحقيقي للعروبة وليس كثيرا أن تكون مصر مرآة الأمة العربية ماضيا وحاضرا ومستقبلا وهل هناك أبلغ من هذا .. وهل هناك أوفى من هذا . فكلا الصاحبين وفي لصاحبه ، رحم الله الأول وأطال عمر الآخر .

ثم ألقى الشاعر السوداني د. محيي الدين صابر قصيدة بعنوان : « فقيد الشعر العربي عزيز أباظة» بدأها بالألم والحسرة على رحيل شاعرنا في حقبة بدأت فيها الأمة العربية تستعيد أمجادها « وتخضر » أيامها ويبزغ فجرها الجديد حين عبر جنودنا القناة ، وحطموا الأسطورة فوق رمال سيناء ، وكأن الرجال كأنهم قدر الى أن يقول عن الراحل العزيز :

يا خالق النغم السلام سلام
صلى عليك الفكر والالهام
أرحلت حين اخضرت الأيام
والداح فجر واستمر ظلام
والنصر يزرع الجما وغمائما

في ارضنا فتثيرها الاحــلام
ويهز بالامل البصير وجـودنا
جهدا فتكبر عنده الاعـــوام

●●●

ثم في رحـاب الله اكرم خالد
ترضى العروبة عنك والاسـلام

ويجيء دور مصر لتكرم راحلهــا العظيم بقصيدة لشاعرنا المبــدع صالح جودت الذي بدا رائعته كعادة الشعراء القــدامى بنفي الموت ونفي



د. طلعت الرفاعي



أنور أحمد



ثروت أباظة

العزاء بلمحة وفاء ، يرفع بها فقيدنا الى قمة شوقي امير الشعراء فهــو الذي ما زال يسعى ويسعى الى ان وصل الى سدته بعد ان اعيا الكثيرين الوصول .

وهو الذي يغرف غرفا من بحــر الشعر والالهــام ، وهو الذي يغني فتسمع الدنيا تضفي عليه الثناء ، ففقيدنا اشبه بشوقي من ناحية تعدد موضوعاته وتدفق عباراته ، اضف الى ذلك سعة الافق واللغة الرصينة المتمكنة والمسرحيات التي اجاد فيها كل الاجادة، فهو رومي الشجي بحتري الروح شوقي البناء .

وينتقل شـاعرنا بقفزات رائعة معددا كثيرا من الزايا التي يتمتع بها عزيز اباظة من وفاء واخــاء ومحبة ، كانت بلسما لكل من عرفه الى ان يصل بنا الى الشعر الحديث وكثيرا ما يتناوله الاستاذ الشـاعر بالنقد ، ونحن نعرف ان الشــاعر صالح جودت كان بعيدا عن ارض الوطن ، حين اتاه نعي الفقيـد ولم يره ، ولم يودعه الوداع الاخيــر فكانت قصــيدته قطعة من قلبه ، وكانت الاسطر دمعات متوالية على الراحل الكبير .. فوداعا يا شاعرنا الكبير ، وخلودا أيها الصديق الوفي الذي ذاب عشقا في زوجه وحفظ لها الود ، ودعنا نقل معا :

يا ابي ، بل يا اخي ، بل يا انا
انا من مات فللشعر البقــــاء

●●●

وياتي دور لبنـــان الذي احبه الشاعر الراحل بكل وجدانه ، فكان صديقا لكل ما فيه من جمـال شجر الارز ، وليل لبنان ونجوم لبنان ، ورثا الشاعر سعيد عقل الفقيــد بقصيدة رائعة جميلة بداها بالحديث عن مصر وعظمتها وريادتها في كل ميدان ومدى حب لبنان للشـقيقة الكبرى مصر .

جاء سعيد عقل مدافعا عن فقيدنا وليقول فى كلمات صادقة عن شاعرنا بأنه « الطور والكلم » نبى اخر اتته الحكمة والبيان . فقيدنا هو الشاعر الحلق الذى كانت الشعراء نباتا اخضر فى روضته ، وغصونا فى جناته .جاء

سعيد عقل ليسكر ثانية ,كما سكر بشوقى أمير الشعراء بهوى وحب عميق جمع بين الامتين الشقيقتين لكن شعر فقيدنا كما يقول عقل يخلده ويعبده الشعر نفسه ، ويغوى الروح والليل والانجم وكان اجدر بك يا فقيدنا ان تحمل امارة الشعر وان لم تكن امرت فلن يضيرك حمل التاج شيئا . جاء بلسان لبنان الاشم

برائعاته بارزاته بلهفاته قائلا لفقيدنا « يا من طوقت جيدى يا عقل أمتنا كلامك كالسيف . فشطر تنهزم منه الاعداء . والشطر الاخر زغرودة النصر العظيم . أما قصائدك العظام فهى خلود وأما ابتهالاتهم فهى دق على باب السماء كما يدق الحكماء .

أما مصرك مصرنا جميعا فكم لك فيها من رائعات . فيا عملاق مصر ، قوافيك الكبار ، ما زال لبنان يتصف ويتحلى بها ، ومن أنا لأرد لك كل هذا ، فما من شاعر هام بالنيل الا وانتشت قدم فمصر هى المجد والكون أنى رغم . فيا مصر يا حبيبة فقيدنا عزاء لك وللنيل وللشعر والشعراء . عزاء لنا جميعا وتحيـة من مصر النصر الى شاعر الارز .

***

وبرغم المرض الذى يلازم الشاعر حسن كامل الصيرفى الا أنه أبى الا ان يحضر ليشارك فى حفل تأبين صديقه الراحل عزيز اباظة فالقصيدة بثها حسرته على رحيل الشاعر الكبير يقول فى ابياتها :

لعزيز فى صفحة القلب رسم
ليس يمحى على الزمان ومره
وعزيز فى مسمع الدهر لحن
لن توارى الرياح أصداء نبره
.. ..
كان حلو اللقاء يخلق جوا
شاعريا بأنسه وببشره

لقطة من المهرجان الشعرى فى تأبين شاعر مصر الراحل عزيز اباظة



خلق كالربيع يزهو ائتلاقا
بين أعطاره ورقة زهره
وسموق في الخلق أضفى جلالا
ظله فوق شعره فوق نثره
شاعر صادق الشعور جلته
ربة الحزن في حرارة جمره

***

أما الشاعر محمد التهامي فقد بكى الشاعر الراحل عزيز أباظة بكاء صادقا ذاكرا مناقبه الفريدة معددا أياديه البيض على الشعر العربي . يقول :

نام العزيز ولم ينم سلطانه
بل راح يستبق الحياة بيانه
....

ليعرف القول الجزاف بل انتقى
فأضاء في صدق الشعور جمانه
وأقام في حلو الحياة ومرها
ما اهتز في وهج الصراع كيانه
زانته في الإقبال حلو تواضع
حين اكتوى بغرورهم أقرانه
وبراته عند البأس أكرم فارس
يغفو بليل الحادثات سنانه

وبعد أن يستعرض الشاعر حياة عزيز أباظة الحافلة بالمجد والنبوغ والالهام والفن والاصالة يختم قصيدته قائلا :

ان كان للشعب العريق حضارة
كتب الحضارة كلها فنانه

***

ويجيء صوت سوريا الحبيب ممثلا في شاعرته الرقيقة الدكتورة طلعت الرفاعي الذي يأتي صوتها معبرا عن حزن عميق لفراق شاعر مصر عزيز أباظة فتقول :

سمعت الشمس وهي تقول يوم الخطب

***

هنا شعر عرفت بومضه الق
هنا دوح تلفت فيه فوق المنتهى عنقى
هنا سكر رشفت بكاسه شفقى
هنا عطر تقطر فيه عطر الضوء من عبقى
هنا موج بلا وسن
هنا عمر بلا فرق
....

سمعت الشمس وهي تقول بعد اليوم من يصغى لأناتي
ومن في حلم الشواقي يجسد لي طموحاتي

***

ثم يلقى الشاعر الفلسطيني أبو سلمى قصيدة نذكر منها هذين البيتين :

يا عزيز الشعر من بعد النوى
لم نجد للشعر فرسانا وساحا
الحروف العربيات انطوت
والهجينات تصدرن المراحا

***

والشاعر العوضي الوكيل شاركه بقصيدة عنوانها مرثية ثانية تجتزىء منها هذه الأبيات :

أبكي عليه والأسى يعصرني
وليفض الدمع ولا أقول لا
يادمع فض ما استطعت انى جازع
على فراقه ولو هطلت أزلا
ولو نزحت مهجتي مدامعا
ولن يقال سال دمعا وسلا
يا دمع فض بعين مزن هامر
على الذي يعدم فينا المثلا
....

يحزنني أن قيل كان انه



د. محيى الدين صابر

ما زال فينـــا قائما متمـــثلا
يهدى ويرسى بالقوافى اسســـا
من الكمال ، ويقيم مثـــــلا

❊❊❊

ويجيء دور النثر بعد أن قـــال الشعر كلمته فى شاعره عزيز اباظة عرفانا بمَا قدمه من مآثر جليلة للضاد وللعروبة أجمعها • **وكانت الكلمة لصديقه الوفى وراويته انور احمــد الذى ذكر فى كلمته أن عزيز اباظـــة ترك تراثا شــعريا كبيرا لم ينشـــر حتى الان ولكنه سوف يأخذ طريقـــه الى النـــور ، ومن ذلك ديوانه الذى** سماه « تأملات » كما أن الجزء الاول من ديوانه العـــاطفى سيصدر تحت عنوان « تسابيح قلب » وهذا الجزء من الديوان سيكون أبلغ رد على الذين يزعمون أن شعر عزيز اباظـــة حافل بالالفاظ الغريبة الصعبة ، وفاتهم النـــاقدون أن لكل مقام مقـــالا وان أسلوب شـــعره كان يتلون بلون أغراض هذا الشعر ••

وكانت لمحة صدق من رفيق عمره وراويته الوفى ان تعهد بنشر كل تراث الراحل العـــزيز الذى لم ينشر فى حياته •

وفى نهاية كلمته قال انور احمــد ‏•• ان عزيز اباظة لم يمت ، انه حى فى آثاره وشعره ، وعندما ينشر باقى شعره على الناس سوف تتجدد له حياة ثانية ، وسوف يخلد فى الحياة خلود هذا الشعر البـــاقى على مر الزمان •

❊❊❊

وقالت الاسرة كلمتها فى نهـــاية الحفل الذى امتد لثلاث ساعات مرت سراعا وكلمـــات الوفاء ، ومعانى الاخلاص تنساب من بين شـــفاه الاصدقاء والشعراء كلها الصدق ، تناجيه كمـــا لو كان موجودا مع الحاضرين •

وفى نهاية هذه الامسية الشـعرية القى الاديب ثروت اباظة كلمته التى قال فيها « نحس نحن ابناؤه واسرته ان فقيدنا عاش فى خلجات قصـــائدكم وفى مسبح الاجيال على شـــعركم الباقى وشعره ، فيقـــر منا ملتاع ، ويطمئن جـــازع ، وترقأ دموع ، ويصبر واله ، ويتعزى أســـيف ، ونتوجه اليكم فيتعثر بنا الطريق من عجز ، ويلتوى بنا لسان من عى ، ويجمد لنا قلم من حصر فلا نجـــد سبيلا الا أن نقف أمام محاريب فنكم صامتين فى خشوع فان الصـــمت والتخشع هما بياننا اليكم » •

لقد كانت روح الشاعر تحلق فى سماء القاعة ، وتطل من عليائهـــا مباركة كل من حضر مهرجـــانه ••• مهرجان الشعر العـــربى الذى تجلت فيه القرائح مبدعة ما جاءت به من روائع القريض ، فكانت روعـــــة الذكرى والتذكر •• ذكرى عزيز اباظة فى يوم تأبينه شاهدا على مقدار فنه وتفوقه •

لقد خلف شاعرنا تراثا شعريا ما بين شعر غنائى ومسرحى ما يجعلنا نقر بانه كان خليفة لشـــاعر مصر وأمير الشعراء أحمد شوقى •

يوسف السباعي

.. وفاءً لعزيز أباظة وعرفاناً بجميله

كان من سمات العرب منذ قديم الزمان ، أن تحتفل القبيلة بظهور الشاعر فيها

ايما احتفال فتقام له المهرجانات ، وتقرع الطبول ، وتدق الدفوف ، وتغنى الاهازيج ، لان الشاعر هو الذى يتغنى بأمجاد قبيلته ، ويفاخر بها بين الامم ويحرضها على الجهاد، ويدفعها الى النخوة ، ويرد عنها السنة الكاشحين ، ويصنع لها مكانتها بين القبائل حين يذهب بقصيدته الحولية الى سوق الشعر السنوية ، من عكاظ الى ذى المجاز ، ليكون سيد المنابر وخير القائلين .

وكانت القبائل الاخرى اذا سمعت بظهور هذا الشاعر فى قبيلته ، بعثت اليها بالوفود تهنئها وتبارك لها نعمة الله عليها به .

فاذا لقى الشاعر وجه ربه ، اعلنت قبيلته الحداد عليه ، وهلعت قلوبها ، وثارت اشجانها وجاءتها الوفود من سائر القبائل تشاركها فى محنتها .

وما زالت هذه الروح العربية سائدة فينا حتى اليوم ، فما نحن — حتى بعد انتهاء العصر القبلى بمعناه الضيق — الا قبيلة مصرية فى أمة عربية نحن جزء من تاريخها وتراثها وتقاليدها ولهذا كان ظهور الشاعر الكبير الذى نحتفى بذكراه الليلة ، عزيز أباظة ، فرحة فى بلادنا نزهى بها أيما زهو ، وطالما احتفلنا به فى

حياته ، فقسمنا له مكانه الحقى فى مجمع اللغة العربية وفى المجلس الاعلى لرعاية الفنون والاداب ، عضوا بالمجلس ، ومقررا للجنة الشعر وطوقنا جيده بوسام

الاستحقاق ، وقسمنا له جائزة الدولة للاداب ، وكنا نذهب به الى أسواق الشعر الحولية فى مختلف العواصم العربية خلال مؤتمر الادباء السنوى فترفع رءوسنا به انسانا ، ونتيه بوقفته على المنبر شاعرا .

وهانحن أولاء نحتفل بذكراه ، وفاء له ، وعرفانا لجميله ، وهاأنتم أولاء تجددون ذلك التقليد العربى العريق ، فتسعون الينا من مختلف القبائل العربية ، من السودان وسوريا ولبنان وفلسطين والاردن ، تشاركوننا فى فجيعتنا عليه ، وتحملون عنا بعض اشجاننا لفرقته، جزاكم الله عنه وعنا خير الجزاء .

لقد ولد عزيز أباظة فى العقد الاخير من القرن التاسع عشر ، وهو العقد الخصيب الذى أنجب من



يوسف السباعي . .
وزير الثقافة . .

شعرائنا الكبار ابراهيم ناجي وعلي محمود طه ، واحمد رامي وغيرهم .

ولد شاعرا لكنه لم يجهر بالشعر فمات لداته ، وانما راح يتقلب في مناصب الدولة ، وينظم الشعر في صمت حتى فاجأته وهو في نحو الخمسين ، المحنة الاولى في حياته ، حين فقد شريكة حياته ، فتفجع عليها تفجع الأبلسي الاوفياء ، ووهب لها أول ديوان له وهو مائات حائرة وكان الألم الذي اعتصر قلبه يومئذ فاض عليه بطاقة شعرية ضخمة ، وكأنما كان شوقي هو القائل له :

نفرنت بالألم العبقري
وأنبغ ما في الحياة الألم

فماذا به يحمل رسالة شوقي

ويصبح وريثه الشعري ، ويطالع الدنيا بروائع المسرح الشعري رائعة بعد رائعة ، حتى بلغت عشرا ، بعد أن ظن الناس أن المسرح الشعري قد مات بموت أمير الشعراء ولم يقصر عزيز اباظة همه على المسرح الشعري وحده ، وانما كانت له ــ في خلال ذلك ــ قصائد غنائية عامرة ، منها ما ترنم به شاديا الشرق عبد الوهاب وام كلثوم ، وكانت له فوق ذلك كله تلك النفحة العالية التي سجل بها سيرة سيد الانبياء محمد عليه الصلاة والسلام شعرا .

وكانت المحنة الاخيرة في حياته ، هي التي عانيناها جميعا ، نحن العرب في كل قبائلنا ، محنة الهزيمة سنة ١٩٦٧ ، التي مات عزيز اباظة محسورا عليها في يوليو سنة ١٩٧٣

فليفد ثراه اليوم ، ولتقر روحه ، ونحن نحتفل بذكراه ، وقد انقشعت غمة الهزيمة وارتفعت راية النصر ، ورفرفت أعلام المستقبل العربي المشرق اليوم على أرض سيناء ، وغدا باذن الله على أرض الجولان والقدس وسائر فلسطين المفداة .

د. عبد المنعم
الرفاعي



يا مصر

أقبلتُ نحوكِ واستجابَ ليَ المدا
وطويتُ في ناديكِ أمسِ والغدا

يا مصرُ كم اترعتِ كأسي بالهوى
في ضفتيكِ وكم شكوتُ لكِ الصدى

ومضيتُ تدفعني اليكِ صبابتي
زخمٌ منَ الشوقِ القديمِ تجدّدا

هل تسمحين وحولَ شطكِ ترتمي
خصلِ الهوى ، ان استعيدَ واعتقدا ؟

ان استرد هوايَ مزقه النوى
وألمُ ما تنثر الشباب وبددا

***

أو ما طويتُ مساكِ الخضل الرؤى
وانثنيتُ منكِ صباحكِ العطر الندى

ورشفتُ من خمر الاصيلِ سلافةً
وضممتُ من خصر النخيل الأملدا

ونظمتَ كلَّ قصيــــدة عسلوية
أدنى الى سَمْعِ الزمــان وأبعَــدا

في مَعْشَــــر الجــاهلية تنتمى
لرويهم والعبقــرية معتــــــدا

رفعُوا القباب مثاليا ومثالثــــا
وشــدا الجمَــالُ على الجلال وغرَّدا

شــعراؤكَ المتشــامخون تآزرُوا
بالنور واتخذوا الكَواكب معْقــدا

تمشِ لهم لغة القــريضِ فمــا ترى
الا البيَان مجنَّحا ومجــــدَّدا

كم ليلةٍ نسجَ النعيم خيوطَهــــا
وعزيزُ مصــــرٍ كان فيها الفــرقدا

حنت الى النغم القــــديم ورجّعت
ورقاء مــكة والقَريض ومعبَــدا

وســــجعت فالموْجُ الرخى كــأنه
سرق الحنــــين من الرنين ورددا

والتف حولك من رُوَّاتك ســـمر
نثروا عليــــكِ الوردَ غضًا اغيَــدا

كنت الكَريم ابن الــكرام تلفتــا
سمحـــا وخلقا من خلالِك اصْيدا

وقرأتَ منْ شعرى وكفك صــافحتْ
كفى وكم طوقت جيـــدى واليَــدا

يا مصر

أعزيز يا ركن البيـان وصرحـه
وفتى الاباطين فـرعا أمجـدا
يا صاحبى وأخى وبل مراشـفى
والاريحية والمروءة والنـدى
قـد كان موعدنا كما أمّلتنى
ورجعت .. لا أجد اللقـا والموعدا
الا جلالك فى سـواد محاجرى
وسناك والوتر الموقـع والصدى
فوقفت فى ذكراك أذرف دمعـة
يأبى عليها الحزن أن تتجلـدا
أبكى عليـك وراء كل غشـاوة
بين التقى والشـك تختصر المدى !

***

أهديتنى من وحى شعرك مسرحـا
اضفى على سير الروائع سـؤددا
تختال فيه بكل لفـظ ماجـد
جـزل تألق جرسـه وتأودا
أرخى لك التاريخ فيـه عنـانه
ومشى مع الزمر الحسان مقيـدا

قيس ولبنى فى ضعفك عديره
وضليل قيصر مغمدا ومجردا

ونشرت من عبق النبوة نفحة
لما وقفت من الرسالة منشدا

وأبحت من أناتك الحيرى أسى
وذكرت عشك خاويا ومشيدا

قل لى بربك حين عض بك الجوى
وحملت حب بنيك وحدك منفردا

كيف الأبوة تستحيل مع الدجى
أرقا ويجرحها الصباح تنهدا

وتغيب فى النفثات كل أمومة
تلقى بأكتاف الأبوة مرقدا

وترى بعينك كل شيء زائلا
الا العفاف وأختها ومحمدا

مهلا ، فمثلك فى الحياة مولـه
كتب الفراق عليه أن يتعودا !!

أنا تائه وقضيت عمرى موحشا
أجد الفراغ السرمدى الأوحدا

انأى به خلف الحدود فلا أرى
الا عليه المنتهى والمبتدا

كسفينة رخت الشراع واقلعت
لا مرفأ أرسى ولا قبس بدا

غير العباب لصده وبصدها
في موكب مخر الحياة وما اهتدى ؟ !

●●●

يا راقدا عند الظلال مضمخا
بالطيب مفترش الخلود موسدا
هل رنحتك على مقامك رعشة
لما سمعت البأس يخترق الردى
وجيوش مصر في دوى هديرها
عبر القناة تدك ما نصب العدا
زحفت تقبل كل حبة رملة
وتقول يا سيناء حان المفتدى
ومشت أمية بالصوارم شرعا
والسمهرية والكتائب حشدا
وتواثب الأردن عبر خريره
ثأر ، وشد على الزناد وسددا
وتطل من خلف العصور جحافل
حلفت على حطين أن تتجددا
وعلى روابي القدس رتل قارىء
عند الأذان : لتدخلن المسجدا

يا مصر

يا مصرُ كم لك فى الزمان ملاعب
أرديت فيها الغاصبَ المتمردا

يجرى بك الوادى الخصيبُ كأنه
نهر المجرة حاليا ومنضدا

خطارة الغزوات ان طلب العلا
مجدًا وان طلب الخلود تفردا

فاذا غفوت فكم محوت غياهبا
واذا صحوت فكم سللت مهندا

***

أيعودنى شعرى وقد عصف السرى
بذؤابتيه ونال منه وشردا

ودخلت فى الظلمات أسبر غورها
جلدا واتهجُ الطريق الموصدا !

شرف المسير اذا المواكب جلجلت
أن لا تكون المستريح المقعدا

أيعودنى شعرى وفى شذراته
دمعُ العناق على الفراق ترددا

فى مأتم العلم المنيف ويومه
والطرف يخشع شاخصا ومسهدا

أنا يا عزيز لئن جمعت قصائدى
لكَ فى الرثاء . لكان يومك أوحدا !

سعيد
عقل

عملاق الشعر



مالم تزن مصر وزن الحق يبق دم
عل الضمير .. ويبقى ان يراق دم

شِعرٌ ولا أنت ؟ .. فى بردى انفضنى ألمٌ
عملاقَ مصر ، تطلّعْ ، والحنى هرم
راثٍ أنا اليوم ؟ .. دعنى من ر ثا وبكا
نارٌ يالِى وفاءٌ كنت أعتزمُ
قالوكَ تكمل خطّا ؟ ... وبجم خطِلوا
فى غفلةِ الوحى ، أنت الطّور والكلِيم
الشعر بعدك صارَ الشعر ، ردّده
من رأسه فوق ، من لم يثغره غنّم
الثان أهواهما : نيلٌ بشِعركَ لم
يتعب ، ولبنان منته تتعب الأمم

سكرى بشوقى أو أنى غير ذى شيمٍ

وقول شوقى بزحلَ (١) السكر والشيمِ

هنا الهوى شدَّ بين الأمتين ، هنا

فى الشرقِ ، ما نسمت قبل الهوى نسم

لكنَّ شعرك أنت ، الشعرُ يعبدهُ

معى ، وتغوى أنا والليل والنجمُ

ما أمرؤك ؟ .. إخال التاجِ ضالتهم

وجاء جبهتك الشماءَ يستلم

حملتَ غصنا من الأرز ، استظلَّ به

أو رعمسيس أو الوقاد من عظمُوا

أو من نماهم ثرى لبنان ، مبتدعُ

البدء : من نثروا الدنيا ومن نظموا

به ألف جبينا لا الشموخُ حكى

أغلى ، ولا العودَ وفاه ولا النغمُ

طوقتَ جيدى بأنى « عقلَ أمتينا

يعلُ من سحرىَ » الأبيات والهيمُ

كلامك السيف ، ها بالسيفِ ترسله ،

والاصطكاك سكوتٌ عنده القلم

بديعَ رصفك ، فيه أنت : قامتك

الغيناء ، صدرك ، صِدق العزمة ، الشمم

وفيه من أسرة قلتَ الرماحَ نمت

قوما ، وقلتَ بخيلٍ طارت الهممُ

---

(١) اشارة الى قول شوقى :

ان تكرمى ، يا زحل ، شعرى اننى انكرت كل قصيدة الاك

انت الخيال بديعه وغريبه الله صاغك والزمان رواك

مصرُ تنتشي ، ما القوافيُ أبتسمُ
مهنا الحضارة ، منه النبلة الحكم
ما الشطر من بيتكَ الملآن غيرُ صدى
لكرةٍ عبرها الأعداءُ تنهزمُ
حتى إذا ردَّ شطر آخر لمعت
أهزوجةُ النصر يَغوى فوقها العلم
أمّا القصيدة ، مما رُحتَ تَغمُره ،
فالبرج مادٍ كمَن بالأفقِ يصطدم
يقول إن ابتهالاً سرٌ فتنته
وأن دقاءً على باب السّما الحِكَم
غنيتَ لبنى ، أ لبنى غيرُ من هجرت
لتسكن الدمعُ في عينيكَ ينسَجم ؟
لنجمةُ الصبح ودّت لو تَكون لها
بديلة وعليهَا الشّعر ينهدمُ
وارتها لا بترْب ، بل بورد ضحى
والحبُّ حبّك وردٌ بالشذا برِمَ
وفجّرَ الدمعُ فيكَ النبعَ . مصرُ ، ردّى
نيلاً من الشعر ، يا نيلاً هو الكرَمِ
بمصر حبَّبت الدنيا فكيف إذا
راحت على الريشة الخضراءِ تضطرم ؟
أقول : كَتبُ إلى نجم تشدّ فطرٌ ،
حدوثُ ، والعب كما لم يلعَب القِدَمُ
عملاقَ مصرٌ قوافيكَ الكبار بنا ،
بنبلِها ما يزال الأرز يتّسم

ومَن أنا لأردَّ اليـــومَ بعضَ ندى ؟
صُمٌّ قوافىَّ فى ردِّ النـــدى بُـكـُمُ
إنْ شاعرٌ هامَ بالنيـلِ انتشت قِمم ،
فى أرضِـنـا ، أو تصبَّى مادتِ القِممُ
مصرٌ هى المجد ، كان المجد مذ ظفرت
فى البالِ ، فالكونُ أذْنٌ بعدها وفـم
أولو النهى الصِيد (١) نادتهم هياكلُهـا
وعِلمُهـا رفد الصِــيد الأُلى عِلموا
غاوٍ بها شرفَ الانسان ، ما خــذلت
عصراً ، وغاوٍ بها ذو الريشةِ العَـرِم
إن ضـامها الضيم مَسَّ الخـالقين دُنىً
أو نالها الظـلم راح الحـق يظـلم
لبنانُ نحن ! وها نحنُ الشهود نَهـا
نَدين يوم انتصـافٍ ، ليس نتهـم
الحب نحن شرعنا ، الحسَن نحنُ بدعنا ،
البغض نحنُ قطعنا أنه العَـــدم
جيلٌ قالت بقـاءَ النفسِ واكتشفت
ربًا أبى لقضـاء السيفِ يُحتـكم
الليـل لولا سُـراها غُربة قتلت
والشمسُ لولا هواها وهْم من وهموا !
بلى ، جِراحات مصـر فى مضاجعنـا ،
فى الروح يُسخى بهـا ، فى العظم يَنثلم

---

(١) الفلاسفة الاغارقة

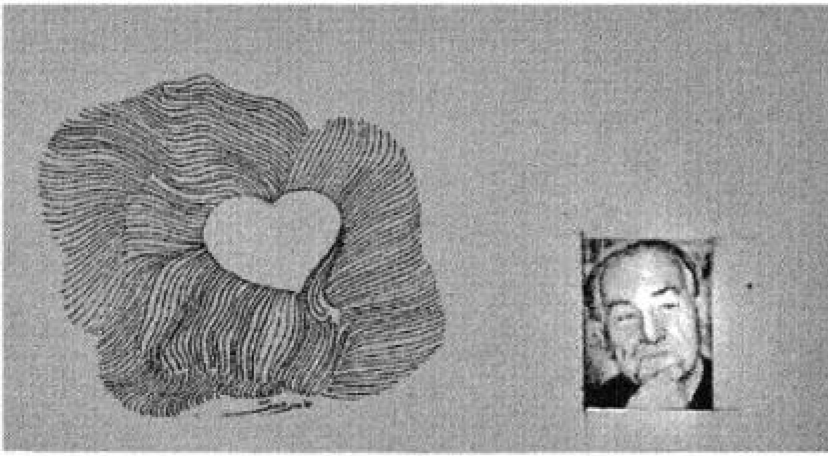
في الريح ، في عضبات الميظر ، في غدنا ،
في مبتغى ما ابتغى الأبطال إن هجموا
مالم تزن مصر الحق يبق دم
على الضمير ويبقى أن يراق دم !
أطللت منك على التاريخ ، رنحنى ،
همى كما الضوء في بالى ، كما الديم
ويعطر البال إن يمسسك عطر يد
مست بنفسجة أنفاسها حرم
لم لا ؟ .. وفي القصص العالى الذى نسجت
عنز ارتاك استجدت سحرها النظم
غدا الهوى بدعة ، سرا ببال هوى
وسكر عقل على القرطاس يرتسم ،
وآية طرقت حتى ليرشقها
غيان أن أنا ضليل ولى جشم
بالكأس أفديك ، بالدنيا ، بساجعة ،
بلوز نيسان للزينات يبتسم ،
بالشعر ، بالمنتهى بالمجد أشعلنى ،
بحظ عينى بعين الحق التهم !
حتى إذا لاح لى أنى وهمت هممت
منى الشجون كمن أفلاكها السدم
رفيق شطرة عمر ، ذاكر ولها
بشعر مطران والألباب تحتدم
أسمعتك المرتجى . ماكان ؟ .. دع خلقى
للصمت لا شرف الاك ، لا ذمم !

ما زلتُ منها كما يوحُ النسيم لمن
من النسيماتِ تنشقى وهْي لا عَلَمُ :
ـ مُرِّى بدارتنا ، يا طِفلُ ، وانحطى
على بساطٍ من النِسرين ينحطم
بِهدبك الريح تنأى ، أأنت مرتحل !
بقدمك الشوكُ يَدمى ، أنتَ منتقمٌ !!
ان كان بالهَزْج من صُبحَيكِ لا أمَلٌ
فعندَ خصرِكَ لِم لا يَصدق الحلُم ؟
حتّى إذا يَندرى شَعرٌ وكنت غوىً
تَململين ، وآهِ القولُ والقَسَم
تهَمُّ شمسٌ بأن تَغشى فأمنعها .
ضِيعى معى ، يا ضَياعى ، وأحلُ ، يا ندم
وتسألين : لِمن سُهدى ، بمن وجَعى ؟
يا قاطفَ الشمس ، أكمِلٌ أو أنا الرمَمُ !
وتنتهى تنتهى فى قبلة ولِهَتْ
وفوق يغمزُ فينا بُلبل دَتِمٌ
شئٌ عن الشعر هذا ، اسأله كلف
بالشعر ، أم سكرٌ صَبٌّ ليس يحتشم
فلنبقه بيننا سِرٌّ الكئوس ، بها
يَمُرُّ هارٍ فيدرى أنه الجَبَمُ
علاق مصر ، إذا أعوِزت فى خُلد
فضُمَّ من خُلدنا ما شاءت الضمَمُ
مِن زهر لبنان خُذْ عرشا ومن قيم
لا زهر لبنان مُسّانٌ ولا القِيَمُ !

صالح
جودت

عزيز أباظة

ما عزائي فيكَ ، يا خيرَ عزاءْ
منذُ أن غاب أميرُ الشعراءْ
لم تزلْ تسعى الى سدَّته
بعد أن عزّ عليها الأولياء
فتسامتْ إليها دائباً
صيّبَ الإلهام موهوب العطاء
تملأ الدنيا نشيداً رائعاً
يتلقّى من فم الدنيا الثناء
وتصوغُ المسرحيات التي
تيّسَ المسرحُ منها الخيلاء
وتقصُّ السيرة الحسناءَ في
خيرِ زُلفى لأمير الأنبياء
فاضَ منك الشعر ، روميُّ الشجى
بحتريُّ الرّوح ، شوقيُّ البناء



طاوعتك الشاعريات التى
لم تطع فى الشعر الا الأمراء
إنما الشعر المصفى دولة
لم يزل فيها السراة الكبراء
لم تزلزلها انقلابات ، ولا
هزها سيف ، ولا شقت دماء
غير أن المحنة الكبرى بها
ما جناه المحدثون الأدعياء

انكروا الأوزان فى روعتها
والقوافى البلبليات الغناء
فى زمان عابث يضطربه
هذر المترد ولغو اللقطاء
سوف يبقى الشعر فى سفر العلا
ويولون مع الريح جفاء

عزيز أباظة

يخلد الشعر على الدهر كما
تخلد الأديان بعد الأنبياء

إنما يمكث في الأرض الذي
ينفع الناس ، ولا يبقى الهباء

***

يا عزيز الشعر ، هَمّي أنني
لم أشيعك وقد حم القضاء

جاءني ناعيك في مغترب
أشتكي فيه من مصر الهواء

علَّه يحمل من أنبائها
نفحةً منك وبشرى بالشفاء

بعد أن قيل في حضن الضنى
واهن الشريان ملهوف الدماء

فاذا النفحة شجو وأسى
واذا البشرى حداد ورثاء

فنزفت الدمع ، حتى خانني
فتولت دموع الغرباء

قلت من شعرك ، فاستبكيتهم
وأجل الشعر ما يوحي البكاء

قلت من آثارك الحسرى على
حسرة منزلها دار البقاء

لكَ في ذرقتهـــا ملحَمَـــة
أصبحت سَلْوى الأيامى التُعسا

هيَ لوْ تملك أن تسْــــمعها
شقّت القبر وخفّت للنّـــداء
***

عشتَ في مِحنتهـــا مُغضطرما
نابغيَ الليــــل مســوَّد الرّداء

ثم مـــرَّ الزمنُ الآسي عـــلى
جرْحك القـــاسي فأرْقا وأفاء

وتفتّحتَ على الصـــوت الذي
يُوقظ القلبَ ويشْــفي البرَحاء

حين هشّتْ لكَ أنفاسُ الهـوى
فتنفستَ بهنَّ الصّـــعَداء

وتعطــرتَ بنيســـان المُنى
وتقشــبتَ بألوان الرجـــاء

فاذا ليلُـــكَ بالنـــور اكتسى
واذا قلبُـك بالحبِّ أضـــاء

واذا مَنْ كان يغــلو في الأسى
هام بالصّـــبوة حتّى الغُلـواء
***

وبُنيّاتٍ على فجـر الصّـــبا
يتأزّرن بأحـــزانِ المســـاء

لم تزل فيهن من يوم النوى
لوعة اليتم وتذكار العناء

« قلن ما خطب أبينا بعدما
غاله في أمنا عصف القضاء

« فبكاها وبكاها ومضى »
حزنه أمثولة للأوفياء

فتوسلت لمن أرحمنني
يا بنياتي ، إن الحب داء

« يا بنياتي من ذاق الهوى »
قد نسيتا ، لم يجد عنه غناء

إن رجوتن لنفسي راحة
فالهوى والشعر سلوى وعزاء

أو تلمستن بعدي تركة
ليس بعد الشعر عز وثراء

أو تمنيتن لي مجداً ، فما
مسلكي للمجد ، والقلب خواء ؟

عمركن الله ، ما شئت الهوى
بيميني ، غير أن الله شاء

يا بنياتي ، من روح الهوى
يولد الشعر ويحيا الشعراء

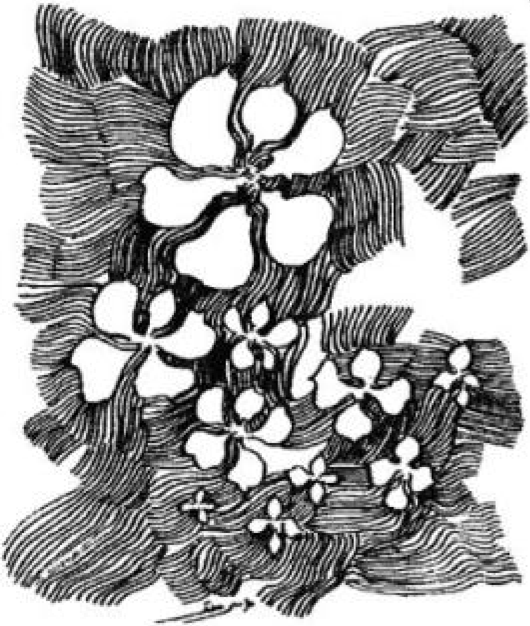
عزيز أباظة



يا بنى العصر الذى نحيا به
وهو علمٌ وابتكارٌ وذكاء
لا تقولوا شاعرٌ مات ، وما
قيمة الشاعر فى عصر الفضاء ؟

قيمةُ الشاعر فى أمّته
انه يَفتَحُ أبوابَ السماء
انه يزرع ألوانَ المُنى
انه يُبدع ألحانَ الغناء
انه يجعلُ للعمر شذى
انه يمنحُ للروح الضياء
انه يعزف موسيقى النهى
انه ينشر فى الأرض الصفاء

عزيز أباظة



انه يحنو على أوطــانه
انه يلعن ظلمَ الأشقياء
انه بالشعر يهدي قومه
للطريق الحق والرأى السواء
انه بالشعر يروى للورى
سِيَرَ النصر وأمجادَ الفداء
انه التاريخ ، يبقى صادقا
إنْ روى التاريخ زيفاً وادعاء

انه الحاضر يحيا نابضا

وطنيُّ الشدو قوميُّ الدعاء

انه المستقبلُ الحلوُ الذي

ينشد الخير ويَدْعو للرخاء

انه لولا رسالاتُ الهدى

كانَ في امته كالانبياء

***

في رحابِ الله ، من كنتُ له

أقرب الاخدان نهجاً وانتماء

لم تزلْ في ناظري من سمته

قامةٌ مرفوعةٌ بالكبرياء

ومعاناةٌ يداريها الرضا

واحتمالٌ يتغذى بالأباء

وتحدٍّ لظروفٍ عاشها

يحملُ المحنة في غيرِ انحناء

في زمانٍ نحن أحسسنا له

ولقينا من « سنمار » الجزاء

قلَّ ما سرَّ به ، لكنه

كان ما أكرهُ فيما أساء

إن قضى الأحرارُ فيه ، فلهم

في رحابِ الله أجرَ الشهداء

***

يا أبي ، بل يا أخي ، بل يا أنا

أنا مَنْ مات ، فللشعر البقاء ...

ذكرى مرور واحد وثلاثين عاما على وفاة الشاعر عبد الحميد الديب في ٣ مايو ١٩٧٤

محمد محمود رضوان

شاعر البؤس بين شيطانين

كان شاعر البؤس عبد الحميد الديب، شاعرا مبدعا افصح عن سرائر روحه وأسرار قلبه بامانة وحرارة وصدق .. وصور لنا مأساة بؤسه واحزان روحه في لوحات شعرية رائعة تتسم بالمعاناة والصدق الفنى .

ان قصة الديب مع البؤس والصعلكة والسجن والليل والكاس قصة حزينة دامية عاشها في رحلة طويلة مع شيطان الشعر وشيطان الحياة في دروب الشك والمجون والهجاء ، حتى شهد مصرع الشيطان في روحه ، بعد أن غمرت روحه انوار الهدى واليقين وان ظل معه شيطان الشعر يلهمه اشعار الهدى والتوبة

ولد عبد الحميد الديب عام ١٨٩٨ بقرية كمشيش بمحافظة المنوفية لاسرة فقيرة ، فشب وترعرع بين البؤس والفاقة والحرمان والحقه أبوه ـ وكان يعمل جزارا في مواسم القرية وأعيادها ـ بكتاب القرية فحفظ القرآن وجوده في فترة وجيزة .

واتجه الديب ـ بعد دراسته الابتدائية بمعهد الاسكندرية الديني ـ الى القاهرة سنة ١٩٢٠ ليلتحق بالازهر الشريف ، وقطن الديب بحجرة متواضعة بحي الحسين ، وفي الازهر نهل من أمهات الكتب العربية وحفظ الوف الابيات من الشعر ومضت حياته بين دراسته في الازهر وكفاحه المرير في سبيل لقمة العيش ، وكان صراعها مريرا لستنفد جهده ووقته



عبد الحميد الديب

وماء وجهه . ثم صمم على الالتحاق بمدرسة دار العلوم العليا ، فكان له ما أراد .

● الطلل الباكي ●

وفي مدرسة دار العلوم العليا مضى الديب يقرأ امهات الكتب العربية وكان يقضي جل وقته بدار الكتب يقرأ ويدون ملاحظاته ، وفي تلك الحقبة تعرف بالفنان الموسيقار سيد درويش ... ووجد سيد درويش الفنان في الديب الشاعر ضالته المنشودة ، فكان ذلك ايذانا ببدء مرحلة جديدة وفريدة في حياة شاعر البؤس والحرمان . كان سيددرويش مسرفا سخيا فأغدق على الديب وجعله يعيش في نعيم ورفاهية .

ونسي الديب دار العلوم والكتب والدراسة وانتقل الى مسكن فخم ويبدأ يزاول حياة الترف والنعيم ، ولم يدرك الكارثة الا يوم مات سيد درويش فجاة في عام ١٩٢٣ .

كان تلك صدمة عنيفة قاسية للديب .. الذي لم يهنأ طويلا بالتقلب بين هذا النعيم الدافق اذ انقطعت به أسباب الرزق وترك القصر ليقضي لياليه في الشوارع هائما على وجهه طول الليل ، حتى اذا ما انتهى به الطواف ذات ليلة عند القصر الذي كان يقطنه ايام سعادته ، وقف يناجيه بمرارة وحسرة :

لو استطيع البكا يا ايها الطلل
بكيت حتى شكت من دمعي المقل
أرى الحوادث أسادا مقذفة
على دون الورى تعدو وتقتتل

ثم يصور حظه مع البؤس والناس ومعاناته ومكابدته للجوع والحرمان والشقاء وكان الدهر يلهو به ويعبث بمأساته الدامية :

واجلس الليل في صحبي اسامرهم
وكلهم بمجالي رقتي حفل
حتى اذا سئموا للعود وانصرفوا
سريت جوعان يغري عزمي الكلل
كان حظي رحيق الدهر يشربها
بكرا معتقة والدهر بي ثمل

وكانت تلك الصدمة العنيفة القاسية هي اولى الصدمات التي واجهت الديب في القاهرة وتركت في نفسه آثارا لا تمحى وشعورا عميقا بالاسى والمرارة والسخط .

● ليالي الصعلكة ●

واصبح الديب شريدا ، هائما على وجهه ، صعلوكا من صعاليك الشعراء بلا مأوى يذرع شوارع القاهرة ليله جميعا حتى ينال منه التعب ، فاذا اذن المؤذن للفجر ، هرع الى المسجد يتظاهر بالصلاة ، لكي ينال بعض الراحة وينام بعض الوقت : ويصور لنا كيف كان يعيش في تلك الابيات المفعمة بالاسى والمرارة . فيقول :

نهاري .. اما نومة بين مسجد

شاعر البؤس

فرارا واما بالطريق تسكع
واطوى عصى الليل في القفر ساعيا
ومن اين للافاق في الكون مهجع
اصلى بأذكار المراثي وقلبه
ويلمست صلاة يحتويها تصدع

وبدأ الديب حياة الصعلكة واللجوء الى طلب المنح والعطايا من ذوى القدرة .... ومن الطريف انه وجد أمير الشعراء احمد شوقي في « صولت » فكتب اليه :

هل انت منجد من ضاقت به الحال
وقد تغرب لا أهل ولا مال ؟

وما كاد شوقي يأتي على البيت حتى وقع تحته توقيعا طرب له الديب وضمن له ان يأكل اكلة دسمة في تلك الليلة !

● في غرفة الديب ●

وقطن الديب في غرفة صغيرة بلا اثاث وبلا فراش في حي الحسين .. لا يوجد بها سوى بعض الجرائد يتخذها الديب كوسادة ، وقلم وبعض الاوراق المبعثرة البالية وكان يسميها « جحر الديب » يلجأ اليها كلما هده الجوع والتعب والطواف .. ويرسم لنا صورة طريفة لتلك الغرفة في قصيدته الشهيرة التي يقول فيها :

أفي غرفتي يارب ام انا في لحدي؟
الا شد ما القى من الزمن الوغد
وهل انا حي ام قضيت ؟ وهذه
اهابة اسرافيل تبعثني وحدي
لقد كنت ارجو غرفة فأصبتها
بناء قديم العهد اضيق من جلدي
تراني بها كل الاثاث ، فمعطفي
فراش لنومي او وقاء من البرد
وأما وساداتي بها فجرائد
تجدد اذ تبلى على حجر صلد
تعلمت فيها صبر أيوب في الضنى
ونقص هزال الجوع اكثر من عندي»
جوارك يا ربي فلي رحمة
فخذني الى النيران لا جنة الخلد

وكان شاعر البؤس يعجز عن سداد ايجار غرفته المتواضعة على الرغم من ضآلته حتى أصبح صاحب البيت عدوا له وكان الشاعر يلقى صنوفا من المهانة بسبب مماطلته في تسديد الثمانين قرشا أجر الغرفة التي كان يسكنها وقد صور ذلك في قوله :

ثمانون قرشا اهلكتني كأنها
ثمانون ذنبا في سجل عذابي
طويت لها الدنيا سؤالا وكلما
لما ظفرت نفسي برد جواب
لعنت كراء البيت كم ذا امتثني
واذللت كبرى بين كل رحاب
الأسكن ملكي ولو بجهنم
فاكفي من الايام شر حسابي ؟

ويصف الديب صاحب المنزل وهو يطالبه بالاجر فيقول :

يطالبني بالاجر في غيظ دائن
تصيده المحتال بالثمن الوكس
وقال يداري ظلمه : اي ضامن
لسكني تعرت عن سرير وعن كرسي
اراك بها كل الاثاث ولا أرى
سوى قلم ثاو على الارض أو طرس
فقلت له هذى جدودي كما ترى
أما مسكني في البيت بل انا في رمسي

وقد روى الاستاذ صالح جودت كثيرا من الطرائف عن الديب منها أن الديب كان لا يملك الا حلة واحدة رثة مهلهلة واتفق ذات مرة أن خلع عليه أحد أصدقائه حلة جديدة فقال له كامل الشناوي مداعبا :

– مالي أراك متنكرا يا ديب ! ..

● دع الشكوى ●

اندفع الديب الى الخمر ينشد فيها السلوى والنسيان بعد أن قوبل بضروب شتى من العدوان والافتئات .

وكان يعيش ساعات – على حد



صالح جودت :
طرائف عن الديب



كامل الشناوي :
رثاه حزين . .

قوله – في مثل أطياف الجنة .. فقد كانت الحانة فردوسه المنشود ، والمجد الموهوم ، ويسبح في خيالات وأوهام ساحرة مفعمة بالنشوة والسعادة والمتعة والجمال !

ويستيقظ الديب فيصطدم بواقعه الجهم وحياته الجدبة فيشكو ويسخط ويتمرد ... فيسرع الى الساقي يهتف به في عربدة ومجون :

هات المدام فعين الله تبصير
وأسعد الناس مخدور ومخمور
هات المدام ولا تعرض لمتربتي
مهما غلا العيش لم تغل القوارير

ثم يحرض صديقه على المجون :

دع الشكوى وهات الكأس نسكر
ودعه من الزمان اذا تنكر
وهلم بي الأسى والبؤس حتى
كأني عبلة والبؤس عنتر

● في غرفة الديب ●

دخل الديب السجن غير مرة بتهم مختلفة ، منها التشرد والصعلكة والسكر البين وعدم أداء الدين ، وشم الكوكايين ، والعربدة ! وكان له في كل ذلك قصائد كثيرة منها قوله :

لقد أصبحت في الأعادي شماتة
وبت ومالي في الوجود حبيب
وأصبحت مسجونا بدار بعيدة
تجافى بها خل وبان قريب
أصبح مسجونا وما كنت مذنبا
ولا جريرتي في الحياة ذنوب ؟

ثم يبث شكواه لرفيقة بؤسه وشقائه « فاطمة » التي راح ينكر لها في حرارة انه يتعاطى الكوكايين :

أفاطم ان الناس قد أكلوا عرضي
وبت لعينا في السموات والأرض
يقولون شمام، وما شم معطسي
سوى الوردة الفيحاء والنرجس الغض
معاذ شبابي أن يبيت نضيره
هشيما وأن أقضي على جسمي الغض
أليس بياض « الكوكيين » مبشرا
بأسود عيش في غياهبه أقضي ؟

● في مأتم عرسه ●

تزوج الديب في صيف عام ١٩٣٦ وقد تجاوز الأربعين من عمره من أرملة شابة أعجب بها ، ودعا الديب بعض أصدقائه المقربين الى حفل عرسه وظلوا وقوفا في الحيرة الخانية من

الاثاث والمقاعد وكان الديب يرتدى حلة قديمة مهلهلة يحاول فيها أن يبدو انيقا مختالا ، وكانت ليلة عجيبة زادها سخرية وعبثا للاقدار أن جارة عجوزا قدمت للضيوف قهوة سادة ، فشعر الديب بالمرارة والاسى فنظم قصيدة فى مأتم عرسه :

اقام لى الاصحاب عرسا فمذ راوا
به محنتى تشدو اقاموه مأتما
وروى العطاش من نميرى ، بينما
سقيت به مهلا حميما وعلقما
ولست بمختار الشقاء او الهنا
فطولا حياتى اشرب الكاس منهما

● ثورة المحروم ●

قوبل الديب بضروب شتى من الجحود والغبن والانكار ، فى اساليب شتى من العدوان ، فصور عراكه مع شانئيه ، ووقوفهم له بالمرصاد ، واقامتهم العقبات فى سبيله ، وقد اتخذوه تسليتهم :

اذا قلت قدبس يقولون ساحر
وان قلت حى يحملونى الى رمسى
تحديت ايامى وقومى بوحشتى
وكم وردوا منى مناهل للانس
لقد جهلوا يومى ولن يكرموا غدى
ويا حر قلبى من شقائى فى امسى

وانقطعت بالشاعر اسباب الحياة العائلية المطمئنة ، فهو يشعر بغربة موحشة ولا سيما فى الاعياد والمواسم .. وكان لا يذهب الى غرفة زوجته الا نادرا لافلاسه الدائم .. **وكانت اقسى ايام تمر عليه هى أيام الاعياد ، فكان يرى الكل يبتهج ويمرح ويتألق فيرى نفسه : رثاثة وافلاسا واحزانا وغربة ووحدة ودموعا !**

شاعر البؤس

وينتظر أن يزوره أحد من أهله فلا تتحقق الامنية ، فيشعر بالكآبة والحزن حتى انه يرثى نفسه :

يا معشر الديب وافى كل مغترب
الا غريبكم فى مصر ما بانا
قدمتم الشاة قربانا لعيدكم
والدهر قدمنى للبؤس قربانا

وكان كلما اقبل العيد يردد هذه الابيات الحزينة الباكية :

عيد تطالعنى والعيش منكود
لانت يوم الاسى والحزن يا عيد
يجدد الناس من لبس ومن فرح
وعندنا للاسى والهم تجديد

ومضت حياة الديب المكدودة البائسة بين قصف وهجاء ومجون علة ينسى محنته ومأساته ... حياة يقضيها بين شياطين الكاس والمرأة والحياة ويوحى له شيطان الشعر باقذع الهجاء ، وعاش شاعرنا جاهلى الروح تؤرقه اشباح الشياطين ويخشيه وحيها المكنود .

وفى لحظة صفاء روحى احس انه امضى جل حياته مع شياطين الخمر والشعر والحياة ... وهنا سطعت فى ديباجى روحه لمحة ضوء .. كان ذلك عام ١٩٣٩ وهو يقترب من الحادية والاربعين من عمره وكانه يحس بدنو اجله ... واشرق نور الايمان وصفاء التقوى بفضل مصاحبته للقرآن فى لحظات اشراق روحى وحينئذ شهد مصرع الشيطان .. وتجلى امامه نور الهدى والايمان ..

ويصور لنا مراحل قصته مع شياطين الشعر والحياة عندما كان سادرا فى غيه حتى مصرع شيطان الافك والضلال :

كل شىء اشهد الله عليا
قرت الدنيا جميعا من يديا
لا تقل لى كيف تحيا سادرا
انا ميت بين قومى لست حيا
سر هذا البؤس انى شاعر
قد اقاد الدهر منى عبقريا

ويصور الديب كيف جنى عليه



سيد درويش :
في صحبة الديب

شيطان الشعر ، فاتخـذه معبوده ، وجعله يمضي في غيه سـادراً بين باطين الكأس والهوى والمجون :

تخلت الشعر لوحيدي ولم
أهـر فجنى الشعر عليــا
بينما اسرف في وصف الطلى
والهوى لم أخـر لله شيا

ثم يصور كيف أصبح هو كابليس سواء بسواء .. بل انه قد فاق ابليس حيث انه اسفر عن وجهه للناس :

انا او ابليس للدنيــا عمى
هو خاف وانا ابدو جليــا

وتتسلل خيوط الهدى والايمان الى نفس الشاعر لتطرد ظلمات الشـك والمجون والعربدة ويشعر بصفاء روحي ويحس بأنه كملاك يسير في عليـاء السموات مع الملائكة والنبيين :

تبت من ذنبي ومن ترجـع به
نفســه لله يبعثه تقيــا
توبة من بعد أن فزت بهـا
كل شيء صار في عيني هنيـا
فتراني في السموات العــلا
اصحب الشمس وتعلو بي الثريا
ولدى سدرتهـــا في موكب
ما حوى الا ملاكا او نبيــا

وفي غمرة صفاء روحه ورضا قلبه شعر بالحقد والشماتة في هـــذا الشيطان الكنـود الماجن الذي كان يسيره طوع هواه في رحلة مظلمة في دروب الشك والمجون والهجـــاء والعربدة ..

ويرى الديب الشيطان وهو يحترق بنيران الايمان والهدى ويشهد عذابه وأخيرا يرى مصرعه :

أين شـــيطاني وأين ريحه
كان يعلو في الدجى روحا عتيا
أكله او قربه من هجـــرتي
في ظلام الشـــك القانا شقيا
فقضى يوم الهدى اذ لم يجـد
اي فرع يلتهي منه اليـــا
مات شيطاني وهلكم جنـــده
هيموا بالدمع اشباحا بكيـا

ويسدل الستار على قصة الديب مع شيطان الشعر وشيطان الحياة في هذه الحقبة من حياته وكأنه كان يشعر بأنه يقترب من نهايته اذ انه توفي بعد ان شهد مصرع شيطان الافك والضـلال في نفسه بحوالي اربع سنوات فقط

●●●

ومضت حيــاة الديب في ايامه الاخيرة يعـــاني من آثار اسرافه في الشراب ومن آثار الجـوع والحرمان والبؤس ، وتدهورت صحته ولم يجد الا صاحبته الشقية يناجيها ويبثها همومه بعد أن فقد الاستقرار والعمل فلجأ الى قلمه وقرطاسه :

اعيش فيكم بلا اهــل ولا وطن
كعيش متتجــع المعروف افاق
وليس لي من حبيب في ربوعكم
الا الحبيبين : اقلامي وأوراقي

وصار الديب يذوب تدريجيا حتى اصبح حطام انسان وانتهى كشاعر ثم كانســـان حتى كان رحيله في ٣ مايو عام ١٩٤٣ وهو لم يتجـــاوز الخامسة والاربعين من عمــره وبكاه اصدقاؤه وكتب كامل الشناوي يرثيه: « لقد جاع الديب واكلت الماشية ، وتعرى الديب واكتست الاضرحة ، وهو الانسان وهو الفنان » .

وهكذا رحل شاعر البؤس والحرمان في ذروة نضجه وتألقه بعد مأســـاة عنيفة حادة .

شركة الاسكندرية للمنتجات المعدنية

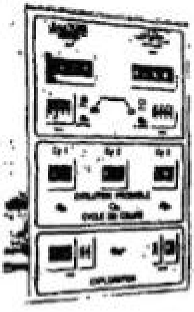
٧٢ شارع الشهيد جلال الدسوقي - الحضرة - اسكندرية - ت ٧١٧٦١/٧٠٥٣٣ ص ب ٣٨٦ اسكندرية

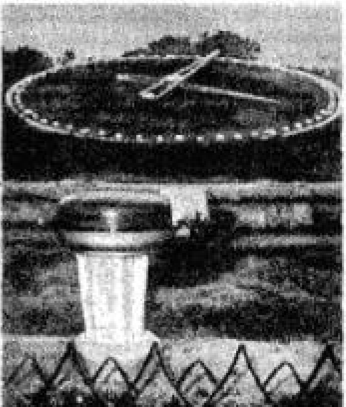




La Coopération Franco-Arabe dans le domaine de la Signalisation routière "SILEC" Paris "AMPCO" Alexandrie

التعاون العربي الفرنسي في مجال تنظيم المرور الالكتروني بين شركة "سيلك" كبرى الشركات العالمية الفرنسية وشركة "امبكو" الاسكندرية للمنتجات المعدنية





خواطر

لا يغسل الهم عن قلب الفقير سوى
سيل من الدمع او سيل من العرق

***

كم في النساء كحيلة
تسبيك كحلة طرفها
تخفي شناعة روحها
في برقع من ظرفها

***

يرى العاشق المفتون في زهوة الصبا
خلال كئوس الخمر وجه عروسه
ويبصر ذو السبعين عند احتسائها
حرارة ايام الصبا في كئوسه

***

رايت بعين الفكر حسوا وآدما
على جبل الاحزان ... يبكي وتضحك !

* شكر الله الجر *

الغلاف الأول



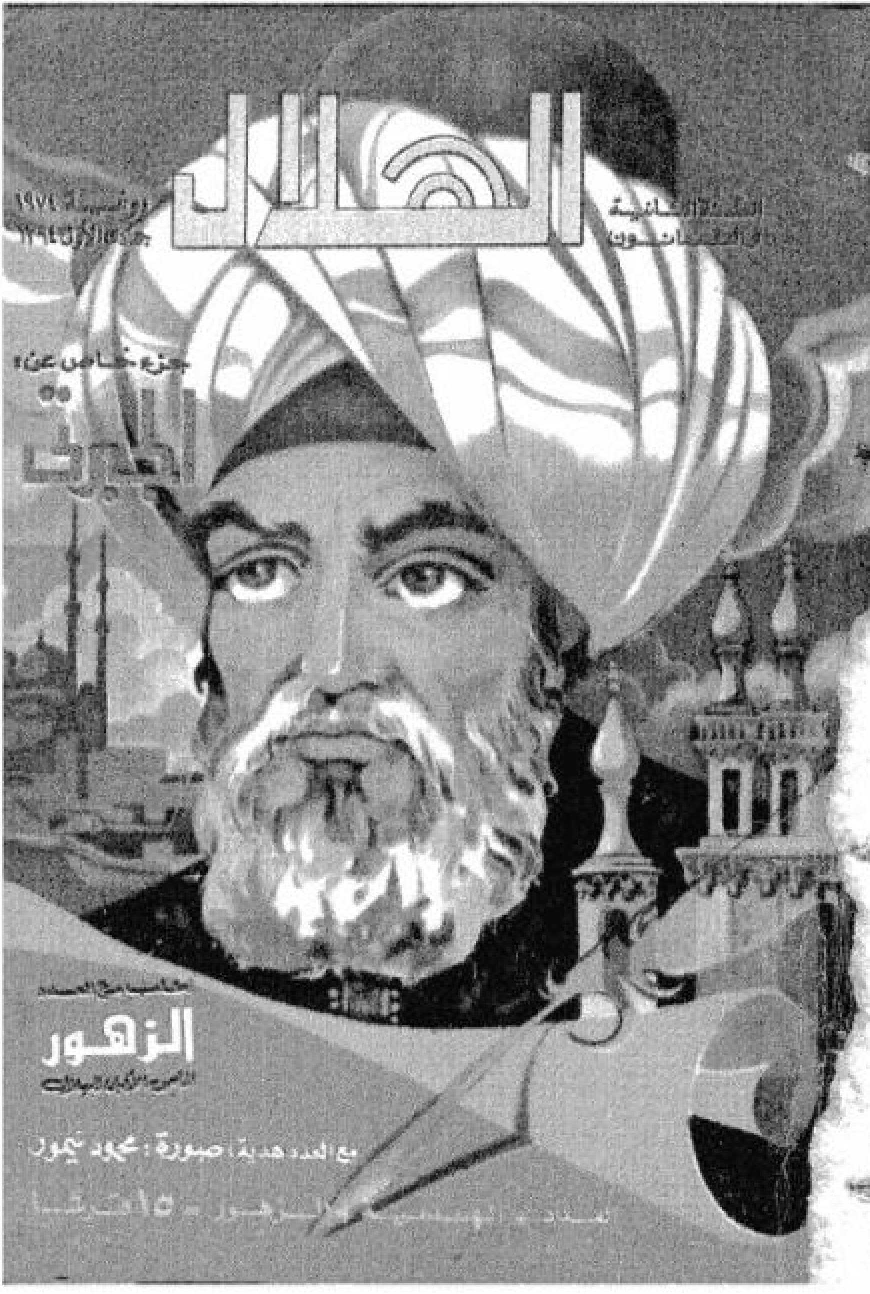
الشيطان ..
لوحة للفنان: مصطفى حسن

الغلاف الأخير

[illegible] في [illegible]
[illegible] لوحة للفنان
عبد الهادي الجـ[illegible]
تصوير : عبد الفتاح






الهلال
جزء خاص عن
الزهور
مع العدد هدية: صورة: محمود تيمور

الهلال

يونية ١٩٧٤
مجلة شهرية تصدر من دار الهلال ـ أسسها جورجي زيدان سنة ١٨٩٢ ـ العدد السادس ـ السنة الثانية والثمانون ـ أول يونية ١٩٧٤ ١٠ جمادى الأولى ١٣٩٤ .

الاشتراكات

ثمن العدد : في جمهورية مصر العربية ١٥٠ مليما .
قيمة الاشتراك السنوى : « ١٢ عددا » في جمهورية مصر العربية وبلاد اتحاد البريد العربى والافريقى ١٥٠ قرشا صاغا . في سائر أنحاء العالم ٦ دولارات أو ٥ر٢ جنيه والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال : في جمهورية مصر العربية والسودان بحوالة بريدية . في الخارج بشيك مصرفى والأسعار الموضحة أعلاه بالبريد العادى ـ وتضاف البريد الجوى والمسجل على الأسعار المحددة عند الطلب .
الإدارة : دار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب ـ القاهرة
تليفون : ٢٠٦١٠ « عشرة خطوط »

في هذا العدد :



...حيم مصطفى   يوسف السباعي   د. سيد كريم



كلمة الهلال

بسم الله الرحمن الرحيم

الحكاية التى سمعتها من الامير الشاعر عبد الله الفيصل اذ انا فى جدة ، رسبت فى اعماقى واستيقظت فى سمعى ، مرة وانا اضع يدى على استار الكعبة .. ومرة اخرى وانا اؤدى صلاة الفجر فى الروضة الشريفة بالحرم النبوى بالمدينة المنورة ، وهى التى وصفها رسول الله صلى الله عليه وسلم بانها روضة من رياض الجنة .

روى لى الامير ، ان جلالة الملك فيصل كان فى مجلس من اسرته ذات يوم من ايام الماضى الذى انتهى الى غير عودة .. الماضى الذى جعل القطيعة ديدنا للعلاقات العربية ، والذى جعل اذاعة « صوت العرب » لسانا لسب المؤمنين الشرفاء

وانطلق المذيع ينال من الملك واسرته ما شاء له سوء الادب ، فغضب احد الحاضرين ، وقال عن المذيع : لعنه الله

وغضب الملك ، وقال : لا احب ان يكون فى مجلسى من يلعن احدا . وخير من ذلك ان نقول : هداه الله

***

ووالله الذى لا اله الا هو .. لقد وقفت ممسكا باستار الكعبة ، وامتثلت بعد اداء الصلاة فى الروضة الشريفة ، الذكر اصحاب الاقلام المارقة هنا وفى بعض العواصم العربية،

الذين ينادون بالماركسية وينشرون دعوة الإفك والهرطقة وادعو .. ادعو لهم لا عليهم ، ولا اقول لعنهم الله ، بل اقول هداهم الله

لقد كان انتصار العاشر من رمضان آية من آيات العودة الى الله ، كما كانت هزيمة الخامس من يونيه نهاية حتمية للابتعاد عن الله ، الذى لا ينصر من عباده الا من ينصره .

***

اقول هذا ، بمناسبة لقاء شهدناه منذ ايام فى القاهرة ، مع بعض كبار رجالات الدولة ، لتدارس شئون الاعلام

ووقف احد المسئولين عن احدى الشهريات يعاتب رجال الدولة لانه لا يحس منهم حماية لموقفه ، كيسارى ماركسى

وقال له رجال الدولة ما يجب ان يقال ..

قالوا له انه حر فى ان يفكر كما يشاء ، ولكنه ليس حرا فى أن يكتب مايشاء ، لان لهذه الدولة انتماء لا يتزعزع لعروبتها ولعقيدتها .. فمن شاء ان يكتب فليكتب فى اطار هذا الانتماء .

وقبل ذلك .. قال الرئيس المؤمن محمد انور السادات اكثر من مرة ، اننا لسنا ماركسيين .. بل نحن دولة مؤمنة تقوم على اسس راسخة من الديمقراطية ، والعدالة الاجتماعية ، والقيم الروحية

هذا هو منهجنا ، فمن آمن به ، فهو جدير بان يحمل شرف القلم ، ومن يكفر به ، فليطرح القلم من يده .. ومن يهتدى فانما يهتدى لنفسه ، ومن يضل فانما يضل عليها

● صالح جودت ●

يوسف
السباعى

أعظم ماقدم لنا

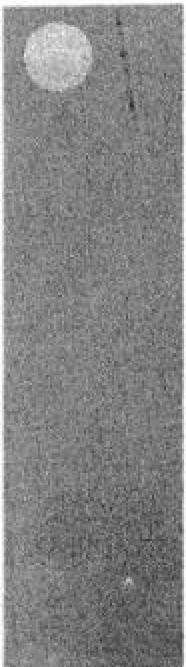
الجبرتى

يسعدني ان ألتقي بكم لكي نحتفل بمرور مائة وخمسين عاما على وفاة عبد الرحمن الجبرتى ، ذلك المؤرخ العظيم الذى أحب مصر وارخ لها في فترة من أهم فترات تحولها التاريخى ما بين القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، تلك الفترة التى خرجت فيها مصر — ومن بعدها العالم العربي — من تاريخها الوسيط وما اتسمت به نهايته من فوضى واضطراب الى مطالع تاريخها الحديث ومحاولاتها ان تعوض ما فاتها وان تأخذ مكانتها بين دول العالم المتحضر ٠

ولعل لجنة التاريخ من انشط لجان المجلس الاعلى للفنون والاداب والعلوم الاجتماعية ، واحرصها على مواصلة الاحتفال بالاسلاف العظماء ممن أرخوا لمصر فكانوا ذاكرة لبلادنا العزيزة في فترات لولاهم لضاعت منا معالمها او لتلقينا أخبارها من أعداء لاهم لهم الا تشويه صورتنا ، أو في أحسن الاحوال ممن لم يعايشوا الاحداث فلا يستطيعون تقديمها بروح التفهم والانصاف ٠

وهكذا احتفلت لجنة التاريخ وعلى مدى ثلاث عشرة سنة بخمسة من كبار مؤرخينا ممن تولوا زعامة التاريخ لمصر الاسلامية كان أخرهم المؤرخ المصرى ابن أياس ٠٠

أما عبد الرحمن الجبرتي ، فلعل شجاعته الادبية هي أعظم ما يقدمه لنا ٠ فكثير ممن أرخ لهم كانوا من اصدقائه ، ومع ذلك لم يعفهم من النقد اذا وجد في صفاتهم أو مسلكهم ما يستوجب النقد ٠ وقد ذكر في مقدمة كتابه العظيم « عجائب الآثار » انه لم يداهن فيه بنفاق أو مدح أو ذم مباين للأخلاق ، لميل نفساني ، أو غرض جسماني ٠ كما انه التزم ادق شروط الامانة العلمية ، فيدون ما يصل اليه من وثائق طبق الاصل تماما ، ويذهب بنفسه لمعاينة ما يستطيع معاينته قبل الكتابة عنه ٠ كذلك لم يكن يترك عاطفته تقوده فيذكر جانبا دون





آخر ، فرغم موقفه الطبيعي من المحتلين الفرنسيين موقف الريبة والمقت ، الا انه يعترف لهم بعلمهم ونظامهم .

اما موقفه المعارض من محمد على فقد جر عليه أعظم الويلات ، اذ كلفه ذلك حياة أحد ابنائه أولا ، ثم حياته هو ثانيا كما يذكر لنا المؤرخون . كما منع كتابه العظيم من التداول عشرات السنوات . وهو أقسى ما يعاقب به مؤرخ بل كاتب على وجه الاطلاق .

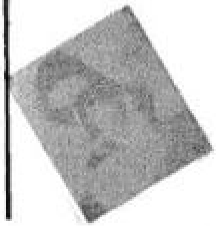
ولعل أجود ما كتبه الجبرتي تلك الصفحات التي صور فيها المجتمع المصري ورجاله كبيرهم وصغيرهم .

ويسعدني أن تكون ندوة اليوم أوسع نطاقا من سابقاتها ، فقد تجاوزت المساهمة فيها نطاقنا المحلي وتفضل بعض الاساتذة من دول عربية شقيقة وأجنبية صديقة بالمشاركة في بحوثها ، مما يتيح مجالا أوسع لتبادل وجهات النظر واخصاب الاراء وتداول الافكار ، وبذلك تصبح الندوة أكثر تحقيقا لاهدافها المرجوة .

ولست في حاجة الى تكرار القول باننا في أشد الحاجة الى مثل هذه الندوات في وقت نصنع فيه تاريخنا بدماء شهدائنا وعرق ابنائنا وحكمة وشجاعة قائدنا الرئيس أنور السادات فهي تجعل حاضرنا موصولا بماضينا وتحفزنا على بناء مستقبل مشرق لا يقل روعة وجلالا عن ماضينا العظيم .

وختاما فاني أحيي ضيوفنا الذين تفضلوا بالمساهمة في هذه الندوة ، كما أوجه الشكر الى الجمعية التاريخية التي ساهمت بنصيب ملحوظ بالاشتراك مع المجلس الاعلى لرعاية الفنون والاداب والعلوم الاجتماعية لانجاح الندوة ، والى السادة أعضاء لجنة التاريخ بالمجلس ، والى كل من تفضل بحضور الندوة ..

د. أحمد عبد
الرحيم مصطفى



مؤرخ الجبرتى



ينتمى عبد الرحمن الجبرتى الى طائفة المؤرخين المسلمين من كتاب الحوليات الذين خلفوا لنا تراثا ينم عن مناهجهم واساليب تفكيرهم ومستوى ثقافتهم . ولقد عاش فى الوقت الذى خيم فيه الركود على الوطن العربى وسجل فى كتابه « عجائب الآثار » تاريخ مصر منذ اواخر القرن السابع عشر حتى الربع الاول من القرن التاسع عشر ، وقدم لنا صورة عن مصر لا تختلف فى خطوطها العريضة عن صورة الحياة فى الحواضر العربية الاخرى ، اذ ان المقومات التى قامت عليها حياة المجتمعات تكاد تكون واحدة ، والانظمة التى وضعها السلاطين العثمانيون لحكمها كانت واحدة .. هذا الى أن العالم العربى خلال الفترة التى دونها الجبرتى كان يمر بمرحلة اضمحلال عام نتيجة لظروف تاريخية واقتصادية وسياسية معروفة . حينئذ كانت قد انطفأت الجذوة الخلاقة

التي دفعت المسلمين الاول الى ارتياد وتطوير العلوم والآداب والفنون والالسنة والفقه الديني والتشريع والجغرافيا ، معا افسح المجال للاجتهاد بالتشكيك والتظاهر بالعلم .. وهكذا اصبح المجتمع العربي الاسلامي بوجه عام مستكينا لحالة تبلد عام مقرون بالغيبيات الباعثة على السلبية ، ولا يبدى اكتراثا بالاشعاعات المنبعثة من اوربا ، وهى اشعاعات تميزت بالحيوية وكانت تنمو وتتسع باطراد . وكان حيز الدراسات فى الازهر الذى تخرج فيه الجبرتى ضيقا نسبيا ، اذ اقتصر على العلوم المتصلة باللغة العربية بما فى ذلك البلاغة ، والنثر ، والعلوم الدينية ، والفقه ، والمنطق ومبادىء الرياضيات (١) ...

ولما كان العالم العربى ـ الاسلامى خلال فترة الركود والعزلة يكاد يكون منقطع الصلة بأوربا الغربية ، فانه حافظ على تلك الشخصات الوسيطة التى كانت فى طريقها الى الانحلال فى الغرب ، كالاعتقاد فى التنجيم وقراءة الطالع وفنون السحر . وساعدت الاساليب الشعبية والسحرية التى كان يمارسها المتصوفة على شدة انتشار السحر ، مما أدى من الناحية العملية الى اسكات كل انواع النقد والمعارضة .

ومن المنطقى فى ظل هذه الاحوال ان تتدهور الكتابة التاريخية ، خاصة وأن معاصرى الجبرتى كانوا يعتبرون التاريخ « من شغل البطالين ... وأساطير الاولين » . ويسجل الجبرتى ان من اسباب تدهور الكتابة التاريخية فى ايامه تسرب الكتب التاريخية من البلاد : فانا لم نر من ذلك كله الا بعض اجزاء مدشتة ، بقيت فى بعض خزائن كتب الاوقاف بمدارس مما تداولته ايدى الصحافيين ، وباعتها القومة والمباشرون ونقلت الى بلاد الغرب والسودان ، ثم ذهبت بقايا البقايا من الفتن والحروب ، واخذ الفرنسيون ما وجدوه الى بلادهم » .

ولهذا فان ظهور مؤرخ كعبدالرحمن الجبرتى يعد ظاهرة منفردة ليس لها تفسير واضح ، وان يكن هذا متصلا بالبيئة التى نشا فيها وبالظروف المادية التى احاطت به ، وهى ظروف يسر لم تتح للكثير من الكتاب سواء فى عصر الجبرتى ام فى غير عصره .

فقد ولد عبد الرحمن لاب من علماء الازهر ذى اوقاف واملاك تدر عليه موارد جمة وتضفى عليه بحبوحة من العيش تمكنه من الانفاق على كثير من المشايخ الناشئين والمهاجرين الذين كانوا هم وغيرهم دائبى التردد على منزله . وكان الوالد يقص على ابنه احداث العصر واخبار الولاة والامراء والمشايخ الذين عرفوه .

(١) من دلائل العزلة والاحساس الزائف بالتفوق ، ان الجبرتى يكتب عن والده الشيخ حسن الجبرتى انه كان فريدا فى صناعة التراكيب والتقاطير واستخراج المياه والادهان ... وحضر اليه طلاب من الافرنج وقرأوا عليه علم الهندسة .. واهدوا له من صنائعهم والاتهم اشياء نفيسة، وذهبوا الى بلادهم ونشروا بها ذلك العلم من ذلك الوقت ، واخرجوه من القول الى الفعل ، واستخرجوا به الصنائع البديعة مثل طواحين الهواء وجر الاثقال واستنباط المياه وغير ذلك ..

حتى اذا ما توفي ترك له اموالا طائلة وصداقات وطيدة اطرافها الاشياخ والمريدون والاصدقاء من الامراء والكبراء . وما لبث عبد الرحمن أن تخرج في الازهر بعد ان درس شتى علوم الفقه واللغة ، ثم اكب على خزانة والده يستزيد من امهات الكتب التي حوتها ، وعقد حلقات التدريس وفق ما جرت به عادة المبرزين من مشايخ الازهر . ولقد شغف بالتاريخ الذى هو لديه « علم يبحث فيه عن معرفة احوال الطوائف وبلدانهم ورسومهم وعاداتهم وصناعتهم وانسابهم ووفياتهم ، وموضوعه احوال الاشخاص الماضية من حيث هي وكيف كانت » .

ويندرج في التاريخ لديه علوم كثيرة منها طبقات القراء والمفسرين والمحدثين وسير الصحابة والتابعين وطبقات المجتهدين وطبقات النحاة والحكماء والاطباء واخبار الانبياء ، واخبار المغازى ، وحكايات الصالحين ومسامرة الملوك من القصص والاخبار والمواعظ والعبر والامثال ، وغرائب الاقاليم وعجائب البلدان ... ومنه كتب المحاضرات ومفاكهة الخلفاء ومحاضرات الراغب .

***

وجاءت الخطوة الاولى نحو ظهور تاريخ الجبرتي حين كلفه استاذه محمد مرتضى الزبيدى بأن يعاونه فيما بدأ فيه من الترجمة لاعلام المائة سنة المنصرمة ، من مصريين وحجازيين ، وقد أوصاه الزبيدى بالالتفات الى الاعلام المشهورين ، و « بالتخير والتحرز » . وطفق الجبرتي يدون الاسماء ، فبدأ بالمشايخ ومن كان منهم شيخا للازهر ، ثم اشياخ الاروقة ، وارباب الحلقات ، ومن كان ابوه يطلق عليهم اسم « الطبقة العليا » ، ثم الطبقة التي تليها ممن اشتهروا بالعلوم الفقهية والعقلية والنقلية والشعر والادب والخطابة وغير تلك ... كما شرع يدون اسماء امراء الوجاقات والصناجق ومن بلغ منهم مشيخة البلد ومن شارك في الحكم وحين اتسع العمل امامه طلب مساعدة صديقه اسماعيل الخشاب . ولما كان الخشاب يعمل بديوان المحكمة ، وبها صكوك وحجج ، فقد طلب منه الجبرتي ان يدون اسماء الناس واعمارهم .. وكان يتردد على الديوان حيث دفاتر الكتبة والمباشرين .

وقرر الجبرتي الطواف بالقرافات لقراءة المنقوش على القبور والاتصال باقرباء الذين ماتوا للرجوع الى أوراقهم ان كانت لهم اوراق . ولم تكن مهمة الجبرتي بالهينة ، اذ انه لم يجد من المصادر سوى « بعض كراريس سودها بعض العامة من الاجناد ركيكة التركيب مختلة التهذيب والترتيب » وقد اعتراها النقص من مواضيع في خلال بعض الوقائع ، ولهذا نجده يعتمد على النقل من افواه المشايخ المسنين وصكوك الدفاتر ونقوش المقابر .

وقد تعجل الجبرتي الترجمة لاشهر اعلام المائة عام المنصرمة ، وبذل جهدا كبيرا في تحرى الاخبار الصادقة والتواريخ الدقيقة ، وتقصى آثار المترجم لهم لدى اهلهم واصدقائهم . وجمع هذه التراجم في كراريس عديدة .. كما جمع الى جانبها كثيرا من

الجبرتي مؤرخا

الحوادث والوقائع فى أوراق متناثرة يسميها طيارات ، تستقل كل منهـا بحادث معين ينوى تحقيق صحته فيما بعد .

وحين جاءت الحملة الفرنسية دون فى كراساته اعمالها ومنشورات القادة ومراسلاتهم كما وصلت اليه ، خاصة وانه تردد على بعض منشآتهم واقام بعض الصلات مع رجال الحملة واصبح عضوا فى الديوان الوطنى فى عهـد « مينو » ، وحين خرجت الحملة من مصر فى عام ١٨٠١ رأى ان يشارك المصريين افـراحهم وان يحتفى بالعثمانيين الذين عادوا الى حـكم مصر : فوضع كتاب « مظهر التقديس بذهاب دولة الفرنسيس » واهداه الى الوزير العثمانى يوسف باشا واشاد فيه بالدولة العثمانية . وقد افاض هذا الكتاب فى سرد احداث الحملة الفرنسية ، ولم يذكر فيه شيئا عن اتصاله بالفرنسيين وحضـور حفلاتهم ومشاهدة تجاربهم العلميـة ومفاوضة علمائهم ، واغفـل وثائق محاكمة سليمان الحلبى ، ولم يشر الى عضويته بالديوان .

واغلب الظن ان الجبرتى لم يعتزل الحياة العامة بعد خروج الفرنسيين . بل خاض المشـايخ فيما خاضـوا فيه من الاهتمام بشئون الرعية بقدر ما يسمح له بالالتفات الى مشـاغله الخاصة ، لا سيما وان الثناء على كتابه « مظهر التقديس » قد قوى عزمه على متابعة مشروعه التاريخى . وفى عام ١٢٢٠ (١٨٠٥ م) - وهو العام الذى اشتعلت فيه الثورة فى القاهرة ضد فوضى الحكم العثمانى وشـهد تولية محمد على - رأى ان يجمـع التاريخ الذى انشغل به خمس عشرة سنة . وقد سهل عليه ما كتبه عن الحملة الفرنسية متابعة مشروعه ، فاخذ يستعين باوراقه وكراريسه ويكد ذاكرته ، فوضع تمهيدا تحدث فيه عن التاريخ وفائدته ، ثم اتبعه مقدمة ضافية تلطف فيها فى تقسيم طبقات الناس ، ثم بسط النصيحة للحكام بمراعاة العدل وحسن السياسة .

ونحن نجده فى التمهيد والمقـدمة يعـرض المنظور الاسلامى للتاريخ باعتباره تكشيفا للارادة الالهيـة . ويحض الناس على الاعتبـار بذكر سابقيهم وفائدة العبرة بتلك الاحـوال والتنصح بها وحصول ملكة التجارب بالوقوف على تقلبات الزمن ليحتـرز العاقل عن مثل احوال الهالكين من الامم المذكورة السـالفين ويستجلب اخبار افعالهم ويتجنب سـوء اقوالهم ويزهد فى الفانى ويجتهد فى طلب الباقى . بل انه يرجو من يطلع على تاريخه الا ينساه من صالح دعـواته وان يغضى عما عثر عليه من هفواته .

وبعد التمهيد والمقدمة يلم الجبـرتى المامة سريعة بتاريخ مصر حتى الفتح العثمانى ، ويتدرج منه الى أواخـر المائة الحادية عشرة ، وان يكن تاريخه يبدأ بالفعل بعام ١١٠٠ هـ ١٦٨٨ - م) وذلك بحكم أن نهـاية المقدمة ليست عرضا منتظما للاحداث ، بل انها لا تحتوى على اية مادة تاريخية الا فى القليل النادر . ولما وصل الى الحملة الفرنسية اكتفى باثبات كتابه « مظهر التقديس » برمته بعد ان حذف مقدمته وبعض فصـوله وقـوم بعض الحـوادث وصـححها .. ثم والى تنسيق الاحـداث على النمط الذى اختطه لنفسه ، فقسـم الكتاب الى ثلاثة اجزاء ، وسـار بالجزء الاول حتى آخر عام ١١٨٩ وبالثانى حتى اخر عام ١٢١٢ وبالثالث حتى آخر عام ١٢٢٠ هـ - وسـماه « عجائب الآثار فى التراجم والاخبار » .. وانتهى الجبرتى من تدوين هـذه الاجزاء الثـلاثة فى عام ١٢٢١ هـ

الجبرتي مؤرخا

(١٨٠٦ م) .

وقد وقف الجبرتي من محمد علي موقف المعارضة منذ أوائل حكمه ، وظل حتى عام ١٢٤٠ هـ (١٨٢٥ م) – وهو عام وفاته – يدون الاحداث على الطريقة التى شرحناها ويسندها الى مصدر ثقة او شاهد عيان او شاهد سماع . وفيما يتعلق بالاحداث العامة كان يتوجه بنفسه لمعاينتها ويتصل بمن يأنس فيهم معرفة بواطن الامور . ولهذا فان الجزء الرابع أقرب الى مذكرات كان يمني النفس بتهذيبها وتنسيقها ، وفصوله مسهبة وسياقه منتظم وان بدت بعض الفصول ممعنة فى القصر .

وفى عام ١٢٣٧ هـ (١٨٢٢ م) قتل ابنه خليل فتأثر بذلك تأثرا عميقا ولم يقو على استكمال تاريخه الذى كان قد وصل به الى اخبار ثورة المورة ، وظل يندب ابنه حتى ذهب بصره ، وقبع في داره أعمى لا يقرأ ولا يكتب الى أن ادركته الوفاة . وهذا مما يفسر أن نهاية الجزء الرابع من تاريخه تبدو مبتورة .

***

وحين نقيم تاريخ الجبرتي نجد انه قد أثار اهتماما كبيرا لم يقتصر على المهتمين بتاريخ مصر الحديث من العرب ، بل أن المستشرقين قد أعتبروه مصدرا رئيسيا على درجة كبيرة من الاهمية ... فمثلا نجد أن مكدونالد – فى دائرة المعارف الاسلامية – يذكر انه « باعتباره صورة تفصيلية للحياة الشرقية ، له قيمة اجتماعية عظيمة ، وقد أفاد منه لين لهذا الغرض فى التعليقات التى وضعها لكتاب الف ليلة وليلة . ومما يجعل كتاب « عجائب الاثار » مصدرا من الدرجة الاولى ما تميز به مؤلفه من دقة واستقصاء للاحداث والتحفظ فى ذكرها . كما انه يتميز بالموضوعية التى نستشفها من تأكيده انه يكتب للحقيقة والتاريخ : « ولم اقصد بجمعه خدمة ذى جاه كبير أو طاعة وزير وامير . ولم اداهن فيه دولة بنفاق او مدح او ذم مباين للاخلاق . لميل نفساني او غرض جسماني » . كما انه ينوه الى انه لم يثبت الا ما وصل علمه اليه وثبت خبره لديه ، وانه لم يخترع شيئا من تلقاء نفسه .

وهذه الموضوعية لا تجعل من تاريخ الجبرتي عرضا باردا للاحداث، بل ان كتاباته تفيض بالحرارة التى من ورائها عمق انفعاله بالاحداث . ثم ان الجبرتي محب لبلده ، يشاركه افراحه واتراحه ، ولا ينظر الى الاحداث من بعيد ...

ومما يجعل تاريخ الجبرتي صورة نابضة بالحياة ان تاريخ مصر العثمانية اغنى بكثير من تاريخ سوريا او العراق فى نفس الفترة – وان يكن هذا لا يقلل من تمكنه كمؤرخ – فقارىء الجبرتي يحس دائما بالحياة الجياشة التى يصورها وانه يعيش فى الجو الحقيقي لمصر وللعصر ، خاصة وانه تميز بالدخول مباشرة الى لب الموضوع الذى يدونه ومن رسم صورة كاملة نابضة بالحياة .

وقد امتاز الجبرتي عمن تقدمه من مؤرخي مصر بانه لم يقصر اهتمامه على علية القوم والاحداث الهامة ، فقد عنى بالامور الجليلة والحقيرة

ولم يدع شيئا نمى الى علمه الا ودونه فى دقة مدهشة · وهو محب للانتقاد حينا ، عجول بريم احيانا · لذلك نراه دقيق التحرى امينا فى النقل نزيها فى الرواية ، يكشف عن آرائه فيما يعرض له ، فينبسط وينقبض ويسخر ويتهكم ويشتط ويغضب ·

وهو دقيق الملاحظة المعى الذكاء نفاذ البصيرة الا انه مهما حاول السمو عن مستوى عصره ، فقد بقى مشدودا اليه لا يسمو الى النظرة الشاملة · وهو ضيق الافق بحكم بيئته ، لا يعرف شيئا عما نسميه بالسياسة العليا ولا يتنبه الى كبار الاوربيين الذين زاروا مصر فى حياته ·· كما نجده يعكس التعصب الدينى، الذى كان يسود مجتمعه ، وان يكن هذا التعصب قد خفت حدته بمرور الزمن نتيجة لما لمسه بنفسه من تفوق الفرنسيين المخالفين للمصريين فى الدين · لدرجة انه تمنى فى أعقاب الحملة الفرنسية زوال العثمانيين الذين عاثوا فى البلاد فسادا ـ شأنه فى ذلك شأن كثير من الناس فى مصر ـ لخاصة الفلاحين ·

وقد اولع الجبرتي بالتغني بالعدل والتشنيع على ظلم الحكام · وهو يفهم ان العدل انما هو اقامة الشريعة والرفق بالرعية ، مما جعله يقف موقف الناقد لمستحدثات الامور ، وخاصة ما جاءت به الحملة الفرنسية ·· وقد تأثر بالصداقة والصحبة ، فهو يعلن ميوله الشخصية وايثاره هذا على ذلك ، ولهذا كان لوالده واصدقاء والده واشياخه نصيب وافر من تاريخه ·

وقد اتقن فن الترجمة بقدر ما اتيح له ، وبرع فى تصوير الشخصية وابراز خلق المترجم لهم ببراعة فائقة ·على ان ولعه بالتراجم جعله يترجم لكل من عرفهم ومن لم يعرفهم من

سليمان الحلبي : استقاض الجبرتى فى وصف محاكمته





محمد على : لم يتردد الجبرتى فى الاشادة ببعض اعماله الجليلة

كبراء وامراء ، ومن كل رفيع ووضيع حتى انه ترجم لخدمة النعال فى المساجد والمجذوبين ، بل لمن لم يعرف لهم ترجمة ، ولعله انفرد بين المؤرخين بالتوسع فى وصف القاهرة ومساجدها وشوارعها وعطفاتها وتاريخ ما فيها من قصور وقلاع ومنتزهات. وقد اسهب فى ذكر الشعراء ، يستشهد بالكثير من شعرهم، وقد يستشهد بشعر بعض المتقدمين ، ولكنه لا يشعر بتضلعه فى الادب والشعر ، ثم انه فقيه صوفى لا بد أن يهتم بمشايخ الصوفية ويشرح معمياتهم والغازهم . وهو ايضا من الملمين بعلم الفلك يحب ان يذكر الاحداث الفلكية ويحاول تفسير الاحداث على ضوئها فى بعض الاحيان ولعل تضلعه فى العلوم الحسابية جعله يطيل الجدل فى النقود ، كما ويعنى عناية خاصة بالسلع وأثمانها وتوفرها ونقصها .

والجبرتي فى الجزءين الاول والثاني من « عجائب الآثار » ينقل عن غيره من المؤرخين : كالاسحاقي والدمرداشي واحمد شلبي عبد الغني ، ولهذا فان قيمة مؤلفه فى هذين الجزءين – باستثناء ما عاصره ودونه فى النصف الثاني من الجزء الثاني – لا يعتد بها كثيرا من الناحية العلمية بسبب نقله من عدة مصادر دون تمحيص ... وفي بداية الجزء الاول نجده متحفظا الى اقصى حد فيما يتعلق بمصادر الفترات الاولى من الحكم العثماني لمصر . ولهذا فليس ثمة دليل على اشارته الى ابن اياس والقرماني وابن زنبل باعتبارهم ثقات عن الفتح العثمانى .. اذ ان وصفه لهذه الحادثة من القصر بحيث لا يمكننا التحقق من مصادره ... ومع ذلك فانه أسهب في وصف تعادي الفرق العثمانية وتنافس الامراء المماليك على الحكم ووسائلهم ومصارعهم . والصفحات القاتمة التى خصصها لحكم ابراهيم ومراد فى الجزء الثانى من تاريخه لا تترك مجالا للشك فى انه كان يكن لهذا العهد مقتا شديدا مرده ألوان المظالم التى انزلها الحكام بالمحكومين وفساد طوية الرعية. وهو لهذا يعتبر الحملة الفرنسية عقابا الهيا لأهل مصر مستشهدا بقوله تعالى : « وما كان ربك مهلك القرى بظلم واهلها مصلحون » .

وهو يبدأ الجزء الثالث بالكلام عن عام ١٢١٣ هـ (١٧٩٨ م) – عام نزول الفرنسيين أرض مصر . ويرتبط اثر الحملة الفرنسية فى تفكير الجبرتى بما اثارته فى آفاق المصريين بوجه عام ، فقد كانت بالنسبة اليهم بمثابة تحد ضخم لهم ولمقوماتهم ، فقد أوجدت أمامهم نمطا حضاريا متفوقا نظروا اليه بعين الشك لمخالفته لمألوفهم ولكنهم لم يكونوا ليستطيعوا مدافعة أثره فى بعضهم .

ويستقبح الجبرتي ما شاءت له ميوله وتقاليده، مستحدثات الفرنسيين كانفلات بعض الرجال والنساء وتحللهم من المثل الاخلاقية التى انطبع بها المجتمع المصرى ، خاصة وقد أبيح البغاء العلني وسفرت بعض النساء ولبسن الملابس الملونة واختلطن بالرجال ، وتمردت بعض الفئات الاجتماعية على الاوضاع الموروثة وارتدت ما كان محرما عليها من ملابس وامتطت الخيول وتحدت العرف الاسلامى بالاكل والشرب علنا في رمضان وتعاطى المسكرات . وتناقل

الجبرتي مؤرخا

الفرنسيين فى صميم حياة الناس نبهوا عليهم بالامتناع عن دفن الموتى بالمقابر القريبة من المساكن ، وبنشر الثياب والامتعة والفرش بالاسطح عدة أيام ، وتبخير البيوت خوفا من الطاعون" وهدموا المصاطب والبوابات جريا وراء تحصين القاهرة ، واشتدوا فى الارهاب والتنكيل خاصة كلما نشبت ثورة أو اضطراب · هذا الى اتضاح مخالفتهم للمصريين فى الدين برغم ما ادعاه نابليون من انه مسلم جريا وراء سياسة استمالة المصريين باصدار المنشورات باللغة العربية وتقربه من علماء الازهر ···

ويسجل الجبرتى فى كتابه « مظهر التقديس » ان رجال الحملة الفرنسية « خالفوا النصارى والمسلمين ولم يتمسكوا من الاديان بدين ، فتراهم للمعاد والحشر منكرين وللنبوة والرسالة جاحدين ، ويقولون بقدم العالم وتأثير العلوية والحوادث الكونية بالحركات الدورية ، وعقيدتهم السالكون فيها تحكيم العقل وما تستحسنه النفوس بحسب الشهوات ·

ورغم أن الجبرتى شارك معاصريه من المصريين شعورهم ازاء الحملة الفرنسية ، فان ذلك لم يجعله يغض الطرف عن بعض المنجزات التى قاموا بها · فهو يشيد بحب الفرنسيين للعلم ويسجل انهم افردوا للمدبرين والفلكيين وأهل المعرفة والعلوم الرياضية والهيئة والنقوشات والرسومات والمصورين والكتبة والحساب والمنشئين ـ حارة الناصرية، وانهم جعلوا بيت حسن كاشف جركس مكتبة رحبوا بزوارها ، حتى اسافلهم من العسكر اذا حضر اليهم بعض المسلمين ممن يريد الفرجة لا يمنعون الدخول الى اعز اماكنهم ، ويتلقونه بالبشاشة والضحك واظهار السرور بمجيئه اليهم ، وخاصة اذا رأوا فيه قابلية أو معرفة أو تطلعا للنظر فى المعارف ، بذلوا له كل مودتهم ومحبتهم ويحضرون له أنواع التصاوير وكرات البلاد والاقاليم ، والحيوانات والطيور والنباتات ، وتواريخ القدماء وسير الامم وقصص الانبياء ·

وقد أعجبه من الفرنسيين تطلعهم الزائد للعلوم « ولهم فيه أمور وأحوال وتراكيب غريبة ينتج منها نتائج لا يسعها عقول أمثالنا » · كما أعجب بأسلوبهم فى العمل ، فقد نوه بانهم « كانوا يعطون الرجال زيادة عن أجرتهم المعتادة ويصرفونهم بعد الظهر ويستعينون فى الاشغال وسرعة العمل بالالات القريبة المسهلة التناول فى العمل وقلة الكلفة ، كاستعمال العربات ذات العجل لنقل التراب بدلا من النقل اليدوى البحت فى القفاف والقصاع وغير ذلك » ·

ومن الامثلة التى يسوقها الجبرتى لتوخى الفرنسيين احترام القانون ما ذكره من اعدام بعض جنودهم الذين قاموا بأعمال السطو · فقد « قتلوا ثلاثة أنفار من الفرنسيين وبندقوا عليهم بالرصاص بالميدان تحت القلعة قيل انهم من المتسلقين على الدور » ، ومنها أيضا ما ذكره وهو نص بيان الديوان الذى أشار الى عقاب بونابرت للخارجين على القانون ولو كانوا من جنسه أو ملته :

« وقد اقتص من عسكره الذين اساءوا بمنزل الشيخ محمد الجوهرى وأنزل طائفة منهم من مقامهم العالى الى ادنى مقام ، لان الخيانة ليست من عادة الفرنسيين خاصة مع النساء والارامل ، فان ذلك قبيح عندهم لا يفعله الا كل خسيس » ·

الجبرتي مؤرخاً

وقد استفاض في وصف محاكمة سليمان الحلبي قاتل كليبر وأعجب بطريقة الفرنسيين في المحاكمة التي أحيطت بكافة ضمانات العدالة . واكتشف أن الاجراءات الجنائية لها قوانين تنظمها كما أورد تقرير الطبيب الشرعي والجراح عن اصابة كليبر وسبب وفاته وشهادة الشهود وكل ما ورد بملف القضية من استجوابات في محضر التحقيق وأشاد بعلنية المحاكمة ·

***

اما حكم الجبرتي على ما شهده من عصر محمد علي فقد استند الى أساس اخلاقي ومن منطلق كونه ينتمي الى الفئات التي مستها الاجراءات الصارمة التي اتخذها محمد علي للقضاء على الفئات التي تشكل ركائز لتثبيت السلطة وتضعف الحكومة المركزية كالملتزمين وكبار حائزي الاراضي وأثرياء المشايخ والمماليك ·

ولذا فهو يتهم محمد علي بوجه عام بأنه اعتدى على مساتير الناس وأغلق البيوت المفتوحة لأن في طبعه داء الحسد والشره والتطلع لما في أيدي الناس وأرزاقهم ، فمحمد علي ليس له منهم — لدى الجبرتي — سوى صرف همته وعقله وفكرته في تحصيل المال والمكاسب وقطع أرزاق المسترزقين والحجر والاحتكار لجميع الاسباب ، ولا يقرب اليه من يريد قربه الا بمساعدته على مراداته ومقاصده ، ومن كان بخلاف ذلك فلا حظ له مطلقا ، ومن تجاسر عليه من الوجهاء بنصح أو فعل مناسب ، ولو على سبيل التشفع حقد عليه ، وربما أقصاه وأبعده وعاداه معاداة من لا يصفو أبدا ، وعرفت طباعه وأخلاقه في دائرته وبطانته ، فلم يمكنهم الا الموافقة والمساعدة في مشروعاته اما رهبة وخوفا على سيادتهم ورياستهم ومناصبهم ، واما رغبة وطمعا للرياسة والسيادة ·

لهذا نجد الجبرتي يشمت في المصير الذي آل اليه عمر مكرم — فقد اعتبره عقابا سماويا للسيد عمر الذي لعب دورا رئيسيا في تولية محمد علي ، ومن ثم فهو في رأي الجبرتي — قد ساعد على تولية « ظالم » فاستحق بذلك العقاب ·

وفي كل ذلك لا يرتفع الجبرتي الى مستوى ادراك أن محمد علي حاكم مستبد مستنير يسعى جهده لتوفير المال اللازم لبناء الدولة الحديثة واقامة المشروعات العامة التي كانت البلاد في أمس الحاجة اليها · ورغم ذلك فلم يكن الجبرتي بالناقد المتحامل على طول الخط ، فهو برغم تسجيله للظلم الذي حاق بالفلاحين أثناء حفر ترعة المحمودية الذي ذهب ضحيته الكثيرون الذين دفنوا أحياء أو أمواتا ، فانه لا يتردد في الاشادة ببعض الأعمال الجليلة التي قام بها محمد علي ·

فمن ذلك — مثلا — أن « الباشا » كان يشجع أبناء مصر ويفتح أمامهم أبواب التعليم اذا ما لاحت منهم بادرة تشجيع للوالي ؛ واتفق أن شخصا من أبناء البلد يسمى حسين جلبي عجوة ابتكر بفكره صورة دائرة وهي التي يدقون بها الأرز

وعمل لها مثالا من الصفيح تدور بأسهل طريقة بحيث أن الالة المعتادة اذا كانت تدور بأربعة ثيران فيدير هذه ثوران · وقدم ذلك المثال الى الباشا فأعجبه وانعم عليه بدراهم وأمره بالمسير الى دمياط ويبنى بها دائرة ويهندسها برايه ومعرفتـه ، وأعطاه مرسوما بمـا يحتاجه من الاخشاب والحديد وغير ذلك ، ففعل وصح قوله . ثم فعل أخرى برشيد ، وراج أمره بسبب ذلك ·

ومنها أن « الباشا » لما رأى هذه الفكرة من حسين جلبى هذا قال ان فى أولاد مصر نجابة وقابلية للمعارف فأمر ببنـاء مكتب بحوش السراية ويترتب فيه جملة من أولاد البـلد ومماليك الباشـا ، وأحضر لهم آلات هندسية متنوعة من أشغال الانكليز يأخذون بها الابعاد والارتفـاعات والمساحة ، ورتب لهم شهريا وكساوى فى السنة ، واستمروا على الاجتماع بهذا المكتب ، وسموه مهندس خانة ، فى كل يوم من الصباح الى بعـد الظهيرة ثم ينزلون فى بعض الايام الى الخلاء لتعلم مساحات الاراضى



كليبر : قتله سليمان الحلبي

وقياساتها بالانتصاب ، وهو الغرض المقصود ·

كما يشهد الجبرتي باعادة محمد على للسد الموصل الى الاسكندرية ، وكان قد تخرب وزحف منـه ماء البحر وأتلف أراضى كثيرة وخربت منه قرى ومزارع ، ويصف محمـد على بأن له « مفتوحة لم تكن لغيره من ملوك هذا الزمان » أن يكن قد تحفظ بقوله : « فلو وفقه الله لشيء من العدالة على ما فيـه من العـزم والرياسة والشهامة والتدبير والمطاولة لكان اعجوبة زمانه وفريد أوانه »·

وحين بنى محمد على حائطـين فى رشيد على يمين البوغاز وشـماله ينحصر بينهما الماء فلا تطفى الرمال وقت ضعف النيل بحيث تعطب المراكب وتتلف أموال المسـافرين – أكبره الجبرتي ووصف ما قام به بأنه « من أعظم الهمم الملوكية التى لم يسبقه لمثلها » ·

***

وقبل أن ننهى تقييمنا لتاريخ عبد الرحمن الجبرتى لا بد لنا من تأكيد الحقيقة الخاصة بانتمائه الى المؤرخين الاسلاميين التقليديين الذين ألفوا على طريقة الحوليات واتقنوا فن التراجم وانه لم يلحق النهضة الفكرية التى شهدتها مصر فى القرن التاسع عشر وأسهم فيها شيخ أزهرى من معاصرى الجبرتى هو حسن العطار الذى احتك بالفرنسيين وآمن بأن مصر لابد لها أن تتغير وان لا بد من الاخذ بعلوم أوربا ·

وهكذا فاذا كان الجبرتى يمثـل الماضى فان العطار يمثـل تطلعات المستقبل الذى بنى على الانفتـاح والاخذ بالعـلوم العصرية ولو كانت مستقاة من الغرب المسيحى · ويتضح

انتماء الجبرتي للماضي من تفسيره للاحداث في اطار الغيبيات الدينية ، فهو في تفسيره لدخول الفرنسيين لمصر وعدم جدوى مقاومة المماليك والمصريين لهم يعلق على ذلك بكونه « امرا مقضيا محتما لا يرد بالدعاء» وهو يعلق على الحملة الفرنسية بانها بلاء يمتحن به الله المصريين ويعاقبهم بها على سوء فعالهم وظلمهم لبعضهم البعض ، ويعقب على ذلك بالاية الكريمة : « وماكان ربك مهلك القرى بظلم واهلها مصلحون » .

وهو كذلك يفسر خروج الفرنسيين من مصر على أيدى الانجليز والاتراك تفسيرا غيبيا ويقول في ذلك : « واذا تأمل العاقل في هذه القضية يرى فيها أعظم الاعتبارات والكرامة لدين الاسلام حيث سخر الطائفة الذين هم أعداء للملة هذه لدفع تلك الطائفة ومساعدة المسلمين عليهم - وذلك مصداق الحديث الشريف وقوله صلى الله عليه وسلم : ان الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر » .

وليس ذلك بغريب على مسلم ينتمي الى ذلك التراث الديني الضخم الذى فسر الكثيرون احداث العالم - طبقا له - على انها ليست سوى تكشف للارادة الالهية ، ومن ثم فان من أهم فوائد التاريخ لديهم العبرة بما جرى للغابرين والتنصح بأحوالهم « وحصول ملكة التجارب بالوقوف على تقلبات الزمن ليحترز العاقل عن مثل أحوال الهالكين من الامم المذكورة السالفين ويستجلب خيار افعالهم ويجتنب سوء أفعالهم ويزهد في الفاني ويجتهد في طلب الباقي، ويعتبر العالم على الخطوب الماضية فيتاسى اذا لحقه مصاب ويتذكر حوادث الدهر » .

وبالاضافة الى ذلك فان التاريخ الذى خلفه لنا الجبرتي يوضح الصعوبات التى قد يتعرض لها المؤرخ المعاصر للاحداث ، فهو في ابدائه لارائه في الاحداث والاشخاص لا بد له ان يتأثر بميوله واتجاهاته ، فيحبذ ما يحبذ وينتقد ما يراه موضعا للنقد وبالتالى فان عليه ان يواجه بعض المتاعب ، ومن ذلك ان انتشار الاجزاء الثلاثة الاولى من « عجائب الاثار » في ايامه قد ادى الى عداء بعض المشايخ له بوجه خاص ، ذلك لما احتوى عليه تاريخه من نقد مرير لبعض الناس .

كما أن الكثيرين يربطون بين نقده لحكم محمد على ومقتل ابنه خليل . وهذا هو مصدر تحرز المؤرخ المستقل من تناول الاحداث المعاصرة الا ان تتكشف له تفاصيل ما يؤرخ له او تتاح له الكتابة في مجتمع يقدر حرية الرأى ويحيط صاحبها بالضمانات الكافية ، كما هو الحال بالنسبة الى المجتمعات التى تتدهور فيها الكتابة التاريخية الجادة دون أن يوجه التاريخ توجيها مبتسرا لخدمة فرد ما او قضية ما من جانب واحد . ولعل الجبرتي قد تعرض في حياته لما قد يتعرض له الكاتب او الصحفي المستقل في بعض المجتمعات الدكتاتورية او الشمولية . ورغم ذلك فانه اوتي الشجاعة الكافية لمواصلة عمله حتى قبيل وفاته .

وهناك صعوبة اخرى واجهها الجبرتي هو انه عاش في فترة قلقة من

الجبرتي مؤرخا



عمر مكرم : لعب دورا رئيسيا لتولية محمد على

تاريخ مصر منذ اواخر القرن الثامن عشر حتى العشرينات من القرن التاسع عشر . هذه الفترة كانت تحمل نذر المستقبل من حيث تسابق انجلترا وفرنسا على السيطرة على مصر وبدء زحف المؤثرات الغربية على البلاد سواء فى عهد الحملة الفرنسية أو فى ظل حكم محمد على . وما كان لمثل الجبرتى ذى العقلية التقليدية ان يرحب بزعزعة الاوضاع القائمة التى الفها الناس بحلوها ومرها وتكيفوا لها ، حتى اذا ما ضاقت بهم الحال رجعوا القهقرى الى فترة صدر الاسلام يستلهمونها الوحى والالهام ويجعلون منها مثلا اعلى .

ولم يدرك الجبرتى واغلب معاصريه ان الحملة الفرنسية قد جاءت مؤذنة بانكسار جدار العزلة التى فرضت على البلاد منذ الكشوف الجغرافية والفتح العثمانى . وان المؤثرات الغربية التى تدفقت على مصر فى عهد محمد على وخلفائه قد اصطدمت بالاطار العقائدى الموروث وفككته ، بحيث أن النظام العقائدى ذى الوجهة الدينية والمجتمع المصرى كانا يواجهان الحاجة الى اعادة تشكيلهما بحيث يوجهان وجهة انسانية .

وهكذا نجد الجبرتى برما بحكم محمد على ، ضيق الصدر دائم الحسرة على الاوضاع القديمة ومستنكرا تقريب الحاكم لنصارى الاروام والارمن « فتراهسوا بذلك وعلت اسافلهم ولبسوا الملابس الفاخرة وركبوا البغال والرهوانات، واخذوا بيوت الاعيان التى بمصر القديمة وعمروها وزخرفوها ، وعملوا فيها بساتين وجناين ، وذلك خلاف البيوت التى لهم بداخل المدينة ».

لم يدرك الجبرتى أن الدولة العلمانية الحديثة التى وضع اساسها محمد على لا تفرق بين مواطن وآخر الا بمقدار ما يقدمه لها من خدمات دون اعتبار لدين أو طبقة أو جنس أو لون. وليس الجبرتى فى ذلك بالظاهرة الفريدة ، فهناك من المؤرخين الفرنسيين فى القرن التاسع عشر من شنعوا على عهد الثورة الفرنسية ونابليون ومجدوا كثيرا من اوضاع العهد الملكى القديم القائم على الاستبداد والطبقية بعد أن ضاقوا بأساليب الديموقراطية الحديثة التى رأوها تهز كيان المجتمع الفرنسى هذا وتزعزع أركانه وتؤثر فى مكانة فرنسا بالنسبة الى أوربا الغربية .

ورغم ذلك كله تبقى مكانة مؤرخنا الكبير راسخة كالطود ... فهو لصدقه ودقة تعبيره قد خلف لنا صورة فريدة لاحوال مصر فى ايامه بحيث لا يستغنى عن تاريخه كل من يتصدى للكتابة عن ناحية أو اخرى من تاريخ مصر فى أواخر القرن الثامن عشر وأوائل التاسع عشر .

د. عبد المنعم ماجد

مكان عبد الرحمن الجبرتي
بين المؤرخين المسلمين



اشتهرت مصر بمؤرخيها العظام ، لاسيما في فترة حكم سلاطين المماليك (٦٤٨ - ٩١٨/١٢٥٠ - ١٥١٢) فقلبها ظهر منهم أعداد وطبقات لا تحصى ، قدموا حشدا من مادة تاريخية ، لا مثيل لها في اى فترة سابقة او لاحقة ، او في اى بلد عربي اخر ... الا انه بفتح العثمانيين لمصر ، وعلى مدى ما ينيف على ثلاثة قرون (٩١٨ - ١٥١٢/١٢٢٦ - ١٨١١) ، لم نصادف من مؤرخي (١) مصر ، غير عدد قليل جدا يعد على الاصابع ، ليست لهم تآليف هامة . ولا غرو ، فعصور الاضمحلال ، لا تجد عادة من

(١) مثل : شمس الدين محمد بن ابى السرور البكرى الصديقى (١٠٠٥ - ١٠٦٠ - ١٥٩٦ - ١٦٥٠) الذى الف مختصرا لخطط المقريزى سماه : قطف الازهار من الخطط والاثار . وكذلك مؤلف آخر اسمه الاسحاقى ، لا نعرف عنه شيئا يذكر ، الف كتابه بعنوان : أخبار الاوائل، فيمن تصرف في مصر من ارباب الدول، القاهرة ١٢١٥ هـ .



يكتب عنها ، اذ ان مصر وقد أصبحت ولاية في امبراطورية العثمانيين ، تدهورت سياسيا وحضاريا .

ولكن في أواخر الحكم العثماني لمصر ، ظهر فيها فجاة ، على غير انتظار ، عملاق من عمالقة التاريخ، هو عبد الرحمن الجبرتي (١) الذى كان سخيا في انتاجه على غير العادة فالف في تاريخ مصر كتابين مشهورين هما : عجائب الآثار في التراجم والاخبار (٢) ، ومظهر التقديس بذهاب دولة الفرنسيس (٣) فكان ظهوره هذا في وقته بحيث اعتبر طبقة وحده، من طبقات مؤرخي مصر العظام، لا مثيل له في اى بلد عربي اخر .

ولمكانته الخاصة ظهر الاهتمام العالمي به في الغرب والشرق وخصصت عنه بحوث عديدة .

ولا شك أن ظهور الجبرتي مؤرخا متميزا ، راجع الى انه وجد في فترة حساسة جدا في تاريخ مصر ، وهي فترة غزو الفرنسيين لمصر ، فبقصد أو من غير قصد ، عمد هؤلاء الى ايقاظ القومية المصرية ، حتى انهم اقاموا في مصر اكاديمية ، بقيت طيلة الاعوام التى لبثها الاحتلال الفرنسي فيها ، لتعني بدراسة (٤) كل ما يتعلق بها ، وبكل ما كتب عنها في التاريخ ولو بالعربية . وبعد رحيل الفرنسيين عاش الجبرتي فترة اليقظة، التى حدثت في أيام محمد علي ، حيث اصبح كل شيء مصريا ، وجرى اسم مصر على كل لسان ، وبدأ عصر جديد في تاريخها .

ومن جهة أخرى ، فان اعداد الجبرتي نفسه ، جعله يسمو الى مرتبة المؤرخين الكبار . لقد كان على علم بمعظم كتب مؤرخي مصر العظام وغيرهم حيث يورد في مقدمة كتابه « عجائب الآثار » قائمة باسمائهم ومؤلفاتهم التى كان بعضها تحت يده، وان كان يشكو من أن معظمها بدأ يتسرب من مصر الى خارجها يضاف الى ذلك انه كان على علم بصنعة التاريخ وقواعده ، فقد سود أوراقا مسودة لوقائع اجمالية ، وأخرى محققة تفصيلية ، شاهدها بنفسه ، وبعد مرحلة الجمع سار في تنسيق ما جمعه مرتبا له على السنين . وكان له تعريف خاص بعلم التاريخ ، فهو وان كان يندرج فيه علوم كثيرة ، الا انه تميز عليها باعتماده على الاصول ، التى تتعلق باحوال الاشخاص الماضين ،والوقوف على الاحوال من حيث هي . فسمت نفسه الى ارجاع مكانة هذا العلم واعادته الى سابق ازدهاره ، على الرغم من أن معاصريه نبذوه ،

---

(١) هو عبد الرحمن بن الحسن الجبرتي

(٢) كان قد منع نشره بسبب موقفه من محمد علي ، وطبع عدة مرات وله ترجمات متعددة ، فرنسية وروسية وتركية .

(٣) يتناول فترة لا تتعدى بضع سنوات من الاحتلال الفرنسي لمصر ، حققه لاول مرة محمد عطا في جزءين في مجموعة اخترنا لك (٥٩) القاهرة ١٩٥٨ .

(٤) الفوا كتابا في وصف مصر ، هو دائرة معارف شاسعة .

واعتبروه اساطير الاولين

لقد كان مثـــل معظم المؤرخين المسلمين ، يرى أن التـــاريخ يعتمد اساساً لكتابته على السماع والمشاهدة حتى انه كان يأخـــذ ملاحظات يومية منذ عام ١١٩٠ /١٧٧٦ • وبفضـــل هذه الطريقة المثلى ، ساق فيحولياته حشدا من الاخبار ، حتى شبه بابن اياس (١) ، الذى هو مؤرخ مصرى أيضا ، عاش فى أواخـــر سلطنة المماليك ، ونقل فى يوميـــاته كل ما يتعلق بالحياة المصرية وقتذاك •

وقد لجأ الجبرتى فى نقل اخباره الى الوســـائل المعروفة ، منهـــا ما هو بالتواتر والاشتهار ، ممـــا وصل الى علمه يقينا ، وثبت خبره لديه ، وبالرجوع الى افواه المسنين، وبأخذ ما نقش على الحجـــر من المقبورين ، وحتى من الوثائق المترجمة عن المستندات الفرنسية الرسمية •

ولا نتجاوز الحقيقة ، اذا قلنا ان الجبرتى هو أول مؤرخ اسلامى ،صنع من التراجم ، التى تتناول الصفات العالية ، عملا تاريخيا يكمل الخبر • ومع أن التراجم لها أصـــل فى أيام التأليف الاسلامية الاولى ، حيثكانت تعرف باسم مناقب ، وظهرت أيضـــا فى مصر أيام سلطنة المماليك ،وكثرت بحيث لم يوجد لها مثيل فى أى بلد عربى اخر ـ الا انها لم تبق بعـــد زوالهم الى أن أحياها الجبرتى •••

وربما كان الجبرتى متاثرا فيهـــا، برغبة عارمة ظهرت فى بلاد الشرق بقصد احياء مجد العروبة الغابر من خـــلالها ، فان المؤرخ المواردى (٢) الدمشـــقى (صفر ١٢٠٦/ اكتوبر ١٧٩١) المعاصر له •• كان قد الف فى التراجم ، وكان يراسله ، وأوصاه أن يسير على نسقه وأيضا المرتضى الزبيدى (٣) (شعبان ١٢٠٥ / ابريل ١٧٩١) ـ وهو أستاذ فى مصر ـ وقد نصحه بالكتابة فى التراجم • ومع ذلك ، فانه لا يجب أن نبـــالغ فى المؤثـــرات التى اتت للجـــبرتى من الخارج ، وانما يكون الاعتبـــار للمؤثرات من مصر ، وان الجبرتى قد وضع نصب عينيه الاهتمام بالخبر حتى ولو قدم فى تســـمية كتابه : عجائب الاثار ، التراجم (٤) على الاخبار •

ثم هو من نفس المدرسة التاريخية الاسلامية ، التى ترى ارتباط التاريخ بخلق الارض وظهور ادم عليهـــا وتعليل الحوادث بمسببات الهيـــة ، على أساس أن قدر الانســـان ، كتب فى لوح محفوظ • ثم هو مثلهم يرى أن الشعر ، وحتى السجع أحيانا ،هو من أسلوب كتابة التاريخ • وفىالواقع فان أسلوب الجبرتى التاريخى، لم يكن منتظرا ، فى ذلك الوقت ، حيث كانت العامية هى المسيطرة ، وكانت التركية هى اللغة الرسمية للدولة الحاكمـــة فى مصر ، وبذلك يعد من المؤرخـــين

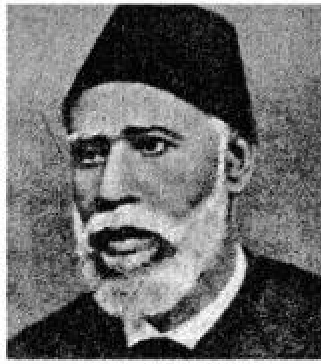
---

(١) يعتبر محمود الشرقاوى فى كتابه « دراسات فى تاريخ الجبرتى » ان مؤرخنا هو المتمم لابن اياس ، وان كنا نرفض هـــذا التعبير على اساس ان تاريخه لم يتصل بتاريخ ابن اياس •

(٢) الف كتابه : سلك الدرر فى أعيان القرن الثانى عشر طبع بولاق ١٢٩١ هـ •

(٣) هو صاحب قاموس تاج العروس •

(٤) ربما فقط ليوجد التوازى بالسجع.



علي مبارك : كتب خططه
على نسق المقريزي

الابناء ، الذين كان لهم مثيل فيما سبق

وفوق ذلك، فان الجبرتي ، مثل مؤرخي مصر الاسلامية الكبار ، يؤمن بمصر التي ولد (١) فيها ، ودفن فيها اجداده ، حتى ان اجمال ما كتبه يتعلق بها وحدها ، ولم يخرج فيه عنها الا نادرا ، فضلا عن انه ترجم لعدد كبير من اعيان مصر ، بحيث ان تاريخه بحق هو تاريخ مصر • بل ويمكن فيه تصور معالم القاهرة جلية واضحة ، فساق عنها معلومات متصلة ونادرة ، فهو يتكلم – مثل المقريزي من قبل – عن الخطط والمواقع والاماكن من ميادين وشوارع وعطفات ودروب ، ومساجد وأسوار وبساتين، حتى النيل اذا قصر او لم يقصر • فتاريخه صورة صادقة ناصعة في جبين التاريخ المصري في وقته ، نحس بصدق العاطفة وحرارتها وتجعلنا نعايشه •

ومع ذلك ، فهو لا يرى لمصر ، الا ان تكون في حماية الدولة العثمانية او الخاقانية كما كانت تسمى ايضا – على اساس انها حامية الخلافة ، ومشرفة على شئون الاسلام امام العالم الاسلامي – فيرى أن ملك مصر ، متشرف بانتظامه في ممالكها ، وانها ، اي العثمانية افضل مما كان من الامويين والعباسيين والفواطم • فهو مثل بقية المؤرخين المسلمين لا يظهر عندهم وطنية اقليمية ، وانما يدركون الوحدة الاسلامية • ولا شك • فان اهل جبرت قد عرفوا بتقواهم ، وحبهم للاسلام ، حتى كانوا يحجون مشاة •

والواقع ان الجبرتي كان السبب في اليقظة التاريخية في مصر في العصر الحديث ، والتي اعادت اليها اصالتها السابقة في علم التاريخ الاسلامي • حتى ان المؤرخين المصريين الذين اتوا بعده ، لجيلين او اكثر ، وجدوا صعوبة في الانطلاق نحو الطريقة الحديثة في كتابة التاريخ الاسلامي • ومع ذلك فان كل من جاءوا بعده، لم يستطيعوا ان يصلوا الى مستواه ، بدليل ان علي باشا مبارك ، وهو المؤرخ الوحيد في القرن التاسع عشر كتب خططه على نسق خطط المقريزي ، ولكن التفاصيل التي اتى بها لم تكن جديدة ، على عكس ما فعله الجبرتي في تاليفه ، وانما كان علي باشا مبارك جامعا •

والخلاصة أن الجبرتي يحتل مكانة خاصة بين مؤرخي المسلمين العظام، كتب على طريقتهم وباسلوبهم ، فهو نتاج الاصالة لمدرسة التاريخ في مصر الاسلامية ، وان اعتبر اخر الذين كتبوا بطريقة الحوليات •

---

(١) اصله من جبرت ، او أرتيريا حاليا، وهي المنطقة الاسلامية في جنوب الحبشة ، اذ ان سابع جد له واسمه عبد الرحمن ، قد ورد مكة والمدينة وجاور فيهما ، ثم انتقل الى مصر ، واصبح شيخ رواق الجبرتية في الازهر وزعيم طائفتهم ، واستمر ذلك وراثيا في اسرته •

د. عبد العزيز سليمان نوار

الجبرتي وعلماء زمانه

كان العلماء والمشايخ ومن أطلق عليهم عبد الرحمن الجبرتي صفة المتعممين يكونون طائفة من طوائف المجتمع المصري . على رأسها شيخ الازهر ، انتظموا في مراتب تعارفوا عليها ، فكان هناك مشايخ من الطبقة الاولى ، وآخرون من الطبقة الثانية والثالثة . يتطلع كل واحد منهم الى الارتقاء من طبقته الى الاخرى . فاذا ما وصلوا الى الطبقة الاولى أصبحوا اكثر تواضعا ويتجنبون القول بأنهم فعلا من هذه الطبقة الرفيعة شعورا بقصور العالم عن بلوغ كمال المعرفة .

وليس معنى ذلك انه كانت هناك فوارق حاسمة بين اية من هذه الطبقات .. وانما ابواب كل طبقة كانت مفتوحة

من الازهر الشريف ومن المدارس الاسلامية العديدة ومن حلقات الدرس في مختلف الجوامع الكبرى كان يتخرج علماء مصر وشيوخها ، حملة القرآن الكريم والشريعة الاسلامية . كانوا من قلب الشعب المصري نفسه على مختلف مستوياته الريفية والحضرية . كانوا يعيشون الحياة المصرية بكافة جوانبها ، وابواب الحكام كانت مفتوحة لهم ، منهم المديرون للأوقاف والمدارس وشيوخ الاروقة ، ومنهم التجار والملتزمون واصحاب العقارات .

واذا كانت هناك فترات عصيبة مرت برجال الدين والمشايخ خلال التاريخ الحديث فقد كانت اكثرها دقة تلك التي تعتبر فترة انتقال من عصر المماليك الى محنة الحملة الفرنسية الى عهد محمد علي ، فخلالها وقعت متغيرات محلية ودولية سريعة كانت عبئا اعظم من قدراتهم .

ومع ما اصيبت به مكانة العلماء والمشايخ من هزات عنيفة خلال تلك الفترة العصيبة ظلت للعلماء والمشايخ مكانتهم بين الشعب ولدى مختلف الشعوب العربية والاسلامية ، محتفظين بتقاليدهم وفكرهم ومدرستهم التي كان لها في التاريخ نفس وباع طويلان ..

امام كل مجتهد من العلماء بدرسه وعطفه وايمانه ، ويبذله الوقت والمال باحثا منقبا من اجل تكوين مدرسة له من تلاميذه الذين يأخذون عنه ويتعلقون به ، ويكونون له بمثابة المزوة والرده

ولعبدالرحمن الجبرتي الفضل الاكبر لما كتبه في « عجائب الاثار » من كشف للتطورات والاتجاهات التي كانت تموج في أوساط رجال الدين وعلماء الازهر خلال الفترة التي يغطيها كتابه من القرن الثامن عشر الى الربع الاول من القرن التاسع عشر ..

فالجبرتي كان واحدا من هؤلاء الشيوخ ، وهو نفسه من بيت علم ، فكان أعرف ببواطن الامور التي كانت تحدث في دوائر العلماء وجلساتهم الخاصة، وفي أروقة الازهر ومدارسهم



.. لذلك كانت أمورهم مكشوفة امامه .. وكان هو يريد الكمال منهم .

حقيقة لم يرسم لنا عبد الرحمن الجبرتي صورة عن العالم او الشيخ المثالي الذي كان يتصوره هو ، والذي كان يتمنى وجوده وشيوعه بين العلماء .. ولكن محصلة كتاباته وتراجمه عن العلماء والشيوخ من مختلف المستويات في زمانه تعطينا صورة لهذا العالم على النحو التالي :

« انسانا حسن الاخلاق مقبلا على الافادة والاستفادة (١) » معتمدا على الاصول « يغوص بذهنه وقيافته فيها ويطالع كتبها القديمة التي اهملها المتأخرون (٢) » .

كان يرى كذلك ان العلماء يجب الا يقتصروا على عدد معين من علوم الدين والشريعة ، وانما عليهم ان يعنوا بعلوم اخرى اهملوها مثل (الفلك) الذي اهمله علماء زمانه . ولولا عناية والده الشيخ حسن الجبرتي بهذا العلم لبدا علماء عصره في مستوى ضعيف لا يتناسب مع مكانتهم الرفيعة في داخل البلاد وخارجها (٣) .

ومن وجهة نظر الجبرتي أن العالم الحق لم يخلق فقط لحمل القرآن الكريم والشريعة الاسلامية وتدريسها والدعوة

---

(١) كان الجبرتي يطرب لسماعه ان احد العلماء اوصى بكتبه لاحد تلاميذه . وكان يرى أن من مسئوليات العالم ان يفتح مكتبته لطلاب العلم .

(٢) عجائب الاثار حوادث ١٢١٥ هـ ١٨٠٠ م ..

(٣) يروى لنا الجبرتي قصة طريفة وقعت في هذا الخصوص بمجيء باشا متعمق في الفلك . ولولا مناقشة (الشيخ) حسن الجبرتي له وتفوقه عليه لظهر علماء مصر في مستوى ضعيف جدا . (انظر حوادث ١١٦٢ هـ ـ ١٧٤٨ م

الجبرتي وعلماء زمانه

اليها . وانما هو مسئول عن ترجمة هذه النظريات والدراسات الى عمل ميداني يفيد الناس ويرفع من شأنهم ويدفع عنهم شرور الحياة وعذاب الآخرة . ولا يخاف في ذلك لومة لائم، وانما يخاف ربه فقط . واضعا نصب عينيه احقاق الحق وازهاق الباطل .

« فان العلم اذا لم يقترن بالعمل، ويصاحبه الخوف والوجل يجمع بالتقوى ويزين بالعفاف ويحل باتباع الحق والانصاف اوقع صاحبه في الخذلان،وصيره مثلة بين الاقران » (١)

ولهذا كان الجبرتي معجبا بالشيخ الذى يعمل ويتكسب بنفسه . خاصة اذا كان تكسبه عن طريق حرفة ذات صلة بالعلم والدرس . كان يكون متقنا صناعة التجليد أو مشتغلا بتجارة خلال قيامه بواجباته أو زراعته دون ان يرهق الفلاح .

وكان للعالم الذى لا يقع فريسة لاغراء المال والهدايا ، مكانة كبيرة لدى عبد الرحمن الجبرتي . ومع ان مبدأ الاهداء كان مقبولا في ذلك العصر ، والجبرتي كان يرى – وهو محق – ان قبول مثل هذه الهدايا يجب ان يكون في حدود « الحشمة والعفة (٢) » .

لقد ردد أكثر من مرة تقديره للعالم الذى يتجنب موائد الحكام وأموالهم ، ولا يدق أبوابهم ، حيث قال في الشيخ الخالدى الشافعي انه « لا يعاب عليه انه دخل بيتا لامير قط او اكل من طعام احد قط الا بعض اشياخه المتقدمين » (٣) .

لقد كانت كرامة العلماء والمشايخ عند عبد الرحمن الجبرتي مسألة على جانب كبير من الاهمية ، وكان يسجل مواقف العلماء في الدفاع عن كرامتهم مبينا كيف انه بلغ بالعلماء في بعض المواقف انهم هددوا بالرحيل والهجرة عن البلاد اذا لم يستمع الحكام الى نصائحهم ، بل ذهب احد المشايخ وهو الشيخ الصعيدى ان صرخ في وجه احد المماليك الذى عارضه في مسألة دينية قائلا :

« لعنك الله ولعن اليسرجي الذى جاء بك ومن باعك ومن اشتراك ومن جعلك اميرا (٤) » .

ومن حيث الشهامة كان يكبر في العلماء الدفاع عن اصحاب الحاجات والمستضعفين والنساء ، مكسورات الجناح ، خاصة عندما يتعرضن لحكام غلاظ القلوب لا يقيمون لضعفهن وزنا . ولقد كانت للعلماء فعلا مواقف مشرفة في الدفاع عنهن في مختلف العصور والعهود . ويخص بالذكر الشيخ سليمان الفيومي اذ كان صاحب شخصية اجتماعية فذة عرف كيف يصادق الامراء وكبار المسئولين في الحكم حتى وثقوا به ووثقوهم بآل بيوتهم ، فاتصل بحريمهم فكن يغتبطن بدخوله عليهن ويقلن « زارنا الشيخ .. وشاورنا الشيخ .. فأشار علينا بكذا ... »

فلما نزلت الحملة الفرنسية مصر وخرج النساء من بيوتهن وذهبن اليه افواجا حتى امتلأت داره وما حولها

(١) انظر عجائب الآثار حوادث ١٢٠٢ هـ ١٧٨٨ م ..
(٢) عجائب الآثار ، حوادث سنة ١٢٠٢ هـ ١٧٨٧ م ..
(٣) انظر حوادث ١٢٢٤ هـ ١٨٠٩ م ..
(٤) انظر حوادث ١١٩١ هـ ١٧٧٧ م

من الدور بالنساء ، فتصدى لهن .. وتداخل فى الفرنساوية ودافع عنهن واسكن بداره شهورا ، « فلما مات خرجوا بجنازته فى مشهد عظيم جدا مثل مشاهد العلماء الكبار وربما كان جمع النساء خلفه كجمع النساء فى الكثرة » (١)

وكشف لنا الجبرتى عن مبدا هام كان لدى طائفة العلماء والمشايخ حينذاك ، هو مبدأ وراثة الإبن أو الأخ لمكانة العالم ومناصبه ، فاذا حدث ولم يكن من آل بيت العالم المتوفى من درس فى الأزهر او المدارس الإسلامية ، دفع العلماء بواحد من آل بيته الى التعلم والارتفاع الى مستوى العلماء ومن ذلك انه لما توفى الشيخ احمد الجوهرى عرضوا على أخيه عبد الفتاح ان يخلفه ، مع أنه لم يكن مختتيا بالعلم ولم يلبس ، زى الفقهاء ، ويشارك ويضارب ويحاسب ويكاتب ، ولكن كان لا بد له من ان يتصدى للتدريس فى الأزهر حفظا للناموس وبقاء لصورة العلم الموروث . فعمد لذلك تزيا بزى الفقهاء ولبس القفطان والفراجة الواسعة واقبل على مطالعة العلم وخالط اهله وصار يطالع ويذاكر ويقرأ دروس الحديث بالمشهد الحسينى فى رمضان . مع قلة بضاعته من ذلك بمعونة الشيخ مصطفى الفرماوى فكان يطالع الدرس الذى كان يمليه فى الغد ويتلقى عنه مناقشات الطلبة وثبت على ذلك حتى ثبتت المشيخة وتقررت العائلة » (٢) ..

وكان يسوء الجبرتى ان يرى عددا من علماء زمانه قد انحرفوا بفكرهم الدينى عن جادة الوقار. وكان العصر حينذاك مليئا بالتقاليد التى كانت اقرب الى الخرافات والخزعبلات والبلاهات . وخاصة تلك البدع التى استشرت بين بعض رجال الطرق الصوفية والذين كانوا يدعون انهم من أولياء الله الصالحين او الدراويش . فقد رفض انحرافات بعض المتصوفة من حيث اجتماع « الردان » (٣) عليه وغالبهم من ابناء مشايخ البلاد . معتقدا فى

---

(١) انظر ترجمة الجبرتى للشيخ سليمان الفيومى ..
(٢) انظر عجائب الاثار ، حوادث ١٢١٥ هـ ١٨٠٠ م ..
(٣) عجائب الاثار ، حوادث ١٢٢٢ هـ ١٨٠٧ م ..

الأزهر الشريف : خرج الكثير من علماء مصر وشيوخها حملة القرآن والشريعة الإسلامية ...



نفس الوقت استهواء افراد المجتمع التقليد المشين ..

ومع اقتناعه هو بجدوى الذكر، انه من الحفلات الدينية التى تفيد الناس على اعتبار انه ذكر لله ولجميع صفاته وصفات رسوله ، كان شديد الوطأة على الانحرافات التى دخلت حفلات الذكر والموالد . كذلك التى كان يعقدها اتباع بعض الطرق الصوفية الاصل ، بسبب « تحلقهم بالمسجد للحديث والهذيان وكثرة اللغط والحكايات والاضاحيك ورمى قشور اللب والمكسرات والمأكولات فى المسجد .. وطواف الباعة بالمأكولات على الناس وسقاة الماء فيصير المسجد بما اجتمع فيه من هذه القاذورات والعفوش ملتحقا بالاسواق الممتهنة (١) » .

وكان لومه اشد لكبار العلماء والمشايخ بسبب ذهابهم الى الموالد ولعله كان يرى ان بعض العلماء اذا ما ذهب الى المولد ، فانه سيفتح باب التطرف والبدع بين العامة حيث انهم سرعان ما يقلدون العلماء الكبار ولكن دون تعقل وينطمس بينهم « سخاف العقول (٢) » .

ولقد ادرك عبد الرحمن الجبرتى كم كانت هذه الموالد وسيلة خبيثة فى يد الفرنسيين لالهاء أهل البلاد . وكان يرى ان الفرنسيين لم يحرضوا لفتح احد الموالد – المشهورة بالعبث والمجون – الا لما رأوا فيه من الخروج عن الشرائع واجتماع النساء واتباع الشهوات والتلاهى وفعل المحرمات (٣) » ..

تلك كانت بعض الصور العديدة التى رسمها لنا للعلماء والمشايخ وما يحيط بهم فى مجالات العلم والمجتمع. ومهما ظهر فى هذه الصور من شوائب ، فان العلماء كانوا عنده اكرم الناس، ولهذا كان يبدأ بهم عندما يشرع فى الترجمة لمن توفى فى كل عام ، وبعد ان يترجم للعلماء يترجم للامراء ، وكبار التجار وغيرهم من علية القوم .

فمن كان فى نظره العالم الذى يستحق ان يكون من الطبقة الاولى فى زمانه !

لقد قدم لنا العديد من تراجم لطائفة المشايخ والعلماء . ولكن عرضه لتاريخ الشيخ مرتضى الزبيدى يدل على أنه كان فى نظره العالم المثالى فى زمانه ، ولقد كان الرجل فعلا من افذاذ العلماء وصاحب موسوعة خالدة لا تزال مرجعا لنا وهى « تاج العروس » . ولم يكن الزبيدى من مصر ، وانما من اليمن ، جاب البلاد العربية وكتب عن رحلاته وجولاته ، وعلم وافاد فى اكثر من مكان ، وربط بين العديد من علماء البلاد الاسلامية .

حقيقة كان مرتضى الزبيدى على صلات قوية ببيت الجبرتى ولكن مكانة الرجل وشهرته لا تجعل من هذه الصلات سببا فى ان يرفع عبد الرحمن الجبرتى من شأنه على ذلك النحو الذى كان يفعله بالنسبة لابيه الشيخ حسن الجبرتى .

---

(١) عجائب الآثار ، حوادث ٢١٣ هـ ١٧٩٩ م ..

(٢) انظر ترجمة حياة الشيخ الشرقاوى فى تراجم عام ١٢٢٧ هـ ..

(٣) عجائب الآثار ، حوادث ١٢١٣ هـ ١٧٩٩ م ..

الجبرتى وعلماء زمانه

وحيث ان عبد الرحمن الجبرتي كان حريصا على ان يكون الازهر وعلماؤه في أعلى المستويات ومسموعي الكلمة ، فقد قدم تاريخا عن الادوار العديدة التي لعبها العلماء والمشايخ خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ... ومن خلال ما كتبه يمكن أن نحدد تطور زعامة المشايخ على النحو التالي :

١ ـ خلال القرن الثامن عشر كانوا يكتفون بالدفاع عن حقوق الرعية امام المماليك وبالوساطة بين الزعامات المتقاتلة منهم .

٢ ـ في نهاية القرن الثامن عشر وقبيل مجيء الحملة الفرنسية بلغ ظلم المماليك حدا لا يطاق ، فتزعم العلماء والمشايخ « الجمهور » وفرضوا شروطهم سنة ١٧٩٥ ..

٣ ـ بمجيء الحملة الفرنسية واجهوا مسئولية الجهاد في سبيل الله ولتحرير البلاد ومسئولية تمثيل الشعب امام سلطات الاستعمار .

٤ ـ وبعد خروج الحملة الفرنسية وجد العلماء والمشايخ أنهم هم أصحاب الحق فيمن يتولى حكم البلاد فاختاروا محمد علي واليا . وكان ذلك ذروة ما بلغه العلماء من زعامة. ولم يلبث محمد علي ان وجه ضربته القاضية لها .

● بين الحكام والرعية ●

في بلد لم يكن فيه بين الحاكم والمحكوم من يناقش ويحاسب السلطات العليا ويدافع عن وجهات نظر الشعب ، كان العلماء يقومون بدور الوساطة الهادئة ، وكان هذا الدور ملائما كل الملائمة للعلماء في عصر المماليك حتى اواخر القرن التاسع عشر . وكانت اساليب الحكم الاستبدادية التركية ، وصراعات المماليك فيما بينهم ، تنعكس على الشعب على هيئة مطالبات مالية جائرة ، تتعدى ما كان متعارفا عليه من واجبات ضرائبية معقولة على الرعية . وكان الشعب يتحمل إلى حد كبير هذه المظالم ، حتى يجد أصحاب الحرف ان أمورهم صائرة الى التوقف واعمالهم الى البطالة . وكانت القروض الاجبارية التي يفرضها المماليك ـ ولا يردونها ـ تنزل أبلغ الاضرار بالتجار فكانوا يضطرون الى اعلان الاضراب . الا ان تحركهم هذا ما كان ليرغم المماليك عن الرجوع عن غيهم الا اذا تزعم العلماء والمشايخ والمجاورون ومدرسو الازهر الاضراب ، والا اذا أوقف هؤلاء دروسهم واغلقوا أبواب الجامع الازهر ، حيث ان ذلك يعني أن الامور وصلت الى ذروة من التعقيد ترغم الحكام على أن يعيدوا النظر فيما اثار مشاعر الزعماء والجمهور .

وكانت الصورة التي عرضها لنا الجبرتي عن معارضة القرض الاجباري الذي فرضه اسماعيل بك من أدق الصور التي حصلنا عليها عن تطور استجابة الزعامة الازهرية لغضبة الجمهور على تلك المظالم ..

فيقول الجبرتي ان التجار « اغلقوا وكائل البن والغورية ودكاكين الميدان » ولكن لما ارادوا « قفل ابواب الجامع الازهر » ، اعترضهم الشيخ العريشي ـ شيخ الجامع الازهر ـ مفضلا الوساطة الهادئة ، واصطناع الملاينة ، ولكن كان التجار والعامة على غير هذا الرأي ، ولهذا « قاموا في وجهه .. وصاحوا عليه وسبوه وسحبوه بينهم الى رواق الشام » ، حتى انقذه « المجاورون » من بين ايديهم ، ليقوم هو من بعده بالتفاوض مع اسماعيل بك الذي حاول ان يقنع الشيخ العروسي بأن القرض سيرد لمن يسهم فيه متمنا الكلام له . الا ان التجار كانوا قد سئموا هذه الالاعيب .. اذ اقنعتهم السوابق ان المماليك

الجبرتى وعلماء زمانه

لا يسعون فى هذه الاحوال الا الى اعادة فتح الحلات ثم يعمدون الى ان يأخذوا التجار « واحداً بعد واحد »(١) ·· وفعلا كان دور العلماء والمشايخ فى هذه المرحلة على هذا النحو من الملاينة والوساطة ··

● العلماء يفرضون شروطهم ●

واذا كانت جهود العلماء قد توقفت ـ لحين ـ الى هذا الحد ، الا ان استمرار ظلم المماليك والتلاعب بالقول ونكث العهود ، جعل المشايخ والعلماء والشعب يصعدون من مقاومتهم للظلم وجعلهم يتحولون من الوساطة الهادئة الى التحرك الجماهيرى المحدد الاهداف حسب مستوى ذلك العصر· وتجلى ذلك عندما تزعم الشيخ الشرقاوى الجمهور « ضد الضرائب » المستحدثة وشعر المماليك ان هذا الموقف الصلب الذى اتخذه العلماء قد يؤدى الى زيادة اهتزاز حكم المماليك الذى كان يعانى من استشراء الفتن بين جماعاتهم · فبدا المماليك وكأنهم يستجدون التفاهم مع العلماء · فقد وقف بين ايديهم مبعوث الامير الحاكم، محاولا اقناع العلماء بالعدول عن الاضراب الشامل الذى دعوا اليه ·· ولكن تشبث هؤلاء بموقفهم مما اضطر المماليك الى قبول « الحجة » (٢) التى قدمها المشايخ متضمنة الشروط التى يجب ان يحكم المماليك بمقتضاها ·

حقيقة كان هذا نصرا كبيرا احرزه المشايخ لصالح « الجمهور » ولكن الجبرتى ـ الشيخ المؤرخ ـ لم يترك هذه الحادثة تمر دون متابعة نتائجها وما ادت اليه ، فوجد ان المماليك لم يلبثوا ان نكثوا العهد وتجاهلوا « الحجة » وعاد كل شيء الى ما كان عليه من قبل « وزيادة » ١٢٩٥ هـ ١٧٩٥ م ·

● الجهاد ضد الاستعمار ●

وبمجيء الحملة الفرنسية الى مصر ·· وتغلبهم السريع على المماليك ـ الذين كانوا يمثلون قوة الدفاع عن البلاد ـ وجد المشايخ والعلماء انفسهم فجاة مسئولين عن قيادة الشعب فى كفاحه · وهم الذين لم يسبق لهم قط ان حملوا السلاح · ووجدوا كذلك انهم مضطرون الى مداراة السلطة الاستعمارية وسبر غورها حتى تنقشع الغمة بطريقة او باخرى ·

ففى حديثه عن مواقف الشيخ السادات من الفرنسيين قال :

« وبالجملة كان بوجوده وتصوره فى تلك الايام النفع العام ، سد بعقله ثقوبا واسعة وفتوقا ، ولاسيما ايام الهيازع والخصومات والتنازع ، وما يكدر طباع الفرنساوية من مخاوف الرعية تلافاه بمراهم كلماته ويسكن حدتهم بملاطفاته (٣) ·

ومن ثم كان قبول العلماء والمشايخ رئاسة وعضوية (الديوان) الذى انشاه نابليون بونابرت محاولة لعدم ترك الامور كاملة فى يد الفرنسيين بحيث يكون هناك من يدافع عن حقوق الشعب والحفاظ على شعائر الدين

---

(١) عجائب الاثار ، حوادث ١٢٠٣ هـ ١٧٨٧ م ··
(٢) عجائب الاثار ، حوادث ١٢٠٩ هـ ١٧٩٥ م ··
(٣) انظر ترجمة حياته فى وفيات عام ١٢٢٩ هـ /١٨١٢ ـ ١٨١٣ م ·



عبدالله الشرقاوى : لم يقبل أن توضع على كتفه شارة تضيع قدره عند الله

الاسلامى وتطبيق الشرع الشريف الذى هم مسئولون عنه وعن ديمومته ·

والجبرتى حين يتحدث عن تشكيل هذا « الديوان » وقبول المشايخ الالتحاق به كان يعرض الامور دون أى انفعال ودون اتهام لهم بأنهم انهزاميون ، حيث أنه هو نفسه التحق بديوان (مينو) فى وقت متأخر · ولكنه فى نفس الوقت كان حريصا على أن يبرىء ساحة المشايخ فى الديوان من اصدار مراسيم تخدم الفرنسيين ، فعندما صدر منشور من الديوان قال انهم – أى الفرنسيين – كتبوا عدة أوراق على لسان المشايخ (١) بينما حيدر الشهابى فى كتابه الغرر الحسان يقول : « ان هذه المنشورات صدرت عن الديوان وكان مشايخ مصر وعلماؤها أصبحوا أداة من أدوات الاستعمار ، ونظرا لقيمة ومكانة الجامع الازهر ، عرض الجبرتى باسهاب ما فعله به الفرنسيون فى أعقاب ثورة القاهرة الاولى ، وبشكل يثير العاطفة والمشاعر الدينية دون أن يستخدم عبارات السب التى كانت شائعة على لسان العلماء والعامة عند وصف الفرنجة فيقول :

« وتعدوا بالخصوص الجامع الازهر وحرروا عليه المدافع والقنبر ·· ثم دخلوا الجامع الازهر وهم راكبون الخيل وبينهم المشاة كالوعول وتفرقوا بصحنه ومقصورته وربطوا خيولهم بقبلته ، وعاثوا بالاروقة والحارات ، وكسروا القناديل والسهارات ، وهشموا خزائن الطلبة والمجاورين والكتبة ، ونهبوا ما وجدوه من المتاع والاوانى والقصاع والودائع والمخبآت بالدواليب ، وبشتوا الكتب والمصاحف ، وعلى الارض طرحوها وبأرجلهم ونعالهم داسوها ، واحدثوا فيها وتمخطوا وشربوا الشراب وكسروا أوانيه والقوها بصحنه ونواحيه وكلما صادفوه به عروه ومن ثيابه اخرجوه (٢) » ··

كما سجل لنا الجبرتى غضبة الشيخ عبد الله الشرقاوى على « الطيلسان » الذى حاول نابليون بونابرت تقليده اياه بوضعه على كتفه تكريما له على تلك النمط المعتاد فى فرنسا · ولكن الشيخ الشرقاوى الذى كان رئيس الديوان رمى به الى الارض واستعفى ، وتغير مزاجه وامتقع لونه واحتد طبعه « فان الشرقاوى » · وقد ارغمته الظروف على أن يترأس ديوانا فى مصر الواقعة تحت الاحتلال الفرنسى · لا يقبل أن يضع على كتفه شارة تضيع قدره عند الله والرعية (٣) ··

ويلاحظ ان الجبرتى حين يسجل احداث ثورة القاهرة الاولى ومشاركة وزعامة المشايخ والعلماء لها ، كان يوجه كلماته اللاذعة الى بعضهم · فهل كان ذلك من قبيل تثبيط الهمم ؟ وفى اعتقادنا أن عبد الرحمن الجبرتى كان أكثر ادراكا من غيره للقوة الضاربة

---

(١) عجائب الآثار ، حوادث ١٢١٣ – ١٧٩٨ م ··
(٢) المصدر نفسه ، حوادث ١٢١٣ هـ – ١٧٩٨ م
(٣) عجائب الآثار ، حوادث ١٢١٣ هـ

الفرنسية لا من حيث امكانياتها العسكرية فقط ، بل كذلك من حيث قدراتها الحضارية . وكان الاتجاه العام لدى العديد من المسئولين عن أمور مصر هو انتظار جيش السلطان خليفة المسلمين لانقاذ مصر من اعداء الدين والله . وكان الجبرتى على عكس ذلك . اذ كان يرى أنهم لو انتظروا مجيء القوات العثمانية ، فانها لن تصل الا بعد فوات الاوان وبعد أن يستتب الامر للفرنسيين فى مصر . وكان كذلك يدرك ان التفوق على الفرنسيين ذوى السلاح والاستراتيجية الحديثة لا يمكن ان يتحقق « بالنبابيت » والدعاء وبالحملات الارتجالية . وكان يدرك كذلك ان قطاعات مهمة من القاهرة مثل مصر العتيقة لم تشترك فى ثورة القاهرة الاولى ، كل هذا جعله يلوم المشايخ والعلماء على تزعمهم هذه الثورة التى كانت نتيجتها متوقعة لدى الجبرتى من حيث قدرة الشعب على الاستمرار فيها لمدة طويلة .

« ولم ينظروا فى عواقب الامور وانهم فى القبضة كالاسرى » .

فبعد العمليات الاولى الناجحة من الثورة ، أعاد الفرنسيون تنظيم أنفسهم ، واخذوا يضربون بانتظام أحياء القاهرة ومعاقل الثوار ، فى مواجهة مقاومة غير منظمة . حتى انكسرت حدتها واضطر مشايخ الشعب وعلماؤه الى ان يركبوا « الى كبير الفرنسيين ليرفع عنهم هذا النازل ويمنع من الرمى المتراسل ، ويكفهم ، كما انكف المسلمون عن القتال ، والحرب خدعة وسجال » .

ولا شك أن الجبرتى لم يضف الحكمة الاخيرة اعتباطا . فمن وجهة نظره أن التفوق العسكرى لا يحقق كل الاهداف ولا يخضع الناس والرقاب ، وانما يمكن أن ينحنى الشعب للعاصفة ، ويواجه بشجاعة هزيمته العسكرية ، ويحاول أن يصل الى اتفاق مع خصمه تمهيدا لاعادة توحيد الصفوف وسد الثغرات ومعرفة الاخطاء لمعاودة الكرة ضد أعداء الدين والملة .

● العلماء أصحاب الحق ●

ويكشف لنا الجبرتى عن الذروة التى وصلتها قوة العلماء فى مجال الزعامة الشعبية .

فعندما استشرت الفوضى بسبب تصارع العثمانيين والمماليك على الانفراد بالحكم متجاهلين وجهة نظر الشعب فيهم ومتغاضين عن ضياع أرزاق الناس بين عسكر نهابين وحكام غدارين . فالشعب كان فى نظر الوالى العثمانى مجرد فلاحين يجب عليهم أن يمتثلوا لاوامر السلطان ونائبه فى مصر ، حتى رغم ما كان ينزل بالشعب من ضروب العسف والارهاق الزائد عن الحد ، وحتى اذا طرد العسكر الاهالى من بيوتهم واستولوا عليها عنوة وعدوانا ، فقرر علماء ومشايخ مصر بعد تردد ، أن يقوموا بالدور القيادى المسئولين عنه . واعلنوا أن :

« شرع الله بيننا وبين هذا الباشا الظالم ... » وركب الجميع وذهبوا الى محمد على وقالوا له انا لا نريد هذا الباشا حاكما علينا ولا بد من عزله من الولاية ، وقالوا له « نرضى بك وتكون واليا علينا لما نتوسمه من العدالة والخير » (٢) ..

---

(١) حوادث ١٢١٣/١٧٩٨ م

(٢) عجائب الاثار ، حوادث ١٢٢ هـ ١٨٠٥ م ..

وقاموا قومة رجل واحد ، وتصلحوا وأرغموا هذا الوالي العثماني على الرضوخ لهم وفرضوا رأيهم على السلطان العثماني على اعتبار انهم هم اصحاب الحق الاول في ان يعزلوا من يستحق العزل وأن يرفعوا من الولاية من يرون انه احق بها من غيره بل ذهبوا في ذلك الى انهم هم « أولو الامر ... وحملة الشريعة .. قبل السلطان العادل » (١) ·

هذا العمل الكبير الذى قام به العلماء والمشايخ في عزل والى مصر العثماني سنة ١٨٠٥ وتولية محمد على ، كان في نظر عبد الرحمن الجبرتي عملا يتسم بقصر النظر وعدم التبصر · وكان هذا يرجع الى ما كانت عليه نظرة الجبرتي الى شخصية (محمد علي) على اعتبار انه لا يختلف عن غيره من الطامعين فيحكم مصر · ولا شك ان محمد علي كان ذكيا عندما تولى الحكم من يد زعماء الشعب الحقيقيين حينذاك ، واستطاع هؤلاء ان يقدموا له خدمات كبيرة من بعد ، كان اروعها ذلك الجهاد الكبير الذى قاموا به ضد الحملة الانجليزية على مصر بقيادة الجنرال فريزر ·

ولكن، هل كان هذا يقنع محمد على بأنه من الاجدى أن يكون الحكم مشاركة بينه وبين العلماء ، ويرتفع مستوى الحكم والادارة بشكل طبيعى يشارك فيه الشعب برجاله ، وتتطور مصر زعامة وشعبا وحضارة فى هيئة متكاملة ؟

لقد كان محمد على باشا حاكما من الطراز التركى الذى يركز السلطات فى يده ولا يرى قيمة حقيقية لرفع الشعب الى مستويات الحكم ، وساعده فى ذلك وجهات نظر العلماء فى الشعب المصرى نفسه حيث كانوا يعتقدون انه لا يحكمه حكما قويا الا التركى ، وانه شعب ضعيف لا يقوى على التصدى للحاكم المستبد · هذا الخطأ الكبير الذى وقع فيه العلماء أدى الى أن يتجنبوا المشاركة فى الحكم ، وكانت فى متناول يدهم ، ووضعوا كافة الامور فى يد محمد على ، وكان فى ضميره أن يستبعدهم · وكان كل هذا مما جعل عبد الرحمن الجبرتي يحمل عليهم بشدة مبينا تخليهم من وقت لآخر عن وقار العالم وقدسيته ·

وكانت مكانة العلماء والمشايخ ـ رغم تلك الذروة التى بلغوها بعزل الوالى التركى وتولية محمد على ـ قد اصابها الكثير من التفكك والتباغض، والتكالب على المناصب والارزاق وعرف محمد على ذلك فيهم فوضع خطته للانفراد بالسلطة على الأسس التى كشفها لنا الجبرتي فى كتابه

تلك صور شتى رسمها لنا الشيخ عبد الرحمن الجبرتي لعلماء زمانه· ويجدر بنا أن نعقل شيئا من هذه الصورة بأن نضع فى اعتبارنا ما يلي:

١ ـ ان طائفة المشايخ والعلماء ما هى الا جزء من المجتمع بخيره وشره وان المؤرخ حين يكتب عن طائفة او تاريخ تستهويه الاحداث خاصة تلك التى لا تجرى مع القواعد المتعارف عليها او الصورة المثالية التى كانت لدى المؤرخ نفسه ·

٢ ـ ان عبد الرحمن الجبرتي كان يكتب تاريخه منفعلا باتجاهات معينة جعلته شديد الوطأة على بنى طائفته

٣ ـ ان الظروف والتطورات كانت اكثر تعقيدا واسرع تغييرا من قدرات المشايخ انفسهم ·

وبصفة عامة يعتبر كتاب (عجائب الآثار) المرجع الرئيسى الذى يضع امامنا هذه الصور الشتى لعلماء زمانه سواء اكانت مشرقة فى جوانبها أم مظلمة فى بعض هذه الجوانب ·

---

(١) المصدر نفسه ·

أحمد
أبوكف

● بقعة ضوء في ليل كثيف حالك السواد .. هذا هو عبد الرحمن الجبرتى ، الذى القت به الاقدار فى مصر ليسجل تقهقر حقبة من التاريخ ، هى مصر العصور الوسطى .. وليكتب السطور الاولى عن فجر مصر الحديثة بداية بالحملة الفرنسية ... ثم محمد على

وقيمة هذا المؤرخ المصرى الكبير ـ مهما تناثرت حوله الآراء التى اصطرعت بين مؤرخى العالم من خلال ندوته التى استمرت أسبوعا فى القاهرة ـ انه بكتابيه « مظهر التقديس بزوال دولة الفرنسيس » و « عجائب الآثار فى التراجم والاخبار » .. (٤ اجزاء) ثم نهجه فيهما الذى يتحرى الدقة والصدق يعتبر طفرة فى عصره ... ومن هنا كانت تلك العبارة التى أكد عليها فى مفتتح تاريخه « ... ولم اخترع شيئا من تلقاء نفسى والله مطلع على أمرى » .

الجبرتى ـ فى الواقع ـ صادق مع نفسه . ومع التاريخ أيضا .. ومن هنا تأتى أعماله منهجا فريدا فى العصر الذى عاش فيه وسجله . انه ـ كما قال واحد من كبار مؤرخينا « ظاهرة » كأنها خرجت من لا شىء ولا ترجع الى شىء . هو ظاهرة من الظواهر المعزولة عن عصرها ، لأنه سبق عصره . عبقرية منفردة ـ لانه قدم لنا صورة للمجتمع المصرى ، نابضة بالحياة .. تناول الاحداث بمنطق المؤرخ النزيه

.. أعطى لكل ذى حق حقه ، حتى ولو كان غازيا ، أو ليس من ملته ونحلته .

ان « الجبرتى » حين نقول انه كان نزيها ، فانه أيضا ، وكما قال يوسف السباعى وزير الثقافة لدى افتتاحه الندوة ، كان مؤرخا عظيما ، فاض قلبه بحب مصر . وظهر فى فترة من اهم الفترات التاريخية . وكانت شجاعته الادبية اعظم ما قدمه لنا . فهو لم ينافق ، صادق .. وان ما كتبه عن المجتمع المصرى يعتبر اجود ما كتب على الاطلاق ..

ومن أجل ذلك كانت « ندوة الجبرتى » الموسعة ، التى رعاها المجلس الاعلى للفنون والاداب والعلوم الاجتماعية ، بالاشتراك مع الجمعية المصرية للدراسات التاريخية فى مناسبة هامة هى الندوة التى تحولت الى شبه مؤتمر دولى حضره ممثلو الجامعات ومراكز البحوث العربية والوثائق ، كما حضره مندوبون من جامعات العالم من المهتمين بتاريخ مصر العثمانية ، ٦٥ عالما عربيا وأجنبيا جاءوا ليلقوا الضوء على هذه الظاهرة فى بحوثهم ومناقشاتهم .. بالاضافة الى جهات أخرى اشتركت فى الندوة .. مثل الصحافة .. التى طالما استعانت بنصوص من الجبرتى لتسجيل ثورات الشعب المصرى ضد



فى قاعة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية اتصلت المناقشات فى ندوة الجبرتى على مدى اسبوع كامل

الاستعمار .. فى الفترة التى كتب فيها . لانه أصدق من صورها ...

قال لى د . أحمد عزت عبد الكريم رئيس الجمعية المصرية للدراسات التاريخية . والمسئول الاول عن الندوة « لقد بلغ عدد البحوث التى قدمت للندوة وتم طبعها ٣٥ بحثا حول الجبرتى .. فضلا عن خمسة بحوث أخرى وعد أصحابها بتقديمها بعد الندوة لتنشر فى مجلد . واختير من هذه البحوث ١٨ بحثا تناقش على مدى ست « جلسات عمل » . وهذه

الجبرتي

بالطبع ظاهرة صحية لمؤلفات هذا المؤرخ الكبير التى لم تنشر نشرا علميا حتى الآن .

***

التقى بمجموعة من المؤرخين الذين جاءوا الندوة وشاركوا فى بحوثها ومناقشاتها ..

● **ولقائى الاول مع د . ميكى وانزو ، استاذ تاريخ العرب المساعد بجامعة طوكيو للدراسات الاجنبية . وبحثه بعنوان « الجبرتى مفكرا ، دراسة مقارنة فى منهج البحث وفلسفة التاريخ » . اعرف منه انه مهتم بعصر محمد على فى مصر منذ ١٥ عاما ، وانه قرا نسخة من الجبرتى ، وكتب بعض البحوث عنه . كما قام بعمل بحث عن مدينة « دمياط » والان هو بصدد البدء فى بحث عن « العلماء فى مصر فى القرنين ١٨ و ١٩ الميلاديين » .**

وبحث د. ميكى وانزو - كما يقول - حول فكرة التاريخ عند الجبرتى ، او تصوره له . وهو يقارن بين الجبرتى ومعاصريه فى العالم . قارن بين مفهوم العقل عند روسو ، ومفهوم العقل كمحرك للاحداث عند الجبرتى . كما عقد مقارنة بين الجبرتى وابن خلدون ، ونظرية القيمة عندهما ، وبين نظرية القيمة عند ماركس ، وايضا اجرى د. ميكى مقارنة بين مؤرخين صينيين ، كتاب حوليات - خاصة المؤرخ « سوماتش » - وبين الجبرتى فى منهج كتابة التاريخ .

ولكن لماذا الاهتمام بالجبرتى وعصره !!

يقول لى : انه يعود الى تطور اليابان بعد الحرب العالمية الثانية .. واليابان تعتمد على ٩٠٪ من بترولها الذى ياتى من الارض العربية . ثم ان حركة الوطن العربى ضد الامبريالية شدت اهتمام اليابانى ، خاصة منذ تأميم القناة . فجعلته يهتم بالتاريخ العربى بعامة والمصرى بخاصة .

● **د . اوين روجر ، استاذ فى كلية سانت انطونى بجامعة اكسفورد جاء ممثلا لجامعة اكسفورد ليشارك فى « ندوة الجبرتى » ببحث عنوانه « الجبرتى كمصدر للحياة الاقتصادية فى مصر » .**

اعرف منه ان له اهتمامات بالشرق الاوسط ، له كتاب عن «القطن المصرى» يعتبر من احسن الكتب التي الفت فى هذا المجال . وله كتاب آخر بعنوان « التطور الاقتصادى فى الشرق » .. وقد ركز فيه الحديث على مصر ... بصفحات طويلة ..



يوسف السباعي وزير الثقافة يلقي كلمة الافتتاح في الجمعية الجغرافية



د . احمد عزت عبد الكريم



د . اوين روجر : « اكسفورد »



د . حسين امين .. « العراق »



محمد عبد الله عنان ساهم في المناقشات

ويقول د . أوين روجر :

ـ انني من خلال الجبرتي استطيع أن أعرف كيف عاش الناس في هذه الفترة .. القرن الثامن عشر ، حيث كان الاقتصاد متدهورا .. كانت أسوأ فترة ركود في التاريخ المصري . ثم ان الجبرتي نفسه من أسباب سخطه على هذا العصر .. انه أضير في هذه الفترة اقتصاديا ... وكان ذا ثراء واملاك بل كان ملتزما من الملتزمين . وربما هذا هو سبب السخط على عصر محمد على .. الذي استطاع ان ينال من الطبقة التي ينتمي اليها ، وهي طبقة العلماء .

● المؤرخ البريطاني الكبير ارنولد توينبي .. الذي كان أول من اكتشف في الجبرتي نظريته .. لم يتمكن من الحضور ، وارسل كلمة بعنوان « عبد الرحمن الجبرتي وعصره » .. قال فيها : « ان التجربة التي خاضها الجبرتي في جيله بمصر تشابه الى حد كبير ـ تجربة اوربي مثلي كان في عام ١٩١٤ في مستهل شبابه .. كان الجبرتي يملك موهبة سيكولوجية بعيدة الشفافية مكنته من استيعاب حقيقة الدخلاء .. المماليك ، الفرنسيين ، محمد على . بل هو كان مثل اليوناني الغابر « ثوكيديدس » مؤرخا وقع عليه عبء كتابة تاريخ حقيقة شاذة في حياة الحضارة التي ترعرع وعاش في ربوعها » ..

ومما يذكر، ان توينبي يدين للجبرتي بانه التقى معه في نظرية « التحدى والاستجابة » ، والقصد بالتحدي تحدى القوى الدخيلة ..

● د . حسن احمد ابراهيم محاضر في كلية الاداب شعبة التاريخ بجامعة الخرطوم .. جاء ممثلا لها . يقول لي :

- لاول مرة هذا العام يقرر على السنة الثانية مقرر خاص بتاريخ مصر الحديث في الجامعة ، وهو يبدأ بمقدمة عن مصر قبل الحملة الفرنسية .. ثم يتابع بعد ذلك تطور تاريخ مصر الحديث حتى نهاية الحرب الثانية .. ومؤلفات الجبرتي تعتبر مصدرا هاما لتاريخ مصر الحديث .. وانا اقوم بتدريس هذه الحقبة في الجامعة ..

ويضيف د . حسن احمد ابراهيم قائلا :

- ان تاريخ مصر كان يدرس في جامعة الخرطوم كجزء من تاريخ الشرق الاوسط . وهذا العام ندرس تاريخ مصر كجزء منفصل او وحدة قائمة بذاتها ..

واساله : هل الاحداث التي ذكرها الجبرتي عن السودان هامة ؟ !

يقول :

- الجبرتي كان يكتب عن السودان كجزء من مصر .. فمثلا ذكر مرة انه خلال الفترة العثمانية في مصر تدهورت العلوم، ومن أسباب تدهورها أن بعض الكتب اخذت من مصر الى السودان والمغرب ..

● الاستاذ محمد الدروبي ، رئيس الجمعية التاريخية السورية في حمص .. دعي للندوة كعضو مستمع ..

قال لي :

- ان اهمية الجبرتي في الواقع تاتي من انه هو المؤرخ الوحيد العربي لفترة الحملة الفرنسية على مصر ، وبداية عصر محمد علي . وهو - اي الجبرتي - بالنسبة لنا في سورية يعتبر مصدرا اساسيا من مصادر تاريخنا في القرن ١٨ ، واوائل القرن التاسع عشر ..

واحياء ذكرى الجبرتي في الواقع هي احياء لذكرى تاريخنا العربي . ونرجو ان تتبع عواصم عربية اخرى احياء ذكرى مؤرخيها العظام ، كما فعلت مصر ، منارة العلم والعرفان

● من العراق يأتي د . حسين أمين الاستاذ بجامعة بغداد ، ورئيس جمعية التاريخ والاثار العراقية . ود . عماد الأعظمي من جامعة بغداد .. ود . مصطفى رمضان من جامعة البصرة ..

د . عماد يقدم بحثا عن « الجبرتي

فى نظر التاريخ » ..

وأتابل د . حسين أمين يقول لى :

- ان الجبرتى كمؤرخ ، كتب تاريخه عن مشاهدة ، وهذا يجعل كتاباته لها اهمية كبيرة .. فى وقت كان التاريخ يفتقد مؤرخا مثله . والفترة التى تناولها الجبرتى فى حد ذاتها كانت مهمة ، ومفتاحا لاحداث كثيرة سبقتها او جاءت بعدها .

ود. حسين أمين شارك فى الندوة « مقررا » فى يومها الثالث ، وقد طرح فكرة « اتحاد المؤرخين العرب » .. والتى كانت ضمن توصيات مؤتمر التاريخ فى بغداد فى العام الماضى وذلك من أجل مؤرخ عربى ، يستطيع ان يزيح النقاب عن الحضارة العربية .. ومن هنا جاء الى مصر مرورا بكل الدول العربية ، ثم ذهابا الى روما ليعرض على البابا وثائق هامة تثبت الحقوق التاريخية للعرب فى فلسطين .

● الجغرافى الوحيد الذى يشارك ببحث فى « ندوة الجبرتى » هو د . محمد محمود الصياد .. وبحثه الجديد بعنوان « جبرة والجبرتية » . قال لى :

- الناس يسمون مؤرخنا «الجبرتى» وهذا خطأ . فأجداد الجبرتى من بلدة اسمها « جبرة » فى شرق الحبشة . ولذلك فان النسبة الصحيحة الى « جبرة » .. هى « جبرى » . كما تقول شجرة . وشجرى ..

على ان « الجبرتى » لا تعنى نسبة الى بلد . وانما هى لفظ فى اللغة الامهرية يعنى « عبيد الله » أو خدام الله » . ويطلق الاحباش على المسلمين فى الحبشة « الجبرت » . ويقصدون بهم العناصر الاسلامية المتفرقة فى مناطق اليوبيا .

ويضيف د . الصياد :

- جبرة منطقة من ارض الزيلع التى كانت تابعة لمصر حتى اواخر القرن الماضى على الجانب الافريقى من خليج عدن . ولعل المصريين يذكرون ان الحزب الوطنى كان يطالب بزيلع و « هرر » لانهما كانتا من الاملاك المصرية التى اغتصبها الانجليز فى القرن ١٩ ...

ثم يقول :

- الجبرتى احسن مصدر - فى القرن ١٨ واوائل ١٩ - يفيد الجغرافى .. خاصة الذى يهتم بالجغرافيا الاقتصادية والاجتماعية . يستطيع الجغرافى بالاعتماد على الجبرتى ان يخرج بمعلومات طيبة .. كما انه يفيد فى دراسة السكان ..

واسأل د. الصياد :

- هل تناول هذا البحث احد من قبل ؟

فيقول :

- هذا بحث جديد ، الاول من نوعه ..

● بحثان جديدان ايضا لاول مرة

الجبرتى



د . ميكى واتزو «اليابان»



محمد الدروبى : «سوريا»

هما بحث د . عبد الرحمن زكى بعنوان «خطط القاهرة فى ايام الجبرتى» ، وبحث د . سعاد ماهر بعنوان : اهم الاثار فى «عجائب الاثار» ..

يقول لى د . عبد الرحمن زكى :

– ان الجبرتى جاء فى فترة تعتبر مفترقا للطرق بين العصور الوسطى .. والعصر الحديث . وهو حين يكتب عن القاهرة ، يكتب عنها كقاهرة عصور وسطى . فخلال الـ ٣٠٠ سنة الاخيرة من تاريخ قاهرة العصور الوسطى – وأيام العثمانيين – دمرت المدينة وخربت وأهملت . ويكفى أنها تحولت منذ الفتح العثمانى الى عاصمة ولاية، بعد ان كانت عاصمة امبراطورية

وحين جاء الفرنسيون ، خربوا القاهرة . دمروا أحياء بكاملها نتيجة عوامل منها الحروب الشعبية . وهدموا الكثير فى الخليفة والقلعة والصليبة والازبكية وابن طولون ، ومن هنا تأتى أهمية الجبرتى ، فهو المؤرخ المعاصر الذى نقل لنا صورة القاهرة بآثارها وحواريها وبيوتها ووكالاتها ومساجدها وقصورها نقلا صادقا ... وبرغم أنه لم يكن طبوغرافيا كالمقريزى وليس من ذوى الاخطاط كعلى مبارك .. فمن ثنايا كتاباته نستطيع أن نقف على ما كان يجرى فى القاهرة من عوامل تخريب وانشاء .. وهذا هو موضوع بحثى ..

وتقول الاثرية د . سعاد ماهر :

– ان تاريخ الجبرتى عن حياة مصر وآثارها فى القرن السابع عشر والثامن عشر وشطر من القرن التاسع عشر ، والذى سماه «عجائب الآثار فى التراجم والاخبار» .. يعتبر مرجعا من أهم مراجع تاريخنا الحديث وأكثرها دقة ، وأوسعها شمولا واحاطة .

وبرغم كثرة الاثار التى ذكرها الجبرتى ، والتى تعرض لها فى كثير من الاحيان بالوصف الدقيق والتحليل



د . حسن احمــد ابراهيم : «السـودان»
د . عبد الرحيم عبد الرحمن

المعمارى الذى يدل على دراية لا بأس بها فى علم المعمـــار .. الا ان تلك الاثار لم تكن مقصودة فى حد ذاتها .. بل انها جاءت مكمـلة لتراجم الشخصيات التى عاصرته ، او التى تعرض لها ، او ذكرت موضحــة للاحـداث والقصص والروايات التى ذكرها واطنب فى وصفها .

لقد تحدث الجـبرتى عن التحف المنقـولة . والاثار الثـابتة ، لكن استخلاص الوثائق يحتاج الى مشقة بالغة.وقد استطعت ان الخص ما جاء فى تاريخه من دراسات اثرية تلخيصا امينا . قسمتها موضوعيا لا زمنيا .. تبعا لتتابع الدول والعصور .

● شاب من شباب المؤرخين هـو د . عبد الرحيم عبد الرحمن المدرس بكلية البنات جامعة الازهر . بحثـه ايضا جديد وضع فيه النقط على حروف قضية .. اختلفت فيها وجهات نظـر المؤرخين .

الجبرتى قال فى تاريخه .. انه كان يريد الاستعانة بكتاب معاصره احمد جلبى عبد الغنى : « اوضح الاشارات فيمن تولى مصر القاهرة من الوزارات والباشات » . لكنه ضاع منه « ضاع وزلت به القدم فى يد العدم » .

نسخة احمدجلبى عبد الغنىصورها المؤرخ الشاب وبحثها . واتضح له ان الجبرتى نقل كتاب احمد جلبى عبد الغنى فى الجزء الاول من « عجائب الاثار » حتى باخطائه . ويرى المؤرخ الشاب ان احمد جلبى عبـد الغنى كان دقيقا مثل الجبرتى ..

فى اليوم الخامس للنـدوة كان بحث هذا المؤرخ كالقنبلة التى القيت، لانه جاء فيه بجديد .

واسال هذا الشاب حول جلبى عبد الغنى فيقول :

ـ ان منهجه كان مثل منهج الجبرتى فقد ذكر احداثا ووقائع صحيحة مائة فى المائة . ودليـلى على ذلك اننى حققتها فى وثائق الروزنامة ، والمحكمة الشرعية ، فهو دقيق مثل الجبرتى .

وهل هذا ينال من قيمة الجبرتى؟

ـ بالطبع لا .. بل ان الجبرتى زاد على ذلك بانه حفظ لنا نص جلبى عبد الغنى ، النادر نسخه .

● ... اخيرا قبل نهاية «الندوة» بيوم ، تناولت جلسـة العمل ظروف وفاة الجبرتى .. المناقشات تحتـدم حول بحث احمـد خاكى ، ويؤكد لى الاديب احمد عطية الله ، ان محمد على لم يقتل الجبرتى ، ولم يقتل ولده خليل .. فهل هذا مؤكد وصحيح.. هذا ما سيجيب عنه المؤرخون .. !

عاطف مصطفى

لقاء مع واحد من أحفاد الجبرتي

كرمت مصر مؤرخها الكبير عبد الرحمن الجبرتي من خلال مهرجان شهده خلال الشهر الماضي صفوة من مؤرخي العالم .. وبرغم مرور مائة وخمسين عاما لم تنس مصر ذلك الرجل الذي كتب تاريخ مصر وصور معارك الشعب وكفاحة ضد الغزاة والمعتدين من الفرنسيين ، وسجل العديد من صور الشجاعة والاصرار التي كافح بها شعبنا الظلمة من حكامه الاتراك والمماليك حتى محمد علي

واتوجه الى الصنادقية بالقاهرة حيث ولد عبد الرحمن الجبرتي في عام ١٧٥٤ لالتقي بأحد احفاده الذي يعيش في حي الجمالية ، هذا الحي الذي ولد فيه المؤرخ الكبير ..

يقول فتحي حافظ حفيد الجبرتي : ان تكريم الدولة لجدي الجبرتي هو ارفع وسام يوضع على صدر احفاده جميعا ، وهذا الاهتمام البالغ الذي ابداه المجلس الاعلى لرعاية الفنون والاداب وعلى رأسه وزير الثقافة الاستاذ يوسف السباعي ، متعاونا مع الجمعية المصرية العليا للدراسات التاريخية ، نحو اقامة مهرجان الجبرتي لكفيل بان يثبت ان كل من يعمل من اجل وطنه فلن ينساه الوطن ابدا ..

كتب الكثير عن الجبرتي ، وسجل المؤرخون مظاهر كثيرة لحياته .. ما هي الانطباعات المتوارثة عن الجبرتي ؟

– الجبرتي ظاهرة فريدة في زمانه، يعتبر طفرة في ذلك الوقت الذي وجد فيه ، كان مرآة عصره ، يكتب عن ظروف المجتمع وعن حياته ويسجل التاريخ بلغة ذلك الزمان ، وقد كتب التاريخ دون التزام بقواعد النحو على اعتبار ان التاريخ صفحة نابضة بالحياة للشعب ، وقد تكون سرعة الاحداث وتلاحقها هي التي تسببت في الكثير من الاخطاء النحوية والاملائية والتي لم يجد متسعا من الوقت لتنقيحها وكتابتها من جديد ..



فتحي حافظ احمد ..
حفيـــــــد الجبرتي

لقد عاش الجبرتي من اجـل فكرة يدافع عنهـا ويتحمل في سبيلها كل شيء .. وهذه الفكـرة هي أن يكتب تاريخ مصر ويسجله بامانة وصدق دون ان يجامل احدا ، او يسعى الى رضاء احد ، وقد وفق في تحقيق هذه الفكرة ، فكتب تاريخ مصر في فتـرة من اخطر فترات حيـاتها ، وفي سبيل الصـدق لقي كثيرا من الاذى حتى هربت السعادة من حياته .

وقد توارث عبد الرحمن الجبرتي علم الفلك عن أبيه حسن الجبرتي ، الذي كان أستاذ زمانه في علم الفلك وقد درس الجبرتي هذا العلم لطلابه في الازهر الشريف .

● ما هي الموروثات التي تركهـا الجبرتي ، وهل من الممكن الاستفادة منها في عمـل متحف خاص به ليكون مزارا للمستشرقين ؟

كل ما يخص الجبـــــرتي من المخطوطات اخذه المستشرقون الذين زاروا مصر خلال الســنوات المائة والخمســين الماضية ، وانتقل بذلك الكثير منهـــا الى جامعات اوربا وامريكا والهند والعراق والباقي منها موجود بدار الكتب .

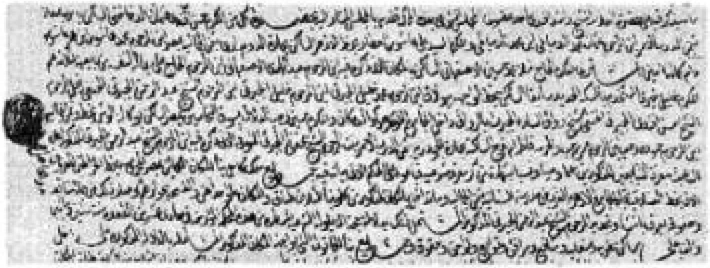
أما الصندوق الـذي كان الجبرتي يضع به كتبه فقد انتقل الينا بالميراث وما زال في حوزتنا وفي حالة جيدة ..

ومن الاثار الهامة للجبرتي منزله بشارع الصنادقية والذى باعه حفيد الجبرتي خليل خيرى في ١٨٨٢/٥/٢٩ ما زال موجـــودا حتى الان الا انه اسيء استعماله نظرا لازدحـام تلك المنطقة .. واتمنى ان يعاد النظر في اسـتغلال هذا المنزل كأثر سياحي تاريخي للجبرتي عالم زمانه ومؤرخ مصر لفترة طويلة ..

ومن المعروف أن الجبرتي كان من الطبقة الموسرة فقـد ترك له والده حسن الجبرتي بعد وفاته ـ وكان من من ثراة الأزهريين ـ ثلاثة مساكن في القاهرة أحـدها في الصـنادقية المتاخمة للازهر والاخـــر في بولاق والثالث في الساحل يطل على شاطيء النيل ، كذلك كانت لحسـن الجبرتي اطيان في ابيار بالقـــرب من كفر الزيات . وقد صـــودرت ممتلكات الجبرتي على يد محمد على واحفاده بعد أن وطد حكمـــه في مصر وأراد ايذاء الجبرتي خاصة بعـد أن وقف الجبرتي ضده .

● قصة مقتل خليل بن الجبرتي وعلاقتها بموت الجبرتي .. ما هي ؟ وهل مات الجبرتي مقتولا ، او حزنا على ابنه خليل ؟ ..

ـ بعد أن هزم الفرنسيون وتركوا مصر أتى محمد على الى الحكم، الى السلطة والاستغلال والانفراد بالحكم وبكل شيء في مصر ، ومنـذ اللحظـات الاولى لحكم محمد على وقف الجبرتي


الحجة التى بموجبها بيع منزل الجبرتى بالصنادقية

ضده وهاجم ظلمه واستبداده . وحاول أصدقاؤه أن يقربوه من الوالي فرفض، وحاولوا أن يمنعوه من الكتابة فقال لهم ما قاله فى مقدمة تاريخه « اننى لم أقصد بجمع التاريخ خدمة ذى جاه كبير ، أو طاعة وزير أو أمير ، ولم أداهن فيه دولة بنفاق أو مدح وذم مخالف للأخلاق ، لميل نفسانى أو لغرض جسمانى » .

وهنا كانت المعركة الحاسمة فى حياة الجبرتى ، فمنع محمد على تداول كتبه ، واستأجر بعض المنافقين من أدعياء العلم لكتابة « تاريخ » آخر يمجد محمد على ويرفع من شأنه

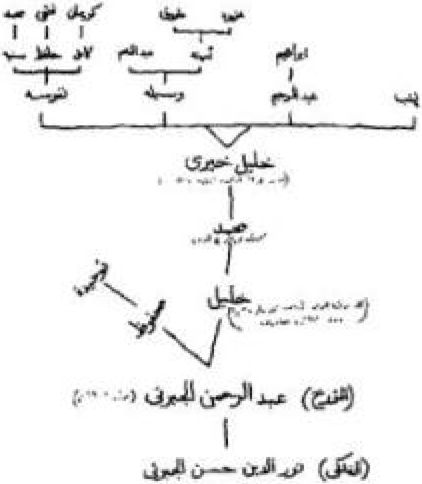
وكانت الكارثة الحقيقية التى دبر لها محمد على ، فقد هاجم بعض الأشقياء ابنه « خليل » وهو عائد الى بيته فى الفجر ، وظلوا يضربونه حتى أوشك على الموت ، ثم ربطوه برجل حماره حتى اذا طلع النهار عرف الناس شخصية « خليل » حيث كانوا يشاهدونه يوميا مارا أمامهم بشارع شبرا الذى كان قد فتح حديثا فحملوه الى بيته ، وما لبث أن فارق الحياة تحت تأثير الجراح الخطيرة التى تركتها فى جسده مؤامرة هؤلاء الأشقياء ..

وثبت لدى بعض المؤرخين أن الذى دبر هذه الحادثة هو محمد على انتقاما من الجبرتى .. وهز الحادث عبد الرحمن الجبرتى هزة عنيفة فظل يقضى الليل والنهار فى بكاء متواصل حتى أصيب بالعمى ، وترك الكتابة والقراءة ، وانهارت صحته يوما بعد يوم حتى مات بعد الحادث بثلاث سنوات كانت كل لحظة فيها ألما مريرا يعصر نفسه ويمزق روحه حزنا على ابنه ولما أصابه من حكام مصر الظالمين ..

● عن مؤلفات الجبرتى وكتبه يقول أحفاده :

ـ نقوم بجمع كل ما يكتب عن جدنا المؤرخ الكبير ، وخاصة مايطبع حديثا من مؤلفاته التى يعاد طبعها بعد تنقيحها ، ومثال ذلك كتابه العظيم « عجائب الآثار فى التراجم والأخبار» وللأسف الشديد تقوم دور النشر فى بيروت بالسطو على كتب الجبرتى وتطبعها دون اذن من أحد ، وتخرج هذه الطبعات مليئة بالأخطاء الكثيرة .

وأما الكتاب الثانى فهو « مظهر التقديس بزوال دولة الفرنسيس »



شجرة العائلة لاسرة الجبرتى

وهـــذان الكتابان همـا اهم مؤلفين للجبرتى ·· والكتاب الذى اشتهر به

الجبرتى هو كتاب « عجائب الاثار فى التراجم والاخبار » ، وقد بداه كما يبدأ المؤرخون بتاريخ مصر منـــذ أقدم العصور فى عملية سريعة حتى يصل متصلا فى العصر العثمـــانى وينتهى عند نهاية مشيخة محمد بك أبو الدهب والجزء الثانى عن مصر فى عهـــد

ابراهيم بك ومراد بك ، والجـــزء الثالث عن الحملة الفرنسية حتى تولية محمد على ، والجزء الرابع عن محمد على حتى سنة ١٨٢١ م ·

وبهذه المناسبة وفى غمرة الاحتفال بالجبرتى نرجو أن تلقى كتب الجبرتى الرعاية وتنشر ، وتباع بأسعار رمزية

فيتعرف شبابنا على هـــذا التراث الفكرى العظيم وأخص بالذكر هنـــا كتاب مظهـــر التقديس بزوال دولة

الفرنسيين ، حيث أن الطبعـــة التى نشرت لم تحقق وبها أخطاء كثيرة ··

● مقبـــرة الجبرتى أثر من الاثار الهامة ··· ماذا يقول عنها احفـــاد الجبرتى ؟

ـ دفن عبد الرحمن الجبرتى فى المقبرة التى دفن فيها أبوه حســـن الجبرتى وهى موجودة ببستان العلماء بالمجاورين ·

وهذه المقبرة من الاثار الهامة التى يجب أعطاؤها المزيد من الاهتمام حيث تهـــدمت واصبحت لا تليق بالمؤرخ الكبير ، وهنـــــاك الكثيرون من

المستشرقين يسألون عن قبره للزيارة، وعلى ســـبيل المثال زار مصر المؤرخ الالمانى كريمر فى ســـنة ١٩٣٠ ونشر بجريدة الاهرام نداء يناشد فيه من يعرف مقبرة الجبرتى أن يدله عليها،

وبادر أحد أحفـــــاد الجبرتى الى ارشاده الى مقبـــرة صغيرة مهملة كتب عليها بضعة أبيات من الشعر ·· وعلى لخطوات من هذه المقبرة المتهدمة يقع قصر كبير تحف به الحدائق الغناء وهى مقبرة الخديو توفيق ، ويقف القبران يمثلان حقيقـــة رئيسية فى تاريخ مصر الحديث فى العلاقة بين الشعب المصرى وأسرة محمد على ·

كما ان اطلاق اسم الجبرتى على شارع صغير بمصر الجديدة بمنشية البكرى لا يتناسب وهذا المؤرخ الجليل الذى أرخ لمصر فى فترة لم ينازعه فيهـــا احد وكانت من اهم الحقب

التاريخية·· ان الجبرتى بحق واحد من واضعى اسس الفكر المصرى الحديث والمهد الحقيقى لانتقال العقل المصرى من ظلام العصور الوسطى الى نور العصر الحديث ولهذا فهو يعد شيخ المؤرخين ···

حسن
فتح الباب

من وحى الكرنك

مهداة إلى صاحب كتاب «شاعر الكرنك»

فى مَدَار الشموس والأقمارِ
وتوالى الجدود والأقدارِ
واختلاف الأيام بالسعدِ حيناً
والمساءاتِ فى دجى ونهارِ
لاحَ كالمعجزات بنيان قومٍ
تطلقت أيمم على الأحجار
طافَ من حوله الزمان مسرعا
خافضَ الهامِ فى ونى وعثار
قاهر هان فى جلاد علاه
فتولى عنه بذيل انكسار
إنه الكرنكُ الذى عنت الدنيا
جميعا لصرحهِ الجبار
والذى أسرت المواكبُ أفوا
جا إليه بذكره السيار
بلْ هو المجمعُ المقدس للكهان
والمالكين والأحرارِ

قرّبوا مجدَهم له وأظلّوا
ساحَه بالقلوبِ والأبصارِ

حاشدين الأحياء طرّا لديْهِ
يفتدون المعبودَ بالأعمارِ

موئِل الفاتحين أربابَ مِصرٍ
ومطاف لفتيةٍ أطهارِ

صان من سطوةِ البلى عزَمات
رفعتْه للمجدِ والإكبارِ

التمـاثيلُ والمعابد والأبهـا
ء حلْم العبّاد والسُّمارِ

والمسلاّت حسبُها من شموق
أنها خلّدت علاً التذكارِ

حينَ قامتْ على الزّمان زمانا
صيغَ من خفْقة القلوب الحرارِ

وصدًى هاتفا على كل أفقٍ
فى جلالِ الدجى ومجدِ النهار

للأناشيدِ فى الحروب ترامَى
بالكماة الأبطال كالاعصارِ

والأغانى يمجّد الشعب فيها
نشوة العائدين بعد انتصارِ

والتراتيل فى المعابد زُلفى
للالهِ العظيم حامى الدّيارِ

كيفَ لا تَغمُر القرابين منه
مذبحا باهرَ السَّنا كالمنار

وهو يُضْفى على الثَّرى كلَّ عامٍ
نفحةً من نَدَاه والإيثار

فترى النَّيل جاريا فى رُباه
كاللجين المُذَابِ أو كالنضار

وبنوه الأعلَوْن فى شاطئيهِ
ينشرون السَّنا بداجى القفار

والنقوش التى زهَتْ لم ينلها
عبثُ الدَّهر أو تَذِرْ دمار

فتبدَّت كأعينٍ حالماتٍ
أيقظت جفنها طيوفُ النَّهار

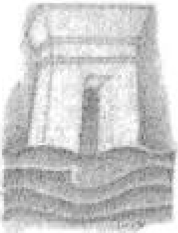
مُشْرِقات علَى الدَّياجير رفَّت
رُوحُ رسَّامها على الأنوار

هاهُنا معْبَدُ الذى صرع الأمْ
لاك رَمسيس ربها المختار

وطريقُ الكباشِ بين يديه
حيرةُ الطَّرف عقلة الأفكار

شادَها للإله آمونَ رمزاً
وسجا تحته قَرين نخَار

انه مجتباه فى الأرض عدلاً
وصلاحاً فى عزَّة واقتدار





وهنا من تحتمس النصر يعلو
معبدا للثناء والاكبار
كيف أرسى عماده حين أمضى
عمره فى عظائم الأسفار
يفتح العالم القديم بعزم
منه ماض كسيفه البتار
ما بلت مثله الحروب كميا
عبقرى الردى رهيب الإسار
غازيا روعت عداه أسود
قاتلوا تحت بنده المغوار
من بنى النيل فردهم يصرع الجمع
برهوب بأسه القهار
صانع المعجزات غرا وضاء
سرمدى الندى منيع الذمار
وترى البهو ماله من نظير
فى علاه المستكبر الجبار
عمد تقهر الجواء سموقا
فى سناه الآصال والأسحار
دونها تقصر الرقاب وتغضي
أعين من جلالة المقدار
حملت كاهل الزمان وليدا
ورعاه منها أشم جدار

قد سمَتْ عن سَواعدالدهر طولا
بالصروح الممرَّداتِ الـكبارِ
بين صفَّين كالفـراعين ترنو
صاعدات الى مَـدارِ الدراري

فهي غابٌ نباتهـا من صخور
صامداتٍ شـواهقِ الأشجارِ
زهرُ اللوتس المقدس تـاجٌ
فوق هام لها عِجـاب المدارِ

شيّدتها الأملاك زلفى لـرب
زانَ هاماتِها بمجـدِ الغـارِ
من كآمون للفراعين قـدما
ناصرا من دَعَوه في الأمصارِ

وجلاء العيون حسنا وسحرا
غرفة مثل مخـدع الأزهـارِ
هي قـربى فـرعونة لالٰه
قد نماها اليه قدس الشعار

بين أبهـاء طيبة زينتهـا
بالحُلَى والرموزِ والاشعـارِ
وترى المعبد العظيمَ لحتشبسو
تَ رهينَ الخفـاءِ والاسرارِ
ما ثنت عزمه الخطوبُ ولـكنْ
حجبته عن طـارق الأنظـارِ

ملكة عزّت الملوكَ جلالا

وتـزيّت بتاجهم والإزارِ

نسجت من شواردِ المجد عقدا

مفردا من كرائم الأحجارِ

أودعته جيدَ الليالى نظيما

فرمته أيدى الدجى بنثارِ

وهنا فى البحيرة الظلُّ ساجٍ

كطيوفِ الغروب فى الأنهارِ

هذه صفحة القدامى تـراءى

فوقَ مرآتها كومض السرارِ

فعبيرُ الأجساد ملءُ رباها

وحفيفُ الارواح كالاطيارِ

كم روّت أنفس الجدودِ وفاضت

فى الحنايا وكم شفت من أوار

وتلاقت على حفافى ثراها

مهجات خفت من الأوزارِ

طهّرتها من القذى نسمات

غاديات على الشذى وسوارى

تلك آيات خالدينَ تعالوا

فى رءوس الآمادِ والأدهارِ

حسبُهم فى العلاء حصنٌ منيعٌ

عبقرىُّ الافاقِ ثبْت القرارِ

إنه الكرنك الذى عنّت

الدنيا جميعا لصرحه الجبارِ

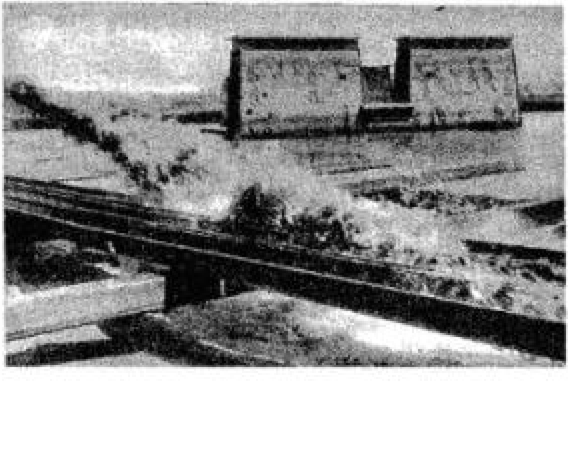
رحلة الشهر

حكاية الحب فى أسوان

وكانت مسيرة الشهر – فى هـــذه المرة – رحلتين من امتع رحلات العصـــر .

كانت الاولى الى مدينة التاريخ ، اسوان الخالدة ، حيث شهدنا حدثا من اعظم احداث التراث الانسانى ، هو الاحتفال بانجـاز المرحلة الاولى من عملية انقـــاذ معبد « فيليه » الذى اصطلح المؤرخون على تسميته « لؤلؤة مصر » . حيث نشات اســطورة

معبد انس الوجود من اجمل واعرق اثار مصر الفرعونية



ايزيس واوزيريس ، واسطورة انس الوجود ، وعشرات ومئات من اجمل أساطير مصر الفرعونية ، على مقربة من البوابة التي ظن الاقدمون انها منبع النيل ·· الذى ينبثق من دموع ايزيس حزنا على حبيبها أوزيريس ·

وكما حدث في معبد رمسيس ، الذى نقل برمته من حضن مياه السد العالى الى مكانه الحالى فوق ربوة عالية من ربا « أبو سمبل » ، سيتم انتزاع معبد فيليه برمته من قاع جزيرته الخفيضة التي يتذبذب حولها الماء فيهدد المعبد بالتصدع والانهيار ، الى جزيرة « ايجيليكيا » المجاورة ، ذات السطح المرتفع الذى لا ترقى اليه المياه ·

وستتوهج لؤلؤة مصر بالاضواء بعد أن تنتقل الى موقعها الجديد ، وستطوف حولها جموع السائحين لتستمتع بقصة « الصوت والضوء » تروى حكاية المعبد الخالد ·· حكاية الحب التى لا تزال تنبض هناك منذ ألوف السنين ·

وحكاية الحب الإلهي

اما الرحلة الثانية ، فكانت أمتع رحلات العمر بلا ضريب ·· كانت الى أشرف بقاع الارض ·· الارض المقدسة ، مشرق النور ومهبط الوحى على الرسول الامين ·

خمسة عشر يوما نسيت فيها الروح حديث الدنيا ، وصفت لعبادة الله وتلاوة كتابه وتحية رسوله عليه الصلاة والسلام ··

وقصة هذه الرحلة عجيب ··

فقد كنت حزمت امرى ـ بعد مغفرة اليوم العاشر من رمضان ـ على ان اقوم بالعمرة ، واؤدى صلاة الشكر لله على ان ازال عنا عار الماضى وسواد نكسته ، وتوج رءوسنا بنصر من عنده ·

وجعلت التحين فسحة من الوقت ، واعد العدة لاكثر من عدد من « الهلال » بحتى اشد رحلى وانا هادىء البال ··

وتخيرت أيام الرحلة ، واذا بدعوة كريمة من وزارة الاعلام السعودية تفاجئنى ، وتتفق مع الايام التى تخيرتها ، فأحسست ان هذه الدعوة جاءت تلبية لساعة الصفاء التى نظمت فيها « الثلاثية المقدسة » ··· وقد تمثلت فيها بيت الله الحرام اذ رأيته بالقلب قبل ان أراه بالعين ، وقلت :

رحاب الهدى يا منار الضياء
رأيتك في ساعة من صفاء
تقول انا البيت ظل الإله
وركن الخليل ابى الانبياء
انا البيت قبلتكم للصلاة

أنا البيت كعبتكم للرجــاء
فضموا الصفوف وولوا الوجوه
الى مشرق النور عند الدعاء
وقوموا الى هدف واحـــد
وسيروا الى دعوة للبقــاء
يزكى بهـــا الله ايمانكم
ويرفع هاماتكم للسـماء

وكأنما كانت هذه الأنشودة التى ترنمت بها سيدة الغناء أم كلثوم ، بشرى بضم الصفوف وارتفاع الهامات فى فجر النصر

مع الشاعر المحروم



الامير عبد الله الفيصل

وقضيت أياما حلوة فى جدة ، فى صحبة جميلة ورفقة ظليلة .. مع الامير الشاعر عبدالله الفيصل ـ الشاعر المحروم ـ وهو فى طليعة شعراء الرقة العاطفية فى هذا العصر .

وكانت لنا مع سموه جلسات يومية ، نستمع فيهاالى حديثه الممتع وشعره المبدع .

وهو حينما يتحدث عن مصر ، وعن أصدقائه فى مصر ، فكأنما يتحدث عن وطنه وعن أخوته فى الوطن .

واجمل نتاجه ـ فى الاونة الاخيرة ـ مجموعة من الاناشيد القومية التى نظمها تحية ليوم العبور ، والمراقة النصر ، والمستقبل العربى المأمول ، وقد حصل صديقنا الاستاذ محمد محمود شعبان « بابا شارو » رئيس هيئة الاذاعة المصرية على بعضها ، ليقدمها من خلال ميكروفون القاهرة .

كما سجلت بعثة التليفزيون المصرى حديثا طويلا مع سموه ، يشمل قصيدتين له من عيون الشعر المعاصر .

ليالى الأدب والشعر

وأتاح لنا الاستاذ خالد أبو الغوث ـ مدير الاذاعة الشقيقة ـ ليلة حالمة فى حديقة مخضلة على طريق مكة المكرمة ، دعانا اليها ـ بابا شارو وأنا ـ لنسعد فيها بلقاء نفر كريم من الاذاعيين السعوديين ، مع باقة حلوة من شعراء جدة . وعلى رأسهم شاعر الشباب حسن عبد الله القرشى ، والشاعر الجهير طاهر زمخشرى ، ونستمع الى نماذج مشرقة من شعرهم .

وفى المدينة المنورة ، كنا كذلك على موعد مع الشعر ، فالامير



محمد محمود شعبان



الشاعر اليمنى احمد الحضرانى

المدينة – الامير عبد المحسن بن عبد العزيز – هو الاخر شاعر موهوب ، من مدرسة ناجى . وقد كان حينما قدمت عليه يقرأ الطبعة الجديدة من ديوان ناجى التى صدرت اخيرا عن « دار العودة » فى بيروت ، واحتوت كل شعره .

ودعانا أمير المدينة الى عشاء عربى ممدود السماط ، وكان هناك الشاعر اليمنى الكبير احمد الحضرانى ، وعمره مائة وأربعون سنة ، ولكنه لا يزال صلب العود ، قوى الذاكرة ، يروى من شعره ومن شعر غيره أكثر من ثلاثين الف بيت !

ويعترف الشاعر الحضرانى بأن سر حيويته، انه تزوج فى رحلة حياته الطويلة حول العالم مائة وخمسين مرة !

وانا لا انصح القراء بهذه النظرية ، ولكنى اورويها والعهدة عليه .

وفى الرياض ، شهدت ليلة ادب عامرة ، فى بيت الشيخ فهد السديرى وكيل وزارة الاعلام ، وندوة زاخرة فى بيت الاستاذ عبد العزيز الرفاعى ، الذى كتب لقراء الهلال منذ حين عن الادب المعاصر فى السعودية ، وقد طرحت على بساط البحث فى الندوتين تساؤلات كثيرة عن دور الادب فى المعركة .

ومن أبرز الانطباعات التى عدت بها من الرياض ، أن الحكومة السعودية قد ارسلت تخطيطا واسع النطاق لبث الدعوة فى الدول الافريقية بأسلوب عملى ، حتى يزداد تعاطفها مع القضايا العربية بعد أن قطعت هذه الدول صلاتها باسرائيل منذ حرب رمضان .

وقد شهدت فى مكتب الشيخ عبدالعزيز ابوبطين رئيس الاشغال العامة مجموعة زاخرة من تصميمات المساجد التى تقوم الحكومة السعودية بانشائها فى العواصم الافريقية ، وكل منها يحتوى – فضلا عن صحن المسجد ومنبره ومحرابه – على فصول للتعليم الدينى ، وقاعة محاضرات للدعاة والمتحدثين ، ومكتبة عامرة بامهات الكتب الروحية والادبية والقومية .

● ردا على رسالة القارىء السعودى « انيس منصور بن عبد العزيز » الذى سأل عن هوية الاديب الراحل على احمد باكثير ، تفضلتم مشكورين بكتابة سطور مختصرة عن حياته وقلتم انه حضرمى النشأة . واضيف هنا بعض السطور عن حياته وادبه . تعميما للفائدة ، ورغبة فى القاء مزيد من الاضواء على شخصيته .

ولد على احمد باكثير فى اندونيسيا عام ١٩١٠ من اسرة عربية، ثم ارسله أبوه الى « حضرموت » ليتلقى اصول الثقافة العربية والاسلامية . وقد اولع بالادب منذ نعومة اظافره ، وقد ظهر اول كتاب له باسم « همام » وهو مسرحية شعرية كتبها فى الحجاز التى مكث فيها عاما واحدا – قبل ان يفد الى مصر طلبا للعلم عام ١٩٣٣ .

تخرج فى كلية الاداب قسم اللغة الانجليزية عام ١٩٣٩ ، كما



علي احمد باكثير

حصل على دبلوم معهد التربية للمعلمين عام ١٩٤٠ · أخرجت له على مسرح دار الاوبرا الملكية مسرحيتى « سر الحاكم بأمر الله » و « مسمار جحا » كما ظهرت له على الشاشة البيضاء قصة « سلامة » بطولة أم كلثوم · تبلغ مؤلفاته حوالى ثلاثين كتابا · أحب مصر واتخذها وطنا له ، وحصل على الجنسية المصرية · وكان رحمه الله شديد الايمان بعروبته وعقيدته الاسلامية · وقد نقم عليه هؤلاء الذين سيطروا على أجهزة النشر ، وأشاعوا الارهاب الفكرى فى غضون الستينات ، وخاصة عندما أخرج مسرحية « حبل الغسيل » ·

هذه المامة سريعة حاولت خلالها التعريف بحياة فقيد الادب « على أحمد باكثير » الذى توفى فى ١١ نوفمبر ١٩٦٩ ··

وهناك قصور فى التعريف بأدب باكثير ، فلم يهتم الباحثون والدارسون بدراسة اثاره الادبية ، ولم يشأ احد تسليط الاضواء على جهاده الادبي ، وصراعه الشريف من اجل الكلمة الادبية النظيفة · وانى لأتمنى ــ واعتقدانها امنية جمهرة المثقفين فى عالمنا العربى ــ ان تخصص «الهلال» الزهراء عددا من اعدادها فى ادب على احمد باكثير ، الذى تنوعت الوانه ، وتعددت اتجاهاته

ويحضرنى فى هذا المقام ..ما قلتموه فى افتتاحية عدد مارس ٧٤ من « الزهور » عن اديبنا وزملائه الذين ماتوا ميتة الشهداء فى عصر من عصور الظلام ، استولت فيه الشهوات على مؤسسات الفكر فى مصر ·

فما أحرى « الهلال » أن تسلط الاضواء على ادب باكثير الذى عانى من الشعوبيين ما جعله يقول عنهم قبل مماته « لقد ذبحونى وانتهيت » · لكن أدبه لم ينته ، انه باق وخالد · وعلينا ــ بل واجبنا ــ ان نزيل أتربة النسيان ، ونجلو معدن هذا الادب ، وأحسب أن الكثرة الكثيرة من المثقفين ــ ناهيك عن عامة الشعب ــ لا تعرف الا النذر اليسير عن هذا الاديب ·

● الجيزة ● ● مهندس حسنى سيد لبيب ●

ــ شكرا للمهندس الاديب على رسالته ، وسيكون أدب باكثير موضعا لكثير من الاهتمام فى مجلس الفنون والاداب ، وفى الهلال ايضــــا ·

الهـــــلال والفـــــن

● لماذا اختفى اهتمام « الهلال » بالناحية الفنية ؟ ولماذا لم تعد المجلة تزور المتاحف ومراسم كبار الفنانين ، وتحدثنا عن سيف وانلى وبيكاسو وغيرهما من رواد الفن ؟

● اليمن الديمقراطية ● ● عبد الله حداد ●

ـ لقد اتفق تفكيرك وتفكيرنا في التوقيت ، وقد بدأنا اعداد سلسلة عن المتاحف المصرية ، وستليها ان شاء الله سلسلة عن المتاحف العالمية ٠

قرأت هذا الشهر

● **البيت الكبير**

مجموعة لامعة من القصص القصيرة للاديب الكبير الاستاذ غالب أبو الفرج ، مدير الصحافة بالمملكة السعودية ، تنساب في اسلوب سلسال ، وتلتقط شخصيات أبطالها من تلك الارض الطيبة، ويخرج منها القارىء بصورة مشرقة عن القصة السعودية المعاصرة ٠

يقول المؤلف وهو يقدم هذه المجموعة في تواضع جميل :

« حاولت فيها أن اظهر لك شيئا مختزنا من عاطفة بنى البشر من ابناء عمومتك الذين يعيشون على هذه الارض ، الارض الطيبة المعطاء ، وهو عمل لا ادعى انه جديد كل الجدة ، وانما كل ما اردت ان اقوله ، قد تعرفه ، وقد لا تعرفه ، وفي كلتا الحالتين فلست الخاسر الوحيد ، لانك اذ تقرأ ما كتبت ، قد تضيف لحصيلة المعرفة معرفة جديدة » ٠

الناشر : مطابع المطوع ـ الدمام

● **رباعيات صبا : نجد**

ديوان من الرباعيات العذبة للشاعر السعودى الكبير طاهر زمخشرى ، يقدم له بهذه الرباعية ، تحية للنصر :

حمدك الله قد بلغنا منانا
وحمدنا على الطريق سرانا
وعلى مبدأ الكرامة سرنا
وبها ثبت الصمود خطانا
قهرنا الصعاب بالصبر والصمت
··· فاغضى الزمان لما رآنا
نتساقى في الهناءة أكوابا
··· ونروى من الوفاء هوانا

الناشر : شركة المدينة ـ جدة

● **ينابيع قلب**

الجزء الاول من عاطفيات شاعرنا الكبير المغفور له عزيز اباظة قدم له صديقه الاثير أنور أحمد ، الذى يقول في مقدمة الديوان :

« عرف الناس عزيز أباظة بانه الشاعر المسرحى الذى حمل لواء المسرحية الشعرية بعد شوقى ، وكتب عشر مسرحيات رائعة، مثلت ست منها ، وطبعت كلها أكثر من مرة ٠ ولكن اين عزيز

اباظة الشاعر الغنائي الذى القي عشرات القصائد فى مهرجانات الشعر فى المشرق والمغرب ، وفى اجتماعات المجمع اللغوى وحفلاته؟
« واين شعره فى وصف ما رآه وانفعل به فى رحلاته الكثيرة التي زار فيها معظم بلاد اوربا ؟
واين شعره العاطفى وقد عاش بقلب اخضر لا يكف عن الخفقان ؟ » .
واذا كان هذا الجزء من ديوان عزيز أباظة قد جاء جوابا عن الشطر الاخير من هذه التساؤلات ، فان صاحب المقدمة يبشرنا بأجزاء تالية ، تستكمل الجواب كله .
الناشر : دار الكتاب اللبنانى – بيروت

● **حديقة الورد**

« وخده الاسيل والغمازة . وفمى عليها كمثل فراشة ، وقد راح يرشف شهدا من كاسها وسلافة .
« دعاه حسنها من الغيب كما تنبأت له العرافة ، فمضى يبحث فى الغيب عنه حتى وجده فاستافه .
« هوى على جبينى كتب ، لم تمح مثله الكتب ، غرد فترة فى حياتي ، ومضى كحديث خرافة » .
بمثل هذه اللغة الجديدة فى النثر الشاعرى ، بدأ صاحب هذا العمل الفنى الجميل ، المستشار حسين عفيف ، حياته الادبية فى اوائل الثلاثينات ، وما زال يبدع فيها حتى تالق القلم فى يديه ، واشرقت كلماته الراقصة فى قلب قرائه .
الناشر : الهيئة العامة للكتاب

● **فى الأدب العربى الحديث**

مجموعة من البحوث والمقالات النقدية الواعية ، التى تتناول ادب المشرق والمغرب ونشأة الشعر الحر ، بقلم كبير أدباء العراق، الدكتور يوسف عز الدين . الناشر : الهيئة العامة للكتاب ...

● **فى الحب والفن والحياة**

مجموعة دراسات فى موضوعات طريفة الالوان ، بقلم الدكتور رشاد رشدى ، رئيس تحرير « الجديد » وعميد المعهد العالى للفنون المسرحية . الناشر : الهيئة العامة للكتاب .

● درجتم على نشر صورة لاحد اعلام الفكر كهدية مع كل عدد . أرجو أن تشمل القائمة صور حافظ ابراهيم واحمد زامى وبيرم التونسى ومحمود سامى البارودى ومعروف الرصافى ونجيب محفوظ .

● عبد الله ناجى الشافعى ●

– نحن مستمرون فى اهداء قرائنا صور اعلام الادب ، وفى قائمتنا جميع هذه الأسماء وغيرها من مختلف فجاج الوطن العربى .

● ص . ج ●

هدية العدد

صورة

محمود تيمور



● ولد محمود تيمور بالقاهرة فى ١٦ يونيو ١٨٩٤ بدرب سعادة بين الموسكى وباب الخلق ومن هذا الحى الشعبى الأصيل الذى يجمع اشتاتا من الطوائف والفئات استمد تيمور مادته القصصية فى كثير من مجموعاته القصصية .

● تعلم محمود فى المدارس المصرية والتحق بعد اتمامه الدراسة الثانوية بمدرسة الزراعة العليا ، وبسبب مرضه الشديد لم يستطع مواصلة دراسته فانقطع للادب .

● كانت دار ابيه فى « درب سعادة » و «عين شمس» منتدى العلماء والادباء ووفود المستشرقين ورواد الفكر فى الاقطار العربية كالشيخ محمد عبده ، ومحمود سامى البارودى والشيخ رشيد رضا وغيرهم . وحضر محمود الكثير من مجالس هؤلاء العلماء والمفكرين فتأثر بهم . علاوة على قراءاته الكثيرة منذ الصغر بمكتبة ابيه واول ما قرأ فيها كتاب الف ليلة وليلة ، فكان له اثر واضح فى اذكاء موهبته فى التأليف القصصى ، كما اعجب بالقصاص الفرنسى موباسان والقصاص الروسى تشيكوف ، وقرأ من أدبهما الكثير .

● اثرى مكتبتنا العربية بما يقرب من ثمانين مؤلفا من اروع المؤلفات ، ما بين مجموعات قصصية ، وروايات ، ومسرحيات وكتب رحلات وصور وخواطر ودراسات لغوية وادبية ترجم الكثير منها الى احدى عشرة لغة منها الاسبانية والصينية والقوقازية والعبرية والمجرية . وصدرت عنه ثمانية كتب نقدية تحليلية لاعماله ودراسات للدكتوراه والماجستير فى الجامعة .

● كان من رأيه ان القصة القصيرة اعسر مطلبا من العمل الروائى او المسرحى ، والمطلوب من القاص اعطاء تأثير قوى وهاج فى حيز دقيق ، اما الروائى او القاص المطول فالرحاب امامه واسع للاطالة فى رسم الشخصيات لا مجرد لمسات تكشف عن الموضوع ، وتعطى الايحاء المنشود .

● كان يرى ان الهدف الاصيل للاديب هو انه يكشف عن الانسان بمعناه الشامل فى خيره وشره ، فى سطوته وضعفه ، الانسان الذى حمل امانة الحياة ليمارس بها ملكاته فى دنياه .

● كرمته الدولة بالعديد من الجوائز ومن هذه الجوائز : جائزة الدولة التقديرية فى الاداب فى سنة ١٩٦٢ ، وسام الاستحقاق من الطبقة الاولى سنة ١٩٦٢ ، كما انعم عليه بوسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى سنة ١٩٦٣

● توفى عن ثمانين عاما امضاها فى صراع مستمر مع المرض ومشكلات الحياة الادبية والفكرية بعد ان حفر اسمه فى لوحة الخلود الادبى فاصبح بحق رائدا لفن الاقصوصة العربية .

الشيطان في الانجيل

الأنبا
غريغوريوس

• الشيطان وطبيعته •

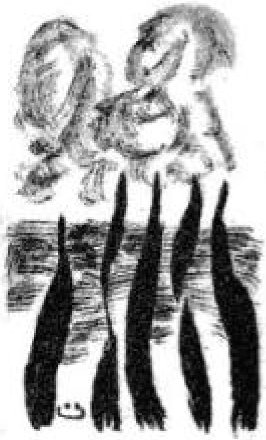
ينتمي الشيطان الى عالم الملائكة · فهو من حيث طبيعته ملاك خلقه الله تعالى كما خلق غيره من الملائكة ، من النور في « اليوم الاول من الخلق » أو الحقبة الاولى من الخليقة ·

ولما كان مخلوقا من النور فهو بطبيعته كائن نوراني ، ومن ثم يمكنه ان « يتزيا بزي ملاك النور(١) » وكما يتوهج بالنور كذلك له خصائص النار وصفاتها في لطافتها وقوة احراقها ·

والشيطان روح · وبهذا ينتمي الى عالم الارواح ، وان كان قادرا على ان يتشكل بشكل جسداني من اشكال الناس والحيوانات · وما دام روحا فهو أذكى من الناس عقلا وفهما ، وأكثر منهم قدرة على المعرفة الاكثر نفاذا ، والاوسع نطاقا ، والاشمل احاطة · كذلك ، وبهذه الصفة ، يتميز بالقوة والقدرة : فقد قتل ملاك واحد مائة وخمسة وثمانين الفا من جند سنحاريب ملك اشور عندما حارب بني اسرائيل (٢) ، وملاك واحد قتل كل بكر في جميع أرض مصر من بكر فرعون الجالس على عرشه الى بكر الاسير الذي في السجن ، وجميع أبكار البهائم (٣) » ··

كما يتميز الشيطان بالسرعة أيضا ففي أقل من لمح البصر يمكنه أن ينتقل من مكان الى آخر بغير عائق · يقول الكتاب المقدس عن الله تعالى « الصانع ملائكته أرواحا ، وخدامه لهيب نار » (٤) · فالشياطين

(١) الرسالة الثانية الى كورنثوس ١١ : ١٤
(٢) سفر الملوك الثاني ١٩ : ٣٥ (٣) سفر الخروج ١٢ : ٢٩
(٤) (العبرانيين ١ : ٧) ، (المزامير ١٠٣ : ٤)



كالملائكة ارواح نارية · ويقول السيد المسيح « انى رأيت الشيطان ساقطا من السماء ، كالبرق » (٥) · وهذا يفسر طبيعة الشياطين انهم من نور ونار ، كما يصف سرعتهم الفائقة فى الحركة ·

والشياطين ملائكة اشرار ، غير ان شرهم لم يخرجهم عن عالم الملائكة · مثلهم فى ذلك مثـــل البشر الاشرار بالنسبة الى غيرهم من البشر الاخيار او الابرار · فالشر صفة اخلاقيـــة وليست وجودية ، لا تحرم الكائن من طبيعته الاصلية ·

والشر فى الشياطين بينة على انهم كالملائكة كائنات حرة مريدة والحرية من خصائص الكائنات العاقلةالناطقة

● للشيطان اسماء ●

وللشيطان اسماء مختلفة ، لكنها جميعا تدل على اوصـــــاف لكائن مشخص ، ذى كيان وجودى حقيقى ، وان كان غير منظـــور للناس ، الا عندما يتمثل امامهم بصورة جسدانية وذلك فى احوال خاصة ·

فكما يسمى « الشيطان » يســمى ايضا « ابليس » ، كما يســمى فى الكتاب المقدس بالاضـافة الى ذلك ، « الحية القديمة » (٧) ، وبالتنين العظيم » (٨) وسماه السيد المسيح « رئيس هذا العالم » (٩) وسمى الشياطين بـ « الارواح النجسة » (١٠) و « الارواح الشريرة » (١١) وسماه القديس بولس بـ «ملاك الشيطان»(١٢) و «اله هذا الدهر» (هذه الدنيا) (١٣) واسم الشيطانمأخوذ من العبرانية Shatan اى « المقاوم » او « الخصم » او « العدو » · ولعله سمىكذلك نظرا لمعاداته لله وللانسان

---

(٥) لوقا ١٠ : ١٨

(٦) متى ٤ : ١ ، ٥ ، ٨ ، ١١) (لوقا ٤ : ٢ ، ٣ ، ٥ ،٦ ، ١٣) (٨ : ١٢) ، (يوحنا ٨ : ٤٤) (اعمال الرسل ١٠ : ٣٨) ، (١٢ : ١٠) ، (افسس ٤ : ٢٧) ، (٦ : ١١)

(٧) ، (٨) سـفر الرؤيا (١٢ : ٩) ، (٢٠ : ٢)

(٩) يوحنا ١٢ : ٣١) ، (١٤ : ٣٠) ، (١٦ : ١١)

(١٠) مرقس ٣ : ١١) ، ٦ : ٧) ، (لوقا ٤ : ٣٦) ، (٦ : ١٨)

(١١) (لوقا ٧ : ٢١) ، (٨-٢) ·

(١٢) الرسالة الثانية الى كورنثوس ١٢ : ٧

(١٣) الرسالة الثانية الى كورنثوس ٤ : ٤

من هو الشيطان

وأما « ابليس » فمشتق من الكلمة اليونانية diabolos بمعنى « واش » ، « مفتر » ، « خائن » ، « غدار » ، « مخادع » . وفي اللغة العربية استعملت الكلمة في صيغة الفعل ، فورد في المعاجم (ابلس : يبلس ، ابلاسا ، فهو مبلس ، وابليس وأبلس من رحمة الله أي يئس .

فابليس هو اليائس والحزين والمنكسر والساكت من الغم أو من اليأس ، والحائر والمتحير ، ومن قل خيره) .

● علاقة الشيطان بالله ●

ولعل اسم الشيطان عنوان على علاقته بالله . فهو المقاوم ، والخصم والعدو لله . وهذا يقودنا الى شرح علاقته بالله تعالى .

والمعروف في الكتاب المقدس ان الشيطان على رأس جماعة عظيمة من الملائكة يعدون بالملايين ، جماعة لا حصر لها تمردت على الله تحت زعامة « لوسيفير » الوارد اسمه في سفر النبي اشعياء، والمترجم «الزهرة بنت الصبح » (١٤) . وهو يدل على مركز الشيطان ومكانته الاولى قبل أن يسقط من درجته بين جند السماء في حضرة رب العرش .

● قصة سقوط الشيطان ●

وقصة تمرد الشيطان قصة اشار اليها الكتاب المقدس تضمينا ، واستطردت فيها كتب آباء الكنيسة . فالكتاب المقدس نسب الى الشيطان شر « الكبرياء » ، وأن « الكبرياء » هي سر سقوط الشيطان وطرده من السماء الى الارض . ولم يهبط الى الارض في غير مقاومة ، وانما حدثت بينه وبين رئيس آخر من رؤساء الملائكة وهو ميخائيل ، حرب في السماء . « ونشبت حرب في السماء فان ميخائيل وملائكته قاتلوا التنين . وكان التنين وملائكته يقاتلونهم . لكنهم عجزوا عنهم ، ولم يوجد لهم موضع بعد في السماء . فطرح التنين العظيم ، الحية القديمة ، ذاك الذي يقال له ابليس والشيطان الذي يضل المسكونة كلها . طرح الى الارض . وطرحت معه ملائكته » (١٥) .

ولم يذكر الكتاب المقدس صراحة السبب المباشرلهذا القتال الذي نشب بين رئيس الملائكة ميخائيل ، وبين الشيطان وملائكته ، غير ان آباء الكنيسة استندوا الى تقليد متواتر مؤداه ان الشيطان رأى مجده وبهاءه فاغتر به . وإذ كشف الله للملائكة تدبيره في خلق الانسان ، كما كشف لهم تدبيره في التجسد الالهي ، لم يرق هذا التدبير لفكر الشيطان ومن فرط عجبه بفكره ظن ذاته أكثر حكمة من الله خالقه . وفي الفكر كان سقوطه اولا ، لانه « ارتأى في نفسه فوق ما ينبغي له » (١٦) أن يرتئيه فيها ، وهذا الارتئاء هو بعينه الكبرياء والصلف الذي تنسبه الكتاب المقدس الى الشيطان ، فيقول في

---

(١٤) سفر اشعياء ١٤ : ١٢

(١٥) سفر الرؤيا ١٢ : ٧ ـ ٩

(١٦) رومية ١٢ : ٣

صدد شروط الاسقف « ينبغى أن لا يكون حديث الايمان لئلا تستولى عليه الكبرياء ، فيسـقط فى عقـوبة ابليس » (١٧) · ويقول أيضـا فى موضع اخر « فان الله لم يشفق على الملائكة الذين خطئوا بل اهبطهم الى اسافل الجحيم ، واسلمهم الى سلاسل الظلمات حيث يحبسـون ليـوم الدين » (١٨) ويقولا كذلك « والملائكة الذين لم يحفظوا رئاستهم بل تركوا منزلتهم ابقاهم الله للقضـاء اليوم العظيم فى قيـود ابـدية تحت الظلمات » (١٩) ·

ومما له دلالة هنا ما عمد اليـه الفنان المسيحى منذ القديم فى تصوير تلك المعركة التى يبرز فيهـا رئيس الملائكة ميخائيل فى زى محارب جبار يطرد بسيفه التنين العظيم الرابض فى فزع مقهورا تحت قدمى الملاك ، بينما يمسك ميخائيل بيده الاخـرى ميزانا شالت احدى كفتيه دلالة على فقدان التوازن عند الشـيطان مما ادى الى طرده من السماء ·

جاء فى سفر النبى اشعياء اشارة الى سقوط الشـيطان بسبب كبريائه وتعاليه : « كيف سقطت من السماء أيتها الزهـرة بنت الصبح · كيف قطعت الى الارض أيها القاهر الامم قد قلت فى قلبـك انى أصعد الى السماء ارفع عرشى فوق كواكب الله ·· اصعد فوق أعالى السحب ، وأكون شـبيها بالعلى ، بل انما تهبط الى الجحيم (١٠) » ··

● علاقة الشيطان بالانسان ●

واذا كان الشـيطان قد طرد من السماء هو وجنوده بسبب الكبرياء ، اذ لم يرق فى عينيه تدبير اللـه ، وبعد أن رأى فى نفسه انه أعظم بهاء وجمالا من سـائر الملائكة ، فانه لم يعتـذر عن خطيئته ولم يتب عنها ، بل قاتل عن نفسه ، ونشبت بينه وبين رئيس الملائكة ميخائيل معركة ، وحمل هو وملائكته على ميخائيل وملائكته ، ولم يقتنع ، بل تمرد وطغى وتجبر ، فانزل الله به عقابا صارما أبديا ، فطرده من السماء فهبط منها كالبرق الى اسافل الجحيم · لكنه قد أجيز له على ما يبدو أن يهبط الى الارض لامتحـان البشر ، فامتد فيها نفوذه حتى صار كما وصفه السيد المسيح « رئيس هذا العالم » (٢١) · كمـا أجيز له أيضا أن يصعد الى الجو ، حتى دعاه القـديس بولس « رئيس سلطان الهواء (٢٢) » ، ويبدو انه قد سمح له فى ظروف خاصة أن يمثـل أمام الله فى السـماء مع الملائكة الاخيار ··

واذ فقد الشيطان مكانته فى السماء وصار سيدا فى الارض ، جعل يعيث

---

(١٧) الرسـالة الاولى الى تيموثيئوس ٣ : ٦
(١٨) رسالة القديس بطرس الثانية ٢ : ٤
(١٩) رسالة يهوذا :٦
(٢٠) سفر أشعياء ١٤ : ١٢ ـ ١٥
(٢١) يوحنا ١٦ : ١١ (٢٢ افسس ٢ : ٢

فيها فسادا ، واخذ يغـسل الناس ويغريهم على مخالفة الله وعـدم الاذعان لطاعته تعـالى ، ويحضهم على الخطيئة والدنس والفساد كمـا يثيرهم على كراهية بعضهم بعضا ، وايغـار صدورهم بالحقد والشحناء والغدر والاضرار بعضهم ببعض .

ويعزى الى الشيطان أنه هو الذى غوى أمنا حواء على الاكل من الشجرة التى نهاها الله وزوجهـا آدم عن الاكل منها ، فأخذت من ثمرها واكلت واعطت زوجها أيضـا معها فأكل .

فاستوجبت هذه المخالفة غضب اللـه عليهما ، فطردهما من الجنة وجعـل الشقاء والعناء من نصيبهما كل ايام حياتهما ، « شـوكا وحسكا تنبت لك الأرض » (٢٤) .

ولما كان الشـيطان عدوا لله ، وصار كما يدل عليه اسمه « المقاوم » و « الغدار » و « المخادع » ، فقـد سلك طريق العناد ، واسـتغل كل طاقاته وامكاناته – وهى عظيمـة جدا – فى خلق اسـباب الشر فى العالم ، وأمسى منقطعا متفرغا لهـذه المهمة ، ونظم عمله، وجعل من اتباعه من الملائكة الذين سـقطوا معه ، مملكة رهيبة منظمة تنظيما دقيقا ، ولها جيش ضخم منظم هم كل جنود الملايين ، ووزع بينهم الاختصـاصات بحسـب درجاتهم وطاقاتهم الهائلة : فمنهم جنود صـغار ، ومنهم قيادات متدرجة فى الامكانات والمسئوليات .

وهم جميعا يعملون تحت قيـادته كرئيس أعلى لمملكة الشياطين ، يأتمرون بأمره ، وينتهون بنهيه ، ويستجيبون لندائه . وللمقصر منهم عقابه ، فاذا فشل احدهم فى اسقاط انسـان فى الشر ، أقاله من عمله ، وعين آخـر بدلا منه يكون اكثر قدرة واوسع حيلة من سابقه . والمقال منهـم لايعطى العمل فى مملكة الشر ، وانما يسند اليه عمل آخر لا يحتاج الى كبيـر جهد او حيلة .. فيقيمه لمحـاربة انسان ضعيف فى ميوله ورغبـاته ، هزيل فى معرفته .

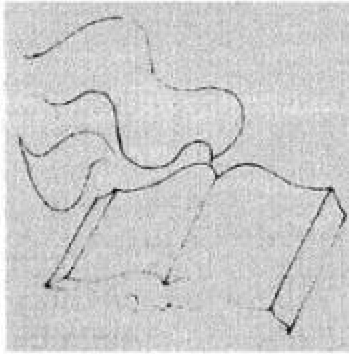
هذا التمايز بين الشياطين فى درجة شرها وايذائها للناس نسـتقيه من الانجيل . فقد قال السـيد المسيح : « ان الروح النجس اذا خـرج من انسان طاف بالقفار يلتمس راحـة فلا يجد . وعندئذ يقول : سوف ارجع الى دارى التى بارحتها . فاذا جاء يجدها خالية مكنوسـة مزينة ، فيذهب ويأخذ معه سبعة ارواح آخرين اكثر منـه شرا . وهناك يدخلون ويقيمون ، فتكون أواخر ذاك الانسان أسوأ من أوائله » (٢٥) ..

وقال السيد المسيح عن جنس من اجناس الشياطين لم يقو تلاميـذه ورسله على طرده من انسان « ان هذا الجنس لا يمكن ان يخـرج الا بالصلاة والصوم » (٢٦)

لذلك كانت الشياطين التى تحارب

---

(٢٤) سـفر التكوين (٣ : ١٦ ، ١٧) ، (٣ : ٢ – ١٩)
(٢٥) متى ١٢ : ٤٣ – ٤٥
(٢٦) (متى ١٧ : ٢١) ، (مرقس ٩ : ٢٩)



القديسين والافاضل أقوى من غيرها وأوسع حيلة وغدرا ، واكثر دراية واقوى مراسا · وكلما تقدم انسان فى مراتب الفضيلة والقداسة صار له شيطان كبير يتناسب مع درجته العالية فى الفضيلة ·

وقد كشف السيد المسيح عن هذه الحقيقة ، مبينا أن الذى كان يحاربه هو رئيس الشياطين بذاته · فالذى جربه فى البرية بعد عماده فى الاردن ، هو ابليس بعينه (٢٧) · والذى جاء اليه عند ساعة موته على الصليب ظنا منه أنه يستطيع أن يقبض على روحه انما هو ابليس نفسه · قال المسيح : « رئيس هذا العالم يأتى ليس له فى شىء » (٢٨) ، أى ليس له يد عليه ولا سلطان ·

وعن مملكة الشيطان ودقة تنظيمها وحسن توزيعها ، والتزام جميع جنودها بالطاعة التامة ، نجد فى الانجيل بينات كثيرة ، وقد قال السيد المسيح « كيف يمكن للشيطان ان يطرد شيطانا · انه اذا انقسمت مملكة على ذاتها لا يمكن ان تظل قائمة · واذا انقسم بيت على ذاته لا يمكن لذلك البيت ان يظل قائما · فاذا قام الشيطان ضد نفسه وانقسم على ذاته لا يمكن ان يبقى وانما يضمحل (٢٩) مثبتا بذلك أن للشيطان مملكة ، وانها منظمة وان ثبات مملكته وقيامها بينة على عدم وجود انقسام فيها ، متخذا من ذلك مثلا لاثارة الانسان على وجوب الاتحاد ونبذ الانقسام بين الصفوف ·

● الشيطان فى حربه مع الانسان ●

ولعل من بين اعمال الشيطان الكثيرة مع الناس السعى لتضليلهم وافساد افكارهم ، واثارة الشكوك فيهم ضد وجود الله وحكمته وعنايته من جهة وضد بعضهم بعضا من جهة اخرى ، وتحريك الرغبات الدنيا فيهم وسائر الشهوات الدنسة ، وخلق أسباب الغضب والشتم والقتل ، والحروب بينهم ، وترغيبهم فى الكذب والنفاق والخداع والتغرير ، وحثهم على التمادى فى الانانية والكراهية والطمع والجشع ·

ولذلك يعد الشيطان هو أصل الشر فى الوجود ·

● الشيطان يغوى على الشر لكنه لا يقهر احدا ●

ومع أن دور الشيطان فى هذا كله

---

(٢٧) (متى ٤ : ١ ، ٣ ، ٨ ، ١١) ، (لوقا ٤ : ٢ ، ٣ ، ٥ ، ٦ ، ١٣)

(٢٨) (يوحنا ١٤ : ٣٠) ، (يوحنا ١٢ : ٣١) ، (١٦ : ١١)

(٢٩) (مرقس ٣ : ٢٤ ـ ٢٦) ، (لوقا ١١ : ١٨) ·

ليس أكثر من دور اثارة وتحريك ، فلا يجبر احدا ولا يقهره على فعل شرير ، الا ان دوره المثير ليس مع ذلك هينا • ومن هنا أمسى الشيطان فى نظر الناس علة ينسبون اليها كل ما يصنعونه من شر • وهذا فى الواقع محاولة من جانب الناس للتنصل من تبعات افعالهم ومسئولياتهم الادبية • ان الشيطان أغرى حـواء لتأكل من الثمرة المحرمة لكنه لم يضع الثمرة فى فمها قهرا بل هى التى مدت يدها الى الشجرة المنهى عنها • واخذت من ثمرها واكلت واعطت زوجها فأكل • ان الانسان كائن حر مريد ، مناط أمره بيده • ولذلك فهو كائن مسئول عن افعاله الادبية من خيـر وشر • وعن افعاله اعد له الله الجزاء الاخروى ، فاذا صنع خيرا كافأه بالنعيم ، واذا صنع شرا عاقبه بالجحيم وبجهنم ••

●اساليب الشيطان فى الغواية●

واذا كان الشيطان يمكن ان يحارب الناس بالتضليل ، فانه يلجـأ الى اساليب الخداع والتمويه ، والى حيل وفخاخ يحيكها فى طـريق الناس • والى امثال هذه الحيل والفخـاخ يشير الكتاب المقدس مرارا ، كـما فى قوله « مؤدبا بالوداعـــة ، المخالفين عسى ان يؤتيهم الله التوبة لمعرفة الحق ، فيفيقوا من فخ ابليس الذى اصطادهم للقضاء مشيئته »(٣٠) وقوله « تسلحوا بسلاح الله الكامل لتستطيعوا مقاومة مكايد ابليس »(٣١)

ومن بين وسائله التزين والتشـكل باشكال الناس والحيوانات ، واحيانا بشكل ملاك من نور • وكثيرا ما كان يدخل فى تماثيل الوثنيين واصنامهم ويحدث منها اصواتا ليوهمهم انهـا آلهة حقيقية تسمع وتتكلم •

ومن بين وسائله ايضا اتخـاذه بعض النـاس من بين الاشرار الذين يشايعونه ويتعاونون معه ، ويسـطاع يتوسط بهم لايذاء آخرين ، ومن بين هـذه الوسائل السحر ، والعـرافة بانواعها ، ومنها : المندل ، ودوران الطاولة ، وتحضير ارواح الموتى الى غيرها من الوسائل وكلها لا تخرج عن كونها وسائل شيطانية لاحداث امور عجيبة تفوق طاقة البشر ، فيذهل الناس لها ويستسلمون لافكار الشـيطان وايحاءاته الضالة والمضلة •

ولعل السحر من اكثر هذه الوسائل اثارة للنـــاس ، ومن اقدرها على الايذاء والاضرار ، يلجأ اليهـــا الاشرار من النـــاس مسـتعينين بالشـياطين لنيل رغباتهم ، وتحقيق

---

(٣٠) الرســالة الثانيــة الى تيموثيئوس ٢ : ٢٥ ، ٢٦ •
(الرسالة الاولى الى تيموثيئوس ٣ : ٦)

(٣١) افسس ٦ : ١١

شـهواتهم ، أو للاضرار بغيرهم من اعدائهم .

والكتاب المقدس يتحدث عن السحر كعمل من اعمال الشيطان ، ولذلك فانه يذكر عن الذين آمنوا بالمسيح انهم عدلوا عن السحر باعتباره رجسا من اعمال الشيطان ، وكثيرون من الذين استعملوا السحر أتوا بكتبهم واحرقوها امام الجميع » (٣٢)

وفى الكتاب المقدس نصوص صريحة تنهى نهيا باتا عن السحر والعرافة واستشارة الموتى .

« لا يوجد فيكم من يجيز ابنه أو ابنته فى النار ، ولا من يتعاطى عرافة ، ولامشعبذ ، ولا متفائل ، ولا ساحر ، ولا من يرقى رقية ، ولا من يسأل جانا أو تابعه ، ولا من يستشير الموتى . لان كل من يصنع ذلك ممقوت من عند الرب .. وأما انت فلم يجز لك الرب الهك مثل ذلك » (٣٣)

● هل يعلم بالغيب المحجب ؟●

وهنا نعرض لسؤال عما اذا كان الشيطان يعلم بالماضى والحاضر والمستقبل وبالغيب المحجب ؟

اما علم الشيطان بالماضى والحاضر والمستقبل فهو لا شك علم محدود

لانه لا يعرف المستقبل البعيد المخبأ فى علم الله . واما الشيطان يمكن ان يعرف ما يعد بالنسبة للانسان فى حكم المستقبل القريب . فمثلا قد يعتزم شخص السفر الى بلد بعيد ، وقد يستغرق السفر أياما ، فاذا نقل الشيطان الى عميل له أو الى وسيط ، أن شخصا اسمه كذا سيأتى بعد يومين أو ثلاثة أيام ثم يتحقق مقاله بالفعل ، فلا يعد هذا العلم عند الشيطان علما بالمستقبل البعيد ، لان الشيطان قد علم باعتزام الشخص على السفر كما يعلم بذلك أهل بيته والمتصلون به عن قرب ، غير أن الشيطان نظرا لسرعته وقدرته على الانتقال فى لمح البصر يمكن ان ينقل النبأ الى الطرف الاخر ، فيظن الناس ان هذا الوسيط الشيطانى له علم بالمستقبل ، مع انه فى الواقع علم بالحاضر على نوع أسرع من علم الاخرين الذين ليست لهم وسائط العلم السريع التى للشيطان ومن يتعاملون معه .

على ان الشيطان قد ازداد شرا ، وامتد بنفوذه الى درجة انه استطاع ان يدخل أجسام بعض الناس ممن استضعفهم واستذلهم ، فصار يسكن فيهم ويمتلكهم ويحكمهم . وهؤلاء هم المجانين على الحقيقة ، وهم الذين ملكهم وسيطر عليهم ، وقد يصيبهم بأمراض وعاهات .

على ان درجة الامتلاك متفاوتة . فهناك اشخاص يدخلهم الشيطان ويملك عليهم ، ولكن دون أن تظهر منهم علامات خاصة يسهل معها الحكم عليهم بانهم مصابون بالجنون . فقد ذكر الانجيل عن يهوذا الاسخريوطى التلميذ الخائن الذى باع معلمه المسيح ، وتآمر مع اليهود على صلبه أن « الشيطان دخله » (٣٤) .

---

(٣٢) أعمال الرسل ١٩ : ١٩
(٣٣) سفر التثنية ١٨ : ١٠ ــ ١٤
(٣٤) يوحنا ١٣ : ٢٧ ، ٢) ، (أعمال الرسل ٥ : ٣) .

● الشيطان والامراض ●

وقد يدخل الشيطان أجسـام بعض النـاس فيمتلكهم ، ونتيجة لذلك يصيبهم بمرض فى عضو أو أكثر من أعضاء الجسم ، فيمشى المصاب أعمى أو أصم أو أخـرس ، أو أخبل فى عقله .

ومن الاشفية التى أجراها السيد المسيح يمكن أن نعرف اتساع نطاق عمل الشـيطان فى احداث الضرر بالناس .

من ذلك قول الانجيل « وفيما هـو خارج قدموا اليـه رجلا أخرس به شيطان . فلما أن طرد الشيطان حتى تكلم الاخرس » (٣٥)

ومن ذلك أيضا قوله « جىء اليـه برجل كان به شيطان ، وكان أعمى وأخرس فشـفاه . حتى أن الأعمى الاخرس أبصر وتكلم » (٣٦) .

ومن ذلك « وكان يعلم فى أحـد المجامع يوم السبت . واذا امرأة كان قد استولى عليها روح أصابها بمرض منذ ثمـانية عشر عاما . فكانت منحنية . ولم تكن لتستطيع أن تنتصب البتة . فلما رآها يسوع دعاها اليه: وقال لها : « أيتها المرأة انك محلولة الوثاق من مرضك» ووضع يديه عليها .. ففى الحال انتصبت قائمة ومجدت الله » ..

ولما اعترض رئيس المجمع اليهودى على السيد المسيح بأنه يجرى الشفاء فى يوم السبت أجابه المسيح « أيهـا المراءون الا يحل كل منكم فى يوم السبت ثوره أو حمـاره من المذود ويمضى به فيسقيه . وهذه ابنـة ابراهيم وقد ربطها الشيطان ثمانى عشرة سنة ، أما كان ينبغى أن تحل من هذا الرباط فى يوم السبت » (٣٧)

مما سبق يتضح أن هناك أنواعا من الامراض تنجم عن امتـلاك الشيطان للانسان المريض فيصيبه بعاهة فى عينيه أو فى لسانه أو فى ظهره ، او بلوثة فى عقله ، فيتصرف بشراسة ويضر نفسه ويضر غيره .

ومن هـذا النـوع الاخير من الشياطين الذى يمتلك الانسان فيضر بعقله ، يذكر الانجيل عن السـيد المسيح « فما ان غادر السفينة حتى اتجه نحوه رجل من القبور فيه روح نجس ، ولم يكن يرتدى ثوبا ولا يقيم فى بيت ، وانما فى القبور ، ولم يكن احد يستطيع تقييده ولو بالسلاسـل لانه كثيـرا ما كبلوه بالسـلاسل والاغلال ، فكان يفك السـلاسل ويحطم الاغلال ، ويسوقه الشـيطان الى البرارى ، فما كان فى مقدور احد أن يقهره . وكان لا يكف عن الصياح ليلا ونهارا فى القبور وفى الجبـال يجرح بالحجارة جسمه . فلما رأى يسوع من بعد ركض وسجد له ثم صرخ بصوت عظيم قائلا : « التمس منك الا تعذبنى . اذ كان يسوع قد قال له : اخـرج من الرجل أيها الروح النجس . وكان قد استحوذ عليه منذ زمان طويل (٣٨) » .



(٣٥) متى ٩ : ٣٢ ، ٣٣) ، (لوقا ١١ : ١٤) .
(٣٦) متى ١٢ : ٢٢
(٣٧) لوقا ١٣ : ١٠ ـ ١٦
(٣٨) مرقس ٥ : ١ ـ ٨) ، (لوقا ٨ : ٢٧ ـ ٢٩) .



ومن بين الامراض التى تنتج عن امتلاك الشيطان للانسان مرض الصرع وقد وصف الانجيل المصاب بهـــذا

المرض على فم والد غلام مصروع وقد تقدم الى السيد المسيح يطلب شــفاء ابنه « يا معلم قد أتيتك بابنى الذى

به روح أخرس ، حيثما يتملكه يصرعه، فيزبد ، ويصر على أسنانه ، ويتصلب

لانه مصـــاب بالصرع ، وهو يتعذب عذابا أليما ، فكثيرا ما يسقط فى النار ، وكثيرا ما يسقط فى الماء »

كما وصف الانجيل شــفاء المسيح للمصروع بطرد الشيطان منه « فانتهر

الروح النجس قائلا له : أيها الروح الاخرس الاصم · انتى امرك فاخرج

منه ، ولا تعد تدخله مرة أخـــرى · فصرخ وصرعه فى عنف وخرج منه وقد صار كالميت حتى لقد قال كثيرون أنه قد مات · الا أن يسوع أمسك يده وأقامه فنهض ، وشفى الغلام منذ تلك الساعة » (٣٩) ·

● مصير الشيطان ●

مصير الشيطان الهلاك الابدى فى جهنم النار الابدية ·

قال السيدالمسيح انه فى يوم الحساب العظيم سيقول للاشرار : « اذهبوا عنى يا ملاعين الى النار الابدية المعدة لابليس وملائكته » (٤٠) ··

وجاء فى سفر الرؤيا « وطـــرح ابليس الذى أضلهم فى بحيرة النار·· هناك سيتعذبون نهارا وليلا الى ابد الابدين » (٤١)

● المؤمنون والشيطان ●

واذا كان الشيطان عدو الله ،فعلى المؤمنين بالله والذين يتقونه ويعبدونه الا يتبعوا الشــيطان ، وان يتجنبوا كل فعل من افعاله ، وان يقاوموه ولا يخضعوا له · « فاخضعوا اذن لله ، وقاوموا ابليس فيهرب منكم » (٤٢)

« اصحوا واســهروا فان ابليس خصمكم كالاسد الزائر يجول ملتمسا من يبتلعه · فقاوموه راســخين فى الايمان » (٤٣)

الانبـــا غريغوريوس
أسقف البحث العلمى

---

(٣٩) (مرقس ٩ : ١٦ ـ ٢٦) ، (متى ١٧ : ١٤ ـ ١٨) ، (لوقا ٩ : ٣٨ ـ ٤٤) ·

(٤٠) متى ٢٥ : ٤١   (٤١) الرؤيا ٢٠ : ٩ ، ١٠

(٤٢) يعقوب ٤ : ٧

(٤٣) رسالة القديس بطرس الاولى ٥ : ٨ ، ٩

ذنوب تصلى

إبراهيم عيسى



يا خافقى الله لك .. تطلب مالا تملك
ما حيلتى وكلما عدت اليه قتلك
وبالهوى وشوقه حررته ... فكبلك
فرحت تهذى بالهوى .. ورحت أبكى طللك

***

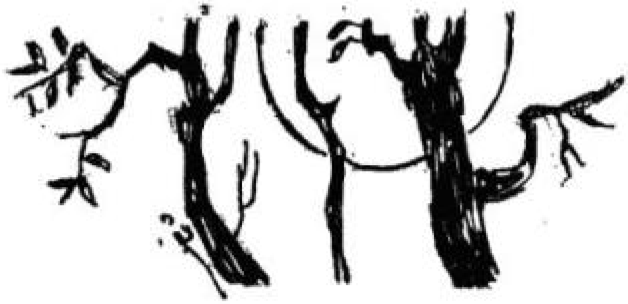
وأطبق الليل ... وناحت غربة ترتعد
والفجر فى أحشائه طفل جفاه المولد
فكلما امتدت من النور الى النفس يد
يشدنى .. يجذبنى ، الى التراب الجسد

***

وقلت للقلب لقد تبنا ويكفى ما جرى
فحدقت أشواقه فى توبتى واستنكرا
ومر بى وارتد عن توبتنا واستغفرا
واحتضن الجرح الذى غنى له والخنجرا

***

وارتجفت للشبح الخافق فى الصدر الضلوع
لما مشت ذنوبه عريانة من الدموع



صلاتُه خطيئة ساجدة بلا خشوع
فأومأت في عشوة التيه أصابع الشموع

***

وسال طيف من شعاع في كهوف ظلمتي
وأبصرت روحي في أعماقه طفولتي
وقيل يا رب .. فضج الصمت حول دمعتي
والتفت القلب يزف للهدى بقيتي

***

وحينما لاح السنا من جانب الطور عليه
وارتجفت نفسي وفرت من خطاياها اليه
تقوست خاشعة لله ترجو راحتيه
وهرولت ذنوبها ساجدة بين يديه

***

وصحت يا محمد .. وتمتم التشهد
فاخضر في متاهتي الدمع والتنهد
واشهل نبع النور وانهد جدار أسود
فسر سر الله يوم نلتقي ... محمد

حظك في السماء

د. سيد كريم

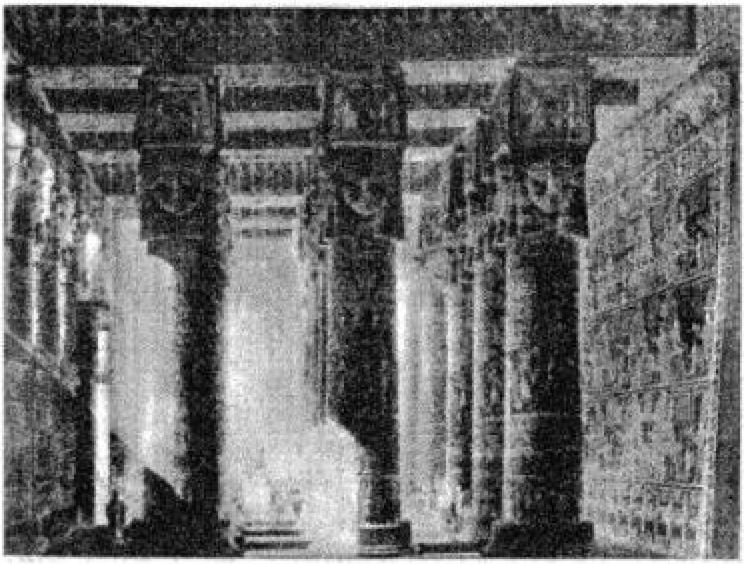


البروج السماوية ـ سقف معبد دندره

منذ بدء الخليقة والانســــان يبحث عن سر الوجود يتطلع ويتامل ويسال ويتساءل عن الغيب، ويحاول التنبؤ بما تخبئه له الايام والاقدار ٠

كشف بتطلعه الى السماء ان هناك قوى خفيفة فى قبة السماء، وتحرك بتحركها مصير البشر فى الارض

هكذا بدات العلاقة بين السماء والارض ٠٠ او بين عالم النجوم وعلم التنجيم ٠٠ بدات بمحاولة ايجاد نظام للتوقيت ، وحساب للزمن ، وانتهت بمحاولة ايجاد نظام للحياة ، وحساب للتنبؤ ٠٠ ويلقى التنجيم فى عصرنا الحديث ـ عصر العلم والتكنولوجيا ـ تاييدا واعترافا يفوق ما لقيه فى جميع الفترات الماضية ٠ فما من وســـيلة من وسائل الاعلام فى العالم اجمع ، وما من جريدة يومية او مجلة اسبوعية الا وتفسح المجال « لبختك هذا اليوم ـ او حظك هذا الاسبوع ٠٠ او انت والنجوم ٠٠ لقد تاسست معاهد خاصة فى مختلف بلاد العالم لتصدر مطبوعات دورية او مؤلفات علمية متخصصة فى بحوث التنجيم والطالع والتنبؤ وارتباط المستقبل والمصير بالبروج والنجوم والافلاك ٠٠ والزودياك »



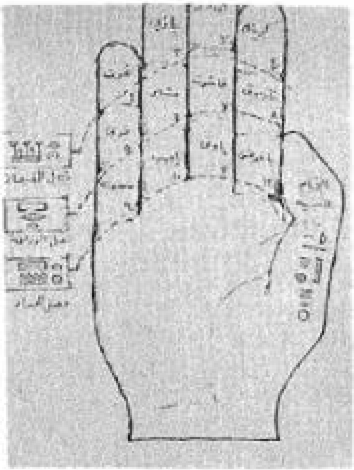
بهو الاعمدة فى معبد دندره كما كان فى عهد الفراعنة

كان قدماء المصريين أول من عرف حساب الزمن ... عرفوه من ممارستهم للحياة.

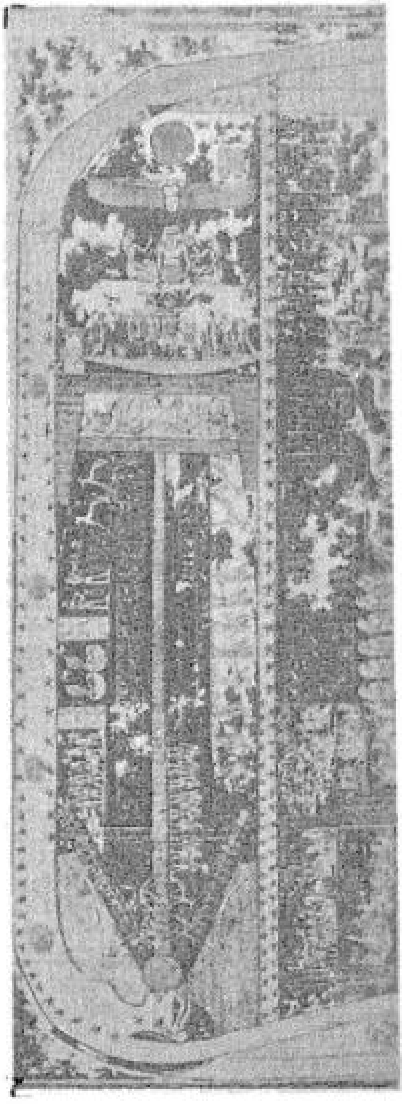
وعرفوه فى بحثهم عن الاله ..عرفوه من ممارستهم للحياة عندما ارتبطت حياتهم بنهر النيل أو نهر الحياة الذى يحمل لهم الخيرات مع فيضانه فينظمون حياتهم وفقا لتلك الظاهرة التى تتكرر كل عام . وتدهمهم فجاة حاملة الخير مع رضاه أو الجفاف والدمار مع غضبه .. ربطوا مواسم الزراعة ودوراتها من اعداد الارض وحرثها وبذر البذور وريها ، وحصاد المحاصيل والاحتفال بأعيادها . فقسموا السنة الى ثلاثة فصول يبدأ أولها مع الفيضان نفسه الذى اعتبروه بداية عامهم ، واطلقوا عليه اسم فصل الفيضان ، ويبدأ من اغسطس الى ديسمبر ، والفصل الثانى فصل الرى أو بذر البذور ويبدأ من ديسمبر الى ابريل ، والفصل الثالث ويسمى فصل الحصاد ويبدأ من ابريل الى اغسطس . وقسموا كل فصل من الفصول الثلاثة الى اربعة أشهر ، وكل شهر الى ثلاثة ديكانات كل ديكان عشرة ايام .

وهكذا ظهر أول تقويم فى تاريخ البشرية واطلق عليه اسم « التقويم النيلى » ولم يستدل أحد من المؤرخين على بدء اكتشافه حيث ثبت أنه كان معروفا من قبل الاسرات ومن قبل تحويل مجرى النيل فى عهد الملك مينا .

وكانت السنة النيلية وفقا لذلك التقويم تتكون من اثنى عشر شهرا بكل شهر ثلاثون يوما ، والسنة ٣٦٠ يوما . وقد لاحظ المصريون القدماء أن الفيضان يتخلف عن ميعاده خمسة ايام كل عام.. » وكان الفيضان لايظهر



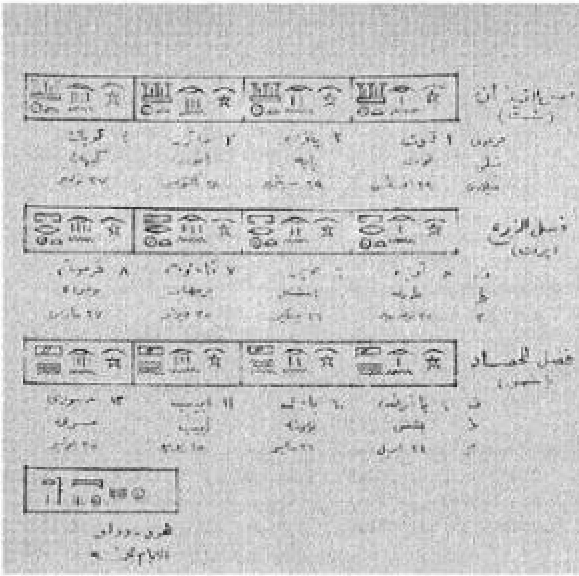
كف التقويم ـ تعبر عقل اصابع اليد عن توزيع الفصول والشهور وتطور الفيضان تبعا لقمة الاصابع



سقف مقبرة رمسيس الرابع في طيبة ، الآلهة نوت ربة السماء تستعرض القبة السماوية وكواكبها ونجومها . . .

الا بعد ان يقدم له كهنة معبد فيلة القديم القرابين والهدايا لاله النيل المقدس » .

وقد ذكر المؤرخ ستيكا ان كهنة عين شمس كانوا اول من اكتشفوا ان بداية الفيضان تتفق مع اشراق نجم الشعرى او (الشعرى اليمانية الذى اطلقوا عليه اسم « سيدت Sothis ») فى معبد اون (معبد الشمس) فى نفس الوقت الذى تشرق فيه الشمس فى سماء المعبد مرة كل عام، فاتخذوه بداية السنة الشمسية الشعرية وانهم استغلوا معرفتهم بتلك الظاهرة الفلكية لايهام الناس بان النيل لا يفيض بخيراته الا بعد ان يتقبل الاله دعواتهم ويحدد لهم ميعاد الفيضان ليعلنوه للناس .



التقويم الفرعوني « التقويم النيلي » اقدم تقويم شمسي في العالم ٤٢٥٠ ق.م مبينا به فصول السنة الثلاثة والشهور الاثنى عشر مع اسمائها الفرعونية القديمة والاسماء القبطية ومقابلها في التقويم الميلادي

وقد قام كهنة معبد أون خلال الاسرة الثالثة بتصحيح السنة النيلية باضافة خمسة أيام ، وهي الايام التي ولد فيها الالهة الخمسة (أوزوريس ، وايزيس ، وست ، ونفتيس ، وحورس)

وهكذا أصبحت السنة النيلية ابتداء من عام ٢٨٠٠ ق.م ٣٦٥ يوما ، وقد نسب بعض المؤرخين ذلك التقويم الى أمحتب الحكيم ومهندس الملك زوسر ، فاطلقوا على كل شهر من الاشهر الاثنى عشر اسم اله أو معبود أو مناسبة دينية ، كما اطلقوا على أول شهر في ذلك التقويم الجديد اسم الاله تحوت (اله المعرفة) الذي أنزل اليهم ذلك التقويم الذي تشرف على دورته الهة الفلك .

وما زالت اسماء الشهور الفرعونية في التقويم النيلي تستعمل الى الان مع بعض التحريف في اسمائها وهو مايطلق عليه بالسنة القبطية التي تبدأ بشهر توت ، وهو تحوت الفرعوني ، كما أن الايام الخمسة المنسية أو أيام الالهة الخمسة هي ما يطلق عليه في التقويم القبطي « بأيام النسيء » .

بجانب ذلك التقويم النيلي الذي وضعه قدماء المصريين وصححه لهم كهنة معبد أون الذين كانوا ، كما ذكر ديودورس وكليمندس السكندري ، أول من اكتشفوا أسرار السماء ووضعوا دراسات وخرائط كاملة للقبة السماوية ودورة أفلاكها وحركة كواكبها قبل شروق فجر التاريخ نفسه — فلقد وضعوا أول وأقدم تقويم عندما كشفوا سر نجم Sothis أو النجم

الشعرى ، وقد ذكر مينكا أنه سمع من كهنة معبد الشمس « أن الاله بتاح اله الخلق والتكوين عندماخلق الارض وكورها على شكل البيضة أرسل النجم الشعرى الذى يطلق عليه اسم الكلب الكبير ليحرسها فى الفضـاء ويشرق فى سمائها مع شروق الشمس فى كل دورة من دوراتها فى فلك الاله رع »

لقد ذكرت برديات هرمس (تحوت) أن التقويم الشعرى الذى كان كهنـة معبـــد الشمس يسجلون به احداث التاريخ ، بدأ سنة ٤٢٤٢ ق٠م (أى اننا اليوم فى سنة ٦٢١٥ فرعونية) ولقد اخذ اليهود ذلك التقويم عن مصر بعد ٨٣ سنة منذ بداية السنةالفرعونية وقد نقله علماؤهم عن كهنة معبد أون ونسبوا بدايته فى أسفارهم الى خلق الارض، ونقلوه معهم عند خروجهم من مصر ليحتفظوا به وينسبوه الىحكمائهم

كليوباترا ويوليوس قيصر، التقويم الشمسى ـ هدية مصر للعـالم « معبد دندره »



ولم تأخذ أوربا التقويم الشمسى عن اليهود كما حاول بعض مؤرخيهم أن ينسب التقويم الشمسى الى أوربا عن طريق مهاجرى القدس ٠

فالتقويم الرومانى وهو اســـاس التقويم الميلادى الحـديث كان هدية كليوباترا الى يوليوس قيصر عندما كلفت العالم المصرى سوسجين Sosigenes بإعداده ممـــاثلا للتقويم الشمسى المصرى واطلق عليــه التقويم القيصرى (ليحل محل التقويم القمرى) الذى كان معمولا به فى روما والبلاد التى حولها وهو التقويم الذى قام بتعديله البابا جريجورى الثالث عام ١٨٥٢ ، ولكنه فى جوهـــره بقى عملا مصريا أعطاه الفراعنة للعالم كله ٠

● لقد ذكربعض المؤرخين والكتاب خطأ بأن المصريين عدلوا تقويم الشمس بإضافة يوم كل أربع سنوات بعـــد الغزو الفارسى عام ١٣٢٢ ق ٠ م ، والعكس هو الصحيح ٠٠ فالفارسيون قد صححوا تقويمهم بعد دخولهم مصر ولم يكن لهم علم بالنجم الشـــعرى ودوره فى حساب الزمن ٠

لقد ذكر ديودورس أن الســـنة الشعرية عند قدماء المصريين كانوا يطلقون عليها اسم السنة الرباعيـة وكان رمز السنة على شـــكل مربع تعــــلوه الســـــماء وذلك فى الاسرة الخامسة عام ٢٥٦٠ ق٠م عندما قام الملك أوسركاف بالاحتفال بيـــوم تحوت الذى أضافه الى أيام الآلهـة الخمسة عندما أعلن الكهنة بأن النجم الشعرى يظهر كل ٣٦٥ يوما وربـع يوم ٠

● كمـــــا ذكرت برديات هرمس الخاصة برياضيات الفلك أن كهنة معبد

آون كان لهم تقــــويم ثالث خاص بهم ويرتبط بأسرار حدرفتهم وهــو التقويم الكهنوتى المقدس ويختلف عن التقويم الشعرى بأن السنة ٣٦٥ يوما

و ٤٨ دقيقة ، ٤٥¼ ثانية أى باضافة يوم كل ١٣١ سنة ، وهو ما اثبت علم الفلك الحديث صحته ودقة حسابه ٠

كما أنه يفسر فى نفس الوقت السر فى انتقال بداية السنة القبطية التى تبدأ بشهر توت وهو سبتمبر حاليا بينمـا

كان شهر تحوت بداية السنة الفرعونية يبدأ فى شهر أغسطس ٠

● كما كان الفراعنــــة أول من اكتشف التقويم القمرى والشــهور القمرية والايام القمرية ، كما ذكــر بلوتارك عندما كتب عن ســتر ـ

أزوريس الثمانى والعشرين والتى عبر فيها عن الشهر برمز الهلال ٠وعندما

استبدل التقويم القمرى بالتقــويم الشمسى بقى التعبير عن كلمة شهر فى

التقويم النيلى والتقويم الشمسى برسم الهلال فوق اسم الشهر ٠ ومما يلفت النظر أن ذلك التعبير حدث فى العالم

أجمع ، فأطلق على الشهر اسم القمر فكلمة Month الانجليزية التى تعبر

عن الشهر Monat الالمانية Mois الفرنسية وعشرات غيرها من اللغـات القديمة والحديثة ، كلهـا مشتقة من اسم القمر ٠

● ان قدماء المصريين الذين كانوا أول من عرف حساب الزمن ووضعوا له ادق تقويم رياضى وفلكى ، كانوا

اول من قسم الزمن ووضعوا لمقاييسه الحالية التى اصطلح عليها العــالم

اجمع فقسموا الســنة (رنبيت) الى ١٢ شهرا ٠



الملك أوسركاف ٢٥٦٠ ق٠م ـ التقويم الشمسى الكامل « معبد دندره القديم »

والشهر (ابد) الى ٣ دكانات و ٣٠ يوما ٠

واليوم (هرو) الى اربعة وعشرين ساعة ٠

والساعة (انوت) الى ٦٠ دقيقة ٠

والدقيقة (ات) الى ٦٠ ثانية ٠

والثانية (حات) ٠

كانوا أول من اخترع المزولة لقياس الزمن وساعات النهار ونقلها عنهــم بقية الشعوب القديمة ، كما اخترعوا قامات الرصد لحساب ساعات الليل برصد النجوم وتحركاتها فى السماء، كما اخترعوا الساعة المائية Clepsydra التى تحدد ساعات اليــوم بأكمله فى

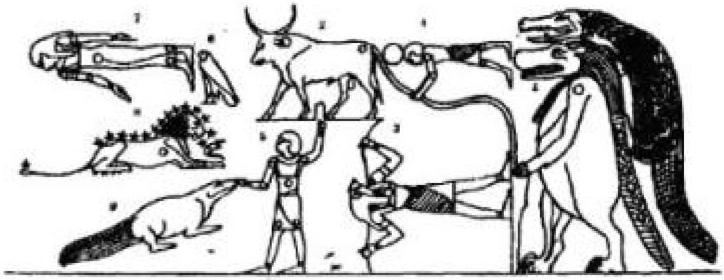
الليل والنهار التى وضع تصميمها العالم الفرعونى « سن · اروى » عام ٢١٥٠ ق · م كما وجدت ساعة أخرى مماثلة لها فى الاسرة الثامنة عشرة ١٤٧٠ ق · م كانت خاصة بالملك امنحوتب الثالث وهى من الالبستر الشفاف على شكل آنية وضعت عليها علامات خارجية تبين الساعات والدقائق وتتسرب منها المياه الى آنية أخرى مجاورة ·

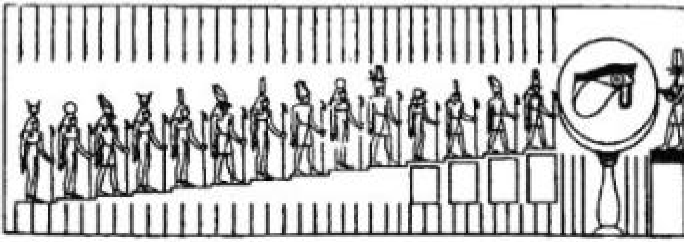
وقد أخذ الاغريق والرومان عن الساعة المائية الساعة الرملية ولم تكن من الدقة كمثيلتها المصرية ·

● ليس هناك من شك فى أن ذلك التقويم المصرى القديم كان خلاصة علم ومعرفة كاملين مما خلفه الفراعنة من آثار فلكية سبقت الحضارة الفرعونية نفسها بالوف السنين فكانت معابدهم الشمسية **Solar Temples** ومن أقدمها معبد أون نفسه ومرصده الشهير الذى يعتبر أقدم مرصد فى تاريخ الحضارة ومعبد أون هو الذى نادى بالاله الواحد قبل ظهور الاديان والمعتقدات الفرعونية جميعها كما نقلت عنه جميع الفلسفات والتشاريع والعلوم والرياضيات التى نادى بها الانبياء الذين زاروا مصر واتصلوا اليها ابتداء من سيدنا ابراهيم أبى الانبياء واسحاق ويوسف وموسى وهارون وعيسى أو من فلاسفة اليونان وعلمائهم ومؤرخيهم الذين تلقوا علومهم وفلسفاتهم التى نقلوها الى بلادهم ومن بينهم افلاطون الذى عاش فى معبد الشمس ثلاث عشرة سنة درس خلالها الفقه والهندسة والمعرفة · وفيثاغورس الذى تخصص فى الرياضيات ، وسترابو فى الجغرافيا واودوكسوس الذى تعلم اسرار الفلك ونقل نظريات المجال المنحرف لدوران الشمس والافلاك ، ثم ديودوس وديمقريطس وبحوثهم العلمية والفلكية وسقراط الذى نقل عن المصريين نظرية كروية الارض والمعرفة عن طريق الحوار والجدل · وديباجوتيس ونظريات البحث عن الحقيقة ، وفيثاغورس أبو الرياضيات الذى عاش متنقلا فى مصر اكثر من عشرين عاما بين معابدها ومعاهدها ·

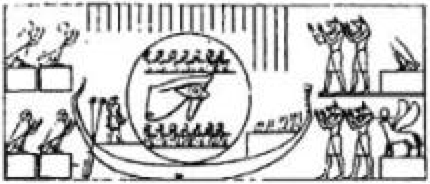
وقد ذكر سارتيرون فى كتابه « كهنة مصر وأسرار المعرفة » أنه ليس هناك

مجموعات الكواكب ورموز تكويناتها فى مقبرة سيتى الاول « الاسرة الـ ١٩ »





الهة ايام القمر الاربعة عشر « ايام النمو » . . .



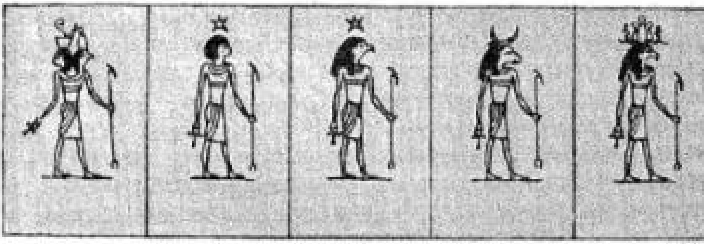
الهة ايام القمر الاربعة عشر ايام الاضمحلال . . .

من ينكر فضل مصر على حضارات العالم القديم فيجميع نواحي مقوماتها العقائدية والفلسفية والعلمية والاجتماعية .. او الحضارة العالمية الحديثة التي تعتبر امتدادا لتلك الحضارات .

● كما ذكر بعض مؤرخي الاغريق وفلاسفته الذين زاروا معبد الشمس ونقلوا ما سموه أسرار المعرفة انهم سمعوا من كهنة المعبد الذين كان يطلق عليهم « أهل المعرفة السماوية » أن معبدهم بناه الاله بتاح عندما خلق الكون لينقل المعرفة الى البشر عن طريقهم وانهم من سلالة أتت من الشمال ليستوطنوا أرض بتاح المقدسة (جب بتاح) وهو الذي اتخذت منه مصر اسمها الحالي جبتوس Egypt وان الاله اصطفاهم وأمرهم بمغادرة ارضهم أو قارتهم بمائة سنة قبل أن تختفي في قاع المحيط . وهي النظرية التي قام بتبنيها ودراستها بعض علماء العصر الحديث وفسروا تلك الارض كما ذكرت في بعض الاساطير الاغريقية القديمة بأنها قارة الاطلنطيد Atlantis وان علم الفلك والمعرفة انتقل الى مصر من عشرات الالوف السنين قبل ظهور الحضارة المصرية نفسها .

● ان بحوث كليمنتس السكندرى الكاهن الفرعوني الذى ترك أربع موسوعات في علم الفلك التي ترجم الاغريق احداها وكانت مفتاح علم الفلك عندهم وهي الموسوعات التي نقلها من معهد عين شمس .

فسر كليمندس النجوم الثابتة وشبكة تكوينها ومجموعاتها وعلاقاتها ببعضها كما فسر علاقة الشمس بالقمر ودورته



الكواكب الخمسة السيارة ـ التى لاتستريح
المشترى ، زحل ، المريخ ، عطارد ، الزهرة

حولها وانعكاس نورها على سطحه وعلاقته بتدرج شكل القمر من الهلال الى البدر والسنة القمرية القديمة كما اطلقوا على كل يوم من ايام نموه الاربعة عشر اسما ونسبوا اليه معبودا كذلك الاربعة عشر يوما من ايام الاضمحلال كما اكتشفوا كروية الارض ورسموها على شكل بيضة، والاله بتاح اله الخلق والتكوين الاول وهو يجسمها ·

● تطلع قدماء المصريين الى ما خلف الشمس والقمر فكشفوا « الكواكب الخمسة السيارة التى لا تستريح » واطلقوا عليها خدام الشمس التى تدور حولها ولا تغفو لتحرسها وتستمد نورها من نور الاله واطلقوا على كل منها اسما خاصا وجعلوا لكل منها معبودا يحرسها وهى :

عطارد (كوكب سبكو) ست Mercury

الزهرة (كوكب الصباح والمساء) اوزيرس Venus

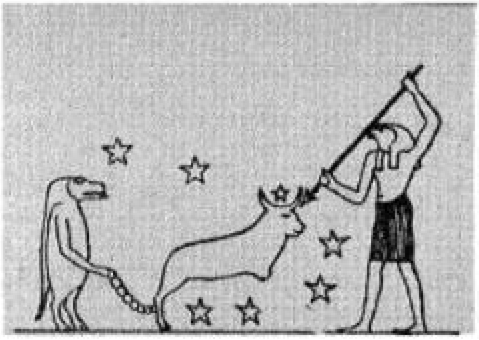
المريخ (حورس الاحمر) رع
Mars

المشترى (الكوكب المتلالىء)
Jupiter

زحل (ثور السماء) حورس
Saturn

كما كانوا اول من جمع النجوم فى مجموعات Constillation رمزوا اليها بصور تجمع كل منها مجموعة او كوكبة الدب الاكبر (رجل الثور) والجوزاء والبجعة والتنين وقد رسموا لها خرائط ورموزا واسماءوجعلوا لكل منها معبودا ينظم تكوينها وتحمل اسمه بجانب الاسم الذى يرمز الى صورتها كما انهم عرفوا المذنبات ومداراتها فمذنب هالى Hally المشهور الذىنسب اسمه الى مكتشفه ادموند هالى عام ١٦٨٢ والذى تستغرق دورته ٧٦ عاما ثبت فى علم الفلك انه ظهر عام ٩٨٩ م ونسب ظهوره الى حادث تاريخى معاصر ثم اكتشف فيما بعد ان الفراعنة سجلوا ظهوره ودورته فى بردياتهم فى عهد تحوتمس الثالث ورمزوا اليه باله الحرب الذى يجوب الفلك يتبعه جيشه الشبح وهو المذنب الذى يشع خلفه ·

كما ان مذنب لتكولن الذى رصده الامريكيون قبل الحرب الناشئة واطلقوا عليه اسم لنكولن ووجد ان



مجموعة كواكب
الدب الأكبر

دورته تستغرق ١٤٥٠ عاما ، قد سبق ظهوره ورصده في عصور ماضية ، وان قدماء المصريين كانوا اول من رصد في عهد الاهرام واعطوه اسما فلكيا سجلوه في بردياتهم .

كذلك عرف المصريون القدماء كسوف الشمس وخسوف القمر وحددوا مواعيده ، والذى نبه اليه كان معبد آمون في سيوه جنود الفراعنة عند محاربتهم جيوش داريوس الفارسية حتى لا يصاب الجنود بذعر عندما تفاجئهم الظاهرة ، وافهمهم انها تعبير عن غضب الاله على جيش العدو (روفوس – حروب الاسكندرية)

● من الطبيعي ان يكون قدماء المصريين الذين عرفوا علم الفلك .

وكشفوا اسرار القبة السماوية من آلوف السنين قبل بدء الحضارة نفسها ، ان يكونوا قد عرفوا علم التنجيم او علم النجوم الذى يرتبط ارتباطا جذريا ومتوازيا مع علم الفلك نشأة علم التنجيم او قراءة الطالع والتنبؤ بالمستقبل ترتكز على البروج السماوية وعلاقاتها بالحياة وعلاقة العالم السماوى بالعالم الارضى .. او كما يقول كتاب الموتى الفرعوني ان كيان الحياة الارضية للانسان تسيرها قوى عليا مصدرها قبة السماء او حركة الاله رع (الشمس) داخل دائرة البروج الفلكية الاثنى عشر وتأثيرها في احكام النجوم ودورة الكواكب ، تلك البروج التى تسمى بالزودياك Zodiac

ذلك العلم الذى كان شاغل الإنسانية منذ نشأتها والذى اصبح اليوم .. عصر العلوم والتكنولوجيا يلقى تأييدا واعترافا يفوق ما لقيه في فترات اخرى كثيرة . فقد اصبح شاغل جميع الشعوب على اختلاف مستواها الحضارى والثقافي فلا تخلو صحيفة او مجلة في العصر الحديث من باب « بختك هذا الاسبوع او بختك من النجوم » بل نلحظ اقترابا علميا لعلم « احكام النجوم » فقد انشىء اكثر من معهد علمي وتخصصت كثير من المجلات والمؤلفات الدورية في علم الطالع Horoscope والذى تعتبر الزودياك – اى علاقة الانسان وميلاده ببروجها وعلاقة البروج بالقبة السماوية وحركتها – مفتاح التنبؤات



البروج السماوية بمعبد اتريب

فالزودياك الذى اصطلح للعالم الحديث نقلا عن العالم القديم على رموزه ومصطلحاته كان مصدره الاول مصر ٠

وما اطلق عليها من اسماء هى الزودياك الفرعونى الذى كان يغطى سقف بهو الاعمدة بمعبد دندره (تنتيرا Tentyra الفرعونى (معبد الاله هاتور اله الجمال والحب والسعادة والكواكب الذى نقل الى المكتبة العامة فى باريس خلال الحملة الفرنسية واستقر اخيرا فى متحف اللوفر ٠

● لقد حاول كثير من المؤرخين فى مختلف العصور الماضية واتساق خلفهم بعض كتاب العصر الحديث ٠

حاولوا ان ينسبوا اكتشاف الزودياك والبروج السماوية الى الاغريق رغم انعدام التشابه او العلاقة بين البروج الاغريقية والبروج الفرعونية كما ذكر مؤرخو الاغريق انفسهم ان الزودياك الاغريقى منقول عن البابليين الذى يرجع الى عام ٢٣٠٠ ق ٠ م ـ كما اثبت L.W. King فى كتابه « لوحات الخلق السبعة » ان البابليين نقلوا رموز بروجهم عن السومريين الذين سبقوهم بالف سنة تقريبا ٠

● يتكون الزودياك الفرعونى

والشهور الذى كان يغطى سقف قاعة بهو الاعمدة بالمعبد من رسم مجسم لقبة السماء وزعت حولها وفى توزيع دائرى البروج الاثنى عشر والتى عبروا برموزها وصورها واشكالها المجسمة عن اسمائها التى اصطلح عليها علم النجوم والتنجيم فى العالم أجمع وما زالت تستعمل كما هى الى اليوم وهى ـ (الحمل ، والثور ، والتوأمان ، والسرطان ، والاسد ، والعذراء ، والميزان ، والعقرب ، وحامل القوس ، والجدى ، والدلو ، والحوت ، كما ان ترتيبها وعلاقاتها باشهر السنة الشمسية لم يطرأ عليها اى تغيير · وتتوسط الابراج رموز الكواكب والكوكبات والنجوم كما تحيط بها الدكانات الستة والثلاثون وتحمل كل منها اسم النجم الذى يتجول خلالها ·

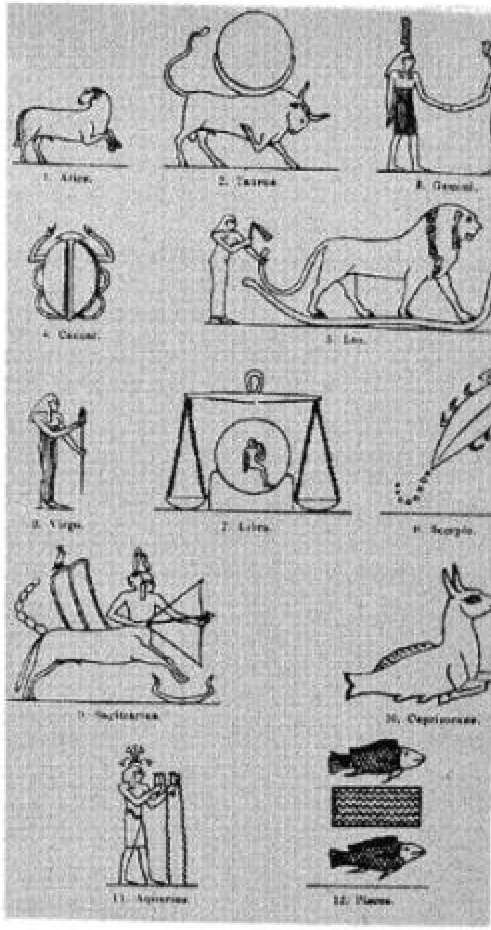
وتحمل القبة اربعة الهة تعبر عن الالهة التى تحمل أركان السماء الاربعة ، وبين كل الهين من آلهة اركان السماء الاربعة تركع الهتان رافعتان ايديهما التى تمسك بافق السماء وترمز الى الالهة الثمانية التى تدير قبة الفلك ·

● لقد اختلف العلماء فى تقدير عمر زودياك دندره الذى حدده من نسبوه الى الاغريق بان عمره ٢٢٠٠ سنة تقريبا نسبة الى عمر معبد دندره الذى انشىء فى عهد البطالمة عام ٣٣٢ ق · م بينما تدل تفاصيل الزودياك المتكاملة والدقيقة التفصيل والتى شملت كل عناصر علم التنجيم الفرعونى القديم مما يدل على انها تنتمى الى عصور قديمة تسبق عصر انشاء المعبد نفسه ·

لقد ذكر سونيرون فى كتابه « كهنة مصر القديمة » عن بلوتارك المؤرخ الفرعونى أن معبد تانتيره الذى بنى لعبادة الإله هاتور مكان المعبد القديم ووفقا لتصميمه الاصلى عند بدء عبادة هاتور عندما كانت دندرة العاصمة الدينية للاقليم الجنوبى فى الاسرة السابعة ٢٤٠٠ ق · م ·

كما ذكر ان الملك بيبى الاول اقام المعبد مكان معبد حورس القديم الذى كان يعتبر الها لعلم الفلك فى عصر الاهرام واوج عصر الفلك وعلاقته بالسحر والتنجيم · كما ذكر ان كثيرا من البرديات والمخطوطات التى وجدت بمعبد دندرة ومخازن وثائقه المقدسة وهى المخازن التى يبلغ عددها ٣٦ مخزنا (وهو عدد ديكانات علم التنجيم والفلك) المبنية داخل سمك الحائط وكانت تحفظ بها الوثائق والنصوص السرية وبرديات اسرار الفلك والوجود · وهو يؤكد نظرية برونتون فى كتابه « بحوث فى أسرار الفراعنة » بان زودياك دندره كالعديد من غيره من وثائق اسرار علم الفلك التى نقلت من معبد حورس القديم واحتفظ بها فى المعبد الجديد أى انها ترجع الى عصر الاهرام ٢٥٠٠ ق · م

● لقد انخدع بعض الاثريين عندما حاولوا تحديد عمر الزودياك الموجود بمتحف اللوفر قبل الحرب العالمية الثانية وذلك بدراسة وضع وتوزيع الكواكب والافلاك والنجوم والديكانات بالنسبة لبعضها ووضعها بالنسبة للقبة السماوية التى تربط تكويناتها عندما اكتشفوا أنه رغم



البروج السماوية الفرعونية كما رسمها قدماء المصريين فى زودياك سقف معبد دندرة تعطى نفس الرموز والاسماء المستعملة حاليا فى جميع انحاء العالم ... الحمل ، الثور ، التوأمان السرطان ، الاسد ، العذراء الميزان ، العقرب ، القوس الجدى ، الدلو ، الحوت

الدقة المتناهية فى الحسابات الفلكية لدى قدماء المصريين اى ان الزودياك به اخطاء فلكية لوجود انحراف فى وضع محور الارض عن وضعها الطبيعى ·

ولذلك فلا يمكن الاعتماد عليها فى تحديد الزمن الذى رسمت فيه ·

وقد قام احد الباحثين فى علم الفلك الحديث باعادة دراستها فاثبت ان محور الارض ينحرف عن موضعه فعلا تبعا لدوران المجموعة الشمسية باكملها فى فلك شمس اكبر وامكنه حساب ذلك الانحراف الظاهر لزودياك دندره بالوسائل الالكترونية فوجد انه يرجع بتاريخ الزودياك القديم التى نقل عنها الفراعنة رسم قبة السماء

وبروجها الى ٥٠ الف سنة تقريبا وهو التاريخ الذى يحاولون به تحديد بداية الحضارة المصرية فى وادى النيل ونشأة معبد الشمس القديم الذى ورث المعرفة وعلم الفلك عن مدينة الاطلنتيد القديمة ٠

● ان علم التنجيم عند الفراعنة كان من بين أسرار المعرفة الكهنوتية كغيره من علوم السحر والروحانيات والغيب ، التى يحتفظون بأسرارها ويحيطونها بقدسية تحرم اطلاع احد على خباياها ٠ وهى العلوم التى اشتهر بممارستها كهنة معبد الشمس ومعبدى آمون بطيبة وسيوه ٠ لم يخرج منها الى العالم الخارجى الا اليسير مما اقتبسه علماء اليونان والرومان والاسيويون الذين زاروا مصر واقاموا بها ودرسوا فى معابدها الدينية ، ذلك بجانب ما نقلوه الى بلادهم من مختلف علوم الحياة من طب وهندسة ورياضيات وفلك وفنون وآداب ٠

لقد ربط الفراعنة علم التنجيم بعلم الفلك وأحاطوه بمجموعة من الاساطير الدينية التى تحكى علاقة الارض بالسماء التى صوروا كواكبها ونجومها ومجموعاتها الفلكية بأشكال كائنات أسطورية وآلهة رمزية تتحرك وتتجول وتتصارع على مسرح القبة السماوية ٠

تحكى اساطيرهم علاقة الحياة بالسماء ، او علاقة الروح بالعالم الاخر ، ومن اقدم تلك الاساطير أسطورة علاقة الروح بالبروج الاثنى عشر وهى من اقدم النظريات الفلسفية التى وتتلخص النظرية فى ان روح كل انسان تنتمى الى برج من البروج السماوية الاثنى عشر تهبط منه الى الارض وتبقى مرتبطة بها مدى اقامتها فى الدنيا ثم تعود اليه ثانية بعد ان تقوم برسالتها التى حددها لها البرج الذى خرجت منه ٠ فهو الذى يسيطر على شخصية الانسان وأخلاقه وتصرفاته ومسيرته فى الوجود ٠ وهو ما اشار اليه كتاب الموتى فى تصويره لمحكمة الضمير او محكمة التعارف وهى المحكمة التى تدخلها الروح ويجلس على منصتها اثنا عشر معبودا يمثلون البروج او حراسها لتتعرف الروح على البرج الذى تنتمى اليه وهو المسئول عن اعمال الانسان وتصرفاته فى الحياة الدنيا ٠

وتبدأ اساطير البروج السماوية بدورة الاله رع معطى الحياة (ويعبر عنه بقرص الشمس) فى البروج الاثنى عشر تحيط به الكواكب الخمسة الحارسة التى لا تستريح ٠ لقد صوروا فى اساطيرهم علاقة كل دورة من تلك الدورات سواء الشمس او القمر او الكواكب الخمسة ٠ فكانوا اول من كشفوا علاقة القمر بالشمس التى يستمد منها القوة والطاقة الحيوية ليعكسها على الارض ٠ ربطوا العلاقة بين تزايد القمر واثره فى النمو الروحى والمادى للمخلوقات الارضية لقد صوروا العلاقة بين تلك الدورات التى اطلقوا عليها زيارة آلهة القبة السماوية للبروج ومرورها على البيوت النجمية والابراج والديكانات وتجاوبها



الزودياك الاوربى الذى انتقل الى العالم الحديث خلال العصور الوسطى وتظهر رموز الابراج والـــهاتها مع الزودياك الفرعونى القديم ..

مع الهة الخير والبركة او صراعها مع الهة الشر وســـوء الطالع واثرها وتاثيرها اليومى او الزمنى على سكان

او مواليد كل برج على امتداد ديكاناته الثلاثة والثلاثين يوما وساعات اليوم الاربع والعشرين .

كمـا جعل قدماء المصريين كل برج من بروج الزودياك رمزا خاصـــا ومعبودا خاصا يعبر عنه فقد جعلوا

لكل شهر من شهور الســنة الها او معبودا يرمز له كذلك اختاروا لــكل يوم من أيام الشهر معبودا خاصا به

واســـا رمزيا يرمز له كذلك الحال للديكانات المماثلة للاســابيع والايام القمرية سواء لايام التزايد الاربعــة

عشر او أيام التناقص كمـــا جعلوا معبودا لكل ساعة من ساعات النهــار وآخر لكل ساعة من ساعات الليل . وقد جمعها والاس بادج فى موسوعته « الهة قدماء المصريين » .

ان قـــراءة الطـــالع او البخت لا تتوقف على البرج او يوم الميلاد بل

على ساعة الميلاد نفسها فاختـــلاف ساعة الميلاد بين مولودين من نفس

البرج وفى نفس اليوم يختلف طالع كل منهما اختلافا تاما عن الاخر .

من الطرق التى كانت متبعة عند كهنة قدماء المصريين لمعرفة الطالع بواسطة تحديد نجم الانسان بالنسبة

للبرج الذى ينتمى اليه ما كان يطلق عليه « كف الطالع » او « كف الوقاية » الذى يطلق عليه العامة حاليا « خمسة وخميسة » الذى يعلق على جبهة المولود

او فى عنقه لحمايته من الحسد وطرد الارواح الشريرة وقد وجدت كفوف منها ترجـــع الى الاسرات القديمة وهى

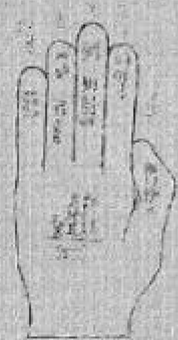
مصنوعة من الخزف الازرق رســـمت على اصابعها الخمسة رموز وطلاسم سحرية وقد اكتشف بترجمة احداها ان الطلاسم ترمز الى معبودات الزمن

فالاصبع الاول يحمل اله الساعة والثانى اله اليوم والثالث اله الشهر والرابع اله اليوم القمرى والخامس اله السنة ويرمز بطن الكف الى البرج ·· و... الطلاسم السحرية التى كان يسجلها الكاهن على كف الحفظ او لوحات التنبؤ التى تعلق فوق الصدر

او أحجبة الرعاية ليرجع اليها الكاهن عند قراءة الطالع او التنبؤ بالمستقبل او لوحات تحديد الايام السعيدة والايام غير السعيدة خلال الشهر ·

فتلك الالهة والمعبودات التى كانت ترسم على أصابع «الخمسة وخميسة» او لوحات التنبؤ تعتبر بالنسبة للناس تعاويذ للحفظ وبالنسبة للكهنة مفتاحا لقراءة الطالع ومعرفة الغيب ·

ان الكثير من تلك الاساطير وعلاقة التنجيم بالزودياك وبروجه عند قدماء المصريين ترجع الى الأسرات الاولى اى قبل زودياك دندرة نفسه بما لا يقل عن ٢٥٠٠ سنة



ب الطالع والتنجيم « الخمسة وخميسة » حساب النجم والبرج من الاصابع الخمسة ودلالتها على ساعة الميلاد واليوم والشهر والسنة واليوم القمرى ...

معبد دندره الذى احتفظ بالزودياك وأسرارها ٤٥٠٠ سنة لتصبح لعبة البخت والطالع لجميع شعوب العالم القديم والحديث

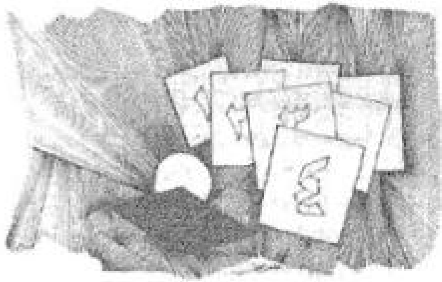


إبراهيم صبري

اليوم الثالث

في ذكرى ٥ يونيو ١٩٦٧

رَفَعَ الأسمالَ عنهُ .. واغتسلْ ومحا عن سَمْتِهِ وشمَ الزَّلَلْ
وأتى الروضةَ .. هيّاب الخطا يمضغُ الخزى . ويجتر الخجلْ
قائلا : يا ليْتَ أفلاكَ الدُّنا طَوَّحتْ بى فى غياباتِ الأزلْ
ليتنى ماجاء بى صُبح .. ولا كان لى فى دوْرةِ الدهرِ أجلْ
كيفَ آتى .. وأنا اليوم الذى لم يَعُدْ لى فى غَدِ النصرِ محل
قالت الروضة: يابْنَ المُنْحنَى وأخا الكَبوةِ فى سفحِ الوحلْ
أنتَ لم تفعَلْ بِنَا ما هالنَا انما فينا ومِنّا من فَعَلْ
ثم أوسعناكَ لوْمًا جامحًا كذئاب تشتكى ظُلمَ الحَمَلْ!
تَلعنُ الأيام .. تَنسى أنّها لم تكُنْ الا وِعاء للعملْ
وتلوم الغصنَ فى مُرِّ الجَنَى وهو مما قد بذرناه حَمَلْ
لم يَجئْنا عبثًا ما جاءنا لا ولا الدهرُ مع الجدِّ هزَلْ
قدْ بذَرنا الوهْم يوما فى الثرى فجَنيناهُ حطاما من فَشَلْ
ونثرنا الحقد فى نهر المُنى فجرعنا السمَّ فى كأسِ العسلْ
وطرَحنا الذِّكرَ عنا جانبا والتمسْنا الهدىَ فى تيه النِّحل
صَوْمًا ـ دون صيام ـ ركّعا سُجَّدًا فى غيرِ فَرْضٍ أو نفل
نكتُم الأنفاسَ زَعْما أننا قد كتَمْناها لنحْيا بالقُبَلْ
فإذا القبلةُ تضحى قِبْلة والذى قبَّل بالوهْمِ قُتِلْ



وصحونا ذات فجر .. لنرى   فارس الأنوار بالبعث أهل
ينبذ الأشواك في جوف الردى   ينبت الأزهار في دوح الأمل
يطلق الطير فتشدو للحمى   وسماء الأمن للروض ظلل
يأنس الكل اليهـا وبهـا   أينما حل .. وأيان ارتحل
ليس يخشى زائر الليل .. ولا   طارق الفجر وصناع العلل
ما عليه ، أو له ، غير الذى   أظهر الميزان حقـا وعدل
فاستقام النهج خطاه وخطـا   وبدا الإيمان علم وعمـل
وإذا الروضة والـكل بهـا   واحد .. واللحن باللحن اتصل
تسمع التاريخ « سيمفونية »   أنصت النصر اليها .. وامتثل
وإذا الخامس من « يونيو » أتى   كصغير ضل فى عرس الأمل
قالت الروضة : يابن المنحنى   وأخا الكبوة فى خطو الزلل
لا تمت خزيا بمـا عـاصرته   فلقد حملت مالا يحتمل
عش شهيد الدهر إنى لم أزل   كعبة التاريخ محراب الدول
ما أتانى مذنب .. إلا جثـا   عند أعتابى فى عزم أشل
تائبا مستغفرا ممـا جنى   يتنشد الموت ويستدعى الأجل
دافنا فى تربتى أطمـاعه   وعليها شـاهد فوق الخطل
هاهنا ترقد أحـلام الأُلى   حاولوا النيل من الشعب البطل

مصطفى
الشهابي

جرت عادة أغلب المؤرخين على اغفال ما حفل به تاريخ العرب قبل الاسلام من مجد وعظمة ، والواقع ان للعرب امجادا قبل الاسلام لا يمكن تجاهلها ، فالحضارات القديمة للعرب بجنوب الجزيرة (معين وسبا وحمير) وبالعراق (سومر وآشور وبابل) ثم للعرب في سوريا القديمة (الانباط وتدمر والغساسنة) واخيرا وليس آخرا تلك الحضارة المصرية القديمة . كل تلك الحضارات وغيرها خير برهان على أن العرب في العصور القديمة كانوا اصحاب عز وسلطان .

سوري على عرش روما

ليس أدل على ما وصل اليه العرب من تقدير لدى الرومان أن البحر الاحمر الذي أحاطت به الدول العربية القديمة ولا تزال تحيط به، هذا البحر أطلق عليه الرومان اسم (*Sinous Arabicus*) أي « الخليج العربي » ولم يطلقوا عليه اسم أحد أباطرتهم كما فعلوا في كثير من الاماكن .. وقد ظل هذا الاسم مستعملا حتى القرن السابع الميلادي . وهذه حقيقة تاريخية جديرة بالفخر ، يجب أن تضمها كتبنا وأطالسنا التاريخية ..

كذلك لم يكن غريبا ان يتربع على عرش روما عرب ، جلسوا حيث جلس يوليوس قيصر وغيره ، وتمتعوا بمثل سلطانه ، ذلك لأن العرب كانوا كما قدمنا موضع تقدير الرومان واعجابهم لذلك فتحت روما أبوابها على مصراعيها للهجرة العربية والسورية .

وابيح للسوريين الانضمام للجيش الروماني . ولشجاعة هؤلاء وبسالتهم كانوا منذ فتح الرومان بلاد الشام يحتلون الدرجة الثانية لجنود روما الممتازين ، وكان لهؤلاء الجنود اثر كبير في الانتصارات التي نالها الرومان في الشرق ، كما وصل بعضهم الى مرتبة قيصر روما ، وفي طليعة هؤلاء فيليب العربي ...

من هو فيليب العربي ؟

لم يختلف المؤرخون في الحديث عن النشأة الاولى لشخصية هامة مثلما اختلفوا ازاء الامبراطور الروماني فيليب الذي اشتهر عند الرومان وغيرهم باسم «فيليب العربي»

فالبعض يقول انه ولد في اللجـــاة في شرق سوريا ، وان اباه كان شيخا من شيوخ العـــرب بحوران يدعى « جوليوس ماريغوس » ولذلك نشـــأ كما ينشأ أبناء الشيوخ أو الاعيـان في تلك الجهات · فارسا مقوارا ، وغذى بلبان الكرم والشجاعة ··

والبعض الاخـر يذهب الى انه ولد في نواحي بصرى التي تعـــرف الان باسم « شهبة » وان اباه كان رئيس جماعة من قطاع الطرق · ومهما يكن من أمر فقد ولد فيليب حـوالي عام ٢٠٤ ميلادية ، ولما بلغ مرحلة الشباب لم يكن من العسير عليه أن ينضم الى صفوف الجيوش الرومانية اذ كانت عائلته قد حصلت على لقب مواطن روماني من أحد الاباطرة السابقين ·



وقد جرت العادة في ذلك العهد على ان يتخذ رعايا الامبراطورية الرومانية البارزين ، من الدول الاخرى ، اسماء لاتينية لتخفي القومية الاصلية التي ينتمون اليها ، لذلك اختلف المؤرخون – مرة اخرى – في الاسم الحقيقي لفيليب قبل ان يلتحـــق بالجيش الروماني، فالبعض يقول انه كان امرأ القيس أو مرقس · وســـــواء أكان اسمه هذا أم ذاك فقد تسمى باسم « ماركوس جوليوس فيليبوس » ، وتدرج فيليب في منـــاصب الجيش الروماني حتى أصبح قائدا بالحرس الامبراطوري الذي كان اهم فــرق الجيش الروماني يومئـــذ ، وكان القائد العام للحرس الامبراطوري هو « تيميسثيرس » الذي كان يتـــولى القيادة العليـــا للجيش ويدير الامر ويوجه السياسة العامة حسبما يريد بسبب صغر سن الامبراطور ، بل بلغ من نفـوذه ان زوج ابنته للامبراطور واصبح صهرا له وفي شتاء عام٢٤٣ – ٢٤٤ مات الامبراطـور الذي كان يوجه الحملة زحفا على طيســفون قاعدة الفرس يومئذ ، وهي التي دعاها العرب مدائن كسرى وفتحوها عـــام ١٦ هـ ···

فلما مات « تيميسثيوس » اختاره الامبراطور جورديان خلفا له ، وبذلك شغل ذلك العربي السوري اكبر منصب في الدولة بعد منصب الامبراطور · وقد وجد بطلنا في هذا المنصب الخطير سبيلا يمهد لتحقيق اهدافه الكبيـرة ومطامعه البعيدة المدى ··

ولم يكن ذلك امرا عسير المنال لذلك

سوري على عرش روما

لان الحرس الامبراطورى كان يتدخل فى الشئون السياسية العليا للامبراطورية ، ومنها عزل الاباطرة وتوليتهم . فطالما عزلوا وولوا بل وقتل بعض الاباطرة الذين لم يظفروا برضا قادة ذلك الحرس وقد ساعد ذلك الحرس على الوصول الى تلك الدرجة من التحكم احيانا فى عرش روما انه كان الحرس الذى يقيم فى روما لحماية الامبراطور . وقد قوى روح الطموح فى نفس فيليب انه كان يومئذ فى الخامسة والاربعين . تلك السن التى يبلغ فيها المرء القوة والتفكير والنضج التى تساعد على تحقيق الامال العريضة

● بين الامبراطور وقائد الحرس

كان الامبراطور الرومانى الذى تولى الحكم عام ٢٣٨ م يومئذ شابا صغير السن فى السادسة عشرة من عمره ، قليل الخبرة ، لا عهد له بالحرب او القتال . بينما كان فيليب رجلا مكتمل الرجولة وبطلا معروفا .

واتجهت انظار الجند الى الفارق الكبير بين فيليب وبين الامبراطور الذى كان يرافقهم اثناء الحرب مع الفرس ، من حيث السن والخبرة ، وتساءل بعضهم لماذا لا يكون القائد المجرب شريكا للامبراطور فى الحكم ، وتجرأ بعضهم على مجابهة الامبراطور بهذا الاتجاه فلم يجد الامبراطور مفرا من الرضوخ .

ولم يلبث الجند أن ثاروا على الامبراطور فى اوائل عام ٢٤٤ م وخلعوه ونادوا بفيليب امبراطورا .. وشعر الامبراطور الخلوع بدنو منيته فناشد الجند ان يبقوا على حياته على ان يكون تحت امرة فيليب . ولكن الجند أصروا على قتله وكان وقتئذ فى الثانية والعشرين من عمره .

ويميل كثير من المؤرخين المنصفين الى ان فيليب لم تكن له ادنى صلة باغتيال الامبراطور لانه لم يلجأ الى تلك الطريقة فيما بعد ، بل قاتل خصومه وجها لوجه ، كما انه كان رواقيا فى فلسفته وتفكيره والرواقيون كانوا ابعد الناس عن الالتجاء الى التحريض على قتل الخصوم او اغتيالهم .

ومهما يكن من أمر فقد اصبح فيليب امبراطورا غير منازع . ورأى من واجبه أن يخطر مجلس الشيوخ فى روما بمجريات الحوادث . فلم يجد الشيوخ مفرا من الاعتراف به امبراطورا . وما كاد فيليب يظفر بذلك الاعتراف حتى بادر الى الصلح مع الفرس ثم قصد الى روما .

وما كاد يستقر به المقام فى روما حتى طلب الى مجلس الشيوخ رفع الامبراطور السابق الى مصاف الالهة .. ثم انصرف الى شئون الدولة فاخذ

يصلح ما اعوج فى عهد من سبقوه من الاباطرة ، فاصدر عفوا عاما عن جميع المسجونين والمنفيين السياسيين ، وحدد الضرائب ، ومنع مصادرة اموال الافراد والعائلات ، والغى السخرة ·· ولم يكن يكترث بما ينقل اليه من وشايات أو يحمله اليه الجواسيس من مفتريات ، ولم ينس ارضاء رجال الجيش فاغدق عليهم العطايا والمنح وشجع بيع الاراضى الى الجنود المسرحين باثمان زهيدة أو اسمية ·

وفى نفس الوقت اعاد النظام بين فرق الجيش وامسك زمامه بيده واخذ بالشدة كل من حاول الخروج على القوانين والعرف ، فلا ابتزاز لاموال الشعب ولا مصادرة لثروات بعض الاغنياء ولا اعتداء على أحد·· الخ، مما جرت به العادة من قبل·· ولكى يعتمد على الشعب – دون الجيش – فى حكم البلاد ، اعاد مجلس الشيوخ ما سلبه الاباطرة السابقون من سلطاته ·· وكذلك اكتسب تاييد المجلس ·

وهكذا نال فيليب محبة رعاياه واصبح يعتمد فى حكمه على تاييد الشيوخ ومحبة الشعب وتقدير رجال الجيش · وبذلك جدد بطلنا العربى فى اسلوب الحكم الرومانى وابتعد بسياسة الدولة الرومانية عن التردى فى مهاوى الظلم والفساد ·

● الاهتمام بموطن الامبراطور ●

ولم يكن غريبا أن يوجه فيليب عناية خاصة الى سوريا حيث موطن أهله وعشيرته ومسقط رأسه ومرتع شبابه ، ولذلك ازدهرت مدن المنطقة التى ولد فيها وكبرت · وابدل اسم بلدة «شهبة» موطن ميلاده الى مدينة فليبوليس أى مدينة فيليبس تخليدا لاسمه العظيم ، وحصنها بسور للدفاع وزينها بالاعمدة والقناطر والاشجار ، وشاد الابنية الضخمة من الرخام الخالص ، وابتنى الحمامات وأجرى المياه اليها من ينابيع بعيدة ، وأمر بأن تكون مدينة بصرى عاصمة المنطقة وجعل منها مدينة رومانية ، أى انه منحها استقلالا داخليا فاصبحت فى درجة بيروت وغيرها ، كما انه رسم هيكل بعلبك على النقود التى سكها ·

● عصر ذهبى لروما ●

وكان من نتيجة السياسة التى اتبعها فيليب أن تمتعت الامبراطورية فى عهده بالهدوء الذى لم يعكر صفوه الا هجمات قام بها البرابرة على حدود الامبراطورية ، ولكن فيليب استطاع بنفسه أن يرد هؤلاء الغزاة بل ويقهرهم ثم يعود الى روما ليحتفل بانتصاره ·

وكانت مصر فى ذلك العهد بعيدة عن ميادين الحروب ، ولذلك لم يصبها ما يصيب البلاد التى تخترقها الجيوش الرومانية فى الذهاب والاياب ·· ومن ثم سادها الرخاء يومئذ أكثر من اية بقعة فى تلك الامبراطورية

ولما كان الرومان قد اصطلحوا على جعل عام ٧٥٣ ق · م تاريخا ثابتا لتاسيس روما ، فقد احتفلوا اكثر من مرة بذكرى التاسيس القريبة ، والتى

كانت تقام كل مائة سنة ، بكل مظاهر الابهة والعظمة .

لذلك احتفل فيليب عام ٢٤٧ م بتلك الذكرى احتفالا عظيما كانت الالعاب الرياضية وفي مقدمتها المصارعة والمجالدة احدى مظاهره ، وكان الاقبال عليها عظيما لطول الفترة بين دوراتها وايمان كل رومانى بانه لن يراها مرة اخرى . يومئذ كانت ساحات روما تعج بالموسيقى والرقص وتضاء بعدد لا يحصى من المشاعل والمصابيح وتقدم فى ساحاتها وميادينها اشهى الاطعمة ، مما بهر الرومان .

وكان المسيحيون يلقون اضطهادا شديدا من قبل اباطرة روما وغيرهم ، غير أن فيليب اظهر نحوهم تسامحا بينا اذ اباح لهم الدعوة الى الدين المسيحى علنا ، دون اية قيود ، مما دفع بعض المؤرخين الى القول بأن فيليب اعتنق المسيحية سرا ، ودليلهم على ذلك انه جرت بين احد آباء الكنيسةفى سوريا وبين فيليبمراسلات فيها شرح للمسيحية وتفسير للانجيل .

ولما كانت العادة قد جرت فى روما حتى عهد فيليب برفع بعض العظماء الى مرتبة الآلهة ، فقد أصدر فيليب امرا بتأليه ابيه ، وبنى له معبدا ، وعين آخا له حاكما على بلاد ما بين النهرين (العراق) ثم رفعه الى مرتبة حاكم على الاجزاء الشرقية . وأخيرا اتخذ منه قائدا للحرس الامبراطورى

وفى نفس الوقت منح ابنه الطفل الذى كان فى السادسة من عمره لقب قنصل واعتبره شريكا معه فى الحكم ... كل هذا وغيره دفع الكثيرين الى الظن بانه كان يسعى الى اقامة اسرة مالكة يتوارث أفرادها عرش روما .

● الثورة على الامبراطور ●

كان من نتائج الاصلاحات التى قام بها فيليب – وفى طليعتها الاعتماد على الشعب دون الجيش فى الحكم – الشعور بالاستياء بين بعض القواد الذين شاهدوا من سبقهم يعزلون الاباطرة ويولونهم فتصيبهم ترقية أو هبة مالية أو الاثنتانمعا ، ولذلك بدأت الاضطرابات فى صفوف الفيالق الرومانية المعسكرة فى مختلف ارجاء الامبراطورية وتطورت الى الحد الذى نادت فيه بعض اقسام من هذه الجيوش بأحد قوادها امبراطورا ، وبلغ عدد من نودى بهم اباطرة ثلاثة . وكان فى طليعة حركات التمرد والاضطراب ما قامت به الفرق الرومانية المعسكرة فى الدانوب ، اذ نادت بضابط صغير يدعى مارينوس امبراطورا

ولما علم فيليب بتلك الحركة رأى اعتزال الحكم رغبة فى حقن الدماء وخوفا مما سيسود الامبراطورية من فوضى تمزق أوصالها . ولذلك بادر

سوري على عرش روما

الى مجلس الشيوخ حيث أعلن قراره

ولما كان فيليب قد أعـــاد لمجلس الشيوخ هيبته وسلطاته فقد ســاد الوجوم جميع الاعضاء عندما ادلى اليهم بقراره ، ولكن احـدهم وهـو « ديقيوس » انقذ الموقف بأن ناشـد الاعضاء التمسك بالامبراطور فيليب ، وندد بالحركة التى نادت بمارينوس امبراطورا وذكر انها اضطراب مؤقت سينتهى او سحابة صيف ستنقشـــع قريبا ، وان القائمين بالحـــركة هم انفسهم الذين سيقضون على مارينوس الذى نادوا به امبراطورا ٠

وفعلا تحقق ما ذهب اليه ديقيـوس فان فرق الجيش التى نادت بمارينوس امبراطورا لم تلبث بعد بضعة ايام حتى غدرت به واغتالته ٠

واعجب فيليب بديقيوس لبعد نظره وصدق ظنه ، وراى فيه الرجل الوحيد الذى يمكن ان يعهد اليه بايقـــاف الاضطراب الذى حـــدث بفرق جيش الدانوب واعادة النظام الى صفوفها ، ولذلك عينه قائدا له ، وتردد ديقيوس فى القيام بتلك المهمة وحاول التخلص منها ، ومن الطريف انه نصح فيليب بان يعهد بقيادة الجنود المتمردين الى قائد ماهر ، ولكن فيليب اصر على قراره ٠٠

وصح ما توقعه ديقيوس ، ذلك ان الفيالق التى تولى قيادتها ما لبثت ان نادت به امبراطورا ، ولكنه تردد أو أظهر التردد ، فخيره الجنود بين قبول العرش أو القتل ، فاضطر ان يستجيب ونودى به امبراطورا ٠٠

ولكى يحفظ علاقته الطيبة بفيليب وثقته به ، بعث اليـــه رســـالة سرية يطمئنـــه فيها ويؤكد له ولاءه واخلاصه ويعده بأنه سينتهز أول فرصة ليتنازل عن ذلك العرش الذى اضطر مرغما الى قبوله ٠

ولكن فيليب لم يصدق ما ورد فى تلك الرسالة ولذلك عجل بحشد جيش كبير يقضى به على تلك الفيالق الثائرة التى يرأسها ديقيوس ٠

وفى شمال ايطاليا التقت جيـوش فيليب بجيوش ديقيوس ودارت رحى معركة انتهت بمقتل فيليب وانهـزم جيشه فى أواخر عام ٢٤٩ م ٠٠

وما كاد مقتل فيليب يصل الى روما حتى بادر الحرس الامبراطورى الى اعلان انضـــمامهم الى ديقيـوس الامبراطور الجديد كما قاموا بقتـل ابن فيليب الصغير ٠٠

وبعد ٠٠٠

٠٠٠ فلم يكن فيليب الامبراطـور العربى الوحيد الذى تربع على عرش روما ، بل سبقه الى ذلك اسرة سورية عربية تولى افرادها الحكم من عام ١٩٣ ـ ٢٣٥ م ٠٠ وبعض هؤلاء لا يقل شأنا ومجدا عن البطل فيليب العربى الذى ادار شـــئون الامبراطورية الرومانية فترة من اصعب ما مر بها، وكانت ادارته مثلا يحتذى فى العدل والحزم ٠٠٠

أمانى فريد

يتأثر الادب فى كل قطر بالعوامل الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، وفى دول جنوب شرق آسيا الاسلامية ، مثل اندونيسيا وماليزيا ، نجد أن العوامل الكثيرة المتباينة تاريخية وسياسية - كان لها اثرها فى صبغ الادب بصبغة متشابهة ، خاصة وان الاستعمار الاوربى والهولندى فرض وجوده على هذه المناطق لبضعة قرون ...

نظرة على الأدب فى آسيا

تتكون ماليزيا - الدولة - من اتحاد فيدرالى يضم ثلاث عشرة ولاية ، تشكل قسمين رئيسيين هما غرب ماليزيا ويشمل احدى عشرة ولاية .. وشرق ماليزيا ويشمل ولايتين ، هما سراواق وصباح .. وهما مقاطعتان فى جزيرة بورنيو.

وتبلغ مساحة ماليزيا ١٣٠٫٠٠٠ ميل مربع تقريبا وتقع قرب خط الاستواء .. ولقد اثبتت البحوث الاثرية وجود حياة بشرية فى شرق ماليزيا منذ اكثر من خمسين الف سنة قبل الميلاد .. كما ثبت انه كانت هناك صلات تجارية قديمة بين التجار المسافرين من جنوب الصين والهند وفارس وبلاد العرب وبين سكان ولاية قدح فى شمال غرب ماليزيا ، وكذلك فى جنوب « جوهور » .

وقد وصل الاسلام الى غرب ماليزيا بواسطة التجار المسلمين ، وفى منتصف القرن الرابع عشر كان الاسلام قد استقر وثبتت اركانه فى أجزاء

من شبه جزيرة الملايو « غرب ماليزيا » وفى غضون ذلك قام « بارامسوارا » بتأسيس سلطنة « ملقـــا » : ويعتبر عصره العصر الذهبى لها ونقطة هامة فى تاريخ ماليزيا — وفى عام ١٤١٤م اعتنق « بارامسوارا » الدين الاسلامى ومنذ ذلك التاريخ اصبحت « ملقـــا » مركزا لنشر الاسلام ··

ثم بدات طلائع الاستعمار الاوربى باستيلاء البرتغاليين على « ملقا » فى عام ١٥١١ م · ثم استولى عليهـــا الهولنديون عـــام ١٦٤١ م ونجحت بريطانيا فى عام ١٧٨٦ م فى تأسيس مستعمرة « لشركة الهند الشرقيــة » فى غرب ماليزيا ، واخذ الاســتعمار البريطانى يزحف ويحكم ماليزيا حتى عام ١٩٥٧ ، حيث استقلت شبهجزيرة الملايو ، وقامت بعد ذلك دولة ماليزيا فى عام ١٩٦٣ ·

وقد كان عهد الاستعمار الانجليزى بداية لهجرة عدد ضخم من الصينيين



عثمان اوانج : من الشعراء اللامعين فى ماليزيا

والهنود استقروا فى ماليزيا واصبحوا يشكلون جاليات كبيرة تعيش جنبـــا الى جنب مع ابناء البلاد الاصليين وهم سكان الـملايو وبعض الطوائف الاخرى واصبح شعب ماليزيا يضـم خليطا من عدة اجناس ، هى : الملايو — وهم الاغلبية — يليهم الصينيون ثم الهنود والعـــرب والاوربيون وبعض الاجناس الاخرى ·

والماليزية هى اللغـــة الوطنية فى دولة ماليزيا ، وتستعمل كلغة للاتصال والتفاهم ، وقد اصبحت منذ عـــام ١٩٦٧ اللغة الرسمية الوحيدة للبلاد باستثناء ولايتى صباح وسراواق ·· وفى قطر متعدد الاجناس مثل ماليزيا لابد وان يكون هناك عديد من اللغات واللهجات التى يستعملها الســكان ، كالصينية والتاملية والهندوستانية ·

واللغة الماليزية — وتسمى الملايوية — هى اللغة الرسمية ولغة الادب ، وتعتبر من أهم اللغات التى لعبت دورا هاما فى جنوب شرق آسيا ، فحينمــا كانت « ملقا » مركزا تجاريا وملتقى التجار القادمين من الشرق والغرب ، كانت اللغة الملايوية هى لغة التفاهم والتخاطب بين الاجناس المختلفة ·

وخلال العصور التـــاريخية التى توالت على ماليزيا تكون الادب وتأثر بثقافة كل عصر ، فهنـــاك جانب من التراث الادبى سابق على عصر التدوين ·· وكان يتناقل شفهيا ، ويتمثل فى بعض الاساطير والحكايات الخرافية وكذلك الامثـــال ، ثم هناك التراث الادبى الذى ادركه التدوين ويمثـــل جانبا كبيرا منه القصص والحكايات المترجمة عن الادب الهندى القديم الذى

نظـــرة على الأدب في آســيا

يحمل طابع الثقافة الهندوكية والبوذية .. كما يمثل جانبا آخر من التراث الادبى الماليزى بعد دخول الاسلام ، ويحمل الكثير من آثار الثقافة العربية والفارسية ..

ثم يمر الادب فى عصر الاستعمار الغربى بتطور كبير لاسيما بعد ظهور الصحافة واتساع افقها واتخاذها منبرا للادب والأدباء والشعراء الذين أسهموا بقسط وافر فى التعبير عن شئون الحياة المختلفة بالقصيدة والمقال والقصة القصيرة والرواية الطويلة .

ومن فنون الادب التى غزر الانتاج فيها حديثا الشعر المرسل المتحرر من قيود الوزن والقافية مع التحرر أيضا من قيود المعانى والافكار والاغراض القديمة ، وان كان يزدان بخط من الموسيقى الداخلية والايقاع غير المضطرد وغير التام فى القوافى .

ويمكن القول بأن بواكير الشعر الماليزى الحديث بدأت تظهر بعد الحرب العالمية الاولى ، حيث أخذت آفاق جديدة تتفتح فى سماء الفكر والفن .. وتمثل الفترة من الحرب العالمية الاولى الى الحرب العالمية الثانية مرحلة زمنية تميز الشعر الماليزى فيها بخصائص ، ثم جاءت فترة الاحتلال اليابانى الذى انتهى مع



حبيبة : اديبة من ماليزيا تؤمن بالقلم

نهاية الحرب العالمية الثانية وتعتبر هى الاخرى مرحلة متميزة فى الادب الماليزى .

ومن ادباء ماليزيا اللامعين الشاعر عثمان أوانج المعروف باسم « تونج كات » ، وهو شاعر وقصاص وكاتب مقال ، ولا يزال يسهم بقلمه فى الصحافة الماليزية ، وكان يعمل من قبل فى الشرطة ، ثم تفرغ للعمل الصحفى منذ عام ١٩٥٠ حيث عمل محررا بكبرى الصحف اليومية الملايوية . وانتخب اكثر من مرة رئيسا لاتحاد الكتاب الملايويين . وهو أيضا من ابرز ادباء جيل ١٩٥٠ ، ويتجه ادب هذا الجيل ومنهم شاعرنا عثمان اوانج الى تصوير أحوال المجتمع تصويرا واقعيا صادقا يكشف عما فيه من نقص وفساد فى المجالات المختلفة ، كما أنه يتحتم على الادب أن يرفع راية الكفاح من أجل العدالة والاصلاح والحرية والانسانية .



سلمى : الكاتبة تعمل بجهود في الادب الماليزى لتطويره وتحديثه

وفيما يلى ابيـــات مترجمة من قصيدة له بعنوان زهرة الخشخاش « Bunga Popi » يخـــاطب المستعمرين فيها ـ فيقول :

ايها الانسان المجنون ·· شيطان الحرب ··· قاتل السعادة

تشعل الحـــرب لتجنى من لظاها مستعمرة جديدة

تشعل الحرب لتحرق بلهيبها فى المهد اطفالا عديدة ··

تشعل الحـــرب لتصلى بنارها انفسا حرة وتفنى حضارة مجيدة

❋❋❋

زهرة الخشخاش يا رمز اشـــلاء الضحايا المتناثرة على ارض القتال

يا زهرة الدمار الحمراء تتدافـــق مفعمة بالرعب ووحشية النضال

نحن شعب نمقت الحرب ·· نبغض الدمار وتشريد الاطفال ··

نحن شعب يتعطش للسلام ·· سلاما دائما يملا السهول ويعلو الجبال

وفى مجال الحـــديث عن الادب الماليزى فى السنوات الاخيرة ، هناك باكورة من الاديبات الماليزيات تبشر بالخير ، منهن القصاصتان حميدة وسلمى ، وهذه اسماء مستعارة لهما فى الكتابة ، وقد اشتركتا فى ندوات ادبية تناولت البحث فى الادب الماليزى الحديث والقديم ·· وهناك ، سيتى حواء صالح ، من الكاتبات الحديثات المتخرجات فى الجامعـة وهى تكتب مقالات فى المجـلات الادبية كمجلة « ديوان ساسترا » ـ اى مجلة الادب

❋❋❋

هذه نظـــرة عاجلة على الادب الماليزى ، ننتقل منها الى الحديث عن الادب الاندونيسى ·

ان اللغة الاندونيسـية تتكون من خليط من اللغة الاوستروتوزية التى يتحدث بها الاندونيســيون ومن الموليتازية ·· والاوستروتوزيون هم القوم الذين قدموا من جزيرة مدغشقر واستـوطنوا فى جزيرة باسى ، ومن جـــزيرة فرموزا ، تايوان ، حتى نيوزيلندا ··

واللغة والادب الاندونيســيين قد تأثرا عامة بالادب الهندى السنسكريتى وبالادب الاسلامى ·· وقد دخل الاسلام اندونيسيا فى القرن الخامس عشر ، وكان الادب يحفل بتصوير حيـــاة السلاطين والامراء ، اما فى الفترة التى سبقت العهود الاسلامية فقد تأثر الادب

الاندونيسي بالادب الهنــــدي مثل المهــابراتا ·· وهي القصص التي تتحدث عن الحروب الهندية ··

وكما أن الادب واللغة الماليزيين قد تطورا بعد دخول الاسلام الى ماليزيا ·· فأن مثل هذا قد جرى ايضا على اللغة والادب الاندونيسيين ، اذ انهما يرجعان الى أصل واحد ، لوقوعهما في منطقة واحدة ، ولتعرض هاتان الدولتان لمؤثرات اقليمية وســياسية وثقافية واحدة ·

ولما جاء القرن العشرون واعلنت حروب الجهاد في أندونيسيا ، ونالت البلاد بعد ذلك استقلالها ـ أصبحت اللغة الاندونيسية هي اللغة الرسمية للبلاد ، وتم الاعتراف بها في مختلف الاوســـاط ، وقد ساعد على قيام حرب التحرير التي ربطت بين الجزر المختلفة المؤلفة لدولة أندونيسيا ، كما أن الاعتراف بها لغة رسمية للبلاد كان له ايضا اثره الكبير في زيادة ارتباط اهالي الجزر المختلفة ·

والادب في أندونيسيا تأثر بالظروف السياسية للبلاد ، وعلى هـــــذا الاساس يمكن أن نقسم الأدباء والكتاب في أندونيسيا الى ثلاث مجمـوعات ظهرت في ثلاث فترات متعاقبـــة خلال هذا القرن ·· الفترة الاولى تبدأ في أوائل الثلاثينات · وتضم الكتاب الذين نشروا انتــاجهم حتى قيام الاستقلال عام ١٩٤٥ ، ومعظم هؤلاء الكتاب من المسلمين أمثال « سلطـان تقدير على شهبنا » و « أمير حمزة » وهما من الكتاب القصــاصين الذين كتبوا عن حياة الناس في ذلك العهد ووصفوا الحياة تحت الحكم الهولندى وما كان يلاقيه الشعب من عذاب ·· وكانت سمة الكتابة في هذا العهد هي اليأس وتصوير عذابات الشعب وبؤسه ·· نرى هذه الروح واضحة بصورة بينة في كتاب من أهم ماكتبه « سلطان تقدير على شهبنا » المعروف باســم « العذاب الدائم » والذى نشر عــام ١٩٢٨ ··

ومن المؤلفين القصصيين المرموقين في تلك الفتـــرة « اخديات ـ ك · ميهارجا » وسوف تعرض لاعماله فيما بعد ·

أما الفترة الثانية وهي التي جاءت مع الاستقلال ـ أي منذ عام ١٩٤٥ ـ فقد ظهرت فيها سمات جديدة للادب الاندونيسي ، سمات للادب المتحرر من كل قديم في اللغة والافكار وفي طريقة التعبير ، وأدباء هذه الفترة ، وعلى رأسهم القصاص الشاعر « خيــرى الانور » تأثروا بالادب الغربي وخاصة الانجليزى والهولندى ··

والفترة الاخيرة ـ وهي الفتــرة المعاصرة ـ بدأت بعد الخمسينات ، وفيهـــا تخلصت كتـــابات الادباء والشــعراء وافكارهم وآراؤهم من النظرة السوداء القاتمة ، فلم يعودوا يتحدثون عن العـــذاب أو الالام بل

نظــــرة
على الأدب
في آســـيا



اخديات : الوان الحياة والمجتمع والناس في اندونيسيا

اخذت كتاباتهم تتأثر بروح الحرية التى نعموا بها ، ومن امثال هؤلاء الشاعر « ك · هـ ـ رمضان » والشاعر « ر · س ـ رندرا » ·

ومن أشعار « ك · هـ · رمضان » نقدم مقتطفات من قطعة شعرية بعنوان « أغنية من اجل النسيان » :

ان الله الذى خلق الفن والارض
وخلق المروجات والنار وما حولنا
والذى خلقنا نحن الاحياء
يحبك ويحترمك الى الابد
أيها الانسان ···

وفى السماء حيث تتطاير وريقات الشجر
وحيث القمر والنجوم التى تدور فى فلكها

نجد فيها مصائر البشر

***

ان اسمك منقوش على كل بناء
وعلى كل نجاح ايها الخالق
يا من فعلت العجائب بقدرتك

لم تسع فى ذلك الى مجد او ذكرى

***

ان نبات الارض والانهار وكل ما فى الوجود ملكك

انت الذى يقود العالم الى حياة المستقبل

لا احد غيرك يستحق هذا المجد والعظمة

فانت الاساس وانت القمة وانت كل شيء

اما الكاتب « اخديات » فقد وضع عدة مؤلفات كان آخرها قصة بعنوان « غبار الحب المتناثر » وقد كتبها فى سيدنى باستراليا حيث أمضى عدة سنوات · ويتناول فيها حياة أندونيسى يعيش فى استراليا وتصطدم ظروف الحياة فيها بمعتقداته التى تتعارض مع افكار وآراء اهل هذه البلاد ، ولكنه يعالج مشاكله بأسلوب كله حب وود ··

اما كتابه الاول المسمى « أتياس » ليعرض لحياة شاب أندونيسى ريفى مسلم تتجاذبه موجة المدنية الحديثة والافكار المتحررة ، وقد ترجم هذا الكتاب الى اللغة الانجليزية ، ويدرس للطلبة فى استراليا ·· وتمثل كتابات « اخديات » وقصصه الوان الحياة والمجتمع والناس فى بلاده ـ اندونيسيا ـ والعوامل النفسية المختلفة التى تعرض لها الاندونيسى فى مجتمع بلاده فى فترات الانتقال المختلفة من حياة الاحتلال الاجنبى الى حياة الاستقلال ··

مراح الصبا

أحمد عبد المجيد

الصبرُ إلا عن هواكِ جميـــلُ
ورضاكِ إن ضنَّ الزمانُ بديلُ
يا أنسَ أيامي جفـــاكِ مذلّةٌ
ورضاكِ إن يوماً بذلتِ بخيـــل
ولكم يَعزُّ الصبر في دنيـــا الهوى
وتَقَادُمُ عمري في هـــواكِ قليلُ
وخبرتُ كلَّ كريمـــةٍ وضنينةً
لكنَّهُ ضنك مفــــردٌ وأصيلُ
يا من خفضت لها الجناح مُعزّةً
صوني وفاءً ليس منــــه قبيلُ
في معبدي ناجيت طيفَكِ خاشعاً
وندايَ في سَمْعِ الدُّجى ترتيلُ
إصغي إلى همسي اذا وافى الدُّجى
فالليل بين العاشقين رســـولُ

النرجس النعسان هدهده الندى
وندَاكِ عندى يومَ صفوكِ نيلُ
وجفاكِ معلوم المطالعِ سابقٌ
وصفاكِ إن يوماً رضيتِ عليلُ
صونِي هوًى أنا ما عرفتُ له مدى
إن حالَ ضوءُ الشمس ليس يحولُ
إن عزَّنى فى الحب قلبٌ مُعرضٌ
فالصبر إن عزَّ النصيب طويلُ
أحيا به ، بعذابهِ ، بسرابهِ
والحبُّ لا يُبقى عليه مَلولُ
وسواى مغلوبٌ فقلبُك نافرٌ
وعَصِيُّ حبِّك ليس منه مثيلُ
أحيا بقلبٍ تشتهى دقاته
لو أنها نطقتْ ، لرحْن تقول :
يا طيبَها حرَقَ الجوى عندالنوى
وجواكِ موفور الأذى موصول
وأغارُ منها وهى فى نبضاتِها
نشوانةٌ ، تخشى الهوى ، وتميلُ
فترقْقى بصريع حبٍّ صابرٍ
وتخيَّرى فسواه ليس خليل
وتزوَّدِى بالصدِّ حتى ينجلِى
من حول عشقكِ مُغرمٌ وعذول
فأهيم وحدى فى الشقاءِ منعماً
وشقاءُ حبِّكِ وارفٌ وظليلُ

قصة

حسن عبد المنعم

شهيدة حب

عزيزتي نجوى ... لم أجد وسيلة أخرى غير الكتابة . أشرح لك بها موقفي . ولا يضيرني ان اعترف لك أنت بما لم اعترف به لانسان . لاعز انسان يمكن ان يلجأ اليه الانسان عندما يحركه الكرب ويسد عليه منافذ الحياة ـ لأبي او لأمي فانهما يجهلان تماما ما ابوح به لك اليوم كتابة .. لانني لم أجد الشجاعة ـ وانا الذي يصفني زملائي الطيارون بشركة مصر للطيران بانني اشجع الشجعان واثبت من قاد طائرة من أي نوع سواء الكوميت ، او البوينج ، او الاليوشن، او الـ « تي ـ يو » في سماء اوربا العاصفة ابان اشد الشهور ضراوة او في سماء شرق اسيا . اثبتهم جنانا وتمالكا للاعصاب وهدوءا .. لم أجد الشجاعة اليوم لمواجهتك بهذه الحقيقة ...

لقد تذكرين انني سألتك احيانا وبصورة لا اعلم اذا ما كانت قد استرعت انتباهك واثارت في صدرك الشامخ شيئا أو هاجسا معينا ، عما اذا كنت تحبين الاطفال ...

والحقيقة انني ـ رغم دقة الملاحظة عندي لانها من مقومات عملي في الطيران ـ لم ألحظ ان سؤالي كان يمثل بالنسبة لك شيئا مستغربا ، ذلك انك كنت تبادرين بالاجابة وقد عبرت بقسماتك موجة من حمرة الورد :

ـ طبعا احبهم موت!

ولم تكوني تعلمين أن هذه الكلمات الثلاث التي كنت تطلقينها من ثناياك العذاب هي بمثابة قذائف ثلاث تنطلق من بندقية يصوبها غريم الى صدري والى احشائي ، كنت احس في ثناياها قرارا بالاعدام على الحب الذي جمع بيني وبينك ، او على الاصح على الحب الذي تسلل الى قلبي واستولى على كل ذرة في كياني بالنسبة لك يا اغلى الناس عندي .. ولعلك تذكرين كيف بدأ وكيف نما وأورقت شجرته في قلبي حتى اصبح يحتل كل الحنايا والزوايا في صدري .

كان ذلك منذ ستة اشهر وكنت اقود الطائرة المصرية المتجهة الى دمشق . وخرجت من غرفة القيادة لاقضي ضرورة وحين تخطيت الباب الذي يفصل بين الركاب وبين مرافق الطائرة وازحت الستار، لمحتك وانت جالسة في مقعدك ووجهك ممتقع وعيناك مضطربتان وقد رفعتهما اليّ وهما يحملان لونا من التوسل او لونا من الاستنجاد لم اخطئه، ولم يكن جديدا علي ، فقد ادركت على الفور انك خائفة ...

وكان الذعر في عينيك اجمل ذعر رأيته في العيون ، أو اذا شئت الحقيقة فقد كانت عيناك اجمل عينين مذعورتين رأيتهما ... ومن اجل ذلك توقفت واقتربت منك وقد انسيت تماما

ما كنت قد تركت غرفة القيادة لاقضيه .ومددت لك يدي وانا اطل في عينيك بنظرة اطمئنان ولعلك تذكرين انك دون أن تفكري قد اعطيتني يدك ، وما أن تلقيتها

واحسست ببرودتها حتى تأكد لي أنك خائفة ... وبادرتك يومها قائلا على مسمع من الركاب المحيطين بنا :

ـ انا قائد الطائرة ممدوح عزمي .. يبدو

انك خائفة . أهذه هي المرة الاولى التي تركبين فيها الطائرة ؟

ولم تجيبي أو لم تستطيعي الاجابة ، اما لان الخوف كان مستبدا بك الى درجة لم تسمح لك بالنطق ، واما لانك كنت تتمتمين بآيات من القرآن . ولكنك اومأت برأسك ايجابا . وابتسمت ابتسامة الواثق ، وكانت يدك لا تزال في كفي . وقلت :

ـ لا داعي للخوف .. هل تعلمين ان الطائرة تسير وحدها ؟

وهززت رأسك المتوج بشعرك القسطلي تكذيبا لقولي فأقسمت لك أن الطائرة تسير وحدها لانني قائدها ، وقد تركت غرفة القيادة بعد ان ضبطت مفاتيحها

وضوابط السير فيها ، وانه لا داعي للخوف . ثم انهضتك من جلستك

ودعوتك لتتأكدي بنفسك وترددت يومها بعض الشيء وشجعك الركاب على الاستجابة ، فقد كانوا يدركون مبلغ خوفك وكانوا يعتبرون

تصرفي محاولة، تشكر وتذكر لي بوصفي المسئول الاول عن سلامتهم .ولم

تلبثي أن استجبت ، وكانت يدك ما زالت في راحتي وقد اخذ الدفء

يسري في انامـلك ، ولعله انتقل اليها من الدفء الذي احسست به يومها يغمر قلبي . .. وسمعت صوتك لاول مرة وانت تنهضين وتقولين :



ـ أنت تضحك مني ·
لا بد أن مساعدك هناك يقود الطائرة !

وسحبتك من يدك الى غرفة القيادة وهنـــاك استبدت بك الدهشـــة بدلا من الخـــوف حين وجدت انني صانق، وانه لم يكن هناك احد على المقعدين الخـــاليين ، فجلست على مقعدي وأجلستك على المقعـــد الخالي وكأنني اجلستـــك يومها على قلبي ·

واخذت اشرح لك بعض الاجهزة المتعـــددة التي كانت امامي على لوحة القيادة واسترعي نظرك الى جمال المنـــاظر التي نعبرها من اراضي مصر ونيلها متجهين صـــوب البحر ···

ولقد اعترفت لي فيما بعد بانك لاول مـــرة احســـست بالطمـــانينة

تزحف على صـــدرك الواجف · بل ولعلـــك لا تنكرين انك صارحتني

منذايام بأن ذكرى هذا اللقاء فوق الســـحاب لا يمـــكن أن تنمحي من ذاكرتك ، وانك تمنيـــت أن نظل كلانا نحلق في أجواز الفضاء في رحلة لا تنتهي ··

وحين اعدتك يومهـــا الى مقعـــدك مع الركاب كان من الواضح لهـــم جميعا انني اورخت روعك وانني ازلت مخاوفك ·



شـــهـيـدة حـــب

واستطاعوا أن يلمسوا ذلك بصورة أوضح حين تقدمت الضيفة ووضعت

امامك طاولة الطعـــام وبدأت تتنـــاولينه وقد اختفت من عينيك النظرة المذعورة التي كانـــت تقلق جمالك الاخاذ ·

وعلمت يومهـــا انك تسافرين بالفعل للمرة الاولى الى دمشـــق لزيارة شـــقيقتك التي تزوجت هناك في سورية منذ أيام الوحدة ·والتي عاشت هناك وانجبت من

الاولاد ثلاثة وكـــانت تزوركم بانتظـــام في القاهرة ، ثم دعتـــك وأصرت على دعوتـــك لزيارتها وقضاء فترةمن عطـــلة الصـــيف في ضيافتها ·

يومها ولد الحب في قلبي ··· حب لم أعرفه من قبل · على الرغم من انني عرفت قبـــل هذا اللقاء العشرات والأبالغ

اذا قلت ومن مختـــلف الجنسيـــات ، ولم يكن مرجع هذا لانني « دون جوان » أو لانني «عمر ابن أبي ربيعة » ، وانمـــا مرجعه هذه المهنة التي امتهنتها بعـــد أن يئس أبي وأمي مـــن اقناعي بامتهان مهنـــة اخرى ·

ذلك انني الولد الوحيد عنـــدهما الى جانب شـــقيقتي · ولم يدر بخلدهما على الاطلاق أن يكون مصير هذا الولد الوحيـــد معلقا بمصـــير

طائرة ، وانمـــا كانت امنيتهما أن أصبح طبيبا كأبي او مهندساكخالي، أو وكيلا للنيابة اذا لم يستطع مجموع درجاتي في العلوم والرياضـــة أن يتيح لي فرصـــة الالتحاق بكلية الطب او كليـــة الهندسة ، ولكنني خذلتهما وحصلت على الثانوية العامة بمجموع هزيل، ولم يجدا مناصا

من الخضـــوع لرغبتي الملحة في دراســـة الطيـــران المدني فالتحقت بالمعهد ،ولاول مرة أظهرت تفـــوقا والتحقـــت بشركة مصر للطيران ، واســـتطعت خلال ســـنوات قليلة ان اصبح من ألمع طياريهـــا

وأن أتولى قيادة أحدث الطائرات وعلى ابعـــد الخطوط ، واخرها الخط الذي يربط القـــاهرة بالشرق الاقصى ··

وعلى الرغم من اننى سببت لهما ولشقيقتى « وفاء » الوانا من القلق والترقب كلما سافرت حتى اعود ، الا اننى فى نفس الوقت قد ملأت حياتهم بكل طرائف الدنيا حديثا وفعلا .. فقد نقلت اليهم من اطراف هذا العالم كلما كانوا يحلمون بالحصول عليه سواء من المعلومات او من الهدايا ... وكان راتبى الذى احصل عليه من الشركة يفيض عن حاجتى ... وكانت علاقاتى بالناس تزداد ، وكلما قمت برحلة من رحلاتى العديدة الموفقة خرجت من الرحلة بصديق جديد او بصديقة . اما الاصدقاء فقد كان يربطنى بهم انى طالما حملت لهم الرسائل والادوية التى يبعثون بها الى احبابهم فى مصر اما الصديقات فلم اكن فى حاجة لان يربطنى بهن اكثر من شبابى الذى بدا مع هذه المهنة وانا فى الثانية والعشرين .

وخلال الاعوام العشرة التى انقضت على عملى بالشركة تعرفت على العشرات من النساء ومن كل الجنسيات ، وكانت لى معهن مغامرات ... اما انت فحين التقيت بك ومنذ التقيت بك لم يكن لى معك مغامرة وانما كان لى معك هذا الشيء الذى لم احسه من قبل ولم اعانه مع احد سواك . ذلك الشيء الذى ادركت انه الحب ..

يومها وانت تغادرين الطائرة فى مطار دمشق حرصت على أن اقف عند باب غرفة القيادة حتى اراك وانت تغادرين الطائرة ، وحرصت أنت والحق يقال على أن تتلمسى الى ووجهك يتهلل ويدك ممدودة وانت تهتفين :

ـ اشكرك ياكابتن ممدوح .. الف شكر .. ربنا معاك ...

وانتهزت الفرصة وانا اربت على يدك ولا اطلقها . وقلت :

ـ هل تسمحين برقم تليفون البيت حتى اطمئنهم عند عودتى اليوم الى القاهرة ...

ولم تترددى ، وجازت عليك الحيلة ، فاعطيتنى رقم التليفون واسم الوالد ، ثم هبطت سلم الطائرة ، واحسست لاول مرة بهبوط فى القلب . ولعلنى لم اخف عليك اننى حين عدت الى القاهرة كنت لا ازال احس هذا الاحساس ، وانتى لاول مرة اذهب تلقائيا الى طبيب الشركة لاطلب اليه ان يجرى لقلبى اختبارا ... واستغرب الطبيب فان هذه الاختبارات تجرى على الطيارين فى مواعيد دورية . ولكنه استجاب لطلبى . وبعد الاختبار اكد لى ان قلبى والحمد لله كقلب الحصان .

ولا اخفى عليك اننى عشت طوال الشهر الذى تغيبته عند شقيقتك فى دمشق مضيعا كانى فقدت شيئا اساسيا فى حياتى . ولقد حاولت ان اضعك ضمن العشرات اللاتى عرفتهن من قبل فلم استطع . بل حاولت ان انساك ، وادرت بينى وبين نفسى الوانا من الحوار . احاول بها ان اقنع نفسى بان الذى احسه نحوك عارض من عوارض المجهول الذى يحلو فى عين الانسان حتى اذا ما اصبح معلوما فقد سحره وانقضت اللبانة منه ..

وكنت اتذكر عينيك الذعورتين فاضحك . واتذكر كيف استطعت ان ابعث فيهما الطمأنينة فانتشى . ورحت ابحث بين صديقاتى عمن يمكن ان تشبهك . او ان تعوضنى عنك . والتقيت باحداهن واتفقت معها على قضاء يوم منذ الصباح الباكر الى الليل المتأخر فى « شاليه » تعودت أن استعيره من

أحد الأصدقاء في صحراء الهرم . وكان هذا « الشاليه » أشبه بالجنة الصغيرة بكل ما زوده صاحبه من أسباب الراحة والمتعة . وكانت في شرفته أرجوحة يطيب لي أن أجلس فيها مع صديقتي أعني الصديقة التي اختارها، ونعود أطفالا نعبث كما يحلو لنا العبث . وحين يتحول الكبار الى عبث الاطفال فانهم يجيدون العبث . ويومها أخذت صديقتي وذهبنا في سيارتي الصغيرة ، مع مشرق الشمس ، وعندما أوقفت السيارة تحت المظلة التي الحقها صاحبي بالشاليه وقفزت لافتح باب السيارة واسحب صديقتي من يدها ، كانت أناملها باردة من تأثير برودة الصباح البكر . ولكن برودة أناملها كانت كافية لان تعيد الى ذاكرتي البرودة التي أشاعها الخوف في أناملك .. وحين تطلعت الى وجهها ولم أجد انه وجهك احسست ساعتها بالغربة أو بالاستغراب، وكدت أصرخ في وجهها متسائلا :

— من أنت ؟

وربما أدركت صديقتي بحاسة التجربة التي كنت زائغ البصر، فقد حدقت في وجهي وتساءلت :

— أنت مرهق فيما يبدو . أن الطيران المتصل قد بدأ يؤثر عليك ..

ثم اغرقتني في عناق طويل من باب السيارة الى شرفة « الشاليه » حيث سقطنا متعانقين فوق الارجوحة .

وانقضى الشهر الذي كان مقررا أن تمضيه لدى شقيقتك في دمشق، ووجدت في نفسي الشجاعة أن اتصل بمنزلكم في رقم التليفون الذي كنت محتفظا به ، وتحدثت الى والدتك وقدمت لها نفسي ، فتذكرت حديثي السابق حين تحدثت اليهم أطمئنهم على وصولك الى دمشق ، وسألتها اذا ما كانت تريد أن احمل لها رسالة الى دمشق ، فعلمت منها دون أن تقصد موعد عودتك .. ورتبت مواعيدي حتى أقود الطائرة التي ستحملك في العودة الى القاهرة . ولعلك تذكرين كيف ارتسمت على أساريرك أمارات الدهشة وأنت تصعدين سلم الطائرة وتلتفتين بدافع مجهول أو معلوم صوب غرفة القيادة ، وإذ تجدينني هناك تتقدمين نحوي . ولم استطع يومها أن أخفي الفرح الذي تصبب فرادته فجأة في أعماقي ، وقمت التقط يدك وكدت احتضنك لولا شيء من الاعتبار ، وقلت مهللا وكأننا نعرف بعضنا من سنين :

— أهلا يا نجوى ..

واجبت في ود متحفظ

— أهلا كابتن ممدوح

— أما زلت تخافين الطيران ؟ ..

— أنا لا أخاف الطيران معك يا كابتن ممدوح .

ونسيت يدك في يدي وأحسست ساعتها أن الدفء يسري من كيانك الى كياني ، وأنني استمد من هذا الكيان أشياء أخرى أبلغ من الدفء أو أغلى من الحياة . وهل هناك أغلى من الحياة الا الحب ..

وفي مئات المرات التي قدت فيها الطائرات لم استشعر هذا الاحساس بالمسئولية الذي استشعرته يومها وأنا أقود الطائرة البوينج التي تحملك يا حبيبتي لاعود بك الى القاهرة .. وتذكرت حوارا دار بيننا نحن الطيارين بالشركة حين علمنا أن السلاح الجوي البريطاني هو الذي تصدى لنقل قطع آثار توت عنخ امون الى لندن مبالغة في الاحتياط ، وكنا نتحدث عن مبلغ احساس طياريه بمسئوليتهم عن هذا التراث الذي لا يقدر بمال ولا يمكن أن يعوض . ولست أخفي

عليك أنني أحسست وأنا أقود الطائرة عائدا بك من دمشق باحساس يتجاوز ذلك الذي كنا نتخيله بالنسبة لكنوز توت عنخ آمون .

وعدنا لنبدأ قصة الحب كأروع ما تكون.. ولعلك لم تنس أول لقاء لنا في القاهرة ، فقد تواعدنا على أن نلتقي في المعرض العام للفنون التشكيلية ولم أكن من هواة الفنون أو من رواد المعارض ولكن الفكرة كانت من بنات أفكارك وكانت تمثل

حبك للفن وتنبيء عن ذكائك المتوقد ، فالتقينا وكان اللقاء محض المصادفة ، وظللنا يومها ندور على كل لوحة من لوحات المعرض ونقف بإزائها ، ويحسب الآخرون أننا من عشاق الفن أو من أربابه وأننا مستغرقون في نشوة الحب الذي أورق

شهيدة حب



في صدورنا ونما نموا عجيبا ...

والتقينا المرة الثانية في مكان لا يخطر على البال . لا اخالك تنسين هذا اللقاء . وكان الاقتراح من جانبي . وكنت أحاول أن أباريك في اكتشاف أماكن للقاء لا تثير الشبهة أو تدفع الى القيل والقال ، ويومها هتفت من خلال الهاتف وأنت تستحسنين اقتراحي :

– يا خبر يا ممدوح، انت رائع ...

والتقينا صباحا في الكاتدرائية المطلة على النيل في نهاية شارع رمسيس وكان موقعها القريب من نهاية مترو مصر الجديدة ييسر عليك الوصول اليها . وكنت قد وضعت سيارتي

الصغيرة عند هذه النهاية ووقفت أترقبك حتى رأيتك تهبطين من المترو ، فاتجهنا الى الكاتدرائية ودخلناها ضمن المصلين واشتركنا

في القداس متجاورين ثم جلسنا على المقعد متجاورين . ولم يلق أحد بالا الينا ونحن غارقان في أحاديث القلب وهل تحلو هذه الأحاديث في مكان أعرق من بيت من بيوت الرب .

وتعارفنا وأصبح كل منا يعرف عن الآخر كل

شيء ... وتصارحنا بصورة كانت تبدو لكلينا عجيبة أو غريبة ، فقد حكيت لك عن أبي الغارق في طبه وفي أبحاثه وفي مرضاه ثم في نادي السيارات ليلا

حين يلتقي بالأصدقاء وبالصديقات أيضا وبكئوس من شراب يزعم أنها تفيده وتلائم سنه وتذيب الكولسترول في دمه .

وحكيت لي عن والدك اللواء بالشرطة الذي تقاعد وهو في سن الخمسين وأصبح طاقة معطلة بعد أن كان طاقة مشتعلة ، وهو يقضي أوقاته متنقلا بين صالة جروبي مصر الجديدة أو قاعيات نادي الهليوليدو أو محلات

بيع الانتيكة وبيوت الأصدقاء وتعجبين كيف تهدر هذه الطاقات والبلاد في حاجة لتجنيد كل الطاقات للانتاج والخدمات .

وحكيت لك عن شقيقتي الوحيدة التي تزوجت منذ سبع سنوات زواجا موفقا من أحد أصدقائي المهندسين ولكنها لم تنجب له بنتا ولا ولدا ، وقد أنفقا كل مدخر من المال وكل ما فاض من أوقاتهما في استشارة الأطباء ثم استشارة العرافين ، وقد

اجمعوا على انه لامانع لديها ولا مانع لديه من الانجاب ، ولكنهما على الرغم من ذلك لم ينجبا وصارحتك بانني بدأت أتوجس من هذا الحال واتوقع من زوج شقيقتي أن يفكر في الزواج من امرأة أخرى . وانني أحاول بكل وسائلي أن اصرفه عن هذا التفكير

لانني لا اتصور أن تواجه شقيقتي هذه المحنة .. ولعلك تحسبين أن هذا هو السبب الذي كان يدعوني لأن أسألك اكثر من مرة .

– هل تحبين الاولاد يا نجوى .. ؟

وكنت تبادرين الى الاجابة وموجة السرور توشح قسماتك :

– طبعا ... أحبهم موت .

ولم تكوني تعلمين أن هذه الكلمات تعني بالنسبة لي اكثر ما تعني التعريض بعقم شقيقتي وبعجزها عن أن تعطي زوجها بنتا او ولدا ..

وتأكد الحب الذي ربط بين قلبينا ... وجاهرنا باللقاء . وكان اكثر لقاءاتنا في نادي

الجلاء وهو اقرب المواقع الى بيتكم ،وفي ستريو المطار وهو اقرب المواقع الى مكان عملي

وانقضت الاشهر الستة التي بدا بها ملتقانا كأنها ست ساعات من حلاوة المذاق وكأنها ستة أعوام في عمق المعرفة . وبدأت افكر في تتويج هذا الحب بالزواج ولم اكن قد فكرت في هذا من قبل ... قبل ان اعرفك وحين التقيت بالعشرات من قبلك ولم أكن حتى لأسمع لكلمات والدي وشقيقتي وخالاتهم يلحون على ان اتزوج وان استقر على شريكة للحياة وان افرحهم بمولود انجبه ليملأ حياتهم التي خلت من الاطفال .. كأنما الحياة اذا خلت من الاطفال ليست حياة .. كانوا يلحون وكنت ارفض مجرد التفكير فيما يلحون فيه . وكنت ازعم لنفسي وازعم لهم انني احيا دون أن ينقصني شيء . أملك شبابي وأملك مرتبي الكبير وأملك عملي كطيار مرموق، وأملك العشرات

شهيدة حب



من الصديقات من كل الالوان والجنسيات وهن يمنحنني كل ما يصبو اليه الرجل ، ثم لا احمل لهن هما ولا اتحمل عنهن مسئولية . ولا يسببن لي صداعا . لانني لا أخدعهن في عهد ولا اخون لهن ودا على طريقتي في الفهم . وكن راضيات قانعات مقتنعات بأن هذه الفلسفة التي انادي بها هي فلسفة العصر أو فلسفة اللحظة

ومع ذلك فقد تغير حالي بعد أن عرفتك او بعد ان احببتك ، والية الرانا من هذا التغير لماها تدهشك ولعلها لا تملؤك زهوا .

لقد اصبحت لا انتظر لقاء بصبر نافد الا لقاءك ... وكل لقاء عداه يهون !

لقد اصبحت لا اتوقع صوتا عبر الهاتف الا صوتك ... وكل صوت عداه نشاز !

لقد اصبحت لا استيغ ملمسا كلما صافحت انسانا الا ملمسك ... وكل ملمس سواه ثلج! لقد اصبحت اجد الدنيا فراغا لا يملؤه الا انت.

والتقيت ذات مرة بصديقة كنت اعشقها وانتشي بين ذراعيها وأبلغ قمة النشوة في احضانها وتراءت لي صورتك وهي بإزائي في ذروة اشواقها فاذا بي

الله رغبتى تمــــاما . يومها بلغ بها الغيظ حد البكاء وبلغ بى العجب وانت ماثلة فى خيالى حد الضـــحك . ولم يسعفها الموقف باكثر من قولها :

– علام تضحك ؟ ... على خيبتك ؟ ..

ومنذ تلك الليلة لم التق بها او بسواها من النســاء ، وترهبت فى مذبحك ...

ومنذ ايام وكنتـــــــــ تجلس فى ركن من اركان السترينو بالمطار لم اجد بدا من سؤالك .

– نجوى . هل عندك مانع ان تتزوج ؟

وخفضت عينيـــــك ورفعتهما والقيت بهمـــا فى اعماقى ، وقلت :

– ابدا يا معدوح . تحت امرك ..

وقلت وانا اتعمــــد ان اضغـط على حروف كلماتى :

– بكل عيوبى ؟

وقلت والاقتنــــاع واضح فى كلماتك :

– وبكل محاسنك ؟

واردت ان ارضى نفسى او اقنع نفسى .

– امتاكدة انت من ان عيـــوبى لا تصرفك عن الزواج منى ؟

وقلت انت فى نقـاء حبك :

– ومن هو الخــــالى من العيوب ؟ لســـنا ملائكة ..

وقمنا متابطين ، وانا احس سعادة الدنيــــا تتغلغـــــل فى كيانى . وتواعدنا على لقــــاء اليوم فى النادى ..

والتقينا .. وجلسنا الى المائدة المفضلة التى اخترناها دائما للقيانا. وكان العشـــب الاخضر ينبسط تحت اقدامنا يحمل اخضرار الحيـــــاة وحوض الزهـــور تتعانق به ازهـــــــار البســلة والبانســـيه والنـرجس وتضوع المكان بانفاسها العاطرة وطلبنا شرابنا المفضـــــل من العصير وبدانا نتحدث فى خطوات الزواج . ونتفق على الموعد الذى ساتقدم فيه الى والدك ومعى والدى وبدا لنا ان الامر سيكون مجرد تمثيلية او اجراء شـــكلى . لان الاغنية القديمة التى سمعناها من التراث تقول « ابوها راضى . وانا راضى . ومالك انت ومالنـــــا يا قاضى » . وضحكنا وكانت راحتاك فى راحتى تذكراننى باول لقاء لنــا على الطائرة المسافرة الى دمشق . وفجـــاة عبرت طفلة انفلتت من يد ابيها واقبلت تجرى نحوك ، واذا بك تسحبين يديـــــك دون ادراك وتمدينهمـــــا نحوها وقد فتحت ذراعيك واذا بها تندفع بين ذراعيـــــــك فتحملينها الى صـــدرك وتســـتقر فوق حجرك وتغمرينها بقبلاتك ...

ولا ادرى ولعلك انت ايضا لا تدرين ما الذى الم بى ساعتها ، فقــد صرخت فى وجهك لاول مرة ادعوك للتخلى عن هذه الطفلة واعادتهـــــا فورا الى ذويهـــــــا . واذهلتك صرختى ، بل واذهلك اكثر ما استبان لك فى وجهى وفى عينى من امارات الغضب .. واستبانت لى دهشـــتك الغـــــامرة والالم الذى ارتسم فى عينيك وانت تصدعين لامرى وتحملين الطفلة برفق تحاولين به ان تخففى من وقع صراخى على مسمعها ثم تطلقينها نحو ابيها ..

وحاولت ان استدرك وان اعتذر وحاولت ان تعرفى اسباب هذا التغير المفــــاجىء . ولـــــم يقنعك ما انتحلته مــن الاسباب ولم يقنعنى انا ايضــــا . وحاولت ان اصارحك بالحقيقة :

ولكننى جبنت . اجل عــــــزيزتى وانا الذى ينعته زملاؤه الطيارون باشجع الشجعان .

جبنت عن مصــارحتك وافترقنا .. وتواعـــدنا



شهيدة حب

على اللقاء غدا لنستأنف الحديث وستجدين خطابى هذا بدلا من شخصى ليصارحك بالحقيقة :

منذ اعوام كنت اعمل على خط الطيران — القاهرة — روما — باريس — لندن — وكنت راضيا كل الرضا عن عملى على هذا الخط الذى يتيح لى ان التقى فى كل رحلة بهذه العواصم الاوروبية الثلاث . بما فيها وبمن فيها ، وكان لى فى كل عاصمة اصدقاء وصديقات وكنت استمتع بصداقة الصديقات الى أبعد الحدود ..

ولم يكن من بين هاتيك الصديقات من استرعى انتباهها شيء فى غمار المتعة سوى صديقات لندن فقد لاحظن ان هناك شيئا يستحق الملاحظة ولم يكن فيما لاحظنه شيء

يقلل من متعة الحب وممارسته ولكنه كان فى نظرهن يضع سؤالا يحتاج الى الاجابة ، واصررن على نصيحتى بان اعرض الامر على احد الاطباء المتخصصين

ولم اجد غضاضة فى الاستجابة لنصيحة الصديقات اللندنيات وعرضت حالتى واجريت الفحوص العملية التى نصح بها الطبيب . وكانت نتيجة الفحوص ان النطفة عندى لاتتحمل بذور الانجاب . وان ثمة سائل حمضى يندفع من النطفة فيقتل البويضة عند المرأة .. وبذلك فاننى لا يمكن ان انجب يوما من الايام .

وعلى الرغم من ان الامر لم يكن يمثل فى نظرى كارثة فى ذلك الحين الا ان افكارى اتجهت الى خيبة الامل التى تسببها هذه الواقعة لوالدى ولوالدتى وكلاهما يعلق الامال على نواجى وعلى الذرية التى سوف اهديها لهما . ودعانى ذلك لمزيد من الفحوص ومن الاستشارة ، واتفقت النتائج .. واقتنعت بعدها بانه لا معنى للتفكير فى الزواج

ثم التقينا .. وربط الحب بين قلبينا .. وقد أصبحت تمثلين بالنسبة لى الحياة ، ولكننى لا أستطيع ان أخدعك بعد اليوم ولا استطيع ان اوقعك فى حبائل الزوجية . بعد ان اوقعتك فى شراك الحب ، ويعلم الله اننى لم اقصد الى الايقاع بك ولكننى احببتك . كما لم احب انسانا من قبل بل لعلنى لم احب انسانا من قبل .

انتى اضع هذه الحقيقة المفجعة امامك . وبعد ان شاهدت اليوم مبلغ حبك للاطفال فاننى لا اقبل منك تضحية يمليها عليك الحب أو يفرضها عليك الاشفاق .

وانما ارجو المغفرة عما بدر منى اليوم حين صرخت فى وجهك

يا احب الناس ..

ممدوح ..

« دفعت الى الانسة نجوى بهذه الرسالة وهى تجهش باكية تلتمس عندى الرأى ، قلت لها ان تدعوه لمقابلتى . قالت وما عساك ان تقول له . قلت ادعوه الا ييأس من رحمة الله . وان يتقدم بعد ان يهدأ قلبه وليكن ذلك بعد عام من الزمان لكى يتزوج من ارملة احد ابطالنا من الشهداء الذين تركوا اولادا صغارا فى حاجة الى الابوة . وليتخذ منهم اولادا له وسيجد فى قلب ارملة الشهيد الوانا من الحب .. »

قالت الانسة نجوى :

وانا ؟

قلت : شهيدة حب .

هـــاروت
هاشم رشيد

شعراء فلسطينيون

احدثت نكسة حزيران ١٩٦٧ هزة مريرة في النفوس فقوضت اركان الضعاف وجرجرتهم الى تيه غريب مظلم حالك شائك وبعثرت امانيهم ، وشلت اقلامهم، وهدت جدران تطلعاتهم فاذا هم عمى لا يبصرون الا ما يريد لهم العدو ان يبصروا ، وصم لا يسمعون الا ما يريد لهم الغاصب ان يسمعوا .

وقد شاعت بعد حزيران افكار، ومبادىء، ونداءات واحكام استهدفت تقويض الانسان العربي من داخله، واشاعة الريبة والشك والانهزام في ذاته ، وضربه ضربة قاصمة تلقى به شلوا ، ممزقا ، مضيعا لا ماضي ، ولا حاضر ، ولا مستقبل له ..

وفي غمرة هذه الموجة التي ركبها كل متسلق دعي نهاز ، طحنت الكلمـــة الشريفة وغاصت لتستقرفي الارض وتترك الزبد يرغي بكل ما لديه ، وما عنده من غثاء . فاذا بها تطوى فيما تطوى ذكر الشـــعر الفلسطيني المجاهد . وتتناساه ، وتفتح على مصراعيها ابوابا جديدة تدعي انها شيء آخر ما كان ولن يكون مثله قط ..

مجاهدون

وفلسطين ، هذا الوطن المقدس الذي أراد له الله ان يكون مهبط الوحي والالهـــام والقداسة ... بطبيعته المبدعة سهولا خضراء تمتد وتمتد مدى البصر . وجبالا تطاول السماء شموخا وعلوا وجمالا وأنهارا تتدفق ، وغورا وقاد الشمس، وينابيع سلسالة .

هذا الوطن فلسطين ، بخصبه ... وسمائه ... بصيفه وشتائه وربيعه وخريفه ... بتاريخه بحضـــارته بامجاده ... بمدنه بقراه لا يمكن الا يكون مهبطا للشعر والالهام ، ومرملهم الانبياء . والحكماء . والشعراء عبر التاريخ كله ..

ورغم الظروف الطاحنة التى وضع فيها هــذا الوطن الصغير ، ورغم ما أحاط به من جشع استعمارى كاشر الانياب . رغم كل ذلك تمكن ان يكون جزءا نابضا من الوطن العربي يشاركه فى ثقافته . وتقدمه . وحضارته .

ولو حاولنا ان نتابع الحركة الشعرية فى فلسطين التى يحاول المشككون ان يطمسوها . ويتناسوها في حملة الطمس والتناسى لكل ما هو خير فى أمتنا فكرا وتراثا وتاريخا وثقافة ـ لوجدنا ان الكلمة المجاهدة فى فلسطين اشرعت لواءها منذ الاحتلال العثماني فوقفت في وجهه . وقاتلت فى سبيل اجلائه . وصمدت أمام محاولات التتريك .. والافنـــاء . والذوبان وانتصرت دائما ..

وقد برز من الشعراء فى ذلك العهد ما قبل النهضة ، وفى مرحلة الانتقال عدد من الشعراء منهم سعيد الكرمي ومحمد أسعاف النشاشيبي ، ويولس شحاده واسكندر الخورى البيتجالى ، وابراهيم الدباغ، وابو الاقبال اليعقوبى وقد كانت اغراض الشعر وثيقة الصلة بالحياة ، داعية الى الحرية ، متطلعة الى الاســتقلال حاثة على الجهاد والنضال من أجل حياة افضل .

يقول سعيد الكرمي من سجنه فى قلعة دمشق بعد ان حكم عليه الاتراك بالاعدام ثم خفف الى السجن المؤبد لشيخوخته :

ظلمــوا والله فيما حكمــوا
حــين القوني بسجن ابدى
كــذبوا والله فيما زعمــوا
ليس في العالم فيه سـرمدى
ويلهم اذ انهم ما علمــوا
ان مولاى غدا معتمــدى

●●●

وتعجب للـذى قـد عملوا

شعراء فلسطينيون مجاهدون



عبد الرحيم محمود : فخور بأمته متمسك بانتسابه لها

من فعال ذكرها يبكي العباد
ويلهم كم من برىء قتلوا
واستباحوا نهب اموال العباد
وعن العدل بقصد عدلوا
واذا هم كل يوم بازدياد

ويقول محمد اسعاف النشاشيبي :

يافتاة الحي جودي بالدماء بدل الدمع اذا رمت البكاء
ان الاستعمار قد جاز المدى دون ان يعدوه عن سير عداء
ان هذا الداء قد امسى عياء فتلافوه سريعا بالدواء

وتقع فلسطين تحت الاحتلال البريطاني ... ويقف اللنبي عندما يدخل مدينة القدس ليقول : (اليوم تنتهي الحروب الصليبية) وتبدأ مرحلة جديدة للصراع الدامي على ارض فلسطين ، فاذا الوطن الوحي الملهم تكسوه غلالة دامية داكنة تشد عيون الملهمين الى الجهاد ، فتطلب منهم القتال من اجل الوطن من اجل الحياة . من أجل ان تكون اولا تكون ... وتأخذ الكلمة مكانها رصاصة في فوهة المدفع توجه الى صدر الغاصب ، ويتبلور دورها ، ويحقق اثرها ، فهي البيان السري الذي يحض على الثورة ، وهي الخطيب الثوري الذي يجلجل بالجهاد . وهي الراية التي يلتقي تحتها المقاتلون ، وكما تلمع اسماء المقاتلين بالرصاصة فتقدم الشهداء مواكب لا حصر لها . كذلك يشرق في سماء فلسطين نجوم الكلمة وفرسانها من المقاتلين تحت لوائها من أجل الوطن وحرية الانسان .

● ابراهيم طوقان ●

ويأتي صوت ابراهيم طوقان مشاركا وطنه همومه ، وأحزانه وآلامه ، محرضا على الجهاد داعيا له ، مقاتلا في سبيله فيكتب عام ١٩٢٨ :

كفكف دموعك ، ليس ينفعك البكاء ولا العويل
وانهض ولا تشك الزمان فما شكا الا الكسول
واسلك بهمتك السبيل ، ولا تقل : كيف السبيل
ما ضل ذو امل سعى يوما وحكمته الدليل
كلا ، ولا خاب امرؤ يوما ومقصده نبيل

وفي صيف ١٩٢٩ حاول اليهود الاستيلاء على ابراق (حائط المبكى) فثار العرب في فلسطين وقتلوا عددا من اليهود ، وقدموا عددا من الشهداء فالقت السلطات البريطانية القبض على بعض الشباب العرب وحاكمتهم واصدرت

احكام الاعدام على الشهداء الثلاثة : فؤاد حجـــازى من صفد ، ومحمد جمجوم وعطا الزير من الخليل .

وفى نهار الثلاثاء السابع عشر من حزيران ١٩٣٠ نفذ حكم الاعدام فيهم فى ثلاث ساعات متوالية ، أولهم فؤاد حجازى وكان المقرر رسميا ان يكون عطا الزير ثانيهم ، ولكن محمـــد جمجوم حطم قيده ، وزاحم رفيقه على الدور حتى فاز ببغيته واعدم قبله .

وهنا ينبرى الشاعر الوطنى المقاتل ابراهيم طوقان ليكتب قصيدته الخالدة (الثلاثاء الحمراء) وليلقيها بعد عشرة ايام فى حفلة لمدرسة النجاح بنابلس ، يقول بعد المقدمة عن الساعة الاولى :

انا ساعة النفس الابية ، الفضل لى بالاسبقية
انا بكر ساعات ثلاث كلها رمز الحمية
بنت القضية ان لى اثرا جليلا فى القضية
اثر السيوف المشرفية والرماح الزاعبية
اودعت فى مهج الشبيبة نفحة الروح الوفية
لا بد من يوم لهم يسقى العدا كاس المنية
قسما بروح (فؤاد) تصعد من جوانحه زكية
تاتى السماء حفية فتحلجتها العلية
ما نال مرتبة الخلود بغير تضحية رضيه
عاشت نفوس فى سبيل بلادها ذهبت ضحية

ثم يصور الساعة الثانية والساعة الثالثة ثم يرثيهم ثلاثتهم فى نهاية القصيدة : ـ

اجســـادهم فى تربة الاوطـــان
ارواحهم فى جنة الرضـــوان
وهناك لا شـــكوى من الطغيـــان
وهنـــاك فيض العفو والغفـــران

ولا تجتذب ابراهيم الاحزان ولا تشده المناصب بل هو دائما المقاتل من اجل بلاده ،

ان قلبى لبـــــلادى لا لحـــــزب او زعيـــم
لم ابعه لشـــــــقيق او صــــــديق لى حميم
غايتى خـــــدمة قومى بشــــقائى والنعيم

ويتنبأ الشـــاعر بالغد المظلم لما يحيط بالبلاد من تآمر وتناحر ، ويحـــذر وينذر ، ويرى بعينه النافذة الغد بكل ما فيه :

امامك أيها العـــرب يوم تشيب لهوله سود النـــواصى
وانت كما عهـــدتك لا تبالى بغير مظاهـــر العبث الرخاص
مصـــيرك بات يلمسه الادانى وســـار حديثه بين الاقاصى
فلا رحب القصـــور غدا بباق لســـاكنها ولا ضيق الخصاص
لنـــا خصـــمان : ذو حول وطول واخر ذو احتيال واقتنـــاص
تواصـــوا بينهم فاتى وبالا واذلالا لنـــا ذاك التواصى
مناهج للابادة واضـــحات وبالحســـنى تنفذ والرصاص

ويقول فى (الفدائى) :

لا تسل عن ســـلامته روحه فوق راحتـــه
بدلته همـــومه كفنا من وســـادته ،

شعراء فلسطينيون مجاهدون



ابراهيم طوقان : مقاتل دائما من اجل وطنه

يرقب الساعة التي   بعدها هول ساعته
شاغل فكر من يراه   باطراق هامته
بين جنبيه خافق   يتلظى بغايته
من رأى فحمة الدجى   أضرمت من شرارته
حملته جهنم   طرفا من رسالته
هو با لباب واقف   والردى منه خائف
فاهدئي يا عواصف   خجلا من جراءته
صامت لو تكلما   لفظ النار والدما
قل لمن عاب صمته   خلق الحزم ابكما
واخو الحزم لم تزل   يده تسبق الفما

ويواصل ابراهيم الجهاد بالكلمة الجارحة الصادقة المخلصة من اجل وطنه وبلاده حتى توافيه المنية عام ١٩٤١ في ريعان شبابه .

● عبد الرحيم محمود الشاعر الشهيد ●

وفارس آخر من فرسان الكلمة المقاتلون بها ، والمؤمنون برسالتها والمقدسون لطهرها وشرفها الشاعر عبد الرحيم محمود ابن قرية عنبتا من قرى طولكرم ، رفيق ابراهيم طوقان وصديقه وزميله ، تخرج في كلية النجاح وعمل شرطيا ، ولكنه سرعان ما ترك العمل حينما طلب منه مطاردة الثوار ، عمل مدرسا في مدرسة النجاح ، وعندما التهبت ثورة ١٩٣٦ ترك التدريس وانضم الى صفوف المجاهدين ، فطاردته حكومة الانتداب

ولما الحت عليه بالمطاردة اتجه الى العراق والتحق بالكلية الحربية في بغداد حيث تلقى تدريبات عسكرية تعينه على مواصلة الجهاد في سبيل وطنه وامته ، عمل مدرسا في العراق ثم عاد الى وطنه فلسطين فعمل مدرسا في مدرسة النجاح التي تخرج فيها في مدينة نابلس ، وظل مدرسا حتى عام ١٩٤٨ انتظم في صفوف المجاهدين والتحق بجيش (الانقاذ) برتبة ملازم، وخاض عدة معارك الى ان استشهد في معركة (الشجرة) بمنطقة الناصرة

ومن روائعه التي تحدد مسار حياته والتي تعمق مفاهيم الجهاد في وجدانه والتي تعبر أصدق تعبير عنه وعن ايمانه الراسخ بأمته وتاريخه ووطنه قصيدة (الشهداء) :

سأحمل روحي على راحتي   والقي بها في مهاوي الردى
فاما حياة تسر الصديق   واما ممات يغيظ العدا
ونفس الشريف لها غايتان   ورود المنايا ونيل المنى
وما العيش ؟ لا عشت أن لم اكن   مخوف الجناب حرام الحمى
اذا قلت اصغى لي العالمون   ودوى مقالي بين الورى

ويتنبأ الشاعر بمصيره الذى هو غايته السامية ، وتتكشف أمامه حجب

الغيب فيرى بعين الشاعر ما يخبأ له في طيات الغيب :

لعمرك اني ارى مصرعي   ولكن اعد اليه الخطا
ارى مقتلي دون حقي السليب   ودون بلادي هو المبتغى
يلذ لأذني سماع الصليل   ويبهج نفسي مسيل الدما
لعمرك هذا ممات الرجال   ومن رام موتا شريفا فذا
بقلبي سارمي وجوه العداة   فقلبي حديد وناري لظى
واحمي حياضي بحد الحسام   فيعلم قومي بأني الفتى

ويرى الشاعر المشارك لشعبه وأهله في سرائهم وضرائهم حمالا ميتاً في حيفا يمر به الناس فلا يأبهون ،فيقول :

قد عشت في الناس غريبا وها   قد مت بين الناس موت الغريب
والناس مذ كانوا ذوو قسوة   وليس للبائس فيهم نصيب
لو كنت في حبك شانئهم   لولولوا حزنا وشقوا الجيوب
لكنك الحمال ، لم يطمعوا   فيه ولم يخشوا الاذاة الرهيب

وهو الفخور بأمته ، المتمسك بانتسابه لها :

ان تسالوا : عني الى من انتمي :   فاني رعاة النوق والاغنام
ابغير مجد بني نزار ويعرب :   يزهى عراقي ويفخر شامي

وهو اذ يضرب المثل ، أروع المثل في الفداء ، يحث على الجهاد ويدفع قومه اليه ويفخر بشعبه الذي يقاتل معه ويشاركه جهاده الصامد الصابر :

لشعب تمرس بالصعاب   فلم تنل منه الصعاب
متصبره لم يرض يوما   ان يقر على عذاب
عرف الطريق لحقه   ومشى على الجدد الصواب
الحق ليس براجع   لذويه الا بالحراب
والحملة الشعواء تجدي   لا التلطف والعتاب

فالشاعر المجاهد مواكب لمسيرة أمته وشعبه بروحه وقلبه ··· ووجدانه ومشاعره واحاسيسه ··· لايبخل حتى بدمه وروحه فهو ابنها البار الصادق العهد ، الصادق الوعد · ولقد كان عبد الرحيم محمود مثلا رائعا في التضحية والفداء والالتزام ·· الالتزام بدينه · فهو الشهيد في سبيل الله ·· ولوطنه · فهو المقاتل من اجله ·· ولامته ·· فهو راية مرفوعة وكلمة مسموعة ·· تصم اذان العدو المستعمر الغاصب ،وتواجه رصاصه الغادر بالصدر المفتوح المتحدي ذلك هو عبد الرحيم محمود الشاعر المجاهد الشهيد ···

●●●

هذه جولة اولى مع كوكبة من الشعراء المقاتلين بالكلمة على أرض فلسطين العربية المقدسة ، وهناك آخرون كثيرون غيرهم حملوا اللواء وقاتلوا تحت ظله وكانوا الجذوع التي نمت عليها اغصان الشعر الفلسطيني واوراقه ، والتي اعطته النبض والحياة والثرته بالتراث الخالد ، ومدت له مسالك الرشاد ، وجعلت منه نبراسا للمجاهدين ·· ومنارا يهدي خطاهم لمواصلة الجهاد حتى يتم التحرير والنصر ، وترتفع التكابير على مئذنة الاقصى وتطهر الارض المقدسة من رجس الغاصبين ·

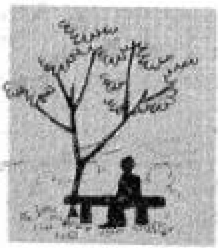
ومثلما هزت نكسة حزيران النفوس وزعزعت الثقة واتاحت للمشككين فرص الانتهاز والتسلق والعبث

يأتي السادس من أكتوبر المنتصر تحت لواء الله اكبر ، ليرد الثقة ، ويعيد الامل ، ويمحض الريب ويهزم الفوضائية · ويعيد الامور الى نصابها ·· ويشرق الوجه وترتفع راية الجهاد·

وما اروع الجهاد في سبيل نصرة الحق ·

تعالى إلى

جليلة رضا



مع الليل أصغى اليه يحوم حول الديار ويغزو الحديقه
ومن ثقب بابى أراه يسير على العشب فى خطوات رقيقه
ويبعد عنه أكف الغصون وقد طوقت فى عناد طريقه
ويقرص خدا لزنبقة .. ويغمض أعينها المستفيقه
ويحنو على الفل فى فرحة . ويعبث حينا بصدر الشقيقه
ويحضن أذرع لبلابة .. تمطت أمام الفضاء ، طليقه

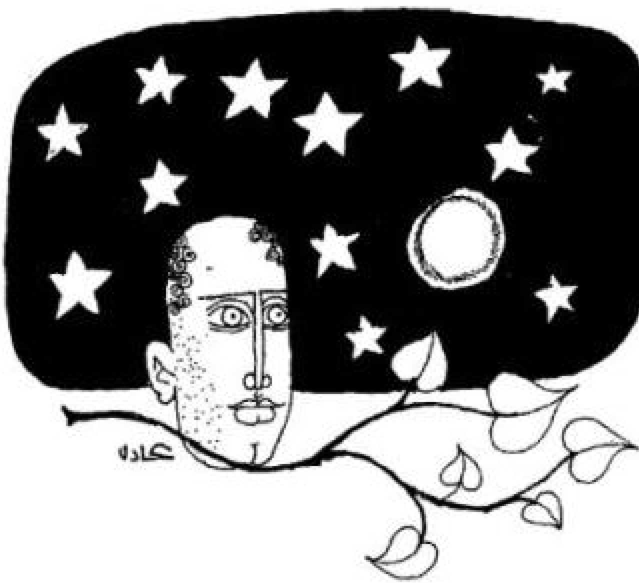
***

هناك على مقعد من رخام ، أرى الضيف تحت ظلال الشجر
ولا شىء يؤنس وحدته .. سوى الليل فى صمته ، والقمر
ونبشة طير عصاه الرقاد ، وأنات عود هوى ، يحتضر
ويعلو النداء عميقا رهيبا ، كصوت السماء ، كصوت القدر
تعالى الى لكى تسعدى ... فإنى الحياة لكل البشر
وإن لم تجيئى سآتى أنا ... وفى كل ليل هنا ... أنتظر

وأنسى المشيبَ وعبءَ السنين ، وأنشدُ لحني وأشعاريا
وألبسُ ما عزَّ عندي وراقَ ، وأعقصُ شَعْري بمرآتيا
وأملأُ كأسَ الغريبِ بشوقي ، وأملأُ كأسي بأحلاميا
ومن ثقبِ بابي أراهُ أمامي .. فيهبطُ قلبي لأقداميا
وتبدأُ حربُ الصراعِ الرهيبِ ، وأُحكمُ إغلاقَ أبوابيا
ويرجعُ ضيفي بغيرِ لقاءٍ ... حزينا . ويهجرُ بستانيا

***

وفي الصبحِ أفتحُ بابي الكبير ، وعبر الحديقة أقفو خطاه
فيهمسُ غصنٌ الى جارهِ ، وترنو الخمائلُ لي في انتباه
وتبدو الحديقة في زهوِها ، قد استقبلت في الظلام الاله
فمن كلِّ ركنٍ تهادى عليه ، وفي كل وجه نباتٍ رآه
يشعُّ ضياءٌ .. ويسرى عبيرٌ ، وتدفق من جانبيه المياهُ
فأذكرُ أني سمعتُ الغريب ، ينادي « أنا الحبُّ .. إني الحياه »





براغيث البحر

حسين المهدى الغنام

من الحقائق العلمية المعروفة ان هنـــاك حشرات مائية تشـبـه الاســماك تعيش عالة على فصائل الحيوانات المائية العليا ، مثـل برغوث البحر الـذى يعيش عالة على اسماك القـرش ، وهى مـن اعلى انواع الاسـماك البحرية ، وان كانت اشرسها واخطرها على المخلـوقات البشرية والحيوانية ، ولاتسلم الجمادات كذلك مـن شرورها !

كما توجد حشرات مائية تشبه الاسماك ، فهناك حشـــرات ادمية تشبه الانسان ! وهذه الحشرات الادمية تشبه براغيث البحر تماما ·

فبعضـــها يعيش عالة على بعض الناس الذين يشقون طريقهم في الحياة بقوة العزيمة والســاعد والعصامية والنضال الفكرى الجبار ·

والامثلة على ذلك كثيرة فى الشرق والغرب ·

ولكنى سأقتصـر على ضرب اربعة امثلة من تلك الحشرات المـائية فى مصر الحديثة ، والامثلة الاخرى تعد بالعشرات ، نراهـــا كل يوم بل كـل ســاعة ، ولكن هذه الحشرات المائية تعتبر من أخطرها لانهـــا تعرف كيف تتغلغل بين مختلف الاوســـاط الفنية والادبية ، لاسيماوانها قصرت غذاءها على شخصية أدبية واحـــدة ، كانت وما زالت من اكبر العمالقـــة ، حتى بعد مضيها عنا ·

واذا اراد البعض امثلة اخرى فلدينا الكثير ·

فأما أول هذه الامثلة فهو شخصية غريبة عجيبة لرثارة حقا ، كان يشتغل (مناولا) فى محلات صيدنارى، ولكنه احب الادب ، ولا تثريب عليه فى ذلك ، ولكن مركب النقص لديه أوعز له ان يكون ناقدا ، فكان ...

اما كيف اصبح ناقدا فقد كان يؤم بعض مجالس الادباء ، وعلى رأسها مجالس العقاد ومدرسته ، ويلتقط منهم كل مايقولون عن الادباء المعاصرين ، ويدونه فى كراسات ،

ويبدىء فيه ويعيد ، ثم يطبعه فى كتب على نافقته فى ثرثرة عجيبة ، بكل ما تحتويه من متناقضات ، والكل فى نظره اما صديق ، او غير صديق ، ولا ندرى كيف ، وكانت النتيجة الفلاسه المادى لنشر الكتب على نفقته ، والادبى بعدتوقف ندوات الادباء !

وأما ثانى هذه الامثلة الحديثة فهو شخصخلقه الله تعالى – ولا اعتراض على خلقه وحاشا لله سبحانه وتعالى – مسخا خلقيا ونفسيا مشوها

ولتعويض هذا النقص لازم ذلك الشخص بل فرض نفسه (ولزق كاللزقة الانجليزية) لاستاذنا العقاد، بحكم قرابته لاحد زملاء العقاد واصدقائه السابقين .

وأخذ يلتقط من افواههم كل ما يقولون دون تمحيص او حتى ترتيب ثم يدون ما يسمع دون فهم وادراك صحيح . ثم يخرج بها فى كتب ودراسات كبيرة نال عنها درجتى الماجستير والدكتوراه فى النقد الادبى !

وعلى الرغم من افادته تلك الفائدة الكبرى من العقاد ومدرسته فانه كان اذا حضر اى مجلس يأتى فيه ذكر العقاد مدحا ، أو قدحا ، بالباطل ، فهو اصم ابكم اخرس اكمه ابله ، فلا يفتح فمه بكلمة : تحبيذا او دفاعا ، ولو بجهد المقل ، لانه استفاد وانتهى، او انه لا يعرف !

وبما ان هذا الشخص قد مات ، فلا نريد ان نخوض فى اعماله وتصرفاته ، رحم الله الجميع .

***

وثالث هذه الشخصيات كاتب مدمن اتخذ من مهاجمة العقاد – بعد موته – وسيلة لكسب عيشه ، ولم يجرؤ على ذلك فى حياة العقاد ، بل كان ذاك متروكا لاستاذه قبل موته ، واخذالان يكتب مقالات مقصورة ومفضوحة ، وشتائم سخيفة عن بعض اعمال العقاد وهو لا يفهمها ولا يعرف شيئا عن تاريخها ، وينشرها فى احدى المجلات النصف الشهرية التى ينفق عليها الشعب دافع الضرائب !

وقد كتبنا تصحيحا لبعض هذه المغالطات، ولكن الصداقات الشخصية رفضت نشر تصحيحنا لان فيه فضيحة للكاتب وللمشرف على النشر ، ولم يجد اتصالنا بالمهيمنين رسميا على هذه المجلات الرسمية !





وقد سطا أخيرا على كتاب للاستاذ محمد عبد المنعم (أبو بثينه) عن العبقرية المصرية الاخرى حسين شفيق المصرى ، وحاول أن يلخصه ولكنه نقل منه صفحات حرفية بأكملها ،حتى الرسم الاصلى المنشور على غلاف الكتاب نشره بذاته ، بل أنه أخذ اسم الكتاب نفسه ٠

وقد نبهنا أحد زملاء الاستاذ أبو بثينه - فى مكتبه - ولا ندرى ماذا فعل ازاء حقه الادبى ! ٠

اما رابع هذه الشخصيات فهو أخطرها ٠٠٠

ذلك لانه قريب العقاد ٠٠

ولانه قريب العقاد ، ومدعى حق رعاية حقوقه الادبية ، فانه يستغل هذه القرابة والصحبة لتشويه العقاد، ولا اقول عن عمد ، ولكن عن جهل !

فهو يكتب تاريخيات عن العقاد ، كلها أخطاء ، كما فعل فيما قاله عند انفصاله من الوفد ولم يعرف ما هى الاصوات الاولي التي وقفت بجانب العقاد من اللحظة الاولى ٠٠

بل أخذ (يلخبط) ويخلط يمينا وشمالا ، وأعاد هذا فى كتاب تاريخى آخر ، وهو يحسب أن قرابته للعقاد

ستتلاه من تلك المتعاطفين مع العقاد وتلامذته المخلصين الصادقين ٠

ولكن الحقائق والامانة الادبية فوق كل شىء ٠

ثم الف كتابا عن «غراميات العقاد» لم يذكر فيه شيئا سوى الشائع عن غراميات العقاد لدينا ، وعن عشقه الحسى والروحى ، وهذا أعق ما يوصم به شخص نحو أهله ، لا سيما اذا كان هذا (الاهل) ولى نعمة ذلك التاجر باسم العقاد العظيم !

فكتاب غراميات العقاد لم يذكر شيئا عن حبه العذرى الساس ، الذى يعرف بعض تلامذة العقاد وخاصته الكثير عنه ، ويفهمونه جيدا ٠٠ وبخاصة ايام شبابه حين أحب بعض الفتيات من بنات الاسر المحافظة ٠٠ لا سيما وقد كتبنا فى ذلك ونبهناه الى ما أقترف ، قبل أن يقترفه ، وتظاهر بالاقتناع ، ولكنه اختفى وظهر بذلك الكلام المسىء للعقاد !

ومن أمثلة اساءته الاخرى الى العقاد، مهاجمته لشاعر كبير معاصر، كان العقاد نفسه يحترمه ويحترم شعره - والعقاد رجل منصف حتى مع خصومه من الادباء - ولا ندرى سبب المهاجمة ٠٠ هل هو عدم رضا عن هذا الشاعر على بعض عمله القريب أم هو اختلاف على مسائل ادبية شخصية ؟

ولقد اشفقنا على ذلك القريب قبل نشر ما نشر عن هذا الشاعر وطلبنا اليه التروى لاسباب كثيرة ، واذا كان يريد نقد بعض الشعراء الاخرين ، وهم كثيرون ، فلا اعتراض ، بل نحن معه ، ولدينا دراسات موضوعية عن بعضهم ٠

وقد اشفقنا عليه كذلك لانه لا يحسن

قراءة الشعر ، بله فهمه ، بل انه لا يحسن قراءة النثر قراءة صحيحة فما بالك بنقد الشعر ؟

وقد ابديت هذا الاعتراض لزميل وصديق قديم، وهو شاعر كبير معروف وقلت له ضاحكا : انصح صاحبنا بالعدول ، فاني اخشى ان يصيده هذا الشاعر .. فقال لي ضاحكا : واين أنت ؟ هل نتركه فريسة له ؟ فقلت : انني لا أوافق على هذه الاتجاهات ..

وعلى هذا فانه ليس على هذا المستوى ، فليتفرغ الى ما هو اجدى، وليصحح اولا ما كتبه عن العقاد ، أو ليبحث عن بعض ما تركه العقاد دون أن ينشره !

والشاعر الذى ينقده الان بعض من لا يحسن قراءة بيت من الشعر ، ولا يفهم معناه ـ الا اذا ساعده آخر ـ هذا الشاعر المنقود فى نظرى هو الشاعر الحق الباقي فى مصر الان . واذا أخذنا بالاساليب القديمة وطلب منا ترشيح أمير للشعر العربي لقلنا هو ذاك !

والشعر ليس نظم مقتدر على النظم وحسب ، ولكنه ثقافات متنوعة ، واعتقد ان هذه ميزة من ميزات هذا الشاعر المطلع على الكثير من جوانب الثقافات المختلفة ـ قديمة وحديثة ـ وهو ليس نظاما كغيره من الشعراء المعاصرين الناضحين من شعورهم الشخصى فقط . فلم يكن الشعور الشخصى بديلا عن الثقافات المتنوعة ، وان كان احيانا يخرج بشيء من الفلسفات البديهية والحكم الشخصية الاجتهادية ! ..

هذا بالاضافة الى قدرة هذا الشاعر الكبير على نظم القصيد المتنوع وديباجته العربية ، الرصينة الناصعة ونفسه الطويل ، ومعانيه المبتكرة فى الكثير من قصائده التى يضمنها كثيرا من ثقافاته المختلفة .

ولا اريد ان استرسل هنا حتى لا يظن بي التحيز لاحد ..

ولذلك فانى تحاشيت ذكر اسم الشاعر المنقود صراحة حتى لا تؤول كلمتي عن « براغيث البحر » ، واعلن هنا انى لم التق به منذ حوالى خمسة وثلاثين عاما ..

ولكنى لم ارض عن مثل هذا التيار الان ، فقد انقضى زمن الصحافة الصفراء التى كانت تهاجم الناس لاسباب شخصية ...

●●●

وقبل ان اختم هذه الكلمة ، اعود فاشير الى مقدار عقوق بعض الناس لاولياء نعمتهم من اقربائهم .. وهى ظاهرة مؤسفة كل الاسف ..

وللاستاذ الخالد عباس العقاد كتاب اسمه : « بلال مؤذن الرسول » لم يترك فيه العقاد الكبير واردة أو شاردة الا واستوفاها عنه ...

ولكن يبدو ان العقوق ابى الا ان يبلغ آخر مراحله ، فقريبه هذا يؤلف كتابا عن بلال باسم : «صوت السماء» .. ويبدو انه لم يعجبه الاسم الذى اختاره العقاد .. كما يبدو انه لم يكتف بما كتبه العقاد ، فأراد ان يظهره أمام الناس بالعجز والقصور ، وانه جاء ليستكمل ما فات العقاد العظيم ـ هذه العبقرية الخالدة ـ الذى كانت نفايات قلمه تساوى الف كاتب ممن نرى عقوقهم اليوم !

وياضيعة الوفاء ، والاخلاص ، ويا قلة الذوق ، ويا عقوق الابناء للاباء ، ويا رحمة الله ادركينا !

منبر الهلال

آراء ومقترحات

المتنبى: شاعر الوجودية

عاد « المتنبي » مرة اخرى ليملأ الدنيا ويشغل الناس وقد شغلها من قبل فى انطقة مختلفة . اما اليوم فانه يعود ليشغلها كرة اخرى فى نطاق جديد ...

أعجب لكثرة ما كتب عن المتنبي وعن حياته ، وعن ديوانه وقلة ماكتب عن فلسفته وهى واضحة فى كل ما خلف تقريبا من شعر .

وفيما عدا ما كتبه المرحومان « العقاد » و « المازنى » فى اوائل حياتهما ، فان ما كتبه الكاتبون بعد ذلك يكاد ينحصر فى مضامير مكرورة مما نسب اليه من سرقة والدفاع عنها . ولا ننسى ان ذلك جرى فى حياته هو ، فقد كتب « الحاتمى » رسالته الشهيرة فى ذم « المتنبى » ولكن احدا لا يذكر انه كتب رسالة اخرى فى تبجيله . ولا يرد ذكر هاتين الرسالتين الا وتذكر الاولى لانها مملوءة قدحا !

هكذا الناس ... يسجلون الذم ويتناسون المديح .

ان احدا لم يسهب فى الكلام عن فلسفة « المتنبى » الا عندما يكون ذلك بسبيل نقل شعره ، ولم ينفرد – حسب علمى – لوضوع فلسفته كتاب برأسه .

ولعلى أول من يقول بان « المتنبى » وجودى الفلسفة، بل ان تكون له فلسفة وجودية .

● كلمة فى مفهوم الوجودية ●

تلوثت الفلسفة الوجودية عندنا بما نسب اليها والى دعاتها من خبالات ، وبخاصة فى اعقاب الحرب

العالمية الثانية عندما احتضنتها فرنسا بعد هزيمتها .

والواقع ان هذه الفلسفة بريئة من كل هذه اللوثات والترهات . وهى فلسفة عربية اصيلة أزدردها الفكر العربى فى القرن الرابع الهجرى وهى ذات ابعاد كبيرة .

وتعريف الوجودية بسيط فى ثلاث كلمات فقط هى : ـ الوجود يسبق الماهية . وتستطيع ان تقولها بشكل آخر : الوجود اولا ثم الماهية . ولا علاقة لكل هذا بان ينقلب الانسان الى جثة نتن ، او الى مخبول بمخرق .

والوجودية تقترن بشيئين فقط هما الحياة والموت . اما « الاشياء » فهى من موادها الاولى ، كذلك « المواقف » .

ولو عدنا لهذا الوجدان لوجدنا ان «المتنبى» هو أول من نطق بمفاهيمها الوجودية فى الشعر العربى ، فهو يقول فى مرثيته الخالدة لجدته :

الا لا ارى « الاحداث » مدحا ولا ذما
فما بطشها جهلا ولا كفها حلما

وقد حوطت كلمة « الاحداث » بالقوسين الصغيرين من عندى لكى الفت نظر القارئ الى ما فى هذه اللفظة من اهمية . قياسا على استعمالاتها فى عصرنا الحديث :

فلم يكن فى القرن الرابع مدلول لهذه الكلمة يتحد مع مدلولها الحديث الا عند « المتنبى » والا عندما يفصح فيها عن فلسفته الوجودية .

وهو عندما يؤكد انه ينظر الى « الاحداث » دون ان يدخلها فى حسابه ذاما او مادحا ، فانه بذلك يقرر حقيقة وجودية ثابتة ، لها علاقة بالزمان الوجودى المطلق . وبذلك لا يراها مذمومة او ممدوحة لانها ـ كما هو شان نظر الفلسفة الوجودية الى « الاشياء » ـ لا تملك مصيرها ، وانما هى شواهد اثبات للفلسفة الوجودية فى مقولتها .

● وجودية المتنبى ●

ولو أتيح للمتنبى ان يكتب بدل أن ينظم ، ولو اتيح له ان يخرج من ذلك النطاق الضيق من عالم المدح والهجاء فى شعره ، لترك لنا فلسفة متكاملة من وجوديته .

وقد كتب الكثير عن شعر « المتنبى » بصورة عامة ، ولكن القليلين وقفوا كثيرا عند مقطوعته التى نظمها فى مصر ولم ينشدها احدا ، والتى مطلعها :

صحب الناس قبلنا ذا الزمانا
وعناهم من شانه ما عنانا

فانه فى هذه المقطوعة ، عندما خلا الى نفسه يحدثها ويرسلها على سجيتها ، سجل طرفا كبيرا ـ يكاد يكون متكاملا ـ عن فلسفته الوجودية .. وحرى بنا ان نتابع سلسلة افكاره فيها . ففى قوله :

وتولوا بغصة كلهم منه
وان سر بعضهم احيانا

الذى يراه الكثيرون شططا ، توكيد لنظرية الوجودية فى موضوع « السعادة » فقد اجمعوا انها لا وجود لها . وبذلك يكون قول « المتنبى » موضوعيا . وسنجد التفسير النفسى لذلك فى البيت الذى يتلوه :

ربما تحسن الصنيع لياليه
ولكن تكدر الاحسانا
وكان لم يرض فينا بريب الدهر حتى اعانه من اعانا
كلما انبت الزمان قناة
ركب المرء فى القناة سنانا

منبر الهلال
آراء ومقترحات

وفي هذه المرارة التي سجلها « المتنبي » في هذه الأبيات تكمن وجوديته التي يرسلها بلا عناية ولا تركيز فتأبى الا ان تظهر · وهو هنا – على عادة الوجوديين – يجعل الشر أصلا (كالخير) · يأتيه الانسان متطوعا · وفي محل آخر من شعره يشرح ذلك متطرقا الى لب الفلسفة الوجودية حين يقول :

ذي النفس تأخذ وسعها قبل موتها
فمفترق جاران ، دارهما العمر

وذلك لان « العمر » هنا هو الزمان الوجودي الذي طال حديث الوجوديين عنه · ومن هذه الزاوية أخذ المتبطلون والفارغون من اللاهين تفسير الوجودية على وجهها العامي، فانصرف كثير منهم الى اللهو الماجن مبررين ذلك بما لا يتفق قط مع مذهب الوجوديين العصريين من « هيدجر » الى « كيركجورد » و « سارتر » ·

ونعود مرة أخرى الى المقطوعة الفريدة لكي نتم مسيرة تفكير المتنبي ·· ونترك ما ليس له علاقة بلب الموضوع :

قال –

واذا لم يكن من الموت بد
فمن العجز ان تكون جبانا
كل ما لم يكن من الصعب في الا
نفس · سهل فيها اذا هو كانا

والوقوف عند هذين البيتين يمكن ان يطول كثيرا · ففيهما حمل ثقيل من الآراء ، وربما كان يسميه الاولون حكمة · ولكننا اذا عرضناهما الآن على مرآة التفسير الوجودي لا نجد في فهمهما صعوبة ما · ولا يخفى على القارىء كيف استطاع « المتنبي » ان يصهر المعنى في بوتقة الالفاظ ، وأن يجعل النحاة يلهثون وراءه عندما جعل للمبتدأ خبرين بدلا من خبر واحد · فتلك هي عادته · فلو نظرنا الى الشاهد السابق في قوله :

فمفترق جاران دارهما العمر

نجد المذهب من لا يلتزم اعتماد الوصف (١) · وقد سد المرفوع بعد المبتدأ مسد الخبر · وهي امور وقف النحاة امامها صغارا فلم يجرؤ احد منهم ان يطعن « المتنبي » بانه يتجاوز القواعد ، لانه وقف كبيرا فوقها ، ولم يتصاغر ·

● خلاصة ●

لاشك عندي في ان « المتنبي » فيلسوف وجودي متشائم · وقد كانت حياته ملأى بدواعي ذلك التشاؤم · ونحن لا نعرف عنها كثيرا على كثرة ما كتب عنه · اننا عثرنا على شرح ديوانه « معجز احمد » الذي كتبه خلفه في التشاؤم وهو « المعري » فلربما وجدنا فيه الكثير مما يلقي الضوء الكافي على فلسفته هذه · انه يقول :

عرفت الليالي قبل ما صنعت بنا
فلما دهتني لم تزدني بها علما

وهو واضح – على غير عادته – في بيان فلسفته الوجودية والليالي هنا شأنها شأن « الدهر » و « الاحداث » و « البين » وغيرها مما يكثر تردده في شعره انما تعني « الحياة » الوجودية عند الوجوديين

ولو تسنى من يفسر شعر « المتنبي » من هذه الزاوية لكان في المستطاع ان نجد متنبيا آخر غير ذلك « المتنبي » الذي ملأ دنياه وشغل ناسها بالنوافله من الشواهد النحوية ومضاداتها ·

---

(١) راجع شرح اليازجي لديوان « المتنبي » ·

● عبد الوهاب الأمين ●

لكَ الأمر

كامل أمين

رَكَنْتُ إليكَ الأمرَ يا مَنْ لكَ الأمرُ
ويا منْ علَى ما بِي لكَ الحمدُ والشكرُ

رجعتُ مِنَ الدنيا اليكَ كما ترَى
وكلِّي ذنوبٌ ليسَ لي بعدَها عذرُ

فإن شئتَ أنْ تعفو فبِرُّكَ سابقٌ
رَزَقتَ بهِ العاصِي ومَنْ صدرُه الكفرُ

وإن أنتَ لمْ تغفِرْ ولا غافِرٌ لنا
سواكَ ففيمَ العفوُ لوْ فاتَنا الوِزْرُ

ولوْ لمْ يكنْ للذنبِ إلا تذلّلي
إليكَ لكي تعفو كفاني بهِ الفخر

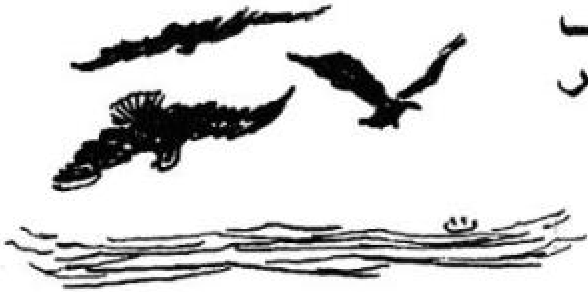
أرَى مِنْ خلالِ الدَّمعِ عفوَكَ مُدركي
كما يُدرِكُ الصحراءَ والظامِيءَ القطرُ

كفرحةِ أسرابِ العطاشِ مِنَ القطا
إذا لاحَ مِنْ بينِ القِفارِ لها نَهرُ

***

سفيرُكَ يا ريحَ الحجازِ بهِ صدَى
لِمَنْ أنشدوا (للمصطفى) (طلع البدر)

لك الأمر



أقولُ لعطرِ الزَّهرِ ما شمَّ مُعطى
كنسمةِ مَنْ يستافُ مِنْ عطْرِه الزَّهر
وانّى لمشتاقٌ إلى ريحِ (يثربٍ)
ورائحةِ الأحبابِ ما شاقنِي العطرُ
أطارح ورقاء تحاورها الشجا .
بحالى . كأنّا لمْ يعدْ بيننا سِرُّ
فيا أخت (اسحاقٍ) شكوْتِ (لمعبدٍ)
إذا كنتِ لا تدرين أنى أنا الشعر
وأطرقُ أبوابَ السَّماءِ مرتلاً
وبينى وبين الشمس لوْ فتحتْ شبر
وما لِي غيرَ الشّوقِ حادٍ يطيرُ بى
بقلبى كما تهفو لأبراجِها الطيرُ
رآى الصدْرَ مِنْ بعدِ السَّما قفصاً لهُ
فما عادَ يُغرِي القلبَ بالقفصِ الصدرُ
***
الهى أنلنى الصَّبرَ والشكرَ والرِّضا
علَى كلِّ ما تقضيه لوْ نفِذ الصبرُ

فما صبرُ مَنْ يرضَى بهِ وهْوَ شاكرٌ
كصبرِ الذى يرضَى بهِ وهْوَ مُضْطرُ

إذا لمْ يكنْ لى فى قضائِكَ حيلةٌ
فلطفُكَ بى عطفٌ يهُونُ بهِ الضرُ

فليتَكَ تدْنِينى ولوْ أنَّ ما بَقِى
لِلُقاكَ يمْحَى فيهِ مِنْ أجَلِى العمر

وحَسْبِى ومرُّ الدَّهرِ ملءُ فمى إذا
ذكرتُكَ يحلُو فيهِ مِنْ ذكرِكَ المر

إذا نلتُ مِنْ فقرى إليكَ بكَ الغنَى
فكلُّ غِنى بالناسِ مِنْ بعدِهِ فقر



من روائع القصص العالمى

المأجورة

للكاتب الصينى الكبير: جاوشيه

ترجمة: محمود عزت موسى

هذه القصة الانسانية ، تعالج بعض جوانب المجتمع الصينى قبل ثورته الكبرى ، بما زخر به من تقاليد بالية مؤسية .. واما المؤلف « جاوشيه » فهو من كبار كتاب الطليعة فى الصين فى عصر « الكومنتانج » الذين حملوا مشاعل الثقافة الحديثة وبددوا جحافل الظلام ، وفى عام ١٩٣١ حكم عليه مع نخبة من الادباء والمفكرين بالاعدام ، تاركا من بعده تراثا أدبيا عظيما .

كان الزوج يعمل تاجرا فى الجلود ، يمضى الى القرى المجاورة ، يشترى جلود الحيوانات من الصيادين ، ثم يحملها بعد دبغها الى المدن ليبيعها هناك ، والى جانب هذه التجارة — وفى سبيل انماء موارده — كان يعمل مع الفلاحين فى الحدائق ، وكان خبيرا حاذقا فى غرس الاشجار ..

وبالرغم من نشاطه ومهارته الا أن حظه كان متعثرا ، فازداد فقرا على فقر ، وتراكمت عليه الديون ، وربما كانت هذه الظروف القاسية هى التى اغرته بالمقامرة والخمر والاسراف فى التدخين .

واتجهه المرض للمرة ثالثة ، ونحل جسمه وشحب لونه حتى غلبه الاصفرار ، وتردد بين الناس أنه مصاب بداء الصفراء وكان الصبية يلقبونه « بالاصفر »

وقال يوما لزوجته :

— لقد اغلقت دونى الابواب .. واذا مضينا على هذا النحو، فليس فى وسعنا الا ان نبيع آخر ما نملكه .. الا ترين ان من الاوفق والاحسن ان تنقذينا انت .. بجسمك .. لو بقيت معى هكذا فلابد انك ستلاقين حتفك من فرط الجوع .. وليس بيدى ما

يمكنني أن أفصله من أجلك ..

وكانت زوجته جالسة الى جوار الموقد ، وطفلها – وهو في الثالثة من عمره – بين يديها وفي حجرها ؛ فلما انتهت عبارته الى اذنيها أصابها الروع والجزع وقالت له مذعورة وشفتاها ترتعشان :

– بجسمي ؟

فأجابها زوجها في نبرة خائفة كالأنين وقد عدد الأعياء :

– أجل ! .. لقد أجرتك فعلا !

فاحتوتها دهشة عارمة ، وكاد يغشى عليها ، وران الصمت ارجاء الغرفة قليلا ثم تحدث زوجها بأنفاس متقطعة : حدث منذ ثلاثة أيام أن حضر ذلك الرجل الذئب «وانج» فظل جالسا هنا نحو ثلاث ساعات مطالبا بدين علي له ..

ولما انصرف ، خرجت وقد أحسست في أعماقي بأنني أمقت هذه الحياة ، بل طاف بذهني أن أتخلص منها .. وبينما أنا أتخبط على غير هدى في الطريق ، التقيتني مصادفة تلك المرأة « سون » فاستفسرت مني عن سبب وجودي في الخارج حتى ذلك الوقت المتأخر ، فأفضيت لها في ساعة الضيق بما حدث ، ورجوتها . أن تقرضني بعض



المأجورة

المال ، او تعطيني اى شيء يمكنني ان ارهنه حتى اسدد دين ذلك النذل « وانج » ولا اعود ارى وجهه الكالح بعينيه الوحشيتين ، وهو لا يكف عن التردد على بيتي كل يوم ...

اما « سون » فقد ضحكت وقالت لي : لماذا تحتفظ وانت على هذا الحال السيء بزوجتك وتصير عالة عليك .. وانت نفسك لا تقدر على شيء من فرط الوهن والاصفرار .. انها تخصك بالطبع ، بيد انك رجل فقير ..

فطاطات راسي وانا احاور نفسي : انها ولا شك لا تطلب مني ان افرط في زوجتي وابيعها !

الا ان « سون » مالبثت لتوها حتى اقتحمت الموضوع في صميمه قائلة :

ـ ان السيد الذي يدعى « هيوتساي » لم ينجب ولدا من زوجته ، وقد جاوز الخمسين من عمره ، وهو يفكر ان يؤجر لنفسه امراة لمدة تتراوح بين ثلاث او خمس سنوات ، وقد طلب الى ان ابحث له عن امراة تناسبه تكون في حدود الثلاثين من عمرها . وانى ابحث عن رغبته منذ عشرة ايام ، بيد انني لم اعثر على المراة المناسبة له ..

واستطردت « سون » قائلة : انني عندما التقيت بك ، بادر الى ذهني حالتك ووجدت لديك بغيته ...

وقال الرجل لزوجته :

ـ لقد الفيت انك احسن من تصلح لهذه المهمة ، فلما كاشفتني « سون » بذلك تريثت قليلا ثم اديت لها بانني موافق ..

وبعد ان نطق بعبارته ، ظل منكس الراس بعض الوقت واشتملته رجفة خفيفة بينما امتقع وجهه امتقاعا شديدا .

وران الصمت على الزوجين طويلا ، ثم مضى يقول : لقد توجهت « سون » الى منزل « هيوتساي » وعادت تقول انهم وافقوا وان الاجرة هي مائة دولار لمدة ثلاثة اعوام اذا انجبت ولدا في غضونها والا فان المدة ستكون خمسة اعوام .. وكذلك حددوا ميعاد ابرام العقد بعد خمسة ايام .

اما الزوجة، فقد تولتها الرجفة والروع وهي تسمع عبارات زوجها ، ثم قالت في نبرة متقطعة : ياللعار! .. الا توجد ثمة وسيلة اخرى غير هذه يا والد « كنز الربيع ! » وهو اسم ابنه الصغير القابع في حجرها .

فاجابها : عار ! ... اجل لقد طاف بخاطري من قبل .. بيد اننا فقراء ، ولا نريد ان نموت من الجوع

فقالت زوجته : الم تفكر في ابنك « كنز الربيع » .. انه لم يتخط الثالثة ، واي حال سيكون عليه بموتي ، بدون ام ترعاه ؟

فقال في استطاعتي ان اعتني به .. وعلى اية حال فان من الواجب فطامه ..

وفجاة اغبر وجهه انعكاسا لاسى دفين فهب من جلسته نحو الباب مستندا اليه بينما اخذ يذرف الدموع .

ومضت الزوجة تستعرض شريط حياتها منذ قرانها الى اليوم ، والذكريات تتعاقب عليها .. ذكريات حالكة مظلمة بائسة ، حافلة كلها بالشقاء والقلق والتفكير .. وزفرت بعمق حتى كادت روحها تفيض ، وهي تردد « يا لقسوة الاقدار » .. وعندئذ تطلع اليها « كنز الربيع » تاركا ثديها وصاح هاتفا « ماما .. ماما »

❋❋❋

في صباح اليوم التالي المعين للرحيل ، حضر رجلان يحملان هودجا ليضعا فيه المراة الى بيت « هيوتساي » بينما كانت السماء ملبدة

بالغيوم والمطر ينهمر متدفقا لا يكف .

واتخذ الرجلان مجلسهما عند الباب . ثم وفدت بعد قليل المرأة العجوز «سون» فدلفت الى الداخل

بينما اخذت تنفض بيديها قطرات المطر من ملابسها، وهى تستحث المرأة الشابة

لاعداد نفسها .. اما هى فقد بقيت فى مكانها لاتتحرك وهى تحتضن «كنز الربيع»

ثم انحنت عليه برفق والصقت شفتيها المرتجفتين بثغره الصغير ..

وصرخت المرأة العجوز :

ـ هيا .. يجب ان تقومى بسرعة استعدادا يا حاملى الهودج .

ورنت المرأة ببصرها الى العجوز كأنها تقول: سأظل هنا حتى لو مت جوعا ..

لااريد الذهاب ابدا وكأنما طالعت العجوز ما يدور فى خلدها ، فدنت منها

باسمة ، ومضت فى رفق تربت كتفها وهى تقول :

ـ ايتها الحمقاء .. ماذا يمسك بهذا الاصفر الخاوى الوفاض ؟ .. هناك اسرة عظيمة واسعة الجاه والغنى .. والطعام عندها وفير ..

والزوجة سيدة طيبة ، اما الزوج فليس عجوزا تقريبا ولونه ابيض ، جميل الوجه ...

وتململ حاملا الهودج واخذا يستحثان المرأة فى سرعة الرحيل ، بينما

استطاعت «سون» العجوز ان تستخلص «كنز الربيع» برفق من بين يدى امه

والطفل يصيح عاليا وقد انفلت يحبو الى خارج الباب ، وهتفت الام وهى

ترقى الهودج : البرد شديد .. والمطر يتدفق .. ادخلوه

الى المنزل .. بيد أن زوجها

لم يتحرك من مكانه وظل جالسا القرفصاء ، مسندا رأسه بين كفيه ولم ينبس بحرف .

***

وفتحت المرأة صفحة جديدة فى حياتها .

لم تكن هذه الحياة اقل شقوة من سابقتها . انها

تملأ بطنها بالطعام حقا ، بيد أنه ممزوج بالمهانة والذل ... وكلما طاف بذهنها

العمل الذى استؤجرت من اجله اعتراها الاسى والعار



والخزى .. وكلما تذكرت طفلها الذى بارحته يحبو فى الطين انهمرت دموعها .

ومضت ثمانية اشهر مرهقة طويلة واخذ الجنين يتحرك فى احشائها ،

بينما غمرت السعادة « هيوتساى » وطفق يولى

المرأة فرط اهتمامه يوما بعد يوم .. بينما تصاعدت

غيرة الزوجة العجوز وحقدها عليها مع انها فى بداية الامر كانت تبدى

غبطتها عندما حملت الا انها لما تبينت اهتمام زوجها وحسن معاملته للمرأة استعرت الغيرة فى قلبها

وتفاقم حقدها عليها واخذت تصب اللعنات والشتم والسباب على زوجها وهى تنعته بالنذل العجوز ..

واخيرا جاء يوم الوضع واشتعلت اللهفة الجميع ،

فلما وضعت المرأة حملها ورن صوت الوليد فى ارجاء المنزل علا « هيوتساى »

الذى كان قابعا فى احد الاركان يذرف الدمع فرحا وابتهاجا ..

وكلما مضت الايام ، ازداد الطفل الوليد « كنز الخريف » ـ وهو الاسم الذى اطلق عليه ـ بهاء

وجمالا ، شديد التعلق بوالدته ، وكان باستطاعته فى سنه الباكرة ان يتعرف

عليها بسرعة بين سائر النساء فى المنزل ، يتشبث بها ولا يتركها ابدا . ولم يكن متعلقا بوالده بالرغم

من شدة ولع الاب به ، وكان يتطلع الى الزوجة العجوز محملقا فى وجهها شانه مع الغرباء ، وكان هذا يثير المرأة العجوز ويقلق بالها .. فلما قارب عقد الايجار على الانتهاء وصار لزاما على الام الشابة ان تعد نفسها للرحيل ، ابدى « هيوتساى » ـ تحت تأثير الاشفاق على ولده والعطف عليه ـ رغبته فى الابقاء على المرأة فترة اخرى متعللا بان الطفل لا يزال صغيرا ، بيد ان زوجته اعترضت اعتراضا عنيفا على ذلك صائحة : ألست اهلا لأكون اما له ؟ ..

اما الاجراتها فقد نشب بين جوانحها صراع عجيب بين حالتين متناقضتين ... رغبة فى العودة الى ابنها الاول « كنز الربيع » الذى لم تنسه ابدا ، كما انها ـ فى الوقت ذاته ـ سيطلق سراحها من عبودية رسفت فى اغلالها ثلاثة اعوام . ورغبة فى ان تظل مع ابنها « كنز الخريف » وهى ايضا ستؤمن نفسها ضد الجوع والحاجة وتتلقى الغذاء الطيب والكساء والمأوى .

وبذل « هيوتساى » كل ما وسعه لاقناع زوجته بابقاء الام الشابة مدة اخرى ، بيد أنها اصرت على الرفض وهى تكيل له الشتم والسباب قائلة له: «ايها الابله العجوز .. كم ترغب ان تحيا بعد هذه السن حتى تتمسك وتتشدد بهذه المرأة ؟ .. آننى لا اطيق ان ارى من ينافسنى فى دارى »

اما المرأة الشابة فانها كانت تستسلم الى البكاء كلما ترددت على مسامعها هذه الكلمات .

●●●

اقام « هيوتساى » حفلا عظيما احتفاء بعيد ميلاد « كنز الخريف » وتوافد الى الحفل الكثيرون من الاصدقاء والاقرباء يحملون الهدايا .. كان يوما بهيجا سعيدا . وفى المساء ، عندما بدأ الخدم يمدون الموائد ، وصل الى البيت زائر جديد استرعى انتباه الحاضرين ، كان القادم حافيا عارى القدمين فى اسمال بالية ، لهشعر اشعث مغبر ، يحمل تحت ابطه لفة حقيرة ، واتجه لفوره نحو صاحب المنزل ، فسأله الاخير من اين اتى .. الا ان الزائر لم يجبه ، وتبادر الى ذهن «هيوتساى» بان القادم لابد أن يكون زوج المرأة تاجر الجلود ، فاقتاده صامتا الى المائدة

متقبلا متعديته وهى بعض تماثيل صغيرة نحاسية مطلية بالفضة .. بينما كان الحاضرون يفحصون ويمرحون وهم يتجرعون الخمر بلا حساب ..

اما الضيف الاخير فقد التزم الصمت ، وكان اخر من بارح مائدة الطعام ، بل انه لم يبارحها حتى بدأ الخدم فى جمع الصحاف .. ثم توجه الى احد الاركان المظلمة فى البيت حيث لقيته زوجته واستفسرت منه فى حزن بالغ لماذا حضر ؟ .. ولماذا حمل نفسه مالا طاقة له به باحضار الهدية ؟ . . فاجابها بانه ظل طوال اليوم يستجدى الاكف حتى تجمع لديه قدر من النقود لشراء الهدية ، وانه جاء اليها من اجل « كنز الربيع» . فصاحت مذعورة

ـ من اجل كنز الربيع؟ فقال الرجل : « اجل .. فانه ظل طوال الخريف مريضا ولم يكن فى حوزتى اى درهم لابتاع له الدواء .. وهو لا يزال فى اسوأ حال » ومضى مستطردا بعد صمت قليل « لقد حضرت لاقترض بعض النقود منك » ..

واستشعرت المرأة كما لو ان هناك قطا جائعة تنهش فى صدرها وقلبها ، وودت ان تجهش باكية ، لكنها استجمعت نفسها وحبست دمعها : هل يليق ان تذرف الدموع فى عيد ميلاد «كنز الخريف» ؟ ومضت تفكر فى الامر من اين يمكنها ان تحصل على نقود وهى

لا تملك شيئا .. وران الصمت بينهما طويلا ، ثم اجابته بعد فترة قصيرة :

« مهلا .. فقد استطيع ان ادبر الامر واقترض لك بعض المال »

ومضت بضعة أيام ، واذا « بهيولساى » يسألها فجأة : « انني لا ارى القرط الماسى الذى قدمته لك كهدية فأين هو ؟ » فاجابته « لقد اعطيته له عند حضوره » فاشتد غضب هيولساى بها : « الم تأخذى منى خمسة دولارات ؟! فقالت : « لم يكن المبلغ كافيا » فقال ساخطا :

« طبعا .. طبعا . انه الزوج الاول الذى تعملين على ارضائه ، وكذلك الابن الاول وهما موضع اهتمامك . اما انا فلم تقدرى مدى معاملتى الطيبة لك .. وعلى اية حال ، لقد خطر فى بالى ان استبقيك لمدة عامين اخرين ، بيد أننى قد اكتشف لى الآن بأن الاوفق أن تعودى الى بيتك .. قريبا جدا »

اما هى فقد غاصت فى لجة من الاسى والدهشة حتى لم تستطع البكاء .

***

وحان اخيرا ميعاد فطام « كنز الخريف » ، ودنت ساعة الانفصال بين الام وطفلها ، كانت تقوم بالباس طفلها فى صباح اليوم المحدد للرحيل ، وقد استرسلت فى البكاء بدموع حارة ، بينما مضى الطفل يقول « خالتى .. خالتى »



وكان هذا هو الاسم الذى اختارت الزوجة العجوز ان يسمى به الطفل والدته على ان يكون اسم « ماما » من حقها وحدها .

وتعالت الاهالى وليدها مهيضة الجناح بينما تشبث الطفل بها ، وعبثا حاولت الزوجة العجوز ان تستدرجه او تأخذه منها فانتزعته منها قسرا ، الا انه مضى يرفسها فى بطنها ويشد شعرها صارخا منتحبا ، بينما وقفت الام خلفهما باكية ، ثم توسلت الى المرأة العجوز ان تؤجل رحيلها الى بعد الظهر .. ولكن العجوز رمقتها بنظرة حاقدة عنيفة ونهرتها قائلة « اسرعى بالرحيل ، فانك على اية حال لابد ان تفارقينا »

وبارحت الام المنزل ، متأبطة لفة بها حاجياتها ، واشتد صراخ الطفل فى اثناء خروجها ، وكلما مضت بعيدا تناهى اليها صياح ابنها الذى اخذ يخبو ويضمحل قليلا قليلا حتى بعد ان ابتعدت نحو ميل من المنزل وهى جادة فى خطواتها المرهقة المتعثرة الى ان وصلت الى دارها القديمة قبيل الغروب ، مريلة ، كورقة شجرة جافة سقطت وعصفتها الرياح .

وكان حول الدار نفس الاطفال الصغار يلعبون ، وكان « كنز الربيع » من بينهم ، الا انها لفرط اعيائها لم تستطع ان تتبينه من بينهم فى ثيابه الممزقة وشعره المغبر .

وفجأة وقع بصرها عليه فنادته وهى تنتحب « كنز الربيع !! »

واخذت الدهشة كافة اندائه من الاطفال ، بينما هرع « كنز الربيع » مذعورا الى داخل الدار .. وفى حجرة مظلمة يفوح منها العطن ، جلست المرأة لفترة طويلة دون ان تنطق بحرف واحد او تحدث زوجها بكلمة واحدة .

***

وعندما ارخى الليل سدوله ، قال الرجل فى نبرة متقطعة وهو يرفع رأسه قليلا : .. لماذا لا تجهزين طعام العشاء ؟. فقامت المرأة متهاوية من فرط الاعياء ، واتجهت نحو ركن فى الحجرة ، ثم قالت بصوت خافت « ولكن زمبيل الارز فارغ » فبدت على وجه الرجل ابتسامة صفراء مستهزئة واجابها متهكما : طبعا .. طبعا لقد عشت فى بيت الاثرياء .. الارز ؟ .. انه موجود فى علبة الدخان » .

د. هنري رياض

المتحف المصري نشأته وأهم مقتنياته



فى أعقاب الحملة الفرنسية على مصر فى عام ١٧٩٩ ، تفتحت أبواب البلاد على العالم الخارجى ، فوفد اليها الكثير من الأجانب ، جاسوا خلالها وشاهدوا أطلالها القديمة ، واستهوتهم ما تحويه من آثار ... وكثيرا ما حملوا معهم عند عودتهم لبلادهم بعضا منها ، فحفلت قصور ملوك أوربا وأمرائها وأغنيائها ببعض من آثار مصر ، كالتمائم والتماثيل والجعارين وأوراق البردى وغيرها .

زاد الاهتمام بآثار مصر القديمة عندما ظهر كتاب « وصف مصر » الذى ألفه علماء الحملة الفرنسية ، ونشر فى باريس ما بين عامى ١٨٠٩ - ١٨١٣ ويعد ما جاء فى هذا المؤلف الكبير عن آثار مصر وما تضمنه من رسوم وخرائط وصور ، بداية الأعمال العلمية التى تهدف الى دراسة تاريخ وآثار مصر القديمة دراسة وافية منظمة .

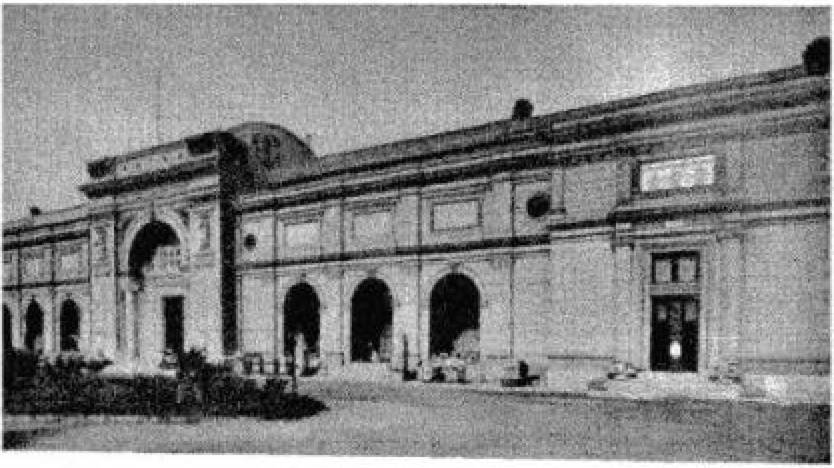
يشاء القدر ان تضيف الصدفة حسنة الى اعمال الحملة الفرنسية ، اذ عثر أحد رجالها على الاثر المعروف بحجر رشيد الذى ساعد على فك رموز اللغة المصرية القديمة ، ونجح العالم الفرنسى ، جان فرانسوا شامبليون ، فى الكشف عن اصول الكتابة واللغة المصرية القديمة ... فاقبل العلماء على قراءة وترجمة الكتابات سواء الموجود منها على جدران المعابد او المقابر او المدونة على اوراق البردى ، وتقدمت الدراسات اللغوية ، مما ادى الى انقشاع الغموض الذى كان يحيط بتاريخ المصريين القدماء وحضارتهم .

بدأ العالم يعرف ويقدر قيمة آثار مصر القديمة ، وحاول اقتناءها بشتى الطرق ، فنشط المنقبون فى البحث عنها فى الخرائب القديمة وشجعهم قناصل الدول الاجنبية بمصر فى ذلك الحين ، وقاموا بدور فعال فى نقل كثير مما عثر عليه الى بلادهم ، فكانت نواة لاقسام الاثار المصرية فى كثير من المتاحف الاوربية .

وعندما جاء العالم الفرنسى شامبليون الى مصر فى عام ١٨٢٨ هاله ما رآه من نبش المقابر والحفر فى المعابد بحثا عن الكنوز ، فكتب مذكرة قدمها الى محمد على باشا والى مصر فى ذلك الوقت ، مقترحا انشاء ادارة لحفظ الاثار القديمة ..

وبعد مضى حوالى خمس سنوات من مغادرة شامبليون مصر ، ورغم معارضة قناصل الدول الاجنبية ـ تمت الاستجابة لما اقترحه شامبليون وصدر قرار فى عام ١٨٣٥ بانشاء دار لحفظ الاثار ، واختير مكانا لها فى مبنى صغير على ضفاف بركة الازبكية ، وعين الشيخ رفاعة

المتحف المصرى : اغنى متاحف العالم فى آثار العصر الفرعونى ، احتفل بافتتاحه فى نوفمبر عام ١٩٠٢



المتحف المصرى

الطهطاوى – وهو من الرعيل الاول للمصريين الذين اوفدوا للدراسة فى الخارج – رئيسا لهذا المتحف ·

لم يكن من السهولة بمكان انشاء متحف يضم الاثار التى يعثر عليها فى مثل هذا الوقت المبكر من القرن التاسع عشر ، اذ لم يكن يهم الطبقة الحاكمة المحافظة على ذلك التراث ، فكان كثير من الاثار التى يعثر عليها فى الاقاليم تضل طريقها الى المتحف وغالبا ما تقع فى أيدى المشتغلين بتجارتها ··· كما كان الولاة يسرفون فى اهداء الاجانب الذين يفدون الى مصر بعضا منها ، وكان ذلك من الاسباب التى قللت من عدد الاثار الموجودة بالمتحف بدلا من زيادتها على مر الايام ··· وكانت النتيجة أن نقل ما تبقى منها من ذلك المبنى الى احدى حجرات القلعة ، وبقيت هناك حتى عام ١٨٥٥ ، عندما زار مصر الارشيدوق ماكسمليان النمسوى ، وطلب من الوالى ان يهديه بعضا من الاثار القديمة ، فأمر باعطائه كل ما كان بالقلعة من اثار ·· وهكذا انتهت المحاولة الاولى لانشاء متحف لحفظ الاثار بالفشل التام ·

وفى عام ١٨٥٠ جاء الى مصر عالم فرنسى يدعى أوجست مارييت ، أوفدته الحكومة الفرنسية لشراء بعض المخطوطات القبطية ، وعندما وصل الى مصر سرعان ما نسى المهمة التى جاء من اجلها ، وبدأ فى التنقيب عن الاثار فكشف مدفن العجول المقدسة « السرابيوم » بسقارة ، ولما كان يهمه المحافظة على ما كشفه من آثار فقد حاول مع الخديو سعيد – وكان صديقا للفرنسيين – أن يلفت نظره الى ضرورة المحافظة على ما يكشف عنه من آثار ، ونجح فى اقناع الخديوى بانشاء دار لحفظ الاثار ، وعين مارييت « مأمورا » لها ، وبذلك اعتبر أول مدير لادارة الاثار ·

اختار مارييت مكانا للدار الجديدة على ضفاف النيل فى بولاق ، وكان مكونا من مبنى صغير وحديقة ، وبدأ فى اعداد المبنى ليكون متحفا ، وشغلت الاثار أربع حجرات عرضت فيها الاثار الصغيرة ، أما الاثار الكبيرة الحجم كتماثيل رمسيس الثانى وتماثيل الكاتب الجالس القرفصاء التى عثر عليها فى سقارة، والتوابيت واللوحات وتماثيل ابو الهول التى وجدت فى صان الحجر – فقد وضعت فى الحديقة ·

وحتى ذلك الوقت لم يكن قد عثر على اية مجوهرات ، وحدث أن عثر فى عام ١٨٥٩ على تابوت الملكة اياح حتب زوجة الملك سقنن رع ، من ملوك الاسرة السابعة عشرة فى القرنة فى الجانب الغربى للاقصر ، وعندما فتح التابوت وجدت به حلى الملكة · ووجد مدير قنا حينئذ فرصة للتقرب من الخديوى فوضع الحلى داخل

صندوق نقل بمحتوياته الى الخديوى وعندما علم مارييت بما حدث استشاط غضبا وحاول أن يلحق بالصندوق قبل وصوله للخديوى ولكنه لم يفلح · وأخيرا اضطر مارييت للذهاب للخديوى وقص عليه القصة فسر

الخديوى بما سمع واحتفظ بجزء من الحلى لزوجاته وأعطى الباقى لمارييت فكانت هذه نواة صالة الحلى بالمتحف المصرى ·

كان الخديوى سعيد يعانى فى ذلك الوقت من ضائقة مالية ، ويتطلع الى الاستدانة من الدول الاوربية ···

وتلقى سعيد عن طريق ماريت دعوة رسمية بخط يد نابليون لزيارة فرنسا ومناقشة موضوع اعارتها يحتاج اليه من اموال ... وسر سعيد ، وحاول أن يهدى ماريت مبلغا من المال تقديرا لما قام به من عمل ، ولكن ماريت اعتذر عن قبول المال وطالب الخديوى بمبنى جديد للمتحف ، فوافق سعيد فورا ،وانتهى العمل من المبنى الجديد فى عام ١٨٦٣ .

أمكن هذا المبنى الجديد أن يستوعب ما كان معروضا فى المبنى القديم من آثار وما كان محفوظا منها فى المخازن، ففى المدخل المؤدى للمبنى وضعت الآثار الكبيرة الحجم ، أما المبنى نفسه فقد خصصت بعض حجراته لآثار الدولة القديمة كالتوابيت الحجرية وتماثيل الخدم الذين يقومون بطحن الغلال وصناعة الخبز واعداد القرابين ولوحة الارز المشهورة والالواح الخشبية التى وجدت بمقبرة حسى رع من الاسرة الثالثة .

وفى المكان المخصص لعصر الدولة الوسطى وضعت تماثيل ابى الهول التى عثر عليها فى صان الحجر والتى يظن انها من عصر الهكسوس، كما خصصت احدى الحجرات للقطع الفريدة من جميع العصور ، فضمت هذه القاعة تمثال ذراع المشهور الذى وجده ماريت ايضا بسقارة ، وتمثال الملكة امينارديس اخت الملك شباكه من ملوك الأسرة الخامسة والعشرين ، وتابوت الملكة اياح حتب الذهب الذى وجد بداخله حلى الملكة المذكورة .. وضمت أحدى القاعات مجموعة حلى الملكة اياح حتب ، وكذلك حلى الاميرات التى عثر عليها بدهشور فى الفيوم ، ومجموعة اخرى عثر عليها فى صان الحجر ، كما خصصت احدى الحجرات للمقتنيات الحديثة .

كرس ماريت بقية حياته لخدمة المتحف والنهوض به وبلغ قمة المجد فى عام ١٨٦٧ عندما اقيم معرض عالمى بباريس ، وأمكن ماريت الحصول على موافقة المسئولين فى ارسال بعض آثار المتحف لتعرض بالجناح المصرى الذى بنى على الطراز الفرعونى على مدى ستة أشهر ولاقت نجاحا منقطع النظير، ومن ضمن القطع التى عرضت ولفتت أنظار الشاهدين تمثال شيخ البلد ، وحلى الملكة اياح حتب ...

وعند انتهاء المعرض طلبت الامبراطورة أوجينى من الخديو اسماعيل أن تبقى هذه الآثار بفرنسا، ووافق اسماعيل مبدئيا ، وعلق موافقته النهائية بعد أخذ راى ماريت وعندما سأل ماريت كان جوابه « لا » ورفض ماريت الفرنسى أن تبقى هذه الآثار بفرنسا ، وعادت الى مقرها الاصلى بالمتحف المصرى ..

وكان فيضان النيل عام ١٨٧٨ من الفيضانات العالية مما ترتب عليه تسرب المياه الى داخل حجرات المتحف ولم يعد المكان صالحا لعرض الآثار، وتطلع ماريت الى مبنى آخر ، وفجأة توفى ماريت ... وبعد وفاته بفترة قصيرة عثر على الموميات الملكية فى خبيئة الدير البحرى فى الجانب الغربى للاقصر ، مما دعى ماسبيرو الذى خلف ماريت الى ادخال تعديلات على المبنى القائم حينئذ لكى يستوعب الموميات التى عثر عليها وكذلك بعض آثار العصر اليونانى الرومانى .

وفى عام ١٨٩٠ نقل المتحف من بولاق للجيزة وشغل احدى قصور الخديو اسماعيل حيث توجد الآن حدائق الحيوان ـ وشغلت الآثار حجرات المبنى التسعين ، الا ان المبنى تداعى نظرا لقدمه ، مما جعل ماسبيرو يلح فى اقامة مبنى جديد للمتحف ، فاختيرت الارض المقام عليها مبنى المتحف الحالى ، وعملت مسابقة عالمية فاز فيها المشروع الذى تقدم به المهندس الفرنسى مارسيل دبروين ، وعندما

انتهى البناء نقلت الاثار من الجيزة الى المبنى الحالى الذى احتفل بافتتاحه فى نوفمبر عام ١٩٠٢

***

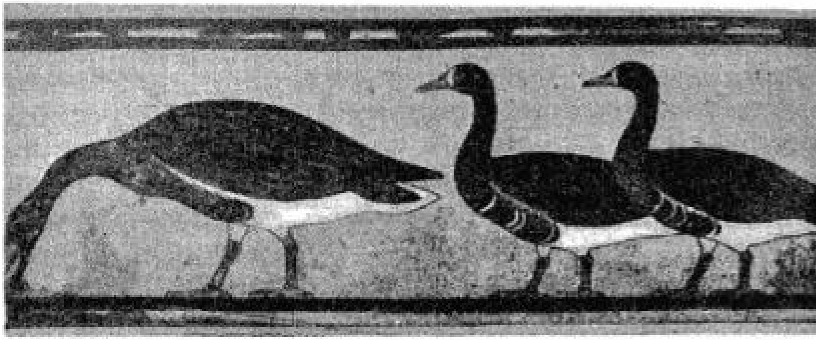
ويشغل المبنى الحالى للمتحف المصرى مساحة ١٢٫٠٠٠ متر مربع ويحتوى على دورين خصص الدور الارضى للاثار الثقيلة والدور الثانى للاثار الاقل ثقلا ورتبت الاثار حسب العصور التاريخية فمجرد دخول الزائر من الباب الرئيس للمتحف يتجه لليسار فيشاهد اثار الدولة الوسطى ثم اثار الدولة الحديثة واثار العصر المتأخر واخيرا اثار العصر اليونانى الرومانى وبذلك تنتهى الدورة فى الدور الارضى أما فى الدور الثانى فقد رتبت الاثار حسب العصور وحسب الموضوع وقد شغلت قاعاته آثارا من العصور المختلفة مبتدئا بعصور ما قبل التاريخ وقد خصصت قاعة لادوات الكتابة ، واخرى للالهة ، وثالثة للحلى ، ورابعة للموميات ، كما تشغل اثار توت عنخ امون نصف مساحة هذا الدور تقريبا ..

ومما لا ريب فيه أن المتحف المصرى يعتبر اغنى متاحف العالم فى آثار العصر الفرعونى ، فهو يضم مائة الف قطعة ، من بينها مجموعات لا نظائر لها فى متاحف العالم اجمع ، فاذا تركنا جانبا اثار عصر ما قبل الاسرات الذى بدأ قبل الالف الرابعة من عصرنا

المتحف المصرى

الحالى ، وكانت أهم آثاره الادوات المصنوعة من الطرزان والاوانى الفخارية والحجرية والتى بلغت درجة كبيرة من الاتقان ـ نجد آثار مقبرة كاملة من العصر العتيق وهو عصر الاسرتين الاولى والثانية الذى بدأ فى حوالى عام ٣٢٠٠ ق . م . وقد وجدت هذه المقبرة فى سقارة وهى لاحد كبار موظفى الدولة ويدعى « حماكا » ، وتدل الاثار التى عثر عليها بالمقبرة على درجة الاتقان التى وصل اليها الفن فى هذا العصر ، نذكر على سبيل المثال: اقراصا اسطوانية الشكل مطعمة باحجار ملونة ، منها ما يمثل مناظر للصيد ، ومنظرا لطائرين متقابلين ، ومنظرا لطائر الايبس (أبو قردان) .. كما عثر ايضا على مجموعة اوان مصنوعة من حجر الشيست الرمادى اللون يمثل الاوانى التى كانت تجدل من غصون الاشجار ، ومنها ما يمثل اوراق بعض النباتات ، وهذه كلها تدلنا على مدى تقدم الفن فى هذا العصر .

فاذا ما سرنا وتقدمنا فى الازمنة التاريخية ، ووصلنا الى عصر الدولة القديمة ، نجد اثاث مقبرة حتب حرس أم الملك خوفو الذى بنى اكبر اهرام الجيزة . وجد الاثاث فى حفرة بجوار الهرم الاكبر ولم تكن هذه الحفرة هى المكان الاصلى الذى دفنت فيه الملكة ، بل اغلب الظن أنها دفنت بجوار مقبرة زوجها الملك سنفرو بجوار هرمه فى دهشور او بميدوم ، وربما عبث اللصوص بمحتويات المقبرة مما دعى ابنها أن يأمر بنقلها الى جوار مقبرته حتى يسهل حراستها وقد عثر على تابوت الملكة المصنوع من المرمر ، ولم يعثر على مومياء الملكة بداخله ، ولكن عثر على صندوق الاحشاء . كما عثر أيضا على سرير الملك وكرسى للجلوس وكثير من أدوات الزينة ، وصندوق لحفظ



لوحة الاوز ، اقدم مثل للفريسك لعصر الدولة القديمة »

اللابس ، ومحفة كانت تجلس عليها الملكة وتحمل بالايدى ...

ومن عصر الـدولة الوسطى فى حوالى القرن العشرين ق . م . وجد بالفيـوم حلى لبعض اميرات البيت المالك ، ومن بينها تاجان صيغا من اسلاك رفيعة من الذهب تضمها وريدات من الذهب ، كما وجدت ايضا بعض صدريات من الذهب المطعمة بالاحجار الملونة لملوك الدولة الوسطى .

فاذا ما انتقلنا من عصر الدولة الوسطى الى عصر الدولة الحديثـة الذى بدأ فى القرن السادس عشر ق . م نجد أن أهم ما عثر عليـه من هذا العصر هو الاثاث الجنـازى لمقبرة توت عنخ امون الذى عاش حوالى عام ١٣٥٠ ق . م . وقد عثر على المقبرة سليمة لم تمتد اليها أيدى اللصوص — رغم بعض المحاولات التى لم تنجح لسرقتها فى العصور القديمة — وهى أول مقبرة ملكية سليمة عثر عليها حتى الآن . ولقد كان لكشفها دوى هائل ، وجعلت من أسم توت عنخ أمون علما من أعلام مصر القديمة ، وطبقت شهرته الافاق ، رغم انه لم يكن من الملوك العظام الذين حكموا مصر القديمة ، فقد حكم فترة لا تزيد على عشر سنوات بعد ثورة اخناتون الدينية ومات ولم يتجاوز العشرين ...

ومع ذلك فقد وجد بالمقبرة ما لا يقل عن الفى قطعة من الاثاث تعتبر بحق من اجمل ما انتجت لنا البشرية حتى الان . ويكفى أن نذكر على سبيـل المثال الحلى وعلى الاخص القنـاع الذهبى الذى يعتبر من روائع الفن المصرى بل والفن عمـوما على مر العصور ، وكذلك التابوت الذهبى الذى وجدت فيه مومياء الملك والذى يزن ١١٠ كيلو جرامات من الذهب الخالص .

●●●

وفى خلال الحرب العالمية الثانية عثر فى صان الحجر بمحافظة الشرقية على اثار بعض ملوك الاسرة الحادية والعشرين التى حكمت مصر فى حوالى القرن العاشر ق . م والتى ارتبط بعض ملوكها بصلة النسب بالملك سليمان « الحكيم » ، واثناء الحفر فى بلاد النوبة فى الثلاثينات عندما شرع فى تعلية خزان أسوان للمرة الثانية ، وكان يخشى أن تغمر مياه الخزان بعض الجبانات الاثرية القديمـة عثر على مقـابر بعض ملوك البلميز ، وهـم

المتحف المصرى

قبائل من النوبة الجنوبية (السودان) وجدت مقابرهم فى قسطل وبلانه محفورة فى طبقات الطمى تعلوها أكوام من الرمال والحصى ، وقد عاش هؤلاء فى القرن الثانى الميلادى وبقوا وثنيين يعبدون الالهة المصرية القديمة كازيس وحورس ، رغم انتشار المسيحية ، وقد وجدت خيولهم مقتولة بمداخل مقابرهم وكل منها كامل العدة ، وتوجد أمثلة منها بالمتحف ، ووجد بالمقابر كثير من الحلى والتيجان المصنوعة من الفضة ·

وقد ساير المتحف المصرى الروح السائدة فى عصرنا الحاضر ، بارسال بعض مقتنياته للعرض فى الخارج حتى تتاح الفرصة للذين لا يتمكنون من الحضور لبلادنا لعذر او لاخر من مشاهدة بعض مما لدينا ، وقد نجحت الفكرة ، وكانت اول مجموعة ارسلت الى الخارج فى عام ١٩٦٠ واطلق عليها « معرض الـ ٥٠٠٠ عام » تضم مجموعة من الاثار الفرعونية واليونانية الرومانية والقبطية والاسلامية ، وعرضت اولا فى بروكسل ببلجيكا حيث لاقت نجاحا كبيرا ، ثم تنقلت بعد ذلك فى كثير من مدن اوربا كامستردام وزيوريخ ، واسن ، واستكهولم ، وفيينا ، وكوبنهاجن ، ولندن ··

وقد صاحب المعرض فى تنقله كثير من وسائل الدعاية فى الصحف والمجلات والاذاعة والتليفزيون ، كما زاره مالا يقل عن نصف مليون شخص على مدى عامين ·

فى نهاية عام ١٩٦١ ارسلت مجموعة صغيرة من اثار توت عنخ آمون للولايات المتحدة الامريكية ، تنقلت بين ولاياتها المختلفة وعرضت فى ست عشرة مدينة من مدنها بدأت بواشنطن العاصمة ، وجدير بالذكر أن عدد من زاروا المعرض فى أول أيام افتتاحه بلغ ٢٦٠٫٠٠٠ شخص ، ونظرا لما لاقته فكرة عرض بعض اثارنا بالخارج من نجاح ، فقد شجعنا ذلك على ارسال مجموعات منها الى كندا واليابان والمكسيك ·

ولقد كان لمجموعة آثار توت عنخ امون المكونة من خمسين قطعة والتى عرضها اقبالا ونجاحا منقطع النظير ، هائل فى كل بلدان اوربا ، ولاقى عرضها اقبالا ونجاحا منقطع النظير ، حتى قيل وقتها ان من يتحدث فى فرنسا باسم مصر اثنان توت عنخ امون والجنرال ديجول ·

وبمناسبة مضى خمسين عاما على كشف مقبرة توت عنخ امون ، فكر الانجليز فى الاحتفال بهذه المناسبة باقامة معرض يضم خمسين قطعة من الاثار التى وجدت بمقبرته ، وخصص له مكان فى المتحف البريطانى بلندن ، وقد افتتحته ملكة انجلترا فى اواخر مارس عام ١٩٧٢ ·

ومما تجدر الاشارة اليه ان صفوف المنتظرين لمشاهدة المعرض كانت تمتد لعدة كيلو مترات ، وكان يستغرق انتظار الشخص ما لا يقل عن ثلاث او اربع ساعات بغير ملل او ضجر حتى تتاح له الفرصة لمشاهدة المعرض

وتعرض حاليا فى الاتحاد السوفييتى خمسون قطعة من آثار توت عنخ امون فى متحف بوشكين بموسكو ، ونظرا للاقبال على زيارة المعرض فقد طلب المسئولون مد فترة اقامته الى ستة اشهر بدلا من اربعة ، ينتقل بعدها الى ليننجراد ثم الى كييف ، وتعود الاثار فى مستهل عام ١٩٧٥ · وقد شجع هذا النجاح لعرض اثارنا فى الخارج على تلبية طلبات اخرى ــ ما اكثرها ــ

ففي العام القادم ستعرض بعض الاثار من عصر اخناتون — نفرتيتي — في دول السوق الاوربية المشتركة ،وبيدأ العرض ببلجيكا . وقد طلبت حتى الان ست دول أخرى باوربا اتاحة الفرصة لعرض هذه المجموعة بها

كما طلبت اسبانيا اقامة معرض لاثار العصر الفرعوني يمتد لفترة ستة اشهر وينتقل في بلدين على الاقل من اهم بلدانها ، وكذلك اليابان .

وجدير بالذكر أن حصيلة زيارة هذه المعارض تخصص لانقاذ آثار النوبة ، فبفضل مساعدات الدول المختلفة الأعضاء في اليونسكو وحصيلة المعارض ، أمكن انقاذمعابد أبو سنبل . وتقوم هيئة الاثار المصرية الان بانقاذ معابد فيلية جنوب اسوان

تمثال رع حتب ، وزوجته نفرت من الحجر الجيرى « عصر الدولة القديمة»



كلمة أخيرة اختتم بها مقالى . يشكو كثير من الزائرين لتحفنا . تكدس الاثار به حتى انه يكاد يكون مخزنا اكثر منه مكانا لعرض الاثار وابراز جمالها ... ومما لا شك فيه ان كثرة مابه من اثار تشير الى غنى بلادنا بما لديها ، والواقع أننا في أشد الحاجة الى مبنى جديد، فقد ضاق المكان الحالى بمحتوياته .

نحن في حاجة ماسة الى متحف آخر على الطراز الحديث تتوفر فيه امكانيات عرض كل ما لدينا بطريقة مشوقة تستخدم فيها الوسائل الحديثة في اظهار جمالها ، والى ان يتحقق لنا هذا المطلب ونرجو ان يتم ذلك قريبا فاننا نحاول في حدود الامكانيات المتاحة ان ندخل شيئا من التطوير على المبنى الحالى ، فنحن الان بصدد تغيير الشبكات الكهربائية القديمة حتى نتمكن من أضاءة خزانات الاثار طبقا للطرق الحديثة المتبعة في المتاحف الاوربية كما أننا خصصنا الرواق الغربى من الطابق العلوى مكانا لعرض فيروائع الفن المصرى القديم ، فقد تم اختيار القطع التى ستعرض فيه . وعند اعداد هذه القاعة يصبح في مقدور الشخص العادى الذى يزور المتحف ان يشاهد ما بها من آثار فريدة ، بالاضافة الى مجموعة اثار توت عنخ امون وقاعة الحلى ، وينهى زيارته بمشاهدةصالة المومياوات — اذا أراد — وبذلك يقضى وقتا ممتعا قد يستغرق ساعة أو ساعتين ويأخذ فكرة طيبة عن الفن المصرى القديم . فاذا ما اراد الاستزادة يمكنه ان يمر بأقسام المتحف المختلفة حسب التسلسل التاريخى لمشاهدة مجموعاته . أما الدارسون وما أكثرهم ، فالمتحف يعمل جاهدا لاتاحة الفرصة لكل منهم حتى يتم دراسة ما يرغب فيه .

وبذلك تؤدى متاحفنا رسالتها الثقافية على اتم وجه .

مرمر

اهـــواك تمثـــال مرمر
على الجمـــال تكبر . .
اذا مــررت بــــدربى
عـــاد الـــربيع وازهــر
انا عبـــــدت فـــواما
الحسن ســـوى وصور
والشـــعر موجة عطر
ارجوحة تتخطـــر .
يا طيبها خصـــلات . .
شـــلال شمس تكسر
يصب اين ؟ انـــدرى ؟
فى كل قلب تحسر . .
يا نل عفـــوك انى
عبد الجمـــال المعطـــر
شرود خصـــرك شعر
ولوح صـــدرى دفتـــر
اذا مـــررت بـــدربى
هتفت : الله اكبـــر !

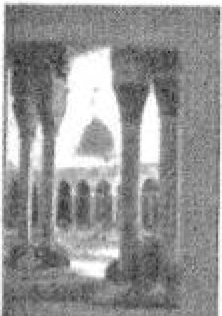
● بيروت ● ● جورج شكور ●

الغلاف الأول

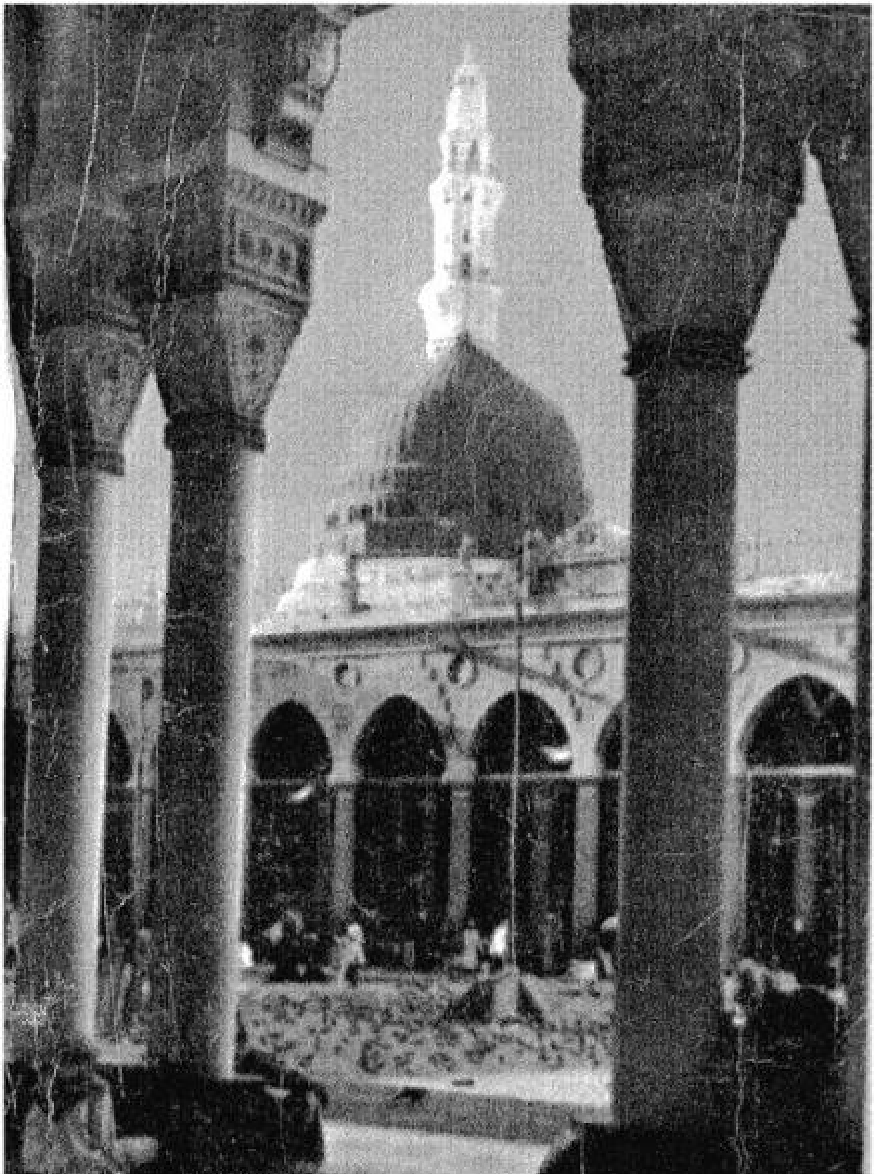


الجبرتي ..
بريشة الفنان : عفت حسني

القبة الخضراء بالمسجد
النبوى الشريف .



الغلاف الأخير




الهلال
بحوث
من ملتقى
اطلب مع العدد
الملحق الأدبي للهلال
الهلال +

الهلال

جمادى الآخرة ١٣٩٤
يوليـــة ١٩٧٤

مجلة شهرية تصدر عن دار الهلال — اسسها جورجى زيدان بسنة ١٨٩٢ — العدد السابع — السنة الثانية والثمانون — اول يوليــه ١٩٧٤ ١١ جمادى الآخرة ١٣٩٤

الاشتراكات

ثمن العدد : فى جمهورية مصر العربية ١٥٠ مليما .

قيمة الاشتراك السنوى : « ١٢ عددا » فى جمهورية مصر العربية وبلاد اتحـادى البريد العربى والافريقى ١٥٠ قرشا صاغا . فى سائر أنحاء العالم ٦ دولارات او ٥ر٢ جنيه والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال : فى جمهورية مصر العربية والسودان بحوالة بريدية . فى الخارج بشيك مصرفى والاسعار الموضحة أعلاه بالبريد العادى — وتضاف رسوم البريد الجوى والمسجل على الأسعار المحددة عند الطلب .

الادارة : دار الهلال ١٦ شـارع محمد عز العرب — القاهرة
تليفون : ٢٠٦١٠ « عشرة خطوط »

في هذا العدد



د . زكـي نجيب محمود



د. عبد الرحمن زكـــي



جميل صدقي الزهـاوي

بسم الله الرحمن الرحيم



كلمة الهلال

ما اجمل ان يفتح الانسان عينيه على صباح مشرق ، يطل فيه حوله ، فيجد حوله عيونا ومقه ، وايادى تمتد بالحب ، واحضانا تفتح بالحنان .

والشعوب كالناس ..

وما اجمل ان يصحو الشعب على عهد يجد فيه الدنيا حوله تصله بعد قطيعة ، وتنصره بعد خذلان ، وتقف الى جانبه بعد ان كانت تقف ضده ، وتقبله بعد أن كانت تصفعه .

اقول هذا ، وقد عبرت بنا منذ ايام ، ذكرى اليوم الخامس من يونيه - حزيران.. الذكرى التى عشناها ست سنوات فى حداد، ثم استطاعت معجزة العاشر من رمضان ان تنزع اعلامها السود المنكسة ، وتحيلها الى انتصار من اعظم الانتصارات العربية .

وتنحنى لنا الدنيا ، لان الدنيا لا تنحنى الا للاقوياء .

ويتقرب الينا المشرق والمغرب ..

ويأتى الرئيس نيكسون ، يمد لنا يد الصداقة ..

ويبعث بريجينيف برسالة رقيقة يعرب فيها عن امله فى بدء صفحة جديدة من العلاقات المصرية السوفييتية .

ويعلن الرئيس الفرنسي ديستان ان فرنسا تقف الى جانب الحق العربى ، وتستنكر احتلال الاراضى بالقوة .

ويصرح اللورد كارادون ـ صائغ القرار رقم ٢٤٢ ـ بأنه لو اتيح له ان يصوغ قراره من جديد ، على ضوء حرب اكتوبر ، لمال به الى الحق العربى ، واحل كلمة « فلسطين » محل كلمة « اللاجئين » .

وتصدر قرارات منظمة الوحدة الافريقية ، وفى مقدمتها وقوف افريقيا الى جانب الحق العربى .

وتزهى الدول العربية بما حققنا من نصر، وتساندنا فى المعركة وبعد المعركة ، وتتسابق الى الاستثمارات فى ارضنا .

كل هذا ... يحدث بعد ان صنعنا المعجزة فى اليوم العاشر من رمضان .

كيف صنعنا المعجزة ؟

بتصحيح انفسنا .. بالرجوع الى الله ..

بالعودة الى المثل العليا التى حلمت بها مصر طوال التاريخ والمثل العليا هى التى تشعل وقود الثورات ..

والمثل العليا ، جواهر لا تنصهر فى النار ..

ولكن طبيعة الثورات ـ على مدى التاريخ ـ انها تبدأ بعاصفة مجنونة ، تجتلب الرياح من جوانبها الاربعة ، فتلفح جنبات الجواهر ـ التى هى المثل العليا ـ فاذا ما هدات الثورة ووضحت سلبياتها وايجابياتها ، تقدمت الشعوب تراجعها ، وقد يتبادر الى اذهانها



الرئيس نيكسون

كلمة الهلال

لاول وهلة ان هذه الجواهر قد احترقت بين السنة الرياح الاربع .. ولكن يدا كريمة تفطن فى النهاية الى الحقيقة ، وتمتد الى هذه الجواهر بعد ان تخمد النار من حولهـا ، وتمسح عنها لفح الدخان ، فتعود الجواهر الى بريقها ، وتسفر عن معدنهـا الاصيل ، وتثرى حياة الشعوب .

هكذا كانت الثورة الفرنسية ، ام الثورات فى العصر الحديث .

كانت جواهرها : الحرية ـ الاخاء ـ المساواة .

ولكن ايدى سفاحى الثورة ، روبسبير ومارا ودانتون ، ما لبثت ان لطخت جواهر الثورة بالدماء .

ومر الزمان ، وسقط السفاحون ، وبقيت المثل العليا للثورة تعلم الشعوب فى كل مكان ان اسس الحيـاة هى الحرية والاخاء والمساواة .

الرئيس انور السادات



اقول هنا ، ونحن نقترب من ذكرى ثورة ٢٣ يولية ..

وسنتحدث عنها جميعا ـ يوم الذكرى ـ بما اصطلحنا على تسميته بالسلبيات والايجابيات ، وان كان تعبير « السلبيات » ينطوى على كثير من الترخص فى التعبير ، لان كثيرا من هذه السلبيات يصعد الى مستوى الخطيئة .. واحيانا الى مستوى الجريمة .

ومهما يكن من امر ، فان عهد روبسبيير ودانتون ومارا قد انتهى فى مصر ، كما انتهى فى فرنسا من قبل .

انتهى عهد السفاحين منذ يوم ١٥ مايو سنة ١٩٧١ ، وامتدت اليد الكريمة التى تكشف عن معدن الثورة الحقيقى .. معدنها الذى باطنه الحرية والاخاء والمساواة ، بكل ما تحتويه هذه المثل العليا من معانى التعاطف والتواصى والتعاون على البر والتقوى ، لا على الاثم والعدوان .

● صالح جودت ●

بين الأصالة والمعاصرة

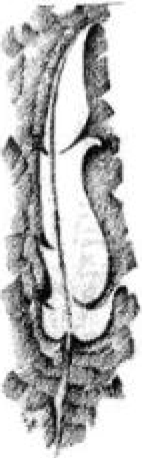
د. زكي نجيب محمود

لست اتردد لحظة حين اقرر بان ام المشكلات فى حياتنا الثقافية الراهنة هى محاولة الكشف عن صيغة لحياتنا الفكرية والعملية ، تجمع لنا فى طيها طرفين ، اذ تحافظ لنا على خصائصنا العربية الاصيلة ، وفى الوقت نفسه تفتح لنا الابواب على مصاريعها ، لنستقبل - فى رحابة صدر - اسس الحضارة العصرية كما يحياها اليوم روادها .

ان نجنى من الحق شيئا ، اذا نحن اكتفينا فى هذا المجال بكلمات نحرك بها شفاهنا دون ان تكون صادرة منا عن اقتناع وايمان ، اذ ما ايسر على المتكلم ان يدعى لنفسه الصفتين معا : صفة العروبة الاصيلة ، وصفة التحضر بحضارة العصر ، فاذا ما تناولنا حياته الفعلية بالتحليل الموضوعى الدقيق ، الفيناه واحدا من ثلاثة ، فاما هو قد خلا من الاسس الاصيلة فى الثقافة العربية ، مكتفيا فى حياته بعناصر متنافرة جمعها لنفسه من هنا وهناك من ظواهر الثقافة الغربية .. وأما هو قد ملأ نفسه بثقافة عربية صرف ، حتى انسدت دونه أبواب العصر فلا يدرى من أمر هذا العصر شيئا ... واما هو قد اخرج وفاضه خاليا من الثقافتين جميعا ، فلا هو الى اولئك ولا الى هؤلاء ..

تلك هى صور ثلاث اراها تستوعب الكثرة الكاثرة من ابناء الامة العربية .

وأما الصورة الرابعة التى هى صورة العربى وقد جمع فى كيانه وحدة عضوية متسقة متماسكة ، قوامها اصول



رئيسية من التراث العربي ، واصول رئيســـية أخرى من مقومات عصرنا الحاضر – فلن تجدها متمثلة الا في نفر قليل تكاد تشير الى أفراده في أرجاء الوطن العربي ، لانهم بهذا الجمع الحقيقي بين الثقافتين في حياة واحدة ، قد برزوا عن غمار الناس بروزا لا يخطئه البصر ·

ان الموقف الحضاري للامة العربية اليوم ، يتركز في سؤالين لو أحسنا الاجابة عنهما ، تبدت لنا حقيقة ذلك الموقف جلية لا يشوبها غموض ، السؤال الاول هو :

ما هي أهم العناصر التي نعنيهـــــا حين نتحدث عن « الشخصية العربية الاصيلة » ؟

أما السؤال الثاني فهو : ما هي أهم العناصر التي تتألف منها بنية الثقافة العصرية ؟

فبعد الاجابة عن هذين السؤالين ، تكون امامنا صورتان ، وقد يسهل علينا بعد ذلك ان نلتمس السبيل الى خلق المركب الواحد ، الذي يضم ما يمكن ضـــمه من أجـزاء الصـورتين دون ان تضيع من أيهما صفة جوهرية فينتفي بذلك وجودها

ولنبدأ بسؤالنا الاول : من نحن على الاصالة ؟ ما هي مقوماتنا التي اذا تحققت في فرد أو في مجموع ، قلنا عنه أنه عربي أصيل من الناحية الثقافية ؟

لست أطمع في أن تجيء الاجابة شاملة لكل هذه المقومات بحيث لا يفلت منا شيء منها ، وحسبنا أن نقع على طائفة من المقومات الاساسية فنهتدي فيما نحن بسبيله ·

وأول ما يرد الى خاطري من الخصائص المميزة للوقفة العربية ، العقيدة الراسخة بمستويين من الوجـــود ، بحيث يستحيل علينا استحالة قاطعة ، أن نخلط بينهما في التصور: فهنالك الذات الالهية الخالقة ، ثم هنـــالك عالم الكائنات المخلوقة لتلك الذات، وبين هذه الكائنات المخلوقة كائن أراد له خالقه أن يتميز ليحمل الى الدنيا امانة اؤتمن على حملهـا ونشرها ، وذلك هو الانسان ··· في هذا الاطار العام ، تتحدد وجهة النظر العربية الاصيلة ، وعن هذا الاصل الاول تتفرع فروع منها :

ان الانسان كائن خلقي ، بمعنى انه مكلف بأن يحقق في سلوكه قيما أخلاقية محددة معينة ، امليت عليه ولم تكن من اختياره ، فليس من حقه ان ينسخ بعضها ، أو ان يضيف اليها ما يناقضها ، ولما كان هذا التكليف الاخلاقي لا يكتمل معناه الا اذا كان الفرد الانساني مسئولا عما يفعل ، فان هذه المسئولية الاخلاقية بالنسبة لكل فرد على حدة ، تصبح امرا لا مفر منه ، فلا يجوز ان يحملها فرد عن فرد آخر ··· قد تجد في الثقافات الاخرى انماطا أخرى ، بل ان في عصرنا هذا نمطين آخرين لا يلتئمان مع الوقفة العربية التي ذكرناها،

احدهما يقول ان القوانين الاخلاقية كغيرها من القوانين ، هي وليدة الحياة الواقعة ، فما قد ثبت على التاريخ انه نافع جعلناه قانونا خلقيا نلتزم به سلوكنا ، وما قد تبين على التاريخ انه ضار ، حذفناه من قائمة الافعال المقبولة ... ولما كان النفع والضرر يتغيران بتغير الظروف ، وجب علينا ان ننظر الى مبادىء الاخلاق على انها نسبية لا مطلقة ، بحيث نكون على استعداد لان نغير منها ما لابد من تغييره لئلا يقف عقبة في سبيل التقدم مع ما يقتضيه الزمن وحضارته

ذلك احد النمطين الاخرين ، واما النمط الاخر فيقول اصحابه ان المسالة هنا ليست مرهونة بتقدم او تأخر في طريق الحضارة ، ولكنها مسالة الانسان وحريته المطلقة في ان يتخذ لنفسه ما شاء من قرار ، بشرط ان يكون مسئولا عن قراره ذاك ، فليس هنالك احد فوقه او الى جانبه يملى عليه ما يجب وما يجوز ، بل هو البادىء بقراره بدءا غيرمسبوق بمبدأ صاغه سواه

وواضح ان الوقفة العربية الاصيلة مختلفة عن كلا النمطين من حيث المبدأ والاساس ، حتى وان اتفقت معهما في النتيجة .. فهي مختلفة عن النمط الاول الذى يجعل المعول في السلوك الانساني الصحيح على التجارب ، على حين ان الوقفة العربية تفترض اسبقية المبدأ الخلقي على التجارب ، فالصواب صواب والخطأ خطأ بغض النظر عن النجاح او الفشل في تجارب الحياة العملية ، وليست حدود الصواب والخطأ من صنع الانسان ، ولكنها حدود شاءها الله للانسان .

والوقفة العربية مختلفة عن النمط الثاني كذلك ، الذى يجعل القرار الانساني غير مسبوق بمعيار ، وذلك لان وجهةالنظر – العربية كما ذكرنا – تفترض اسبقية المعيار الذى يقاس به القرار فيصوابه او خطئه ، وسؤالنا – في حدود هذه النقطة الاولى – هو : هل يمكن التوفيق بين ان يكون الانسان عربيا يحمل هذه الوجهة من النظر ، وان يكون في الوقت نفسه معاصرا يتطور مع الزمن وتغيراته السريعة ؟ .

لست ادعي هنا بان مشكلة التوفيق – في هذا الجانب – بين الاصالة والمعاصرة هنة هينة ، ولكنها على كل حال مشكلة تستحق منا النظر الطويل والعميق لاننا لو امسكنا بالقيم الثابتة الموضوعة لنا ، تعرضنا لخطر الجمود ، ولو سبحنا احرارا مع تيار التغير ، تعرضنا لزوال الشخصية وانحلالها ... وغاية ما استطيع قوله في هذا الصدد ، هو

ان قيمنا الاخلاقية الموروثة ، فيها من السعة ما يمكننا من التصرف في اطارها بدرجة من الحرية تكفي للحركة مع سرعة الايقاع في عصرنا . وليكن الامر في هذا شبيها بالامر في

تكوين الفاظ اللغة من حروف الابجدية فالحروف محددة معلومة العدد ، ومع ذلك فنحن مستطاعنا ان نبنى بها الفاظا تعد بملايين الملايين اذا اردنا ، فلماذا لا نقول ان مبادئنا الخلقية الموروثة هى اسس يمكن أن نبنى عليها مالا حصر له من ضروب العمل ؟

ان هذه القيم الموروثةالماثلة في أسماء الله الحسنى لان هذه الاسماء ـ كما يقول الامام الغزالى ـ هى صفات تكون مطلقة بالنسبة لله تعالى ، وهى نفسها تكون نسبية محدودة بالنسبة للانسان ، فاقرأ هذه الاسماء تعلم ماذا يطلب منك أن تكون : يطلب منك ـ مثلا ـ ان تكون عليما ، بصيرا ، سميعا ، قادرا ، صبورا ، الى اخر هذه الصفات العليا ...

فما الذى يمنع من مسايرة العصر بهذه الصفات ؟ ما الذى يمنع ان اكون عليما وبصيرا وسميعا بحقائق عصرى وما تتطلبه الحياة فيه ؟ .. وأن اكون قادرا وحكيما وصبورا وقويا وخبيرا ، وكلها صفات من تلك الصفات المطلوبة منى بحكم عقيدتى ...

كل الذى يطلب منى فى هذا المجال ، هو ان افهم من كل صفةجوانبها التى تكون اقرب الى العصر ، فاكون عليما بعلم العصر ، قادرا بقدرة العصر ، وقويا بقوته ، وحكيمـــا بحكمته ، وهلم جرا .

***

ومن مميزات الثقافة العربية كذلك ، تلك الرغبة الشديدة عند الانسان فى أن يتسامى على دنيا الحوادث المتغيرة ، ليلوذ بما هو ثابت ودائم ... ان كل ما فى الارض والسماء فان وزائل ، متغير أبدا ، متحول ابدا ... فقيم التمسك به وهو عاجز عن التماسك بذاته ؟ ... اليس ثمة مرفأ يمأمن من أعاصير الفناء والصيرورة والتغير الدائب من حال الى حال ،



لنحتمي بمثل هذا المرفأ فنسلم ؟ .. نعم ، هنالك مثل هـذا المرفأ الامن ، فنستطيع أن نلتمسه ، حتى ونحن لم نزل أحياء فى هذه الحياة الدنيا ، الا وهو الذات الباطنية التى بها تكون هويتنا ، هو « الانا » التى تظل دائمة صامدة مهمـــا حدث التحول لما حولها ... ثم هنالك مثل هذا المرفأ الامن بمعنى آخر ، وهو مرفأ الحياة الاخرة التى هى بمثابة غاية منشودة خلال كل نشاط ننشط به فى هذه الحياة الدنيا .

هذا هو العربى فى نظرته ، ينشد الخلود عنطريقالظواهر الزائلة ، يريد ان يقهر الزمن وان يقهر الموت ، أما الزمن المتقلب بأحداثه ، فهو يقهره بالخروج منه الى ما ليس زمنيا بطبيعته ، فيلجأ الى ذاته التى هى كائن لا زمنى ، كمـــا

يأمل في حياة أخرة لا تخضع هي الأخرى لعوامل الزمن ؟ ولو كانت الحقيقة كل الحقيقة هي هذه المتغيرات المتبدلات الفانيات الزائلات ، التي نراها في الاشياء المحيطة بنا ، لكان الكون – من وجهة نظر العربي – عبثا في عبث ...

وليست هذه النظرة هي ما يأخذ به عصرنا الحاضر ، فتكاد المذاهب الفلسفية المعاصرة كلها ، تجمع على تحليل كل شيء الى ظواهره المتغيرة ، دون ان تزعم وجودا لاى كائن ثابت وراء تلك الظواهر ، فهذه المنضدة امامنا ليست الا مجموعة ظواهرها البادية لحواسنا من بصر ولمس ؛ وكذلك قل هذا نفسه في الوجود كله جملة واحدة ، فما هذا الكون الا خضم من ظواهر ، ما تنفك متصلة بعضها ببعض أو منفصلة ،دون ان يكون وراءها شيء .

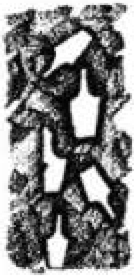
مثل هذه النظرة الى العالم ، انما تجيء ملحقة بالنظرة العلمية الصارمة التي هي من خصائص عصرنا ، فسؤالنا هذه المرة هو هذا : كيف التزم النظرة العملية الصارمة لاساير عصري ، وان اظل مع ذلك تواقا الى غيب وراء الشهادة ، يتحقق لي فيه الخلود والدوام ، لاظل محتفظا بهذه السمة العربية في نظرتي ؟

ومرة أخرى اقول : انني لا ادعى ان مشكلة التوفيق هنا هي من الهنات الهينات ، بل هي كزميلتها السابقة مشكلة تتطلب منا التفكير الطويل والعميق ، واني لارجح ان يكون الحل في ان نعيش في عالمين يتكاملان ولا يتعارضان ، بشرط الا نسمح لاحدهما ان يتدخل في مجال الاخر ، في أحدهما نعيش حياتنا العلمية بكل ما تقتضيه ، ولكننا بدل ان نقول ! ان هذه الحياة العلمية حسبنا في دنيانا ، يجب ان نقول : ان الى جانب هذه الحياة العلمية ، حياة اخرى فيها الاماني وفيها المثل العليا وفيها الرؤى واللاذ ، فاذا كنت في الساعات العلمية من حياتي احصر النظر في الظواهر وحدها ، لاستخرج قوانينها برغم تغير تلك الظواهر ، فانني في الساعات الوجدانية من حياتي اخلع عن نفسي عباءة العلم ، واسلم نفسي للتمني والرجاء ، وبغير هذا الفصل الحاد بين العالمين، يستحيل علينا التوفيق بين علمية العصر وصوفية الاصل الموروث .

ولقد احس الغرب نفسه بمثل هذه المشكلة ، فالتمس مخرجا منها ، بأن اقام حدا فاصلا بين العلم من جهة والفن من جهة أخرى ، فاذا كان محتوما على الانسان في حياته العملية ان يتقيد بالواقع كما هو واقع ، وبالظواهر كما هي ظاهرة لحواسه ، فله في الفن متسع يجول فيه ويصول ، لانه في الفن يستطيع الا يتقيد بواقع ، وأن يخلق لنفسه طبيعة أخرى غير الطبيعة التي تصدمه بظواهرها ، ومن هنا

نشأت مدارس الفن الحديث ، التي تتفق كلهـــا على نقطة مشتركة هي أن الفنان لا يطلب منه أن يصور الواقع ، من حقه ان يبدع لنفسه ما شاء له خياله أن يبدع ، فهذا التحرر من قيود الواقع الموضوعي ، يعوضه عما في حياته العلمية من قيود لا تحقق له ما يشبع الاماني والامال .

قل عن ثقافة أوربا وأمريكا اليوم ، انها ثقافة يسودها معقول العلم، تكن على صواب، او قل عنها ان الذي يسودها هو لا معقول الادب والفن ، تكن ايضـا على صواب ، لان المعقول واللامعقول يتجاوران ليعوض احدهما نقص الاخر واذا كان هذا هكذا ، فما الذي تتحرج له اذا نحن اخترنا أن نجاور بين معقول العلم والايمان بالغيب في حياة واحدة؟ اننا اذا فعلنا ذلك ، عاصرنا زماننا بالشق الاول ، ووصلنا وشيجة القربى بيننا وبين تراثنا بالشق الثاني .



على أن العربي الاصيل في رغبته أن يتجاوز الواقـــع المتغير الى ما وراء الواقع في أبديته وخلوده يظـل مرتبطا بالمكان الارضي ارتباطا عجيبا ، فهو مع المكان المحيط به في حوار لا ينقطع ، هنـــاك حركة جدلية موصولة ، طرفاها الانسان العربي ومكانه ، الا انهـــا جدلية لا تنتهي بدمج الطرفين في مركب واحد ، بل هي جدلية تحتفـــظ للذات الانسانية بالسيطرة على موضوعها ، الطبيعة كلها عنـــد العربي مسرح للفعل والحركة ، هي عنده حلبة للقتـــال والنزال ، هي ميدان الفروسية وبطولته ...

كانت الصحراء حول العربي مصدر روع له وروعة في آن معا ، فهو يرتاع لجهامتها ومجهولاتها ، ولكنه في الوقت نفسه يكاد يخشع لهيبتها خشوع العابدين ، ومن ثم كانت الصحراء له مسرح قتال ومغامرة ، كما كانت له مصدر حب وشعر وغناء ... انه يتفحص كل ما حوله من مكان ـ ارضا وسماء ـ بجميع حواسه ، يتفحصه بالبصر والسمع واللمس والشم والذوق ، لا يترك منه شيئا ، من جرذان الارض الى أنجم السماء ، لكنه يتفحص هذا كله ليستخدمه ويسيطر عليه ...

لم يكن العربي مستندا في علمه بالطبيعـة من حوله الى كتب تركها له السابقون ، بل استند الى كتاب الطبيعة نفسه ، ينظر في صفحاته ويقرأ ثم يعي ، ولم يكن علم العـــربي بالطبيعة للمتعة وازجاء الفراغ ، بل كان مسألة حياة وبقاء .

يقول أبو حيان التوحيدي في كتابه « الامتاع والمؤانسة »: « ان العرب ليس لها أول تؤمه ، ولا كتاب يدلها ، أهـــل بلد قفرة ووحشة من الانس ، احتاج كل واحد منهم في وحدته الى فكره ونظره وعقـــله ، وعلموا أن معاشهم من نبات الارض فوسموا كل شيء بسمته ، ونسبوه الى جنسه.

وعرفوا مصلحة ذلك فى رطبه ويابسه ، وأوقاته وأزمنته ، وما يصلح منه فى الشاة والبعير ، ثم نظروا الى الزمان واختلافه ، فجعلوه ربيعيا وصيفيا ، وقيظيا وشتويا ، ثم علموا أن شربهم من السماء ، فوضعوا لذلك الانواء ، وعرفوا تغير الزمان ، فجعلوا له منـــازله من الســـنة ،

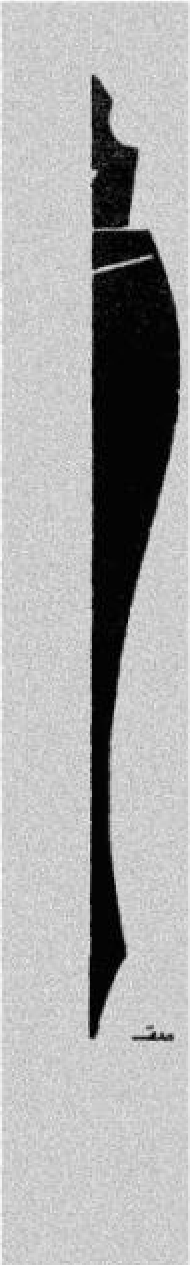
واحتاجوا الى الانتشار فى الارض ، فجعلوا نجوم الســـماء أدلة على أطراف الارض وأقطارها ، فسلكوا بها البلاد ، وجعلوا بينهم شيئا ينتهون به عن المنـــكر ، ويرغبهم فى الجميل ... حتى ان الرجل منهم وهو فى فج من الارض يصف المكارم فما يبقى من نعتها شـــيئا ، ويسرف فى ذم المساوىء فلا يقصر » ...

من ذلك نرى صورة العربى ، جوابا فى أرجاء الارض ، جوالا ببصره فى السماء ، ممسكا خلال ذلك بقيم توجهه نحو الفاضل والجميل ، فأين تتفق هذه الصورة العربية ، وأين تختلف ، اذا ما اصطدمت بوقفة الحضارة العصرية من الطبيعة ومن القيم التى توجه الانسان فى سيره ؟ أما الاتفاق فهو الاهتمام بالكون وما فيه اهتماما لا يقف عند حدود الكشف عن الحقائق لذاتها ، بل هو اهتمام يستهدف النفع واجتناب الاذى ، وأما الاختلاف العميق فهو فى ان العربى لم يرد من الطبيعة الا أن تكون مسرح فعل وارادة ، على حين أن انسان الحضارة الغربية بصفة عامة يضيف الى ذلك ما قد يكون أهمه، وهو انتكون الطبيعة مجالالفاعلية العقلتحليلاوتركيبا، ولذلك لم يكن مصادفة أن وجدنا فى فلسفات الغرب الحديث نظريات للمعرفة (ابتمولوجيا) تحدد العلاقة النظرية بين الانسان العارف والموضوعات المعروفة، على حين اننا لانكاد

نعثر فى التراث العربى الفلســفى كله على نظرية للمعرفة من هذا القبيل ، عنى الفكر العربى بالارادة وتحليلها لانها اداة العمل والحركة ، اكثر جدا مما عنى بالعقل وتحليله لانه رآه اداة لفاعلية ذهنية تتم لصاحبها وهو جالس على مقعده

فماذا نحن صانعون ــ نحن العرب المعاصرين ــ للتوفيق فى هذا المجال بين أصيل موروث وجديد معاصر ؟ أحسب أن الطريق أمامنا واضح ، وهو طريق تربوى من الاساس، فما علينا الا ان نربى ناشئتنا على ان يحتفظوا بميراثهم فى تدريب الارادة الماضية ، وفى التطلع والمغـــامرة ، ثم يضيفون الى ذلك تدريبا آخر على النظـر العقلى والبحث النظرى .

ان عصرنا هذا ان تميز بسمة تبرزه عن سائر العصور التى سلفت ، فهذه السمة هى ايغاله فى دنيا العقل ، ودنيا العقل هى نفسها دنيا العلوم على اختلافها ــ ايغالا لم يترك جانبا واحدا من جوانب الحياة ، ولاتركنا واحدا من أركان الارض



ـ وكدت اقول : واجواز السماء ـ الا وقد تنـــاوله بتاثيره ...

على أن العقل العلمي في زماننا لا يكفيه اليــوم ما كان يكفيه بالامس ، وهو أن يقف عند الحدود النظرية الرياضية، بل انه ليصر على أن يتجسد في اجهزة ، وعلى أن ينشر هذه الاجهزة على بقاع الارض ليبدل حياة الناس حالا بعد حال ، فلم يعد لنا مناص من السبح على هذا التيار العلمي التقني ، فاذا كنا أصحاب فعل وحركة وارادة من جهـــة الاصالة ، فلا بد من اضافة هذه الصفحة الجديدة الى كياننا، وذلك ـ كما قلت ـ انما يتحقق عن طريق التربية ابتداء ، لنخلق النظرة التي لا تترك الفعل والحركة والارادة سائبة كما اتفق ، بل تلجمها الجاما لتسيرها على الطريق المؤدية الى تكوين علم وعلماء بهذا المعنى العصرى الجديد .

***

واخيرا ـ وكان ينبغي ان يكون أولا ، لكنني ارجأت ذكره لبداهته ـ وهو ان أصالة العربي تبدأ من كونه يتكلم لغــة عربية ، والآن فلا بديل أمامنا الا ان نرعى هذه اللغة على السنة ابنائها واقلام كتابها ، فهي بطاقة الهوية التى تجعل من العربي عربيا ، هذه بديهية لا أظنهـــا مثيرة لجدال ، لكنني انتقل الى ما يترتب عليها لانه لا يبدو للناس بهــذه البداهة كلها ، وهو أننا اذا أردنا الحياة في عصرنا ، فلا بد من صب هذا العصر بكل ما فيه من علم وأدب في وعاء اللغة العربية ، أعني انه لابد من ترجمة العـــلوم العصرية كلها ، وكذلك ادب العصر وفلسفته ، وبقدر ما نستطيع أن نسكب مادة العصر في اناءنا اللغــــوى يكون نصيبنا من المعاصرة .

ان العصر لا يقتصر على شعب واحد ، ولا على قطـــر واحد ، فالعصر هو أمريكا وانجلترا وفرنسا والمانيا وروسيا واليابان وغيرها مما يسير معها في شوطها ؟ لكن هذا العصر الواحد يلبس في كل قطر من هذه الاقطار ثوبا ينسجه له ذلك القطر ليجعله واحدا من اهله ، دون أن يكون تبدل الاثواب سببا في تغيير شيء من ملامح العصر ، وما هذه الاثواب المختلفة باختلاف البلدان الممسكة بزمام الحضارة في عصرنا، الا اللغات المختلفة ، فاذ صب الفرنسي ـ مثلا ـ نتاج العصر في لغته الفرنسية فبات الفرنسي بذلك معاصرا لزمانه ، وكذلك فعل الالماني والروسي والياباني وغيرهم .

ومع ذلك فلقد صادفت في امتنا افرادا تعارض ترجمة العلوم ، على ظن منهم بأن هذه العلوم لا يليق لها الا الثوب الانجليزي أو الفرنسي أو غيرهما من لغات الامم المتقدمة ، ولا

يسعني في هذا المستوى أن أكرر القول بأنه على قدر ما ننقل الى الثوب العربي من نتاج العصر ، يكون نصيبها من العصر — فالاصالة في هذا المجال هي اللغة العربية التي هي لغتنا لا لغة أحد سوانا ، والتي هي كذلك ميراث تسلمناه من أسلافنا ، وأما المعاصرة فهي أن نصب عصرنا في وعائها .

ان التاريخ العربي هو كالنهر دفاق المياه ، وتظل للنهر هويته منذ ألوف السنين ، برغم جريان مائه وتبدله ، يوما بعد يوم ، بل لحظة في اثر لحظة ، والذي يحفظ للنهر هويته هو التزامه مجرى واحدا ، وهكذا نريد لحياتنا أن تكون : نحفظ لها الاطار الاساسي العام ، ووجهة النظر الرئيسية ، ثم نجدد المضمون الذي يملأ ذلك الاطار ، أو الذي يشغل تلك الوجهة من النظر ، كلما جاءت العصور المتوالية بحضارات متعاقبة، لكل حضارة منها مضمونها الجديد .

●●●

هذه — اذن — نقاط أربع ، أو ان شئت فقل انها مجالات أربعة ذكرناها ، في كل مجال منها موقف أصيل ضارب بجذوره في أعماق تراثنا ، يقابله موقف مضاد للحضـــارة التي نعاصرها ، ولقد حاولنا ان نبين في كل حالة من الحالات الاربع كيف يمكن أن تحدث المصالحة بين الضدين : فأولا — كانت لنا وقفة معينة بازاء الله والكون والانسان ، استتبعت وجهة نظر معينة في المبادىء الخلقية ، ليست هي وجهة نظر الحضارة القائمة فبينا كيف يمكن أن تســـد الفجوة بين الوجهتين ...

وثانيا كانت لنا وقفة بازاء الواقع المادي ، استتبعت منا أن نجاوزه الى غيب وراء ، وليس ذلك مما تأخذ به الحضارة الحاضرة ، فاقترحنا طريقة نخلص بها من هذا التناقض .

وثالثا — كانت لنا سبل معينة في التعامل مع الطبيعـــة الكائنة من حولنا ، ليست هي السبل المأخوذ بها في حضارة اليوم ، فالتمسنا لانفسنا وسيلة للتقريب بين الطريقتين .

ورابعا واخيرا — لنا لغة لا بد من الحفاظ عليها ، وهي التي تحمل ميراثنا في أوعيتها ، وقلنا انه لا مناص لنا من صب نتاج عصرنا في تلك الأوعية ليمتزج الجديد بالقديم في اناء واحد — وهكذا رسمنا ما يشبه الخريطة لما يمكن عمله توفيقا بين الاصالة والمعاصرة .

فتعالوا معي الآن في جولة خاطفة ، ننظر خلالها الى ماقد حدث بالفعل في حياتنا الثقافية ، لنرى الى أي حد أصابها التوفيق في هذا المزج الحضاري المطلوب ... فاما بالنسبة للمجال الاول ، الخاص بوجهـــة نظرنا الى الله والكون والانسان ، فلا أظننا قد ظفرنا بتوفيق كبير في أن نوسع

من معنى قيمنا الاخلاقية بحيث تتطابق مع ما هو مستحدث في عصرنا ، فقد نرى أصحاب القول والكتابة بين قادة الفكر منا منقسمين قسمين : أحدهما يضرب على الوتر القديم وحده ، والثاني يضرب على الوتر الجديد وحده ، ولشاذا حتى الان في أن تجيء النغمة المزوقة شاملة للجديد والقديم معا ، فاذا قلت ـ مثلا ـ كلمة « علم » انصرفت اذهان بعضنا الى الفيزياء والكيمياء وما اليهما ، وانصرفت اذهان الاخرين الى حفظ المدونات القديمة ، وبقينا في معسكرين لا يكاد يلتقى أحدهما بالاخر ، اللهم الا في أوجه النشاط التي لا تتصل بالحياة الفكرية من قريب ، وهكذا قل فكثير جدا من المعاني الرئيسية التي هي محاور الفكر والثقافة

وأما بالنسبة الى المجال الثاني ، الخاص بمجاوزة الواقع الى ماوراءه ، فللأسف الشديد : أرانا نحتفظ بهذه السمة ، ولكننا ننحرف بها عما خلقت من أجله ، فقد كان الاصل فيها هو أن ننجو بأنفسنا من دنيا الاحداث المتقلبة المتغيرة الزائلة ، لنلوذ بما هو ثابت وخالد ، لكننا جعلنا مجاوزة الواقع الى ما وراءه في عصرنا هذا ، فرارا من نظرة العلم الى سمادير الخرافة، فضاع منا الواقع وما وراءه دفعة واحدة

وأما بالنسبة الى المجال الثالث ، الذي هو علاقة العربي بالمكان ، وهي علاقة ـ كما اسلفنا ـ قوامها الفعل والحركة والبطولة والسيطرة على البيئة بكل تفصيلاتها ، فلقد انطوينا على انفسنا اثر ما ابتلينا به من قهر وهزيمة خلال القرون الثلاثة الاخيرة ، وبهذا الانطواء الذليل ، لا نحن عالجنا الطبيعة كما كان أسلافنا يعالجونها ، ولا نحن تناولناها كما يتناولها أبناء الحضارة الغربية الحديثة ، وتركنا ما تحت اقدامنا من رقعة الارض ، وما فوق رءوسنا من جو السماء ، للاوربي وحده أو الامريكي وحده يفعل فيهما ما شاء أن يفعل ، لولا أننا ـ والحمد لله ـ قد أخذتنا آخر الامر يقظة واعية ، نحاول بها النهوض من كبوتنا التي كانت ، والامل معقود بجيل جديد يتناول أرجاء الوطن العربي بنظرة فيها تقليد التراث وفيها تجديد الحضارة معا .

وأما المجال الرابع والاخير ، من المجالات الاربعة التي جعلناها مدار الحديث ، وهو مجال اللغة ، فلا شك اننا قد مضينا في شوط احيائها بمضمون الحضارة العصرية مسافة بعيدة ، ولكننا مع ذلك ما زلنا بعيدين بعدا شديدا عن الهدف النهائي ، الذي هو ـ كما أراه ـ أن نسكب كل مقومات العلم والادب والفلسفة الشائعة في دنيا العصر ، أن نسكبها كلها في لغة عربية ، ولن يحق لنا الحديث عن وجودنا في عصرنا قبل أن نجد هذا العصر قد نطق بلسان عربي مبين .

● من بحوث ملتقى الفكر الاسلامي الثامن بالجزائر ●

د. راشد الراجح

الفكر الإسلامي في قضايا الساعة وآفاق المستقبل

مثل هذا الموضوع – كما أتصوره – يستاهل ان تقدم فيه رسالة جامعية ، بل يستحق ان تقدم فيه عدة رسائل لاعلى درجة جامعية ولكنني على اى حال ساختصر الموضوع واتناوله من زاوية اسلامية اراها جديرة بالتنويه والاشارة على سبيل المشاركة والاسهام ...



لن أخوض في تعاريف لغوية وفلسفية دقيقة لمعنى الفكر والفكر ، والعقل والعاقل ، وما في معناهما – نظرا لكون تلكم معاني معلومة وتعريف المعرف تنكير ، كما يقال – كما أنني من الزاوية التي أريد الحديث فيها عن الموضوع ، اتفق مع من يرى أن الفكر والادراك والعقل بمعنى واحد ، فهي أسماء متعددة لمسمى واحد .

ويطلق الفكر ويراد منه التفكير ، اى العملية التفكرية ، وقد يطلق ويراد منه نتيجة الفكر اى ما توصل اليه الانسان من العملية التفكرية . وليس الفكر بمعنى التفكير عضوا خاصا به ،

حتى تصبح الإشارة اليه بل هو عملية معقدة تتكون من الواقع المحسوس واحساس الانسان (سواء بحاسة واحدة من حواسه او بحواسه كلها) ودماغه ، والمعلومات السابقة لديه ·

وما لم تجتمع هذه الاشياء الاربعة في عملية معينة لا يمكن أن يحصل فكر ولا ادراك ولا عقل · (يراجع الفكر الإسلامي ـ لمحمد [illegible] اسماعيل ص ٦٧) ·

وعلى هذا فان البحث في تركيب العقل وتكوينه ومادته غير داخل في حديثنا · لان الذي يهمنا هنا ان نتحدث عن العمليات التفكيرية التي يقوم بها العقل وما يترتب على ذلك من نتائج ·

وسواء عرف العقل بتعريف مادي محسوس او قيل فيه ما قيل في تعريف الكهرباء (لا يدرك كنهها وحقيقتها ، ولكنها تعرف بآثارها) فان اهتمامنا كما قلت على المحصول الذي تقدمه لنا تلك الموهبة العقلية العظيمة التي وهبها الله بني ادم تكريما وامتحانا (ليبلوكم ايكم احسن عملا) ·

ان تاريخ الفكر والمفكرين مرتبط بتاريخ الانسانية منذ وجودها · تكلمت الاديان القديمة عن العقل والفكر ، وبحث في هذا الموضوع قدماء الفلاسفة من الغريق وسواهم ، وظهر في المسلمين كثير من الفلاسفة كابن رشد، والفارابي وغيرهما · كما أن هناك كثيرا من العلماء والمفكرين الذين قدموا للانسانية ـ على مدى تاريخها المديد ـ كثيرا من الاختراعات والمكتشفات التي سعدت بها البشرية واسهمت اسهاما فعالا في الحضارة والتقدم والازدهار ، وان ما نشاهده اليوم من تقدم ورقي في المجالات الفضائية والعلمية لهو نتيجة لتلك الجهود الجبارة ، والافكار المبدعة التي هي ـ بلا شك ـ استمرار لافكار اقوام سابقين ربما بدات بمحض الصدفة ثم اتخذت شكلا فكريا منظما قام على قواعد دقيقة ونظريات سليمة اثبتت الايام صدقها وصوابها ومن ثم قدمت للاسرة البشرية الكبرى خدمات لا تنكر في مجالات مختلفة فتحت لها آفاق المستقبل الزاهر ، والامل المرتجى والسعادة المرتقبة ··

ولا اعتقد أن هناك احدا يجادل في قيمة الفكر ودور الفكر في نهضة امته ومن ثم العالم بأسره ·

كما لا اعتقد أن هناك احدا ينازع في أن التقدم التكنولوجي والرقي الحضاري ، والانماء الاقتصادي والتوسع العمراني والتكيف الاجتماعي المزدهر في العصر الحديث كل ذلك حصيلة حتمية لجهود المفكرين والعلماء من المسلمين وغيرهم ·

● المعرفة حصيلة انسانية ●

ويجدر بنا في هذا المقام ان نلقي نظرة سريعة على موقف الاسلام من كل هذا ، من الحقائق الثابتة ان الاسلام دين فهم وعقل وتفكير وادراك فهو ليس من دعاة « الطاعة العمياء » او « اغمض عينيك واتبعني وانت اعمى » كلا · الاسلام دين الحجة والبرهان ، انه دين قام على ذلك ولم يقم او ينتشر

بالسيف والاكراه (لا اكراه فى الدين) .. انه دين يحترم العقل ويدعو الى التامل واستعمال الفكر (وفى انفسكم افلا تبصرون) .

تعالوا بنا فى رحلة قصيرة ننصت خاشعين الى بعض الايات من القران الكريم ترفع من شان المفكرين والعقلاء وتدعو الى استخدام هذه الجوهرة الغالية لما فيه الخير والصلاح فى الدين والدنيا .

قال الله تبارك وتعالى : (وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون) سورة العنكبوت . (وهو الذى يحيى ويميت وله اختلاف الليل والنهار افلا تعقلون) سورة المؤمنون ، (كذلك نفصل الايات لقوم يعقلون) سورة الروم — (أتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وانتم تتلون الكتاب افلا تعقلون) سورة البقرة — (يا اهل الكتاب لم تحاجون فى ابراهيم وما أنزلت التوراة والانجيل الا من بعده أفلا تعقلون) سورة آل عمران — (واذا ناديتم الى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا ذلك بأنهم قوم لا يعقلون) سورة المائدة — (ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون) سورة الانعام — (كذلك يبين الله لكم اياته لعلكم تعقلون) سورة البقرة .

ولعلكم تدركون ان الخطاب فى هذه الايات الكريمات هو خطاب للعقل عامة — ومنه ما ينطوى على العقل الوازع . وفى الايات التاليات تجد الخطاب موجها الى العقل المدرك . قال تعالى : (ولكم فى القصاص حياة يا أولى الالباب لعلكم تتقون) سورة البقرة — (يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا وما يذكر الا اولو الالباب) سورة البقرة — (الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه اولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب) سورة الزمر — (قل لا يستوى الخبيث والطيب ولو اعجبك كثرة الخبيث ، فاتقوا الله يا اولى الالباب لعلكم تفلحون) سورة المائدة — (والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا اولو الالباب) سورة آل عمران .

والان ناتى الى نوع ثالث وهو الذى يندرج نصا تحت عنوان المحاضرة وهو العقل الذى يفكر ويستخلص من ذلك زبدة الراى والروية — كما يقول العقاد رحمه الله — وقد عبر عنه بعبارات مختلفة تتفق فى المدلول والمعنى مما هو مندرج تحت الملكات الذهنية فكرا ونظرا وبصرا وتدبرا وما الى ذلك .

قال سبحانه وتعالى : (الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والارض) سورة آل عمران — ومن ذلك الاية الكريمة « قل هل يستوى الاعمى والبصير افلا تتفكرون » سورة الانعام « انظر كيف نصرف الايات لعلهم يفقهون » — سورة الانعام — (او لم ينظروا فى ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شىء) الاية من « سورة الاعراف » — (افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت) سورة الغاشية — (أو لم يروا انا نسوق الماء الى الارض الجرز فنخرج به زرعا تاكل منه انعامهم وانفسهم أفلا يبصرون) سورة السجدة — (كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا اياته) سورة ص — (افلا يتدبرون القرآن ام على قلوب اقفالها) سورة محمد —

(قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون) سورة الزمر والايات كثيرة جدا والمكان لا يسمح بسردها ، ولعل فيما اقتبسنا اكبر دليل على فرضية التفكير فى الاسلام ، فهذه الجوهرة الثمينة لم يخلقها الله عبثا بل هى مسئولية كبرى لها ما بعدها .

فالعقل الوارد فى النصوص القرآنية المذكورة آنفا هو ـ كما قلنا ـ العقل الذى يخاطب الضمير ، ويميز بين الاشياء الضارة والنافعة ويوازن بين الاضداد . هو العقل القادر على التأمل والروية . وهو العقل الذى يقابله الجمود والتحجر ـ ان صح التعبير ـ والتعنت ، وليس بالعقل الذى يقابله

الجنون فذاك عقل بلا شك ، ولكن الجنون يسقط التكليف فى جميع الاديان والشرائع . اما الجمود فلا يسقط التكليف الشرعى كما هو معروف

اذن فالمقصود هو استعمال الفكر لما هو أبعد مدى . وعلى سبيل الخروج بنتائج مثمرة ومفيدة . وفى قوله تعالى : (ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا) مايدل على ذلك فالدين الاسلامى ليس كالديانات الاخرى التى يوغل بعضها فى الجانب الروحى ويهمل

الجانب الدنيوى بتاتا (لا رهبانية فى الاسلام) أو يوغل بعضها الاخر فى الجانب المادى فيعطيه اكثر مما يستحق . كلا فالدين الاسلامى وسط بين متطرفين ، وحقيقة بين نظريتين .. فهو دين يشرع الاحكام الدينية والدنيوية ويمنح العقل جانبا كبيرا لفهم تلك الاحكام وتطبيقها مع مراعاة الجانب التعبدى فيها .

وباختصار فالدين الاسلامى دين محراب ودين سياسة وحكم وعقل وتفكير . لا يعرف الانقياد الاعمى بأى شكل من الاشكال ، فانه دين اكتشاف واختراع ، ودين مختبرات ومعامل وتكنولوجيا ، أو بعبارة اخرى (دين دنيا ودين) فهو يعارض فكرة (ما لله لله ، وما لقيصر لقيصر) ، بل لقد جعل صلة العبد بربه فى كل مجال وفى كل حركة يقوم بها والكل لله . (قل ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وانا اول المسلمين) .

واذا كان كذلك فدور المفكر المسلم اليوم وعلى مر العصور فى أمته وتجاه الانسانية فى كل من قضايا الساعة وآفاق المستقبل دور ذو اهمية كبرى وقد قدم المفكرون الاسلاميون فى الماضى لامتهم الاسلامية وللبشرية جمعاء جلائل الاعمال وأعظم المكتشفات والمخترعات التى ساعدت على ازدهار المجتمعات الانسانية فى كل من ميادين التشريع ، والاقتصاد ، والصناعة والطب والعلوم والفلسفة وغيرها ، مما يطول ذكره فيما لو تعرضنا لذكر الاسماء .

ومما لا شك فيه أن النهضة الحديثة فى الغرب هى نتيجة لتلك الجهود الفكرية الاسلامية ، وليست نهضة أوربا التى تحققت فى عهد احياء العلوم ونقلت الانسانية من العصر الوسيط الى العصر الحديث الا امتدادا لنهضتها الاولى التى استمدت مقوماتها من علوم العرب وآدابهم وفنونهم خلال القرن الثانى عشر ـ (انظر رحلة الادب العربى الى أوربا ـ لمحمد مفيد . ص ٢١) .

ويقول المستشرق الايطالى فرانشيسكو (لم تكن قرطبة وحدها خلال أيامها

الزاهرة فى القرن العاشر ، مركزا هاما للثقافة العربية الاندلسية ، ولكن طليطلة واشبيليا وغرناطة ، وبلدان ريفية اخرى كانت كذلك مراكز كبرى لهذه الثقافة ، بل لقد ظل بعضها على تلك الحال حتى بعد ان استردها المسيحيون ... ولم يكن للنشاط الفكرى والروحى يومها فى تلك الاونة الخصبة التى امتدت فى القرن الثالث عشر اية حدود سياسية او دينية ، بل ظل فخرا للحضارة العربية ، وما نما من تبساتها فى الغربية الاوربية - (انظر كتابه « العرب » الطبعة الفرنسية ص ١٧٢) .

هذه شهادة اوربى للفكر الاسلامى وللحضارة العربية الاسلامية بالتاثير فى الفكر الاوربى ابان نهضته. واذا كان المسلمون قد اصيبوا بنكسات وانحطاط فيما بعد فالعيب ليس عيب الاسلام ، ولكنه عيب المسلمين انفسهم (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم) .

ولكن طلائع العودة الى الجسد الاسلامى العظيم والتضامن وتوحيد الصف بين الشعوب الاسلامية قد اخذت فى البروز بشكل يدعو الى التفاؤل ولله الحمد ..

اعود فاقول ان دور الفكر والفكر اليوم وعلى مر العصور فى امته وتجاه الانسانية فى كل من قضايا الساعة وافاق المستقبل - دور بالغ الاهمية ، ولولا المفكرون ومايقومون به من ادوار تساعد على الاكتشاف والتنظيم والتخطيط والسعى لخير البشرية، لكان هذا العالم فى مستوى متخلف بدائى يعجز عن توفير قوت يومه ومشربه وملبسه ، ولعاث فيه الفوضى فسادا .

يقول الاستاذ محمد الشوباشى : « ان الازدهار الحضارى الحالى ، المادى منه والمعنوى هو ثمرة عمل الانسان ، وخبرته المكتسبة من العمل، وهذا العمل وهذه الخبرة رفعا مستوى ذكائه ووسعا افق علمه ،ـثم زاده ارتفاع مستوى ذكائه واتساع افق علمه اتقانا لعمله واستفادة من خبرته وظل هذا التاثير والتاثر المتبادلان المتواصلان يرفعان على التوالى مستوى حياته المادية ومستوى فكره ، وآدابه على السواء ..

ان الادب والفن لا يعيشان بمعزل عن الناس ، ولا يتجاهلان معتقداتهم وميولهم ، بل يعبران عنها ويشرحانها .. ويسموان بمقدار سمو تلك المعتقدات والميول ، ولا تخفى الرابطة بين هذا السمو وتقدم العلوم والمعارف ...

ان السعادة الحقيقية لا تتوفر للانسان الا باستثمار افراده وهو يواصل العمل الابداعى للوصول بحياته الاجتماعية من الناحية المادية والمعنوية الى مستويات مطردة الارتقاء وتوطيد النظام الذى يكفل للناس جميعا الاستمتاع على قدم المساواة بالرفاهية التى يسفر عنها مسعاه . وعندئذ يسود الصفاء والاخاء فعلا .

نعم ان دور المفكر هام جدا . وتاتى اهميته عندما نمعن النظر فى التقدم البشرى فى الماضى والحاضر والمستقبل .. اذ لا يمكن باى حال تصور هذا



التقدم العظيم بدون وجود مفكـــرين عظماء قدموا لنا عصارة أفكارهم لفتح آفاق جديدة من السعادة والازدهـار لمستقبل الانسانية في شكل آراء مؤيدة بالادلة والحجج والبراهين وفى شكل بحوث ودراسات واكتشاف في مجال المعرفة البشرية ، فالفكر يقف خلف كل تقدم وبكل ما تعنيه هذه الكلمة ·

ولكن هنـــاك نقطة هامة جدا يجب الانتباه لها واخذها بعين الحيطـــة والاعتبار ·· ان المفكر يستطيع ان يكون عضوا عاملا في اصلاح أمتـه والبشرية جمعاء ، كما يستطيع أن يكون معولا هداما في بناء مجتمعــه العقائدي والثقافي والحضاري · وما نشاهده اليوم في انحاء العالم من رخاء وسعادة ، او شقاء وضيق وحرب وتدمير ، كل ذلك نتيجة لادوار المفكرين المعتدلين او المنحرفين كل بحسبه ·

– فمثلا المفكر المسلم يختلف تماما عن المفكر الذى لا يعترف بدين ولا بالله ·· المفكر المسلم له هدف في هــــذا الوجود يختلف كل الاختلاف عن الهدف الذى يهدف اليه المفكر المادى المنكـر للبعث والحساب ·

ومن هنا تاتى أهمية دور المفكـــر وخطورته ، وهذا بيت القصيد · المسلم له مبادئه وأهدافه ومصـــادر تفكيره ومنابع وجدانه ، ودوافع تأملاته · انه يستمد تشريعـــاته من الكتاب العزيز والسنة المطهرة ، ومن هنا نبدأ · من هنا المنطلق والى هنا المصير ·

المفكر المسلم له أخلاقه وضميره الذى يحاسبه في السر والعلن · أما المفكر غير المسلم سواء كان غربيا أم شرقيا فان مصادر تفكيره وأهــدافه ونظرته الى الوجود وتقويمه للاشياء يختلف اختلافا واضحا عن المصادر وأهداف ونظرات المسلم

واذا فان دعاة التوفيق بين الفكرية يصطدمون بعقبة كأداء في كثير مـــن الاحيان· ولا أعني بذلك انكارما قدمه الفكرالانساني للاسرة البشرية من تقدم علمى وتطـــور حضـــارى ، فكما قلنا ان المعرفة حصيلة انسانية وشركة بشرية· ولكن المراد أن الفكر الاسلامى يحول تلك الاكتشافات وتلك العلــوم الى ما فيه صالح البشر واسعادهم في دينهم ودنياهم · انه فكر أخلاق ومثل ومبادىء ·

أما الفكر غير الاســـلامى فانه ، غالبا ، يتخذ من تلك الجهود الفكرية والمخترعات العلمية الحـــديثة الهائلة وسائل تدمير للبشرية وتعذيب وابادة·

فعلى سائر الشعوب الإسلامية ان يتخـــذوا من ذلك درســـا وعلى المســـلمين جميعـــا ان يحـــذروا الافكار المستوردة، فهي وان لاح بريقها ولان ملمسها ، ففي ثناياها السـم الزعاف والخطر المحدق · والحـــذر والحيطة مطلوبان في كل شيء · وما لم يكن المفكر مستمدا تفكيره من مبادئه ومثله وبيئته فانه يعيش غريبـــا في مجتمعه وينطبق عليه المثل(أعرج وان رقص) وديننا ولله الحمد غني بافكاره البناءة ومثله واخلاقه الممتازة لبنـاء مجتمع انساني متكامل مؤمن بربه يعمل بكل اخلاص في سبيل مستقبل افضل وحياة سعيدة للاسرة الانسانية بكاملها

● د . راشد الراجح ●
عميد كلية الشريعة
جامعة الملك عبد العزيز
« المملكة العربية السعودية »
● من بحوث ملتقى الفكر الاسلامى الثامن بالجزائر ●

د. يوسف نور الدايم

الفكر الإسلامي

آثاره وأسباب قوته وضعفه

التوحيد أعظم عقيدة جاء بها الاسلام وهي الأساس الذي تبنى عليه الحياة الانسانية الفاضلة الرشيدة، ولهذا عظم الله سبحانه وتعالى الشرك وعده ظلما عظيما وجرما كبيرا لا يغفر والمعتزلة الذين نبغوا في أواخر العصر الاموي واستووا على سوقهم في العصر العباسي جعلوا التوحيد الأصل الاول والاهم عندما اقروا الاصول الخمسة التي تجمعهم وسموا أنفسهم اهل التوحيد.

جرم الاسلام الشرك بالله، لان التوحيد واستقامة العقيدة هي التي تدفع بالناس في الطريق السوي الاقوم «والصراط المنيع المستقيم» وليس من اللازم ان يعبد الانسان صنما أو وثنا او بقرة ليكون مشركا بالله فقد يعبد الهوى والغرائز والنوازع والشهوات (أرأيت من اتخذ الهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا) - سورة الفرقان -

والانسان الذي يلغي عقله، ويضرب عن الفكر ولا يرى ولا يسمع ولا يفكر الا بأعين الاخرين واذانهم وعقولهم الانسان الذي يسمع ويطيع من غير مناقشة ولا اخذ ولا رد ولا اعمال فكر، مثل هذا الانسان عابد لغيره، لان العبادة تعني الطاعة والتسليم، وهذا ما فات على عدي بن حاتم في خبر الاية (١) المشهور.

ومن العقائد السابقة التي جاء بها

---

(١) هي قوله تعالى (اتخذوا احبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح بن مريم) سورة التوبة - فقال عدي وكان نصرانيا، وقتا ما كنا نعبدهم، فقال له النبي (ص) الم يحرموا عليكم الحلال ويحلوا لكم الحرام فأطعتموهم ؟ قال نعم. قال: فتلك عبادتكم اياهم.



الاسلام ايضا عقيدة البعث ، ولا شك ان الموت من الحقائق التى استوقفت الجاهليين قليلا ، ودفعتهم الى شيء من التأمل والتفكير ، اما ما بعد الموت فقد اختلفوا فيه اختلافا بعيدا . منهم من امن به ، ومنهم من كفر به، ومنهم من وقف حائرا مضطربا ، ولعل زهيرا بن ابى سلمى كان من المؤمنين بالبعث والحساب يدلك على ذلك قوله فى المعلقة :

يؤخر فيوضع فى كتاب فيدخر
ليوم حساب او يعجل فينقم

الا ان ايمان المؤمنين بالبعث كان مرتبطا بالخرافة الجاهلية والاوهام المتهافتة .

اما طائفة الشاكين غير المستيقنين الذين لم يقطعوا برأى فيما بعد الموت فمثلهم قوله تعالى (ما الساعة ان نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين) سورة الجاثية — وقوله (بل اداراك علمهم فى الاخرة بل هم فى شك منها بل هم منها عمون) سورة النمل —.
والكثرة الكاثرة من الجاهليين كانت تنكر البعث انكارا وتستبعده استبعادا وهم الذين جادلوا الرسول (ص) واكثروا جداله ، وشتتوا له العظام النخرة البالية ساخرين منكرين مستهزئين . ونشأت بينهم طائفة عرفت بطائفة الدهريين واليهم يشير القرآن الكريم حين يقول (ما هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر) — سورة الجاثية — والقرآن يصور لنا انكار الجاهليين للبعث تصويرا رائعا نجتزىء منه بقوله تعالى (وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم اذا مزقتم كل ممزق انكم لفى خلق جديد افترى على الله كذبا أم به جنة) سورة سبأ

لقد اثارت هذه العقيدة الجديدة دهشة الجاهليين وعبروا عن هذه الدهشة فى اسفارهم كما فى قول الاخر :

يخبرنا ابن كبشة سوف نحيا
وكيف حياة اصداء وهام

ولم يكتف القرآن الكريم بالتقرير المجرد لهذه القضية بل ساق الادلة والحجج والبراهين التى تسند صحة دعواه فالله الذى انشأ النشأة الاولى قادر على ان يعيدها مرة اخرى وهى اهون عليه ولله المثل الاعلى (من يعيدنا قل الذى فطركم اول مرة) — سورة الاسراء — وفى الظواهر الطبيعية شاهد ودليل ... الارض الميتة ينزل عليها الماء فتهتز وتربو وتنبت من كل زوج بهيج (ومن اياته انك ترى الارض خاشعة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت ، ان الذى احياها لمحى الموتى انه على كل شيء قدير) سورة فصلت — وفى النوم واليقظة دليل (ومن آياته منامكم بالليل والنهار) . والناس مختلفون فى الاعمال ، متباينون فى السلوك ، متفاوتون فى الافكار ولا بد من محاسبة وتقييم ، وهذه ضرورة اخلاقية لامناص منها (أفنجعل المسلمين كالمجرمين مالكم كيف تحكمون) سورة القلم .

هذه العقيدة ، عقيدة البعث آمن بها المسلمون الاوائل ايمانا عميقا فاثرت فى سلوكهم تأثيرا عنيفا ، وكان ايمانهم بها — كايمانهم بالتوحيد — بسيطا عميقا فى آن واحد.. آمنوا بها وصدقوا الرسول ، ولم يسالوا عن كيفية البعث ثم جاء اخلافهم من بعدهم

فما كانوا يتساءلون عن كيفية البعث فعقدوا المسألة تعقيدا ، وفقد الناس حرارة الايمان فاستبدلوها بالجدل والكلام . عاد الناس يسالون هل تبعث الارواح وحدها وتفنى الاجسام ام هل تبعث الاجسام والارواح جميعا ؟ اما الكثرة ممن نسميهم فلاسفة (١) اسلاميين فقد زعموا أن الروح عنصر خالد باق دائم والجسم عنصر مادى فان متحلل والبعث انما يكون للارواح التى تطلق من محبسها الذى تمثله الاجسام ، ولقد سخر احدهم من هؤلاء فقال :

زعم المنجم والطبيب كلاهما
لا تبعث الاجسام قلت اليكما
ان صح قولكما فلست بخاسر
او صح قولى فالوبال عليكما

وظاهر ان القرآن الكريم يبشر بنعيم مادى روحى ، وينذر بعذاب روحى مادى ، والانسان نفسه مادة وروح فلا معنى لمن قال تبعث الارواح دون الاجسام .

هذا الحديث عن التوحيد والبعث ان هو الا محاولة متواضعة لتبيين بعض ما للاسلام من اثر فى عقائد الناس . واثرالاسلام لايقتصر على مااستحدث من افكار وعقائد كان لهـا دورها العظيم فى تاريخ الفكر البشرى . وعلينا أن نذكر دائما ان الاسلام حث وشجع وطالب الناس بإعمال الفكر، وايقاظ الشعور ، وتربية الحس (قل انما اعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة) و (قل انظروا ما فى السموات والأرض) و (ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لايات لاولى الالباب) آل عمران (٢) .

وجد الاسلام الناس يدينون بعقائد متباينة ، ويسلكون سبلاً مختلفة فدعاهم دعوة ملحة لامعان النظر ، والتجرد عن الزر والغرض وحمل حملة عنيفة على تقليد الاباء والاجداد من غير بصر ولا تدبر (واذ قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما الفينا عليه اباءنا او لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون) ـ البقرة

والامام الغزالى بما له من معرفة وثيقة بالدين وقواعده ، والاسلام وروحه ، يهاجم التقليد والمقلدين هجوما عنيفا وحق له ان يفعل فالتقليد دليل على البلادة ، وضيق العطن ، وطمس البصيرة ، وفى ذلك يقول الامام الحجة (فان زعم ان حد الكفر ما يخالف مذهب الاشعرى او مذهب المعتزلى ، او مذهب الحنبلى او غيرهم، فاعلم أنه غر بليد ، قد قيده التقليد، فهو اعمى من العميان) (٣) وفى موضع اخر تجده يستمر فى هجومه على المقلد محتدا محتدما قائلا (وشرط المقلد ان يسكت ويسكت عنه لانه قاصر عن سلوك طريق الحجاج ، ولو كان اهلا له كان مستتبعا لاتابعا ، واماما لا ماموما فان خاض المقلد فى المحاجة فذلك منه فضول ، والمشتغل به صار كضارب فى حديد بارد ـ وهل يصلح العطار ما افسد الدهر ؟) (٤) .

---

(١) هذه واحدة من المسائل التى كفر بها الامام الغزالى الفلاسفة . انظر « تهافت الفلاسفة » و د . راشد البراوى / قادة الفكر ٢٢٣ ومابعدها .

(٢) جمع الاستاذ العقاد جملة صالحة من الايات التى تنحو هذا النحو فى كتابه التفكير فريضة اسلامية ـ فليراجع .

(٣) البراوى : قادة الفكر .

(٤) المصدر نفسه

فالتفكير في الاسلام واجب شخصي ومسئولية فردية ، والجماعة لن تغني عن الفرد شيئا في هذا المجال . وما من أحد يطيع أحدا طاعة عمياء فيضله الا ناله غضب الله ، وندم حيث لا ينفع الندم ، وتحسر حيث لا تجدي الحسرة (ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا : يا ويلتي ليتني لم أتخذ فلانا خليلا . لقد أضلني عن الذكر بعد اذ جاءني وكان الشيطان للانسان خذولا) سورة الفرقان .

والرسول (ص) يرشد الانسان قائلا (لا تكن امعة تقول ان أحسن الناس أحسنت ، وان أساءوا أسأت)

وكل هذا يناقض مناقضة صريحة مذاهب الجاهليين في التفكير والعمل خذ على ذلك مثلا قول (١) دريد بن الصمة :

وهل أنا الا من غزية ان غوت
غويت وان ترشد غزية أرشد

والاسلام يوسع دائرة النظر المستقل والتأمل الفرد فالكون كله مادة للفكر ومجال للنظر ومسرح للتدبير . قال تعالى (وسخر لكم ما في السموات والارض جميعا منه) سورة الجاثية .

وقال (وكأين من آية في السموات والارض يمرون عليها وهم معرضون) سورة يوسف ـ أما حديث « تفكروا في مخلوقاته ولا تفكروا في ذاته » فليس حجرا على الفكر ولا منعا للنظر ، ولكنه حفظ له من الضياع وضنا بمن التبدد ولقد أثبت تاريخ الفكر الفلسفي صحة هذه النظرة فالفلاسفة الذين شغلوا أنفسهم بميدان ما وراء الطبيعة فراحوا يتصورون حقيقة الذات الالهية المقدسة كما تخيلها أوهامهم لم يأتوا بطائل أبدا ، وان هي الا تهويمات لا يسندها دليل ، وتخيلات لا يعضدها برهان . ولم تتقدم الفلسفة الانسانية شبرا واحدا في هذا الميدان . ولقد أدرك الفلاسفة أن طريق ما وراء الطبيعة طريق مسدود لم يخلق له العقل الانساني فأضربوا عنه اضرابا ، وهكذا وجدنا من يسمى بالفلاسفة التجريبيين الذين خطا العلم الحديث بفضل جهودهم خطوات واسعة موفقة .

وهذا هو الخط الذي سلكه علماء المسلمين في العصور الوسطى فاستطاعوا أن يجنوا نتائج ايجابية باهرة اعتمدوا فيها على الملاحظة الدقيقة ، والمشاهدة المكررة والتجارب المعادة والاستقراء العلمي الممتاز .

وعندما اتصل العرب المسلمون بغيرهم من الامم ، واحتكوا بثقافات أجنبية ، وفلسفات غريبة لم يكونوا ضعافا باهتي الشخصية وانما كانوا أقوياء استمدوا قوتهم من اعتزازهم بما يحملون من مبادىء وأفكار وتعاليم وقيم مما جعلهم العنصر المسيطر على الاوضاع المهيمن على الحياة ، المسير للامور والاحداث فان افتخر غيرهم بما كانوا عليه من زخرف وزينة ومتاعهم لا يعتزون الا بما عندهم من نور وهدى ومعرفة بالله رب العالمين (اذا سلم تبقى فاهون بالمصاب) (٢) .

(ولست أبالي حين أقتل مسلما
على أي جنب كان في الله مصرعي
(أبي الاسلام لا أب لي سواه
اذا افتخروا بقيس أو تميم
(دعي القوم ينصر مدعيه
ليلحقه بذي الحسب الصميم
ولا كرم وان كرمت جدود
ولكن التقي هو الكريم (٣)

---

(١) من دالية مشهورة يرثي فيها أخاه عبد الله مطلعها (أرث جديد الحبل من أم معبد) .

(٢) هذا مثل يضرب .

(٣) الابيات لنهار بن توسعة من شعراء الدولة الاموية . الشعر والشعراء ـ انظر الكامل للمبرد أيضا

ولو كان انتصار العرب انتصارا عسكريا ليس الا لذابوا في المجتمعات الجديدة التي احتلوها ولما تسنى لهم أن يكونوا قادة الفكر ، وبناة الحضارة . ولو كان انتصارا عسكريا مجردا لخضعوا في مسائل الفكر والاداب والفن للبلاد المفتوحة خضوع الرومان لليونان ، لان اليونان كانوا ارسخ قدما ، واطول باعا ، واقطع ضرسا في مجال الافكار والاداب من الرومان المتفوقين عسكريا الذين لم يجدوا بدا من النقل والتقليد والمحاكاة (وما التكحل في العينين كالكحل)(١) اما المسلمون فقد كانوا يملكون مقياسا لا يخطىء يفصلون به بين الحق والباطل ، والخير والشر ، والفضيلة والرذيلة . ذلكم هو القرآن الكريم الذي انزله الله سبحانه نورا وبرهانا ومرشدا ودليلا .

وتعاليم الاسلام بما فيها من سحر اخاذ ، ونور ثاقب ، وحق متبلج ، استطاعت أن تفعل فعلها بفضل جهود بعض الافراد الافذاذ ، حتى عندما أخلد جمهور المسلمين الى الارض واطمأنوا بالحياة الدنيا ورضوا بها فضربت عليهم الذلة والمسكنة واذاقهم الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون . فبدلوا بؤسا بعد نعمة ، وذلة بعد عز ، وضعفا بعد قوة ، وسلط الله عليهم قوما غلاظا شدادا قاسية قلوبهم لا يرقبون فيهم الا ولا ذمة ، اولئك هم التتار الذين عاثوا في الارض الفساد ، وخربوا الديار ، وحرقوا الكتب ، وسفكوا الدماء ونهبوا الاموال (٢) اقول انه بفضل جهود المسلمين البررة الذين تجلت فيهم عظمة الاسلام وسماحته ، هيأ الله لبعض اولئك الهمج الرعاع من امرهم رشدا . فدانوا دين الحق . فالتتار



بالرغم من تفوقهم المادي ، وقوتهم العسكرية الضاربة الا انهم لم يكونوا الرأس المقدم في مسائل الفكر والعلم والمعرفة . وحملت الفئة الصالحة التي امنت منهم راية الاسلام ، فخلقوا خلقا جديدا وصاروا شيئا آخر ، فتبارك الله أحسن الخالقين (٣) .

هكذا اثر الاسلام في افكار الناس وفي طريقة تفكيرهم ... وهناك جوانب اخرى نود أن نلمسها لمسا خفيفا فالاسلام له اثره في كل ناحية ... وجد الاسلام الناس مستمسكين بمثل جاهلية ، وقيم موروثة فهدم بعضها، وقوم بعضها وترك بعضها على ما هي عليه على أن ينظر الناس نظرة جديدة مستحدثة مستشعرين وجود الخالق وعظمته في كل تصرف وتصور ...

هدم الاسلام الخمر والميسر والاستمتاع غير المشروع بالنساء ، ووجه بسالة العرب ، وحبهم للمغامرة وركوبهم المخاطر وجهة اسلامية جديدة تركيزا للجهاد واعلاء لكلمة الله ، وسما بنظرتهم فلم تعد الحروب

---

(١) شطر مشهور لابي الطيب المتنبي

(٢) انظر نقولا زيادة : دراسات اسلامية ص ٢٢ ، ٢٤

(٣) انظر « أبا الحسن الندوي » : ربانية لا رهبانية ص ٢٤ وما بعدها .

سلبا ونهبا وكسبا رخيصا (ولا تقولوا لن القى اليكم السلام لست مؤمنا ، تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة) ـ سورة النساء ·

خالطت هذه النظرة الجديدة قلوب الناس ، وخامرت عقولهم فاصبحوا لا يصـدرون الا عنها · فالاموال مثلا لم تعد ملكا خاصا للناس وانمـا هي تمليك وتخـويل يجب ان يحسن الانسان التصرف فيه ·

قال عبده بن الطيب (١) :

رب حـبانا باموال مخـولة
وكل شيء حبـاه الله تخويل

ومن اثار الاسلام الخالدات تنظيمه لحياة الناس ، ومدهم بالقانون الذى يحتكمون اليه فى صـغائر الامور وكبـائرها ، فلم تعد الامور فوضى ضارية لا ضابط لها كما كانت من قبل · وقد ادرك العرب هذه الحقيقة واحسوا أن وجه الحياة قد تغير ، وان القيم قد تبدلت ·

اضف الى ذلك كله ان الاسلام اثر تاثيرا لغويا بعيد الغور فبفضله حفظت اللغة ، حتى قالوا لولا القرآن لما وضع شيء من كتب اللغة كما يقول الاستاذ مصطفى صادق الرافعي (٢) وبفضله اتسعت اللغة ونمت وازدهرت وبفضله اصبحت لغة عالمية ، وصارت لغة الفنون والعلوم والافكار ·

والقرآن بلغته الادبية الفذة المعجزة صار المثل الاعلى للبلاغة العربيـة ، والمعين الذى لا ينضب ، والذى ورده الادباء والكتاب والشعراء والمنشئون وما زالوا يردونه ويفيدون منـه ، يتفصحون به · والاحاديث النبوية بما لها من صياغة ادبية رفيعة محـكمة موجزة كانت هى الاخرى ريـاضـا دمثات يتأنق فيها المتـأمل ويجتلى النظر ، ويجنى الثمار ·

***

بعد أن تحدثنا فى اجمال عن اثر الاسلام فى العرب نود أن ننتقل الى اثره فى الحضارة الانسانية على وجه العموم ، وهو انتقال شكلى اذ المسألة واحدة فتأثير الاسـلام تلكم التأثير البليغ فى حياة العرب ونقلهم تلك النقلة الفكرية الحضارية الضخمة ـ يعتبـر بلا ريب تاثيرا مباشرا فى التـاريخ البشرى ··· والقمم البـواذخ التى صنعها الاسـلام كأبى بكر وعمر لا تعد مفخرة للعرب فحسب ، بل هى مفخرة على المستوى الانسانى العام ·

وتاريخ الحضارة الانسانية حلقات متصلة آخذ بعضها برقاب بعض ، وقد شاركت فى صياغة امم وشعوب ، ودور الاسلام فى الحضارة الانسانية قديمها وحديثها لا ينكره الا مكابر جهول ومن المؤسف ان بعض المسلمين ، جهلا منهم وغفلة وسوء نظر ـ يحسبون ان العلوم التى ينعم الناس بثمرتها اليوم ان هى الا جهد خالص للاوربيين وفضـل سابغ لا يشاركهم فيه احد ، وهم فى هذا انما ينسون ان هذه العلوم ثمرة

---

(١) شاعر مخضرم شهد القادسية : انظر (المفضليات) ·
(٢) قال ذلك فى مقدمته لشرح أدب الكتاب ·

الفكر الإسلامي

تجارب طويلة ضاربة فى أعماق التاريخ ·

وأثر المسلمين فى العلوم يتجلى لنا فى اتجاهين ، الاتجاه الاول فى المنهج العلمى الدقيق الذى التزموه فكانوا متجردين عن الهوى والغرض ، مخلصين للحق والحقيقة ، باذلين الجهد كله للوصول الى نتائج مقنعة مبرهنة والاتجاه الثانى فى النتائج التى وصلوا اليها بعد أن اتبعوا ذلك المنهج العلمى العظيم · فقد استطاعوا أن يبهروا عالم العصور المظلمة عند الغربيين ، بما احرزوه من تقدم علمى منير فى كثير من الميادين ··· ففى الكيمياء برز جابر بن حيان الذى قيل فيه (ان لجابر بن حيان فى الكيمياء ما لارسطو فى المنطق) ·· وفى الحساب والجبر أبدع محمد بن موسى الخوارزمى ··· ، وفى علم الفلك اشتهر البتانى ··· وفى الطبيعة علا كعب ابن الهيثم ··· وفى النبات طارت شهرة ابن بيطار ، الى غير هؤلاء ممن لا يحصيهم العد ولا يحيطهم الخبر ·

بالاضافة الى هذه العلوم التجريبية التى اعتمدوا فيها على التجربة والمشاهدة اهتم المسلمون أيضا بالعلوم الدينية كعلوم القرآن وعلوم الحديث والفقه بفروعه واصوله ، كما اهتموا بالعلوم اللسانية من نحو وصرف وعلوم بلاغة ومعاجم ، وبذلوا فى علوم التاريخ والجغرافيا والفلسفة وسائر العلوم الانسانية ، جهدا جاهدا ناصبا ··· هذه الجهود لم تذهب عبثا ولم تمض سدى ، بل أتت ثمارها كاملا فى تقدم الانسانية وازدهار الحضارة ولم تكن حضارة شوهاء حولاء تنظر بعين واحدة وتسعى بساق واحدة ، وتتنفس من منخر واحد بل كانت حضارة متكاملة تقف وراءها عقول صافية مؤمنة ، ونفوس امنة مطمئنة وقلوب عامرة واعية · وما من باحث منصف الا ويعترف اعترافا كاملاً بالمسئولية الضخمة التى نهض بها المسلمون دون كلل أو ملل ·

يقول قدرى حافظ طوقان : « وبدافع القرآن رفع المسلمون لواء الحكمة وخدموا العلم والمعرفة ، واحيوا علوم السابقين ، وعلموا الفلسفة والطب والفلك وفن البناء فى أسمى صورة ، الى الغرب والشرق على السواء ، مما أتاح لنا أن نصل الى النهضة العلمية الحديثة ، ولهذا يجدر بنا الا نكف عن البكاء كلما تذكرنا اليوم الذى سقطت فيه غرناطة) (١) ·

هذه الحضارة التى حاولنا أن نصف بعض جوانبها والتى كان يغذيها ذلك الفكر النير الجسور ـ ضعفت وتضعضعت بضعف المسلمين وتضعضعهم ، وكان لذلك الضعف والتضعضع دوافعه ودواعيه ، من تلك الدوافع ضعف الوازع الدينى فى النفوس ، فجذور القرآن التى كانت ممتدة فى النفوس تملؤها حماسا للعمل وتحثها حثا عنيفا على اعمال الفكر وامعان النظر بدأت تخبو وتبوخ ، فأصاب الناس كسل قاتل وخمول مريع مات منه الهمم وخبثت له النفوس ،

(١) أنظر فصل النزعة العلمية فى التراث العربى من كتاب العلوم عند العرب لقدرى حافظ طوقان ص ٧٧ وما بعدها ·

فسيطرت الشهوات وسيرت الناس الاهواء (فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا) سورة مريم ٥٩ ٠

وعندما يترك الناس الاجتهاد والمجاهدة والجهاد ٠٠٠ عندما يترك الناس التعلق بالمثل العليا ، والاهداف السامية والاغراض النبيلة ٠٠٠ عندما يكون همهم الاكل والشرب والسبق ، فقد اذنوا بزوال (فاعرضوا فارسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي اكل خمط واثل وشيء من سدر قليل) سورة سبأ ١٦ ٠

هذا اقوى الدوافع التي ارجعت المسلمين القهقري ثم كانت عوامل مساعدة عجلت بالنهاية ، منها تكالب الاعداء من الخارج ، فالتتار والصليبيون والاستعمار الحديث انزلوا ضربات قاصمات ، وصبوا سوط عذاب على المسلمين الذين كانوا يعانون من امراضهم الداخلية الفتاكة

ولبعث الفكر الاسلامي من جديد لا بدمن رجوع الناس الى القرآن الكريم دراسة وتحصيلا وفهما وتطبيقا ،وهذا لا يمكن ان يحدث ما لم تقم الدول بواجباتها ، فالدولة في الاسلام ليست هدفا في ذاتها بل هي وسيلة منوسائل اعلاء كلمة الله (الذين ان مكناهم في الارض اقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر)- سورة الحج ٤١ ولا بد أن يقوم العلماء بواجبهم أيضاً ٠

وفي مجال الفقه لا بد من الاسترشاد والاستنارة بآراء الفقهاء السابقين ولكن ذلك لا يعني ان آراءهم حجة ملزمة يصار اليها ، فهم رحمهم الله بذلوا جهدهم لحل قضايا عصرهم ٠ وعلماء المسلمين اليوم لا بد أن يبذلوا محاولة جادة تسيير الحياة وفق جهدهم لحل قضاياهمبعد ان يحاولوا محاولة جادة تسيير الحياة وفق

تعاليم الدين وهداه ٠

ونحن نعيش في مجتمع يضطرب من المعارف العلمية فهذه لا بد من الاخذ بأسبابها ، فالحكمة ضالة المؤمن ، وهناك تمويه وخداع من كثير ممن تأثروا بالحضارة الغربية اذ يزعمون أن الحضارة لا تتجزأ فهي اما أنتؤخذ

جملة أو تترك ، وهؤلاء يريدون منا أن نكون حطاب ليل نأخذالغثوالسمين كأنا مشلولو الارادة ٠ نحن نريد أن نأخذ بأسباب العلم ، لان ديننا يدعونا لذلك وهو بعد حق من حقوقنا شاركنا فيه مشاركة فعلية ، ولكننا لا نريد أن نرث أمراض القوم وآفاتهم ٠

ان ظلام الجهلالمتراكم لا يقطعه الا نور المعرفة الوهاج والمعرفة لا تنال الا بالجهد الدائب والتوفيق الكبير ، وليست المعرفة ــ بعد ــ ترفا ذهنيا

ولا حلية ترتدى وانما العبرة بما تخلفه من اثر في النفس والشعور وبين ايدينا علم غزير وادب جم وكنز ثمين متمثل في كلام الله وحديث

الرسول ، والمحروم من حرم منهما ، فقد جاء في الحديث الذى اتفق عليه الشيخان (مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثلالغيث الكثير أصاب

ارضا فكان منها نقية قبلت الماء فانبتت الكلا والعشب الكثير ، وكانت منها اجادب امسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا ٠٠٠ واصاب منها طائفة اخرى انما هي

قيعان لاتمسك ماء ولاتنبت كلا) ، وما من نهضة ترجى للمسلمين والقرآن مهجور والحديث مهدوم ، والشريعة معطلة ٠

● د . يوسف نور الدايم ●
الاستاذ بآداب جامعة الخرطوم

● من بحوث ملتقى الفكر
الاسلامي الثامن بالجزائر ●

ميلاد شاعر

طاهر أبو فاشا

مهداة الى روح الملاح التائه شاعرنا الباقي: « علي محمود طه ».

إلى مِثْلِهِ تَصْبُو عذارَى الخواطرِ
وفى حَانِهِ تَصْحُو سكارَى المزاهرِ
وفى كلِّ همسٍ حَوْلَ معناه ضجةٌ
وفى كلِّ معنىً منه صرخةُ ثائرِ
ألَمّ على الأيامِ يَسْقِي جَدِيبَهَا
وَيَبْنِي جديدًا فوق أطلالِ داثرِ

***

هو الشعرُ ما غنَّى ربيعٌ وما بكَى خريفٌ
وما اخْضَلَّتْ عيونُ الأزاهرِ
تراتيلُ أنسامٍ وتسبيحُ جدولٍ
وأنّةُ موجوعٍ ومصباحُ حائرِ
أراقَ على وَجْهِ الصباحِ ضياءَهُ
وعاقَرَهُ فى الليلِ صَمْتُ الدياجرِ
وَوَدَّتْ بَنَاتُ الزهرِ لو أنَّ عَرْفَهَا
من النَّغَمِ القُدْسِيِّ سُبْحَةُ خاطرِ
وإنَّ جمالاً لم تُسَجِّلْهُ ريشةٌ
من الفنِّ ـ نَهْبٌ للسَّوافى الثوائرِ
وإنَّ حياةً لا تُحِسُّ جمالَها
لَتَكْلِيفُ مصفودٍ ، وصَفْقَةُ خاسرِ
تَغَنَّتْ به الآبادُ مِنْ قَبْلِ عَرْفِهِ
كلامًا فَتَجَابُ الدهرَ أوّلَ عابرِ
وأرْهَصَ للأوتارِ حتى إذا شَدَا
تجاوبَ فَرْحُ الكونِ فى بُرْجِ ساهرِ



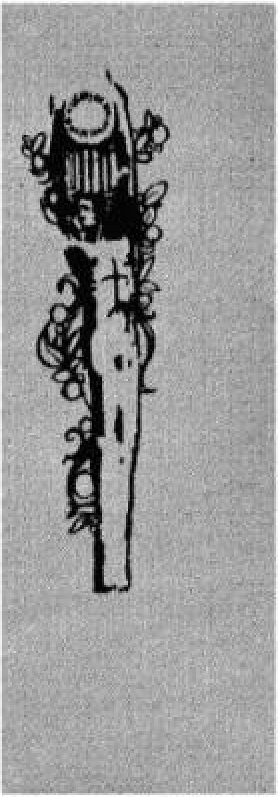
ودقّت نواقيسُ الحيـاةِ وأطلقـت
رهابينُها في الجوِّ روحَ المباخرِ
ونادى منادٍ في السمواتِ : أوقِـدوا
كواكبَها فاليومَ ميلادُ شاعرِ

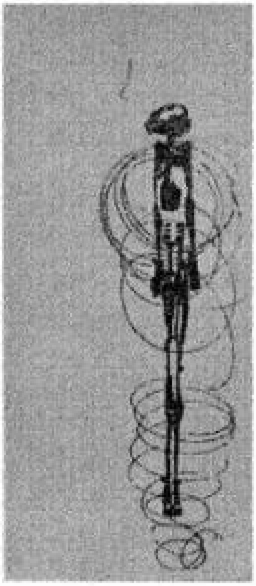
***

فَضجَّ بأعراسِ السمواتِ عيدُها
وقَرَّ على شطِّ الحياةِ شريدُها
تَجرَّدتِ الأنغامُ فهي عوالمٌ
يُترجِمُ أسرارَ الوجودِ وجودُها
وأقبلَ ربُّ الشعرِ في أيِّ موكبٍ
تحفُّ به حورُ السماءِ وغِيدُها
وطافَ به جبريلُ قبلَ نزولِهِ
إلى العالمِ المحدودِ . والأرضُ بِيدُها
فلمّا دنا مِن جوهرِ الشعرِ زلزلتْ
به الساحةُ الكبرى ، وماجَ أبيدُها
وقيلَ له : يا شاعرَ الكونِ . هذهِ
هي الجذوةُ الأولى وأنتَ وقيدُها
وغوّثْ بالنارِ القديمةِ كاهنٌ
ومسَّ بها الدنيا فضاءَ عمودُها
ودبَّ بها معنًى جديدٌ وأمرعت
بطائحُها الجدباءُ واخضرَّ عودُها
وأطلعَ ساقي الشعرِ في البيدِ كرمةً
منعّمةً يحدو الزمانَ نشيدُها

ميلاد شاعر

ونادى نبيٌّ قومَه : تلكَ واحةٌ
على الأفقِ . عذراءُ الجِنانِ وَلُودُها
فما آمنتْ بالشعرِ إلاّ تحتوته
ورانَ على الأرضِ العجوزِ جمودُها
وقدَّر للدنيا الشقاءَ . فأحدثتْ
وجدّفَ غاويها وضلّ رشيدُها
وأشرعت الأطماعُ فيها ضغائناً
يُجادلُ في معنى السلامِ حديدُها
وما كدَّرَ الأيامَ إلاّ ظماؤُها
وهل شابَ ماءَ العينِ إلاّ وُرودُها . ؟
فلا طابَ نفسا بالحياةِ شقيُّها
ولا قرَّ عيناً بالحياةِ سعيدُها
أتنشدُ في دنيا الحيارى مَن اهتدى ؟
أفي الحانةِ الحمراءِ ترتادُ معبدا ؟
هرَقْتَ - إذَنْ - يا سادِنَ الشعرِ لحنه
وأهدرت للغافين نايا مُسَهَّدا ؟
هي الأرضُ طبعٌ في بَنِيها ، ومن تكن
جِبلَّتُه الأولى تُرابا تمرَّدا
وكم ضاربٍ فيها بمكّازِ تائهٍ
يُعَدُّ من الموتى وإنْ راح أو غدا
وكانت حياةُ الناس لولا زحامُهُم
عليها طريقا للسلام مُعَبَّدا
فلا تكُ نجما جاوَزَ الليلَ وحدَه



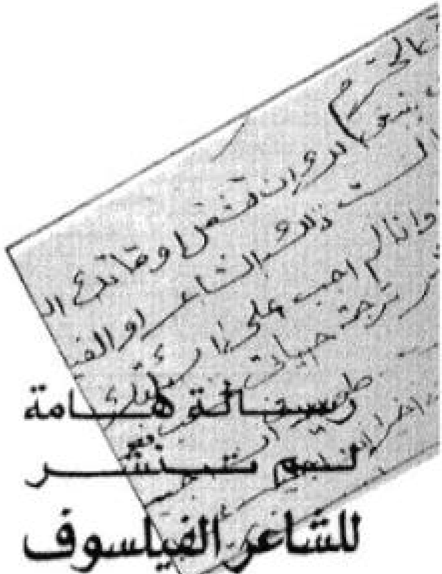


بيـــداءَ فانثالتْ أشــعتُهُ سُــــدًى
لمنْ شارقٌ في الأُفقِ إن كنتَ لا تَرى .؟
وفيمَ هتافُ الوُرْقِ إن كنتَ جلمدا ؟

***

هنـــالك . والدنيـــا روايةُ ظـــالمٍ
وقصتــــةُ مظلومٍ ، وتلفيقُ مُنتدى
وفي ليلةٍ ظلمــــاءَ يَتنسَّــــلُ برقهــــا
كما جَرَّدَتْ كفُّ الكَمِيِّ المُهنَّــــدا
وفوقَ رَبَاةٍ يَكْمُنُ الدهـــرُ عنـــدها
وتُبصِـــرُ فيها ـ قَبْلَ مولدِهِ ـ غَدا
دَعا ربَّهُ الشـــادي وأوْتي بشِعرِهِ
إلى العالمِ الثـــاني ومَدَّ له يَـــــدا
وكـــفَّ عن الأوتارِ فهي نـــواشزٌ
كأعصابِ محمـــومٍ ألحَّ به الصَّـــدى
وقال بنُو المـــوتى : لقـــد مات شـــاعرٌ
وكيفَ يذوقُ الموتَ مَنْ كان خُلِّـــدا
بِقدْرِ شـــعورِ المـــرءِ يمتدُّ عمرُهُ
وفي حمأةِ الأيـــامِ يَرْدَى بنُـــو الرَّدَى
وما ماتَ شـــادٍ بالجمـــالِ ، وإنمـــا
إلى عالمِ الألحـــانِ عـــادَ كمـــا بَدا
ومَنْ فَهِمَ الأيـــامَ لحنـــاً مُجدداً
تراءتْ له الأيامُ لحنـــاً مُجَـــدَّدا

عبد الرزاق الهلالي



رسالة هامة لم تنشر للشاعر الفيلسوف جميل صدقي الزهاوي

... قل أن حظي شاعر عربي معاصر، مثل ما حظي به شاعر العراق الكبير جميل صدقي الزهاوي، من البحث والدراسة والتحقيق، لا فرق في أن يكون ذلك، عندما كان على قيد الحياة أو بعد وفاته!

وحيث أني واحد من أولئك الذين درسوا حياته الفكرية والأدبية، دراسة عامة شاملة، اذ رحت منذ أكثر من عشر سنين أبحث عن كل ما له علاقة به، وأتحرى عن كل ما خلف من آثار فكرية وأدبية، تلقي ضوءا جديدا على بعض جوانب هذه الحياة - فقد سعدت مؤخراً بالعثور على (رسالة هامة)(١) له، كان قد بعث بها الى الأديب المصري الأستاذ أحمد محمد عيش، الا أن هذا الأديب الفاضل لم يشأ أن ينشرها ضمن «رسائل الزهاوي» التي نشرها على صفحات مجلة «الكاتب المصري» (٢) بالرغم مما جاء فيها من آراء فلسفية واجتماعية وأدبية هامة ..

ولما كنا نرى، أن بقاء هذه الرسالة في طي النسيان، غير صحيح، لا سيما بعد أن وقفنا على ما فيها من آراء حرية بالبحث والدرس، فها نحن أولاء، نقدم للقارىء الكريم أهم ما جاء فيها من أجوبة، وفق ما يلي:

١ - بين الزهاوي وأحمد محمد عيش:

أن هذه الرسالة تتألف من (١٢) صفحة كتبها الزهاوي، بخطه المعروف

---

(١) لقد تفضل علي بها الصديق الدكتور حسين نصار رئيس قسم اللغة العربية في كلية الآداب بجامعة القاهرة فشكراً له وألف شكر !!

(٢) نشر هذه الرسالة في أعداد المجلة الصادرة في « ديسمبر ١٩٤٦ يناير وأكتوبر ١٩٤٧ » .



جميل صدقي الزهاوي ، حفل ادبه بالكثير من البحث والدراسة .

مجيبا فيها على (٥٣) سؤالا من مجموع (٩٢) سؤالا . كان الاستاذ أحمد محمد عيش ، قد وجهها اليه في صيف سنة ١٩٣٣ . وقد بعث الاستاذ الزهاوي باجوبته هذه على رسالته الموجهة الى الاستاذ عيش، وهذا نصها :

« صديقي المحترم

« ما كان ينبغي لك ان تشغل اوقاتك الثمينة .. بتاليف كتاب تسميه باسمي ، فانا لست ذلك الشاعر الفيلسوف الذي تكتب باسمه الكتب ! وانا لم اجب عن اسئلتك ، الا للحاجة الاول ، أن تنشر ترجمة حياتي فحسب فعسى ان ترجع عن رايك ، فتريح نفسك وتريحني !

« وقد ترددت طويلا في ان اجيبعلى اسئلتك هذه الاخيرة ، ولكني رايت اخيرا ان اجيب عن بعضها . واتغافل عن البعض ، لانه يحتاج الى اجهاد الفكر ، وانا شيخ قد نهكته الامراض ، وقد اغمي علي ، قبل ايام في (سوقالكاتب) (١) فحملوني في عربة الى داري ، وانا لا اعي !

« اما (الايصالات) (٢) فانا في شغل عنها بنفسي ، ولا احسب ان مثل هذا الكتاب يروج في العراق !

« وقد كلمت محمود افندي حلمي صاحب المكتبة العصرية ببغداد عن جمع الاشتراكات فيه ، فأجاب : انى ذاهب الى مصر وربما تقابلت فيها مع الاستاذ أحمد محمد عيش فاتفقنا بيننا على بيعه ، او جمع الاشتراكات فيه، واذا لم يقابلك في مصر ، فهو راجع بعد شهر تقريبا الى بغداد ، فيحسن أن تكاتبه في شانه ، وليس في تلاميذي من يمكن ان اوعز اليه ان يقوم بأمر هذا الكتاب !

« واذا صممتم على نشره،فارجو ان تحذفوا منه (ما يؤيد اعدائي في طعنهم بديني ، فانك لا تدرى ان مثل هذا قد يودي بحياتي !) .

«ولم يكتب الى احد عنك شيئا ، انما أرى نفسي على وشك الرحيل (ولا يهمني الموت ، ولكن يهمني ، ان يتالم اقاربي ، واهل بيتي ، بعد موتي، بما يشيع عني من زندقة والحاد ، فان التفكير في هذا وحده يزعجني ! وانا اريد ان احيا ايامي الاخيرة في راحة ، واموت من غير ضوضاء !)

(١) هو سوق الوراقين المشهور المعروف في بغداد حتى اليوم باسم (سوق السراي) !

(٢) يبدو ان الاستاذ عيش طلب من الزهاوي ، أن يجمع بدلات المشاركة بشراء هذا الكتاببموجب (ايصالات) اعدت لهذا الغرض !

ويسرني ان اسمعك تقول لي: قد رجعت عن تأليف الكتاب أو نشره ، فأكون لك من الشاكرين :

● جميل صدقي الزهاوي ●

● بغداد في ١٢ تموز ١٩٢٢ ●

●●●

هذا هو نص الرسالة التي بعث بها الزهاوي الى الاستاذ عيش وأرفق بها اجاباته عن الاسئلة التي وجهها اليه، فما الذي حدث بعد ذلك التاريخ ؟

الظاهر ، ان الاستاذ عيش ، لم يؤلف كتابا عن (الزهاوي) بل كل ما قام به ، هو أنه بعد عشر سنوات من وفاة الزهاوي ، نشر (رسائل الزهاوي) على صفحات مجلة (الكاتب المصري) دون أن ينشر هذه الرسالة (موضوع بحثنا) لاسباب نجهلها ، واليوم ، إذ تقع هذه الرسالة بين ايدينا (بعد مرور ٤٠ عاما على تحريرها) يطيب لنا أن نقدم أهم هذه الاجابات، خدمة للفكر والادب والحقيقة ، وفق ما يلي :

اولا : الزهاوي والمرأة :

يعتبر الزهاوي ، في طليعة المفكرين العرب الذين دافعوا عن حرية المرأة ، ولعل مقاله ، المنشور على صفحات جريدة (المؤيد الاسبوعي) في سنة ١٩١٠ ، خير دليل على ذلك..

وحين سأله الاستاذ عيش عن رأيه في حرية المرأة ، ضرب له مثلا من واقع حياته قائلا :

« قتلت وأنا شاب « هرة » لانها قتلت طيرا من الحمام ، كنت أحبه كثيرا ، ولم افكر يومئذ ، ان هذه الهرة ، مضطرة الى قتل الحمام لجوعتها ، فقد جعلتها الطبيعة من اكلة اللحوم فماذا تصنع ؟! فأنبني ضميري ، ولم يثر الناس على فعلتي هذه ! بل ثاروا على لدفاعي عن المرأة ولقصيدتي (ثورة في الجحيم) ولكن لم يؤنبني ضميري!

ان الاصلاح الذي كنت أنشده ، في حياتي كلها ، هو تحرير المرأة في العراق ، وتحرير الادمغة من الخرافات . وقد رأيت اثر هذين ، وان لم يتما بعد ، كل التمام ، والامل أن تنجو بصورة من الصور من براثن الاستعمار الحادة ! »

ثانيا أفكار وآراء فلسفية :

ولما كان الاستاذ الزهاوي ، من عشاق الفلسفة ، وكثيرا ما كان يطيب له أن يلقب، بلقب (الفيلسوف الشاعر) أو (الشاعر الفيلسوف) فالذي يبدو أن الاستاذ عيش ، كان قد أكثر عليه باسئلته حول الفلسفة والعلم ، وحول صلته هو نفسه بها ، فأجابه الزهاوي عنها قائلا :

« تسألني عن العلوم الحديثة ، التي يجب أن تدخل ضمن حدود الفلسفة ، فأقول : للفلسفة ــ اذا تحققت نظرياتي ــ أن تدخل دائرة العلم ! .. أما العلم فلا يدخل دائرة الفلسفة لان الفلسفة كما بينا هي (النظريات التي لم تحقق بعد !) والعلم لا يطلق الا (على ما تحقق بالاختبار والاستقراء والتجربة المكررة) .

تقول : لا بد للفلسفة أن تتحرر من قيودها ، وتخرج من دائرتها الضيقة، الى دائرة أوسع ، بحيث تدخل العلوم في دائرتها !

واني لياخذني العجب . من سؤالك هذا ، فأي قيود للفلسفة حتى تخرج منها ؟! الفلسفة أوسع من العلوم ، فهي تشمل كل تعليل لحادثة لم تكشف أسبابها بعد ! ولا يدخل العلم في دائرتها ، فان ما تحقق لا يرجع القهقرى ، فيكون غير متحقق ، الا اذا مات العلماء جميعا وضاعت الكتب التي ألفوها !!

العالم والفيلسوف : ولقب (العالم)

عند أهل الغـــــرب ، أكبر من لقب (الفيلسوف) ولذلك يطلقــــون على (داروين وانشتاين) لقب (العالم) ولا يطلقون عليهما لقب (الفيلسوف)!»

وتسألني ، ماذا استخدم من الات، لتأييد نظرياتي ؟ وأظنك تتهكم ، فاعلم اني ، ابني على ما اكتشفه أصحاب الالات ، أي على القضايا التي تحققت للعلماء بواسطة الالات ، كالتلسكوب، والمكروسكوب، والسبكترسكوب، وأخذ فوتوغرافية (السدم) . فأنا أستند على المنطق في ارائي !

أنا أخذ قضايا ، قياساتي ، مما يثبت لدى العلماء ، بالامتحــــان والمشاهدة بالارصاد ! ولا يحتــــاج الى الات ، من وعى ما تحقق لدى العلماء ! .

فأنا لا أدعي أنني اكتشفت حقيقة، بل كل ما هنالك ، اني أزعم ، اني اكتشفت نتائج بينتها على ما اكتشفه العلماء !

فمثلا ، اكتشف (اسحق نيوتن) أن الاجرام (تتجاذب) من تفاحـــة سقطت على الارض من شجرتها !

وأنا سلمت ، أن الاجرام تنزع الى (التقارب) ، ولكن (شككت) في أن الاجرام تتجاذب ، بل عزوت اندفاع الاجسام الى الاجرام ، الى (دفع الاثير) اياها اليها ، فوضعت ناموسا هو ناموس (الدفع العام) ، عوض (الجذب العام) ، وبينت أن (المد والجزر) المتقابلين على وجه الارض، في آن واحد، لايتعلل بناموس الجذب، بخلاف (ناموس الدفع) فانه يعللها كما برهنت في غير هذا المكان ! »

ثالثا ـ هل انت فيلسوف ؟ !

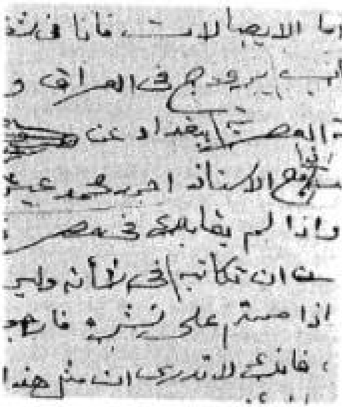
ويبدو أن الاســتاذ عيش ، قد ناقشه في تلقيب نفســـه بالفيلسوف فأجابه قائلا :

« ولا تحسبني ، اني رجل غر ، يدعي أنه فيلسوف ، يناهض الفلاسفة العظام ، بل الحقيقة ، اني ما ادعيت الفلسفة ، وانما النـــاس ، يلقبونني بهذا اللقب ، الذي هو فضفاض على من تلقاء انفسهم فما ذنبي انا (١) ؟

وليست نظرياتي دليلا على دعوى الفلسفة ، وهل ممـــنوع على غير الفيلسوف أن يبدي اراءه ؟!

بل أنا محب للحقيقــة ، ويزداد ، فرحي، اذا ردني عن خطئي احداليها، بقرع الحجة بالحجة ، لا بمجرد القول أن هذا مخالف لرأي الفلاســـفة والعلماء !! »

وكان الزهــــاوي ، في رسائله المنشورة على صفحات الكاتب المصري ، قد أجاب الأستاذ محمد عيش ، عن (أحب الحكومات اليه) ، ثم سأله :



(١) الواقع ، أنه كان يعتز كثيرا بلقب (الفيلسوف) ويكفي أن نشير هنا ، الى أنه ثار على الاستاذ العقاد حين أخرجه من حظيرة (الفلاسفة) والمعروف عنه كذلك ، أنه كان يحب أن يلقب بلقب (الشــــاعر الفيلسوف !)

ماذا يفعل لو أصبح دكتاتورا ؟!

اجاب على هذا السؤال قائلا :

« لو وليت دكتاتورية العالم، لنظرت في أمهات المشكلات ، واحدة ، واحدة، وجمعت حولى جماعة من اهل الرأى الراجح واستشرتهم فيها ، ونفذت ما أجمع عليه رأينا ، او رأى اكثرنا !

« ولو ثرت على النظم الاجتماعية والقوانين ، وكانت لى السلطة ،لجمعت فلاسفة الاجتماع من الرجال والنساء، واعطيتهم الصلاحية ، لسن قوانين ، مبنية على طول اختباراتهم فى الحياة الاجتماعية ••• وقررت أن تتغير هذه القوانين بتغير الزمان ، كما تفعل الدول الغربية ! ولجعلت المرأة ، مساوية للرجل ، فى كل الحقوق – الا ما ليس فى خلقها – ووهبتها (حق الطلاق) اذا شاءت ! »

رابعا – أحب الرجال اليه :

وقد سأله الاستاذ عيش ، عن أحب رجال التاريخ اليه فأجابه قائلا :

« احب رجال التاريخ ، الى هو محمد (ص) لانه قام باصلاح واسع الاطراف ، واحدث انقلابا كبيرا فى حياة الامة العربية •

واحب (داروين) الذى اكتشف (اصلنا الحيوانى) ووضع ناموسا علميا لنشوء جميع انواع الحيوانات وهو ناموس (تنازع البقاء وبقاء الانسب)

واحب (كوبرنيك) الذى الهمنا ، انا ساكنون ، فوق سيارة حقيرة ، تدور على نفسها ، وحول الشمس ، فى آن واحد • وان هذه النجوم اللماعة ، هى شموس مثل شمسنا أو اكبر منها تسبح فى الفضاء اللانهائى ، وتسبح حولها سيارات مثل سيارتنا او اكبر منها !! » •

خامسا : – افلاطون والفلاسفة العرب :

ولما سأله الاستاذ عيش ، رأيه فى العمل الذى قام به الاستاذ لطفى السيد الا وهو ترجمة (جمهورية افلاطون) أجابه قائلا :

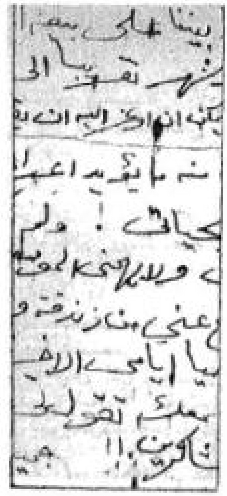
« جمهورية افلاطون – خيال جميل غير أنه لا ينطبق على سير الحياة الاجتماعية :

أما كتاب – الاخلاق – لارسطو فانه من كتب (الاثار) يحتفظ به ، ولايعمل الا بقليل منه !

والاستاذ لطفى السيد ، خدم العلم فى مصر ،غير انه لم يأت بنظرية خاصة به ، ولايسمى فيلسوفا ، الا من كانت له نظريات جديدة عليها براهين تؤيده ! وانى لاخذ على فلاسفة العرب ، انهم تأثروا بفلسفة (ارسطو) فلم يخرجوا على ما قرره الا فى مسائل قليلة ، دفعهم اليها (الدين) أو خوف الاضطهاد والقتل !

اما الاخلاق : فان الاخلاق الحسنة ما ينتفع به المجتمع فى حياته الاجتماعية • والاخلاق السيئة ما يتضرر المجتمع به ! وهى تتغير بتغير المجتمع ، وباختلاف الاقطار • وقد يعتبر فى عصر حسنا ، ما كان يعد ، قبل عصور سيئا ، وبالعكس ! وفلسفة الاخلاق ، هى التعليل عن كيفية نشأتها وتحولها : انا احب الحياة ، لانها هى التى تمنحنى التمتع بالجمال ، ولان الذى يجعلنى احب الحياة هو الحياة• فالحياة هى التى تحب نفسها !

ولا اخذ على الشريعة الاسلامية ، الا ما فسره المفسرون ، على غير



حقيقته ، وهو (القضاء والقدر) ! فان الايمان بهما على النحـو الذى فسره المفسرون يثبط العـزائم ، ويسلب الاعتماد على النفس ، فيمنع الرقى ، الذى لا حياة بدونه بعـث اليوم ! »

سادسا ـ التجديد فى الشعر :

اما رأى الزهاوى حول التجديد فى الشعر ، فقد عبر عنه قائلا :

« التجديد فى الشعر ، هو ان ينظم الشاعر شعوره ، بما يحرك به شعور غيره . وكان الشعر فى الجاهلية ينظم عن شعورهم ، غير ان شعورهم كان ضعيفا ، بخلاف شعور الشعراء فى عصرنا !

فالتجديد ، انما هو بالنسـبة الى جمود الشعر فى القرون الوسطى ، يوم كان ينظم تقليدا للشـعراء الذين سبقوهم ، وينظم مشوها بالصناعات البديعية ..

قبسـوه من قول من سبقوهم
ومن الشـمس والكواكب قبس

وكان الشعراء الاتراك ، يقـلدون العجم ، والعجم يقلدون العرب ، حتى ظهر بينهم « شناسى » و « نامق كمال بك » ثم « عبد الحـق حامد بك » و « توفيق فكرت بك » وهذان الاخيران كانا من اصدقائى ... وقد سـبق الاتراك العرب فى تجديد الشـعر !

وانا مشيت اقتص خطـوات « نامق كمال بك » ، اقاوم استبداد « عبـد الحميـد » وسـجنت على ذلك فى الاستانة !

واكثر الشعراء العرب المجيدين فى عربيتهم ، مقلدون لشعراء العـرب المتقدمين الا عددا قليلا ، ينظمون ، مقلدين أهل الغرب ، فيأتى شعرهم ، غثا باردا ، غير منزوع من نفسيتهم العربية » .

سابعا ـ الادب القومى :

وقد سأله الاستاذ أحمد محمد عيش ، عن رأيه فى ما يسمى بالادب القومى ، فأجاب قائلا :

« الادب القومى ، يختلف باختلاف الاقوام . فأهل كل قطـر ، لهم ادب خاص بهم ، وهو مبنى على حوادث ذلك القطـر التاريخية ، ومنبثق من نفسية أهله ، فهو اقرب الى التجديد من الادب العام !

ثامنا ـ الزهاوى وادباء مصر :

فى جوابه على السـؤال المتعلق برأيه ، بأدباء مصر قال :

نثر الاستاذ العقاد ، انضج من شعره ... وشعره ليس من الضعف فى الدرجة التى يشنعه فيها خصومه ، ولا فى الدرجة التى يتخيله هو نفسه!

اما فريد وجدى ، فله قيمته العلمية لولا افراطه فى تاييد الروحانية ، فان حبه لمذهبه ، غلب منطقه العلمى . ودائرته ثمينة ، لولا ما نراه ، من

تحزب في اكثر مطالبه ، لاذهبه !

معجب بكتابات ، اسماعيل وجرأته ! وبكثير من شعر علي محمود طه ، وبقوة انشاء الرافعي . وبشيء من شعر الاسمر ، والهراوي ، والجارم ، وغيرهم من الشباب الناهض، واؤمل لهم مستقبلا باهراً !

تاسعا ـ الادب الرفيع :

اما رأيه في (الادب الرفيع) فقد عبر عنه بقوله :

« الادب الرفيع ، ما هزك اكثر من غيره . وقد جمعت ، نماذجه من الشعر العربي القديم في كتاب ـ عيون الشعر ـ وهو لم يطبع بعد (١)

وليس عندنا للادب الرفيع ، مدارس ومجلات ، وابطاله في الجاهلية ، امرؤ القيس والنابغة الذبياني وزهير بن ابي سلمى ... وفي الاسلام ، الحطيئة ، وجرير والفرزدق وبشار وابونواس وابو تمام والبحتري وابن الرومي والمتنبي والمعري !

ويلحق بهم في العصر الحاضر ، اسماعيل صبري ، وشوقي ، وحافظ الا ان التقليد في هؤلاء الثلاثة اظهر من التجديد ، ولكنهم ، يرجحون غيرهم من شعراء العصر ، والامور كلها نسبية !

وانا احب الشعر ، لانه يهزني مثيرا لعواطفي بما فيه من موسيقى ومعان جميلة ، فلما اراها في النثر ..

وانا افضل العلم على الشعر، لان الشعر يشبع عاطفتي في الاكثر ، والعلم يشبع عقلي ، وانا ارجح عقلي على عاطفتي :

ما قلت شيئا بفمي
الا وعقلي ملهمي
انا ابن عقلي وحده
تنبيء عني كلمي

●●●

عاشرا ـ هل انا خشبة ؟!

ولما وجد الزهاوي ، ان اسئلة الاستاذ عيش قد طالت وتشعبت موضوعاتها ، ختم اجاباته هذه بما يلي :

« ثم اجد لك مطالعات خاصة ، ثم اسئلة ليس من مصلحتي الشخصية ان اجيب عنها ، اتظن انى خشبة ليست لي مصالح ولا آمال ؟! بل ان لي اعداء يحصون علي الزلات ويجعلونها ذريعة للنيل مني !

ثم تأتي اسئلة احتاج للجواب عنها الى مراجعات انا في غنى عنها ، وانا شيخ مريض قد وهنت ذاكرتي ... وان الكبر والاوجاع التي تلازمني ، وتوصية الاطباء بعدم اتعاب ذهني ، كل ذلك يثبطني عن الاجابة عنها »

●

وبعد : فهذا هو معظم ما جاءت به تلك الرسالة التي انفذها الاستاذ عيش .. وليس من شك في ان هذا الذي نشرناه منها ، سيكون مادة ممتعة لدارسي هذه الشخصية العراقية الكبيرة والباحثين عن فلسفته وارائه في الشعر والادب والاجتماع !

وليس لنا في الختام الا شكر اخينا الدكتور حسين نصار على تفضله بتصوير هذه الرسالة مع الرسائل الاخرى التي كان الاستاذ الزهاوي ، قد بعث بها الى الاستاذ عيش ..

نرجو ان نكون قد قدمنا خدمة للحقيقة والادب ، وذلك حسبنا والله ولي التوفيق ...

● عبد الرزاق الهلالي ●

● بغداد ●

---

(١) لقد وفقت في الحصول على معظم هذا الكتاب ، فجمعته واصدرته في سنة ١٩٧٢ بعنوان « مختارات الزهاوي من عيون الشعر » .



د. سيد
حكريم

الموسيقى الفرعونية

بين الفن والعلم والأساطير

● « الاله تحوت ــ اله المعرفة ــ علم الانسان الحرف والنطق والاسماء والموسيقى . فانبت له غاب النهر ليصنع منه الناى وآلات النفخ . وشجر الخشب الرنان ليصنع منه الالات الوترية » .

« امحتب »

● « الموسيقى هى لغة الالهة . انها تسمع بالقلب والعقل والاذن لانهـا صوت السماء . سـمع بها الاله الاعظم لحتحور الهة الحب والجمال والفنون لتنقلها من الجنة الى اهل الارض . فهى لغـة مخاطبة الارواح ، لينقلوا صوت صلواتهم ودعواتهم للاله » .

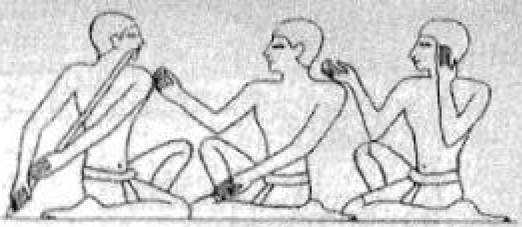
« آنى »

● « الطبيعة خرساء والموسيقى تفك عقدة لسانها فهى توقـظ امكانيات الجمال الراقدة فى قلب الحياة وفى متاهات الوجود » .

« الحكيم حتب »

● « الموسيقى هى مشاركة القدرة الالهية فى خلق الجمال، والفنان هو الخالق الصغير الذى ينقل رسالة اله الخالق الى البشر . رسالة الجمال فى صورة من صوره ، ان الاله الذى خلق العالم وحده يحب الجمال الذى أودعه فيه ، وأجمل الاصوات صوت الموسيقى ــ هدية السماء للارض » .

« اخناتون »



الناى .. آلة صنعتها الطبيعة .. أعداها النيل
من غاب شاطئيه ... الى ابناء واديه ...

● ان مصر مهد الحضارات ، كانت غنية بموسيقاها كما كانت غنية بمختلف فنونها وآدابها وعلومها وفلسفاتها ٠

فللموسيقى فى مصر عراقة الحضارة الفرعونية نفسها ٠٠ بل انها سبقت الحضارة نفسها ، كما وصفها أحد مؤرخى الاغريق بقوله « ان صوت الموسيقى فى مصر سمع قبل ظهور اول شعاع من فجر الحضارة الفرعونية » ٠

لقد لعبت الموسيقى دوراً حيويا فى مختلف مراحل تطور المجتمع الانسانى الفرعونى ٠ كانت أول وسيلة عرفها المصرى القديم للتعبير عن عواطفه ورغباته وآماله ٠ كان لها دورها فى حياته الخاصة والعامة فى علاقته مع نفسه ومع مجتمعه ومع آلهته ٠ كانت جزءا لا يتجزأ من حياته ٠ شاركته افراحه واعياده ٠ شاركته فى الامه واحزانه وطقوس عبادته ٠ شاركته فى عمله لتخفيف عبء العمل فصاحبت عمال البناء فى رتابة اعمال البناء ونقل الاحجار ٠

صاحبت اصحاب الحرف اثناء مزاولة مهنتهم ، والبحارة اثناء تجديفهم ، والرعاة اثناء السير بقوافلهم ، والفلاحين اثناء رى أراضيهم او جمع محاصيلهم ٠

كان لكل من تلك المناسبات الانهـ وايقاعاتها وترقيعاتها ٠ لقد وصفت برديات هرمس الالات الموسيقية المصرية القديمة : « ان لكل آلة من الاتهم الموسيقية طابعها وصوتها وانغامها المميزة ، فواحدة الحانها تفرح القلب ، واخرى ترضى الالهة ٠ وثالثة لمناجاة الحبيب ، ورابعة لطرد الشر وابعاد الحسد ، وخامسة للاعياد والافراح ، وواحدة لاستقبال المولود ، واخرى لوداع الراحل ، كما كانت للحرب طبول ، وللنصر أبواق » ٠

● من اولى النظريات التى حاول بها بعض الاثريين الكشف عن تطور الموسيقى والاتها عند قدماء المصريين من النقوش التى ظهرت فى اقدم المعابد والمقابر التى صورت الحياة العامة خاصة فى حفريات الدولة القديمة بسقارة والدولة الوسطى فى بنى حسن — ان الالات الموسيقية كانت تمثل

تطور الالات التى كانت تستعمل فى الزراعة او الصناعة او الصيد •

فالدق الذى يظهر فى نقوش استجلاب الخصب والذىكان ايقاعه يخفف على الفلاحين عبء العمل ، لم يكن يختلف عن المضرب الذى يستعمل فى القضاء على الافات الزراعية • والقيثارة هى صورة متطورة لقوس الصيد (البوميرانج) وقد اثبتت الدراسات التخصصية والبحوث العلمية الحديثة سطحية تلك النظرية التى ركزت البحث على نموذج او اخر من الالات الشعبية البدائية •

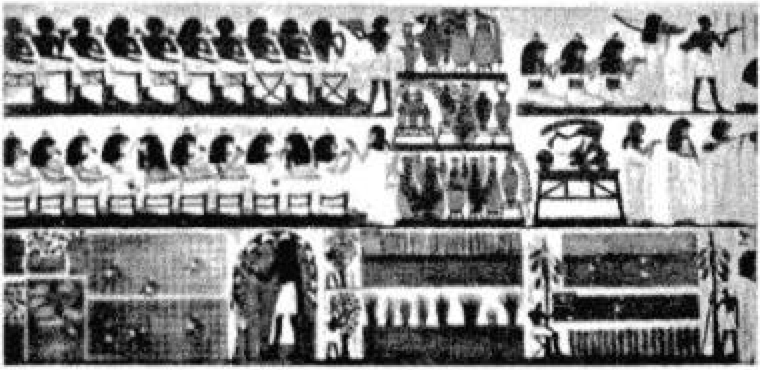
لقد اختلف المؤرخون فىتحديدنشأة الموسيقى والالاتها وعلاقتها بنشأة الحضارة وتطورها فى وادى النيل فرغم ما وضع لها من بحوث وما سجله المؤرخون القدماء من دراسات تاريخية وميثولوجية ، الا ان ما تكشف عنه الحفريات التى تكتشف من وقت لاخر يلقى ضوءا جديدا على تلك العلاقة ويصحح كثيرا من النظريات الاجتهادية التى وضعت لها •

ان اقدم الالات الموسيقية فى مصر الفرعونية ، بل اقدم الة فى تاريخ البشرية – كانت هى الة الناى التى وصفها اميل لودفيج بقوله : « الة صنعتها الطبيعة •• اهداها نهر النيل من غاب شاطئيه الى ابناء واديه »

كما وصفتها احدى البرديات القديمة : « حعبى اله نهر الحياة حمل لاهل مصر الخير والخصب والبركة ، ملا حياتهم بالافراح والاعياد التى حدد مواسم كل منها ، وقدم لهم الغاب الذى ينمو على شاطئيه ليعزفوا عليه اناشيد الافراح والشكر للاله » •

عازفة الناى ، نقرانهاى اشهر عازفة ناىمزدوج فى الاسرة الثامنة عشر – حفريات العمارنة ..





حفل موسيقى — مقبرة ناخت كبير
كهنة معبد امون الاسرة الثامنة عشرة

ولم يتمكن احد من المؤرخين او الاثريين من تحديد بدء ظهور الناي حيث وجدت بعض اثاره فى حفريات ما قبل الاسرات والتى يعود بعضها الى سبعة الاف سنة تقريبا ، وقد ساير الناى الموسيقى الفرعونية وتطورها واحتل مكانه ضمن الالات الموسيقية العريقة فى جميع العصور ، كما انتقل من مصر الى مختلف الشعوب التى ارتبطت بمصر عن طريق الفتوحات ، وما زال يحتل مكانة على شكل الفلوت او الكلارينيت فى الموسيقى العالمية الحديثة ·

كما احتل الناى دوره فى كثير من اساطير الادب الفرعونى القديم · ومن اجمل الاساطير التى سجلتها احدى برديات الدولة القديمة فى طيبة الاسطورة التى تحكى كيف جلس الراعى العاشق الاخرس « اى نا » على شاطىء النيل فى احدى الليالى القمرية يبكى حبه ويشكو الى الهة النيل ، وقد حرمته الحياة نعمة النطق لان لسانه عاجز عن التعبير عما يريد ان يقوله ليعبر به عن حبه للاميرة « ناميو » ، فخرجت له الهة الحب هاتور من بين الشعاع الفضى الذى يكسو صفحة الماء وقطعت عودا من اعواد الغاب الذى يحرس شاطىء النهر واعطته له ، وطلبت منه ان ينفخ فيها باحاسيس قلبه ··

وتحكى الاسطورة كيف تساقطت دموعه الحارة على غابة الناى فحفرت فيها الثقوب التى خرجت منها اول الحان الحب ·· لقد جمعه الناى بحبيبته التى سمعت نداء قلبه عن طريق الحان نايه ··

وتحكى اسطورة مماثلة من الدولة

الحديثة ان انامل عروس البحر وهى تريه كيف يعزف على الناى ، تركت بصماتها على الناى وهى الثقوب التى خرج منها النغم الخالد ٠

لقد تطور الناى وشكله خلال الاسرات القديمة والوسطى ، فامكن حصر ثمانية عشر نوعا مختلفا منه ابتداء من الناى المنفرد الى الناى المزدوج والزمار ، كما تطورت صناعته فصنعت بعض انواعه من الخشب او افرع الاشجار المفرغة ٠

وظهرت بعد الناى اول الالات الوترية التى تشبه الربابة الريفية باوتارها الثلاثة، وكان ظهورها ايضا فى الفترات التى سبقت الاسرات القديمة ٠ وقد صاحب الالات الموسيقية مع بدء ظهورها مختلف وسائل الايقاع التى بدات بالتصفيق بالايدى او طرقعة الاصابع ٠ ومع الاسرات القديمة ظهرت « الصاجات » المعدنية والخشبية والمصنوعة من الابنوس كما بدا استعمال الصلاصل المعدنية لمصاحبة الرقصات ٠

كما بدا استعمال الدفوف المستديرة والمضلعة التى كانت تشترك فى الايقاع ، وكانت الراقصات يستعملنها فى رقصات الافراح والاعياد ٠٠ كذلك كان للموسيقى العسكرية آلاتها الخاصة فظهرت الطبول العسكرية (خم خم) والابواق المستقيمة التى كانت تستعمل فى الاستعراضات العسكرية والمواكب الملكية ، وقد خلفت الدولة الحديثة نوعين من هذه الابواق احدهما من



لآلي العازفات الجميلات الكيثار والقيثارة والناى ـ الاسرة الثامنة عشرة ـ مقبرة ناخت

النحاس والاخر من الفضة .

● الآلات الوترية ●

كان اول ظهورها في أرض وادى نهر النيل المقدس، ويعود أقدم نماذجها الى ما قبل الاسرات وهو ما أطلق عليه قيثارة النيل ، وهى الربابة ذات الاوتار الثلاثة التى تحاكى الربابة الريفية الحالية ، وكانت أوتارها الثلاثة كما وصفتها الاساطير الفرعونية القديمة تعبر عن فصول السنة النيلية الثلاثة .

الوتر الاول يعبر عن فصل الفيضان طبقته الجهير الاول (البريتون)

الوتر الثانى يعبر عن فصل الزراعة — طبقته الجهير الثانى (الباص) .

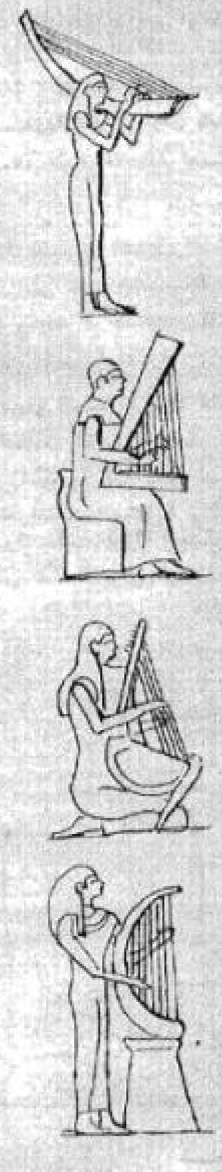
الوتر الثالث يعبر عن فصل الحصاد — طبقته الصادح (التينور)

التى تعتبر نواة تحديد طبقات الصوت فى علم الموسيقى .

لقد طور قدماء المصريين القيثارة الوترية تطويراً فنيا وعلميا من ناحية علاقة شكلها وعلبة صوتها . وتوزيع اوتارها ، بعلم الصوت وفنون اللحن والنغم ، فظهرت من القيثارة الوترية ثلاثة انواع :

١ — القيثارة ذات الاوتار الخمسة (جيتار الحياة) التى تعبر اوتارها عن الحواس الخمس (السمع والبصر والشم والذوق واللمس) .

٢ — القيثارة ذات الاوتار السبعة



(جبتار الفن) وتعبر اوتارها عن الحواس الخمس يضاف اليها الخيال والابداع ٠

٢ ـ القيثارة ذات الاوتار العشرة (الجيتار المقوس) وتعبر اوتارها العشرة عن القوى الظاهرية وهى الحواس الخمس والقوى الباطنية وهى (العقل والذهن والخيال والظن والوحى) ٠

● كان الجيتار المقدس او قيثارة المعبد توقع على اوتارها الالحان الدينية المقدسة او ما كانوا يطلقون عليها الحان الوحى السماوى ٠

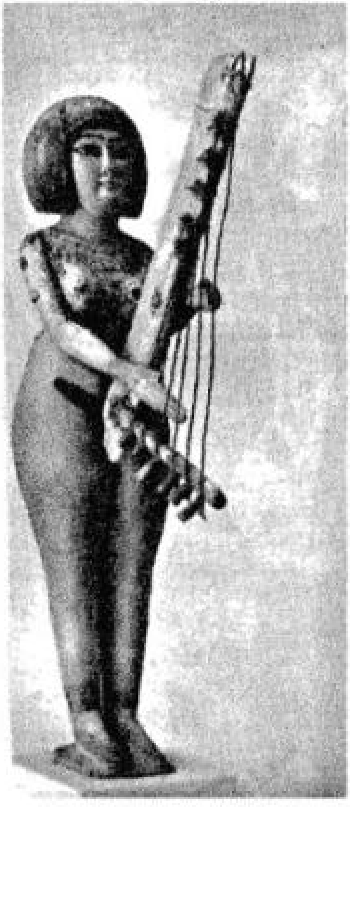
وقد نقل اليهود القيثار المقدس والحانه الى معابدهم عند خروجهم من مصر واستخدموه فى طقوسهم وتراتيل اناشيدهم الدينية ، واعتبر من الالات المقدسة التى تصاحب الصلاة والتراتيل كما هو الحال فى المعابد الفرعونية ، كما نقلوا اناشيد اخناتون التى تحولت الى مزامير داود حيث قال النبى داود « سبحوه بالطبل والزمور ٠٠ سبحوه بالمزمار والقيثار ٠٠ كل نسمة تسبح للرب » ٠

ويتفق ذلك القول مع احدى برديات تل العمارنة التى سبقتها باكثر من نصف قرن « سبحوه بالموسيقى والغناء ٠٠ سبحوه بالناى والاوتار ٠٠ ان الاله الذى خلق العالم وحده يحب الجمال الذى اودعه فيه ، واجمل الاصوات صوت الموسيقى وهى تصاحب الترانيم والتراتيل للاله » ٠

● اما القيثارة ذات الاوتار السبعة او قيثارة الفن التى كان يعزف عليها الفنانون والملحنون فان اوتارها السبعة كانت نواة السلم الموسيقى والنوتة الموسيقية للعالم أجمع ٠

● لقد ظهرت القيثارات المتطورة بمختلف انواعها ابتداء من الاسرة الثالثة كما وصلت فى قمة تطورها الى ظهور الكنار (الهارب) Harp

عازفة القيثارة : ١٢٠٠ ق.م
(المتحف البريطانى) ...





رباعي موسيقي ـ لقاء القيثارات الوترية الثلاث ٥ ، ٧ ، ١٠ اوتار مع النــاي والايقـــــاع ... مقبرة ديسر كارع الاسرة ١٨ ..

الذى اطلق عليه ملك الالات الموسيقية ابتداء من الدولة القديمة ، كما لعب دورا هاما فى فن الموسـيقى خلال الاسرات الثانية عشرة والثامنة عشرة وخلال مختلف اسرات الدولة الحديثة

● ولقد قام احد المعاهد الموسيقية الالمانية بدراسة مختلف انواع الالات الوترية الفرعونية فوجد ان عـددها يزيد على الاربعين نوعا منها اربعة عشر طرازا للكنار (الهارب) وحده تختلف من حيث الشكل والحجم وعدد الاوتار .. وقد وصل عدد الاوتار فى بعضها الى ٣٦ وترا .

وكانت الاوتار تصـنع من مختلف انواع جلود الحيوانات او الاليــاف النباتية بعد معالجتها بانواع مختلفة من الزيوت والدهــون . وفى الدولة

عا
ل عازفتا القيثارة والزهر
ل المعارنة الاسرة ١٨



الحديثة استعملت امعاء الحيوانات في صناعة الاوتار وهي الطـــريقة المستعملة حاليا ٠

● لما كانت الالهة هاتور ـ الهـة الحب والجمال والموسيقى وراعيـــة الفنون فقد توج تمثال رأسها اكثر من نوع من انواع الكنار الديني المقدس ٠ ومن بين القيثارات الدينية المعـــروفة القيثار ذو الاوتار التسعة الذى صممه الكاهن انتف كاهن معبد امون وتعبر اوتاره التسعة عن تاسوع الالهـــــة المقدس ، فكل وتر يمثل الها من الهة الخلق والتكوين واطلق على كل وتر من اوتاره والنغمة التى يصدرها اسم الاله الخاص به ٠ من اشهر الالات الوترية التيظهرت خلال الدولة الوسطى المزهـر Lyre والعود الفرعوني Luth وهى الالات التى نقلهـــا الاغريق من مصر مع الة الكنار المقدس وانتقلت منها الى روما ثم شـــاع استعمالها فى جميع انحاء القـــــارة الاوربية فيما بعد ٠

● كما خلد الادب الفرعونى القديم قصة الناى فى اساطيره فقد جعل لكل الة من الالات نصيبا فى تلك الاساطير تخلد قصة حياتها ومشاركتها له فى التعبير عن احاسيسه وامـاله ، وتعتبر كل اسطورة من تلك الاساطير نموذجا رائعا للخيال الفرعوني القديم فى خلق الاساطير واحيائها ٠

هناك اسطورة القيثارة العاشـــقة التى نسبت الى برديات ســـتوحى لتكاهت ، وتحكى الاسطورة قصـــة قيثارتين عاشقتين كانتا غصنى شجرة من اشجار النبق الذى كانت تصـــنع القيثارات من خشبه الرنان ٠ تحكى الاسطورة الغنائية كيف قطع أحـــد غصنى الشجرة لتصنع منه قيثارة ، وابعد عن حبيبته التى يمثلها الغصن الاخر المجاور له فى الشجرة ، ويأتى صانع آخر ليصنع من الغصن قيثارا يعزف عليه اغانيه ٠ وهكذا اصـبح كل من الغصنين يردد الحـــان الحب والفراق ثم التقت اغانيهما وتلاقيـــا ليتبادلا اغانى العشق واللهفة للقاء ٠

وقد سجل فى الاسرة الحديثة كثير من اغانى الغزل التى يتبادلها عازفان فى حوار موسيقى بالقيثارتين بغزل موسيقى متبادل ٠

وللهارب ملك الالات الموســـيقية اسطورة تشرح كيف صنع العاشق آلته الموسيقية على شكل قوام حبيبته الذى يعبر به عن الالهة هاتور الهه الحب وجعل للهارب راس معبودته يتدلى شعرها على شكل الاوتار التى يداعبها باناملة ليسمع صوتها الملائكى وهى تناجيه بارق الحان الحب ٠

هناك كثير من الاغانى فى الاساطير الفرعونية تعبر عن مناجـاة العازف للالة التى يحتضنها ويأتمنهـــا على اسرار قلبه لتبعثها نغما ومناجـــاة لمعبوده او لحبيبته ٠

كذلك اسطورة الفنان الهارب الذى



عازف (الهارب) فى حفل استقبال انتف وزوجته

ترك قيثارته لدى حبيبته عند ذهابه الى ميدان القتال . كانت أناملها كلما تلمس اوتار القيثارة تسمع صوته يناجيها خلال الاوتار ، حتى اتى يوم صمت صوت الاوتار لعرفت انه استشهد ولن يعود، فاحتفظت بقيثارته الصامتة فى محراب صلاتها كصورة لذكراه .

هناك عشرات من برديات الاساطير الدينية التى تدور حول مختلف الالات الموسيقية الدينية وعلاقتها بالالهة والمعبودات والارواح الطاهرة منها والشريرة والصراع خلال الالحان التى تصدرها كل منها .

● لقد اثبت تاريخ الموسيقى والالاتها الموسيقية فى العالم ان الكثير من الات الموسيقى الوترية انتقلت الى مختلف البلاد الاسيوية وشرق أوربا واسبانيا عن طريق الغجر الذين اشتهروا باسم Gypsy نسبة الى مصر خاصة وانهم عرفوا بتقاليدهم الموروثة والمميزة التى تجمع بين العزف على الالات الوترية والغناء والرقص بالدف والصاجات الخشبية والايقاع بالتصفيق والاصابع ، وقراءة الطالع والتنجيم ، وهى التقاليد والعادات التى تميز شعب مصر الفرعونية . هذا بجانب طقوسهم الدينية السرية المماثلة للطقوس

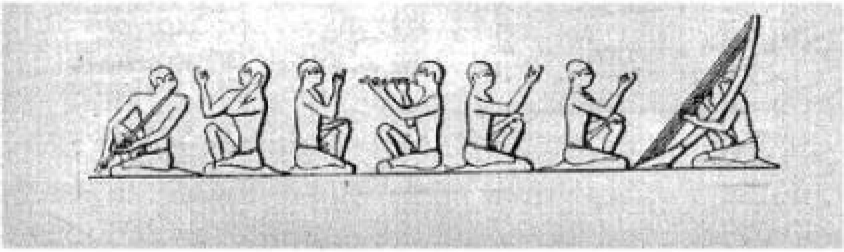
الفرعونية القديمة ٠

لقد حاول بعض المؤرخين اثبات علاقتهم بمصر والكشف عن نشأتهم وسر تشردهم وعدم اندماجهم مع سكان البلاد التي يعيشون فيها ٠ حيث يحرمون على انفسهم الاختلاط بأى شعب من الشعوب التي تأويهم ٠ واكد البعض انهم من السلالات المصرية التي كانت تعيش في البلاد التي احتلتها مصر اثناء فتوحاتها عندما وصلت حدود الامبراطورية المصرية الى اواسط اسيا وشواطىء البحر الابيض ، فعندما خسرت مصر تلك المستعمرات ضد المغيرين هرب المواطنون الذين حوصروا في الخارج ورفضوا الاختلاط بالمغيرين فهاجروا ليعيشوا مشردين في الغابات والصحارى والجبال واحتفظوا بعاداتهم وتقاليدهم وشخصيتهم المميزة ولا يزال الكثير من طوائفهم وقبائلهم تؤكد انتسابهم الى مصر ٠

ويقوم بعض المعاهد الموسيقية حاليا بمحاولة كشف العلاقة بين موسيقى الغجر في العالم وبين الموسيقى الفرعونية التي تأكدت ملامحها في موسيقى والحان الكنائس المسيحية القديمة والمعابد اليهودية ٠

● لقد كان للموسيقى والموسيقيين مكانة خاصة في مصر الفرعونية ابتداء من الدولة القديمة وعصر الاهرام بفضل الدور الذى كانت تلعبه الموسيقى في المعابد كفن مقدس ٠٠ فكان لموسيقيي معبد آمون وهم ارفع طبقات الفنانين منزلة ومكانة كبار كهنة المعبد بل في كثير من الحالات كان الكاهن الاكبر نفسه من كبار الموسيقيين، وكان كثير من الامراء والنبلاء وافراد العائلة الملكية ينتمون الى المعبد لدراسة الموسيقى والحصول على درجة موسيقى معبد امون، وهى من درجات الشرف الدينية العليا حتى أن بعض الملوك من الاسرات القديمة والحديثة كانوا يضيفون الى القابهم الملكية لقب موسيقى ٠

وظهرت في رسوم كثير من مقابر طيبة الملكة نفسها او زوجة النبيل وهي





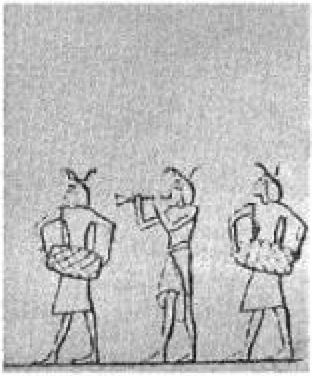


الكاهن الاكبر ـ عازف الهارب المقدس فى مجلس الملك حورمحب

تعزف فى الحفلات الرسمية او المناسبات الدينية امام زوجها وضيوفه

ذكر كليمندس السكندرى المؤرخ المصرى القديم وصفا لحفلات الموسيقى الدينية يشترك فى عزفها مئات العازفين على مختلف الالات ومن بينهم النبلاء والاميرات • كما كان الكثير من بنات الملك والنبلاء يكرسن انفسهن لخدمة معبد آمون بعد حصولهن على درجة دينية فخرية كموسيقية المعبد • وكان يشترط فى بعضها ان تقوم حاملة اللقب بالانقطاع لخدمة المعبد ثلاثة اشهر كل سنة • وكانت تسجل أسماؤهن فى لوحات الشرف الدينية بالمعبد •

ومن بين اللوحات التى يحتفظ بها متحف برلين احدى اللوحات التى وجدت بمعبد ماعت بطيبة وتحمل اسماء موسيقيات الشرف بمعبد امون



الطبول العسكرية والبوق المعدني

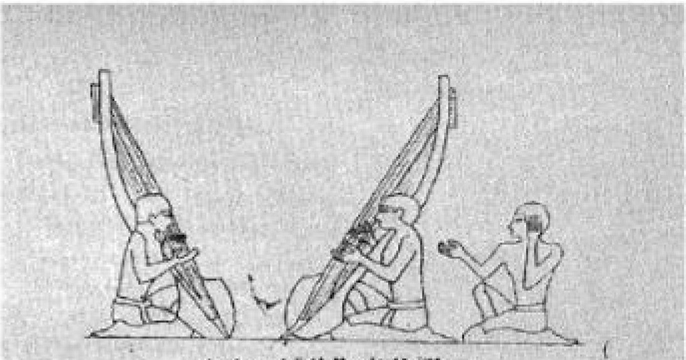
من بينهن بنات الكاهن الاكبر الثلاث (ماعي وتنش ابونت ومميا) كما تضم اللوحة من اسماء الاميرات والنبيلات (أي «وتامبو، وتكب» ورنورا، وياى، واحدى بنات الملك اسمها تاوسرت) . وكانت موسيقية المعبد تعطى لوحة او « باليته » خشبية كشهادة تثبت انتماءها للمعبد والتصريح لها باستعمال آلالات الموسيقية المقدسة ومزاولة الطقوس الدينية الموسيقية في محراب الاله او المعبود الذى تنتمي اليه .

كما وصف كليمنس السكندري الحفلات الدينية التي كانت تقام في ساحة معبدى دندره وابيدوس وحفلات الالة امون وتعميد الاميرات اللاتي ينخرطن كموسيقيات في سلك الكهنوت . وصف كيف كان يقع الاختيار عليهن ويشترط ان تكون بكرا ويحلق شعر راسها وتعطى « باروكة » مقدسة موشاة بالذهب والاحجار الكريمة ونقش على سوار تحمله حول معصمها اسمها الفني ودرجتها الكهنوتية والدور الفني الذى تقوم به بجانب الموسيقى من رقص او غناء أو تمثيل لشخصيات الالهتين ايزيس او نفتيس في مسرحيات المعبد الدينية .

● لقد بلغت الموسيقى الفرعونية عصرها الذهبى الذيلمهشهد لغتاريخ الانسانية مثيلا خلال الاسرة الثامنة عشرة عندما اعتبرت الفنون الثلاثة المقدسة وهى الموسيقى والرقص

هاتور الهة الحب والجمال والموسيقى





القيثارتان العاشقتان تتناجيان

والغناء من طقوس دين التوحيد الذى نادى به ووضع تعاليمه الملك اخناتون

كان يتحتم على كل امرأة تعتنق ذلك الدين الجديد ان تتقن فنا من تلك الفنون الثلاثة وهو ما يفسر ما ذكره احد مؤرخى الاغريق القدماء (الذين زاروا مصر وسجلوا ما سموه اسرار علم المعرفة عند الفراعنة) فى وصف عيد الاله اتون بقوله « ان الطريق من شاطىء النيل الى معبد اتون فى مدينة اخت اتون (تل العمارنة) كان يمتلىء بالوف الراقصات والمنشدين والموسيقيين وان انغام الموسيقى وأصـــواتها التى كانت تعزفها الوف المرات كانت تسمع من عشرات الكيلو مترات حيث كانت تعزف الموسيقى الدينية من شروق نور الاله على المدينة حتى غروبها وتتحول الى موسيقى الافراح والاعياد طوال الليل حتى مشرق نور الاله فى الافق مرة أخرى .. كان كل من يعيش فى المدينة المقدسة يتقن فنا من تلك الفنون المقدسة الثلاثة » .

● ولقد اثبت قدماء المصريين آن لهم حساسية فائقة فى فن الموسيقى بما توصلوا اليه من نظـــريات فى هندسة التكوين وتجارب علم الصوت عند تصميم تلك الالات التى كانت نواة تصميم الالات الموسيقية بانواعهـــا واساس قواعد نظريات الموســـيقى نفسها على مدار التاريخ حتى وقتنا هذا . وما زال الكنار Harp الذى يطلق عليـــه الاوربيون ملك الالات الموسيقية ، والذى يتصدر جميــــع الالات فى فرق موســــــيقى الاوبرا والكونسير العالمية ما زال محتفظـــا بشكله وقوامه الفرعونى العريق .

● هل عرف قدماء المصريين .. « النوتة » الموسيقية ؟

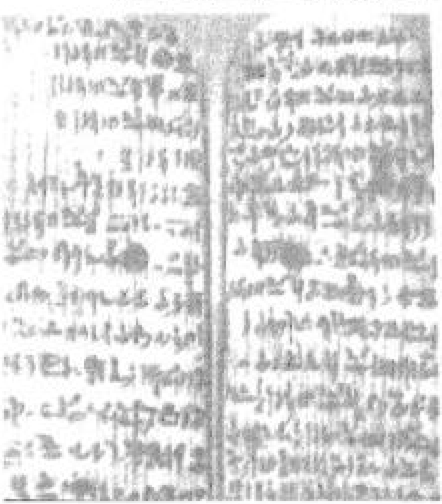
سؤال لم يجد له مؤرخو حضارات الفنون جوابا مانعا !

هل من المعقول ان الفراعنة وقـــد وصلوا بموسيقاهم الى ذلك المستوى الفنى الرفيع والعلمى الدقيق قد وضعوا



الصلاة بالموسيقى .. لوحة بمعبد آمون – عازف الهارب القديم (المتحف البريطاني)

احدى لوحات الشهادات الموسيقية التي يصرح لحاملها بالانتماء للمعبد واستعمال الالات الموسيقية المقدسة . . .



معالم السلم الموسيقي وعلاقته بالالات والاصوات ووضعوا اسس الموسيقى الفلكلورية والجماعية والموسيقى المسرحية التي تحرك مجموعات الكورس والمغنين والمنشدين او موسيقى الباليه – هل من المعقول انهم لم يتوصلوا الى اكتشاف النوتة الموسيقية التي تسجل وتنظم جميع تلك العناصر ؟

كانت الموسيقى عند قدماء المصريين من بين علوم المعرفة المقدسة التي يدير شئونها ويحتفظ بأسرارها كهنة المعابد اسوة بمختلف علوم الفلك والطب والكيمياء والتحنيط التي يحتفظ بأسرار مقدساتها علماؤها الاخصائيون الذين ينتمون الى كهنة معبد الاله · لهم عالمهم الخاص كرسل للمعرفة وانصاف الهة يقومون بتلقين الشعب تطبيقها العملي ويحتفظون بأسرارها العلمية كرسالة سماوية يؤتمنون على اسرارها ·· فمما لا شك فيه انهم عرفوا « النوتة » الموسيقية كما عرفوا اسرار مختلف عناصر المعرفة، او مختلف مقومات حضارتهم التي حيرت مؤرخي العصر الحديث عن محاولة الكشف عن الاسس العلمية في تكوين العناصر الفنية لتلك الحضارات

● كان للموسيقى معاهد خاصة تلحق بالمعابد ومن اشهرها واقدمها معهد معبد «اون» ، وهو اقدم المعاهد الفرعونية التي ترجع نشأته الى ما قبل الاسرات ، ثم جامعة حوتب ومعبد طيبة · كما اشتهر معبد

أبيدوس ومعبد دندرة التى ترعى

فنـــونهما الالهة هاتور الهة الحب والجمال والموسيقى

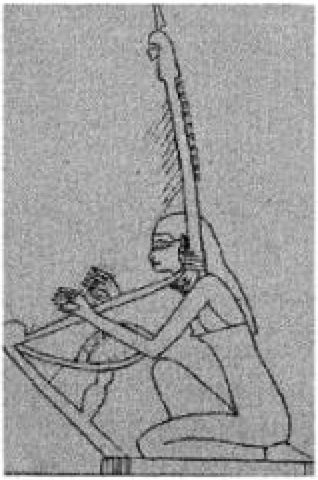
وقد ذكر مؤرخو اليونان (ساورنين) الذين زاروا معبد « اون » وجامعة حوتب ان كهنة المعبدين تخصصوا فى

علاقة الموسـيقى بعلم الروح والطب

الروحـانى والطب النفسى ، وأنهم تخصصوا فى علاج كثير من الامراض

بالموسيقى كما ذكروا ان اوسطو قد تمكن من الاطلاع على اسرار العلاج

بالموسيقى وانه نقلها معه الى اليونان وهى اسرار المعرفة التى نقلها عنـه العالم العربى الفارابى .



عازفة الهارب المقدس الاسرة الثامنة عشرة

● قال العالم الاثرى امرى فى آخر رسالاته « للمصريين شخصيتهم من

اقدم الازمنة . هم لا يحتاجون الى ان

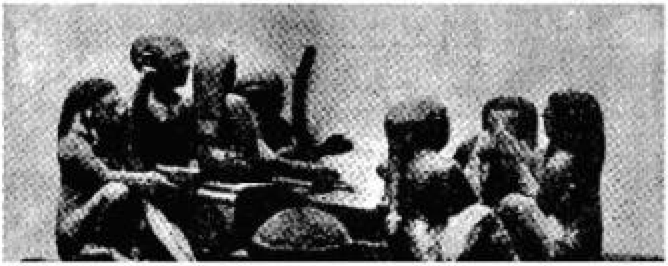
يفنـــوا فى غيرهم ، ولكن من الجائز

ان يفنى غيرهم فيهم ، وان شخصية المصريين ازلية انتصرت على الزمان

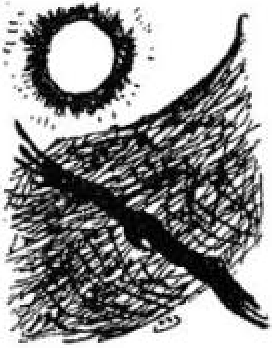
فهى اقوى من ان تفنى فى اية شخصية

اخرى . وعطاء مصر للحضـــــارة الانسانية دائم وسيخلد » .

مجموعة من النحت لفرقة موسيقية للحفلات الخاصـــة تجمع بين عازفى القيثارات والناى والمغنى وكورس الايقاع (الدولة القديمة)



أحمد مخيمر



مناجاة

انت كريم .. يا الهى .. معى اغنيتنى .. عن كل شىء .. سواك
وعندما ابصرتنى حائرا القيت لى .. فوق طريقى .. هداك
واطبقت ظلمة نفسى على نفسى .. فاوحيت لنفسى سناك
لتعرف الحق ، وتحيا له فى ظله الوارف .. تبغى رضاك
يا غافر الذنب لعاص بكى وسامع النجوى لراج دعاك
اول ما اطلب من حاجة امام باب العفو .. انى اراك . !

***

سبحانك اللهم .. يا من له سكون روحى كله ، والحراك
قلبى بصدرى ، طائر حائر فى سعيه التفت عليه الشباك
يرجو خلاصا ، والخلاص الذى يرجوه فى العيش ، طريق الهلاك
لم يبق من شوق به للهوى ولم يجد من قوة للعراك
ان انت لم ترحم اساه .. فمن يرحمه .. وهو وحيد . هناك . !

***

سبحانك اللهم .. من خالق نسعى اليه .. وحكيم ، رشيد
كل الذى فى الكون دبرته يمضى الى غاياته .. لا يحيد
وتجعل الاسباب اسراره بحكمة عليا ، وعلم سديد
ان قلت . كن . يكون . من ذا الذى يريد . ان كنت . الهى . تريد
يارب .. فارحمنا .. واصلح لنا احوالنا .. انت الولى الحميد
يارب .. وانصرنا على من بغوا انت علينا ، وعليهم شهيد
يارب .. واجعل عزهم ذلة وارضهم ارض الذليل الشريد
فهم بنار أججوها ، لقى وهم ، لشر زرعوه ، حصيد
ونحن للحق جنود .. وهم للبغى والباطل كانوا الجنود
يارب فى آيك قول ، له معنى . مدى الدهر . قديم ، جديد
لئن شكرتم لا زيدنكم وقد شكرنا ، وانتظرنا المزيد ..

ممدوح المغربي

« هو رجل قد عرف قسوة الحياة ، ما فى ذلك شك ، وهو يدع شعره ينم عن شجنه بغير أن يقف طويلاً ليحمل على البشر بهمه .. فاذا كان من الشعراء من يخلع كل فنه على شجونه الذاتية ، ولا يزف الى الناس الا أصداء النفس ، فان شاعر البرارى يغنى بجمال الربى والزهر والطير والماء والسحاب ... »

● محمد فريد أبو حديد ●

شاعر البرارى في ذكراه

اختار الشاعر محمد السيد علي شحاتة لنفسه لقب « شاعر البرارى » وهى تسمية لافتة للنظر ، ويبدو انه تعمدها للشهرة ، لانه فى الواقع وان كان قد نشأ وعاش فى الريف ، وربما فى اقصى الريف ـ الا انه لم يكن من هـذا الريف فى بريه او (برارى) بالمفهوم اللغوى والجغرافى فبلده (كفر الجـرايدة) كانت موفورة الخصب والحضارة نسبيا ، بمن كانوا يعيشون ويملكون اكثر رقعتها الزراعية ، من (البكوات والباشوات) ، وكذلك مدينة (بلقاس) التى اقام فيها ناظرا لاحدى مدارسها ، فانها حاضرة من اكبـر حواضر « المديرية » تحتشـد بمراكز ومظاهر المدنية الحديثة .

ومنذ عام ١٩٤٣ الى اخر ايامه كان فى مدينة (طنطا) عاصمة الغربيـة ، وهى العاصمة الثانية او الثالثة للبلاد تحضرا ورقيـا ، فهو لم يكن بهاتيك الحواضر يتكلم باسم اهلها جميعـا . وانما كان يتكلم باسم المظلومين منهم ، ولعله كان صادقا فى هذه التسمية تشريفا لاهـل (البرارى) الذين كان يراهم قد سلبوا كل حق ، وحرموا من الحرية ، فرأى أن ينوه بهم تحت اسم (البرارى) ناسبا نفسه اليها واليهم .. مدافعا عنهم ، ملوحا بمنكرات ظالميهم ويمكن ان نستخلص ذلك من شعره فى قوله :

قف يا ربيع على « البرارى » وقفة مشكورة الاصباح والامسـاء

وانظر ضياع المترفين وقل لهــــا   كم من ضياع فبيـــعـك للفقراء

وفي قوله :

سل يا ربيع على فلاح مصر أسى   فشبابه لم يزل في مصر مبخوسا
ما باله يلبس الدنيا ســعادتها   ويكتفي هو بالحرمان ملبوســا

وكذلك في قوله :

اهتف لفلاح البـــــــرا   ري يا ربيـــع على جـــداره
ودع القصور الفاتنـــــــات   على « القصور » وحى داره (١)

***

ولد الشاعر في الحــادى عشر من ابريل لسنة احدى وتسعمائة والف في قرية « الجــرايدة » - التابعة الان لمحافظة كفر الشيخ - وبهذه القــرية تعلم بكتابها ، على شاكلة اهله وانداده، وواصل مسيرته التعليمية حتى حصــل على اجازة المعلمين ، وعين مدرســا بقريته ، ثم نقل منها الى احدى القرى البعيدة ..

وفي تلك الفترة كانت شاعريته قــد اتمت مخاضها ، فكان يذهب لدور النشر لوافق وجوده باحدى المطابع الموجودة بمدينة « طنطا » ، ان تعرف على الاديب الاسلامي(٢) احمد والمرحوم الشيخ البيلى الزيني اللذين كانا يصدران « جريدة الرفاق » من « طنطا » ، بساعداه على نقله الى مدينة بلقاس ســنة ١٩٢٨ ، واتاحا له فرصـــــة النشر بالجريدة ،وكذلك طبع دواوينه الاولى مثل : «مضمر وجمر » و « نجوم ورجوم » و « اسئلة واجوبة » .

وظل شاعرنا ببلقاس خمســة عشر عاما ، وندب بقرار من الســيد وزير المعارف (نجيب الهلالي) بتوصية من السيد انطون الجميل رئيس تحــرير

---

١ - من ديوان بين احضان الطبيعة الجزء الثاني المطبوع سنة١٩٤٨ بمقدمة الاستاذ محمــد فريد ابو حديد . اما الجزء الاول فقد قدمه المرحوم انطون الجميل رئيس تحرير الاهرام سنة١٩٤٢

٢ - اديب اسلامي معاصر عرفتــه الصحافة منذ سنة ١٩١٣ وينشر الان بمجلة منبر الاسلام . اما البيلى الزيني فكان صاحب جريدة الرفاق توفي سنة ١٩٥٢ .



محمد السيد شحاته :
شــاعر البــرارى

الاهرام الى مكتبة طنطا العامة سنة ١٩٤٣ وقضى بها خمسة عشر عاما اخرى ، واحيل الى المعاش سنة ١٩٥٨ (حسب طلبه) ، وفى خلال الثلاثين عاما ، بين بلقاس وطنطا اصدر ثلاثة عشر ديوانا، ونشر بجرائد ومجلات كثيرة منهـــا الاهرام والثقافة وغيرهما ، وخلال سبعة وخمسين عاما من حياته تزوج من اربع زوجات ـ اعقب من اثنتين منهن ولدا واحدا ، وست بنات ـ وقد خرجن من حياته مطلقات تباعا ، وعاش سنواته الاخيرة وحيدا بعيدا عن اهله باحدى فنادق ، بلقـــاس ، مؤثرا اياها على اقامته ببلده ، وهى غير بعيدة ، وبها بيته واهله.

وشاعرنا خصب الانتاج ، وسوف نرى امثلة من شـــعره ، ممثلة فى ناحيتين دون بـــاقى اغراض شعره : الاولى شعره فى الطبيعة وهذا طابعه الشعرى الغالب فى بداية حياته حتى نهايتها ، والثانية شـــعره الدينى الذى ساد فترة من اخريات ايامه .

افنى الشاعر نفســـه فى الطبيعة ، مستغرقا استغراقا كليا فيها ، فساعده ذلك فى استخراج معان شعرية أصيلة يعززها بدقة تتميز بسهولة اللفظ وسلامة العبارة فتراه يقول للضفدعة :

اطيلى نقيقك يا ضـــفدعه ... فصـــوتك يهتـــز قلبى معــــه
اذا نفر النـــــــاس منه فبى ... حنين وشـــوق لان اســـمعه
تبيتين ليلك تستغفريـــــــــ ... ـــن للناس فى الترعة المترعه
وتبتهـــلين الى اللـــــه ان ... يبـــارك فى الزرع والمزرعــه
لك البـــر والبحـــر يا جارتى ... ولم تنســـك الله تلك الســـعه
تركت اغانى الغـــوانى لهم ... وحســـبى نقيقك يا ضـــفدعه

وليست الضفدعة وحدها ، هى التى جذبت انتباه الشاعر ، وانما كل شيء فى الطبيعة تقريبا جرى عليه شعره ، وشعره احيانا كان يأتى عفو الخاطر فمثلا حينما رأى رجلا يقود جملا محملا بالقمح ، ويتركه محملا ، ويذهب الى مقهى على الطريق ، لكى يصيب شيئا من الراحة ، ويتناول قدحا من الشاى، فينسى الرجل الجمل مدة طويلة ، والجمل صابر ثابت فيقول الشاعر موجها حديثه الى الجمل :

يا مثقل الظهر بالاحمال قاسية ... الا تئن ؟ همو انوا ومـــا حملوا
يا ثابت الصبر أين الثابتون اذا ... ما مســــهم الم ، اوفاتهم امل
يا رافع الراس فيما بيننــا شمما ... هل يرفع الراس فيما مثلنا الحمل
انحاه من حمل كالجيم من جمـــل ... فاحرص على نقطة التحويل ياجمل

هذه الصورة الشعرية تمثل حقيقـــة الحادثة التى اثرت فى الشاعر فعبـــر عنها بهذه الابيات ، وربما الهب الحادث فى نفس الشاعر شجونا شتى ، فمثـــلا

شاعر البراري



محمد فريد أبو حديد .. شعره لديوان « أحضان الطبيعة » الأول ..

نفسه بالجمل ، لانه صبر صبراً يفوق صبر الجمل نفسه ، ولم يطلع القارىء على شيء من ذلك الا تلميحا خفيفا ،لذلك يقول الاديب الكبير الراحل محمد فريد أبو حديد فى مقدمة ديوانه « بين أحضان الطبيعة ، الجزء الثانى : « هو رجل قد عرف قسوة الحياة ، ما فى ذلك من شك ، وهو يدع شعره ينم عن شجنه .. بغير ان يقف طويلا ليحمل على البشر بهمه ، فاذا كان من الشعراء من يخلع كل فنه على شجونه فلا يزف الى الناس الا اصداء انينه ، فان شاعر البرارى يغنى للناس بجمـــال الربى والزهر والطير والسحاب » .

وشاعرنا مقل فى الغزل أو يكاد يكون معدوما فى دواوينه ، ولكننا نجـده وقد وصف حسناء ، صعدت الى شجرة « التوت » لتجنى بعض ثمارها ، مقارنا بين الحسناء والشجرة فيقول :

صعدت ترى الاغصان غصن قوامها	ما أشبه القـــامات بالاغصـــان
وحنت على بعض الغصون فخلتها	نشـوانة مالت على نشــوان
مدت اناملهـا فقلت لصــاحبى	ارايت كيف تقابل الثمـــران
توت بعنـــاب الانامل يجتنى	ما أرخص المجنى واغلى الجانى

ومع رحلة الطبيعة فى حياة الشاعر نجد تصويرات رائعة ، تدل على دقة الملاحظة ، فنراه يصور الجـــد فالاب فالحفيد ، بالجذر والعيدان والاوراق فيقول فى النخلة :

الجـــذر والعيدان والاوراق	لله كلهـــا ، فتبارك الخـــلاق
متخـــك أعلاها وادناها على	سيق ، وفى دنيا النبات سباق
الجذر جد ، والفروع بنوه ، والـ	اوراق احفــــاد له ورفاق
والطعم فى تلك الثلاثة واحـــد	وكذا تورث بيننـــا الاخــــلاق

والشاعر مع حبه للطبيعة وجمالهـا المتدفق الوحى ، يرى ان البطيخـــة قلبها دام ، و « اللب » الموجود بداخلها انما هو نبل قذفه الدهر فى حشاشتها فكان المصير انها لا تقوى على الصعود من فوق الارض فيقول :

يا للعجائب منها ! جسمها نام ،	وقلبها مثـــل قلبى ذائب دام !
كانما « اللب » فى اقصى حشاشتها	نبـــل رماها به من دهرها رام
نمت على الارض لم يصعد بها زمن	كأن أيامهـــــا من نوع أيامى
وقد احل لنا ـ سبحانه ـ دمهـا	بعض الدماء يروى غلة الظامى

ونرى الشاعر قد جعل نمو البطيخة على سطح الارض عجزا منها ، وعدم مقدرة ، وان الاقدار وحدها هى التى جعلتها كذلك .

وبعد ربع قرن تقريبا يصف البطيخة مرة أخرى ، وقد بدأت الطبيعة تعطيه

شاعر البرارى في ذكراه

شيئا اخر غير الذى شاهده من قبل ، ويبدا هو الاخر فى نشر دعوته فى الحفاظ على تعاليم الدين فيقول :

اخضر ظاهرها واحمر خافيهـــا   فاعجب لها حلة تخفى اللظى فيها
واعجب لليلى التى قامت تمثلها   اليس ظاهر ليلى غير خافيهـــا

ورأى شاعرنا يختلف تماما مع راى الشعراء الذين سبقوه ، فنرى ذلك فى وصف القمر ، فقديما قالوا القمر منجل يحصد الايام ، ولكن شاعرنا يرى غير ذلك ، يرى القمر عميدا لكلية السهر ، تلك الكلية التى يرتادها الســاهرون فيقول :

يا ليـــل فى واديك جـــا   معـة لتعـــليم الســـهر
مفتـــوحة الابـــواب من   بعــد الغروب الى الســحر
طلابهـــا هم من تحـــكـ   ـم فى شـعورهم القـــدر
ومدرســـوها هــم نجــو   مك ، والعميـــد هو القمـــر

وليس القمر عميدا لكلية السهر فقط وانما له مناصب اخرى ، فهو القــائد الاعلى لجيش النجوم ، وهو امين عرش الشمس ، وهو ســفير مملكة الدجى ، وعميد جامعة السهاد فيقول شاعرنا فى ذلك :

القــــائد الاعلى لجيشـ   ـش النجـــم فى السيع الشداد
وامين عــرش الشـــمس حيـ   ـن يضمها صدر البعـــاد
و « ســفير » ممـــلكة الدجى   و « عميـــد » جامعـــة السهاد

ان استغراق شـــاعر البرارى فى وصف الطبيعة ، اظهر جمالا ملموســا يحسه البشر ، ولكن قلما يستطيع غيره وصفه ، والتعبير عنه بهذا الاســلوب وبهذه الكلمات المستقاة من الطبيعة ، ليعطى لاحبائها ما قد عجزوا عنه نثرا وشعرا .

ليست الضفدعة وحـــدها هى التى اثرت فى شـــاعرنا ، وانما الحمامة أيضا ولكن الحمامة تختلف ، فالضفدعة كان يريدها ليسمع اغانيها فقط ، ولكن الحمامة التى عليها مسئولية الطواف على النســـاء لحثهن على التحشم ، والاقلاع عن الثـــوب الابتر فيقول فى قصيدة تحت عنوان « طيور الربيـــع » نشرت بجريدة الاهرام بتاريخ ١٤ / ٥ / ١٩٥٤ م ..

هـــــذا أوان ترنمى فترنمى   وتكلمى ، قـــد آن ان تتكلمى
قصى على الغبراء من انبـــاء ما   ابصرت فى الزرقاء يتقنع العمى
قصى المـــاتم على ماتـــم   قصى تكف عن اقتــراف الاثم
قصى فقد تاتى الطيـــور باية   ويبلغ المنقـــار تبليغ الفم
ان الربيع يقول للطيـــر : انطلقى   فى دولتى ، ويقول للطير : أسلمى
طوفى على الوادى ، وقولى للتى   لبست لنا الثوب القصير : تحشمى

ورحلة الطبيعة مع عاشــق الطبيعة طويلة وشيقة ، جميلة تجـــذب القاصى والدانى ، وتضع لافكار الشـــاعر تفسيرات مستعذبة ، واراء مستملحة ، ولكن عاشق الطبيعة ، ليس مقصـــورا عليها ، وانما الفاظها احـــدى المواد

الخام التى استخدمها ، وهو ينــــادى بأعلى صوته ، وبأقوى قوافيه للحفاظ على تعاليم الدين خشية من عذاب الله. فالملابس عند النساء المتحضرات ألقت الرعب فى قلب الشاعر ، فتحدث عنها فى كتبه شعرا ، فلم يجد جدوى ، فظل يناشدهن فى قصائد متفرقة تنشر بين الحين والحين ، ثم أخرج من أجلهن « ديوانا » موجها الى أعضــــاء مجلس الامة بعنوان « الى مجلس الامة » يحث الاعضاء فيه الى اتباع تعاليم الاسلام فى ملابس النساء ..

وليست الملابس هى همه الشاغل بل أيضا ادعياء التصوف الذين استغلوا سذاجة العامة وأرتعوهم فيما لا يقبله الاسلام ، ولا تقره الصوفية الصحيحة.

ان شاعر البرارى بحق حسان (١) الريف وليس أقل من الافغانى فى دعوته الدينية ، وشعره عبارة عن « مواويل شعبية » ولكنها باللغة الفصحى ، فترى شاعرنا يهاجم التصوف لانه فى نظره ـ وقتها ـ مفقود الدلالة فيقول :

لفظ التصــــــوف يا أولى الا   لبـــــاب مفقـــــودة الدلالة
واللفظ ان فقــــــــد الدلا   لة كان من نسيـــــج الضـــلالة

ويستغفر الشـــاعر عن التصوف ، ولكنه يرى أن « التصون » أفضـــل من « التصوف » ، فيناجى الله عز وجـــل بأبيات منها :

كتابك وهو اهدى ما ســـــمعنا   يحض على الترجى والتخــــوف
ويهتف بالتصـــــــون ، وهو نور   يبـــدد ما يقـــال له التصـــوف

وفى البداية ، لم تكن الصوفية ـ فى رأيه ـ شيئا من الاسلام وكان « مشايخ الطرق » ـ فى نظره ـ صناديق نذور متحركة فيقول لاحد مشايخ الطرق :

يا شـــيخ ، شـــيخ انت ؟ أم   صندوق نذر قـــــد تحــــرك
يا شيخ ، حســـــبك ما جمعـ   ـت ، فكيف وكف الناس ترك
يا شـــــيخ ، ما هــــذا التكلـ   ـف ؟ ولا أبى الله درك
هــــذا التـــكلف يا عـــــدو   الشرع شرعـــــــو ، وشرك

ولكن هذه القضية عند شاعرنا بالذات تحتاج لدراسة مستقلة ، فقـــد هاجم الصوفية فى أربعة دواوين ، ومع ذلك ففى مواويله التى لم تنشر بعد تأييد للصوفية ، لذلك نمسك الحديث عن هذه القضية .

أما القضية الثانية وهى مصـــــارية النساء ، فترى الشاعر يناشدهن ، بعدم ارتداء الملابس القصيرة ، لان الدين حث على ذلك فى قول الله عز وجـــل « يدنين عليهن من جلابيبهن » فيقـــول موجها حديثه لبنت مصر :

يا بنت مصر التى حادت بملبسها   عن المقايس ، أذيت المقايســـــا
أذيت بالملبس المبتور « فاطمـــة »   بنت الرسول ، كما أذيت بلقيســـا
عودى الى ثوب الاستحياء واستترى   يا من عرضت لنا الخذلان ملبوسا

يعطى شاعرنا للمرأة المصرية مثالين هما : فاطمة بنت الرسول وهى مسلمة أقرت بالقرآن وعرفته ، ونشـــأت فى بيت النبوة ، وعاشت مع باب مدينـــة العلم ، وكذلك بلقيس التى لم تقـــرأ القرآن ولكنها كانت تعرف خطر الثوب الابتر . وأخذ ذلك الشاعر من الآية الكريمة « قيل لها ادخلى الصرح ، فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها » وذلك خوفا من الماء ـ كما خيل لهـــا ـ أما ثوب الاستحياء فالمقصود به بنت شعيب ، وطرح الشاعر فى نهاية القصيد آخر ما توصل اليه وترك للمرأة الخيار بينهم فى قوله :

---

(١) أطلق عليه لقب حســـان الريف الاستاذ المرحوم انطون الجميل رئيس تحرير الاهرام . وكان سبب صـــلة الشاعر بالاستاذ انطون الجميل الشاعر المعروف محمد عبد الغنى حسن .

همـــا النتنان ، لك التخير بينهما   فلالا قران طه ، او عصـــا موسى

والمقصود اما اتباع الطريق الصحيح للنجاة حسب القرآن والســـنة ، واما الغرق كما غرق قوم موسى .

ويرى الشاعر أن نار الرجل ليست نار الآخرة فقط ، وانما فى الدنيا المرأة يمكن أن تكون نارا هى الاخرى فيقول موجها حديثه للمرأة الخائنة :

خونيه ما شـــئت اعلانا واسرارا   ونغصى العـــيش ، اقبالا وادبارا
واســـــمعيه الاذى فى كل آونة   وفى الختام اصطلى يا ناره النارا

ويمتاز شاعر البرارى بكلماته السهلة البسيطة البعيدة عن التعقيد ، الجيـــدة بدون ابتذال ، ففى قصيدة متحـــــدة القافية لفظا ومختلفة فى المعنى يقول فى نفس الغرض :

ان ليلى بعــــــريها ضربت لى   مثل الاكلات فى مصر تبلـــــــا
اصروح من الدلالة تنهـــــــا   ر واخـــــرى من الضلالة تبنى
قل لليلى : البسى ثيابك يا ليــــ   لى وقولى : تبنا الى الله تبنـــا

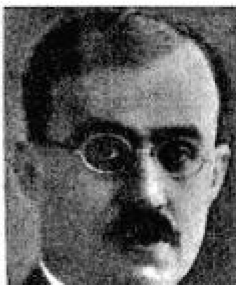
وفى رأيه أن المرأة العصرية فعلت مالم تفعله امرأة العزيز ، فامرأة العزيز قدت قميص يوسف ، ولم تنل شيئا ، انمـــا المرأة العصرية فعلت اكثر من ذلك فيقول شاعرنا :

يا شـــد ما فعلت بنـــــا   فى هذه الدنيـــــا سميره
من لم تقـــد قميصـــه من   بين الورى قدت « ضـــميره »

***

والجهاد الذى قام به الشاعر فى سبيل الله فى كافة الميادين ، لا يحجبـــه الا ديوان « مع مجلس الامة » فهو مـــع صغر حجمه ، يجعلنا نضعه فى قمة أساليب الدعوة ، وهو عبارة عن قصائد موجهة الى أعضاء مجلس الامة تحثهم على ملاحظة ثوب النساء والحـــد من تقصيره ، فيقول من ضمن قصـــائده للاستاذ أحمد حسن الباقورى ، نائب عن قسم الخليفـــة سنة ١٩٥٧ ووزير الاوقاف السابق :

يا نائب العهـــــد الجــــــد   ى لا تخـــيب فيـــك ظنى
ليلى تعـــرت فى الطــــريق وعريهـــا قــــد نال منى
كشفت عن (الجســــــد الرخيص) والقـــت عن التثنى
فاطلب لهـــا ثوبا يميــــــــزها لنـــا عن بنت « بنى »
اطلب لهـــا (الثـــوب الطويـــلا) مقفلا عنهـــا ، وعنى



العزيز الجبل .. رئيس تحرير
الاهـــرام ســــنة ١٩٦٢

شاعر البرارى
فى ذكراه

وهكذا حمل البريد المسجل نسخة من هذا الكتاب الى اثنين وثمانين عضوا هم كل أعضاء مجلس الامة ، ليكونوا شركاء فى المسئولية فى الحد ـ كما يقول ـ من تصلف المرأة وتهاونها بتعاليم الدين

ومع ذلك المجهود الذى قام به الشاعر ، يقول بعض معاصريه أن تصرفاته كانت شاذة ، أو على الاقل تخالف التصرفات المألوفة ، فقد رفض الشاعر العودة الى قريته ، وآثر البقاء فى فندق بمدينة « بلقاس » ، موزعا وقته بين تعبده ، وبين حضوره فى صومعة الفكر بين صديقين جديدين له ، وربما كانت هذه الظاهرة درجة من التصوف ، ولكنها لم تؤثر على أفكاره ومعانية الشعرية ، وهذان الصديقان هما : الشيخ على الحافى والشيخ عبد العظيم الشرقاوى ، فالاول كان لا يتكلم ، وانما يسمع ، وكان لعابه دائم السيلان وجلبابه فوق صدره حتى منتصفه كالجلد من اثر اللعاب ، وربما عرف الشاعر فى هذا الرجل سرا ، وخير ما نستدل به قوله فيه :

انت الذى تخشى المناقع وحده	وتخوضها صلبا شديد البأس
انت الذى تمشى ونوبك وحده	يفنى الشوارع عن يد الكناس
يا شارب الدنيا متونا او منى	أشرب وابق بقية فى الكاس
يا باعث النظرات كم من نظرة	ارسلتها فتملكت احساسى
الله اكبر ان قلبى خافق	بك يا على مهنئا ومواسى

أما الرجل الثانى فهو صاحب الصومعة التى كانت محل لقائهم ، هو الشيخ عبد العظيم وهو « كواء » لا يقرأ ولا يكتب ، ولكنه مثقف يحفظ القرآن ، والاحاديث ، وعشرات المئات من أبيات الشعر سواء للشاعر أو لغيره من كافة العصور ، وهو أحد الاعمدة القوية لحفاظ شعر شاعر البرارى ، رأى الشاعر فيه هو الآخر سرا فقال :

مقامك فى قلبى وعينى وخاطرى	اغذى به روحى واروى مشاعرى
واما مقامى فهو عندك فوق ما	يرام لآداب ويرجى لشاعر

وهذا الرجل استفاد منه السيد عبد الرءوف ابو السعد فى اعداد رسالته عن شعر شاعر البرارى ، وهو للآن أوفى الاوفياء فى حرصه على زيارة قبر الشاعر ، والاستدلال بشعره فى كافة المناسبات ـ حيا الله هذا الرجل وأطال فى عمره ·

وبعد خمس سنوات من احالة الشاعر الى المعاش ، وفى فندق ببلقاس ، وفى ليلة الاثنين الموافق ١٩٦٢/١/١٩ فاضت روح شاعرنا ، ولم يكن بجواره من أهله سوى ابنته نوية ، وصديقه الشيخ عبد العظيم ، ونقل الشاعر الى قريته ، حيث شيع فى مشهد متواضع الى مثواه الاخير ، ولم يحتفل بذكرى وفاته ولا يوم ميلاده الى اليوم ، وقد قررت دار الكتب بطنطا اطلاق اسمه على احد شوارع طنطا ولكن لم يتم ذلك ، ولم يقم الى اليوم حفل تأبين لهذا الشاعر العظيم الذى اثرى المكتبة العربية بقرابة العشرين ديوانا (١) منها ما طبع ومنها ما لم يطبع ·

رحم الله شاعر البرارى رحمة واسعة على ما قدمه لامته من فكر وأدب

---

(١) منها نجوم ورجوم ، وخمر وجمر ، واسئلة واجوبة ، بين احضان الطبيعة جزءان ، واريج الزهرات ، مع الدين ثلاثة اجزاء ، ومع الطبيعة ، ومع مجلس الامة ، وبين الماضى والحاضر ، ما لم يطبع : كلام ، من وراء حجاب ، مع المجتمع ، الى رسول الله ، أوراق شاردة أربعة أجزاء · وغيرها ·

رحلة الشهر

عفاف أباظة .. تكتب عن أبيها



عزيز اباظة

فى هذا الشهر ، يمر عام على ذكرى رحيل شاعر مصر الكبير عزيز اباظة ، سيد المسرح الشعرى بعد شوقى ، وصاحب الديوان الحزين « أنات حائرة » .. والدواوين الغزلية والوجدانية والفلسفية التى تنشر فى هذه الايام فى بيروت

وفى الخامس من هذا الشهر ، يصدر عن « كتاب الهلال » كتاب له سمة خاصة ذات جاذبية لكل قارىء ولكل قارئة .

اسم الكتاب « أبى عزيز أباظة » ومؤلفته هى عفاف اباظة ، ابنه الشاعر (عزيز اباظة) وقرينة القاص ثروت اباظة .

كانت عفاف الأثيرة عند أبيها ... وكان عزيز اباظة يحدثنى عنها دائما بحب كبير ، وبتقدير أكبر .

كان يقول لى : هذه الفتاة تحب الشعر ، وتسمعه اكثر مما تسمع الموسيقى ، وتطرب له اكثر مما تطرب للغناء . ولها فى النثر اسلوب انسانى

وكنت أقف عند سماع هاتين الكلمتين : أسلوب انسانى ...

الى ان جاءتنى عفاف بمخطوطة كتابها عن ابيها بعد رحيله ، فعرفت ماذا كان يعنى بهاتين الكلمتين

انك تقرأ الكتاب ، لا كما تقرأ أى كتاب ، بل كما تستمع الى حديث يخرج من قلب الكاتب الى قلب القارىء فى همس ونغم وطمأنينة

رحم الله العقاد



عباس العقاد

حقا ... ان الذكرى للانسان عمر ثان ... كما قال امير الشعراء

جلسنا منذ ايام فى حديقة مجلس الفنون والاداب نردد ذكرياتنا عن عملاق الادب ، المرحوم عباس محمود العقاد

● وروى أحد موظفى المجلس انه حدث ذات يوم ان كان هناك اجتماع للجنة الشعر – وكان العقاد مقررا لها – ولم يحضر سكرتير اللجنة ليسجل وقائع الجلسة وغضب العقاد وارغى وازبد ، فاسرع اليه موظف كبير بالمجلس ، وهدأ من ثائرته ، وتولى بنفسه سكرتارية الجلسة بالانابة عن السكرتير المتخلف

وقبيل انتهاء الجلسة ، كان هذا الموظف الكبير قد رفع الامر الى الاستاذ يوسف السباعى – وكان يومئذ سكرتيرا عاما للمجلس – لعله يشترك فى تهدئة العقاد .

وامر يوسف السباعى بخصم ثلاثة ايام من راتب السكرتير المتخلف ..

وابلغ الموظف الكبير الى العقاد بامر هذه العقوبة لعله يرضى . فاذا بالعقاد يتأثر حتى لتكاد الدموع تترقرق فى عينيه، ثم يسأل الموظف الكبير ان يصعد الى الاستاذ السباعى ويرجوه الغاء هذه العقوبة ، مضيفا انه لن ينصرف من مبنى المجلس قبل ان يثق من تحقيق هذا الرجاء .

والغيت العقوبة .. وابتسم العقاد وانصرف

● وقال آخر ان العقاد كان يخصص من دخله اكثر من مائة جنيه كل شهر ، لمساعدة بعض الاصدقاء ، ورغم انه لم يكن يعيش فى بحبوحة من العيش ، الا انه كان يؤثر أن يقتر على نفسه ليوسع على أصدقائه .

● وروى ثالث ان أحد كبار الزملاء – من أصحاب الصحف يومئذ .. وكان العقاد يكتب فى صحيفته – حينما علم ان العقاد يجتاز مرحلة مرضية خطيرة ، قصد اليه ، وحاول ان يقرضه مبلغا من المال (ثلاثمائة جنيه) على حساب مقالات أو أعمال ادبية قادمة . ولكن العقاد رفض ، وغضب غضبة مضرية ، وقال : كيف يكون هذا المال حلالا لى اذا مت ، أو اذا اقعدنى المرض عن الكتابة ؟

رحم الله العقاد ..

انه لا يزال عطرا على السنة محبيه .

المتسولون باسم الأدب

كدت اذوب خجلا ، وانا استمع من سفير عربى صديق الى قصة شاب مصرى كل صلته بالادب انه كان له قريب من عباقرة الادب المعاصر ٠

قال لى السفير ان هذا الشاب بعث الى الحكومة التى يمثلها هذا السفير ، يسألها ان تمد اليه يد العون ، لانه يعانى ضائقة مالية تفرض عليه التزامات لا قبل له بها ، وان الكثير منهذه الالتزامات كان نتيجة للديون التى كانت على الاديب الكبير فى مصر والخارج ، والتى يقوم هو - قريبه الشاب - بادائها وفاء لروحه ٠

والذى نعلمه ، بل الذى نحن والقلون منه ، ان الاديب الراحل كان من اكرم الناس على نفسه وعلى الناس ، وانه كان فى اشد اوقات المحن التى عبرت به فى بعض الاونة ، والتى قاسى فيها الجوع والحرمان ، يفكر فى الانتحار ، دون ان يمد يده ليقبل عونا او يصيب قرضا من اقرب الناس اليه ٠

وللقصة بقية ٠٠٠ أو بقايا ٠٠٠ بكل اسف ٠٠ رحم الله اديبنا الكبير ، وكفاه فى قبره شر الاقربين ٠

فى مجمع الخالدين

هناك سيدتان تقفان على عتبة المجمع اللغوى منذ عدة سنوات ، تطرقان الباب بعنف ، والباب العنيد لا ينفتح لهما ٠

هما : د٠ سهير القلماوى ود٠ عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطىء) ٠

وفى الشهر الماضى ، اختير الاستاذ الكبير الدكتور ابراهيم بيومى مدكور رئيسا للمجمع ، خلفا لعميد الادب الراحل الدكتور طه حسين ، الذى كان استاذا لسهير ، وكان يقربها كل التقريب ويقدرها كل التقدير ، ولكنه رغم هذا لم يستطع ان يلين قناة اعضاء المجمع فى موقفهم من المراة ٠

وستعاود السيدتان الكرة ٠٠ وتحاولان محاولة جديدة مع الدكتور مدكور ، بوصف كونه من الجيل الذى تنتميان اليه ٠

ومما يستحق الذكر فى هذه المناسبة ، ان مجمع الخالدين الفرنسى (الاكاديمى فرانسيز) يتخذ الموقف ذاته من المراة منذ ان انشاه ريشليو ، اى منذ ٣٣٩ سنة ، حتى الان ، رغم ان كثيرا من السيدات حاولن ان يطرقن بابه ، واولهن الروائية بولين سافارى (سنة ١٨٨٣) واخرهن المؤلفة فرانسواز بارتوربيه (سنة ١٩٧١) ٠

وفى هذه الايام ، تتجدد المشكلة فى فرنسا ، اذ تحاول السيدة لويز فايس (٨١ سنة) دخول المجمع ، واحتلال احد

الكرسيين اللذين شغرا بوفاة مارسيل بانيول وكاردينال دانييلو .

والسيدة لويز فايس صحفية ومؤلفة ومجاهدة عريقة في سبيل تحرير المرأة ، وقد كانت رئيسة لجمعية « المرأة الجديدة » في فرنسا من سنة ١٩٣٤ الى سنة ١٩٣٩ ، وهي من أقوى الجمعيات النسائية التي كان لها اثرها في فوز المرأة الفرنسية بحقوقها السياسية .

ومع هذا ، فان الاربعين الخالدين لا يزالون يقولون للمرأة : لا يا سيدتي .. لا مكان لك بين الخالدين .

أين ديوان شاعر الكرنك ؟



احمد فتحي

● تمر بنا في الثالث من يوليو عام ١٩٧٤ الذكرى الرابعة عشرة لوفاة شاعر الكرنك ، احمد فتحي ، الشاعر الذي رحل عن الحياة في ٣ يوليو عام ١٩٦٠ بعد أن عانى في حياته الكثير من ألوان الجحود والغبن والنكران ، بعد أن ترك لنا آثارا أدبية قيمة في الشعر والنثر .

ولم تكتب عن هذا الشاعر النابه دراسة واحدة سوى الدراسة التي اصدرتموها بعنوان « شاعر الكرنك ، احمد فتحي ، حياته وشعره » التي صدرت عن كتاب الهلال في شهر ديسمبر عام ١٩٧٣ .

وقد أسهمت بجهد متواضع في اضافة بمقال بعنوان « ليالي شاعر الكرنك » الذي نشر بالهلال في ديسمبر عام ١٩٧٣ أيضا واحب هنا ان أثير قضية ديوان شاعر الكرنك مرة أخرى .

المعروف ان احمد فتحي لم ينشر في حياته سوى ديوان واحد هو « قال الشاعر » عام ١٩٤٩ ضم بعضا من شعره حتى تلك الحقبة ونشر قصة بعنوان « الله والشيطان » هي اشبه بأدب الاعترافات منها الى القصة كما ترك آثارا نفيسة في مجالات الشعر والقصة والاغنية والمقالة بقيت متناثرة على صفحات الجرائد والمجلات ولم يتصد شاعر او ناقد أو صديق له لجمع هذا التراث النفيس للشاعر المغبون .

ومن قبيل الوفاء لذكرى هذا الشاعر النابه عكفتم على جمع تراثه الشعرى على مدى ثلاث سنوات من شتى مصادره خدمة للادب والتاريخ ثم تقدمتم بهذا الديوان لاحدى مؤسسات النشر الكبرى في بلادنا في أواسط الستينات ، وكانت تموج حينئذ بتيارات معينة ترفض كل ما هو اصيل وترحب بكل ما ينطبق عليه لفظ « التقدمية » حسب مفهومهم السقيم .

ورفضت اللجنة المكلفة بالمراجعة ديوان شاعر الكرنك وعرض على لجنة الشعر بالمجلس الاعلى لرعاية الفنون والاداب فاقرته على الفور وكتبتم يومها تقولون (في مجلة الكواكب عدد ٢٦ مارس ١٩٦٨) :

« ان رفض ديوان احمد فتحى لا يجرحنى شخصياً ، لانه ليس ديواني ، والشعر ليس شعرى ، وانني لم اكلف نفسي مشقة جمع شعر احمد فتحى من مختلف مصادره المتناثرة ثلاث سنوات كاملة من أجل كسب أدبى أو مادى أحققه لنفسى ، بل لقد قمت بهذا العمل من قبيل الوفاء للادب ، وللشاعر الذى رحل عن الدنيا دون ان يأخذ نصيبه الحق ، لا فى الحياة ولا فى الموت ، فقد عاش أكثر حياته شريدا ، ومات فى النهاية مجحود الفضل ٠

« ولقد دخل أحمد فتحى تاريخ الادب المعاصر بغير جدال ، وسجلت صحف الادب الرائدة شعره ، كما سجل اسمه كشاعر فى كثير من الدراسات الجامعية والدراسات النقدية للادب المعاصر » ٠

***

ولم تكتف المؤسسة بذلك حين اثرتم القضية تحت عنوان « من مآسينا الثقافية » ، فصرحت رئيسة تلك المؤسسة ان «لجنة الفحص فى المؤسسة قد وافقت مجتمعة على رفض الديوان » ٠

وكانت هذه ذروة المأساة ٠٠ فان رفض ديوان أحمد فتحى شاعر « الكرنك » وشاعر « قصة الامس » و « فجر » وغيرها من الروائع الشعرية ترفضه مثل تلك اللجنة التى تفحص الاعمال الادبية بمنظار الضحالة والتقدمية بحسب مفهومهم وحسب التارات الشخصية ٠

لقد أجمعت لجنة الشعر فى مصر حينئذ ، وفيها ٢٤ شاعرا هم اعلام الشعر فى البلد ، على صلاحية ديوان احمد فتحى للنشر ، ثم رفضته لجنة الفحص بالمؤسسة ٠٠ اى ان وزن هذه اللجنة مجتمعة ، فى مجال الشعر بالذات ، كان يعدل وزن هؤلاء الشعراء الاربعة والعشرين ٠٠

وقد اثارت هذه المأساة الثقافية حزن الادباء والمثقفين ومحبى الشاعر الكبير الراحل ، وادركوا مدى تعنت مثل هذه اللجنة وعدم كفايتها او انصافها ٠٠ ولم تكن القضية قضية خلاف بينكم وبين تلك المؤسسة بل ان الجميع غضبوا وحزنوا لشاعر اصبح رهين قبره ، قليل الدفاع عن شعره الذى تجمعه على مدى ثلاث سنوات ٠٠٠ جمعتموه من شتيت مصادره انصافا له ، وللادب والتاريخ ٠

ثم كتبتم فى ٧ مايو عام ١٩٦٨ بمجلة الكواكب تقولون ردا على تناقضات المسئولين بتلك المؤسسة :

« ان ديوان احمد فتحى لم يعرض على لجنة الشعر الا بعد ان رفضته المؤسسة ، وقبلته لجنة الشعر ، واقرته على الفور ، واحالته الى اللجنة التنفيذية ، لكى يخرج الى النور ٠٠ وان كنت لا ازال اخشى ان يتعثر ، اولا لان احمد فتحى كان عاثر الحظ فى حياته وفى موته ٠٠ وثانيا لخشيتى ان تكون حكايته فى المؤسسة قد اصبحت ثارا ٠٠ ولو ان الثار لا يؤخذ من ميت » !! ٠٠

كان ذلك عام ١٩٦٨ ، أى منذ اكثر من ست سنوات كاملة وحتى الآن لم ير ديوان أحمد فتحى النور·· رغم تغير الاوضاع فى تلك المؤسسة ··

وقد تساءلت فى مقالى بالهلال (عدد ديسمبر ١٩٧٣) عن مصير هذا الديوان ، ولم نسمع جوابا ·· والآن يحق لنا أن نتساءل فى الذكرى الرابعة عشرة لوفاة أحمد فتحى ·· أين ديوان شاعر الكرنك ؟ !

● محمد محمود رضوان ●

– لا يزال ديوان أحمد فتحى ، الذى استغرقنى جمعه وتصنيفه ثلاث سنوات كاملات ، ضائعا بين اكداس مجلس الفنون والاداب والهيئة العامة للكتاب ·

واحقاقا للحق ، أقول ان الهيئة العامة للكتاب – التى أتشرف بعضوية مجلس ادارتها – بريئة من هذا الاثم ، فقد ورثت عن دار الكاتب العربى ومؤسسة التاليف والترجمة والنشر أثقالا من الديون الادبية والمادية ، ومنها رفض نشر ديوان أحمد فتحى بحجة أنه « لا يرقى الى مستوى النشر » ·· بينما نشرت فى زمانها أهزل دواوين عيال الشعر الجديد ·

اما المجلس ، فهو اكثر براءة ، فقد اقر نشر الديوان فى حينه – منذ ست سنوات – وارسله الى المؤسسة التى أضاعته ·· واى شاعر اضاعت ·· والامر لله ·

من الشعر الضاحك



بيرم التونسى

صديقنا السفير الشاعر أحمد عبد المجيد ، رائد من رواد الاغنية المصرية منذ مطلع النهضة الغنائية التى بناها رامى وبيرم واضرابهما · ومن أشهر اغانيه العذبة التى لا تزال تقدمها الاذاعة منذ اكثر من ثلاثين سنة ، اغنية « كلنا نحب القمر » التى يغنيها عبد الوهاب ·

ثم هو الى جانب ذلك من أظرف ظرفاء عصره ، وله نكات مأثورة فى السلك السياسى ، وعن السلك السياسى ·

وقد استطعنا أن نظفر منه هذا الشهر بانموذج لشعره المرح ، فى قصيدة سماها « شحاتة من تحت لتحت » ·· نقدمها كانموذج طريف للشعر الضاحك فى هذا العصر ·· وقد عارض بها أغنية رائجة فى هذه الايام ·· هى أغنية « رسالة من تحت الماء » :

احتجت اليه ليسلفنى انى محتاج
سلفنى ، سوف ارد ديونك بعد رواج
والود سيفسننى عنك ان صنت الود
وسدادى أمر حتمى كسداق زواج

· · · · · · · · ·

ان كنت صديقي سلفني والدين حساب
أو كنت نديمى فادفع لى ثمن الاكواب
او كنت غنيا فارحمنى فالجيب يباب
سلفنى انى فوق الفقر من الكتاب

. . . .

امال بجيبك يدعونى وانا مشتاق
فلماذا تحجبه والعملة خلقت للانفاق
والفقر ورائى وأمامى من غير فراق
فادفع لى دينى او دعنى أشكو الاملاق

. . . .

يا من صورت لى الدنيا كأوائل شهر
وزرعت بقلبى أمل الشارب بعد الخمر
انقذنى انى مديون حتي اذنى
ان كنت حبيبى سلفنى . الحقنى يا خى ..

قرأت هذا الشهر

● ادب القرآن
توجيهات ذكية مؤمنة لاصلاح المجتمع ، مستوحاة من آيات الله البينات ـ للمرحوم الشاعر السعودى الكبير فؤاد شاكر .
مطابع الجيش بالرياض

● دمعة فاجر
مجموعة من القصص الاجتماعية والعاطفية المجنحة ، للاستاذ عبد اللطيف الشهابى . مطبعة دار الكتب ـ بيروت

● الفكر الذى انتصر
مجموعة من المقالات السياسية الواعية فى مختلف الشئون المصرية والعربية ، للاستاذ سعيد عثمان رئيس تحرير مجلة الاذاعة
كتاب الاذاعة والتليفزيون

● غربة شاعر
ديوان للشاعر المجيد احمد ابو المجد عيسى ، فيه كثير من القصائد الدينية والوطنية والوجدانية المشرقة .
الدار المصرية للطبع والنشر

● الخروج من كهف الرماد
ديوان صغير لثلاثة من شباب الشعر فى حلب ، فيه مزاج رقيق من مختلف الوان الشعر . وشعراؤه هم : أحمد دوغان ومنذر سخيطة ومصطفى النجار .

● الحساب يا مدموازيل
حكايات طريفة وخفيفة ، كلها من وحى فتاة الكافتيريا ، للاستاذ عبلى فهيم
مطابع روز اليوسف

● ص . ج ●



هدية العدد

د. طه حسين

● ولد طه حسين في قرية «الكوم» من أعمال مغاغة بصعيد مصر عام ١٨٨٩ ، وفقد بصره وهو طفل صغير وحفظ القرآن بكتاب القرية .

● حضر الى القاهرة ليتلقى العلم في حلقات الدرس في الأزهر على يد العلماء والفقهاء ، وكان من أساتذته الشيخ محمد مصطفى المراغي والشيخ سيد المرصفي ، وترك الدراسة الأزهرية الى الجامعة المصرية .

● في عام ١٩١٤ نال أول دكتوراه من الجامعة المصرية وكانت رسالته عن «تجديد ذكرى أبي العلاء» وسافر في بعثة دراسية الى فرنسا ، وفي يناير عام ١٩١٨ نال الدكتوراه برسالته عن « الفلسفة الاجتماعية عند ابن خلدون » من جامعة مونبلييه

● الى جانب دراسته للتاريخ الحديث ، وعلم الاجتماع ، كان يدرس في تاريخ العصور الوسطى عامة ، وتاريخ بيزنطة خاصة ، فضلا عن الأدب الفرنسي ، وفلسفة « ديكارت » .

● تاريخ طه حسين زاخر بأشياء كثيرة .. زاخر بالعلم في الأدب والشعر والدراسات والبحوث ، ومناهج البحث التي وضع لها أصولا سار عليها من جاء بعده .

● كان طه حسين مجددا وناقدا عاش حياته يحاضر ويكتب في النقد والوصف والتراجم والتاريخ الأدبي والمقالة والقصة ، وكان بعبقريته الفذة ونتاجه أشبه بالظواهر الطبيعية الحيوية التي تبهر الأحياء ، وتسحر العلماء .

● من خصائص أسلوبه أنه سهل يجري متمهلا ، ويسري مترفقا ، جادا تارة ، وساخرا أخرى ، ميسورا معبدا ، همه أن يسيطر على انتباه السامع والقارىء ، وقد استحدث انقلابا في حياة المرأة المصرية ، يوم كافح كفاحا بطوليا ليفتح لها أبواب الجامعة . كما استحدث أكبر حدث في تاريخ مصر يوم نادى بمجانية التعليم ، قائلا انه للناس جميعا كالماء والهواء .

● تنوع انتاجه على نحو غير مسبوق ، فقد بدأ حياته بنظم الشعر ولكن كان من الشجاعة بحيث اقتنع بأنه لم يولد ليكون شاعرا ، فاعتزل الشعر ووجه همه الى رسالات أخرى

● له أكثر من أربعين مؤلفا في مختلف فروع الثقافة والفكر ، وهو أول كاتب عربي معاصر تخرج أعماله الى العالم مترجمة باللغات الفرنسية والانجليزية والاسبانية والايطالية وغيرها .

● لقب بعميد الأدب العربي لمدة نصف قرن ، تسليما من العرب جميعا بأنه الجدير بهذا اللقب ، حيث اجتمعت له لسنوات طويلة نفحات النهضة العربية الحديثة من دعوات في الوطنية والسياسة . في العلم والدين . في الثقافة والأدب .

● رحل د. طه حسين عميد الأدب العربي في التاسع والعشرين من أكتوبر العظيم بعد أن اطمأنت نفسه وهدأت بعبور مصر الى عهد مشرق بالأمل .. وقد ودعته كل مصر وداعا شعبيا ورسميا بما يليق به ، شامخا بين عمالقة العربية .

إدوار حنا سعد

عودة إلى الشاطئ الخالي

نأت بي عنك أشجانٌ ثقالٌ   وتادتني العشابة يا رمال
فعدتُ لشطك المهجور أسرى   تعذبني الحقيقة والخيالُ
خطايَ شريدةٌ ، ومناي جرْدٌ   ممزقةٌ ، وأشواقي ضلالُ
فمالك مطرقات ، لا سلام يرفُّ إليَّ منكِ ولا سؤال ؟

●●●

نزلتُ الريف أسأله سلوًّا   وكيف ينيلني ، ما لا ينالُ ؟
أثارَ هدوءه شجناً وعصفاً   فروّع خاطر ، واربدَّ بالُ
وغامَ اليومُ خلفَ ضبابِ أمس   مشاهدُه بواقٍ .. لا تزالُ
كستْ لوح الحقول رؤى مصيف   مواكبه مراحٌ واختيالُ
وغشّت ترعتي .. ضجّات بحر   رحيبٍ كالزمان له جلالُ
تلبّ حشودنا مرحاً عليهِ   كما عبَرت على الجُدْر النمال
وتنشرنا مجالي النور زهواً   فتنشى أننا فيها ظلالُ



فياربَّ الخلودِ أظلت هجرًا ... وما رثَّت لأشواقي حبال
ومن عجبٍ تشوق .. وأنت ماء ... يَغصُّ به المشوق .. وأنت آل
رجعت على حداء الوجدِ أسرى ... تعذبني الحقيقة والخيال
أخال الصخر يسأل عن شراعي ... رماه إلى النوى موجٌ جبال
وطيفًا آيبا كرفيف حلم ... عليه نضارةٌ وله جمال
نباركُ عوده لولا التجني ... ونحمدُ وعدَه لولا المطال
وركنَ مظلتي يرنو لكوخي ... وبينهما على النجوى سؤال
أذلك دأبهم .. فجرٌ وليلٌ ... وكيفَ خبَا بساحتنا الوصال؟
عجاف شهورنا أكلت سمانا ... وعن فرعوننا خفيَ المآل
فثرتُ صبابةً وسكنت يأسا ... وأضنتني قساوةُ ما إخال
وقلتُ : روايةٌ كالحلم مرَّت ... فصولٌ هنائها وعفا المقال
جهلناها .. فأضنانا التمني ... وعشناها .. فأضنانا الملال

● الإسكندرية ●

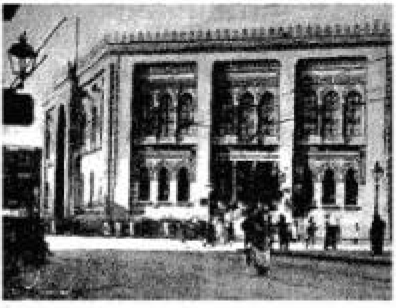
● أنوار حنا سعد ●

د. عبد الرحمن زكي

سلسلة متاحفنا القومية

متحف الفن الإسلامي

كان ظهور الاسلام ايذانا بتكوين فن جديد ، اطلق عليه الفن الاسلامي لأنه ظاهرة من ظواهر الحضارة الاسلامية ، وجزء من الاساليب الفنية والنظم الحكومية المتعاقبة والعقائد الدينية التي اسهم فيها المسلمون في انحاء العالم الاسلامي .



بدأ رجال الفن في فجر الاسلام وضحاه ، أي في العصر الاسلامي المبكر ، يستلهمون ويقتبسون شتى الفنون من الحضارات القديمة التي ازدهرت في الشرق الاوسط ، شأنهم في ذلك شأن غيرهم ممن سبقوهم : قدامى المصريين والرومان ، والبيزنطيين والفرس . ولم يمنع هذا أن مصر في معظم العصور ، كانت تهضم ما تقتبسه من الاساليب الفنية ، وتوفق الى تكوين طراز أو اسلوب فني مشبع بهذه المقتبسات له طابعه الاسلامي المصري الخاص . ومع ذلك فلا عجب اذا قال جمهور كبير من ناقدي الفنون ومؤرخيها بأن الفن الاسلامي امتداد للفنون القبطية والساسانية والبيزنطية ، مع التعديل والاضافة والتطوير أيضا ... تلك هي المرحلة التاريخية الاولى ، (من الفتح العربي الى العصر الطولوني) ويطلق عليها مرحلة الانتقال . أما المرحلة الثانية التي تمتد من العصر الطولوني الى العصر الفاطمي ، فتمثل أولى مراحل الفن الاسلامي المصري ذي الملامح أو السمات الواضحة . وكانت هذه المرحلة تابعة لفن سامراء ، القاعدة الثانية للعباسيين في العراق ، وقد تأثرت بسامراء الى حد بعيد ، وتشاهد تلك التأثيرات في زخارف جامع ابن



ثريا من النحـــاس المخرم مزينة بزخارف هندسية باســـم الســـلطان قايتباى

طولون المعمارية ، بل وفى عمارته أيضا .

ثم نصل الى المرحلة الثالثة من تطور الفن الاسلامى فى مصر . وهى المرحلة الفاطمية التى مرت بدورها بمراحل ثلاث . كانت أولاها ـ مرحلة العمل على استكمال الشـــخصية الاسلامية المصرية واحداث تعديلات فيما اقتبس من العناصر السامرائية، واهم تلك التعديلات صغر مقيـاس الوحدة الزخرفية عما كانت عليه فى العصر السابق ، واختلاف تكويناتها .. وفى المرحلة الثانية يظهر الطابع المصرى واضحا لتختفى الظاهـــر الباقية من التـــاثير العـــراقى ، ويســـتكمل الفن الاسلامى المصرى مقوماته نهائيا فى تلك الفترة وبخاصة فى صناعة الاخشـــاب والجص والنسيج ـ ويظل متمســـكا بعض الشىء فى صناعة المعادن والزجاج .

وفى تلك المرحلة الثانية نشـــاهد اســـلوبا جديدا فى التكوينـــات الزخرفية مع اختـــلاف العناصر الزخرفية عما سبقها واســـتخدام رســـم الكائنات الحية من آدمية وحيوانية فى الزخـــرفة ، نراها فى الاوانى الخزفية وعلى الاخشـــاب والجص وعلى المنسوجات ، وتتميز بدقة التعبير وحيوية الحركة .

وفى المرحلة التالية ، نلاحظ ظهور ميل جديد فى الاسلوب الزخرفى فى التكوينات الهندسية التى صـــارت ميزة واضحة للعصر الايوبى القصير الاجل ، والعصر المملوكى ، ثم يزداد استخدام الحشوات الصغيرة لجمـــع بعضها الى بعض فى تكوين الموضوعات الفنية . ويســـتمر التطور الفنى فى سيره ، ويسود الميل الزخرفى الذى ساد فى المرحلة الثالثة من مراحل الفن الفاطمى ايام العصر الايوبى ، فتغلب التصــــميمات الهندسية (الارابسك) على التكوينـــات الزخرفية ، ويحل الخط النسخى محل الخط الكوفى فى زخـــرفة التحف . ويعتبر بعض علمـــاء الفنون العصر الايوبى مرحلة انتقـــال بين الفنين الفاطمى والمملوكى (١) .

وفى المرحلة المملوكية لا سيما فى القرنين الثالث عشر والرابع عشر ، نلاحظ نضج الشخصية الفنية المصرية وتلمـــع فى الطافها الفنية مميزات بديعة وأخاذة ، ترفع الفن الى أقصى ذروات الازدهار فى مجالاته اليانعة المتعـــددة فى تحف المعادن . فى الخشب والزجاج والنســـيج وفى الخـــزف وفى الفسيفساء ، ويبدع الفنانون الروائع الفنية التى لا مثيل لها ، مما نـــراه فى متحف الفن الاسلامى ، ومتاحف الفنون فى شتى انحاء العالم ..

وقبيل نهاية حكم المماليك الجراكسة يأخذ فننا الاسلامى فى الذبول فاذا داهمنا الفتح العثمـــانى فى بداية القرن السادس عشر ، تأثرت الفنون وانخفض مســـتوى الانتاج الفنى البديع ، ولم يســـتطع من بقى من فنـــانينا فى أرض مصر ـ النهوض بمرحلة جديدة . فاذا ما وصلنا الى نهاية القرن الثامن عشر كان الفن قد

(١) د. جمال محمد محرز : مقدمة معرض الفن الاسلامى ، القـــاهرة ١٩٧٠ ـ ١٩٧١

اختفى ، ثم خضع للمؤثرات الغربية المستوردة لاننا أولعنا بتقليد الفن الغربي اثناء ضعفنا وجهلنا .

قلنا ان ذروة الفن الاسلامي كانت في عصر السلاطين المماليك المصريين، وأعجب ما نلاحظه في تاريخهم ، وفيما خلفوه من تراث فني ، هو هيامهم بالفن ، وتشجيعهم الرائع للفنانين ، وتذوقهم الرفيع لتحفه والطافه ، وقد تجلى ذلك العشق السامي لبدائع الفنون في حياة السلاطين الذين سمح لهم طول اعمارهم ، او امتداد حكمهم ، بتخليد ذكراهم في تلك العمائر الجميلة التي نشاهدها ونطالعها من عهودهم : تلك المباني الناطقة بعناصر الانسجام والتي تزدان بها القاهرة في ابنيتها الفاخرة .

والفن الإسلامي فن له شخصية قوية ، وزخارفه ممتازة وبديعة في ارستقراطية ، ولا نجد فيه العنف والخشونة ، فالزخارف الاسلامية الممثلة في اعمال الجص او الصور او الصفحات المذهبة او تربيعات القاشاني ، او الخشب المحفور ، او غير ذلك ، وان كان بعضها مجرد وعنيف ، الا انها ايضا رشيقة وجميلة وفيها افراط يلفت النظر (١) .. ويجد فيه علماء الفن الاسلامي وهواته صفات الاتزان ، والانسجام والثروة الزخرفية والجاذبية والمهارة والذوق .

● مدارس الفن الأسلامي ●

يسود الفن الاسلامي عدة طرز او أساليب تجمعها كلها وحدة في الملامح العامة ، ومع ذلك فان لكل طراز مميزات محلية واضحة . وفي طليعة تلك الطرز الفنية : الطراز الاموي ويتمثل في فنون قبة الصخرة والجامع الاموي بدمشق ، والقصور التي شيدها الخلفاء الامويون في بادية الشام . ثم الطراز العباسي ويتمثل في نقوش سامراء وزخارفها الجصية وفي أبنية الجامع الطولوني وفي الخزف ذي البريق المعدني الذي ذاع استخدامه في العراق وايران ومصر والشام . وغيرها ... ثم الطراز الاسباني المغربي الذي قام على يد دولة الموحدين في القرن الثاني عشر الميلادي . وقد تجلى في العمارة الاندلسية المغربية لا سيما في المساجد والاضرحة والقصور .. ثم الطراز المصري السوري خلال حكم الفاطميين والايوبيين والمماليك .. وقد امتاز هذا الطراز بعمائره الرائعة التي نقابلها في كثير من المدن المصرية والسورية كالقاهرة ودمشق وحلب وطرابلس . ونشاهده في مجال الالطاف الجميلة فمثلا في مصابيح المساجد (المشكاوات) . المصنوعة من الزجاج المموه بالمينا ، وفي صناعة الخزف وفي الاخشاب والنسيج والمعادن ...

ثم الطراز الفارسي ، ومجاله السجاد الجميل والصور المنمنمة الرقيقة ، وفي الواح القاشاني التي تكسو اسطح العمائر الايرانية ...

---

(١) جاستون فييت وترجمة د . محمد حسن : دليل موجز لمعروضات دار الآثار العربية ــ القاهرة ١٩٣٩ .

ثم الطراز السلجوقي ، والتركي العثماني الذي نشاهد سماته الفاتنة في القرنين السادس عشر والسابع عشر ومتمثلا في المساجيد الصغيرة للصلاة وبكتابة المصاحف وبنسيج الاقمشة الحريرية والتحف الخشبية الصغيرة .

ثم الطراز الهندي الذي تأثر الى حد بعيد بالطراز الفارسي وتلمحه في العمارة والفنون خاصة في العصور الهندية . وهكذا تألق الفن الاسلامي في مواطن فسيحة تضم الاندلس ، وشمال افريقيا وغرب آسيا حتى اقاصي الهند . كما اتجه الى شرق اوربا حينما قصد العثمانيون قلب البلقان ، ثم الى المجر وبولندا .

هذا تمهيد موجز عن الفن الاسلامي قبل زيارتنا لتحفنا الخلاب للتجول في ابهائه ...

● دار الآثار العربية ●

لمتحف الفن الاسلامي تاريخ يقارب اليوم مائة سنة . ففي عام ١٨٦٩ اقترح المهندس « سالزمان » على الخديو اسماعيل ان ينشيء متحفا للآثار الاسلامية ، فكلف « يوليوس فرانتز باشا » مدير القسم الفني في ادارة الاوقاف بأن يخصص بناء حكوميا يضم التحف التي يستطيع جمعها من الجوامع والدور القديمة ، ولم تنفذ الفكرة الا عام ١٨٨٠ حينما طلب الخديو توفيق من فرانتز باشا ، بأن يجمع التحف الاثرية التي يرجع عهدها الى العصر الاسلامي ليقيها من الضياع والتلف ، فجمعت في الايوان الشرقي من جامع الحاكم بأمر الله .

وفي سنة ١٨٨١ انشئت « لجنة حفظ الآثار العربية » للعناية بمخلفات العصر الاسلامي وتبعتها مجموعة التحف ، ومن ثم زاد عددها ، وضاق بها الايوان فاضطرت ادارة الاوقاف الى ان تشيد لها مكانا في صحن الجامع المذكور . وفي عام ١٨٩٢ ترك « فرانتز باشا » خدمة الحكومة المصرية وظلت الدار بغير مدير حتى ابريل سنة ١٨٩٢ حين اختارت لجنة حفظ الآثار العربية « ماكس هرتس بك » كبير مهندسي اللجنة للاشراف عليها ، فبادر بتصنيف دليل (سنة ١٨٩٥) لمحتويات الدار وكان باللغة الفرنسية . وذكر فيه ان مكان الدار في جامع الحاكم غير صالح ، فاقترح تشييد دار للآثار الاسلامية بباب الخلق (ميدان احمد ماهر اليوم) ووضع الحجر الاساسي سنة ١٨٩٩ ، وكمل البناء سنة ١٩٠٢ وتم نقل التحف اليه ، في نهاية عام ١٩٠٢ ، وما زالت التحف به الى اليوم حيث مجموعته النادرة معروضة بأسلوب علمي انيق ..

وقامت الدار بالتنقيب سنة ١٩١٠ بجهة درنكة جنوبي غرب اسيوط ، فكشفت فيها مجموعة من المنسوجات وعندما تولى ادارتها العلامة علي بهجت بك في يناير ١٩١٥ زاد في محتوياتها سواء بطريق الشراء أو مما عثر عليه في حفائر مدينة الفسطاط القديمة من قطع الخزف والفخار والمنسوجات والزجاج والقطع الخشبية والعملة والادوات المعدنية ، ونمت مجموعة التحف الاثرية المتنوعة بسرعة عجيبة ، ثم قدم لها الهواة بجمع الالطاف هبات طيبة ، نذكر من بينهم (الامير) يوسف كمال ووالدة الخديو عباس الثاني ، والاميرين كمال الدين حسين وعمر طوسون ، ويعقوب ارتين ، ومدام ليمرتجلي ، وجسرجان بك .

وفى عام ١٩٤٥ ابتاع المتحف مجموعة المستر رالف هوارى بمبلغ ٢٥٠٠٠جنيه وفى عام ١٩٤٩ ابتاع أيضا مجموعة الدكتور الجراح على ابراهيم باشا بمبلغ ١١٥٠٠٠ جنيه وكانت معظمها من الطنافس والسجاجيد النادرة •

وموجز القول ، فقد وصل عدد التحف المعروضة حتى عام ١٩٥٢ الى ١٦٥٢٤ قطعة •• والجدير بالذكر أن أعظم المجموعات المصرية فى التصوير الاسلامى هى مجموعة دار الكتب المصرية ومجموعة شريف صبرى ، كما يضم متحف الفن الاسلامى أعظم مجموعة فى العالم من المشكايات الزجاجية المموهة بالمينا • ويرجع تاريخ صناعتها الى ما بين نهاية القرن الثالث عشر وبداية القرن الخامس عشر الميلادى ، ويقال الشيء نفسه عن مجموعة التحف الخشبية التى توضح تسلسل تطورها وتشهد بجمال الزخرفة وتنوعها ، فضلا عن مجموعة التحف المعدنية كالثريات والكراسى وقطع السلاح المختلفة ، ومجموعة شواهد المقابر التى تبين تطور الكتابة العربية منذ فجر الاسلام الى اليوم •

وبالمتحف مكتبة نفيسة تضم المؤلفات النادرة فى تاريخ الفنون الاسلامية وتطور العمارة والتنقيب عن الاثار الاسلامية (١) •

● جولة بين كنوز المتحف ●

ويصاحب القارىء الكريم فى جولة بين قاعات المتحف الاسلامى الذى يضم ثلاثة وعشرين قاعة كبيرة وصغيرة • نعبر الباب الشرقى المواجه لمديرية أمن القاهرة الى المدخل الفسيح المؤدى الى :

● القاعة رقم ١ ، وهى المخصصة للمقتنيات الجديدة التى ترد الى المتحف من الحفائر أو الشراء أو بطريق الاهداء ، فتظل عدة اشهر ثم توزع على القاعات حسب طرازها أو مادتها (٢) •

● القاعة رقم٢ : أعدت أصلا لتمثيل الطراز الاموى ، بيد أنه لاسباب فنية ، بقيت أرضية الفسيفساء فى موضعها وكذلك الصفة الرخامية الموجودة على يسار الداخل ، فهما يرجعان الى العصر العثمانى • وأهم ما نشاهده فى القاعة : أبريق من البرنز كشف فى أبى صير بمصر الوسطى حيث توفى الخليفة الاموى مروان الثانى وتعتبر هذه القطعة من أجمل الاباريق الساسانية ، والبزبوز على هيئة ديك مفرود الجناحين مشدود الجسم •

● القاعة رقم ٣ :وتعرف بقاعة الطراز العباسى وتحتوى على معروضات تمثل هذه المدرسة الفنية التى سادت العراق ، وفى مصر على أيام ابن طولون ، وتبين الزخارف الجصية المثبتة على الجدران أهم العناصر الفنية ـ وبها بعض اللوحات الجصية

متحف الفن الإسلامى

---

١ ـ زكى محمدحسن : دليل متحف الفن الاسلامى ، القاهرة ـ ١٩٥٢

٢ ـ عرضت التحف فى القاعات أرقام ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٢٢ ، ٢٣ وفقا لطرازها الفنى : الاموى ـ العباسى ـ الطولونى •• الخ اما فى باقى القاعات فقد عرضت فيها حسب موادها ، الاخشاب والمعادن والاسلحة والخزف •• الخ •



تمثال خزفي من التركواز الازرق لببغاء عليه زخارف نباتية في خطوط سوداء

وقطع النسيج المزخرفة ، وحشوات من الخشب عليها رسوم نباتية مهذبة يعلوها شريط من كتابة كوفية نصها: بركة ويمن وسعادة و ٠٠ وبها ايضا بعض شواهد القبور ٠

● القاعة رقم ٤ : خصصت لعرض نماذج من خشب وعاج وخزف ونسيج وتحف معدنية وزجاجية من العصر الفاطمي ٠ ويشاهد فيها مصراع من الخشب كان في الاصل بأحد القصور الفاطمية التي قام في مكانها ماريستان المنصور قلاوون وبه حشوات عليها رسوم بارزة تمثل صورا ادمية ، ورسوم حيوان وقطعات من النسيج الكتاني عليها كتابات ، وقدر من الخزف ذي البريق المعدني تتالف زخارفه من ثلاث مناطق رئيسية وعريضة وتفصل كلا منها عن التالية منطقة ضيقة فيها رسم فرع نباتي متموج ٠

● القاعة رقم ٥ : **وتعرف بالقاعة المملوكية حيث سما الفن الى ذروته الخلابة الرفيعة** ٠ الى يمين الداخل باب من خشب من مصراعين مصفح بالنحاس المخرم ،والزخارف مصنوعة في تماثل واتقان٠ واذا دققنا الفحص كشفنا صورا عدة لبعض الحيوانات والطيور تتخلل الفروع المتشابكة ٠ وفيها خزانات عرضت فيها قطع من النسيج الكتاني والحريري ذات زخارف هندسية وملونة ٠ كما نشاهد عدة شمعدانات من النحاس المكفت بالفضة او الذهب وعليها كتابات كوفية ٠ ونشاهد ايضا بعض الكراسي من النحاس المخرم ، وعلى احدها اسم السلطان محمد بن قلاوون وعليه اسم الصانع محمد بن سنقر البغدادي وتاريخ صنعة سنة ٧٢٧ هـ (١٣٢٧م)

هـذا بالاضافة الى تحف جميلة اخرى من الواح الرخام المنقوشة والخزف والصواني النحاسية والقوارير الزجاجية والبلاطات المربعة ٠ فضلا عن نماذج فذة من مصابيح المساجد - اي المشكايات الزجاجية المموهة بالمينا ، وواحدة منها عليها اسم شيخون من امراء المماليك (ت ١٣٥٥) واخرى عليها اسم السلطان الناصري محمد بن قلاوون (ت ١٤٣١) وعلى جسمها زخارف نباتية انيقة ٠٠٠

ونشاهد في وسط القاعة ثريا كبيرة من النحاس المخرم ذات اثنى عشر ضلعا ومؤلفة من اربع طبقات وقد دون صانع هذه الثريا « بدر بن ابي يعلا » انه اتمها في اربعة عشر يوما ، وهي مؤرخة سنة ٧٣٠ هـ (١٣٣٠ م) ٠

● **من القاعة السادسة الى القاعة العاشرة : خصصت لعرض نماذج مختارة من التحف الخشبية بحسب تسلسلها التاريخي ٠ تبدأ بالعصر الفاطمي ممثلة في مصراعي باب من**

خشب منقول من الجامع الازهر ، ومحراب ايوبي منقول من مسجد السيدة نفيسة به زخارف نباتية محفورة في حشوات صغيرة مجمعة ، ومحراب آخر اصله من مشهد السيدة رقية تتكون زخرفته الرئيسية من اطباق نجمية كثيرة الاضلاع · ومن بين معروضات القاعة السابقة مجموعة من الاخشاب المخروطة كالمشربيات والنوافذ وبعض المنابر ، وعلقت في سقفها ثريا من البرونز على شكل هرم ناقص منقوش عليها كتابة باسم القاضي عبد الباسط (حوالي ١٤٢٢ م) · وتحتوى القاعة الثامنة على مجموعة من الاخشاب التي تتعلق بالعصرين الايوبي والمملوكي ·

ونشاهد في هذه القاعة عدة علبات ، أسطوانية من العاج عليها مناطق مربعة بكل منها صورة بارزة لطائر او حيوان ·

● فاذا انتقلنا الى القاعة العاشرة لشاهدنا نماذج من الخشب المخروط كان يستخدم في صناعة الدكك والمقاعد والمشربيات ، وفي وسط القاعة نافورة أرضيتها من فسيفساء الرخام الملون ، ويتوسطها عمود من الرخام تخترقه المياه الى اعلاه ويرتكز على هذا العمود سقف من الخشب به ثلاث قباب · وفي الخزانات الزجاجية التي تتوسط القاعة التاسعة عدة اباريق نحاسية مختلفة الاشكال ، ومباخر ، ومسارج من النحاس وزهريات بديعة لها مقابض من نحاس أصفر ·

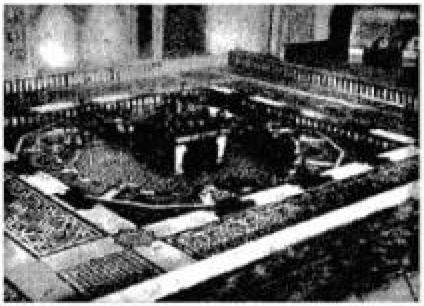
● ننتقل الى القاعتين ١١ – ١٢ لنشاهد أهم التحف المعدنية والسلاح الاسلامي · فقد اشتهرت مصر بالصناعات المعدنية منذ ايام الايوبيين فالمماليك · ولديفا الكثير من صناعتيهما كالاواني والشماعد والصواني والكراسي والتنانير والصناديق والسلاح ايضا · وازدهرت صناعة التكفيت بالذهب والفضة وكذلك التصفيح والتخريم ، هذا الى ما ذكرناه من التحف المعدنية المعروضة في القاعة التاسعة ، فاننا نشاهد في القاعة ١١ عدة مقلمات من النحاس ، احداها مستطيلة الشكل عليها زخارف هندسية وكتابة مكفتة بالفضة باسم العلامة الفيلسوف الغزالي (ت ١١١٢ م) ، ومقلمة اخرى مكفتة بالذهب والفضة عليها مربعات ودوائر بها زخارف نباتية وهندسية وكتابة باسم السلطان المؤيد عماد الدين اسماعيل (ابو الفداء) المؤرخ الشهير (ت ١٣٣١) وبين تلك الكنوز – طشوت من النحاس الجميل ، وصوان وشماعد ، ومقالم من نحاس مكفت بالذهب ، وادوات فلكية من اسطرلابات وكرور ارضية وغيرها ·

ومن مجموعة السلاح الاسلامي نشاهد سيوفا من طرز متنوعة منها سيوف مصرية لبعض أمراء المماليك وسلاطينهم وبعضها كتبت عليه بعض أسماء سلاطين آل عثمان واخرى ايرانية نقشت عليها اسماء صانعيها ومنهم اسد الله الاصفهاني ، بالاضافة الى عدة خناجر وتروس وبندقيات كثيرة تنسب الى القرن السابع عشر ·

● قاعة الخزف : سيد الفنون (رقم ١٣) : خصصت هذه القاعة

لانواع من خزف مصر في عصـــور مختلفة ، والقـــاعة ١٥ للخـــزف الايراني و ١٦ للخزف التركي ، كذلك خصص جزء من القاعة ١٧ لدراسة الخزف ·

المعروف انه فيما قبل القرنين التاسع والثاني عشر الميلادي صنع في مصر نوع من الخزف اشتهر باسم خـــزف



فسقية من الرخام



ابريق من البرونز من العصر
مقتنيات متحف الفن الاسلامي

الفيوم يمتاز بخطوط او نقط من الوان متعددة · ويوجد من هذا النوع بعض القطع في الفرقتين ١٣ و ٢٢ ، ويعد منتصف القرن الرابع الهجـــرى (العاشر الميلادى) كانت صـــناعة الخزف ذى البريق المعـــدنى ، وفى تطورت حتى بلغت اوجها فى العصر الفاطمى ، ويمتاز هذا النوع بمـــا وصل اليه الخزافون الفاطميون من دقة التعبير فى الرسوم الادمية والاتقان فى الزخارف النباتية والكتابية ، وقـــد وصلت الينا امضـــاءات طائفة من

الخـــزافين الفاطميين على تحف من الخزف ذى البريق المعـــدنى ، وفى طليعتهم مسلم بن الدهان وسعد ، وكان لكل منهما مدرسة (١) والنوع الثانى: خزف ذو زخارف بارزة بالحفـــر او محزوزة تحت طلاء زجاجي من لون واحد ، والنوع الثالث : خزف دقيق الصنع ويمتاز بالدقة فى رسم العناصر الزخرفية (انظر الخزانة ٦) ، وهناك الخـــزف المملوكى · وقد اشتهر فى هذا العصر طائفة من الخزافين ، منهم غيبى ، وغـــزال والهرمزى ودهين والرزاز وابو العز ··

● بين الخزف والسجاد فى القاعة ١٤ : فى تلك القاعة بلاطات من الخزف من نتاج عدة بلاد اسلامية ·

الم اذكر لك ان الخزف ســـيد الفنون ؟

ان هذه المادة العجيبـــة ما زالت تسيطر على الفنون الجميلة ســـيطرة كاملة ··· هنا بلاطـــات ذات الوان انيقة وجذابة فيها رسوم زهور القرنفل والسنبل البرى وقرن الغزال وكـــذلك الوردات والمراوح النخيلية ، نشـــاهد هنا بعض القلل والاباريق من الفخار غير المطلى وعليها رسوم بارزة مضافة الى السطح من زخارف نباتية وحيوان

(١) زكى محمد حسن : دليل متحف الفن الاسلامى ، ص ٧٦ ــ ٧٨

او صور آدمية • وسجاد هذه القاعة من الطراز العثمانى •

● القاعة ١٦ : سجاجيد الصلاة •

قلنا ان القاعة ١٥ خصصت للخزف الايرانى ـ والآن وصلنا الى القاعة ١٦ وامامنا مجموعة من سجاجيد الصلاة ومعظمها ارضياتها حمراء اللون وعليها محراب بأرضية زرقاء من نتاج الاناضول • وهناك سجادة من صناعة دمشق واخرى من صناعة بلاد ما وراء النهر • وللسجاد دراسات علمية وفنية وتاريخية تتطلب الخبرة العملية وبدونها فانك لا تجيد معرفة اسرار عالم السجاد الجميل • وفنانو هذه الصناعة الانيقة هم اهل ايران وافغانستان والاتراك •

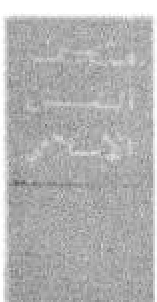
● القاعة ١٧ : نسيجنا اللطيف : ان صناعة النسيج فى مصر نشيطة منذ اقدم العصور ، ولكل عصر طرزه ومميزاته ، وكانت له مراكز مشهورة فى الدلتا ، منها تنيس والاسكندرية وطنطا ودمياط ودبيق والفرما ايضا ، كما اشتهرت البهنسا فى مصر الوسطى •• وفى مصر العليا مدينتا اسيوط واخميم •••

وواصلت البلاد نتاجها النسيجى وتقدمه عبر العصر الاسلامى • من أيام الطولونيين والفاطميين • وفى ايام هؤلاء تعددت الانواع، وتنم التصميمات الزخرفية التى ابتدعت فى ايام الفاطميين عن مدى الاهتمام الشديد بالزخرفة •

ومنسوجات عصر الخلفاء : الحافظ والظافر والفائز والعاضد (القرن ١٢ م) لها طابع خاص ، وقوام زخارفه جدائل تتقاطع وتتشابك ، فتؤلف جامات فيها رسوم حيوانات او رسوم نباتية • وفى أيام الايوبيين والمماليك زادت العناية بنسيج الحرير وتطريزه وتنوعت الزخارف كصور الطيور والحيوانات • وتقابلنا اسماء السلاطين المماليك وبعض عبارات الادعية نحو عز لمولانا السلطان الناصر « او الشرف للاشرف » • والمعروف أن صناعة الحرير تأثرت فى عصر المماليك بمنتجات الشرق الاقصى التى ادخلها عصر المغول فى العالم الاسلامى •

● القاعة ١٨ : بها نماذج من أعمال الجص والاحجار والرخام فى مراحلها المتعاقبة المتطورة ـ بعضها يرجع الى العصرين الاموى والعباسى ، وبعضها ينسب الى العصر الفاطمى والايوبى ، وكثير من اعمال الرخام المملوكى • ونشاهد بين المعروضات مزولة كبيرة من الرخام راسمها وحاسبها الوزير احمد الذى كان واليا على مصر من قبل الخليفة العثمانى ، وتاريخها سنة ١١٦٣ هـ (١٧٤٩ م)

● القاعة ١٩ : تقابلنا هنا اعمال التصوير والمنمنمات وفنون الكتاب التى تعتبر فى مقدمة الفنون الزخرفية الاسلامية • ولقد خلف لنا الفنانون مخطوطات تعد تحفا نفيسة تشهد بابداعهم فى نسخ الكتب وتزيينها بالرسوم الذهبية وتوضيحها بالصور وكسوتها بالجلود الفاخرة • بالاضافة الى اعمال الخط العربى التى ابدعها الخطاطون الذين اشتغلوا بكتابة



المصاحف الشريفة وبنسخ كتب الادب والشعر والتاريخ ٠

ولقد بلغ فن تزيين المخطوطات بتذهيب بعض صفحاتها أو بتذهيبها كلها ، غايته القصوى فى القرنين الخامس عشر والسادس عشر ، وكان له شأن عظيم فى المنمنمات الايرانية والعثمانية والمصرية والهندية ٠

وفى هذه القاعة نماذج بالغة الحسن والجمال والذوق السليم ٠

● قاعة السجاد والطنافس (رقم ٢٠ و ٢٣) : عرف السجاد فى مصر منذ أوائل العصر الاسلامى ، ويمتلك المتحف مجموعة عظيمة منه لاسيما بعد اقتنائه مجموعة الطبيب الجراح الشهير على ابراهيم وكان فى طليعة هواتها ٠ وقد وزع السجاد فى المتحف من القاعة السادسة الى القاعة ٢٣ وعرض بعضه لزينة قاعات المواد الاخرى ٠ وعرضت النخبة الطيبة منه فى القاعة ٢٠ المخصصة للسجاد كمادة قائمة بذاتها ٠ ولكى يسهل على الزائر متابعة أوصاف السجاد ، يحسن ان ينظر بطاقات الارقام التى توجد عادة فى اسفل السجادة أو على يسارها ، ثم يقرأ ما كتب عن السجادة فى الدليل ، وعليه أن يختار ما يروق له من الانواع الايرانية او التركية او المصرية ٠٠٠

● قاعة الزجاج والمصابيح المنيرة (رقم ٢١) قاعة نفيسة كانت محتوياتها قد خزنت سنوات طويلة لكيلا تصاب بالتلف والدمار اثناء سنى الطوارىء التى عشناها ٠ ومعروضات هذه القاعة فى داخل خزانات واهمها المشكاوات التى يتجاوز عددها الخمسين ، هى مصابيح المساجد الزجاجية المدهونة بالمينا وهذا العدد الموجود فى متحفنا يبلغ قدر الموجود فى متاحف العالم أجمع ، وهى متشابهة الشكل تقريبا ٠ فان الرقبة فى كل منها على هيئة مخروط ناقص، والبدن منتفخ ومنسحب الى اسفل ، وفى المصباح ثلاث أو ست اذان وله قاعدة ليسهل وضعها على الارض اذا لم تعلق ، ويختلف ارتفاعها بين ٤٥ و ٢٥ سنتيمترا ٠

واقدم هذه المشكاوات ، واحدة عليها كتابة حمراء نصها : « مما عمل برسم التربة المباركة السلطانية الملكية الاشرفية الصلاحية تغمد الله صاحبها بالرحمة والرضوان » ٠

وتضم القاعة مجموعات من القنانى والكئوس الجميلة فضلا عن قطع شتى من الزجاج المدهون بالمينا وعليها زخارف هندسية ونباتية وحيوانات عثر عليها اثناء التنقيب فى اطلال مدينة الفسطاط ٠

هذا القليل من كثير فى متحف الفن الاسلامى بالقاهرة ، يشهد هذا القليل من نتاج باهر على ما حققه العرب فى بناء حضارتهم الاسلامية الزاهرة فى البقاع التى استظلت برايتهم ، وفى الدول السامية التى شيدوها ، وبالمدن الجميلة التى مصروها ــ فى دمشق والفسطاط وفى القاهرة وبغداد ، وفى تلمسان والمغرب ، وفى قرطبة والزهراء ٠٠٠٠

هذا بالاضافة الى متاحف الاثار والفنون فى اسبانيا ، فلا يخلو واحد منها من التحف الاندلسية ٠ ومتاحف بلدان شمالى اوربا وغربيها وشرقيها وفى متاحف استانبول ٠٠ كل هذه الروائع فى مهاجرها أو مواطنها تبعث فى صدور مشاهديها الاعجاب والتقدير، وحب التعرف على ما اتسمت به فنون الحضارة الاسلامية من حسن الذوق والجمال والبهاء ٠٠٠

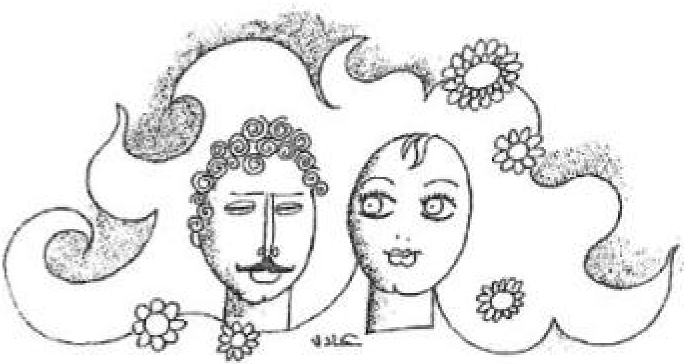
محمد
الجيار

الحب وجه واحد

تعودين بعد صديقي اليـــــا
وفي ناظريك اراه مليـــــا ؟..
معاذ الهوى .. ليس هذا غراما،
ولكنه الثـــار منا ســـويا !..
انا لست مرسى لكل المراكب ..
اذ تتحطم يوما عليـــــا !
انا لست مبكى لشكوى النهـود
ولست قناعا لزيف المحيـــا
على وجنتيـــك له قبــلات
هداياه تلك .. اتهدى اليـا ؟!

•••

بعينيــــك الف شراع غريق
فكيف سأغزو فما ساحليـــا ؟
تحبيننى ؟.. ياعروس الخطايا..
اكنت على كل جرح وصـــيا ؟
دعيني لعفة صمتي ، فاني ...
اعيش بجوع انتظارى غنيـــا
االفعى وتبكين بين الورود ؟ ..
ودمعك اصبح ســـما عتيا ؟ ..

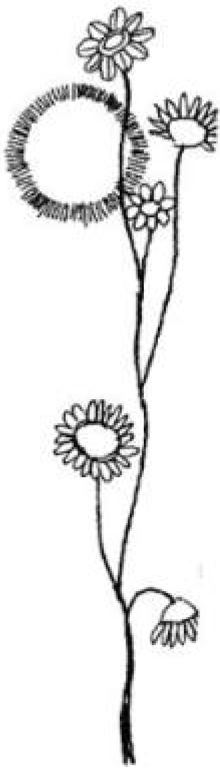


تعريت جسما وروحا امامي
ومن يشتهي بعد عريك.. عريا ؟!

***

تعودين بعد صديقي .. اليا ؟
وفي ناظريك اراه مليا ...
على ناهديك نقوش يديه
وفي راحتيه ... وضعت يديا !
وفي نفس هذا المكان التقينا
أكلنا .. شربنا.. رقصنا العشيا
وحتى الأماكن .. لا استطيع
خيانتها وهي في النفس تحيا !
وماذا تقول المقاعد عنا
اذا ما افترشنا الهوى الفوضويا ؟
وصمت صديقي عتاب بعيد ..
سينفي ضميري بصدرك نفيا
تريدين ان ارتديك كجلدي ..
وتستبدلين بزيك .. زيا !

الحب وجه واحد



تريدين أن تزرعيني نجمـا ..
على الطين حيث تعومين غيـا

***

افيقى .. وعودى اليه . فانى ..
اخاف الغواية .. لست نبيـا
ولا تحسبيني طفلا حكيمـا
فانى سقيت النساء الحميا ..
انا من يلون كل العيـون ..
بلون الدموع تحن اليـا ...
انا من انام ، ويسهر شعرى
على كل ثغر .. تمناه وحيا ..
ومن ذاق كل ثمار الفصول
يجوع لفاكهة فى الثـريا ...
تشهيت عنقود نجم بعيـد
تسلقت كل الغمـام صبيا
هجرت دوائر عمرى قيودا
وعشت به الخلد روحا نقيـا
ولاقيت نفسى فيمن عشقت
فكيف سأقتل نفسى حيا ؟!

***

عرفت المئات ، واحببت وجها ..
يطل على الارض ، ضوءا خفيـا
احب التى اظمأتنى اليها ...
فلما ارتويت .. تحرقت ريا !

على مقلتيهـــــا ، حروف هدب
يلامس هدبى ، عنـــاقا شـذيا

لها كبرياء ... يساوى الخضوع
امام الهوى .. وهى تصغى اليا

وما خنتها فى منـــامى ، وصحوى
حياة .. وموتا .. اعيش وفيا

ولو كنت فى جنــــة الخالدين
احن اليهـــا ملاكا عليـــا ..

سارقبها بعـــد موتى انتظـارا
وبعد انتهاء الحياة .. سـنحيا

***

وحين جلسنا معـــا فى سـهوم
ترودين فى للبحر افقـــا قصيا
نصحتك ان ترجعى لصـديقى
فقلت : محال .. لقد مات حيا

وطارت غدائر شــــعرك لهفى
مع الريح تقصد بيتـــا حفيا
وعادت على راحتى ، تسـتريح
فنحيتها عن ذراعى ... ابيـــا

لقد كان ملء وجــــودك يوما
فاين مكان به ســــوف احيا ؟
وكيف اغنى ... ونايى جريح
بحانة قلب ينـــــسى دويا ؟

وكم زرتما معبــــدى طائرين
فكيف اضمك فيـــــه عيبا ؟
افيقى ـ وعـودى اليـــه فانى
اخاف الغواية ... لست نبيـــا

ولا تكذبى ـ لو رجعت اليـــه
وتستمطرين الخطـــايا .. عليا
يعلمنا الحب صدق الحيـاة ..
ولو كان حبا كذوبا شـــــقيا

الزهد في شعر أبي نواس

فوزي عطوي

الزاهد في الدنيا غير الراغب فيها ، والزاهدون نوعان : منهم من ينقطع عن كل ماله علاقة بالدنيا واطايبها ، فيتنسك أو يترهب او يتصوف

.. ومنهم من يبلغ به احتقار الدنيا حد الاسراف في طلب اللذات وفي نهل الرغائب كيفما اتفق له ،اشفاقا منه على عمر ذاهب ،وعلى حياة لايدرك مايكون بعدها من مصير .

وكلا النوعين متطرف في نظرته الى الدنيا .

وابو نواس ، كان في المتطرفين المقبلين على اللذائذ والرغائب ، الموغلين في التطيش والاستهتار ، بل والمفاخرين بارتكاب الاثم دون ما رادع او وازع اعتقادا منه بغفران رب العالمين ، واستصغارا منه ، ولو هازلا ،لشأن نفسه يوم الحساب اذا ما نودي بالانبياء والرسل كما يقول .

وفي هذا الموقف الصراعي النفسي العميق ، نستطيع ان نستشف مدى الزهد في شعر النواسي ، كما نستطيع ان نستشف من وراء هزلياته ودعاباته الكثيرة مدى ايمانه الديني العميق ، مهما كان تبذله الظاهر وايا كانت الوان مهازله ومباذله .

لقد تسنى لي ، قبل اليوم ، تحقيق ديوان أبي نواس (١) ، والتقديم لاجزائه الثلاثة بدراسة مستفيضة ، فاستوقفتني عدة أمور في شاعرية هذا الفارسي المتهم بالشعوبية والمجون ، فأوضحت بالدليل القاطع ، واستنادا الى شعره ذاته ، ان نزعته الشعوبية لم تكن تعصبا للفرس على العرب ، بمقدار ما كانت لونا من الظرف والفكاهة ، طالما عرف بهما الادب النواسي على وجه الاجمال ·

وكنت كلما أوغلت في تحقيق ديوان الشاعر ، وفي حذف ما لا يسيغ الذوق السليم اثباته ، في كتاب ستتناقله أيدي الناس ، أشعر بمدى الظلم اللاحق بشاعرنا ، اذ تقيم شاعريته بالنظر الى خمرياته ومجونه ، ولا يلتفت الى بذور الشعور الديني المتخفي وراء هذا المظهر العابث الذي تبدو عليه قصائده ، كما لا يلتفت الى شعره الذي نظمه في أواخر حياته ، وقد تاب فيه ، وأناب الى الله أمره ، بعد أن أترع العمر من شراب اللذات ، في حياة صاخبة كان صاحبها أزهد الزاهدين فيها ، وأكبر المكابرين في التظاهر بالتمسك بها ·

وههنا تكمن كل فلسفة أبي نواس ، وتتضح نظرته الصحيحة الى هذه الحياة التي بدأها عبثا ، واستمر فيها عبثا ، وبارحها عبثا مثلما بدأها ، ومثلما استمر فيها · وان هذه لهي الفكرة التي تناولها الدكتور طه حسين · اذ يقول (٢) : « ان أبا نواس كان يزدري الحياة ، ويسخر منها ، ولعلك تدهش اذا قلت لك اني أشبه أبا نواس بأبي العلاء ، تدهش لان أبا نواس مشرق مبتسم ، في حين كان ابو العلاء رجل زهد وحرمان · ومع ذلك فأبو نواس شبيه بأبي العلاء : كلاهما كان يزدري الحياة ، وكلاهما كان يمقتها مقتا شديدا · وكل ما بينهما من الفرق أن أبا نواس كان يكره الحياة فيزدريها ويستعين عليها باللذة واللهو ، وأن أبا العلاء كان يكره الحياة ، فيستعين عليها بالزهد والحرمان » ·



***

والواقع أن أبا نواس ، انسجاما منه مع أحوال عصره ، وسهولة اختلاط الرجال فيه بالمرأة غير العربية في الحواضر العباسية ، ما بين بغداد والبصرة والكوفة والكرخ والرقة ــ كان يحمل أحد الوية الزعامة في المجون ، والخلاعة ، وشرب الخمر ، والمجاهرة بوصفها ، وبوصف النساء ، والتغزل بالغلمان ، ربما لا عن ايمان بما هو منساق اليه ، بل عن مجاراة ·· لما كان عليه ذلك العصر ، ولما كان عليه هو من

---

(١) صدر عن الشركة اللبنانية للكتاب ــ طبعة ١٩٧١

(٢) حديث الاربعاء لطه حسين ــ ص ١٢٧ ــ ج ٢ ··

الزهد في شعر أبي نواس

حياة بين المجان ، بل وبين الخلفاء والولاة الذين كانوا يقربونه منهم حينا، ويتظاهرون باقصائه عنهم حينا اخر ، كما كان شأنه مع الخليفة محمد الامين

وفي قناعتنا أن أبا نواس كان في شعره الماجن قوالا اكثر منه فعالا ، وكان متطرفا متنابيا ، اكثر مما كان داعية مدافعا عن مواقفه الماجنة ، ودعواته الخمرية الجانحة ·

واذا كانت القوة هي القضية التي دافع عنها المتنبي في شعره ، على وجه الاجمال ··· واذا كان التطير هو القضية التي انعقد عليها لسان ابن الرومي ـ فقد كان لا بد أن تكون لابي نواس قضية ، كما ان لغيره من الشعراء قضاياهم ، فكان منه هذا الانسياق وراء الخمر ، وهذا الغزل الماجن ، وهذا الطرف الشفاف الذى ينم حتى في كل تعريض بشئون الدين ، عن ذلك الشعور الديني المكبوت في اعماق نفسه ، والذى سينفجر في اواخر حياته عندما يرى الشهوات تتركه ، واللذائذ تصد عنه ، فينصرف الى ربه يناجيه ، والى نفسه يؤنبها على ما كان منها من غي عن سبيل الرشاد ، ومن جرى وراء ما يخالف تعاليم الدين ·

لقد كان ابو نواس ، اذن يحس في اعماقه بالتدين ، ومع ذلك ، فقد كان يقبل على اللذة ، لاقتناعه بأن عفو الله أكبر من العقاب والا فكيف نفسر قوله :

تكثر ما استطعت من الخطايا ... فانك بالغ ربا غفورا ،

ستبصر ان وردت عليه عفوا ... وتلقى سيدا ملكا كبيرا ·

تعض ندامة كفيك ، مما ... تركت مخافة الله السرورا ···

وكيف نفسر قوله :

لم ، وعفو الله مبذول ، غدا عند الصراط

خلق الغفران الا لامرىء ، في الناس ، خاطى

وقوله :

يا نواس توقر ... وتجمل ، وتصبر

ساءك الدهر بشىء ... وبما سرك اكثر

يا كبير الذنب ، عفو ... الله من ذنبك اكبر

أكبر الاشياء من اصغر عفو الله اصغر ،

ليس للمخلوق تدبير ... بل الله المدبر !

التفسير الوحيد الصحيح لهذه الاقوال ، بل لهذه الظاهرة في شعر ابي نواس ، أن الشاعر وان كان في جملة متهتكي العصر العباسي الاول ، بل في طليعة أولئك المتهتكين ، فقد كان ـ على حد تعبير جرجي زيدان ـ اكثر الشعراء انغماسا في اللهو ، على انواعه ، طمعا في عفو الله (١) ··

---

(١) تاريخ اداب اللغة العربية لجرجي زيدان ـ ص ٣٦٨ ـ ج ٢ ··

ولقد يقول قائل : وكيف يكون النواسي مؤمنا ، في أعماق نفسه ، بالدين ، وقد كانت منه دعوات صريحة الى العصيان، واستهتار مشهود بالدين وفروضه • فمن اقواله ، مثلا ، في بعض شعره الغزلي :

يا احمـــد المرتجى فى كل نائبة ... قم سيدى نعص جبار السموات

ومنها ايضا :

ادعى الملام ، فقد اطعت غـوايتي ... وصرفت معـــرفتي الى الانكار
ورايت اتياني اللذاذة والهـــوى ... وتعجلي من طيب هذى الـــدار
احرى واحزم من انتظار اجـــل ... علمى به خبر من الاخبـــار ،
ما جاءنا احد يخبــــــر انه ... في جنـــة من مات او في نار

ومثل هذا القول الممتزج بالتساؤل والاســـتغراب قد يبدو محقا للوهلة الاولى ، الا اننا متى تذكرنا المقـــام الهازل الماجن الذى كان يستدعى من الشاعر مثل هذه الاقوال ، ومتى تذكرنا ان ابا نواس كان متشبعا بميول ابناء عصره نحو المجون والشك وايثار اللذة، والاخذ بنحلة المرجئة الذين كانوا يتركون امر النظر فى الخلاف بين شيعة الامام على واتباع معاوية وبالتالى فى الخطيئة والتوبة الى يوم الدين ، خلافا للمعتزلة ولابراهيم النظام ، وقصـــــــيدته « الابراهيمية » فيه مشهورة ومطلعها :

دع عنك لومى فان اللوم اغـــراء ... وداونى بالتى كانت هى الـــداء

الى قوله :

لاتحظر العفو ان كنت امرا حرجا ... فان حظـــــركه بالدين ازراء

اقول : متى تذكرنا كل ذلك ، ادركنا ان ابا نواس ما كان ليقول ما قاله الا على سبيل التظرف ، واحيـــــانا على سبيل التحدى لاولئك الاقران من شعراء عصره الذين كانوا يضمرون له الحسد، ويكنون له الغيرة من نجاحه فى ميادينه .. حتى لقد قال فيه محمد بن عمر :

« ولم يكن شاعر فى عصر ابى نواس الا وهو يحســـده لميل النـــاس اليه ، وشهوتهم لعاشرته ، وبعد صيته ، وظرف لسانه »

***

ولن ننسى ان هذا الميل من ابى نواس نحو التهتك والتزندق كان له تفســـير آخر ، وهو التفســـير الذى ذهب اليه عباس محمود العقاد ، اذ يقول عنه : « انه كان يتزندق لانه كان يتفلسف، وانه اطلع على علم النجوم ، وعلوم الاوائل من الهند والروم ، فزاغ عن اليقين ،ومرق من الدين ، اذ كانت كلها علوما منقولة عن الكفرة والملحدين » •

واذا ذكرنا أن أبا الفرج الاصفهاني يذكر فى كتابه « الاغاني » بأن الشعراء العباسيين أخذوا كثيرا عن الوليد بن يزيد فى الخمر ، ويختص بالذكر منهم أبا نواس لانه اكثرهم انتفاعا بشعر الوليد الذى سلك الوانا من طرق الهزل، وابتدع صنوفا من المجون ، يوم كان وليا للعهد ، ثم يوم غدا أميرا للمؤمنين – فهمنا مجددا ظاهرة التزندق لدى ابي نواس ، من خلال فهمنا الظاهر أسراف الوليد فى الخلاعة والمجون • فلم يكن ذلك الاسراف – على حد تعبير الدكتور

طه حسين ـ أثرا من آثار اضطراب الدين ، وفساد العقيدة فى نفسه ، كان أثرا من آثار البدع الجديد الذى نشأ من اختلاط المسلمين بأهل النحل المختلفة .. فأحدث الشك والالحاد فى نفوس نفر منهم غير قليل ، فلم يكن مؤمنا بالبعث ولا بالعقاب والثواب ، وكان مع هذا يؤدى فرائضه الدينية ، فيصلى ويصوم لان الناس كانوا يصلون ويصومون ، ولانه كان وليا للعهد ، أو خليفة على الناس

***

وانا لنضيف الى تساؤل المتسائلين قولا آخر نبين فيه أن الرجل كان على تهتكه الظاهر ، حريصا على اداء فروض الدين . فمن نوادره انه دخل المسجد مرة ، وهو على اقبح السكر ، وسمع الامام يقرأ : « قل يا ايها الكافرون » ، فصاح به من ورائه : « لبيك ! » ...

هذه النادرة ومثيلاتها تشير الى امر واحد وهو انأبا نواس كان متدينا. ان شاعرنا لم يدخل المسجد ، وهو على علم « مسبق » بما سيتلوه الامام من الآيات البينات اثناء الصلاة ، بمعنى انه لم يهيىء الجواب سلفا ، ليلقيه على مسامع الامام ، وانما كل ما هنالك ان ابانواس قرب الصلاة وهو سكران، خلافا للآية الكريمة : « لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى » .

فلما سمع الامام يتلو : « قل يا أيها الكافرون » ، انعقدت له النكتة ، ولم تلجمه مهنابة الموقف بين ايدى خالق الخلق ، فصاح : « لبيك » ، معتبرا نفسه المعنى بالآية . ولو كان أبا نواس كافرا حقا ، لكان تخفى عن عيون الناس ، ولكنه التظرف ، وحب النكتة ، والطمع بمغفرة الله عز وجل ، كل ذلك جعله يرسل النكتة ، اثناء اقامة الصلاة .

انه الطيش، اذن، والرعونة الصبيانية التى لازمت شاعرنا فى معظم مراحل حياته ، وعبر قصائده التى كان يفهم الناس ما وراءها ، فضلا عن تفهم الخلفاء لروح الهزل التى كانت تشيع فى شعره ، مما كان يحمله على العفو عنه . فلما دس بعضهم لدى هارون الرشيد الدسيسة على أبى نواس، وادعى لديه أن الشاعر كافر ينبغى قتله ، احضر الشاعر للمحاكمة ، وبالتالى لتوقيع العقاب المناسب ، فقال له الرشيد : كيف تقول :

ما جاءنا احد يخبر انه   فى جنة من مات او فى نار

فقال : « يا أمير المؤمنين ، وهل جاءنا أحد ؟ » .

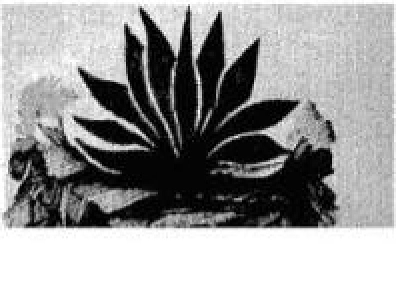
فسكت الخليفة ، ثم قال له : وكيف تقول لاحمد بن صالح :

يا احمد المرتجى فى كل نائبة   قم ، سيدى ، نعص جبار السموات

فقال : « يا أمير المؤمنين ، هل علمت انه قام فأطاعنى فى هذه المعصية ؟ » .

فتبسم الرشيد ، وقال لمن فى حضرته : « خلوا عنه ، قطع الله لسانه » . ولم يكن الرشيد ، وهو أمير المؤمنين ، يثق بدين الشاعر ، ويعرف مدى الطيش الملازم لشعره ، لما ضرب صفحا عن فلتات لسانه ، ولكان أوقع عليه العقاب المعد للكافرين .

الزهد في شعر أبي نواس



وإذا أردنا مجاراة أبي نواس في هذا المجال ، أشرنا الى قصيدته التي يبلغ فيها التطرف أقصى حدوده ، ويبلغ فيها حب أبي نواس للظهور وللتحدي المجتمع بمخالفة مقاييسه وقيمه ، عنيت بها قصيدته الرائية التي يهدد فيها ابليساً ، ان هو لم يلق المحبة في قلب حبيبه ، بأنه سيدرس القرآن الكريم ، وسيصلي ويصوم ، ويأتمر بالخير ، ويقلع عن قول الشعر ، وعن شرب الخمر ، اعتقاداً منه بأن ابليساً يخيفه أن يرى الشاعر صائماً ، مصلياً ، مؤدياً للفرائض الدينية ، آمراً بالمعروف ، وناهياً عن المنكر .

يقول في تلك القصيدة :

لما جفاني الحبيب وامتنعت عني الرسالات منه والخبر
واشتد شوقي ، فكاد يقتلني ذكر حبيبي والحلم والفكر
دعوت ابليس ، ثم قلت له في خلوة ، والدموع تنحدر :
اما ترى كيف قد بليت ، وقد اقرح جفني البكاء والسهر ،
ان انت لم تلق لي المودة في قلب حبيبي ، وانت مقتدر
لا قلت شعراً ، ولا سمعت غناً ولا جرى في مفاصلي السكر
ولا ازال القرآن ادرسه أروح في درسه وأبتكر ،
والزم الصوم والصلاة ، ولا ازال دهري بالخير اأتمر
فما مضت بعد ذاك ثالثة حتى اتاني الحبيب يعتذر !

***

ولربما وقع أحدهم على شعر غزلي لأبي نواس ، تتردد فيه أصداء من شعر عمر بن أبي ربيعة الذي كان يتعرض للنسوة في الحج أو في طريقهن الى الحج . ولكن مثل هذا الشعر النواسي لا يفسر الا على احدى صورتين : فاما أن يكون هذا الشعر منماً عن الامل الذي يعلل الشاعر نفسه به ، بلقاء حبيبته – وحبيبته هنا هي جنان – كما في قوله :

الم تر انني افنيت عمري بمطلبها ، ومطلبها عسير
فلما لم اجد سبباً اليها يقربني ، وأعيتني الامور
حججت ، وقلت : قد حجت جنان فيجمعني وإياها المسير

وان لم يكن الأمل ، فهو الفن الوصفي الذي يرغب الشاعر في ارضائه ، وليس الحديث عن شؤون الدين والاخلاق . ولعل أبا نواس ، من هذه الجهة ، كان أسبق من سواه الى تبني فكرة الفن للفن . وعلى هذا الأساس ، لا على أي أساس عداه ، ننظر الى قوله في حبيبته « جنان » :

وعاشقين التف خداهما عند التثام الحجر الاسود
فاشتفيا من غير ان يأثما كأنما كانا على موعد ...
لولا دفاع الناس اياهما لما استفاقا آخر المسند
فلنا : كلانا ساتر وجهه معاً على جانبه باليد ...
نفعل في المسجد ما لم يكن يفعله الابرار في المسجد !

أقول : انه ههنا أراد أن يرضي الفن ، ولو أسخط الدين ، لأن الموضوع الذي يعالجه ، وهو التغزل بجنان ، لا علاقة له بالدعوة الخلقية ، ولا بالفروض الدينية ، فضلاً عن ظننا بأن أبا نواس كان يكذب على الناس ، أو يكذب على

الزهد في شعر أبي نواس

نفسه في هذه القولة ، لان ما وصفه لا يتصور حدوثه اثناء الحج ، وعند ازدحام الناس في طوافهم حول الكعبة المشرفة ·

واذا قيل غير هذا ، أجبنا بأن عقيدة ابي نواس الدينية الصميمة، ومقاله الملائم لمقام الحج المبارك يتمثل في قصيدته التي قالها في الحج تضرعا وتلبية ورجاء · فقد حدث من شاهد ابانواس ، لما حج مع « جنان » ، وقد احرم ·· أنه لما جنه الليل ، جعل يلبي بشعره ·· ويحدو بطرب في صوته ، حتى اجتمع به كل من سمعه وجعل يقول :

الهنا ما أعدلك　　مليك كل من ملك
لبيك ، قد لبيت لك　　لبيك ان الحمد لك
والملك ، لا شريك لك　　ما خاب عبد سألك
أنت له حيث سلك　　لولاك يا رب هلك
لبيك ان الحمد لك　　والملك ، لا شريك لك
اعمل وبادر أجلك　　واختم بخير عملك
لبيك ان الحمد لك　　والملك ، لا شريك لك

***

والظاهرة الفريدة في شعر ابي نواس ·· انه كان يجاهر بالمجون ، ويتزندق على سبيل التفلسف ، فلا يعيب من نفسه ما يعلنه ، بينما نراه ثائرا على غيره ، اذا هو كفر او تزندق، فهو لم يكن يجيز للاخرين ما كان يجيزه لنفسه ، حبا منه بالدين ، وذودا عن التقوى ، لثقته بأن ما يقوله في هذا المجال هو الى الهزل والمزاح والتظرف أدنى ، بينما خوض الاخرين في المواضيع الماجنة ذاتها ، يقترن في رأيه بالدعوة الجادة الى الابتعاد عن جادة الايمان ، كأني بأبي نواس ، وقد جعل لنفسه من الدالة على الدين ما جعله لها ، يسيغ لذاته أن يدغدغ الدين ، وأن يجرحه أحيانا، ولكنه يحرص دوما على الا يعمق الجرح ، والا تسيل الدماء ، بينما لم يكن واثقا بأن غيره من الناس قادر على التزام هذه الحدود حيال الدين والايمان ·

***

ولئن خطر لنا ان نستعرض بعض شعر ابي نواس في الزهد بالدنيا ، يوم كان مقبلا على لذائذها ، ولذائذها مقبلة عليه ، او يوم مل الرغائب وملته الرغائب ، فاننا واقعون على مايشير الى اصطناع الشاعر للصعلكة ، وامتهانه لذاته ، تبريرا لما ارتكبه من اخطاء وخطايا ، فهو يعتقد ان امره ضئيل يهون على الله ، يوم الحساب اذ يبعث الناس بين يدي الخالق ، وعلى رأسهم الانبياء والرسل ، وفي ذلك ما يغريه من ناحية بمواصلة اقتراف الاثم ، ومن ناحية ثانية يعلله بتغاضي الرحمن عن زلاته ، يقول :

من انا في موقف الحساب اذا　　نودي بالانبياء والرسل
ذلك يوم يجل عن خطري ،　　فما لمثلي هناك من امل

هنت على الخالق الجليل ، فما ينقذ في قصتي ولا عمـــلي !
ولكن ابا نواس كان يعرف ويرجو ان يكون لمثله امل ، يوم الحســـاب ، ولطالما ردد ذلك المعنى في اكثر من قصيدة ولا سيما يوم أدركه المرض . واصبح الموت واقفا ببابه يترصده ، ارتقابا لامر باريء السموات والارض ولقد كان في كل حال طامعاً في غفران الله ، لائذا برحمته ورضوانه ، وفي هذا المعنى يقول ، مخاطبا ربه :

ايا من ليس مثله مجيـــــــر بعفوك من عذابك اســـتجير ،
انا العبد المقـــــر بكل ذنب وانت السيد المولى الغفـــور ،
فان عذبتني ، فبســـــوء فعلي ، وان تغفـــر فانت به جـــدير ،
افر اليـــك منـــك ، واين الا اليك يفــر منك المستجير !

ويقول ضارعا ، منيبا ، مستغفرا :

يا نفس خافي اللـــه واتقى واسعى لنفســـك سعي مجتهد ،
من كان جمـــع المـــال همتـــه لم يخـــل من هم ومن كمـــد
لو ان دون النفس واقيــــــة لفديتهـــا بالمـــال والولـــد
فتنك نفســـك ان تموت غـــدا او ما تخـــاف الموت دون غد
يا نفس موردك الصـــراط غدا فتاهبي من قبـــل ان تردى
ما حجتي يوم الحســـــاب ، اذا شهدت علي بمـــا جنيت يدي ! ؟

وقد ردد ابو نواس هـــذا المعنى الاخير في قوله :

ما حجتي فيمــــا اتيت ، وما تولى لربي ، بل وما عـــذري
يا ســـوأتا مما اكتســـبت ، ويا اسفى على ما فات من عمري ..

ولما انتابه ، في اواخـــر ايامه ، المرض الذي أودى به ، قال ابو نواس مخاطبا رب العالمين ، ومعترفا بأن عذره الوحيد لدى ربه كونه لا يملك عذرا عما اقترفه من ذنوب :

اراني مع الاحياء حيا ، واكثـــري على الدهر ميت قد تخرمه الدهـــر
فمـــا لم يمت مني بما مات ناهض فبعضي لبعضي دون قبر البلى قبـــر
فيا رب قد أحســـنت عودا وبداءة الي ، فلم ينهض باحسانك الشـــكر
فمن كان ذا عـــذر لديك وحجة ، فعذري اقراري بان ليس لي عـــذر !

هذا الاعتـــراف بالذنب ، مقرونا برجاء بلوغ المغفرة من لدن الله عز وجل تردد كثيرا في شعر ابي نواس الذي بعد به العهد عن ايام اللهو والطيش والفسوق ، وادنته ايامه من باب قبره ، فما تراه الا مرددا مكررا الاعتراف بالخطيئة ، ملحا في الضراعة ، لعـــل الله يستجيب ويغفر له ما تقدم من ذنوب :

يا رب ان عظمت ذنوبي كثـــرة فلقـــد علمت بأن عفوك اعظـــم
ان كان لا يرجوك الا محســـن فبمن يلوذ ويســـتجير المجرم ؟
ادعوك ، رب ، كمـــا امرت تضرعا فاذا رددت يدي فمن ذا يرحـــم
ما لي اليك وسيلة الا الرجـــا وجميـــل عفوك ثم اني مســـلم

وكما يقبل المرء احيانا على المعاصي بحماسة ، كذلك فانه يزور عنها ، اذ يهتدي بحماسة اشد واعظم . والى مثل هذا اشار ابو نواس حين قال :

اذا لم تنه نفســـك عن هواها وتحســـن صونهـــا ، فاليك عني
فاني قد شبعت من المعـــاصي ومن لذاتها ، وشـــبعن مني ..

ذلك ان المتبصر المفكر بحقيقة هذه الدنيا لا يرى فيهـــا الا ما يبعث في نفســـه الزهد ، نظـــرا لان كل ما عليها بالغ مرحلة الزوال ســـواء . اكان حزنا أم كان فرحـــا ، لان حظ الناس منها ، لدى الموت كفن يبقى في

عداك ما يملكون من المال :

سكن يبقى له سكن ... ما لهذا يؤذن الزمن

نحن في دار يخبرنا ... ببلاها ناطق لحن

دار سوء لم يدم فرح ... لامرىء فيها ولا حزن

كل حي عند ميتته ... حظه من ماله الكفن !

وهذا هو مصير الكائنات ، يتبينه أبو نواس ، سواء في حديثه عن نفسه أو في رثائه للأموات الذين عز عليه فقدهم أو في ارساله نفثاته الزهدية السوداوية ، كما في قوله :

كل ناع فسينعى ، ... كل باك فسيبكى

كل مذخور سيفنى ، ... كل مذكور سينسى

ليس غير الله يبقى ... من علا فالله أعلى ..

كل مستخف بسر ... فمن الله بمرأى ،

لا ترى شيئا على ... الله من الأشياء يخفى

وهكذا راح الشاعر يؤنب نفسه ، ويؤنب الناس ، ويذكر ويذكر بالمصير المحتوم الذي يؤول اليه كل حي . فمن أقواله في التذكير بالموت والموتى ، وفي التفكير بالعبرة التي ينبغي حفظها من خلال ظاهرة الحياة والموت

يا بني النقص والعبر ... وبني الضعف والخور ..

أين من كان قبلكم ... من ذوي البأس والخطر ..

سبقونا الى الرحيل ، ... وانا على الأثر

من مضى عبرة لنا ... وغدا نحن نعتبر ..

رحم الله مسلما ... ذكر الله ، فازدجر

غفر الله ذنب من ... خاف فاستشعر الحذر !

ولعل زهد أبي نواس يتمثل فيما أجراه من مقارنة بين اقباله على غوايات الدنيا ، وملاهيها ، ومتع الشباب الغض الذي استباح كل شيء ، وبين النتيجة التي حصل عليها من الغوى واللهو والاستمتاع ، فاذا كل ما في الغوايات باطل ، واذا عصارة المتع التي اساغها لنفسه توردِه موارد الاثم والخطيئة :

ولقد نهزت مع الغواة بدلوهم ... وأسمت سرح اللهو حيث أساموا

وبلغت ما بلغ امرؤ بشبابه ، ... فاذا عصارة كل ذاك أثام !

وأبو نواس مردد ، على الدوام ، لهذا المعنى الذي يحمل في طياته بذور الندم لا سيما وهو واثق بأنه ملاق أجله ، مهما غره أمله . يقول :

سهوت ، وغرني أملي ... وقد قصرت في عملي

ومنزلة خلقت لها ... جعلت لغيرها شغلي

يظل الدهر يطلبني ... ويحدوني على عجل ،

فأيامي تقربني ... وتدنيني الى أجلي !

ويقف أبو نواس وقفة حازمة بوجه أولئك الذين يكثرون التوبة ، ثم يكثرون النكوص عنها ، ويعودون الى سبل الضلالة ، غير عابئين بالشدة في يوم



الزهد في شعر أبي نواس

ويقول مذكرا بالموت ، وبضرورة التزود للآخرة بزاد حسن :

أخي ما بال قلبك ليس ينقى ... كأنك لا تظن الموت حقا
ألا يا ابن الذين فنوا وبادوا ... أما ، والله ، ما ماتوا لتبقى
وما للنفس عندك من مقام ... إذا ما استكملت أجلا ورزقا
وما أحد بزادك منك أحظى ... ولا أحد بذنبك منك أشقى

لذلك ، وجب على الانسان أن يكون مع الله ، فيكون الله معه ، وأن يدرك بأن سهام المنون واقفة له بالمرصاد ، وبأنه على مرمى من أسباب السكون الذي يعقب الحركة ، وفي ذلك كناية عن الموت الذي يعقب الحياة :

كن مع الله ، يكن لك ... واتق الله لعلــه ،
إن للموت لسهما ... واقفا دونك أو بك
نحن نمسي بين أسباب ... سكون وتحرك !!

***

ثم إن الزهد ، بأجلى صوره ، تجلى في رثاء أبي نواس لنفسه ، حين أصيب بمرضه الأخير الذي لم يشفه منه سوى لقاء وجه ربه . ولقد يقول قائل : إن هذا الزهد غير ذي بال ، لأن الدنيا هي التي زهدت في أبي نواس آنذاك ، ولم يكن هو الزاهد فيها . لكننا ، وقد عرفنا مقدار ما كان يكمن في قلب الشاعر من إيمان وتقوى ، على رغم تظاهره بالعبث واللهو ، وتخفيه وراء عبارات قد تنطوي على بعض ملامح الكفران — فنحن نعتقد أن زهده التراثي من خلال رثائه لنفسه ، يحمل توبة نصوحا ، ولو لم يكن لهذا الزهد من قيمة غير هذه القيمة ، لكانت وحدها حسبه .

وكان أبو نواس قد أمسى على فراش الموت ، يصارع سكراته الأخيرة ، حين قال هذه الأبيات :

دب فيّ الفناء سفلا وعلوا(١) ... وأراني أموت عضوا فعضوا
ليس من ساعة مضت لي إلا ... نقصتني بمرها بي جزوا (٢)
ذهبت جدتي بطاعة نفسي ... وتذكرت طاعة الله نضوا (٣)
لهف نفسي على ليال وأيام ... تمليتهن لعبا ولهوا ،
قد أسأنا كل الإساءة ، فاللهم ... صفحا عنا ، وغفرا ، وعفوا (٤)

***

وجملة القول إن شعر الزهد ، في ديوان أبي نواس ، يكشف عن جانب انساني من جوانب حياته ، كثيرا ما تجاهله المؤرخون والنقاد ، لطغيان شهرته في أغراض شعرية أخرى لاترآها إلا غلافا رقيقا يشف عن جوهر صاف ، ونفس متلجلجة في المآثم ، تتوق أن تتحرر ، وأن تبرأ إلى ربها من الدنايا ، وقد كان لها أن تبرأ ، وأن تتحرر .

● بيروت ● ● فوزي عطوي ●

---

(١) ويروى الصدر أيضا : دب في السقام سفلا وعلوا

(٢) جزوا : ترخيم جزءا . وقد روى البيت أيضا :

ليس ثاني من ساعة بي إلا ... تقتضيني بمرها بي جزوا

(٣) جدتي صحتي — نضوا : هزيلا ، سقيما .

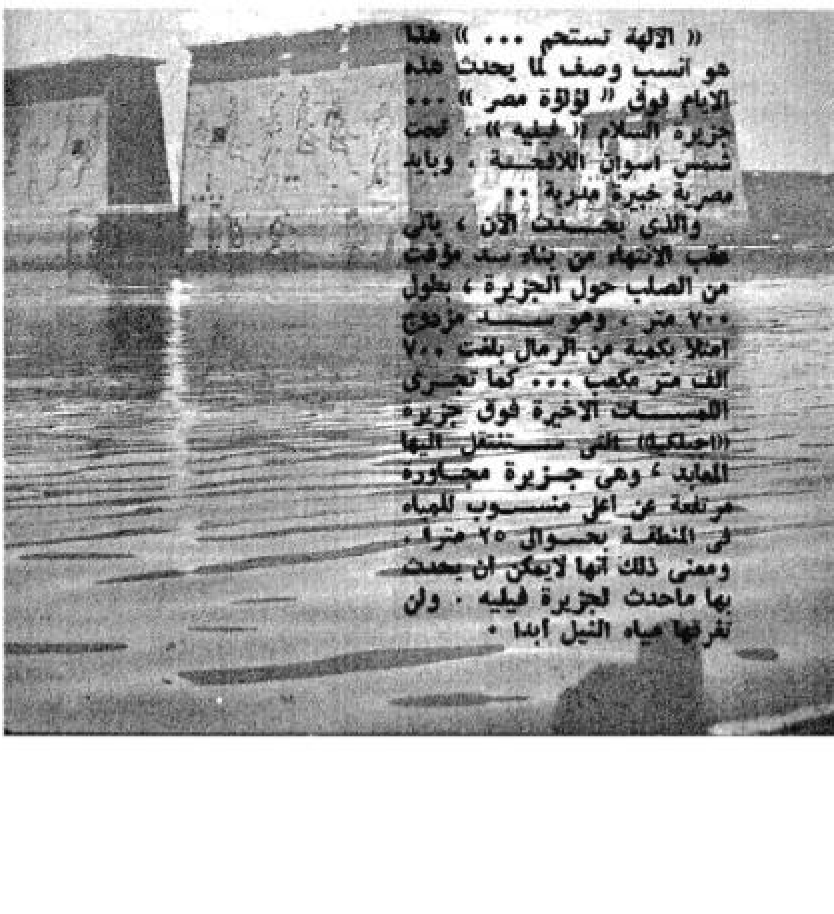
(٤) ويروى البيت أيضا

قد أسأنا كل الإساءة يارب ... فصفحا عنا إلهي وعفوا

أحمد أبوكف

لؤلؤة مصر

جزيرة السلام الخالد



« الإلهة تستحم ... » هذا هو أنسب وصف لما يحدث هذه الأيام فوق « لؤلؤة مصر » ... جزيرة السلام « فيليه » ، تحت شمس أسوان اللافحة ، وبأيد مصرية خبيرة مدربة ..

والذي يحدث الآن ، يأتي عقب الانتهاء من بناء سد مؤقت من الصلب حول الجزيرة ، بطول ٧٠٠ متر ، وهو سد مزدوج امتلأ بكمية من الرمال بلغت ٧٠٠ ألف متر مكعب ... كما تجرى اللمسات الأخيرة فوق جزيرة « اجيلكيا » التي ستنتقل اليها المعابد ، وهي جزيرة مجاورة مرتفعة عن أعلى منسوب للمياه في المنطقة بحوالي ٢٥ مترا ، ومعنى ذلك أنها لايمكن أن يحدث بها ماحدث لجزيرة فيليه . ولن تغرقها مياه النيل أبدا .

« الحمام الصحى » ، الذى يطهر المعابد فى ـ جزيرة فيليه ـ من ادران السنين ، بعد غرق استمر حوالى سبعين عاما منذ اقامة خزان اسوان عام ١٩٠٢ ـ هذا « الحمام » يأتى على دفعات ٠ فالمياه داخل السد الصلب المؤقت ، والتى تغرق المعابد بارتفاع حوالى ١٨ متراً ، يجرى نزحها على دفعات ٠٠ وفى كل دفعة يقف الخبراء فوق المركب ـ سبعة عشر قاربا ـ ينظفون كل مساحة تظهر ، بالاسفنج ومواد كيماوية تشبه الصابون ٠

وحين يتم نزح المياه كلها وينتهى دور القوارب ، وتجف الارض ، لتبدأ عملية ازالة طبقات الطمى المتراكمة ٠٠ ثم تجرى بعض الحفائر التى يقدر لها ان تستمر بضعة اشهر ٠٠٠ بعدها تبدأ اخطر مراحل انقاذ المعابد والصروح والجواسق ٠ وهى عمليات لا تذكر بجانب ما تم ، لكنها دقيقة وحساسة ٠

ان مرحلة الانقاذ الاولى ، والتى احتفل بها فى اواخر ابريل الماضى ، كانت انجازا ضخما شمل حوالى ثلثى الجهد فى عملية انقاذ « لؤلؤة » مصر كلية ٠

اما المرحلة الثانية ، والتى بدأت هذه الايام فهى تشمل خطوات هامة

تشمل تسجيل المعابد معماريا واثريا بالرسوم والصورة ، ثم فك المعابد ونقلها الى ساحة مجاورة على شاطىء النيل ، وهى ساحة « التشوين » ، حيث تجرى لها عمليات الترميم والتقوية والمنشطات اللازمة ، ثم يعاد بناء المعابد والعناصر المعمارية الاخرى ـ المقدر وزنها بحوالى ٤٥ الف طن ـ فوق جزيرة « اجيلكا » ، مع المحافظة على اتجاه وابعاد كل عنصر معمارى ، وعلاقته بالعناصر الاخرى ٠ واعطاء الموقع الجديد طابع وسمات الموقع الاصلى، من الخضرة ـ التى تتمثل فى اشجار السنط والدوم ـ والجمال الفنى على ان يتم ذلك كله ، كما هو مقدر له فى عام ١٩٧٦ ، وبتكاليف اجمالية تربو على الستة ملايين من الجنيهات، منها بالعملات الحرة حوالى المليونين !

لكن قبل الاحتفال النهائى ، بانقاذ الجزيرة بما عليها من معابد ، هناك اخر مرحلة رؤى ان يبدأ التفكير فيها من الان ٠٠٠ وهى مرحلة الصوت والضوء ، مثل « ابو الهول » والاهرام ، ومثل « معابد الكرنك » و « القلعة » ٠٠٠ والذى يفكر فيها هو فؤاد العرابى ، وكيل وزارة الثقافة ، اما النص فقد عهد به ـ

كما عهد من قبل فى مشروعات الصوت والضوء ـ للشاعر صالح جودت ٠٠٠ الذى حضر احتفال انتهاء المرحلة الاولى ٠٠ من اجل ان تتحدث « ايزيس » عن نفسها وعن زوجها « اوزيريس » ٠٠ وعن اسطورتهما الخالدة ٠٠ التى تتصل بصميم حياة مصر القديمة ٠٠ ولم يستطع المصريون المحدثون ، والعالم ان ينساها ، رغم مرور القرون والدهور ٠

● الصبر والمثابرة ●

والاسطورة هى اسطورة « ايزيس واوزيريس » بالطبع ٠٠٠

واوزيريس هو « ابن السماء والارض » ٠ ابن « نوت » الهة السماء ، و « جب » اله الارض ٠ وهما بالطبع ابناء « رع » رب الالهة ، فى عقيدة القدماء الفراعين

اوزيريس حكم مصر بوصفه ملكا عليها ، وكان له الفضل فى اخراج المصريين من حالة التخلف القديمة ، وضع لهم القوانين ، الف قلوبهم ،

لؤلؤة مصر

لم شملهم • علمهم الزراعة • زراعة الحبوب والقمح والشعير • ودربهم على « المثابرة » في الزراعة ، و « المصابرة » في انتظار الحصاد ••• وربما صفة « الصبر » المعروفة عن المصريين _ كما يقول البعض _ تأتى منذ هذا الزمن السحيق •

والأسطورة تستمر في سرد «نعم» اوزيريس ، برمز واضح ، لتقول : ان ابن سماء مصر وارضها ، حبا منه في تعميم هذه « النعم » _ بعد ان اكتشف سرها _ على البشر جميعا _ ترك لاخته وزوجته الوفية « ايزيس »

حكم مصر ، وراح هو يجوب العالم ، ناشرا نعمة الحضارة ، معلما الناس الزراعة ••• ثم عاد الى مصر محملا بالثروات التى كدستها له شعوب الارض عرفانا بجميله ، وعرفانا بجميله ايضا استقبله شعب مصر مهللا له ، فرحا به ، ورفعه معبودا الها •••

وهذا يعنى بالطبع ان اسطورة « ايزيس واوزيريس » ، قد خرجت من نطاق المحلية الى العالمية • ويدلل البعض على ذلك بشواهد كثيرة ،

وان كانت تحتاج الى دراسة وبحث وقد تزيل عنها النقاب دراسة النصوص الكهنوتية والنقوش على صرحى معبد ايزيس على جزيرة « فيليه » •• وايضا معبد اوزيريس فوق جزيرة « بيجة » المجاورة •

ان مصر كانت فى قلوب وعيون شعوب العالم القديم منذ الازمان السحيقة • بل ان البعض يرى فى تفاصيل الاسطورة ، وما جرى لاوزيريس : موت، ثم بعث ، ثم موت، ثم بعث ، هو رمز الى جفاف النيل وفيضانه •• خاصة وان هناك نقش على معبد ايزيس يعطى تصويره لفيضان النيل • كما يرى ان الصراع بين أوزيريس وست ، هو صراع بين الخير والشر •• وهى نظرية تفرض نفسها على ابناء القرن العشرين ، كما فرضت نفسها فى الماضى ،وتتمثل فى الصراع الذى بدأ بين حكام مصر العليا ومصر السفلى قبل التاريخ المكتوب ، وقبل عصر « مينا » ••

● دراما ايزيسية ●

ولكن ما هى الاسطورة باختصار •• التى نسجها كهنة هليوبوليس فى الاصل ، فابدعوا ، نسجها _ حين كانت الوثنية مخيمة ••

الاسطورة تقول ان ابناء « نوت » و « جب » كانوا اربعة هم : ايزيس، ونفتيس ، واوزيريس ، وست • وان اوزيريس تزوج ايزيس• بينما نفتيس تزوجت ست ••

أوزيريس حكم مصر ، بينما ست حكم الفيافى والقفار •

واوزيريس كان ملكا عادلا ، حقد عليه اخوه ، وحاول التخلص منه • بشبه ماحدث بين قابيل وهابيل• وعمق الدراما هنا •• يتضح فيما حدث لاوزيريس ، والذى تحملته زوجته واخته « ايزيس » بوفاء ، قد لا يوجد هذه الايام• فاخوه دبر له مؤامرتين : احداهما بوضعه فى تابوت • وداخت ايزيس بدموعها وجهدها واخلاصها _ وهو غير اخلاص بنيلوب فى الاسطورة اليونانية لزوجها • جهدت حتى احضرته من « بيبلوس » او جبيل فى لبنان •• ثم المؤامرة الثانية التى قطع فيها ست ، جسد اخيه اوزيريس الى ٤٢ قطعة ، بعدد اقاليم مصر فى ذلك الوقت• وهنا ايزيس المخلصة تناضل



فى الاحتفال بانتهاء المرحلة الاولى : د . جمال مختار رئيس هيئةالاثاريتحدث وعن يمينه كمـــال رحيـــم والى يســـاره احمـــد قـــــدرى



الشاعر صالح جودت بين فؤاد العرابى وابراهيم الوردانى ومجمـــوعة من الذين دعتهم هيئـــة الاثـــار .

حتى تجمع اشلاء زوجها .. تتقرب وتبحث وتبكى للالهة حتى يعود ..

وحين يعود اوزيريس بعد المؤامرة الثانية ، يقـــرر ان يكون الها على العالم الاخر ، يمسك ميزان الاعمال بيده يمنح الخلـــود للطيبين ، ويهب الرحمة للصابرين ، ويحاسب الاشرار .

على ان ثمـــــرة زواج ايزيس باوزيريس ، تأتى بابنهما « حورس » .. الذى كان فراعنـة مصر يتسمون باسـمه فى حياتهم « حورس الحى » .. وبعد مماتهم يسمون انفســـهم « اوزير الخالد » .

وهكذا يصبح هذا الثالوث الكهنوتى ـ ايزيس واوزيريس وحورس ـ تراثا عبر الاجيال والقـــرون . تنتشر معتقداته ، بل تصبح اهـم معتقدات الفراعنة .. خاصـــة عندما القت الاقدار ، بجزيرة فيليه ، فى اواخـــر العصر الفرعونى لتصبح هى « قـدس الاقداس » عبادة الفراعنة الوثنية .

وتستمر عبادة ايزيس على فيليه حتى بعد ان انتشرت المسيحية ، ويقال ان كهنة « ايزيس » ، حين غيـــر لهـم الزمن وجهه ، ظلـــوا على صمودهم ، وحبـــيين على فيليه .. وكذلك كهنة اوزيريس على « بيجه » الى ان جاء جند الرومان تحت راية الصليب ، ليذبحوا الكهنة واحدا فى اثر واحد ، وتختلط دماؤهم بنقوش المعابد ، التى تحولت الى كنائس .

وقد حدثت هذه الدراما ، بعد ان كانت المنطقة مزارا مقدســا وثنيا ، يحج اليه .. « المؤمنون » الوثنيون بل مكان سلام ، يلقى فيه الجنـــود باسلحتهم ، ويتوقف القتال .. لانها كانت منطقة محرم فيها القتال ..

على انه .. بموت فيليه ، تموت بيجة .

وتنتهى الرحلة اليوميـــة التى كان يقوم بها الكهنة من بيجه الى حرم



« فيليه » غارقة في الماء ، سيختفي هذا المنظر الى الابد ..

ايزيس ، لتقديم القرابين من الماء واللبن على ٣٦٥ مائدة قرابين ، بعدد ايام السنة . فجزيرة بيجه يقال ان سبب قداستها ان « ست » خبأ فيها قدم « اوزيريس » اليسرى . ومن هنا ياتي التفسير الذي يقول به بعض العلماء ، من تحرص الفنان المصرى القديم دائما في تماثيله ورسومه على أن تتقدم القدم اليسرى ، اليمنى .. ومن هذا الرأى مدام « كريستيان نوبلكور » . وهي تربط بين نجم يقال له « الرجل » ـ بتشديد الراء وسكون الجيم ـ وبين رجل أو قدم اوزيريس .. ومن هنا ـ كما يقال ـ كانت الطقوس تبدأ بين « بيجه » .. وتنتهي في حرم معبد اوزيريس على « فيليه »

لؤلؤة مصر

بهذا التراث الكبير ، يعود الاهتمام بجزيرة « فيلية » ، والاهتمام ايضا بانقاذ آثار النوبة .. اهتمام من مصر، ومن العالم كله . ومن هنا تأتي حملة الانقاذ التي استمرت ١٥ عاما حتى الآن ، كحركة دولية ، لانقاذ صفحة مشرقة من صفحات تاريخ مصر ..

وقد اهتم الرئيس أنور السادات شخصيا بانقاذ آثار النوبة . يدل على ذلك تلك الرسالة التي وجهها الى مندوبي ١٨ دولة في عام ١٩٧٠ ، حين اجتمعوا داخل نطاق اليونسكو في القاهرة . وقال الرئيس في رسالته :

« ان اجتماعكم اليوم من أجل الاسهام في انقاذ احدى روائع الحضارة المصرية القديمة ، التي اسهمت منذ فجر التاريخ في رقي الانسانية ، انما يعكس اشراقة روح الاخاء الانساني ، وروعة اللقاء حول أقدس مقدسات الانسان ، وهي ثقافته وحضارته » .

وقال الرئيس السادات ايضا في رسالته :

« ان التراث الذى تعرض لغمر مياه النيل فيما وراء السد العالي .. كان في الماضي رمزا لتفتح عبقرية الانسان المصرى القديم .. فصار الى جانب ذلك رمزا لتساند انسان القرن العشرين ، وللتعاون الخلاق بين الشعوب »

والاهتمام لا يعود الى النصف الثاني من القرن العشرين ، ولا يعود الى بداية هذا القرن ، انما هو في الواقع اهتمام قديم متجدد ، « بلؤلؤة مصر » على وجه الخصوص ... اهتم بها اليونان ، والرومان ، كما اهتم بها العرب ، ونسجوا حولها اسطورة « انس الوجود » .

وفي القرن التاسع عشر ، جاء الاهتمام اكثر من خارج مصر ، على

اثر ما نشره علماء الحملة الفرنسية عن اثارنا في سفرهم القيم « وصف مصر » . وقد نتج عن اهتمامهم بجزيرة « فيليه » وما عليها من اثار أن خلدها شعراؤهم وكتابهم . وصفها البعض بأنها « جزيرة السلام الخالد » والبعض الاخر عرفها « بجزيرة الربيع الدائم » و « الاساطير » و « السحر » .. ومنهم الشاعر الفرنسي الكبير لامارتين بكتابه « جزيرة السحر » ، و « بيير لوتي » في « موت فيليه » ، و « شاتوبريان » في كتابه « الرحلة »

بل انه في القرن الماضي أيضا زارت الرحالة الكاتبة الانجليزية « أميليا ادواردز » جزيرة فيليه ، وقالت عنها : « فيليه » مع الجندل ، مع النهر ، مع الصحراء والتلال المحيطة بجزيرة مقدسة ، رائعة بكل ثرواتها من النقش والرسم والنحت ، ومن التاريخ واللغة والتقاليد . انها تربض وسط كل هذا ، وتبدو بنخيلها وابهائها واعمدتها وصروحها ، وكأنها سراب وسط الماء . هذه الابراج المنحوتة والصروح المرصوصة لا يظهر عليها بادرة من خراب . ان كل ما على الجزيرة يبدو صلبا ، شامخا شخما ، متقن الصنع ... انها لجزيرة متجددة بشهرتها ومجدها »

على انه منذ مفتتح القرن العشرين كان لجزيرة السحر « فيليه » شأن آخر ...

فلقد تعددت الحملات الكشفية وبعثات التنقيب في النوبة . وكان ثمار جهدها ٤٠ مجلدا . من خلال هذه الحملات التي بدأت بزيارة المنطقة اثناء التفكير في اقامة خزان اسوان

ومن اهم هذه الحملات ، أولا : حملة الكابتن « ليونز » الذي قام بدراسة المنطقة واقتراح ما يمكن ان يتم بشأن الحفاظ على الآثار فيها .

وبعدها ــ عندما بدىء في اقامة خزان أسوان ــ كلف المسيو ماسبيرو ، مدير مصلحة الاثار في ذلك الوقت، كلا من « برسانتي » و « ريجال » باعداد تقرير عن آثار النوبة ككل ، وتقوية ما يحتاج منه الى تقوية . وفي عام ١٩٠٧ ارسلت بعثتان ، احداهما برياسة « جورج ريزنر » ، والاخرى برياسة « المسيو فرث » للقيام بحفائر في جميع المناطق التي تقع بين الشلال الاول والسبوع . ثم حملة عام ١٩٢٩ برياسة « امرى » و « كيروان » من أجل التنقيب والتسجيل .. بالاضافة الى بعثات أخرى كثيرة ، اشترك فيها خبراء واثريون مصريون ..

● الهام الفن والادب ●

ولكن ماذا عن الاهتمام المصرى في هذا القرن بالنوبة « لؤلؤة مصر » .

الواقع انها شغلت الكثير من الكتاب والشعراء والادباء المصريين ، وهذا يعود في تقديرى لسببين جوهريين ، أولهما : ان الحركة القومية كانت في عنفوانها الذى توج بثورة ١٩١٩ وما تلى ذلك من احداث تطالب بجلاء المستعمر ، وتطالب بالاستقلال . وكانت الحركة الوطنية عبارة عن بعث بدأ أول ما بدأ في تراثه واصالته والتنقيب في تاريخه المجيد ، لدرجة اكدت الاعتزاز بالمصرية ، في دعوة لطفي السيد « مصر للمصريين » ومصطفى كامل ، الذى قال « لو لم اكن مصريا لوددت ان اكون مصريا » .

والسبب الثاني أن غرق منطقة النوبة جعل الصدى واسعا لدى المصريين والرغبة ملحة في انقاذ التراث وتدعم ذلك بعد اكتشاف كنوز توت عنخ آمون في وادى الملوك في العشرينات .

ولذلك ، فنحن نجد اصداء كثيرة لتراثنا وآثارنا في الفن والادب والشعر .. ومنها بالطبع « فيليه » ..

لؤلؤة مصر

واسطورة « ايزيس واوزيريس » ..

● نجد فنان مصر مختار، بالاضافة الى تمثاله نهضة مصر ـ ينحت تمثالا « لايزيس » .. وآخر سماه « لقية فى وادى الملوك » بتأثيراكتشاف مقبرة توت عنخ آمون .

● أمير الشعراء احمد شوقى ، يخلد « فيليه » فى قصيدته « أنس الوجود » عام ١٩١٠ ، لقد ذهب الى اسوان ووقف هناك موقف المتعبد الخاشع فى محراب التاريخ ، يقول :

قف بتلك القصور فى اليوم غرقى
ممسكا بعضها من الذعر بعضا
كعذارى اخفين فى اليم بضا
سابحات به وابدين بضا
مشرفات على الزوال وكانت
مشرفات على الكواكب نهضا

الى ان يقول « امير الشعراء » فى ابيات تنبض عذوبة ورقة :

رب نقش كأنما نفض الصا
نع منها اليدين بالامس نفضا
ومحاريب كالبروج بنتها
عزمات من عزمة الجن امضى
صنعة تدهش العقول وفن
كان اتقانه على القوم فرضا
يا قصورا نظرتها وهى تقضى
فسكبت الدموع والحق يقضى
انت سطر ومجد مصر كتاب
كيف سام البلى كتابك فضا
وأنا المحتفى بتاريخ مصر
من يصن مجد قومه صان عرضا

وقال شوقى فى همزيته (الشوقيات) ان عبادة ايزيس انتقلت من مصر الى غيرها من الاقطار ، ومنها اليونان ..

واعتبر « ايزيس » مفخرة من مفاخر مصر الثقافية .. التى صدرتها للعالم القديم :

فاذا قيل : ما مفاخر مصر
قيل : منها ايزيسها الغراء

● احمد زكى أبو شادى ، يتناول « ايزيس » فى قصيدة له ، نشرها بمناسبة الاحتفال بذكرى وفاة مختار مثال مصر ، فى الثلاثينات يقول فيها :

ايزيس يا نبع الحنان
وأم مصر الشاعره
من ذا سواك يصون
للفن الجميل مآثره
من ذا سواك ترى
بطلعتها الحياة بشائره
من ذا وفى « انس الوجود »
هناك عاشت آسره
غرقت ولكن لم تزل
للفن اسمى ساحره

● توفيق الحكيم ، وهو يكتب مسرحية « شهر زاد » فى عام ١٩٣٠ ، كان يفكر فى كتابة مسرحية بعنوان « ايزيس » . وقد كتبها بعد ذلك ، وعرض لكفاحها واخلاصها لزوجها اوزيريس .. وهو كفاح يختلف عما فعلته « بينلوب » فى الاسطورة اليونانية . والاخيرة لم تتعب نفسها . جلست فى بيتها تشغل نفسها بالتريكو .. وتنتظر عودة زوجها ..

● وقفة امام المعابد ●

هكذا ... تستقطب « فيليه » الاضواء ، وتلهم الشعراء والكتاب على طول التاريخ وعرضه ..

وقد كان الاحتفال بانتهاء المرحلة فى انقاذها ، احتفالا جليلا فى رحاب التاريخ . تحدث فيه د . جمال مختار نيابة عن يوسف السباعى وزير الثقافة كما تحدث فيه ايضا احمد قدرى وكيل



ايزيس على مرح معبدها .. ولقطة تجمع القديم والحديث

وزارة الثقافة ، ومدير مشروع انقاذ اثار « فيليه » . كما تحدث كل من كمال رحيم مندوب اليونسكو فى الشرق الاوسط وفاز ديف مدير برنامج الغذاء العالى التابع للامم المتحدة ، والاثنان أولهما من بنجلاديش اصلا ، والثانى هندى .

وكان مهرجاننا دعى اليه شعراء وكتاب وصحفيون واذاعيون ، ومندوبو التليفزيون ووكالات الانباء العالمية والمحلية ..

ومن فقرات الاحتفال الذى بدأ بتلاوة القرآن الكريم ، كانت رحلة جميلة على باخرتين حملت المدعوين الى رحاب « فيليه » .. الى المعابد والصروح . وكانت وقفة على السد الصلب امام « فيليه » .. ونظرة من بعد إلى « اجيلكيا » الجزيرة التى دخلت التاريخ . والقول من بعيد لان الديناميت كان يتفجر على أرضها من أجل تسويتها لتستقبل ايزيس والمعابد ..

وكل ذلك من اجل ان تعود « فيليه » ملهمة ، تهفو الى رؤيتها القلوب والعقول ، يحج الى رحابها ـ كما قال مندوب اليونسكو فى كلمته ـ كل عشاق الفن ، وعشاق صفحات التاريخ المجيد .. ولتصبح كما كانت فى الماضى منطقة مفتوحة القلب ، مرحبة بالكل .. بل جزيرة السلام الخالد .. ويصدق عليها ـ كما يقول ايضا كمال رحيم ـ قولة الشاعر الصوفى العربى ، محيى الدين بن عربى :

واصبح قلبى قابلا كل صورة
فمرعى لغزلان وديرا لرهبان
وبيتا لاوثان وكعبة طائف
والواح توراة ، ومصحف قرآن
ادين بدين الحب انى توجهت
ركائبه ، فالحب دينى وايمان

● .. أخيرا ●

وجولة البواخر تنتهى ، تمخر عباب النيل . تعطى الظهر الى «فيليه» تودعها الى لقاء اخر بعد عامين تقريبا .. نحتفل فيه بانقاذ المعابد ، ونهاية الحملة الدولية التى انقذت سبعة عشر معبدا على مدى خمسة عشر عاما ..

وحين بدأنا ننزل الى الشاطىء ، يهزنا صوت انفجار،نسرح البصر اليه لترى عيوننا آثار غبار على جزيرة « اجيلكيا » . كان الانفجار تحية لنا نحن الذين راينا مجدا من امجاد الفراعين تنحسر عنه المياه والطين ، ويطهر من ادران السنين لتنبثق منه الصروح شامخة ، كانبثاق فجر الحضارة القديم ، فى عقيدة قدماء المصريين ...

اعترافات

محمد حسن
فقي



لست بذى زهد برغم الـذى … يعدى به عن شقوة الطامعين !
فبين جنبى هـوى جـامح … يهفو الى النعماء .. كالعالمين!

فقاومته حينـا فلم اسـتطع … ولم اعـد بعد من الزاهدين ؟!
ولسـت أدرى . أكل الورى … مثل عن الحق من الناكبين ؟!
لست بذى صدق وان حاولت … نفسى بأن تسلك فى الصادقين!

ما اروع الصدق على قـادر … فليتنى كنت من القـادرين
خادعنى النـاس وخادعتهم … وكلنـا ينعى على الخـادعين

لست بذى حق ... ولكننى … اهتف بالحق مع الهاتفين !

واختل الحق .. ولا ارعوى … واطعن الحق مـع الطاعنين!

وانمـا ابنو كمثـل الورى … من صحبه من اهله الاقربين !
ويل بما اصـنعه .. اننى … لست بـه الا من الخاسرين !

لست بذى فضل على الاقربين   لا ، ولا فضل على الابعدين !
لست بذي مجد ، وان كابرت   سى ذوى المجد من الخالدين
كيف يحوز المجد من لم ينل   اسباب هذا المجد كالحائزين ؟!

ولست بالفائز منـــه بمـــا   يشفى غليل النفس كالفائزين !
وانما اشـــدو به حـــالما   بما استجاب المجد للحالمين !
لست بذي صيت فماذا الذى   يجعلنى يوما من النابهـين ؟!
ولست بالواقف فـوق الذرى   وانما ارنـــو الى الواقفـــين !

ارنـــو اليهم .. وانا رابض   فى السفح بين المعشر التافهين
كم فاشـــل يرنو الى ذروة   شامخة تسخر بالفاشـــلين !
لست بذى فكر فاســـمو به   كالشعراء الشم والكاتبين !
وانما أصبو الى ومضـــــة   منه فقـد يومض للخاملين !

حسبى من الفكر وايـــاته   انى على البعد من العاشقين
ان فـاتنى ان لم اكن قـــائلا   ما فاتنى ان كنت فى السامعين !

لست بذى حس فقد ايبست   مخضرة احداث هذى السنين !
فعـــاد كالجلمد فى قفـــره   وعاد فيه الظن مثـل اليقين !

وما بكيت الحس بعد الردى   وكيف لى بالدمع او بالحنين !
ما يحفل المحروم من حســه   ويلاه بالفــــرحة او بالانين !
ما نحـن الا عالم ســـارب   وراء وهم يخدع النــاظرين !
فما خمول المرء من رفعـــة   وليســـت الرفعة للبارزين !

فى عمـق اعماقى تجوس المنى   وما ترى النور من الناقمين !
فهـل تـرانى أبدا ضـــائعا   لاننى احنو على الضـــائعين ؟!
ام هل ترانى بعد طول السرى   يحيلنى الصبر الى الشاكرين ؟!
يا ايها الدرب الـــذى نالنى   وحدى . وما نال من السائرين

قد مسنى الضر . ولولا الصدى   هذا لامسيت من الهـــالكين !
هذا الصدى . ماأوسع التنائى   بدونه .. ما اكثر العـــاثرين

اذا خسرت العمر من اجـــله   فاننى من اربح الـــرابحين !
فيا ضميرى .. ياربيب الاسى   ما كنت بالخير من الكافرين !

قـــد انتـــاى عنه .. ولكننى   به ـ وتدرى ـ اول الآمنين !
اهفو اليه .. واراه الســـنا   كما اراه الامن للخـــائفين !
لم يبق لى غيرك .. يا كوكبا   يهدى الى الدرب خطا اللاغبين
فـــلا تذرنى .. اننى تائـــه   وانت من يحنو على التائهين !

سعد حامد

• قصة •

أربع سنوات

استيقظ شعبان عبد الموجود الطالب بالسنة النهائية بكلية الحقوق، في الصباح متعبا فلم ينعم في ليلته الماضية بنوم عميق ... بل كان نومه متقطعا تتخلله الأحلام ، فقد كان ينتظر ظهور نتيجة الليسانس منذ ايام في قلق ، وملأ هذا القلق حياته فلم يعد يجد راحة في يقظة او نوم ..

كان الوقت مبكرا .. ارتدى ثيابه في عجل وغادر حجرته الى الطريق ... كم هو مشوق لان يرى النتيجة ... لقد قالوا له انها ستعلق في الصباح الباكر ، وهو يريد ان يكون أول من يراها ليكون أول من يحمل اليها البشرى ... انه ليس مهتما بالنتيجة من اجل نفسه ، بل من اجلها هي !

من بعيد رأى الكشوف معلقة على واجهة الكلية الزجاجية .. كان يعبر حديقة جامعة عين شمس وعينه معلقة بمبنى الكلية على مرمى بصره، وقلبه يدق في صدره . فحث الخطا نحو المكان ... ها هي النتيجة قد ظهرت اخيرا ، بعد ايام من الترقب والقلق واللهفة – نتيجة الليسانس ... ختام مرحلة الدراسة وبدء مرحلة الحياة والعمل والمسئولية . من هنا تبدأ الحياة حقا ...

وراح يبحث عن اسمها هي أولا ... فوجدها ناجحة بتقدير « جيد جدا » . فابتسم في سعادة ثم راح يبحث عن اسمه فوجده أيضا ولكن بتقدير « جيد » فقط ... وكانت فرحته بنجاحها أكثر من فرحته بنجاحه ...

ومع أن هذا النجاح سيكون بدء انفصالهما، فانها ستذهب في طريق وسيذهب هو في طريق، فانه كان سعيدا بهذه النتيجة ... برغم انه تمنى يوما أن ترسب هي ويرسب هو ليظلا عاما آخر زميلين في الكلية !

وغادر الكلية الى الطريق ، ومضى صوب بيتها باسما سعيدا ليكون أول من يحمل اليها بشرى نجاحها ...

ومع ان الوقت كان صيفا الا ان الجو كان ربيعيا لطيفا ، والهواء مشبعا برائحة الزهور. وكانت ثم اصوات تأتي من بعيد ، صوت راديو وموسيقى ، وأحاديث مبهمة خافتة ... دوى خافت ثمل ليوم مشرق بهيج ...

قد يراها في الحديقة او تكون واقفة في الشرفة ... وربما يكون البواب غير موجود فتفتح هي الباب من يدرى ... ربما يسعده الحظ كثيرا فيحدث هذا ، ويراها أمامه ، فيزف اليها خبر نجاحها ، فتتناول يده بيدها الرقيقة البيضاء ، وتشد عليها شاكرة ، وقد التمعت عيناها من الفرح ...

لو حدث ذلك . فلا مانع لديه من أن يموت في نفس المكان ... لقد مضى شهران منذ انتهاء العام الدراسي ولم يرها ، وكان اقصى امانيه أن يراها فقط ... تقع عيناه على وجهها ... فما أعذب الموت عندئذ . بعد أن يراها وهي سعيدة !!

أربع سنوات وهو يراها من بعيد ، ويحمل لها فى قلبه أنقى عاطفة وأطهر حب ... وبرغم أنها كانت زميلته فى الفصل فانه لم يحاول أن يطاردها أو يحدثها عن عاطفته ، بل كان يكتفى بأن يحييها تحية عابرة كلما رآها ...

ولم تعلم شيئا عن عاطفته المتقدة فى صدره ... ولم يتبعها الا مرة واحدة ليعرف بيتها ، فيستطيع أن يراها فى عطلة الدراسة . وكانت تسكن فى حى حدائق القبة ...

وعندما تبعها ذلك اليوم البعيد ورآها تدخل تلك « الفيلا » الضخمة التى تحيط بها حديقة مزدهرة رائعة اضطرب اضطرابا شديدا . وعاد يومها الى حجرته المتواضعة الذى يقطنها فى حى الدمرداش القريب من الكلية بعيدا عن أسرته التى تقيم فى الريف وقلبه يبكى فى صدره..

هل لمثله أن يطمع فى مثلها ؟

هل يطمع ، وهو الطالب الفقير الذى تقيم أسرته فى قرية من قرى الريف ويعمل أبوه حلاقا أن يتزوج من ابنة رجل ثرى يشغل منصبا كبيرا ؟

حقيقة انها زميلته فى الكلية ... ولكن مستوى أسرته ومستوى أسرتها ..من هو أبوه بالنسبة الى أبيها الثرى الكبير ؟

لا يظن انه يطمع فى الزواج بها حتى فى الخيال !

لقد اساء بعض الطلبة الخبثاء من معارفه مهنة أبيه ، وعرف بعض زملائه أن أباه يعمل حلاقا ، وكان مثار نكات وسخرية من طلبة القاهرة الذين أثارهم منظره ، ولهجته الريفية ، وتصرفاته الساذجة ...

كانت مهنة أبيه هى



محنته الشخصية ...
ولكن سخريتهم لم تكن تؤثر فيه بل كانت تزيده ثقة في نفسه ، وأملا في المستقبل ، وحافزا على ان يتفوق عليهم جميعا، وسيصبح ذات يوم رجلا ذا شأن ... من يعلم ماذا يخبيء له المستقبل، وماذا ينتظره في ضمير الغيب ؟

سيصبح يوما ما محاميا مشهورا يدافع عن الحق الضائع ... وسيقف الى جانب الفقراء دائما ، ويدافع عنهم ... ان المستقبل امام خريجي الحقوق واسع جدا · وكثيرا ما وصل حاملو اجازة الحقوق الى كرسي الوزارة !

وقد ينجح بتفوق ... ويعين وكيلا للنيابة ... وربما يعين في بلدته ... ولعل اباه عندما اقترح عليه ان يدخل كلية الحقوق كان يطمع في ان يراه يوما ما وكيلا للنيابة في بلدته ... ولا شك ان بعض الحاقدين سيحقدون عليه ويقولون من وراء ظهره « والله عشنا وشفنا ابن الاسطى عبد الموجود الحلاق اصبح وكيلا للنيابة » · ولكن كلامهم لن يؤثر فيه ، ولن يحد من طموحه ، وسيظل يتقدم حتى يصل الى منصب كبير ·· ولا شك ايضا ان بعض ابناء قريته سيفخرون بمكانته ويتيهون به على ابناء القرى الاخرى، ويقولون عندما يرونه « البيه وكيل النيابة » ، ولاشك انه سوف يسعد كثيرا عندما يسمعهم يقولون ذلك ...

وكان شعبان يحزن احيانا عندما يذكر مهنة ابيه · ولكنه كان يسأل نفسه في حيرة لماذا يحزن ؟ اليست مهنة شريفة ؟ ثم يقول لنفسه في انفعال : انه ليس لصا او عاطلا او افاقا فيخجل منه ... انه يمتهن مهنة شريفة ، نعم هي مهنة شريفة . وقد استطاع ابي بدخله الصغير ان يعلمني ، وان يدخلني الجامعة · انه بطل عظيم يستحق التقدير والاعجاب ، ويجب ان اكافئه يوما ما ·· عندما اتخرج واعمل واقبض مرتبا ...

وقد شعر يوما بمنتهى



أربع سنوات

السعادة عندما قرأ في صفحة الطرائف باحدى المجلات أن شابا دخل يوما على خليفة من الخلفاء ليستعين به على حاجة له · فسأله الخليفة قائلا :

ـ ابن من أنت ؟

فقال الشاب في اعتزاز وثقة :

ـ انا ابن من دانت له أعناق الرجال ...

فتعجب الخليفة من قوله ، وقال له في غضب :

ـ ومن هو ذاك الذي دانت له أعناق الرجال ؟

فقال الشاب :

ـ حلاق البلدة ·

فضحك الخليفة من براعة الشاب · ووهبه منحة ...

وبرغم أن هذه النادرة بدت لشعبان كنكتة الا أنها أعجبته كثيرا ، وأسعدته ··

لكن طالب الجامعة المكافح لم يكن يملك الا بدلة واحدة ، بدلة كالحة رثة ... وحذاء بنصف نعل · ويعيش على الفول المدمس والطعمية· ويشعر بالغربة في المدينة المزدحمة · ويحس بالحنين الى قريته وأهله ...

في السنة الاولى من الكلية حلم بأنه لن يرضى بأقل من درجة وزير·· وفي السنة الثانية تواضع وقنع بوظيفة وكيل وزارة ... وفي

الثالثة تصور نفسه فى درجة مدير عام ... اما فى السنة النهائية فقد قنع فى احلام يقظته بوظيفة متواضعة ، وتساءل فى مرارة :ترى هل يحصل على هذه الوظيفة فور تخرجه او سينتظر حتى يعين بعد عام او عامين مع خريجى دفعته عن طريق القوى العاملة ؟ .

وكان يتعذب ويخفق قلبه بحب لا امل فيه .. كانت اسعد لحظات حياته التى يراها فيها قادمة من بعيد صوب الكلية.. كان ينتظر هذه اللحظة ، ويحس ساعتها انه اغنى اهل الارض .. عندما تلوح من بعيد تشرق فى افق حياته مشاعر الثراء والسعادة والبهجة ... وعندما تمر ايام ولا يراها يحس ان حياته مجدبة قاحلة جرداء .

ولطالما انتظر رؤيتها ... فى البرد والمطر والظلام . وكان يدور احيانا حول بيتها لعله يلمح طيفها من وراء النافذة ..

ومرت السنوات الاربع وهو لا يدرى كيف مرت .. يعيش احيانا فى نعيم الجنة ، واحيانا فى عذاب الجحيم ..

ووجد نفسه واقفا امام بيتها . فضغط على الجرس بيد ترتجف ، ووجه شاحب .. من



بعيد بدأ وجه البواب الاسمر يقترب ..

وسأله وهو يرمق قميصه الحائل اللون وبنطلونه الكالح وحذاءه المترب بنظرة ازدراء : ماذا يريد ؟ فارتبك ولم يدر ماذا يقول له ، وبعد لأى قال فى صوت خافت :

ـ قل للانسة سناء انها نجحت فى الليسانس وبلغها تهانئى ...

وتركه البواب ودخل الى الفيلا ...

وقف فى مكانه جامدا خافق القلب . ملهوف النظرات ... لا شك انها ستظهر الان فى الشرفة ... وعندما تراه ستأتى لتشكره .. وستتناول يدها البيضاء الصغيرة فى يده مصافحا ..

من يدرى ... قد يكون هذا اللقاء بدء الصلة بينهما ... فقد ترى فى عينيه الحائرتين ما يعتمل فى اعماقه ، وتحس بالنيران المتقدة فى صدره . فتشفق عليه .. ويقولون ان الشفقة أول مراحل الحب . فقد تحبه ... وغداً يتوظف ويصبح مرموقا . ويجىء لهذه الفيلا يوما ما ليخطبها ..

ولكنها لم تظهر ولم تأت بل عاد البواب ، وحده ، ودس فى يده ورقة نقدية ..

واحس بالورقة فى يده كقطعة جمر او تنهدة حارة او دمعة محرقة..

استند الى الحائط ونظر الى البواب مشدوها ، ولم يستطع النطق ، فتركه البواب وقفل عائدا الى الداخل.

ورفع الورقة النقدية الى عينيه وراح يتأملها مليا ... وقلبه يتمزق ... يا لها من طعنة ..

وسأل نفسه فى مرارة هل يقوى قلبك يا شعبان على الصفح عنها ؟ ولكنه لم يصل الى جواب ...

وتحرك عائدا الى حجرته . وفى عينيه دموع ..

وعصر الورقة فى قبضته يريد ان يمزقها ثم تراخت اصابعه ، ودسها فى جيبه كذكرى اليمة لحبه الذى قتلته هذه الورقة من فئة الخمسين قرشا ..

الحبيب شيبوب

شعراء تونسيون

كان شيخ أدبائنا ، الاستاذ محمدالعربي الكبادي ، نموذجا فريدا من طبقة ممتازة لن يجود بها الزمان .. انبتته تربتنا الزكية الولود ، قبل ان تبتلى بمحنة الاحتلال في اعقاب القرن الماضي . بالرغم من الركود والدهشة المسيطرةعلى المستنيرين من ابناء وطننا حينذاك نتيجة فقدانالاستقلال ، وجثومالغاصبالدخيل على صدر البلاد يذيقها النكال والوبال . ويسد في وجهها منافذ النور .. استاذنا الكبادي استطاع بدابه المتواصل ، ومواهبه الممتازة ان يشق طريقه فيميدان المعرفة ، حتى افتعد مكانة سامية لانعرف احدا في المعاصرين قاربها او كاد ...

محمد العربي الكبادي

اذا كانت البيئة تلعب دورا عظيما فيتوجيه مشارب الاديب والفنان وتنمية مداركه ، فاننا نستطيع ان نوقن بصحة هذا الراي ، عندما نستعرض حياة شيخ ادبائنا ، ونسلط عليها الاضواء .

ذلك انه نشأ في اسرة اندلسية الارومة ، مغرمة بالشعر والموسيقى ، وتربى في حجر والد منفتح الافاق . ادبه لاحسن تاديبه ، وباعد بينه وبين عبث الطفولة وملاهي الصبا ، فانكب على امهات الكتب يصاحبها ويناجيها، ويتدارسها مع اقرانه النبهاء : حمودة القصار ، محمد بوقشارب ، محمود موس ، واضرابهم ... بعد ما حفظ كلام الله وملأ وطابه من معين العربية على جهبذى (الزيتونة) المرحومين : صالح الشريف ، وسالم بو حاجب .

وكما هو المتبع وقتئذ ، تطوع الكبادي اثر احرازه على شهادة « التطويع » للتدريس بكعبة الشمال الافريقي التي كان يامل ان يكون يوما ما ، من مدرسيها الرسميين ، ولكن حال بينه وبين ما يتوق اليه بعض كبار الشيوخ وانتقامهم منه في تقديم تلاميذه عليه ورده خائبا كلما شارك في مناظرة من المناظرات ، لاسباب يضيق المجال عن شرحها .

واصبح من الطبيعي . ان يمتهن في وظيفة اخرى ، وان يلتحق بسلك عدول

جمعية متوظفى الاوقاف سنوات عديدة ، اضطر للاستقالة بعدها تبرما بمضايقات احد مسئوليها ..

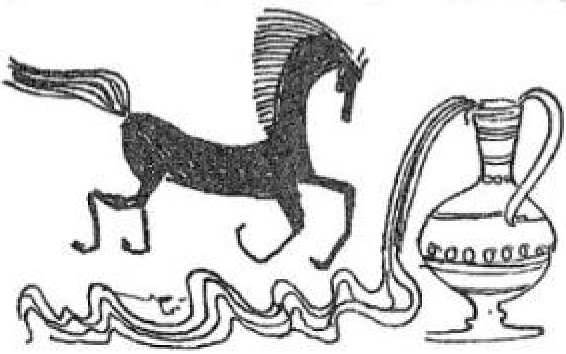
واذا كان لكل شىء سبب فان شهرة شيخ ادبائنا المرحوم محمد العربى الكبادى، يرجع لمحاضراته الاسبوعية بالخلدونية واشتغاله مدرسا للادب بمعهد اللغة والاداب العربية فى (العطارين) اذ كان فى عمله هذا لايقوم بدوره كمدرس للبرامج المسطرة فحسب ، وانما ايضا بدور الأب العطوف الحانى على تلاميذه من الجنسين ... ولاتزال فصاحة الشيخ الكبادى واحاطته المدهشة بآداب العربية وانسابها ودقائقها ، واخلاقه اللطيفة وشخصيته السمحة . وصداقته للجميع ـ حديث الاسمار والنوادى ...

ولكى ندرك الدور الذى قام به فى (مدرسة العطارين) يجب علينا لفت النظر الى الانقلاب الهائل الذى احدثه فى عقلية شباب ذلك العهد ، حيث كان ينبذ (الضاد) ويعتز باللسان الاعجمى فأمسى بفضل جهود الاستاذ الكبادى بين عشية وضحاها . يجر اذياله تيهـا بلغة الاجداد ، مفاخرا بكنوزها ، مجليا لصفحات فخارها المندرسة ... ولذلك لم يقنع الكبادى بالاكتفاء بما يلقيه على مسامعهم فى الساعات المحددة ، بل أخذ يفيض عليهم من بحره الطامى وهم يماشونه فى الطريق الى منزله ، أو يتحلقون به فى بيت لاحدهم ، أو فى مقاهى (باب منارة) و (باب الجديد) التى طالما أرهف مرتادوها اذانهم اليه تشنفها بأمجاد الاوالى ، واسكرها بمعجزات حضارتنا الاندلسية الغابرة .

وكما عرفته الاماكن المشار اليها انفا بمسامراته الشيقة ، ومجالسه العذبة ، عرفه (العهد الرشيدى) غداة تاسيسه رئيسا للجنة الادبية وناظما لبعض اغانيه المرددة على كل لسان . وعرفته اذاعتنا التونسية محاضرا لامعا ، واديبا شامخا ، وشاعرا حلو التناغيم مجلح الخواطر .

ونبادر بالتنبيه الى حقيقة يغفلها من لم يتعرض بالرواية الادبية ، هذه الحقيقة تتجلى فى انصراف الراوى الى اختزان ما يطالعه وسبكه فى قالب من لغته الخاصة يحلى بها مجالسه ، ويستذكر الطرائف معلقا بها على حادث الساعة ومبادرات الحضور .

ولو ان الشيخ الكبادى لم يحرق محاولاته الاولى فى الشعر ويتعمد نسيانها ، لظفرنا منه بشاعر عرف الحب منذ اليفاعة ، وسبح فى بحاره



العميقة الغور ، وهو لما يزل طرى العود،ولكن الوسط الذى درج فيه ، والوقار الذى جبل عليه ، حرمانا من وجدانيات فترة حياته الاولى مع الاسف ...

ولكولا نجانب الموضوع ونتطوح في متاهات التخمين والاستنتاج . نسارع للقول بان الكبادى احب واخفق فى حبه الاول . مما جعله يستسلم لليأس فترة احرق فيها باكورة انتاجه ، فحرمنا من الخيط الذى نستطيع بمجانبته أن نتحسس تأثراته واهتزازه لفشله الذريع وخيبته القاتلة ..

وبديهى أن يحاول الفاشل فى كل ميدان آلتماس المعاذير واختلاق المبررات للترويح على النفس واغتنام الفرص السانحة لتحويل وجهة فلكه والقاء مراسيه فى مرفأ هادىء امين . وهو ما فعله اديبنا الكبير، بعد نكبته العاطفية ، حيث تقلب فى علاقاته بكثيرات من بنات حواء صديقات وزوجات ، ولكنهن لم يستطعن ادخال السلوان على خلده ،ولا الظفر بخالص حبه .

والدليل القاطع على فشل الكبادى فى حبه الاول تعثر عليه بسهولة فى مقطوعة له لم تمسسها يداه بسوء ،ابان ازمته الوجدانية ، وفيها حديث عن الصبابة لا يعرفه الا المعذبون بها ،والمكتوون بسعيرها :

يعذب طرفى بالدامع والسهر ... ويلهب قلبى بالتشوق والفكر
ولم ار من تلك المحاسن عطفة ... تعوضنى صفو الحياة من الكدر
وما كنت ادرى قبل ان اعرف الهوى ... بان قلوب الغانيات من الحجر
واقنع من ذات الجمال بنظرة ... فتبخل عمن شفه الحب بالنظر
لك الله يا قلبى لقد عشت حقبة ... من الدهر مرتاحا من الوجد والخطر
فزجت بك الاطماع فى ابحر الهوى ... واصبحت فى يم من الشوق مستعر
تجن اذا جن الدجى من فراقها ... وتذرف دمعا سيله دونه المطر
ومن عجب ان العذاب بحبها ... لدى النفس عذب مستطاب بلا ضجر
وان انا حاولت النزوع عن الهوى ... يعاكسنى فى نزعتى ساحر الحور
فهل يمكن السلوان للعاشق الذى ... يرى فى هواه غاية الانس والوطر؟

ويلتف لدات الشيخ وخلطاؤه به . ينصحونه بالاقلاع عن السباحة فى لج الغرام ، والابتعاد عن مغازاته المهلكة ، ولكنه يضم اذنيه عن توسلاتهم ،ويعيد الكرة، ويستأنف الجولة ، فيئوب غانما مكللا ، مباهيا بغزواته العاطفية التى وفق فيها ، وانتصر انتصارا باهرا عندما جعل الصمت ديدنه . وعدم البوح باسم المحبوبة شعاره :

لولا المحاجر ذات السحر والكحل ... ما كنت فى الشعر ميالا الى الغزل
فهى التى سلكت بى فى مسالكه ... فصرت اودعه ما طاب من امل
لا ارهب الطعنة النجلاء فاتكة ... الا اذا صدرت من فاتن المقل
ففى العيون التى تصمى بنظرتها ... وفى القدود القانين من الاسل
عرفن منى ودادا لا يمازجه ... مكر ، ولا كان مطويا على دخل
فكان لى قولة سر الفؤاد بها ... لله درك فى العشاق من رجل
كتمت سر الهوى ، والكلام محمدة ... عند الحرائر ذات الاعين النجل
فقلت هاتيكم اخلاق من صدقت ... منه المحبة فى حل ومرتحل

وهكذا ظل الكبادى متنقلا من زهرة الى زهرة • ومن بستان ندى الى روضة زاهرة • يحوم حول هذه ، ويرشف من تلك رحيق التدانى ، ويعاوده الحنين للماضي البعيد ، ويضنيه اشتياقه اليه • وكم من مرة اكره على المجاهرة • واغرى ليكشف القناع ويرفع الستار عن رواية غرامه الدفين ، فأبى وذهب الى ابعد من ذلك • الى الشكوى من تباريحه وجراحه التى اقضت مضجعه ، وحرمته لذيذ المنام .. رغم ما يبدو عليه أحيانا من سرور متصنع ورضا بالواقع المسر الرغيد •

ولئن جرى الشعراء فى الشكوى من الزمان وصروفه ، والحب وظروفه ، اشواطا بعيدة فى التبرم والضجر ، والتجنى على الاقربين ـ فان شيخ ادبائنا يودع شكاواه فى لمحة ساحرة ، ورمز خاطف يهدهد من يكون حواليه • ويطرد السآمة عن نفوس مجالسيه ••• كل هذا فى صياغة انيقة • ونغم عذب شجى ، كقوله يناجى (كمان) رقيقة الاوتار داعبتها انامل ساحرة ، فى ليلة من لياليه الزرقة ويحمد لها ما ارسلته من نغمات امالت رأسه طربا • واطردت ضجره وملاله :

غردى بالذى يسر فؤادى — يا كمنجاة واشرحى من غرامى
ان فى صوتك الحنون لمعنى — لم يبين فهم كنهه للانام
انت تسلين قلب من بات يصلى — نار هجر انسته طيب المنام
فيك سلوى ، وفيك معنى بديع — عبر الناس عنه بالانغام
رب ليل كأنه فرع ليلى — حالك اللون مغرق فى الظلام
قد اثارته نغمة ارسلتها — صادحات الاوتار دون احتشام
فاسالت رءوسنا وشممنا — زهرات السرور فى الاكمام

وتتقدم السن بالشيخ الكبادى • ويشتعل رأسه شيبا ، فهل تراه يقلع عن الهيام والتشبيب بالساحرات الفاتنات ؟ كلا ••• بل تمادى فى التغنى بفتنتهن واغرائهن ، لكن مع عفة وطهارة ذيل ، وندم على آثام الشباب ونزق اليفاعة •

وحبذا لو نقف مع هذا القصيد فهو يعبر فى صدق عن توبته النصوح ، وتبتله الرائع الجلال :

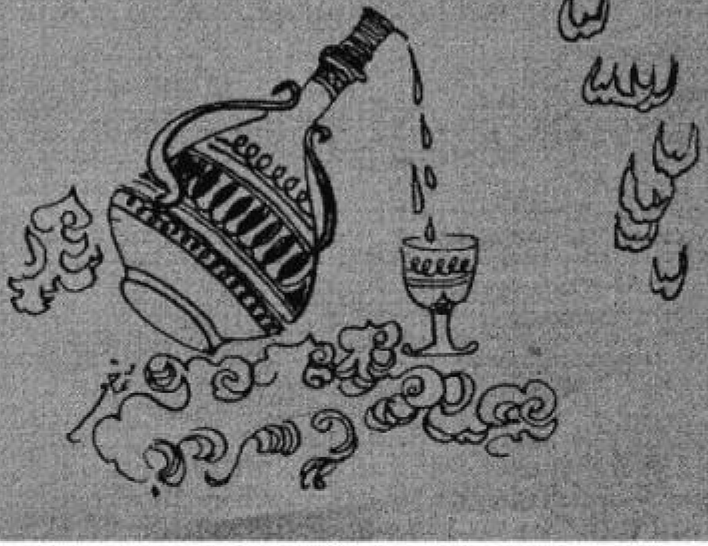
غنت الطير فوق عالى الغصون — فاثارت بشجوها من شجونى
وتذكرت ما مضى من شبابى — فاسالت ذكرى الشباب عيونى
يا شبابا فرحت فيه زمانا — بين بيض الطلا وسود القرون
زمن لم الق به غير حلو — فى شفاهى • ولذة فى جفونى
كلما رفرف النسيم صباحا — يحمل الطيب من شذا الياسمين
قمت للهو لا افكر فيما — يلد اليوم من عظيم الشئون
واطعت الهوى • فحسن عندى — ما يسمونه بعيش المجون
هكذا العمر الحياة بعين — لا ترى فى الحياة معنى السكون
واذا بالمشيب جلل راسى — وحنت صعدتى ثقال السنين
وأتت ساعة التعقل تسعى — ومضت ساعة الهوى والجنون
فندمنا على الذى كان منا — وانتقلنا الى المقام الرصين

واذا كانت لنا كلمة اخيرة عن الكبادى الشاعر ، فهى اسفنا لمشاركته المتواضعة فى النهوض باغنيتنا التونسية ، بتلك المقطوعات القليلة التى دفع الى نسج ابرادها ، نزولا عند رغبة اصدقائه اعضاء النادى الادبى للجمعية الرشيدية ، اذ لم تشتهر منها الا اغنيته الحبيبة (ام الحسن) التى ابدعت فى انشادها شادية المغرب العربى المرحومة (صليحة) •••

● تونس ● — ● الحبيب شيبوب ●

حافظ
جميل

العنقود الذبيح



هرمتَ وما تزالُ فتىً جَمُوحا
أما آن الأوان لتَستريحَا ؟

أمِنْ كأسٍ تُسيها غَبُوقاً
إلى كأسٍ تُسيها صبُوحا ؟

نهارُكَ مثلُ ليلِكَ لا تُبَالى
سَقيماً كنتَ يومَكَ أم صَحيحا

أعند الشَّيب تَجْنَح للمعاصى
وكنتَ أحبَّ للتقوى جُنُوحا ؟

كأنك ، والذنوبُ لديكَ شتى
ترى فى الخمر عصياناً صَريحا

تهش بوجهِ من يسقيك، منها
ولو سمًا وتنتهر النَّصُوحا

وتشربُ لا تعاف الكأس حتى
يَراكَ الناسُ من سُكرٍ طَريحا

وربَّ مُعذَّب حيتهات يلقى
كهامِدِ وعيهِ شيئاً مُريحا

يطالعكَ الحرامُ فتشتهيه
وتكرَهُ ما أُحِلَّ وما أُبيحا

وتستحلى الخبيثَ فكل شىءٍ
تراهُ إذا سكرْتَ به مليحا

ولولا خوفُ ربِّكَ لم تحاذر
غداةَ الحشر سكرك لو أتيحا

تخاف من الأذى وتطيرُ أنساً
إذا شاهدت عنقودا ذبيحا

ومَن لكَ إن أردتَ نديمَ صدقٍ
سوى مَن يفتديكَ دما وروحا

يدبُّ اليأس فيكَ غداةَ تصحو
فترشف ما يدله طموحا

وكم متبرم دنياه سجنٌ
رأى في الكأس عالمهُ الفسيحا

وهل سيان أفئدة نشاوى
وأخراهن مثخنة جروحا ؟

وربَّ كريمة الأحساب تأبى
لطيب نجارها ألا يفوحا

تسومكَ مهرها الغالي فتسخو
ولن تلقى أخا كأسٍ شحيحا

لئن عزّت عليك وأنت تغشى
جنانَ الخلد لاخترتَ النزوحا

إذا لمست وقد سخنت بدنٌ
سمعتَ لها على بُعدٍ فحيحا

وإن لقيتَ بكأسٍ زمهريرٍ
تجدْ خلف الزجاج لها نفوحا

كَفاكَ بوحيها خلائق شعرٍ
فلا هَجْواً تقولُ ولا مَديحا

اذا هزَّتكَ مطربةٌ أزاحتْ
شَجاكَ بلُطفِها وشفَتْ قروحا

وان هاجتْكَ نائحةٌ تولت
عيونك تذرف الدَّمع السَّحُوحا

وكم متلعثم بالكأسِ يَبدو
اذا نطقَت أسرَّته فصيحا

وأي دخيلةٍ خفيت فهشَّت
لها كأسٌ ولم تستطع وضوحا

فيا مَن لا تخلى الداء عنهُ
بتطبيب ولا كَدَرٌ أزيحا

اكانَ تحملُ الالامِ تقوى
لتهلكَ تحتَ وطأتِها رزوحا ؟

أرحْ بالكأسِ بَالكَ من حياةٍ
بغيرِ سَفاهَتها لَن تستريحا

هب الدنيا رأتكَ رسولَ خمرٍ
فلا موسى قبلتَ ولا المسيحا

وغيظَ المسلمون فلم يخطوا
لنَعشِكَ بينَ موتاهم ضريحا

أتنكرُ عَفوَ ربِّكَ يومَ تَلقى
بهِ مهما عصى عبدا صفوحا

● بغداد ●

● حافظ جميل ●

يوسف ابن تاشفين أمير المرابطين

■ علـى أدهـم ■

كان لقبائل البربر المقيمة في المغرب أيام غر حسان، ومواقف رائعة مأثورة في الدفاع عن الاسلام، ورفع رايته، وتأييد كلمته ونشر دعوته، وقد جاهـدوا الفرنجة حينا من الزمن، ووقفوا لهم بالمرصاد في البر والبحر، وكانوا من أشد جنود طارق بن زياد وموسى ابن نصير اخلاصـا وثباتا وشجاعة واقداما، في فتح الاندلس وتوطيـد مكانة المسلمين في ربوعهـا، وقد برزت شخصيتهم وناضلوا عن حريتهـم ومكانتهم في ثورات رهيبة، وانتفاضات خطيرة، وناصروا دولتين كان لهمـا تاريخ حافل، وهما دولة المرابطين ودولة الموحدين، وبرز منهم دعاة وقادة وزعماء تألق نجمهم، وذاعت شهرتهم، وعرف التاريخ لهم مكانتهم، وكان من رجالهم المعـدودين وابطالهم القلائل الذين يصح أن يضاف اسمهم الى ذلك السجل الخالد الذي يشمل اسماء أمثال خالد بن الوليد، وصلاح الدين الايوبي القائد البارز، والامير الفذ القدير يوسف بن تاشفين اللمتوني

■ كانت قبائل البربر مكونة من شعبتين كبيرتين، وهمـا البرانس والبتر. ولكل منهما قبائل عدة وبطولة كثيـرة، وكانت قبيلة صنهاجة من أقوى ممثلي قبائل البرانس، وكان من بطونها لمتونة وجدالة ومسوفة. كما كانت قبيلة زناتة أقوى قبائل البربر من البتر، وكان العداء مستحكما والتنافس على أشده بين قبيلة صـنهاجة ممثلة البرانس وقبيلة زناتة زعيمة البتر. ولما جاء العبيديون الى المغرب وقفت صنهاجة الى جانبهم، وأيدت دعوتهم، وأخذت زناتة جانب الامـراء الامويين في الاندلس، وامتلأ تاريخ المغـرب بالحروب الدامية التي دارت بين هاتين الشعبتين الكبيرتين.

وفي مطلع القرن الخامس الهجري كانت قبيلة زناتة صاحبة السيطرة والكلمة المسموعة والجاه العريض في المغرب الاقصى. وكانت قبائل لمتونة وجدالة ومسوفة وغيـرها من قبائل البرانس تعيش في المهامة الممتدة من



وبطل موقعة الزلاقة

جنوب مراكش والجزائر الى حدود السنغال ونيجيريا ،وكان مجموع هذه القبائل يسمى قبائل الملثمين ،واختلفت الاراء في هذه التسمية واسبابها ، فقيل انهم كانوا يتلثمون ولا يكشفون وجوههم لشدة الحر وقسوة البرد في الصحراء ،وفي بادىء الامر كانت تلك العادة مقصورة على خواصهم ولكنها شاعت بينهم حتى غلبت عامتهم . وتوارثوا ذلك خلفا عن سلف .

وقيل في تعليل نشوء هذه العادة بينهم ان قوماً من أعدائهم كانوا يقصدون غفلتهم اذا غابوا عن بيوتهم ويطرقون الحي ، ويأخذون المال والحريم ،فاشار عليهم بعض مشايخهم ان يبعثوا النساء في زي الرجال الى ناحية ، ويقعدواهم في البيوت ملثمين في زي النساء ، فاذا أتاهم العدو وظنوهم النساء يخرجون عليهم ، ففعلوا ذلك ، وثاروا عليهم بالسيوف فقتلوهم ، فلزموا اللثام تبركا به ، لما حصل لهم من الظفر بعد وهم .

والارجح والاقرب الى الاحتمال ان الاحوال الجوية في الصحراء تكاد تفرض على سكانها ان يتلثموا لحماية وجوههم من لوافح الحر ونوافح البرد

وبطبيعة الحال كان نصيب هذه القبائل من الثقافة والحضارة قليلا وظهر بينهم رجل طلعة موفور الذكاء استنارت بصيرته ، وتيقظ وعيه ، فلم يرقه تعثر قومه في الجهالة ، وسوء الفهم لمبادىء الاسلام وتعاليمه .. وكبر عليه ان يظلوا في جهلهم وضيق افاقهم ، تعصف بهم الخلافات التافهة ، وتفرق بينهم النزاعات الهوجاء ، وهذا الرجل هو يحيى بن ابراهيم زعيم قبيلة جدالة . وقد شعر هو نفسه بنقص معلوماته وقلة معرفته وأراد أن يستزيد من تحصيل العلم ، فعهد بالامر الى ابنه ، واخذ يتجول في بلاد المغرب طلبا للمعرفة، والتماسا للتوسع في الالمام بمبادىء الاسلام وسائر العلوم التي كانت شائعة في عصره ، وعقد العزم على أن يفيد قومه من دراسته وتحصيله

يوسف ابن تاشفين

وينهض بهم من كبوتهم ويستنقذهم من الخرافات المتفشية

وقدر يحيى بن ابراهيم انه لا يستطيع ان يتولى كبر هذا العمل بنفسه لان عنده من شئون الادارة وتبعات الحكم ما يستاثر بجانب كبير من وقته وجهده لذلك استقر رأيه على أن يستحضر أحد الفقهاء المتمكنين لتعليم قومه مبادىء الاسلام ورفع مستواهم العقلي ليعرضوا عن المذاهب الخاطئة والتقاليد الضارة ·

وكانت القيروان في القرن الخامس الهجري مركزا هاما من مراكز الثقافة الإسلامية فقصد يحيى بن ابراهيم احد علمائها المعروفين بغزارة العلم والتمكن من الفقه الإسلامي وهو أبو عمران الفاسي شيخ فقهاء المالكية وكان المذهب المالكي هو المذهب الشائع في المغرب وعرف علماء المالكية بالتشدد في طلب الحق واقامة الشعائر

وبعد ان تلقى عنه ونهل من معين علمه ذكر له انه يريد النهوض بقومه وانارة بصائرهم وساله ان يرشح له احد فقهاء المالكية ليصحبه الى قومه في جوف الصحراء · ورأى ابو عمران ان يحيله الى تلميذه فقيه السوس وجاج بن زلو اللمطي لاعتقاده انه اعرف منه بمن يصلح للقيام بهذه المهمة الشاقة · وبدا له ان الاصوب ان يتولى ذلك فقيه له معرفة بعادات الملثمين واساليب حياتهم وطرائق فهمهم ليكون ذلك أعون له على التوفيق في النهوض بمهمته

ووقع اختيار وجاج على تلميذ له من اصل صنهاجي وهو عبد الله بن ياسين · وكان عبد الله هذا عالما دارسا · ورجلا مجربا حازما · قوى الايمان · شديد الحماسة · وقد اقبل بكليته على النهوض باعباء المهمة التى نيطت به · وجعلها غاية حياته المنشودة · واستطاع بفضل اتساع تجاربه وحسن تانيه فى تناول المشكلات ومعرفته بلهجات قبائل البربر وعاداتها وتقاليدها وتفانيه فى اداء رسالته أن يضم تحت لوائه الجموع الحاشدة التى تدين له بالطاعة والولاء التام ·

بدأ عبد الله بن ياسين يبث تعاليمه فى باديء الامر بين اللمتونيين · ولكنه لما وجد من بعض أعيانهم اعراضا عن تقبل تعاليمه · ورغبة فى مقاومته · تركهم وقصد مع الامير يحيى بن ابراهيم قبيلة جدالة · واسعفه الحظ · وذاعت دعوته وعلت كلمته · ودانت له فى النهاية لمتونة ومسوفة ·

ولما مات الامير يحيى فى سنة ٤٤٠ هجرية اختار الزعيم الدينى يحيى بن عمر اللمتونى ليخلفه · وقد أبى عبد الله بن ياسين أن يجمع بين الرياسة الدينية والرياسة السياسية ليتمكن من نذر جهوده كلها لبث الدعوة الدينية والاصلاح الاخلاقى ·

وكان هذا الزعيم الدينى الموهوب يعلم ان رجاله واتباعه سيخوضون معارك حامية لنشر دعوتهم · والدفاع عن كيانهم · لذلك كان فى طليعة اعماله بناء رباط يأوى اليه صحبه ليفرغوا للعبادة والجهاد · وكانت فكرة الربط ذائعة فى انحاء العالم الاسلامى · وقد انتشرت فى المغرب انتشارا بعيدا · ورأى الزعيم الدينى البعيد النظر ان يفيد من فكرة انشاء الرباط لتخريج جماعة مدربة على الجهاد · متأهبة للتضحية فى سبيل الدفاع عن العقيدة · وصد هجمات الاعداء·

ولما تأكد عبد الله بن ياسين من ثبات مركزه · وصادفة التوفيق فى جمع شمل قبائل الملثمين وتوحيد

صفوفهم ، ورأى حسن استعدادهم لخوض المعارك القادمة ، بدأ غزواته لاخضاع قبائل المغرب وامارته ، فافتتح بلاد درعة وسجلماسة وأغمات، وتوفى في خلال ذلك يحيى بن عمر ، فعين مكانه اخاه أبا بكر بن عمر

واختار ابو بكر ابن عمر يوسف بن تاشفين قائدا لمقدمة جيشه ، وكان ذلك على أثر ما اظهره يوسف من ضروب الشجاعة والاقدام واحكام التدبير وسعة الحيلة في الحروب القبلية السابقة ، واتفق بعد ذلك ان قتل الزعيم الديني المجاهد في احدى المعارك فخلفه ابو بكر بن عمر واستقل بالامر وجمع بين السلطة الدينية والسلطة السياسية ، وكان ذلك ايذانا بصعود نجم يوسف بن تاشفين ، واعتلاء مكانته ، وقد حدث ذلك في سنة ٤٥١ هجرية .

وكان المغرب الاقصى قد استقل عن الاندلس بعد سقوط الخلافة الاموية الاندلسية ، وبسط آل زيرى - من قبائل زناتة (من البربر البتر) نفوذهم على اكثر أرجائه ، فاخذت جيوش المرابطين في تقويض سلطانهم، ولم يستطع رجال زناته الثبات امام فرسان المرابطين ومشاتهم وبراعتهم في استعمال الحراب البالغة الطول وقيادتهم البارعة التي يشرف عليها ويتولى وضع خططها يوسف بن تاشفين

وكانت الغنائم والاسلاب التي يظفر بها المحاربون توزع بالتسوية على المجاهدين بعد ان يحتفظ بخمسها للامام الزعيم ، وكان هذا العدل في التقسيم من بواعث استبسال الجنود في القتال واقتحامهم العقبات

ورأى الامير ابو بكر أن يختار موقعا مناسبا يبتنى فيه عاصمة جديدة لملكه واعجبه موقع في بسيط حافل بالزرع والماء فاقام فيه القصور والمنازل ، واطلق على المدينة الجديدة اسم مراكش ، وكان تأسيسها في اوائل سنة ٤٥٤ للهجرة .

وجاءت أنباء من الجنوب عن نشوب حرب بين قبيلتي لمتونة وجدالة وكان هذا الصراع بين قبيلتين من اقوى قبائل الصامدة الملثمين ينطوى على تهديد شديد لحركة المرابطين في الوقت الذى كانوا يتحفزون فيه لمنازلة أعدائهم ومد نفوذهم في الشمال حتى يبلغ شواطىء البحر المتوسط . فلم يجد الامير ابو بكر بدا من المسارعة الى الذهاب الى الجنوب بنفسه لتأمين مؤخرة جيوشه وللابقاء على التحالف بين القبيلتين ، ولما أراد ان يستخلف احد رجاله قبل ارتحاله لم يجد خيرا ولا اعظم كفاية واقدر على النهوض بأمور الدولة ومواجهة مشكلاتها من ابن عمه يوسف بن تاشفين ، فعقد له على المغرب ، وفوض اليه الامر وأمره بالمضى في محاربة قبائل البربر من زناتة ومغراوة وبنى يفرن خصوم صنهاجة من البربر البتر

***

كان اختيار يوسف للقيام بهذه المهمة اختيارا موفقا، فقد كان الوقت عصيبا ، وقد أحدقت فيه الاخطار بالدولة الناشئة ، وبينما كان الملثمون يقاتلون في الجنوب المشاغبين والخارجين على الطاعة ويحاولون رأب الصدع وجمع الشمل . كانت قبيلة زناتة واحلافها يستنهضون الهمم ويؤلبون الناس للوقوف في طريق الملثمين ، وكان الموقف يستلزم الحزم والصرامة وسرعة البت وحشد القوى لخوض غمار المعارك الحامية القادمة، وكان يوسف اقدر رجال الملثمين على احتمال التبعات الجسيمة في هذه الآونة الحرجة ، فقد كان يضرب لجنوده خير الامثلة في الاقدام على الكارة واحتقار مظاهر الترف مع التقوى وتحرى العدالة ، وقد اكسبه اجتماع هذه الصفات شدة تعلق رجاله به ، وحرصهم على طاعته والاستجابة لاوامره ، فغير عجيب ان يصبح يوسف سيد الموقف ، وأن يحرز الانتصارات

الصريعة ، ويقود رجاله من نصر الى نصر

وابتنى يوسف فى اثناء ذلك مسجدا بديعا فى مراكش ، وقصرا حصينا ، وعدة ابنية اخرى ، وكون لنفسه حرسا خاصا قوامه الفا عبد اشتراهم من ساحل غانة ، واتخذ له فرقة تسهر على حراسته مؤلفة من بضع مئين من الصقالبة المجلوبين من اسبانيا ، وصار له جيش ضخم يضم زهاء مائة الف مقاتل وقد نجح يوسف فى جميع غزواته ، وافتتح مدينة فاس واخضع المغرب الاقصى كله ، وملا خزائنه بالاموال مما اصابه فى غزواته المظفرة وكان يوسف لا يكف عن النظر فيما يصلح امور رعيته ، ويجنبها الظلم ، ويؤيد العدالة والمساواة بين الناس ، فذاعت شهرته فى انحاء العالم الاسلامى ٠

وفى وقت ظهور المرابطين كان يحكم الاندلس ملوك الطوائف ، وربما كان اسبقهم الى استطلاع اخبار المرابطين الملك الباقعة المعتضد صاحب اشبيلية، فقد روى المراكشى فى كتاب المعجب « انه كان دائم السؤال عن اخبار العدوة ، وهل نزل البربر رحبة مراكش ، ولما بلغه نزولهم جمع ولده وجعل ينظر اليهم مصعدا ومصوبا ويقول: يا ليت شعرى ! من تناله معرة هؤلاء القوم ، انا او انتم ؟ » وقد توفى المعتضد سنة ٤٦١ هجرية ٠ ولم

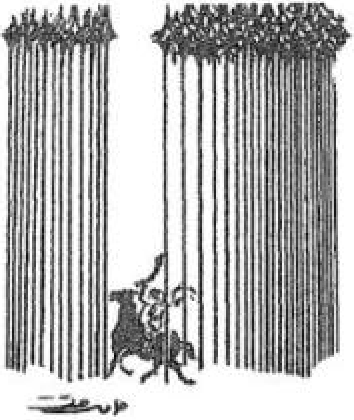
يوسف
ابن
تاشفين

تكن طنجة قد سقطت بعد فى يد المرابطين

ولما اتسع ملك المرابطين ، وتسامع الامراء الاندلسيون باخبار انتصاراتهم، كرهوا المام يوسف بجزيرتهم خشية ضياع نفوذهم ، ففزعوا الى المعتمد ابن عباد لانه كان اكبرهم مملكة ، واشدهم جراة ، وابعدهم شهرة ، ووقع اتفاقهم على مكاتبة يوسف ، وقد تحققوا انه سوف يقصدهم ، يسالونه الاعراض عنهم ، وانهم تحت طاعته ، فكتب عنهم كاتب اهل الاندلس يقول « اما بعد ٠٠ فانك ان اعرضت عنا نسبت الى كرم ، ولم تنسب الى عجز ، وان اجبنا داعيك نسبنا الى عقل ولم ننسب الى وهم ، وقد اخترنا لانفسنا اكرم نسبتنا فاخت لنفسك اكرم نسبتك ، فانك بالمحل الذى يجب الا تسبق فيه الى مكرمة ، وان فى استبقائك ذوى البيوت ما شئت من دوام لامرك وثبوت والسلام »

وكان يوسف لا يحسن فهم اللغة العربية ، فلما جاءه الكتاب ومعه التحف والهدايا سال كاتبه الذى كان يعرف اللغتين العربية والمرابطية ـ عن مضمون الكتاب ، فلما علم ما فى الكتاب امره بالاجابة ، فكتب الكاتب « بسم الله الرحمن الرحيم ٠٠ من يوسف بن تاشفين ، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، تحية من سالمكم وسلم اليكم ، وحكمه التأييد والنصر فيما حكم عليكم ، وانكم مما بايديكم من الملك فى اوسع اباحة مخصوصون منا باكرم ايثار وسماحة ، فاستديموا وفاءنا بوفائكم ، واستصلحوا اخاءنا باصلاح اخائكم والله ولى التوفيق لنا ولكم والسلام »

ولما فرغ الكاتب من كتابة قراه على يوسف بلسانه فاستحسنه ، وارسل



يوسف مع الكتاب دروعا لطية ، مما لم يكن الا فى بلاده ، ولما وصل كتابه الى ملوك الا؟ لس فرحوا بولايته على المغرب وعظمه ه وأحبوه

***

وأخذ بعد ذلك الملك الاسبانى الفونسو السادس يضغط على الولايات الاسلامية ضغطا شديدا ، ويعيث فى أرضها مخربا ومفسدا ، وسقطت طليطلة فى يده سنة ٤٧٨ هجرية وكان لسقوطها دوى شديد فى جميع انحاء العالم الاسلامى ، وشعر ملوك الطوائف ... وفى طليعتهم المعتمد بن عباد ، بان الموقف أصبح فى غاية الخطورة ، وبأنهم ليس فى استطاعتهم مقاومة الفونسو السادس وحلفائه وحشوده ، وأجمعوا أمرهم على استدعاء يوسف ابن تاشفين .

وكان ليوسف كاتب اندلسى المولد اسمه عبد الرحمن ، فاستشاره قبل الاقدام على اتخاذ القرار الحاسم لخبرته باحوال الاندلس ، وقد أوضح عبد الرحمن ليوسف « ان المسلمين يعمرون ثمن أسبانيا ، وسبعة اثمانها يعمرها النصارى، وانها ضعيفة عرجة صريحة ، سجن لن دخلها ، لا يخرج منها الا تحت حكم صاحبها ... وان انت جزت اليها، وحصلت فيها ما يكن لك فى نفسك من شىء ، والرجل الذى استدعاك ما بينك وبينه عتاب قديم ولا صداقة متصلة .. وأوصاه بان يطلب من المعتمد تسليم الجزيرة الخضراء ليضع فيها جنوده وأثقاله اذا حرص على دخول الاندلس .

وقد اضطر المعتمد الى النزول على هذا الشرط ، واقبل يوسف ومعه جيشه ، وحدثت موقعة الزلاقة ، وانتصر فيها يوسف والمعتمد بن عباد على جموع الفونسو السادس ، واظهر يوسف فى ادارة هذه المعركة الكبيرة الحاسمة من البراعة الحربية والخبرة بفن ادارة المعارك ما يسلكه فى عداد كبار القواد فى تاريخ الاسلام ، وبالرغم من ان عدد جيش الفونسو كان يفوق عدد جيش يوسف وحلفائه من امراء الاندلس فقد استطاع يوسف ان يقوم بحركة التفاف حول جيش الفونسو ، ويضربه من المؤخرة ضربة اوقعت الاضطراب فى صفوفه ، واسفرت عن هزيمته ولياذه بالهرب بعد ان فقد فى المعركة الكثير من رجاله

وقد اضطر يوسف الى الاسراع بالعودة الى المغرب لظروف هامة استلزمت عودته بعد هذا الانتصار العظيم ، ولم تمجيه فى خلال المدة التى قضاها فى الاندلس أحوال ملوك الطوائف واسرافهم على أنفسهم وما بينهم من قطيعة وتنافس ، ومحاولة ايقاع كل منهم بالاخر ، والطمع فى استلاب ملكه ، والقضاء عليه ، ومحاولة كل منهم التقرب من الفونسو السادس للاستعانة به على منافسه ، وظلمهم لرعيتهم ومخالفتهم فى سيرتهم الشخصية لتعاليم الاسلام وكانت معركة الزلاقة فى سنة ٤٧٩ هجرية ، وعرف أهل الاندلس ان الفضل فى انتصار المسلمين فى هذه المعركة يرجع الى يوسف بن تاشفين، فازداد تعلقهم به ، وعظمت مكانته فى نفوسهم ، واشتد نفورهم من امرائهم ، وشاهدوا الفرق بين الزهد والتقشف ، ومجافاة كل الوان الترف

يوسف ابن تاشفين

الواضح فى سلوك يوسف وأسلوب حياته ، الحياة الرخية الناعمة الحافلة بالاستمتاع التى يعيشها امراؤهم ، وادركوا ان ذلك كله كان باعث تخاذلهم أمام عدوان الفونسو السادس وفرضه الجزية عليهم

وقد كان لانتصار يوسف صدى عظيم فى العالم الاسلامى ، وكتب اليه الامام الغزالى من رسالة يقول فيها « الامير جامع كلمة المسلمين، وناصر الدين ، امير المؤمنين أبو يعقوب يوسف ابن تاشفين الداعى لايامه بالخير محمد ابن محمد الغزالى ، بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة على سيد المرسلين وساير النبيين » ..

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليوم من سلطان عادل خير من عبادة سبعين سنة ، وقال صلى الله عليه وسلم « ما من والى عشرة الا ويؤتى به يوم القيامة مغلولة يده الى عنقه قيده جوره أو أطلقه عدله ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « سبعة يظلهم الله يوم لا ظل الا ظله ، وعدل الامام العادل اولهم ، ونحن نرجو أن يكون الامير جامع كلمة الاسلام وناصر الدين ظهير امير المؤمنين من المستظلين بظل عرشه ، يوم لا ظل الا ظله ، فانه منصب لا ينال الا بالعدل فى السلطنة ، وقد اتاه الله السلطان ، وزينه بالعدل والاحسان ، ولقد استطارت فى الافاق محامد سيرته ، ومحاسن اخلاقه على الاجمال »

ويشير الغزالى الى ما ذكره له احد الوافدين من الاندلس والمغرب الى مدينة السلام بقوله « لم يزل يطنب فى ذكر ما كان عليه المسلمون فى جزيرة الاندلس من الذل والصغار ، والحرب والاستصغار ، بسبب استيلاء اهل الشرك ، وامتداد ايديهم الى اهل الاسلام ، بما حدث بينهم من تفرق الكلمة، واختلاف اراء الثوار المحاولين للاستبداد بالامارة وتقاتلهم على ذلك حتى اختطف من بينهم حماة الرجال بطول القتال والمحاربة والمنافسة وافضاء الامر بهم الى الاستنجاد بالنصارى حرصا على الانتقام ، الى أن اوطئوهم بيضة الاسلام ... واستصرخ المسلمون عند ذلك الامير ناصر الدين ، وجامع كلمة المسلمين ظهير امير المؤمنين .. فلبى دعوتهم واسرع نصرتهم واجاز البحر بنفسه ورجاله وماله وجاهد بالله حق جهاده ، ومنحه الله استئصال شأفة المشركين والافراج عن حوزة المسلمين » وتحتوى هذه الرسالة على تقدير خالص نزيه من هذا الامام الكبير لامير المرابطين

واضطرار يوسف الى المبادرة بالعودة الى المغرب فى أعقاب انتصار الزلاقة لم يمكنه من تعقب الفونسو السادس والقضاء على قوته قضاء تاما ، وترك يوسف الامير سير بن ابى بكر على رأس عسكره ، واوصاه بمتابعة شن الغارات على الفرنجة ، واستضافة المعتمد فى اشبيلية وهو فى طريق عودته ، وتولى اكرامه والحفاوة به ، بما عرف عنه من فرط الكرم والاسماح ، ولكن اصحاب يوسف كانوا ينبهونه الى تأمل النعمة التى يتقلب فيها المعتمد ، وما حفه من أسباب الترف والمتعة ، ولا نزاع فى أن يوسف الذى قضى اكثر ايامه فى شظف العيش كان بطبيعة الحال لا يرتاح الى ما رأى عليه المعتمد من النعمة والترف ، وبدرت منه كلمات عبر بها عن سوء ظنه بسلوك الامير الذى يعيش على هذا النمط من انماط الحياة ، وقدر أنه لا بد أن يكون ظالما

لرعيته مضيعا لحقوقها ، مقصرا فى النهوض بتبعاتة وأداء حياته

ولم تحسم معركة الزلاقة الداء ولم تقض على قوة الفرنجة قضاء تاما ، وأخذ العـــــدو يفيـق من الضربة التى أصابته ، واستأنف العدوان وشن الغارات ، وكانت قوة من الفرسان القشتاليين تخرج من حصن لبيط ، وتعيث فسادا فى منطقة مرسية، وتقلق بال المعتمد ، وتهدد اشبيلية من الشرق .. وأحس المعتمد ان الامر يستلزم عودة يوسف لمعالجة الموقف بنفسه

***

وكان الامير سير بن أبى بكر قد أطلق الغارات فى الناحية الغربية من الاندلس ، ونهب وسبى وفتح الحصون .. وساءه تقاعد امراء الاندلس عن الجهاد ، فأرسل الى يوسف يعرفه « ان جيوش المرابطين بالثغور مقيمة على مكايدة العدو ، وملازمة الحرب والقتال فى أضـيق عيش وانكده ، وملـوك الاندلس فى بلادهم واهليهم فى أرغد عيش وأطيبه

ولم يجد المعتمد بدأ من الذهاب بنفسه الى يوسف ليوضح له جلية الموقف ويستحثه على معاودة الحضور الى الاندلس ، ولبى يوســف دعوة المعتمد بعد ان استكمل أهبته ، واتجه فى هذه المرة الى شرقى الاندلس ، واستفز ملوك الطوائف لتوحيد الجهود والقيام بحركة شاملة للانقضاض على حصن لبيط الذى سبب متاعب كثيرة للمعتمد

وحضر المؤازرة يوسف عبد الله بن بلكين صاحب غرناطة ، والمعتصم بن صمادح صاحب المرية ، وابن عبـاد صاحب اشبيلية ، ولم يتخلف سوى ابن الافطس صاحب بطليوس ، واطبق المسلمون على الحصن من جميـــع نواحيه ، وشددوا الحصار ، واختص كل امير بناحية من نواحي الحصن ... ولكن المحصورين استبسلوا فى الدفاع ، ودامت المعركة اربعة اشهر،

وانتهت بارتداد قـــوة المرابطين الى مدينة لورقة ، وعجزها عن اقتحام الحصن .

ويبدو أن يوسف كان غير مطمئن الى ولاء الامراء الاندلسيين ، وخشى أن يتخلوا عنه حينما يشتبك جيشه مع جيش الفونســـــو ، ولذلك اثر الانسحاب الى لورقة بدلا من خوض معركة غير مأمونة العاقبة ، ووصـل جيش الفونسو الى الحصن ، وانقـذ الحامية واخلاه ، ودكه بعد ذلك دكا وازال معالمه ، والذى يبدو من خلال ذلك هو ان المعتمد قد حقق هدفه وهو الخلاص من حامية حصن لبيط

***

وعاد يوسف الى المغرب وقد اقتنع اقتناعا تاما بان الامراء الاندلسيين تسيطر عليهم عوامل الاثرة ، وانهم لا يتورعون عن اختيار اسوا الوسائل اذا وجدوا انها توطد سلطانهم ، وانهم لا يترفعون عن محالفة الفونسو لطرد المرابطين ، وافضى اليه قائده — سير بن ابى بكر — بكثير مما علمه « دسائسهم ومؤامراتهم واتصالاتهم المريبة وطريقتهم فى معاملة رعاياهم، وقد لمس يوسف بنفسه تخاذلهم ، واسراعهم الى الفرار يوم الزلاقة ، ورأى اشتغالهم بالصــغائر ، ودس بعضهم لبعض فى اثناء حصار لبيط

وعلم الفونسو بما بينهم من تخاذل وتقاطع ، فأخذ يتوعدهم ، ويطالبهم بدفع الجزية المتأخـرة ، وشرع فى تهديد غرناطة واشبيلية، ووقف الامراء موقفا غير مشرف ، فبـــدلا من أن يتعاونوا ويتماسكوا ويتعاهدوا على انقاذ بلادهم ودفع الخطر الجاثم ، أخذوا يرهقون رعيتهم بطلب الضرائب الفادحة ليدفعوا منها الجزية، ويتابعوا عيشة اللهو والاسراف فى الانفاق ، وطلب المتعة التى الفوها .

وعرف أهل الاندلس عن المرابطين انهم لا يرون فرض الضرائب الجائرة وانهم لا يحصـــــلون فى دولتهم الا

ما يقضي به الكتاب والسنة ، ورأيد رجال الدين الشعب في ضرورة الغاء هذه الضرائب التي أثقل بها الامراء كواهل رعاياهم ، ووجد يوسف أن عليه أن يختار بين اغضاب الامراء وارضاء الشعب ، وكان يحترم رجال الدين احتراما شديدا ، ولذلك لعب الفقهاء دورا هاما في هذا الموقف

وقد اشتدت نقمة الفقهاء على الامراء بعد مأساة حصن لييط واخذوا يكشفون ليوسف عن كثير من خيانات الامراء ومخازيهم وخروجهم على تعاليم الدين ، ويزينون له الايقاع بهم والخلاص منهم ، ولم يتردد فقهاء الاندلس في حمل يوسف على استفتاء فقهاء المشرق في خلع الامراء الاندلسيين ، وأفتى الفقهاء ، ومنهم الغزالي ، بأنهم خانوا الامانة ، وانه لا بد من خلعهم لتبرأ البلاد من طغيانهم وآثامهم ٠

واخذ يوسف يستعد لذلك ، ولكنه اراد قبل الاقدام على هذه الخطوة ان يامن جانب الفرنجة ، ويتقي خطر هجماتهم ، حتى لا يقع بين شقي الرحى ، وعبر الى الاندلس بعد ان اعد الرجال والاقوات ، واصطحب جماعة من اقدر رجاله وابرع قواده ، ولم يدع ملوك الاندلس للاشتراك معه في الغزو كما فعل في المرتين السابقتين ، واتجه الى طليطلة وحاصرها وعاث في أرباضها ، ثم حاصر قلعة رباح ، ولكنه لم يلتحم في معركته مع قوات المسيحيين ، وانما كان هدفه ابعادهم حتى يستطيع تنفيذ خطته الكبيرة ، وهي خلع الملوك والامراء ٠

وزحف بعد ذلك على غرناطة ودخلها سنة ٤٨٣ هجرية ، وقد بدأ بالاستيلاء عليها لانه علم ان الامير عبد الله بن بلكين قد اتصل بالفونسو وأخاف ذلك المعتمد بن عباد والمتوكل بن الافطس صاحب بطليوس ، فأخذ كل منهما في تحصين معاقله ، وحاول المعتمد الاتصال بالفونسو ، وطلب منه العون والتأييد لدافعة المرابطين ، وتقول الرواية ان الفونسو اعرض عنه ، ولما علم المرابطون بذلك استفتوا الفقهاء في خلعه فأفتوا به ٠

وعاد يوسف الى المغرب ، وترك لسير بن أبي بكر مهمة خلع المعتمد ، وقد تم استيلاء المرابطين على اشبيلية في رجب سنة ٤٨٤ للهجرة ، وبعد فراغ الامير سير من خلع المعتمد وأسره وارساله الى المغرب ، زحف الى بطليوس لان صاحبها حاول ايضا ان يستنجد بالافرنج ويحالفهم ، بعد ان نزل لهم عن مدينة شنترين ، وسقطت بطليوس بعد الحصار ، واستولى المرابطون بعد ذلك على حواضر الاندلس الاسلامية ، وظهر بعد ذلك القمبيطور في شرق الاندلس ، واستولى على بلنسية ، ولم يستطع المرابطون استرجاع المدينة الا في سنة ٤٩٥ هجرية ، وكان لاسترداد بلنسية دوي عظيم في العالم الاسلامي ٠

●●●

وعبر يوسف البحر الى الاندلس للمرة الاخيرة سنة ٤٩٧ هجرية ، ولم يأت هذه المرة للجهاد والجلاد ، فقد كان يشعر بأنه قد قام بواجبه ، وأتم رسالته وثبت اقدام المسلمين في

الاندلس ، وانما جاء لتنظيم شئون الدولة ، ودعا القادة والامراء والولاة الى الاجتماع الحافل ، وافضى اليهم بعزمه على اختيار ولده الاصغر على ليخلفه في ولاية الحكم ، وأمرهم ان يؤدوا له يمين الطاعة ، وكلف كاتبه وضع وثيقة تتضمن تحـديد شروط ولاية العهد وتوافرها في ابنه الاصغر

واقسم الامير امام الجماعة لوالده على مراعاته لهذه الشروط واتخاذها دستورا لحكمه ، واعد الكاتب وثيقة اخرى ورد فيها ان الجماعة اقرت هذا

الاختيار ، وعاد يوسف بعد ذلك الى المغرب ، وحمل اعباء الحكم بضـع سنوات اخرى . واخيرا اشتد به ضعف الشيخوخة فتوفي في قصره بمراكش سنة ٥٠٠ هجرية

وتصف الرواية يوسف بانه كان معتدل القامة اسمر اللون نحيف الجسم خفيف العارضين وقد خطب على منابر ملكه لبني العبـاس ، واكتفى بلقب امير المسلمين .

وقد استطاع يوسف بحـزمه وشجاعته وحسن تدبيره أن يوحد بين قبائل البربر في ظل المبادىء التي بثها فيهم عبد الله بن ياسين وأن يرسي قواعد دولة المرابطين ويمـد

نفوذهم الى الاندلس ، واستطاع بذلك الابقاء حينـا من الزمن على تراث الاسلام في شبه الجزيرة الاندلسية ، وابقاء راية الاسلام خفاقة في ربوعها

ويقول المراكشي في كتاب « المعجب » « ثم ان يوسف بن تاشفين استوثق له أمر الاندلس بعد القبض على المعتمد اذ كان هو كبش كتيبتها وعين اعيانها، وواسطة نظمها ، فلم يزل أصحاب

يوسف بن تاشفين يطوون تلك الممالك مملكة مملكة الى ان دانت لهم الجزيرة باجمعها ، فاظهروا في اول امرتهم من النكاية في العدو والدفاع عن

المسلمين وحماية الثغور ما صدق بهم الظنون ، واثلج الصدور ، واقـر العيون ، فزاد حب اهل الاندلس لهم، واشتد خوف ملوك الروم منهم ، ويوسف بن تاشـفين في ذلك كله يمدهم في كل ساعة بالجيوش بعد الجيوش ، والخيل اثر الخيل ، ويقول في كل مجلس من مجالسه « انما كان غرضنا في ملك هـذه الجزيرة ان

نستنقذها من ايدي الروم ، لما رأينا استيلاءهم على اكثرها، وغفلة ملوكهم واهمالهم الغزو وتواكلهم وايثـارهم الراحة ، وانما همة احـدهم كأس يشربها وقينة تسمعه ، ولهو يقطع به أيامه ، ولئن عشت لأعيدن جميـع البلاد التي ملكها الروم في طول هذه الفتنـة الى المسلمين ولاملأنهـا عليهم ــ يعني الروم ــ خيلا ورجالا لا عهد لهم بالدعة ، ولا علم عندهم

برخاء العيش ، انما هم احدهم فرس يروضه ويستفرهه ، أو سـلاح يستجيده أو صريخ يلبي دعوته » في أمثال لهذا القول ، فبلغ ذلك ملوك النصارى فيزداد فرقهم ، ويقـوى ـمعا بأيدي المسلمين بل معا بأيديهم بأسهم

ولا نزاع في ان ملوك الاندلس بعد سقوط الخلافة الاموية الاندلسـية لم يحسنوا مواجهة الظروف التي كانت تحدق بهم ولا تناول المشكلات التي واجهتهم .. وتقصيرهم في النهوض بواجباتهم واحتمـال تبعاتهم كان يجعلهم الى حد كبير مستحقين للخلع،

وقد اخـذ على يوسف بن تاشـفين اشتداد قسوته في معاملتهم والتنكيل بهم ، وبخاصة معاملته للمعتمد بن عباد ، وقد كان يوسف من غيـر شك قائداً بارعا وملكا عظيما ، ولكنه لم يكن اكبر من أن يقـع في بعض الاخطاء ، وتحصى عليه بعض الهنات ، وانما العصمـة للانبيـاء ...

جورج صيدح

ذكريات عن مطران

قرات العدد الخاص الذى اصدرته مجلة « الهلال » عن خليل مطران بلهفة العاشق المنصت الى معشوقته وباحترام التلميذ لمقام استاذه الجليل ..

اننى منذ مطلع حياتى اقدس اسم خليل مطران وادرس عليه اساليب البلاغة فى البيان . عرفته لماما فى القاهرة عام ١٩١٥ بواسطة سليم سركيس ، وحضرت فى الاعوام العشرة التالية الكثير من الحفلات التى تصدرها وانشد قصائده فيها دون ان اكلمه . فما كان مركزى الاجتماعى كتاجر صغير يؤهلنى لمعاشرة هذا الشاعر العظيم ..

حدث فى العشرينات أن النادى الشرقى استجاب لرغبة فريق من أعضائه (وكلانا منهم) فخصص صبحيات الآحاد من كل أسبوع للتمرين على الرقص الفرنجى الحديث تحت اشراف معلم فرنسى (مسيو سفيرى) . وكنت كما كان مطران ، فى عداد المتلمذين الراهبين على الحنجلة فى باحة النادى مدة شهرين . وقد اتضح بعدهما انى برعت فى هذا الفن ، على عكس مطران الذى لم يكن ميسرا له بعد أن جاوز الخمسين ، فلم يستطع فرض المرونة على عضلاته واقتباس الرشاقة فى خطواته، فآثر الانسحاب من هذا الميدان مكتفيا بتبريزه فى دولة القوافى والاوزان .

اهمية هذه الذكرى عندى هى انها هيأت فرصتى للتقرب من مطران خلال التمارين ، ولتبادل اطراف الحديث انا بعد أن . مرة واحدة رأيته يقبل على



مطران .. عدد خاص من الهلال ، وكتاب في سلسلة كتاب الهلال الشـــهرية

محتفيا بي سائلا عن حالي وأعمالي بعد أن علم من سركيس اني انشر قصائدي في مجلته بتوقيع مستعار ، وان القصيدة الاخيرة راقت لاحمد زكي باشا (سكرتير مجلس الوزراء انئـــذ) فرغب في أن يعرف ناظمها شخصيا ، واني تشرفت بلقائه في ديوانه بصحبة سركيس بناء على طلبه .

اذكر اني شـــكرته على اهتمامه ، واجبته على استفهامه باني التاجـــر بالحرائر والاجواخ والجوارب والمناديل في السكة الجديدة رقم ٥١ ، وانظـــم الشعر على الخـــاطر في طريقي الى المتاجر . فنصحني - جزاه الله خيرا - بأن اثابر على مهنتي وان خاطفتصحيتي الى ان اضمن لنفسي الاستقلال المادي ، فاصبح عندئذ مخيرا في اتباع هواي .

ان نسيت فلن انسى قوله لي : « لا تتخذ الشعر حلية على عطل فتندم » . هذه الكلمـــات الجوهرية خففت على اهلي الذين حرموني الدراسات الجامعية وفرضوا على تعاطي التجارة في سن مبكرة . كانوا على حق . وكان مطران على صواب . تعلمت بعد أن جـــربني الزمان وادبني أن العاقل الساعي الى الحياة الكريمة لا يهتم بالازهار يزرعها في حديقته قبل أن يؤمن الرغيف اليومي على مائدته .

***

أعود الى مجلة « الهلال » ، رافعا راية الامتنان والعرفان لمحرريها الذين شغلوا معظم صفحات العـــدد بذكر الشاعر البعلبكي ، وبدراسة الاثار التي خلفها للاجيال ، وبالتمثال الذي انتصب في مسقط رأسه تجاه معبد جوبيتر . وقد شاركهم في المهمة ادباء وشعراء اجلاء بعثوا سيرته ونبشوا تركته في قصائد ودراسات قيمة مشكورة . ولكن العجب كل العجب هو في تخـــلف الاستاذ وديع فلسطين ، زين الكاتبين ، عن الاشتراك في مجالات البحوث او في مظاهر التكريم وهو في العطاء والوفاء من هو ، وعنده ما ليس عند غيره من المعلومات عن حياة هذا النابغة ، اذ كان احم رفيق له واخلص الخلصاء في مودته .

اني اقلب صفحات العدد ، فأجـــد البلاغة كلهـــا في كلمات رئيس وزراء لبنان ، والفصاحة كلها في قصيدة رئيس

ذكريات عن مطران

التحرير . ولن أعلق على مقال شاعر الفلسفة والمصير . بل اتناساه كيلا انكر على كاتب المقال الصديق ، الذي نعت الشاعر المبدع الحكيم ، المجدد العميق الافكار البعيد النظرات « بالشاعر المتفلسف » .

أما تحية بغداد التي جاءت بعده ، ومثلها تحية لبنان ، فقد طابت بهما نفسي . هنا « باقة شعر عطرها الابد » وهناك « حب بغداد عنف وعنفوان » .

ثم تبعهما الاستاذ محمد عبد الغني حسن بدراسة ماتعة جامعة لاتبقى على مشفق في النفس ، أو ظمأ الى مزيد . موضوعها جميل جليل « مجالي الطبيعة في شعر مطران » ، أي أبرز ناحية من مناحي الهامه وانتاجه . فيها تتناهى رقة العاطفة وسعة الخيال ودقة التعبير عن جزئيات المعاني وعن مخايل الصور وفيها يتجسد شغف الشاعر بجمالات الكون المنظورة والمستورة .

الى الشواهد الكثيرة التي اوردها الكاتب تأييداً لقوله « بأن الطبيعة كان لها عند مطران محلا لا يعادله محل » اود ان اضيف شاهدا من ذكرياتي القديمة يرجع الى عام ١٩١٣ ، والى حفلة رسمية مهيبة اقيمت لتكريم الخليل برعاية عزيز مصر يومئذ ، وبحضور شقيقه الامير محمد علي وبمشاركة كبار العلماء والوجهاء والشعراء والادباء في الجامعة المصرية . كانت مناسبة الحفلة الانعام على الشاعر بوسام سام ، وكان شعراؤها العشرة يتبارون في الجزالة والرخامة والتطريب ، بينما كان مطران يستلهم « مجـــالي الطبيعة المصرية بالذات » ، ويباريهم برقة النغمات ، قـــال :

نثر الورد في مراقي الغضـــــــان
واعدت مدارج الارجـــــــوان
فيلى باسماء كل صـــــــباح
ما يروع القلوب من مهرجـــــان
واجر يا ليل باســـــما يتراءى
في صفاء ابتسامك الهرمــــــان
اية الحسن أن تكـــون فـــريدا
جمع الجنتين ترتويـــــــــــان !

وانى لا اعتقد بأن الدارسين اختاروا احسن الشـــعر المطراني في معرض الاستشهاد ، بل فاتهم الشعر الوجداني المتفجر من قلب يئن وروح تحن وصدر تتراكم فيه الجراح على الجراح . انه الشـــعر الذي لا يجف دمعه ولا يخف وقعه على مدى الازمان . أسف لافتقاري الى مراجع من شعر مطران المنشور ، فليس عندي ديوان واحد من دواوينه . ولكن في ذاكرتي قصائد كاملة من شعره العاطفي رسخت فيها كأنها محفـــورة بقلم ساحر لم تمح الاعوام الستـون حرفا منها . واليك ابيـــاتا من قصيدة « الاســـد الباكي » :

دعـــوتك استشفي اليــــك فجئتني
على غيـــــر علم منك انك لي آسي
فان ترني والداء يغزو جـــــوانحي
اداري ، فليغررك بشري وايناســـي
وكم في فؤادي من جراح خفيــــة
يحجبها بردای عن اعين النـــــاس
دعوني وانجوا من شظايا تصـــيبكم

اذا لم أطق صبرا ، فاطلقت انفـــاسي
فاني على ما نالني من مســـــاءة
لارحم صـــــحبي ان يلم بهم ياس

انا الالم الســـاجي وماجف مدمعي
انا الاصـــل الداجي ولم يخب نبراسي

انا الاسد الباكي ، انا جبـــل الاسى
انا الرمس يمشي هائمــــا فوق ارماس

وهاك أبياتا من قصيدة « المساء » فهي من الفرائد في تصوير خلجات النفس والوان الكآبة :

عبث طوافي في البـــــلاد ، وعلة
في علة منفـــــاي لاستشفـــــاء

متفرد بصـــــبابتي ، متفـــرد بكآبتي
متفرد بعنـــــــــائي ......

شاك الى البحر اضطراب خواطري
فيجيبني برياحه الهوجاء

ثاو على صـــــخر أصم وليت لي
قلبا كهذي الصـــخرة الصمـــاء

ينتابهـــــا موج كمـــوج مكارهي
ويفتها كالسقم في اعضـــــائي

والبحر خفاق الجوانح ضـــــائق
كمدا كصـــدري ســـاعة الامساء

تغشى البرية كدرة وكأنهـــــــــا
صعدت الى عيني من احشـــــائي

أو انني أنســــــت يومي زائـــلا
فرأيت في المرآة وجــــه مسائي

ولا ننسى أن هناك مطولات من الشعر القصصي لم يسبقه الى مثلها شاعر .

وهناك أيضا ملحمة نيرون الهوميرية التي يزيد عدد أبياتها على ثلاثمــــائة

على قافية واحدة ألقاها في نادي الشرق على جمهور ملول لم يشـــجعه على محاولة تعجيزية ثانية من هذا النوع .

ويلوح لي أن الشـــاعر او الناشر غير بعض النصوص التي سمعتها من فم مطران ، فوردت في بحث الاســـتاذ محمد عبد الغني حسن مختلفـــة عما أحفظه في ذهني . مثل ذلك صفحة٥٦ :

لبنان هل للراســـــيات كأرزه
تـــاج بنضــــرها على الآبـــاد

يا ليت ذاك الارز كان شـــعارنا
بثبـــاته وتواشـــج الاعضـــاد

أنا سمعت الشـــاعر يلقي النص الآتي (ولعله أفضل من تواشج الاعضاد)

لبنان هـــل للراســـيات كأرزه
تاج تلبـــــد قائم من عـــاد ؟

يا ليت ذاك الارز كان شـــعارنا
بدوام نضرته على الآمــــــاد

وليحي الشعر المطراني الخـــالد ،

والشعب المصري الماجد ، والنفط العربي الحاصد . انه شيخ المحاربين وأبو النصر المئيد المبين . آمين آمين .

***

هذا وقد جرني الحديث عن خليــل مطران الى استذكار شاعر من معاصريه

أولعت به لانه كان أسلس الشـــعراء بيانا والطفهم روحا واخفهم دما ، هو

المرحوم حفني ناصـــف . سمعته في حفلة تكريم الخليل في الجامعة المصرية

عـــام ١٩١٣ يداعب الكرم بقصيدة استفاقت عليها ذاكرتي الآن ، وهـــذا ختامها :

يا شعر مطران ، لعبت بلبنا ونفثت سحرك
لله ما احلاك يا سحر البيـــان وما امرك

ان ملت يوما للثناء نثرت في الاسماع درك
واذا استفزك عابث يوما كفانا الله شرك
واذا هويت خليلا تهواه واستنزلت بدرك !

لم يملك المحبوب صبرا عنك حين ملكت صبرك
لو كنت ترفق بالنهى يا شعره ما كان ضرك؟
ما انت في الآداب مطران، ولكن انت (بطرك)

● جورج صيدح ●
● باريس ●

محمود العتريس

رحلة الشاعر

يقولُ لي — والأسى يُخامرُه :

مَزارُها لا يُثابُ زائرُه

جيادُنا لم تزلْ تُبدِّلُها

والدربُ لا تنتهي معابرُه

أوّلُه أتعبَ الضحى عبثاً

وما أراحَ الأصيلَ آخرُه

أيامُ أيامنا تُبدِّدُها

ولا تَملُّ الجوى تماقِرُه

•••

.. يا صاحبَ الدَّربِ إنّه قدَرٌ

أعتى رياح المدى تؤازِرُه

مَسيرةٌ أولعَ الزمانُ بها

منذ أرادَ الجمالَ فاطرُه

.. يا صاحبيَّ هذه قوافلنا

فيها تقيُّ الهوى وفاجرُه

كلاهما شاعرٌ يضوع أسًى

وفارس قُلِّمَت بَوادِرُه

سَلْ عاشق العشق عن حكايتنا

يُنبيكَ حادي الهوى وشاعرُه

من أطلعَ الفجرَ أغنياتِ صبا
وغرّدت في الضحى مزاهرُهُ
وعربدَ الوجدُ في أصائِلِه
فاللحن نشوانُ لا يغادرُهُ
سَلْ قاهرَ الحسنِ في بشائرهِ
هل بات يخشى الجمالَ قاهره ؟
سلهُ وسل فتنةَ الحسانِ به
ـ والعمر يُرْضِي الحسان بأكرمه
سله ـ وقد عاق المنى زمنا
في الحب ـ كم قطّعتْ أواصره ؟
كم من جوادٍ برغم صولته
من تحته مزّقت حوافره
لم يسأل الدربَ عن مداه .. ولا
متى يحطُّ الرحالَ عابِرُهُ
.. يا صاحبي هذه قوافلنا
تسعى ويَسْعَى الفتى وتاجره
وليس بالفارس التقيِّ بها
من يتقي الحسنَ أو يحاذره
الفارس الحقُّ شاعرٌ خفقت
على دروب السنا مآثره
أقول ـ والدربُ لن أغادرَه
مهما ألمّت بنا مخاطره ـ :
فاتنة العمر رغم قسوتها
مزارُها .. قد يُثاب زائره

غبريال وهبه

قصة

البقعة السوداء

حدث هذا بعد اسبوعين من توقيع اتفاقية الفصل بين القوات المصرية والقوات الاسرائيلية ·· تاقت نفسي الى رؤية بيتي الذي لم اره منذ ستة اعوام ونصف عام ··· ترددت في اصطحاب ابني معي لئلا يصيبه مكروه ، ولكنه تشبثني وهو يبكي ويشهق ، وابى إلا ان يرافقني · مسحت دموعه بشفتي اللتين ما ان تحركتا لتنطقا بكلمة الموافقة في خفوت حتى صاح صيحة عالية ، وبرقت اساريره وتهلل محياه من شدة الفرح ، وفتح ذراعيه ليعانقني وكأنه يحتضن الدنيا بأسرها ·

انطلقت بعربتي· كان سعيدا وهو يتطلع في شغف وانبهار للحقول والاشجار ، وما اعقبها من صحار وقفار ··ومع ذلك لم اكن مرتاحا ··· فقد لمحت بعض الجنود من لابسي الحلل الخضراء ·· وددت لو داهمتهم بسيارتي لاصرعهم واحدا اثر الآخر · ان الذي احجم بي عن ذلك هو الحفاظ على حياة صغيري ·

عندما وصلت الى قرية عين غصين انتابني الم ممض ، وغمرني حزن عميق وانا أرى الدمار الذي حل بها ··· لقد قطعت الاشجار ، واجتثت النباتات والمزروعات ، وحطمت ابواب البيوت واقتلعت نوافذها ، واعملت فيها يد السلب والنهب ، واقام فيها هؤلاء السفاحون · ما زالت هناك بقية منهم ·· وها هم اولاء يطلون من النوافذ وينادون بعضهم بعضا وقد علقوا ثيابهم المغسولة على الحبال المعقودة امام الشرفات ·

ثار في صدري غضب شديد ، وغيظ محتدم ضد هؤلاء اللصوص·· وفي تلك اللحظة امسكت يد ابني الصغيرة بذراعي فهمست لنفسي :

ــ اهدأ وتماسك وسيطر على انفعالاتك مخافة الخطر على حياة وحيدك من قسوة هؤلاء الفظاظ الغلاظ ·

واصلت السير واوقفت عربتي امام داري · انها تقع في اقصى الطرف الشرقي للقرية بالقرب من الضفة الغربية لقناة السويس·

دخلت البيت فوجدته قاعا صفصفا شأنه شأن بقية بيوت القرية · لم يتركوا قطعة اثاث



واحدة ، ولم أجد لوحا زجاجيا سليما · انها دلائل تشير الى انهم كانوا يقيمون هنا ورحلوا · لم يخلفوا شيئا سوى الخراب وبضع زجاجات بها بقايا من الاصباغ والمواد الكيماوية ··انها تذكرنى بكوثر ··· وتسارعت الصور فى خاطرى ·· لقد تزاملنا معا فى جامعة عين شمس ·· كنت طالبا بكلية الاداب وهى بكلية العلوم · تعرفت بها فى حفل جامعى ، وشد ما استملحتها · لقد توثقت بيننا عرى الوداد ، وتوطدت روابط الصداقة · كانت تحدثنى عن امالها فى المستقبل ·· تود ان تعمل كيميائية وخاصة فى ميدان الاصباغ· هزتنى براءتها ·· واسعدنى انها خصتنى بالحديث عما تجيش به نفسها فأحسست بتعارف روحينا ، وتعاطف وجدانينا ، مما خفف من شعورى بالحرج والضيق من جراء العرج الذى ولدت به بسبب قصر ساقى اليمنى عن اليسرى وهاأنذا اعود واسمع فى هذه اللحظة صوتها الرقيق وهى تحدثنى بشغف عن وليم هنرى· امتقع وجهى وتلعثم لسانى وأنا اسألها مضطربا فى مستهل حديثها :

— أهو زميل لك فى العلوم ؟

فضحكت جذلة وهى تقول :

— أتغار ياجبريل من زميل يبلغ من العمر مائة وعشرين عاما !

وعندما رأت دهشتى أردفت :

— انه بالضبط ، بالضبط ·· يبلغ ··

وراحت تفكر لحظة ثم اندفعت تقول :

— نحن الان فى عام ١٩٦٢ ، اذن فهو فى الواقع فى الخامسة والعشرين بعد المائة ، لو ان العمر قد امتد به حتى الان ·

اشرق وجهها بابتسامة عذبة عندما استرسلت قائلة :

— انه وليم هنرى بركن الكيميائى الشهير الذى استطاع وهو فى سن الثامنة عشرة ، وهو لم يزل طالبا فى السنة الثالثة بالكلية الملكية للكيمياء بلندن ، ان يحرز نصرا كبيرا فى عالم الاصباغ ·

تحقق أملها فعينت بعد تخرجها كيميائية بمصنع سراد الصباغة والكيماويات بالاسماعيلية بينما التحقت عن طريق القوى العاملة مدرسا للتاريخ ببنها الثانوية ، وعندما تزوجتها

البقعة السوداء

استجابت وزارة التربية لرغبتي فعدلت تعييني الى منطقة الاسماعيلية ، فعملت مدرسا بمدرسة الاسماعيلية الثانوية .

اخضر حبيننا السعادة واورقت .. وكنا نقيم في هذا المنزل بتلك القرية التي تقع جنوبي الاسماعيلية لتكون بجوار والدها المسن الارمل الذي يمتلك بيتا قريبا منا وسط اراضيه التي يشرف على زراعتها بنفسه .

هنا في هذه الغرفة قالت لي كوثر في حماس

ـ لقد أجرى بركن ايضا تجاربه في منزله . ثم استطردت :

ـ كان الانسان حتى منتصف القرن الماضي يعتمد في الحصول على الاصباغ التي يصبغ بها ملابسه ، على مواد ملونة يحصل عليها من النباتات مثل النيلة أو من الافرازات ببعض انواع القواقع البحرية .. الى أن تمكن بركن من اكتشاف وتحضير أول صبغة صناعية عن طريق الصدفة ..

فقاطعتها مستغربا :

ـ صدفة !؟

نعم .. لقد حاول تحضير الكينين المستخدم في علاج الملاريا بطريقة كيميائية من قطران الفحم بدلا من استخراجه من لحاء اشجار الكينا التي تنمو في بيرو بامريكا الجنوبية . كان يقضي امسياته وأيام راحته في بحوث خاصة يجريها في معمل بدائي في منزله . استخدم في تجربته الانيلين وهو سائل زيتي يحضر من البنزين الناتج من تقطير قطران الفحم .

قلت لها مندهشا :

ـ انني اعلم ان البنزين ينتج من زيت البترول .

ـ هذا سائل اخر غيره يختلف عنه في التركيب واحيانا يطلقون عليه اسم البنزول منعا لهذا اللبس .

ثم واصلت حديثها قائلة :

ـ لقد وضع بركن ملحا برتقالي اللون هو بيكرومات البوتاسيوم على الانيلين عديم اللون فدهش عندما حصل على صبغة ذات لون قرمزي جميل .. ذلك الذي تسميه « موف » ، فطبقت شهرته الافاق وافتتح مصنعا مع والده لانتاج الصبغة تجاريا . ولكنه سرعان ما عزف عن المال ووهب نفسه للبحوث العلمية فقط .

كانت تصبو الى انتاج صبغات ثابتة زاهية من المنتجات البترولية من السويس كتلك الاصباغ التي شاهدتها في جولتنا بين حفائر الجامعة في منطقة الاهرام حيث عثروا على ملابس ذات الوان رائعة يرجع تاريخها الى اكثر من ثلاثة الاف من الاعوام .. ولن انسى صيحة الاعجاب التي ندت عنها في اثناء رحلة شهر العسل ، بينما كنا نزور معبد ادفو عندما وقع بصرها على النقوش ذات الالوان البديعة التي تزين سقف واعمدة المعبد .

واحسرتاه .. لقد تبخرت كل امالك ياكوثر في لحظة خاطفة مع الدخان الذي تصاعد الى عنان السماء في صبيحة الخامس من يونيو عام ١٩٦٧ . فقد اغارت الطائرات الاسرائيلية على مدينة الاسماعيلية .. وكان المصنع الذي تعملين به اول أهدافهم .. لقد قذفوه بأكثر من

النفي عنيف وصاروخ ·· واستشهدت ابنتها الحبيبة في ذلك اليوم المشئوم ··

انقطع شريط هذه الذكريات بغتة عندما طرق مسامعي صوت ينبعث من البدروم الذى اقامت فيه كوثر معملا بسيطا ·· فقلت لابنى :

ـ انتظرني هنا يا مجدى حتى اعود ·



فتحت الباب ودخلت فابصرت جنديا اسرائيليا يرقد فوق اريكة كانت تستريح فوقها زوجتى من عناء العمل فى معملها ، وما كاد يرانى حتى اجفل ووثب من مكانه ، وانتصب كانه الشيطان بعينه وهو يرغى ويزبد · استطعت ان التقط كلمة راح يرددها وهو يصرخ قائلا :

ـ حزير ·· حزير ··

كانت بعض الكلمات العبرية ما زالت عالقة بذهنى ·· فقد درست مبادىء هذه اللغة فى كلية الآداب · فض‌الله فاك ! ان ما نعتنى به كان اشد صدمة لسمعى ووقعا على اعصابى من ضربات السيوف وطعنات الخناجر ! من هنا الخنزير ايها المعتدى الاثيم ؟ !

رأيت الشر وسوء النية يطلان من عينيه الخبيثتين ، وصوب الى منهما نظرة كلها مقت وبغضاء ، فما ان حاولت النطق باول كلمة حتى صاح وهو ينتفض انتفاضا :

ـ روفى ·· روفى ·

ومد ذراعيه كانما يحاول ان يدفع بهما خطرا مهددا ، وهرول صوب بندقيته حافى القدمين دون ان ينتعل حذاءه الضخم ·· واخذ يردد كلمة « روفى » ··

غلى الدم فى عروقى فى لحظة لا تتجاوز الثانية كانت نيرانا مستعرة وقودها ما اختزنته من مرارة وحزن ، وماكظمته من غضب وحنق منذ الخامس من يونيو حتى هذه اللحظة ·· اندفعت كلها الى يدى وهى تختطف قضيبا حديديا كانت تستعمله كوثر حبيبتى فى تحريك السوائل والاصباغ داخل برميل ضخم · وفى اللحظة التى وصلت فيها يده الى بندقيته ، كانت يدى تهوى بالقضيب الذى اصابه فى وجهه وارتطم به فى عنف ·

اية قوة هبطت على ·· لا ادرى من اين ؟! لقد كان عندى اذ ذاك من القوة ، ما كنت استطيع ان افتت به الحجر الصوان ، وافل به الحديد والفولاذ

سقط الجندى الاسرائيلى ممددا فوق الارض · اعتقدت فى اول الامر انه خر مغشيا عليه لا غير · آه ! حسن ! نعم ! كان على ان اسارع بالرحيل حتى النجو بجلدى ·

كان الموقف يبدو غريبا ·· فهذه اول مرة ارى فيها جسدا مسجى على الارض وقد لوثت الدماء عنقه ولحيته الشقراء التى تحيط وجهه · احسست فى ارجلى رعشة وانا اتفرس

فيه . ولابد ان الغلام فى الطابق العلوى قد شعر بالوحشة والغربة .. فقد سمعته يصيح مناديا فيما يشبه الصراخ :

ـ أبى ! .. أبى !.

كان هناك بعض الجنود الاسرائيليين يمرون فى الطريق وقد لمحتهم من خلال نافذة حجرة البدروم. اعترانى خوف مفاجىء ..

ـ ماذا لو دخلوا بيتى ؟ ! لا شك ان ابنى سيكون من الهالكين !

كان فى هذا الخاطر الكفاية .. فزايلتنى رعشة ارجلى . وفى ثانية واحدة جذبت الجثة تحت الاريكة وغطيتها باوراق الجرائد الصباحية الثلاث التى كنت اضعها مطوية ، موزعا اياها فى جيوبى الداخلية والخارجية . اسرعت أصعد الدرج لالحق بطفلى . قلت له:

ـ هانذا يا مجدى !

ـ ما خطبك يا أبى ؟ ما أشد شحوب وجهك !

فهززت كتفى مضطربا وهمهمت قائلا :

ـ هلم بنا ، هيابنا !

ثم أردفت قائلا :

ـ لا شىء .. لقد شاهدت بعض الجنود الاسرائيليين يحدثون لغطا وشوشاء ..وربما كانوا يشتبهون فى ، ولكننى يجب الا اعيرهم



التفاتا . ويبدو ان أحدهم كان يقتفى آثرى

ادرت السيارة وضغطت بقدمى فوق دواسة البنزين .. فسارت بنا فى اتجاه القاهرة ، تلك التى هاجرنا اليها بعد النكسة بيد ان فكرة طرأت على خاطرى .. ورحت اقلب هذه الفكرة على وجوهها .. لا ريب ان جنود العدو سينسفون بيتى عندما يعثرون على زميلهم . واخجلتاه من نفسى وانا اهرب بجلدى دون ان افكر فى صهرى الذى لايبعد منزله كثيرا عن بيتى.. انه المصرى الوحيد الموجود فى تلك الناحية ، فى الطرف الشرقى للقرية .. ستوجه اليه تهمة قتل الجندى الاسرائيلى ! سوف يفتكون به ويتفننون فى التمثيل به أبشع تمثيل . الم يعيثوا فى القرى ؟ ! فكم من ارواح بريئة ازهقوها ، وكم من دماء سفكوها ، وكم من جرائم ارتكبوها ضد الاهالى دون ذنب جنوه

لقد ازعجتنى تلك الصور الشنيعة التى لن يستطيع محوها كر الحقب والدهور . يجب ان أخفى الجثة بأية طريقة. وكلما تقدمت بى السيارة ألحت على فكرة يجب الا اترك الاسرائيلى فى بدروم منزلى . وهكذا بعد ان قطعت من الطريق عشرين كيلومترا عقدت النية على تنفيذ ما جال فى خاطرى فوجدتنى اقول لولدى :

ـ لقد نسينا زيارة جدك ! سأتركك فى بيته واذهب لبعض شأنى . لن أتأخر عليك كثيرا . انه لم يرك من عدة سنوات وكم ستكون فرحته بلقائك .

عانقت صهرى وانا اتطلع الى الاخاديد التى احتفرتها السنون فى وجهه . اذن فمازال الامر فى طى الخفاء ولم يكتشف شىء بعد . احتضنت ولدى مودعا اياه ، وعدت ادراجى تاركا سيارتى أمام المنزل

سرت فى طريقى بحذر وقد اتسعت عيناى . كانت دارى ما زالت قائمة هناك وقد بدا الليل ينشر ارديته السود

حولها · استطعت ان ألمح قرب الشاطىء جماعات من الجنود الاسرائيليين على ضوء صواريخ ملونة كانوا يطلقونها وهم يرقصون ويصخبون· انهم فرحون بالانسحاب اذ سمعتهم يغنون « هو لسيم هابيتاه » ـ اى نحن عائدون الى بيوتنا .. انها فرصة لا تعوض أضمن فيها خلو بيتى · وهاأنذا اتجه ، واعرج على حجرة البدروم وراحت يدى تتحسس ما تحت الاريكة· مازال الجندى الاسرائيلى هناك مرت لحظة فزع رهيبة عندما شعرت بخوذته تتحرك وتصطدم بالارض وسمعت لها رنينا ! حقا تموت الراقصة ولا يزال كعبها يرقص .. من يدرى ؟! فربما دبت فيه الحياة ليمارس القتل مرة اخرى كلا ! .. ان رأسه ثقيل وبارد · واكتشفت قطة منهمكة فى قضم اذنه

جلست القرفصاء فى ركن من الحجرة قابعا فى انتظار .. واطرقت مفكرا .. سالقى بالجثة فى قناة السويس عندما يستغرقون فى النوم ·

وفجأة سمعت وقع اقدامهم وهم يقتربون ، وها هى ذى قرعاتهم القوية تدوى على الجدران والابواب المطمسة .. ودخلت شرذمة من الجنود حديقة دارى وبدأوا يصيحون:

ـ اليعازر ! اليعازر

ولكن اليعازر ظل صامتا تحت الاريكة ، بينما كانت حواسى كلها متيقظة ، وبى من القلق مابى· توقعت اقتحامهم للمنزل · جف من شدة العطش حلقى · · يتنازعنى الخوف والامل .. الى ان امتدت يدى تلتقط بندقية الجندى الميت ، وهاأنذا أسندها الى كتفى وأصوبها ناحية الباب · غير انهم بعد ان عادوا للنداء على زميلهم عدة مرات قفلوا راجعين ، وسمعت وقع احذيتهم الثقيلة وهم يهبطون الدرج · وتلاشت الضوضاء بعد ان ابتلعهم الظلام ·

خيم السكون على المكان .. وهذا ماكنت اتململ من مضض انتظاره وانا أعد الدقائق والثوانى · اسرعت اجذب اليعازر من تحت الاريكة ثم رفعته فوق ظهرى · كان ثقيلا .. ليتنى تبلغت بشىء عند سحورى · فقد هدنى الجوع والخوف · لقد خشيت الا اقوى على حمله حتى شاطىء القناة قطعت جانبا من الطريق عندما سمعت احدهم يسير ورائى · تسمرت فى مكانى مذعورا واستدرت الى الخلف ولكننى تبينت أننى قد اخطأت السمع · كان القمر متربعا على عرش السماء والضياء منبسطا على الرمال ·

قلت لنفسى :

ـ يجب ان اسير متلصصا فى حذر ، فالحراس سيطلقون النار

ظللت أسير ... وأسير .. ولم يلبث التعب والارهاق أن دبا فى أوصالى .. لم أعد قادرا على مواصلة مهمتى · وقفت ساكنا برهة طويلة مكدودا منهوكا ، أتنفس تنفسا ثقيلا ، والهث وانفخ ، وقد راح صدرى يعلو ويهبط والعرق يتصبب منى رغم برودة الجو فقد كنا فى أوائل شهر فبراير · تماسكت فى جلد وتابعت السير وأنا اترنح واتعثر لا تكاد تحملنى قدماى ·

وعندما اعتقدت اننى قطعت شوطا طويلا وبلغت حافة القناة القيت بحملى الى اسفل، فاذا برمال الشاطىء تتلقفه · اخذت ادفعه وادفعه بكل ما تبقى لى من قوة الى ان وجدته يتدحرج ويسقط فى المياه الحمراء الممتزجة بدماء جنودنا التى سالت سخية من اجل النصر .. ولم آسف على اليعازر عندما بدا لى من بعيد بقعة سوداء جرفها التيار واسرع بها يلفظها فى البحر ..


شركة الاسكندرية للمنتجات المعدنية
٧٢ شارع الشهيد جلال الدسوقي - الحضرة اسكندرية ت ٧٧٢٦١/٧٠٥٣٣ ص ب ٣٨٦ اسكندرية
AMPCO
امبكو
SILEC
Le Cooperation Franco-Arabe dans le domaine de la Signalisation routière "SILEC" Paris "AMPCO" Alexandria
التعاون العربي الفرنسي في مجال تنظيم المرور الالكتروني بين شركة "سيلك" كبرى الشركات العالمية الفرنسية وشركة "امبكو" الاسكندرية للمنتجات المعدنية
جهاز تحكم الكتروني لتنظيم المرور

أوهــام

« كل شيء باطل وقبض الريح »

سليمان الحكيم

الحلم والـوهم عذباك — يا هائماً في سرى رؤاك
أمامك الكأس .. لا شراب — يبل في جرعة صداك
انظر اليها ! فهل تراها — الا فراغا ... وما أراك
الا خيالا وراء وهم — تسعى ، ولا ينتهي مداك
انظر اليها وانت صاد — لن يبلغ السرى ناظراك
هل صب ساقيك في سحر ؟ — يسخر بالقلب من سقاك !
الكأس وهم .. والخمر وهم — والحان يا صاحبي كذاك
والحلم وهم .. والوهم حلم — والحلم والوهم شاقيك
قد مر ليل ، ومر فجر . — والديك والصبح ايقظاك
وانت ترنو ! وكل شيء — أمامك الآن من رؤاك ...

● حسن كامل الصيرفي ●



لوحة للفنان : عفت حسنى

الغلاف الأول

« في بلاط الأمير محمود »
للرسام الإسلامي : بهزاد
« متحف الفن الإسلامي »
تصوير : عبد الفتاح عيد



الغلاف الأخير




الهلال
عدد خاص
أدب الفكاهة
اطلب مع العدد
الزهور
الملحق الأدبي للهلال
مع العد ية صورة:
إبراهيم عبد القادر المازني
الهلال + الهدية + الزهور = ١٥ قرشا

الهلال

رجب ١٣٩٤
أغسطس ١٩٧٤

مجلة شهرية تصدر عن دار الهلال – أسسها جورجي زيدان سنة ١٨٩٢ – العدد الثامن – السنة الثانية والثمانون – أول أغسطس ١٩٧٤ – ١٢ رجب ١٣٩٤ هـ

الاشتراكات

ثمن العدد « في جمهورية مصر العربية ١٥٠ مليماً »

قيمة الاشتراك السنوى : « ١٢ عددا » في جمهورية مصر العربية وبلاد اتحاد البريد العربي والافريقي ١٥٠ قرشا صاغا . في سائر أنحاء العالم ٦ دولارات أو ٢٫٥ جنيه والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال : في جمهورية مصر العربية والسودان بحوالة بريدية . في الخارج بشيك مصرفي والاسعار الموضحة أعلاه بالبريد العادي – وتضاف رسوم البريد الجوى والمسجل على الاسعار المحددة عند الطلب .

الادارة : دار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب – القاهرة
تليفون : ٢٠٦١٠ « عشرة خطوط »

في هذا العدد :



د. سيد نوفل — فكرى اباظة — د. سيد كريم

بسم الله الرحمن الرحيم



كلمة الهلال

قضت محكمة جنايات لندن على طبيب ينتمي الى احدى الدول الشرقية بالسجن لمدة ثمانية عشر شهرا ، لانه حطم - عامدا متعمدا - زهرية ثمينة من التراث الايطالي،

يرجع تاريخها الى خمسمائة سنة خلت ، اثناء تجواله بالمتحف البريطاني ، اذ دفعها بقدمه دفعة قوية سقطت على اثرها مهشمة

وقد جمع امناء المتحف نثارها، واستطاع الخبراء ان يلصقوا قطعها بعضها الى بعض ، ولكن الزهرية فقدت قيمتها الحقيقية ، ولم يبق منها الا مظهرها

ورغم ان الطبيب المتهم دافع عن نفسه بقوله انه اصيب بحالة نفسية عندما بهرته الزهرية وراعه قدمها ، ففعل ما فعل غير واع ، وانه آسف ونادم على ما فعل ،

وانه مستعد لدفع ثمنها - ٥٠٠٠ جنيه - .. بل انه مستعد لاداء ضعف هذا الثمن ، فان المحكمة لم تخل سبيله

ليتنا نفعل شيئا كهذا بمن يهدمون التراث ...

ليتنا نضع في قوانيننا الجنائية مادة تفرض عقوبة السجن على من يشوهون تراثنا

الادبي والفكري والروحي ، او يسيئون اليه ، او يشككون في قيمته ويحرضون الناس على كراهيته .

● صالح جودت ●

الفكاهة عند الرسول والصحابة

د. أحمد الشرباصي

ان كانت فى الحياة سعادة ففيها شقاء ، وان كان فيها راحة ففيها متاعب ، ولا يمكن للحياة أن تكون سلسلة من الجد الدائب والعمل الموصول ، بل لا بد لها من بشاشة وفكاهة ، ولا بد من تخفيف قسوتها وصرامتها بجانب من اللهو البرىء ، وقسط من الدعابة الخفيفة والفكاهة الميسورة ، وقد قيل ان الضحك نزعة عميقة الجذور فى نفس الانسان ، حتى وصفوا الانسان بأنه حيوان ضاحك ، بجوار وصفهم له بأنه حيوان ناطق .

الكثير من الناس يتوهمون أو يزعمون أن الدين يقف حائلا مانعا دون الفكاهة والدعابة ، لأنهم يتصورونه — دائما أو غالبا — مجموعة من القيود والحدود والسدود ، لا مجال فيها للهو أو تخفف ، مع أن دين الله يسر لا عسر ، ورحمة لا نقمة وسماحة بلا حرج ، وتخفيف بلا عنت ، ومن مظاهر هذه السماحة أنه لم ينكر على الانسان أن يأخذ حظه المعقول المقبول من المتعة السليمة ، والزينة القويمة ، والطيبات من الرزق ، والفكاهة التى تشرح ولا تجرح ، والدعابة البريئة غير الجريئة .

واذا كان الرسول عليه الصلاة والسلام قد نهى عن تعود المجادلة والممازحة فقال — فيما يروى الترمذى — : « لا تمار أخاك ولا تمازحه » . ويروى أنه كان — فيما يرويه الامام أحمد — طويل الصمت قليل الضحك ، ويروى عنه : « لا تكثر الضحك ، فان كثرة الضحك تميت القلب » . وانه كان لا يضحك الا تبسما — فقد رووا عنه انه كان يضحك من غير قهقهة ، وربما ضحك حتى تبدو نواجذه — والنواجذ هى أقصى الأسنان — وقالت عنه الصديقة عائشة : كان رسول الله بساما ضحاكا ، كما يقول عبد الله بن الحارث : « ما رأيت أحدا أكثر تبسما من رسول الله صلى الله



الفكاهة عن الرسول والصحابة ..

عليه وسلم . ولقد كان يبتسم فى وجه من يلقاه من اصحابه ، ويقول : « تبسمك فى وجه اخيك صدقة » .

ولقد رووا عنه هذه الاحاديث :

« لا خير فيمن لا يطرب ولا يطرب »

« روحوا القلوب ساعة بعد ساعة فان القلوب اذا كلت عميت » .

« ان الله يحب السهل الطلق الوجه » .

« من المعروف ان تلقى اخاك بوجه طلق » .

واذا كانت قد وردت اخبار او آثار فى النهى عن المزاح فان ابا حامد الغزالى قد ابان عن وجه النهى بقوله : « اعلم ان المنهى عنه فى المزاح الافراط فيه، او المداومة عليه . اما المداومة فلانه اشتغال باللعب والهزل فيه ، واللعب مباح ، ولكن المواظبة عليه مذمومة . واما الافراط فيه ، فانه يورث كثرة الضحك وكثرة الضحك تميت القلب ، وتورث الضغينة فى بعض الاحوال ، وتسقط المهابة والوقار ، فما يخلو عن هذه الامور فلا يذم » .

نعم جاء فى الحديث المتفق عليه ان النبى لم يكن فاحشا ولا متفحشا ، ومن صفات النبوة ان تتوافر له الصيانة والحصانة ، حتى يكون اسوة حسنة وقدوة طيبة لاتباعه ، فلقد يلقى الانسان بالكلمة النابية او الجافية ، على سبيل الدعابة والتظرف ، فاذا هى تجرح نفوسا ، وتغيظ قلوبا ، ولعل مثل هذا هو الذى دعا رسول الله ان يقول : « ان الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها جلساءه ، يهوى بها فى النار أبعد من الثريا » .

وانه لمن قوة الشخصية وسمو الذات وسعة الافق ان يحسن رسول الله عليه الصلاة والسلام الجمع بين جلال النبوة وبراعة الفكاهة ، فمع امامته للانبياء وزعامته للمرسلين ، وخطاب الله له بقوله : «وانك لعلى خلق عظيم» كان فيه دعابة ، وكان من افكه الناس مع صبى ، وكان من افكه الناس مع نسائه .

ومعقد الروعة هنا ان الرسول كان يمزح ولا يقول الا حقا ، والمعروف بين الناس ان المزاح يقوم فى الغالب على التخيل والادعاء والافتراء ، فاذا اراد الانسان ان يكون صادقا فى مزاحه احتاج الى قدرة فى التفكير ، وقدرة فى التعبير ، وقدرة فى التصوير .

ولقد وعى ادب السيرة النبوية العطرة طائفة من المواقف التى تصور فنونا من دعابة الرسول ومزاحه ، مع احتفاظه بالحق والصدق فى مجال الدعابة والمزاح :

جاءت امرأة الى رسول الله ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ تسأله ان يحملها على جمل تستخدمه . فقال لها مداعبا : « انا حاملوك ان شاء الله على ولد الناقة » فظنت المرأة من « ولد الناقة » انه القعود الصغير السن الذى لا يطيق حملا ولا عملا ، فقالت : يا رسول الله وما اصنع بولد الناقة ؟ وهل يستطيع ان يحملنى ؟ .

فقال : لا احملك الا عليه .

ثم اضاف موضحا : « وهل يلد الابل الا النوق » ؟

ورووا ـ بسند فيه ضعف ـ ان عجوزا اقبلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم تسأله ان يدعو لها ربه لتدخل الجنة .

فقال لها مداعبا : ان الجنة لا يدخلها عجوز ..

فصاحت العجوز ..

فابتسم الرسول وذكرها بقول الله تبارك وتعالى عن نساء الجنة وتجديد شبابهن : « انا انشأناهن انشاء ، فجعلناهن ابكارا ، عربا اترابا ، لأصحاب اليمين » .

وهذه المرأة تسمى « ام ايمن » تسعى الى النبي تقول له : ان زوجي يدعوك .

فقال لها : أهو الذي بعينه بياض ؟

قالت : والله ما بعينه بياض .

فعاد رسول الله يقول : بلى ، ان في عينيه بياضا

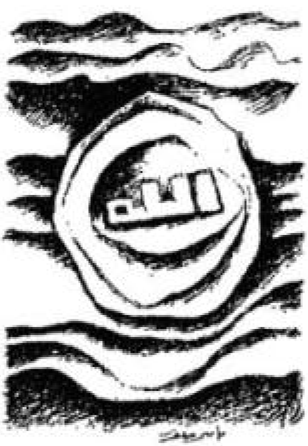
فقالت المرأة : لا والله .

فقال لها : ما من احد الا وبعينه بياض .

أراد البياض المحيط بالحدقة في العين .

ويروى أن هذه المرأة كانت من نساء الانصار ، وانها حين سمعت النبي يقول لها : « الحقي بزوجك فان في عينه بياضا » سعت اليه في عجلة، فقال لها : ما دهاك ؟ .

فأخبرته بما سمعت ،فقال لها: نعم



ان في عيني بياضا لا لسوء ، فخفض عليك .

ونلاحظ ان جملة المواقف السابقة كانت الدعابة النبوية موجهة فيها الى طائفة من النساء ، ومع ان النبي داعب الرجال كما داعب النساء ، قد نفهم — لانفسنا — ان هذه المواقف فيها اشارة الى ترفق الرسول بالمرأة وتلطفه في الحديث معها ، وهو القائل : « استوصوا بالنساء خيرا » .

وها هو ذا صلوات الله وسلامه عليه يسمع جارية تغنى فتقول :

هل علي ويحكم
ان لهوت من حرج ؟
فيقول : لا حرج ان شاء الله ..

***

والغناء ذو صلة باللهو والطرب ، وها هو ذا رسول الله عليه الصلاة والسلام يتحدث مع السيدة عائشة عن فتاة زفتها الى زوجها ، فيقول : أهديتم الفتاة الى بعلها ؟

قالت : نعم .

قال : فبعثتم معها من تغنى ؟

قالت : لا

قال النبي : أو ما علمت أن الانصار قوم يعجبهم الغزل ؟ الا بعثتم معها من تقول :

اتيناكم اتيناكم
فحيونا نحييكم
ولولا الحبة السمرا
« لم تحلل بواديكم

ولقد توسع ابن عبد ربه الاندلسي في كتابه « العقد الفريد » في الدفاع عن الغناء فكان مما قال :

« ومن حجة من كره الغناء ان قال : انه يسعر القلوب ، ويستفز العقول ، ويستخف الحليم ، ويبعث على اللهو ، ويحض على الطرب ، وهو باطل في اصله ، وتأولوا في ذلك قول الله عز وجل : (ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا) . واخطأوا في التأويل . انما نزلت هذه الاية في



الفكاهة عند الرسول والصحابة ..

قوم كانوا يشترون الكتب من أخبار السير والاحاديث القديمة ، ويضاهون بها القرآن ، ويقولون انها افضل منه، وليس من سمع الغناء يتخذ آيات الله هزوا ، واعدل للوجوه في هذا ان يكون سبيله سبيل الشعر ، فحسنه حسن ، وقبيحه قبيح » .

ومما يدل على حسن تلطف الرسول مع المرأة هذه المواقف الداعبة الفاكهة المازحة التي كانت للرسول مع نسائه أمهات المؤمنين ، ولا عجب فهو القائل : « خيركم خيركم لاهله وأنا خيركم لاهلي » .

تروى السيدة عائشةفتقول : سابقت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسبقته ، فلما حملت اللحم (أي زاد وزني) سابقني فسبقني ، فقال : هذه بتلك ! ...

وتروى عائشة ايضا انها صنعت ذات يوم نوعا من الطعام يسمى « حريرة » ، وجاءت به الى النبي وكان عنده سودة بنت زمعة . فقالت لها عائشة : كلي .

فقالت سودة : لا أحبه .

فقالت عائشة : والله لتاكلن ، أو لالطخن به وجهك .

قالت سودة : ما انا بذائقته .

فأخذت عائشة شيئا من الحريرة ومست به وجه سودة .

فتناولت سودة كذلك شيئا من الطعام ومست به وجه عائشة .

وجعل الرسول عليه الصلاة والسلام يضحك .

وكذلك شهد الرسول من عائشة موقفا كان لها فيه دعابة ضحك منها الرسول .

كان الضحاك بن سفيان الكلابي رجلا دميما قبيح الشكل ، ولما بايعه النبي قبل ان تنزل آية الحجاب ، قال الضحاك للنبي — وعائشة على مرأى منهما — : ان عندي امرأتين احسن من هذه الحميراء (يعني عائشة) أفلا أنزل لك عن احداهما فتتزوجها ؟ .

وكانت عائشة تسمع ، فقالت للضحاك : أهي أحسن أم أنت ؟ .

فعجل الضحك بقوله:بل أنا احسن منها واكرم .

فضحك الرسول من سؤالها اياه ، ان الضحاك كان دميما .

وكان الرسول عليه الصلاة والسلام يشهد الفكاهة أو الدعابة من صحابته فيرتضيها . ويضحك لها ، ويسر بها، وفي بعض الاحيان يشارك الرسول وصحابته في الفكاهة فيداعبهم بنفسه ومن شواهد ذلك انه قال لانس بن مالك : ياذا الاذنين . وهي كلمة ظاهرها المزاح، وباطنها المدح والتقدير .. فكأنه قال له: يا صاحب الاذنين السميعتين الواعيتين لما سمعتا .

وكان صلوات الله وسلامه عليه يستجيب لروح الفكاهة الطيبة ، ولا يتأبى عليها ، بل قد تخرجه هذه الفكاهة من الضيق الى الرضا ، ومن الغضب الى السرور .

ولقد شغله من الهم ذات يوم ما شغله ، فجلس بين صحابته متغير الوجه ، فاقبل نحوه اعرابي يريد أن يسأله ، فقالوا له محذرين : لا تفعل فاننا ننكر لونه .

وكان في الاعرابي روح فكاهة ودعابة ، فقال : دعوني ، فوالذي بعثه بالحق نبيا لا أدعه حتى يبتسم .

ثم أقبل على الرسول يسأله : يا رسول الله ، بلغنا ان الدجال يأتي الناس بالثريد ، وقد هلكوا جوعا ، افترى لي — بأبي انت وأمي — أن اكف

عن ثريده تعففا وتنزها حتى أهلك هزالا ، ام اضرب في ثريده (أى اقبل عليه بنهم) حتى اذا تضلعت شبعا (امتلأت من الاكل) امنت بالله وكفرت بالدجال ؟ ! •

فضحك الرسول حتى بدت نواجذه ، وقال للاعرابي : لا ، بل يغنيك الله بما يغنى به المؤمنين •

وكان عليه الصلاة والسلام يقدر جميل من يدخل على نفسه بالفرحة والمسرة عن طريق الفكاهة والدعابة • وهذه امرأة اسمها « سويداء » كانت تدخل على السيدة عائشة فتفاكهها وتضاحكها ، ويضحك الرسول معها • ثم انقطعت المرأة عن المجيء مدة ، فسأل عنهـا النبي وقال لعائشة : يا عائشة ما فعلت السويداء ؟ •

قالت : انها مريضة يا رسول الله •

فذهب النبي اليها يعـــودها ، فوجدها في سكرات الموت ، فقــال لاهلها : اذا ماتت فأخبروني •

فلما ماتت اعلموه ، فسعى فشهد جنازتها وصلى عليها ، ودعا لهـا فقال : اللهم انها كانت حريصة على ان تضحكني • فاضحكها فرحا •

وكان الرسول حريصا على أن يزيل الشبهة من نفس الذى يسيء الظن باللهو البريء والفكاهة السليمة ، فهـذا حنظلة أحد الصحابة يحضر مجلســا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيتأثر به كثيرا ، ثم يرجع الى أهله، فيداعب ويلاعب ، ثم يتنبه الى الفرق بين حاله مع أهله وحاله بين يدى الرسول ، فيعود مذعورا ليقــول : نافق حنظلة ، يا رسول الله ، كنا عندك فوعظتنا موعظة وجلت منهـا القلوب وذرفت العيون ، ثم رجعت الى أهلى ، فأخذنا في حـــديث الدنيا ، ونسيت ما كنا عندك عليه •

فقال له النبي متلطفا : يا حنظلة ، لو انكم كنتم أبدا على تلك الحـالة لصافحتكم الملائكة على افواه الطرق ، ولكن يا حنظلة ، ساعة وساعة • أى ساعة لربك وساعة لقلبك •

***

وكان صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذون حظهم الفاضل العاقل من الفكاهة والدعابة ، ويقول في ذلك ابن ابي الحـديد في كتابه « شرح نهج البلاغة » هذه العبارة :

« وروى عن كبراء الصحابة رضى الله تعالى عنهم ، انهم كانوا يتمازحون •• ويتناشدون الاشعار ، فاذا خاضوا في الدين انقلبت حماليقهم • وصاروا في صور أخرى » •

والحماليق : جمع حملاق ، وهـو باطن الجفن ، أو ما غطته الاجفان من بياض المقلة •

وقيل للنخعي : هل كان اصـحاب رسول الله يضحكون ويمزحون ؟ •

فقال : نعم ، والايمان في قلوبهم مثل الجبال الرواسي •

أرأيت ؟ • انهم رجال في مواطن الرجولة ، ظرفاء في مواطن الفكاهة ، يحسنون الجمع بين قوة الشخصية ، ودماثة الاخلاق ، وسماحة النفوس ، وسهولة الطباع •

بل لقد روى مسلم في صـحيحه انهم كانوا يتحدثون فيأخذون في أمر الجاهلية فيضحكون ، ويبتسم رسول الله صلى الله عليه وسلم •

حتى الشديد الصارم منهم لم يخل من فكاهة أو طرب •

هذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يبدى رأيا قاسيا في المزاح ، فقد قال لمن حوله : اتدرون لم سمى المزاح مزاحا ؟ •

قالوا : لا

قال : لانه أزاح صاحبه عن الحق•

ويقول أيضا متشــددا ومتحوطا : « من كثر ضحكه قلت هيبته ، ومن مزح استخف به ، ومن أكثر من شيء عرف به ، ومن كثر كلامه كثر سقطه، ومن كثر سقطه قل حيــاؤه ، ومن قل حياؤه قل ورعه »

ومع ذلك لم يضق عمر بالفكــاهة

الجلرة السمحة ، واستنشد الشعر وطرب له • ولقد دخل عبد الرحمن بن عوف على عمر ، فوجده مستلقيا ، رافعا احدى رجليه على الاخرى ، وهو ينشد :

وكيف ثوائي بالمدينة بعد ما
قضى وطرا منها جميل بن معمر

فلما جلس عبدالرحمن قال له عمر:
ـ يا أبا محمد ، انا اذا خلونا قلنا كما يقول الناس •

وكان عمر رضي الله عنه يصف الامام علي بن أبي طالب رضي الله عنه بقوله : « ولكنه امرؤ فيه دعابة » وكذلك كان عمرو بن العاص يقول عن الامام : « ان فيه دعابة »

ويعلق ابن ابى الحديد فى « شرح نهج البلاغة » على رأى عمر فى الامام علي ، فيذكر انه لم يرد ان يغض من شأن الامام • وقال فيما قال : ولما كان عمر شديد الغلظة وعر الجانب ، خشن اللمس دائم العبوس ، كان يعتقد ان ذلك هو الفضيلة ، وان خلافه نقص • ولو كان طلقا مطبوعا على البشاشة وسماحة الخلق ، لكان يعتقد أن ذلك هو الفضيلة ، وان خلافه نقص ، حتى لو قدرنا ان خلقه حاصل لعلى عليه السلام ، وخلق علي حاصل له ، لقال في علي : «لولا شراسة فيه » •

فهو غير ملوم عندى فيما قاله ،ولا منسوب الى انه اراد الغض من علي والقدح فيه ، ولكنه اخبر عن خلقه ظانا أن الخلافة لا تصلح الا للشديد الشكيمة ، العظيم الوعورة » •

وبعد ان يطيل ابن أبى الحديد نفسه فى الكلام عن المزاح ووقوعه من كثير من الأعلام الاوائل يحاول أن ينفى الفكاهة والدعابة عن الامام على فيقول :

« فأما أمير المؤمنين على ـ عليه السلام ـ فاذا نظرت الى كتب الحديث والسير ، لم تجد احدا من خلق الله، عدوا ولا صديقا ، روى عنه شيئا من هذا الفن ، لا قولا ولا فعلا ، ولم يكن جد أعظم من جده ، ولا وقار أتم من وقاره ، وما هزل قط ولا لعب ، ولا فارق الحق والناموس الدينى سرا ولا جهرا • وكيف يكون هازلا ، ومن كلامه المشهور عنه : « ما مزح امرؤ مزحة الا ومج معها من عقله مجة » •

ولكنه خلق على سجية لطيفة ، واخلاق سهلة ، ووجه طلق ، وقول حسن ، وبشر ظاهر ، وذلك من فضائله عليه السلام » •

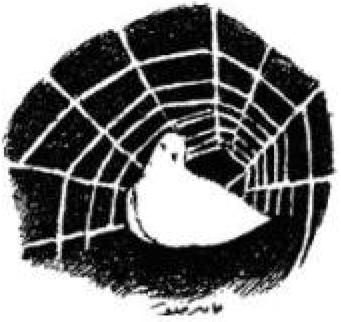
وهكذا تحدث ابن ابى الحديد ، وتكفينا الفقرة الأخيرة من عبارته ، فنحن نفهم منها أن الامام لم يكن عدوا عن البشاشة ، ولا بعيداً عن تفتح الروح

●●●

وهناك من صحابة الرسول من كان لهم باع فى الفكاهة والدعابة والمزاح أطول من غيرهم ، وفى طليعتهم من يستحق أن يسمى « مضحك الرسول» ان صح مثل هذا التعبير ، وهو الصحابى : النعيمان ـ أو نعيمان ـ ابن عمرو بن رفاعة الانصاري ، وهو فى شرعة الانصاف يستحق بسط المقال عنه فى هذا المجال •

ان نعيمان بن رفاعة لم يكن رجل دعابة ومزاح فحسب ، بل كان مجاهدا ، شهد العقبة الثانية ، وشهد غزوات بدر واحد والخندق والمشاهد كلها • ويقول عنه ابن عبد





البر في كتابه « الاستيعاب » :

« كان نعيمان رجلا صالحا على ما كان فيه من الدعابة » .

ومع ذلك يذكر النووي في كتابه « تهذيب الاسماء واللغات » أن نعيمان كان كثير المزاح ، يضحك النبي صلى الله عليه وسلم من مزاحه ، وله أنباء كثيرة في هذا المجال ، حتى قيل ان الرسول صلوات الله وسلامه عليه قال عنه : « يدخل الجنة وهو يضحك » !

ومن طرائف نعيمان انه كان اذا دخلت المدينة طرفة من طرائف الطعام او الفاكهة ، يشترى منها ، ويهدي ما يشتريه الى النبي قائلا : « هذا اهديته اليك » فاذا جاء البائع يطالب بالثمن ، ذهب نعيمان الى النبي وقال له : اعط هذا ثمن متاعه .

فيقول له النبي : او لم تهده لي يا نعيمان ؟

فيجيب : انه والله لم يكن عندي ثمنه ، ولقد احببت ان تاكله .

فيضحك النبي عليه الصلاة والسلام ويدفع .

يخيل الى هنا — والله أعلم بحقيقة الامر — ان النعيمان لم يكن يقصد مجرد الدعابة في مثل هذا المقام ، بل هو يجمع بين عدة أغراض بين تعبيره عن حبه للرسول ،واشفاقه عليه من زهده ، فهو يحتال لكى يطعم الرسول ما يطعم الناس ، وهو أخيرا يريد أن يدخل على قلب الرسول بالفكاهة والدعابة .

ومن فكاهات نعيمان :

جاء اعرابي الى لقاء النبي صلى الله عليه وسلم ، وأناخ الاعرابي ناقته بفناء الرسول ، ثم دخل للقائه، فجاء بعض الصحابة الى نعيمان يقولون له مشيرين الى ناقة الاعرابي: لو عقرتها (ذبحتها) فاكلناها فاننا قد قرمنا (أى اشتقنا) الى اللحم ؟

واستجاب نعيمان ، ففعل ما حرضوه عليه !!

وخرج الأعرابي فرأى ناقته مذبوحة فصاح : واعقراه يا محمد .

وخرج الرسول ورأى ما حدث فقال : من فعل هذا ؟

اجابوا : النعيمان .

فأخذ يبحث عنه حتى وجده مختبئا في دار ضباعة بنت الزبير .

فاخرجه النبي من مخبئه وساله :

— ما حملك على ما صنعت ؟ .

فاجابه : الذين دلوك يا رسول الله هم الذين امروني بذلك

فجعل النبي يمسح عن وجهه التراب وهو يضحك .

ثم غرم النبي ثمن الناقة لصاحبها !!

وتلك دعابة ربما لا يصبر لها ، او لا يصبر عليها كثير من الناس ، ولكن النعيمان كان على ثقة من رحابة صدر الرسول الاكرم صلى الله عليه وسلم .

***

ولقد تزداد دعابة النعيمان حدة :

كان مخرمة بن نوفل قد طعن في السن ، وزاد على المائة ، وكف بصره فقام في المسجد يريد أن يبول ، فصاح به الناس : المسجد المسجد . فأخذ النعيمان بيده ، وتنحى به قليلا

ثم اجلســـه فى ناحية اخرى من المسجد ، وقال له : بل ههنا ·

فصاح الناس بمخرمة مرة اخرى، فقال : ويحكم ، فمن اتى بى الى هذا الموضع · قالوا : نعيمان ·

فقال : اما ان لله على ان ظفرت به ان اضربه بعصاى هــذه ضربة تبلغ ما بلغت ·

وعلم بذلك نعيمان ، فمكث ماشاء الله ، ثم اقبل على مخرمة يوما فى المسجد وعثمان بن عفان قائم يصلى فى ناحية منه ، وقال لمخرمة : هل لك فى نعيمان ؟ · قال : نعم ، فاخذ بيده حتى بلغ به عثمان ، وقال له : دونك هذا نعيمان ، فرفع مخــرمة عصاه وضرب عثمان ، فصـــاح به الناس : ضربت امير المؤمنين ·

وغضبت لذلك قبيلة عثمان وهموا بنعيمـــان ، فنهاهم عنه عثمـــان ، وقال : انه شهد غزوة بدر · غفر الله لك يا نعيمان ، لقد ابت بك دعابتك يتعرض للاذى رجل مثـــل عثمان ، عفا الله عنك ·

ومن فكاهة نعيمـــان ودعابته انه كان يذهب الى النــــاس فى بعض الاماكن ، ويتقلبا لهم ويتكهن ضاحكا عليهم ، فيأتونه باللبن والطعـــام ، فيهدى منه الى اصحابه ، وممن اهدى اليهم ابو بكر رضى الله عنه ، ولـــا علم ابو بكر بذلك وقد اكل بعض ما اهداه نعيمان ، قال : اراني اكل من كهانة النعمان منذ اليوم · واحتاط ابو بكر لنفســـه ، فاستقاء ما فى بطنه ·

غفر الله لك يا نعيمان ، لقـــد دخلت بالالم على نفس الصديق رضى الله عنه ، فقد كان شديد التحـــرز والاحتياط فى مطعمه ، لا يأكل الا ما يتأكد من حله وطهارة مصدره ·

ولكن ماذا نملك معك يا نعيمان، وانت الذى اتيت ذات يوم بذنب ، فقال لك رجل من الصحابة : لعنك الله · فقـــال النبى صـــلى الله



الفكاهة عند الرسول والصحابة ..

عليه وسلم : لا تفعل ، فانه يحب الله ورسوله · عفا الله عنك ·

وقصة نعيمان مع صاحبه سويبط ابن حرملة مشــهورة ، وسويبط بن حرملة بن مالك القرشى هو احـــد الصحابة الفضلاء ، هاجر الى الحبشة وشهد غزوة بدر · ويروى ان نعيمان وســـويبط خرجا مع ابى بكر الى « بصرى » ، وكان سويبط يقوم على امر الزاد ، فجاءه نعيمان وقال له : اطعمنى ، فاجاب سويبط : حتى يجىء ابو بكر ·

فغضب نعيمان الضحـــاك المزاح ، وقال له : لاغيظنك ·

وذهب نعيمان الى اناس من التجار وقال لهم تشترون منى عبدا لى ·

قالوا : نعم ·

قال لهم : انه عبد كثير الكلام ، وهو سيقول لكم : لست بعبده ، انا ابن عمه ، فان كان اذا قال لكم هذا تركتموه ، فلا تشتروه ولا تفسدوا على عبدى ·

قالوا : بل نشتريه ولا ننظر الى قوله ·

فاشتروه منه بعشر من الابل ·ثم جاءوا لاخـــذه فامتنع منهم ، فلم يبالوا ووضعوا عمامة حول عنقـــه وشدوه بها ، فصرخ فيهم قائلا : انه يهزأ بكم ، انا حر ، ولست بعبد ·

فقالوا : قد عرفنـــا خبرك وكاد سويبط يضيع ·

وهنا اقبل ابو بكر وعلم بالخـــبر سارع باسترداد سويبط ·

ولما قدموا من سفرهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقصوا عليه ما حدث ، ضحك من ذلك حولا او اكثر ، كما يعبر ابن عبد البر في « الاستيعاب » .

وهذا الخبر يذكرنا بأن النبي عليه الصلاة والسلام دخل السوق مرة فرأى رجلامن صحابته اسمه زهير فأقبل عليه من خلفه واحتضنه ، وقال مداعبا : من يشترى العبد ؟

فقال زهير : اذن تجدني كاسدا يا رسول الله .

فقال النبي : لكنك عند الله لست بكاسد .

ولم تبعد الدعابة هنا عن الحق والصدق ، فان زهيرا كان احد عباد الله عز وجل .

رحم الله نعيمان بن عمرو الذى يقول عنه الامام ابن عبد البر : « كان من قدماء الصحابة وكبرائهم ، وكانت فيه دعابة زائدة ، وله اخبار طريفة في دعابته » .

***

وهذا صحابي جليل آخر يحسن الجمع بين الدين والعلم والفقه والفكاهة .

انه زيد بن ثابت بن الضحاك الذى شهد الغزوات ، وكانت معه راية بنى النجار في غزوة تبوك وكانت اولا مع عمارة بن حزم فأخذها منه الرسول واعطاها لزيد حافظ القرآن ، فقال عمارة : أبلغك عني شيء يا رسول الله ؟

قال النبي : لا ، ولكن القرآن مقدم .

وكتب زيد الوحى لرسول الله عليه الصلاة والسلام ، وكان من علماء الصحابة ، وروى عنه جماعة من الصحابة والتابعين ، وهو الذى جمع القرآن في عهد أبي بكر ، وقال له ابو بكر : « انك شاب عاقل لا نتهمك » وهو الذى قال له النبي : « تعلم كتاب يهود ، فاني ما آمنهم على كتابي » .

ويروى أن ابن عباس رأى زيدا يركب دابة فأمسك بركابه ، فقال له زيد : تنح يا ابن عم رسول الله .

فقال له : لا ، هكذا نفعل بالعلماء والكبراء .

ويروى أن زيد بن ثابت كان بالمدينة رأسا في القضاء والفتوى والقراءة والفرائض ، ولا عجب فقد قال فيه الرسول : « افرضكم زيد » اى أعلمكم بالفرائض يعني علم المواريث .

ووصفوه بأنه كان من الراسخين في العلم . وحين توفي سنة خمس

الفكاهة عند الرسول والصحابة :



وأربعين — على الراجح — قال أبو هريرة رضى الله عنه : « اليوم مات حبر هذه الامة » ·

زيد صاحب هذا التاريخ وهذه المكانة ، يقول عنه ابن ابى الحديد فى « شرح نهج البلاغة » : « وكان زيد بن ثابت من أفكه الناس فى بيته وأرفثهم » · والرفث هو ما انطلق من كلام المداعبة والمزاح ·

وكان يحسن الجمع بين الجد والفكاهة ، حتى يقول عنه ثابت بن عبيد : « ما رأيت رجلا أفكه فى بيته، ولا أوقر فى مجلسه من زيد بن ثابت»

***

والذى يجب علينا ان نلحظه وأن نؤكده وأن نعتبر به هو أن الفكاهة عند هؤلاء الاعلام لم تكن تدفعهم الى ارتكاب حرام أو اتيان اثام ، وهذا على سبيل المثال هو الصحابى خوات ابن جبير بن النعمان الانصارى ، أحد فرسان رسول الله عليه الصلاة والسلام ، والذى شهد غزوة بدر والغزوات من ورائها ، كان مع الرسول فى مكان يسمى «مرالظهران» على مرحلة من مكة ، وخرج من خيمته فرأى نسوة يتحدثن فأعجبنه ، فرجع الى خيمته ولبس حلة جميلة ، وجاء فجلس مع النسوة ·

وبعد قليل خرج الرسول من خيمته فلما رآه خوات هابه وخافه ، وقال للنبى كأنه يعتذر : يا رسول الله ، جمل لى شرد فأنا أبتغى له قيدا · أى ان النسوة يصنعن له هذا القيد· وهذا سبب جلوسه اليهن ·

وأعرض عنه الرسول ومضى ، وبعد حين لقى خواتا ، فقال له مداعبا : يا أبا عبد الله ، ما فعل ذلك الجمل؟

وفى مرة أخرى قال له : ما فعل شراد ذلك الجمل ؟

وبعد حين كان خوات يصلى فى المسجد ، فدخل النبى فصلى ، وتعمد خوات أن يطيل صلاته ، رجاء أن ينصرف الرسول ، فقال الرسول : يا أبا عبد الله ، طول ما شئت أن تطول ، فلست بمنصرف حتى تنصرف فقال خوات فى نفسه : : والله لأعتذرن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولأبرئن صدره ·

فلما اتم صلاته قال له النبى مداعبا : السلام عليك ابا عبد الله، ما فعل شراد ذلك الجمل ؟

فقال خوات : والذى بعثك بالحق ما شرد ذلك الجمل منذ اسلمت !!

فقال له النبى : يرحمك الله · وكررها ثلاث مرات · ولم يعد الى هذا الموضوع بعد ذلك ·

ويعنى بقوله « ما شرد ذلك الجمل منذ أسلمت » انه مستقيم على الصراط لم ينحرف ·

***

حيا الله أولئك الرجال !

أما بعد ، فهذا جانب من الحديث عن الفكاهة والدعابة فى مجتمع الرسول والصحابة ، وهو حديث مقصور على مرحلة زمنية محدودة بحدودها ، ومع ذلك لم يستقص ولم يستوعب ، فكيف لو دار الحديث عن الفكاهة والدعابة فى تاريخ الاسلام والمسلمين · انه لطويل طويل ·

د. سيد نوفل

عن الفكاهة في الأدب العربي القديم

كانت الفكاهة ، ولا تزال ، من أعرق الفنون التي يضمها علم العرب ، كما كان يسمى في صدر الاسلام، أو الادب كما أخذ يسمى منذ القرن الثاني الهجري . وفي القرن الثالث صارت الآداب تطلق على فنون المنادمة وما تفيض به من الفكاهة والظرف وأسباب الطرب . وقد ألف « كشاجم » الشاعر العاطفي الرقيق وطباخ سيف الدولة بن حمدان كتابه « أدب النديم » ، وأودعه كما قال ، مالا يستغني عنه شريف ، ولا يجوز أن يخل به ظريف ، . كما أن هنالك طائفة اخرى من مشاهير العلماء ، في فجر الاسلام وضحاه ، قد ألفوا في هذا الباب . ومنهم الخطيب البغدادي في كتابه « التطفيل » ، والحصري القيرواني ، صاحب زهر الآداب ، في كتابه : «جمع الجواهر في الملح والنوادر» وعبد الملك الثعالبي صاحب اليتيمة في كتابه : « غرر النوادر ، ومن غاب عنه المطرب » ، وأبو سعيد السلامي في كتابه : « نتف الظرف » ، والمرزباني صاحب الموشح في كتابه : « المستطرف » ، ثم الحافظ العلامة ابن الجوزي في كتابه : «أخبار الظراف والمتماجنين»

والحق أن هذه الكتب لا تخلو ، الى جانب الفكاهة، من الفوائد العلمية والادبية ، بل انها تمثل سجلا صادقا لتاريخنا السياسي والاجتماعي ..

عن الفكاهة في
الأدب العربي القديم

علماء اللغة والاخبار يربطون بين الفكاهة والظرف ويوسعون فى معناهما حتى يشمل جمال المظهر والمخبر ، وروعة البيان ولطف الخصال ..

ومن هذا قول ابن الجوزى :

« رد الظرف يكون فى صباحة الوجه ورشاقة القد ، ونظافة الجسم والثوب، وبلاغة اللسان وعذوبة المنطق ، وطيب الرائحة .. ويكون فى خفة الحركة، وقوة الذهن وملاحة الفكاهة والمزاح .. ويكون فى الكرم والجود والعفو وغير ذلك من الخصال اللطيفة .

وكأن الظريف مأخوذ من الظرف الذى هو الوعاء ، فكأنه وعاء لكل لطيف . وقد يقال ظريف لن حصل فيه بعض هذه الخصال .

وقال الحسن البصرى « اذا كان اللص ظريفا لم يقطع » . وهو يقصد بذلك أن اللص الظريف له من براعة البيان والقدرة على المنطق مايستطيع به اقناع القاضي حتى يسقط عنه حد قطع اليد . وقال الاصمعي : « الظرف جودة الكلام وبلاغته » .

وقال الكسائي : « الظريف الحسن الوجه واللسان » .

على أن العرب ينفرون من الاسراف فى المزح ، ويرون ان يكون بقدر ما يجدد الهمة ويزكى النشاط ، ولهذا قالوا : « الافراط فى المزاح مجون ، والاقتصاد فيه ظرف ، والتقصير فيه ندم . »

***

والكاتبون فى الفكاهة والظرف يعودون بها الى أقدم العصور . وذلك طبيعي . فالضحك من خصائص الانسان دون سائر الحيوان . وقد عرف أهل المنطق القدامى الانسان بأنه حيوان ضاحك مثلما عرفوه بانه حيوان ناطق .. »

ولهذا لم يكن عجيبا أن تنسب روايات الفكاهة والظرف الى شعراء اللاتين واليونان وان يروى عن « تراس » و « ميانذر » الكثير من الروايات المضحكات ..

ولم يكن عجبا كذلك ان تنسب الى الانبياء ، عليهم الصلاة والسلام، روايات كثيرة فيها ظرف وفكاهة . ومن ذلك ماروى من « أن الهدهد جاء الى سليمان ، عليه السلام ، فقال : اريد ان تكون فى ضيافتى . فقال سليمان : انا وحدى ؟ فقال : لا بل أنت والعسكر ، فى يوم كذا على جزيرة كذا .. فلما كان ذلك اليوم جاء سليمان وعسكره الى الجزيرة . فطار الهدهد فصاد جرادة فخنقها ورمى بها الى البحر ، وقال : كلوا فمن لم ينل من اللحم نال من المرق!

فضحك سليمان من ذلك وجنوده حولا كاملا ..

بل روى عن سليمان انه كان يستخدم الحيلة ، وما تدل عليه من روح الفكاهة ، فى الوصول الى الحقيقة .. فقيل ان رجلا سطا عليه اللصوص وسرقوا أوزه ، ذهب الى سليمان يشكو اليه ويطلب عونه .



فنادى رسول الله : الصلاة جامعة ! ثم خطب الناس ، وجاء فى خطبته « واحـــدكم يسرق أوزة جاره ، ثم يدخل المسجد والريش على رأسه ! » فمسح رجل رأسه ، فقال سليمان : « خذوه فانه السارق » .. وانتجت حيلته !

● شعر التهكم والهزل ●

وقد حفل الشعر العربى منذ القدم بشعر التهكم والهزل . وما الهجاء سوى أحد فنون هذا الشعر اذ يقوم على التندر بالمهجو والتهكم منه ..

ومن هجاء أحد الشعراء لبنى تميم وتعييرهم بأكل الضب الذى يدل على الفقر والمسغبة ، ولا يتلاءم مع ما يدعون من مفاخر الحياة :

اذا ما تميمى اتاك مفاخـــرا
فقل: عد عن ذا ، كيف اكلك للضب؟

والمكعبر الضبى يقذع فى السخرية من بنى العنبر الذين لا يغيثون قومه حين يستغيثون بهم فى مواجهـــة المغيـــرين عليهم — ويقول ان من يرجوهم مع انهم لا يســارعون الى نجدة ، كمن يرجو الغوث من الاجنة فى بطون امهاتها :

واني لارجوكم على بطء سعيكم
كما فى بطون الحاملات رجاء.

ونروى من أشـــعار التهكم والهزل الكثير . وقد فرق مؤرخو الادب بين الاثنين فقـــالوا : ان التهكم ظاهره مزح وباطنه جد ، وان الهزل ظاهره جد وباطنة هزل .. وقد ورد منه فى القرآن الكريم قوله تعالى : « بشر المنافقين بأن لهم عـــذابا اليما » ، فالبشرى تكون بالنعيم وليس بالعذاب وقوله تعالى : « للمعذبين فى النار ممن كانوا يدعون فى الحياة العزة والكرامة : « ذق انك انت العـــزيز الكريم » .

وحين أصبح الخلفـــاء والامراء يعيشون فى ترف ، وقد تنوء كواهلهم بالمسئوليات والمتاعب ، شعروا بأنهم فى حاجة الى من يضـــحكهم ويسرى عنهم . ولهذا كثر الادباء ، شعراء وغير شـــعراء ، الذين يتوفرون على اضـــحاك أولى الامر بالفكاهات والنوادر . ومن هؤلاء أشعب الطماع ، وأبو دلامة الشاعر ، وأبو الحســـين الخليع ، وأبو العيناء ، وأبو العبر

وعرفت فى العصور الاســــلامية الاولى طائفة من أصحاب الفكاهة ، يقلدون لهجـــــات الاقطار العربية المختلفة تقليدا دقيقا ، ويوردون فى هذا المجال ألوان الاضحاك ، كمــا عرفت جماعة تقلد أصوات البهائم والطيور والدواب ، وروى الجاحظ عن هؤلاء الاقاصيص . وقـــال فى البيان والتبيين ان من اشهرهم اباريوبة الزنجى ، الذى كان يقف بباب الكرخ

بين المكارين ، فينهق ، فلا يبقى حمار مريض ولا متعب ولا هرم الا نهق من بعده !

ويروى الجاحظ بعض القصائد لشعراء الهزل ، الذين توفروا على تصوير حالة الضعف والبؤس والفقر ، وانتقدوا الحظوظ والاقسام ، كما فعل ابو الشمقمق فى ذكر فقره وفقر اهل بيته ، وبؤس ساكنيه من الفيران ومصيبة سنوره الذى اوقعه نكد الطالع فى هذا البيت .

ويروى الثعالبى فى يتيمة الدهر ان ابا محمد بنزريق الكوفى ، وكان كاتبا شاعرا ، من عجائب الدنيا فى الفكاهة والمحاكاة . وكان متوفرا على مجلس الوزير المهلبى .. وكان يحكى شمائل الناس ونوادرهم ويقلد السنتهم ، فيعجب الناظر والسامع ويضحك الثكلان .

وكان فى القرن الرابع الهجرى للشعر الهزلى مجتمع وشعراء متخصصون ، وكانت لهم زعامة . ويروى ان رأسهم هو ابن الحجاج البغدادى الذى كان يعتبر صاحب مذهب واصالة على مثال امرىء القيس فى الشعر العام .

ومن ادباء الفكاهة المعروفين فى مصر ، للقرن السادس الهجرى ، ابو عبد الله محمد الوهرانى الكاتب فقد دخل البلاد المصرية ، كما يقولون فى زمن صلاح الدين ، وتفوق على القاضى الفاضل وعماد الدين الاصبهانى برسائله الهزلية ومقاماته التى تفيض بلاغة وظرفا ..

ومن شعراء الفكاهة من التزموا الهزل فى الهجاء ، وجعلوه مليئا بالملح والنوادر . ومنهم ابن سكرة ومعاصره ابن حجاج اللذان قيل فيهما ان زمانا جاد بابن سكرة وابن حجاج لسخى جدا .

لكن ابن سكرة انفرد بهجائه الهزلى لقينة له سوداء تدعى « خمرة » ، حيث يروى الثعالبى انه نظم فى هجائها عشرة الاف بيت !

● عند عرب البادية ●

ومما استفاضت فيه روايات الادب الفكاهى ، ما جاء عن عرب البادية .. ومن ذلك ما رواه الاصمعى اذ قال : كان اعرابيان متواخيين بالبادية ، فاستوطن احدهما الحضر ، وتردد على مجلس الحجاج حتى أعجب به وعينه عاملا على اصبهان .

وسمع اخوه بالبادية بذلك ، فشد رحاله الى اصبهان ، وقصد الى بيت العامل اخيه ، واقام ببابه حينا حتى اذن له بدخوله .. فقاده الحاجب الى مجلس العامل وقال له : سلم على الامير ، فلم يلتفت الى قوله وانما نظر الى اخيه (زيد) قائلا :

ولست مسلما ما دمت حيا
على زيد بتسليم الامير !

فقال الامير : لا ابالى ! فقال الاعرابى :

اتذكر اذ لحافك جلد كبش
واذ نعلاك من جلد البعير !

فقال نعم ! فقال الاعرابى :

فسبحان الذى اعطاك ملكا
وعلمك الجلوس على السرير !

وفى سبيل الطرف والفكاهة ، كان الاعرابى لا يحفل بالمال والكسب المادي .. ومن ذلك ما رواه ابن

الجوزي عن ابراهيم بن عمر قال : خرج ابو نواس في الايام العشرة قبل عيد الاضحى ، يريد شراء اضحية. فلما بلغ السوق اذا هو باعرابي

قد ادخل شاة له يقدمها كبش فاره ، فظن ابو نواس ان الاعرابي ظريف ذو فكاهة ، وقال لاجربنه لارى صنيعه فقال ابو نواس :

ايا صاحب الشاة التي قد تسوقها
بكم ذا كم الكبش الذى قد تقدما ؟

فقال الاعرابي :

ابيعكه ان كنت ممن يريده
ولم تك مزاحا بعشرين درهما

فقال أبو نواس :

اجدت رعاك الله رد جوابنا
فاحسن الينا ان اردت التكرما!

فقال الاعرابي :

احط من العشرين خمسا فانني
اراك ظريفا فاقبضنه مسلما !

ويختم الراوي الرواية قائلا : « فدفع اليه خمسة عشر درهما واخذ كبشا يساوي ثلاثين درهما ! »

وكان الظرف نجاة لصاحبه من المهالك قال الشعبي ، قال عمرو بن

معد يكرب : خرجت يوما حتى انتهيت الى حي ، فاذا بفرس مشدودة

ورمح مركوز ، واذا صاحبه الاعرابي جالس في منخفض وقد حق عليه

القتل ... فقلت له : خذ حذرك فاني قاتلك ؟ قال : يا أبا ثور ، ماانصفتني!

أنت على ظهر فرسك وانا في بئر . فاعطني عهد انك لا تقتلني حتى اركب فرسي واخذ حذري .. فاعطيته

عهدا انى لا اقتله حتى يركب فرسه ويأخذ حذره . فخرج من الموضع الذى كان فيه ، ثم جلس على الأرض

بسيفه ... فقلت له : ما هذا ؟! لم لا تركب فرسك ، وتأخذ حذرك حتى اقتلك ؟! قال الاعرابي ما انا براكب فرسي ولا مقاتلك ، فان نكثت عهدا فانت أعلم بمن ينكث العهد ! فتركته ومضيت ، وكان أحيل اعرابي رأيته!

ويروى أن حاجب بن زرارة ذهب الى قصر كسرى واستأذن في الدخول عليه .. فقال له حاجب القصر : من انت ؟ فقال : رجل من العرب .. فاذن له ... فلما وقف بين يدى

كسرى ساله : من أنت ؟ فقال : سيد العرب : فقال الم تقل للحاجب انك رجل منهم ؟! فقال ابن زرارة :

وقفت بباب الملك وانا رجل منهم فلما وصلت اليه سدتهم ... فأعجب كسرى بظرفه وذكائه وحشا فمه درا !

وقال مهدى بن سابق : اقبل اعرابي يريد رجلا وكان بين يدى الرجل طبق فيه تين فاخفاه تحت كسائه ، وهو يظن خطأ ان الاعرابي لا يراه ...

وجلس الاعرابي ، فقال لهالرجل : هل تحسن من القرآن شيئا ؟ قال نعم ! قال : فاقرأ ، فقرأ الاعرابي : «والزيتون وطور سينين» فقال الرجل:

فأين التين ؟! ــ يريد أنه حرف قول الله تعالى : والتين والزيتون وطور سينين » ــ فقال الاعرابي : التين تحت كسائك !

ومهما يكن من امر ، فان حديث الفكاهة والذكاء عن اهل البادية العربية مستفيض ... ولعل رواة

الادب العربي القدامىقد عنوا به دفاعا عن مكانة العربي وان كان بدويا ، ودلالة على انه يرتفع الى مصاف

أرقى الناس فكرا وأترفهم عيشا ، وان كان من اهل الخشونة في العيش

والحياة الفقيرة المتواضعة .. وقد كان لذلك دواعيه في عصر الحركة الشعوبية محاولات الاعاجم الانتقاص من اقدار العرب ..

من اعلام الفكاهة العربية

واعلام الفكاهة في الادب العربي القديم كثيرون ، كما اوردنا من قبل ... ولعل بشار بن برد وأبا العيناء، من شعراء العصر العباسي الاول ، يأتيان من بين المقدمين من هؤلاء الاعلام .

وكانت اهاجي بشار الساخرة لاعلام عصره سائرة ترددها الالسن ،ويعجب بها الادباء ، وتجر عليه مع ذلك اشق العناء .

فبسبب الهجاء الساخر ، جافاه واصل بن عطاء ، وحرض على قتله ومن هجاء بشار اللاذع لعمرو بن العلاء الراوية الشهير قوله :

اذا بحثت عن نسب عمرو فابحثه برفق لانه سريع الانكسار كالزجاج لضعفه . لقد اخذ الحداد يردده في كيره ليختبر حقيقة معدنه فظهر له غموضه وزيفه . واذا جازت الدنانير في بخارى ، وهي لا تتعامل الا بالدراهم ــ لجازت نسبة اباء عمرو السفلة الى مضر :

ارفق بعمرو اذ حركت نسبته
فانه عربي من قوارير
مازال في كير حداد يردده
حتى بدا عربيا مظلم النور
ان جاز اباؤه الانذال في مضر
جازت فلوس بخارى في الدنانير

وقال في مثل ذلك :

ان عمرا فاعرفوه
عربي من زجاج
مظلم النسبة لا
يعرف الا بالسراج

لكن روح السخرية وبراعة الفكاهة عند بشار قربته من الخليفة ، وجعلته يعجب به اشد الاعجاب ، ويتغاضى في سبيل ذلك عن مساءته الى اقرب الناس منه ، بل يضحك واياه منهم ... والاخبار في ذلك متواترة ، ومنها ان المعلى بن طريف مولى المهدي واقرب الناس منه سأل الحاضرين في دار المهدي من العلماء والشعراء عن المقصود بالنحل والشراب في قول الله تعالى : «وأوحى ربك الى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر » وقوله « يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه فيه شفاء للناس » . فقال بشار : النحل والشراب هما اللذان يعرفهما الناس .. فقال المعلى : هيهات ، يا ابا معاذ! النحل بنو هاشم والشراب هو علمهم ... فقال له بشار : اراني الله طعامك وشرابك وشفاءك فيما يخرج من بطون بني هاشم ، فقد اوسعتنا غثاثة وقذارة ... فغضب المعلى وشتم بشارا ، وظن انه نال منه مقتلا عند الخليفة ... وبلغ الخبر المهدي ، فدعاهما وحدثه بشار به فضحك الخليفة حتى امسك ببطنه ، وسخر من المعلى ، وقال له .« اجل فجعل الله طعامك وشرابك مما يخرج من بطون بني هاشم ، فانك بارد غث » .

وفكاهة أبى العيناء هى التى أهلته الى التقرب من الخلفاء والولاة ، واعزازهم له واغداقهم عليه .. وأخباره الكثيرة حافلة بهذه الدلالات .. وقد بلغه أن المتوكل قال :

ـ لولا أن أباالعيناء ضريرلنادمناه! فقال أبو العيناء : ان أعفانى من رؤية الأهلة ، وقراءة نقش الفصوص صلحت للمنادمة ، فازداد اعجاب المتوكل بحسن جوابه ...

وأهداه بعض الوزراء دابة، وانتظر أبو العيناء منه علفها ولكن الوزير أبطأ عليه ... فقال له أبو العيناء :

« ايها الوزير ! حملتنى على الدابة او حملت الدابة على ؟ ! »

وقال له المتوكل : ان سعيد بن عبد الملك يضحك منك ! فقال أبو العيناء : « ان الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون » وقالَ له ابن مكرم يوما : مذهبى الجمع بين الصلاتين .. فقالَ له أبو العيناء :

ـ تجمع بينهما بالترك (١) !

وقالت له قينة : هبنى خاتمك اتذكرك به ! فقال لها : أتذكرى انك طلبته منى ومنعتك !

وقال ابو العيناء ساخرا من الوزير أسد بن جوهر :

تعس الزمان لقد اتى بعجاب
ومحا رسوم الظرف والآداب

واتى بكتاب لو انبسطت يدى
فيهم رددتهم الى الكتاب (٢)

جيل من الانعام الا انهم
من بينها خلقوا بلا اذناب

وقال فى الوزير احمد بن الخطيب :

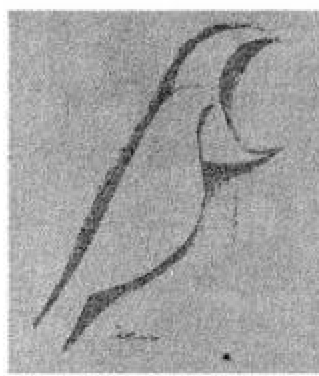
قل للخليفة يا ابن عم محمد
اشكل وزيرك انه ركال (٣)

قد نال من اعراضنا بلسانه
ولرجاله بين الصدور مجال

امنعه من ركل الرجال وان ترد
مالا فعند وزيرك الاموال !

● الفكاهة عند الجاحظ ●

واذا كان علم الجاحظ فى قمة العلم العربى لعصره الذهبى الأول ، فان فن الجاحظ الفكاهى يعتبر قمة الفن العربى البيانى لذلك العصر ، بل لكل عصر ... ولا عجب فى ذلك فالعلم والفن اخوان متلازمان ، والجمال هو رداء الحقيقة وبهاؤها .



(١) أى بعد الصلاة .
(٢) الكتاب الاولى جمع كاتب أى وزير ، والكتاب الثانية موضع تعليم الصبية .
(٣) شبه الوزير بالحمار وطلب من الخليفة أن يقيده حتى لا يرفس الناس

عن الفكاهة في الأدب العربي القديم

والجاحظ في الفكاهة يستهدف الضحك والاضحاك ، ويرى فيهما خير ما في الحياة ، ومصدر القوة والبهاء للاحياء ، ويقول في هذا كثيرا من مثل قوله :

« وهو شيء في اصل الطباع وفي اساس التركيب ... لان الضحك أول خير يظهر من الصبي ، وعليه ينبت شحمه ، ويكثر دمه الذي هو علة سروره ، ومادة قوته »

وبعد استفاضة وحديث عن القصد المسلك والاعتدال في الجد والمزح ، يقول : « ومتى أريد بالمزح النفع ، وبالضحك الشيء الذي جعل له الضحك ، صار المزح جدا والضحك وقارا » .

ولذلك تشيع الفكاهة ، واسباب المسرة في كتاباته ، ويرى ذلك امرا ضروريا لتنشيط الذهن وادخال السرور على القلب ، وتزويد النفس بطاقة خلاقة في مجالي العلم والعمل ..

ولهذا يقدم كتابه البخلاء الذي جمع أروع نوادر الاشحاء وحكاياتهم التي يحتجون بها للبخل والاقتصاد ، ويورد من المعلومات الكثير ... فيقول :

« ولك في هذا الكتاب ثلاثة اشياء : تبين حجة طريفة ، او تعرف حيلة لطيفة ، او استفادة نادرة عجيبة ، وانت في ضحك منه اذا شئت ، وفي لهو اذا مللت الجد » ..

والى جانب فن الجاحظ الفكاهي ، الذي يتحرى الفائدة مع الاضحاك والمسرة ، فان له فنا فكاهيا اخر هو التهكم .. ويربط بعض الباحثين بين فن الجاحظ في هذا المجال وفن سقراط الجدلي ، الرامي الى مناقشة خصمه على اساس من توجيه اسئلة كثيرة ، يفقد فيها المسئول جميع الحجج ، ويبدو من بعدها تناقضه ..

فهو يسخر من اقوال ابي سيف المرور الذي يدعي الفلسفة مع تهافته ...

كما يسخر من المكي الذي يدعي البصر بكل شيء ، وهو لا يدري شيئا ، ويروى عنه الكثير . وكذلك يسخر من الملل والنحل القديمة ، ومن احالات المفسرين والرواة والعلماء ، ومن كل رأي او قول ، لا تستقيم له حجة ، ولا يدعمه منطق علمي سليم



ومن أروع ماكتب الجاحظ فى هذا المقام ـ وكتاباته رائعة كلها ـ رسالة التربيع والتدوير التى سخر فيها من الوزير أحمد بن عبد الوهاب ، ونعته ووصفه بالعرض والضخامة أى التربيع والتدوير .

وقد أقام الجاحظ سخريته على أساليب فنية محكمة .. يخرج فى السخرية من موضوع الى موضوع ، ويقلب الوزير على جميع الجوانب ، ويمزقه تمزيقا دون أن يحس القارىء بغير الاعجاب بالاديب ، والاندماج فى روعة بيانه وجمال تصويره ..

واعتمد الجاحظ على المتناقضات فى السخرية من منظر الوزير ومخبره ، مثل قوله :

« ومن غريب ما أعطيت وبديع ما أوتيت انا لم نر مقدودا واسع البطن غيرك ، ولا رشيقا مستفيض الخاصرة سواك ... فأنت المديد وأنت البسيط وأنت الطويل وأنت القصير .. فيا شعرا جمع الاعاريض ، ويا شخصا جمع الاستدارة والطول !! » .

وكذلك يرفع الوزير الى أعلى عليين تهكما ، ثم ينزل به الى الدرك الاسفل مبالغة فى الاقتراع والسخرية ... ويقول مخاطبا لابن عبد الوهاب :

« وأنا أبقاك الله أعشق انصافك ، كما تعشق المرأة الحسناء ، وأتعلم خضوعك للحق كما أتعلم الفقه فى الدين ... » ويطنب فى ذلك أى اطناب ثم ينتقل الى العلم والحكمة ، فيسأله ساخرا :

« فخبرنى ما جرى بينك وبين هرمس فى طبيعة الفلك ، وعن سماعك من افلاطون ، وما دار بينك وبين أرسطاليس .. وأى نوع اعتقدت ، وأى شىء اخترت !؟ فقد أبت نفسى غيرك .. ولولا أنى كلفت برواية الاقاويل ومغرم بمعرفة الاختلاف ، لما سمعت من أحد سواك ، وما انقطعت الى أحد غيرك !! » .

***

وبعد ، فقد تهكم الجاحظ من الحياة والاحياء . وصاغ تهكمه على أساس من العلم الراسخ ، والفلسفة العميقة ، والفن الباهر ... بل انه قد تهكم من الحياة كلها ، بصغارها وكبارها ، وعلمائها وادعيائها ، بل سخر مما يسمى بالعظمة وجعله هباء منثوراً .

لكنه فى سخريته يبصر بالحياة . ويدفع الى التواضع والعمل ، ويرتفع على جميع الصغائر .

وفى هذا بز فولتير وموليير ، وغيرهما من كتاب أوروبا الساخرين فى القرنين السابع والثامن عشر وما تلاهما ، بعد الجاحظ بألف عام أو أكثر ..

وهكذا خلد الفكر العربى الانسانى على الزمان .



فوزى عطوى

الفكاهة فى الأدب اللبنانى

الخطوط العريضة لابعاد الفكاهة فى الادب اللبنانى توضح ان اللبنانيين فى بعض عهودهم، لم يكونوا من الترف ورقة العيش بحيث يقولون الفكاهة لاجل الفكاهة، وانما كانوا يعمدون الى العبارات الطريفة او الفطنة او المضحكة لغايات وطنية معروفة ، وبدوافع اجتماعية سياسية مرحلية لم يكن فى وسعهم التعرض لها تعرضا مباشرا ، لانهم لايأمنون ان يبقوا فى منأى عن السجن والوان العسف والاضطهاد.

واذن ، فقد كانت اولى مظاهر الفكاهة فى الادب اللبنانى تلك السخرية المـرة التى تمثلت فى الصور الغريبة العجيبة التى يطلقها شعراء لبنان وادباؤه ، او فى تلك الالفاظ العامية الواضحة المقصد ، والمنطوية على تعريض وتنـديد لا يفهمهما الا من دخلوا التجربة ، ومروا فى المعاناة القاسية .

اذا كانت الهجرة اللبنانية التى اشتدت فى اواخر القرن التاسع عشر واوائل القـرن العشرين الى امريكا وافريقيا ، هى التعبير الحقيقى عن مدى ما عاناه اللبنانيون من قحط وعوز ، ومدى مابلوه من الظلم المزدوج : ظلم الاجنبى المحتـل الذى يوازيه بل يفوقه ظلم الاقطاعى المتحكم ، حتى ضـاقت فى وجوههم السبل ، ووجـدوا ركوب متون البحار منأى لهم من الاذى ، ووسيلة للحصول على لقمة العيش ، بل وطن الثراء والغنى لهم فى المغتربات ، ولعيالهم فى الاوطان ـ فان الشعر الذى اطلقه اللبنانيون فيما وراء البحار ، واقاموا به اندلسا عربية جـديدة ، يحمل الكثير من الاحساس القومى ، وتداخله ضروب من السخرية التى يمكن ادراجها فى عداد الفكاهة الادبية ، بمعناها الشامل .

فهذا الشاعر القروى رشيد سليم الخورى يعرض بفرنسا التى الت العرب بما شنته عليهم من غارات تأديبية ، وبمابذرته ـ شأنها شأن الاتراك ـ من بذور الشقاق بين الطوائف اللبنانية ، فيقول ساخرا بلقب « الام الحنـون » الذى

أطلقه اللبنانيون على فرنسا :

حدث عن « الام الحنون » فانهـــا
الضيغم العـــربي ليس تذلــه
لا تبدلوا أســـدا بديك ، انه
ما في أوروبة دولة مأمـــونة
وليحي كل مدافع عن قومـــــه

كالهز تلك بالبنين والفـــرس
من أعبد الستـــكال ألف أطلس
ان كان بخســـا فلذلك أنجس
الكل أعداء الشام فكأنســـوا
وبلاده ، وليســـقط المتفرنس

ولقد يطول بنا حديث الفكاهة الساخرة ، من خلال الشعر اللبناني الذى تناول القضايا الوطنية والقومية عامة ،لولا حرصنا على الا يخرج هذا البحث عن الاطار المرسوم له ، من حيث ابراز الفكاهة فى الادب اللبناني ، كوسيلة من وسائل الاضحاك ، وكظاهـــرة من ظواهر الجدة والطرافة والملاحة •

ومن ابرز الكتاب اللبنانيين اتباعا لاسلوب الفكاهة ، سواء فيما الفه من القصص الطويلة أو القصيرة ، او فيما دبجه من مقالات فى النقـــد الادبى والاجتماعى ، مارون عبود الذى قضى شطرا طويلا من عمـــره فى التدريس والتأليف، وفى رفض الظاهرة التعصبية الدينية التى كانت شائعة فى لبنان ، حتى انه سمى ابنه البكر « محمدا » تكريسا منه لقاعدة التسامح والتعايش، وسخرية منه بالتعصب والمتعصبين

وانك لا تكاد تقع على قطعة كتبهـا مارون عبود ، دون أن تطالعــك من خلالها روحه الساخرة المولعة بالأدب الفكاهى ، وهذا هو الطابع الذى جعل أدبه محببا ، فضلا عن كونه جمع كل مظاهر القرية اللبنانية وعاداتها فيما أنتجه من مقالات وأقاصيص •

وحسبك هذا النموذج من كتابته فى نقد بعض مستهلى الشعر والادب لتدرك روح الدعابة الساخرة التى تشيع فى مؤلفاته • يقول عن « محموم الادب » :

« صاحبنا مبتلى بملاريا الادب ، ومتى نفضته البرداء يشتد هذيانه فيه • يأنس بأشياء من العلم الحديث ، فيخيل اليه انه وجد حجر الفلاسفة • ان أرى معازا أو بقارا او فلاحا ابتسم له وحياه تحية صب مشتاق ، حتى اذا استأنس به ، انهال عليه بأسواط منظـــومة ومنثورة ، ويطمع فى أن تعم شهرته


عبد الله البستاني : أستاذ في الحسكة


نجيب حنكش : براعة لا تضاهى في إلقاء النكات

الفكاهة في الأدب اللبناني



اسعد رستم : نشر شعره في «البرق» اللبنانية

جميع الطبقات ، فأعار الارض اهتمامه اقتداء بفرجيل ، ثم وصف المعارك كهوميروس ، ليسد برأس قلمه ثغرة في جدار الادب العربي ·

« تقرأ على مسامعه قصيدة لاعظم شاعر ، فيفتر عن اسنان مصفرة ، ولثة مزرقة ، ويقول بكل وقاحة « منو (من هو) المتنبي ؟ ومنو شكسبير ؟ اليسا بشرا مثلنا ؟ » · ثم يفتح كشكوله ، ويخرج منه الافاعي رقطاء ورقشاء ، يونها حيات ادهى الحواة ، فتسمع وانفك راغم ، وان تتامبت حدجك بعين زرقاء لو رآها ابن الرومي للزم بيته شهرا كاملا » ·

ومثل هذا النقد الادبي الساخر منبث ايضا في انتاج كثيرين من الكتاب اللبنانيين المشاهير ، مثل احمد فارس الشدياق ، وسعيد تقي الدين ، وامين الريحاني ، وميخائيل نعيمة ، ورئيف خوري ، والمعلم بطرس البستاني وسواهم ممن أدركوا ان روح التفكهة ، حتى في ادق المواضيع واخطرها ، هي اقرب سبيل الى بلوغ القلوب والافهام ، بعيدا عن الاملال والسرد المسئم ·

على أن بعض الكتاب اللبنانيين جمع الى أصالة الشعر عراقة النثر واصالته وفي طليعة هؤلاء الشاعر الملحمي الاستاذ بولس سلامة الذي يعتبر شعره ونثره فرسي رهان ··

وبولس سلامة الذي تداولته مشارط الجراحين في أربع وعشرين عملية جراحية ، لا ينسى الفكاهة في ادق الاوقات · انه يروي مثلا في كتابه النثري « في ذلك الزمان » (ص ٣٦١ وما بعدها) طرائف ونوادر مما جرى له وهو يتولى القضاء في عدد من المحاكم اللبنانية ، ومنها انه لما عين قاضيا في الشوف ، ابتلى بناطور « جعلني شغله الدائم ، فكان يأتيني منه كل اسبوع محاضر شكايات على رعاة الماعز تجري كلها على نمط واحد ، هذا نصه :

« انا فلان ناطور القرية الفلانية بموجب المرسوم رقم كذا ··
بينما كانت حضرتي اتجول في منطقت (أي منطقة) نوطرتي وصلت حضرتي الى كرم فلان لشاهدة (اي فشاهدت) الداز فلان يرعى المعزى في العريش فتأبيت عليه فلما شاف حضرتي هرب · فقلت له حضرتي : وقف عندك · فسب لحضرتي وللحكومي (اي للحكومة) لذلك جئت اطلب مجازاتو (اي مجازاته) افندم ·

الامضاء والختم »

ويكمل بولس سلامة : « على هذه الوتيرة كانت محاضر المخالفة تتوالى علي ، فادعو المشكو منهم فينكرون ويتهمون الناطور بالكذب ، وانه طلب

منهم اسكاته بالرشوة فأبوا . فافترى بغية الانتقام . فدعوته شاهداً للمحكمة ، فأيد محاضره بالقسم ، فطفق المدعى عليهم يذكرونه بمخازيه فيقول احدهم :

« المتطلب جبناً؟ » وتوالى التكذيب فبهت الافك ، وافصح الحق وخرس الباطل . فأرجأت الجلسة الى نهاية المحاكمات ، ولم يبق في القاعة سوى الناطور ، فخاطبته بمثل لغته ، فقلت : « من اليوم اللي دخلت فيه حضرتي هذه المحكمة ، حضرتك شغلتني بحضرتك كأني موظف عند حضرتك . بريد تفهم ان حضرتي موظف عند حضرة الحكومة، ومؤكد ان حضرتك بتحب بطلك كثير ، وان حضرتك كذاب . بناء عليه ، بنبه حضرتك اذا بقيت على هالطريقة ، بيعث حضرتك الى بيت خالتك اى الى الحبس .. فهمت ؟ »

وأومأت الى الحاجب ان « يدفش » حضرتو للخارج ، وكان اخر الدواء الكي » .

***

وننتقل من نماذج النثر اللبناني الساخر الضاحك الى نماذج شعرية ، بعضها تضمنته محاورات ومراسلات بين الشعراء ، وبعضها الاخر مما أوحته المناسبة المحلية الضيقة ، او الحالة الاجتماعية والوطنية ، او الظروف السياسية القاهرة التى كان يمر بها لبنان فى بعض مراحل حياته .

فمما هو معروف عن احمد فارس الشدياق انه كان مسيحى الديانة ثم اعتنق الاسلام فأضاف اسم « احمد » الى اسمه الاصلى « فارس يوسف الشدياق » وله قصائد فكاهية كثيرة اثبتها فى كتابه « الساق على الساق » من مثل قصيدته « الهرفية » فى مدح باريس ، ومطلعها :

أذى جنة فى الارض ام هى باريس ملائكة سكانهــا ام فرنسيس

ومثل قصيدته « الحرفية » فى هجاء باريس ، ومطلعها :

أذى عبقر فى الارض ام هى باريس زبانية سكانهــا ام فرنسيس

ومثل قصيدته « القمارية » الصادية القافية ، ومثل ثنائياته التى سماها « الغرفيات » ، وهى مما نظمه فى غرفته الصغيرة بباريس ، بعد سفر زوجته اشارة الى اضطراره لتولى طبخ طعامه بنفسه (ص ٦٧٤) :

طبخ المحاشي رائج فى عصرنـا لكنما طبخ القوافى كاسـد
من اجل ذلك صرت طباخاً لما انا شاعر ، فالشعر شىء فاسد

***

وفى كتابه « قبل ان ننسى » يروى القاضى الاديب الشاعر اللبنانى اميل ابو سمرا كثيراً من الفكاهات والطرائف . منذ ان كان على مقاعد الدراسة ، ويذكر منها قصة صديق له من اللاذقية دعاه الى سهرة فى احد المرابع الليلية ثم ان صديقه غادر المربع خلسة تاشطر القاضى ابو سمرا الى دفع الحساب ، وبعث الى والده فى مصيفه « برمانا » يستنجد به ليمده ببعض المال ، ولكن والده لم يفعل ، فكتب اليه شعراً يقول (ص ٦٠) :

ارسلت أرجو ان ترق لحـالى وتمدنى ، يا والدى ، بالمـال
فأنا هنا صفر اليدين ، مفلس خالى الوفاض ، مضعضع الاحوال
فصممت أذنك عن سماعى عامداً وتركتنى أضحوكة العـذال ،
فأدنـن على بدفعـة حتى أفى دين « القفاف » الست بالمفضال

رجل الخصال الغر من اهل الوفا ... ومن السجايا البيض والاعمال
ان كنت نفسك لا تقيل عثـــارنا ... من لى بربك ان يجيب سؤالى ؟

فاجابه والده ، وقد ادرك ان ولده«بدأ » يبعزق « المال » دون ان يكون على علم بالمقلب الذى شربه ابنه :

قسما بشعرك ان جيبى خـــالى ... وخلوه قد زاد فى بلبـــالى
ان كان عندك فضلة جد لى بهـا ... كرما ، والا قطعت اوصـــالى
انت الذى قبلا خنقت سعـادتى ... هلا نهاك نهـــاك عن اذلالى
فاعمل لنفسك ان طلبت سعــادة ... فالنفس اولى من اب او خـــال
وامسح عيونك عن اب اشقيتــه ... وذر الملام وخلنى فى حـــالى

***

ومما يروى عن العلامة الشـــاعرعبد الله البستانى ، استاذ العربية فى « الحكمة » ان بعض اصـــحابه كانوا ينكرون عليه ارتجال الشعر ، وذات مرة جمعه المجلس بقـــاض ورئيس لدائرة الحقوق ، فتحدياه أن يرتجل شـــعرا يضمنه وظيفة كل منهمـــا ، فقال من فوره :

بهذا العصر لا اشكو غـــريمى ... ولو ضاعت بجانبه حقــــوقى
فهل قاض ينصفنى وخصــمى ... اراه رئيس دائرة الحقـــوق ؟!

***

ويطالعنا « شاعر الطيارة » فوزى المعلوف ، يوم كان قد ترك مدينة زحلة للحاق بأبيه المؤرخ العـــلامة عيسى اسكندر المعلوف فى دمشق ، حيث تولى فوزى امانة سر المعهد الطبى العربى ، بقصيدة فكاهية يسخر فيها من بلدية دمشق التى اهملت الطرقات ، حتى بات الوحل يغطيها من كل جانب ، ولا سيما فى محلة « باب توما » التى يقع فيهـا مسكنه فيقول :

هل ســيل يهـــدر جارفه ... او بحـــر يزخـــر مـــزبده
او وحل يغطس عــــابره ... للراس وما من ينجـــــده
لم تهمـــــله بلديتنا ... حاشا حاشـــــا ما اسرده
لكن نصبت فيه شركـــــا ... لفتى مثلى يتصـــــيده
ما ينى إلا ينى ليــــــل ... مقطوب الحاجب اســـوده
اسرى فيه ســــير الاعمى ... يستهدى اللمس فيرشـــده
وبرجلى « كالوش » لـــزج ... يهوى فى الوحل فاســـنده
من لى ؟ من لى بعصا موسى ... فتقينى مما أشـــــهده ،
واشق البحر واعبــــــره ... واقيم الوحل واقعـــــده !

ومثل هذا الهجاء الفكاهى عرفنـاه ايضا فيما نظمه الشـــاعر الفكاهى اللبنانى المغترب اسعد رستم الذى نشر فى جريدة « البرق » ببيروت لصاحبها



رشيد سليم الخورى : سخر بفرنسا من خلال شعره الفكاهى

الفكاهة فى الأدب اللبنانى

الاخطل الصغير بشـــارة عبد الله ، قصيدة فكاهية ، ومما قال فيها يهجـــو بلدية بيروت :

بلدية بيروت التحســـــــــت بطرت من كثرة ما لحســـــــت
ومطالب أهليها رفضـــــــت فأبت للحال اســـــــــتبدالا
وحـــل وحـــل لا لا ، لا لا

جمعوا من سكان البلـــــــد مالا يغنى ولد الولـــــــد
والناس به لم تســـــتفد فالمـــال هنـــالك ما زالا
بجيـــــوبهم ؟ لا لا ، لا لا

لما سئلوا عما فعلـــــــوا قاموا ، قعدوا ، عتبوا ، زعلوا
وبنيران الغيظ اســـــتعلوا وعلينا صبوا الاوحـــالا
هل ذلك عـــــــدل ؟ لا لا لا

وعلى هذا النمط تجري القصيدة الا ان بلدية بيروت تحركت ضـــد الشاعر ، فاضطر خوفا من احالته الى القضاء ، وحتى لا يكذب نفسه بنفسه ، الى ان ينشر قصيدة بلسان البلدية ،يرد فيها على قصيدته · ومما ورد في هذا الجواب (الذى جاء عذرا اقبح من الذنب) :

من هذا الشـــاعر في « البرق » طرقا في المجلس والطـــــرق
لم يترك فيه ولم يبـــــق يرجو للوحل استئصـــــالا
هل تســـمع منه ؟ لا لا لا هو رســـتم من حمل البشرا
بمـــزاح ، يوميـــــا ، نثرا طلب الاصـــلاح ، اما « قشرا »
أعليه تقيـــــــد ان قالا وحـــل وحـــل وحـــل لا لا ؟
لا تســـــمعنا ما لا يرضى من ابـــــرام لـــه او نقض
فالزم لحـــدودك او تقض في قطع لسانك ان طـــالا
« تزفو تزفو » اخرس حـــالا !

ورأى ، ذات مرة ، صـــاحب انف طويل ، فقال فيه ما لم يقله من قبل ابن الرومى :

نوى بعض الاجـــانب مد جسر يقل العالمين الى بعيـــــد
فيبلـــغ طوله ميلا ونصـــفا ، وتدعمـــه قوائم من حـــديد
بناه يقتضى وقتـــا طـــويلا ومالا ما عليـــــه من مزيد ،
وهذا الجسر لم ار من لـــزوم له ما دام أنفك في الوجـــود

***

ويروى الشاعر المهجرى جورج صيدح في كتابه « ادبنا وادباؤنا في المهاجر الامريكية » كثيرا من هذه الطرائف وسواها ، ومنهـــا تلك المضـــحكات المبكيات التى كانت تتعرض له جريدة « السائح » المهجرية من الازمات المالية بسبب العجز الدائم في صندوقها · وكان روادها يتداولون في المشـــكلة ويقترحون الحلول لخلق موارد جديدة واخيرا انصاعوا لرأى ميخائيل نعيمة « حكيم الشلة » بالسفر الى مدينـــة بعيدة آخذة بالعمران اسمها « التونا » لبيع اسهم عقـــارية فيها ، وكسب السمسرة · فسافر عبد المسيح حداد مع نعيمة ، تاركا اخاه الشـــاعر ندرة حداد على ادارة الجـــريدة · وطال غيابه دون ان يرسل الى ندرة مالا ، فاشتدت الضائقة واصبح مكتب الجريدة بلا تليفون ولا كهرباء ولا غاز · فلما قصد اليه كل من ايليـــا ابى ماضى ورشيد ايوب ونسيب عريضة كعادتهم وجلسوا في ظلام الغـــرفة ، قرروا ان يرسلوا الى نعيمة وعبد المسيح صرخة استغاثة في قصيدة يشتركون في نظمها فكتبوا على ضوء الشمعة معلقة شعرية هذا مطلعها :

قف بالمطى على ربى « التونا » وقل السلام على الالى هجرونا
الغـــاز مقطوع ونور الكهربا يا ويلهم من ربهم ، قطعونا !

الفكاهة في الأدب اللبناني



ميخائيل نعيمه : روح الفكاهة في ادق الموضوعات

نذره يطالب ، انما لا سـامع   لا قاتبع · قد مات مشتركونا !

ويروي صيدح ان الشاعر اللبناني المهجري ايليا ابا ماضي لاحظ مرة امارات الحزن على وجه وليم كاتسفليس لان كلبته « فيفي » ماتت ، فراح يواسيه ويرثيها قائلا :

عضها الدهر بعدما عضت النا   س وانت مهمة الحجـاب
كم فقير اتى ليشحذ قوتا   حرمته « فيفي » ولوج البـاب
وغريم قد جاء يطلب دينـا   تركته مصـفرا في التراب
وشقي اتى ليسرق شـيئا   غـادرته ممزق الاثـواب
رحمة اللحم والعظام عليهـا   وصلاة الصحون والاكواب
وحباها النعيم تختال فيه   حرة في العـواء والتلعاب
تأكل البقسماط يغمس في الدر   وتعطى ما تشتهي من كباب !

واتفق ان فيليب كاتسفليس ، اخا وليم المنكوب بكلبته ، كان منكوبا هو الآخر بصدود صديقة له اسمها « فيفي » ايضا ، فراح ابو ماضي يرثي لحاله ولحال اخيه رثاء فكاهيا ضـاحكا مضحكا وقال :

قعد الحزن به لما قعـد   غارب الناس ، وما للناس حـد
كلمـا عوت كلاب الحي في   موهن الليل تلوى واكتمـد
واذا شـاهد جروا غاص في   ذكر « فيفي » وعلى العين زبد
سـهر الليل يناجي بدره   علة يسـلو به عمن فقـد :
يا اخي ان كانت تبكي كلبة   اخلصت ودا لاهـل وولـد
فانا ابكي فتـاة حية   قلبها ميت ، وهل ميت يرد ؟ !

ولعلنا لا نعدو الحقيقة اذا قررنا ان الادب الفكاهي اللبناني يتمثل بأجلى صوره في انتاج شعراء جبل عامل من لبنان الجنوبي · فقد أنبت هذا الجبل قديما وحديثا من الشعراء والادباء والعلماء افواجا لم تنحصر شهرتها في نطاق محلي ضيق ، وانما تعدتها الى البلاد العربية ، والمغتربات الامريكية والافريقية ·

ومن الرجوع الى مجلة « العرفان » التي تصدر عن صيدا لمؤسسها المرحوم احمد عارف الزين ، والى كتاب "روائع الادب الفكاهي العاملي » لمؤلفه الشيخ علي مروة ، والى كتـاب « الروض الزاهي في الادب الفكاهي » للشيخ محمد نجيب مروة تتبين لنا جوانب طريفة كانت ، الى عهد قريب ، خافية على محبي الادب اللبناني العاملي ، واخص هذه المراجع بالفضل كتـاب الشيخ علي مروة الذي استعاض بالجزء عن الكل ، فلم يقصر كتابه على الادب الفكاهي فقط في جبل عامل بل ضمنه كثيرا من الشذرات الوطنية والاجتماعية والوجدانية التي جادت بها قرائح الشعراء العامليين ·

واول ما يطالعنا من الفكاهة في شعر جبل عامل ، البيتان الشهيران اللذان

ذهبا مذهب الامثـــال ، وهما من نظم الشاعر السيد عبد الحسين العبد الله :

يا مدير الاقتصــــــاد الوطني ... دلني من أين اصبحــــت غني
لم تهاجر ، لم تتاجر ، لم ترث ... عن أبيك الفــــذ غير الرسن

ويروى الشيخ على مروة عنه (ص ٢٩٠) انه كان ذات يوم متوجهـا من وادى جيلو الى مدينة صور مع رهط من اخوانه ، فتصدى لهم اللصوص فى الطريق لسلبهم فسلبوا رفاقه ، ولما ارادوا سلبه ، لم يجدوا فى جيوبه سوى وريقات فيها بعض الاشعار ، فوصف هذه الحادثة فقال :

قطع اللصوص لى الدروب وقبلهم ... قطعت حكـــومتهم على دروبى
خصمى الحكومة واللصوص كلاهما ... شاكى السلاح لحـــرب كل اديب
ودنا الى من اللصـــوص ملثم ... صعب المراس بكر غير هيــوب
امسى يفتشنى واسخر ضـــاحكا ... فسوى القصائد لم يكن بجيــوبى
واطال يبحث فى الجيوب فلم يجد ... شيئا فودعنى بطرف غضــوب
وخجلت منه حين قال لصحبه : ... ما اشبه السلاب بالمسلوب !

وأما الشـــاعر العاملى الفكاهى الشهير الشيخ محمد نجيب مروه فله روايات فكاهية كثيرة ، منها انه اجتمع بجماعة من أرباب الحكومة ، فأسمعهم من الفكاهات الادبية ما اثار اعجابهم، وحينما أراد الخروج من الاجتماع، قال له بعضهم : لم لم تشرف ارباب الحكومة بشيء من شعرك الفكاهى ؟ فقال له الشيخ : ابشر ، فلأنعمك عينا . ثم جادت قريحته فى اليوم الثانى بأبيات منها :

أرى الحكام طـــرا والرعايا ... جميعـــا بين مرتش وراشى
وان الاختلاف بكل قطــــر ... لامر بينهم فى الكـــون فاشى
لقد كذب الذين رووا وقالـــوا ... بان الحال بين النـــاس ماشى
الارباب الحكومة لم غـــدوتم ... تقوتون الـــورى قوت المواشى
ولبس يهمكم الا بطـــون ... معــودة على اكل المحاشى
وتقسيل لايد كامشـــــات ... معـــودة على قبض المعاشى

وللشيخ محمد نجيب مروه قصـائد فكاهية كثيرة فى رثاء الحيـــوانات ، فمنها قصيدته فى رثاء « الحصـــان الادهم » ، ومطلعها :

قل ابا الفضـــل للحمارة : عيشى ... لا تجوعين بعد موت « الكديش »

ويختمها بهذا البيت :

والرزايا جميعها هينــــات ... بعدما قوضت حكومة « فيشى » !

وكان أحد وجوه جبل عامل قد وعد الشاعر الشيخ على مهدى شمس الدين بأن يهديه ثورا للفلاحة بدلا من الثور الذى كان عنده نفـــات ، فلما اخلف الوجيه وعده ، قال الشيخ على فيه ، ساخرا ، متفكها :

يا له ثورا لطيفا شـــكله ... ابلج الغرة ، مرخى الغـــدد
وله قرنان مغـــروسان فى ... رأسه ما فيهمـــا قط اود
وله اذنان ما احلاهمـــا ... جل من دلاهما من فوق خـــد
وله مقلة ظبى ادعــــج ... فوق منخار لطيف لا يســـد
اتلع القامة مرفوع القفـــا ... ابلج الغرة ، محـبوك الزرد
اسود اللون كحظى عنــدكم ... ذيله كالوعد حبـــل من مسد !!

ومن الطارحات الشعرية الفكاهيـــة اللطيفة ما كان يجرى بين الشـــاعرين العامليين اللبنانيين السيد جعفر الامين والسيد نور الدين بدر الدين ، وما كان يعقد حول قصائدهم المتبادلة من حلقات ومجالس فى النبطية ، الحاضرة العاملية

الشهيرة ، وكان كلا الشاعرين يعمل في التدريس ، في قريتين من قرى الجنوب هما « الزرارية » و « كفر صير » .

ومن شعراء لبنان الجنوبي العامليين السيد محمد فلحة الذى كانت بينه هو ايضا وبين السيد جعفر الامين بعض المطارحات الشعرية الفكاهية ، ونكتفي منها بهذه الابيات التى وجهها للسيد جعفر حيث يقول :

يمينا بالطفوف وبالعطـــــاش ... وبالجدين : طه والنجـــــاشي
وبالصرحاء من فتيان فهـــر ... وبالهجناء من زيد الرقـــــاشي
وبالسارين ليلا للمصـــــلى ... نيا بجنوبهم لين الفـــــراش
لئن لم ترع للاباء دينــــــا ... تنزل في المتون وفي الحـــواشي
سابعث من رجال الدين جيشـــا ... تجمع بين خيـــــال وماشي

وقد تلا هذه الابيات ردود متبادلة مع السيد جعفر الأمين ، فضلا عن قصائد فكاهية اخرى نظمها هذا الشاعر الاخير في « كيس التين » اي علف الابقار الذي كان قد وعده به أحد وجهاء الجنوب ولكنه أخلف الوعد ، وفي « الاعتذار عن عيادة أحــد رجـــال الدين في المستشفى » أو في المبايعة الســـاخرة بامارة الشعر لرجل يكنى « أبا معن » كان قد طلب الامارة لنفسه ، بعد وفاة أمير الشعراء شوقي ، فأرسل له السيد جعفر المبـــايعة الاتية (روائع الادب الفكاهي العاملي ص ٢٢٣) :

أبا معن لقد أصبحت فخـــــرا ... لأهل الشعر في المعمور أجمع
فمـــــا من بلدة في الارض الا ... ونجمك في سماها بات يســـطع
من البحر المحيط بأرض صـــور ... الى الجبل المقيم عليه « يوشع »
لانك أشعر الشعرا جميعـــــا ... واكرم من فتى عبس واشـــجع
وخصـــك فوق ذلك رب موسى ... بحسن تلقه مذ كنت ترضــــع

واذا ذكر الجنوب اللبناني وأدب جبل عامل ، كان ذكر الشاعر موسى الزين شرارة هو ذكر الروح الطريفة الحلوة الحانقة على كل شيء مما تعارف عليه الناس من تقاليد بالية ومن انســياق أعمى وراء الزعامات الاقطاعيـــــة والطائفية وبسبب مواقفه الوطنيـــة الشجاعة سجن اكثر من مرة ، ثم انتخب رئيسا لبلدية بنت جبيل ، عاصمة جبل عامل ، ثم اضطرته مسئولياته العائلية للسفر الى القارة السوداء .

وتتجلى روح موسى الـــزين شرارة المرحة والثائرة في آن معا ، عنـــدما تثور ثائرة السلطة فتامر باحـــراق ديوان « فلان » الذى اصدره الشاعر العاملي محمد علي الحوماني ، وفيه كثير من التعريض بمخازي الاقطـــاع السياسي في لبنان ، فيكتب اليه موسى من مهجره الافريقي قصيدة يقول فيها :

اذا أيقظت شعبك يا فـــلان ... وقلت الصدق ، لا يرضى « فلان »
فما ترجو ؟ أبا الأشعار ترجـــو ... وتأمل أن يراك « البرلمـــان » ؟
فاين قصورك الملأى طبيخــــا ... لابناء القرى ؟ أين الخـــوان


أحمد فارس الشدياق :
قصـــائد فكاهية بارعة

قنعنا منك انك ذو يراع ... له تعنو البواتر والسنان
ونثرك ، والمنابر شاهدات ... على الهامه ركع البيان
ولكن ، يا فلان ، فلان « بيك » ... له سيارة ، وله حصان
له الاوغاد والجهلاء جند ... وجنبك غانيات او حسان
كذاك له كمثل البرج قصر ... يحلى بالروائع او يزان
وما لك او لاهلك غير كوخ ... تلون القار حوله الدخان
به ـ وارحمتاه ـ لهم صغار ... غذاؤهم التاوه والحنان
يرون « الدخن » فاكهة ويحلو ... لفرط الجوع عندهم الزوان
فلو سجنوا به فارا مسنا ... لصاح الفار من جوع « امان »
اذن فاربض على ضلع • فمثلي ... ومثلك بعدما آن الاوان
وحطم ما تسميه يراعا ... والا حطمت منك البنان

وكان للصحافة الادبية الفكاهية في الجنوب دورها ايضا في هذا المضمار ، حيث كان منشئوها يعمدون الى اساليب « التورية » للتعريض بالمحتلين الغرباء .. بروح هي الى الدعابة اقرب ، وبالتشفي الذي لا يقع تحت طائلة المسئولية اشبه •

فقد انشأ المهندس الشاعر المرحوم فؤاد جرداق ، شقيق الشاعر جورج جرداق مؤلف أغنيـة « هذه ليلتي » للسيدة ام كلثوم ، جريدة سماها ، تفكها ، باسم « الخازوق » ، وذلك ايام الانتداب الفرنسي ، وكان يعمد الى صياغة أخبارها بالشكل التالي :

« علمنا أن صاحبة العصمة عقيلة المفوض السامي الفرنسي قد غادرت ميناء بيروت في رحلة مفاجئة الى فرنسا ، و « الخازوق » يأسف لتقصيره في أداء واجب الوداع نحوها لأن علمه بالنبأ جاء متأخرا » •

وعندما عادت من فرنسا ، نشرت الجريدة الخبر التالي :

« علمنا بكل سرور ان صاحبة العصمة عقيلة المفوض السامي الفرنسي قد عادت من فرنسا الى بيروت ، بعدما فرغت من زيارتها الى الديار الفرنسية و « الخازوق » يرحب بقدوم صاحبة العصمة أجمل ترحيب » •

وكان بديهيا ان عيون السلطة المنتدبة كانت بالمرصاد لمثل هذا النوع من الصحافة ، فاغلقت الجريدة ، ولم يصدر منها الا اعداد قليلة ..

تلك كانت نماذج من النثر والشعر الفكاهيين في الادب اللبناني ، نكتفي بهذا القدر منها ، وحسبها أن تكون اشارات سريعة لكننا لا نستطيع اغفال ظاهرة اخرى من ظواهر الفكاهة في الادب اللبناني ، وهي ظاهرة تصنيف المؤلفات الخاصة بهذا اللون الادبي الطريف •

فقد عرف الادب اللبناني كثيرين ممن صنفوا كتبا في هذا المضمار ، نخص بالذكر منهم « حتكشيات » و « حتكش بليرتين » للفكاهي اللبناني الظريف الاستاذ نجيب حتكش الذي اوتي براعة لا تدانى في القاء النكات بروح من الدعابة والمرح والحس الوطني الرفيع ، وكذلك مصنفات عديدة للصحفي اللبناني الاديب سالم الجسر ، وكتاب « الانس » للاستاذ سمير شيخاني ، وكتاب « الضاحكون » للاستاذ محمد قرة علي وسلسلة « الضاحكون » لصاحب هذا البحث ، وسلسلة « اضحك » للاستاذ جوزف فاخوري ، وكتاب « سندويشات » للاستاذين أحمد التنير ومحمد حمد خضر ، وغير ذلك من المصنفات •

● بيروت ● ... ● فوزي عطوي ●



إبراهيم الحضراني

الفكاهة في الأدب اليمني

الادب الضاحك ، والضاحك جدا ، هو ما يقوله اهل اليمن باللغة العامية ـ ان جاز لنا ان نسميه ادبا ـ وهم يقبلون عليه ويتناقلونه ويتقنونه فى مجامع ودواوين ..

الا أن هذا الادب اذا خرج عن بيئته فقد تأثيره لاعتماده على التعبيرات المحلية ، وايماءاته الكثيرة الى عادات المجتمع وتقاليده ... ومن يمعن فى تفهمه ويعرف مراميه القريبة والبعيدة يتبين له مدى ما تضطلع به النفسية اليمنية من حساسية مرهفة ، وكيف تستخرج النكتة من احلك المواقف واقساها

من فوارس الفكاهة فى الادب اليمنى احمد بن شرف الدين القارة من شعراء القرن التاسع عشر ،وله ديوان اكثره باللغة العامية ، الم فيه بمشاكل عصره السياسية والاجتماعية ، وتحدث عن نفسه وعن ولده ...

وكان الشاعر يكثر من نصح اهل بلدته « كوكبان » لاسرافهم فى اللهو والعبث . فمما يؤثر عنهم انهم يجيدون العزف على العود عن اخرهم .

اما بلادهم فانه لا يمر بها احد الا شعر بنشوة من الفرح تجعله يغير من سمته وشكله . حتى الغراب اذا حلق فى سمائها فانه يغير صوته ويرسله ملحنا .. هكذا يقولون !

وكان الشاعر يكثر من نصحهم ،وتخويفهم من عذاب الله وهول الحشر، ولكن باسلوب ساخر فكه . وله قصيدة فى هذا الصدد يصح لنا ان نطلق عليها « ثورة فى الحشر » ويهذا يمكن أن يكون قد سبق شاعر العراق الزهاوى فى قصيدته « ثورة فى الجحيم »

يقول شاعرنا فى قصيدته :

فاذا قال مالك : نحن من اشيا ... ه والجحيم فيها شعيل
واتى لائم يلوم تركنا ... ه وقلنا : هناك شرح طويل
ما قصدنا بما فعلناه الا ... ضحكا تستجم فيه العقول
وارحنا الناوس من كدر الهم ... فدعنا فالامر ثم جميل

فاحكموا الانتقام في ساحة « الـ ... أعراف » حتى يتم صـلح نبيل
ما علينـــا الا الوسـاطة لله ... فيسعى بهــــا له جبرئيل
فاذا لم يتم صلح (عصـدنا) ... الحشر والحق ما حـواه الصميل

و « الصميل » بلغة اليمن : هـو العصا الغليظة وهو بالفصـحى : القسوة والشدة ٠

اما الشاعر الصنعاني ابراهيم بن صالح الهندى ١١٠٤ هـ فقد أحب فتاة فارعة الطول فلم يهتم بوصف لوعته وهواه بقدر ما اراد اتحافنا بهذه الخاطرة الضاحكة :

قد افرطت أعطاف من احببته ... بالطول حتى عز عن لثم الفـم
لو يطلب المشتاق منه قبلـة ... ـ وسخا بها ـ لرقى اليه بسلم !

ونستشف روح النكتة في شعر على بن محمد العنسى ١١٣٥ هـ وهو شاعر مبدع رقيق له ديوان شعر بالفصحى مازال مخطوطا ، وديوان بالعامية طبع في القـاهرة ، وكنموذج لرقة شعره نورد هذه الابيات من قصيدة له :

نم هنيئـا لا عرفت الارقا ... ودع السـهد لطرف مارقـا
يا ضـعيف الجفن لامن علة ... بل وعى جفنك مما رشـقا
أه من ليل اعاني طـوله ... فيك حـران الحشى محترقا
لست ادرى : انا وحدى اشتكى ... طول ليلى ٠ ام كذا من عشقا ؟

وصادف ان اهدى اليه بعضـهم كمية من الشعير فوجده تالفـا بلا لب لقدمه ، فكتب رسالة ، ختمها ، بهذه الابيات :

قلت : ما هـذا الذى واربتمو ... فيقلبى من « تواريه » « استعاره »
قيل ٠ حلم : قلت حلم بقالـة ؟ ... قيل : وهم ٠قلت : وهم في غراره ؟
قيل : آيس بن ذريح قـد اتى ... قلت : بالشام ، فمن ادنى مزاره ؟
قيل : ذا شعر « البهاء » خذ لطفه ... قلت : ذا قد كان زرعا في مغاره
قـال لي حامـله : اعيتنا ... ويلينا بفقيه من « شهـاره »



أدب الفكاهة

الفكاهة فى الأدب اليمنى

خذه تاريخا قديما واســـــتفاد — منه علما واســـعا حلو العبارة

وكما تجىء النكتة فى الشعر تجىء فى النقد ، من ذلك : ان احد الشعراء ضاق صدره بلقامتـــه فى مدينة ذمار فنفس عن نفسه بقصيدة قال فيها :

لست ادعى فى الوغى حامى ذمارى — ان تصبرت على ســـــكنى ذمار
بردها اخمـــــد منى فطنــــــة — يقـــدح الزند بها من غير وار
وبهـــــا يجاورنى كـــــل الاسى — فلذا اصبح دمع العين جارى
بلدة ان طاحت العين بهـــــا — رتعت ما بين صـــــخر وحجار
لم يشـنف مسـمعى فى سوحها — ســجع قمرى ولا صــوت هزار

ورد عليه شاعر اخر بقصيدة اشاد فيها بمدينة ذمار وبما حوته من علم وزهد وشـــمم وإباء ، ولم يفته ان يشـــير الى طيب هوائهـــا وجمال طبيعتها فيقول :

ارضها مفروشــــــة من سندس — وصباها يفتيت المســــك جار

ويأتى بعد ذلك الناقد فيوافق على ما جاء فى القصيدة الاخيرة فى امتداح لمدينة ذمار ما خلا قوله :

ارضها مفروشة من سندس فيقول الناقد : اما هذه فلعلها رؤيا صالحة

***

وفى الادب المعاصر لا تخلو النكتة من اى اثر فكرى ، فالشاعر البردونى وهو من أجهر الشعراء صوتا نقرأ له النكتة الساخرة حتى وهو يصف بؤسه وشـــقاءه او يندد بحكم الامام — قبل الثورة — كقوله :

لم اجد ما اروم حتى المعـــاصى — احــــرام على جهنـــم ؟

وقوله :

ناكل الجـــوع ونستسقى الظمـــا — وننادى يحفظ الله الامامـــــا

وشاعر معاصر اخر يمر عليه عيد الاضحى وهو فى أسوأ أحواله بؤسا فيقول :

ليس معى كبش اضـــــحى به — اركبه ان جئت فى الاخـــره
لا تضحكوا منى ولا تســـخروا — فربـــــما جئت على طـــائرة

ويميلون فى اليمن الى الاستشهاد بالابيات السائرة من الشعر القديم وكثيرا ما يكون استشـــهادهم مقرونا بنكتة طريفة !

زار بعض الادباء صديقا لهم فى الصباح الباكر فوجدوا حشرة تحبـــو على الجدار قد امتلأ اهابها من دمه فارادوا قتلها فصاح بهم :

ولا تقتلوها ان ظفـــرتم بقتلها — ولكن سـلوها كيف حل لها دمى !

وعندما الف الامام يحيى جيشا من اليمنيين بعد جـــلاء الاتراك ، وكان البوق من نصيب رجل يمنى ضـــئيل الجسم على خلاف الاتراك الذين عرفوا بضخامة الاجســـام والشوارب ، ولما نفخ البوق واجاد صاح :

رجـــل من عـــرض الناس — لقد حكيت ولكن فاتك الشـــنب

والفقهاء وعلمـــاء الدين على ما وسموا به من الجدية والوقار لا يتركون النكتة ما سنحت لهم .

كان بعض الاتراك لا يهتمون بأداء الصــلاة ، بينما كان بعض علماء اليمنيين يجمعون بين صــلاة الظهر والعصر والمغـرب والعشــاء فأراد أحد ولاة الاتراك أن يبكت عالما يمنيا فقال له :

ما دليلكم على الجمع ؟
فأجابه العالم الفاضل :
وأنتم ما دليلكم على القطع ؟!

***

وبلغ الامام ان عجوزا ماتت وكانت تملك ثروة كبيرة ، فكلف أحد الفقهاء بالذهاب ليقسم تركتها بين الورثة . فسر الفقيه لهذه المأمورية لما قد يعود اليه من النفع ، ولكن سرعان ما رجع ليقول لاصحابه :

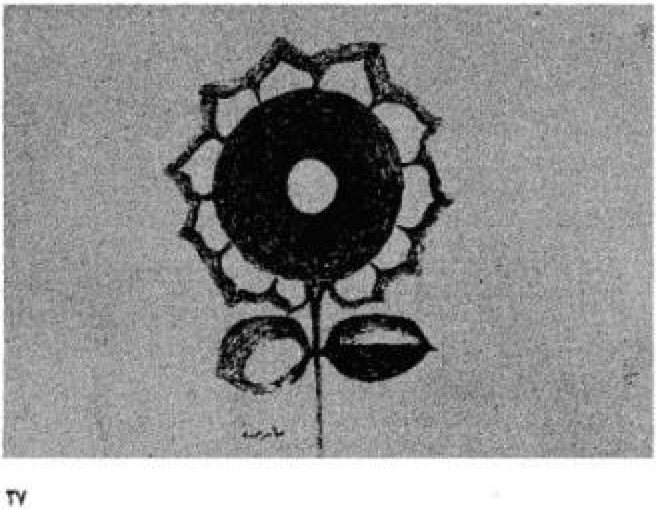
انهـــا لم تمــت
انها ما زالت حية تسعى

ولنختتم هذه اللقطات بنفحة يمنية لشاعر ظريف ، تتجلى فيها خفة روحه وصفاء ذوقه ، قال :

رب شمطاء قصــدناها وقد ركب الليـل وأرخى الطنبــا
قالت : الطارق من ؟ قلت : انا وأصحابي فقالت : مرحبـــا
ثم اومت نحـــو مصباح لهـــا كاد يخبو سحرا او قد خبـــا
رفعت في الصحن لنا خلت في جنبـــات البيت منه لهبـــا
فسقوني منـــه حتى صرت من سكري احســب مهـري ارنبا

ومن يقرأ هذه الابيات يجد ان ديك ابي نواس كان أسـعد حظا من فرس صاحبنا .

● اليمن ● ● ابراهيم الخضراني ●



الحبيب
شيبوب

يذهب من لا بصر له بفنـــون الكلام ، الى أن الشـــعر الفكاهى ضرب من القول لا اثر للفن والاجادة فيه ..

والحق ، ان الشعر الفكاهى ، بالاضافة الى ما يزخر به من عواطف صادقة ، وتصوير حى لنفسيات قائلية ـ يصور المجتمع الموحى به ، ويسلط أضواء كاشفة على أحداث معينة ، سرعان ما تمحى بتداول الايام وتعاقبها ..

كما أن الدعابة والنكتة والفكاهة مسوغات كلها ، لما فى كلّ اثر ادبى من موعظة وتنبيه وارشاد ..

وقد زخر ادبنا التونسى الحديث بانماط من هذا الشعر ، لا تقل روعة وطرافة عما عرفناه من روائع مجنحة لاعلامه بالمشرق العـربى ، وخاصة فى بلاد الكنانة ، أمثـال حسين شفيق المصرى ، ومحمود بيرم ، ومحمد مصطفى حمـــام وغيرهم ..

الفكاهة..
فى الأدب التونسى الحديث

يعتبر حسين الجزيرى ، التونسى ـ عد الله فى الفاسه ـ من المجلين فى هذا الباب ، على الرغم من أن المجـــال يضيق عن استعراض كل الظروف والملابسات التى ســاعدته على الابداع فى تصيد النكتة ، وصياغة الفكاهة ...

ولا شك ان ســـجنه غداة اعلان الحرب العالمية الاولى كان له القسط الاوفر فى تفتق قريحته بقصائد عجيبة .. وشحذها برصيد هائل من النظرات العميقة للناس والحياة ...

ولا يمكن لى الحديث عن شاعرنا حسين الجزيرى دون الوقوف ـ ولو قليلا ـ مع قصيده الشهير ـ عجائب السجن الذى يقول فيه :

هو السجن ان اسعدت يوما بزورة   علمت به ما لم تكـــن من قبل تعلم
عجائبه ما جاء عصر بمثلهـــــا   ومن عجب عند الطليقين تكتـــم
تجرم * اذا شئت المعارف واغتنم   ملئ جثته * ما ليس بالكتب يرسم
وان لم تكن اهلا لاى تجـــــرم   فكن كاتبا * يكفيك هذا التجـــرم

تجازى كمن عاشوا · فزجوا بقعره وتبقى زمانا ، نالني منه معظم
ثلاثة اعوام · قطعت بحــــورها وما لم يزل ، كم هو ؟ الله اعلم

ولقد عـرفنا فى الادب العـــربى قديمه وحديثه شعراء كثيرين زج بهم في متاهات السجون · وغيابات المنافى ·· ولم نسمع صدى فى اثارهم لما قاسوه وابتلوا به ·

ولكن شـاعرنا الجزيرى بالاضافة الى ما قاله فى تصـــــوير السجن ومتالب نزلائه ، خرج منه وهو اشد ما يكون نقمة على المحتلين الغاصبين · والضـــالعين معهم من ابناء البلاد ، الذين اتخذوا من خدمة ركاب الغزاة والتمرغ على اعتابهم ، سلما للمناصب الرفيعة ، على حساب الشعب المهيض الجناح

ومن اشـد البلايا التى منيت بهاتونس سنة ١٩٢٢ ما سمى بالمجلس الكبير · وهو مجلس بعثه للوجود المقيم الفرنسى العام لوسيان ســـان · وكـــان يرمى من بعثه الى تهـدئة العواطف واخماد الافكار ، وايهــام ذوى النظر القصير بان البلاد اصبح لا يصرف شئونها الا ابناؤها ·
والواقع ان ذلك المجلس المسمى بالكبير لم يجمع الا الذين لاهم لهم الا ابتزاز الاموال واكتنازها ، والتناص اللاذ على مختلف انواعها ··· وقد جابه شعراؤنا ذلك المجلس بقصـــائدنارية ، ومقطـــوعات ملتهبة · فى الســـخرية منه ··· وكان لشـــاعرناحسين الجزيرى النصـــيب الاوفر فى الحملة عليه · ومن اشهر قصائده فى هذا الباب معارضا رائعة شـــوقى الشهيرة : « ياناعما رقدت جفونه » ـــ قوله :

يا مجلســـــا رقدت جفــــونه الشـــعب قد كثرت شـــجونه
ما كان هـــــذا ظنـــــــه واها لمن خــــابت ظنـــــونه
شـــعب تعـــاظم فقـــره وقســـا عليـــه من يمـــونه
ان لـم تصنـــه من الشـــقا يا مجلســـــا · من ذا يصونه ؟
اين الخـــــلى من الـــذى علقت بعـــالقه (محـــونه)
ذاك النعـــــم وافـــــلا فى العـــز تشـــــغله فنونه
والشـــــعب كاد يمســـــه من فرط محنتـــــه · جنـــونه
ايقظت فى عـــــــواطفى يا مجلســــــا · رقدت جفونه

وعلى هذا النسق العجيب من السخرية والتهكم بالمستعمر وأذنابه ، يواصـــل حســــين الجزيرى ارســـال صيحاته الشعرية بينمـا كانت جريدة (تونيزى فرانس) توالى حملاتها العدائية على التونسيين ، وتنعتهم باكلة لحوم البشر



ولما عزم الاستاذ احمد توفيق المدني التونسي المولد والنشأة على اقامة حفل زفافه · في الجزائر الشقيقة بعد ان نفي اليها عنوة ، بادرت سلط الحماية الفرنسية الى منع اقاربه واصفيائه من التحول الى هناك ، ومشاطرة الاستاذ المدني افراحه خوفا من أن ينقلب حفل زفافه الى لقاء بين رفاق الكفاح ، وتبادل للاراء في برامج التحرير والانعتاق · فما كان من شاعرنا حسين الجزيري الا أن صور عقلية رجال الاحتلال وضيق تفكيرهم في تهكم مرير وسخرية لاذعة دون أن يقرأ حسابا لجبروتهم وطغيانهم · قائلا :

سل في الظلام اخاك البدر عن سهري ... تدري النجوم ولا يدري الورى خبري
سهرت اذكر عرسا في (الجزائر) لم ... يحضره قوم هنا كانوا على سفر
تهيأوا واستعدوا للرحيل ·· وهم ... متوعون · فمن ليث ومن نمر
لذلك قيل لهم لا تذهبوا ابدا ... فالعقل يملي علينا واجب الحذر
ومن هنا ربضوا في غابهم ونجت ... تلك البلاد من الاهوال والخطر
ولو توجه ذاك الجمع لا تصدعت ... جبالها · وارتمت شمس على قمر
ومادت الارض وامتد السحاب لها ... وكل ارجائها آلت الى حجر
وربما اكلوا بعض العباد اذا ... جاعوا · فانهم اكالة البشر
اني رايت لهم ثارا باعينهم ... فربما يقذفون الناس بالشرر
وربما قلبوا عرس الصديق الى ... شرح فلتزمه (محاشرة الخضرى)
وانما رجل الدنيا وواحدها ... من لا يعول في يوم على السفر

ومن خلال ما أوردناه لشاعرنا التونسي حسين الجزيري· يدرك القارىء ان هذا الشاعر ، يترسم خطا سمية حسين شفيق المصري · في طريقة نظمه ومعالجة المواضيع التي يطرقها ·

ولم يقف تقليده له عند هذا الحد· بل تجلى في أوضح مظهر عندما أصدر جريدته الراقية ـ النديم ـ فأخذ ينسج على منواله في ابتكاراته الصحفية · ومقالاته النقدية الزاخرة بالتعريض والسخرية · بغية تنوير الاذهان · ودعوتها الى الاقلاع عن العادات البالية · والتقاليد التي ما انزل الله بها من سلطان ·

ومن هنا كانت « النديم » تشابه الى حد كبير : البغبغان · والناس · والكشكول · وهي صحف كان لها رواج كبير · واقبال منقطع النظير ··

وللتدليل على ما اقول ، اورد نصا صغيرا كتبه الجزيري ، بمناسبة حادث سرقة تعرض له منزل شيخ ادبائنا محمد العربي الكبادي · جاء فيه :

« تكرم بعض اللصوص في تونس · زيارة محل سكنى الاديب الشيخ العربي الكبادي · الواقع بحارة ام هاني من نهج المر ·

« ولو لم يكن هؤلاء اللصوص على جانب لا يستهان به من البلادة لما طرقوا محل اديب · راس ماله قلم ومحبرة وقرطاس ·

« ولست ادري أي بحر من بحور الشعر كانوا يريدون اختلاسه ! »

« ولكنهم احسوا بان الشيخ (شاعر) بوجودهم ولوا الادبار · ولم تصل ايديهم الى شيء من الاشعار ·





الهادي العبيدي : هجر دنيا القلم مرات



مصطفى خريف : العمل الجديد لصديق عمره



محمد العريبي : يكيل لن هجاه بنفس الباع

ومن أبدع قصائد شاعرنا الجزيري ما نظمه أثناء الحرب العالمية الثانية . حيث رسم بريشة الفنان المبدع . مظاهر الفاقة . وصفوف المستهلكين المتراصة أمام أبواب المتاجر العامة . لاقتنــاء الضروريات اليومية .

ولا يخفى أن هذه المظــاهر حرمت شاعرنا المنام ، ووأدت أفكاره ، فأصبح الشعر صعب القياد لديه . بعــد أن كان سهلا ذلولا .

لذا كان حتما عليه أن يسكب دمعة حرى على عواطفه الضائعة ، وخواطره المتناثرة . صارخا :

ما بين موقف (بقال) و (جزار) ضاع الشعور فلم أظفر بأشعاري
واختل ما كان من ميزان (فاعلان) ما بين ميزان (فحام) و (خضار)
ان القوافي عصت أمري . وما بقيت طوع سوى (سلة) يسعى بها الشاري
قد كنت أنظم الأشــعار فاحذقها واليــوم حذقي لأسوام واســعار
وكنت أحــكم أبياتا مصـــففة فصرت منتظمــا في صف جزار
ماذا تريدون من شعر الذي نفدت عروضه عنــد صناع وتجار ؟
ماذا تريدون من أبيات من نفــدت من بيتــه كل أفــواج وابزار ؟
القرض الشعـر أميلا ؟ أم أميل إلى من يقرض المال دينارا بدينــار ؟
وهــل أفتش عن بيت وقافية ؟ أم أسأل الأهل ترقيعا لأطمــاري .

ومن مشهوراته المتداولة على كل لسان . قوله في (المتصابيات) :

(أيا خود الله ورد الخــدود وقد قدود الحسـان القــدود)

ومن عجب ما ترى من عجــوز تريد بأن تغتــدي (الأمود)
تقص شعورا . وتصبغ وجهــا وليس بذا الوجه غير الجلود
وتطــرح عشرين من سـنها وهيهات ما تبتغي أن يعــود
تقول أنا قد ولدت قريبــا وقــد ولدت بين عاد وهــود
وتغضب من قائل مثل هــذا وما هي إلا بصف الجــدود
فذي ســتة الله في بنت جوا تقول ولو عاقها ذا الوجــود
صــغيرة سن . جميلة وجــه ولي طــالع مثل ســعد السعود
وكل كبيــر وكل صــغير على سنة منه فيه شــهود

وهذا البيت الأخير فيه لفتة بارعة إلى قول المرحوم حسين :

ومن يكتم حســاب سنيه يوما فصفحة وجهه تبدي الحســابا



ومن شعرائنا الظرفاء . الصيدلي النابغ المرحوم الحبيب جاء وحده الذي بأدر – اثر عودته من أوربا – الى فتح صيدلية . فاذا عليل الجسم يزوره . فيخرج منه بدواء جسمه . واذا مريض الروح يرد اليه فيصدر عنه بدواء روحه

ويصطبغ اكثر شعره بمســـــحة سياسية . كقطعة (وعد المقيم) التي نظمها بمناسبة خطاب للجنرال (ماست) ناشد فيه الشعب التونسي مد يد المعونة لفرنسا في حربها مع الهند الصينية . واعدا بان بلاده ستقدر هذه المعـــونة حق قدرها . وستولي مطالبه العادلة ما هي جديرة به من العناية .

وقد شاء شـــــاعرنا تذكير المقيم الفرنسي بوعود أسلافه الخـــلابة في الحربين العالميتين ، وما سلط بعدهما على ابناء جلدته من الارهاق والنكال فقال :

وعد المقيم عنـــــده ... وعد كـــــرام بررة
لكنـــــــا لا نكتفي ... بذى الوعود النخـــره
فكم مقيم قبلــــــه ... من الكبـــار العطره
بشرنا بقصــــــــــر ... ولم نشاهد قصــــره
قال لدى تجنيـــــدنا ... كفتم مســـــخره
سوف تصير (تونس) ... رشيدة محـــــرره
وبعدها عـــــدنا الى ... مصرة و (معصره)
يا رب فاجعل وعـــده ... مثل البروق المطــرة
لا تجعله خلبــــــا ... كـــــالفيه الفجـــره

***

واذ وصلت في حديثي الى هذا الحد، فلابد من الاشارة الى ان المرحوم محمود بيرم ، طلع علينا في اقامته الثـــــانية بتونس من سنة ١٩٣٣ الى سنه ١٩٣٧ ، بقصائد فكاهية مجنحة . هاجم فيهـــا صنائع المستعمرين . والمصالح الادارية الفاسدة .

وقد صور بيرم ما كان يتخبط فيه الشعب التونسي عهـــدئذ تحت كابوس الاســـتعمار ، وما تجرعه من كئوس المجاعة والحرمان . والفاقه والجهل .

ومما قاله في هذا الصدد :

الا عم صباحا . أيها الطلل البالي ... وجل البلايا ان يحييك امثـــــالي
وقفت رغمي بيـــــاب ســــويقة ... كما وقف المقبور في وسط اوحال
اشاهد من قومي وابنــــاء جلدتي ... هياكل من عظم مغطى باسمــــال
نيام على (المادات) صرعي كأنهم ... سكارى من الخمر العتيق بارطال
وما هي الا سكرة الجوع انهـــــا ... لافتك بالارواح والبدن الغـــــالي
ومن واقف حاف كتمثــــال آثم ... وليس له في العين قيمة تمثـــــال

ومن خلال هذه الابيات يصور بيرم اصدق تصوير مأساة شعب اضنـــــاه استغلال المستعمر واستثماره ...

اما محافظو الاقاليم واذنابهم ... فانهم كانوا يفتكون بأموال ومحاصيل المواطنين التونسيين بدعوى دفع الجباية لادارة المستعمرين ، وكانوا يشددون الخناق على (الدستوريين) المناهضين لهم .

وقد سخر منهم بيرم سخرية تتاجج نارا ، وتمطر سهاما ، فقال :

وجاء فى موكب يسعى (خليفتكم)   ليقبض المال من عبد ومأمور
قلت : المناجل لم تظفر بسنبلة   حتى لقد صدئت فى مخزن الكور
فقال : اخفيتم المحصول اجمعه   والقمح هربتموه بالقناطير
قلت : ادخل الدار وانزل فى دوامسها   وما تراه ، فخذه غير مأزور
فقال لى باحتقار رافعا يده   مهددا : انت يا فلاح (دستورى)

***

ولا يفوتنى ان استعرض (اخوانيات) بعض الادباء وهى تندرج بلا شك فى باب الهزل البرىء . والدعابة المستملحة ..

ومن الطرف ما نورده لشاعرنا الراحل مصطفى خريف فى هجو صديقه محمد العريبى حينما اختاره مرة انه من فرسان القريض المجيدين ، وان أيا كان لا يستطيع أن يجرى معه فى مضماره ، قوله :

يا طفيليا على الفن نزل   (اعتزل ذكر الاغانى والغزل)
فدع الشعر . ولا تحفل به   انما مثليك فى الشعر فشل
والعب (البيلوط) فى القهوة .اذ   انت فيه عبقريا لم تزل

وعندما لامست هذه الابيات اسماع العريبى لم يقف مكتوف الايدى بل انبرى يكيل له هجاء بنفس المكيال . قائلا :

فتش لنفسك حرفة   غير القوافى المسفه
فالشعر ماء تسير   لم ترتشف منه رشفة
والشعر روض نضير   لم تقتطف منه قطفة !

وتشاء الاقدار أن يهجر عميد الصحفيين التونسيين اليوم الاستاذ الهادى العبيدى - شفاه الله - دنيا القلم فى فترات قاسية من فترات عمره الملىء بالمتاعب . ويفتح دكانا لبيع الخضروات والفواكه فتهتز شاعرية صديقه خريف . وتجود علينا بأبيات عذبة فى لغة الشعر والادب . ومباركة العمل الجديد لصديق عمره عساه يجد الطمأنينة ، ورخاء البال . وفيها يقول :

لا بارك الله فى الاشعار والغزل   وبارك الله فى (البطيخ) و (البصل)
وخلة لن استهوت قلوبهم   دنيا الفنون . وأصناف من الخبل
قوم يعيشون بالاحلام   هل ربحوا   يا ليت شعرى ، بالاحلام والامل
ويحسبون وهم فى مسرح لعبوا   (ان التكحل فى العينين كالكحل)
ويلمها من حياة بعت ملذتها   ببيع (الطلوق) بلا حرص ولا اجل
تبيع ما تشترى للناس كلهم   من (الخضارى) واصناف من البقل

***

هذه نماذج من ادب الفكاهة فى تونس . وهى مما يكتب ويقال ، لانه الشىء للناس .

اما الذى لا يجوز ان ينشر لان اصحابه الشاوه لانفسهم وتناقلوه فى السر لا فى العلن - فهو كثير ، ومجاله المجالس الخاصة للفكهة ، ومصادره ذواكر الرواة .

● تونس ●   ● الحبيب شيبوب ●

أمراء الفكاهة في مصر

اطلق هذا اللقب فى الاربعينات من هذا القرن على كوكبة من الادباء ورواد الأندية والممثلين والملتفين حول السراة والاعيان المتحلقين بمواكب زعماء الاحزاب والساسين ونوادى الشعر وسهرات الفن .

وكان من ابرز هؤلاء عبد العزيز البشرى وحسين شفيق المصرى ، وحافظ ابراهيم ، وفكرى اباظه ، ومحمد عبد القدوس ،ونجيب الريحانى ومحمد مصطفى حمام ، وحسين الترزى ، ومحمد البابلى .

كانت فنون الفكاهة خلال الاربعينات فى مصر تدور فى مجالين :

فى بعض ندوات السياسيين والزعماء وفى صالونات الاعيان أو فى المقاهى والمحافل وحول موائد الطعام المنثورة فى الحدائق او القصور ، فكان يتصدر عادة هذه الموائد اثنان أو ثلاثة من البارعين يتراشقون النكات بينما يأكل الاخرون ويضحكون . وكانوا يتعارضون الفكاهات على انماط مختلفة منها نمط (التبادل) او التحاور .. ومنها نمط (التقاط) كلمة من الكلمات وتحويرها عن معناها الواضح الى معنى اخر يثير سوء الظن والسخرية ...

وكان من اشهر هذه المجالس مجلس سعد زغلول فى مسجد وصيف ، حيث كان يحشد له امثال حافظ ابراهيم، ومحجوب ثابت ، كذلك دعوات الطعام المشهورة للأسرة الاباظية فى الزقازيق ، او اسرة عبد الرازق فى المنيا ، او محمد محمود فى ساحل



نجيب الريحاني : من ابطال الفكاهة والمسرح

سليم ، او غيرها من الاسر الشهيرة التى كان يتصدرها امراء الفكاهة ويديرون دفتها على النحو الذى تتحرك فيه الاحداث السياسية والاجتماعية فى ذلك الوقت فيلتقطون طرف الخيط من اى كلمة عابرة ويذهبون بها الى ابعد مدى !

● الندوات الفكاهية ●

ومن ابرز الندوات : ندوة البابلى وكانت تقام فى دار البابلى القائمة عند تقاطع شارعى خيرت والجامع الاسماعيلى (وقد هدمت عام ١٩٣٨) بعد ان عاشت اكثر من ثمانين عاما، وما زال اسمها يذكر مقرونا بالنكات المستملحة والفكاهات العذبة ، وقد ظل اسم صاحبها علما على الملح الشعبية وقد نشرت الصحف والمجلات كثيرا من ملح البابلى .

كان البابلى من اصحاب الثروات الواسعة ، وكان حفيا بكل اهل الفن والفكاهة ، وكان هناك رواة يترددون دائما على ندوته يحفظون هذه النكات والقفشات والاخبار ويرددونها

وقد تنقلت ندوة البابلى من شارع خيرت الى حلوان ، وكانت تضم دائما : حافظ ابراهيم ، والبشرى ، ومحمد المويلحى ، ومحمد ابراهيم هلال ، واحمد فؤاد (الصاعقة) .
وكان البابلى يؤمن بان النكتة سلاح، وقد عرف بالنكات والغمزات والقفشات وكل منها لها عند اهل الفن معنى وهدف .

قيل انه كان يلعب النرد (الطاولة) مع رجل امامه ، فلعب لعبة لم تعجب خصمه ، فسخر منه قائلا :
ــ أهذه لعبة يا سيد بابلى ؟ اذن ما الفرق بينك وبين الحمار ؟!
فاجابه البابلى فى سرعة فائقة :
ــ ليس بينى وبين الحمار غير (الترابيزة) !
وكان البابلى فى مجلس الغناء وكان المغنى يقول :
« اهل السماح الملاح دول فين اراضيهم »
فصاح البابلى : فى البنك العقارى (اى مرهونة) !

وكان البابلى من اسرة موسرة ووالده تعيده بك البابلى كان شيخ تجار الجواهر ، وقد ورث عنه ثروة ضخمة بددها فى اللهو حتى رهنت املاكه فى البنك العقارى .
ومما يروى ان البابلى دعا احد اصدقائه لحضور حفل عقد قران صديق له ، وقال له الصديق انه سيحضر الحفل وربما اقام فى حلوان ثلاثة ايام . فقال البابلى على الفور : على هذا انت تنوى ان تحضر الطلاق !

ومن فكاهاته انه كان يزور حديقة الحيوان مع حافظ ابراهيم فقال له حافظ وهما خارجان : حاسب احسن يحجزوك عند الباب ! فقال البابلى : اظن انه لا خوف عليك انت .. عشان

أمراء الفكاهة

فيه منك كثير هنا !

● المقاهى الفكاهية ●

هذا عن النوع الاول : اما النوع الثانى وهو ندوات المقاهى فقد كانت هناك مقاه عدة تحفل بأمراء الفكاهة على الطريق من الفيشاوى الى ميدان الحلمية الجديدة مروراً بباب الخلق

وقد كان مقهى الفيشاوى له شهرته القوية حول موائد الشاى الاخضر ، وكان رواده من اهل الفكاهة والنكتة يرسلون الضحكات العالية والسخريات اللاذعة . وكان هناك عبد الحميد الديب ، وحفنى محمود ، وفكرى اباظة .

اما كازينو باب الخلق فقد كان المقر الاكبر للشاعر حافظ ابراهيم يتحلق حوله جماعة من الادباء الظرفاء فى مقدمتهم امام العبد ومنشىء جريدة الحمارة والشيخ الشريطى

وكان هناك مقهى الحلمية الذى كان قطبه محمد الهراوى وكان يتحلق حوله احمد الزين وحسن القاياتى .

كذلك عرف تاريخ الندوات والمقاهى الفكاهية « بعكوكة » وحيد الايوبى و « بعكوكة » البشرى و « بعكوكة) شفيق المصرى ، وقد دارت هذه الاسماء طويلا على اعمدة الصحف والمجلات ، ويصطلح اعضاء (البعاكيك) على تسمية شخص لا يليق بعضوية « البعكوكة » باسم (خنفس افندى) فاذا قيل (خنفس افندى كذا) كان معناه الرفض المطلق !

وكان وحيد الايوبى هو اول من اطلق كلمة (بعكوكة) على ندواته التى وصفت بانها ثلاث ترابيزات في قهوة بميدان الاوبرا يلتقى فيها طائفة من الاصدقاء « يقضون الليل فى التشنيع على عباد الله » !

وكان وحيد يقيم الحفلات والمآدب ويضم اليها اهل الفكاهة فى حلوان ثم يستأجر لهم فى آخر الليل قطارا خاصا لاعادتهم الى القاهرة فى مطلع الفجر .

● الشيخ عبدالعزيز البشرى ●

ويعد الشيخ عبد العزيز البشرى من امراء الفكاهة فى مصر فى هذه الفترة .

فقد كان يؤمن بالفكاهة كفن من فنون الادب . ويصدر نكته فى مناسبات معينة فيصيب الحز كما يقولون ولا يظهر عليه عادة استعداده للدعابة ولكنه يفاجىء الموقف بكلمة تهز الجميع .

ومن فكاهاته السريعة الخاطفة :

ان الفريق ابراهيم باشا فتحى قال له (وكان البشرى يعمل قاضياً شرعيا) :

— الا تعلم قول النبى : قاض فى الجنة وقاضيان فى النار ؟

فابتدره البشرى القول على الفور : الا تعلم قول الله تعالى : فريق فى الجنة وفريق فى السعير ؟!

وقابل البشرى احد الفلاحين ومعه خطاب ليقرأه له ، وكان الخط رديئا فحاول حل طلاسمه فلم يتمكن ، وقال له الرجل فى استخفاف :

— كيف لا تقرأ وفوق راسك عمامه ؟!

فاسرع الشيخ البشرى فنزع عمامته من فوق راسه ووضعها على راس الرجل قائلا : هذه هى العمامة ،



فكـــري اباظـة :
صاحب النكتة المشهورة

اقرأ انت !

وحدث ان اصطحب البشرى كريماته الصغيرات وكن يرتدين القبعات وركب معهن الترام ، فقال احد اولاد البلد لزميله :

ـ انظر الشـيخ وقد البس بناته برانيط مثل الخواجات !

فقال البشرى : (امال عاوزنى البسهم عمم ؟)

وكان البشرى يبالغ فى السخرية باسـلوب لطفى السيد فى الكتابة ويقول ان التكلف عنده هو الفطـرة وان الفطـرة هى التكلف حتى ليظن ان لطفى باشا عندما ينام يتمدد فى فراشه ويقول : فلننم !

● حافظ ابراهيم ●

اما حافظ ابراهيم فقد عـــرف بالفكاهة الطلية الرائعة :

قال حافظ : جاء رجل من القاهرة ليعبر الى الروضة من ســاحل فم الخليج • وكان الليل قد تقدم فوجد ملاحين يغطـــان فى نوم ثقيل من تعب النهـــار ، فما زال بهما حتى انهض احدهما الى موضع المجاديف وتولى الثانى (الدفة) وانشـــأ صاحب المجـاديف يضرب بمجدافيه سطح الماء ، على انه احس شـــدة جفاف الحلق من اثر العطش وتناول (الكوز) ولم يعـــرف ان زميله قد اذاب فيه ملحا ليعالج الذنه واغترف به من النهر شـربة وشرب من الماء فاذا هو ملح اجاج ، عندئذ صـاح من فوره بزميله صاحب الدفة وكان لا يزال نائما يحلم :

ـ ياريس عويس ، ابيك ، دخلنا المالح !

وقد عرف حافظ بنكتته المشهورة ، فقد انكروا انه كان يلبس بدلة واحدة فلما يسئل لماذا لا يغيرها قال : ان بها صفتين من صفات الله :

القدم ،والوحدانية !

وقيل ان شوقى كان يضيق كلما نشرت الصحف اسمه مقرونا باسم حافظ ، فلما سمع حافظ ذلك قال : لماذا يغضب ، اما ســـمع الناس يقولون :

زفتى وميت غمر ، سميط وجبنه، خيار وفاقوس عسل وبصل •• اما من يكون العسل ومن يكون البصـل فهذه مسالة اخرى !

وســـافر حافظ لزيارة البيراوى باشا وقضاء بضعة ايام فى ضيعته فى الريف فلما اراد العودة خـــرج الرجل لتوديعه فالتفت اليه حافـــظ وقال : يا باشا ، اليس عندك عزبة قديمة تعطيها لى ؟!

وحدث ان كان يلقى قصـــيدة فى ماتم وتصادف ان نهق حمـــار الشيخ عبد المطلب، فساله الحاضرون الاعاده فقال : انتظـــروا حتى يفرغ حمـــار الزميل من انشاده ! ••

وكان له حساب فى البنك الاهلى فكان اذا مر ليلا بالبنك ، اخـــرج

علبة سجائره واخذ يوزع منها على الحراس ويقول لاصحابه :

– هذا لاجل أن يأخذوا بالهم من القرشين !

ومن فكاهاته مع امام العبد ان امام كان يتناوله في المجالس عندما يغضب ويقول : حافظ هذا انا الذى خلقته وجعلته شاعرا ... وبلغ هذا حافظ فطواها فى نفسه فقد كان امام يعوده المرة بعد المرة ، يسر فى اذنه شيئا فيخرج له محفظته فيأخذ منها ما يشاء ، أما فى هذه المرة فما ان جاء امام يطلب نقودا حتى قال له حافظ :

– من اين ، أنا يا مـــولاى كما خلقتني

وكانت تدور بين حافظ وامام العبد مداعبات كثيرة .

وكان امام اسود اللون فاحما ، ومرة نزل الى البحر فى الاسكندرية فقال له حافظ : أنت الآن سودانى ومملح !

ومرة كان امام يكتب فســـقطت نقطة حبر على الورق فسارع يقول له : جفف عرقك !

● محجوب ثابت ●

اما محجوب ثابت فقد عرف بانه يركب عـــربية (حنطـــور) يقودها حصان اطلق عليه اسم (مسكوينى) سخرية به ، فقد كان مسكوينى بطلا من ابطال ايرلندا مات جوعا ، يكنون بذلك عن هزل الحصان وجوعه ، ثم استبدل محجوب بالعربية سيارة فقال شوقى مداعبا :

لكم فى الخط ســـياره
حـــديث الجار والجـــاره
ان حركتهـــــا مالت
على الجنبين منهـــارة
فقـــد تحـــرن احيـــانا
وتمشى وحـــــدها تاره
ولا يشبعها من البنزين فواره

● حسين الترزى ●

اشـــتهر حسين الترزى بالفكاهة الحلوةوالنكتة الساخرة .. وقد عرف بمقدرته فى اجـــادة تفصيل ملابس العظماء وكان دكانه فى شارع خيرت مقصد أمراء الآدب والفكاهة والنكتة والطرب امثـــــال المويلحى والبابلى وامام العبد والحلوانى وغيرهم .

وما ان اشـــتهر حسين الترزى باجادة النكتة وسرعة البديهة وخفة الروح ، حتى غزا كل مجالس الفكاهة ولم تكن تخلو جماعة من مشاركته. وهجر صناعته واصبحسميرا للعظماء ولكنه كان يعف عن القـــول المرذول والمبتذل ولا يعرض له

وكانت ابرز طوابعفكاهاته المبالغة: فكان يداعب احد الاطباء مثـــلا فيقول :

انه يعلق على باب عيادته عيـــان كبير زى (ركلام) !

● حسين شفيق المصرى ●

اما حسين شفيق المصرى فقد كان له باع طويل فى تقليد اللهجـــات ، حتى ليخيـــــل اليك انه عصبة امم شرقية ، اجتمع فى شخصيته أغرب ما فى الســـورى والتركى والصعيدى

أمـــراء
الفكاهة

والسوداني ، وتقليد أساليب المشاهير والبارزين منأفذاذ الناثرين والناظمين من مواضيع هزلية فيجيد فيها أيما اجادة ٠

وقد وصف بأنه اخرج الفكاهة من دائرة الشخصيات الى المسائل العامة وقد أضحك قراء العربية اربعين عاما وجدد في أساليب السخرية ، واطلق مئـــات النكات ، وكان قادرا على تقليد اللهجات ٠٠

وكان من أبرز فنونه معارضـــة الشعر القديم بشعر فكاهي فيأخـــذ البيت الاول من قصـــيدة مشهورة ويتنقل اتجاهها الجاد الى السخرية ، فهو مثلا يأخذ قصيدة أمرىء القيس على النحو التالي :

« قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل
بسقط اللوى بين الدخول فحومل »
فشبرة فالبراد لم يعف رسـمها
لمن هو فيها من تهامي وفرغلي
يبيعان مشـــوى الطحال وتارة
يبيعان ممبارا فخـــذ منه او كل
كنابك من أم القـــلاقل قبلها
وجارتها أم الخلول يا شـيخ على
مطـــاعم مكروباتها تلد العمى
لعين كثير الاكل والمتقـــل
اذا نلت منها قطعـــة فكانني
لدى ثمـــرات الحي ناقف حنظل
لقد كنت ذا عـــز وكنت منعما
ومن جـــاء يقامر مرة يتبهدل

يعـــاجله فقر يدق دماغه
« كجلمود صخر حطه السيل من عل»

● أمراء كثيرون ●

وكان هناك أمـــراء كثيرون منهم فكري أباظة وقد وصفته احـــدى المجلات بأنه « يتجلىظرفا في مجالس الحسان في صورة مغازلات تهكمية »

وهو صاحب النكتة المشهورة التي ارسلها عندما رأى احد أصدقائه من الذين يستعملون النظارات دائما ، وهو يحمل ثلاث نظارات فسأله عن مهمة كل واحدة فقال :

– واحدة للمسافات ، وواحدة للقراءة

ثم وقف يفكر قليلا فقال له فكري: أما الثالثة فلترى بها نظـــارة المسافات من نظارة القراءة !

أما محمد عبد القدوس فقد ابتدع المونولوجات الفكاهية، كما انه اولمن لحن المنولوجات والقاها في نغمات الموسيقيين ٠ والمطلعين على حياته الفنية يعلمون أنه يعيش عيشـــة الشخصيات التي يمثلها ٠

أما علي الكسار فقد عاش نصف قرن يمثل شخصية واحدة منذ عام ١٩١٧ حتى وفاته، هي شخصيةبربري مصر الوحيد ٠

أما الريحاني فقد كان من أبطـال الفكـــاهة والمسرح ، وكان مع بديع



محمد عبد القدوس : أبدع من لحن المنولوجات والقاها



محمد مصطفى حمام : من الظرف أمراء الفكـــاهة

خيرى يؤلفـــان تلك الفــكاهات والسخريات التى عرفت فى مسرحياتهما المشهورة ·

وكان ســليمان نجيب من أظرف ممثلى الفكاهة ،وكان دوره دور الرجل التركى السريع الغضب الذى تفلتمنه الكلمات كالقنابل !

وكان حفنى محمود مشــهورا بالمقالب ، سواء بنقل أخبار مزعجة عن طريق التليفونات على انها من اشخاص معينين ، أو مواقف أخرى كان يرسم لها « المؤامرة » ، ثم يقف بعيدا يتفرج ويضحك ·

● لماذا يقولون النكتة ●

واذا حاولنا أن نراجع ذلك الجيل كله وجدناه يستهدف من النكتـــة : النقد الاجتماعى لاوضـــاع مضطربة فى المجتمع ، وقـــد اعتبروا النكتة سلاحا هاما فى كشـــف المفارقات والاخطاء· والتنديد بالاغنياء البخلاء أو الحكام المنحرفين ، أو الساسـة الذين يعملون لمصلحتهم الخاصة ·

وكانوا يعتمدون على عدة أساليب منها :

أسلوب المبالغة، وأسلوب المغالطة، وأسلوب المفاجأة ، وأسلوب التلاعب بالالفاظ ·

فالمبالغة يراد بها كل فعل أو قول يزاد فيه على حقيقته ويشـــذ عن المألوف كأنما ترى الرجل وقد غطى رأسه بطربوش واسع يصل الى ما تحت أذنيه أو انتعل حــذاء ضخما يبدو منه كأنما يقف فى قارب صغير!

والمبالغة فى القول : يعرفهـــا المختصون باسم (الفشر) أو الهجر أو النتش ·

أما المغالطة فهى تصوير الشىء على غير حقيقته : أما عن جهل به وإما تجاهل له ·

أما المفاجأة فهى حدوث ما لم يكن فى الحسبان ··

والتلاعب بالالفاظ (أى التوريه) هو أن يأتى بكلمة لها معنيان ، معنى ظاهر وآخر مستور · ويكون المقصود هو المعنى المستور ·

ومن أمثلة المبالغة قول امام العبد انه كان يسكن فى غرفة ضيقة جدا اذا دخلها خرج الهــواء منها واذا خرج منها دخلها الهواء !

وقول حسين التوزى : ان الشيخ زكى كان نائما فوق حصيرة فوقـع من فوقها الى الارض فانكسرت رجله!

ومن أمثلة التورية قصـــة حفنى ناصف : فقد مرض مرضـــا خطيرا فأمره طبيبه بالامتناع عن أى عمـل فكرى لا سيما المطالعة ثم عاد بعد يومين فوجده يقرأ كتـــاب (روح الاجتماع) الذى عربه فتحى زغلول

فغضب الطبيب وقال له : الم انهك عن المطالعة ؟

قال حفنى : لا تغضـب فقـد كنت (أطالع) فى الروح !

●●●

هكذا كانت مدرسة أمراء الفكاهة فى مصر تعيش وتضحك ساخرة بكل شىء ، ناقدة لكل الاوضاع ، تجـد فى النكتة تفريجا عن طـاقة مكبوتة فى مجتمع كانت صــورته مضطربة بين غنى مسرف وفقر مدقع ، وكان رجال الفكاهة فى الاغلب اغنيـــاء غلبهم الفقر ، أو فقراء يسخرون بالاغنيـــاء ، او اذكياء أعياهم أن يتقدمهم الاغبياء وتلك هى مفـارقات الحياة ··

● أ · ج ●

أمــراء الفكاهة



هدية العدد
صورة
إبراهيم عبد القادر المازني

● ولد المازني بالقاهرة في ١٩ اغسطس ١٨٩٠ ، وكان أبوه محاميا شرعيا ، وخاله من رجال الدين ، ومات أبوه وهو صبي ، وكانت حياته سلسلة من الكفاح والمعاناة بعد وفاة أبيه ٠

● التحق ابراهيم المازني بالمدرسة الناصرية ثم الخديوية ، والتحق بعد ذلك بكلية الطب ولكنه سقط مغشيا عليه عندما دخل قاعة التشريح فانصرف عن الطب الى دراسة الحقوق ، وكانت مصروفات الحقوق باهظة فاتجه الى مدرسة المعلمين ٠

● تخرج في مدرسة المعلمين العليا سنة ١٩٠٩ ، واشتغل بالتدريس ؛ وقد ظهر تفوقه النادر في الترجمة خلال هذه الفترة المبكرة من حياته ، وبعد ثماني عشرة سنة اشتغل بالصحافة ، وظل يعمل بها ما يزيد على ثلاثين عاما الى ان توفي في ١٠ اغسطس عام ١٩٤٩ ٠

● نظم الشعر ، وساعده اطلاعه على الآداب الأجنبية في اقتباس معان غريبة عدها البعض مبتكرة بالنسبة للأدب العربي ٠

● لم تصرفه اهتماماته بآداب الغرب عن أدب العرب ، فقرأ أمهات الكتب فيه ، وحفظ الكثير منه ، وكتب عن بعض شخصياته كابن الرومي وبشار بن برد ٠

● صاحب أسلوب فريد في الأدب العربي الحديث ، فهو صاحب العبارة السهلة القوية البليغة ، وكثيرا ما استخدم كلمات عامية ، أو عبارات شائعة ٠

● يعتبر أسلوب المازني مدرسة متفردة بذاتها في مدارس الأدب العربي فهو نمط من الثورة والتجديد ، أسلوب من يخاطبك وجها لوجه على نسق من خفة الروح وطلاقة اللسان وعذوبة اللفظ ، وعمق النظرة وإطالة البحث والعناء ، مزودا بقاموس خاص من لغته وثقافته وصراحته وسخريته الحادة ٠

● الطريف في قصصه الطويلة والقصيرة جميعا انه اتخذ مادتها من حياته، وأحداثه في دنياه وتتحول بعض قصصه الى ما يشبه الاعترافات مثل قصة « ابراهيم الكاتب » و « ابراهيم الثاني » فهما تصوير دقيق لحياته وما مر به من حوادث وذكريات وتخيلات نفسية وتأملات عقلية ٠

● كان المازني يتمتع بصفتين ، الدعابة الساخرة ، والروح الشاعرية وتقييم أدب المازني يجيء من كونه أدبا شخصيا لا موضوعيا ، ومشاكل مجتمعه التي عرض لها لم ينظر اليها في ذاتها ، وانما رآها من خلال نفسه ، وأعطاها المضمون الواقعي الذي أحدثته فيها ٠

● اختير عضوا في مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، وعضوا في المجمع العلمي العربي بدمشق ٠

● من مؤلفاته : حصاد الهشيم ، ابراهيم الكاتب ، عود على بدء ، الشعر غاياته ووسائله ، بشار بن برد ، مختارات من القصص الانجليزية ٠٠

محمد
عبد الغنى
حسن



ما احوج كل عصر الى الفكاهة تسرى عن هموم أهله ، وتخرجهم من مشاغل الحياة واثقالها ومن نكد الدنيا الى عالم آخر تشيع فيه الضحكة . وتفتر الابتسامة

واذا كانت الفكاهة تتخذ لها طابعا معينا فى القول او الفعل أو الاشارة .. وفى النغمة اوالصورة والرسم فانها قد تكون فى الشعر كما تكون فى النثر .

الفكاهة فى الشعر المعاصر

ليس من الضرورى أن تكون الفكاهة الشعرية نابعة من شخص فكاهى مرح الاعطاف ، خفيف الملامح الجسدية ، موصول الحظوظ من الدنيا ومن أفراحها ، فقد يكون الشاعر صاحب الفكاهة الشعرية شخصا حاد المظهر ، وقور الملامح ، بادى الصمت ، رصين السمات . وقد يكون ظاهر الحزن ، واضح البؤس ، مكدودا محدودا غير مجدود ، لم تسعفه الايام، ولم يسالمه الزمان .

فلقد كان الشاعر « محمد حافظ ابراهيم » يمثل البؤس فى الحياة ـ وخاصة فى فترة معروفة من عمره ـ ومع ذلك كانت الفكاهة وروح الدعابة تطل من شعره وخاصة اذا طلبهما .. وكذلك كان الشاعر البائس « عبد الحميد الديب » ، والشاعر الدكتور « ابراهيم ناجى » ، وقبلهما كان الشاعر الاسود اللون « محمد امام العبد » . فلم يمنعهم ما احاط حياتهم من ملابسات الحزن من أن يصبوا الفكاهة فى أشعارهم . ولعل الطبيعة قد وهبتهم هذه الروح الفكهة تخفيفا لالامهم واحزانهم من ناحية ، وترويحا عن انفس البائسين المحزونين من ناحية أخرى . والشاعر الاسلامى الكاتب « مصطفى صادق الرافعى » كان يبدو الجد والوقار على ملامحه ، ولكن النزعة الفكاهية لم تفته فى شعره أو نثره . وكذلك كان الشاعر القاضى « اسماعيل باشا صبرى » . فقد كان فيه وقار القضاة ورصانة مظهرهم . ومع هذا شاعت فكاهاته الشعرية فى عصره ، ودارت على السنة الرواة فى زمانه ، واشتمل قسم غير صغير من ديوانه الذى نشره الشاعر احمد الزين على باب للفكاهات الشعرية .

وقد تثير بعض الغرائب فى مواصفات المجتمع خيال شعراء الفكاهة ،

وتدعوهم الى التعريض بهذه الصور الاجتماعية الغريبة المناقضة لسلامة المنطق والسلوك ٠
كما أن صورة المنافق المتعدد الوجوه قد لفتت نظر الشاعر « مصطفى صادق الرافعي » ، فقال يصفه :

وجوهك شتى : واحد ذو بلاهة — وآخر من هذى البلاهة بارد
ووجه أرى فيه النفاق ملونا — وآخر ان يبصر ذوى الفضل حاسد
ووجه من الكيد المخبأ بارق — ووجه من اللوم المشهر راعد
فيا عجبا تمشى بستة أوجه — في الدهر بين الناس،واسمك واحد(١)

و « الرافعي » تنبه دائما الى هذه الصور الاجتماعية الشاذة ، فحين رأى المرأة العجوز تستر وجهها بالالوان والاصباغ ، وتروح الى العطار تبغى صلاحها ، لتستر عمرها ، ولتموه على الناس بهذا،وصفها بهذا الشعر الفكاهى

الا انما أم الحماقة من غدت — بما ادهنت تلقى على عمرها سترا
فيحسبها من رآها طفلة الصبا — وبا ربما كانت كجدته عمرا ٠٠!

وتنبه الشاعر « صالح جودت » الى اختلاف المذاهب والطوائف والنحل والمتمين والشيع والاحزاب فى الشرق العربى فلم يترك هذه الصورة الاجتماعية المشوشة تفلت من ريشته الدقيقة ، فقال فى فكاهة ساخرة :

اختلفت مذاهبا فافترقنا — فطوانا المستعمر الضليل
وادعانا طوائفا : ذاك عبد — بربرى ، وذاك حر أصيل
ثم هذا درز وذلك فرعو — ن ، وهذا كرد ، وذاك دخيل
ثم هذا بعث ، وذلك حزب — قرمزى الميول حين يميل ٠٠!
ثم هذا « مؤمرك » نازح القلب ، وهذا حبيبه « جونبول »
ثم هذا « مفيلق » أرضه الام فرنسا ، وربه « ديجول »
فتنة ما لها قرار وافك وضلال مصيره مجهول (٢)

***

وقد تكون مفارقات الاوضاع السياسية فى الشرق العربى سببا فى اثارة الاشعار الفكاهية عند الشعراء اصحاب الفكاهة ٠ ونرى شعراء الفكاهة هنا يعالجون هذه المناقضات السياسية بروح فكهة ، ولا يعالجونها معالجة الكتاب السياسيين الجادين ٠فلقد زعم كاتب فرنسى قبل الحرب العالمية أن جلاء الانجليز عن مصر سيكون فى « اكتوبر القادم » ٠ ولم تنطل الكذبة على واحد فى مصر ٠٠ ولكن « محمد حافظ ابراهيم » تناولها بفكاهته الشعرية الساخرة ، قائلا :

كم حددوا يوم الجلاء الذى — أصبح فى الابهام كالمحشر
وسن قوم الطيش من جعلهم — كذبة ابريل ، لاكتوبر (٣)

وقد كان الشاعر « حافظ ابراهيم »راصداً لهذه الاوضاع السياسية الشاذة يسلط عليها قلمه اللاذع ٠ ففى ظلام الامتيازات الاجنبية قال يخاطب المخدوعين من قومه :

قل للفاخرين : اما — لهذا الفخر من سبب ؟
اروني بينكم رجلا — ركينا واضح الحسب !
اروني نصف مخترع — اروني ربع محتسب ! (٤)

---

(١) ديوان الرافعى ــ ج ٣ ص ١١٧ (٢) أغنيات على النيل ــ ص ٩٠
(٣) ديوان حافظ ج ٣ ص ١٠٩ ٠ (٤) المصدر نفسه ص ١١٠



د. محمد رجب البيومي

الفكاهة في الشعر المعاصر

والشاعر الفلسطيني « ابراهيم طوقان » يرى أن بعض الزعماء يتجرون باسم الاخلاص لقضية فلسطين ، فيطلب منهم في فكاهة ساخرة أن يتنحوا ويستريحوا من العمل السياسي حتى لا تضيع بقية البلاد على أيديهم ! قائلا :

انتم المخلصون للوطنية ... انتم الحاملون عبء القضية
انتم العاملون من غير قول ... بارك الله في الزنود القوية
ما جحدنا افضالكم غير أنا ... لم تزل في نفوسنا أمنية :
في يدينا بقية من بلاد ... فاستريحوا كيلا تطير البقية ! (١)

والشاعر « صالح جودت » يصور في فكاهة مريرة — في قصيدته نشيد الثورة حالة الاحزاب والوزارات المتتالية في مصر قبل الثورة قائلا :

ويستلهمون مقام « السفير » ... خطوط السياسة في الدولة
يولون يوما « زعيم الرعاع » ... ويوما زعيم الاقلية
وتخلص من « صاحب الدولة » ... لتسقط في « صاحب الرفعة » (٢)

وما الذع فكاهة الشاعر « صالح جودت » ، وهو يصور حالة مصر في العهد التركي قائلا :

ومشى بسوم الذل ابناء الحمى ... ويخيفهم سرواله و « القلبق »
يجبي الضرائب من عرايا جوع ... جفت مزارعهم فليست تورق
ويسوقهم بالسوط — وهو بيبه — ... ويطوف بالخازوق (٣)وهو مخوزق

***

والفكاهة عند شعرائنا المعاصرين والمحدثين قد تثيرها حادثة معينة ، مما يثير الضحك ، أو يثير البكى .. على حد سواء .. فقد تكون الحادثة مضحكة ولكن الشعراء يعلقون عليها بما يزيدها اضحاكا وتفكها . وقد تكون الحادثة مؤسفة فيدخل شعراء الفكاهة فيها بما يخفف من مأساتها وينبه الى خطرها .

أما الحادث المؤسف فيمثله ما وقع من مولاى عبد العزيز سلطان مراكش سنة ١٩٠٤ حين استقدم من مصر « تختا » من المطربين والمطربات — وعلى رأسهم سلطانة — ليتسلى بأغانيهم ، وقد كان فيه ميل الى اللهو والمجون ، فأنكر المسلمون والعرب عليه ذلك . وهنا عملت الفكاهة الشعرية عملها .. فوجدنا الشاعر اسماعيل صبرى يقول :

يا آل مراكش ! وفد الغناء أتى ... من مصر يسعى لمولاكم على الراس
لا تنكروا نكتة في طي بعثته ... فالعود أحسن ما يهدى الى فاس !

---

(١) ديوان ابراهيم ص ٨٠
(٢) المصدر نفسه ص ٧٨
(٢) اغنيات على النيل ص ١٥

والعود هنا هو عود البخور أو عود الغناء . والفاسى اما نسبة الى مدينة فاس ، او اسم فاعل مفهوم . والتورية هنا مضحكة لاذعة ..

وقد تأتى الحادثة أو المناسبة المثيرة للفكاهة الشعرية عرضا كما فى الحادثين السابقين ، فهما من صنع الظروف التى لا حكم لها ، ولا ضابط . ولكن قد تخلق الحادثة او المناسبة خلقا لاشاعة الفكاهة ، ونشر الدعابة الشعرية حولها . فقد اراد بعض الشعراء المحبين للدعابة والضحك أن يروحوا عن انفسهم بتنصيب « حسين محمد » المعروف بالبرنس اميرا للشعر ، وكان فى البرنس ميل للدعابة وخفة الظل ، وتصديق لما يقال . واقيم الحفل فى ليلة من ليالى رمضان . وكانت قصائد الشعراء فى ذلك الحفل الضاحك مملوءة بروح الفكاهة . فالشاعر « محمد الاسمر » يقول مخاطبا البرنس :

سيدى ! رجع لنا شعـ ـرك ، واهتف ما تشاء
حيث لا تسمعك الارض ولا تصغى السماء !
سيدى ، مولاى يا مو لى جميع الشعراء
ثبت الله لك « العر ش » ، وان كان هواء !

والشاعر « احمد الكاشف » يقول :

من لى بسدتك العليا الليلها ودون سدتك الاستار والحجب
هذا تصيبى من الفوضى ظفرت به من بعد ما خانتنى فى غيرها الارب
لم يغنتى الجد فى قول وفى عمل وقد لعبت ، عسى ان ينفع اللعب !

والشاعر « محمد الهراوى » ، يقول

الى العرش فاصعد وامض بالامر واقطع
وصل ، وانه ، وامنح ما بدا لك ، وامنع!
وصرف امور الشعر فى الامة التى تميت رجال الشعر فيها ولا تعى
فانت امير الشعر غير منازع وكل امير غير شخصك مدعى !

والشاعر الفكه « حسين شفيق المصرى » يقول :

يا حماة القريض حول البرنس اصبح الشعر دولة ذات كرسى
وهل الحكم والامارة الا لبرنس يضحى يراى ، ويمسى
يقرض الشعر مثلما يقرض الفا ر حبالا قد فتلت من دمقس

ابراهيم ناجى : له قدرة فى باب الشعر الفكاهى



عبد الحميد الديب : الفكاهة وروح الدعابة فى شعره



الرافعى : لم تفته النزعة الفكاهية



كان من قبـــله القريض بجلبا   ب ، فاضحى « بينطلون » .. وجرس »
ايها الشاعر الكبير رضـــــيتا   ك اميــرا ، فكنه تفديك نفسى !

وتنقل بقية الشعراء فى ذلك الحفل بين مفاكهات ومداعبات ومعابثات ، ومنهم حسن القاياتى ، وكامل كيلانى ، والخطاط الشاعر سيد ابراهيم ، وعبد الجواد رمضان ، وعزيز بشاى ·

ولعل خلق المناسبة الصالحة للفكاهة الشعرية هو قصد من الشعراء للترويح عن النفوس المكروبة فى ساعة كربة ، أو زمان ضيق · فقد لوحظ فى اثناء الحرب العالمية الثانية ان موجة الغلاء الفاحش ، واختفاء كثير من السـلع الضرورية ، قد اضافت الى كرب الناس بالغارات والقتال ، فقد شكا الشاعر « محمد الاسمر » يوما لصديقه « محمد عبد الغنى حسن » اختفاء « كاوتش » الاحذية من الاسواق · وما هى الا ان بعث الشاعر عبد الغنى للشاعر الاسمر بالكاوتش المراد ، ومعه ابيات فكاهية فيها تعريض بالحرب ، وغلاء السلع ورخص الانسان ، وفيها يقول :

انني مرسل اليـك « الكاوتشا »   وبدى من نداك ترعش رعشــا
ليتنى اســتطيع اهـداء نفس   لم تجد فى صـفاء نفسك خدشا
ما لحرب البسوس عادت ضروسا   تبطش اليـــوم بالممالك بطشا
عجبا ! أصبح « الكاوتش » عزيزا   بينما المــرء لا يساوى قرشا !

فرد عليه الشاعر الاسمر بأبيـات فكاهية يقول فيها :

هش قلبى لمـــا بعثت وبشا   بقوافى القريض بله « الكوتشا »
ما طلبناه للحــذاء ، وحاشى   بل طلبناه فى الاضاحى كبشـا !
فهو خير من بعض لحــم اراه   يتعـشى بمــن به يتعــشى !
رب لحــم اذا « الكوتش » راه   قال : ماذا ارى ؟ وخاف وكشا !

واستمر الاسمر فى سخريته وفكاهته ونقده للحرب والغلاء حتى اخر الشوط

***

ومن هذه المناسبات التى خلقهـــا الشعراء المرحون بمناسبة ضيق النفوس وغلاء الاسعار فى الحرب العالمية الثانية مناسبة « خروف العيد » ، ففى يوم من ايام عيد الاضحى ارسل الشاعر محمد الاسمر الى الشاعر الضابط عبد الحميد فهمى مرسى يستهديه — او يستعيره — خروفا ، وكان الرسول — او الرسالة — قصيدة فكاهية يقول الاسمر من بعض ابياتها :

ان كان «ذو القرنين » عندك حاضرا   فابعث به لنرى ضـــياء جبينه !
ولكى نشاهد حســـنه وجمـــاله   ونرى اقتـــدار الله فى تكوينه !



ابراهيم طوقان
.. فكاهة
ســـاخرة

الفكاهة فى الشعر المعاصر



ولكي يجـــاوب ـ لو يماميء مثله ... في بيت جاري ـ مامات قرينـــه
وليعلم الجـــيران اجمـــع أنني ... ان جاء عيد لم اضـــق بشئونه

وجاءت الخراف (١) من الشاعر الكريم عبد الحميـــد فهمي مرسي على سبيل الهدية الى الشعراء الاسمــر ،وعلي الجندي ، ومحمد عبد الغني حسن ويظهر أن رحلتها من المنيا الى القاهرة قد أنهكتها واشوت أجسامها ، فاتخذ الشعراء المهدى اليهم من هذا الموقف موضعا للشعر الفكاهي الذي اشتغلت جريدة الاهرام بنشره على أيام • وكان مما قاله الاسمر :

اربع اقبلت ، فقلت خـــراف ... ما تراه العيـــون ام اطياف ؟
كان منها لنـــا خروف عجيب ... هو من فرط ضعفـه شـــفاف
لاح كالوهم •• بل هو الوهم يمشي ... لا خـــروف جاءت به الارياف

وكان مما قاله محمـــد عبد الغني حسن :

وصل الخروف وقد حسبتك مازحا ... فاذاك قصـــد بالغت في تسمينه
الله زينـــــــه بكل جميـــلة ... وجميل صنعك زاد في تزيينـــه

أما الشاعر علي الجندي فقد استقبل الخروف المهدى اليه بقوله :

اخـــراف هاتيك أم انقـــاف ... نبئونا عسى يزول الخـــلاف
مسها الضر والهـــزال فراحت ... تتهـــادى كأنها اطيـــاف
قد رآها الجزار فانتابه الغشـــ ... ـي وخفت لحمـــله الاسعاف
هل سمعتم أو هل رأيتم خـرافا ... لا لحوم بهـــا ، ولا أصواف ؟!

ولم تنته مناسبة « خروف العيد » الى هذا الحد ، بل كان لها ذيول وذيول •• ومن ذيولها مجتمع لخراف الشعراء في ميدان باب الخلق • وقد قام فيه حوار طريف بين خراف الهراوي ، وأحمد رامي ، والسيد حســـن القاياتي ، والدكتور محجوب ثابت • وكان كـــل خروف ينطق بأسلوب صاحبه من الشعراء وعلى طريقـــة صياغته •• فخروف الشاعر الهراوي يقول على طريقته في شعر الاطفال :

يا اخـــواني ... في الخـــرفان
اهـــــلا بكم ... واهـا لـــكم
فيم رحلتـــم ... ثم حللـــتم ؟
باب الخـــرق ... بين الخـــلق
انـــا لا ادري ... سر الامـــر
اكـــذا نلقى ؟ ... اين العـلف ؟
اين المـــاء ... مـاء ، مـــاء

***

وقد تكون الفكاهة الشـعرية بدون أدنى ملابســـة ، بل قد تكون جوابا من الشاعر عن سؤال حول فعل معين، فان الشاعر القروي المهجري ـ رشيد سليم الخوري ـ قد قام بنفسه يوما الى حلق شاربيه بعد أن كان أعفاهمـــا زمانا طويلا ، فلما ســـئل من بعض أصحاب الفضول عن السبب في حلق شاربيه ، أجاب في مقطوعة فكاهية :

قالوا : حلقت الشـــاربين ... ويا ضـــياع الشـــاربين !
فأجبتهـــم : بـــل بئس ذا ... ن ، ولا رأت عينـــاى ذين
الشـــاغلين المزعجـــين ... الطالعـــين ، النـــازلين

---

(١) ومنها خروف رابع الى الشاعر عبد الحميد فهمي نفسه ، وهي في الواقع هدية من قريب للشاعر عبد الحميد •



الفكاهة فى الشعر المعاصر

محمود غنيم : نماذج من شعر الدعابة

ويلى اذا ما ارهفـــــا　　ذنبيهمـــا كالعقـــربين
ان ينزلا لجمـــــا لمى　　او يصـــعدا التطما بعينى !
واذا همـا بســط الخوان　　تراهمــا سبقا اليــدين
فـاذا اردت الاكل يقتسمـا　　ن بيـنهمــــا ، وبينى
واذا اردت الشرب يمتصـا　　ن كالاســفنجتين .. !
فكاننى بهمــا وقـــد　　وقفــا بباب المنخــرين :
عبـــدان من اشقى العبيـــد　　تقاضيـا ملكا بدين .. !

ويدخل فى هذا الباب شعر الفكاهة بالعيوب الخلقية ، والمظاهر الجسمية ، ولو لم يكن ذلك جوابا عن ســؤال ، وانما ابتداء بالمقال ... فالشـــاعر « محمد حافظ ابراهيم » تقع عينه على رجل عظيم البطن ضخم البدلة ، فيصفه فى صورة شعرية فكاهية قائلا :

عطلت فن الكهرباء فلم نجـــد　　شـــيئا يعوق مسيرها الاكا
تسرى على وجـه البسيطة لحظة　　فتجوبها ، وتحـــار فى احشاكا !

والشـــاعر الخفيف الروح « حفنى ناصف » يصف مداعبا تلميذه المحامى عبد السلام فهمى وكان شديد السمرة ، فيقول :

سلام على عبد الســـلام ولعنة　　من الله تترى كل يوم وليـــلة
ارى وجهك الكسبى (١) ينضح سيرجا　　ومبسمك الالعى مجارى الطحينة !

والشاعر الخفيف الظــل « محمود غنيم » يصور صاحبا له ضخم الانف قائلا :

لى صاحب ظـــله خفيف　　لانفـــــه دانت الانـــوف
انف له قمـــة وســـفح　　فيه المغـــارات والكهوف
ان قامت الحرب غاب فيـــه　　من خوف غاراتهـــا الوف
سالته : أهو صـــنع ربى ؟　　فقال : لا ، بل بنـــاه خوفو

والشاعر « العوضى الوكيل » يعابث شخصا قبيح الصورة بقوله :

يا صاحب العثنون .. ما لك والعلا　　انى رايت بك الملاهى اجـــدرا

وقد يأتى الشعر الفكاهى على سبيل « الاصالة » فى النظم ، أو على سبيل المعارضة المناقضة لشعر قديم مشهور وقد برع فى هذا الباب الشاعر « محمد الههياوى » ، والشاعر « حسين شفيق المصرى » . وهل تفوتنا هنا معارضة حسين شفيق المصرى لقصيدة النابغة الذبيانى التى مطلعها :

---

(١) نسبة الى الكسب بضم الكاف ــ او الكسبة ــ وهو ما يخرج من تفل من عصر السمسم

يا دار مية بالعلياء فالسند ... أقوت ، وطال عليها سالف الأمد

وقد جعل شاعرنا الفكاهي موضوع معارضته مغالاة الآباء في جهاز العروس حباً في الظهور ، فقال :

راحوا لبيع نحاس البيت تكملة ... لأجرة التخت غنى ليلة الأحد
أبوك يا بنت مسكين يموت غدا ... من غيظه ، أو يبيع البيت بعد غد
هذا الجهاز رهنا كي نجيء به ... أطياننا ، وصبحنا أفقر البلد
لكنها أمها قالت : أتفضحنا ؟ ... لا بد من دعوة الأعيان والعمد !

ومن هذه المعارضات الفكاهية معارضة لقصيدة على الجارم التي مطلعها :

مالي فتنت بلحظك الفتاك ... وسلوت كل مليحة إلاك

وفيها يقول الشاعر المعارض :

أنت القطار على شريط صبابتي ... وأنا « السبنسة » في المسير وراك

وواضح أن هذه المعارضات التي كانت تنشرها المجلات الفكاهية – وعلى رأسها مجلة الكشكول – كانت تصاغ بلغة بين الفصحى والعامية ، مما يجعلها قريبة الى أذواق جمهرة من القراء ، كما كانت تعتمد على ألفاظ دارجة مضحكة ...

وقد تكون المعارضة الشعرية الفكاهية باللغة الفصحى وحدها ، كما فعل الشاعر « ابراهيم طوقان » في معارضته لقصيدة شوقي في العلم التي مطلعها :

قم للمعلم وفه التبجيلا ... كاد المعلم أن يكون رسولا

فيقول طوقان حيث ابتلى بمحنة التعليم :

شوقي يقول وما درى بمصيبتي ... « قم للمعلم وفه التبجيلا »
اقعد ! فديتك ، هل يكون مبجلا ... من كان للنشء الصغار خليلا ؟
ويكاد يقلقني الأمير بقوله : ... « كاد المعلم أن يكون رسولا »
لو جرب التعليم شوقي ساعة ... لقضى الحياة شقاوة وخمولا
حسب المعلم غمة ، وكآبة ... مرأى الدفاتر بكرة وأصيلا !
مائة على مائة اذا هي صلحت ... وجد العمى نحو العيون سبيلا ..

وبمناسبة الشكوى من وظيفة المعلم وقلة جدواها وقلة فرص الترقي فيها لا نجد شاعراً من أصحاب الفكاهة بلغ به السخط عليها والسخرية منها ما بلغ من الشاعر « محمود غنيم » . وما أمر شكواه الفكهة وهو يقول حين رقي مفتشا دون أن يزيد راتبه أو ترفع درجته :

وما سرني التفتيش حين وليته ... ولا أنا – إن ولي – عليه بآسف
لقد خلته يغني عيالي من الطوى ... فكان كمضروب من النقد زائف !
وزارة مهضومين ليس بآيض ... فتى يرتقي فيها ، وليس بصارف
اذا قيل مثسيون فتشت عنهمو ... فلم ألقهم الا « رجال المعارف »

وديوان محمود غنيم « صرخة في واد » و « في ظلال الثورة » مملوءان بنماذج من هذا الشعر الدعابي الساخر في وظيفة المعلم وهضم حقوقه .

***

وفي صور الهجاء في الشعر العربي المعاصر ألوان من الفكاهة التي تجعل فن الأهاجي مقبولا سائغا في عصرنا هذا بعد أن ظن أنه اندثر أو كاد ، مع علمنا بأن الهجاء طبيعة في نفوس البشر فكيف ينقرض أو يندثر فن شعري هو من طبائع النفس البشرية . والحق أن الأهاجي الفحشة اللاذعة كادت تندثر في زماننا هذا ، لوجود القوانين التي تمنع منها ، وتقف في طريق انتشارها لأنها نوع من الجريمة يدخل تحت طائلة القانون ولم يبق من هذه الأهاجي الكشوفة

الا ما يدار بين شعراء هـــذا اللون فى مجالسهم وندواتهم الخاصـــة ، وقد اشتهر بهذه الفكاهات الشعرية المكشوفة جماعة من اقدر شعرائنـــا المعاصرين ، منهم المرحوم الشاعر محمود غنيم ، والشعراء عامر بحيرى، وحسن كامل الصيرفى ، والعوضى الوكيل ، واحمد مخيمر ، وعبد الحميد الديب رحمه الله • ولن نستطيع أن نسجل هنا نماذج من هذا اللون الذى يذكرنا بابن الرومى ، وابن حجـــاج ، وابن سكرة الهاشمى ، والواســانى وغيرهم • ولا ندرى هل يسجل هــذا الشعر الفكاهى المكشوف كما يسجل كل شعر ، وكما سجل شعر الماضين من اصحاب المجون ، أم سيظل معتمدا على الرواية الشفوية حتى تذهب به الريح؟ولكنه على كل حال صورة طريفة للشعر الفكاهى الماجن المعــاصر لا ينبغى أن يطمسها مرور الزمان •

وزعيم هذه المدرسة كان الشـــاعر الفنان محمود غنيم الذى كان له دعابات مع الشاعر « ابراهيم ناجى » فى حكاية «الردنجوت» وحكاية «العدس الاباظى»

والعدس الاباظى هو لون من الطعام اللذيذ اشتهر بيت الاديب الشـــاعر الانسان ابراهيم دسوقى اباظه بطهوه •• وكثيرا ما التقينـــا على مائدة دسوقى « باشـــا » حول هذا الطبق الشـــهى ! وما اكثر ما كان يقوم الدعاب بين الشـــاعر غنيم وناجى حول هذا الصنف الذى يتخـــذه غنيم معبراً للتعريض بالدكتور ابراهيم ناجى والمعابثة معه • وما أطرف الشــاعر محمـــود غنيم وهو يقول فى هذا المعرض :

قالوا لنا عدس فافزعنى اســمه   لم لا ؟ ومنه قد تكون هيكلى ؟
حتى تذاقـرت لدى الوزير باكله   فلعلت من بعد اللاعق النملى (١)
عدس الاباظيين صــنف آخـــر   غير الذى عـــودته فى منزلى
سائلت « ناجى » وهو يحشو فكه   عن صنعه ، فاجابنى : لا علم لى
هو من كبـــار العالمين باكله   ويغير ذلك من كبار الجهـــل
لا تدع « ناجى » أن اصبت بعلة   ويطبــه ودوائه لا تحـــفل !
زاد « الدسوقى » الهــدى وحده   طب يداوى كل داء معضـــل

والفكاهة هنا قاسية من حيث تعريضها بعلم الدكتور ناجى فى مهنته • وليست هذه اول مرة يدخل غنيم على ناجى من هذا المدخل ، ويصـــيبه من هذا المقتل ، فلى « فكاهية » أخرى يقـول غنيم عن ناجى :

لنا طبيب يداوى الناس ان مرضوا   بالفصـــل ما بين ارواح وابدان
ومن تجرع كاس المــوت من يده   فلن يمر على جنات رضـــوان
رد « الردنجوت » موبوءا لصاحبه   فلم يطهره محلول الســـليمانى

والان ننتقل الى حكاية « الردنجوت » فقد كان الشـــعراء جميعا دعوا الى حفلة رسمية خارج القاهرة ــ قبل عهد الثورة ــ على ان يلبسوا الردنجوت طبقا لقواعد البروتوكول ••• فاعتذر غنيم من ذلك معرضا بناجى زاعما انه

---

(١) الوزير هو ابراهيم دســوقى اباظه •



صالح جودت : عن الاحزاب والوزارات في مصر قبل الثورة



احمد شوقي : مكان بارز في الشعر الفكاهي

استعار « ردنجوت » لم يوائم جرمه ولا قامته · وان غنيا كان يستطيع أن يستعير ردنجوت مثل ناجي ، ولكنه لم يفعل مخافة أن يتعرض لمن المعير · ولندع أبيات غنيم تتحدث عن نفسها وهو يقول :

الردنجوت يا معالى الوزير ليس يقوى عليه جيب الفقير
رمت أن استعيره مثل ناجي ثم أحجمت خوف من المعير
كم رأيت القصير فوق طويل ورأيت الطويل فوق قصير
لست أرضي بثوب غيري وان هم نسجوه من سندس وحرير

وكان هذا التعريض بناجي سببا في اثارته بقصيدة فكاهية رائعة يعابث فيها الشاعر غنيم قائلا :

بصرت به والصحن يلتقى فلم أر أبهى من غنيم وألطفا
تراءى له لحم ، فلم يدر عنده أديك من بعد الطوى أم تخرفا ! (١)
وأوما لى باللحظ يسألنى به أتعرفه ؟ أوهات باللحظ مسعفا
وقمته للديك ... وهو كأنما يطير اليه واثبا متلهفا
غنيم ! أخونا الديك ! قمت ذا لذا فهذا لذا من بعد لأى تعرفا
تعير ناجي بالردنجوت جاءه معارا ، فقامر واستعر أنت معطفا
وأقسم لو أن الردنجوت نلته وجاد به من جاد كرما ، وسلفا
لألبسته ظهرا لبطن ، مجبرا به تحسين الوجه من عبط القفا !!

والحق ان هذه الصورة الفكهة التي قدم بها ناجي الشاعر غنيم ، ووصفه جهل غنيم بشكل الديك أو الخروف ، وتعريفه بين غنيم والديك على مائدة دسوقي أباظة ، ووصفه لجهل غنيم بشكل الردنجوت فلا فرق عنده بين وجهه وظهره هي من امتع ما سمعنا من الشعر الفكاهي في زماننا هذا ·

وفي الحق أن شعر ناجي الفكاهي لا يجوز اغفاله ونحن نؤرخ للفكاهة الشعرية في العصر الحديث · وعلى الرغم من نغمات الحزن في شعر ناجي كان له في باب الشعر الفكاهي مقام ملحوظ ، ويكفي قصائده في « هجو

(١) تديك ، وتخرف اشارتان الى الديك والخروف ·

نديم الفكاهة

الفكاهة في الشعر المعاصر

طفيلي » وفي « هجو أعمى بغيض زوج حسناء » وفي مداعبته للدكتور « تملي » طبيب الاسنان ،وفي دعابته مع الاديب المفكر وديع فلسطين حين انعمت عليه حكومة اسبانيا بوسام رفيع ، للدلالة على تغلغل الروح الفكاهية في شعره ·

وفي شعر الفكاهة المعاصرة قد يحدث ان تنسب قصيدة فكاهية الى غير قائلها ، وتدعى الى غير صاحبها ·وهذا يحدث ـ على غير قلة ـ في كل فنون الشعر من المديح الى الرثاء الى الوصف فالغزل وغيرها · فالقصيدة اليتيمة ـ أو الدعدية ـ المشهورة التي مطلعها :

هل بالطلول لسائل رد | ام هل لها بتكلم عهد ؟

قد نسبت الى شعراء كثيرين في القرن الثالث الهجري ، بلغ عددهم اربعين شاعرا · وقد غلب عليها اثنان : ابو الشيص ، وعلى بن جبلة المعروف باسم « العكوك » · وقصيدة :

صاح في العاشقين بالكنانة | رشا في الجفون منه كنانه

ادعاها سبعون شاعراً ، وقد غلب عليها الشاعر السوري المصري الشهاب العزازي المتوفى سنة ٧١٠ هـ · وهي القصيدة التي منها البيت المشهور :

خطرات النسيم تجرح خديه | ولمس الحرير يدمي بنانه !

ولن يفوتنا هنا الاشارة الى مشاركة الشاعر « احمد شوقي » في الشعر الفكاهي المعاصر · وعلى ما كان فيه من اطالة التفكير وادامة النظر ، ومن قلة الكلام ونزورته ، كان له في الفكاهة الشعرية مكان معلوم · ومن شعره الفكاهي قصيدة للدكتور محجوب ثابت حينما استبدل بحصانه الهزيل « مكسويني » سيارة أوفرلاند ، وفيها يقول :

لكم في الخط سيارة | حديث الجار والجارة
اذنبا الخيل يا ماكس | كتنبا الناس غداره
لقد بدلك الدهر | من الاقبال ادباره
فصبرا يا فتى الخيل | فناس الحر صباره

ومن فكاهاته الشعرية أيضا قصيدته الاخرى في الحصان مكسويني ··· وأبياته الفكهة التي يتحدث فيها عن براغيث الدكتور محجوب ثابت ·

والحق ان محجوب ثابت كان هدفا للمداعبات والفكاهات الشعرية وغير الشعرية · وهل ننسى للشاعر « حافظ ابراهيم » صورة شعرية فكاهية رسم بها محجوب ثابت ، وفيها يقول :

يرغي ويزبد بالقافات تحسبها | قصف المدافع في افق البساتين (١)
من كل قاف كان الله صورها | من مارج النار تصوير الشياطين
قد خصه الله بالقافات يعلكها | واختص سبحانه بالكاف والنون

وقد يكون عيب خلقي عند شاعر سببا في ان يجعل هو من نفسه

(١) كان الدكتور محجوب ينطق دائما بالقاف الغليظة · والبساتين هي بساتين بركات ، وكان سعد زغلول يستجم فيها ومعه من بطانته حافظ

موضعا للدعابة والسخرية من نفسه ، وكأنه بذلك يسد الباب على من عداه من الشعراء ليعابثوه · ومن هذا الصنف من شعراء عصرنا المرحوم « محمد امام العبد » الذى تلونت بشرته بالسواد الحالك ، فاتخذ هو من سواد لونه محوراً للفكاهة فى شعره ·· فيجعل سواد لونه ثوب حداده على سوء حظه فى الحياة ، ويقول :

لبست لأجله ثوب الحداد ودرت مع الزمان بغير زاد
فما دار ألفت بهـا ديارى ولا بلد ألفت به بلادى

ويقول :

نسبونى الى العبيد مجازا بعد فضلى ،واستشهدوا بسوادى
ضاع قدرى فقمت أندب حظى فسوادى على ثوب حداد ···

ويقول حين سأله سائل : لماذا لا تتزوج يا امام :

يا خليلا ، وانت خير خليل لا تلم راهبا بغير دليل
أنا ليل ، وكل حسناء شمس فاجتماعى بها من المستحيل

ويقودنا حديث انصراف الشاعرمحمد العبد عن الزواج الى الحديث عن اقبال الشاعر الفكاهى المرح « محمد مصطفى حمام » على الزواج بلا حساب ··· فقد تزوج أربع زوجات انجبن له اكثر من خمسة عشر ولدا ما بين ذكران واناث · فلما صار جدا لاحفاد ، نظم أبياتا فكاهية يقول فيها :

بكرت للاعباء احملها ، وقد اعيت عزائم الاقوياء شداد
وجعلت ازرع فى صباى ولم أزل ما بين زرع صالح وحصاد
ويقول اصحابى كبرت ولم تزل مرحا يناديك الصبا وتنادى
يا حاسبى سنى ! رويد حسابكم أنا لو عرفتم اصغر الاجداد !

ولن ننسى ونحن نمضى بالبحث الى غايته أن نذكر الشعر الفكاهى عند « حفنى ناصف » ، وخاصة قصيدته الى سليم سركيس ، وقصيدته المشهورة بمناسبة نقله الى قنا ، وأن نذكر الاشعار الفكاهية التى كان يرسلها « العقاد » فى ساعات صفوه ، وخاصة مراثيه لبيوجين كلب الشاعر محمد طاهر الجبلاوى ، ودعواته المرحة الى زيارته ومنها :

فى العيد منتظروكا فاحضر لنا يا ويكا
سوهاج اضيق من ان تغنيه او تحتويكا
فالعيش فيها ضنين بكل ما يرضيكا

كما لا ننسى الشعر الفكاهى عند الشاعر « عبد السلام شهاب » ومنه قصيدته المرحة فى الشاعر محمد مصطفى الماحى بمناسبة ظهور الطبعة الاخيرة من ديوانه واشارته الى شهرة بيت الماحى فى تقديم « البط الزغاطى الدمياطى » اللذيذ ! وعند اشارة ساقت الشاعر محمود غنيم الى المساجلة الفكهة بقوله للماحى :

قد سمعنا عن بطكم ما سمعنا فأكلنا بالاذن حتى شبعنا
غير ان الافواه تنطق همسا ما عرفنا لذلك البط معنى
يا أبا مصطفى عليك سلام الم يرضيك ان شبعت ، وجعنا ؟
وسع الناس كلهم بطك الما ضح دهنا ، لكنه لم يسعنا ·· !

وبعد ! فهذه أطراف من الفكاهة فى الشعر العربى المعاصر ، نسوقها مثالا لا حصرا ، ونسأل الله أن يديم على الشعراء ، نعمة الود والصفاء ، ليسعد القارىء والسامع من خفة أرواحهم بما يشاء ···



فكري أباظة

الفكاهة في الصحافة

تحاول الصحف اليومية الان ان تبث بعض الفكاهات سياسية وغير سياسية ، ولكنها على قلتها لا تبعث الفكاهة التي كانت تفيض بها الصحف فيما بين عام ١٩٢٠ وعام ١٩٤٠ .

ولعل قيام الاحزاب المعروفة من بداية القرن العشرين وهي بالتوالي الحزب الوطني ، وحزب الامة ، وحزب الاصلاح على المبادىء الدستورية ، وحزب الاحرار ، ثم احزاب الوفد ، والحزب الدستوري ، والحزب السعدي ، والحزب الاتحادي ، وحزب الشعب ـ كانت تتدلع بين صحفها

كانت السهرات والافراح والليالي الملاح في مصر عامرة بالفكاهة والفكاهين واشهر من عرفت منهم محمد ناجي ، وسيد قشطة وفهيم وحسين التوزي ، ومن كبار الادباء والشعراء المشهورين بخفة الظل والمرح ، المرحوم محمد البابلي ، والشاعر الكبير حافظ ابراهيم ، والاديب الكبير الشيخ عبد العزيز البشري . وامام العبد .

وكان من الطبيعي ان تكثر المجلات الفكاهية في الماضي مثل مجلة السيف والمسامير للمرحوم حسين شفيق المصري ، ومجلة الصاعقة للمرحوم احمد فؤاد . وقبل ذلك كانت « حمارة منيتي » وبعد ذلك « خيال الظل » لزميلنا الصحفي الكبير حافظ عوض و « الكشكول » للمرحوم سليمان فوزي ، ومجلة « سركيس » للكاتب المرحوم « سليمان سركيس » والعجيب ان هذه المجلات الفكاهية لمجرد الفكاهة او الفكاهية « السياسية » باسلوبها المعروف « بالاسلوب الساخر » ـ قد اختفت منذ الثلاثينات الى يومنا هذا .

الفكاهة السياسية اللاذعة المتقنة التحرير والاعداد ، وقد كان يساهم فى هذه المجلات كبار الادباء أمثال الشاعر حافظ ابراهيم والشيخ عبد العزيز البشرى ، والهيهاوى ، وابراهيم عبد القادر المازنى ، وحسين هلال ، ثم ظهرت الفكاهة الكاريكاتورية بزعامة « سانتس » وصاروخان ، ورخا وصلاح جاهين ، وبهجت ، وغيرهم.

وبجانب الفكاهة النثرية فكاهة زجلية لها قائمة طويلة ، وعلى راس هذه القائمة الزجال الكبير بيرم التونسى ، وسعيد عبده ، ورمزى نظيم وغيرهم ممن صدرت عنهم ولهم مؤلفات



حافظ ابراهيم : حاضر البديهة يرتجل النكتة ويسخر من الأشياء ..

سجلت مكانتهم فى عالم الفكاهة .

كان الشاعر حافظ ابراهيم حاضر البديهة يرتجل النكتة ، فقد تقدم اليه صديقنا الكبير المستشار ليعرفه بنفسه قائلا له : « انا اسمى امام امام الخريبى » .

فقال له فورا : « اعوذ بالله ، قراقتين وخرابة ! » .

وكان من أصدقائنا احمد راسم وكان جميلا جمالا فائقا فى شبابه ، ولما كبر وتولى المناصب الكبيرة ، قابله المرحوم حافظ ابراهيم وعانقه ، ولكن شاعرنا الكبير نسى اسمه ، فقال له ما اسمك ؟ .. قال له : انا أحمد راسم .

قال يا خبر زى بعضه ، كنت جميلا كل الجمال فيماضى ، وأصبحت اليم « انقاض جمال ! » ، كنا نحبك بالجملة ، ولكنا سنحبك بالقطاعى ، يمكن مناخيرك لسه جميلة ويمكن ايدك اليمنى لسة جميلة ، ولكن البقية الباقية ، أكل عليها الدهر وشرب .

وكان حافظ ابراهيم يقطن فى حلوان ، ومن بين القاطنين معه المرحوم من . شوقى ولم يكن خفيف الظل عليه ، ولما احيل الى المعاش كان كثير التردد على حافظ ابراهيم ، يلازمه فى البيت ، وفى القهوة ، وفى قطار حلوان ، ولما اشتد به الضيق قال له : « هما يااخى احالوك على المعاش أم احالوك عليه ؟! » ..

وكنت معه ذات مرة فى قطار حلوان لاتناول الافطار عنده فى رمضان واخذت احدثه عن اسرتنا الاباظية وعددها الذى بلغ ثمانية آلاف ، ومنها قضاة ومحامون وصحفيون ونواب ،

الفكاهة في عالم الصحافة

وشيوخ واطباء ، ووصل القطار الى طرة حيث السجن الكبير فسألنى : كم الف اباظى فى سجن طره ؟!

قلت : عدد صغير جدا لا يتجاوز ثلاثة أو اربعة .

قال : بالطبع غير الذين حفظت قضاياهم لعدم كفاية الادلة ! ..

والحديث يطول عن المرحوم حافظ ابراهيم ، ولننتقل الى الاديب الشيخ عبد العزيز البشرى وكان ابن المرحوم شيخ الاسلام وشيخ الازهر الشيخ سليم البشرى ، وكان قاضيا بالمحاكم الشرعية بعمامته وجبته وقفطانه .

وفى الاسكندرية كان مدعوا للعشاء بمنزل المرحوم اسماعيل شيرين ، وبعد السهرة وتناول الطعام وغير الطعام انصرف ليذهب الى منزله بجوار سيدى جابر ولكنه « انحصر » فاضطر لازالة الضرورة فى الشارع، وفوجىء بعسكرى البوليس يضبطه متلبسا بهذه المخالفة فى الشارع العام ، وبدا يحرر المحضر ، فقال له الشيخ عبد العزيز : يا شاويش مش فيه مبلغ يندفع عشان الصلح فى هذه المخالفة ؟

فقال الشاويش : أيوه ، ١٥ قرش. اسم حضرتك ايه ؟

قال له : انا قاضى شرعى يا اخى وعيب ، اكتب « فاعل خير ! » .

وفى ذات يوم فى قهوة الانجلو التى كان من زبائنها وزراء وزعماء احزاب ومستشارون وصحفيون قام هو وبدوى باشا ، وحلمى عيسى باشا واحمد مصطفى باشا والوزراء ، فلما أوقفوا عربة حنطور ليركبوها معا هم الاربعة ، أراد الشيخ عبد العزيز ، باعتباره اقلهم وظيفة وعمرا أن يجلس فى كرسى الحنطور وراء العربجى ليجلس الثلاثة الكبار فى الصدر ولكنهم قالوا له :

ـ لا ، انت معمم وقاضى شرعى ولك احترامك ، فاجلس فى الصدر مكان احدنا ، وفعلا اجلسوه محل حلمى عيسى باشا وجلس حلمى عيسى باشا، وزير المعارف على الكرسى ، فصاح الشيخ عبد العزيز قائلا للاسطى عربجى الحنطور : « طيب يا اسطى ما دام الامر كذلك ، كسكس بقى » ، ما دامت الدنيا بالمقلوب » !!

وذات مرة كان قاضيا شرعيا للزقازيق ، وكان ينزل ضيفا على ابن عمى اسماعيل اباظه ، فقال له : « يا اسماعيل ، اعمل لى اليوم فتة بفخدة ضانى » .

فقال له اسماعيل : على عينى وراسى .

وكان اسماعيل اباظه كثير المزاح، فاشترى له « فخدة خنزير » ووضعها مع الفتة ولما جاء الشيخ عبد العزيز التهم صحن الفتة مع فخدة الخنزير واخذ يشكر صديقه اسماعيل اباظه.

فقال له : ايه رايك يا استاذ ، انك اكلت فخدة خنزير لا فخدة ديك ولا خروف .

فرد عليه الشيخ البشرى فورا قائلا له باللغة الفصحى : بالله عليك



محمد البابلي : أشهر المعروفين بخفة الظل والمرح



عبدالعزيز البشرى : قاضي شرعي وفاعل خير

يا اسماعيل الا ما كررتها باكر وبعد باكر !!

وفى يوم من الايام أحس الشيخ البشرى بالظما ، فقال لاسماعيل : عندك ميه باردة ؟ !

قال : يا استاذ الثلاجة مليانة ثلج ، قوم هات لك قطعة ثلج

واتمتع بيها مع كوبة الماء الكبيرة ·
وذهب الشيخ عبد العزيز الى الثلاجة وفتحها ، فوجد عدة نسخ

ملفوفة من جريدة المقطم ، ثم عدة نسخ من جريدة الاهرام وفى النهاية

وجد قطعة ثلج صغيرة لا تستحق الذكر ، وقال له : أنا ابنى الذى احبه

حبا جما اسمه حسين ، والله العظيم لو كان ابنى هذا الذى احبه حب العبادة

معى فى القطب الشمالى واشتكى من شدة البرد كنت استطيع أن الفه هذه اللفة بمثل هذا العدد من الجرائد !!

وكان معتادا ان يشترى علبتين سجاير عند الانصراف من القهوة

الانجلو علبة « جنكليس » مصرية وعلبة « لاكى سترايك » امريكية ،

وكان سائق التاكسى « بنى » اليونانى ينتظره كل ليلة ليذهب به الى منزله

فى الزيتون حتى يصل به الى فراشه فى غرفة نومه ، ولكنه لم يجد التاكسى ولا السائق فتطوع صديقه حسنى نجيب بتوصيله بسيارته الخاصة ،

ولما ركبا معا سأله حسنى نجيب عن عنوان منزله لتوصيله ·

فقال له الشيخ عبد العزيز : اعطنى سيجارة ·

قال له يا استاذ انته لسه مشترى علبتين ·

قال له الشيخ عبد العزيز : والله

الفكاهة في عالم الصحافة



حسين شفيق المصري :
اطلق مئات النكات، وكان
قادرا على تقليد اللهجات

ان لم تعطنى سيجارة فلن أعرفك بعنوان منزلي !

ودهش حسنى نجيب وسأل ، ما هو منطقه في هذه الحكاية ؟

قال له الشيخ عبد العزيز فورا :

ـ يامغفل السيجارة الشحتة التشبيح الذ من السيجارة الملك !

والنوادر كثيرة تحتاج كتابا لا مقالا موجزا كهذا المقال ، ولا تنس أننا أصدرنا مجلة الفكاهة بدار الهلال ، وكانت ناجحة نجاحا عظيما والاستاذ وليم باسيلي يحدثك عنها وعن رواجها ولا أدرى لماذا الغيت وغابت عن الصدور .

الفكاهة ، والاسلوب الساخر السياسي وغير السياسي مع الاسف الشديد قد اختفيا ، ولا أدرى لذلك سببا مع ان شعبنا لا يزال الشعب الفكه بغريزته وطبعه وتاريخه .

كانت المجلات الفكاهية تنشر كل هذه الحكايات وأضيف اليها تاريخ كل أبطالها مع أشعارهم وأزجالهم والصور الكاريكاتيرية ، ولا تنس في النهاية أزجال طبيبنا المعروف سعيد عبده ، وأزجاله الطريفة الدائمة في آخر ساعة

ولا بد أن نذكر أن كل هذه المجلات في عباراتها الساخرة كانت توجه النقد الشديد لرؤساء الوزارات والوزراء وكبار الموظفين فلا تجرح ولا تسيل الدم ، وانما تخدش الخدش الذي لا يتألم منه الموجه اليه النقد ، بل يبتسم هو الاخر كما يبتسم الوف القراء .

كانت حرية الصحافة الجادة والفكاهية ، حرية كاملة في العهد الاول للاحتلال البريطاني ، ولم يكن هناك رقيب ولا حسيب ، حتى لقد نشرت مرة في الاهرام مقالا عنيفا عنوانه « اقبضوا على رئيس الوزراء » ، وكان رئيس الوزراء وقتها هو يحيى ابراهيم سنة ١٩٢٣ ولما قابلني صدفة قال : « والله يا بني أنا انبسطت من مقالك رغم أمر القبض الذي أصدرته على ! » .

والآن وقد قرر الرئيس الرحب الصدر ـ أنور السادات ـ أمره بالغاء الرقابة اتساءل لماذا لا تعود المجلات الفكاهية الساخرة سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وكان لها شأن كبير في تصحيح الأوضاع الشاذة ونحن احوج ما نكون اليها في عهد ثورة التصحيح التي قادها الرئيس السادات ..

إبراهيم
صبري

رحلة الوجود

ليس في ملتي .. ولا في اعتقادي   يستوي نائح .. وآخر شادي
فترنم .. بكل لحن بهيج   يطلق البشر في شجي الفؤاد
وتبسم لكل جهم وسله   أي آلاء من حباك تماد
ثم غرد كشاعر .. أنطقته   آية الحسن في الربى والوهاد
وادع من أبدع الوجود وأرسى   سره في تقابل الأضداد
وارث من قال إن صوت نعي   مثل صوت البشير في كل نادي
قل له : كيف يستقيم وجود   يستوي الضد فيه بالأنداد
وعلام استكان عندك فكر   ظامئ في حجاه راو وصادي
يظلم السمع والفؤاد ويلقى   أنه المبتلى .. كرنة حادي
فإذا كل ما يعي غير مجد   وسدى ما يقول شاك وشادي
وإذا الكون ـ إذ توهم لغو   وهباء ـ مبعثر في رماد !
بينما الكون جوهر من وجود   سر مدى العصاد والأبعاد
فتعجب لمنطق .. من سحاب   حطه الوهم فوق سبع شداد

رحلة الوجود



وأخو الوَهْمِ .. لا يحرِّم إلا ... زينةَ الله .. أخرجَتْ للعبادِ
قد شَراها أب لنا بنعيم ... كانَ في خُلدِهِ من الزهّادِ
حينَ عاف النعيمَ فردا والتقى ... سِحرَه في تعاقب الأفراد
ومضى يَنْفَحُ الزمان خلوداً ... في ظهورِ البنين والأحفاد
فاذا ألفُ ألفِ آدمَ يحيا ... سيّدا للحياة حُرَّ القياد
وإذا ألف ألف جنّة خلد ... تحتويها حواضرٌ وبوادى
قد تجلّت لأعين الحبِّ نورا ... وتخفّت عن أعين الأحقادِ
ودنَتْ من يَدِ المحبِّ ومَجّتْ ... كل مُطير النهى والفؤاد
وهو يجفو الحياةَ فى كل حيٍّ ... ثم يَحْنو على رفات العباد
ناسيا أننا على الدهر نحيا ... مُبهجا لا تعيشُ بالأجساد
فاذا صارت الجسوم ترابا ... ومضى سائرٌ عليه وعادِ
لن ينالَ المسيءُ فى الأرض روحا ... سابحا فى طرائق الآباد
كالسّنا لا يضيره وطأ سارٍ ... بالثرى .. أو محلّقٍ كالغوادى
فاغدُ أنّى وأينما شئتَ ..لكن ... يَمّمْ الوجهَ فى شريف المراد
واشترِ المجدَ بالكفاحِ .. وندّدْ ... بالذى باع نَهجَهُ للكساد
كلما ضَلّ سَعيُهُ .. قال حظى ... وإذا ما أصابَ .. قال اجتهادى!

وسواء عليه أدركَ مجداً | أم توانى .. فأدركته العوادي
عبثت كله الوجود لديه | وحظوظ .. تناثرت دون هادي
بينما الحظ لا يعادي مُصرّاً | دائب السعي في طريق الرشاد
فوق ساقين من كفاح وصبر | وبز ثدي عزيمة واعتداد
كلنا كادح الى الله كدحاً | فملاقيه في بلوغ المراد
وإذا صادف المسير عثاراً | هتف العزم في رشيد القياد
ليس عيباً إذا هبطنا لنعلو | إنما العيب في الهبوط التمادي
ومن الظل ما يجدد عزماً | غير ما للظلام من إخلاد
تعب كلها الحياة .. ولكن | كل جهد يهون عند الحصاد
تعب يثمر الحياة .. فما أعـ | ـجب الا من راغب في الرقاد
يحسب الموت راحة .. وهو راح | أيقظت كل غافل متمادي
وأزاحت عن العيون غطاء | فانجلى الحق واليقين ينادي :
ما خلقنا لكي نموت فنفنى | إنما الموت مبدأ الميلاد !





علي أدهم

من مواقف الفكاهة

من أشهر القصص العالمية البارزة فى ادب السخرية والفكاهة والهجاء رحلات « جاليفر » التى كتبها الكاتب البريطانى المشهور جوناثان فقد تناول فى هذه الرحلات ـ ومنها رحلته الى بلاد الاقزام ورحلته الى بلاد العمالقة ـ تناول بالسخرية اللاذعة والتهكم الشديد مختلف نواحى الحياة الانسانية سواء فى السياسة او فى الادب والتقاليد الاجتماعية والنواحى العلمية والادبية ولم يسلم من سخريته شيء ...

ومن الروايات الممتازة الرائعة فى هذا الادب الساخر مغامرات دون كيشوت التي كتبها الكاتب الاسبانى الكبير ميجويل دى سرفانتيز ..

فى أشهر القصص العالمى

ولد سرفانتيز مؤلف مغامرات دون كيشوت فى قشتالة الجديدة سنة ١٥٤٧ وتلقى تعليما لا بأس به ، وظهرت مواهبه الادبية مبكرة ، ففى التاسعة عشرة من عمره ظهرت له قصيدة بمناسبة جنازة الملكة ايزابلا استرعت الانظار ، وانضم بعد ذلك للجيش الاسبانى وخدم فى ميادين كثيرة ، وفى الثامنة والعشرين من عمره وهو عائد من حملة حربية ، أسره القراصنة وظل أسيرا خمس سنوات ، ولما عاد الى اسبانيا ترك الخدمة الحربية ، وفرغ للادب والتأليف ولكن حياته كانت صراعا مستمرا فى مكافحة الفقر ..

ظهر الجزء الاول من رواية مغامرات دون كيشوت سنة ١٦٠٥ وكان سرفانتيز حينذاك فى الثامنة بعد الخمسين ، وقد رمى بها الى السخرية من الاقاصيص والمبالغات التى ميزت عصر انحطاط الفروسية والبطولة ورواج الكتاب ، واعيد طبعه عدة مرات وذاعت شهرته فى مختلف انحاء العالم وترجم الى لغات كثيرة واصبح اسم دون كيشوت وتابعه سانكوبانزا من الاسماء المعروفة البارزة فى الادب العالمى .

وقد مات سرفانتيز فى سنة ١٦١٦ وهى السنة التى مات فيها الشاعر

البريطاني الكبير وليام شكسبير ، وفى بعض الروايات انهما ماتا فى نفس اليوم من تلك السنة ، ولم تكن مكانته قد قدرت التقدير الكافى ولذلك اصبح قبره مجهولا ...

***

ويقول سرفانتيز ان دون كيشوت قد عاش فى قرية لامنشا فى اسبانيا وان اســـمه الاصلى هو الونزو كويكسانو ، وانه اكب على قراءة كتب الفروسية ومغامرات الفرســـان فى العصر الوسيط وان اكبابه على قراءة تلك الكتب والاقاصيص احـال عقله وأفسد تفكيره ، وفتن باخبار السحرة وما الى ذلك من غرائب الحـــوادث وعجائب المغامرات ، وبلغ من تأثير اخبار هذه المغـــامرات فى نفسه انه صار يعتقد أنه لا بد له من الاندماج فى سلك هؤلاء الفرسان وان يتشـبه بهم ، ويسلك مسلكهم ، واخـــذ فى اعداد نفسه للقيام بذلك ، ووجد فى مخلفات احد اجداده عدة حراب قد علاها الصدأ فأخذ فى صقلها وتنظيفها وهيأ لنفسه ما يقوم مقام الخوذة ،



وكان يملك فرســـا هزيلا يكاد يكون مجموعة من الجلد والعظام ، ولكن الدخول صورها على انها أجمل فرس فى العالم ، وشـغل نفســه أياما فى البحث عن اسم مناسب يطلقه عليها ، واستقر رأيه أخيرا على ان يدعوها باسم « روزينانت » ، وشرع بعد ذلك يفكر فى اختيار اسم يطلقه على نفسه وهداه اختيـــاره الى اسم « دون كيشوت دى لامنشا » — ولامنشا هو اسم المقاطعة التى عاش بها .

ولما فرغ من اعداد السلاح والفرس والاسم الجديد وجد أن ما ينقصه هو اختيار الحسناء النبيلة الأصل التى يقوم بمغامراته وعجائب مخـــاطراته تكريما لها واعلاء لشأنها ، كما كان يصنع الفرسان ، واتباعا للتقاليـــد الفروسية .. وقع اختياره على فتاة ريفية حسناء كانت تعيش على مقربة منه ، واطلق عليها اسم « دلشينيا دل توبوزو » — وتوبوزو اسم القرية التى ولدت بها .

ولما اتم ذلك امتطى صهوة فرســه وقد وضع خوذته على رأسه وارتدى حلته الحربية ، وحمل سلاحه ، وترك داره قبل بزوغ الفجر فى يوم شديد الحرارة من أيام شهر يوليو دون ان يقول كلمة لاحد ..

وقبل ان يمعن فى السير خطر له فجأة انه قبل ان يتقدم لطلب المغامرات واظهار ضروب الشجاعة والاقدام ، فان عليه ان يظفر بلقب الفارس ، والا يضع على درعه شارة الفروسية حتى تكسبه شجاعته هذا الامتياز .

ولقى صعوبة فى مواجهة هـــذا الموقف ، ولكنه تغلب عليها بان فكر فى ان ينال لقب البطولة والفروسية من اول فارس يلقاه فى طريقه ، وذلك حسب تقاليد الفروســـية ، وأطلق لفرسه العنان حتى اقبل الليل ، وأبصر

مواقف فكاهية

امرأتين شابتين واقفتين عند باب احدى الحانات ، وقد صور له خياله المريض تلك الحانة في صورة قلعة من القلاع حولها الحصون والمعاقل والجسور المتحركة والخنادق . وخال المرأتين الواقفتين من سيدات هذه القلعة فاقترب منهما . فاخافهما اقبال فارس مدجج بالسلاح عليهما . ولكنه تلطف معهما في الحديث لان الفارس لا يؤذى أحدا وبخاصة النساء الشريفات . واضحكهما ذلك . واثار ضحكهما غضبه . وسمع صاحب النزل ذلك الضجة فاقبل ليتبين الامر . وسرعان ما وجد في صورة الفارس ما يثير الضحك والسخرية . ولكنه سيطر على نفسه وخاطب الفارس القادم قائلا : « اذا كنت تريد نزلا فاننا قد هيأنا لك ذلك ! » .

ولحظ دون كيشوت تواضع من خاله حاكم القلعة . فأوصاه بالمحافظة على فرسه « لانها خير فرس في العالم » . وساعدتاه المرأتان في انتزاع حلته الحربية ودرعه الواقية ونزع خوذته . ولما كان قد جرى في وهمه أن الفتاتين من بنات الاشراف فقد قال لهما « انه لم يظفر أحد من الفرسان بمثل هذا التشريف الذي ناله بعد خروجه من قريته » وذكر لهما ان فرسه اسمها « روزينانت » وان اسمه « دون كيشوت دى لامنشا » وانه لم يكن حريصا على ان يكشف لهما عن اسمه قبل ان « تشهره اعماله البطولية » .

واطمأن دون كيشوت الى انه في احدى القلاع المشهورة وان الفتاتين يحاولان الترفيه عنه بالموسيقى ، ولكن شغل باله انه لم يظفر بعد بلقب الفروسية ، وكان يرى أنه لا يمكن ان يمارس مغامرات الفروسية الا بعد ان ينتظم في سلك الفروسية ، وبعد ان تقدم له طعام العشاء ،استدعى صاحب النزل وركع امامه على ركبتيه والتمس منه ان يمنحه لقب الفروسية ليكون بعد ذلك أهلا لان يقتحم الغمرات ويجوب القفار ،ويركب الفلوات ويجود بنفسه باذلا لحشاشته ليكشف البلوى عن المكروبين ، ويسبغ رعايته ، على المحتاجين ، ويسهل لهم ما توعر من الامور ، وييسر لهم ما تعقد من المشكلات ! ..

وكان صاحب الخان رجلا حولا ماكرا ، وخالجته من بادىء الامر شكوك في عقلية ضيفه ، وتأكدت بعد ذلك شكوكه واقتنع كل الاقتناع بأن ضيفه مفلتات العقل ، فروى له عن نفسه قصة طويلة ضمنها انه كان في مطلع شبابه بين الفرسان المتجولين وانه سيمنحه لقب الفروسية في اليوم التالى وخشى الرجل عواقب بقاء هذا الفارس المجنون فسارع في اليوم التالى الى القيام بما ادخل على دون كيشوت الوهم بأنه الاجراء التقليدى لمنحه لقب الفروسية .

وركب الفارس بعد ذلك فرسه « روزينانت » وقدم الشكر لضيفه ، ومضى في طلب المغامرات بعد أن ظفر بلقب الفروسية ..

***

وبعد أن سار قليلا توهم أن يسمع صوتا ضعيفا ، وخيل اليه أنه صوت انسان في حاجة الى الحماية والمساعدة فاستحث فرسه على الانطلاق في الطريق الذى خال الصوت منبعثا من ناحيته ، وبعد خطوات قليلة في الغابة ، رأى فرسا مشدودا الى شجرة بلوط وغلاما

مشدودا الى شجرة أخرى ، وكان هو الذى صدر عنه الصوت الذى سمعه. ولم يكن صياح هذا الغلام بغير سبب لان أحد رجال الريف الاقوياء البنية كان يضربه بالسوط ، ويتبع كل ضربة بالتوبيخ والتعنيف وكلمة من النصح وكان الغلام يقول « لن أعـود الى ما فعلت مرة أخـرى وأعد أننى فى المستقبل سأحافظ على القطيع ».

ولـما رأى دون كيشوت ذلك صاح غاضبا قائلا : « أيها الفارس الفـظ الغليظ القلب ، انه ليس مما يليق بك أن تتدخل فى شئون من لا يستطيع الدفاع عن نفسه ، فبادر الى امتطاء صهوة جوادك واحمل رمحك ، وسأجعلك تعرف انه من الجبن أن تأتى ما أنت فاعله » .

وأدرك القروى الفزع حينمـا رأى أمامه فارسه شاكى السلاح ممتطيا فرسه فأجابه قائلا : « سيدى الفارس، هذا الغلام خادمى ، وهو يتولى حراسة قطيع الغنم ، وهو كثير الاهمال ، وفى كل يوم افقد واحدا من القطيع ، وهو يدعى انى انسب اليه الاهمال وأعاقبه على تقصيره بدافع البخل والتماس العذر لعدم اعطائه ما يستحق من الاجر » .

فقال له دون كيشوت « أيها الوغد الحقـير ، ان الكذب غير جائز فى حضرتى ، وسأمزقك اربا اربا بهذا الرمح ، اذا لم تؤد له ما عليك ، واطلق سراحه فى التو واللحظة ! » .

فحنى القـروى رأسه واطلق سراح الغلام ، وسأل دون كيشوت الغلام عما له عند القروى ، فأجاب الغلام بأنه مدين له بأجور تسعة أشهر وان أجره فى كل شهر ثلاثة شلنات ونصف ، فأمر دون كيشوت القروى بدفعها فى الحال ، والا كان القتل جزاءه » .

فصاح القروى المكروب قائلا « ان الامر ليس كما قال الغلام ، لان عليه ان يستـبعد ثمن ثلاثة أزواج من الاحذية أعطاها للغلام ، ونصـف شلن دفعه لعلاجه حينما مرض » .

فأجابه دون كيشوت قائلا : « كل هذا حق ، ولكن اذا وضعنا ذلك الى جانب السـياط التى علوته بها بدون مسوغ وجدنا انه غير مدين لك بشىء »

فقال القروى : « يا سيدى الفارس ان اسوأ ما فى الامر هو أننى لا أحمل معى نقودا ، فلتدع أندريز يذهب معى الى دارى لأدفـع له كل ما على من دين » .

فقال الغلام : « أذهب معه الى داره! لا أفعل ذلك ، انه اذا انفرد بى مزق ثيابى انتقاما منى » .

فقال له دون كيشوت : « انه يكفى أن ألقى عليه أوامرى ، واشترط عليه أن يقسم لى بيمين البطولة والفروسية وسأتركه حرا ويكون ملزما بدفـع ما عليه » .

وبعد أن نطق بهذا الكلام استحث فرسه ، ومضى فى طريقه ...

ولما رأى القروى أن دون كيشوت غاب عن الانظار ، تحول الى غلامه أندريز وقال له : « سر معى ، فقد عقدت العزم على أن أدفع لك ما أنا مدين به لك كما أمرنى هذا الفارس المتصدى لانصاف البشر وتقـويم أعوجاجهم » .

وأجابه الصبى قائلا : « وهكـذا ستفعل ، وانك تحسن صنعا بقيامك بما أمرك به هذا السيد الامين ، لانك اذا لم تدفع لى ما عليك فانه من غير شك سيعود اليـك وينفذ ما هددك به » .

فقال له القروى « وأنى أقول ذلك

ايضا ، ولكى اظهر لك مدى حبى لك فانى اعتزمت ان أزيد الـديـن لكى يزداد ما ادفعه لك ! » .

وسحب الغــلام من ذراعه واعاد شده الى الشجرة وتوعده بعقــوبة اشد مما نزل به ، وثار الغلام متوعدا بأنه سيبحث عن الفارس دون كيشوت دى لامنشا ويذكر له ما حدث ، وان سيده سيدفع ما عليه سبعة اضعاف.

***

ومضى الفارس فى طريقه ، وتوقف عند ملتقى اربعة طرق ليفــكر فى الطريق الذى يختــاره ، ورأى فى النهاية ان يتـــرك الخيار لفرسه ، سارت الفرس فى الطريق المفضى الى الاصطبل ...

وبعد ان سارت الفرس قرابة ميلين راى دون كيشوت جماعة من الناس ظهر بعد ذلك انهم فريق من تجــار طليطلة قاصدين الذهاب الى مرسية لشراء حرير ، وكان عددهم ســتة ، وقد حملوا مظلاتهم ومعهم اربعة من الخدم على ظهور الجياد ، وثلاثة من المكاريين يسيرون على اقدامهم .

ولم يكد دون كيشــوت يبصرهم حتى جرى فى رهمه انه تلقاء مغامرة جديدة ، وصمم على ان يتبع ماقرأه فى كتب الفروسية ، فتشبث بركابه، وامسك برمحه ، وغطى صدره بدرعه ووقف فى منتصف الطريق ينتظر قدوم هؤلاء الفرسان المتجولين كما صورهم له خياله .

ولما اقتربوا منــه طلب منهم فى كبرياء وانفة ان يعترفوا انه ليس فى الدنيا فتـــاة اجمل من امبراطورة لامنشا دلشينيا توبوزو التى لا نظير لها ...

فتوقف التجار عند سماعهم هــذا الكلام ، وسرعان ما ادركـــوا أن المتحدث ملتبـــس العقل ، وقال له احدهم وكان نزاعا الى الســخرية والتهكم : « سيدى الفارس ، اننـــا لا نعرف هذه السيدة ، فدعنا نراها، واذا كان نصيبها من الجمال كمـــا وصفت فاننا ســـنقر عن طيب خاطر ما قلته » .

فاجــاب دون كيشـــوت قائلا : « اتريدون أن اظهرها لكم : ! أين اذن مزية الاعتراف بحقيقة واضحة ؟ ان الامر يقتضى انكم تصدقون وتعترفون وتؤكدون ذلك دون ان تروها ، واذا لم تقبلوا فانى اتحداكم جميعا مهما يكن نصيبكم من الاباء والكبرياء » .

ولم يكد يتم قـــوله حتى اسرع شاهرا رمحه نحو الذى تحدث اليه ، ولولا ان فرسه « روزينانت » تعثرت خطواتها وسقطت ووقع من فوقهـــا لساء مصير التاجر الجرىء ...

وحاول دون كيشوت ان ينهض من كبوته فلم يستطع ، وتقدم احــــد المكاريين الذين كانوا فى صحبة التجار من الفـــارس المرتمى على الارض ، واخذ رمحـــه وكسره ، وعمل على

انهاضه من كبوته ، واجهده المحاولة وعجز الفارس فى محاولته النهوض وعد ذلك من سوء الحظ الذى كثيرا ما يكون من نصيب الفرسان المتجولين وعزا اللوم كله الى فرسه ، ولكنــه عد نفسه برغم ذلك كله سعيدا لانه اصابه ما يصيب الفرسان المتجولين فى اغلب الاحايين .

وفى تلك اللحظة مر به احد ابناء قريته وكان يحمل شحنة من القمح ،



هنريك هيني : اول
كتاب عن دون كيشوت

فلما أبصر به ملقى على الارض اقبل عليه وسأله عن اسمه وماذا أصابه، فلم يرد دون كيشوت على سؤاله ، واسترسل فى تأوهه ، ولما ازال الرجل التراب عن وجه الفارس استطاع معرفته وقال له : « ماذا اصابك يا سيد كويكسادا ؟ » فأجابه دون كيشوت اجابة غامضة وبذل الرجل جهداً فى انهاضه ، ووجد أن حمله على حماره اقل صعوبة من حمله على الفرس ، ووضع الرمح الذى انكسرت نصاله فوق «روزينانت» ، وقاد الحمار والفرس الى القرية ، وقد حيره وأذهله ما كان يهذى به دون كيشوت من الحديث والشكوى مما كان يعانيه من الالم ...

ولما وصل الى منزل دون كيشوت ارتفع الضجيج ، واتفق أن كان بالمنزل قس الناحية وحلاق القرية (وكان يقوم بها مقام الطبيب) وكان الاثنان من أصدقاء الفارس ، واقبلت مديرة المنزل وقالت للقس : «ما رأيك يا سيد بيرو بيريز (وكان هذا هو اسم القس) فيما أصاب سيدنا ؟... اني مقتنعة كل الاقتناع بأن سبب ما أصابه وما حل به من الكوارث هو ادمانه قراءة كتب الفروسية التى احالت عقله وافسدت تفكيره ، وقد سمعته يحدث نفسه قائلا « أنه لا بد له من أن يسلك سبيل الفرسان المتجولين ويتصدى للمغامرات » ، فلتبعد هذه الكتب التى أفقدته رجاحة العقل ، وأغرته باعتساف المجاهل وركوب الاخطار ، وكان معروفاً قبل ذلك فى لامنشا بعقله الراجح ، وفهمه الثاقب ... »

وتدخلت فى الحديث ابنة اخيه قائلة : « اعلم يا سيد نقولا — وكان هذا هو اسم حلاق القرية — ان عمى المبجل كان يمضى الايام والليالى مستغرقاً فى قراءة كتب الفروسية ثم يضع الكتاب ويسحب السيف ويبارز الحيطان ، وبعد أن ينال منه الاعياء يقول انه قد قتل اربعة من العمالقة طوالا كأبراج الكنائس ، وان العرق الذى غمر جسمه هو دم الجروح التى اصابته وهو يصارعهم ، واللوم فى ذلك كله يقع على عاتقى لانه كان من الواجب على ان اخبركم بذلك قبل ان يبلغ تأثير هذه الكتب فى نفسه هذا المبلغ وتعبث بعقله هذا العبث لتتولوا أحراقها فانها تستحق الحرق والإبادة ! » .

فقال القس : « انى اتفق معك فى هذا الراى ولن ينقضى الغد الا بعد أن نكون قد اسلمنا هذه الكتب للنيران » .

وحصل القس على مفاتيح مكتبة دون كيشوت من ابنة أخيه وتفحص هذه المجموعة من الكتب وكانت اكثر من مائة مجلد ، ووجد القس انه من الصعب فحصها ولكى يجنب نفسه العناء اتفق مع القائمة على شئون

مواقف فكاهية

المنزل بالقـــاء الكتب جميعها من النافذة الى ساحة المنزل ، واشعلت فيها النيران حتى اتت عليها جميعها

واقترح الحلاق ازالة حائط الحجرة ليتوقف المرض الذى اصـــاب دون كيشوت ولكي يدخلوا فى روعه ان ساحرا من السحرة قد حمل الحجرة بما فيها من الكتب ، ونفذ ذلك ·

واستطاع دون كيشـوت ان ينهض من فراشه بعد يومين ، وكان اول ما فعله محاولة الذهاب الى مكتبته ، ولكنه لم يجد الحجرة فى مكانهـــا المعهود فأخذ فى البحث عنها ولما اعياه البحث سأل مدبرة المنزل عن كتبه ، وكانت قد ألقت من قبل ما تجيب به على تساؤله ، فاجابته قائلة « اى حجرة تسأل عنها سيادتك ؟ ·· ليس هناك حجرة ولا كتب فى هذا المنزل لان احدى الساحرات قد حملت بعيدا كل ما فى المنزل » ·

وفى الوقت نفســـه ذهب دون كيشوت ليرى جارا له من العمال ، وكان رجلا امينا وكان ضحل التفكير ، واراد دون كيشوت ان يتخذه خادما يصحبه فى مغامراته ، وقال له انه قد يستولى فى هذه المغـامرات على جزيرة وانه ســيجعله حاكما لذلك الجزيرة ، وبهذا الوعد وامثاله من الوعود ترك هذا التابع – وكان اسمه سانكوبانزا – زوجته واولاده وسار فى ركاب جاره الفارس ···

واستأنف دون كيشـوت سيره فى طريق المغامرات مصـــحوبا بتابعه سانكوبانزا طامعا فى حكومة الجزيرة التى وعده بهـــا ، وبدأت سلسلة المغامرات الضحـكة التى رواها لنا سرفانتز فى اخبار فارســـه دون كيشوت التى اضحكت جيله والاجيـال التالية ولا تزال ذخـــرا من انفس ذخائر ادب الفكاهة والسخرية !

ويروى عن لويس الرابع عشرملك فرنسا انه سأل مرة احد رجال بلاطه قائلا له : « أتعرف اللغة الإسبانية؟»

فأجابه الرجـــل : « لا يا مولاى ، ولكنى سأشرع فى تعلمها » ·

واقبل الرجل على دراسة اللغـــة الاســـبانية لانه ظن ان الملك يريد اختياره سفيرا فى البلاط الاسبانى ، وبعد فترةمن الزمن قال الرجل مخاطبا الملك : « مولاى ، لقد تعلمت اللغة الاسبانية » ·

فأجاب الملك « حسن جدا ، انك تستطيع الآن قراءة دون كيشـــــوت فى لغتها الاصلية ! » ·

●●●

وشـــخصية دون كيشـــوت من الشـــخصيات المحبوبة التى نعطف عليها ونؤثرها ، ويعجبنا منه نبل غايته وسلامة طويته ، وقد تضحكنا حماقته واوهامه ، وتدخل علينـــا السرور سخافته واندفاعاته ، ولكنه ضحك يتخلله العطف وسرور يشوبه الاسى والحزن ···

وقد قرأ هذه القصة العجيبةالشاعر الالمانى الكبير هينريك هينى فى اول نشأته ، وتركت فى نفسه اثرا باقيا وقد حدثنا عن هذا الكتاب قائلا فى احد فصوله الادبية عن ذكريات حياته «اول كتاب قرأته حينما اصبحت غلاما ناشئا يقوى على الفهم ويســـتطيع القراءة هو حيـــاة الفارس الاريب دون كيشوت دى لامنشا واعماله » · وان انس من الاشياء لا انسى ذلك العهد حينما تسللت بكرة من الدار استرق الخطا الى ســـاحة الحديقة لاقرأ

دون كيشوت دون أن استهدف للانزعاج ، وكان اليوم من أيام شهر مايو الحسان ، كان الربيع الناضر يستدفىء في ضوء الصباح الصامت مصغيا لاطراء هذا المتملق العذب الهزار الذي كان يغني في رقة ولطافة وفي حماسة مؤثرة جعلت أشد البراعم خضرة تتفتح وتزدهر ، وجعلت الاشجار والازهار تهتز من نشوة الطرب ...

وجلست على مقعد حجري قديم قد علاه الطحلب فيما يسمى « طريق التنهدات » القريب من منحدر المياه وأخذت أغزو قلبي الصغير بمخاطرات الفارس الجريء التي تهز النفس وتثير الخاطر ، وجعلتني براءة الطفولة آخذ كل شيء مأخذ الجد ، ومهما كانت النكبات التي كانت تصيب هذا البطل البائس مضحكة فانني كنت اعتقد انها يلزم أن تكون كذلك ، وكانت السخرية به تثير غضبي كما كانت الجروح التي تصيبه تحزن قلبي .

كنت طفلا لا يعرف شيئا عن السخرية التي بثها الله في الدنيا والتي حاكاها الشاعر الكبير في عالمه الصغير ، وبكيت بكاء مرا حينما وجدت أن الفارس النبيل لم يجن سوى انكار الجميل والضربات والصفعات ، ولما كنت حينذاك غير متمرن على القراءة لذلك كنت انطق كل كلمة بصوت مرتفع ، وكانت الاطيار والاشجار والجداول والازهار تسمع كل ما اقرأ ، ولما كانت هذه الكائنات البريئة مثل صغار الاطفال لا تعرف شيئا عن سخرية الدنيا فهي كذلك اخذت المسألة مأخذ الجد ، وشاركتني في البكاء على احزان الفارس المنكوب ، وبلغ التأثر باحدى شجرات البلوط التي طال عليها الزمن الى حد انها نشجت وانتحبت وهز منحدر المياه لحيته البيضاء هزا عنيفا ، وبدا لي انه ينعي على الدنيا شرورها ...

وكنت كلما مضيت في قراءة الكتاب ازداد قدر فارس « دلشينا » ارتفاعا في نظري ، وتزايد حبي له وتعلقي به ، ولبثت مثابرا على ذلك اياما في الحديقة نفسها ، فلما اقبل الخريف كنت قد وصلت الى نهاية الكتاب ..

ولست انسى يوم قرأت عن المعركة المحزنة التي خرج منها البطل يجر اذيال الهزيمة الشائنة ... كان يوما عبوسا ، وكانت السحب القاتمة في سماء غبراء ، وكانت الاوراق الصفراء تتساقط من الاشجار في حزن وأسى ، وكانت البلابل قد ماتت منذ زمن طويل ، وكانت صورة الفناء تطالعني من كل ركن ..

وكاد قلبي ينفطر وأنا اقرأ كيف انطرح الفارس النبيل على الارض مثخنا بالجراح ، مهشم الاضلاع ، وقد اخذ يقول في صوت خافت واهن كأنه مقبل من القبر « دلشينا هي أجمل فتاة في العالم · وليس من اللائق أن يبطل هذا الحق ضعفي — فاطعن برمحك يا سيدي الفارس ! »

فوا أسفاه لقد كان الفارس اللامع فارس القمر الفضي الذي هزم اشجع رجل وأنبل انسان عرفته الدنيا ، كان هذا الفارس حلاقا متنكرا ! ..

***

وقصة مغامرات دون كيشوت ومخاطراته من القصص البارعة المشجية في تاريخ الادب العالمي ، والواقع أن في كل منها جانبا من دون كيشوت وجانبا من تابعه سانكو بانزا ، وكل منا مزيج من الاثنين ، وبطبيعة الحال يتغلب في أكثرنا جانب سانكو بانزا على جانب دون كيشوت ويكاد يمحوه ، وربما كان ذلك من أسباب تعلق الانسانية بهذا الكتاب وحرصها على بقائه من التراث الخالد .

سعد درويش

حنين

« ... بعد اربعة اعوام »

تَحِنُّ إليها ... ولا تَخْجَلُ ؟ — وتَنْسى الهوانَ . ولا تَحفلُ ؟
أأنتَ فـؤادى .. فأين الإباءُ — وأينَ مَضَى عزْمُك الأوّلُ ؟
وأين ثباتك للحـادثاتِ — تصُولُ عليكَ فـلا تجفلُ ؟
لقدْ ذَهَبَتْ عنك مُختـارةً — وخانتْ هواكَ .. فما تأمُلُ ؟
وكان هواها لأَجْلِ الهَوَى — فأضحَى هـواها لمنْ يَبْذُلُ
وأنت الذى لو حَبوْتَ الخلود — لما كُنتَ عن حُبِّها تعـدِلُ
أبَعْدَ الذى كان .. تشتاقُهـا — وهَجْرِ التى هَجَرتْ أجملُ ؟
تقول : سأنسى هـواها غـداً ! — وكمْ ذا تقول ولا تَفعَـلُ
كأنَّ الجبال لها وَحْدَهـا — وأنَّ الغرامَ بِهـا مُوكَلُ
تملّكَ منك جُنونُ الهَـوَى — فهيهاتَ تَبْرأ أو تعقِـلُ
عرفتَ الهوَى فعرفتَ العذاب — وصُلبانُه أبدا تحْمـلُ
تعيش مع الأمسِ فى كهفِـهِ — وتنسيكَ ذِكراهُ .. ما يُقبِلُ

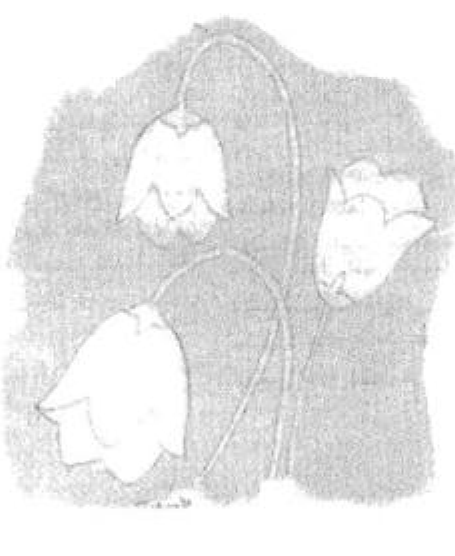
تخافُ الهَوَى بعْدَها مِثلما   تهيَّبَ مصرَعَه الأعـــزلُ
وتهفو لهـا أبدًا .. مثلمـــا   يُعاودُ مَنْبَعه الجَــدْولُ
وتسألُ عنها .. وقد أنكرتكَ .   كأمٍّ على طِفلِهـــا تسـألُ
تَحِنُّ اليه .. وقدْ عقَّهـــا   ويَهجُرُ .. وهى بهِ تُشغَلُ

***

الامَ تحدِّقُ فى الــذِّكريا   تِ .. تُشعلُ فى القلب ماتُشعلُ؟
تُرد عليــكَ طيوفَ المُنَى   جِراحا مُعذِّبَةً تُعْـــولُ
تُديرُ عليــكَ كئوس الهوانِ   يَسوغُ لدى طَعمها الحنظَلُ
تُهيل عليكَ رُكامَ السنينِ   حزَنًا الى تَشــوهُ بما تحمِلُ

***

حنانَيْكَ .. ليس الأسى مرجعا   هواكَ .. ولا دمعك المرسَـــلُ
أما كنتَ تعلمُ أنَّ الحيـــاة   بمِثلِ الذى وهَبتْ تبخلُ ؟
وهل كنتَ تجهَلُ طبعَ الهوى   وأنَّ الهَوى قلبهُ حُــوَّلُ ؟
كنجمٍ تَبَسَّمُ عَبرَ الظَّــلامِ   إذا ما أنِسنا بهِ يأفَـــلُ
كوَردِ الربيعِ يُريكَ البشاشـ   ـةَ حينا .. ولــكنَّه يَذْبُلُ !





عادل ثابت

بالاضافة الى ما للكاريكاتير من أثر فى التسرية وادخال السرور ، فان له أيضا من المقاصد الفلسفية والاجتماعية العميقة على مر العصور ما يجعله فنا انسانيا باهرا .. ومؤثرا ..

وعلى امتداد مراحل الصراع فى المجتمع الانسانى الحديث . فقد استطاع فن الكاريكاتير أن يعالج كثيرا من مظاهر الحمق ، وضروب الظلم ، وان يملأ بالابتسامات قلوب الملايين .

الكاريكاتير

فن الفكاهة والسخرية

● يقولون ان فن الكاريكاتير ، او الرسم الساخر ، نشأ على يد الفنان الايطالى (انيبال كاراكشى ـ ١٥٦٠ ـ ١٦٠٩) فقد عرف عنه انه اول من رسم فى التاريخ الحديث صورا باعثة على الضحك ، تمثل بعض الناس المحيطين به .

● والرسم الفكاهى ينقسم قسمين رئيسيين : « الكاريكاتير » و « الكارتون » ..

● والبعض يقول ان « كاريكاتير » مشتقة من كلمة لاتينية معناها رسم يغالى فى ابراز العيوب . والبعض الآخر يقول انها ماخوذة من الكلمة الايطالية « كاريكير » التى تؤدى معنى « يحمل » او « يبالغ » . اما معاجم اللغة فتقول ان « الكاريكاتير »

عبارة عن صـــــورة يراعى فيها التهويل فى ابراز السمات الواضحة أو الشاذة بغية احداث أثر ضاحك أو ساخر ...

أما « الكارتون » ، فقد تطور عن الكاريكاتير ، وهو لا يصور اشخاصا لذاتهم بل للتعبير عن حـــوادث وأفكار ومواقف ، وهو عادة يعتمد على الشـــخصيات الرمزية ... والاختلاف بين الكاريكاتير والكارتون بسيط ، الا أن الاسس فى رسم كل منهما واحدة ...

● ولكن استخدام المبـــالغة والمغالاة فى التصوير ، ســواء عن طريق الكلمة أو الريشـــة ، كان معروفا منذ أزمان سحيقة ، فقــد عرفه المصريون القدماء ، واليونانيون (العصر الهلينستى) ، ووصل الى درجة كبيرة فى الفن السكندرى الذى كان يحاول المبالغة فى اظهار عيـوب الجسم البشرى ، كالمبالغة فى تصوير الانف ، كما كانت النساء البدينات مادة خصبة فى الفن الكاريكاتيرى

وقد عرف العـرب الكاريكاتير عن طريق الصور الشعرية ، فقد صور ابن الرومى المقتر قائلا :

يقتر عيسى على نفســــه
وليس بباق ولا خـالد
ولو يستطيع بتقتيـــره
تنفس من منخر واحــد !

● واذا عدنا الى فحص الزخارف اليونانية واللوحات الخشبية المنحوتة التى كانت تعلو الكاتدرائيات والكنائس الكبيرة فى العصور الوسطى ، نجد انها تتسم بطابع هذا الفن الذى أصبح مثيرا لحماسة الفنانين .

والواقع ان فن الكاريكاتير جاء نتيجة للاتجاه الذى ساد عصر النهضة تأكيدا لاهمية الفرد ، واظهـــار شـــخصيته على المسرح فى ثوبه الرسمى ، أو بقدميه العاريتين ، أو فى صورة ضاحكة تجلب الانظار ، أو تتناول تلك الشخصية بشتى الاساليب

ولقد كان ـ ولا يزال ـ للرسوم الكاريكاتيرية الصحفية من تأثير قوى ، فقد سأل أحد الصحفيين مرة هارى ترومـــان ، رئيس الولايات المتحدة الامريكية ، السابق ـ عن اكثر شىء يخافه فى حياته .. فقـــال : « انني لا اخاف فى حياتى الا من الموت ورسامى الكاريكاتير ! » .

وفن الكاريكاتير يشتمل على كثير من الموضوعات وان كان يختلف فى طابعه من مكان الى اخر ، نتيجـة

الكاريكاتير



للبيئة او الانفعال او الاحساس الذى يستولى على الرسام وهو يهم بتصوير حوادث معينة ، اصيب بها ، اولعبت دورها على مراى منـــه ، او كانت كامنةفى نفسه ، ولم تجـــد بدا من الانطلاق ...

الا ان « الكاريكاتير » ينطبق على ما رسمه ليوناردو دافنشى (١٤٥٢ـ ١٥١٩) من صور ساخرة بين الحين والحين ، كما ينطبـــق كذلك على رسوم تشارلىمانا جبسون الاجتماعية (١٨٦٧ ـ ١٩٤٤ـ فضلا عن المعارك السياسية القاسية التى صورها جيمس جيلراى (١٧٥٧ ـ ١٨١٥) ..

● ومنذ الثلث الاول من القـــرن الســـــادس عشر ، كانت ايطاليـــا تحتفل بالوقار والاحتشام ، وتدعو الى هيبة المظهر الذى انتشر انتشارا يسترعى الانتباه ، وسرى سريانا كبيرا فى المجتمع الاسبانى الذى كان يشيع نزعة الاخذ بالابهة ، ويجل كلمايدعو الى ابراز السمـــات الجليلة ، التى تحمل الطابع الفخم ، ولقد ادى هذا الالتزام الشديد بالمظهر الى رد فعل قوى يناهضه وان كان لم يستـــطع القضاء عليه فى اى عصر من العصور التى مرت بهذا الفن .

على ان كتبا كثيرة ، ظهرت فى هذا الفن بعضها للتمجيد ، والبعض الاخر للحد من اعمال هؤلاء الفنانين الذين اتجهوا هذا الاتجاه ، وحاولوا البراعة والسبق فيه .

● والواقع ان ما عند اليـــــه « بروجل » و « بوش » فى رسمهما لاجزاء الجسم البشرى فى وضع غير طبيعى ، كاســـتبدال القدم باليد ، او الراس بالقدم ، او الخلط بين هيكل الانسان وهيكل الاسماك والطيـــور والحيوانات او طواحين الهـــواء ـ كان يدخل باب الرسم الكاريكاتيرى او يشبهه الى حـــد قريب ، غير ان التصوير الحقيقى بمعنى التصـــوير الساخر لفرد من الافـــراد لا يمكن الوقوف عليه ، او تبين وجوده قبل « اجوستينو كارتش » ١٧٥٧ ـ ١٦٠٢ وان كان اول رســـــم كاريكاتيرى لاشخاص معروفة قـــــد ظهـــر على يد « جيوفانى لورنزو برنينى » ١٥٩٨ ـ ١٦٨٠ .

ويعتبر الكاريكاتير سلاحا هاما من الاســـلحة السياسية ، واول رسام كاريكاتيرى استخدمه كسلاح سياسى

هو جورج تاونسهند الانجليزي ، ثم جاء بعده وليم هوجارث الذى كان رساما جادا وموهوبا ، فقد استطاع أن يغير من طبيعة ذلك الفن بأن يمنحه حيوية جديدة، فرسوم هوجارث تصور فى غير رحمة حقبة من التاريخ الانجليزى عندما كانت الخشونة والثقافة تتصارعان على السلطة ، وقد أنشأ هوجارث مدرسة انجليزية للسخرية ، كان من أبرز شخصياتها توماس رولاندسون ، وجيمس جيلراى وقد استخدمت هذه المدرسةالكاريكاتير كسلاح مباشر لمهاجمة خصوم الاحزاب السياسية التى ينتسبون اليها ٠

رفيعة هانم والسبع افندى
من اعمال الفنان رخا



● أما فى فرنسا فقديما لفنان شاب يدعى « شارل فيليبون » نشر الصور الكاريكاتيرية فى مجلة اسبوعية أطلق عليها « الكاريكاتور » ، ثم أصدرصحيفة يومية باسم«الشاريفارى» عام ١٨٣٢ ، وكانت معارضة لسياسة الحكومة وقتذاك فسلطت عليها رقابة شديدة ، ولكن المجلة استطاعت ان تشق طريقها هذا بالاضافة الى أنها أنشأت مدرسة قوية فى الكاريكاتير كان من دعامتها الفنان « دوميه » ، «جراندفيل »

● **ولقد رسم فنانو (معهد كراتشى) فى بولونيا بعضهم البعض فى صورة هزلية غاية فى السخرية والضحك ، كما اتخذوا لرسومهم نماذج من الناس حولهم فى الطرقات والمنازل ٠ وقد نشأت الرغبة فى الاطلاع على هذه الروائع الفنية العتيقة ، وتخصص البعض فى اقتنائها وبيعها فى الاسواق والحوانيت وداخل البيوت خلال القرن السابع عشر ٠ على ان الكتاب الذى وضعه « موزينى » عام ١٦٤٦ جاء جامعا للرسوم الهزلية فى مجلدات، ومصنفا للوحات المتفرقة التى أصبحت تحفر او تنسخ بالقلم وتوزع على اوسع نطاق ٠**

واذا كنا نضحك اليوم للفن التكامى فيرجع ذلك لدراستنا لما ظهر فى الماضى على اعتباراته جزء لا يتجزأ من تاريخ الانسانية ، ولهذا عمد كثير من

الناشرين الى نشر هذه الرسوم فى عديد من المجلدات ، كل منها يختص ببلد عن غيـــره ، أو بفترة زمنية محددة ، أو موضوع بعينـــه ، أو برسلم له شخصية فنية متميزة ...

● ولا ريب ان الفن الكاريكاتيرى اتسعت لوحاته الســاخرة واشتملت مضامين الحياة المختلفـــة ، واحتلت جزءا كبيرا من المكتبات والمتاحف ، ليعود بنفعه على الاجيال ، جيلا بعد جيل ، كما انه يعتبر من الاسانيـد والوثائق المصورة العظيمة النفع .

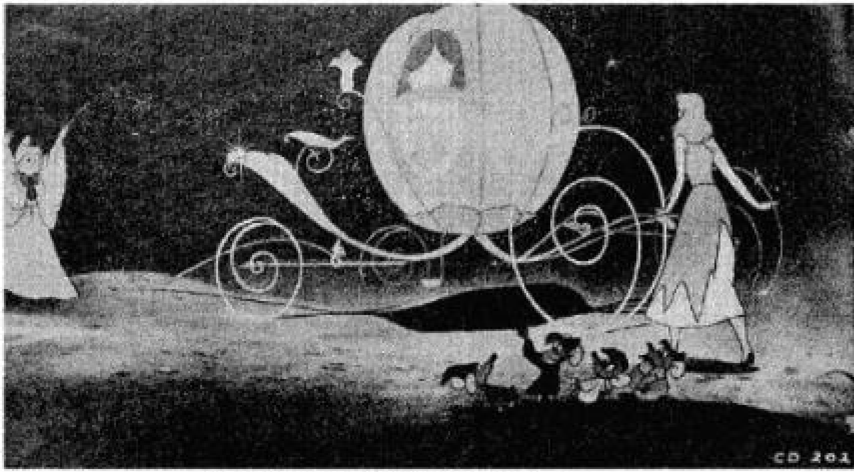
وفى الســـنوات الاخيرة انتشر الرسم الكاريكاتيرى فى معظم اقطار العالم ، واصبح من هم ادوات النقد السياسى والاجتماعى ، وخصصت له الصحف والمجلات فى كل مكان ، ففى أمريكا تنتشر الفكاهة والسخرية فى كل ميدان وفى كل حال ، فهنـــاك رواة الفـــكاهات فى التليفـــزيون والراديو ، وهناك المضـــحكون فى المسرح والســـينما ، ثم الرسامون الكاريكـــاتيريون الذين يهدفون الى الاضحاك أولا وأخيرا .



● ولقد أنشأ الفنان العالمى والت ديزنى مدينة كاملة سميت باسمـــه كان يمارس فيها كل أنواع النشـــاط الكاريكاتيرى ممثـــلة فى الافـــلام السينمائية الملونة ، والاعـــلانات المتحركة والثابتة ، وكان من مميزات هذا الفنان العالمى انه ابتكر شخصيات فنية كثيرة منها الفار « ميكى ماوس » الذى يحبه الصـــــغار والكبار فى الافلام والمجلات ..

● اما فى عالمنا العربى وخاصـة فى مصر فقد اتخذ الرسم الكاريكاتيرى ركنا اساسيا فى معظم الصـــحف والمجلات ، ومن اوائل من ادخـــل الكاريكاتير فى الصحـــافة المصرية يعقوب صنوع الذى كان يصدر مجلة نقدية هزلية تدعى « ابو نضارة » ينتقد فيها بقســـوة حكومة الخديو اسماعيل وكان يدعم نقده برســـوم كاريكاتيرية ، كما ادخل الاســـتاذ أحمد حافظ عوض الرسم الكاريكاتيرى فى مجلته التى اصدرها « خيـــال الظل » فيما بعد .

ان رسام الكاريكاتير لم يكن فى اول عهده بالكاريكاتير يصور فكرة أو حادثا أو موضوعا ، وانما كان يقتصر على مجرد رسم لا حياة فيه ولا تعبير .. وكان التعليق المكتوب تحت الرسم هو (الاصـــل) فى النكتة ... اما (الرسم) فلم يكن الا (الفرع) الذى لا يمكن الاســـتغناء عنه .



« سندريلا » من أعمال الفنان العالمي والت ديزني

● وبدأ الكاريكاتير يتخذ مكانته المنتظمة بين المواد الصحفية حين صدرت مجلة (الكشكول) التي كانت تنشر رسوما كاريكاتيرية لبعض الفنانين المصريين ومن بينهم الفنان المصرى النحات محمود مختار وزملاؤه فى مدرسة الفنون الجميلة ، وكان بينهم الفنان المعروف (سانتس) ٠ وفى حوالى عام ١٩٢٥ جاء الى مصر الفنان الارمنى « صاروخان » وقدم رسومه الاولى فى مجلة الجديد ، واثبت على المدى انه استاذ فى هذا الفن بعد أن تفهم الحياة المصرية وتغلغل فى تفاصيلها ، وقد استطاع صاروخان أن ينشىء عدة مدارس مصرية للكاريكاتير كان من أبرز تلاميذها عبد السميع ورخا وصلاح جاهين وغيرهم ٠٠

ولو عدنا الى فترة ما بعد الحرب العالمية الاولى نجد انه قد صدرت عدة صحف ومجلات صغيرة كانت تظهر حينا وتختفى حينا اخر ٠ ولقد ظهرت فى هذه الحقبة رسوم كاريكاتيرية لاسماء لامعة ٠

● وقد سجل الكاريكاتير المصرى بشهادة العالم كله شخصيات لها شهرتها ليس فى مصر وحدها ، بل فى كل البلاد العربية ، ومن بينها شخصية (المصرى افندى) و (بنت البلد) وشخصية (كشكش بيه) على انه اذا كان يؤرخ للكاريكاتير فى مصر فقد بدا يحتل مركزا هاما فى الصحافة المصرية ، عندما اصدرت دار الهلال اولى مجلاتها الفكاهية واسمها مجلة (الفكاهة) ٠ وكان يرسمها الفنان رفقى الذى كان ضابطا بالجيش التركى بمساعدة شقيقه شوقى ٠٠

عاطف مصطفى

العلاقة بين الفكاهة والكاريكاتير هي علاقة اللغة بحروف الهجاء ، فالكاريكاتير هو فن السخرية ، والسخرية هي الفكاهة اللاذعة ، وهي أعلى مراتب الفكاهة ...

وفنان الكاريكاتير يذبح خصومه بسلاح الفكاهة ، ويهدم الرأى المضاد بزلزلة الضحكات ..



ورسام الكاريكاتير في مصر فنان على قدر كبير من الثقافة والاطلاع كان لم يكن موسوعة تستوعب العديد من الثقافات المتنوعة حتى تسعفه على الابتكار والتجديد ليظهر انتاجه في امثل صورة واكملها ..

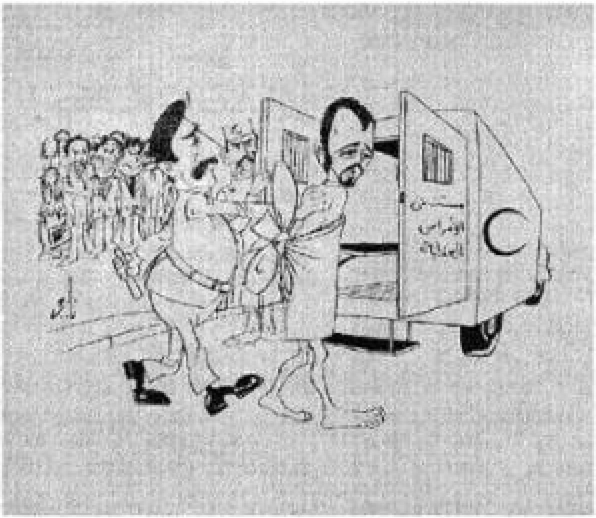
ومن خلال هذه الشخصيات نتعرف على المزيد من هذا الفن المعبر المتعدد المزايا ..

مع فنان الكاريكاتير في مصر

يقول الفنان رخا : يبتكر رسام الكاريكاتير شخصيات تعاونه في نقل افكاره الى القارىء ولقد استعنت خلال خمسة واربعين عاما بشخصيات كثيرة من بين اشهرها شخصيات « ابن البلد » و « بنت البلد » ، ورفيعة هانم » و « السبع افندى » ، و « حمار افندى » و « ميمى بيه » . وقد احببت هذه الشخصيات ، واحبها القراء ، ولكنى اميز من بينها شخصية بنت البلد .

ولدت « بنت البلد » في عام ١٩٤٦ على غلاف أول عدد صدر من « اخر ساعة » ، بعد أن انتقلت ملكيتها الى اخبار اليوم ، وكنت اضيق بالناس حينما يقولون عن ربطة عنقك اذا لم تعجبهم ، انها « بلدى ... » وعن تصرفاتك اذا لم تعجبهم ، انها « بلدى ... » الخ .

كانت كلمة « بلدى » توضع عنوانا على كل شيء قبيح ، واغتظت من هذا



استوحى الفنان ناجى كامل هذا الكاريكاتير معبرا عن موقف تعرض له

فليس معقولا ان يكون الله قد اختص « البلدى » اى المصرى القح بكل القبح، وانه جلت قدرته ، قد وزع كل الجمال على بقية عباده الذين هم ليسوا « بلدى » ! .

ورسمت « بنت البلد » ، فيها كل الحلاوة ، وكل السحر ، وكل الجمال وكل خفة الظل ، بل انني جعلتها تقتحم مجتمعات اولاد الذوات لتسخر منهم وتتحداهم ان يجرؤ واحد منهم ويقول عنها ، انها .. « بلدى » ! .

● والفنان صلاح جاهين يقول : يعتقد الناس أن رسام الكاريكاتير يضحك دائما ، ولذلك فأنا أقرأ فى عيونهم حينما يلتقون بى خيبة الامل ... واستطيع أن ألمح تلك المأثورة التى تقول : « سماعك بالمعيدى خير من أن تراه » ، لانهم يرونني فى احيان كثيرة ساكنا لا يوجد على وجهى اى تعبير مما يتوقعونه ، بل قد اكون مهموما مكفهر الوجه ، وهذا على نقيض الصورة التى يرسمها الناس لى بشكل خاص ، ولرسام الكاريكاتير بشكل عام .

وفى بعض الاحيان يطلب منى

مع فنان الكاريكاتير

احدهم ان اقول نكتة فاعجز عن ذلك تماما . وذلك يزيد فى خيبة املهم . وفى الواقع لا استطيع ان اتذكر اى نكتة . ولكن اذا تذكرت واحدة وكانت تعجبنى فاننى استطيع ان القيها بشكل جذاب وجيد .

ومن المواقف التى اتذكرها تلك الزيارة للفنان العالمى الهندى شانكر لروزاليوسف وكنا نشن فى ذلك الوقت حملة على دالاس ومشروعاته . ولما راى شانكر نماذج من اعمال رسامى الكاريكاتير وكانت كلها تقريبا تدور حول دالاس . لاحظ اننا نصوره على انه شيطان ومصاص للدماء . وقرصان . وسفاح . وله مخالب وانياب .. الخ .. حينما راى الفنان الهندى هذه النماذج أعطانا نصيحة ما زلت اتذكرها حتى الان .. وهى عندما تريد ان تهاجم شخصا بالكاريكاتير . لا يجب ان تبرزه فى صورة بشعة . بل يجب ان تبرزه على اعتبار انه « مغفل » وعلى هذا الاساس تنتصر وجهة النظر التى يدافع عنها فنان الكاريكاتير بمعنى انه بدلا من ان نجعل الكاريكاتير يعبر عن السفاح نجعله يعبر عن المغفل .

وانا ما زلت الى الان اتذكر هذه النصيحة . واعتقد انها اقرب الى فن الكاريكاتير والفكاهة ..

وما زالت الفكاهة منذ بدات حتى الان تعتمد على ابراز شخصيات الاحمق والمغفل والابله . وعندنا فى الادب العربى القديم اعمال الجاحظ عن نوادر البخلاء ونوادر الحمقى تدل على هذا بصورة واضحة . وكذلك بعض الاعمال الاخرى التى حاولوا ان يهاجموا بها الطغيان السياسى فى عصر قراقوش .

● اما الفنان ناجى فيحكى موقفا حقيقيا صادفه . يقول : اعتدت الجلوس فى قهوة بجوار دار القضاء العالى . واعتاد الفنانون ان يلتقوا فيها والتردد على هذه الاماكن يصادفه بعض الوجوه التى تتكرر مشاهدتها كبائع اليانصيب . وماسح الاحذية . والمتسول وكل من هؤلاء لا يكل عن الطلب . ولا يتوانى ابدا . ومهما اوتيت من صبر وجلد وسخاء فلا يمكن ابدا ان ترضى أحدا من هؤلاء لكثرتهم .

وفى ذات يوم فكرت فى حل قد يوصلنى لارضاء هؤلاء الناس فى زمن قياسى مدته ساعة وفى نهاية الساعة سجلت هذه الاحصائية ....

مسحت الحذاء ثمانى مرات . واشتريت عشر ورقات يانصيب وتصدقت على سبعة من المتسولين . ودفعت احسانا لخمسة من عازفى الكمان . واشتريت كتابا مغلفا بالسلوفان على اعتبار انه كتاب ثقافى . واكتشفت انه كتاب عن الجنس .

وربما رواد القهوة الجالسين ينظرون الى نظرة وعى وادراك بان هذا التصرف قد يكون من صميم عملى كرسام كاريكاتير . اما الرواد

العابرون فالبعض منهم بدأ يقترب مني على اعتبار انني انسان غير سوى اتصرف بعته ، وكل منهم يمني نفسه بشيء معـــا معي : الساعة القميص ، البنطلون ...

وفي تلك اللحظـــة شرد ذهني ، وتصورت حدوث هذا ، كل منهم آخذ مني ما ينتقيه لنفسه والحـــال انى سوف اصل اليها متجردا من ملابس وممتلكاتي ، وكيف سيستدعي الناس البوليس.، وتأتي عربة اسعاف لتنقلني الى مستشفى الامراض العقلية ...

كل هذا سببه انني اريد ارضاء كل الناس ، وهذه فلسفة غير ممكنة في عصرنا

● ويقول الفنان ليثي : في البداية اقوم بعمل سيناريو للعمل ذاته ، ثم بعد ذلك ارسم الموقف ، واضع التعليق الذى كتبته لهذا السيناريو .

هـــذه البداية هى دائما التي توصلني الى خلق العمل الناجح المعبر

دوري كرســام كاريكاتير يناقش من خلال هذا الفن المشاكل اليوميـــة للجماهير ، مثل المواصلات ، طوابير الجمعيـــة ، الفول ، وكل مايمس احتياجات الغالبية العظمى للشعب .

ولكثرة تنقلاتى وســفرى فانا اعتبـــر المصرى رغم ما يلاقيه من صعاب ومشاق فى حياته الا انه يتميز بالرقي في سلوكه ، وهذا يدل بالفعل على ما له من تراث حضارى عمره سبعة الاف سنة .

لقد رايت موقفا اعجـــزني عن رسمه وتســجيله ، كنت مارا في



الفنان رخا : احب الشخصيات عندي ، شـــخصية بنت البلد



الفنان صلاح جاهين : الفكاهة تعتمد على ابراز شـــخصيات معينـــة



الفنان صـــلاح الليثي : الكاريكاتير يناقش احتياجات الشعب المتعددة

شارع رمسيس ، ورأيت رجلا يحمل خبزا بكمية ضخمة على رأسه ، راكبا دراجته . واثناء سيره المسرع سقطت بعض الارغفة فى وسط الشارع ، واذا برجلين من « ابناء البلد » لابسى الجلاليب يساعدان الرجل فى جمع ما سقط منه من الخبز ، وانصرف حامل الخبز فوق دراجته مع الارتال الهائلة من السيارات بعد ان اضاءت العلامة الخضراء بالمرور . لكن الرجلين انحنيا بحب واحترام شديدين تجاه الشارع يجمعان فتات ما تخلف من الخبز ، ولم يأبه الرجلان بالخطر المحدق بهما فصمما على جمع ما تبقى من الفتات . اعجبنى احترامهما الشديد لنعمة الله وهى بمثابة الحياة المتمثلة فى هذا الخبز . هذا يدل على اننا شعب نقدس الحياة وفى الوقت نفسه لا نهاب الموت .

ومعجزة العبور هى الدليل الاكبر على مدى شجاعة شعبنا ، ولان هذا الشعب يحب الحياة ، عبر وحطم خط بارليف بشجاعة نادرة ، وحقق ما أراده .

● والفنان ماهر يقول ان الناس يتصورون ان رسام الكاريكاتير يعتبر بمثابةممثل هزلى من خلال رسومه ، ويتصورون ايضا انه من المفروض ان تنبعث الضحكات العالية بمجرد رؤية النكتة ثم ينسونها مباشرة .

مع فنان الكاريكاتير



الفنان ماهر : رسام الكاريكاتير يعيش بحثا عن قضية يؤمن بها

ورأيي ان الكاريكاتير كما هو فى العالم أجمع تعبير عن معاناة كاملة بكل ما تمثل هذه الكلمة لفنان ينصهر ويتعايش مع احداث المجتمع الذى يعيش فيه .

اذكر اننىالتقيت مع « كهم » رسام الكاريكاتير الاشهر فى الاكسبريس الباريسية ثلاث مرات ، الاولى سنة ٦٧ والثانية ٧١ والاخيرة فى ٩ اكتوبر ١٩٧٣ .

فى المرة الاولى التقيت به وأنا أعلم أنه من انصار الصهيونية ، وفى المرة الثانية اكتشفت انه يهودى صهيونى، وفى خلال اللقاءين كنا نتناقش وكنت احاول ان اشرح له وجهة نظرنا من خلال اعمالى واعماله ، ولم يكن هو يتصور ان هناك فى مصر فنانين يرتقون الى نفس المستوى العالى فى هذا الفن .

كان يبدو متعصبا لاسرائيل مقتنعا بمزاعمها ...



الفنان محمد التهامي : النكتة للصغار تختلف عن النكتة للكبار

واذكر ردى عليه فى تلك الوقت : « اننى لا الومك على كل ما قلت لانك تسمع الدعاية من جانب واحد فقط ولن استطيع فى ساعة او اثنتين او شهر ان امحو من ذهنك كل ما علق به من دعايات صهيونية ، وربما يأتى اليوم الذى نلتقى فيه » .

وشاءت الظروف ان اسافر يوم ٦ اكتوبر صباحا الى باريس ، وعلمت بمجرد وصولى ببطولات ٦ اكتوبر ، والتقيت مع « كيم » يوم ٩ اكتوبر .. فشاهدت منظراً عجيباً ، وتحولا كان لا يمكن ان يحدث لولا بطولات مصر على ضفاف القناة ، حتى ان المرافقة التى صحبتنى فى خلال الزيارات الثلاث كانت واحدة ، وكل ما استطاعت ان تقوله : هل مستر « كيم » مريض ؟ !

فاجبت : هذا تأثير المواقف الذى كنت انتظره ، وقد تحقق .

وهذا يرينا كيف ان رسام الكاريكاتير لا يعيش فقط لاضحاك الناس ، ولكن بحثا عن قضية يؤمن بها ، تشغله ، ويشتغل بها . كما ان الكاريكاتير انما يشارك مشاركة فعالة فى معالجة المواقف الجادة .

● واذا استعرضنا فن الكاريكاتير فلا يفوتنا الاشارة الى الكاريكاتير الخاص بالاطفال حيث ان فن النكتة للطفل يختلف عن النكتة للكبار ، ويقول الفنان محمد التهامى : النكتة « الكاريكاتير » عند الكبار تلجأ الى النقد ، اما عند الطفل فهى تلجأ الى موقف معين لا بد ان يثير الضحك بمجرد الرؤية الاولى والا فشلت النكتة .

فمثلا اذا رسمت كاريكاتير لطفل سقط على الارض وخرج من رأسه دم فهذا الكاريكاتير يضحك الطفل كثيرا ، لانه حريص على الا يقع مثل هذا الطفل الموجود بالكاريكاتير كما نصحته امه فالذى سقط على الارض لم يسمع نصيحة الام ، وهذا هو النموذج الذى يجب ان يكون عليه الكاريكاتير الخاص بالاطفال .

ان الشعب المصرى فنان يهوى الكاريكاتير ، والكاريكاتير والنكتة كانا بالنسبة للشعب المصرى من القوى الاسلحة فى نضاله ضد الغازى والمعتدى .. ولذا حافظ شعبنا على اصالته وعراقته ولم يلن ابدا للمحن والمخاطر وانما اجتازها بشجاعة وصلابة وقوة ...

أدب الفكاهة

محمد محمود رضوان

محمد السباعي

أديب الفكاهة والألم!

كان محمد السباعي من ائمة نهضتنا الادبية الحديثة ومن الرواد الذين اسهموا في تمهيد الطريق لجيل العقاد والمازني وطه حسين وغيرهم ... وكان منوع المواهب ، فقد كان كاتبا وشاعرا ومترجما وقاصا ... وظريفا !

وكان محمد السباعي بسيطا مبتسما للحياة ،يتلقى احداثها ببساطة ويسردون جزع على حب مفقود ، او مال ذاهب ، او منصب ضائع ، ذلك انه كان يرى ان النفس الانسانية اكبر من ان تموت كمدا على هذه الاعراض الزائلة ... وقد اتخذ من السخرية والفكاهة وعدم الاسف على شيء ضاع منه .. فلسفة له في الحياة ...

تعد قصة محمد السباعي مع الادب والثقافة من اجمل قصص الكفاح والتضحية في سبيل الثقافة الرفيعة والادب السامي في حقبة حرجة من حياة مصر وتاريخها السياسي والثقافي والاجتماعي ...

ولد محمد السباعي من أب مصري وأم تركية بمدينة القاهرة ، في قسم باب الشعرية عام ١٨٨١ ، واتم تعليمه الابتدائي بمدرسة الجمالية وتعليمه الثانوي في المدرسة الخديوية ثم التحق بعد ذلك بمدرسة المعلمين العليا ، وكان دائما من المتفوقين .

وبعد تخرجه اشتغل بالتدريس في مدارس « وزارة المعارف » ولكنه ما لبث أن نفر من الوظيفة وتمرد على النظم المدرسية لانه واجه نظاما في التعليم كل هدفه استعباد اذهان التلاميذ وتكبيل عقولهم .. فاستقال!



محمد السباعي : كاتب متعدد المواهب

من وظيفة التدريس فى وزارة المعارف « البهية » كما كان يسميها ، وتفرغ للصحافة والادب ...

● فى ميدان الصحافة ●

وفى ميدان الصحافة والادب ، اسهم محمد السباعى فى تحرير صحيفة « الجريدة » التى كان يشرف عليها احمد لطفى السيد ، وعكف على التأليف والترجمة ، فاخرج عدة كتب نفيسة كان لها اثرها فى نهضتنا الادبية الحديثة .

وكان يشترك ايضا فى تحرير صحيفة « البيان » .

ثم عاد بعد ذلك الى العمل فى الحكومة فعمل لفترة بوزارة الزراعة ثم وزارة الاشغال وكان محمد السباعى يعمل فى الوقت ذاته بصحيفة « البلاغ » اليومى و « البلاغ الاسبوعى » . وقد نشر فى البلاغ الاسبوعى الكثير من قصصه ما بين مؤلفة ومترجمة حتى احتجبت الصحيفة (١٩٢٦ ـ ١٩٣٠) .

وكان محمد السباعى كاتبا متعدد المواهب ..

كان شاعرا ، وكاتبا ، ومترجما ، وقاصا ، فضلا عن انه كان فنانا موسيقيا يهوى الموسيقى ويعشقها ، وله فيها ثقافة وبراعة فى العزف على القانون ... فكان يجمع بين الشعر والنثر والموسيقى ، ولكنه آثر الابتعاد عن مجال السياسة وعن استقطاب الاحزاب ، مما حرمه من تلك الشهرة العريضة والمناصب الكبيرة التى شغلها بعض زملائه وتلاميذه ممن خاضوا غمار السياسة، وآثر الابتعاد عن جو الاحزاب وتفرغ للادب والكتابة فى صمت وزهد يترجم ويكتب ويتأمل مؤمنا بأن الادب هو الباقى محتقرا ذلك التكالب الرهيب على المظاهر الكاذبة وبريق المال والشهرة والمنصب وكان ذلك نابعا من طبيعة نفسيته وشخصيته الهادئة فآثر ان يقف وراء الستارة يشهد الوان المأساة والفكاهة على مسرح الحياة الزاخر الفياض بشتى الألوان والظلال .

● مترجم الرباعيات ●

وقد ترجم محمد السباعى رباعيات عمر الخيام ترجمة انيقة رقيقة ، تنم عن تعاطفه مع فلسفة الخيام وافتتانه بسيرته وافكاره . وقد نقلها شعرا عن النسخة الانجليزية للشاعر « فتزجيرالد » ، واتسمت تلك الترجمة بالرصانة وجودة الصياغة والرقة ..

يصور لنا الخيام فلسفته اللاهية التى تسعى للذة وتلبى نداها من ترجمة محمد السباعى :

صاح بى فى النوم طيف هاتها
نملأ الاكواب من ياقوتها
قبلما تنضب فى كاساتها
خمرة الروح وترتد الى
منبع بالغيب مجهول البقاع

ويبدع فى تصوير استغراق الخيام فى اللذة وايمانه بالفلسفة الابيقورية حيث ينأى عن كل ما يذكره بالعقل او الفكر ، ويرتمى فى احضان الكاس :

قد صنعت اليوم عرسا عجبا
لزواج يزدهينى طربا
مؤثرا تطليق عقلى المجدبا
لاحتضان الكاس صبا مغرما
بعروس ريقها يبرى السقام

وهكذا تألق محمد السباعى فى ترجمته لرباعيات الخيام وخلع من روحه واحاسيسه عليها ما اضفى عليها الحرارة والصدق الفنى .

محمد السباعي
أديب الفكاهة

● الساخر الظريف ●

وقد ألف الاديب الكبير عدة كتب قيمة منها كتاب « السمر » وكتاب « الصور » وفى هذين الكتابين وصف لصور مختلفة متباينة من الحياة بأسلوب تهكمى لاذع .

وكتاب « خواطر فى الحياة والادب » وقد نشر هذه الخواطر تباعا فى صحيفة « البلاغ » اليومى . وقد ترجم محمد السباعى مختارات من روائع الاداب العالمية ، فترجم كتاب « الابطال » لتوماس كارليل ورواية « قصة مدينتين » لشارلز ديكنز ، و « التربية » لسبنسر و « تاجر البندقية » لشكسبير ، وعشرات القصص القصيرة من روائع الادب العالمى .

وقد نشر قصة « الفيلسوف » على حلقات متتابعة فى صحيفة « البلاغ الاسبوعى » فظهرت فيها خفة ظل محمد السباعى وروحه الفكهة وخياله الرحب ، وقد مات الكاتب الكبير قبل أن يتمكن من اتمامها ، وقد أتمها نجله الاستاذ يوسف السباعى ونشرت عام ١٩٥٧ وقد صدرتهامقدمة بليغة وافية للدكتور طه حسين يقول فيها عن الاديب الكبير محمد السباعى وعن روايته : (١)

« وما أعرف أحدا صور حياة القاهريين من أوساط الناس بين المصريين فى لغة عربية كأفصح ما تكون اللغة العربية ، عامية احيانا كأشد ما تكون العامية ايغالا فى الشعبية ، فى غير تكلف ولا جهد كما صورها اديبنا الكبير ، وما أعرف




د. طه حسين : يوسف السباعى : صدقت مقدمة بليغة وافية نبوءة الاب اللماح

أحدا سخر من وزارة المعارف وأساتذتها وطلابها ودكاترتها الذين يعودون من أوربا دون أن يتعلموا شيئا الا الرقص والعبث والتملق والتهويش وأخذ المرتبات الضخمة أخر الشهر على هذا كله .. ما أعرف أحدا سخر من وزارة المعارف والمثقفين فى تلك الايام فى هذه اللغة الرائعة المضطربة مع ذلك بين الفصحى والعامية كما سخر أديبنا الكبير » .

● طرائف من حياته ●

كانت هناك فى حياة محمد السباعى الكثير من المفارقات والمواقف الضاحكة التى تبعث على الحيرة والدهشة والابتسام ..

● ولعل أول هذه المواقف وأبعثها للدهشة قصة استقالته من الوظائف الحكومية وتفرغه للادب والصحافة، ولما كان يحب الطبيعة فانه خرج الى صديق له فى مزرعة كبيرة أشبه بالغابة هربا من قيود الحياة الثقيلة ومن نفاق المجتمع وأخذ يستظل بظل الشجر ويشرب من ماء النهر ، ويسامر نجوم الليل ، وينعم بضوء القمر ، وينام حيث يبلغ به التعب ، وعاش على هذا المنوال أياما ووصف لنا ذلك فى كتابه الصور .

---

(١) الفيلسوف ، ١٩٥٧ ، ص ٧

● وذات يوم أغرى شقيقه طه السباعي بالاستقالة ، ثم توجهـا الى حجرة من منزلهما وأغلقا الباب عليهما وعكفا على ديوان ابن الرومى حفظا كأنهما سيؤديان فيه امتحانا ، ووالدهما الشيخ ينادى ويستجير ولا مجيب .

● ومرة أراد أحد الناشرين الاميين وكان غنيا أن ينشر كتابا عظيما مترجما واقترح أن يوضع اسمه على غلاف الكتاب بجانب اسم الاديب محمد السباعي وطلب منه ترجمة كتاب الواجب وأن يدفع له ما يطلب ، فماذا فعل السباعي ؟!

كان كتاب الواجب قد صدر بترجمته وذاع .. وبخفة ظل السباعي وفكاهته أخذ منه الاجر ، ثم أخذ ينزع من كتاب « الكامل » للمبرد ملازم يرسلها للمطبعة ، فلما قيل للناشر أن الذى ينشر هو الكامل لا الواجب قصد الى السباعي يلومه ، فضحك السباعي وقال : الحق انه ليس كتاب الكامل ولا كتاب الواجب ، ولكنه كتاب « نعمة الجهل » !

● فلسفته فى الضحك ●

يرى الكاتب الصحفى محمد فهمى عبد اللطيف أن فلسفة محمد السباعي فى الضحك كانت فريدة ، فكان السباعي مرحا ضحوكا يهوى الضحك والمرح ، دائما ، وكان يفيض من فكاهاته على كل ما تقع عليه العين حتى فى مواقف الاسى والاسف ، وموقع البكاء والهول .

وقد ألقى ابراهيم عبد القادر المازنى الاضواء على نفسية السباعي وفلسفته فى الحياة وحبه للمرح والفكاهة والضحك ، فيقول :

« كان فيه فكاهة حلوة تهون العسير وتذلل الصعب وتجلو صدأ العيش ، وهى التى يسرت له أن يكون ذلك الرجل العارف بالحياة الذى لا يعقله أحد فى الظرف وحسن المراضاة وطيب المعاشرة ، فقد كان ضحوكا أبدا الا أن يكون فى قراءة أو كتابة . وكان يؤثر من الاصدقاء الظريف القادر على النكتة » .

● الابن سر أبيه ●

لعب الاب محمد السباعي دورا كبيرا فى اضفاء روح البهجة والسعادة والانطلاق والمرح على طفولة ابنه يوسف السباعي .

كان محمد السباعي نسيج وحده بين الاباء .. فقد كان يعامل ابنه معاملة فريدة فى نوعها ..

كان السباعي « الكبير » والسباعي « الصغير » صديقين حميمين وكانت الكلفة التى تكون عادة بين الاب وابنه مرفوعة بينهما ...

كان الاب مرحا ، خفيف الظل ، محبا للفكاهة . أما الام فكانت تميل الى الشدة والصرامة والحزم ، وكان الاب يقول ليوسف ببساطة أثناء دراسته الابتدائية :

– كفى مذاكرة .. فان مذاكرتك هذه تكفى لان تنجح فى الجامعة ، فلا تتعب نفسك هكذا ...

أما الام فقد كانت تحبس يوسف وأخويه فى الحجرة ليستذكروا دروسهم وعندما يحضر الاب ، فيجد الباب مغلقا عليهم يأتى بالسلم ويصعد عليه وينظر اليهم من الشراعة ، ويتبادل معهم الفكاهة والمزاح ! ..

وكان الاب يعامل يوسف معاملة تتسم بالعطف والحنان والحب والبساطة . لم يكن يؤنبه أو يلومه . وعندما رسب فى الامتحان – أثناء دراسته الابتدائية – ونجح أخوه محمود كافأ الاب « يوسف » وأهمل الناجح ، ودهشت الام لتلك الفلسفة التربوية الغريبة ، وسألته كيف يكافىء الراسب ويهمل الناجح ، فقال لها :

– ان الراسب أحق بالعزاء ، أما

الناجح فتكفيه فرحة النجاح .. !

ثم مضى يمازح يوسف ويسرى عنه أحزانه ويهون عليه الامر ..

ومن الطرائف ايضا في معاملة السباعي الكبير للسباعي الصغير .. رأى الاب يوسف يوما يجلس ازاء والدته واضعا رجلا على رجل ، غير عابيء بأوامرها وتهديداتها ، فأعرب الاب عن اعجابه الشديد بهذا الوضع الذى يدل على قوة الشخصية فى رأيه ، وقال لابنه فى اعجاب :

– انك تستهين بالاستبداد وستكون يا عزيزى يوسف وزيرا يوما ما

وصدقت نبوءة الاب اللماح .

● مأساة الاديب الضاحك ●

قدم محمد السباعي أحسن ما عنده من النفائس الادبية وأفنى زهـــرة شبابه بين القلم والقرطاس ، ولم يجد فى مقابل ذلك سوى الجحود والنكران والغبن ، ووجد نفســـه مقبورا فى حياته لبعده عن الحزبية والنفاق .

وكان محمد السباعي عاشقا مفتونا بالجمال ولكنه فشل فى تحقيق أحلامه لظروف اجتماعية وعائليـــة قاهرة ، فانطوى على نفسه واستســـلم فى ســنواته الاخيرة لليأس والمرارة ، وأطلق تلك الصرخة الحزينة المدوية التى تعكس احاسيسه الحزينة فى تلك الحقبة من حياته فى رسالة خاصــة وجهها الى الدكتور زكى مبارك الذى كان يتلقى العلم بجـامعة السربون قال له :

« واصبحت حرفة القلم عندى بعدما كان لها فى سالف الزمن من السرور واللذة كاسفة حزينة ، جافة جدبة ، ناضبة مقفرة من الطرب ، والانس ، بل من العزاء والسلوى : « واصبح القلم فى يدى أشد بؤسا ومسكنة من الزمار فى يد الشحاذ المتسول ، ترى نغمه أقرب الى انة الثكلى منه الى رنة السرور » .

كان محمد السباعي مرهف الحس مشتعل الاحساس ، خفيف الظل ، الى جانب أنه كان قوى البنية ، مفتـــول العضلات يمارس الرياضة البدنيـــة بانتظام .

وفى أيامه الاخيرة أصيب فجـــاة بضغط الدم ورقـــد على الفـــراش مشلولا لا يتحرك ، فلم يمهله المرض أكثر من عشرة أيام قضـــاها فى غيبوبة تامة وانطفأ السراج مبكرا .. ومات محـــمد السباعي فى أغسطس عام ١٩٣١ وهو لم يتجاوز الخمسين من عمره بعد حياة حافلة وترك وراءه مؤلفاته النفيسة التى كان لها أبعـد الاثر فى التمهيد لنهضتنا الادبيـــة الحديثة . وكان لموته صـــدى حزين فى الاوساط الادبية ، وبكاه أصدقاؤه ومعارفه ورثاه الدكتور زكى مبارك بمقال حـــلل فيه شـــخصيته وأورد جهوده فى خدمة الادب العـــربى والثقافة العربية ، فقال : (١)

« كان السباعي من اهل التضحية فى سبيل الادب ضحى بمســـتقبله وطمأنينته فى بلد لا ضمان فيـــه لحملة الاقلام » .

كانت هذه لمحات سريعة من حياة هذا الاديب الضاحك .. الذى عاش الحياة وتناولها ببساطة وسهولة .. وظل طيلة حياته يضحك لها رغم الالام والاحزان ... ثم رحل عنها وعلى شفتيه ابتسامة يودع بها الحياة التى أحبها وضحك لها من أعماقه !

(١) البلاغ ، ٢٥ سبتمبر ١٩٣١ .


العصر الحديث
تصدر باللغات
الروسية
الإنجليزية
الفرنسية
الألمانية
الأسبانية
البولندية
التشيكية
НОВОЕ ВРЕМЯ
العصر الحديث
NEW TIMES
TIEMPOS NUEVOS
TEMPS NOUVEAUX
NEUE ZEIT
NOWE CZASY
NOVÁ DOBA
اقرأها أيضًا
باللغة العربية
المجلة السوفيتية للشئون الدولية
تصدر كل ثلاثاء
الثمن ٣٠ مليمًا



الصحافة الفكاهية فى مصر

نشأت الصحافة الفكاهية فى مصر مع تطـور الحيـاة الاجتماعية ، فى ذلك العهـد الذى ارتفعت فيه طوابق المنازل وابيح شرب الخمر ، وجرت العربات بخيولها المطهمة فى الشوارع والميادين المرصوفة وانتشرت دور التمثيـل ، وفى مقدمتها دار الاوبرا الخديوية ..

وفى البـداية كانت صـحافتنا الفكاهية ، فى عهد الخديو اسماعيل تأخذ من صـحافة الغرب ، وتقتبس مما فيها من تلك لاذع وسخرية عن فساد المجتمع والحكم فى ذلك العهد،

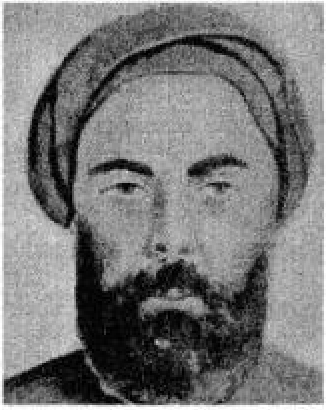
، وتحاول أن تعـالج كل خلل فى حياتنا السياسية او حياتنا العـامة بالفكاهات السـاخرة واللقطات المضحكة !..

وقد سجل رواد المدرسة الصحفية الفكاهية فى ذلك العهد نجاحا باهرا فى نشر الثقافة الفكـاهية والتمكين لها ، ثم فى انشاء الصحف بالطريقة التى املاها جو العصر ، والاسلوب الادبى الشيق الذى كان سائدا وقتذاك

ومن أعلام الصحافة الفكاهية فى مصر فى العصر الحديث ورواد هذا الفن الجديد سيد الساخرين يعقوب

صنوع أو « ابونضارة » ، كما عرف فى التاريخ ، وكذلك صحافى الثورة العرابية عبد الله النديم

عبدالله النديم : صحافى الثورة العرابية



ويعرف يعقوب صنوع بصحيفته الهزلية « ابو نضارة » بينما يعرف عبد الله النديم بصحيفته (التنكيت والتبكيت) أو (الاسـتاذ) وكانت تصدر معهما مجلات أخرى كثيرة .

صدر العدد الاول من مجلة (ابو نضارة) فى ٢١ ربيع اول سـنة ١٢٩٥ هـ اى فى سنة ١٨٧٦ بمدينة

القاهرة ، وكان اسمها (ابو نضارة زرقاء) ، وقد كتب تحت العنوان هذه العبارة (جريدة مسليات ومضحكات)

وقد كانت هذه المجلة فتحا شعبيا خطيرا ، ويقول الرواة ان توزيعها كان يربو على العشرة الاف نسخة

فى تلك الايام والمتصفح لهذه المجلة يجد ان يعقوب صنوع كان يستعين فيهـا باللغة الدارجة والصور

الكاريكاتورية التى برع فى تصويرها ٠٠ وقد صب شواظا من انتقاداته على الخديو اسماعيل وسياسته

الخرقاء واستغلاله للفلاح المصرى ، ليعيش هو عيشة الترف والبذخ والسفه ٠٠٠ وكان صنوع يطلق على الخديو اسماعيل « شيخ البلد » او

« شيخ الحارة » ، وفى رسم من الرسوم البارعة الساخرة ترى رسما للخديو اسماعيل وهو يبيع الاهرام فى سبيل ملاذه وحبه للظهور ٠٠٠

وبطبيعة الحال لم تتحمل حكومة الخديو اسماعيل انتقادات وسخريات صحيفة يعقوب صنوع ، فاذا بها تنفيه الى فرنسا وتغلق صحيفته ٠

ولكن يعقوب صنوع لم يستسلم ، فقد اخذ يصدر صحيفته من منفاه ويرسلها الى مصر باسماء مستعارة بلغت اثنى عشر اسما ، اذ كلما

اغلقت الحكومة مجلة اخرج اخرى تدعو بواسطة الفكاهة المرحة والسخرية الحرة لمحاربة الفساد وخدمة قضية (مصر للمصريين)

ولقد عرف صنوع الكثير عن الاصلاح ومشاكله وعن الفساد بصوره وذلك باتصاله بالشيخ محمد

عبده وجمال الدين الافغانى ، فقد كان يلقنهما درسا فى اللغة الفرنسية وبذلك ساعدته الظروف ان يتصل

بالحياة العامة من كل زواياها ويعرف الكثير عنها ، واعتبر صنوع بحق نادرة من نوادر زمانه فقد كان يتقن النقد السياسى الساخر اتقانا رائعا ٠

واصدر عبد الله النديم اول ما اصدر صحيفته «التنكيت والتبكيت» فى ٦ يونيه سنة ١٨٨١ م ٠ وكتب افتتاحيتها بعنوان (ايها الناطـق

بالضاد) ، قال فيها : اتقدم بين يديك بخدمة وطنية دعانى اليها حبى فيك وخوفى عليك وما هى بالعظيمة فتشكر ولا بالبليغة فتمدح وانما هى صحيفة ادبية تهذيبية تتلو عليك حكمـا وادابا ومواعظ وفوائد وضحكات ٠٠ الخ)

وقد تميزت هذه الصحيفة بطابع جديد على الصحافة المصرية وقتذاك، وكان اسمها واضح الدلالة على

مضمونها وغرضها واسلوبها جميعا، كانت صحيفة للخاصة والعامة معا ، تكتب لكل فئة باسلوبها ومستوى تفكيرها ٠

وقد ابدع النديم فى تصوير انعكاس الحضارة الغربية على المتعلمين فى اوربا فى نماذج بارعة من كتاباته وسخرياته الضاحكة ٠٠٠

وفى سنة ١٨٩٢ اصدر عبد الله النديم صحيفة اخرى اطلق عليهـا اسم « الاستاذ » يكتب فيها المقالات السياسية كما يكتب حوارا عاميا بين شخصيات من الشعب يعرض فيه لجانب خلقى واجتماعى بالنقد ، يكسوه هذه الحلة الفكاهية التى مرن عليها فى جريدة «التنكيت والتبكيت» ٠ وقد قام النديم بتجربة رائدة فى هذه الصحيفة ، وهى ان تتناول استخدام لغة عربية صحيحة ولكنها وسط بين العامية والفصحى ٠٠٠

وجدير بالذكر ان النديم اتم فى مجلة « الاستاذ » ما بداه فى مجلته السابقة « التنكيت والتبكيت » من

العناية باللغة العربية باعتبارها اللغة القومية ، وقد دعا الى احترام هذه المادة فى مناهج الدراسة ٠٠ وكان

الصحافة الفكاهية في مصر

في كل جانب من الصحيفة يعيب الانسياق الشديد نحو اوربا كما يعيب السقوط في مهاوى الرذيلة .

***

ومنذ اواخر القرن الماضى واوائل هذا القرن تصدر مجلات فكاهية

كثيرة مثل (حمارة منيتى) لصاحبها محمد توفيق سنة ١٩٠٠ م وكانت مجلة سياسية فكاهية ...

وفى سنة ١٩٠٧ اصدر احمد حافظ عوض مجلة (خيال الظل) وأدخل فيها الصور الكاريكاتورية ناقدة للحكومة والحكام .

وتتعاقب المجلات الفكاهية فتصدر مجلة (السيف) ثم « السيف والمسامير) لتبرع فيما يطلقون عليه

« القفشات » حول السياسة والحكم والمجتمع وبعض الشخصيات البارزة وقتذاك ، وقد اصدرها حسين على وأحمد عباس .

وفى هذا المجال تصدر اشهر المجلات الفكاهية وهى مجلة (الكشكول) التى ظهرت سنة ١٩٢١ لصاحبها سليمان فوزى ، وقد اهتمت بالفكاهة السياسية .. وقد وقفت لحزب الوفد بالمرصاد تهاجم الزعيم سعد زغلول وتنقد سياسة الوفد بالصور الكاريكاتورية والمقالات والمقامات ..

وتأتى مجلة (الارغول) تلك المجلة التى اختصت بصلة الزجل

الشعبى ، وقد أصدرها الشيخ محمد النجار وكان من رجال الازهر يمتاز بخفة روحه ويجتمع

الناس حوله فى الاندية والمقاهى لالقاء الازجال ويستمعون اليه ويتبارون

فى الفكاهة والسخرية من أحوال الحكم ومن تردى المجتمع فى الفساد والفقر ...

وقد غلب على أزجالة النقد الخلقى والاجتماعى ، ومن نماذج نقده نختار بيتين فى شكوى الزمان :

اشكى لمين غدر الايام ؟
واروح لمين صاحب نخوة
وان قلت يوم خطوه لقدام
ارجع ورا الفين خطوة

يعقوب صنوع : سيد الساخرين



وكانت مجلة « البمكوكة » اضافة جديدة ، ومستمرة فى صحافة الفكاهة حيث ان المجلات التى سبقتها كالسيف والمسامير الخ ، لم يكتب لها الاستمرار ، وكان من الممكن ان تظفر هذه المجلة بمزيد من اعجاب القراء واقبالهم لولا ما كانت تقدمه من النفاق والمجاملة للسراى الملكية فى ذلك العهد ...

والحديث عن المجلات الفكاهية يفسح مجالا واسعا لذكر مجلة « الفكاهة » التى صدرت اول ديسمبر سنة ١٩٢٦ عن دار الهلال ، ورأس تحريرها الاستاذ حسين شفيق المصرى وقد صادفت عند صدورها نجاحا منقطع النظير ...

وقد تصدر العدد الاول من

نموذج من العدد الاول للصحيفة الفكاهية «الاستاذ»


الأستاذ

« الفكاهة » مقال للاستاذ الكبير فكرى اباظة يعبر فيه عن فرحته الكبرى بصدور مجلة الفكاهة متمنيا لها التوفيق والنجاح .

وقد اشترك فى تحرير هذه المجلة نخبة ممتازة من الادباء والرسامين، وحفلت صفحاتها بابواب جديدة ناجحة على سبيل المثال باب (محكمتنا العرفية) وتنشر فيه محاكمات مضحكة ثم باب اخر بعنوان (ما قولكم ؟) وفيه ردود طريفة على اسئلة القراء بتوقيع « المفتى » والى جانب ذلك هناك باب بعنوان (نظرات معقدة) للنقد الاجتماعى ،وباب اخر بعنوان (الشعر المنثور) للنقد الادبى ...

وقد ابتدع الاستاذ حسين شفيق المصرى عدة شخصيات فكاهية مرحة منها شخصية الشاويش (شعلان عبد الموجود) يكتب على لسانه محاضر تحقيق على غرار ما كان يجرى فى اقسام البوليس ولكن باسلوب مرح لطيف ، وباب اخر للتعليق على الحوادث التى تنشر فى الجرائد اليومية .

وظلت مجلة « الفكاهة » تصدر بانتظام حوالى ثمانى سنوات الى ان ضمتها دار الهلال الى مجلة (الاثنين) التى جمعت بين الجد والفكاهة ، والتى عاشت فترة رواج واقبال من انجح ما عرفت الصحافة المصرية الاسبوعية ..

هذا عرض تاريخى سريع للمجلات الفكاهية ، يصل بنا الى عصرنا الحديث حيث تبرز الحاجة الماسة الى الصحف والمجلات الفكاهية ، لتشيع البسمات فى حياتنا ولتسهم بنورها فى نهضتنا لبناء مجتمعنا الجديد .

● محمد الساكت ●

رحلة الشعر

بين أم كلثوم وفضل إسماعيل



كوكب الشرق
ام كلثوم

هذا موسم الاسكندرية الحبيبة ...

وانا اعيش بنصف قلبي في القاهرة ، ونصفه الاخر في الإسكندرية ، ولي على شطآنها ذكريات بعيدة المدى .. من عهد ابوللو.. حين كنا - نحن جماعة ابوللو - نذهب جميعا لنشارك ادباء الإسكندرية وشعرائها في صيفهم الجميل ، ونسهر معهم في « القهوة التجارية » التي كانت المنتدى الاول لجماعة نشر الثقافة بالثغر .

كان فينا يومئذ ابو شادي وناجي ورامي والصيرفي ومختار الوكيل والسحرتي وغيرهم .

وكان فيهم خليل شيبوب ، واخوه صديق ، وعبد اللطيف النشار وعثمان حلمي وغيرهم .

ما زالت هذه الذكريات القديمة تعيش نابضة خصبة في قلوب ادباء الثغر المعاصرين ، الدكتور حسن ظاظا ونقولا يوسف وادوار سعد والعتريس وزيتون والقبيسي وعلى الباز وفؤاد طمان والانصاري وغيرهم .

ويروي لنا شاعر الاسكندرية الملهم ادوار حنا سعد هذه الصفحة من ذكريات الثغر :

« كان ذلك في أواخر اغسطس سنة ١٩٥٠

وكانت فرحة مصر والشرق العربى غامرة بعـــودة كوكب الشرق (الانسة) أم كلثوم من انجلترا بعد تمام شفائها من مرض الم بها ، وسرت حوله شائعات مقلقة بأنه قد يحول بينها وبين مواصلة الغناء ـ وبدت هذه الفرحة فى حفــلات التكريم التى تتابعت اقامتها لكوكب الشرق ، والتى بدأت بالاسكندرية بحفل اقامه عميد الخط العربى ، المرحوم محمد ابراهيم ، بمدرســة تحسين الخطوط مساء يوم ٢٤ أغسطس ودعا اليــه شعراء الاسكندرية ونخبة من الصفوة الممتازة على رأسهم محـــافظ الاسكندرية اذ ذاك ، الاستاذ احمد مرتضى المراغى ·

وبدأ الحفل ، وجلست كوكب الشرق فى سمت بهى ووقار أنيق تستمع الى قصائد الشعراء فى متابعة واهتمام ، ثم تحنى رأسها شاكرة للشاعر حين ينتهى من الالقاء ·

بدأت القصائد بقصيدة الشاعر الكبير المرحوم خليل شيبوب مطلعها :

صداحة الوادى فتنت طيــوره بروائع من صوتك الفتـــان
معطرة كنسـيمه ، شــفافة كضيائه ·· مفاقة الالحـان

وتلاه الشاعر الكبير المرحوم عبد اللطيف النشـــار بقصيدته التى مطلعها :

سلوا قلبى ، واحسبه اجــابا لقد ترك الملامة والعتـــابا
رضا وقنـــاعة ، والقلب يرضى ويقنع ، حين تبلغه الصــوابا

وتتابع الشعراء حتى جاء دور الشاعر الكبير المرحوم فضل اسماعيل ، وكان قد أعد قصيدة يعارض فيها بردة البوصيرى مطلعها :

ان سجل النيل لحنا رائع النغم أو حن طائره شوقا الى الهرم
فالبحر يعرف ما للفن من اثر وما له فى حياة الناس من قيم

وبدا عليه وهو يتقدم الى منصة الالقاء ، أنه ـ رحمــه الله وغفر له ـ قد أسرف على نفسه فى الشراب ، وأخذ يقدم لقصيدته بكلمة ملخصها انه أولى الشعراء بمعارضة البوصيرى فى بردته ، لانه يعيش فى مدينته ويجاور البحر الذى جاوره صاحب البردة · وكان يلقى كلمته فى ثقة وزهو وحماسة ، ويحرص على سلامة مخارج الحروف ، ويؤكد ما يقول باشارات كثيرة من يديه ، ويوجه الكلام حينا الى كوكب الشرق حينا الى الجالسين عن يمينه أو يساره ·· فاشاع فى نفسـ ح ، وحرك دعابتها ، فارتسمت على ثغرها ابتســـامة ، و من جلستها ووضعت ساقا على ساق واعتمدت بمرفق ساعدها على ركبتها ، وجعلت من كفها كأسا لذقنهـــا ، ومالت ى اتجاهه ترقبه متفحصة ·

وانهى كلمته وبدأ يلقى القصيدة ، ولم يكد يتم الشـــطرة الاولى من المطلع ، حتى انقطع التيار الكهربائى فجأة ·· وساد المكان ظلام دامس ، وصمت عميق ، قطعه على التو صوت

كوكب الشرق وهى تتساءل فى مرح « جرى ايه يا أستاذ .. هى قصيدة والا غارة ؟ »

وحين هدأ الضحك ، صمم الشاعر على أن يستمر فى الالقاء ، رغم الظلام ، فأعاد تلاوة المطلع من الذاكرة ، وعاد صوتها يقول فى استنكار « الله ! .. ده بيستعمانا ويقول »

ولم يتردد ، فواصل الالقاء وأنشد البيت التـــالى ، وكان جوابها الرائع انها قالت : « ياخسارة ، مش شايفة أسمع ! »
وأسرع الاخ كامل ابراهيم ، شــقيق المرحوم محمد ابراهيم ، فأحضر شمعة اشعلها وقربها من الشاعر ليقرأ على ضوئها ، ولم تكد كوكب الشرق ترى الشمعة حتى هتفت « القصـــيدة ايه المهيبة دى ؟ » .

وعاد التيار الكهربائى ، وبدت كوكب الشرق سعيدة بانطلاقها على سجيتها المرحة ، واخذت تتابع ابيات القصيدة وتعقب عليها مداعبة ، وتضحك لكل دعابة من قلبها ضحكـــكا يدفعها الى الامساك بكلتا يديها بجانبى المقعد الذى تجلس عليه واسناد ظهرها اليه ...
قال من القصيدة :

اقسمت انك فى قلبى وفى خلدى   وفى جنانى .. فهل امنت بالقسم
فاجابته : « الحمد لله ، انك ماقلتش انى فى البيت كمان ! »

وقال :
غنى لى غنى حياتى الروح واتخذى   شعرى غناء وزيدى فيه واحتكمى
وقالت : « لما تموت » !
وبراعة التورية انها لم تغن لامير الشعراء الا بعد وفاته ...

وتتابعت دعاباتها الذكية الرائعة ، التى لم تع الذاكرة منها الا ما تقدم ، وقد دونته ليلتها فى دفتر مذكرات ، أتيح لى أن أعود اليه لامر خاص ، فرأيت أن اشرك قراء الهلال الاغــر فى تلك الطرف الروائع لسيدة الغناء العربى ، داعيا لهـــا بالصحة السابغة والعمر الطويل .

أمســية شعــرية مع أبي ريشــة


خليل مطران

● للقصيدة التالية قصة .. فقد حضر الشاعر المبدع الاستاذ عمر ابوريشة بتاريخ ٢٧ من شهر مايو الماضى لاحيــاء أمسية شعرية بدعوة من منتدى عكاظ فى بانياس الجميلة عروس الســـاحل السورى كما يدعونها ، وهى بلدة صغيرة وفيها مرفأ للنفط ، وقد اجاد واحسن ذلك الشاعر الرقيق بشعره والقائه كعادته . وهو ينشد قصائده غيبا كشـــاعر النيل حافظ ابراهيم الذى سمعته فى بيروت ودمشق عام ١٩٢٩ ثلاث مرات متوالية ، الاولى فى قاعة الجامعة الامريكية ببيروت ، والثـــانية فى

المجمع العلمي العربي بدمشق ، وقد كرر إلقاء القصيدة في الحفلات الثلاث بصوته الجهوري وقال انه نظمها لسورية ولبنان ومطلعها كما تعلمون هو :

حيا بكور الحيا ارباع لبنان وطالع اليمن من بالشام حياني

أما صديقه ورفيقه شاعر الاقطار العربية خليل مطران فقد ألقى في كل حفلة قصيدة جديدة ولكن الاخيرتين كانتا قصيرتين وقد داعب في قصيدته الاولى زميله بقوله :

فالطموه واوقفوا دين صاحبكم
ولا تريحوه في يوم من التخم

وهي اربعة واربعون بيتا ولم يكن القاؤه بمستوى القاء حافظ ذي الصوت المدوي والقامة المديدة والسلام العسكري ·

وقال حافظ في قصيدته :

وجنبوني على شكر موائدكم بما حوت من افاويه والوان

وكان الشاعرين أطلع كل منهما على قصيدة الآخر حتى حصلت هذه المداعبة الطريفة · وقد ارتجل حافظ بعد أن شاهد اثار متحف المجمع البيتين الاتيين :

جزيت جميل صنعكم بدمعي ودمع العين مقياس الشعور
لأول مرة قد ذاق جفني على ما ذاقه دمع السرور

وسجلهما بخطه في دفتر المتحف بحضوري وكنت عندئذ طالبا في الكلية العلمية الوطنية أتهيأ لدخول معهد الحقوق ·

بعد هذا الاستطراد أعود الى امسية بانياس فبعد أن انتهى الشاعر عمر أبو ريشة من القاء شعره البديع ، دعي مع بعض الحاضرين وكنت منهم الى مأدبة عشاء أقيمت على شرفه في الساعة الثانية عشرة ·

وفي اليوم التالي بعد عودتي الى جبلة كانت قصيدتي التي ابعث بها اليكم :

هذي الكئوس وهذا الحسن والزهر
فجد وجود بأحلى الشعر يا عمر
سحرتنا بقريض منك تنشده
لا الناي يحكيه ايقاعا ولا الوتر
به سكرنا وطنا اسى من الطرب
لا بالسلاف فلا الصفو والسكر
السارك الغر للالباب زاهية
كأنها اللؤلؤ المكنون والدرر
تمنت الغيد لو كانت لهن حلى
تزينهن لبغري بالحلى النظر
فكل بيت ببديع انت تسبكه
كنز ثمين من الياقوت يدخر
وكل قافية عذراء تنشئها
لها محاسن شتى ملؤها صور
مبنى ومعنى وتوشيعا والحياة
تسمو الى الأفق الأعلى وتزدهر

تموج الحسن الوانا بها وغدا
القاؤك الحلو بالاسماع ينهمر
تخايلت « بانياس » وازدهت فرحا
لما حللت بها واستبشر النهر
وازينت كعروس في مفاتنها
او شبه حورية في طرفها حور
واسفرت وانجلت بشرا نضارتها
واورف الورق المخضر والشجر
ووشوش الحور والصفصاف في غزل
وردا بهيجا فغشى وجهه الخفر
واهتزت الروض في انحائها وربت
ورف فيها نضير النبت والثمر
وفاح طيب من الليمون منتشر
كانه المسك في ارجائها عطر
ورفرفت نسمات الليل ناعمة
على رباها وطاب الانس والسمر
ان الربيع البديع الطلق مبتسم
في « بانياس » ومجلو ومزدهر
كرفرف من فراديس النعيم حلت
يهفو لطلعتها الفتانة البصر
فاهتف أبا ريشة بالشعر منسجما
ترتج لانغامه الارواح والفكر
وتسترح من غناء في الحياة رسا
ويمرح الملأ العلوى والبشر
يا ليت ليلتنا دامت لنا زمنا
ليعذب العيش والانشاد والسهر
احبب بها ليلة جاد الزمان بها
وفي حواشيها في لطفه عمر
رقت وراقت بهاء فانتشت مهج
هيمانة وصفا في جوها العمر
ليت الليالي جميعا مثلها ابدا
وبيننا عمر للشعر يبتكر
بشرى العروبة قد نالت امانيها
وجاءها النصر في الهيجاء والظفر
سيناء يعرف والجولان ما صنعت
بطولة العرب والنيران تستعر
حتى استكان بنو صهيون وانسحبوا
برغمهم اذ بميدان الوغى قهروا
وسوف يجلون قسرا عن مرابعنا
وكل شبر لنا احتلوه مذ غدروا

لجند مصر قد اجتازوا القناة ضحى
وحطموا خط (برليف) وقد عبروا
وجند سورية في همة وثبوا
فوق الهضاب كاسد الغاب وانتصروا
عناية الله اولتهم مؤازرة
فتم فوز لهم بالحق مؤتزر
والحق ابلج مثل الصبح مؤتلق
الله يثبته والناس والقدر
تيهوا بني يعرب بالنصر وافتخروا
فالدهر والكون والتاريخ مفتخر
حييتم العز والمجد العظيم به
وتم فيه لكم من نيله الوطر

● جبلة ـ سورية ● ● رشاد علي اديب ●

حول ديوان الحماسة لأبي تمام

● اطلعت مؤخرا ، على مقال استاذنا الدكتور محمد احمد خلف الله بعدد ديسمبر الماضي من الهلال ، الذي يحمل عنوان (ادب النصر) ، واستوقفتني عبارة جاء بها قوله « .. وكان من عناية ابناء هذه الامة بأدب النصر ان صنعوا مجموعات شعرية ضخمة ، سموها بالحماسات ، مثل حماسة ابي تمام ، وحماسة البحتري .. الخ »

وهذه العبارة لا تصف الحقيقة بحذافيرها ، اذ المعروف ان (ديوان الحماسة) الذي جمع فيه ابو تمام مختاراته من عيون الشعر العربي ، لم يشتمل على شعر حربي يصف المعارك والانتصارات ، كما سبق الى فهم الكثيرين ، وكما وصفه شاعر صديق هو الاستاذ فتحي خليل مدير تحرير (روز اليوسف) ، بقوله منذ سنوات بعيدة :

هذي كنوز الادب خير قريض للعرب
تنبيك عن اخبار من
كانت لهم سيوفهم
والخيل خير حسب

.. اما سبب تسمية مختارات ابي تمام بالحماسة ، فله قصة جديرة بأن تروى .. وخلاصتها ان اباتمام الذي اشتهر بوضع اسس علم (اللطيف) ، والذي توسع فيه من بعده خلفه الامير الشاعر عبد الله بن المعتز وسماه علم (البديع) ، قد اندفع وراء اختراعه هذا ، فجعل شعره كله ، او جله ، شواهد على قواعده ، وبذلك دل على انه صاحب عقلية علمية ، يضع القوانين ويطبقها ... ومن ثم نقص شعره عنصر (الحماسة) ، وهي في عرفه الحيوية والتدفق ، والتعبير الحر الحار ، الصادر عن ذات نفس صاحبه .. وعلى هذا الاساس عمد ابو تمام الى نشدان ما يكمل نقصه ، وقام باختيار هذه المجموعة الشعرية

الخصبة ، التي سماها بـ (ديوان الحماسة) ، وهي تشتمل على رائق الشعر وأعذبه ، وأبعده عن التكلف ، في الغزل والمدح والهجاء .. وسائر ابواب الشعر المعروفة ...

على أن في شعره مع ذلك ما يشبه ، بل ما يفوق اختياره في الحماسة ، ولكن ذلكقد يقتصر على فن الرثاء .. مثال ذلك قوله في رثاء ابنه :

بني يا واحـد البنينا　　انا الى الله راجعـونا
يبين في رجعه لسـانا　　يمنعه الموت أن يبينـا

وفي قصائد أخرى له ، في مختلف أبواب الشعر ، نرى له بعض أبيات يتوهج فيها (الحماس) ، ثم ينطفيء بسرعة ، في ظلمات علم (اللطيف)　الذى من امثلته قوله :

ان من عق والديه لملعـو　　ن ، ومن عق منزلا بالعقيق

وهذا البيت يدل على انه لم يفكر في معناه أو دواعيه ، وانما الجناس بين لفظي عق والعقيق ، هو الذى الف هذا البيت .. ولم يفكر الشاعر في عقوق الوالدين ، أو عقوق العقيق ، ولا في أى شيء من هذا ، كما هو ظاهر ...

ومن نوادر علاقته بالبيئة ، أن أحد الاعراب سـمع أبياتا لابي تمام ، فحلف بالطلاق أن قائل هذه الابيات اما أن يكون اعقل الناس ، واما أحمق الناس ... وان لسانه ليس عربيـا مبينا ، وهذه هي الابيات :

اضحت غواني الحي عنك غوانيا
يبـدين نايا تارة وصـدودا
يؤثرن بالمرد الغطـارف بدنا
غيدا .. ألفتهمو .. لدانا غيـدا
احلى الرجال من النساء مواقعـا
من كـان أشـبههم بهن خدودا

والواقع ان الاعرابي قد راعه عند سماع هذا الشعر الفاظ لم تأت بها ضرورة التعبير عن المعاني المقصودة ، وانما أتى بها الجنـاس ، ككلمة غواني (وغواني) ، واحـدى اللفظتين بمعنى النساء ، والاخرى بمعنى مستغنيات ، وسائر الفـاظ الابيات من هذا القبيل من المحسنات اللفظيـة التى تكره في الشعر عادة ، لاكتفاء الشعر بموسيقاه ورنين قوافيـه ، ورقة الفاظه المحكمة التعبير عن المعاني كما يحسها صاحبها ، لا كما توحى بها الالفاظ ...

وهذا الفن مسبوق في الشعر الجـاهلي وفي القرآن الكريم نفسه ، ولكن بلباقة وذوق أسلم من ذوق أبي تمام ، الذى توسع في غير مبرر ، في تطبيق نظرياته العلمية ، لان اختراع علم ، او الوقوع على قوانين علم ، هو نتيجة لتطبيق عقلية علميـة وليست أدبية ...

على ان اباتمام كان عنده روح الشـاعرية مكتوما وظهر رغم انفه في مراثيه كما قـدمنا ، وفي أبيات خرجت عن ذات

نفسه المقيدة بقيود عقله (١) .. ولعل السبب فى الفرق الظاهر بين الزخرفة (الابى تمامية) والبداوة (المتنبية) مثلا ، ان الاول انتقل من البداوة الخالصة الى الحضارة الخالصــــة فى القاهرة ، فجاور الازهر ، وكان به يسقى الماء ، ويحضر دروس القاهريين الازهريين ، فى عهد كان الازهر فيه فى نهاية شرفه العلمى .. فى حين انتقل الثانى ـ اى المتنبى ـ من الحضارة الى البداوة ليفيد علما بالعربية .. ومن العجائب فى محبة كل انسان لما ينقصه ، ان البحترى وضع مجموعة مختــــارات من الشعر سماها بالحماسة ايضا ، ولكنها ابعد الشعر العربى عن الحماسة بالمعنى الذى قصد اليه ابو تمام ، اى العاطفة المشبوبة ، بل كان الشعر الذى اختاره البحترى شعر عقل ، وعقلية علمية ، كشعر ابى تمام نفسه ، وليس كاختياره .. وان شعر ابى تمـــــام فى اختياره ، كان شعر حيوية وروح واحساس فى (حماسته) .

● السويس ●

احمد مصطفى حافظ

عـــن الأغـنـيـــة المصريـــة

● فى عدد الهلال الصادر « اول مايو ١٩٥٣ » اى منذ حوالى واحد وعشرين عاما تحدثتم عن «مشكلة الحب عند الشباب» وتحت عنوان « أثر الاغانى فى الشباب » اذكر كلمات سيادتكم ..

« ومما يدعو الى الاسف ان اغانينا او اكثرها تخضـــع لاتجاهات مختلفة لا تتفق ورسالتها الفنية القومية العليا » ..

وبعد هذه الكلمات ، احب ان اتساءل : هل حققت الاغنيـة المصرية فى هذه الايام رسالتها الفنية القومية العليا ؟؟

ـ وهل استطاعت تلك الاعوام العشرون أن تحرز تقدما يذكر فى مجال الاغنية المصرية ... ؟

أرجو من سيادتكم الاجابة عن تســاؤلاتى ، ايمانا منى بأنكم قد قدمتم للاغنية المصرية ما يجعلها تطفو على السطح ، بدلا من أن تنحدر الى القاع ..

● أحمد عبد الرازق ابو العلا ●

ـ اذا صدق حسن ظن الاديب صاحب هذه الرسالة بى فيما قدمت من جهد متواضع فى مجال الاغنية ، فان الشىء الــــذى استطيع أن اعتز به ، هو اننى لم اكتب اغنية عاطفية واحدة منذ محنة ١٩٦٧ ، لاننى احسست منذ يوم المحنة اننا فى حاجة الى لون جديد من الاغانى القومية ، يداوى جراحنا ويبعث فى صدورنا شعاعا من الامل ... الامل الـــذى تحقق فى اكتوبر الماضى المجيــــد ..

واذا كان مؤلفو الاغانى قد درجوا على شىء من التهويل الذى لا أساس له خلال السنوات العشرين الماضية ، حتى خدعونا فى انفسنا ، فاننا نرجو أن تكون اغنيات ما بعد اكتوبر دعوة الى الامل .. والى العمل .. والى العلم والايمان .

(١) كابياته السينية المشهورة فى مدح أحد الامراء

الميلاد الكبير


المستشار الدكتور
عبد الحميد صدقي

هذه قصيدة روحية عميقة الصفاء ، نظمها المستشار الشاعر، الدكتور عبد الحميد صدقي ، باللغة الفرنسية .. وأهداها للهلال

.. فأحببت أن أترجم للقراء مطلعها :

« لقد ولد الطفل ... أنيس القديسين
« وغنت الملائكة ... وساد الأرض السلام

« ولقد تنبأت التوراة والانجيل بمولده
« وتحدثت عنه الدنيا قبل قدومه
« لقد ولد نبي الله .. محمد
« وتغير وجه الحياة ...

« وبات كل شيء أجمل مما كان
« السماء والنجوم .. والشمس والقمر

« والصحاري والوديان ... والريح والمطر
« سجدت جميعا خاشعة لله
شاكرة له جميل عطائه
« وهل على الأرض أجمل من مبعوث عنايته ؟ »

قرأت هذا الشهر

● رقصة شمس : مجموعة قصصية ، تتألف من اثنتي عشرة أقصوصة اجتماعية ، للقصصي السوري أحمد داود
(الناشر : دار الجمهورية ــ دمشق)

● بابلو نيرودا : سيرة حياة شاعر شيلي الكبير ، شاعر الحب والنضال ، مع مختارات ذكية من شعره ، للأديب الدكتور الطاهر أحمد مكي
(الناشر : كتاب روز اليوسف)

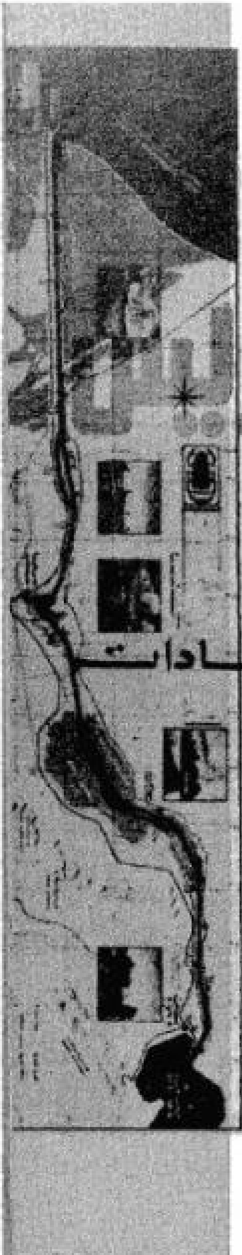
● حوار مع الصفوة : مجموعة من المقالات السياسية تتناول أحداث السودان الشقيق فيما بين عامي ٦٤ ــ ١٩٦٩ بقلم الدكتور منصور خالد وزير خارجية السودان
(الناشر دار الطباعة ــ جامعة الخرطوم)

● السواحل اليتيمة : ديوان من أرق الشعر العاطفي والوجداني الملهم ، للشاعر العراقي المطبوع كامل خميس .

● حديقة حب : خواطر شاعرية محلقة للأديب اللامع رياض حنين .
(الناشر : دار المكشوف ــ بيروت)

● ص . ج ●

د. سيد
كريم



قناة السويس

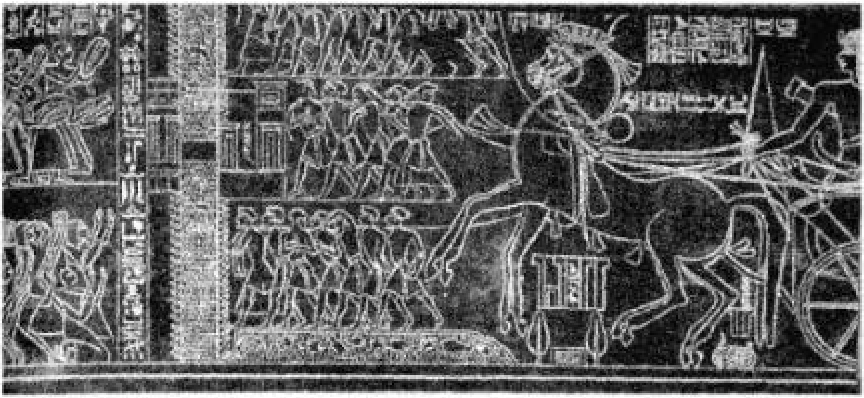
١٨٧٤ قبل الميلاد
١٩٧٤ بعد الميلاد

من سنوسرت .. إلى السادات

قناة السويس .. اول قناة صناعية شقت على وجه الارض لتربط البحر الابيض بالبحر الاحمر فتربط الشرق بالغرب، وتربط العالم بمصر مهد الحضارات . فكانت وسيلة انفتاح مصر ومدنيتها على العالم اجمع على مر العصور

تعرضت القناة خلال اربعة آلاف سنة تقريبا لمختلف عوامل العدوان والتخريب واعيد حفرها تسع مرات .

وها هي بعد تحريرها تبدا مرحلة جديدة من مراحل اعادة حفرها وتعميقها وتوسعتها وتعميرها لتواجه حضارة العصر وتسجل صفحة جديدة من صفحات صمودها في صراعها مع تحديات الزمن .



لوحة افتتاح الملك سنوسرت الثالث للقناة سنة ١٨٧٤ ق.م ، اول قناة تم بحفرها وافتتاحها لتربط البحر الابيض بالبحر الاحمر ، كما تصل البحيرات المرة بالنيل • معبد الكرنك •

قناة السويس عبر التاريخ

١٨٧٤ ق.م - ١٩٧٤ م

- سنوسرت الثالث ١٨٧٤ ق.م
- سيتى الاول ١٣١٠ ق.م
- نخاو الثانى ٦١٠ ق.م
- دارا الاول ٥١٠ ق.م
- الاسكندر الاكبر ٣٣٥ ق.م
- بطليموس الثانى ٢٨٠ ق.م
- الامبراطور تراجان ١١٧ م
- عمرو بن العاص ٦٤٢ م
- الخديو اسماعيل ١٨٥٩ م
- انور السادات ١٩٧٤ م

● ١ - قناة سنوسرت الثالث ●

● سجل تاريخ الحضارة المصرية للملك سنوسرت الثالث احد ملوك الاسرة الثانية عشرة العظام ، الذى حكم مصر من سنة ١٨٨٧ الى ١٨٥٠ ق.م - انه اول من حفر القناة الثلاثية

التى تربط البحر الابيض المتوسط (بحر الشمال - البحر الاخضر العظيم) بالبحر الاحمر (بحر أروترى) بحفر قناة تصل كل منهما بالبحيرات المرة التى ربطها فى نفس الوقت بممر مائى يصلها بنهر النيل عند مدينة منف عاصمة البلاد •

وقد سجل افتتاح القناة الثلاثية فى لوحة منحوتة على الواجهة الخارجية للجدار الشمالى لمعبدالكرنك وعبر الفنان المصرى القديم عن حفر القناة والاحتفال بافتتاحها فى تلك

اللوحة أصدق تعبير فرسم فى الجزء الشمالى من القناة الذى يصلها بالبحر الابيض مختلف انواع الاسماك البحرية المميزة له ، كما رسم فى الجزء الجنوبى منها الذى يصلها بالبحر الاحمر مختلف اسماك البحر الاحمر ، كما رسم فى الفرع الذى يربطها بالنيل اسماك نهر النيل ..

وتمثل اللوحة الملك سنوسرت الثالث وهو يقف بعربته الحربية عند قنطرة الحاجز الترابى الذى يفصل جزئى القناةعند مدينة حور (ثارو) مكان القنطرة الحالية ، حيث اقيمت اقواس النصر على جانبى القناة ٠

وسجل تاريخ افتتاحها « فى الشهر الثانى من فصل الفيضان فى العام الثانى عشر من حكمه » وبعد انتصاراته المجيدة على قبائل الشاسو والرتنو والاقواس السبعة ٠

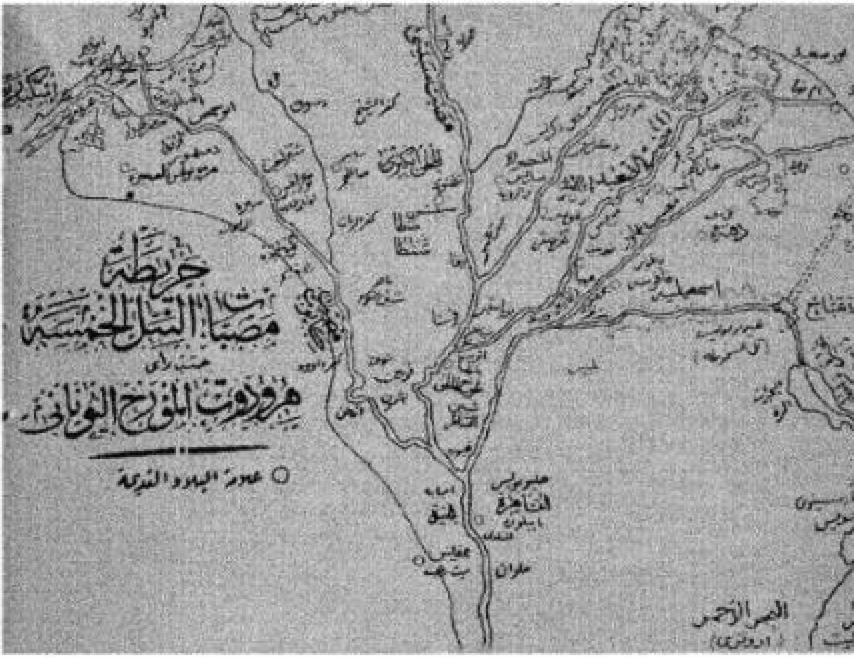
انّ تلك اللوحة تفسر اكثر من حقيقة ، فبجانب انها تسجل ما قام به الفراعنة من تخطيط وحفر اول قناة صناعية على وجه الارض ،

واول مشروع متكامل لقناة السويس التى تربط البحرين الابيض بالاحمر - فهى تفسر لغزا تضارب المؤرخون فى تفسيره وهو ما يقال عن تسخير الفراعنة لشعب مصر فى بناء الاهرام وحفر القناة والتى ذهب ضحيتها فى كل مرة عشرات الالوف من الضحايا فى اعمال السخرة ٠

فهذه اللوحة فسرت ما ذكره كل من مانيتون وهيرودوت بأن المصريين كانوا يسخرون أسرى الحروب فى مشروعات حفر القنوات والطرق والاهرام واستصلاح الاراضى ، فصورت اللوحة الاسرى على اختلاف اجناسهم وهم يساقون لحفر القناة



تمثال الملك سنوسرت الثالث ، اول من حفر القناة سنة ١٨٧٤ ق ٠ م الاسرة الثانية عشرة « المتحف المصرى »



خريطة النيل ومصباته الخمسة من عهد هيرودوت ، ويظهر بها قناة السويس والقناة التى تصلها بنهر النيل ..

بينما وقف المصريون والكهنة على الشفة الاخرى من القناة يحيون الملك ويحتفلون بعيد افتتاحها ..

وقد وصف هيرودوت أبو التاريخ تسخير الاسرى فى حفر القناة بقوله **« عندما عاد سيزوستريس من حروبه فى البلاد الاسيوية استخدم العدد الوفير الذى احضره معه من البلاد التى اخضعها ، وهم الذين جروا الاحجار الضخمة التى نقلت فى عهده الى معبد هيفايستوس وقد كانت ضخمة الحجم . وهم الذين سخروا فى حفر القناة فقد كانوا اسرى وكان عليهم ان يعملوا ليعيشوا » .**

● لقد استمر الاحتفال بحفر قناة السويس كعيد من أعياد سنوسرت المقدسة بعد ما ألهه كهنة أمون واحتفلت البلاد بأعياده المقدسة حتى أواخر الأسرة الثامنة عشرة .

● لقد لعبت قناة سنوسرت دورا هاما فى تاريخ مصر العسكرى وتجارة مصر فى عصرها الذهبى خلال الاسرة الثامنة عشرة فى كل من حروب وفتوحات احمس وتحتمس وأمنحتب الثانى . كما ورد فى وثائق حتشبسوت وستموت واخناتون وامنحتب الثالث ذكر اسم القناة التى كانت تمر خلالها السفن التجارية الكبيرة التى كانت تنقل اخشاب الارز



سنوسرت الثالث

والاشجار ومواد البناء والحيوانات والبضائع من مختلف انحاء العالم عبر البحرين الاحمر والابيض وتنتقل بها من القناة الى مدينتي منف وطيبة على شواطىء النيل ٠

● ٢ ـ قناة سيتى الاول ●

سيتى الاول (١٣١٩ ـ ١٣٠٠ق٠م) هو ثاني ملوك الاسرة التاسعة عشرة شارك أباه رمسيس الاول فى الحكم

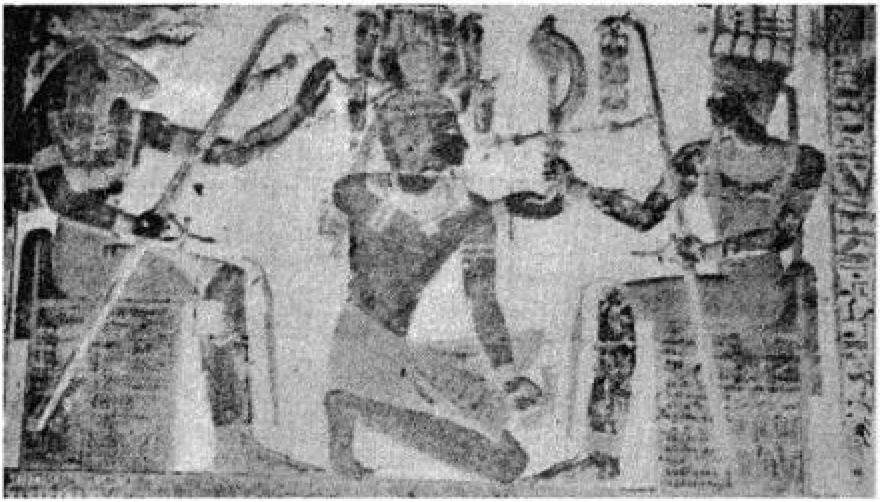
« واشترك معه فى معاركه وفتوحاته منفذا لاوامره » وكانت ألقابه فى حياة والده (قائد الجيش ومشرف على الخيـــالة ، ورئيس الرماة ، والمشرف على البـــلاد الاجنبية ، والكاتب الملكى المشرف على حصـون الحدود وشرطة الصحراء ـ والكاهن الاول للاله ست بمعبد آمون)

تولى الحكم بعد وفـــاة رمسيس الاول الذى لم يدم حكمه اكثـر من سنتين، فاتبع سياسة حورمحب لإعادة سيادة مصر ومجدها الامبراطوريبعد انهيارها فى اواخر الاسرة الثـامنة عشرة ٠ وقد اتخذ من كل من تحتمس الثالث وسنوسرت الثالث قادة يقتدى بهما فى سياسته وحروبه واصلاحاته

فكتب له النصر فى حملاته الاربع

رأس مومياء سيتي الاول، الاسرة التاسعة عشرة





سيتي الاول يتقبل بركة الآلهة آمون رع وخنوم « معبد ابيدوس »

ومعاركه الاربع والعشرين التي اعاد بها مجد الامبراطورية القديمة . وعندما انتهى من فتوحاته واخضاع البلاد التي كانت تشملها الامبراطورية القديمة ، اتجه الى الاصلاحات الداخلية وتعمير البلاد مستعينا بالاف الاسرى الذين اتى بهم من غزواته ، والثروات الطائلة التي جمعها في فتوحاته .

اختلف المؤرخون في دور سيتي الاول في حفر القناة ، وذكر اكثرهم ان اسم قناة السويس لم يرد في وثائق أعمال سيتي الاصلاحية المسجلة في معبد سيتي بابيدوس او الكرنك وان ما ورد بها من انه ، قام بازالة المستنقعات التي كانت تعوق حركة الملاحة والنقل ، قصد بها قناة أخرى قام بشقها وهي احدى افرع النيل القديم التي تصل الفرع البلوزى ببحيرة المنزلة بينما ذلك الفرع لم يكن يصلح للسفن الحربية او السفن التجارية التي تعبر البحرين الابيض والاحمر ، كما ورد في بعض النصوص القديمة ان قناة السويس اهملت وتخربت في نهاية الاسرة الثامنة عشرة ولم تعد تصلح للملاحة البحرية او المراكب الحربية ، كما انقطع اتصال البحر الابيض بالبحر الاحمر كما نسبوا اعادة حفر القناة بعد سنوسرت الى الملك نخاو الثاني في الاسرة السادسة والعشرين . لكن بردية ميليت التي ترجع الى عهد نخاو الثاني والخاصة بحفر القناة ، سجلت دور سيتي الاول في حفر القناة حيث ورد بها :

« لقد امرت رجالك ايها الملك العظيم بأن يعيدوا حفر القناة التي

سبق لسلفك العظيم سيتي الاول حفرها لتوصل بين البحرين : البحر الشمالي وبحر اروثرى الجنوبي مارة بالبحيرات المرة (أميريس) .

كما ورد في ورقة انسطاسي الاولى التي وصف فيها رحلات سيتي الاول . أقام قلعة على القناة الفاصلة التى تفصل مصر عن الصحراء الشرقية - ورسمت البردية القناة بشاطئيها والاشجار التي زرعت لتحمى ضفتيها من زحف الرمال والعواصف والكثبان التى ترمها . .

كما وصفت الورقة حفلات استقبال الملك عند عودته منتصرا من البلاد الاسيوية عند عبور القناة بالقرب من قلعة ثارو (القنطرة) .

فسيتي الاول يعتبر بذلك اول من أعاد حفر القناة بعد سنوسرت الثالث

● ٢ - قناة نخاو الثاني ●

نخاو الثاني (٦١٠ - ٥٩٥ق٠م) ثاني ملوك الاسرة ٢٦ اشتهر بحملته التي قادها على فلسطين واستولى فيها على سوريا باكملها بعد هزيمة ومقتل يوشع ملك يهودا . ولم تطل سيطرته عليها طويلا حيث هزم فى موقعة قرقميش على نهر الفرات على يد بختنصر واضطر الى الانسحاب من سوريا والاهتمام بشئون بلاده الداخلية . فاتبع سياسة سيتي في



الملك نخاو ٦٠٩ - ٥٩٤ ق . م الاسرة السادسة والعشرون ، متحف اللوفر ،



العرافة ميليت ـ نبوءة القناة

اصلاحاته الداخلية فقام باصلاح المعابد تقربا لكهنة آمون الذين

تصحره بعدم المغامرة بحربقرقميش (نبوءات ميليت) ووجه اهتمامه الى مشروعات الرى وحفر الترع وارسال البعثات التجارية فطافت سفنه حول القارة الافريقية بأكملها .

وقام بحفر القناة التى تصل البحر الابيض بالبحر الاحمر .

وقد أجمع المؤرخون انه لم يتم حفرها . بل توقف بعد أن اتم الجزء الجنوبى منها الذى يربط البحيرات المرة بالبحر الاحمر . وقد فسر المؤرخون توقف العمل فى حفرالقناة بعدة تفسيرات لوصف هيرودوت مشروع القناة بقوله :

«انجب ابسماتيك ولدا هو نيخوس وهو أول من حفر القناة التى تؤدى الى بحر اروترى والتى اتم حفرها من بعده دارا الفارسى . وطول القناة يساوى مدى أبحار اربعة ايام . وقد حفرت عريضة حتى ان سفينتين من ذوات ثلاثة صفوف ثم المجاديف

تمخرانها جنبا الى جنب . ويؤتى اليها بالماء من النيل منصرفا من مكان فوق مدينة بوباسطيس وبالقرب من مدينة باتوموس وتنتهى الى بحر اروترى (البحر الاحمر) . حفر منها الجزء الذى فى السهل المصرى، وهناك يوجد اصغر طريق واقصره

للذهاب من البحر الشمالى الى البحر الجنوبى . وتبلغ المسافة من هذا المكان حتى الخليج العربى الف استاد اما القناة فهى أطول من ذلك بكثير بقدر ما هى اكثر تعرجا وقد هلك من المصريين اثناء عملهم فيها مائة وعشرون الف عامل ، وتوقف نيخوس فى منتصف عملية الحفر لان نبوءة عاقته » .

(نبوءات العرافة ميليت ـ برديات متحف برلين)

لقد كشفت برديات العرافة ميليت التى وصفت بانها احدى كاهنات معبد هليوبوليس وقد وجدت البرديات فى احدى مقابر طيبة ، وتشمل البرديات مجموعة نبوءات تنبأت بها ميليت للملك نخاو من بينها نبوءة انتصاره على الفلسطينيين وقتل يوشع ملك يهودا .

اما نبوءة حفر القناة فنصها كما يلى :

« لقد امرت رجالك ايها الملك العظيم بان يعيدوا حفر القناة التى سبق لسلفك العظيمسيتى الاول حفرها لتوصل البحر الشمالى ببحر أروترى الجنوبى مارة بالبحيرات المرة ـ انى ارى وراء الغيب أن عملك هذاسيجلب الضرر على مصر . فحفر القناة سيعود بالفائدة على الغريب دون القريب . على الاجنبى دون الوطنى . انك اليوم تتقاضى الرسوم على مرور

الناس بارضك وعلى مرور التجارة . وتتحكم في مصير البضائع والناس. اما غدا عندما تفتح القناة فسيمر بها الجميع وتجذب الجميع .

ستجذب مطامع اعدائك فتفقد السيطرة على القناة وتجعل للخطر منفذا الى قلب بلادك .

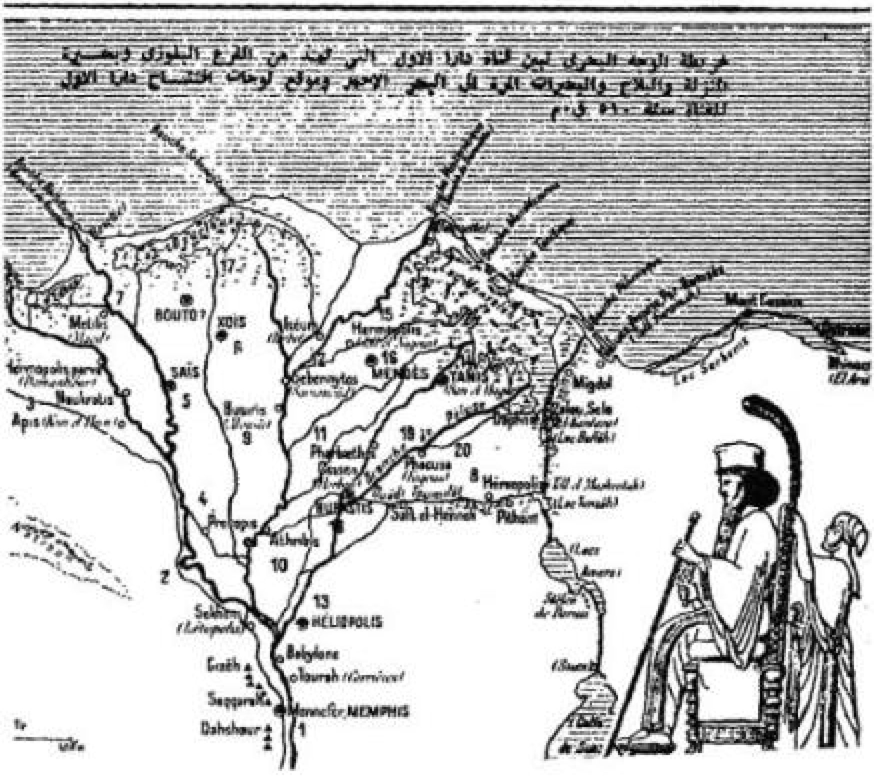
فبحق الالهة وبحق الوطن عليك من يوقف العمل وكف عن مواصلة الحفر .. لا كانت القناة ولا كان الاتصال » .

● ٤ ـ قناة دارا الاول ●

دارا الاول (٥٢٢ ـ ٤٨٥ ق.م) خليفة قمبيز على عرش الامبراطورية الفارسية وثاني ملوك الاسرة ٢٧ بمصر . نهج سياسة جديدة لصالحة المصريين على النقيض من سياسة سلفه التعسفية وقد ذكر ديودورس ان « دارا عمل على استمالة نفوس المصريين بحسن معاملتهم واحترام عقائدهم فأقام لآمون معبدا في واحة الخارجة وقدر المصريون ذلك فرفعوه الى مراتب ملوكهم من فراعنة الوادي» .

عندما دخل مصر كانت القناة مهملة وردمت الرمال الجزء الاكبر منها ولم تتمكن سفنه من دخولها من البحر الاحمر كما ذكر بعض المؤرخين ان قمبيز كانت له يد في منع اتصالها بالبحر الشمالي أو وصولها الى نهر النيل .

كما ذكر ديودورس « ان القناة



خريطة الوجه البحري تبين قناة دارا الاول التي تمتد من الفرع البلوزي وبحيرة التمساح والبلاح والبحيرات المرة الى البحر الاحمر ومواقع لوحات افتتاح دارا الاول للقناة سنة ٥١٠ ق.م



الاسكندر الاكبر

التى كان نيخوس قد شرع فى حفرها اتم حفرها الحاكمان الفارسيان داريوس واجزد كسيس الا انها لم تعمر طويلا » .

كما ذكر هيرودوت دور « دارا » فى حفر القناة بقوله :

« ان دارا الاول ملك الفرس اتم حفر القنــــاة التى شرع فى حفرها نيخوس لتصل البحر الشمالى ببحر اروترى الجنوبى ليربط منف بعاصمة الفرس ويرضى المصريين باعادة تعمير قناتهم المقدسة » .

وقد قام دارا الاول بحفرها عام ٥١٠ ق.م وســجل تاريخ افتتاحها على لوحات داريوس المشهورة التى وضعت بالقرب من البحيرات المرة .

« ملك الملوك داريوس الاول »

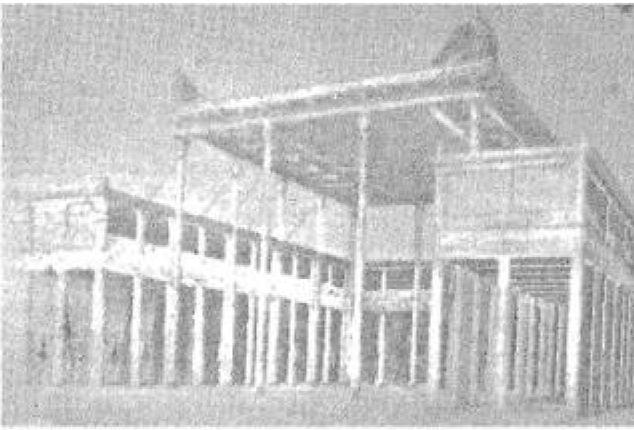
« انا الفارس من بلاد الفرس غزوت مصر واصدرت اوامرى بحفر القنـــاة من نهر يسمى النيـــل يخترق ارض مصر ويصلها الى البحر الذى يجرى من ارض مصر الى ارض الفرس ولما تم فتح القناة ابحر اسطول مكون من ٣٢ سفينة محملة بالتجارة والغنــائم لتعبر النيل وتصل الى البحر وتدور حول الجزيرة لتصل الى فارس .

● ٥ ـ قناة الاسكندر الاكبر ●

الاسكندر الاكبـر (٣٣٢ ـ ٣٢٣ ق.م) دخل مصر عام ٣٣٢ بعد انهيار امبراطورية الفرس وتقـــرب الى المصريين باعتناق ديانتهم ونســب نفسه نلا له امون بمعبد سيوه وتوج ملكا فى معبد الاله بتاح بمنف .

وفى ربيع ٣٣١ ق.م غادر مصر ليكمل فتوحاته الاسيوية ولم ير مصر بعد ذلك حيث نقلت جثته اليهـــا ليدفن فى الاسكندرية عاصـــمة ملكه الجديدة التى انشاها ولم يرها ولم يدفن فى واحـــة امون كرغبته التى ابداها قبل وفاته ليكون بالقـرب من ابيه الاله .

اشتهر الاســـــكندر بمشروعاته الهندسية التى نسبت لنشأته الثقافية العالية التى تلقاها على يد عـــدد من فلاسفة الاغريق وعلمائهم المعروفين بجانب هوايته لفنون الحرب والمعارك .. وقد ذكر مؤرخو اليونان القدماء ان من اهم المشروعات التى قـــام



ايوان حفلات بطليموس الثانى .. قناة السويس

بالاشراف على تخطيطها وتصميمها مشروع مدينة الاسكندرية التى جعلها عاصمة البلاد والموانى الحربية لاسطولى البحر الابيض والاحمر

ثم القلاع والحصون ومشروع القناة التى تصل البحر الابيض بالاحمر لنقل سفنه الحربية من ميناءى الاسكندرية وابو قير مخترقا الدلتا

حتى البحيرات المرة، ومنها الى البحر الاحمر ، واعادة حفر قناة الشمال التى تصل سيربيونيس ببحيرة التمساح ومنها الى البحيرات المرة . وقد بدأ العمل فعلا فى تنفيذ ذلك المشروع ولكنه توقف بعد وفاته .

● ٦ ـ قناة بطليموس الثانى ●

بطليموس الثانى (٢٨٥ ـ ٢٤٦ ق . م) تولى عرش مصر عام ٢٨٥ ق . م بعد أن استتب الحكم فى البلاد أيام سلفه بطليموس الاول الذى اشتهر بفتوحاته العسكرية ومشروعاته الاقتصادية والعمرانية ولكنه كان مكروها من المصريين



بطليموس الثانى

كاجنبي مستعمر . لذا فقد عدل بطليموس الثاني عندما تولى الحكم على استماله المصريين باحترام عقائدهم وتشبه بالاسكندر الاكبر في سياسته حتى انه اعدشجرة للعائلة نسب نفسه فيها للاسكندر المقدوني وليس للاغريق، وادعى بأن البطالسة هم وخلفاء الشرعيون لعرش مصر وانهم من سلالة الاله امون رع

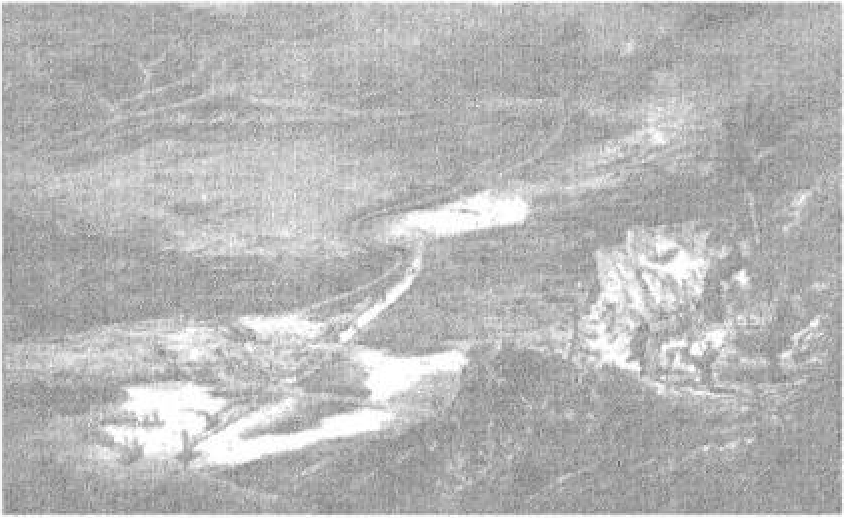
وتمشيا مع التقاليد المصرية ورغبات الكهنة سمى نفسه بن رع وقام باصلاح المعابد ومنحها الهبات وحبس عليها الاوقاف ، كما ظهر على لوحة بتوم (تل المسخوطه) بمنطقة القناة لقب (وسر كارع مرى امون) اى ابن الاله من صلبه ورب التيجان .

كما قرب العلماء والمثقفين من المصريين من عرشه واستعان بهم فى مشروعاته العمرانية ومن بين اثاره المشهورة فنار الاسكندرية ومكتبتها التى تعلم على يد علمائها . وذكر بعض المؤرخين علاقة بطليموس الثانى بحفر القناة انه امر بحفرها تلبية لرغبة الاسكندر الاكبر المقدمة وان المشروع الذى قام بتنفيذه هو مشروع الاسكندر نفسه .

وقد بدا حفر القناة بانشاء ميناء اسطول البحر الاحمر هيروبوليس مكان ميناء السويس الحالى كما انشا مدينة ارسنوى (نسبة الى زوجته الملكة ارسنوى الثانية) التى اقام لها معبدا على بحيرة كم اور (بحيرة التمساح) بعد موتها وانيت تعالى



احدى لوحات حفر القناة .. مدينة الاسماعيلية . عصر بطليموس الثانى



إحدى لوحات قناة السويس .. « متحف اللوفـــر »

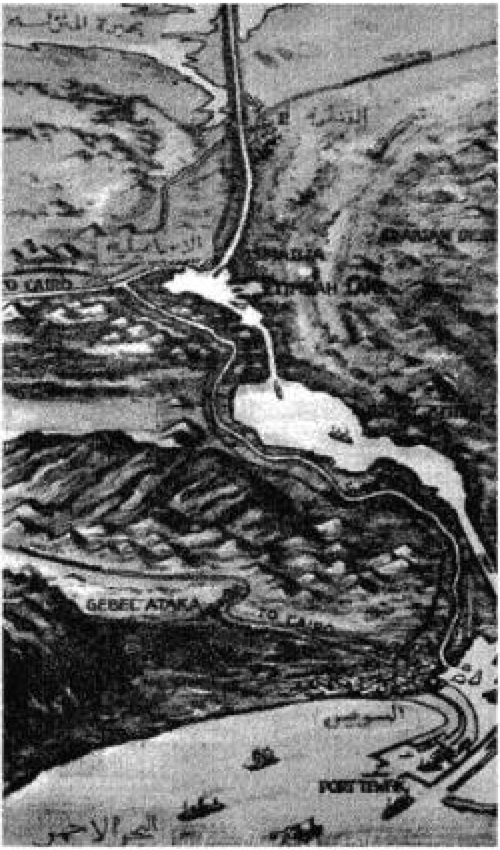
تأسيس المعبد هناك بواسطة الكهنة المطهرين لوالـده اتوم الاله العظيم العائش فى تكو ، وامتد حفر القناة حتى وصلت الى البحيـــرات المرة لتتصل بفرع النيل الشرقى – كمـــا أعيد حفر الجزء الشمالى منهـــا الموصل الى القنطرة والبحر الشمالى وتم العمل بأكمله فى سنتين واستعان فى حفرها بالاسرى الذين جلبهم والده فى حروبه الاسيوية وبالعبيد الذين اتى بهم من الجنوب ·

واقام بطليموس الثـــانى ايوانا مشهورا على مدخل البحر الاحمـــر لاقامة حفلات واعياد ألهة القنـــاة وقد وصف كالسين حجم القناة « انه كانت تنقل خلالها السفن التى تحمل اخشاب الارز من الشمال وتجـــارة بلاد الجنوب بحيث كانت تمر سفينتان الواحدة بجـــوار الاخـــرى فاردة مجاديفها وان ســـفينة بطليموس الخاصة يبحر بها من الاســـكندرية لتدخل القناة وتعبرها الى بحـــر اروترى الجنوبى وكان طولها ٢٨٠ ذراعا وبهـــا أربعون صـــفا من المجدفين » ·

وعن طريق قناة بطليموس الثانى دخلت الجمال والجاموس الافـــريقى الى وادى النيل لاول مرة كما جلب الفيلة التى استخدمها مع قـــواته العسكرية فى الحرب ·

● ٧– قناةالامبراطور تراجان●

رغم أن عهد الامبراطور تراجـــان الرومانى فى مصر كان عهد قـــلاقل وثورات ، الا انه نذكـــر ان من اهم أعماله فى مصر اعادة حفـــر القنـــاة التى قام بانشائها كل من الملك نخاو الفرعونى ودارا الفارسى · وقد تم فتحها للملاحة عام ١١٧ م · كمـــا ذكرت بعض المصـــادر الرومانية ان الامبراطور هدريان عند زيارته لمصر عام ١٢٢ م قام بزيارة القنـــــاة وموانيها وأمر باصلاح بعض مناطقها التى لم يكن تراجان قد اتمها ·



مشروع سعيد باشا لقناة السويس التى اتمه الخديو اسماعيل ١٨٦٩ م

● ٨ ـ قناة عمرو بن العاص « قناة امير المؤمنين » ●

وضع عمرو بن العاص مشروع قناة جديدة تربط مدينة فرما وكان موقعها مكان بورسعيد لتصل البحر الابيض بالبحر الاحمر ولكن الخليفة عمر بن الخطاب عارض المشروع خوفا من طغيان البحر الاحمر على ارض مصر واستبدلها بالقناة الرومانية القديمة التى تربط الفسطاط ببحر القلزم وهو الاسم القديم لمدينة السويس (كلسيمة) وكان الغرض منها التبادل التجارى مع البلاد العربية ونقل الحجاج والفسطاط الى بيت الله الحرام بالسفن مباشرة . استخدمت زهاء قرن ونصف الى ان قام الخليفة العباسى ابو جعفر المنصور بردمها عندما تمرد عليه اهل المدينة حتى لا تستخدم فى نقل

الون اليهم ولتمنع التجارة مع اهلها وقد بقيت القنـــاة مهملة حتى العصر الحديث ٠

اما فى العصر الحديث فقد وضع المهندس النمساوى نجـريللى مشروع ربط البحر الابيض بالبحر الاحمـر بعدما هدم النظرية القائلة باختـلاف منسوب المياه في البحـرين الابيض والاحمر والتى كانت سببا فى وقف مشروع عمرو بن العـــاص ، وقد اقتبس ديليسبس فكرة مشروعه من نجريللى ٠

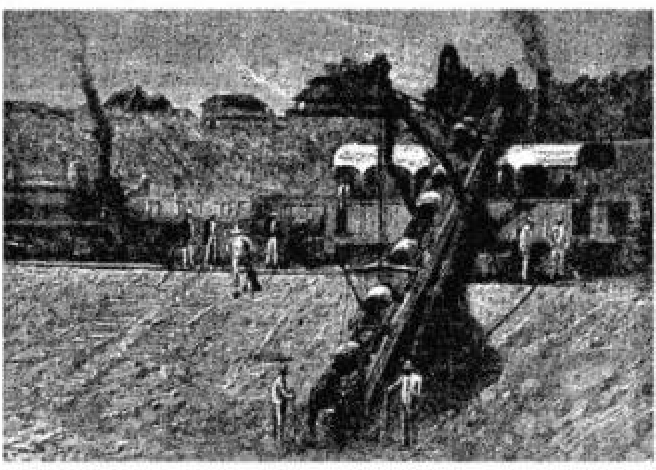
● ٩ ـ قناة الخديو اسماعيل ●

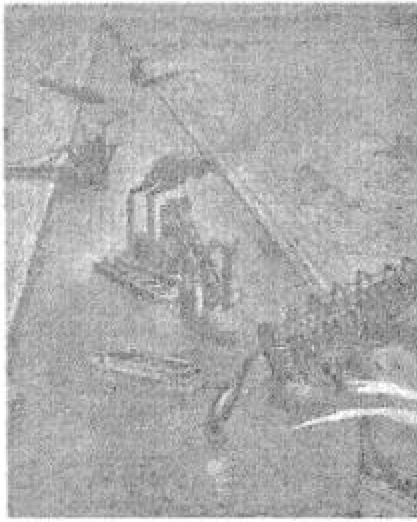
ان مشروع قناة السويس الحاليـة وضعه المهنـدس نيجريللى الايطالى وعرضه على الحكومة المصرية وبعض الحكومات الاجنبية فوقفت فى سبيله مجموعة من الاعتراضات السياسـية والاقتصادية ٠ ثم تقدم به المهنـدس ديليسبس مرة أخرى الى سعيد باشا والى مصر وعرض عليه قيام شركته بتنفيذ المشروع الذى قدرت تكاليفـه بسبعة ملايين من الجنيهـات موزعة على ٤٠٠ الف سهم ، وان يجعل لمصر مركزا ممتازا فى الشركة وادارتهـا بالاكتتاب فى ٤٥٪ من اسهمها ٠

وقد تعثر تنفيـــذ المشروع فى مواجهة حملات التشكيك التى قامت بها الحكومة البريطانية لدى البـاب العالى ومختلف الدول الغـربية حتى اتجهت الانظار بعد وفاة سعيد باشا الى ما سيؤول اليه مشروع القناة ٠

عندما تولى اسماعيل باشا الحكم عام ١٨٦٣ لاحظ انه بالــرغم من الصعوبات الطبيعية الهـائلة التى صادفتها الشركة ومهندسـوها فى الصحراء ، فقد تمكنوا بجهـودهم الجبارة من فتح القنـاة بعرض ٥٦ مترا وعمق ستة امتار وبطول ١٦٠

الحفارات الجافة .. الكواديس





استعمال الكراكات ، ومواعين نقل الحفر « الحفر المائي » ..

كيلو مترا ـ وكانت اعمال القناة لم تنته بعد ولكنها قد وصلت الى مرحلة لا يمكن التراجع معها . فبعد ان كانت ثورة الحكومة الانجليزية والبرلمان الانجليزى مركزة على عدم صلاحية المشروع من النواحي الفنية وانه سيعود بالخراب الاقتصادى على مصر والشركة الفرنسية والمساهمين الاجانب ، تحولت الحملة على الشركة لانها تسخر العمال المصريين في اعمال الحفر وحمل الرمال بغير مقابل وفي ظروف لا انسانية ، كما وضعت الشركة يدها على اجزاء كبيرة من ارض مصر باسم المشروع .

فاستغل اسماعيل باشا تلك الحملة ليعدل عقد الشركة قبل الموافقة على الاستمرار فى تنفيذ المشروع ونص الاتفاق الجديد الذى وقعه مع الامبراطور نابليون الثالث على ما يلى :

١ ـ منع الشركة من تشغيل العمال المصريين ومن يرغب منهم العمل بالشركة ينال من الشركة الغذاء والكساء والعلاج ويتقاضى أجرا يوميا ثابتا قدره فرنك واحد للشخص ونصف فرنك لغير البالغين ..

٢ ـ تقوم الشركة باعداد الحفارات والجرارات الميكانيكية والقاطرات والمعدات اللازمة للحفر ونقل الرمال قبل البدء فى العمل .

٣ ـ اعادة الاراضى الزائدة عن حاجة العمل وقدرها ١٥٠ الف فدان الى الحكومة المصرية .

وهكذا حسم الخلاف بين اسماعيل باشا والشركة وتوقفت اعمال السخرة وكان نتيجة لذلك الاتفاق ان ظهرت فى اعمال الحفر بالمشروع الجديد مجموعة مبتكرة من الحفارات والكراكات والجرارات تعد الاولى من نوعها فى العالم وقتذاك اهمها حفارة القواديس الجافة التى اخذ المهندسون فكرتها من قواديس الساقية

الريفية حيث تقوم الاوعية المعدنية بعملية الحفر وحمل الرمال وتفريغها فوق الجسر الرملى ، وقد اطلق عليها المهندسون الفرنسيون اسم ساقية الرمال المصرية ، كما استخدمت انواع اخرى من الصنادل او المواعين ذات القاع المتحرك التى تحمل رمال الحفر من المجرى المائى وتنقلهــا لتفرقها فى قاع البحر ٠

وقد سجلت مراحل الحفــر فى سجلات الشركة كالاتى :

٨ يناير ١٨٦٥ وصلت المعدات وبدأ الحفر فى القناة ٠

١٤ مارس ١٨٦٩ وصلت ميـاه البحر الابيض المتوسط الى البحيرات المرة ٠

١٥ اغسطس ١٨٦٩ وصلت مياه البحر الاحمر الى البحيرات المرة ٠

١٧ نوفمبر ١٨٦٩ احتفل رسميا بافتتاح القناة كما بلغ عدد السفن من مختلف الجنسيات التى عبرت القناة فى اول سنة من افتتاحها ٨٢٠ باخرة وصل عددها عام ١٩١٣ اى قبل الحرب العالمية الاولى ٥٠٨٠ باخرة ٠

ثم وصلت فى عام ١٩٣٨ اى قبل الحرب العالمية الثانية ٦١٧١ باخرة

وفى عام ١٩٥٥ قبل حرب ١٩٥٦ الى ١٤٦٦٦ باخرةوارتفععدد البواخر فى عام ١٩٦٦ الى ١٦٢١٠ باخرة اما الاسماء التىاطلقت على معالم القناة ومدنها فيرجع اصلها الى ما يلى :

بورسعيد : نسبت الى سعيد باشا الذى بدأ فى انشاء القناة واقـام الميناء التى حملت اسمه عنـد مدخلها ٠

الاسماعيلية : نسـبة الى قصر الاسـتراحة الاسماعيلية الذى اقامه اسماعيل مكان المدينة الحاليـة ليشرف منه على تنفيذ القناة ٠

القنطرة : احتفظت باسـمها

مدخل القناة ... بور سعيد



التاريخى منذ قناة سنوسرت (فارو) البحيرات المرة : بحيرات اميريس
اما القناة نفسها فقد اطلق عليها اسم قناة السويس ولم يطلق عليها اسم الخديو اسماعيل لان دوره فى المشروع كان تكملة ما بداه سلفه سعيد باشا .

وفى ٢٦ يوليو عام ١٩٥٦ اممت القناة وفى ٢١ اكتوبر من نفس العام تعرضت مصر والقناة للعدوان الذى اشتركت فيه اسرائيل تعاونها انجلترا وفرنسا ، ولم يتوقف العدوان الاسرائيلى حتى عام ١٩٦٧ حيث طويت صفحة اخرى من صفحات تاريخ القناة لتفتح صفحة جديدة فى عام ١٩٧٤ يعاد فيه حفرها وتعميرها .. بابعاد جديدة ومقاييس جديدة وآفاق جديدة وآمال جديدة تتمشى مع احتياجات الامة ومطالب العصر ..

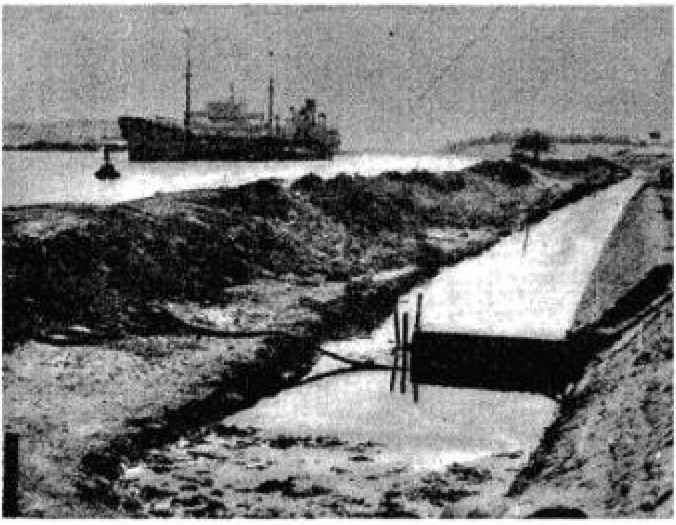
● صفحة جديدة فى تاريخ القناة ●

لن تكون القناة فى هذه المرة هى الحد الفاصل بين وادى النيل وصحراء سيناء بل سيشمل تعميرها امتداد العمار لمنطقة سيناء والضفة الشرقية من القناة ستصبح شريانا حيويا لمنطقتى شاطئيها ، كما سيتمشى التخطيط مع التطور الحضارى للعصر الحديث ومقومات تكوينه الاقتصادية بما يرتبط بها من مشروعات التخطيط السياحى والصناعى والعمرانى والاسكانى والزراعى .

لن تصبح فى هذه المرة كوسيلة للنقل لتصل البحر الابيض بالبحر الاحمر او العالم الغربى بالعالم الشرقى ، بل وسيلة تبادل اقتصادى حضارى بين مصر والعالم اجمع بمختلف اقتصاديات خدماته المتبادلة

وربما اتجه التفكير الى احياء تخطيطها الثلاثى الاول اى باعادة حفر قناة اتصالها بالنيل والقاهرة ، حتى تصل القناة الى القاهرة قلب الشرق النابض .

مشروع حفر وتوسيع القناة الجديدة



محمد علي
أحمد



لا تندهشي

أبداً أبداً .. لا تندهشي   آثرتُ البعدَ لترتاحي
إني أحببتكِ في الماضي   وملأتُ بخمركِ أقداحي
وغرستُ بأرضكِ أحلامي   وعلوتُ سماءكِ بجناحي
وغضبتُ فقامتْ واهتزتْ   أركانُكِ من عصفِ رياحي
وضحكتُ فرقّتْ أغنيةٌ   رقصتْ بالعطرِ اللفّاحِ
أبداً أبداً .. أنا لا أنسى   عطفكِ يا موسمَ أفراحي
أحببتكِ أنّى لم يقرب   من بابكِ إلا مفتاحي
وصبغتُ بلونكِ أيامي   ووهبتكِ ليلي وصباحي
يتشهى ثغركِ ضحكاتي   فتغارُ خدودُ التفاحِ
ونهودكِ تعرفُ أشياءً   تُسكرني إنْ فرغتْ راحي
وبكلِّ مكانٍ بصماتي   ومعالمُ شجوي ومراحي
أعطيتكِ من كلٍّ فنوني   وأضاءتْ بليلكِ مصباحي
وأخذتُ أخذتُ فما شبعتْ   رغباتُ الشوقِ المجتاحِ
ومنحتكِ قبلَ مغادرتي   إسمي . وسماتي . ووشاحي

عبد الحليم الجندى

هاجر الشافعى سنة ١٩٩ الى مصر ، فاستشرفت فيه الى بشائر الفجر الطالع . وكانت الحضارة الاسلامية تتجه اليها لتتخذ منهـا منطلقا . ومصر كانت وستبقى حيث تلتقى وتفترق امم الغرب والشرق ، تذيع الرسالات الوافدة اليها او المنبعثة منها ..

وفى مصر شعب متدين من قديم ، اعلن التوحيد من عهد اخناتون . ولما استقبلت الفتح الاسلامى كانت تستقبل دينا يعلن التوحيد وكان اقباط مصر اعوانا للفاتحين المحررين لبلادهم من سيطرة العدو - الرومانى - والمعيدين لهم حرياتهم الدينية والشخصية والمعترفين بالمسيحية فى تراحم وتواصل ، لم يلبثا قرنين من الزمان حتى جذبا قلوب المصريين ، فاخذوا يسلمون . ومن اسلم تعرب

وتتابعت القبائل العربية على مصر لتصب فى عروقها الدم العربى فتزيدها عراقة وعروبة وزعامة بين الامم .

قدم الشافعى مصر على رأس القرن الثانى ، ليجلس فى جامع عمرو ويرسى قواعـد مذهبه الذى ساد بين المسلمين ، ويذيع بالفقه وبالفعل أى بالفكر وبالقدرة ، جلائل الفكر الاسلامى فى التشريع وعظائم الخلق الذى يتميز به الامام . ويقتدى به الجمهور ...

واحبت مصر محمد بن ادريس الشافعى حبها للدين ولابن عم الرسول ، ولعالم قريش الذى بشر الرسول به ، وكانت له درجة فى القلوب ينفرد بها بين سائر الائمة والعلماء .

واحبته ، اذ سمعته يتلو كلام الله فى جرس اخاذ ، وعبرة ونفاذ ، ليس لها نظائر .

واحبته اذ بايعه ائمة البلاغة العربية على انه الامام .

واحبته ، لانه كان فيهـا كثيه

دعوة للاحتفال بمرور

على ميلاد

الباقية على الدهر . لقصها بالمجد الذي يعلو بها كلما استطال الزمان .

وكان من منطـــق التاريخ ان يحتوى جثمانه ثرى مصر فيكون لمصر امام ، مثلما ضم جثمان أبى حنيفة وابن حنبل ثرى العــراق . وضم جثمان مالك تراب المدينة . وفكـــر هؤلاء الاربعة لا يزال يضـــم المسلمين فى شتى ارجاء المعمورة .

وكان من منطق التاريخ ان يكون اقدم المخطـــوطات فى دار الكتب المصرية نســـخة من القرآن الكريم يرجع تاريخها الى النصـــف الثانى من القرن الاول ، يقال انها من نسخ المصحف الذى جمعه امير المؤمنين عثمان بن عفان ووزعه فى الامصار . وان يكون المخطـــوط الذى يليه فى القدم والافتخـــار بدار الكتب هو « رسالة الشافعى » بخط تلميذه ، الربيع بن سليمان ، باجزائها الثلاثة وفى ختامها (اجاز الربيع بن سليمان صاحب الشافعى نسخ كتاب الرسالة وهى ثلاثة اجزاء فى ذى القعدة سنة خمس وستين ومائتين – وكتب الربيع بخطـــه) وان يكون ما بين يدى المسلمين اليوم من رسالة الشافعى هو هذه النسخة .

« ورسالة الشافعى فى التاريخ الاســـلامى حدث ضخم فى تاريخ العالم . لانها هى اساس « اصول الفقه » فى الاسلام . كما يســـلم الفقهاء من جميع المذاهب . وهى بعد ذلك مظهر لاصول الفكر الاسلامى كله ، يتجلى فى العلوم الشرعية ثم ينتقل الى كل العلوم ، بما فى ذلك العلوم التطبيقية ، كالطب والفلـــك والكيمياء والصيدلة والرياضـــيات . فهو يقوم فى الشرعيات على اساس اجتهـــــاد العقل – كما يأمر الله ورسوله – بتحقيق النصوص والعلل والاسباب واتباع الحكمة ، وهذا هو الاجتهاد الذى يجعله الشافعى مجعل القياس مع نزاهة الفكر فى الاستخلاص دون تحيز مسبق . ومع تحرير كل ادوات القياس وتنقيحها ، كما يقوم فى سائر العلوم على نفس الاساس = الاجتهاد الفكرى مع النزاهة المثلى فى جميـــع المقدمات ، ودراســـتها والاستخلاص منها دون اخضـــاعها لفكر مسبق ، سواء دينى او اجتماعى او ســـياسى ، فالى هذا دعا القـــرآن الناس ، ليستنبطوا بفكرهم قدرة الله ووجوده .

وهذه النزاهة هى التى عول عليها جابر بن حيـــان ، اول كيميائى فى التـــاريخ كمـــا يقول عنـــه الاوربيون وعبر عنها بالمقـــولة المشهورة (عملته بيدى ، وبعقلى ، وبحثته حتى صـــح ، وامتحنته فما كذب) .

هذا المنهـــج العقلانى فى العلم قاومته الكنيسة فى العصور الوسطى وامرت باحراق الكتب الإسلامية التى تحتويه والواردة من بلاد الاســـلام بعد أن ترجمت منهـــا فى جامعات الاندلس وصقلية الوف الكتب ، ومنها ترجمات روجر بيكون فى انجلترا .

اثنى عشر قرنا
الإمام الشافعى
إمام مصر

وكان يعلن ان الذى لا يعرف العربية يخطىء الطريق الى العلم ·

وعن روجر بيكون عرف الانجليز المنهج الإسلامى ومنهم فرنسيس بيكون الذى ينسب اليه الغربيون طريقة (التجربة والاستخلاص) — التى يحتفلها العالم الان ، وما هى الا طريقة العلم الاسلامى الذى يتجلى فى طريقة (التجربة والاستخلاص) التى تعمل بها «جابر بن حيان» طوال حياته ، واعلنها فى كل كتاباته «وهى تعد بالمئات · وما هى الا طريقة المسلمين فى التفكير الحر واجتهاد الفكر ، وضع الشافعى اصولها فى رسالته ، كما نادى بها علماء الكلام المسلمون فى كل مجال ·

***

حول اساطين جامع عمرو . على شاطىء النيل فى الفسطاط ، وفى « زاوية الخشابية » من هذا المسجد الجامع — اول مسجد اقيم فى افريقيا — اهرع الناس فى البلد المضياف يتحلقون حول «عالم قريش» يجيئهم بخلاصات العلم الاسلامى ، ومعانى ايات القرآن الكريم ، ومرامى احاديث الرسول عليه الصلاة والسلام ·· ويسرد اراء كتاب ابى حنيفة ، وعلم شيخه مالك ، فيصوب منها ما يصوبه ، ويناقش منها ما يناقشه ، ليخلف لنا مجموعة فقهية مقطوعة القرين فى العالم تسمى « كتاب الام » ، بمعنى الموسوعة ، او الكتاب الشامل للفقه ··· ثم يفيض فى السيرة والتاريخ ويبدع الابداع الرائع فى ادب اللغة واشعار الجاهليين والاسلاميين — وهذا شأو لم يبلغه احد غيره — ولذا نقرأ كثيرا فى القواميس عبارات « هذه لغة الشافعى » مما يجعله مصدرا من مصادر اللغة العربية لا مجرد امام فيها ·

وكان خطيبا اى خطيب : (اذا اخذ فى التفسير كانه شاهد التنزيل) كما يقول تلميذه يونس بن عبد الاعلى

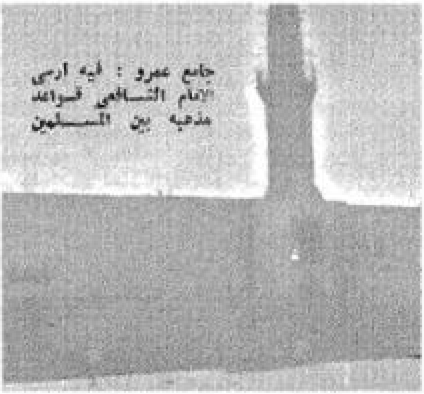
وكان مهيبا اعظم المهابة ·· يقول تلميذه الربيع : (والله ما جرؤت ان اشرب الماء والشافعى ينظر الى ،هيبة له ···)

وفى جامع عمرو تجلت خصيصة اخرى ، فزانت بلاغته ، وزادت مهابته : هى عذوبة الصوت الذى ينصب فى الاذن كما يسكر الفن البصر ويأسر الحس والنفس ··· يقول تلميذه المزنى (كان اذا تكلم كانه صنج او جرس من حسن صوته)

وكان بذال اموال ، كله سماحة ويسر للناس ، وكله مودة ورحمة ، وعند اللزوم يداعب التلامذة الذين سيصبحون من بعد أئمة عظماء ·

ولما ترك الشافعى اساطين المسجد العتيق بمصر الى الرفيق الاعلى ، ظل الجامع العتيق مركز الثقافة — فلقد كان مركزا لها منذ اقيم — جاءه بعد الفتح مائة واربعون صحابيا ونيف ، منهم الزبير بن العوام ، وسعد بن ابى وقاص ، وابو ذر الغفارى ، وعبد الله بن عمرو ·· وتتابع عليه من التابعين كثيرون منهم نافع مولى عبد الله بن عمر ، ارسله عمر بن عبد العزيز ليعلم المصريين السنن وعمر نفسه من مواليد مصر — وكلهم جلس فى المسجد الجامع · كما جلس من بعدهم فيه ابن لهيعة ، والليث بن سعد ، وعبد الله بن وهب وعبد الرحمن بن القاسم ، وعبدالله ابن الحكم ، واشهب بن عبد العزيز

إمام مصر



جامع عمرو : فيه ارسى الامام الشافعي قواعد مذهبه بين المسلمين

ـ والاربعة الاخيرون من تلاميذ مالك كالشافعي .

وفي هذا المسجد القى ابو تمام اشعاره وسقى الماء في جامع عمرو كما القى من قبله ابو نواس اشعاره بمصر ، والقى من بعده البحتري والمتنبي وكثيرون سواهم . فمكانة مصر من الحضارة الاسلامية مركز اجتذاب لكل فكر وفن ..

وسيبقى هذا المسجد العتيق الذي وسع الفقه الاسلامي الذي وضعه الشافعي حول اساطينه هو المسجد الجامع ، حتى انشأ الفاطميون الازهر ليمثل فقه الشيعة الاسماعيلية باسم يزدهر لهم فقه . بل انماع المذهب الشيعي في مصر كما ينماع الملح في الماء بمجرد أن اعاد صلاح الدين تدريس السنة في جامع عمرو . ولما بقي الازهر بقي ليدرس فقه السنة وفي طليعته فقه الشافعي .. وتتابع مشايخ الازهر ـ الائمة ـ من مذهب الشافعي . فلم يتغير مذهب مشيخته الا بعد زمان طويل .

ومن هذا المسجد الجامع ـ جامع عمرو ـ الى قريب منه ، انتقل الربيع ابن سليمان يفتتح دروس المذهب الشافعي في الجامع الجديد في العاصمة الجديدة (القطائع) للدولة الجديدة التي اقامها احمد بن طولون

.. وفي عهد ابنه خمارويه مكن ابو زرعة للمذهب الشافعي . وسترى صلاح الدين يعيد للمذهب الشافعي سيطرته ويقيم مدرسة بمصر لتدريسه واخرى في دمشق ، ليقترن اسمه بالمدرسة الناصرية سنة ٥٦٦ ، منذ اقامها في مقابل جامع عمرو . كمثل ما كان السرى بن الحكم يمشي وراء الشافعي وهو يحاول ان يستقل بمصر في حياة الشافعي .

وسترى بعد الف عام على بك الكبير يستقل فعلا بمصر سنوات اربع ليحقق الوحدة بين مصر والشام والحجاز ـ كمثل صلاح الدين ـ وكمثله ايضا يتقرب الى الله بتجديد قبة الشافعي ومسجده وقبره ولنفس الاسباب رأينا اسد الدين شيركوه ـ عم صلاح الدين ـ يزور قبر الشافعي ويتبرك به . وعند ضريح الشافعي قتل جنود صلاح الدين شاور (الوزير الذي استعان بالصليبيين ليغزو مصر) .

وكذلك انشأ صلاح الدين المدرسة (الصلاحية) لتدريس فقه الشافعي ، بعد انشاء المدرسة الناصرية ، بل هو بنى في بيت المقدس مدرسة لتدريس فقه الشافعي في سنة ٥٨٨ عقب انتصاره في حطين . اي في العام السابق على وفاته . فكان من اوائل اعماله الكبرى بناء المدرسة الناصرية لتدريس فقه الشافعي الى جوار جامع عمرو في سنة ٥٦٦ وكان من اواخر اعماله الكبرى بناء مدرسة اخرى لتدريس فقه الشافعي .

فالشافعي وصلاح الدين في مصر قريتان ، الاول يمثل مجد العلم وكرامة القلم ـ والثاني جلال القوة اذا اعتمدت على العلم واخلصت في الحكم بصدق النية وحسن العقيدة .. وما هو الا منهج العلم والايمان الذي انتصرت به مصر في العاشر من رمضان سنة ١٣٩٣ هجرية والتاريخ يعيد نفسه كلما اصلح

إمـــام مصـــر

الناس انفسهم .

هذان هما الشافعي امام مصر ، وجامع عمرو .. جامع مصر .

ولقد تمت هذه الأيام اثنا عشر قرنا هجرية على ميلاد الامام الذى أعلى قدر مصر . وقدر العلم . وكان علما عليها ، ومذهبا لابطالها . ولا يزال مذهبا للشعب فيها . ومن واجب الذين يبحثون عن اساليب احياء المجد الوطنى ان يحيوه بذكر العلم والبطولة والامامة فى الدين الاسلامى الذى تدين به الامة ، واللغة العربية التى تجمعها على قوميتها العربية . وهذا من اختصاص الجهات السياسية والتشريعية والثقافية والجامعة العربية والجامعات وبخاصة جامعة الازهر — والى هؤلاء نتجه بالدعوة لاداء هذا الواجب .

ولد محمد بن ادريس الشافعى فى سنة ١٥٠ للهجرة ، سنة وفاة ابى حنيفة . لم تشأ السماء ان تحرم الاسلام ذلك الامام حتى حبتها هذا الامام .

ولد بغزة — ثغر فلسطين العظيم — على مشارف مصر والشام . ثم حملته امه الى عسقلان حيث يرابط المسلمون لحماية غزة . وكان أبوه قد سافر اليها ثم مات — وهو طفل . ولم تلبث امه عامين حتى سافرت به الى مكة لتدافع عن حقه فى بيت المال . فهو محمد بن ادريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبيد ابن عبد يزيد بن هاشم بن عبد المطلب فهو يلتقى برسول الله صلى الله عليه وسلم فى الجد التاسع للشافعي والجد الثالث للنبي .

وكان مرتب الغلام من بيت المال للمسلمين لا يكفيه ، فعاش عيشة ضنكا . ثم تعلم القرآن فى مكة على يد مقرئها الكبير اسماعيل بن قسطنطين فلما كبر شيئا تفتح قلبه وعقله على انه ابن عم النبى . وعندئذ احس بتبعات العلم التى حملها الرسول فى الامة ، وخلفها لصحبه وآله . فامسى اولاد الصحابة العظماء علماء يعلمون الامة : ابوبكر وابناؤه ، وعمر وابناؤه ، وعلى وابناؤه ، وعثمان وابناؤه والزبير وابناؤه .. الخ

ولم يكد يحفظ القرآن حتى ساد الجميع بتلاوته فكان الناس يبكون اذ يسمعونه . ثم انتقل الى قبيلة هذيل يتعلم اللغة الفصحى من مصادرها بالبادية فقضى فيها سنوات طويلة ليعود افصح الاحياء لسانا ويجلس الى ابى سفيان بن عيينة المحدث الاشهر ومسلم بن خالد الزنجى تلميذ ابن جريج فقيه مكة — فياذنان له بالافتاء وان يعقد لنفسه حلقة ، فيرفض اذ هو يدرك ان هذا العلم دين . فقد كان أعظم الناس فى العصر مالك بن انس . ولم يكن الشافعى ليتصدى للناس معلما الا بعد أن يضيف الى نفسه علم مالك .

انتقل الشافعى الى المدينة يقيم فيها عشر سنين يتعلم على مالك الى جوار طلائع العلم فى العالم الاسلامى ، غير مالك ، حتى قضى مالك نحبه ، ودعى الشافعى للعمل باليمن فجلس هناك للقضاء لتؤثر عنه فيها مبادىء رائعة فى الفقه المعاصر . وبلغ بانصافه غضب البعض ، وكان منهم قوم قضى ضدهم احتجوا بان الضياع التى قضى فيها ضدهم من ضياع المنصور بن المهدى — اخى الخليفة الرشيد — فلم يأبه لكلامهم . ووشى الوشاة به على انه (شيعى يؤلب الناس على بنى العباس) وهى تهمة لا ترحم ، يؤخذ



الازهر : انشاء الفاطميون

المتهمون فيها بالظنة ويعاقبون بالقسوة ـ ليستتب الامر للدولة ـ ولم يكن الا من أجل الدولة بطش الرشيد الذى لا تطير له بخصومه من الشيعة او باصحابه البرامكة ٠

لقد طالما سفك جده دم ابناء عمه ـ العلويين ـ من أجل الدولة ، ولقد صنع الرشيد الصنيع نفسه فى موسى الكاظم (ابن الامام جعفر الصادق) من أجل الدولة ـ منذ عام واحد سنة ١٨٣ ـ وسيصنع الصنيع ذاته بعد عامين ـ سنة ١٨٦ ـ فيسفك دم يحيى ابن عبد الله العلوى بعد ان يعطيه امانا ! ٠٠ فيرتكب جريمتين : القتل والغدر ٠٠٠ ثم يصنع من اجل الدولة ما هو افظع واشنع فيأمر بأخيه من الرضاع الفضل بن خالد بن برمك، وبأخويه محمد وخالد فيحبسان بعد اذ يقتل اخاهما جعفر ، ووزيره الاعظم ٠٠ ويحبس اباهم يحيى بن خالد وهو معلمه ، وأبوه من الرضاع ٠ وتجيئه أمه من الرضاع وام هؤلاء ، وقد طالما رعته وربته ، فتقدم اليه لاسترقاق قلبه ، حقا ، تضعه بين يديه وتخرج منه حذاءه وحلمته وثناياه منذ كان طفلا وقد غمس ذلك بمسك ، تحفظه منـــذ كان فى حجـــرها ، ليستعبر ـ فلقد كان أمثـــل الناس طبعا وارق بنى العباس نفسا ـ لكنه يرق لهـــا ولا يرق لبنيها ولا لزوجها ٠٠٠ فتقوم عنه فيبقى مبهوتا ما يحير لفظة ٠ وهكذا تســـتحيل الانسانية العالية فيه الى قسوة ضارية

الى هذه السلطة العميـــاء حشر محمد بن ادريس الشـــافعى فى سنة ١٨٤ من اليمن الى بغداد ـ متهمـــا بنفس التهمـــة ـ على قدميه أو فوق بعير مع تسعة اخرين مغلولة اعناقهم حضروا الى الرشيد فلم يجـــدوه فى بغداد ، فاقتيدوا الى الرقة فى شمال غربى الجزيرة ٠ وكان الى جواره فى مجلس المحـــاكمة محمد بن الحسن الشيبانى ، قاضى الرقة وصاحب ابى حنيفة ـ لكنه كان تلميذا لمالك ٠ وكان له عهد بالمتهم العاشر اذ كان يمـــلا مجالس المدينة ذكاء والمعية ، ويقول المتهم العاشر محمـــــد بن ادريس الشافعى :

(وضربت اعناقهم واحدا واحدا الى ان بقى حدث (غلام) علوى ، من أهل المدينة وانا) ٠

قال الرشيد للعلوى : انت الخارج علينا والزاعم انى لا اصلح للخلافة ؟

قال العلوى : لن ادعى ذلك ـ او اقوله (ويلاحظ ان الجـــواب فيه اعتراف بحدوث ذلك ، لكنه يتعهد بعدم العودة فى المستقبل)

فامر بضرب عنقه ٠٠٠٠

قال العلوى : ان كان لا بد من ضرب



عنقى فأنظرنى اكتب لامى بالمدينة فهى عجوز لم تعرف بخبرى ..

فأمر بقتله فقتل ..

ويستطرد الشافعى فيقول :

ثم قدمت ومحمد بن الحسن جالس معه ، فقال لى مثل ما قال للفتى .

فقلت : يا اميـــر المؤمنين لست بطالبى (اشياع بنى ابى طالب ابى على) ولا علوى . وانما ادخلت فى القوم بغيا على . وانما انا رجل من بنى المطلب بن عبد مناف بن قصى ، ولى مع ذلك حظ من العلم والفقه . والقاضى يعرف ذلك (وانا محمد بن ادريس بن عثمان بن شافع بن السائب بن هاشم بن عبد مناف) .

فقال : انت محمد بن ادريس ؟ ماذكرك لى محمد بن الحسن .

ثم عطف على محمـــد بن الحسن فقال : يا محمد : مايقول هذا .. هو كما يقول ؟

قال محمد بن الحسن : بلى ، وله من العلم محل كبير ، وليس الذى رفع عليه من شأنه .

قال : فخذه حتى انظر فى شأنه .

فأخذنى محمد فكان سبب خلاصى لما اراد الله عز وجل منه)

وظاهر ان شهادة محمد بن الحسن له هى التى انقذته ـ وان عدالته فى القضاء هى التى اوردته مورد التهمة ـ لكن العدل وصف الله جل جلاله يهيىء له من يدافع عنه ، ولذلك اوجد محمد بن الحسن فى ذلك المكان وذلك الزمان الى جوار الرشيد .

والناس الذين يمشون مغمضـــوى العيون يحسبون ذلك صدفة ! .. وانما هى حكمة السماء القاضية ـ لا تتخلف ـ أن القاضى لا يضار بعدله او حسن قضائه .

ولقد ارادت السماء الكثير للاسلام فى ذلك الموقف .

لقد انطلق الشافعى عندئذ من أعلى مستوى فى الدنيا ، حيث الرشيد ، واعلى مستوى فى الدين ، حيث محمد ابن الحسن ، الى مستويات أعظم فى العلم . فعاد الى مكة ومعه حمل بعير من كتب ابى حنيفة ومحمد ، ليجلس فى مكة مجلس اساتذته السابقين . ويعد الكتبة الاولى لكتابه « الرسالة» وتسمى رسالة لانه ارسلها الى علماء العراق . ثم يخرج الى العراق يجادل مدرسة ابى حنيفة فيجلى علماءها من مقاعدهم . ثم يعـود الى مكة فالى العراق فالى مصر حيث استقر ليكون امام مصر .. ثم تصعد روحه الى الرفيق الاعلى وهو فى شبابه العلمى سنة ٢٠٤ ، فلم يوجد فى الاسلام رجل فى مثل عمره احدث فى العقـــل الاسلامى مثل اثره .

رفع البناة العبقريون على قبره قبته العالية ، ورفعوا فوقها زورقا دقيـق الصنع يسبح سبحاته العليا فى خضم العصور ، وكأنه يطير ، او يشـــق صفحة الماء زرقاء ، صافية صـــفاء صفحة السماء ، سابحا فوق الخضم الذى تجـــرى تحت الثرى البلجه وامواجه : محمـــــد بن ادريس الشافعى .

وسمقت القبة فوق هضاب القاهرة الى جوار قلعة صلاح الدين ترفعهما الامة التى تخرج قلبها من خلال القرون حاملا روحها الى الوجود فى شكل هرم او قلعة او مدرسة او قبة او مئذنة ، تمسكا بالعقيدة وبالعـــروبة والرعى للمعـــرفة ، وتعاليا بالدعاء للسماء : ان تحفظ عليها عقيدتهـــا وعروبتها .

عبد اللطيف
عبد الحليم

المازني شاعرا

شعر المازني – في جملة وجيزة – صورة للحياة التي عاشها ، وصورة لمطارح فكره .. ونزعات احساسه ، تقرأ شعره فتشعر انك امام ذات متميزة لا تختفي الا لتبين ، ومالك الا لان الشعر عنده ليس كساء يلبس للزينة في مواسمها ، وانما هو حياته ودمه السارى في تجاليده ... شعر بهذه الحقيقة شعورا طاغيا ملحفا ، فتملى كل هذه الامنيات ، وانى له ..

من يشتري شعري على حبه براحة الغافل عن دهره
من يشتري تغريدي موهنا بغفلة الذاهل عن فجره

الى ان يقول :

من يشتري هذا سوى مائق يسعى برجليه الى قبره (١)

ونظرته للحياة هي نظرته الخاصة التي تطل متفردة بين لجب النظرات وسكاكها ، وعظمة الشاعر ان تلمح لعرجها خاصا بين الوجوه وسحنة بين السحنات ، وأن ينسجم هندامه على قوامه وهذا هو ما نراه في شعر المازني ، فالرجل « شخصية » تتلمس صورة الحياة امامنا من بعض وجوهها ان لم نطالع ديوانه برغم انه حكم هذا المقياس فنفى عن نفسه الشاعرية ورفض شعره ...

ونستطيع ان نقول باطمئنان ان صورة الحياة كانت حرية أن تكون ناقصة من بعض مناحيها لو لم نطالع هذا الشعر المازني ، فهو ليس نسخة مكررة تستطيع أن تستغني بنظيراتها وانما نسخة لاتكون الا على قدر « أطلب الحياة عنده نجدها كما يراها هو ، لا كما تتراءى للناس اجمعين ،

(١) ديوان المازني ص ٢١٢

المازنى



المازنى : كان الشعر حياته ودمه السارى فى جسمه

تجدها مضافا اليها جمال على جمالها وحرارة تزيد فى حرارتها » (١)

ملاك هذه الشخصية التمرد الشاكى او الشكوى المتمردة فى شعره ، طموح متوثب ، واجنحة واهنة ، واحساس عارم بهذا الفارق الخالد يهضب صاحبه بالشعر ويسح به سحا ، حب يعبد الحياة عبادة — ليس على طريق المجاز — وسخط محض عليها لايفارقه لحظة الا ليحور وان غلفه ببسمة السخر التى هى اشبه بالقنوط ، تعلق بالبقاء ، وموله — أو يكاد — بالموت .

متناقضات فى اللغة فقط ، ولكنها برجوعها الى معاجم النفس الانسانية اخوات شقيقات فالذى يشكو فى أنفة يحس الالم ، واحساسه هذا — اذا كان فى نفس قوية — يحيل الشكوى الى تمرد ، يحاول ان يهدم ليبنى ، وعبادة الحياة لا ينافيها ذكر الموت ، لان الضنانة بالحياة والوجد بها وراء هذا الوله بالفناء ، ولان الخشية من المجهول تزيد المرء تشبثا بما فى يديه الان ، وما كان المازنى — فى لحظة من لحظات حياته — مبغضاً للحياة حتى فى لحظات مرض وفاته .

ما زلت رغم الدهر كفتاله ... مشمرا اطلب كنز الشحيح
فان اقل من زمنى ماربى ... نعمت فى الدنيا بحسنى الجموح
او — لا — فحسبى سلوة انى ... ما كنت يوما بالجبان الشحيح

وتساوره هواجس نفسه فيترجمها شعرا تشعر فيه بتعلقه الشديد بالحياة وفزعه الشديد من الموت :

اهوى الدنا واخاف فراقها ... لتشاغبت بين الملات والزؤد
واهاب نفسى ان تكشف لى ... وابيت من أمسى على خضد

---

(١) السياسة الاسبوعية ١٢ يوليو ١٩٢٩ مقال لاحمد خيرى سعيد

ولرب جوهـــــرة ظفرت بها   فنفضت منها كف مرتعـــــد
ورجعت القهقـــــر هل بها اثر   منها يظل يهيض من جلدى (١)

وارجاع الشــعر الى نفس قائله وكيف انه صورة منه أسلم عقبى من ارجاعه الى ظروف العصر والبيئة . فان نفس الشاعر « جهاز حســاس » يلتقط ايقاعات الماضي والحاضر ، بل تلتقط أو تكاد ، الغيب النسبي ـ بطبيعة الحال ـ وهذه الايقاعات ممثلة حتما فى شعر الشاعر ـ الذى يستحق هذا الاسم ـ رضى أم ابى . ومن هنا كان القول بتمثيل العصر أو البيئة واشتراط ذلك نافلة القول وفضوله

وعصر المازنى عصر التردد والشك فهو « قد هز رواكد النفوس وفتحها على ساحة من الالم تلفح الظل عليها بشواظها فلا يملك نفسه من التراجع حينا والتوجع أحيـانا ، وهو العصر طبيعته القلق والتردد بين ماض عتيق ومستقبل مريب ، وقد بعدت المسافة فيه بين اعتقاد الناس فيما يجب ان يكون وبين ما هو كائن ، فغشيتهم الغاشـــية ووجد كل نظر فيما حوله عالما غير الذى صورته لنفسه حداثة العصر وتقدمه » (٢) .

وقد رصد الاستاذ العوضى الوكيل حالة هذا العصر وأثرها فى شــعر المازنى فقال : « ولقد عاش الناس فى مستهل هذا القرن وهم فى حيرة وشك لما أصاب الحياة من اضـــطراب فلاجرم يظهر ذلك فى شعر الذين يدعون الى الصدق فى التعبير عن أنفسهم ،ولا جرم يبدو زمان الشاعر فى طوايا نفسه ، وفيما يصدر عن هذه الطوايا من شعر لان المرء فى نفسه يرى زمنه كمـــا يقول المـــازنى فى بعض مقطوعاته » (٣) .

اذن فطبيعة العصر هـذه تمثلت فى شعر المازنى تمثيلا دقيقا ولا جرم كان ديوانه فيه :

كل بيت فى قـــــرارته   جثة خرســـــاء مرنان
خارجا من قلب صـــاحبه   مثلمـــا يزفر بركان (٤)

وتستطيع ان تقلب أى صفحة منه حسبما اتفق لترى مصداق ما نقول من تمثيل العصر فى شعره ، فالقلق والتردد والشـــكوى الدائمة والتمرد المشرئب ، خيوط فى نسيج هذا الشعر اسمعه يخاطب صديقه فى أسى باك وحسرة باقية من ضياع الود :

دعنى صديقى اذا استوفيت ايامى   وقـــر ثائر اشجانى والامى
وصرت لا الصيف يؤذينى بوقدته   ولا الشـــتاء بتوكاف وارزام
ولا يحـــركنى بغض ولا مقـــة   ولا تريق همـــومى دمع اقـــلامى
ولا يســـهدنى ضيم يراد بنا   ولا ابالى بارزاق واقســـام
أحيا بقلبك ان ضـــاق الزمان بنا   وطاطأ الموت من اشراف احلامى
وان تقدمنى فى الشـــعر قائله   وفاتنى كل عنـــــان وامام
فاحفظ قصـــيدهم من اجل جودته   واحفظ قصيدى لحبى لا لاحكامى (٥)

وربما كان شعره ـ وهو كثير عن الرياح الهوج ، والاوابد المتوثبة رمزا لهذا التمرد وثورة على هذا الصـــدم القاتل وتلك البلادة الآسنة ، انه وثبة

---

(١) ديوانه ص ٢٨١ (٢) مقـــدمة العقاد لديوان المازنى ص ١٧ ((٣) قيم ومعايير ص ٩٥ ، ٩٦ (٤) ديوانه ص ٧١
(٥) السابق ص ١١٠

من وثبات التمرد التى تصدع اصار الجمود ، واستشراف الى عالم حى يشعر المرء فيه بالحيوية الزخارة ،ومروق من هذا الواقع المر المكتئب فهو يخاطب الملاح قائلا :

لا تخش الشجانى اذا اعتلجت — او ليس تركب هائل الشجن
القلب يم لا قرار له — جم العواصف مزبد الفتن
لكن فى اغواره دررا — والتلنا ابقى من الزمن (١)

ويصف ليلا فلا يرى فيه الا رياحانوائح وامواجا مصطخبة :

ومالى كانى كاللتى سحابة — لها من مخوفات الاساود هيدب
وليل كان الريح فيه نوائح — على النجم قد غالها منه غيهب
تجاوبها من جانب اليم لجة — تزامر فيها موجها المتوثب
كان شياطين الدجى فى اهابه — تغنى على زمر الرياح وتطرب(٢)

ومثل يغنى عن امثلة لان بالمازنى، ولعا بوصفها ، وان اذنه لتتسمعها كانها تنشد عندها خيرا ، واظنه لوكان خلق الدنيا لما خلقها الا جبالا عظيمة وكهوفا جوفاء ، ورياحا مدوية وغماما مرزما رجاسا ، وبحرا مصطخبا عجاجا » (٣) .

ان مثل هذه الاوصاف الشعرية بغض المسطوح والوهاد المطمئنة ومقة للقنن والقمم البانخة حتى انه عندما يصل الى غور البحر لا يصادف الطين والوحل وانما يجد الدرر التى هى ابقى من الزمن كما قال .

ولا يظنن ظان أن قولنا ان شعر المازنى صورة من نفسه حصر لشعره فى نطاق الذاتية الضيقة التى تغلق على نفسها نوافذ الاستشراف والاطلال على العالم والحياة ، فنحن لا نقول بهذا ولا يخطر ببالنا ، ولكننا نود ان نؤكد ان الشعر فن ذاتى ولو عبر الشاعر عن غير ذاته ولكن النظر الى العالم والحياة من منظار الشاعر الخاص هو هم الشاعر والمرتجى منه واذا استطاع ان يحقق هذه الغاية فهو شاعر اولا واخيرا . وليس من الممكن التنصل من الذات والهروب منها فالذاتية كلا ذاتية ، ونحن نعيب انحصار النظرة ولذلك قلنا « الذاتية الضيقة » قبل ذلك وهى التى لم يتخذها الشاعر معبرا لرؤية الوجود والحياة .

وهجاء المازنى من ذلك النوع الصالح المقبول لانك تعرف من خلاله شخصية الرجل العصرى ، وشخصية المجتمع ،وهجاؤه يكاد يكون هجاء عاما لقيمة من القيم الاجتماعية والانسانية التى تسف باصحابها وتتدلى بهم الى مهاوى الرذيلة ممثلة فى شخص ما ، وشاعرنا يهجو لانه طيب السريرة سليم الطوية ولم يكن بادئا بعدوان ، وانما كان هجاؤه ردا على اساءة او عدوان وغايته ان ينظم قصيدة يشفى لاعج همومه ومارج سخطه ، وبها يبلغ الغاية المرتضاة ، فسلامة الطوية ونضارتها وراء هجائه ، ولو كان الرجل

---

(١) ديوانه ص ٧٣ (٢) السابق ص ٧٧
(٣) مقدمة العقاد لديوان المازنى ص ٢٢

ناضب العاطفة مصوح الاحساس لكان لهم الناس موقف آخر غير هذا ، وقد استفاد الفن من جراء ذلك شعرا جيدا تآزر فيه الصورة الدقيقة الموحية مع الاحساس الصادق واللفظ البليغ ، اكتسب زادا صالحا كما اكتسبت الاخلاق موقفا نبيلا مشرفا من انسان صادق الحس نقي السريرة كما لا تستفيد من المتباكين على الاخلاق .

وما قلناه عن هجائه نقوله عن بقية الاغراض الاخرى التي يظهر أنها من الشعر الذاتي كالرثاء ، والغريب أن يتلم هذا النوع من الشعر ، كأن الشعراء مطالبون الا يحزنوا لفقد ذويهم ، ويبكوا عليهم كما يبكى بقية خلق الله .

ومن الموضوعات الغريبة الجديدة التي لم نر لها نظيرا - على قدر معرفتنا - موضوع يتسق ونفس المازني وما جبلت عليه من سخر مرير بالحياة والاحياء وبما تواضع عليه الناس في عالم الحب من وفاء واخلاص يقول المازني تحت عنوان « معاهدة غرامية » .

يا خليلي اخبراني واصدقا ... هل لليل اليأس صبح ينتظر
مر بي الدهر عبوسا ازرقا ... كاشفا عن ناب نضناض ذكر
هذه كفي على خون العهود ... لا على الرعي فهذا لا يكون
انها دنيا كذاب وجحود ... ولصدق النفس اولى لو يهون
هذه كفي على وشك الملال ... كل نار سوف يعلوها رماد
اه لو أستطيع تصديق الخيال ... او يكون الجهل شيئا يستفاد

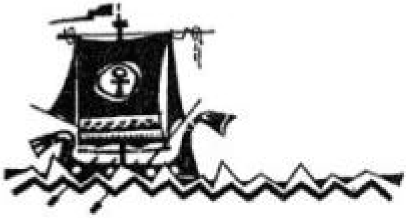
الى ان يقول :

والاتيه وتلقاني كما ... تلطم الموج جلاميد الصخور
مزبدا حولك مهزوما وما ... ان تبالي كيف فاضتني الوعور
يا عقيدي طامن الله حشاك ... لن تراني شاكيا وهي حبالك
أين من طينتنا اين الفكاك ... انت انسان على فرط جمالك (١)

وموضوع القصيدة جديد ومثير ولكنه غير جديد على خليقة المازني العابثة التي تنظر للحياة والاحياء نظرة يائسة لانها نظرة خالدة تلحق التحول بالثابت والفاني بالباقي فترى كل شيء يحول والذي ذهب لن يعود ، ومن هنا فالخيانة طبع الحياة والاحياء لانه ليس ثمة شيء ثابت غير الابد الذي تتملاه نظرة الشاعر الخالدة ، ومن هنا يؤس نظرته ما دام « كل نار سوف يعلوها رماد » فالخيانة اي « التغير » قائمة اردنا أم لم نرد ، ولكن الشاعر - ونحن معه - وفي للخيانة لانه صادق مع نفسه ولان « الوفاء والخيانة » تجردتا من معناهما اللغوي وصارتا معاني ازلية باقية في النفس الانسانية فهو « يفي » لانه « يخون » وهو « يخون » لانه « يفي » .

ولئن سكت المازني عن النظم فانه ظل شاعري الروح والاسلوب فيما خطه يراعه من قصص ومقالات . ولئن افادت منه الرواية والمقالة رائدا من روادهما فلقد خسره الشعر رائدا ومجددا ، وبلغ صاحبنا الى عالم الرواية والمقالة بأسلاب الشاعر وغنائمه ولولا هذه الاسلاب وتلك الغنائم ما كان الرائد في عالم النثر الحديث .

(١) ديوانه ص ٢١٧ وما بعدها



أحمد الوائلى

يانيل

يانيل جئتك استحث ركابي ‏ ‏ واكاد استبق الخيال لما بي
رحلت اليك على النعوت مشاعرى ‏ ‏ فاسرتها فى واقع جذاب
وتبرجت والحسن جلوة مبدع ‏ ‏ صور على الق لديك مذاب

الصبح مر على الشواطىء ضحكة ‏ ‏ بيضاء بين الماء والللبلاب
والعصر اروع ما رايت غلالة ‏ ‏ تمتد بين متالع وروابى
والموج ذهبه الشعاع كانه ‏ ‏ جسد تلوى فى شفيف ثياب

حملت طيوف جلاله وجماله ‏ ‏ صوت الهدير ونغمة المطراب
فبداية رمسيس يعتجر القنا ‏ ‏ ويمر بين اسنة وحراب
فى حين تعبر كليوباترا فتنة ‏ ‏ مجلوة فى الزورق المنساب

ارخت على التاريخ عطر ثيابها ‏ ‏ فالدهر نفاح من الاطياب
يانيل كم سحر العيون وشدها ‏ ‏ لرؤى اصيلك مطرف عنابى
رسم الشواطىء حالمات فى رؤى ‏ ‏ ماض وروعة حاضر خلاب

الغانيات تمر فوق رمالها ‏ ‏ فعل القطا يمتد فى اسراب
فى موكب للعطر بعض سماته ‏ ‏ وهج الشفاه ، ورعشة الاهداب
وبكرنفال للشعور وحفلة ‏ ‏ للكحل والالوان والاثواب

هزت له الدنيا فكل تحرك ‏ ‏ فى افقها لون من الاعجاب
وخطى حسبت الرمل ان تغووه ‏ ‏ شبعت بها لثما بغير حساب
يا غابة السيقان يا خمرية ‏ ‏ الالوان جئت خمرة باهاب

مسى الثرى ،وانا الضمين بانه ‏ ‏ سيرف فى زهر وفى اعشاب
يا نيل ليلك رغم انى لم الج ‏ ‏ فيه لمحت رؤاه خلف الباب
الاؤه لو مست البلوى مشى ‏ ‏ فيها النعيم حلاوة وتصابى

شمت به البيض النجوم على الثرى ... وغدت نجيمات السماء خوابي
وانزاح عن قمر السماء غروره ... وخداع ما اعطوه من القـاب
فلقد تحدته البضاضة والشذى ... والسحر عند كواعب اتــراب
سهرت على جنبيك راحة متعب ... وربيع منتجع وحلـم رغاب
رقصت فأرضى الجاز في اجسادها ... متشــــنج في جيئـة وذهاب
وهفت فللشعر الحرير ملاعب ... في الكتف يا لاناقة الاهـاب
وسخت فاعطت كل ما شاء الهوى ... افبعد يومك مقصد لطـلاب

•••

يانيـل جـــريك مثقل فكـانه ... خطوات مجهود من الاتعـاب
اتراك اسكرك الذى يجرى على ... شطيك من نجوى هوى وعتاب
ام ان ذلك زحمة بزوارق ... مملوءة بالحـب والاحبــاب
ام انها خيــلاء مجد حزته ... من عهد امون ليوم عـرابي
ينمى اليك الخـالدين دراية ... في متحف ورواية لكتــاب
صرحوا على صنع الخلود بكرنك ... فعل الملوك ومنحة الاربـاب
واروك حتى الموت في اهرامهم ... يتلفع الخيــلاء في جلبـاب
وسجية الاساد ان مثالهــا ... كعيانها في الرعـب والارهاب
يانيل اى قلادة مــن جوهـر ... شمت بجيدك فتنه الالبـاب
نظمت فرائدها سلالة فاطـم ... خير الصفات واشرف الاحساب
جمعت على فخر عزيمة جوهر ... وعــلا معز للـنمار مهـاب
وسمت بازهرها الشريف فيممت ... شطر السـما بمآذن وقباب
العلم والاداب في ابهـــائه ... والهدى والايمان في المحراب
طرد الضلالة والظلام لانــه ... متحدر من كـوكب وشـهاب

•••

يانيل من وهج الفرات ووقده ... ونقار غزلان بـه وكعــاب
ورؤى ديارات الاساقف رصع ... اين عدى منها كاسه بحباب
ومن الليالي الالف تخطر دجلة ... منهن في زاه مـن الاثــواب
نقلت حكايا شهرزاد ولم تزل ... ثرثارة تحكى مدى الاحقـاب
وبها علية والرشــيد وجعفر ... سكروا على الانغام من زرياب
وابونواس مر ينشد حانـة ... فسقوه حتى طاح بالاعتـاب
ومن القيان ودار سابور ومن ... متع للذيذات اللذاق عــذاب
في كل ذلك الى لهيبــك مثله ... فكلاكما لهب على الاعصــاب
وال ابن دمسيس الذى غزل الهوى ... هذا النسيج من ابن حمودابي

• بغداد • ... • احمد الوائلي •

يا نفسي

سـيان بين اليـوم والامس ظل الهنـاء وظلمة اليـأس
ابكي رؤى المـاضي ، تطل على نفسي ، احب الى مـن نفسي
واكفن الامال ، ادفنهـا بيدى ، انا نقبت عـن رمسي

●

مالي الوب كشـمعة دمعت ؟ مالى جرحت ؟ وجارحى حسى
ماذا جنيت من الحياة ، سوى غصـص تئن ، وأدمـع خرس
سل ربوة العشـاق عن غزل وجع لهمسـته صدى الهمس

●

اتمثل الماضي صـدى عمر فى النفس يخفت اسود الجرس
واسامر الاطيـاف قد وفدت حمـرا محـرومة على كاس
واعل اشتات المذاق بهـا ، وبهـا انادم كوكب الانس
واردد اسمك ، واجدا ، ثملا واخط آهات على الطـرس :
سبل الهوى صعب تدللهـا ومشـيتها ، اواه ، يا نفسي

● بيروت ● ● جورج شكور ●

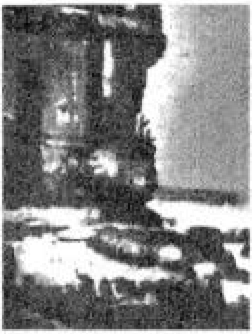
الغلاف الأول

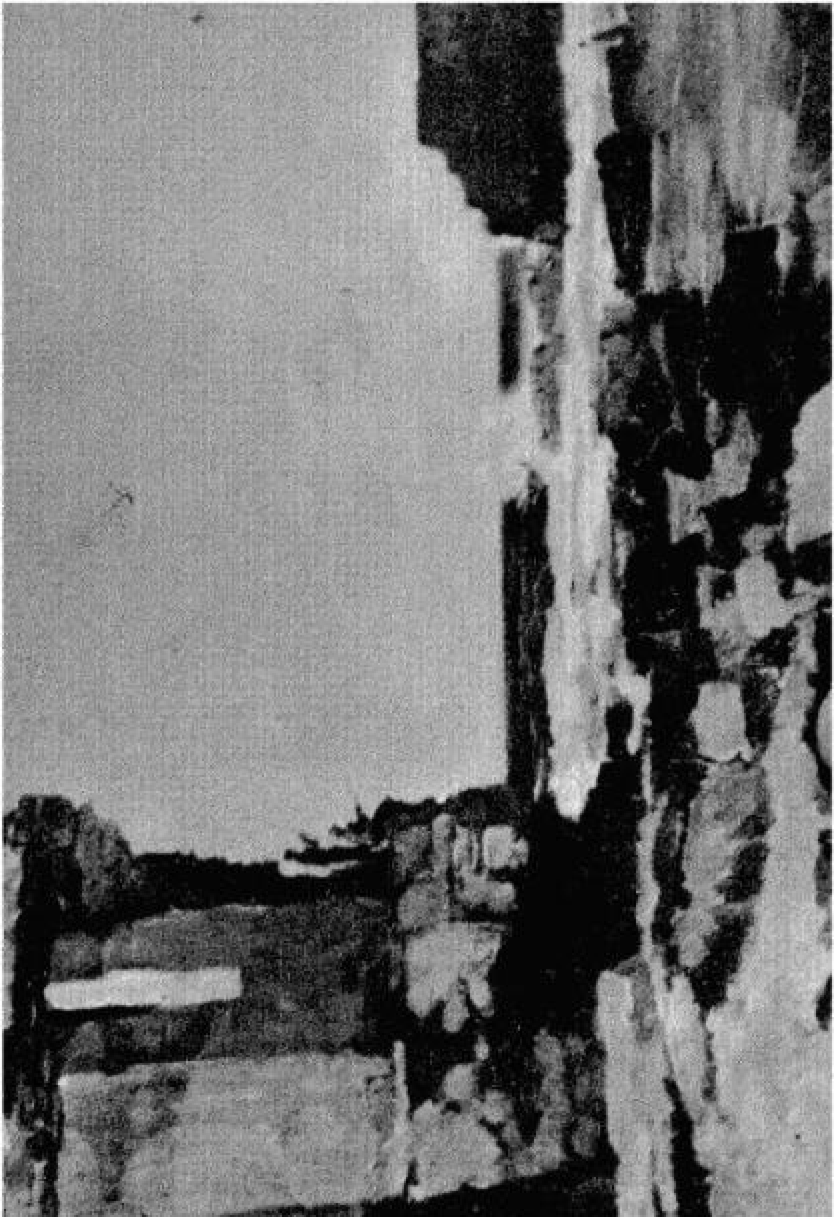


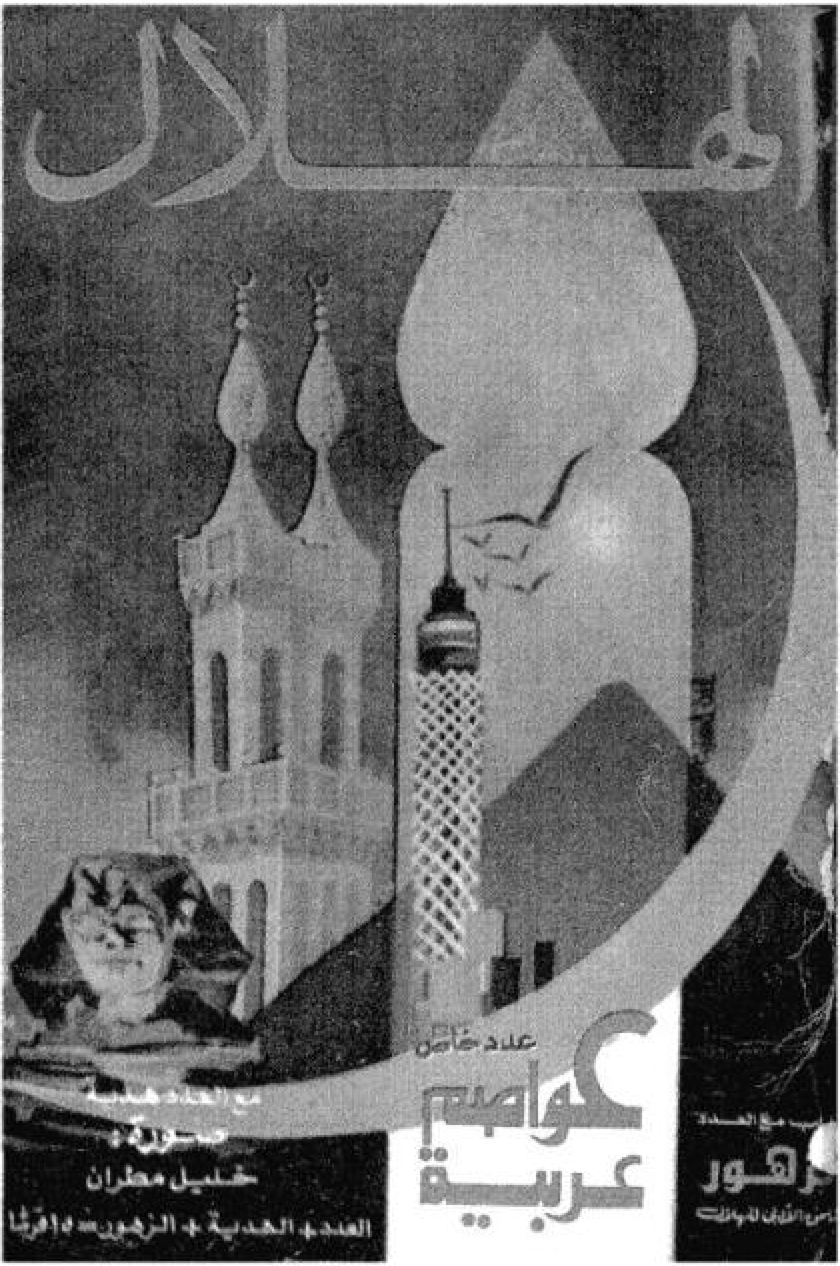
« ادب الفكاهة » لوحة للفنان : عفت حسني

الغلاف الأخير

« صيف الاسـكندرية » لوحة للفنان : كامل مصطفى تصوير الفنان عبدالفتاح عيد






الهلال
عدد خاص
عواصم عربية
مع العدد هدية
خليل مطران
مع العدد
الزهور

الهلال

شعبان ١٣٩٤
سبتمبر ١٩٧٤

مجلة شهرية تصدر عن دار الهلال - أسسها جورجي زيدان سنة ١٨٩٢ - العدد التاسع - السنة الثانية والثمانون. أول سبتمبر ١٩٧٤ ١٢ شعبان ١٣٩٤.

الاشتراكات

ثمن العدد : في جمهورية مصر العربية ١٥٠ مليما .

قيمة الاشتراك السنوى : « ١٢ عددا » في جمهورية مصر العربية وبلاد اتحادى البريد العربى والافريقى ١٥٠ **قرشا صاغا** . في سائر أنحاء العالم ٦ **دولارات** أو ٢٫٥ **جنيه والقيمة** تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال : في جمهورية مصر العربية والسودان بحوالة بريدية . في الخارج بشيك مصرفى والأسعار الموضحة أعلاه بالبريد العادى - وتضاف رسوم البريد الجوى والمسجل على الأسعار المحددة عند الطلب .

الإدارة : دار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب - **القاهرة**
تليفون : ٢٠٦١٠ « **عشرة خطوط** »

في هذا العدد :


د. سيد نوفل


عبدالغني حسن


د. يوسف عز الدين



كلمة
الهلال

بسم الله الرحمن الرحيم

منذ اكثر من عشرين سنة ، زار أمير القصة العالمية الراحل « سومرست موم » القاهرة ، واتيح لى اكثر من لقاء معه ،
قلت له ذات مرة : من أين تستقى مادتك القصصية ؟
قال : « من الاسفار .. وقد تعودت كلما جلست فى قطار او باخرة او مقهى او مادبة او حانة او اى مجتمع ، ان اتملى الاشخاص الجالسين حولى ، وادرس شخصياتهم والنواحى البارزة فى لغتهم او اسلوبهم او حركاتهم أو طرائق تفكيرهم ، ثم انقلب الى غرفتى فى الفندق الذى انزل فيه ، فاستعرضهم جميعا ، ثم انتقى من بينهم من يصلحون - لسبب او لآخر - ان يكونوا شخصيات قصصية .
« وحينما اهم بكتابة رواية .. اراجع مفكرتى ، والتقط منها الشخصيات التى تستطيع انتتعايش وتتفاعل مع بعضهابعضا فى قصة واحدة
« وفى النهاية .. تكون الرواية كلها قد اكتملت فى راسى ، فاشرع فى كتابتها وانتهى منها فى اقل من اسبوع »
- ولكن رضاى عن هذه الرواية ينتهى بمجرد ظهورها فى السوق ، وعندئذ احس اننى انجزت عملا لم يرضنى ادبيا ، فاحاول فى المرة التالية ان اكتب شيئا افضل ..
هذه هى نصيحة سومرست موم الى كل كاتب .. الا يركبه الغرور عندما ينجز عملا يصفق له الجميع .. ينبغى له عندئذ انيحس من اعماقه بان فى استطاعته ان يصنع شيئا افضل .

● صالح جودت ●

محمد عبد الغنى
حسن

العواصم العربية
فى الشعر العربى

إن العواصم العربية كما تكون مراكز الاهتمام على مدار التاريخ من النواحى السياسية والاجتماعية والقيادية ، فانها تكون كذلك مراكز الاهتمام من الناحية الادبية ، وخاصة عند الشعراء الذين يتجهون اليها بعواطفهم وأفكارهم فى المناسبات المختلفة ، ويستلهمونها فى الاحداث التى تمر بالدول ، ويتخذون منهـا مواقف تقود الامة الى طريق الحق والخير ، أو يصورون الامن فى كنفها والجمال فى ربوعهـا ، والتنعيم فى ظلالها ، أو يبثونها ما يدور فى أنفسهم من خوالج ، أو يعرضون ما لهم فيها من ذكريات ، أو يحملون اليها مهوى أفئدتهم ومناط رحلاتهم ، وأحيانا ليصبون عليها سياط غضبهم ، وشواظ نقدهم

وقد يأتى اسم العاصمة العربية عرضا فى خلال قصيدة لمناسبة يقتضيها المقام، ويتطلبها الموقف ، كما جاء فى قصيدة للمضاض بن عمـرو الجرهمى عن مكة ، حينما اضطر الى الجلاء عنها فى طريقه الى اليمن قائلا :

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا أنيس ولم يسمر بمكة سـامر
بلى ! نحن كنا أهلها ، فأبادنا صروف الليالى ، والجدود العواثر

أو كما جاء فى قول الشـاعر عن عمرو بن عبد مناف ـ الذى سمى فيما بعد هاشما ، وهو جد النبى عليـه الصلاة والسلام ؟

عمرو العلا هشم الثريد لقـومه ورجال مكة مسـنتون عجاف

ونجد اسم « مكة » يرد متفرقا على هذا الشكل فى اشعار كثيرة ما بين جاهلية واسلامية . كما نجد اسم « المدينة » كذلك فى مثل قول الاعشى :

الم تغتمض عيناك ليلة ارمدا ... وبت كما بات السليم مسهدا
الا ايهذا السائلى اين يممت ... فان لها فى اهل « يثرب » موعدا

ويثرب اسم من اسماء مدينة الرسول اشتهرت به قبل مبعثه عليه السلام ، كما اشتهرت باسم « طيبة » . وقد احصى لها ياقوت الحموى صاحب معجم البلدان تسعة وعشرين اسما ، كما احصيت لمكة اسماء كثيرة منها بكة - بالباء - وام القرى ، والبلد ، والبلد الامين ، والبلد الحرام .

واذا كان كثرة من الشعراء قد اكثروا من الاشارة الى مكة ، والمدينة فى اشعارهم ، فاننا نجد تلك الاشارة سارية على مدار العصور ، لا فرق بين اول واخير ، ولا بين متقدم ولا متأخر .

ففى عصرنا الحديث نجد شاعرا مثل احمد شوقى يقول فى مولد الرسول :

تجلى مولد الهادى ، وعمت ... بشائره البوادى والقصابا
وأسدت للبرية بنت وهب ... يدا بيضاء طوقت الرقابا
فقام على سماء البيت نورا ... يضيء جبال « مكة » والشعابا

كما نجد شاعرا اخر مثل الشيخ عبد المحسن الكاظمى يقول :

يا اهل « مكة » والورى ... ما تنقضى حجاتها
فى كل يوم عندكم ... تقضى الفروض قضاتها
وبكل يوم عندنا ... حجج تضل هداتها ..

ولا شك ان وقوف الشعراء بهذه العواصم المقدسة ، والحواضر المكرمة الشرفة هو سبب من اسباب اثارة المواجد فيهم ، وتهييج الاشواق عندهم على ان اقل مناسبة ، وادنى ملابسة قد تنطق الشعراء بالحديث عن هذه البقاع الطاهرة .

فالشاعر الكميت بن زيد الاسدى يقول فى احدى هاشمياته :

اسرة الصادق الحديث ابى القا ... سم فرع القداس القدام
خير حى ، وميت من بنى ادم طرا ماموميهم ، والامام
ابطحى بمكة استثقب الله ضياء العمى به والظلام ..
والى يثرب التحول عنها ... لمقام من خير دار مقام
هجرة حولت الى الاوس والخز ... رج اهل الفيل والاطام

ولقد حظى الشاعر الشريف الرضى فى المحرم من سنة ٣٩٤ هـ بزيارة المدينة ، المكرمة ، فالهمته شعرا يقول فيه :

وما كنت أدرى الحب حين تعرضت عيون ظباء (بالمدينة) عين
فوالله ما أدرى الغداة رميتنا عن النبع ، أم عن أعين وجفون ؟!
بكل حشا منا رمية نابل قوى على الاحشاء غير امين
فررت بطرفي من سهام لحاظها وهل تتلاقى اسهم بعيون ؟
فيا بانتي بطن العقيق سقيتما بماء الغوادى بعد ماء شئون
أحبكما والمستجن (بطيبة) محبة نخر بات عند ضنين

وله وقفة (بقباء) يقول فيها :

ثم كانت بقباء وقفة ضمنت للشوق قلبا ضمنا
وحديث كان من لذته (أحد) يصغى إلينا أذنا

على أن الشريف المرتضى لم يقل عن أخيه الرضى غراما بمكة والمدينة · وما أرقه وهو يقول عن « البقيع » من أرض «المدينة » :

هل ليالى بالنقى رجوع ؟ مثلما كن لى ونحن جميع ؟
اذ تلاقي مجددة ، وشفيعى من شبابى الى الحسان شفيع
ساحبا (بالبقيع) من نشواتى فضل ثوبى اذ البقيع يقيع
وطن طاب جوه ، وثراه فكأن المصيف فيه ربيع !

وما دمنا الآن فى معرض الحديث عن المواسم المقدسة فى الشعر العربى القديم والحديث ، فان « القدس » أو « بيت المقدس » ترد على الخاطر بلا تردد ·

ولقد أكثر شعراؤنا المحدثون والمعاصرون من ذكر «القدس» والاشارة اليها فى اشعارهم ، واطالة الوقوف عندها أحيانا ، ولعل لاوضاع فلسطين المعاصرة دخلا فى هذا ، كما كانت أحداث الحروب الصليبية سببا فى ورود اسم بيت المقدس فى قصائد كثير من شعراء ذلك العصر · ويستوى فى الاهتمام بالقدس شعراء المسلمين والنصارى ·

ولم يمر حادث سقوط القدس فى يد الانجليز فى الحرب العالمية الاولى دون التفات اليه واهتمام به عند الشعراء، وخاصة الذين كانوا نزعوا ولاءهم لتركيا ، وأملوا فى انجلترا خيرا بعد وعودها البراقة للعرب · ولقد كان الشاعر المهجرى رشيد سليم الخورى ـ المشهور بالشاعر القروى ـ من الاصوات العربية الاولى فى وصف ذلك الفتح ، فقال فيه :

سقطت « أريحا » عند نفخ الصور وصدى هتاف العسكر المنصور
زاغت مدامعهم عليها زارة أغنت مدامعهم عن التعبير
ومشوا لفتح القدس فانفتحت لها أبصارهم عن عالم مسحور
من كل رابية هناك وهضبة طوق يخر له جبين الطور
للوحى والتنزيل فيه وللهدى صور مقدسة عن التصوير

ولم يدع الشاعر شوقى هذه الحادثة تمر دون أن يستغلها فى قصيدته التى قالها بمناسبة تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ ، فقال مخاطبا اللورد اللنبى :

يا فاتح القدس خل السيف ناحية ليس الصليب حديدا كان بل خشبا
اذا نظرت الى اين انتهت يده وكيف جاوز فى سلطانه القطبا
علمت ان وراء الضعف مقدرة وان للحق لا للقوة الغلبا

وقد أتيحت للشاعر خليل مطران فرصة زيارة القدس قبل رحيل الانجليز عن فلسطين سنة ١٩٤٨ ، ولم يكن فى الجو السياسى يومئذ ما يدعو الى اثارة

العواصم العربية

شيء حول قضية فلسطين التى لم يقرر العرب موحدين فى حرب ضد اليهود حتى ذلك الحين . وبالطبع كانت قصيدة خليل مطران التى انشدها فى مدينة الاديان السماوية الثلاثة تدور فى فلك هادئ عادئ من التصوير الطبيعى والدينى والتاريخى لتلك العاصمة المقدسة ، حيث قال :

سلام على « القدس الشريف » ومن به ... على جامع الاضداد فى ارث حبه
على البلد الطهر الذى تحت تربه ... قلوب غدت حباتها بعض تربه
حججت اليه والهوى يشغل الذى ... يحج اليه عن مشقات دربه
على ناهب للارض يهدى روائعا ... الى كل عين من غنائم نهبه (١)
فسبحان من آتاه حسنا كأنه ... به اوتى التنزيه عن كل مشبه
تلوح لمن يرنو اعالى جباله ... اشد اتصالا بالخلود وربه
واى جمال بين سمرة طوده ... وخضرة واديه وحمرة شعبه (٢)
واين يرى مرج كمرج ابن عامر ... بطيب مجانيه وزينات خصبه ؟
هو « البيت » يؤتى سؤله من يؤمه ... فاعظم به بيتا واكرم بشعبه ..

وبعد ان قام الصراع المسلح بين العرب واليهود رأينا القدس تدخل فى الشعر العربى رمزا للكفاح ، وملاذا للاديان . فالشاعر عبد القادر رشيد الناصرى يجعل من لفظة « القدس » نشيدا للجنود الماضين الى المعركة قائلا :

وهل سوى « القدس » نشيد الجنود ... اذا مضت للحرب اسد الغلب

والشاعر الجزائرى محمد العيد آل خليفة يدعو فى حماسة الى جعل القدس عربية كما كانت فى كل عهود التاريخ، ويجعل غير ذلك مجافيا للعدالة ، قائلا :

ان الذى زعم العدالة شرعة ... الذى الائمة فى رضا الاحبار
ودهى العمومة فى وشائج نسلها ... وسطا على الاجوار بالاجوار
القدس لابن القدس .. لا لمشرد ... متصهين ، ومهاجر غدار ..

اما القاهرة فلا يكاد يخلو من اسمها شعر فى القديم ـ منذ انشائها ـ وفى الحديث . وما مر شاعر عربى بمصر الا وغنى لحنا للقاهرة فى جمالها ولياليها وروعة ماضيها ، وجلال حاضرها . وقد اختار الشاعر ابراهيم ناجى ديوانا من شعره سماه « ليالى القاهرة» .ويبدو ان هذا العنوان اعجب

---

(١) يقصد الشاعر بناهب الارض القطار الحديدى الذى اتخذه لرحلته الى القدس .

(٢) الشعب بالكسر : الطريق فى الجبل .

الشاعر الاسكندرى عبد العليم القباني، فصنع قصيدة عنوانها : « من ليالى القاهرة » ، وهي من الشعر الوجداني الرقيق ، عرج فيها قليلا على أمجاد الماضى . ولكنه لم يبلغ مبلغ الشاعر صالح جودت فى تصوير القاهرة فى لوحتين تاريخيتين رائعتين أحداهما بعنوان (القاهرة الجميلة) : هكذا تكلم رمسيس ، والثانية بعنوان : (المسلة والمئذنة والبرج) . واللوحة الثانية يراها الرائي الواقف على ضفة النيل الشرقية أمام فندق هيلتون وفيها يقول شاعرنا :

تلك الحضارات الثلاث هنا موحدة الوتيرة
فى هذه العمد الثلاثة سر وحدتها الاثيرة
سر امتداد وجودها عبر القرون بلا نظيره
وقيامها فى كل مرحلة بمعجزة عجيبة

لبيك يا أمل العروبة   افديك لا ارجو مثوبة
اهواك (قاهرتى) الحبيبة

اما اللوحة الاولى للقاهرة الجميلة كما يراها صالح جودت ، فيقول فيها :

لبيك من اغوار عاطفتى ومن اعماق قلبى
اهواك يا منبت الاكابر من فراعنة وعرب
يا ملتقى الوجهين ! يا وعد الحبيبة والمحب!

***

اما الشاعر ابراهيم ناجى فقد صور فى « ليالى القاهرة » تلك العاصمة العظيمة وقد لفها الظلام الدامس فى ليالى الحرب العالمية الثانية مع ظلام النفوس المجهدة المعناة . وقد مرت بالشاعر انطباعات قاتمة سجلها فى تلك الملحمة الحزينة . وقد مزج ناجى فى ملحمته هذه بين التاريخ والعاطفة والحب . فكان يلقى حبيبته ليلا فى ظلام القاهرة الحالك ، تحت الفزع والظلام والخوف ، وهى تدعوه فلا يملك الا ان يلبى قائلا :

قالت : تعال ، فقلت لبيك   هيهات اعصى أمر عينيك !
انا يا حبيبة طائر الأيك   لم لا اغنى فى ذراعيك ؟

واذا تركنا القاهرة الى دمشق عاصمة الامويين بالامس ، وعاصمة سورية اليوم ، وظهر الاسلام كما سماها الشاعر شوقى . فانا نجد اسمها القديم : (جلق) يرد فى شعر لحسان بن ثابت حيث يقول :

لله در عصابة نادمتهم   يوما (بجلق) فى الزمان الاول

ومن الغريب اننا نجد شاعرنا شوقى يستعمل اسم (جلق) فى مطلع قصيدته « دمشق » التى يقول فيها :

قم ناج جلق وانشد رسم من بانوا   مشت على الرسم احداث وازمان

وقد أبدع شوقى تصوير دمشق فى هذه الترنية الخالدة ، وما أجمل اللوحة الطبيعية التى يقول فيها عن الفيحاء :

آمنت بالله واستثنيت جنته   دمشق روح ، وجنات ، وريحان
قال الرفاق وقد هبت خمائلها   الارض دار لها (الفيحاء) بستان
جرى وصفق يلقانا بها (بردى)   كما تلقاك دون الخلد رضوان
دخلتها وحواشيها زمردة   والشمس فوق لجين الماء عقيان
والحور فى (دمر) أو حول هامتها   حور كواشف عن ساق وولدان

وربوة الواد في جلباب راقصة الساق كاسية والنحر عريان

ويمضى شوقى فى رسم اللوحة الطبيعية الفاتنة لدمشق حتى ينتهى الى اصحابها الماضين من عبد شمس وغسان ، وأحفادهؤلاء الاباء العظام ·

وقد اشتهرت دمشقية شوقى هذه كما اشتهرت قافيته الاخرى التى قالها فى نكبة دمشق على يد الفرنسيين ، ومطلعها :

سلام من صبا بردى أرق ودمع لا يكفكف يا دمشق

والحق ان دمشق تحتل ـ كالقاهرة ـ مكانا عظيما فى ديوان الشعر العربى القديم والحديث · وما برحت امجادها تطن فى مسامع الشعراء ، ونكبتها ترن فى اذانهم ·

فالشاعر محمد على الحومانى يصور نكبتيها الاولى والثانية فى قصيدتين فى ديوانه ، وكذلك فعل الشاعر وديع البستانى ـ مترجم رباعيات الخيام ـ فى قصيدته (دمشق الحمراء) التى يقول فيها :

يا دمشق الفيحاء ماذا نسميك بعيد التهديم والاحراق ؟
بردك الفرات فار دماء وتجارت حواليك حمر السواقى

ويذكرها الشاعر السورى محمد البزم بقصيدتين كل منهما بعنوان دمشق · يقول فى ثانيتهما :

اجل ! جلق المجد مهد العلا ومهوى النفوس وسلوانها
كساها الربيع سنا حلة يروع النواظر عنوانها

والشاعر المهجرى جورج صيدح ينظم مطولة بعنوان « الحنين الى دمشق » وأخرى سنة ١٩٥١ بعنوان : « دمشق الشام » حينما دعى ليرافق مندوب الرئيس بيرون فى مهمة لدى رئيس الجمهورية السورية ، وثالثة بعنوان : دمشق الجريحة على اثر قصف العاصمة السورية بقنابل فرنسا سنة ١٩٤٥ ·

والشاعر العراقى محمدرضا الشبيبى ينظم قصيدة دالية بعنوان : دمشق وبغداد حينما اذاع الانجليز فى العراق انهم ـ لا العرب ـ اخذوا دمشق سنة ١٩١٨

والشاعر السورى عدنان مردم بك ينظم قصيدة بعنوان « دمشق » ، يستهل بها ديوانه (نجوى) · والشاعر المهجرى نصر سمعان يعود الى نكبة دمشق المشهورة فيصورها فى قصيدة بهذا العنوان يقول فيها :

هبت وعين الزمان ترقبها وخاض بحر الرجاء مركبها

العواصم الغربية

الله في امـــة مجـــاهدة سعير حمي الاباء يلهبهـــا
يا جنة الشرق أي عاطفـــة في عاصف الهول عنك تحجبها ؟

ونرى الشاعر العراقي معـــروف الرصافي يتذكر العراق وبغداد وهو بعيد في دمشق ، فينظم قصيدة بعنوان: « ليلة في دمشق » يتذكر فيها امه وهي تدعو له قائلا :

اعلمت اني في دمشـــق اجـــر اذيال السرور ؟
بين الغطـــارفة الذين تخافهم غير الدهـــور ؟

وحنين الرصافي الى بغداد من دمشق يذكرنا بحنين الشاعر ابن عنين المتوفى سنة ٦٣٠ هـ الى دمشق حين اضطر الى الخروج منها شبه منفي · وله في ذلك قصائد يقول في احداها :

دمشـق ، فبي شوق اليها مبرح وان لج واش او الح عـــذول
ديار بها الحصباء در ، وتربها عبير ، وانفاس الشمال شمول

ويقول في أخرى :

رعى الله قوما في دمشق اعزة علي ، وان لم يحفظوا عهد من ظعن
احبة قلبي في الدنو وفي النوى واقصى اماني النفس في السر والعلن

على ان للشاعر السوري المعاصر انور العطار ـ رحمه الله ـ مقطوعة بعنوان : دمشق ، يقول فيها :

دمشق ائتلاق الربيـــع الجديد واشراقة الفجـــر اما ابتسم
وريحـــانة نديت بالهـــدى وزنبقـــة رويت بالحـــكم
على مهدها رائعـــات النبوغ وفي ساحها قبسات الهمم

ولا ننسى في مهرجان الشعر الذي اقيم بدمشق سنة ١٩٥٩ ـ واشترك فيه صفوة من شعراء الامة العربيـــة ـ قصائد العقاد ، وســـليم الزركلي ، واحمد رامي ، ومحمود عماد ، ومحمد طاهر الجبلاوي ، ومحمد محمد علي ، وعلي الجندي· كما لا ننسى في مهرجان سنة ١٩٦١ قصـــيدة الشاعر صالح جودت التي عنوانها : « علي بردى » ، التي يقول فيها :

دمشق ! وماذا تكون الجنـــان سواك اذا اذن المحشـــر ؟
وما الفاتن الحور الا بنـــاتك والسحر فيهن لا يفـــتر

على أنه هو نفسه في مهرجان سنة ١٩٥٩ عرج في قصيدته « نشـــيد الثورة » علي دمشق وبردى والغوطة ودمر حيث يقول :

حبيبي على الشـــاطيء الاموي على (بردى) السحر والفتنـــة
على مرقص النـــور في (دمر) على ملعب الحور في (الغوطة)
على مولد الوعي واليقظـــة على مشرق الشمس في امتي ··

ولن ينسينا هذا العرض الحديث والاشارة الى قصيدة العقاد في دمشق والتي يقول فيها :

دمشق في الارض على صـــورة لانعـــم الله على عبـــده
فيها من الرضـــوان ما يرتضى لنعمـــة العيش ومن بعـــده

كما لن ينسينا قصيدة الشاعر سليم الزركلي التي يقول فيها :

دمشق ترعرع فيك الزمـــان يعب الخـــلود مع الخـــالدين
ويلثم الدامســـة الطـــاهرات يطيل السجود مع الساجدين

العواصم العربية

ودمشق فيك الشذى العبقري   معطاء الربى ، وثلاء الجبين ..

***

وننتقل من دمشق الى « بغداد » حيث تذكرها الشاعر ابن الرومى ، وتذكر صباه وشبابه فيها فقال :

بلد صحبت به الشبيبة والصبا   ولبست فيه العيش وهو جديد
فاذا تمثل فى الضمير رايته   وعليه اغصان الشباب تميد

واذا كان ابن الرومى قد تذكر صباه فى بغداد فان ابا العلاء المعرى – بعد – قد تذكر بغداد فى قصيدتين من شعره، يقول فى الاولى :

فيابرق ! ليس «الكرخ» دارى وانما   رمانى اليه الدهر منذ ليالى
فهل فيك من ماء « المعرة » قطرة   تغيث بها ظمآن ليس بسالى ؟

ويقول فى الثانية:

متى سالت (بغداد) عنى ، واهلها   فانى عن اهل العواصم سالى

ولن نستطيع ان نتتبع فى دقة وحصر شامل كل ما قاله الشعراء القدامى والمحدثون فى بغداد . ولكنا نكتفى بالاشارة الى ما قاله الشعراء جميل صدقى الزهاوى ، وعبد القادر رشيد الناصرى ، وانور العطار ، وعلى الجارم ، ومحمود ابو الوفا ، ومحمود غنيم ، وانس داود ، وحافظ جميل ، ومحمد الاسمر . وقد شرقت وغربت قصيدة الجارم التى يقول فيها :

بغداد يا بلد الرشيد   ومنارة المجد التليد
يا بسمة لما تزل   زهراء فى ثغر الخلود
يا موطن الحب المقيم   ومضرب المثل الشرود
يا سطر مجد للعرو   بة خط فى لوح الوجود

وقد القاها فى حفل المؤتمر الطبى الذى اقيم ببغداد سنة ١٩٣٨ .

ولقد عرج الشعراء العرب بالخرطوم ، وطرابلس الغرب ، وتونس وغيرها من العواصم العربية ذوات التاريخ المجيد والماضى المزدهر والحاضر المتطلع المترقب .. وللشاعر السودانى التيجانى يوسف بشير قصيدة عنوانها : (الخرطوم مدينة الشعر والجمال) يقول فيها :

مدينة كالزهرة المونقة   تنفح بالطيب على قطرها
ضفافها السحرية المورقة   يخفق قلب النيل فى صدرها
تحسبها اغنية مطرقة   نغمها الحسن على نهرها !
مبهمة الحانها مطلقة   رجعها الصيدح من طيرها
وشمسها الخمرية المشرقة   تفرغ كاس الضوء فى بدرها

اما الشاعر السودانى عبد الله الطيب – صاحب ديوان « اصداء

النيل ، فله قصيدة بعنـــــوان (الى الخرطوم) نظمها بمناسبة عودته لها من بعد اغتراب ، يقول فيها :

الى الخرطوم من بعد اغتـــراب ... وبعد بلى الشهى من الشـــباب
وما الخــرطوم دارى ، غيـر انى ... غريب حيثمـــا حلت ركابى
غريب فى بلادى ، ســوف يفنى ... غريبا فى سباسبها سرابى ...

اما الشاعر المصرى محمد الاسمر ، فكانت له بحدائق المقرن بالخرطوم عند ملتقى النيلين : الابيض والازرق وقفة استمع فيها هناك الى صوت فتـــاة سودانية تغنى ، فاستهواه صــوتها ، فخف نحوها وظل مستمعا اليها برهة غير قليلة من الزمان ..

***

ولم تعدم طرابلس الغرب من يحييها ويقف عندها ، ويذكر امجـــادها من شعرائنا المعاصرين . فالشاعر محمود ابو الوفا يقول فيها :

طرابلس دارى . بارك الله فى دارى
وان تك دارى ما بهـــا احد دارى
كانى بها اضـــحت ، وليست بامة
فليس لها حس ، ولا نبا ســـارى !

والشاعر محمود غنيم يزور طرابلس فى مهمة ثقافية ، فحين تحتـــفى به انديتها واوســـاطها الادبية يقول فى حفل تكريمى اقيم له سنة ١٩٥٤ :

قالوا : الجمال هنا والمجد فاقتبس ... فقلت : كل المعالى فى طـــرابلس
لما نزلت بها باتت تذكــــرنى ... امجاد مصر ، وبغداد ، واندلس ..
فحركت شجنى رغم السرور بهـــا ... فاعجب لمبتهـــج فى ثوب مبتئس !

***

اما تونس فقد حياها الشـــاعر العراقى خالد الشـــواف بقصيدة عنوانها : تونس ، يقول فيها :

هذى رباك بضوع من جنباتهـــا ... ارج الفدا وعبير الاستشـــهاد
فى كل ناحية حشـــاشة باذل ... سالت تضمخها ، ومهجة فـــاد

ولقد سجل مؤتمر الادباء ومهرجان الشعر الذى انعقد فى تونس سنة ١٩٧٣ قصائد فى وصف تونس وتحيتها ، منها قرطاجية الشاعر صالح جودت التي يقول فيها :

يا تونس الاحــلام باكنفـــا ... للفن والانغام والســـحر
يا بلدة (الشابى) وهو لنـــا ... خدن الشـــباب ، وزهرة العمر
وربى ابولو النضر تجمعنـــا ... حول الشباب وعهـــده النضر

ولم ينس الشاعر ابو القاسم الشابى ان يذكر تونس فى قصيدة له عنوانها (تونس الجميلة) ، يقول فيها :

انا يا تونس الجميلة فى لـــج ... الهوى قد سبحت اى ســـباحة
شرعتى حبك العميـــق وانى ... قد تذوقت مره ، وقراحـــه
لست انصـــاع للواحى ولو مت ... وقامت على شبابى المنـــاحة

وهكذا نجد وفاء الشعراء وحبهم لعواصمهم العربية التى تلتقى فيهـــا امجادهم ، ويتلاقى فيها حـــاضرهم بماضيهم ، تطلعا ليوم جديد ، وغـــد مشرق سعيد ...

مدينة السلام

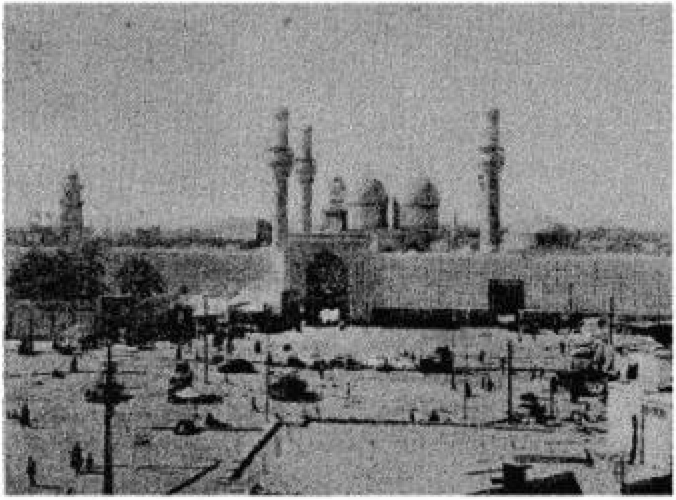
د. يوسف عز الدين

بغداد مدينة السلام اغرودة الدنيا فى فم الدهر ، غناها منتشيا، وعزف حضارتها بمزمار الخلود فردد الانغام رخية عذبة .. فشنفت سمع العلم ، واطربت الادب ، وحلقت بالفكر فى اجواء الابداع والتجديد ...

قصدها الشاعر ، وارتادها الاديب ، ورحل اليها الباحث ، وطالب فيها العلم الطبيب ، فقد كانت موئل الحضارة ، ونبراس العلم . ومنبع الادب الاصيل .. وفيها من خزائن الكتب الثمينة وفى ابهاء معاهدها وحجرات جامعاتها رى الطالب ، ونجعة القاصد ، وعلم الاستاذ ومناقشة الفكر الاسلامي الحر الذى ما ضاق بالمعارضة وما برم بالمناقشة فى امور الدين الاسلامي الحنيف ..

وبغداد ملتقى حضارة متنوعة ومدنيات مختلفة بابلية واشورية وفارسية ويونانية ، وصلتها من مختلف بقاع العالم ، فكان أهل بغداد واسعي الفكر والادراك أصيلي الثقافة العربية والاسلامية ، فما أضاعت شخصيتهم الحضارات المتنوعة ولاتركتهم فى ضياع روحى ووجدانى ، لان اصالة الدين الاسلامي وتعمقهم الثقافى وقوة حضارتهم مكنتهم من هضم الحضارات والارتفاع بها فتطورت فى مثل انسانية جديدة سايرت الفكر الاسلامى فى قوته وأصالته .

اسسها ابو جعفر المنصور سنة ١٤٥ للهجرة (٧٦٢ م) وسماها مدينة السلام ، تفاؤلا بالسلامة فى فى الحياة والنجاة من الاعداء والابتعاد عن الاخطار التى كانت تحدق

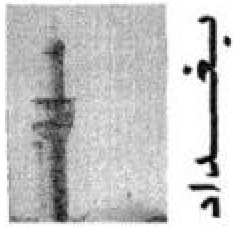


مرقد الامامين الكاظمين بعد التجديد والتعمير

بالاسرة العربية العباسية التي حكمت بعد الاسرة العربية الاموية ·· وقد اسسها في منطقة جميلة الموقع كثيرة المياه نضرة البقاع ، طيبة المناخ ، رقيقة الهواء ، عذبة الطبيعة ساحرة المناظر ·· وقد فضلها على عاصمة الانبار الواقعة على ضفاف نهر الفرات ·

وقد كره الفقهاء اسمها القديم بغداد لانه مركب من اسمين (بغ) اسم لصنم و (داد) معناها عطية او هبة ولا يرضى مسلم متدين ان تسمى عاصمته باسم الوثن ·· ولكن الاسم غلب على الالسنة رغم ان النقود كانت تسك باسم مدينة السلام والمعاملات والرسائل كانت تصدر باسمها ، ولا بد ان الاسم كان شائعا ومشهورا فغلب الاسم الجديد ، فقد ذكر المؤرخون ان هناك سوقا كبيرة بهذا الاسم يتجمع فيها تجار السواد سنويا وهي السوق التي هاجمها المثنى ابن حارثة الشيباني في خلافة ابي بكر الصديق بعد ان اعانه المرزبان الفارسي على نصب جسر يعبر عليه ، وارسل معه الادلاء ، على شرط ان يأمن على نفسه ، وقد وفى المثنى بوعده وعاد بعد ان اصاب مالا وفيرا من السوق ·

وقد اختلف في اسم بغداد فمنهم من جعلها فارسية ومنهم من قال انها ارامية بيد ان البحوث الاثرية التي تمت في العراق ترجح قدم اسم بغداد فهي تعود الى العصرين البابلي والاشوري ، وقد يرقى الى القرن السابع ق · م وثبت انها كانت مدينة مزدهرة وانها مركز عسكري له اهمية تسويقية · وقد ورد اسمها باشكال



مختلفة تؤكد انها مدينة عـــربية القدم من الفرس والارامبين فمن هذه الاشكال بغداد ، وبغدادى ، وبكدادو وخداود ٠ وبقى الاسم خالدا على مر العصور لوقعه الموسيقى وسهولة نطقه حتى جـــاء المنصـــور وبنى مدينته فغلب اسم بغداد على عاصـــمة الامبراطورية واستمر حتى هــذا اليوم

اختطها المنصور بدوره وجعل لها اربعة ابواب ، كل بابين متقابلين ، فسمى الباب الشرقى باب خراسان لانه ينتهى الى طريق خراسان ، ويقابل هذا الباب غربياً باب الكوفة باتجاه مدينة الكوفة باعتبارها احدى العواصم او المدن الكبيرة ، وفى الجنـــوب سماه باب البصرة لانها من المدن الكبيرة ، اما الباب الرابع فهو الباب الشمالى باب الشام ٠٠

وانشا ســـورين لحمايتها وبين السورين كانت الارض الخـــالية التى اعدت لتحركات الجيش ، وحفر حول المدينة خندقا عريضاً وأجرى فيـــه الماء من قناة تأخذ من كرخايا الـــذى يأخذ من الفرات ٠ وقد حرم المتاجرة داخلها ، ولعله خاف العيون والارصاد وليحافظ على نظافة مدينته ، فقـــد ذكر المؤرخون بأنه رتب عـــددا من المنظفين يكنسونها ، كما منـــع دخول الدواب فى الرحاب كيلا توسخها ، ولم يركب داخل المدينة غيره وغـــير عمه داود بن على لاصابته بالنقرس، وولى عهده المهدى ٠

فأخذ التجار يبنون لهم أمكنـــــة تجارية خارج المدينة فى مكـــان قديم اسمه الكرخ ، فغلب اسم القرية على الجانب الغربى كله الذى امتـــــد فى العصر العباسى غربى بغداد وهـــو اليوم الجانب كله ، واتســـعت القرية بالاسواق التجارية والشوارع وكانت الارض خصبة وافرة الميـــاه كثيرة البساتين العامرة بثمـــارها النضرة باشجارها ، فأحب المنصـــور طيب المكان ، فابتنى له قصرا جديدا سماه (الخلد) ليمتع نفسه بانسياب مياه دجلة الجميل ٠ وبعـــدها بنى قصر (القرار) ، وظن أن «الخلد» سيخلد وان (دار القرار) ستبقى مع الايام التى لا تسالم انسانا اذ عفت على هذين القصرين ، ولا نعـــرف حتى مكانيهما رغم ما صرف عليهما فى أساس وزخرفة من ذهب وفضة ورياش كما عفت الايام على المدينة كلها ٠٠ وصدق الشاعر ابن بسام العبرتى :

يجنبه داران مهـــــدومتا
ن وداره ثالثة تهـــــدم
فليت الســـلامة للمنصفـــ
ين تدوم فكيف لمن يظلم ؟!

ولما جاء المهـــدى من الرى على والده فى مدينته الجديدة سنة ١٥١ ومعه الجيش ، أمره أن يعسكر فى الجانب الشرقى الذى سمى بالرصافة بعد أن كان اسمه (عسكر المهدى)

ولعل الاسم منقول من رصافة الشام التى بناها هشام بن عبد الملك ونقل الاسم السفاح الى الانبار ونقل الاسم الى الاندلس فقال فيها الشاعر :

تبدت لنا وسط الرصافة نخلة
تناءت بارض الغرب عن بلد النخل
فقلت شبيهى بالتغرب والنوى
وطول اغترابى عن بنى وعن اهلى

ثم اتسعت المدينة الجديدة ونشأ الى جانبها المخرم (١) والشماسية(٢)

ومكان الرصافة القديمة هو مدينة الاعظمية الحالية وفيها باب الطاق المشهور الذى غلب على اسم الرصافة فيما بعد ، بعد ان بقيت بقايا قصر اسماء بنت المنصور الذى اصبح مجتمع الشعراء والذى مر به الشاعر فرأى قمرية تنوح بباب طاق اسماء واشتراها بثمن ، قال المؤرخون انه (٥٠٠) درهم ، وفكها من سجنها وقال :

ناحت مطوقة بباب الطاق
فجرت سوابق دمعى المهراق
كانت تغرد بالاراك وربما
كانت تغرد فى فروع الساق
فرمى الفراق بها العراق فاصبحت
بعد الاراك تنوح فى الاسواق
فجعت بافرخها فاسبل دمعها
ان الدموع تبوح بالاشواق
تعس الفراق وبت حبل وتينه
وسقاه من سم الاساود ساقى
ماذا اراد بقصده قمرية
لم تدر ما بغداد فى الافاق
بى مثل ما بك يا حمامة فاسالى
من فك اسرك ان يفك وثاقى

وبذلك فباب الطاق هو الاعظمية الحالية (٣) .

وقد مد المنصور جسرا بين جانبى المدينة الغربى والشرقى الذى كان يمر بباب الطاق،لان الجانبين كانا عامرين عمارة واسعة بناء وجمالا ، اضافة الى ان بغداد كانت قريبة من المياه حتى تحمل اليها الميرة من بقاع العالم الاسلامى المعروف ، فالفرات يصل الشام ، ودجلة يحمل سفن البصرة والهند والصين اليها .

ان الموقع المتاز الذى اختاره المنصور كان ممتازا من كل النواحى فهو وسط بين المدن المعروفة : الموصل ، والبصرة ، وواسط ، والكوفة .

فقد روى التاريخ بان الخليفة قيل له بعد مشاورة وبحث وتمحيص : (تنزل فى بغداد فانك تصير فى اربعة طساسيج ، طسوجين فى الجانب الغربى ، وطسوجين فى الجانب الشرقى ، فاللذان فى الغربى قطربل وبادوريا ، واللذان فى الشرقى نهر بوق وكلواذا ، فانت تكون بين نخل وقرب الماء ، فان اجدب طسوج وتأخرت عمارته كان الاخر عامرا) (وانت يا امير المؤمنين على الصراة تجيئك الميرة من المغرب ، وفى الفرات تجيئك

---

(١) وهى العيواضية اليوم
(٢) وفيها نزل جماعة البرامكة وكانت فيها القصور ، وهى هيبة خاتون اليوم
(٣) الى استاذى العلامة محمد خلف الله الذى سالنى عن باب الطاق وانا طالب فى الاسكندرية ، وفى هذه الابيات ـ هذا الجواب ..

طرائف الشام ومصر وتلك البلدان ، وتجيئك الميرة في السفن من الصين والهند والبصرة وواسط في دجلة ، وتجيئك الميرة من ارمينية وما اتصل بها حتى تصل الى الزاب ، وتجيئك الميرة من الروم وآمد والجزيرة والموصل في دجلة) .

وفي الجانب الشرقي اسكن جيش ولده الخراساني حتى لا يؤثر على مركز الخلافة وليكون اداة للقضاء على كل فتنة يقوم فيها الجند .

لم تبق بغداد على شكلها الذي بناه المنصور ولم تحافظ على حدودها تلك هي سنة الحياة والتطور بعد ان اصبحت عاصمة الدنيا وكثرت الفتوح وسكنها الناس ، وزاد في تغيير معالمها الثورات والطواعين والامراض المعدية ونقص الابنية المستمر .

ولما اراد المعتصم تخليص اهل بغداد من اعتداء الجند التركي نقل عاصمته الى سامراء التي استمرت تزدهر خلال حكم سبعة خلفاء واكثر من نصف قرن ، ولما عاد الخلفاء الى بغداد سكنوا بغداد الحالية بعد ان اخذت هيبة الخلافة بالتدهور وسطوة السلطان بالتدني .



ان صيت بغداد الذي ملا بطون التاريخ وشموخها الحضاري الذي يرن في سمع الزمان صدى رنته الدهور من العهد العباسي الاول ، فلقد امتدت بغداد امتدادا معماريا واسعا حتى تلاصقت المدن التي كانت تقام قرب بغداد وغدت مدينة واحدة، وهذا ما نراه اليوم ، فقد اتصلت الكاظمية والاعظمية ببغداد القديمة ، ثم امتدت فوصلت الكرادة ، وابتعدت فوصلت دورة نهر دجلة (الشاكرية)

ويمكننا ان نقول ان مساحة بغداد الحالية وعدد سكانها زاد على سكانها في اي عصر مضى .... ولما فاض النفط بالخيرات والمال الوفير بدأت تستعيد امتدادها القديم والمال وحده ليس كافيا لبناء حضارة مدينة انما الحضارة بالذين يعمرون المدينة .

كانت بغداد موئل الشعراء والمفكرين والمترجمين ، وكانت ميدان المناقشات والمناظرات وكان (بيت الحكمة) فيضا علميا وفكريا ونبراسا للترجمة والفكر ، فقد ترجم فيها مختلف العلوم اليونانية باسلوب امين واداء حسن وامانة في النقل . وليس ادل على سعة الفكر الاسلامي وحرية الراي العربي من المناقشات التي كانت تدور حول الدين الاسلامي ثم الاعتماد على المسيحيين واليهود والاعتراف بفضلهم والاستفادة من خبرتهم .

وقد تقدم علم الفلك والطب تقدما ظاهرا فرصدت حركات النجوم السيارة من مراصد بنيت لهذا الغرض ،واتجه المامون الى توسيع الفكر المعاصر بالترجمة وجلب الكتب من مختلف انحاء المعمورة من فارس وصقلية وبلاد الروم .. وكان حنين بن

اسحاق رئيسا للترجمة . ومن الطريف ان المأمون كان يدفع له زنة ما يترجمه ذهبا . وكان اسحاق يحاول زيادة الوزن باختيار الورق السميك ويكتب الترجمة بحروف كبيرة ويوسع السطور ..

وغدت بغداد أمل الساسة الاجانب وكثرت عليها الوفودواسترضاء للخلافة وخوفا من سطوتها .

ولما فقد العرب سيطرتهم بتولى السلطة من قبل بنى بويه والسلاجقه ذاق العرب الامرين من هؤلاء المتغلبة وبدأت عوامل التخريب والاهمال تدب في جسم بغداد . فقد كانت دورالخلفاء تهدم وتؤخذ ابوابها الحديد سواء كانت هذه القصور فى بغداد أم سامراء . وتجاوزت السخرة والظلم حدودها ، فان بهروز السلجوقى سخر اهل بغداد فى بناء دار له فساق من الاشراف والاعيان والقضاة ، فأخذوا ينقلون الانقاض فى الطيالس ، وبعد ذلك امرهم ان يؤثثوا هذا القصر باجمل البسط واجمل الرياش واغلى الامتعة والانية ، وقد تم له كل شيء وتشاء الاقدار ان يحترق هذا القصر ويصبح انقاضا ـ وهكذا مصير الظالمين !

بقيت بغداد محافظة على حضارتها رغم تدهورها السياسى والادارى ، وكانت مفخرة العالم وأمل الطالب والزائر والاديب ، وقال الشاعر فى عزها ومجدها :

فقد طفتفى شرقالبلاد وغربها
وسيرت خيلى بينها وركابيا
فلم ار فيها مثل بغداد منزلا
ولم ار فيها مثل دجلة واديا

وقال الشافعى ليونس بن عبد الاعلى :

ـ ادخلت بغداد ؟
قال : لا
فقال له : لم تر الدنيا !

ثم جاء هولاكو فضربها بعد ان استباحها قتلا ونهبا وحرقا وتدميرا مدة اربعين يوما . ما نجا منه الا من عاش فى باطن الابار والقنوات والذين لم تقع عليهم اعين وحوش البشر ... ولما نودى بالامان ذهل الاحياء من كثرة تلال الجثث ، وانتشرت الامراض بالباقين من الجيف العفنة ، وخير مصداق على هذا العناء قول الشاعر :

يا نكبة مانجا من صرفها احد
من الورى فاستوى المملوك والملك
تمكنت بعد عز من احبتنا
ايدى الاعادى فما ابقوا ولا تركوا

وليت شعرى ما ذنب البرىء وما ذنب الطفل وما ذنب العاجز انها روح الوحشية والبربرية والحقد على الحضارة الاسلامية والكيان العربى ، فقد هدمت نور العلم واحرقت الكتب والقيت فى مياه دجلة حتى قيل انها كونت جسرا بين الضفتين وان مياه دجلة جرت حبرا أسود (١)

ثم هاجم السفاح تيمورلنك بغداد مرتين فما ابقى للحضارة بقية فلما احتلها سليمان القانونى ٩٤١ لم يكن من بغداد غير ذكريات فى سمع الزمن واطياف تمر من الماضى

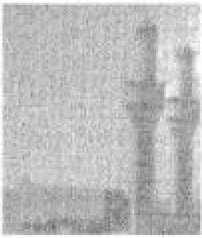
---

(١) هناك مبالغات من المؤرخين لان المعاهد عادت بعد سنة ، وان اكثر التخريب جاء من تيمور لذلك مرتين ، وهو الذى صنع الافاعيل ببغداد

الجميل ، وبقايا اطلال تبكي الماضي الذهبي ومجد العرب الزاهي الذاهب.

ولم تبق لدى العثمانيين انما تعاورتها أيدي الصفويين مرتين حتى غدت ولاية او ايالة تتبع الدولة العثمانية وما كان من المستطاع ان ينهض شعب مريض متفرق الكلمة جائع مشرد ليسترد حضارته بسهولة ويسر . وقد حاول بعض المصلحين في العهد العثماني ان يعيدوا الى بغداد شيئا من عزها متأثرين بمصر التي صدت المغول وحافظت على الوجه الاسلامي عندما اراد داود باشا ان يكون دولة مرموقة الجانب باصلاحات عامة لكن الظروف لم ترحم العراق ، فقد فتك الطاعون بالجيش الجديد ، وسارعت الدولة العثمانية للقضاء على داود باشا خوف الانفصال ، وما نمت بذرة داود الطيبة كما كنا نريد لها ... ثم جاء مدحت باشا واعاد الكرة باسلوب عصري جديد ، وانشا خلال ثلاثة أعوام ما عجز عن بنائه غيره في ثلاثة قرون، ولا تزال اعماله ظاهرة للعيان في الابنية التي بناها. ومرت أعماله الاخرى في النهضة الفكرية الحديثة مثل انشاء جريدة الزوراء ومطبعتها ... الخ

ان الومضات الفكرية التي ظهرت في زمن داود باشا ومدحت باشا وبعض المصلحين البناة ، كانت قاعدة الحركة الفكرية المعاصرة ، واثرت في حركة الادب والفكر . ولما كانت الدولة متأخرة في اخر عهدها ، فقد زاد الطين بلة ظهور التورانية التي اعلنتها جمعية الاتحاد والترقي سنة ١٩٠٨ بعد اعلان الدستور ، وفرضت



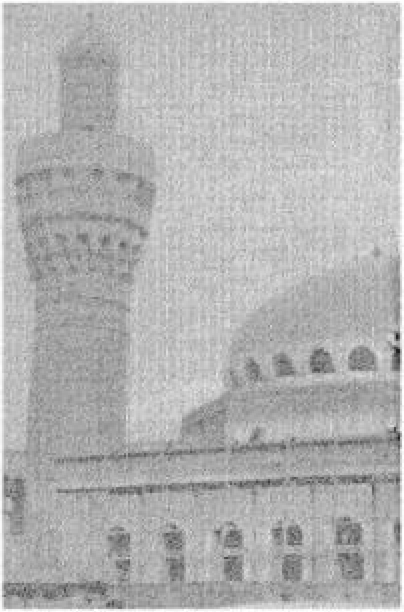
بغداد

هذه الجمعية سيطرتها على الدولة ، وارادت تتريك العناصر غير التركية واستغلال كل الخيرات في الامبراطورية لصالحها وصالح اصحابها ، فنشط الشعر في بغداد وهاجم الفكر العربي هذه البادرة ، فقال الرصافي:

قد استأثروا بالحكم وارتزقوا به
وسدوا على من حولهم منبع الرزق
كأنا لهم شاء وهم يحلبوننا
وكم مخضوا اوطاننا مخضة الزق

وفي سنة ١٩١٧ احتل الانجليز بغداد ، فرأت بغداد الحضارة الغربية وتأثرت بها ، واخذت تألفها بعد صدود ومقاومة ، وبعثت في النفوس العنف والسخط في السياسة والاعجاب والتقليد بالحضارة الجديدة .

كانت بغداد قرية صغيرة عندما جاءها الانجليز لم تزد مساحتها على عدد من الكيلومترات المحدودة قيل انها اربعة حسب حدودها وسورها القديم ، وسرعان ما تفتحت الافاق واخذت المساحات تكبر ، وظهرت نتائج اوضح عندما بدأ العراق يأخذ حصة من النفط ، وبدأت النقود تنتشر بين ابناء الشعب فزادت مساحتها بعد سنة ١٩٥٨ الى اكثر من مائة كيلومتر مربع واخذت



جامع الخلفاء من التحف
المعمارية النادرة فى بغداد

بالاتساع الواضح اليوم عندما بنت السدة الجديدة وحفر مشروع الثرثار فى سامراء الذى حمى بغداد من الغرق .

واختلفت خارطة بغداد اختلافا كبيرا ، وبعد أن كانت طويلة بدأت تتوسع عرضا نحو الشرق والغرب وكثرت المبانى فيها وعمرت المدينة من جراء الهجرة اليها وتقدم الحالة الصحية فيها ، وقد كثرت فيها الجسور فلم يكن فيها عند الاحتلال غير جسر واحد ثم انشأ الانجليز جسرا آخر باسم الفاتح (مود) وكانا جسرين متحركين ثم كثر عدد الجسور ، واصبح اولها بين الاعظمية والكاظمية وجسر حديدى ، للقطار فى الصرافية (المخرم) والجسر القديم وهو جسر الشهداء ، ثم جسر الاحرار ، وجسر الجمهورية والجسر المعلق ، وفى النية زيادة عدد الجسور والاكثار من فتح الشوارع وغرسها وتجميلها وتوسيعها لتخفيف زحمة المواصلات وتجميل المدينة لكثرة السكان الذين اقدرهم باكثر من مليونين

ان ما آخذه على بغداد هو تقليد الاسلوب الغربى ، فقد كثرت العمارات التى تقوم على الاسمنت والحديد مما لا يتفق ومناخ بغداد وحياتها الاجتماعية ، فقد لجأ المهندسون الى اسهل الطرق فى تقليد الخرائط التى جاءت من الغرب وبذلك ضاعت شخصية بغداد بضياع شخصية المهندس الحديث رغم صرخات المنادين بالعودة الى التراث البغدادى الذى نبع من محيط بغداد الذى تصل فيه الحرارة اكثر من خمسين درجة صيفا وتهبط درجات تحت الصفر فى الشتاء .

ان الاحداث والغزوات والنكبات التى صبت على بغداد (أم الدنيا وسيدة البلاد) كما قال ياقوت الحموى وحقد البشر وحسد الغزاة المتأصل فى نفوسهم لشهرتها — لم يبق من العصر الزاهر الا صبابة من بحر حضارة ، روى العالم من هذه الابنية والمعالم ، ومنها :

المدرسة المستنصرية وهى فى الجانب الشرقى تطل على دجلة ، بناها الخليفة المستنصر بالله ،

وهى لطيفة الريازة جميلة النقوش واسعة البناء كثيرة الحجر والغرف

وقد اعادت لها مديرية الاثار جدتها وسوف تبدو اكثر جمالا ·

والتهى البناء من المدرسة سنة ٦٣١ هـ وقد أحتفل المستنصر بافتتاحها احتفالا كبيرا ونقل اليها حمل مائة

وستين جملا من الكتب النفيسة ووقف عليها اوقافا جسيمة ، واجرى

للطلاب والاساتذة والموظفين المشاهرة والجراية من لحم وخبز



بغداد

وحطب وحلوى وفاكهة وصابون وفراش ·

واشتهرت ساعتها الجميلة التى فيها صورة الفلك ، ولها طاقات تفتح فى مواعيد الساعات ، ويرسل بازان بندقتين من الذهب فى طاستين

من الذهب ، ثم يعودان الى مكانهما ، ورسم فيها كل عجائب الفلك ففى الليل تطلع فى الساعة القمار من ضوء خلفها ، وكلما تكاملت ساعة

تكامل الضوء فى دائرة القمر حتى طلوع الشمس ، وبذلك كان الناس يعرفون المواقيت ليلا ونهارا ···

وقد اجتمعت فى المستنصرية المذاهب الفقهية الاربعة ، وتميزت المستنصرية بدراسة الطب وكان يدرس فى المساجد والمارستانات (المستشفيات) فى بناية خاصة

مقابل الباب الحالى يداوى فيها المرضى ويدرس الطب ، وفيها مكان لتوزيع العقاقير والادوية ·

وقد كان فى بغداد عدة مستشفيات متخصصة ومستشفيات سيارة تذهب متجولة للعلاج فى المحلات التى ليس

فيها « مشافى » ، ويتبع كل مستشفى صيدلية ، وبلغ الطب مرحلة كبيرة فى الجراحة الدقيقة فى اجزاء

الجسم المختلفة مثل تفتيت الحصاة واخراجها ، وفتح قصبة الرئة ،

واشتهر كثير من الاطباء مثل صاعد ابن بشر ، وتخصص بعض الاطباء بالاسنان ومداواتها وشدها بالذهب (١) ·

القصر العباسى : وهو ثانى اثر واضح المعالم بقى من اواخر الدولة العباسية · وفى القصر مشابهة كبيرة مع بناية المدرسة المستنصرية

من حيث البناء والزخرفة والتخطيط والحجر والايوان والدقة فى التنسيق والابداع فى الزخرفة الاجرية ·

ويؤكد الزميل الدكتور ناجى معروف بانها المدرسة الشرابية التى اسسها اقبال الشرابى سنة ٦٢٨ ·

وقد اهمل القصر فى العصر العثمانى · كما زيدت عليه اضافات حتى انقذته مديرية الاثار واعادت

اليه ملامحه الزائلة وهى جادة فى اتمامه وابرازه ظاهرا بعد ازالة ما حوله من الابنية وفتح طريق على النهر يصل الى الباب الرئيسى ·

ومن الاثار التى ما زالت شاخصة باب جامع مرجان ومنارته الذى

---

(١) فصل الزميل الدكتور ناجى معروف تفصيلا وافيا فى كتابه المستنصرية ، عن كل ما يتعلق بالمدرسة وهو خير مرجع لها ·

بناء أمين الدين مرجان فى أيام حكم أويس حسن الجلائرى (٧٥٨ هـ ـ ١٣٥٦ م) ومنارة جامع الحظائر الذى انشأته زمرد خاتون ، ومنارة مسجد الجنائز (جامع الشيخ معروف الكرخى) وتعود الى زمن الناصر لدين الله ، وفيها اشارة الى انها بنيت سنة ٦١٢ ، ومنارة جامع قمرية الذى بناه المستنصر بالله سنة ٦٢٦ على نهر دجلة ، وتربة الامام الاعظم ابى حنيفة النعمان وهى مقابر الخيزران ولم يبق منها شيء وتقوم رئاسة ديوان الاوقاف بتوسيع الجامع واعادة بناء المدرسة

•• ومنارة جامع الخلفاء ولم يبق غير المنارة ، وقد صمم المهندس الدكتور محمد مكية مسجدا جديدا بنته الاوقاف ، وخسان مرجان ، وتربة عمر السهروردى وفوق القبر مقرنصة مقتولة وقبر الست زبيدة وهو تربة زمرد خاتون ام الخليفة الناصر لدين الله ، وكانت تسمى مدرسة ام الخليفة بنتها للشافعية وبقيت المدرسة حتى العصر العثمانى وعليها قبة مفتولة مقرنصة .

وجامع الشيخ عبد القادر الكيلانى والذى كان مدرسة على المخرمى المتوفى سنة ٥١٣ ، جدده ووسعه الشيخ عبد القادر نفسه وتوفى سنة ٥٦١ هـ ودفن فيه ، وقد شيد سليمان القانونى على قبره قبة ، وقد أعاد جدته وجمع لخزائنه انفس الكتب والمخطوطات ، المتولى السيد يوسف الكيلانى ، فعاد جديدا نضرا ببنائه ومنائره .

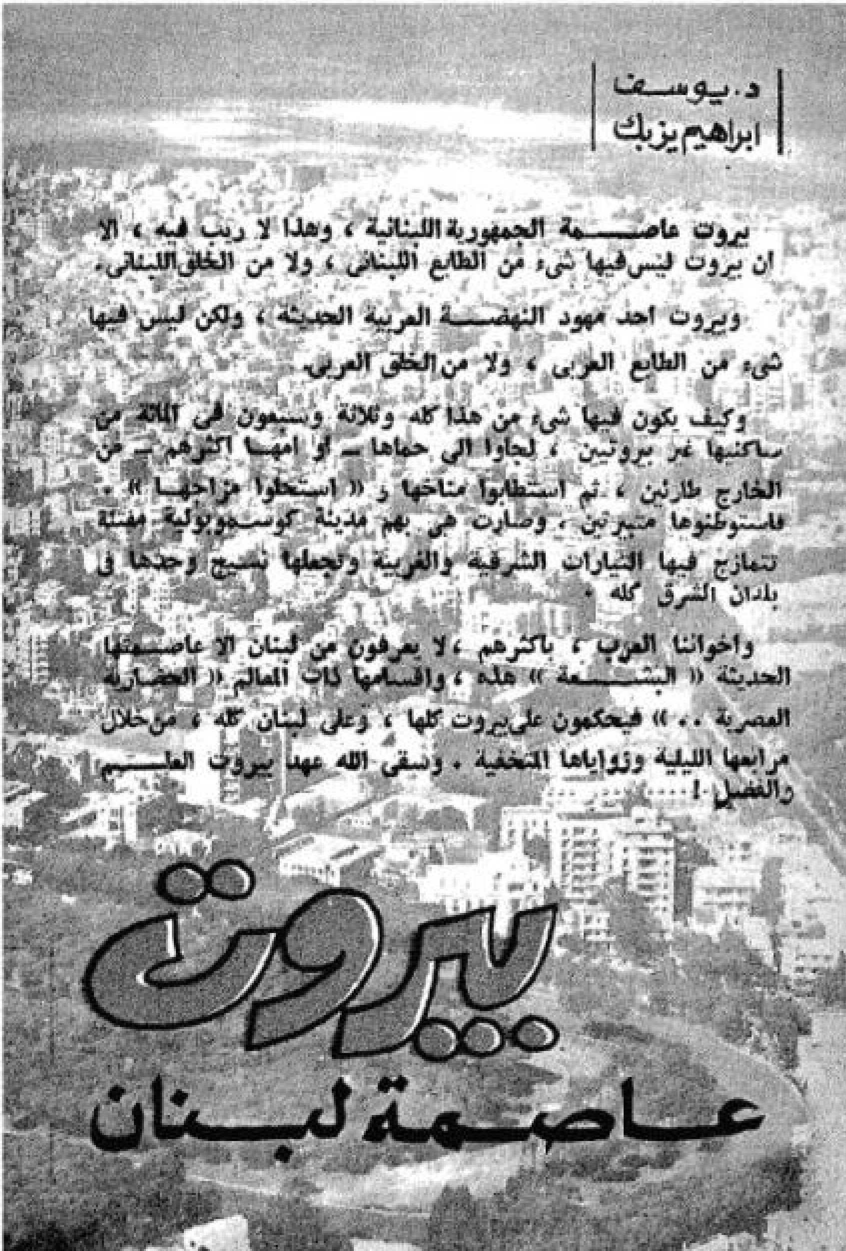
اما أجمل المشاهد وابرز المعالم التاريخية الهامة فى بغداد ، فهو المشهد الكاظمى الذى دفن فيه موسى الكاظم (١٨٣ هـ) وحفيده محمد الجواد (٢٢٠ هـ) وهو جزء من مقابر قريش أجريت عليه العديد من الزخرفة والعمارة وطلى بالذهب والعمارة باقية اكثرها من الزمن الصفوى . وفى الكاظمية مسجد أبى يوسف الانصارى .

وتقوم رئاسة ديوان الاوقاف بحملة لم تعهدها الاوقاف من قبل هى اعادة بناء بعض المساجد والجوامع وترميم أخرى واعادة جدتها منها جامع الحيدرخانة الذى بناه المصلح داود باشا ، والجامع الاحمدى ، والخاصكى ، والمرادية ، والفضل ، وجامع السراى .

بغداد اليوم على ابواب نهضة عمرانية كبيرة ، وتقوم ثلاث مؤسسات على اعادة بغداد الى قديم عهدها ، وبرزت اعمالها واضحة هى رئاسة ديوان الاوقاف، ومديرية الآثار العامة ، وامانة العاصمة ـ كل فى اختصاصها ، وقد كانت الآثار الإسلامية والعربية مهملة اهمالا كبيرة ، فاذا استثنينا ما قام به الاستاذ الحصرى من العناية بالآثار الاسلامية ، فان الإصلاح فيها كان محدودا فقد عنى بقصد أو بلا قصد بآثر السومريين والبابليين والكلدانيين عناية كبيرة، وارى طلائع نهضة عربية اسلامية فى الريازة والبناء .

وسوف ترى بغداد حياة عمرانية جديدة وحضارة وارفة فى مظاهرها الخارجية ، والى ان تدخل الحضارة المجتمع الانسانى فانها تحتاج الى فترة طويلة والى ممارسة صادقة للحضارة نفسها . ولكن بغداد سائرة بخطا واسعة لابد ان تأخذ مكانها المرقوم بالهمة المبذولة والصدق فى العمل ، والرغبة فى الاصلاح لدى الحكومة الوطنية .

● يوسف عز الدين ●
● بغداد ●


د. يوسف
ابراهيم يزبك
بيروت عاصـــمة الجمهورية اللبنانية ، وهذا لا ريب فيه ، الا ان بيروت ليس فيها شيء من الطابع اللبناني ، ولا من الخلق اللبناني.
وبيروت احد مهود النهضـــة العربية الحديثة ، ولكن ليس فيها شيء من الطابع العربي ، ولا من الخلق العربي.
وكيف يكون فيها شيء من هذا كله وثلاثة وسبعون في المائة من ساكنيها غير بيروتيين ، لجأوا الى حماها — أو أمها أكثرهم — من الخارج طارئين ، ثم استطابوا مناخها و « استحلوا مزاجها » . فاستوطنوها متيرتين ، وصارت في بهم مدينة كوسموبولية مفتنة تتمازج فيها التيارات الشرقية والغربية وتجعلها نسيج وحدها في بلدان الشرق كله .
واخواننا العرب ، بأكثرهم ، لا يعرفون من لبنان الا عاصمتها الحديثة « البشـــعة » هذه ، واقسامها ذات المعالم « الحضارية العصرية .. » فيحكمون على بيروت كلها ، وعلى لبنان كله ، من خلال مرابعها الليلية وزواياها المتخفية . وسقى الله عهد بيروت العلــم والفضل !......
بيروت
عـاصـمة لبـنان



● في البدء كان الحب ●

يقول الشعراء أن في البدء كان الحب . يريدون : ان الحب هو اول ما أوجده الله على الارض . واذا صح قول الشعراء فقد صح قول الزاعمين أن بيروت اقدم مدينة في الدنيا . وان اسمها الاول هو عشترت (عشتروت) الهة الحب والجمال .

وقد تضاربت الاقوال والآراء في تسميتها فقيل لن اسمها الاول عشـــترت (فينيقي) ، وبيروتا (آرامي) ، وبيروتاي (عبري) ، وبيروتوس (اغريقي) ، وباروث او بيريت (روماني) . والاسم الاقرب الى الصواب هو اسمها الحالي بيروت . واللفظة جمع بير في السريانية والفينيقية والعبرية والواو والتاء في آخرها صيغة الجمع . وسميت هكذا لكثرة الابار فيها .

وقيل ايضا ان اسمها « جاريش » تحريفا لاسم الجرجشي بن كنعان الذي بناها . وقالوا : بل ان باني بيروت هو ســاتورنيس (الكوكب زحل) تعبده الناس التي سكنت المدينة .

والى تلك الاساطير والاقوال المتضـــاربة ، اضيفت خرافات واســاطير اخرى ، فيها بعض الطرائف .

وكانت بيـــروت في ذلك الزمان القصي تصنع أشهى خمور العـــالم ، فصارت لها شهرة الجودة في الآفاق جميعا . واليها اشار المؤرخ الروماني بليترس ، غير مرة في كتاباته العجيبة عن فينيقية فقال : أن ابناء بيروت مشهورون بصـــنع الخمر اللذيذة ، وكان سكان الراقيء من أصحاب الترفة يتنظرون وصـــول السفن البيروتية اليهم ليشتروا منها خمور بيروت .

ولكن عندنا ما يحدد الزمان الذي صارت فيه بيروت مملكة فينيقية من امثالها بيبلوس وصـــيدون . والارجح أن ذلك تم حوالي القـــرن الرابع عشر قبل الميـــلاد . وكان طولها يبلغ سبعة وثلاثين كيلومترا بدأ من ليكوس (نهـــر الكلب) شمالا . وينتهي عند نهر تاميراس (الدامور) جنوبا .

وتعالت في مملكة بيروت ابنيـــة جميلة شامخة ، حجـــارتها ضـــخمة ومنحوتة نحتا هندسيا ، ومتلاصقة تلاصقا يمنع الشعرة من المرور بينها كانها قطعة واحدة . وكانت الهياكل هي التي تبنى على هذا الطـــراز الجميل ، وترتفـــع واجهـــاتها على اعمدة عالية ضخمة يؤتى بحجارتها من اسوان بمصر .

ومنذ ذلك الزمان السحيق اشتهر ابنـــاء بيروت بالتجـــارة اولا ثم بالصناعة فالزراعة ، تعززها ملاحة جريئة وذكية ونشـــيطة . وكانت صـــناعتهم معروفة بالاتقان ، منها التماثيل والاواني الخزفية والفضية

والخناجر والرماح والنبال والفئوس وصب الزجاج وصياغة الجوهرات ، وهذه الصناعات « ديموقراطية الصنع » اى من انتاج المواطن والمواطنة معا ، في نظام حر ...

وقد يصح تشبيه تجارة مملكة بيروت بالتجارة التى نسميها اليوم بـ « اصناف باريس » ، وهى القطع الزجاجية الملونة والمجوهرات والاقمشة والعطور والخمور .

وجنحت مملكة بيروت دائما الى السلم ، فارتضت مهادنة الاقوياء ، اى الفراعنة بمصر والملوك ببابل واشور (العراق) . وقد أدت لهم الجزية ، على ان يبقوا لها استقلالها الداخلى وحريتها فى ممارسة دينها ومداولة مواردها » . ومع انها مملكة صغيرة لا يزيد عدد سكانها على مائة الف نفس فقد كان لها جيش صغير شجاع خفيف الحركة في الكر ، تتقدمه فرقة النبالين رماة السهام – وهى اليوم الفرقة المدفعية التى تمهد للانقضاض على العدو – كما كان لها اسطول بحرى قوى وخزينة غنية باستطاعتها ان تنفق على جيوش مصر عندما تمر بارضها فى زحفها الى محاربة الاعداء

ولمناسبة الحديث عن جيوش مصر نذكر ان الفراعنة لم يعرف عنهم انهم شددوا الوطأة على مملكة بيروت في احتلالهم شواطىء فينيقية . وقد احتلوها بغية خشب الارز والصنوبر والسنديان لصناعة السفن وكي يصدوا عنهم غزو الشرق الذى كان يداهمهم من شمالى سورية ومن العراق وايران .

بل قامت بين الفراعنة ومملكة فينيقية معاهدة حسن جوار وتحالف وتعاون ، كي يظاهر بعضهم بعضا ، ولحماية تجارتهم وصناعتهم .

وفى اطلال مدينة تل العمارنة قرب مدينة اسيوط اكتشف في اواخر القرن التاسع عشر الواح من الطين المجفف نقشت على بعضها كتابات فينيقية من ملوك جبيل وبيروت الى فراعنة مصر – وهى بلغتنا المعاصرة : مراسلات ومفاوضات دبلوماسية – بينها رسالة بعث بها السيد عمونيرا ملك بيروت الى « شمسه والهه » الفرعون امنحوتب الرابع يخبره فيها بانه « ذهب لمحاربة الاعداء (اعداء مصر) بكل ما عنده من عدة وعدد ، بالخيل والعجلات ، وانتصر عليهم . كما ان سفنه خرجت ايضا لمساعدة الملك ريبادى (سيد بيبلوس) حليف مصر فى محاربة العموريين شمالى سورية، ففاز عليهم » .

ويفهم من مكتشفات تل العمارنة ان بيروت كانت خاضعة لفرعون مصر، تنصره على اعدائه الشرقيين . وكانت لها تجارة واسعة ومكانة عسكرية فى البر والبحر معا . وتملك معدات حربية ذات شان .

● العهد الرومانى ●

وضيق المجال لا يسمح بالتبسط فى تاريخ مملكة بيروت الفينيقية ،

بيروت
عاصمة لبنان

على ما فيه من أسس حضارية وتراثية قيمة بالنسبة لزمانها . ونحن مع عروبتنا الثابتة التي نؤمن بها ايمانا علميا – ايمان اليقين – لا تزعزعه أهواء السياسة نرى لازما وجوبيا علينا ان ندرس جميع الحضارات التي عرفتها التربة العربية – سواء كانت فينيقية ام ارامية أم فرعونية ام اشورية الخ – لانها تزيد في ثروتنا الانسانية . .

ومرت ببيروت ، وعليها ، عهود الاشوريين والاغريق والسلوقيين فعرفت فيها ظلما وكبتا بسبب الحروب التي تتابعت في المنطقة ، ومرور الجيوش المتحاربة ببيروت في طريقها الى ملاقاة العدو .

ومضت تلك العهود وعقبها الرومانيون في حكم الشرق واذا لهم مظهر جديد في بيروت طبع بطابع العمران والعلم والمجتمع الراقي والازدهار . وصحيح ان هذا كله هو للمنفعة الرومانية وللخير الروماني ولكن الشعب البيروتي استفاد منه . وجميع المؤرخين الذين كتبوا عن الرومانيين في بيروت ذكروا لهم الحسنات والطيبات . ولعل الاب لويس شيخو جامع تاريخ بيروت كان من اكثرهم اعجابا بهم ، فهو يقول عنهم :

« ... وكان الرومان عرفوا ما تستحقه بيروت من الرعاية ، وانها قابلة للرقي فوجهوا اليها بنظرهم ، واخذوا يزينونها بالبنايات الفخمة المتنوعة . ومما حدا بهم الى ذلك ان الفينيقيين كانوا يعتبرونها مدينة مقدسة خصوها لاكرام البعل (الاله) المسمى على اسمها « بعل بيروت » وقد اقاموا له هيكلا كبيرا على الجبل المشرف على مدينتهم ، في بلدة بيت مري ، يعرف باسم دير القلعة المكرس لبعل « مرقد » ، وهذا البعل (الاله) كان الفينيقيون يحجون اليه ، ثم حسن الرومان الهيكل الفينيقي وزادوا في ابنيته ، واعتبروه هيكلا لجوبيتر البعلبكي .

ولما صار الامر للملك اوغسطوس قيصر ، خص بيروت بالطاف وهبات لم ينعم بها على سواها ، فقد ولى عليها صهره اغريبا زوج ابنته جوليا ، وجعل هذا من بيروت احدى « المدن الاولية الراقية » وجاءها بفرقتين من الجيش الروماني اقامتا فيها فصارت اكثر المدن الفينيقية تحصينا .

ومنحت بيروت لقب « مستعمرة » وهذا اللقب يعطي سكانها الحقوق عينها التي يتمتع بها الرومانيون . ثم اطلق عليها اسم جوليا (بنت اوغسطوس قيصر وزوجة الحاكم اغريبا) وضربت نقود باسمها .

وفي تاريخ يوسيفوس أن هيرودوس الكبير بنى في بيروت الاندية الكبيرة والاروقة والهياكل والاسواق والحمامات والمخازن ، فتقاطر اليها الكثير من الرومان والاجانب واستوطنوها . وبهم زادت حسنا وعمرانا .

ومما يؤثر عن ملاعب بيروت في ذلك الزمان انها كانت تنافس ملاعب العاصمة روما ببهجة العابها . والذين يعرفون بيروت يذكرون انهم شاهدوا تجاه « التياترو الكبير » عواميد كبيرة ضخمة ، جميلة النقش في ارض منخفضة عن الشارع ، يقول الاثريون أن في ذلك المكان كانت بقايات المسرح . والثابت ايضا ان مدينتنا كانت مزدانة بأروقة « مشيدة على سوار ضخمة ، تمتد على طول المدينة وتبلغ الى نهرها . فيتجول الناس في ظلها صيفا وشتاء » . ولو أن تلك الاروقة لا تزال قائمة لاعتبرت اجمل منظر عمراني في العالم . والجدير بالذكر ان حجر الجرانيت (الحبب)

المعزلة منه اعمدة بنايات بيروت الفخمة مجلوبة كلها من اسوان بمصر .

وفي بيروت نودى بالقائد الروماني الشهير فسبسيانوس امبراطورا على روما بعد وفاة طاغيتها نيرون .

ولعل اعظم اثر معنوى تركه الحكم الروماني في عاصمتنا هو مدرسة الفقه ، او الحقوق والشرائع — وقد ترك ايضا اثرا عظيما ماديا في بعلبك على انقاض الهيكل الفينيقي — وبسبب هذه المدرسة اتجهت انظار مثقفي الامبراطورية الرومانية كلها الى بيروت ، وصار التلاميذ يأتون اليها من جميع جهات آسيا وافريقيا ، ومن اوربا ايضا .

وقد تباعدت الاقوال في تاريخ انشائها والمؤرخون العرب المعاصرون يفضلون ، ترجيح رأى القائلين بأنها اثر من آثار سلالة الاباطرة السوريي الاصل . اسست في اول القرن الثالث للميلاد — وهنالك من يرجع بتاريخها الى القرن السابق — وعلى كل فهي لم تلبث ان امتازت على جميع مدارس الفقه التي انشأتها الامبراطورية في مدنها الرئيسية ، في روما واثينا والاسكندرية وقيصرية فلسطين ، والقسطنطينية ، مما حمل الملك ديوقلسيانوس على اعفاء حملة شهاداتها من الضرائب في اية مقاطعة رومانية عاشوا فيها .

ومدة التدريس فيها جعلت خمس سنوات ، باللغتين اللاتينية واليونانية وأجر التدريس يتقاضاه المعلم لا المدرسة . والطريف في حياتها الطلابية ان التلاميذ كانت لهم رابطة عامة تضم جمعيات فرعية متفرقة . وعلى كل تلميذ جديد ان يؤدى رسما للانضمام اليها .

اما المنزلة الخطيرة التي بلغتها المدرسة فترجع في الدرجة الاولى الى عبقرية الناجحين المجتهدين من تلاميذها كبابنيانوس الفينيقي واولبيانوس (من صور) وبوليوس باولوس (من حمص) ، ورفقائهم الذين صاروا يوفدون قضاة الى محاكم الامبراطورية .

وما اروع ما قاله احد تلامذتها الشاعر اليوناني ديوناسيوس نونوس ، المصرى المولد والبيروتي النشأة ، في قصيدة طويلة :

« هناك مدينة تدعى بيروت
هي ينبوع الحياة وشاطىء الحب

لقطة لبيروت بمبانيها الشاهقة على احدث طراز معمارى



بنيت تتحدى البحر ، بجزر جميلة
وفسحات تبسط ظلالا رائعة
ليست ، كما هي صور ،
عمود رأس « ضيق »
يضغطه بحران …
فالمدينة تتألق
يحميها من رياح « الخمسين »
قمم لبنان المكسوة بالغابات
. . . .
. . . .

بيروت ، موطن الحقوق ومدينة الفقهاء
ومرضعة الحياة لؤدة مولينا !… »
ووصف الملك بوستنيانس بيروت بأنها « ام العلوم وظئر الشرائع » .

● عهد الزلازل المدمرة ●

ولكن الازدهار الروماني ببيروت لم يدم مع مباهجه ومفاتنه ، فقد رافقته زلازل فادحة محزنة قضت على المدينة . فكانت الزلزلة الاولى سنة ٣٣٤ م . وفى اثناء ذلك حدثت في بيروت زلزلة هائلة خربت قسما كبيرا من المدينة فذعر المشركون (الوثنيون من سكانها وطلبوا الدخول في الكنيسة (اى ان يتنصروا) واعدين بحفظ رسوم الدين المسيحى ، لكنهم بعد زوال الخطر رجعوا الى الشرك وصاروا يقلدون «رتب الكنسية » .

ثم تتابعت الزلازل في القرنين الميلاديين الخامس والسادس وانزلت ببيروت اضرارا جسيمة اهمها انهيار مدرسة الحقوق العظيمة حجرا على حجر (٥٥١) فى الزلزال المدمر الذى قلب المدينة عاليها سافلها ولم يبق لها من اثر . « وقد جزر البحر الى مسافة ميلين من الشاطىء . ثم ارتدت امواجه كطود شامخ واغرقت جميع السفن » ، قال ميخائيل الكبير فى تاريخه (٢ – ٣١١) :

(… ولما حدث ذلك الزلزال فى بيروت ومدن فينيقية انحدرت المياه . بإذن الله الى مسافة ميلين فانكشفت اعماق البحر وظهرت فيه سفن مشحونة بالبضائع وبمال كثير . فحمل الطمع الاهلين ، ولم يردعهم الخوف فتقاطروا ليحرزوا تلك الكنوز، وقد حملوها ورجعوا مسرعين لعلهم ينجون بانفسهم من الغرق واذا بالمياه تعود فجاة وتغرقهم جميعا .

« اما الذين كانوا على الساحل فهربوا من الغرق الا ان جدران الابنية المتساقطة بفعل الزلزال قتلتهم وماتوا تحت الردم . وانتشر الحريق فى المدينة بعد خرابها . ودامت النيران تتآكلها طوال شهرين ، حتى حولت مبانيها الى رماد وحجارتها الى كلس » (شيخو : ٤١)

● فى العهد العربى ●

ومرت السنون واخذ من بقى حيا من ابناء بيروت يعيد فى عمار المدينة ، واخذت الناس تقصدها .

وفى الفتح العربى اتى يزيد بن ابى سفيان من دمشق لفتح عرقة وجبيل وبيروت وصيدا (وكلها اليوم فى لبنان من الشمال الى الجنوب) « وعلى مقدمته اخوه معاوية ففتحها فتحا يسيرا وجلا كثيرا من اهلها . ثم ان الروم (البيزنطيين) عادوا فغلبوا على هذه السواحل فى آخر خلافة عمر واول خلافة عثمان » فقصدهم معاوية ففتحها ثم رمها (اصلحها) وشحنها بالمقاتلة واعطاهم القطائع (فتوح البلدان : ١٢٦) .

وقال اليعقوبى عن اولئك المقاتلة انهم «قوم من الفرس – نقلهم معاوية الى بيروت – لتحصينها ورد الاعداء عنها . وصار المسلمون يزدادون ، والروم (البيزنطيون والنصارى)

يقلون مع الأيام حتى صار اكثر سكانها مسلمين ». (كتاب البلدان، ليدن ، ص ٣٢٠)

ولما فتح المسلمون بلاد الشام (وهي بالتعريف المعاصر : سورية الجغرافية ، أي فلسطين والاردن وسورية ولبنان) قسموها الى خمسة اجناد وجعلوا دمشق واحدا منها ، ثم قسموا الاجناد الى كور وجعلوا بيروت كورة تابعة لدمشق .

واستطاب بعض الامويين مناخ بيروت ، وبهجة بحرها وسهلها الاخضر ، تحيط بها جبال السحر والعطور ، فصاروا يرتادونها للنزهة، منهم الوليد بن يزيد بن عبد الملك، وقد اقام فيها مرات قبل خلافته ، وله فيها شعر وهوى ... وذكريات لم تفارق باله وقلبه حتى بعد الخلافة . ومما قاله فيها :

اذا شئت تصابرت
ولا اصبر ان شئت
ولا ، والله ،لا يصبر في البرية الحوت
الا يا حبذا شخص
حمت لقياه بيروت !

وانجبت بيروت في عهدها الاسلامي الاول جلة من العلماء ، افضلهم ، وافضل اهل زمانه في الاربعين ، الامام العلامة الورع ابو عمرو عبد الرحمن الاوزاعي ، المفتى الاعظم الذى اجاب في سبعين الف مسالة ، وصار يعمل بمذهبه في المشرق والمغرب العربيين ، فترات متفاوتة ، واجمع العلماء الكبار على انه « افضل أهل زمانه » و« عالم الامة » ، وقال فيه الحكم : « الاوزاعي امام عصره عموما وامام اهل الشام خصوصا » .

واشتهر الاوزاعي بتسامحه مع بني قومه من غير المسلمين ، ورد عن مسيحييهم غوائل الظالمين ، وصار امره في مواطنيه « اعز من امر السلطان » احسن الله تعالى الى العالم الشيخ طه الولي الذى بعث سيرته الطاهرة في كتاب قيم عنوانه : « عبد الرحمن الاوزاعي ، شيخ الاسلام وامام اهل الشام » ـ دار صادر بيروت .

وخرج الامام الاوزاعي على شاطيء البحر بمدينتنا ، في محلة تعرف اليوم باسمه ، قامت فيها مصايف ومسابح كثيرة .

والرحالة ابن حوقل الذى عاش في القرن العاشر وصف بيروت بانها : « بها يرابط اهل دمشق وسائر جندها . واليها ينفرون عند استنفارهم . وهم ليسوا على جفاء في الاخلاق وغلظة وفيهم من اذا دعي الى الخير اجاب ، واذا ايقظه الداعي انتبه ، وببيروت هذه كان مقام الاوزاعي . وهي ذات نخيل وقصب سكر وغلات متوفرة . وتجارات البحر عليها دائرة ، وسابلتها غير منقطعة ، حصينة خصيبة ، متينة السور، رخيصة الاسعار ، جيدة الاهل مع منعة فيهم من عدوهم ، وصلاح في عامة امورهم » .

(المسالك والممالك ، ص ١١٦) .

الحروب الصليبية المشئومة

وكانت الحروب المشئومة ، المنعوتة بالصليبية ، فجاءت بالوبال على الشرق العربي وسجلت في تاريخ بيروت صفحات ...

وقاسمت بيروت من كر اولئك المتحاربين وفرهم أبشع هول ، ولكنها عرفت ايضا بعض رفاهية وازدهار ، ولا سيما فى عهد الاسرة « الابلينية » التى اخذت المدينة صلحا من ورثة البطل العبقرى صلاح الدين الايوبى ، بسبب تخاذلهم وتنافرهم وكان عليها يومها عامل منكود الحظ اسمه عز الدين اسامة، قص خبره صالح بن يحيى فى « كتاب تاريخ بيروت » (ص ٢٥)

ولما تولى البحتريون نزلة بيروت فى عهد المماليك بنو هم ايضا بعض منازل فخمة ومثلهم بنى المعنيون والشهابيون حكام لبنان ، ولكن جميع تلك العمارات لم يبق لها من اثر !

وكان حكم عمال المماليك فوضويا، مضطربا كل الاضطراب ، قاسيا على « بر الشام » ، تعست به بيروت من شدة تقلبهم فى الراى ، وتسرعهم فى البطش ، وقساوتهم فى العقاب وخرب البيوت . الا ان امراء بيروت من البحتريين اللبنانيين ، وهم عمال محليون لاولئك المماليك ، عاشوا على الرفعة من الاخلاق والكرم والمعروف (وهم من بنى معروف الموحدين : الدروز) فعدلوا فى حكمهم واحسنوا الى الناس مع مراعاتهم اغراض السياسة المماليكية .

ولا يزال باقيا من اثار ذلك الزمان الملوكى محلة « المسيطبة » اى المسطبة التى عمرها فى بيروت سيف الدين بيدمر نائب المماليك البحرية لصنع السفن من خشب حرجها التاريخى . وباقية ايضا ، محلة « الاشرافية » ، التى انشئت مزرعة فى الضواحى للملك الاشرف خليل قلاوون وهى الان من اكبر احياء بيروت بسكانها .

وفى سنة ١٥١٦م . غزا العثمانيون الشرق العربى وابقوا بيروت ملحقة بالشام ، لا يذكر لها شان ، اكثر من ثلاثة دهور حتى احتلها ابراهيم (باشا) ابن محمد على والى مصر ، وطال احتلالها ثمانى سنوات فتنفست الصعداء ... وفى ذلك العهد نشا اول مجلس شورى فى لبنان ، مقدمة للحياة النيابية التى نعيش فيها .

وفى سنة ١٨٤٠ اطلق الانجليز والنمسويون والعثمانيون القنابل على المدينة لاخراج الجيش المصرى منها ، ورفقوا .

وفى المنتصف الثانى من القرن الماضى اسست فى بيروت المعاهد العلمية الاجنبية واللبنانية ، وزخرت بالمطابع والمطبوعات والاندية الادبية التى نفخت فى العرب نهضة ايقظت قوميتهم ، وفى تلك النهضة جاءنا مجاهدان عظيمان اولهما البطل المسلم النبيل الامير عبد القادر الحسينى الجزائرى ، والاخر المصلح الخالد الاثر الشيخ محمد عبده .

وابت حكومة روما الا ان تقتفى بعد سبعين سنة خطا اختها الانجليزية فاطلق اسطولها النار على مدرعة عثمانية فى مرفأ بيروت انزلت اضرارا بالعمارات المجاورة .

وفى بيروت طارت الشرارة الاولى من ثورة ١٩٤٣ التى انتهت باعلان استقلال لبنان تاما ناجزا . فصارت لبنان منتدى المؤتمرات الدولية .

وبيروت اليوم المدينة السياحية الوحيدة بطابعها العالمى ، الذى لا لون له ، لانه مركب من جميع الالوان : فيها الجامعات العلمية والمقاصف ، والمعابد والملاهى ، وبيوت الصلاة .

ويبقى الجبل ، جبل العطور، موطن الضيافة والمعروف والسخاء والطرب، اثرا من لبنان الكريم الشامخ !

● يوسف ابراهيم يزبك ●
● المحث ●

... ربما يطول بك الطواف بين عواصم الدنيا ، فلا ترى مثل تونس : مدينة، عاصمة، تتنفس السحر والعطر من تاريخها العريق ، وتجمع فى تناسق بديع بين القديم والحديث ، والشرق والغرب ....

تونس الخضراء

منذ عصور موغلة في القدم انشئت مدينة تونس ..

فى عهدها الاول كانت تسمى « ترشيش » ، لكن التاريخ لم يحتفظ لها طويلا بهذا الاسم ، وكانت تحف بنشاتها اساطير وروايات كثيرة ... قبل ان تنتهيا تونس ، المدينة ، لدورها الكبير فى تقدم العمران وانتشار دعوة الاسلام ، عاشت طوال قرون عديدة مجرد قرية صغيرة متواضعة فى ظل جارتها العتيدة : قرطاج ... وعندما اشرفت طلائع الفتح الاسلامي على تلك الربوع ، تحقق لهذه القرية الصغيرة موعدها مع التاريخ ، فقد اختارها الفاتح الكبير حسان بن النعمان وخلفاؤه من بعده ، مقرا لقوات الاسلام بشمال البلاد التونسية ، وقاعدة تنطلق منها مسيرة الجهاد المظفر لنصرة دين الله ...

كان ذلك بعد تدمير قرطاج ، عام ٦٩٨ للميلاد

فقد بادر الفاتح العربي بتحويل القرية الصغيرة ـ تونس ـ الى ثغر حربى يتمتع بموقع اسهل دفاعا عن قرطاج ضد اية عملية انزال بحرية قد يقوم بها اسطول العدو ... فامر بحفر قناة تصلها بمنطقة حلق الواد، واقام فيها داراً لصناعة السفن ، وشجع انتشار حركة البناء والتعمير ...

وسرعان ما تحولت تونس الى قاعدة بحرية للفتح الاسلامي فى كامل الحوض الغربى للبحر الابيض المتوسط ، فتزايد فيها السكان ، ونشطت حركة العمران ، وكان الاهالى ياخذون من اطلال قرطاج ما يحتاجون من المعدات وحجارة البناء والاعمدة التى يستخدمونها فى اقامة المنشآت ، ولا تزال بعض هذه الاعمدة ماثلة فى جامع الزيتونة الكبير ، الذى شيد فى عام ٧٣٢



الروابي الخضر شاهد ساحرة تحيط بتونس العاصمة

ميـــلادية ، بأمر من عبد الله بن الحبحاب والي الخليفة الاموى بدمشق وقبيل غزوة بنى هـــلال - كما يسجل الدكتور عبد الرحمن حميدة فى دراســـته القيمة عن الجغرافية الاقليمية للجمهورية التونســية - كانت تونس لا تزال تبدو كمدينة هامة بسورها المبنى بالطوب وبالحجر المنحوت ، وأبوابها الخمسة ، والميناء الذى كان يغلق خلال الليل بسلسلة من الحديد ، والحمامات المنتشرة فى مختلف الاحياء ، والاسواق ، والجامع الكبير ...

وفى عهد الحفصيين ، عام ١٥١٦، أصبحت تونس مدينة كبرى ، يتجاوز عدد سكانها ٢٠٠ الف نسمة ، كما اصبحت اجمل مدن المغرب الكبير ، واحدى عواصم الاسلام ...

وقد اهتم اول ملوك الحفصيين ، ابو زكريا ، وخلفاؤه من بعـــده بتجميل مدينة تونس ، وتنميتهـا ، فأصبحت محاطة كلها بســور كبير تتخلله بوابات عـــديدة ، لا يزال بعضها قائما حتى اليوم ، من هـذه الابواب باب البحر ، والباب الجديد، وباب البنـــات ، وباب ســويقة ، وباب المنارة ، وباب الجزيرة وغيرها، كما كثرت فيهـــا الجوامع ، واتخذ جامع الزيتونة شـــكل جامعة مع كليات متنوعة بأســاتذتها وطلابها ، على غرار معاهد دمشق وبغداد ، بحيث كانت وريثة معاهد قرطبة ، وحدثا فريدا فى المغرب الاسلامى ..

ومع النهضة العمرانية كان ازدهار تونس يقوم على الصناعة والتجارة، فقد بنى ابو زكريا حول الجامـــع الكبير أسواقا مسقوفة بعقود الحجارة والاقواس ، وخصصـــها لعديد من المهن ، منها سوق باعة العطور ، وتجار الحرير ، وأصحاب المكتبات ، والصاغة ، والعطارين ، وكتبـــة العقود ...

وفى الساحات العامة كانت تعقد أسواق يومية أو اسبوعية ، منهـا سوق الغنم ، وسوق الخيل وســوق القمح وغيرها ...

وفى عام ١٥٦٨ ميلادية ، عقب جلاء المسلمين عن الاندلس ، جاء

تونس الخضراء

الى مدينة تونس ، نحو ثمانين الف اندلسي ، واستقروا فيها وفي المدن القريبة منهـا ، وانصرفوا الى صناعة الطرابيش والاقمشة الحريرية والزجاج ، والقيشاني . وانشأوا في تونس المدينة حيا خاصا بهم . يسمى حي الحلفاوين ...

تتميز تونس ، شـأن قرطاج القديمة ، بموقعها البرى والبحرى الممتاز ... فهى تربض على حافة خليج محمى جيدا من رياح الشمال والشمال الغربي ، ينفتح عنه تلاقى حوض البحر الابيض المتوسـط الشرقي والغربي ، على مضـيق صـقلية كما تتلاقى فيهـا أودية ومنخفضات التل ، بالاضافة الى عدد من الطرق السـهلة المؤدية الى الجنوب عبر حاجز سلسلة الظهرية الجبلي ...

وقد اكتملت هذه المزايا الفـريدة لمدينة تونس ، بعد خطوط السكك الحديدية الموصلة اليها ، وشـق خمسـة طرق معبدة رئيسـية تتلاقى فيها ، واقامة ميناء جديد بالاضافة الى مينائها الخارجي في منطقة حلق الواد ، وكذلك انشاء مطارها الدولي الكبير ...

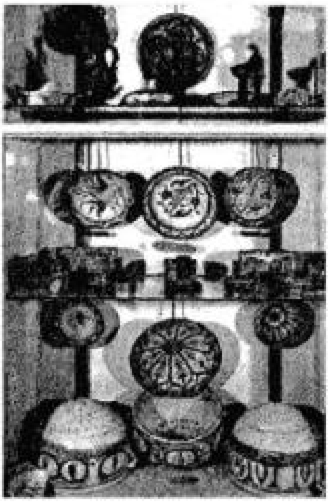
لقد عاشت تونس المدينة والعاصمة عبر تاريخها الطـويل ، الكثير من الأزمات والاحداث والامجاد ، ولكنها اكتسبت من كل ذلك تراثا زاخرا ، متنوع الانماط ، فريد المثال ...

حتى عام ١٥٧٤ كانت عاصـمة الحفصيين ، وعاصـمة اقليمية عثمانية او مملكة البايات شـبه المستقلة (١٥٧٤ ـ ١٨٣١) . كما كانت عاصـمة في فترة الفوضى والتدخل الفرنسي (١٨٣٧ ـ ١٨٨١) وظلت عاصمة للبـلاد التونسية في عهد الاسرة الحسينية وفرض الحماية الفرنسية (١٨٨١ ـ ١٩٥٦) حيث تحقق الاسـتقلال ، وزادت اهمية دورها كعاصمة للبلاد ...

وفي ظل الاسـتقلال ، وقيام نظام جمهورى رئاسي في البـلاد ، بدأت تونس العاصمة ، ومعها كل المدن والمراكز في انحـاء البلاد التونسية تعيش نهضة جديدة في شتى مجالات التقدم والعمران ...

كان عدد سـكان مدينه تونس ، حسب احصـاءات العام الاول للاسـتقلال ، عام ١٩٥٦ ، يتجاوز ٥٦٠ر٧٠٠ نسمة ، وفي عام ١٩٦٦ بلغ عددهم ٦٨٠٠٠٠ نسمة ، والان يصل عدد السـكان الي اكثر من ٨٠٠٠٠٠ نسمة ، وبذلك تحتل مدينة

الصنوعات الشعبية التى تشتهر بها مدينـة تونس



تونس المرتبة الثالثة بين مدن المغرب العربي فتأتي بعد الدار البيضاء (٦ر١ مليون والجزائر (٥ر١ مليون)

وقد ظلت تونس ، المدينة ، منذ القرن الثالث عشر ، العاصمة الثقافية ، او المدينة الاولى في المغرب الكبير الذى عرف (التعليم العالى) بالمعنى الحقيقي ... وصحيح أن جامعة تونس التقليدية ، او الزيتونة قد تعرضت لأزمات ومضايقات ادت الى انكماش دورها في فترة الاحتلال الفرنسي ، لكنها تعيش الآن نهضة كبيرة ، كما أن الجامعة التونسية الجديدة تقوم بدور بالغ الاهمية في بناء المجتمع التونسي الجديد ، فهي تقوم على أحدث النظم العالمية ، وتضم كليات الاداب والعلوم الانسانية ، والعلوم ، والحقوق ، والطب ، بالإضافة الى المنشآت التعليمية والثقافية الاخرى ، ومنها مركز البحوث الاقتصادية ، والاجتماعية والمدرسة القومية للادارة ، والمكتبة الوطنية ، والمتحف والمدرسة العليا للفنون الجميلة والمدرسة العليا للزراعة ...

كذلك تنهض تونس المدينة والعاصمة ، بالدور الرئيسي في النشاط الاقتصادى للبلاد ، ففيها الوزارات المختصة ، والبنك المركزى ، ومديريات المؤسسات والشركات الوطنية ... وتعتبر حركة ميناء تونس أهم أنواع النشاط البحرى الاقتصادى في البلاد ، كما تتركز في تونس وضواحيها ثلاثة أرباع النشاط الاقتصادى العام للمؤسسات الصناعية في الجمهورية التونسية ..

في المدينة العاصمة تونس ، يلتقي

السحر والعطر ، وجمال الطبيعة ، في تونس



تونس الخضراء



الشرق والغرب والقديم والحديث في تناسق بديع ، فالاحياء الجديدة بمنشاتها ومبانيها الشاهقة وطرزها الحديثة ، تشير بوضوح الى تاثيرات اوربا والغرب ... بينما الاحياء التقليدية القديمة تنضح بعطر الشرق القديم وسحر صوره والوانه ...

الاسواق المسقوفة والعارية في الاحياء القديمة تملأ النفس سكينة ، وتثير الاهتمام بطرزها المعمارية والتاريخية التي تعتبر من اجمل واطرف الاحياء القديمة المتبقية في العالم العربي ...

وخلال الجولة في اسواق هذه المدينة القديمة ، تتوالى امامك المشاهد الاخاذة الباهرة ... وسط جو مشبع باريج العطور والعنبر ... فهنا سوق مزخرفي الصواني ، بحي جامع الزيتونة — وهنا سوق القماش ، وسوق العطارين ، وسوق الصاغة ، ثم سوق البركة معقل الجواهرية وتحفهم النادرة ...

وعندما تواصل جولتك بين احياء المدينة القديمة فسوف تلفتك روائع العمارة التونسية العربية الاصيلة المتمثلة في مجموعة من القصور الفخمة الفذة القديمة التي كانت تسكنها الاسرة التونسية ، ومن هذه القصور دار حسين ودار بن عبد الله .

على ان اروع القصور والمباني الاثرية القديمة ، يتمثل في جامع الزيتونة الشهير ، الذي ينتصب في قلب المدينة بمئذنته الشامخة في كبرياء ومهابة تأخذ بمجامع القلب .

ولقد ظل هذا الجامع الكبير دهورا طويلة يشرف على المغرب العربي ، وعلى جزء واسع من افريقيا السوداء منذ ان بناه في عام ١١٤ للهجرة ، عبد الله بن الحبحاب والي افريقية من قبل الخليفة الاموي بدمشق . ثم جدده وادخل عليه توسيعات كثيرة الخليفة العباسي المستعين بالله ، في عام ٢٥٠ هجرية .

ومن اهم العناصر الفنية في هذا المسجد الكبير قبة المحراب، والمنبر وقبة البهو ، وكلها من منشآت القرن الثالث الهجري ، اما الصومعة فهي حديثة جدا ، اذ اكتمل انشاؤها سنة ١٣١٢ هجرية ..

وتحفل تونس المدينة بالكثير من المساجد الاثرية العريقة ، فمنها ايضا مسجد الاشبيلي (في حي سوق البلاط) وقد انشيء في القرن الرابع الهجري .. وجامع القصر ، في حي باب المنارة ، بناه احمد بن خراسان في السنة العشرين من القرن السادس الهجري . وجامع القصبة ، وكان اسمه قديما جامع الموحدين ، اسسه الامير الحفصي ابو زكريا في نهاية القرن السادس الهجري .

وهناك ايضا جامع التوفيق وجامع الزراعية (٦٨١ هجرية) ، وجامع ابي محمد الحفصي في حي باب سويقة، وجامع باب الجزيرة البراني ،وجامع الحلق (القرن الثامن الهجري) ..



شارع الحبيب بورقيبة .. تناسق بديع ، وحدائق غنـاء في كل مكان

وجامع يوسف داى ، وجامع حمودة، وجامع محمد باى ، والجامع الجديد، وجامع صاحب الطابع .

اما القباب في تونس القديمة فمنها قبة سيدى بوخريسان (٤٨٦هجرية) وقبة مسجد القبة (القـرن الخامس الهجرى) ، وقبة سيدى قاسم الزيلى (٩٠٢ هجرية) وهو من المسلمين الذين جاءوا الى تونس بعد سـقوط غرناطة في الاندلس . وقد بنى هـذه القبة ، ودفن فيها بعد وفاته ، كمـا دفن فيها من بعد اخر ملوك الحفصيين احمد المشهور بحميدة ، وذلك في سنة ٩٤٨ هجرية ..

لقد تطورت تونس العاصمة تطورا كبيرا ، ولا تزال ــ كما يقول المؤرخ ج . دبيوا في كتابه الشامل عن البلاد التونسـية ــ افسح واجمل مدينة اسلامية بالمغرب ، فهى مدينة عريقة، لها قدم راسخة في الادارة والتجـارة والصناعة التقليدية ... وقد بقيت محتفظة بالجوهر من منظرها الحضرى القديم بما اشتبك من ازقتها الضيقة ودورها ذات السطوح المبيضة بالجير والابواب الخارجية المكسـوة الوانا زاهية ، وبمعالمها الاثرية واحيائهـا المتميزة بعضها عن بعض ..

والاسواق فيها ، وخاصة حـول الجامع الكبير ، جامع الزيتونة، حافلة بالحركة خلال النهار ، مقفرة بالليل، وهناك انفصال واضح بين حى النشاط التجارى ، واحياء السكنى (كما هو الشأن في سائر المدن الاسلامية).

اما الاحياء الحديثة ، ويسمونهـا المدينة الحديثة ، في تونس العاصمة، فقد اقيمت في اواخر القرن الماضى ، خارج باب البحر ، وفي منطقةشاسعة كانت تغمرها مياه البحر ..

ويعتبر شارع بورقيبة ، واسطة العقد فيهذه المدينة الحديثة الجميلة تحيط به وتتفرع منه الشـوارع الاخرى بنظام بديع ... وهو شارع عريض ، مشجر ، وتشكل الشوارع والسبل القاطعة له زاوية قائمة ، لاسيما شارعى باريس وقرطاج اللذين يشكلان المحور الرئيسى الذى امتدت على جانبيه المدينة ... وهناك تزدحم منشـات ومبانى البنوك ، ودواوين الشركات ، والمحلات الكبرى ، ودور السـينما ، والملاهى ، والمقـاهى ، وكذلك محـطات ومواقف وسـائل المواصلات وحافلات النقل العـام في اتجاه المدينة ومن الضواحى واليها..

وفي ساعات الاصيل من كل يوم يزدحم شارع بورقيبة بافواج المتنزهين تحت اشجاره الباسقة ، وبين باعة الزهور الانيقة الفواحة ، الذين يملأون رحاب اجزاء واسعة من هذا الشارع الفخم الفريد ..

ومن شارع بورقيبة تتفرع الطرق والشوارع المؤدية الى اشهر المعالم في المدينة العصرية الجميلة ، الى دار ثقافة ابن رشيق ، ودار ثقـافة ابن خلدون ، وقاعة البلدية لعـرض الفنـون في شارع قرطاج ، وكذلك ساحة برشـلونة ، والحى الاولمبى بالمنزه ، وحديقة الحيوان في البلفدير، ومسرح بلدية العاصمة ...

وضواحى تونس ، في الشـمال والجنوب ، تحفل بالاثار الهـامة

تونس الخضراء

والمتاحف والمنشآت العمرانية ومظاهر الطبيعة البديعة الساحرة ..

ضاحية حلق «الوادي» تتميز بموقعها الاستراتيجي الهام ، وتضم أهم الموانيء في البلاد التونسية ... وتشتهر بأنها مركز الأكلات التونسية الشهية ، حيث تتوافد عليها الجموع في الصيف وتتنافس مطاعمها في تقديم ما لذ وطاب من ألوان الطعام التونسي الأصيل وخاصة ما اعتمد منه على أسماك البحر ..

أما قرطاج ، ذات الشهرة العريضة والتاريخ العريق ، ففيها يقام كل عام « المهرجان الثقافي لقرطاج » الذي تتبارى فيه الفرق التمثيلية والموسيقية القادمة من مختلف الأقطار ..

ورغم مرور الأعوام وتوالي الأجيال فلا يزال اسم قرطاج يثير التقدير والاجلال .. وصحيح أن قرطاج العتيدة لم يبق منها الآن إلا أطلال وبقايا آثار مختلفة ، ولكن متحفها الكبير في نفس الموقع يضم الكثير من بقاياها التي تعرض في هذا المتحف وفي متاحف أخرى بتونس ، تحدث الأجيال عن عظمة قرطاج ، وأبنائها الأبطال الذين بهروا الأمم المعاصرة لهم بالبسالة والاقدام والهمة العالية. ومنهم أميلكار وابنه حنبعل ، والرحالة حنون الذي وصل في رحلته البحرية الطويلة الى بلاد الكمرون..



وهناك أيضا المصيف الفتان ، القائم على ربوة شماء تشرف على خليج تونس – مصيف سيدي أبي سعيد ، الذي تلتقي فيه معالم الطبيعة الخلابة ، بالعمارات الاسلامية ، ونماذج الصناعات التقليدية العريقة وحدائق الزهور البديعة التي تنفث السحر والعطر والجمال .

ومن أجمل ضواحي العاصمة ، تونس ، وأحفلها بالعمران ، ولطف المناخ – والموسى « قمرط » ... فقد اجتذبت هذه الضاحية منذ قرون عديدة ، نخبة من سراة العاصمة التونسية فازدهرت ، وانتشرت في انحائها القصور والدور الأنيقة .. وفي مواسم الحر تزدحم هذه الضاحية بالمصطافين وجموع الزوار القادمين من العاصمة للاستمتاع بحدائقها الغناء ، وشواطئها الناعمة الرمال ، ومباهجها المتنوعة وخاصة « مقهى الصفصاف » الشهير بما يقدم من ألوان الأطعمة والشاي المعطر بالنعناع ، والقهوة العربية الأصيلة ومشهد البئر القائم بفناء المقهى منذ العهد الأغلبي ويستخرج ماؤها بواسطة ساقية يديرها جمل معصوب العينين !

ومن الضواحي الجنوبية لتونس العاصمة: رادس ، ذات التاريخ العريق ... والزهراء بشوارعها المتناسقة، وبيوتها التي تحوطها الحدائق الغناء ويلفها الهدوء على شواطيء بحر ناعم الرمال ... أما « حمام الأنف » فهي أهم مراكز الضواحي الجنوبية ، وأعرقها وأوسعها شهرة وعمرانا بأفضل منابع المياه المعدنية المتدفقة من الجبل هناك ، وهي مياه ذات منافع صحية وطبية أكيدة المفعول ..

● ن . ع ●

بسم الله الرحمن الرحيم

يسر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية أن يزود المكتبة الإسلامية والقارئ العربي بأشهر مخطوطات التراث الإسلامي محققة تحقيقاً علمياً دقيقاً ومبوبة ومفهرسة لأول مرة.

بصائر ذوى التمييز – فى لطائف الكتاب العزيز

تاليف مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادى

المتوفى سنة ٨١٧ هـ

تحقيق المرحوم الشيخ محمد النجار والاستاذ عبد العليم الطحاوى

يعد هذا الكتاب فى مقدمة العلوم القرآنية، ويعتبر ثروة فكرية انسانية وكنزا من كنوز العلوم، جامع لمقاصد العلوم والمعارف فى عصره حتى العلوم الدينية، اداره مؤلفه على ما فى الكتاب العزيز من لطائف جلاها فى بصائر وضمن كل بصيرة دقائق ودقائق، واصبح الكتاب جملة بصائر، تشتمل على تفسير القـــرآن الكريم كله بالاحكام، ولم يخل من توجيهات نحوية واشارات بلاغية •

ستة اجزاء : الجزء الاول : ٦٠٠ر١	الجزء الثانى : ٥٠٠ر١	
الجزء الثالث : ٥٠٠ر١	الجزء الرابع : ٥٠٠ر١	
الجزء الخامس: ٥٠٠ر١	الجزء السادس: ٥٠٠ر١	

(مليم جنيه)

المحتسب فى تبيين وجوه شواذ القراءات والايضاح عنها

تاليف أبو الفتح عثمان بن جنى

تحقيق الاستاذ على النجدى ناصف والدكتور عبد الفتـــاح اسماعيل شلبى ••

اتسعت وجوه القراءات وتنوعت الحروف المقروءة تبعا لكثرة القراء وتنقلهم فى الامصار • وقد اختار ابن جنى القراءات الشاذة، وبين علاقتها بأصول النحو ووجوهها فى الاعراب مستشهدا بشواهد الشعر ونصوص اللغة وأقوال العلماء

مليم جنيه

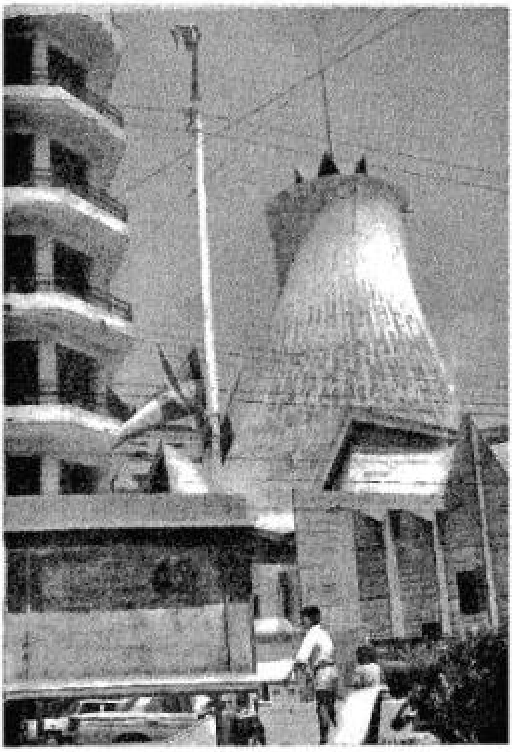
جزءين لا ثمن الواحد ٥٠٠ر١

يشرف على إصدارها: **محمد توفيق عويضه**

مراكز البيع

القاهرة: ٣ شارع الأمير قدادار "خلف عمارة بحري" ميدان التحرير -

الاسكندرية: فرع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ٤٩ شارع سعد زغلول - الدور الرابع -



الجزائر البيضاء أسطورة البطولات

محمد حسن

ليس صحيحا ان كل العواصم تتشابه .. هى قد تتشابه في شوارعها الفسيحة وابنيتها الانيقة ، باعتبارها واجهة البلاد ، ومقر الحكومة والسلطات ولكن كل عاصمة تنفرد بصفةليست في باقى العواصم،

فمدينة الجزائر اختارت اللون الابيض رداء ، فسميت « الجزائر البيضاء » ،

وصحيح ان شوارعها الرحبة ـ الفساحة ـ تغطيها الاشجار الوارفة ، الا ان الجزائر البيضاء تنفرد دون عواصم العالم بحي القصبة الاشم ، ينتصب شامخا بامجاده وبطولاته ..

يصف أحمد بن سحنون الراشدى ـ الجزائرى ـ جزائر القرن العاشر ، فى كتابه ، الثغر الجمانى ، فيقول : « الجزائر فى الأصل جمع جزيرة ، وهى أرض فى البحر ينجزر عنها المد ويقال جزائر السعادة ست جزائر فى البحر المحيط من جهة الغرب ، تنبت كل فاكهة وريحان وورد بغير استنبات ، واستعمل فى عرفنا اسما لهذه المدينة القاهرة ·· وكانت تعرف بقلعة بنى مزغنة ، وهم من طوائف صنهاجة ·· ويقال ان بلكين بن زيرى ، خليفة العبيديين على المغرب ، هو الذى ابتناها ·· ولم تكن مسورة فى القديم ، وانما سورها هؤلاء القوم وحصنوها أحسن تحصين ·· فهى اليوم لا تنال ، ولا يطمع فى أخذها الا من يطمع فى المحال ·· » ··

وفى قول آخر ، أن البربر هم الذين انشأوا مدينة الجزائر ، فى مكان مدينة اكرسيوم الرومانية القديمة ··

ويصف القس الانجليزى شو ، جزائر القرن الثامن عشر ، فى كتابه « رحلة الى ولاية » فيقول : « هذه المدينة ، التى تحدت منذ عدة قرون ، الدول المسيحية صولة وبأسا ، مبنية على شكل نصف دائرة متدرجة ، على سفح هضبة ممتدة الى خط البحر ، وباستثناء الشارع الرئيسى ، فغالب الطرقات ضيقة ·· والمبانى ذات طوابق ثلاثة فى الاكثر الغالب ، ولها سطوح مطلية بالجص تضفى على المدينة طابعا خاصا ، يلجون اليها من أبوابها الستة · وأسوارها مدعمة بالابراج المربعة ، وترتفع أربعين قدما من ناحية البحر ، وثلاثين قدما من ناحية البر ، وسمكها اثنتا عشرة قدما · وقاعدة الاسوار من الحجر والباقى من الاجر ، وعرض الخنادق عشرون قدما وعمقها سبعة اقدام · وتحرس المدينة ـ عدا قلعتها الجاثمة فى المنطقة العليا ـ عدة مراكز للمدفعية متطرفة وموزعة على الساحل ، وسبعة بروج ، احدها بجزيرة المنارة ، وهو يحمى الميناء مباشرة ، وبرجان يحميان الجون ويمنعان الاقتراب من الحامية من جهة البحر ·

« وتتكون الميناء من جزيرة صغيرة يشدها معبر الى الارض · ولا يوجد بالمدينة ميدان واحد ، ولا حديقة واحدة ، وانما يوجد بها عشرة جوامع ، وخمسون مسجدا ، وثلاث مدارس ثانوية عمومية، وعدة مدارس صغيرة ، وخمسة سجون ، واثنا عشر حماما عموميا عاديا ، واثنان وسبعون حماما بخاريا ·· ومائة وخمسون سبيلا للماء على ذمة السكان ·· وتوجد عدة قصور جميلة مبلطة بالرخام من اعلاها لاسفلها ، تعتمد على عمدان مرمرية ، وسقوفها مزركشة بيد صناع ، ولا تختلف عن غيرها من البيوت فى مظهرها

الجزائر

الخارجي ، بنى اغلبها الباشوات او كبار التجار ..

• ولا يعرف بالضبط عدد سكان العاصمة الجزائرية ، فبعضهم يقدره بثمانين الفا ، وبعضهم بمائة وخمسة وثلاثين الفا او بمائة وثمانين الفا ،

اما جزائر اليوم فتبدو للناظر وكانها شلالات من البيوت البيضاء الهابطة من عل الى مياه البحر الابيض الزرقاء ، ويبدو حي القصبة القديم مكانه معلقا فوق البحر ، ومنه تهبط اعداد لا حصر لها من الدرج والطرق الى قلب المدينة، حيث تتداخل البيوت الموريتانية الطراز مع المباني الحديثة والشوارع الواسعة وناطحات السحاب .

والجزائريون لا يعتبرون مدينة الجزائر واجهة البلاد الحقيقية ، ولعلها تختلف في هذا المجال عن العواصم الاخرى . غير انه اذا كان قلب الجزائر يخفق خارج العاصمة ، الا ان المدينة البيضاء تمثل الاسطورة القريبة .. فيها القصبة ، وباب الواد والفوروم ، وقصر الشعب .. كل ركن في المدينة حافل بالذكرى ، طوى التاريخ صفحة الاستعمار ، ولكن بطولات الكفاح لا تزال ماثلة في الاذهان رغم مضى اكثر من احد عشر عاما ، ولكن الجزائريين لا يتوقفون للذكرى ، وانما يشملهم الجد والعمل .. واول ما يلاحظه من يزور الجزائر لاول مرة هو طابع الجد الموجود في كل مكان .

•••

ومنذ استقلال العاصمة البيضاء تضاعف السكان ، من ٨٠٠ الف الى مليون وستمائة الف نسمة ، ولذلك فان ازدحام حركة المرور هو ابرز ما يميز المدينة .. كل الجزائر ممثلة في العاصمة ، حيث تختلط الوجوه والاشكال : سمر ، وشقر ، وبيض ، وسود .. ملاءات ، وبراقع ، وعمائم، وبرانس .. يجتمع فيها القادمون من

لقطة من مدينة الجزائر البيضاء



اعماق الصحراء ، والنازلون من اعالى الجبال ، بالاضافة الى سكان المدن الداخلية واهل القبائل ·· الكل جاء الى العاصمة ليشترك فى الثورة ، ثم ليستقر بعد ذلك ويعمل ·· تيـــار النزوح من الريف الى المدينة تعرفه العاصمة البيضاء ، كما تعرفه جميع مدن العالم وعواصمه الكبيرة·· ولكن المدينة لم تتطور عمرانيا تطورا كبيرا وكثير من القادمين الجدد لم يتأقلموا بعد لحياة المدينة ، فشهدت العاصمة جميع انواع الازدحام ، وكل وســـائل العيش : القديم منها والجديد ···· حركة دائبة بالنهار ، وعند المســاء تختفى الحركة ، ويأوى الناس الى بيوتهم مبكرين ، فلا يبقى من النهار الا وهج الشمس الذى يلون البيـــوت بالضياء الدائم والبياض الناصع ،

والمدينة البيضاء ، مثل معظم مدن الغرب والمشرق العربى ، تضم القديم والحديث ، وقديم المدينة البيضـــاء هو حى القصبة ، ووسط القصـــبة يشعر الانسان برائحة التاريخ : خلف الابواب الصغيرة ، والازقة المعتمة الضيقة ، والاســـطح المنخفضة ، والدرجات المتواضعة قصة او حكاية : هنا حدثت معركة ، هنا استشهد بطل، هنا وقف مكافح ، وهنا اختفى فدائى ·· كل مكان حصن او مخبأ ، وفى كل مكان كمين ·· فقـــد قاوموا الاســـتعمار فى كل ركن ومنعطف ، كتبوا تاريخ الجزائر بالحديد والنـــار والدم على كل بقعة من الارض ··· ارض المدينة طهرها عرق الرجـــال ودمهم وارواحهم ·· لذلك فـــان شوارعها لا تحمل الا اسماء الشهداء

وفى شوارع القصبة وأزقتها تكاد تحس بصدى تلك الايام العصيبة : خلف الستائر تمتد الايدى الخفيـــة لتراقب ، وتتصنت الاذان لوقع اقدام جنود العدو تطارد فدائيـــا او تفتش عن مكافح ·· القصبة اليوم لا تزال كما هى : مقرا يتسع لكل جزائرى ، خاصة بعد زيادة ازمة الاســـكان ·

وفى القصبة احيـــاء وطرقات وحوانيت وحمامات واسواق شرقيـــة حافلة بالحياة ·· هى مدينة مكتفية بذاتها ، كانها منسلخة عن باقى احياء العاصمة الغربية الطابع ، ولكن حى

باب الواد حى مختلط ، فيه كان يقيم غلاة المستعمرين المتعصبين « للجزائر الفرنسية » ، ومن هذا الحى خرجت منظمة الجيش السرى الارهـــابية الفرنسية .. وفيه سجن بارباروس الذى كان المستعمر يجرى فيه عمليات الاعدام بالجملة ، فضلا عن التعذيب الوحشى ، لقد تحول السجن الرهيب الان الى متحف وطنى ، يروى قصة الكفاح والعرق فى سبيل الاستقلال.. وفى الحى ، قصر الشعب ، الذى كان مقرا للمقيم العام الفرنسى ، من امثال سوستيل ولاكوست وغيرهما .. وفى الحى مبنى الفـــوروم حيث وقف الجنرال ديجول فى زيارته الاستطلاعية التاريخية يستمع لغلاة المســتعمرين من المستوطنين الفرنســـيين وهم يعوون : « الجزائر فرنسية » .

وفى قلب مدينة الجزائر مسجد « كتشاوه » : كان مسجدا ، ثم حوله الاستعمار الى كنيسة حتى سنة ١٩٦٢ .. وبعد الاستقلال عاد سيرته الاولى .. ولا تزال بالمسجد اثار الكنيسة ، وبقايا المسجد .. ولكنه الان قبلة السيـــاح ، يشاهدون قمة التزمت الاستعمارى وفلسفته التى تريد مسخ وتشويه الوجه الجزائرى. والى جوار المسجد تجد بيت على باشا ، حيث جرت مأساة زهرة ونفيسة : أختان طاهرتان شريفتان أحبتا شابا واحدا، ورفض الاب ان يزوجه لواحدة منهما فاضربتا عن الطعام حتى الموت !

وجامعة الجزائر تعد من اكبـــر جامعات افريقيا ، وتضم كليات الطب والصيدلة والحقوق والعلوم والفنـــون والاقتصاد والاداب والعلوم الانسانية وبعض المعاهد العالية ، ويؤمها اكثر من ١٦ الف طالب .. وكانت الجامعة تضم مكتبة ضــخمة بها الكثير من النفائس والمخطوطات الاثرية : كانت تضم أكثر من نصف مليـــون كتاب ومخطوط ومجلد ، ولكن الاســتعمار احرق الكثير منها فى عام ١٩١٢ ، ولكن تم الان اعادة بنائها وتزويدها بالكتب والمجلدات .. ولكن اهم حدث ثقافى فى الجزائر اليوم هو حـــركة « التعريب » : اعادة الوجه العـــربى للجزائر .

ويستقبل مطار « الدار البيضاء » اعدادا كبيرة من الزوار ، لان كثيرا من المؤتمرات الهـــامة تنعقد فى العاصمة الجزائرية لمناقشة المسائل الدولية العاجلة ، وعلى بعد ٢٠ كيلو مترا من العاصمة ، وعلى شـــاطىء البحر الابيض المتوسط ، يرتفع قصر الامم .. مقر الاجتماعات واللقاءات التى تجتذب اهتمام العـــالم كله .. لانها تترجم ارادة الشعوب المتطلعة الى التقدم والحرية .

ان المدينة البيضاء اسطورة خالدة للبطولات ...

بسم الله الرحمن الرحيم

يسر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية أن يزود المكتبة الإسلامية والقارئ العربي بأشهر مخطوطات التراث الإسلامي محققة تحقيقاً علمياً دقيقاً ومبوبة ومفهرسة لأول مرة.

سبيل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد

للامام محمد بن يوسف الصالحي الشامي المتوفى سنة ٩٤٢ هـ

تحقيق الدكتور مصطفى عبد الواحد

يعتبر موسوعة كبرى تشتمل على نحو الف باب ، جمع فيه المؤلف أطراف السيرة فى كل جوانبها وحكى فيه جميع أقوال من قبله ويعد أشمل كتاب فى سيرة سيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ويقع فى ثلاثة أجزاء

مليم جنيه

الجزء الاول : ٥٠٠ر١ ـ وقريبا الجزء الثانى والثالث

غاية المرام فى علم الكلام

لسيف الدين الآمدى (٥٥١ ـ ٦٣١ هـ)

تحقيق الاستاذ حسن محمود عبد اللطيف

هو من الكتب النادرة التى تتضمن الدفاع عن العقيدة بالادلة العقلية والنقلية والرد على المبتدعة المنحرفين عن مذاهب السلف وأهل السنة ٠

مليم جنيه

الثمن : ٥٠٠ر١

السيل الجرار المتدفق على حدائق الازهار

لشيخ الاسلام محمد بن على الشوكانى (١١٧٣ ـ ١٢٥٠ هـ)

تحقيق قاسم غالب أحمد ـ محمد امين النواوى ـ محمود ابراهيم زايد ـ بسيونى رسلان

هذا الكتاب من أمهات كتب الفقه الاسلامى ، ويعتبر من أعظم

مليم جنيه

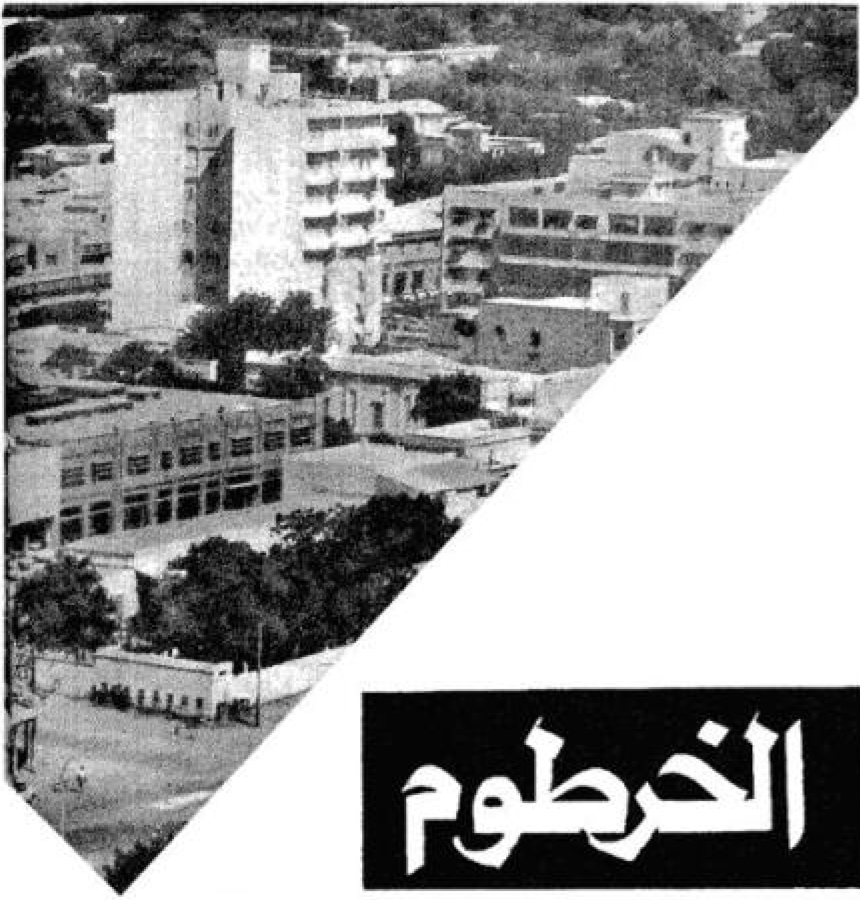
كتب التراث اليمنى : جزءين ٦٠٠ر١

يشرف على إصدارها محمد توفيق عويضه

مراكز البيع

القاهرة : ٣ شارع الأمير قدادار "خلف عمارة بحري" ميدان التحرير ـ

الاسكندرية : فرع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ٤٩ شارع سعد زغلول ـ الدور الرابع ـ



الخرطوم
العاصمة المثلثة

فوق بحر من الرمال ، يمتد فى كل اتجاه ، عند التقاء النيلين الابيض والازرق ، على قمة ارض الجزيرة وحافة اقليم السافانا الصحراوى .. وحيث يقوم بيت وحيد صغير تذكر فيه علوم الفقه وتعاليم الاسلام . . هنا – ولدت عروس افريقيا العذراء ، جوهرة السودان وعاصمته المثلثة : الخرطوم ..



منذ ثلاثمائة عام ، أو أقل قليلا على وجه التحديد فى عام ١٦٩١ ـ نزح الى البلاد السودانية عالم شاب، متفقه فى الدين من قبيلة المحس ، اسمه الشيخ ارباب ..

وفى الموقع الحالى لمدينة الخرطوم، وكان مجرد مساحة شاسعة من الارض الفضاء ـ اقام الشيخ لنفسه بيتا صغيرا متواضعا ، يستقبل فيه من يفدون اليه من الصيادين وأهل القرى القريبة ، ويشرح لهم مبادىء الفقه وتعاليم الاسلام ...

ثم تكاثر الوافدون ، وأقام البعض لانفسهم اكواخا قرب بيت الشيخ ..

وسرعان ما تحول الموقع الى ما يشبه قرية صغيرة تحوطها آفاق عريضة للتوسع والعمران . وكانت تلك هى انطلاقة الميلاد ونقطة البداية الاولى فى حياة الخرطوم ...

***

ولكن .. لماذا سميت الخرطوم بهذا الاسم ؟

فى دراسته التاريخية الموجزة ، عن العاصمة المثلثة ، يجيب الدكتور محمد السيد غلاب عن هذا السؤال ، فيقول : لانها بموقعها الجغرافى تشبه خرطوم الفيل (والفيل من حيوانات السودان) .

ومرت الاعوام ، من عهد الشيخ ارباب ، حتى جاء عام ١٨٢٠ ووصل المصريون السودان ، فعمروا المدينة حول معسكرهم ، واختاروها عام ١٨٢١ عاصمة للبلاد ، وسرعان ما توافد اليها التجار ، وتجمع السكان ...

تقول جريدة الوقائع المصرية ، فى عددها الصادر بتاريخ ٢١ ابريل ١٨٣٩ عن الرحلة المصرية الى السودان : « ... ومنذ أكثر من خمسة عشر عاما ، لم تكن مدينة الخرطوم ، الا مجموعة من عشرة اكواخ ... فلما رأى خورشيد باشا

ـ حكمدار السودان ـ حسن المكان ، وطيب هوائه ، دعا أسرا كثيرة من سنار وبعض عرب الصحراء الى

الاقامة فيه ، وبناء مساكنهم ··· وقد أصبحت الخرطوم الان (سنة ١٨٣٩) تضم اكثر من خمسمائة بيت مشيد بالطرق النظامية ، ومستشفى ، ومخازن كثيرة ، وحدائق مختلفة ··

وتتوالى الاحداث فى حياة الخرطوم

فقد شبت الثورة المهدية عام ١٨٨١ ، وحاصرت جيوشها مدينة الخرطوم، ثم اقتحمتها ودمرتها بعد أن قتل الحاكم الانجليزى جوردون باشا ، عام ١٨٨٥ ·

وترك المهدى الخرطوم واستقر فى ام درمان ، التى نمت وأصبحت العاصمة الوطنية للبلاد ، وظلت كذلك

لمدة تتجاوز ثلاثة عشر عاما ·· ثم أعيد بناء الخرطوم وتعميرها ،وعادت كما كانت عاصمة للبلاد ، منذ عام ١٨٩٩ فى أعقاب اعادة فتح السودان ···

●●●

وتوالت خطوات التقدم والعمران فى أنحاء الخرطوم عاصمة البلاد ·· فانتشرت فيها منازل الاعيان وكبار الموظفين ، والفنادق الفخمة ، والمتاجر الكبيرة، والشوارع المنسقة ، والميادين الكبيرة ··· وأصبحت « العاصمة المثلثة » التى تشمل ام درمان ، والخرطوم ، وخرطوم بحرى ··

وتميزت الخرطوم عن غيرها من مدن السودان ، بأنها مركز النشاط الاجتماعى والسياسى ، وبها الصحف اليومية والأسبوعية والشهرية ، ودلائل الرقى والحضارة ··

وتقع ام درمان فى مقابل الخرطوم على الضفة الغربية للنيل ، ولها شهرة

تجارية واسعة ، وخاصة فى المصنوعات الوطنية والجلدية والتى



جامعة الخرطوم من معالم مدينة الخرطوم جوهرة السودان ···

تعتمد على العاج (سن الفيل) ...
ومن اهم المعالم المميزة لام درمان سوقها التجارية الكبرى ، فهي مجمع الحاصلات للسودان ، وفيها تنتشر محال التحف ، وريش النعام ، ومنتجات الصناعات الدقيقة من الذهب والفضة وغيرها ...

والمقرن (بضم الميم) ، الذى يقترن عنده النيلان الازرق والابيض ، هو مرفأ البواخر والمراكب وفيه حديقة الخرطوم العظيمة ، ومنه سارت بعوث الرجال والعلماء والرواد والمكتشفين تفتح مناطق الجنوب لنور المدنية والحضارة .

أما القسم الثالث للعاصمة المثلثة ، فهو خرطوم بحرى ، ويصله بالخرطوم جسر (كوبرى) على النيل الازرق ، وبه مبان حديثة وقديمة ومنشآت على النيل الازرق ..

***

وقد تضمنت مراحل تعمير الخرطوم ، ان تشيد فى الجهة المطلة على النيل المبانى الحكومية ، ومقر الحكومة ، والجامعة ... وفى عام ١٩١٠ مد الخط الحديدى القادم من الشمال عبر جسر النيل الازرق وينتهى لمحطة الخرطوم ، وانشىء طريق رئيسى بين محطة السكة الحديد ومقر الحكومة ، وأرصفة نهرية للسفن القادمة من مصر عند المقرن ، كما انشىء جسر ام درمان عام ١٩٢٨ على النيل الابيض .

وبعد الحرب العالمية الثانية توسعت الخرطوم نحو الجنوب ، ثم توسعت مرة اخرى منذ الستينات ، فيما وراء المطار وهو مايسمى بالامتداد ،وتطلب ذلك انشاء جسر شيمبات بين خرطوم بحرى وأم درمان ، وجسر برى بين خرطوم وخرطوم بحرى .

ويسكن العاصمة المثلثة ـ كما جاء فى كتاب « محافظة الخرطوم » لاسرة مكتب الثقافة والاعلام ـ خليط من الإجناس والقبائل التى وفدت اليها منذ زمن بعيد للتجارة وطلبا للرزق .. ورغم لكثرة هذه القبائل وتعددها ، الا انها جميعا ترتبط برباط وثيق من الاخوة والولاء الخالص للوطن ..

والكرم السودانى المشهور ، هو احد المعالم الهامة فى المجتمع السودانى ، وقد كان هذا الكرم عاملاً هاما فى تصميم هندسة البيت السودانى ، اذ أن البيت السودانى مقسم قسمين قسم خاص للرجال ، وقسم للنساء ، تيسيرا لايواء وتكريم الضيوف الوافدين على الاسرة .

ومن الجدير بالذكر ان الشعب السودانى ممثلا فى قبائله المتعددة ، يتميز بفن شعبى أصيل نابع من واقع تراثه العريق ، والرقصات السودانية القبلية بالذات ، تعبر عن الشهامة والرجولة والفروسية ...
(وقد تكونت اخيرا فرقة فنية من شتى القبائل لعرض هذه الرقصات فى الاعياد والمناسبات القومية فى مختلف عواصم المدن ومراكز الاقاليم بالسودان) .

والجولة ، وعلى الاصح الجولات فى أحياء العاصمة المثلثة الخرطوم، تتيح لك متعة متجددة وذكريات لا تنسى ... فمن أهم الاحياء فيها :
، الخرطوم شمال ، ويضم حى الخرطوم وسط والخرطوم غرب ، والمقرن ، والسوق ...

ومنطقة الديوم ، وتشمل أحياء :

المايقوما ، وديم الجوامعة،والتعايشة، والزهور وغيرها ··· ومن أشهر الاحياء هناك : النيل الابيض — والشجرة — والصحافة — وسوبا — والجريف غرب — والعشرة — والعمارات — والبراري — وجزيرة توتي ··· وذلك بالاضافة الى الاحياء الاخرى فى أم درمان ، والخرطوم بحرى ··

وفى العاصمة المثلثة الان ٢١ناديا رياضيا ، و ٥ ملاعب كبرى ، و ١٤ دارا للسينما ، و ٣٦ فندقا ، و ٧ متاحف ، بالاضافة الى ٣ متاحف اخرى فى أم درمان ··· وفى مدينة الخرطوم وحدها ٩٨ مسجدا ، وفى الخرطوم بحرى ١٨٩ مسجدا ، أما أم درمان ففيها ١٤١ مسجدا ···

وفى العاصمة المثلثة الان عدد ضخم من المدارس لكافة المراحل التعليمية ، وبها جامعة الخرطوم التى تضم ٧ كليات : للزراعة والاداب ، والاقتصاد والدراسات الاجتماعية ، والهندسة ، والمعمار ، والقانون ، والطب، والعلوم ، والطب البيطرى ، والصيدلة ·

وهناك ايضا جامعة القاهرة «فرع الخرطوم » التى انشئت عام ١٩٥٥ وتضم ثلاث كليات هى : الاداب ، والحقوق ، والتجارة ·· وتمنح هذه الكليات للدارسين فيها الشهادات الجامعية ، كما تمنحدرجتى الماجستير والدكتوراه فى تخصصات كلياتها ··

وهناك كذلك كليات مصلحية ، لمعهد البريد والبرق وغيره ··· والكلية المهنية العليا التى تستهدف اعداد الفنيين المهرة ليصبحوا همزة الوصل بين المهندسين والعاملين فى المهن الهندسية والعمال ، وتشمل اقسام الدراسة بها تدريبات الراديو،

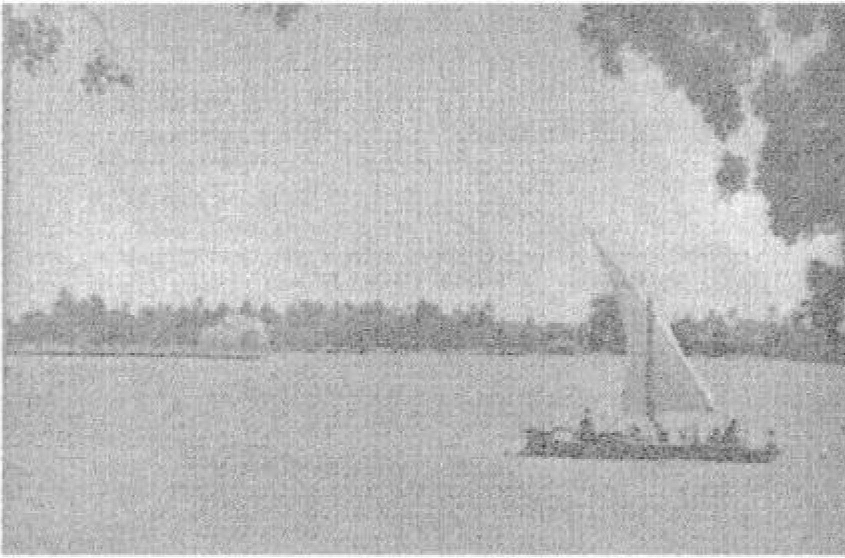


والتليفزيون ، والكهرباء والتبريد ، والديزل ، والنجارة المعمارية ، ونجارة أثاث المبانى ، والتركيبات الصحية واللحام ··

وفى العاصمة المثلثة كذلك جامعة أم درمان الاسلامية ، وكلية المعلمات بأم درمان ، وكلية التمريض العالى··

ومن المعاهد العليا هناك معهد الخرطوم الفنى ، وتضم اقسامه الهندسة الميكانيكية ، والكهربائية ، والمبانى والمساحة ، والفنون الجميلة والتجارة ·· وكذلك معهد السكرتارية ومعهد المعلمين العالى ، الذى بدأ بكليتى الاداب والعلوم ، ثم انشىء فى عام ١٩٦٨ قسم ثالث للاقتصاد المنزلى — والقبول فى هذا المعهد بنفس شروط قبول الجامعة ·

وتعتبر الخرطوم ملتقى طرق جوية



لقطة بديعة للنيل العظيم تطل عليه عروس افريقيا السمراء « الخرطوم »

عديدة ، تعمل فيها شركات كثيرة لها مكاتبها وممثلوها فى الخرطوم .كما يوجد بها عدد كبير من شركات الملاحة والوكالات الملاحية ...

ورغم ان كل ما فى الخرطوم يشكل جاذبية ومتعة للزائر ، الا ان المتاحف فيها تتميز بجاذبية خاصة ..

لقد كان السودان مركزا لحضارة تعد من اقدم واكثر الحضارات تقدما .

كما كان مقرا لاثنتين من اقدم واقوى الممالك فى التاريخ القديم وهما نبتا ومروى . ولذا فان السودان يعج بأماكن الاثار من العصر الحجرى وحتى العصر التركى ..

ومن الممكن ان تتضاعف متعة ضيف العاصمة المثلثة ، بجولاته فى متحف التاريخ ، بالخرطوم ، ويحوى آثارا من كل انحاء السودان ...

ومتحف الاجناس ... ومتحف التاريخ الطبيعى الذى يضم انواعا والوانا عديدة من الطيور والحيوانات المحنطة

وهناك ايضاً « بيت الخليفة » الذى يضم بعض بقايا الاثاث والملابس وادوات الحرب من عهد الثورة المهدية ... وكذلك قلاع الانصار بأم درمان وموقع معركة كررى بأم درمان ...

ومقرن النيلين الازرق والابيض ... وغابة السنط بالخرطوم ، وأسواق التحف والمصنوعات اليدوية والمنتجات التى تشكل تذكارات بديعة من العاصمة المثلثة ...

ان الخرطوم الحديثة ، فى ظل ثورتها الحرة الظافرة ، هى بحق عروس افريقيا السمراء ، التى تعيش الان اياما مجيدة ، مشرقة بالامل والعمل ، والانتصار ارادة الشعب السودانى العظيم ...

— ١ —

... بقرابين الكثير من حقبها ... وأنها بعض ... مستمرها في التاريخ ... ويتساءلون عن بداياتها الأولى المتعهد أهلها إلى الأساطير الغريب ... وتلك الأساطير ليست شيئاً أبعد من الحقائق، فالأسطورة هي أقرب الأشياء الحقيقة التي لم نستطع أن نعيها والتي نحاول أن نجد تفسيراً ما لها أو سنداً ما حولها .

في جملة هذه الأساطير التي تدور حول نشأة دمشق، هذا التوصل بينها وبين بدايات الحياة على الأرض .. ولعلنا نؤثر أن نتجاوز مرحلة التاريخ الغامض إلى مرحلة التاريخ المدون المكتوب، أثرى دمشق هذه الجملة الزمنية عهود الآراميين ... لعلها أبرز هذه الفترة التاريخية تظهر في بلاد الشام والتي تؤلف مراكز القوة والتسمية لهؤلاء الآراميين الذين كانوا يشكلون هذه الحقبة ويؤلفون جزءاً من تاريخها، وطابعاً من تعريبها .

— ٢ —

والآراميون دفعة من هذه الدفعات التي انطلقت من الجزيرة العربية على مدى تاريخها الطويل .. وما أكثر هذه الدفعات .. ألم تكن الجزيرة، في بعض الآراء، مهداً للساميين ؟ .. ومهما يكن من أمر الآراء الأخرى فإنه من المؤكد أن هناك من الهجرات في فواصل متتابعة من فواصل التاريخ، خرجت من الجزيرة العربية تستقر هنا في الشام أو هناك في العراق أو هنالك في مصر . وإن الهكسوس، في الجملة، كانوا بعضاً من هذه الهجرات ...

إن الجزيرة العربية، في هذا العصر القديم، ما تكون شبيهاً بهذا القلب الذي ينبض بالدم ... في كل حركة منه دفعة عربية جديدة تترك جزءاً من



دمشق الفيحاء

د. شكري فيصل

أن يتحدث الإنسان عن دمشق في صفحات معدودات — ذلك أمر يجاوز الدنيا ويتخطاه .. وكذلك لا يبقى للمرء إلا أن يختار من هذا الحديث ما يغري الآخرين أن يقرؤوا ... ويبقى أن حسب ما يستطيع أن يعرفه المرء من دمشق ... أن هذا ما قد كتب عن جدران أبنيتها وقبور أطفالها، وحجرات صروحها، والسوق أقدامها، ونقوش فترجتها، وتزاح كتبها ... ومتعة ... وروائع صناعاتها، ولن يتحسس روح علم المدينة الخالدة في صناعتها .

الجزيرة العربية الى جزء : هجرات من الجنوب نحو الشمال ، وهجرات من الوسط نحو الشرق .. اما حين ينبض هـــذا القلب بحـركة كبرى فقد كانت هنالك هذه الهجرات التى تغادر الجـــزيرة الى ما وراءها من ارض العراق ، وقد تتخطى الشـــام والعراق ، تضرب فى ابعاد المنطقـــة الشرقية او المنطقة الغربية من هذه الارضين التى تعرف اليوم بأنها مواطن الاسلام ومنازل العروبة .

هذه الهجرة او هذه الموجة الاخيرة هى اوضح هـــذه الموجات ، ثم هى احدثها .. فى ظلالها نعيش جميعا ، من المحيـــط الى الخليج ، ويعيش حولنا او معنا هـــذه الملايين من المسلمين فى اقطار الارض .

- ٣ -

بعد الراميين فى الالف الاول قبل الميلاد نتوقف عند هذه الصورة التى نعرفها للقـــرن الخامس للميلاد من محاولة اقتسام العـــالم بين هاتين الامبراطوريتين : فارس والروم ... وقد كانت بلاد الشام - اخر الامر - فى قبضة الروم البيزنطيين .

وصورة العـــــرب الذين كانوا يستوطنون بلاد الشـــام اقرب الى صورة الامارة العربية الصغيرة التى تظل هذه القبائل من نحو وترتبط بنظام الدولة المسيطرة من نحو آخر ... وقد كان لدمشـــــق من هذه المـــدن والامارات الصـــدارة ... كانت هى العاصمة ، وكانت مقر الحكم ومركز السلطان ، ولذلك كان فتح دمشـــق فى حركة الفتح الاسلامى اضـــخم الاحداث التى رافقت بدايات انتشار الاسلام ، حين أخذ هذا الاسلام بكل جوانب رسالته الدينية واللغـــوية . يغادر الجزيرة ، ينقل خطاه منهـــا نحو هذه الاقطار المختلفة عن يمين الجزيرة ، وعن يسارها .

٨ دمشق

- ٤ -

والحق انه ما من حادثة اخرى فى الحكم الاموى تعدل انتقال الخلافة من الجزيرة الى الشام ... كانت هذه الحادثة وعاء لسلســـلة كبرى من التطورات فى الحياة الداخليـــــة للمجتمع الاسلامى ، وكانت سببا من الاسباب القابعة وراء التطـــورات الكبرى فى الحياة الخارجية أعنى فى امتداد حركة الفتح الى اقصى الشرق الى الصين ، والى اقصى الغرب الى أمواج الاطلسى وما وراء ذرى البيرنيه

ومن هنا تكتسب دمشق فى تاريخها الحى ملامحها الاولى والاصيلة ، من أنها كانت العاصمة للحكم الاموى الذى تحققت فى ظلال راياته - ايا كان الرأى فى الظروف - كل هـــذه التطورات .

ومن هنا تتلامح على وجه دمشق كل هذه الهالات المشرقة ... من هنا تصبح مركز الدولة العالمية التى طمح اليها الفتح العربى ، ومن هنـــا كذلك تصبح الام الفارهة الولود لعديد من العواصم التى كانت بعد ذلك فى بغداد والقاهرة والقيروان - ســـواء فى ذلك عواصم الفكر وعواصـــــم السياسة .



شارع الروضة من احدث احياء دمشق ومن اجمل الشوارع فى عاصمةسوريا

ـ ٥ ـ

وما من شك فى ان بغداد ظفرت خلال الحكم العباسى بما لم تظفر به دمشق ... كانت سرة الدنيا ومجمع الناس ، وكانت ملتقى الحضارات والفكر ، وكانت مجال التفاعل بين اشد الاراء والفرق تباعدا ... ولعل هذا الذى غرقت فيه بغداد او اغرقت فيه هو الذى ظل يعطى دمشق لونها الخاص .. لقد احتفظت بالخصائص الاصيلة للحياة العربية ، ولم تمكن لهذه الخصائص ان تكون موضع نقد وتشكيك وموضع هجوم وملاحاة .. لقد احتفظت باكبر قدر من الصفاء الذى يمكن ان تحتفظ به عاصمة تفتح على شعوب الدنيا كلها .

وغياب دمشق خلال فترات الحكم العباسى عن دائرة الضوء لم يكن بالغياب الضار .. وكأنه كان من حكمة القدر أن تتعاون العاصمتان تتولى بغداد المواجهة فى كل شىء ، فى الثقافة والسياسة ، والفكر والعمل ، والحكم والعلم ، وتتعرض لكل ما تعرضت له من عمليات التفتح والتفاعل لتتولى هى اثراء الثقافة الاسلامية عقيدة ولغة . ثم لكل ما تعرضت له من مؤامرات الحكم وحركات الشعوبية وصراع الاجناس ومفاجآت الخلافة .. وتظل دمشق بعيدة عن ذلك كأنما تحتفظ بقواها لمواجهة الاعصار المغولى الذى اجتاح الاقاليم الشرقية وطغى على بغداد

ومن قبل كانت دمشق تأخذ طريقها لتصنع خط الدفاع الثانى ، فتتجه نحو القاهرة ليكون من شأن هذا المحور الجديد أن يقف فى وجه الاعصارين معا : الاعصار المغولى فى الشرق ، والاعصار الصليبى فى الغرب .

وتسجل دمشق والقاهرة فى ذلك صفحات رائعات . جذورها فى حركة التوحيد التى بدأها نور الدين ، ثم تنمو فى عهد صلاح الدين ثم فى عهد خلفائه من بعده ثم فى عهد المماليك .

ـ ٦ ـ

ثم يغيب الموقف العربى كله عن المسرح ... لا يختفى ، ولكنه يحتمى بالثقافة بالمساجد والمدارس ، بالكتب والمؤلفات .. وتتولى الثقافة العربية الاصيلة الحفاظ على المقومات الاولى

... ويكون دور عصور الانحطاط السياسي دورا بارزا من هذا النحو ... لان كل ما بقي من عناصر المقاومة لم يكن يجد ملجأ له الا ان يختبيء في جنبات المحاريب وعلى سلالم المنابر وفي غرف المدارس وعلى صفحات هذه المتون والكتب التي تعودنا الان ان ننسى وظيفتها التاريخية الخطيرة

– ٧ –

ومع بدايات عصر النهضة ، كانت دمشق تؤثر من جوانب النهضة ما يوائم بين الاصالة والتفتح في ان ... لم تؤخذ بكل ما كان يداخل بدايات هذا الفكر القومي احيانا من زيغ ، فظلت تنظر الى الامر من عديد من الزوايا حتى لا يكون الفكر العربي تعصبا ، وحتى لا تكون الحركة القومية تبعية ، وحتى لا يخوض العرب معاركهم مع اصدقائهم بدل ان يخوضوا هذه المعارك مع اعدائهم .

– ٨ –

وفي فترة الاستعمار الاوربي كانت دمشق منارا لحركات المقاومة كلها ومثارا لها .. وفي دمشق شهد العرب من جديد قيام أول حكم عربي مع فيصل .. لم يكن الحدث بأشخاصه هو الذي فتح الصفحة الجديدة قدر ما كان الحدث برموزه : اللغة والعلم والعاصمة ، وتجديد التاريخ ... اني اعرف الجيل الذي كان يبكي الى حد النشيج حين ارتفعت راية الدولة العربية الاولى . ولا تزال دموعه في عيني حين كان يقص ذكرياته عن هذه الفترة القصيرة التي كانت في مثل عمر الزهر ، بين اعلان الدولة وبين سقوطها في ميسلون ، تحت اقدام الطغاة .

اما بين الحربين العالميتين : الاولى والثانية وبعد سقوط عهد فيصل فقد اخذت دمشق – وهي في ذلك وجه بلاد الشام الذي يحمل كل ملامحها وتجتمع في قسماته عزماتها – على عاتقها عبء مقاومة الاستعمار ، لا بالفكر وحده بل بالحديد والنار .. وذهبت الثورات المتعاقبة في جبال العلويين « صالح العلي » وفي الشمال « ابراهيم هنانو » ، وفي الجنوب « الثورة السورية الكبرى » والاضرابات الطويلة ، ذهبت مثلا شرودا في الاقطار العربية المختلفة .

وافتتحت انتصارات الحركة الوطنية في مصر – في اعقاب تجمع القوى الوطنية واستخدام العنف في حركات مناطق السويس – بداية عهد المعاهدات التي انتهت بعد ذلك بتصفية الاستعمار في هذا الجناح الشرقي من الوطن العربي .

ومرة اخرى تصدت القاهرة – وقد اضحت ملتقى الحركات الوطنية ومجمع ابنائها – لتغذية حركات المقاومة في الجناح الغربي ليكتمل لهذا الجناح استقلاله بانتصار الثورة الجزائرية بعد استقلال المغرب وتونس .

وبدأت دمشق بعد ذلك دورها الاخر

دمشق



الهادف الهادىء . فى متابعة الحركة القومية على الصعيد الفكرى . وذهبت الى ان استعادة اللغة العربية لمكانتها من العقول والقلوب ، هى الطريق الطبيعى لاستكمال الوحدة .. وعلى ذلك ركزت اكثر جهدها .

ـ ٩ ـ

فى كل ذلك لم تكن دمشق مدينة الاثار والقصور والجوامع والمآذن والعمائر . لم تكن مدينة الحجارة الضخمة والآثار الباقية والفسيفساء الملون ، ولكنها كانت مدينة هذا الساحرالعجيب الذى اسمه التاريخ ... كان فيها روح هذا التاريخ .. تغتذى من الماضى لتثير الحاضر مرة ولتثيره مرة ، ولتدفع به الى اعماق المستقبل فى مرات .

ولم يكن ابناء دمشق ابناء الامويين ، كان ذلك ابعد ما يفكرون فيه ، فقد كانوا حراصا على تجاوز العقبات التى اصطنعت فى التاريخ اصطناعا ، ليكون لهم من هذا التاريخ نوره الصافى ووهجه الخالص .. تجاوزوا فى عقولهم وقلوبهم وسلوكهم جراح الفتن وخصومات الدعوات وارواء الفرق وتصارع المذاهب ، فى حياة دمشق : التسامح والاصالة . ليكون التسامح احد صفتين كبيرتين وما كانتا بالصفتين المنفصلتين ، وانما هما صفتان متكاملتان : التسامح هو الوجه الرفيع للاصالة ، والاصالة هى الجذر الدائم الباقى الذى يقود نسغه الى التفتح والتسامح ..

ـ ١٠ ـ

وعلى نحو ما كانت الاصالة والتسامح الطبيعة الخلقية لدمشق ، كذلك كان سحر الطبيعة وخصب الأرض محورى الحياة الطبيعية لهذه المدينة . وكما تكامل التسامح والاصالة ، تكامل الخصب والجمال . لدمشق بغوطتها ـ واحة كبرى ..

يقول علماء الجغرافيا انها تؤلف ظاهرة منفردة .. القادمون من الجزيرة تكتحل اعينهم بها اول ما تكتحل ، والضاربون نحو البحر يودعونها قبل اختراق سلسلة جبال لبنان الغربية اخر ما يودعون قبل أن يطلوا على البحر .

ولعله لم تلق ارض كما لقيت الغوطة من اعجاب الشعراء .. الم يقولوا انها احدى متنزهات الدنيا الاربع ، ومن ينسى ابيات شوقى ـ سقى الله تراب شوقى الغيث ـ فى قصيدته المشهورة عن دمشق :

امنت بالله واستثنيت جنته
دمشق روح وجنات وريحان
قال الرفاق ، وقد هبت خمائلها
الارض دار ، لها الفيحاء بستان
جرى وصفق يلقانا بها (بردى)
كما يلقاك ، دون الخلد ، رضوان
دخلتها وحواشيها زمردة
والشمس فوق لجين الماء عقيان
والحور فى (دمر) او حول (هامتها)
حور ، تكشف عن ساق ، وولدان
وربوة الواد فى جلباب راقصة
الساق كاسية والنحر عريان

والطير تصدح من خلف العيون بها
وللعيون ، كما للطير ، الحان
واقبلت بالنبات الارض مختلفا
افوافه ، فهو اصباغ والوان
وقد صفا بردى للريح فابتردت
لدى ستور حواشيهن افنان
ثم انثنت لم يزل عنها البلال ولا
جفت من الماء اذيال واردان
خلفت (لبنان) جنات النعيم ، وما
نبئت ان طريق الخلد لبنان
حتى انحدرت الى فيحاء وارفة
فيها الندى وبها (طى) و (شيبان)

الم يدفع ذلك عديداً من المؤلفين الى أن يصنفوا الكتب فى محاسن الشام . الم يكن ابو البقاء البدرى المصرى هو صاحب الكتاب المعروف .

نزهة الانام فى محاسن الشام»

ولكن البدرى لم يكن اول المتحدثين عن محاسن دمشق ، اذ يندر ان يكون قد سكنها او مر بها عالم دون أن يسترقفه شيء من محاسنها ٠٠ القلقشندى اعجبته حماماتها وفواراتها ، وياقوت استثارته كثرة الانهار بها وجريان الماء فى قنواتها فقال : لم ار فى بلد اخر مثلها فى كثرة الانهار بها وجريان الماء فى قنواتها ، فقل ان تمر بحائط الا والماء يخرج منه فى انبوب الى حوض يشرب منه ويستقى الوارد والصادر ٠٠٠ » ٠

اما شيخ الربوة فهو صاحب التشبيه الحلو : « وكانما هى فى وصفها طائر ابيض فى مرج اخضر يترشف ما يصل اليه الماء اولا فاولا »

ولعلى لم ار بلدا يشبه دمشق فى كثرة الماء واحكام توزيعه كما رأيته فى المغرب فى فاس ٠

— ١١ —

التسامح والاصالة الى جانب سحر الطبيعة وخصب الارض ٠٠ تلك كلها اكسبت دمشق عادات توشك ان تكون منفردة بها ٠٠ ويتبدى ذلك فى امرين : فى حرص اهلها على الاستمتاع بجمال الطبيعة وتذوقه ثم فى حرصهم على مخالطة ضيوفهم واكرامهم وانزالهم من حياتهم وبيوتهم اكرم المنازل ٠

فأما الحرص على اجتلاء محاسن الطبيعة ، فالذين يداخلون حياة الدمشقيين يعرفون عنهم كيف يتتبعون ولادة الزهر فى الربيع وكيف ينطلقون وراء شجرة بعد شجرة ونوعا بعد نوع ٠٠٠ يبدأون استقبال الربيع فى الذى ابقت لهم انظمة البناء العمياء من اشجار الصالحية والمهاجرين ٠٠٠ هناك على مقربة من اشجار اللوز الابيض الناصع يرشفون حلاوة الربيع الاولى ، فاذا تفتحت هذه الاشجار ازهارها لجأوا الى الغوطة يشهدون ولادة زهر شجر المشمش ٠٠٠ فاذا انتهى المشمش سعوا وراء زهر

البساتين الفيحاء تزخر بها مدينة دمشق العامرة



البراق ... ثم زهر الاجاص ، فالتفاح ... فاذا برعم الزهر فى الغوطة مضوا ينشدونه فى الغوطة الشرقية على شفاف بردى ، فاجتمعوا تحت شجيرات زهر السفرجل فى (الجديدة) و (الاشرفية) و (بسيمة) و (الفيجة) ...
وانتشروا بزهر شجرات التفاح .. فاذا انتهى موسم الزهر هنا تابعوا سعيهم وراءه الى سهل الزبدانى ، واتخذوا يمضون سحابة ايامهم هناك .. ومن الذى ينسى رائحة تفاح الزبدانى .. فاذا شارفت زهور الزبدانى ان تبرعم مضوا فى المرحلة الاخيرة نحو بلودان فى الغرب او نحو (عرفة) فى الجنوب ... (بلودان) التريعة ترى الجبل و (عرفة) المفترشة سفحا من سفوح جبل الشيخ

والدمشقيون لا يحرصون على ذلك كله احادا وفرادى ، دائما يتشوون جماعات جماعات ويكون من تقاليد الربيع ان تتلاقى هذه الجماعات حينا ، وان تتنافس فى البكور حينا اخر ... وذلك كله لا يحول بينهم وبين عملهم فى شىء فهم يمضون الى هذه الجنان فى الصباح المبكر ، او فى ساعات ما بعد الظهيرة ، لا يكاد احدهم حين يكون من صلب المدينة ـ وكل من فى المدينة يؤول ان يكون من اصلابها ان يتخلف عن ذلك.

اما مخالطة الضيف والحرص على اكرامه ، فالدمشقيون فى ذلك سواء ، غنيهم وفقيرهم ... ولكن بعضهم يحرص على ان يتجمل ما وسعه التجمل ، امام الضيف ، ولذلك لا يقنعه الا ان يفعل ما يستطيع وما لا يستطيع ... على حين تذهب طبقة كبرى منهم الى تجنب التكلف والى مقاسمة الضيف ـ مع الحرص على اكرامه ـ كل ما يكون عنده .

هذه الضيافة ، مقرونة الى قوة الروح وعمق الاصالة ، هى التى جعلت الذين يسكنون دمشق جميعا من ابنائها ... من أين جاءها الضيف وجد أن هذه المدينة اصبحت جزءا منه ووجد انه جزء منها ... وبخاصة حين يقبل راضيا عنها ... ومع ذلك فقد اتسعت دمشق للذين جاءوها عن رضا او عن مغاضبة او غضب ... زادت الراضين رضا .. واحالت غضب الغاضبين محبة ... لانها المدينة التى تتصاغ حجارتها من دوح العربية والاسلام ... وراء كل قصر حدث ،وفى كل سوق كان مشى صحابى جليل ، او جندى مجهول ، او قائد فاتح ، فى كل مسجد كان اعتكف زاهد ودرس عالم وقرا متعلم ... هؤلاء الرجال من علماء وفقهاء ومحدثين ولغويين وقواد وخلفاء وكتاب ورجال سياسة ورجال حرب ، هؤلاء الذين حفظوا الشعلة التى جاءت من الجزيرة صبوا أرواحهم جميعا فى روحها ، وجهودهم فى اعمارها ، وسواعدهم فى زرعها ... فكانت دمشق لذلك تجسيدا للتاريخ كله ، ولما يترقرق خلف احداث التاريخ من طموح المستقبل

ـ ١٢ ـ

شىء اخر تميزت به دمشق اثرا لذلك كله . هو حرص طبقاتها العامة على طلب العلم وحضور مجالسه ... فاذا تجاوزنا حلقات المساجد والمدارس فى أعقاب صلاة العصر أو فى ساعات الاصيل او فيما بين المغرب والعشاء ـ واجهتنا هذه الحلقات التى تلتقى فى أعقاب صلاة العشاء ، فى فصلى الشتاء والخريف بخاصة ـ على سمر تشهده ، او حديث تثيره ، ولكنها تلتقى قبل وبعد ، على كتاب تقرؤه او قرآن تجوده ، أو حديث تتواصى به او نتاج جديد تتذوقه وتتبادل الرأى فيه.

● شكرى فيصل ●
● دمشق ●

مصطفى
الشهابي

الرباط
مدينة الحدائق

مغربيا

الرباط لغة هو موضع المرابطة، والمرابطة هي ملازمة مكان للجهاد حيث ترابط خيل المجاهدين ، من قوله تعالى : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم » . ومن قوله جل وعلا : « يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون » . وكان الرباط حصنا منيعا للتعبد ومركز تدريب حربي للجهاد والغزو والى الرباط ينسب المرابطون ، وهو الاسم الذى أطلقه عبد الله بن ياسين على أتباعه فى مستهل القرن الحادى عشر الميلادى ، وكان الرباط هو المعبد الذى اتخذه عبد الله للدرس والعبادة فى جزيرته بنهر السنغال ، وفيه أقام هو وأتباعه الذين عاهدوه على الجهاد فى سبيل الله .

المرابطون عرب من قبيلة لمتونة البربرية الصنهاجية ، والمؤرخون مجمعون على أن صنهاجة من القبائل العربية الحميرية التي سارت من اليمن الى الشام ثم الى شمال افريقيا نحو المحيط الاطلسي الذي عرفه العرب باسم «بحر الظلمات» ، حيث استوطنوا صحراء المغرب لمشابهتها لصحراء العرب ، وكانوا بقيادة عقبة بن نافع الذي وصل الى سواحل المحيط الاطلسي عام ٦٢ هـ (٦٨٢م) وتقدم في المحيط حتى بلغ الماء صدر فرسه ، وساعتئذ رفع يده الى السماء وقال :

«يارب ! .. لولا هذا البحر المحيط لمضيت في البلاد الى ملك ذي القرنين، مدافعا عن دينك ، ومقاتلا من كفر بك وعبد غيرك» .

وأصبح المرابطون جماعة دينية حربية بدأوا قوتهم بألف محارب من التقاة المترهبين ، ثم اخذوا ينشرون الاسلام بين القبائل المجاورة لهم بما فيها قبائل الزنوج . وما هي الا سنوات قلائل حتى اصبح المرابطون سادة شمال افريقيا الغربي ثم سادة اسبانيا في آخر الامر .

● المرابطون او الملثمون ●

ويسمى المرابطون باسم الملثمين لانهم كانوا يضعون على وجوههم لثاما يقيهم حر الصحراء وبردها ، وقيل أن سبب هذه التسمية يرجع الى أن طائفة من قبيلة لمتونة اغارت على عدو لهم ، غير أن العدو قصد الى بيوتهم

مدينة الرباط تتميز بالعمارات الشاهقة والمناظر الخلابة



الربـاط

ولم يكن فيها الا الشيوخ والنساء والصبيان ولذلك أمر الشيوخ النساء أن يلبسن ملابس الرجال ويتلثمن ويضيقن ثيابهن ويحملن السلاح ، حتى لا يفرق العدو بينهن وبين الرجال ، وسار الشيوخ والصبيان امام النساء اللائى طوقن البيوت .

فلما اقترب العدو ورأى ذلك الجمع الحاشد هاله الامر . وبينما هو يحاول استدراج المدافعين للخروج من بيوتهم ليقاتلهم فى الخلاء ويعمل فى نفس الوقت بجمع الابل من المراعى - فوجيء بأبطال لمتونة مقبلين واصبح العدو بين جبهتين فقتل عدد كبير من افراده .

ومن ثم جعل بنو لمتونة اللثام لباسا قوميا دائما ، لا يزيلونه ليلا ولا نهارا حتى لا يعرف الشيخ من الشاب .

● فى مراكش ثم فى الاندلس ●

وقد تمكن المرابطون بعد قليل من نشر الاسلام بين أغلب القبائل وأن يستولوا على المغرب الاقصى ويتخذوا من مراكش حاضرة لهم .

وكان من اهم امراء تلك الدولة يوسف بن تاشفين (١٠٦١ - ١١٠٦م) الذى لبى نداء ملوك الطوائف فى الاندلس وعبر جبل طارق لمعونتهم وانتصر على الصليبيين فى موقعة الزلاقة الشهيرة سنة ١٠٨٦ م .

بذلك حافظت دولة المرابطين فى المغرب على الفردوس المفقود «الاندلس» وأنقذتها من براثن خلافات ملوك الطوائف التى كانت ستودى بها يومئذ . وبفضل تدخل هذا البطل الاسلامى ، أمكن توحيد الاندلس مرة اخرى وتكوين امبراطورية اسلامية تضم المغرب والاندلس معا ، وقد كان تدخله حاسما حيث انقذ الاندلس لمدة ثلاثة قرون أو اكثر فيما بعد .

وعلى الرغم من البعد الشاسع بين بغداد وبين المرابطين فقد اعترفوا بالسلطان المطلق للخليفة العباسى ، وكانوا ينقشون على احد وجهى دنانيرهم اسم الخليفة العباسى مسبوقا بلفظ امام وكان ملوكهم يحملون لقب « امير المسلمين » .

ولم تعمر دولة المرابطين فى اسبانيا (١٠٩٠ - ١١٤٧) طويلا كما كان منتظرا ، بل دارت عليها عجلة الفناء بسرعة كغيرها من الدول التى بدأت بجيل حربى قدير ثم منى الجيل الثانى فالثالث بالكسل والفساد ، ذلك لأن انتقال المرابطين من الصحراء الى المناطق الغنية فى مراكش والاندلس ، أصابهم برذائل المدنية فاصابهم الوهن والتفكك ولذلك سهل وقوعهم فريسة لبنى جلدتهم الاشد منهم قوة وهم الموحدون ،الذين اتهموهم بالاغراق فى الضلال ومخالفة احكام الكتاب والسنة والخروج على شريعة الاسلام .

وانتهت دولة المرابطين وقامت دولة الموحدين فى المغرب وبدأت حركة دينية سياسية كسابقتها ، شعارها التوحيد واحياء الشريعة ومحاربة البدع ومن ثم كان اسم « الموحدين » ومؤسسها الحقيقى هو عبد المؤمن بن على ١١٣٠ - ١١٦٣ م وقد تمكن عبد المؤمن من الاستيلاء على بلاد المغرب ومد نفوذه حتى برقة (ليبيا) . كما حارب النصارى فى الاندلس وانتصر عليهم ولهذا ناداه أتباعه « أمير المؤمنين » .

وتولى بعد عبد المؤمن ابنه يوسف المنصور (١١٦٣ – ١١٨٤ م) ثم خلفه ابنه يعقوب المنصور (١١٨٤ – ١١٩٩ م) وكانت لكليهما مواقف بطولية لتأييد عرب الاندلس ضد ملوك اسبانيا · وكان المع حادث في تاريخ الاخير هو انتصاره الباهر على جيوش قشتالة عام ٥٩١ هـ – ١١٩٤ م في موقعة الارك ·

ولما استتب الامر للمرابطين انشأوا مدينة مراكش حوالي عام ١٠٦٢ م وتم بناؤها في ثمانية اشهر ، وراعوا في بنائها أن تكون دورها عالية ورحبة وشوارعها فسيحة ·

ولكن مراكش لم تلق العناية الا في عهد الموحدين الذين بنوا فيها جامع الكتبية الذى تحاكي منارته العظيمة منارة اشبيلية « الخيرالدا المشهورة وجلبوا اليها المياه العذبة ·

● انشاء مدينة الرباط ●

ولما تولى يوسف المنصور الحكم ، رأى انه من الصعب ارسال النجدات الى عرب الاندلس من مدينة مراكش لبعدها عن الساحل مما يؤخر ارسال الجيوش الى الاندلس ·

وقد اشار عليه بعض رجاله ان يتخذ من مدينة سبتة معسكرا لجنده اذ هي على ساحل البحر واقرب الموانى الى الاندلس · ولكن يوسف رأى أن اقليم سبته اقليم غير خصب وسيعجز عن تزويد جنده بما يحتاجون من اقوات تنتجها الارض ، هذا فضلا عن انه اقليم جبلي يعوق حركة الجند ، كما لايتسع المتبسط منه لاقامتهم هو ورجاله ومن يحيط به من خدم واتباع ·

واخيرا وجد يوسف في احد المواقع على الساحل الغربي المطل على المحيط الاطلسي ، المكان الذى ينشده وهناك اختط مدينة الرباط التي سماها « رباط الفتح » ، أى معسكر النصر ، ورسم حدودها ، وبدأ بناءها قبل وفاته عام ١١٨٤ م واتمها ابنه يعقوب في بضعة شهور ·

واقام يعقوب في الجزء الشمالي الشرقي للرباط مسجدا يعرف باسم مسجد حسان · وهو يقع على أرض منحدرة ترتفع عن سطح البحر بنحو ثلاثين مترا · ولكنه لم يتمه ، ولا تزال اجزاء من اعمدته باقية لليوم · ولهذا المسجد فناء واسع وله مئذنة او منارة شامخة ·

ويصف الحسن الوزان (ليو الافريقى) هذه المنارة بقوله « انها جديدة عريضة بحيث يستطيع ثلاثة من الفرسان الصعود اليها جنبا الى جنب · ومن فوق هذه المنارة يستطيع المرء ان يشاهد السفن على بعد عشرين فرسخا (اى نحو ١٣٠ كيلومترا) · ولم يكن الغرض الذى بنيت من اجله هذه المنارة دينيا فحسب ، بل ان ذلك كان راجعا الى اغراض حربية ، بحيث يستطاع مراقبة السفن التي قد تهاجم مدينة الرباط او سلا (المواجهة لها) بوساطة هذه المنارة التى يبلغ ارتفاعها ٦٤ مترا والتي يتجلى فيها الفن المغربي بصورة عامة والفن الوحدى بصفة خاصة » ·

وتعرف هذه المنارة باسم الصومعة لوجود جزء في اعلاها يكون صومعة مستقلة · ومن اعلى هذه المنارة او الصومعة يمكن للزائر ان يشاهد مدينتى الرباط وسلا ، كل منهما تقابل الاخرى ، على شطى نهر أبي الرقراق ، كما ترى الاسوار التي تحيط بمدينة الرباط القديمة · وترى عن بعد مدينة شالة (او شلا) حيث توجد حدائق جميلة واطلال قبور ملوك المغرب ·

وقسمت الرباط الى احياء ، لكل جماعة او طائفة من السكان ، كالصناع ، والتجار حى خاص بهم • وبسبب ملوحة ماء نهر ابى الرقراق الذى يصب فى المحيط الاطلسى عند الرباط ، بنى يعقوب قنطرة على اعمدة لجلب الماء من مكان يبعد عن الرباط نحو عشرين كيلو مترا • وزاد فى مساحة الرباط حتى بلغت ٤١٨ هكتار اى ٤ر١٨٠٠٠٠ متر مربع لتستوعب جنده الحاشد •

كما احاط المدينة بسور يشبه سور مدينة مراكش يومئذ ، ولهبوابة فخمة لا تزال قائمة حتى اليوم •• واهتم الموحدون بتحصين الرباط فبنوا فى اسوارها ٧٤ برجا •وسرعان ما ازدهرت الرباط واصبحت من اهم مدن المغرب الاقصى بل من اغنى المدن الافريقية بفضل حسن موقعها ورواج تجارتها • غير انها فقدت اهميتها بعد سقوط دولة الموحدين عام ١٢٤٨ وقيام دولة اخرى ، اهتمت بمدينتى فاس ومراكش اللتين كانتا مقرالحكم لهم •

● الرباط والقاهرة ودمشق ●

وقد ضرب التشيء الفعلى لمدينة الرباط ، يعقوب المنصور (١١٨٤ ـ ١١٩٩ م) مثلا خالدا ونبيلا للتعاون الحربى بين العرب للحفاظ على الارض العربية •

ففى اوائل القرن الحادى عشر الميلادى تمكن الصليبيون من الاستيلاء على سواحل الشام ووضعوا ايديهم على بيت المقدس ولم يستطع الفاطميون يومئذ استرداد تلك المناطق ومدينة بيت المقدس ، وعجز عن ذلك العباسيون ، وذلك بسبب ما كان بين الدولتين من منافسة وتناحر من جهة ، ولتطرق الضعف والوهن لكليهما من جهة اخرى •

الرباط

فلما آل الحكم فى مصر والشام الى صلاح الدين الايوبى ، صمم على تحرير سواحل بلاد الشام وبيت المقدس من مغتصبيها • واستطاع فى نهاية الامر ان يسترد بيت المقدس سنة ١١٨٧ م بعد موقعة حطين

وكان لذلك اثره فى اغلب الدول الاوربية ، اذ سارع رجال الدين لاستنهاض الهمم واثارة النفوس لتخليص بيت المقدس من العرب • وادرك صلاح الدين ان المعركة التالية ستكون رهيبة ، ولذلك فكر فى أن يستنصر بعاهل المغرب الخليفة يعقوب المنصور لكى يمده بشطر من الاساطيل الموحدية لتعاونه على رد العدوان الصليبى • فبعث اليه عام ١١٨٩ م بهدية شملت مصحفين وعدة أنواع من الدهون والعطور ، وخمسين قوسا عربية باوتارها ، وعشرين نصلا هنديا ، ومجموعة كبيرة من السروج الموشاة، وارفق بهديته كتابا رقيقا من انشاء عبد الرحيم البيسانى (المعروف بالقاضى الفاضل) ، جاء فيه :

« الحمد لله الذى استعمل على الملة الحنيفية من استعمر الارض ، واغنى من اهلها من ساله القرض ، واجرى على يده النافلة والفرض ،وزين سماء الملة بدرارى الدرارى التى بعضها فوق بعض » ••• الخ • وكان عنوان الكتاب : « من صلاح الدين الى امير المسلمين » •

ولذلك لم يستجب عاهل المغرب لنداء عاهل المشرق ، فعاد صلاح الدين في العام التالي وبعث اليه وعيره ابن منقذ يكرر نفس الرجاء ويشرح للخليفة ما يواجههمن عدوان الحشود الصليبية الضخمة البرية والبحرية.

وفي هذه المرة اكرم المنصور وفادة رسوله وجهز مائة وثمانين سفينة ساعدت على منع الصليبيين من الاستيلاء على سواحل الشام . ويذهب بعض المؤرخين الى ان العاهل المغربي لم يستجب لطلب صلاح الدين بسبب انشغاله في قتال الاسبانيين . ولكن ابن خلدون يؤيد الرأى القائل باستجابة نداء صلاح الدين ودلل بذلك على تفوق ملوك المغرب على ملوك المشرق في انشاء الاساطيل الحربية .

وسواء لبى الخليفة الموحدى نداء صلاح الدين أم لم يلبه ، فلم يكن طلب صلاح الدين عن ضعف او عجز ولكنه كان عنوان فكرة نبيلة هي فكرة التضامن العربي والتعاون المشترك في مكافحة العدو المشترك والجهاد المشترك في سبيل الله .

وقد ذكر بعض المؤرخين ان عددا كبيرا من ابناء المغرب دفعته حماسته للاسلام واخلاصه للعروبة ، الى السفر الى الشام والاشتراك في القتال دفاعا عن بيت المقدس والمسجد الاقصى ، اولى القبلتين وثالث المساجد التى لا تشد الرحال الا اليها ، والذى اتجه اليه المسلمون في صلواتهم مع الرسول الكريم نحو عام ونصف بعدما فرضت الصلاة .

لقد اسهم هؤلاء المغاربة البواسل في حصار قلعة « ساوون » التي تعرف اليوم باسم « قلعة صلاح الدين » وهي تقع على مقربة من اللاذقية ، واستمر الحصار حتى استسلمت القلعة بفضل معاونة المغاربة .

وخلال الحصار تمكن الصليبيون من اسر عدد من هؤلاء المتطوعين البواسل . وقد نقم عليهم الصليبيون تطوعهم ولذلك كانت معاملتهم لهم اشد واقسى من معاملتهم لجنود صلاح الدين من مصر والشام .

عاصمة المغرب الاقصى

لم تكن الرباط يوم احتل الفرنسيون المغرب ، تضارع مدينة فاس ولا مكناس ولا مراكش ، من حيث الاهمية او عدد السكان الذين لم يتجاوزوا خمسين الفا ، ورغم ذلك اتخذوها عاصمة منذ عام ١٩١٢ يوم بسطوا حمايتهم على المغرب ، ليبتعدوا عن مراكز المجد والسياسة والثقافة والحضارة العربية .

وعندما دخلها الماريشال ليوتي ، اول مقيم فرنسى عام بالمغرب ليلقى نظرة عليها رأى العمال الفرنسيين والمغاربة يحاولون هدم المباني القديمة لاقامة المباني الجديدة فوقها ، فأمر بالحفاظ على المباني القديمة وتشييد المباني الجديدة خارج سور الرباط.

وبمضي الايام اتسعت رقعة الرباط التي يبلغ عدد سكانها نحو ٢٥٠ر٠٠٠ نسمة .

ومنذ ذلك التاريخ اصبحت كل مدينة مغربيةتضم مدينة عصرية كبيرة تتوفر فيها كل اسباب الرفاهية وسهولة العيش ، والى جوارها الاحياء القديمة التي احتفظت بطابعها العريق . وظل « ليوتي » مقيما فرنسيا عاما حتى عام ١٩٢٥ . وقد اغرم « ليوتي » بمدينة الرباط لدرجة انه اوصى بان يدفن في قلعة قديمة تضم عدة قبور لبعض ملوك المغرب.

وعلى الرغم من أن الرباط هي العاصمة الحالية ومقر الملك والحكومة

الرباط

ودور السفارات والجامعة وموطن النشاط الادبى والصحفى ، فانها تعتبر من اصغر مدن المغرب ، واكثرها هدوءا ، لا يسهر اغلب سكانها بعد العاشرة لقلة اماكن السهر ، اللهم الا عدد قليل من دور السينما • ولذلك يقصد الكثير من سكان الرباط الى الدار البيضاء ، التى تبعد عنها نحو ٨٠ كيلو مترا ، ليقضوا بها عطلة نهاية الاسبوع •

ويصل الرباط بباقى مدن المغرب خطوط السكة الحديد وطرق معبدة وبها مطار كبير • وهى تبعد عن مراكش ، العاصمة القديمة ٣٢١ كيلو مترا •

اما ميناؤها فقد قلت اهميتها بسبب الرواسب الرملية التى يلقيها نهر الرقراق فيها •

وعلى الضفة اليمنى لنهر الرقراق (او ابى رقراق) تقع مدينة سلا فى مواجهة الرباط ، وهى اقدم من مدينة الرباط ، وتعتبر شقيقتها ، وهى بالنسبة للرباط كالجيزة بالنسبة للقاهرة • واغلب سكانها من سلالة المهاجرين الاندلسيين •

وهى كالرباط لم تزل محتفظة بطابعها ، وهى تتصل بالرباط بجسرين على نهر الرقراق ، وهى محاطة بسور قديم يجعلها تبدو قلعة محصنة •

● مدينة الحدائق ●

والرباط مدينة الحدائق والاشجار والخضرة الدائمة بفضل الرياح المشبعة ببخار الماء والتى تهب من المحيط الاطلسى •

واقدم واشهر حدائق الرباط هى حديقة الوداية وهى تقع فى البقعة التى كانت ترابط فيها الجيوش قبل ان تتجه صوب الاندلس •

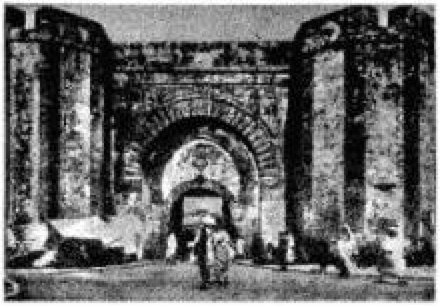
وهى مقصد ابناء الرباط للنزهة والتمتع بجمال ازهارها واشجارها وتنسيقها على نمط الحدائق العربية الاندلسية •

والشوارع فسيحة على جانبيها الاشجار الباسقة والعمارات الشاهقة ، والشارع الرئيسى فيها « شارع محمد الخامس » هو الشريان الذى يربطها من شرقها الى غربها •

ومن ابهج المناظر ، ما يحدث كل عام ما بين شهرى فبراير ويوليو ، عندما تهاجر طيور البجع بكثرة من اوربا وتحط على اسوار المدينة القديمة وتبنى اعشاشها دون ان يتعرض لها الاهالى بسوء •

وتخليدا لذكرى تلك الفترة ، التى

بوابة الاحد بمدينة الرباط



قامت من الرباط الى الاندلس ترابط مجموعة كبيرة من الخيول في اسطبلات القصر الملكي ليخرج بعضها في موكب الملك عندما يؤدى صلاة الجمعة ·

وكانت الرباط الجديدة محرمة على أبناء البلاد ، فلا يستطيع احد أن يسير في شوارعها ، بله أن يدخل دورها ·

● حى اليهود فى الرباط ●

وقد وجد اليهود عندما طردهم الاسبان في اواخر القرن الخامس عشر عقب سقوط الاندلس · وجدوا في بلاد المغرب جميعها مأوى كريما بين العرب المسلمين الذين استقبلوهم وافسحوا لهم صدورهم ، واصبح لهم في اغلب المدن المغربية محلة أو حى يعرف باسم « حى الملاح » ويمتاز بأن مبانيه مطلية باللون الازرق والاصفر بينما سائر مبانى الرباط القديمة لونه ابيض ناصع

وقد عرف المغرب في تاريخه الطويل معاهد للتعليم كان لها اثر كبير لا في البلاد نفسها فحسب ، ولكن في الاقطار المجاورة ايضا منها جامع القرويين في فاس الذى انشىء في اواسط القرن الثالث للهجرة ، ووسع فيه غير مرة كانت اخرها في عهد المرابطين ·

ولم تقتصر الدراسة فيه على العلوم الدينية والتاريخية والادبية ، بل اهتم بالطب وعلوم النبات والحيوان والصيدلة والفلك والحساب · وظلت تلك العلوم تدرس الى أواخر القرن التاسع عشر · ولكنه في القرن العشرين وبسبب الاحتلال الفرنسى عاد جامعة دينية أدبية فحسب ·

ومنذ الاستقلال ، والمغرب سائر قدما في تحقيق حاجات البلاد والشعب في جميع الاتجاهات · وقد كان اهتمامه بالتعليم يفوق اهتمامه بأى ناحية اخرى من نواحى الحياة المغربية بسبب الارتباط الوثيق بين التعليم من جهة ، وبين مستقبل البلاد وتقدمها من جهة اخرى · ولذلك وجه المسئولون همهم الى انشاء جامعة الرباط ·

وجدير بالذكر ان فلسفة التعليم الجامعى في المغرب تقوم على مغربة التعليم وتعريبه وربطه باحتياجات الحياة القومية الروحية للامة ومجاراته للتقدم العلمى واسهامه بالبحث العلمى على اختلاف نواحيه·

وقد جرى الافتتاح الرسمى لجامعة الرباط بحضور المغفور له محمد الخامس ملك المغرب في الحادى والعشرين من ديسمبر ١٩٥٧ ، على ان الجامعة كانت قد بدات العمل قبل ذلك بمدة ، وهى اول جامعة عصرية في المغرب وفيها عدة كليات تعمل جاهدة ناشطة في مختلف العلوم والفنون · هذا عدا ما الحق بها من معاهد ومحطات للبحث ومساكن للطلبة ···· الخ ·

وبعد ··

لقد كان المغرب في تاريخه الطويل مكافحا ومحافظا على الاسلام والعروبة · فلولا المرابطون والموحدون لاجتاحت جيوش الفرنجة افريقيا ولولا نور الدين وصلاح الدين ، لذهبت جيوش الصليبيين بالشرق · كان المغرب ابدا يسعى الى ان يحافظ على تراثه الروحى والقومى · وكان دائما يريد ان يكون حرا ، قويا ، سيدا · وما كفاحه في السنين الاخيرة ، لاخراج المحتلين الا بقية من روح نضاله في الماضى ومن وحى تاريخه المجيد ·

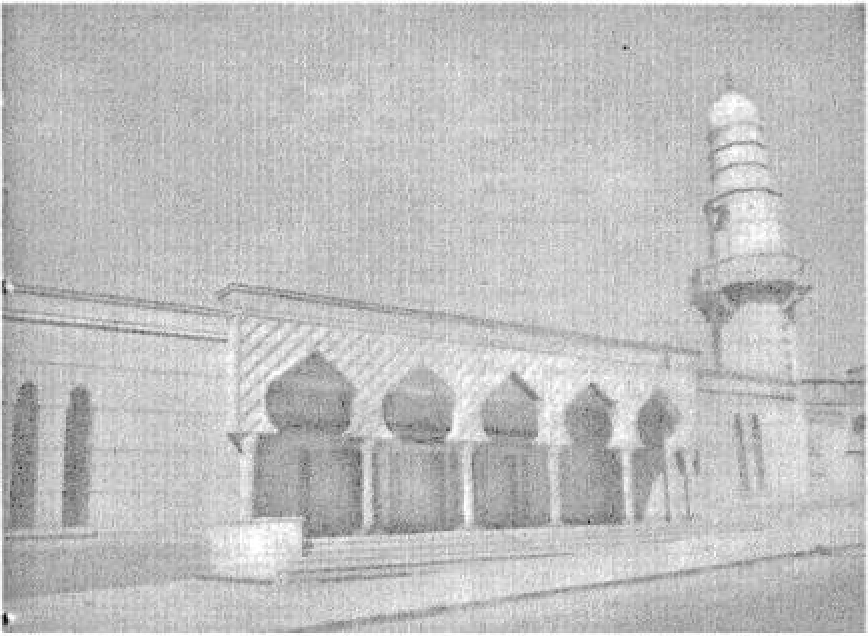
الرياض

العاصمة

التى اجتذبت العواصم

عبد العزيز
الرفاعى

لقطة من الرياض تجمع بين عظمة العمران .. وجمال النخيل



أصبحت هـــذه العاصمة ، القائمة فى قلب الجـــزيرة العربية ـ محط انظار العالم فى مشارقه ومغاربه ... ليس فقط من أجل هذا الموقف الحازم الصارم الذى اتخذته فى حرب رمضان المبارك بل لعدة مواقف تتسم جميعها بالحكمة والحركة ، وبعد النظر ... وانمـــا جاء هذا الموقف الاخير تتويجا لجهود



عديدة مشرقة اضطلع بها الملك الحكيم فيصل بن عبد العزيز .

فاذا كان موقفه من البترول قـــد هز اوروبا وامريكا فشد انظار العالم الغربى ، وأصبح اسم الرياض على كل لسان هناك . لانها تملك هـــذا « القبس » العجيب ، الذى يحرك الالة الحديثة ، أعنى البترول ..

فقد كان الملك العظيم ، يجتـــذب من قبل انظار العالم الاسلامى بذلك « القبس » الالهى المتلألىء ... انه قبس الايمان الذى يقوم الملك فيصـــل ابن عبد العزيز بالحفاظ على مواطن اشعاعه ، فى الحرمين الشريفين .. ومن وحى هـــذا القبس ، يضطلع بدعوته الخيرةالى التضامن الاسلامى «قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين»

لقد جمع الله للمملكة العربيـــة السعودية بين الثروتين العظيمتين : ثروة الروح متمثـــلة فى المواطـــن المقدسة .. وثروة الذهب الاسود .. واقام هـــذا الملك العظيم قيما على صيانة هاتين الثروتين فاحسن التصرف فيهما ، وبهر العالم اجمع ببعد نظره وجميل سياسته .

فى المملكة العربية السعودية ، مكة المكرمة .. ومكة هى قبلة المسلمين، يتجهون اليها جميعا ، خمس مرات كل يوم فى صلواتهم .. فهى دائماامامهم وهى دائما محط انظارهم ، وهى دائما مهوى قلوبهم . كلما خفقت القلوب ، فاشتاقت الحج أو العمرة ..

من اجل ذلك كانت مكة ، من هذه

الــرياض

الناحية الروحية الســامية ، هى أم القرى ، كما سماها الله عز وجل • « ولتنذر أم القرى ومن حولها » أى انها أم العواصم الاسلامية جميعــا لانها محورها الذى تتجه اليه ••

أما المدينة المنورة ، حيث الحرم الثانى ، فقد سماها الرسول العظيم صلى الله عليه وسلم (المدينة)• وهو اسم جدير بالتأمل ••

❋❋❋

تشمل المملكة العربية الســعودية مساحة واسعة من الجزيرة العربية، تقع منها الرياض فى موقع وسيط ، وتلتقى عندها الطــرق المفضية الى اقاليم المملكة او مناطقها ••

وهى تجاور مجرى واد كبير ، هو وادى حنيفة ، او وادى بنى حنيفة • يمتلىء هذا الوادى بالماء ، بعــد سقوط الامطار ، فترتوى الابار التى على حفافيه • وتزدهر المزارع التى يقوم سقياها عليه ••

وتقوم مدينة الرياض على منبسط من الارض واسع فسيح • يمتد فيه العمران اليوم مد النظر • فلا تكاد تعترضه جبال ولا اودية •

❋❋❋

اما اذا ذهبنا نلتمس تاريخ هذه المدينة عبر القرون ، فسنجد ان هذه العاصمة الحديثة ، انما تقوم على انقاض مدينة قديمة ذات جذور عميقة فى التاريخ •• يحدثنا بذلك الباحث العلامة الاستاذ « حمد الجاسر » فى كتابه « مدينة الرياض عبر اطــوار التاريخ » وهو الكتاب الوحيد ـ فيما اعلم ـ الذى عالج هذا الموضوع • وانا مدين لهذا الكتاب فيما اورد من معلومات •••

يحدثنا الاستاذ الجاسر ان مدينة الرياض قامت على انقاض مدينــة « حجر » بفتح الحاء وسكون الجيم ، ومن هنا يصح ان نقــول ان تاريخ مدينة حجر القديمة ، انما هو تاريخ لمدينة الرياض الحديثة ، او ان مدينة حجر القديمة اتخذت اسما جديدا هو الرياض ••

كانت مدينة حجر التاريخية قاعدة اقليم اليمامة • واليمامة اسم معروف مشهور فى التاريخ ••

وعرفت مدينة حجر منذ عهد طسم وجديس ، القبيلتين اللتين يرجعهمــا التاريخ العربى الى العرب البائدة ، ويكفى ان نعرف ان هذه المدينة كانت قائمة قبل الاسلام بقرون ليســت قليلة •

ولا يمكن الجزم بأسباب اطلاق هذا الاسم عليها ••

فقد يكون من الحجر ، وهو المنع ••• او هو نقا الرمل ، وهذا لايستبعد او موضع به حجارة او بقايا اثار ••• او ان اصل الاسم بالهـــاء (هجر) فتغيرت الى حاء ، لان الهاء والحاء حرفان حلقيان يكثر بينهمــا الابدال ، كما يقول استاذنا الجاسر،

وان هجر في لغة العـــرب العاربة معناها (قرية) ٠

مهما يكن الامر ، فان مدينة حجر مدينة قديمة ، قدم التاريخ العربي ذاته ٠٠

وينطبق الوصف التاريخي لمدينـة حجر ، للسمت الذي تتخذه مدينـة الرياض الان ، اذ يختـــرق وادي البطحاء(المعروف بالوتر قديمـــا) المدينة من الشمال الى الجنوب ، وتقوم الدور على جانبيه ٠

ومن المعروف حاليـــا ان شارع البطحاء يخترق المدينة من الشمال الى الجنوب ، ويعتبر الشـــارع الرئيسي الاول ٠٠٠ وفي وسطه يقوم مجرى وادي البطحاء ، الذي يمتليء بالماء اذا تساقطت الامطار بغزارة ٠٠

ويحدثنا التاريخ ان مياه هذاالوادي ووادي حنيفة الكبير ، كانت غزيرة فلا غرو ان تقوم على مشارفها مدن زاهرة ٠٠

على انه بالرغم من ان المدينـــة القديمة ، كانت ذات حصون وقصور فان الايام لم تبق شيئا من اثارها ، الا ان تكون تلك الاثار مطمورة في جوف الارض ٠٠

❊❊❊

في العهد الاسلامي ، كان يسكن حجر بنو حنيفة ، الذين دخلوا في الاسلام وارسلوا وفـــدا منهم الى الرسول عليه الصلاة والســـلام في السنة العاشرة من الهجرة ٠ وبعـد حروب الردة ، عادت بنو حنيفة الى حظيرة الاسلام في السنة الثانيـــة عشرة من الهجرة ٠

وقد ظلت حجر في العهد الاسلامي، قاعدة اليمامة، حيناً، او مدينة هامة من كبريات مدنها ، حينا اخر ٠

❊❊❊

كيف ارتبط تاريخ الرياض بتاريخ حجر ؟

وكيف ارتبط تاريخ هذه المدينـة بآل سعود ؟

نقطة البداية ، تبدا في مســـتهل النصف الثاني من القرن التاســـع الهجري حينما كان يحكم مدينة حجر (ابن درع) فقد وفد عليه (ربيعة ابن مانع) وهو من عشيرته ٠ فمنحه ابن درع أرضين من بلاده المسمـــاة (الدرعية) نسبة الى هذا الاسم ، فانتشرت ذرية ربيعة بن مانع في هذه المنطقة ٠ وجاءت اسرة ال سعود من ذريته ٠ واستقلت لهم امارة الدرعية ثم قامت الدعوة الدينيةالاسلامية على يد الشيخ محمد بن عبد الوهاب فآزره اميرها محمد بن سعود الذي يتصل نسبه بربيعة بن مانع ، وكان قيـــام الدولة السعودية كما هو معروف في تاريخها ٠

في هذه الفترة ، اختفى اسم مدينة (حجر) ، المدينة القديمة التاريخية وظهر في مكانها عدة قرى متفـــرقة منهـــا : « مقرن » و « معكال » و « العود » و « البنية » ٠٠

ويذهب الاستاذ (حمد الجاسر) الذي اعتمـــدت في هذا المقال على كتابه القيم (مدينة الرياض عبر اطوار التاريخ)، الى ان هناكحدائق

طبيعية ، تخللت هذه القرى ، كانت تجود بنباتها في زمن الربيع ، وتزدهر عقب سقوط الامطار ، وكل حديقة من هذه الحدائق تسمى في العرف المحلي (روضة) .. ومن هنا جاء اطلاق اسم (الرياض) على مجموع هذه الحدائق ثم اطلق هذا الاسم على المدينة .. التي تعتبر كبرى تلك القرى . وهي التي نمت من بعد ، حتى اصبحت عاصمة كبرى ، يمتد فيها العمران لمسافات شاسعة ..

اما مدينة الدرعية — التي كانت قاعدة حكم آل سعود ، والتي آزرت دعوة الامام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب — فانها لا تبعد عن الرياض العاصمة الآن الا بحوالي عشرة كيلو مترات، بل لقد زحف عمران الرياض تجاهها ... ومن المتوقع ان يتصل العمران بها في زمن قريب ، بعد ان تقوم ، في الطريق اليها ، المباني الجديدة لجامعة الرياض .

وقد ظلت الدرعية قاعدة المملكة من سنة ١١٥٨ الى سنة ١٢٣٣ هـ

وتعتبر سنة ١٢٤٠ هـ ، بدءا لنقل آل سعود قاعدة حكمهم من بلدة الدرعية الى مدينة الرياض، وان كانت هذه المدينة لم تعرف الاستقرار الحقيقي الا بعد أن استولى عليها الملك العظيم عبدالعزيز في شوال سنة ١٣١٩ هـ في القصة التاريخية المشهورة ، التي دلت على بطولة مبكرة نادرة لذلك الملك الفذ .

منذ ذلك التاريخ اصبحت مدينة الرياض ، وبالتدريج ، قاعدة كبرى لتلك الاقاليم التي ضمها تدريجيا الملك عبد العزيز رحمه الله ، مكونا بها وحدة واحدة هي المملكة العربية السعودية ..

كان يحيط بالمدينة سور بناه الملك عبد العزيز وجعل له خمسة ابواب ، من الشرق باب الثميري ، نسبة لرجل يحمل هذا اللقب من اهل حريملاء . ولا يزال الناس يطلقون هذا الاسم على شارع هام من شوارع الرياض بل من اسواقه التجارية البارزة

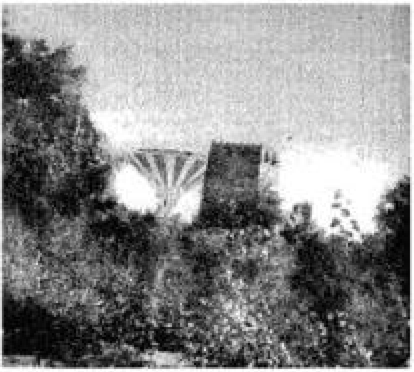
ومن الشمال ، باب « آل سويلم » نسبة الى اسرة معروفة من اشهر اسر الرياض ، وقد اطلق هذا الاسم الان على شارع هام ايضا من شوارع الرياض ..

ومن الجنوب ، باب دخنة .. على اسم بئر هناك ، ويقوم الان موضع هذا الباب ميدان كبير من ميادين المدينة ، يطلق عليه هذا الاسم .

ومن الغرب باب المذبح ، لان الجزارين كانوا في هذه الناحية .

وفي الجنوب الغربي ، قام باب الشميسي ، لاتصاله بمحلة معروفة بهذا الاسم الذي لا يزال يطلق حتى الان على حي كبير من احياء الرياض

الرياض



برج قديم وبرج حديث بالرياض

وحينما انطلق العمران خارج مدينة الرياض، ازيل ذلك السور عام ١٣٧٠هـ اى قبل وفاة الملك عبد العزيز بثلاث سنوات تقريبا ٠

وبتواله اتصل العمران بين المدينة القديمة التى كانت داخل السور ، وبين الاحياء الجديدة التى كانت خارجه ٠ ثم امتد امتدادا كبيرا ٠٠

واعتمد العمران الجديد ، على الاسمنت والحديد بدلا من الطين والاخشاب ، واتخذ سمتا جديدا متسقا ٠٠ وتفنن الناس ، والحكومة، فى اشكال المبانى وطرازاتها واقامت الحكومة فى اكبر الشوارع الحديثة، دورا واسعة للوزارات ، واهتمت بتأمين الماء لهذه المدينة الكبيرة ٠ ونظمت توزيعه ويعتبر برج الرياض الذى يقوم بتوزيع المياه على المدينة، ابرز المعالم العمرانية الآن ٠ وهو اعلى مبنى فى الرياض ٠

والرياض الآن ، مدينة حديثة ، بكل معانى هذه الكلمة ذات شوارع طويلة معبدة ، وارصفة حديثة جميلة ، وحدائق ، وميادين ونافورات ٠٠٠٠ تتصل بها طرق معبدة الى انحاء المملكة ، ومحطة للسكة الحديد ، ومطار عالمى يصلها بالعالم ٠٠ وبها جامعة كبيرة ، وكليات متعددة لمختلف العلوم ، بما فى ذلك الطب ٠ وكلية للبنات هى نواة جامعتهن ٠٠ وبها مستشفيات كبيرة حكومية واهلية ، وستقوم بها قريبا ان شاء الله مستشفيات متخصصة ٠ وتمتد نهضتها الى كل فروع الحياة ٠

ولا ينبغى ان ننسى ، ان الرياض تعتبر بلد الاعشى الشاعر الجهير ٠ فهو من منفوحة ، وهذه الآن من الرياض الحديثة على بعد خطوات فقد اتصل اليها العمران ٠٠

وجرير ٠٠ كان هو الآخر يسكن (حجر) التى قامت الرياض على انقاضها ٠

اما الباحثون عن الآثار فلعلهم يجدون شيئا عن الرياض فى اعماق التاريخ ، اللهم الا اذا نقبوا ٠

اما القصور التى انشئت باللبن ، قبل عهد التطور الاخير السريع فلا يزال العديد منها قائما ٠ وبعض سكان الرياض يفضلونه لملاءمته لجو الرياض الذى يشتد برده شتاء ، ويشتد حره صيفا ٠٠٠

ومن المبانى اللبنية القائمة ، مبنى المصمك ، وهو يدل على طراز عمران القلاع اللبنية ٠٠

● عبد العزيز الرفاعى ●
● الطائف ●

إبراهيم الحضري

صنعاء مدينة الكنوز والأساطير

تقع الجمهورية العربية اليمنية في جنوب جزيرة العرب المتصل بالمحيط الهندى ·
وتقع صنعاء فى القلب منها على ارتفاع ٢٢٠٠ متر عن سطح البحر
لم يقل العلم كلمته القاطعة عن تاريخ صنعاء القديم ، لان التنقيب لم يأخذ بعد طريقه الى اكتشاف مخبآتها وكل ما تدل عليه النقوش التى عثر عليها : انها كانت احدى مراكز السبئيين والحميريين ، ولكنها لم تستعمل عاصمة الا منذ القرن الخامس للميلاد حيث جعلها ابرهة الحبشى مركزاً له ، وبنى فيها كنيسته المعروفة بالقليس ـ هكذا يقول مؤلف (اليمن عبر التاريخ)

وانا اعلل عدم اتخاذ صنعاء عاصمة فى القديم بسبب قربها من المناطق غير الخصبة والتى كثيرا ما تتعرض للجفاف والمجاعات فتجعل من صنعاء هدفا للنهب · ويجدر بى ان استشهد هنا بما حدثنا به التاريخ بعد الإسلام ، وذلك : ان الملكة اروى بنت احمد الصليحية ، فى القرن الخامس الهجرى ـ وكانت صنعاء عاصمة لها ولزوجها الملك احمد بن على الصليحى ـ قالت له يوماً : يا مولانا ادع نواحى صنعاء لتجتمع بك ··

ثم قالت له : « اشرف عليهم » ·· فلم ير الا متقلد سيف ، او حامل رمح ، او محتزما بخنجر ··

ثم اتجهت الملكة جنوبا الى الاقليم الاخضر على بعد ٢٠٠ كيلو متر ، ودعت الناس ، واشرف عليهم الملك فلم ير الا من يحمل قمحا او سمنا او عسلا او سائق بقرة ·· فقالت له: هل الحياة بين هؤلاء اطيب ام بين اولئك ؟

فاتخذت من هذا الاقليم عاصمة ·

اوردنا هذه اللمحة التاريخية لنديل على ان الملوك الاقدمين عزفوا عن صنعاء لقربها من المناطق القاسية ·

يقولون : ان صنعاء اول مدينة عمرت على وجه الارض ، لان الذى أسسها سيدنا سام بن نبى الله نوح ولهذا يسمونها مدينة سام · وكانت تسمى فى الجاهلية « ازال » وازال احد ملوكها · وسماها الحبشة صنعاء لما رأوا من أحكام بنائها واتقان صنعتها ··

ويقول أحمد شرف الدين : انه عثر على نقش فيه اسم صنعاو ، وفسره بالصانع · ويجمع المؤرخون انه كان



لقطة قريبة لمدينة صنعاء تبرز ملامح التقدم والعمران

بها قصر غمدان وانه اول ناطحة سحاب دون التاريخ اخبارها ، ويتألف هذا القصر من عشرين طابقا كل طابق عشرة اذرع ، وانها وضعت للملك في اعلاه غرفة من رخامة واحدة كان يستلقى على فراشه فتمر به الطيور فيميز الغراب من الحداة .

ويذهب بعضهم الى ان القصر كان قائما الى أيام الخليفة الثالث لرسول الله صلى الله عليه وسلم سيدنا عثمان بن عفان ، وانه هدمه لانه يذكر العرب بمفاخرهم في الجاهلية .

وقد اطنب لسان اليمن أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمدانى ٣٣٤ هـ ـ ما شاء له الاطناب في الحديث عن صنعاء ، فهى نهاية النهايات في عراقتها وموقعها وطيب هوائها ، ويتحدث عن أهلها فيقول :

ولم يزل بها عالم وفقيه ، وحكيم وزاهد يحب الله المحبة المفرطة ، ويخشاه الخشية البالغة .

ويسترسل أبو محمد فيذكر من شعرائها بكر بن مرداس فيقول :

انه كان ظريفا حسن الهيئة وله ثياب بعدد أيام خروجه ، كان شعره سائرا ، اخبرنى ابن ميرزا الانباوى عن بعض من حدثه من أهل صنعاء عن ابيه قال : وافيت الحج ورايت في الطواف فتى ظريفا خفيف الروح ، فقلت : من هذا ؟ فقيل : ابو نواس الحسن بن هانى ، فسلمت عليه ، وفاوضته واخبرته بنفاق اشعاره واخباره بصنعاء ، وسالته شيئامنها فقال : يطلب منى مثل هذا وعندكم بكر بن مرداس ؟ فقلت : وانه عندك بهذه المنزلة ؟ فقال : اما هو القائل

يا اخوتى ان الطبيب الذى
ترجون أن يبرانى مسقمى
وما الا نصحا ولكنه
عن علم ما بى من سقام عمى
فسائلوه عن عقاقيره
وسائلوه ما الذى احتمى
فانما الطب لمن داؤه
من مرة أو بلغم أو دم
والحب لا يشفى بايارج
ولا بترياق ولا محجم
الا بلثم الحب أو ضمه
ومج ريق من فم فى فم
فيا شفاء النفس من دائها
داوى سقامى وارحمى ترحمى
فلو بعينيك اذا جئتنى
ليلا واغفت اعين النوم
طولى على بابكم باكيا
لحر شجو فى الحشا مضرم

صنعاء

لخلت انى طائف محـــــرم
من ساحة البيت الى زمزم
واستيقنت نفسك ان الهوى
الفــد ما يعلق بالمسلم
فاعتقى عيـــنك مما به
واكرمى وجهـــك ان تظلمى

هذا وقد يتغير الانسان وما يصنعه الانسان ، ولكن الطبيعة لا تتغير . فماذا قال التاريخ قديمة وحديثه عن طبيعة صنعاء ومناخها ؟

قال ابو محمد الهمدانى : واصمة صنعاء يلبس الانسان بها فى الشتاء وعند جمود الماء لباس الخز والكتان والرقائق فلا يدخلها البرد ، ويلبس الانسان الصوف والمبطنات فى صيفها فلا تؤذيه .

اما ياقوت الحموى فقد روى عن ابن عمار قوله : (ليس بجميع اليمن اكبر ولا اكثر مرافق واهلا من صنعاء وهى بلد فى خط الاستواء (١) وهى من الاعتدال فى الهواء بحيث لا يتحول الانسان من مكانه طول عمره صيفا ولا شتاء .

وقال معمر : وطئت ارضين كثيرة شاما وخراسان وعراقا ، فما رأيت مدينــة أطيب من صنعاء .

ومن علما الاثار المعاصرين الدكتور أحمد فخـــرى ، رحمه الله ، زار صـــنعاء عدة مرات قبل الثـــورة وبعدها والف وحاضـــر عن تاريخ اليمن ومما قاله عن صنعاء .

« ليس فى مدن الشرق مدينة تشبه صنعاء لنقارنها بها ، فهى فريدة فى موقعها ، وفريدة فى طراز بنائها ، وفريدة فى أســـوارها ، وفريدة فى مظهرها الشرقى الخاص الذى يجعل السائر فى طرقاتها يحسب أنه انتقل بضع مئات من السنين ، فيتصـــور نفسه فى بغداد او فى غيرها من مدن الحضارة الاسلامية ... وتمتاز هذه المدينة بموقعها الجغـــرافى ، فهى وسط واد فسيح تحيط بها الحقـــول والحدائق التى تمدها بحاجاتهـــا من الغذاء والمرعى ، وتحيط بها الجبال العالية فيزيد ذلك فى منعتها ويصبح الاستيلاء عليها امرا غير يسير ... وجوها معتدل طول العام ، وشتاؤها غير قارس وصيفها غير حار) .

ويروى السيد عبد الله الثـــور فى مؤلفه (هذه هى اليمن) ان الامام يحيى سال رئيس الوفد العراقى ثابت عبد النور كيف وجدت اليمن ؟ فاجابه وجدتها جوهرة فى يد فحام، فاغتاظ الامام وأمر بترحيل الوفد ... وكان ضمن الوفد الشاعر العربى عبدالهادى الجواهرى الذى نظم قصيدة طويلة فى صنعاء يقول فيها .

صنعاء يا دار الحضارة والعلا
ومحط كل مـــبدع وملية
باريس دونك فى الجمال ولندن
وعواصـــم الرومان والامريكة
فجمـــال تلك مزخرف متكلف
وجمالك المطبـــوع من بلديك
هكذا يقول ...

وفن البناء يدل على عـــراقة الامة ومقدار ما بلغته من التقدم والرقى ، وقد تكلم الكثيرون عن تفنن أهـــل جنوب الجزيرة العربية فى البنـــاء ، وبعضهم ربط بينه وبين روائع قصور الاندلس وجعلها امتدادا لقصـــور اليمن ، ولا جدال ان اليمانيين قـــد تركوا بصماتهم على تلك البلاد لا فى البناء فحسب ولكن فى اللغـــة وفى الفنون . وسنكتفى هنا بذكر ما اورده الرحالة الالمانى « هانزهولفريتز » فى كتابه (اليمن من الباب الخلفى)

---

(١) وهذا خطا لان صنعاء تقع شمال خط الاستواء بنحو ١٥ درجة .

ترجمة المرحوم خيرى حماد ، قال :

(فمن المؤكد ان فن العمارة القديمة في الجنوب العربي قد ظل على حاله دون تبدل حتى يومنا هذا ، وما زال اهل اليمن يبنون اليوم على نفس المنوال الذى كان يتبعه اجدادهم قبل ثلاثة او اربعة الاف سنة · ويبنى الجزء الاسفل من المنزل من الحجر الجرانيت اوالبازلت الاخضر او الحجر الرملي الاحمر او الاصفر ، اما الجزء العلوى الذى يرتفع عادة الى ست طبقات فيبنى من الطين · ولا ريب في ان المهارة في البناء تدعو الى الذهول اذا اخذنا بعين الاعتبار ان هذه الابنية السامقة لا تستند الى دعائم من الحديد او الاسمنت المسلح ···

الى ان يقول :

« وتشبه زخرفة البيوت على البلور العربي والفسيفساء والنقوش على الخشب في فنها الرفيع الى حد كبير نماذج الزخرفة الموجودة في قصر الحمراء في الاندلس ، وهذا يؤيد القول بأن هذا الاثر الرائع لفن العمارة العربية الذى يعود في جذوره الى عصور ما قبل التاريخ العربي ، قد نشأ في الجنوب العربي وان معمارى هذا الجنوب هم الذين بنوا قصر الحمراء الاندلسى » ·

كانت صنعاء مرتبطة بعد اسلامها بالمدينة المنورة ثم ارتبطت بعاصمة الامويين ، ثم بعاصمة العباسيين الى أيام المأمون فظلت صنعاء بين مد وجزر تارة يحكمها ولاة العباسيين وتارة تستقل بحكمها بعض الاسر اليمنية كاليعفريين ٢٢٥ ـ ٣٢٥ هـ والصليحيين وغيرهم ، ثم اتخذها الاتراك عاصمة في الفترات التي كانت تتم لهم فيها الغلبة على اليمنيين ··· وازدهرت صنعاء بعض الازدهار في فترات من حكم آل القاسم حيث شمل حكم بعضهم اليمن الكبرى· وبعد أن تغلب الامام يحيى على الاتراك جعلها عاصمة له لم يبرحها الى ان قتل سنة ١٩٤٨ م ، واثر مقتله تعرضت صنعاء لاسوأ كارثة تتعرض عاصمة لها حيث دخلتها القبائل المحيطة بها وعاثوا فيها فسادا ونهبوا دورها ومتاجرها ، وجردوا أهلها من كل مايملكون · ولولا أصالة هذه المدينة وموقعها وطيب مناخها للحقت بأخواتها من مدن عاد وثمود وطسم وجديس وسبأ وحمير ومعين ·

أما الامام احمد الذى ولى الحكم بعد أبيه فقد ظل مدة حكمه في مدينة تعز حتى توفي سنة ١٩٦٢ م وجعل من تعز عاصمة ثانية محتفظا لصنعاء باسمها عاصمة اليمن الاولى

أما صنعاء اليوم وفي عهدها الجمهورى فقد أوشكت أن تستعيد ماضيها المشرق ، حيث أخذ العمران ينتشر في ربوعها ويغمر كل مجال فيها ، فالمباني تتسع حتى تملأ مابين الجبلين جبل (نقم) وجبل (عصر) وهكذا كانت أيام ازدهارها ·

وتنشأ فيها المدارس على اختلاف مراحلها للبنين والبنات حتى الجامعة كذلك المستشفيات ، كما بنى فيها مطار دولى يربطها بالعالم الخارجي التى ظلت معزولة عنه · وفيها الآن مصنع للغزل والنسيج يستوعب العدد الجم من الصناع والصانعات · وقد تأسست دور للمكتبات والدراسات اليمنية

واقيم متحف للآثار تحت اشراف القاضى البحاثة اسماعيل بن على الاكوع ·

وتخليدا للفن المعمارى العريق بني في صنعاء قصر للضيافة التذبيلبناته أمهر حملة هذا التراث ، واشرف على بنائه وزير التربية والتعليم احمد جابر عفيف الذى أخبرني : أن مهندسا فرنسيا شاهد البنائين اثناء عملهم فدمعت عيناه ، فسأله الوزير : مالك ؟ فقال هذه الكلمة المثيرة : « أخشى ان يتعلم هؤلاء !! »

كان عدد سكان صنعاء قبل الجمهورية لا يتعدى الـ ٦٠ الفـا ،

صنعاء

ويوشك اليوم أن يصل الى ربع مليون .

ونختتم هذا الحديث عن صنعاء بمناجاة رقيقة لامين الريحاني اثناء زيارته لها :

(اى صنعاء مثلك لنا التاريخ فكنت مليكة الزمان . ومثلك لنا العلم فكنت يوما ربة العرفان . ومثلك لنا الاساطير فكنت سيدة الجن والجان . وقفنا عند كنوزك . وسمعنا الشعراء ينشدون الشعر فى دورك . واليوم ومطيتنا غير الخيال، نشاهد ما يثبت المقال . ويحقق الامال .. هذه بيوتك العالية وقصورك الشامخة فما كذب التاريخ ... وهذا جمالك الطبيعى ، وبهاؤك العربى فما كذب الشعر...

● وفى خزائنك الكتب النفيسة والمخطوطات ، فما كذب العلم ... وهذه كنوزك وقصورك بل سحر الاسماء فيك ، فما كذبت الاساطير.. كلنا نظنها اسماء ابتدعها الشعراء لعرائس الشعر والخيال ، ولكنها من الحقيقة فى اعلى مكان اجل ان صنعاء فى محاسنها لا تخيب للزائر املا ، وكلما دنوت منها – وهو عكس الحقيقة فى اكثر المدن – ازداد رونقها فازداد اعجابك بها ، هى فى مقامها الطبيعى فريدة عجيبة ، فيها الهواء اعذب من الماء ، والماء اصفى من السماء ، والسماء اجمل من حلم الشعراء ! » .

● ابراهيم الحضراني ●

● صنعاء ●

تناسق فريد يبرز عظمة الفن الاسلامى



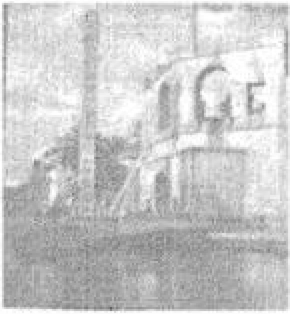
طرابلس عاصمة ليبيا العربية

عمر المزوغي

طرابلس المدينة العربية الخالدة ، من لا يعرفها وهي احدى مدن الجمهورية العربية الليبية الكبيرة العريقة الجميلة، يطل وجهها الصبوح على القادمين لها من ناحية البحر ، وتبدو لهم كجوهرة بيضاء وسط بساط سندسي يحيط بها النخيل والجنائن الخضراء ، تلف مساحتها العامرة بالمباني ارض مشجرة باشجار الرمان والعنب والخوخ والتين واشجار الفواكه المثمرة ، واكثر نسبة بين هذه الاشجار شجرة الزيتون المباركة

طريق الفتح من اجمل شوارع طرابلس





حقيقة أن طرابلس من أروع وأجمل المدن التي حباها الله بجمال الطبيعة ، فحبات رمالها التي يمر بها الزائر قبل وصوله لشواطيها المزروعة تتلألأ تحت أشعة الشمس بلونها الاصفر الذهبي مثل قلائد طوقت عنق عروس حسناء وأمواج البحر تلامس مبانيها وتطرح الفرحة والابتسامة على شواطئها ..

لقد ظلت هذه المدينة عبر التاريخ وما زالت تحتفظ بسماتها العربية الاسلامية ومميزاتها الواضحة التي تدل على أصالة أهلها وتاريخها الحضاري والانساني المجيد ، وقد نالت اعجاب واهتمام المؤرخين والشعراء والمفكرين والفلاسفة والسياسيين فتناولوها بكتاباتهم ، وصوروها بشتى ألوان التعبير والابداع الادبي والفني والفكري واشادوا بدورها الفعال في اثراء الحضارة الانسانية ، وتفخر بصمود وكفاح شعبها العربي المستمر والنضال الصادق العزيمة من أجل بناء دعائم الحرية والاشتراكية والوحدة وتحطيم جسور الاستعمار والاستعباد .

ومدينتنا طرابلس كغيرها من المدن في ليبيا ، شهدت المعارك الطاحنة التي دارت رحاها بين المجاهدين الليبيين والايطاليين المعتدين ، ولم يركن انسانها لليأس ولم تفتر عزيمته عن مواصلة الكفاح

فهي تفخر بتاريخها الوطني وسيرتها التي تشكل ملحمة رائعة تحكي البطولة والرجولة وكل القيم الرفيعة بما فيها العتيق العريق والجديد المجيد .

ومن خلال التعداد التقديري سنة ١٩٧٢ يتضح لنا أن تعداد سكان محافظة طرابلس ٥٤١٠٠٠ نسمة ، وترتفع النسبة حتى سنة ١٩٧٦ الى ٦٢١٠٠٠ نسمة .

وتقع مدينة طرابلس على شاطيء البحر الابيض وتعتبر حلقة وسطا بين جناحي الوطن العربي مغربه ومشرقه

مناخها يتسم بالدفء ، شمسها ساطعة دوما ، تمر بها موجات برد شتاء ممطرة في بعض الاوقات ، ولكن هواءها نقي جاف ليس به رطوبة وأجمل فصول السنة فيها هو فصل الخريف حيث يكتسي نخيلها بالثمار الحلوة المذاق .

طرابلس

● طرابلس التاريخ ●

يمثل ما تشتهر به اى مدينة لها تاريخها الحضارى الموغل فى اعمــــاق الزمن وما تشربت من حضارات الامم ولاقت من نوائب الزمن واحزانه وافراحه كذلك طرابلس الان (والايالة) قديما ، و (تريبيولس) فى احلك ظروفها • كانت تسمى الايالة قديما • وسميت تريبلى ، فى حــكم الايطاليين ولكنهـــا دوما طرابلس العربية •

لقد استوعبت مدينتنا العــربية طرابلس مختلف الحضـــارات عن طريق مختلف الاجنـــاس والاديان الذين كانوا يفدون لها بحكم مركزها التجارى المرموق ، فاخذت منحضارات هذه الامم واعطت لهـــا • وتاثرت واثرت فى الاخـــرين ـ فقد كان ازدهارها الاقتصادى ورواج ســوقها التجارية يسجل فى كثير من فتــرات التاريخ نجــاحا لم تدانيها فيه اية مدينة اخرى • ذلك لانها كانت تسير نوعين من التجارة تجــارة برية عن طريق القوافل التى تاتى من اقطـــار مجاورة ، محملة بالذهب والعـــاج وخشب الابانوس وريش النعام

وتجارة بحرية تدل على كبر حجم نشاطها التجارى وقوة مكانتهـــا بين الدول ومدن العالم •

وكما لعبت هذه المدينـة دورها فى مجالات الرخاء العالمى شهدت ايضا الغزوات وتلقت من الصـــدمات التى لا يصمد معها غير بلد يفاخر بابنائه فى الصمود والذود عنه والنضـــج الاجتماعى والســياسى • فطرابلس المدينة المجـــاهدة عبر التاريخ قلعة البحر امام صــمودها كل المغامرين والطامعين • فهى الصــــخرة التى تحطم عليها جبـــروت الفينيقيين والاغريق ابان القرن الســـابع قبل الميلاد والرومان سنة ١٠٦ والوندال ٤٥٥ م والبيزنطيين والنـــورمانديين والاسبان ١٥١١ وفرســـــان مالطة ١٥٣١ والترك والايطاليين وغيرهم •

ويبدو ان هذه المدينة العـــريقة التاريخ والرائعة الصــمود والجمال عديمة الحظ فى ان تحظى باظهـــار تاريخها العظيم فى وسائل الاتصال الحديثة كالســـينما والمسرح وغير ذلك من طرق البث والنشر •

ورغم ان هناك الكثير والكثير من العلامات البارزة فى مسيرة ابنائها القدامى والمعاصرين تســـتحق عن جدارة اهتمـــــام الكتاب والمفكرين والفنانين وصـــدق احساسهم بقيم جهادها واصالتها وجمال طبيعتهـــا ونفائس تراثها وبهاء فنونها ونضال شعبها ومواقف ابطالها •

من اين ذلك الفـــــلاح الكادح سيبتموس سيفروس الذى ترعرع بين



ميدان الـراى .. تناسق ونظام بديع

روابى صبراته واستنشق من هوائها معانى الحب والارتباط بالارض فاحبها وكبر مع حبه لها حجم الامل والتطلع لتحريرها ورفع شأن اهلها ، وقـد كلل الامل بالعمل وامتد سلطانه وعلا نجمه فحكم روما باجمعها ولعب فى تاريخ الرجال الاشداء دورا خطيرا .. فما زال الاسم والتذكار ماثلين امام قراء وكتاب التاريخ فى دنيا البطولات النادرة التى دخلهـا الامبراطور الليبى سبتيموس سيفروس ثم ما تعاقبت بعده من حقبات زمنية لم تعرف فيها أرضنا الطيبة اليأس من انجاب الرجـال الثائرين على الظلم المخلصين للشعب .

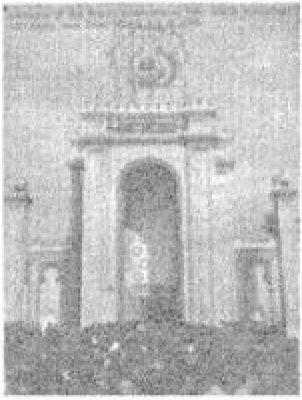
وقد قدمت الالوف من الشهداء فى ساحات جهادها ، فمعركة الهانى ، وشارع الشـط ، وأبو مليانة والنشية ، خير دليل على اصـالة الارض التى انجبت عمر المختار ، وسعدون ، والسويحلى ، والمرابض ، والباروني ، وابن عسكر ، وغيرهم من الفرسان العرب الغـاوير الذين افتدوا الوطن بالروح ، ولا هادنوا ولا استكانوا .

ونسـتطيع بغير عناء أن نرجع عدم الاشادة ببطولاتنـا بالكيفية التى شـملت بطولات بعض الاجزاء من وطننا العربى ، الى سبب واحد ، هو أن الفـترة الأخيرة من منتصف هذا القرن التى عمت فيها وسـائل

الاتصال الحديثة الاذاعة والتلفزة والسينما ، لم يكن فيها الكاتب والمفكر والفنان فى ليبيا يشعر بالطمانينة ولم تهيأ له اسباب التمكن من تناول تاريخنا العظيم فى صورة قصة سينمائية او عمل ملحمى ناضج ، ذلك لانه كان يعانى من مظاهر القهر خلال الحكم الايطالى ، وابعد عن مجال الكلمة او خلقوا منه اداة تعبير لا تقترب من الجوهر بل تلهو وتلهى الاخرين عن مثل هذه الكتابات الوطنية ٠

وحتى عندما جادت تربتنا الطيبة مرة اخرى بالفلاح الليبى الذى ثار على الطاغوت ، لم يزل تاريخنا من الكتابة التى تبرز صورته للعالم اجمع وتحاول شرحه وترسيخه فى اذهان الكبار والصغار معا عن طريق الشاشة أو الاذاعة ودور الخيالة ، فثورة الفلاح الكادح اى ثورة الفاتح من سبتمبر ، كانت ثورة على المظاهر المعوقة لتقدم الانسان العربى فى ليبيا كمنطلق والعالم العربى عامة كهدف من اسمى اهدافها بأن تبعث فيه روح اليقظة للتحرر ، فهى بالتالى قد احتضنت كل كاتب ومفكر وأديب ، وحثت وحرصت على وجودهم فى مواقعهم ومع ذلك كله فان تاريخ مدينتنا طرابلس واضح المعالم بارز

طرابلس



الصفات سيأخذ نصيبه من اهتمام جيل الثورة المؤمن بالله والوطن والمبادىء النبيلة ٠

● طرابلس العمران والسكان ●

لقد اتسعت المبانى خلال اربع سنوات من عمر الثورة الرائدة اتساعا كبيرا ، فقد شيدت حوالى (٤٥٣٦) وحدة سكنية بمحافظة طرابلس ، واتجهت وزارة الاسكان لبناء العمارات وفق الطرق الحديثة المتضمنة لكل المزايا الصحية ، والجمالية ، وروعى فى هذه المبانى الجديدة متطلبات العصر من حيث الحدائق العامة والمياه واتساع الطرق وشق المجارى والخطوط الهاتفية وغيرها من المستلزمات المطلوبة لراحة الشعب عامة ، فسهلت للمواطنين الحصول على القروض

التى تسدد على اقســـاط لا ترهق ميزانيتهم خـالية من الارباح وفى عناية حققت لهذه المدينة ، وغيرها من المدن حلما راودها عصـــورا طويلة ، واصبح شيئا ملموسا فى عهد ثورة شباب الوطن المخلصين .

● طرابلس الادب والفكر ●

تحتضـــن مدينة طرابلس ادباء ومفكرين وفنانين ممتازين يمثلـــون تطور الادب والفكر والفن عبـــر مراحله المختلفة والوانه العـــديدة المتعددة ، وشأن الادباء فى هـــذه المدينة لا يختلف عن غيرها من المدن الاخرى سواء بالجمهورية العـــربية الليبية او فى اى ركن من اركـــان الوطن العـــربى الكبير ، فكثير من هؤلاء الادباء اصـــله وعائلته من الريف البعيد ، وبحكم اقامته داخل المدينة وبحكم مكانتــــــه الادبية والاجتماعية والفكرية باعتباره احد الافراد المبدعين الذين يستطيعون شق طريقهم فى حيـــاة المدينة ، فقـــد استوطن بها وعاشت فى كل نبضة من نبضات قلبه العامر بالحب لها ، تعبر عن امالها واحزانها .

وادباء وشعراء وكتـــاب طرابلس كثيرون حقا ، وقد اعطوا للحـــركة الفكرية الكثير والكثير شعراً ومقالة وقصصا شعبياه غير ان كثيرا من هـــؤلاء الادباء والفنانين لم تأخذ شـــهرته طريقها للعالم العربى ، لعدم انتشار المطبوع الليبى قبـــل قيام الثورة

وقد اخذت ثورة الفاتح بالمبادرة لتكريم الادباء والشعراء والزجالين والكتاب دفعا بحـــركة الفكر الى الامام . وشاركت فى معارض الكتاب الدولية ، بالاضـــافة الى معرض طرابلس الدولى الذى يعتبر من اكبر المعارض العالمية وانجحها .

● الفنون والعادات والتقاليد ●

لقد دلت الدراسات الفولكلورية التى اجريت على بعض نصـــوص الادب الشعبى العربى على وحدة المضمون ، خاصة تلك النصـــوص التى تصحب العادات والمعتقـــدات وتمثل المظاهر العامة فى الاعـــراف الشعبية . وهو دليل قاطع على ان وحدة الامة العربية لم تكن متمثلة فى دينها وترابها وتاريخها ولغتهـــا العربية الخالدة فحســـب ، بل ان الوحدة موجودة حتى فى ســـلوكها وادبها الشعبى ومأثوراتها المعبر عن ماضيها وحاضرها واحزانها وافراحها بالفاظ البســـط التركيب العميق المعانى ..

ومدينة طرابلس تميزت بطابعهـــا الخاص فى ادبها الشـــعبية فهى لا تختلف عما يحيط بها من عادات اهل الريف ونمط اغانيها الشعبية ، وقد شمل اهتمام الثورة بالفن والادب والفنون الشعبية ايمانا بان دراسة التراث الشـــعبى وجمعه واظهار جوانب الاصالة فيه اصبحت ضرورة تفرضها روح العصر والاخذ بناصية التقدم العلمى فى كل ما يتصـــل بالانسان وما يحيط به وما يصـــدر عنه ..

● عمر الزوانى ●
● طرابلس ●

عمان مدينة الجبال السبعة

د. ناصر الدين الأسد

كان يستوطن البلاد التى الى الشرق من نهر الاردن خلال تلك العصور القديمة ثلاثة شعوب او قبائل عربية : الادوميون فى الجنوب ، والمؤابيون فى الوسط ، والعمونيون فى الشمال . ومنهم : اليبوسيون والكنعانيون فى الداخل والفلسطينيون على الساحل . اما البلاد الواقعة شمال نهر الاردن فكان اهلها كذلك من الشعوب العربية التى نزحت منذ اقدم العصور (القرن الثلاثين قبل الميلاد) من جزيرة العرب، فكان يسكن الاراميون الاجزاء الداخلية والفينيقيون الاجزاء الساحلية .. وهكذا نرى ان بلاد الشام ، باجزائها السياسية الحديثة المصطنعة ، عربية موغلة فى العروبة منذ اقدم العصور .

وقد عاش العمونيون فى شمال

حاضرة من اعرق حواضر العروبة واحصنها ، وثغر من ثغور جهادها لاعدائها خلال العصور ،منذ اقدم ما نعرف من التاريخ، فلطالما خاض اهلها العمونيون – مع ابناء عمومتهم من العرب المؤابيين والاراميين والفينيقيين والادوميين والانباط – صراعا ضاريا مع اليهود ازمانا متلاحقة، ثم مع الفرس واليونان والرومان .

اقدم ما نعرف من اسمائها : « الربة » بمعنى المكان الذى يجتمع فيه الناس ويحتشدون ، اى المدينة الكبيرة او العاصمة، وكثيرا ما كانت تضاف الى اهلها فيقال لها : « ربة عمون » ، او « ربة بنى عمون » ، وورد ذكرها فى التوراة خمس عشرة مرة. وقد استوطنها فى القرن الحادى والعشرين قبل الميلاد العمونيون العرب ، على اثر اقوام عرب ايضا سبقوهم فيها .

نهر الاردن مع المؤابيين في الوسط والادوميين في الجنوب ، خمسة قرون على الاقل قبل أن تعرف هذه البلاد اليهود الذين مروا بها بعد ذلك في طريق خروجهم من مصر الى غرب النهر ، وصار هؤلاء اليهود سبب قلاقل وحروب وفوضى لهذه البلاد واهلها عدة قرون ، كما هم الان بعد نحو ثلاثين قرنا من سيرتهم الاولى ، يعيدونها جذعة ·

أقام العمونيون مدينتهم من قسمين : قسم منخفض في جوف الوادي حول سيل الماء الغزير ، وعرف هذا القسم بمدينة المياه ، وفيه كانوا يمارسون حياتهم اليومية من رعي وزرع وتجارة ، والقسم الاخر يرتفع نحو ١٣٠ مترا على قمة الجبل – يعرف اليوم بجبل القلعة – بنوا عليه الابراج والقلاع وحصنوه ليحموا انفسهم من أعدائهم ، وبين القسمين انفاق داخلية ليس للعدو طريق اليها

بعد ان اقتسم خلفاء الاسكندر المقدوني البلاد التي فتحها ، وارتقى بطليموس الثاني (بطليموس فيلادلفوس ٢٨٥ – ٢٤٧ قبل الميلاد) عرش مصر ، كان العمونيون قد ضعف شأنهم بعد ان هدتهم الحروب وخيم الخراب على عاصمتهم « ربة بني عمون » فارسل بطليموس فيلادلفوس جيشه واحتلها ، وجدد بناءها ، واطلق عليها اسمه فصارت تعرف باسم « فيلادلفيا » نسبة اليه · واصبحت من أشهر المدن اليونانية العشر (ديكابوليس)ومن اهم قواعد الحضارة الهلينية · ثم احتلها انطيوخس الثالث ملك سورية السلوقي بالخديعة وبعد حصار طويل سنة ٢١٨ قبل الميلاد ، وكان

احد شوارع عمان التي تشهد نهضة
عمرانية لم يشهدها تاريخها الطويل



عمان مدينة الجبال السبعة

السلوقيون في سورية هم خلفاء الإسكندر كالبطالمة في مصر.

وفي القرن الأول قبل الميلاد احتل العرب الانباط ربة بني عمون، ولكنهم ما لبثوا أن انسحبوا منها ليحتلها الرومان. واصبحت في عهدهم من أهم مدن الولاية أو الكورة العربية Provincia Arabia واعادوا بناءها واقاموا عليها منشآت كثيرة لا تزال بقاياها قائمة حتى الآن. ومن أهمها: المدرج الروماني في الوادي والمباني التي على قمة جبل الطهطور فيما يسمى بالقلعة. ومنها هيكل هرقل.

ثم حكمها الروم البيزنطيون وبقيت في حكمهم الى أن فتحها المسلمون سنة ١٦ هـ بقيادة يزيد بن ابي سفيان وجعلوها قاعدة القسم الجنوبي من البلاد الواقعة شرق نهر الأردن. ويسمى هذا القسم « البلقاء ». وازدهرت عمان في عهد الامويين. واقاموا فيها منشآت كثيرة لا تزال بقاياها ماثلة حتى الآن ومن اهمها القصر الاموي الذي بنوه على جبل القلعة. وذكرها بعض الشعراء الامويين كالاحوص بن محمد الانصاري (المتوفى في نحو سنة ١٠٥ هـ) في قصيدته التي مطلعها:

أقول بعمان وهل طربي به
الى اهل سلع ان تشوقت نافع

ومنها قوله:

نظرت على فوت، واوفى عشية
بنا منظر من حصن عمان يافع

وكذلك ذكرها الفرزدق (المتوفى سنة ١١٠ هـ = ٧٢٨ م) في مدحه لسليمان بن عبد الملك فقال:

فحبك اغشاني بلادا بغيضة
الى ورومنا بعمان القرا

وبقي ذكرها في زمن العباسيين والفاطميين. وكان لها شأن في الحروب الصليبية اذ كانت من مراكز التجمع وارسال الحملات لاسترجاع مدينة الكرك من أيدي الصليبيين.

وصفها محمد بن احمد البشاري المقدسي (المتوفى نحو سنة ٣٨٠ هـ = ٩٩٠ م) في كتابه « احسن التقاسيم » بقوله:

« وعمان على سيف البادية. ذات قرى ومزارع. ورستاقها البلقاء. معدن الحبوب والاغنام. بها عدة انهار. وارحية يديرها الماء. ولها جامع ظريف بطرف السوق مفسفس الصحن. وقد قلنا انه شبه مكة. وقصر جالوت على جبل يطل عليها. وبها قبر أوريا وعليه مسجد وملعب سليمان، وهي رخيصة الاسعار كثيرة الفواكه. والبها الطرق الصعبة ».

وقال ياقوت (المتوفى سنة ٦٢٢ هـ = ١٢٢٩ م) « عمان: بلد طرف الشام. وكانت قصبة أرض البلقاء ... وقيل ان عمان هي مدينة دقيانوس. وبالقرب منها الكهف والرقيم معروف عند اهل تلك البلاد، والله أعلم ».

وذكر ياقوت في « عمان » و « البلقاء » عددا من العلماء ينسبون اليهما.

وبعد الحرب الصليبية. توالت على عمان الزلازل والاوبئة. حتى هجرها أهلها وتجنب الناس سكناها، واصبحت بعد القرن الرابع عشر الميلادي مهملة منسية ليس فيها عمران فيما عدا من كان يرد على مياهها من الرعاة والبدو لسقاية مواشيهم. وبقيت على هذه الحال مدة خمسة قرون أو ستة لا يكاد يذكرها احد.

وقد زارها سنة ١٨١٢ رحالة من اصل الماني اسمه يوهان بيركهارت في اثناء رحلته الى سورية والبلاد المقدسة ، فكانت خرابا تحيط بها قبائل من بني صخر ومن العدوان ، وكانوا يترددون على مياهها الغزيرة للشرب وسقاية خيولهم ومواشيهم ، فيتنازعون وكثيرا ما كان ينشب بينهم القتال ، حتى ان هذا الرحالة واجه مشقة كبيرة في ان يجد دليلا من البلاد المجاورة يقوده الى خرائب عمان الاثرية بسبب القتال الذي كان ناشبا بين هذه القبائل • فدعاه ذلك الى ان يقول بعد زيارته لعمان : « انني اشعر بان الوصف السابق لعمان لا يزال ناقصا جدا والرحالة الذي لا تصحبه قوة مسلحة لا يستطيع ابدا ان يعطي بيانات مرضية تماما عن الاثار القديمة في هذه البلاد المهجورة »

ويصف هذا الرحالة مياه عمان المتدفقة فيسميها نهرا ويذكر ان هذا النهر ملآن بالاسماك الصغيرة • ثم يفتن في وصف اثار عمان ، ويقول ، « ان المباني الضخمة التي لا تزال باقية •• لتشهد على عظمة عمان السابقة ، ثم يذكر بعض هذه الاثار ومنها مدرج رائع يعد اكبر ماشاهدته في سوريا ، ويصف ايضا بقايا « كنيسة فسيحة شيدت بحجارة كبيرة •• » ثم يصف قلعة عمان وأسوارها الحصينة •

وتعاقبت السنون على هذه الخرائب المهجورة الى ان بدأ الربع الاخير من القرن التاسع عشر ، فنزل عمان في نحو سنة ١٨٧٨ م طلائع المهاجرين من الشركس الذين تعرضوا في وطنهم الاصلي قفقاسيا للاضطهاد الديني العنصري في ظل الحكم القيصري في روسيا ، فهاجر بعضهم فرارا بعقيدته الى الدولة العثمانية، واخرجت السلطات الروسية آخرين قسرا • فوزع السلطان عبد الحميد هؤلاء اللاجئين على مواقع المياه ، ومنها عمان التي تعاقبت عليها الاسر والقبائل الشركسية ، فنشبت بينها وبين بعض القبائل البدوية منازعات متعددة انتهت بغلبة الشركس مع حلفائهم من بني صخر ولما استتب الامن بعض الشيء أخذ بعض تجار دمشق ونابلس يؤمون عمان لبيع بضائعهم لسكانها من الشركس ومن حولهم من البدو ، ثم استقر اكثرهم فيها •

هذه هي بداية عمان الحديثة ، وكانت بداية بطيئة ، وقد زارت الانسة نيوتن عمان سنة ١٩٠٠ م فوصفتها في كتابها « خمسون عاما في فلسطين » بقولها : « وما كانت عمان اذ جئناها في سنة ١٩٠٠ م الا قرية قذرة من الطين بشارع واحد ، بمخازنه وحوانيته وشراكسته الذين حذقوا صناعة اثينا حقا في القذارة كما اشتهروا بالبأس وشدة المراس ••• »

ولكن البداية الحقيقية لازدهار عمان واتساعها كانت بمجيء الامير عبد الله بن الحسين (الملك فيما بعد) اليها سنة ١٩٢١ م واتخاذ اياها عاصمة لامارته •

وقد وصف الاستاذ محمود العابدي عمان في اوائل عهد الامارة في كتابه « عمان في ماضيها وحاضرها » (واعتمدنا عليه كثيرا في هذه المقالة) فقال :

كانت ابنية عمان في ذلك الحين على غاية من البساطة حتى ان مكاتب رئيس الوزراء وقاضي القضاة ووزير العدلية جمعت في عمارة ليس فيها اكثر من اربع غرف • ولم يجد الموظفون الذين جاءوا من سورية وفلسطين والعراق ليعملوا في هذه الحكومة العربية الجديدة ويسهموا في تقويتها ونهوضها بيوتا تسكنها أسرهم ، فاضطرهم ذلك الى العيش بغير أسرهم زمنا طويلا •



البتراء مدينة اثرية على بعد ٢٠٠ كيلو متر من عمان

عمان مدينة الجبال السبعة

اما الامير فلم يكن له الا ان يسكن هو وحاشيته في الخيام التى اشتملت على مكاتبهم ايضا الى ان تم - بعد ثلاث سنين - بناء قصر رغدان ، فاتخذه الامير مسكنا له ولاسرته .

وكان عدد سكان عمان سنة ١٩٢٢ نحو الفين .

واخذ يفد الى عمان رجالات العرب واحرارها من مختلف اقطار العروبة ومن بعض البقاع الاوربية حيث كان قد تشتت شمل بعضهم . لقد كان على راس هذه الامارة الناشئة امير عربي قرشي هاشمي هو الامير عبد الله بن الحسين ، ابن موقد الثورة العربية : الحسين بن على ، واخو فيصل الذى اقام ملكا عربيا فى شمال بلاد الشام جمع فيه حشدا هائلا من سياسيى العرب وكتابهم وشعرائهم .

ثم ان الامير عبد الله كان واسع الاطلاع على الادب العربى والتركى تواقة ، ينظم الشعر ، ويحب مجالس الادب وكل ذلك جعل كثيرا من رجالات العرب وسياسييهم وكتابهم وشعرائهم يتوافدون على تلك الامارة الناشئة ، وخاصة بعد زوال حكم فيصل فى شمال الشام وسقوطه فى ايدى الفرنسيين ، فكان يحدو هؤلاء الوافدين الامل فى ان يكون من شرق الاردن الانطلاقة العربية الجديدة لاستعادة المجد التليد . فانضمت من حول الامير عبد الله حلقة عبقة من الشعراء والكتاب القوا ، بلاطا ، ادبيا عامرا ، وكان من اشهرهم : الامير عادل ارسلان ، والشيخ مصطفى الغلاييني ، والشيخ فؤاد الخطيب ، والشيخ سعيد الكرمى ، وخير الدين الزركلى ، ومحمد الشريقي ، ومصطفى وهبي التل غير من كان يفد عليه من حين الى آخر من الشعراء والكتاب وهم كثيرون ، بعضهم كان لا يلبث الا اياما او

اسابيع ، وبعضهم كان يمكث شهورا وربما سنوات يلى فيها بعض الاعمال وخاصة التدريس ، ومن اشهر هؤلاء الشاعر محمد على الحومانى .

ثم ان عمان اجتذبت اليها نفرا آخر من الادباء الذين استقرت بهم النوى فيها وحملتهم اسباب العمل على اتخاذها دار اقامة لهم ، وربما كان اشهر هؤلاء النفر : محمد الشريقى ، سعيد درة ، فهمى هاشم، نديم الملاح .

ولكن هذه الامال سرعان ما تبددت وانفض اكثر هؤلاء الادباء والعلماء من حول الامير ، وتمثلت خيبة امالهم فى كثير مما نظموه وكتبوه ، وخاصة ما نظمه وكتبه خير الدين الزركلى ، ومن اجمل الشعر الذى يمثل هذه الخيبة القصيدة التى نظمها الامير عادل ارسلان قبل مفارقته عمان ، ومطلعها :

كفى بى ايها اللاحى عـذابا
فدع عنك الملامة والعتـابا

يقول فيها مخاطبا الامير عبد الله ويعرض بالانتداب البريطانى على الاردن وسيطرته :

اعيذك ان يطيب لك التوانى
وان ترضى بما وعدوا خلابا
فاقبح ما يكون المرء سكرا
اذا كان السراب له شرابا
هو البرق الذى لا ريب فيه
ارادوه فسموه انتدابا

ومع ذلك فقد اخذت عمان تنمو وتتسع ، وازداد العمران وكان فى البداية محصورا فى الوادى ، ثم ما لبث ان اخذ ينتشر على سفوح الجبال المحيطة ثم على قممها ، وازدهرت عمان خلال الحرب العالمية الثانية حين اصبحت مركزا تجاريا مهما ، وتدفقت الاموال على تجار المدينة فكان ذلك من اهم عوامل اتساع العمران فيها ، ثم زاد اتساعها وعمرانها بعد النكبة عام ١٩٤٨ ، واعلان وحدة الضفتين ، وسكنى كثير من الفلسطينيين ، فيها ، واصبح عدد سكانها الان ما يقرب من نصف مليون ، وانتشرت مساكنها ومتاجرها على عدد من التلال والجبال المرتفعة اهمها سبعة جبال ، حتى اصبح يطلق عليها اسم « مدينة الجبال السبعة » .

ومع اتساع العمران وتكاثر السكان ، انتشر التعليم خلال السنوات الثلاثين الاخيرة انتشارا يكاد يفوق كثيرا من البلاد العربية الاخرى . فقد كانت فى عمان حتى منتصف العقد الرابع من هذا القرن مدرسة ثانوية متوسطة واحدة ولم تنشأ فيها مدرسة ثانوية كاملة حتى سنة ١٩٤٦ ، اما الان فتضم مديرية تربية عمان ستا وعشرين مدرسة ثانوية كاملة بين حكومية واهلية واجنبية ، منها اربع عشر مدرسة للذكور واثنتا عشرة مدرسة للاناث ، فيها جميعا نحو عشرة الاف طالب وطالبة ، ويتولى التدريس فيها نحو ٣٤٠ معلما ومعلمة .

وانشئت فى نهاية سنة ١٩٦٢ الجامعة الاردنية ، بدات بكلية الاداب ثم كلية العلوم وكلية الاقتصاد والتجارة ، وفيها الان سبع كليات تضم نحو ثلاثة الاف طالب وطالبة ،

وذكر الشعراء المعاصرون عمان ، منهم : الشاعر الشامى انور العطار ، ومن قوله فيها :

عمان حلم تتلجبه قوافينـا
فتستفيق على النجوى لياليـنا
وعدا على وقد اصفى الزمان لنا
لانتغن بها احلى اغانينـا
ملاذا على القلب ان هاجت هواجسه
فراح ينشد الشعار اين زيتونة
يا ربع عمان ضم العرب فاتفقوا
فما ترى بيتنا غير المحبيـنا
لكنمـا العين ما زالت مؤرقة
تبكى الاحبة فى دنيا فلسطينا



صورة الهدية

خليل مطران

● ولد في بعلبك احدى مدن لبنان في يوليو « تموز » عام ١٨٧٢ ،وينحدر من اصل غساني ، نسبة الى بني غسان ، الذين حكموا الشام لفترة طويلة من الزمان ، وكان لهم باع طويل في الادب والسياسة .

● تأثر بوالده « عبده مطران » الذي كان يتمسك بالتقاليد العربية الاصيلة ، من اباء وكرم واريحية ووفاء ، وكانت والدته تجيد قرض الشعر وكذلك جدته ، فكان لكل ذلك اثر كبير في حياة الشاعر وفنه .

● تلقى تعليمه الابتدائي في مدينة « زحلة » وحفظ في تلك الحقبة الوف الابيات من الشعر العربي مما صقل موهبته ، وانتقل بعد ذلك الى بيروت العاصمة حيث التحق بالكلية البطريركية ، وتخرج فيها ، وتعرف خلال دراسته بالاستاذين الشيخ ابراهيم اليازجي وسليم تقلا اللذين اثرا في نفسه وفي ادبه .

● حاول الانخراط في الشئون السياسية مما ادى الى مطاردة السلطان العثماني له ، فهاجر الى باريس عام ١٨٩٠ وهناك التقى بزملائه الاحرار واستمر في الجهاد ولكن المطاردة لاحقته في باريس .

● في ١١ اغسطس عام ١٨٩٢ هاجر الى ارض الكنانة ومعقل الاحرار « مصر » حيث اتخذها وطنه الثاني الذي وجد فيه الاستقرار والاطمئنان ، واطلق عليه « شاعر القطرين » : « مصر ولبنان » ..

● عمل بالاهرام محررا وساعد في انشاء صحيفة « المؤيد » ثم اصدر « المجلة المصرية » عام ١٩٠٠ و « الجوائب المصرية » واسهم بقلمه في النهضة الصحفية الحديثة . ثم لم يلبث ان اعتزل الصحافة واتجه للادب حيث قدم روائع شعره ..

● كان له فضل كبير على المسرح العربي بما ترجمه من مسرحيات شكسبير ، وشارك في تأسيس شركة ترقية التمثيل العربي وكان اول مدير للفرقة القومية منذ انشائها عام ١٩٣٥ حتى وفاته .

●كان يتقن عدة لغات هي الفرنسية والتركية والاسبانية .

● يجمع شعره بين الكلاسيكية بمحافظته على اصول الشعر وقواعده وجزالة الالفاظ ورصانتها ، وبين الرومانسية في المضمون .

● توفي في ٣٠ يونيه عام ١٩٤٩ عن عمر يناهز السابعة والسبعين ودفن بالقاهرة ، وفي صيف عام ١٩٧٣ نقل جثمانه الى مسقط راسه في بعلبك في حفل كبير حضره كبار ادباء الامة العربية وشعرائها .

● من آثاره : ديوان الخليل (٤ اجزاء) ، كما ترجم روائع المسرح العالمي حيث نقل الى العربية عدة مسرحيات لشكسبير في اسلوب ادبي رصين منها « تاجر البندقية » و « عطيل » و « ماكبث » و « هاملت » ...



د. سعيد كريم

القاهرة

عمرها ٥٠ ألف سنة !

● عمر القاهرة ، هو عمر الحضارة الإنسانية .. لقد اكتسبت مكانتها وتأثيرها على مختلف الحضارات ، وتأثرها بمختلف المدنيات ، بفضل موقعها الاستراتيجى الذى اختاره لها أهل مصر منذ فجر الحضارة وشروق المعرفة وعن طريق خطوات الاستقرار والترسيخ الحضارى ، فأثبتت شخصيتها المتفردة القوية عبر تاريخها الطويل .

لقد تميزت القاهرة التى امتد عمرها الى خمسين قرنا من الزمان عن بقية العواصم التاريخية القديمة بصفة الاستمرار ، فشكل تطورها سلسلة متماسكة الحلقات نسجت مراحل تطورها وتخطيطها وتعميرها الذى كتب قصة تاريخها الواقعى ، لم يتغير منها خلاله سوى اسمها الذى تغير مع موجات الفتح والانفتاح .

بقيت جذورها خلال ذلك الطريق الطويل ثابتة فى مكانها او فى ارض نشأتها رغم استمرار فروعها فى الامتداد والانكماش ، مما اكد اصالة جذورها وعراقة فروعها مما يفسر تسمية مؤرخى العرب لها « بأم الدنيا » ـ و « تاج البرية » و « مدينة المدن » و « المدينة المحروسة » و « حاضرة الدنيا » .

● لقد اجمعت المراجع التاريخية عن الحضارة المصرية ان اول عاصمة لمصر كانت مدينة « اون » اول عاصمة لوحدة القطرين او عاصـــمة البلاد الموحدة وكان ذلك فى عهد ما قبـــل الاسرات او ما اطلق عليه عصـــر النقادة الثانية عام ٤٢٤٠ ق ٠ م وهى الوحدة السياسية التى كان ابطالها من اهل الدلتا واطلق عليهم فى برديات تورين وحجر بالرمو بانصاف الالهـة عبدة حورس ٠

وكانت « اون » او هيليوبوليس وهو الاسم الذى اطلقه عليهـا الاغريق ومعنى كلمة اون مرصد او برج رصد الشمس وقبة السماء وقد حرفت اون الى عين واضيفت اليها شـمس اله العبد فاصبحت عين شمس ٠

ولا يعتبر ذلك التـاريخ هو تاريخ نشأة مدينة اون فقـــد كانت فى ذلك الوقت مدينة متكاملة تمتد من ارض النعام بالمطرية التى كانت بها الغابات المقدسة التى تحوى اشجار البلســـم واخشاب البخور ويربى بها النعـــام المقدس وما زالت تحتفظ باسـمها الى الان ثم منطقة هيليوبوليس او مرصد اون التى كانت تحوى اكبر جامعـــة

مقبرة اقدم ساكن بالقاهرة من العصر البليوسيتى » عين شمس »



وتمتد الى منطقة المعادى التى كانت تحوى احدى المناطق السكنية والادارية وتمتد الى حل اون او جنوب اون والتى حرف اســـمها الى حلوان الحالية ٠

وقد اختلف المؤرخون فى تحـــديد العصر الذى انشئت فيه مدينة اون القديمة فتنسبها البعض الى العصر الحجرى القديم بالنسبة الى حفريات حلوان والمعادى اى فى عصر النقادة الاولى والعصر العمرى الذى يرجع الى ٦٠٠٠ سنة ق ٠ م

من تلك العاصمة ٠٠ خـــرج اول مذهب دينى لتفســـير الوجود ومنهـــا خرج اول تقويم شـمسى عرفته البشرية الذى حدد السنة بـ٣٦٥ يوما وربع اليوم ومن جامعاتها تخرج امحتب واخناتون وعلى يد علمائها تتلمذ اســاطين الاغريق وعلماؤهم وفلاسفتهم ٠٠ ومنها نقلت المسلات التى تتوســـط عواصم العالم الحديث كلندن ونيويورك وروما ٠٠٠

كما اعترف لها تاريخ المدن بأنها تميزت بالاستمرار وامتدت الى عدة مناطق اخرى شمالا وجنوبا او عبر شاطىء النيل الى الضفة الغـــربية ، ولكن مركز نشأتها او نواة تكوينهـــا بقيت مكانها ٠

ومن البديهى ان مدينة اون المتكاملة التى كانت تمتد بطول ٤٠ كيلو مترا لم تكن هى بداية نشـــأة المدينة او تاريخ ميلادها بل كانت مرحلة من مراحل تاريخهـــا الطويل الذى تمتد جذوره الى ابعد اعماق التـــاريخ والحضارة الانسانية ٠

● رغم ان وثائق بحـــوث تاريخ المدن قد حددت عمر كل عاصمة من عواصم العالم التاريخية القـــديمة ـ وتقع القاهرة على راس القائمـــة وتسبقها بمراحل ـ الا ان المنافســة والسباق بينها ما زال قائما فى مجال المؤتمرات الدولية حيث تحـــاول كل مدينة ان تثبت اصالتها وعراقتهـــا

بالرجوع الى شجرة العائلة وما ارتبط بها من اساطير وقصص . وجذور الشجرة وما كشفه علماء الاثار من حفريات ، حتى تخطو خطوة اكثر بعدا فى سباق الاقدمية بما يضعه لها الباحثون من اسس ونظريات جديدة لتقدير عمرها .

من بين النظريات التى وضعها احد مؤتمرات تاريخ المدن الذى انعقد فى مدينة فينا قبل الحرب الاخيرة ، نظرية المعالم الحضارية الانسانية او حفريات اثار التجمع الانسانى فى المدينة نفسها واعتبارها نقطة البداية فى تحديد تاريخ نشاتها .

اذا طبقنا تلك النظرية على اصل مدينة القاهرة بالرجوع الى الحفريات والبحوث التى سجلها كل من يرفيبه كابير وفلاندربترى عن اصل الحضارة المصرية التى وجدت اقدم حفرياتها واثر الحضارة بها فى ثلاث مناطق وهى حلوان والعباسية وعين شمس وترجع جميعها الى العصر البليوسيني اى ما يقرب من ٥٠ الف سنة وتدخل تلك الحفريات الثلاث ضمن حدود مدينة اون الفرعونية القديمة وتعتبر وفقا لتلك النظرية احجار الاساس التى تحدد عمر مدينة القاهرة ، وهو خمسون الف سنة .

اذا رجعنا الى جذور نشأة المدينة تاريخيا نجد أن اقدم مدينة ذكرت فى الأساطير الفرعونية القديمة كانت مدينة الاله الخالق عندما خلق أرض مصر المقدسة وأطلق عليها اسم (جب بتاح) أى (أرض الاله) وهو الاسم الذى اطلق على مصر فيما بعد ، فذكر هيرودوت ان اسمها اجيبتوس والتى تحولت الى Egypt فيما بعد .

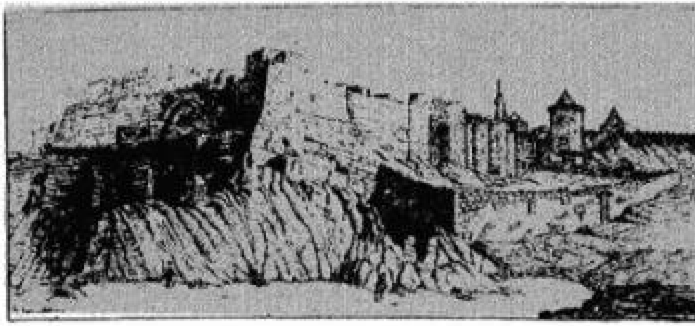
واقدم تاريخ مسجل للمدينة التى نشات مكان مصر القديمة عندما اطلق عليها الفراعنة اسم حرى عحا (اى ميدان القتال) وترجع الى سنة ٤٢٢٥ ق . م وهى التى بيدا من عندها تاريخ القاهرة ومراحل تطورها عبر التاريخ .



لوحة انتصار نارمر فى معركة حرعحا ٣٢٠٠ ق.م

● حرى عحا (ميدان الحرب) ● ٤٢٢٥ ق.م :

كانت مدينة عسكرية تحيط بها اسوار من الطوب النيء وقد وضع قدماء المؤرخين بالنسبة لاختيار اسمها تفسيرا ميثولوجيا ارتبط بالاساطير الدينية القديمة واسطورة الخلق ، فاطلقوا عليها اسم ميدان الحرب الذى قامت فيه المعركة بين حورس بن اوزوريس وست اله الشر الذى قتل اوزوريس ليمنع حورس من ارتقاء العرش ، وهذا التصور الميثولوجي يفسر اسطورة انها كانت مدينة الالهة كما يعبر فى الواقع عن معارك القطرين التى بدات عام ٣٥٠٠ ق . م ومعارك اهل وادى النيل مع البدو



أسوار بابليون القديمة ١٢٠٠ ق . م

المغيرين من الصحراء الشرقية للوصول الى النيل والسيطرة على خيراته او سلب سكانه .

وقد ذكر مؤرخو الاغريق ان اختيار ذلك الموقع لاول مدينة او عاصمة في مصر كان لاعتبارات استراتيجية جغرافية وحربية ، فهى تقع عند نيل الجنوب مع تفرع انهار الدلتا او نيل الشمال ، يحميها من ناحية الشرق جبل المقطم ، كما ان موقعها المرتفع يحميها من خطر الفيضانات .

... وهكذا كان أول اسم للعاصمة مصر او أجيبتوس الذى أصبح اسم الدولة باكملها ، ومازالت كلمة مصر تطلق على القاهرة الى الان

● أما مدينة حرى عحا (حرى رع . حا) ومعناها ميدان القتال وكانت تقع مكان مصر القديمة الحالية والتى حلت قلعة بابيلون واسوارها محل اسوارها وهى المدينة التى انتصر فيها نارمر فى معركة وحدة القطرين الثانية والذى اطلق عليه اسم مينا اول ملوك الاسرة الاولى ، فكانت فى الواقع تعتبر المدينة العسكرية للدفاع عن اون العاصمة المقدسة . واستولى نارمر عليها عام ٣٢٠٠ ق . م ومنها نقل عاصمة ملكه الى الضفة الغربيه جنوب منف واطلق عليها اسم الاسوار البيضاء (انب حز) واقام فى وسطها معبدا للاله بتاح وهو اله منف وقد بلغت هذه المدينة اوج عظمتها وازدهرت فى عهد ملوك الامبراطورية القديمة وامتدت الى أبو صير والجيزة وأبو رواش .

● وفى عهد الاسرة السادسة ٢٤٠٠ ق . م انشيء حى جديد جنوب «الاسوار البيضاء » حيث انشاء الملك بيبى الاول وجعله مقر ملكه وشيد بالقرب منه هرمه الذى اطلق عليه اسم (من نفر) اى الجمال الخالد وانتقل ذلك الاسم ليطلق على المدينة باكملها اى العاصمة وتطور ذلك الاسم الى كلمة منف بالقبطية والعربية وممفيس باليونانية .

وقد تقهقرت مكانة منف قليلا فى عهد ملوك الدولة المتوسطة والامبراطورية الحديثة عندما اسسوا عروشهم فى طيبة وجعلوا منها عاصمة للبلاد وجعلوا امون الها رسميا لها .

● فى عهد الاسرة العشرين كان معبد بتاح اله منف اكبر المعابد فى مصر .



اسوار القاهرة في العصر الاسلامي

● لقد تعرضت منف لكثير من احداث التاريخ وما ارتبط بها من عوامل التخريب فوقعت في ايدي بعانخي الاثيوبي ثم الاشوريين وذلك في الحروب التي قامت بعد الاسرة الثانية والعشرين .

واستولى عليها قمبيز ملك الفرس بعد انتصاره على مدينة الفرما وتغلبه على بسماتيك الثالث عام ٥٢٥ ق.م وحافظت منف على اهميتها ومكانتها بعد تاسيس مدينة الاسكندرية عام ٣٣١ ق . م

وفى عهد تيودوسيس اصدر امرا بتخريب معبد بتاح وهدم جميع التماثيل التى كانت تزين المدينة عام ٣٨٠ م

وكانت مدينة منف مقرا للمقوقس زعيم القبط عندما كان يتفاوض مع عمرو بن العاص ٠

ثم نقل الفاتحون العرب مقر حكمهم مرة اخرى من الضفة الغربية الى الضفة الشرقية من النيل حيث انشأوا مدينة الفسطاط مكان (حرى رع حا) وبابيلون واستعملوا الحجارة التى كانت فى مبانى عاصمة الدولة القديمة فى تشييد مساجدهم وقصورهم وقلاعهم ٠

وقد كانت منف تثير الاعجاب حتى ان احد كتاب العرب وصفها بأنها كانت تحوى الكثير من العجائب التى يحار لها العقل ٠

بابيلون ١٣٠٠ ق٠م

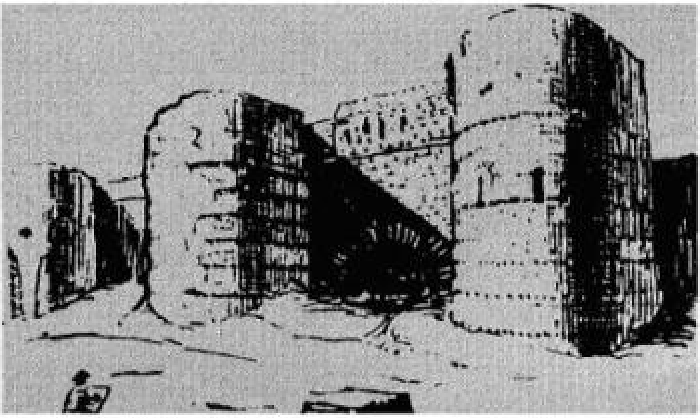
قام بانشائها رمسيس الثانى واتخذت اسمها من اسرى البابليين الذين ثاروا عليه فبنى القلعة التى اعتقلهم فيها وسميت باسمهم ٠ ثم اطلق الاسم على المدينة بأكملها وقد وجدت بين انقاض وحفريات الحصن بعض الاوانى والادوات الحربية التى ترجع الى ما قبل الاسرات ، والتى يرجح انها تعود الى حرى عحا القديمة ٠

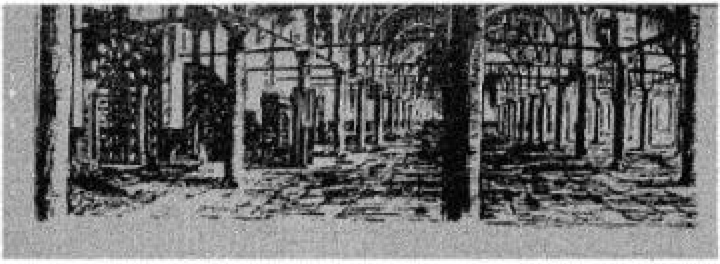
وقد ذكر مانيتون انه وجد بين انقاضها حجرا يحمل ختم مينا كما اشتهرت بابيلون فى العصر الرومانى فى عهد الامبراطور اغسطس ٠ كذلك قام الامبراطور تراجان باعادة بنائها عام ١٣٠ ق ٠ م وحول الحصن الى مدينة عسكرية ٠ كما لعبت بابيلون دورا هاما فى العصر القبطى، ويحتفظ حصن بابيلون بذكريات المسيحية الاولى فيضم بين ارجائه مجموعة من الكنائس اهمها كنيسة القديس سرجيوس التى لجأت اليها العائلة المقدسة عندما لجأت الى مصر ، وتعتبر اقدم كنيسة فى العالم المسيحى ، وكنيسة القديسة بربارة ، والكنيسة المعلقة التى اقيمت بين برجين رومانيين ، وكنيسة مار جرجس

وفى بابيلون بدأ نظام الرهبنة فى المسيحية التى نقلها الاقباط عن الفراعنة وانتقلت من مصر الى مختلف انحاء العالم المسيحى ٠

كما بدأ فى القاهرة ايضا نظام التصوف الذى خرج بدوره من مصر الى مختلف انحاء العالم الاسلامى ٠

احدى بوابات حصن بابليون القديم





مسجد عمرو بن العاص اول جامع وجامعة فى القاهرة

● الفسطاط ٦٤١ م ●

انشأها عمرو بن العاص فى المكان الفسيح الذى يقع شمال حصن بابليون ، وقد اتخذت الفسطاط اسمها من خيمة عمرو بن العاص التى اقامها فى وسط معسكره ويطلق على الخيمة اسم « الفسطاط » ، وتحكى قصة انشاء المدينة أن عمرو بن العاص عندما أراد أن يزحف بجنوده لاحتلال الاسكندرية وقف خيمته « وجد أن يمامة بنت عشها فوقها واحتضنت صغارها • فتفاءل بوجودها وأمر بابقاء الفسطاط مكانه ورعاية اليمامة حتى تكبر صغارها وتكسو اجنحتها الريش •

ولما تم له الاستيلاء على الاسكندرية عاد الى معسكره فى بابليون حيث ترك فسطاطه قائما وحوله خيام بعض الحرس ، فوجد أن المنطقة قد أصبحت آهلة بالسكان الذين بنوا مساكنهم وأكشاكهم ، فأمر بتخطيط المدينة لتكون عاصمة الاسلام بدلا من الاسكندرية واختار لها الفسطاط خيمته المباركة التى عششت فوقها يمامة الخير والبركة •

وفى وسط المدينة قام ببناء مسجده « امام المساجد ومطلع الانوار » الذى اشتهر بمناراته الاربع وهى اول ماذن عرفتها مساجد الاسلام ، كما كان به اول منبر فى مساجد المسلمين وعنه انتقلت المآذن والمنابر الى مختلف مساجد العالم الاسلامى التى بنيت فيما بعد •

وقد وصف الفسطاط مؤرخو العصور الوسطى بقولهم « وشوارعها مرصوفة مسلوكة ومنازلها فسيحة تتوسطها نافورات المياه والحدائق الداخلية التى انتقلت من الفسطاط الى المغرب والاندلس فيما بعد • كما كانت المساكن ترتفع الى خمسة ادوار ووصل بعضها الى سبعة أدوار، وربما سكن الدار الواحدة مائتان من السكان ، وكان بهما كثير من الحمامات ونافورات المياه » •

وقد تعرضت الفسطاط لكثير من عوامل التخريب كان آخرها حريقها المشهور عام ١١٦٨ م •

● العسكر ٧٥١ م ●

عندما انتقل الحكم الى العباسيين أسسوا عاصمتهم فى مكان عرف باسم الحمراء القصوى بجبل يشكر بالقرب من جبل المقطم فى الشمال الشرقى من مدينة الفسطاط ، على الطراز العباسى حيث يتوسط المدينة « المسجد الجامع » وبجواره دار الامارة وثكنات الجند أو دار العسكر ومنه اتخذت المدينة اسمها وبنوا مساكنهم حول الثكنات تحيط بها مساكن الموظفين

● القطائع ٧٨٠ م ●

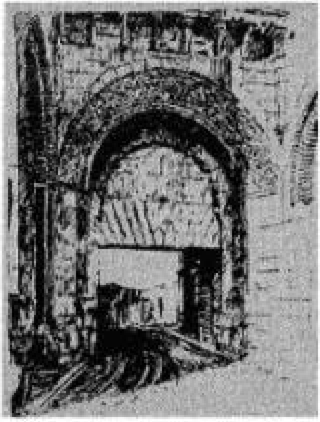
مدينة العهد الطولونى التى أسسها احمد بن طولون ويرجع اسمها الى نظام تخطيطها الذى نقله ابن طولون عن مدينة سامراء التى عاش سنى شبابه فيها . وهو التخطيط المتقاطع المكون من قطع سكنية كل منها لجماعة من السكان تربطهم رابطة او طبقة او مستوى واحد ، يطلق عليها اسم القطع ، ويتوسط المدينة مسجد ابن طولون الجامع الذى يعد من اكبر مساجد العالم الاسلامى واروعها وتبلغ مساحته ٢٦٥٠٠ متر مربع واشتهر باسم الجامع المعلق اذ يصعد



باب النصر ١٦٥٠



باب زويلة



بوابة باب الفتوح

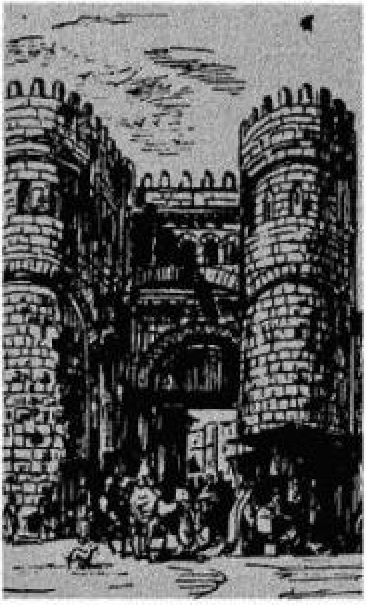
الى ابوابه بدرجات دائرية الشكل · وقد ذكر بعض المؤرخين أن تصميم الجامع وضع بناء على رغبة ابن طولون ليكون مماثلا لمسجد الكعبة بمكة واروقته ، وان تكون له منارة مشابهة لملوية سامراء ذات السلالم الحلزونية الخارجية ·

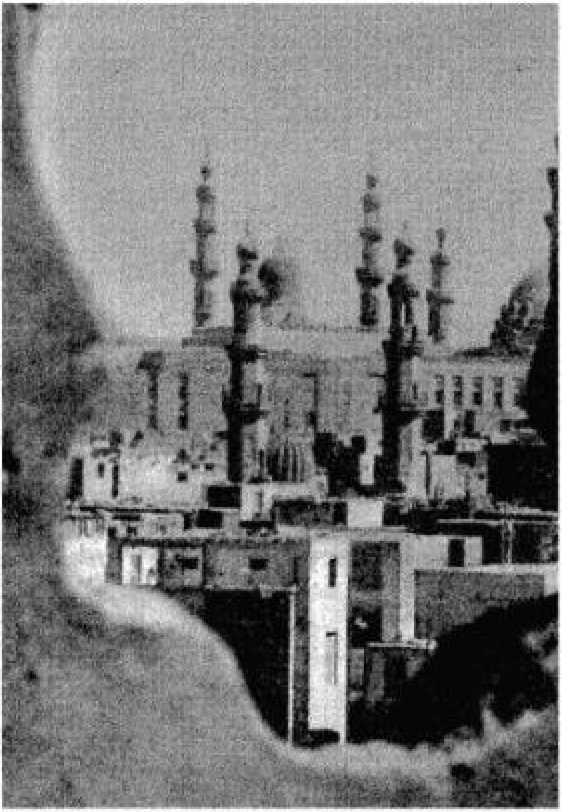
وقد حل جامع ابن طولون محل جامعة ابن العاص كمركز للثقافة الإسلامية ، كما انشأ ابن طولون اول مستشفى ومعهد للطب والصيدلة في مصر في منطقة البساتين ، واشتهرت المدينة في عصر خمارويه بالانتعاش الاقتصادى والازدهار الفنى وما وصلت اليه من مظاهر الترف والبذخ التى تجسمت في المدينه وحياة مجتمعها التى وصفها مؤرخو العصور الوسطى بما يشبه ليالي الف ليلة وليلة ··· ووصفوا قصر خمارويه الذى كسيت جدرانه بالواح الذهب المزخرف بالمينا والاحجار الكريمة ، وتتوسط حديقته فسقية ملاها بالزئبق ونصب عليها مخدعه او « ارجوحة الهنا » ووصفوا اشجار ميدان الاستعراض التى تكسو جذوعها الواح النحاس الذهب والفضة وغيرها من قصص جهاز قطر الندى بنت خمارويه وزواجها الى الخليفة العباسى وانعكاس الافراح والاعياد على المدينة ومجتمعاتها ·

● قاهرة الفاطميين : (قاهرة جوهر الصقلى) ٩٦٩ م ●

اتخذت اسمها من « النجم القاهر » الذى بزغ في سمائها عند وضع حجر اساسها · تبلغ مساحتها ٣٤٠ فدانا بنى حولها سور من اللبن مربع الشكل تقريبا ، طول كل من ضلعيه الشمالى والجنوبى ١٥٠٠ ذراع وضلعيه الشرقى والغربى ١٧٠٠ ذراع وبكل ضلع من اضلاع السور بوابتان فالضلع الشمالى يواجه الارض

باب الفتوح





لقطة قريبة للقاهرة مدينة الألف مئذنة

الفضاء والمزارع به بابا النصر والفتوح ، والشرقى ويواجه المقطم وبه بابا البرقية والقراطين ، والجنوبى ويواجه الفسطاط عند باب الخلق وبه بابا زويله (المتولى) والفرج ، والغربى ويواجه الخليج وبه بابا القنطرة وسعادة ·

وبنات المدينة كمدينة عسكرية تشتمل على قصور الخلفاء ومساكن الامراء ودواوين الحكومة وخزائن المال والسلاح · وفى سنة ٩٧٣ اى فى العام الرابع من انشائها تحولت الى عاصمة الخلافه الاسلامية عندما انتقل اليها المعز وأسرته من المغرب واتخذ مصر موطنا له واطلق عليها قاهرة المعز

فى القاهرة الفاطميون انشأوا الجامع الازهر ليكون المسجد الرسمى للدولة الفاطمية فى حاضرتها الجديدة ، وقد تحول الى جامعة اسلامية حلت محل جامعة عمرو بن العاص ، وبفضله اصبحت القاهرة عاصمة الثقافة الاسلامية فى العالم الاسلامى خلال الف عام وكان للازهر بجانب مكانته

العلمية الهيئة الرسمية ، فكان مركز قاضي القضاة ، ومركز المحتسب العام وفيه تعقد مجالس الشورى والمجالس السياسية والخلافية والقضائية .

وبانتقال العمران الى القاهرة الجديدة حول سورها الاول وداخل سورها الثاني الذى اقامه بدر الجمالي عام ١٠٩١ م ـ اخذت الفسطاط في الزوال وهجرها سكانها لتعمير المدينة الجديدة والاحتماء خلف اسوارها حتى اختفت تماما وقت الصليبيين ولم يبق منها سوى انقاض مبانيها .

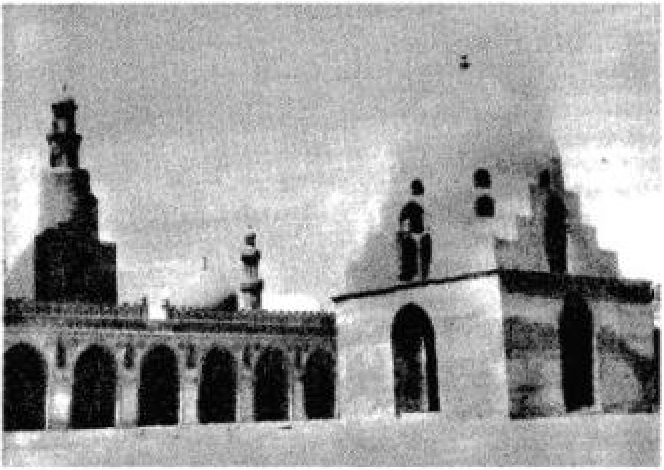
● قاهرة صلاح الدين ١١٦٦ م ●

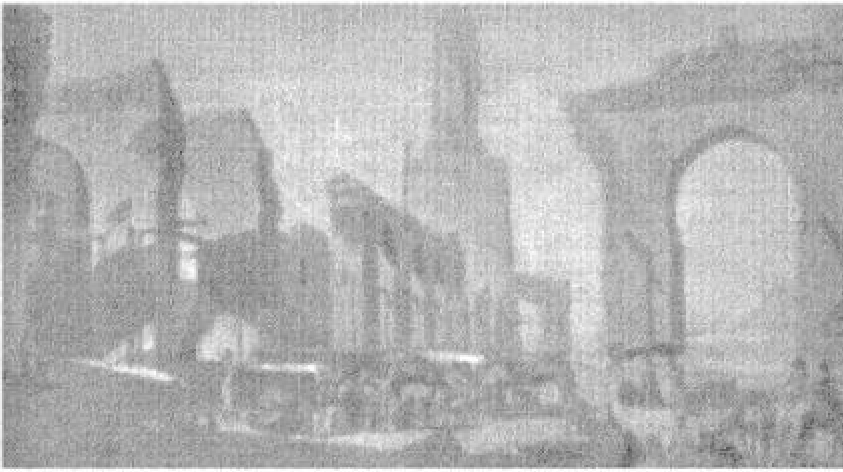
خرجت القاهرة عن نطاق اسوارها القديمة وامتد تخطيطها ليصل الى القلعة التي شيدها صلاح الدين واحاطها بسور دفاعي جديد ضم عواصم مصر الاسلامية الاربع السابقة وقلعة الجبل ومنطقة مصر العتيقة واثـر النبي جنوب الفسطاط ، ومن اشهر المعالم المميزة لقاهرة صـلاح الدين قلعة الحصن التي انشاها مكان قبة الهواء التي بناها العباسيون في مدينة العسكر . وقد اتخذت القلعة مقرا للملك ودارا للحكم في مختلف العصور التي تلت حكم الايوبيين حتى عصر قاهرة الاسماعيل حيث نقل مقر الحكم الى قصر عابدين .

ومن المعالم التي مازالت قائمة سواقي عيون بئر يوسف وقناطر مجرى المياه التي تحمل المياه الى القلعة التي عهد بانشائها الى الامير قراقوش الذى اشتهر في القصص الشعبي بقسوته .

لقد ذكر مؤرخو تخطيط المدن الدفاعية ان صـلاح الدين قد اخطا فنيا في اختيار موقع القلعة الذى يقع تحت مرمى جبل المقطم مما يسهل حصارها والاستيلاء عليها بضربها من جبل المقطم وهى الثغرة التي استغلها محمد على باشا في الاستيلاء

مئذنة جامع ابن طولون اقدم مئذنة بالقاهرة





جامع الحاكم بعد زلزال القـاهرة ١٣٠٢ م « لوحة بمعرض اللوفر .. باريس »

عليها بعد ما حطم وسائل دفاعها ..

● لقد مرت القاهرة بعد حـكم الايوبيين خلال اكثر من عهـد من عهود الحكم المتباينة ، لم يكن لهـا اثر فعال فى تاريخ المدينة وتطورها حيث تركزت معالم التغيير فى طراز العمارة ونوع المبانى ، يذكر التاريخ منها قاهرة السلطان سليم ١٥١٧ م وطرد المماليك وبداية حـكم الاتراك وحملة نابليون ١٧٩٨ م التى انتهى بها حكم الاتراك ومهدت لحكم محمد على .

● قاهرة محمد على ١٨٠٥ م (عصر النهضة) ●

اشتهر عصر محمد على باسم عصر النهضة لارتباطه بعصر النهضة فى اوربا واثرها فى تطور العمـارة وتاريخ المدن ، لذا فقد وجه برنامجه الاصلاحى والعمرانى نحو الثقـافة والتصنيع والانفتاح على الغرب ، فعمل على تبادل الثقافة ببناء دار للبعثات المصرية فى باريس قدمت عشرات من العلم

الخبراء المصريين فى مختلف العلوم والفنون فكانوا نواة النهضة الثقافية والتعليمية فى مصر التى انشا لها مختلف المعاهد والمدارس والمصانع فى انحاء البلاد .

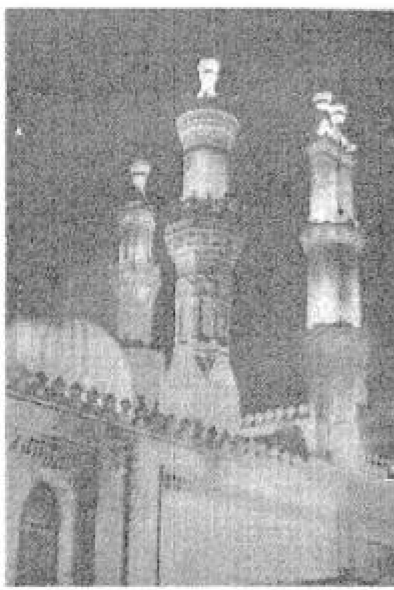
وكان من نصـيب القاهرة اول مدرسة للمهندسخانة واخرى للحرف والصناعات بالقلعة ، ومدرسة للطب البشرى ، ومسـتشفى للتدريـب بالخانقاه ، والمدرسة العسـكرية ، ومدرسة اركان الحرب ومدرسـة الموسـيقى ، ومعهد الموسـيقى العسكرية ، ومدرسة للزراعة بشبرا ، واخـرى للطب البيطرى ، ودار للطباعة ودار للصناعة فى بولاق ، ودار الضرب (سـك النقود) التى اشـتهرت فى العالم اجمع بدقة صناعتها ، ومدرسة الزخرفة وحرف البناء .

كما اقام فوق قمة المقطم قلعـة الجبل لتحل محل قلعة صلاح الدين فى الدفاع عن القاهـرة ، واقام بجوارها ثلاثة مصـانع للسـلاح والذخيرة ، كما شـهدت القاهرة تطورا فى فن بناء المسـاجد عندما

شيد محمد علي مسجد القلعة الذى بنى على غرار مسجد السلطان احمد بالاستانة ومن مساجد ذلك العصر المشهورة مسجد بولاق ومسجد الخطباء ومسجد المدرسة العسكرية بالخانقاه ومسجد شبرا •

واشتهرت قاهرة محمد علي بالقصور التى اقيمت داخل القاهرة وداخل القلعة نفسها ، وفى مختلف احياء المدينة وخارجها ، وقد احضر لتلك القصور مجموعة من الفنانين والاخصائيين والعمال المهرة من فرنسا وايطاليا وتركيا واشترط ان يعين مع كل فنان او خبير اجنبى اربعة من المصريين يعملون معه ويتعلمون منه المهنة ليحلوا محله بعد انتهاء مهمته ، واشترط ان يقيموا معه اثناء العمل وخارجه طوال مدة اقامته فى مصر ويقوم كل اخصائى بعمل امتحان لطلبته ومساعديه فى مدرسة الحرف والفنون واعطائهم شهادة تؤهلهم لمزاولة المهنة •

مآذن الجامع الازهر



ومن القصور التى اقامها محمد على وكانت عنصرا مميزا للقاهرة قصر الجوهرة ، وقصر القبة ، وقصر الحرم بالقلعة ، وقصر الغارة بالروضة ، والقصر العالى ، وقصر الخرنفش (البكرى) ، وقصر الازبكية ، وقصر شبرا ، وقصر النيل (قشلاقات قصر النيل) ، وعشرات القصور التى بناها للعائلة والاعيان امثال قصر طوسون ، وقصر طاهر ، وقصر شريف ، وقصر الدوبارة ، وقصر الوالدة •

● قاهرة الاسماعيل (باريس الشرق) ١٨٦٢ م ●

تعتبر قاهرة الاسماعيل فى نظر علماء تخطيط المدن وتاريخ تطورها من اعظم المشروعات العالمية التى تمت فى ذلك العصر لما اشتملت عليه من دراسات فى التخطيط والتعميـر الشامل ومعجزات فى اخراجها الى حيز الوجود •

كانت القاهرة عندما تولى اسماعيل باشا عرش مصر تمتد من منطقة القلعة الى ميدان العتبة والازبكية ، وكان يفصلها عن النيل مجموعة من البرك والمستنقعات والتلال والمقابر • وكان الانحلال العمرانى قد بدأ يدب فى كثير من احيائها السكنية المقفلة •

كان الحافز الاساسى لاهتمام اسماعيل باشا بتخطيط مدينته الجديدة حملة الدعاية التى قام بها كتاب الغرب عندما تولى اسماعيل باشا الحكم ونادى بأن القاهرة قطعة من اوربا فوصفوا القاهرة بقولهم :

« خير لك أن تسمع عن القاهرة من ان تراها » كما وصفها البعض بأنها « عاصمة البعوض التى يعيش زائرها طوال العام تحت الناموسية »

ومن يشرب من ماء النيل مرة يعود الى بلاده ليعالج مما حمله معه من

أمراض ، وقد اتفق ذلك مع انتشار حمى الملاريا التى فتكت بالثلث من سكان القاهرة وانتشار الحمى المعوية كما كانت مياه خـــزانات المجارى تطفح فى الشوارع والميادين فيضــع الجمهور قوالب الطوب ليمروا فوقها .

فقام اسماعيل باشا بوضع تخطيط القاهرة الجديدة الذى اطلق عليهـا كتاب الغرب اسـم « باريس الشرق » وذلك لتأثر تخطيطهـا فى كثير من نواحيه بالتخطيط الجديد الذى وضعه المهندس هاوسمان لباريس ، وتفتى فيها اسماعيل باشا أيام شـبابه ودراســـته . لذا فقد قام المهندس النسلوى الذى كلف بتخطيط القاهرة بنقل الكثير من عناصر تخطيط باريس ومعالم تعميرها الى مشروع تخطيط القاهرة وذلك بناء على طلب اسماعيل باشا نفسه .

ويعتبر تخطيط القاهــرة الذى تم اعداده وتنفيذه بالكامل بما ضم من منشآت عمرانية خلال خمس سنوات فقط ، يعتبر من معجـزات فن تخطيط المدن العالمية لما اشــتمل عليه من برنامج يعد الاول من نوعه فى العالم

ويمكن تلخيص عناصر ذلك التخطيط ومعالمه فيما يلى :

(١) نقل مجرى نهر النيل الرئيسى من مكانه حيث كان يمر بمنطقةبولاق الدكرور والدقى وامبابه ليحتل مكانه الحالى ، وردم المجرى القديم الذى حلت محلـــه حدائق الاورمـــان والحيوانات والجامعة واحياء الجيزة والدقى .

(٢) ردم البرك والمستنقعات التى تمتد من حدود القاهرة القديمة الى شاطىء النيل وتخطيط شـــوارعها وميادينها وهى جميع الشـــوارع والميادين والاحياء الرئيسية الموجودة حاليا وهى ميادين العتبة والاوبرا ، وباب الحـــديد وسليمان باشـــا والاســـماعيلية والانتكخانة وعابدين والقصر العينى ، وهى جميع شوارع وميادين القاهرة الحالية ولم يتغير منها حتى الآن الا اسماؤها .

(٣) تعمير مداخل القــاهرة وكانت جميعهـــا عبارة عن خرائب ومداخل فلانحاسوا دعاية تستقبل بها القاهرة من يدخلها من أى مدخل من مداخلها فاهتم التخطيط بازالتهـــا واعادة



جامع السلطان حسن والرفاعى

تخطيطها وتعميرها فالمدخل الشرقي وكان عبارة عن مزارع للفجل وعشش للفجالة ، تحول الى حي للبساتين والقصور من اجمل احياء القاهرة واحتفظ باسمه القديم حي الفجالة الى الآن . ومدخل القاهرة الشمالي انشأ به اول محطة للسكة الحديد بالقاهرة واطلق عليه باب الحديد ، وشمل البرنامج تخطيط ميدان المحطة وتخطيط منطقة شبرا بأكملها حتى ترعة الاسماعيلية الحالية ، كما اعد شارع المدخل الرئيسي ليكون طريقا للنزهة وزرعت على جانبيه الاشجار الباسقة التي استوردها من مختلف البلدان ، كذلك المدخل الجنوبي الممتد من مصر القديمة الى المعادي وحلوان والمدخل الغربي الذي يمتد من الاهرام الذي انشأ الطريق الموصل اليها وقام بردمه بارتفاع اربعة امتار ورصفه وزراعة الاشجار على جانبيه وتم اعداده كاملا في ستة اشهر .

كما امكن حل مشكلة تجميل المداخل بان وزع الاراضي المطلة على المداخل على الاعيان وكبار رجال الدولة مجانا واشترط بان يقوموا ببناء قصورهم عليها خلال سنتين .

(٤) ربط شاطىء النيل باول كوبريين اقيما على النيل في وادي النيل بأكمله وهما كوبري قصر النيل وكوبري الانجليز .

(٥) الخدمات والمرافق : لم يكن بالقاهرة شبكة للمياه او المجاري او الانارة فعرفت القاهرة اول مشروع للمجاري واول شبكة للانارة بالغاز، فاضيئت جميع الشوارع والميادين والمساكن .

ثم شبكة للمياه لتزويد المساكن والاحياء بمياه الشرب والحدائق بمياه الري ، كما رصفت الشوارع بالاحجار وعملت لها افاريز للمشاة

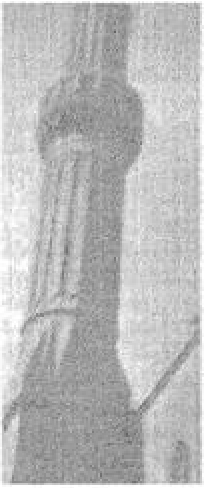
(٦) الاشجار والغابات : شمل مشروع تخطيط القاهرة الجديدة تزويدها بالغابات والحدائق العامة التي جلبت لها الاشجار من الهند وافريقيا والسودان والصين . وهي حدائق الاورمان والحيوانات والازبكية والجزيرة كذلك زرعت الاشجار على جانبي الشوارع الرئيسية جميعها .

(٧) المباني العامة ودور الخدمات: من المباني العامة التي احتلت مكانها في القاهرة الجديدة دار الآثار الفرعونية ودار الآثار العربية ودار الكتب ودار المعارف ودار الرصد بالعباسية ودار الاحصاء ، ودار الجغرافيا (الجمعية الجغرافية) ودار العلوم ، ودار القضاء العالي ، ومدرسة المهندسخانة ، وحديقة الحيوانات ، ومدرسة الصناعات والحرف ، وثكنات الجيش ، والمدرسة الحربية بالعباسية ، ومدرسة الاركان بقصر النيل ، ودار الاوبرا ، ومسرح الكوميديا . وقد نقلت فكرة هذه المباني من تخطيط باريس ومعالمها العمرانية العامة .

هذا بجانب انشاء مجموعة من القصور في مقدمتها قصر عابدين الذي بناه مكان قصر عابدين بك لنقل دار الحكم من القلعة الى عاصمته الجديدة ، وردم بركة عابدين التي كان يطل عليها القصر ، وحولها الى ميدان امام القصر وللاستعراضات . وطلب اسماعيل باشا ان يحتفظ القصر والميدان باسمهما القديم .

(٨) اما موضع المساجد في القاهرة الجديدة فقد اتجه الاهتمام ببناء المساجد والاضرحة لآل بيت رسول الله فاشتمل التخطيط على بناء مسجد وميدان سيدنا الحسين ، ومسجد ميدان السيدة زينب ، ومسجد بولاق ، ومسجد العظام الذي نقل اليه العظام التي نقلها من مدافن العتبة الخضراء والازبكية بعد ازالتها عندما كانت تعوق امتداد التخطيط .

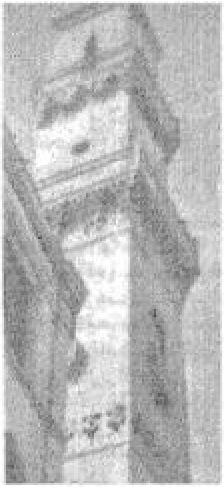
لقد بلغ مسطح القاهرة في تلك التخطيط الذي فدان اي اربعة امثال



مئذنة كاتخدا ١٧٣٤



مئذنة الناصر محمد ١٢٠٣



مئذنة الغورى

مساحتها الاصلية ·

كان عدد سكان القاهرة ٣٥٠ الف نسمة فوضع تخطيطها لتسع ٧٥٠ الف ساكن وهى الزيادة التى قدرها المخطط فى ذلك الوقت لتبلغها خلال خمسين سنة ·

● القاهرة مدينة المائة باب ●

وصف احد مؤرخي العصور الوسطى الذين زاروا القاهرة فى أواخر القرن الرابع عشر بأن القاهرة اشتهرت بأبوابها الداخلية والخارجية التى يبلغ عددها « مائة باب » تسمت بأسمائها الاحياء التى تؤدى اليها او تقع فيها· وترجع نشأة تلك الابواب واسماؤها الى حصون القاهرة القديمة وأسوارها الدفاعية وبوابات مداخلها ·

فالقاهرة منذ نشأتها من عهد ما قبل الاسرات كانت مدينة دفاعية حرى عحا (قلعة الدفاع) تحيط بها اسوار عالية وعندما حلت مدينة أون (مدينة الشمس) محل حرى عحا وامتدت الى عين شمس (هيليوبوليس) وصف المؤرخون اسوارها الدفاعية التى يبلغ طولها ٢٠ كيلو مترا وارتفاعها عشرون مترا · كما سجل التاريخ القديم اسوار بابيلون القديمة التى اقامها رمسيس الثانى حول المدينة والحصن ١٢٨٥ ق · م وقام بهدمها قمبيز سنة ٤٢٠ ق · م والتى اعيد بناؤها وتهدمت فى الفتح العربى واستعملت بعض احجارها فى مدينة الفسطاط والقطائع وكانت اسوارها تمتد من المقطم الى شاطىء النيل عند « مصر عتيقة » · وقد تهدمت تلك الاسوار فى حريق الفسطاط الكبير ·

وفي قاهرة الفاطميين كانت باكورة أعمال جوهر الصقلي عند حلوله القاهرة أحاطتها بسور لتصير حصنا له من القرامطة وهو ما سمي بسور جوهر الذي بناه (٣٥٨ هـ - ٩٦٧ م) وكون منه مربعا منتظما تواجه أضلاعه الجهات الأصلية وبكل ضلع منها بابان فيواجه الضلع الجنوبي الفسطاط وبه بابا زويلة والفرج والغربي مصاقبا للخليج وبه بابا القنطرة وسعادة والبحري وبه بابا النصر والفتوح والشرقي ويواجه المقطم وبه بابا البرقية والقراطين ·

وبنى السور من اللبن كما كان عرضه كبيرا بحيث يسع مرور فارسين متجاورين بجواديهما · أما البوابات فكانت من الحجر ركب لها أبواب مصفحة من الحديد ·

وفي سنة (١٠٩١ م) أعاد بدر الجمالي بناء السور بعد توسعته ليضم المباني والأحياء السكنية التي بنيت خارج السور الأول ·

وتم بناء السور الجديد بأكمله من الحجر وزوده بمجموعة من الأبواب الجديدة أشهرها الأبواب الثلاثة الجديدة وهي النصر والفتوح وزويلة كما أضيف للسور عدة أبواب جديدة منها باب القنطرة وباب البحر وباب المحروق وباب الوزير والقاهرة الجديدة· كما سميت المنطقة المحصورة بين السورين الجديد والقديم في الجهة الغربية بحي بين « السورين » وهو الاسم الذي يطلق عليها حتى الآن ·

وفي سنة ١١٧٦ م عندما وجد صلاح الدين الأيوبي أن عدد السكان خارج السورين القديمين أصبح يساوي ما كان بداخلهما قام ببناء سور جديد يضم القاهرة والقلعة والفسطاط واستخدم في بنائه وبناء القلعة نفسها أحجار الأهرام والمصاطب الصغيرة بالجيزة وبعض الأحجار المتخلفة من أسوار بابليون القديمة ومات قبل أن يتم مشروع أسواره وأكمله السلطان العادل · واشتمل السور الجديد على مجموعة جديدة من الأبواب كأبواب القرافة والقلعة وأبواب بك وباب الفرج وباب طولون وباب الخلق وباب الحسينية ·

وكلما توسعت القاهرة وامتد عمرانها خارج أسوارها أضيفت إليها مداخل جديدة وأبواب جديدة كأبواب السيدة زينب وباب الشيخ ريحان · وعندما دخلت السكة الحديد مصر ظهر باب الحديد في الشمال ثم باب اللوق في الجنوب ·

لقد اندثرت معظم الأسوار وآثارها وأبوابها إلا أن الأحياء والمواقع التي كانت بها احتفظت بأسمائها لتسجل تاريخها ·· أو تاريخ المدينة نفسها

● من أسوار القاهرة القلاعية وقلاعها خرج رمسيس الثاني ليصل بجيوشه إلى القدس وآسيا الصغرى

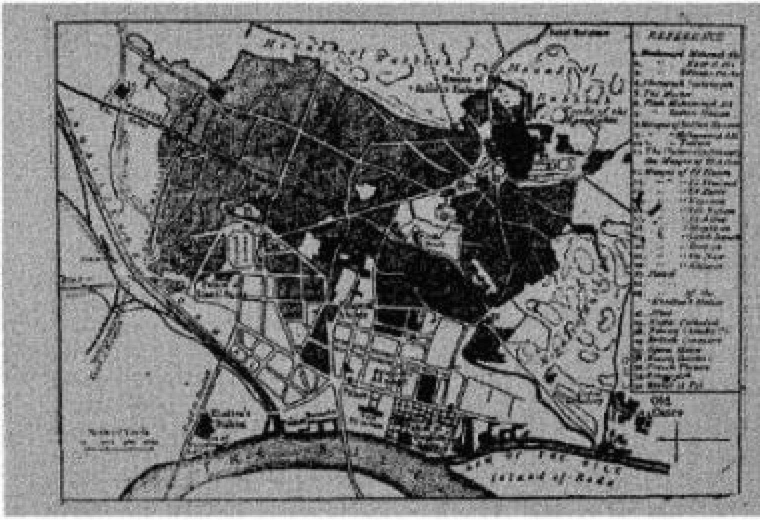
● وخرج صلاح الدين الأيوبي بجيوشه ليلتقي بريتشارد قلب الأسد ويستخلص منه مدينة القدس ·

● وبيبرس ومماليكه يكسرون شوكة الصليبيين ويقتحمون عكا ويطردون لويس التاسع الفرنسي ·· كما نقل أحد أبواب عكا القوطي الطراز من كنيسة أندرو ونصبه في القاهرة تخليدا لذكرى انتصاره ·

● وخرج قنصوه الغوري ليصل إلى حلب لمحاربة العثمانيين حيث انتصر عليهم واستشهد

● القاهرة مدينة الألف مئذنة ●

وصف مؤرخو القرن الرابع عشر ممن زاروا القاهرة بأنها « مدينة الألف مئذنة » وهو الاسم الذي ما زال يطلق عليها حتى الآن في كثير من مراجع الإعلام · فالقاهرة تعد في الواقع متحفا للمآذن يسجل تاريخ نشأة المئذنة وتطورها عبر تاريخ العمارة الإسلامية . كما تعتبر كل مئذنة بما ارتبط بها من ذكريات



خريطة القاهرة سنة ١٥٢٦

تاريخية ضخمة في مدينة القاهرة .

● ان اول مئذنة في تاريخ الاسلام والعالم الاسلامي باكمله ابتكرها المصريون وقاموا ببنائها سنة ٦٤٥م، وهي مئذنة جامع عمرو بن العاص بالفسطاط ، وقد اطلق عليها اسم « المنارة » (ذكرت بعض المراجع التاريخية القديمة انها كانت اربع منارات اقيمت فوق اركان المسجد الاربعة) .

وعندما وصلت اخبارها الى الخليفة عمر بن الخطاب امر بهدمها لانها بدعة لا تتفق مع الاسلام .

كما شهد مسجد عمرو اول منبر في تاريخ المساجد الاسلامية ابتكره المصريون ايضا ، ولما علم الخليفة بامره طلب ازالته .

وقد ذكر كل من ثيرش Thiersch وبتلر Butler في مراجع تاريخ العمارة ان المآذن التى ابتكرها المصريون للمساجد الاسلامية نقل تصميمها وفكرتها من فنار الاسكندرية الفرعوني والذى كان سببا في اطلاق اسم المنارات على المآذن .

وقد اعيد بناء المنارة في العصر الاموى عند توسعة جامع عمرو كما ارتفعت في سماء القاهرة منارة اخرى لمسجد مدينة العسكر التى اقيمت سنة ٧٨٥ م في العصر العباسي وتهدمت في حريق الفسطاط الكبير .

وتعتبر منارة مسجد قيروان الذى اقامه هشام بن عبد الملك بن مروان التى نقل تصميمها من منارة الاسكندرية الفرعونية اقدم مئذنة ما زالت قائمة في العالم الاسلامي ، وقد ذكر المؤرخ Rivoira انها تحاكي منارة جامع عمرو بن العاص القديمة اول منارات الاسلام .

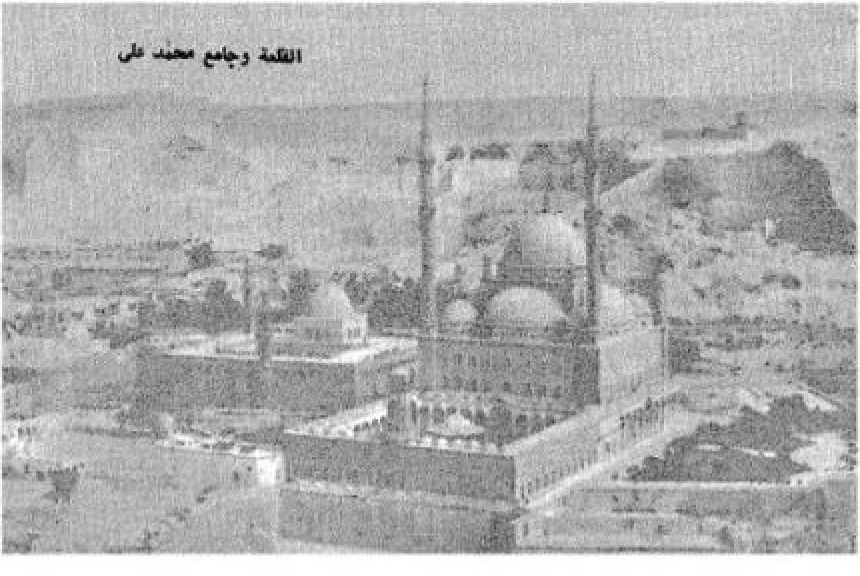
اما اقدم مئذنة ترتفع في سماء القاهرة فهي مئذنة جامع ابن طولون الذى بناه في مدينة القطائع سنة٧٢٤م التى نقل تصميمها من ملوية مسجد سامراء .

لقد تطور شكل المئذنة وطرازها وطريقة بنائها وتصب تكوينها خلال مختلف العصور الاسلامية في مصر وما تبعها من تطور في فن العمارة نفسه فسجلت المآذن استعراضا معماريا رسم خط السماء لمدينة الألف مئذنة.

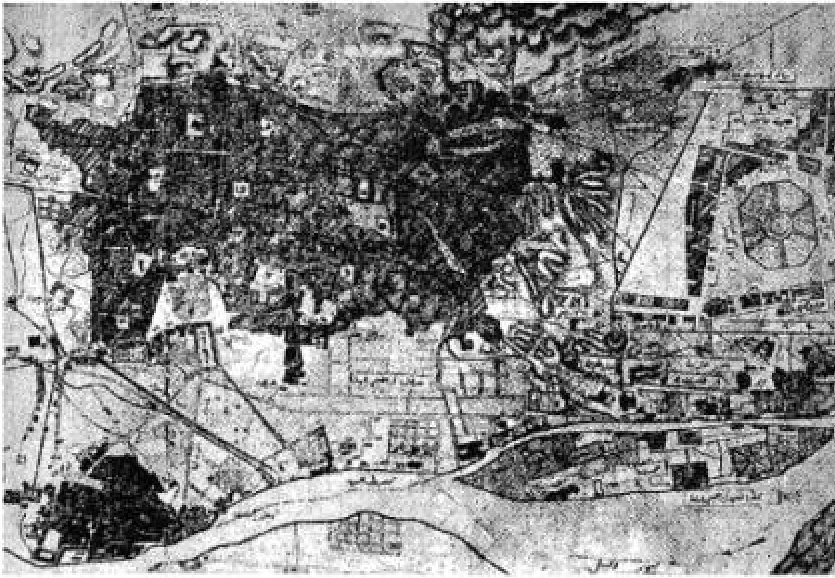
من اول المساجد التي بنيت في قاهرة المعز داخل اسوارها الجديدة جامع الازهر الذي بناه جوهر الصقلي سنة ٩٧٠ م اما مآذنه الثلاث فترجع الى ثلاثة عصور مختلفة ، الاولى بناها المهندس قايد بك في القرن الخامس عشر والثانية بناها الغوري في بداية القرن السادس عشر والثالثة بناها كاتخذا في القرن الثامن عشر .

● اما جامع الحاكم فقد قام ببنائه الخليفة العزيز سنة ٩٩٠ م وقام بتكملته ابنه الحاكم بأمر الله سنة ١٠١٢ م وله مئذنتان تعتبران تحولا في فن عمارة المآذن ، وقد تعرضت المآذن للتصدع في زلزال سنة ١٣٠٢ وقام بيبرس الثاني بتدعيمها بواسطة البناء المربع الذي يخفي الجزء الاسفل من المئذنة ،ولو ان الكثير من المؤرخين يعارضون تلك النظرية حيث ان معظم المساجد التي بنيت في وقت معاصر أو في العصر الفاطمي بأكمله (٩٦٨ - ١١٧١ م) بنيت جميعها بنفس الاسلوب ذي القاعدة المربعة التي تعلوها المئذنة ومنصاتها المختلفة التكوين ، كمآذن الجيوشي والاقمر وابو الغضنفر .

● كما اشتهرت مآذن العصر الايوبي (١١٧١ - ١٢٤٩ م) بكثرة الزخارف والمعلقات والمقرنصات والقباب التي تتوج المآذن ، ومن اشهرها مآذن مسجد سيدنا الحسين ١٢٣٧ م ومئذنة مدرسة الصالح نجم الدين او الصالح ايوب وذكر ريفوارا Rivoira ان الايوبيين نقلوا تلك الزخارف وخاصة المقرنصات من مسجد التي في ارمينيا الذي بني سنة ١١٠٠ م عن طريق الفنانين الذين احضروهم معهم من ارمينيا ولو ان كرسويل يكذب تلك النظرية حين اثبت ان زخارف مسجد ارمينيا ومقرنصاته



القلعة وجامع محمد على



وقبة ملاتله ما هي الا تطويرلزخارف وحليات مسجد الجيوشي الذي بني قبل مسجد ارميتيا بخمس عشرة سنة •

● وفي عهد المماليك البحرية (١٢٥٠ ـ ١٣٨١ م) اخذ تصميم المآذن طابعا آخر تغيرت به نسب المآذن وابعادها وظهر اثر الطراز السوري والمغربي في كثير من تفاصيلها ومن اشهر المآذن التي خلفهـا ذلك العصر مئذنة زاوية الهنود التي بنيت عام ١٢٥٠ م ثم السلطان قلاوون ١٢٨٥ م وفاطمة خاتون ومدرسة الناصر قلاوون وسنجر الجاولي والمارداني •

ومن اشهر مآذن ذلك العصر مئذنتا جامع السلطان حسن ١٣٥٦ م التي تهدمت احداهما في زلزال القاهرة سنة ١٣٦١ م بعد اقامتها مباشرة والتي ذكر لين بول ان ارتفاعها كان مائة متر تقريبا وانها سقطت على مدرسة مجاورة وقتلت ٣٠٠ طفل •

● وفي عهد المماليك الشراكسة (١٣٨٢ ـ ١٥١٧ م) اخذت المآذن طابعا معماريا خاصا امتاز بدقة التفاصيل وكثرة الزخارف في مختلف ادوار المئذنة ومنصاتها ومن اشهر مآذن ذلك العصر مئذنة جامع السلطان برقوق ١٣٤٨ م وفرج والمؤيد والقاضي يحيى وقايتباي وابن مظهر •

● مع الفتح العثماني بقيادة سليم الاول (١٥١٧ ـ ١٨٠٥ م) تطورت المآذن لتأخذ الطابع التركي في طراز المآذن الاسطوانية الشكل والتي تمتاز بارتفاعها ونحافتها ومن احسن امثلتها مئذنة جامع عثمان كتخدا ١٧٣٤ م وفي عهد اسرة محمد علي كان طراز المآذن امتدادا للطراز العثماني ومن احسن الامثلة التي خلفها ذلك العهد مآذن قلعة محمد علي

وقد تم في العصر الحديث اقامة عشرات المآذن التي احتلت مكانتها في التطور العمراني للمدينة لتعبر عن تطور المدينة وعمارتها •

د. سيد نوفل

القدس

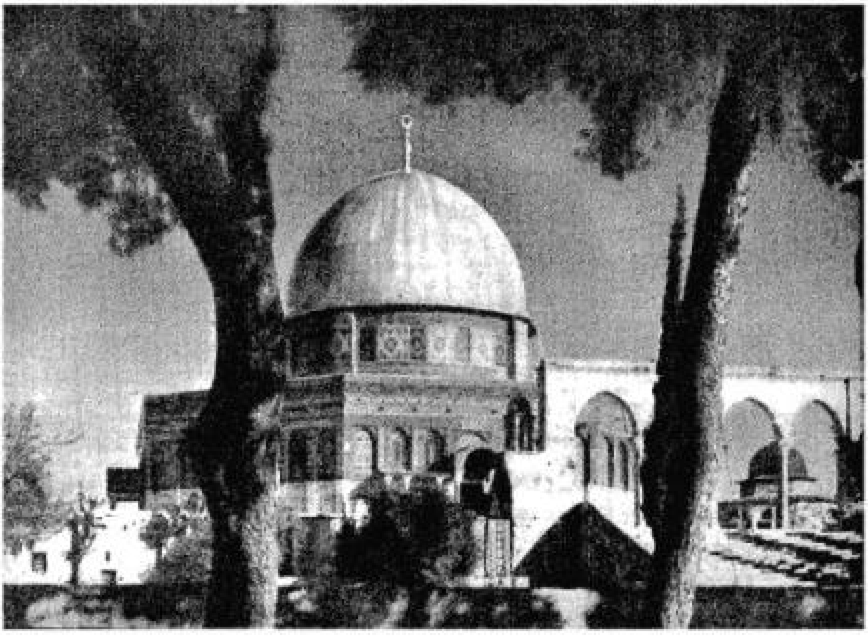
لعل « بيت المقدس » أو « القدس » أعرق المدن المعمورة في منطقتنا العربية تلك المنطقة التي شهدت مولد التقدم البشري ، وتلقت مسيرة الإنسان الأولى نحو الحضارة والإيمان ، فمنذ أسستها قبائل اليبوسيين العربية ثلاثة آلاف عام قبل الميلاد وأطلق عليها ملكهم الصالح كما تروي الأخبار ، اسم « يبوس » ، وهي تشهد تصارع الحضارات فوق حصونها المنيعة ، وتتوثق روابطها التاريخية بمصر منذ عهد تحوتمس الثالث لمنتصف القرن السادس عشر قبل الميلاد .. ومن بعد اليبوسيين حط رحالهم فيها الكنعانيون العرب الرحالة ، وأطلقوا عليها اسم « أورو — سالم » أو مدينة السلام ، ومنه اتخذ اسمها « هيروسليما » أو « أورشالم » ، أو « يوروشاليم » ، أو « أورشليم » ..

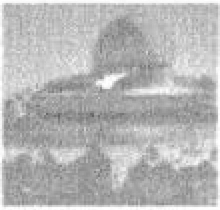
وحين تعرضت القدس للغزوات العبرية تصدى لساعة المدينة في ردها المصريون ، وان تهيأ للعبريين من بعد الظفر بها حينا من الزمان ٠ وكان ذلك لعهد داود في منتصف القرن الحادى عشر قبل الميلاد ... وتواتر عليها من بعد ذلك الأشوريون، والبابليون ، والفرس ، واليونان ، والبطالسة ، والرومان ، والبيزنطيون واطلق عليها الرومان اسم (ايلياء)٠

ونشر الاسلام لعهد الفاروق عمر على ربوعها اعلام الحرية والعدل والسلام٠ وسميت بيت المقدس أو البيت المقدس أو القدس ٠ واستقرت قلب فلسطين العربية الى ان عدا عليها الاستعماريون الصليبيون ، واسسوا المملكة اللاتينية الاقطاعية في نهاية القرن الحادى عشر، وجعلوا بيت المقدس وما حوله اقطاعية من الاقطاعيات العديدة التى شملت بلاد سورية وفلسطين ..

لكن صلاح الدين وخلفاءه اعادوا اليها عهد عمر والتابعين من بعده ، وتوثقت عراها بمصر في عهود الايوبيين والمماليك ... ثم خضعت في نهاية القرن التاسع عشر لصراع القوى الكبرى الذى تمخض عن الصهيونية السياسية ودخلت بريطانيا فلسطين في أواخر الحرب العالمية الاولى ، كى تمهد لانشاء اسرائيل واحتلال ثلثى القدس العربية في عام ١٩٤٨ ثم احتلالها جميعاً في عام ١٩٦٧ ... ويدور الزمان دورته، وتسجل حرب رمضان المجيدة في عام ١٩٧٣ انتصارا عربيا خالدا على مر الزمان ، ويعظم الامل في ان يستعيد

قبة الصخرة بمدينة القدس





القدس

العرب عهدي عمر وصلاح الدين فى فلسطين ، وأن تعود القدس عربية لاهلها بفضل النضال القومى المشترك المتكامل ، يحمل فيه كل عربى مسئولية كاملة ، ويؤدى واجبه فى تضحية وايثار ·

● الموقع ومناعته الحربية ●

تمثل مدينة بيت المقدس القلب النابض بالحياة والعطاء لفلسطين · اليها تهوى الافئدة من أرجاء العالم ، وفيها يلتقى المؤمنون بالله وكتبه ورسله · وتقع بين البحرين المتوسط غربا والميت شرقا ، وعن الاول تبعد أثنين وثلاثين ميلا ، وعن الاخر ثمانية عشر ميلا ، وترتفع الفين وخمسمائة قدم عن سطح البحر الابيض المتوسط ··

وهي قسمان · قسم قديم به المقدسات العربية ويحيط به سور كبير انشاه القدماء ، واعاد بناءه السلطان سليمان القانونى فى نهاية العقد الرابع للقرن السادس عشر · وهذا القسم هو الذى بقى بيد العرب أصحاب البلاد حتى عام ١٩٦٧ ··· وقسم جديد ، بنا بناؤه خارج السور منذ منتصف القرن التاسع عشر ، وهو الذى تحتله اسرائيل منذ انشائها لربع قرن مضى · وكانت مساحة القدس تبلغ نحو خمسة الاف فدان ليس فيها فى القسم القديم داخل السور سوى مائتين وسبعة عشر فدانا · وقد تضاعفت هذه المساحة وامتدت فى مختلف الاتجاهات ··

والقدس مدينة جبلية ومن اشهر جبالها جبل الزيتون او الطور ، وجبل سكوبس او المشهد او المشارف ، وجبل النبى داود او صهيون كما كان يسمى من قبل العبريين ، وجبل المكبر ·

وعلى جبل الزيتون عسكرت جنود العرب المسلمين فى عهدى عمر وصلاح الدين قبل دخول المدينة ، وبه فسر الزيتون من قوله تعالى : « والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الامين » ··· وعليه وقف المسيح عليه السلام ، اثناء فراره من اليهود ، لاعنا أورشليم لعهدهم ومتنبئا لهذا العهد بالفناء ····

وعلى جبل المكبر ، كبر الفاروق عمر ثلاثا ، حين شاهد بيت المقدس ، او « ايلياء » كما كانت تسمى حينذاك ، واستيقن ان الله فاتحها للاسلام ، ورافع عليها اعلام الحرية والسلام ·· وعليه يقوم قبر المجاهد الاسلامى شهاب الدين القرشى احد جنود صلاح الدين فى فتح القدس ، وتزعم الروايات انه كنى بأبى ثور لانه كان يركب ثورا فى الحرب العربية ضد الغزو الاستعمارى المسمى بالصليبى ··· ومناخها جميل ، وعيونها موفورة المياه ، وتجارتها رائجة منذ القدم ·

وموقع ايلياء الجبلى فى جنوبى فلسطين ، جعلها منذ القدم حصنا

منيعا يصعب مناله على الغزاة والفاتحين ... ولهذا كان قدماء المصريين يعتمدون عليها ويتخذونها خط دفاع لهم ضد الغزاة الذين يتطلعون الى غزو مصر من ناحيتها ..

وحين فصلت عن مصر فى عهدى داود وسليمان ، لم يلبث المصريون أن استعادوها ، وأعادوا تحصينها ... وحين غزا الفرس فلسطين فى أوائل القرن السابع الميلادى ، واستولوا على مختلف مدنها ، شق عليهم الاستيلاء على القدس وظلوا يحاصرونها ثمانية عشر يوما الى ان اضطرت للتسليم نجاة من الحصار ... وكذلك صنع العرب فى استعادتها وأخراج الرومان منها فى عهد عمر ... بل تذهب بعض الروايات الى ان الرومان لم يستسلموا الا بعد امتداد الحصار العربى شهورا ، واجلاء حامياتهم ومقدساتهم عنها ...

● القدس فى العصور القديمة ●

تقلبت على القدس القوى التى تنازعت السيطرة على العالم القديم ، وصمدت « يبوس » فى مقاومتها ، وخضعت من اجل ذلك ، ولا تزال تخضع لما لم تخضع له مدينة واحدة فى التاريخ البشرى ... ولقد دمرت ثمانى عشرة مرة تدميرا ، وبنيت بمقدار ذلك ، واكسبتها اعمال التدمير و البناء روح المقاومة والانشاء ، وفنون الحضارة والعمارة .. وزادها روعة وقدرا أن جمعت مقدسات الاسلام والمسيحية واليهودية ، وأن ترك فيها الانبياء والرسل منذ أبيهم ، ابراهيم الخليل ، تراثا مباركا ...

وعلى عهد اخناتون فرعون مصر ، بين العقدين الثامن والسادس للقرن الرابع عشر قبل الميلاد ، سميت « يا بيش » فى الواح تل العمارنة ... كما تردد من قبل اسمها الكنعانى او الارامى أو البابلى « اورو ـ سالم » لعهد تحتمس الثالث منقذها من العبريين فى منتصف القرن السادس عشر قبل الميلاد ...

وفى عهد الملك داود ، لمنتصف القرن الحادى عشر قبل الميلاد سماها العبريون مدينة (داود) ومدينة (صهيون) باسم احد التلال القديمة التى تقوم عليها المدينة ، كما اشتقوا من اسمها القديم أسماءهم : « أورشليم » و « يورشاليم » و « يورشالايم » .

وفتحها البابليون فى عام ٥٩٩ ق.م. ودمروا هيكل سليمان ، وقضوا على مملكة يهوذا .. وخلف الفرس البابليين فى عام ٥٣٨ ق . م ، الى ان اجلاهم الاسكندر الاكبر فى عام ٣٣٢ ق .م .. وجاء المكابيون اليهود الى القدس من جديد ، لكن الخلافات لم تلبث ان استشرت بينهم ، حتى مكنت للقائد الرومانى (بومبى) من احتلال المدينة عام ٦٣ ق . م .

وحين تولى ادريانوس عرش الرومان لمدة عشرين عاما ابتداء من عام مائة وسبعة عشر ميلادية ، أخرج اليهود من القدس وسائر البلاد التى سكنوها فى فلسطين ، ودمر (سوايما) كما كانت تسمى القدس حين دخلها ، وانشأ مكانها مدينة رومانية جديدة سماها « ايليا كابيتولينا » او مركز الشمس .

وتدل الروايات التاريخية القديمة على أن الغزو العبرى او الاسرائيلى لفلسطين لم يكن سوى احدى موجات الغزو التى تواترت عليها وعلى القدس منذ أسسها اليبوسيون العرب لخمسة آلاف عام مضت .

فقد احتل القدس بنو اسرائيل في عهد الملك داود عام ١٠٤٩ ق ٠ م ٠ وكانت حينذاك مركز الطرق التجارية في المنطقة ، وذات تقدم حضاري مرموق ٠٠٠ وكانت فيها حكومة ذات نظام اداري ، وصناعة تفي بمطالب الناس في السلم والحرب لتلك الزمان ٠٠٠ ويروى ان العبريين تعلموا فيها لبس النسيج بدلا من الجلود التي كانوا يلبسونها قبل دخولها ٠

ومن بعد داود تولى سليمان الملك فبنى الهيكل في عام ١٠٠٧ ق٠م ٠ ومن بعدها تنازع ابناء الملك ، وقسموا المملكة ، التي كانت تشمل داخل فلسطين دون سواحلها ، الى قسمين : اسرائيل ، وعاصمتها شكيم (نابلس) ، ويهوذا وعاصمتها اورشليم ٠

وعلى طول اربعة قرون ظلت القدس مسرحا للفتن والاضطرابات ، وحررها حكام مصر مرارا ، وكذلك الاشوريون والبابليون والعموتيون والاشدوديون ، وبعض القبائل العربية ، كما خضعت لغزوات الفرس ، واليونان ، وجاء الرومان فاجلوا اليهود عنها ، وظلوا بها الى ان جاء الاسلام ٠٠٠

● القدس في صدر الاسلام ●

حين جعل الله قبلة المسلمين الاولى بيت المقدس ، ومعجزة الاسلام الكبرى الاسراء بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى حيث المعراج — كان سبحانه ، يوجه المسلمين نحو المسار الطبيعي لدعوة الاسلام ، والمجال الممتد لوحدة العرب ٠٠ واذا كان الله سبحانه قد دعا المسلمين ، بعد الهجرة الى المدينة بعام وبعض عام الى ان يولوا وجوههم في الصلاة شطر المسجد الحرام ، فقد كان ذلك ايذانا بفتح الله عليهم مكة ، ولكنه في الوقت ذاته لم يكن انصرافا عن موطن القبلة الاولى ، ومنزل المعجزة الكبرى : الاسراء والمعراج ، وانما كان تثبيتا طبيعيا للدعوة في موطنها الاول ، وتدرجا مدعوما الى مواطن اخرى ٠

ولهذا لم يكد الاسلام يستقر في قلب جزيرة العرب ، ويقضي ابو بكر على حركة الردة ، ويتخلص عمر من تهديد الفرس ويمد ساحة الدولة الاسلامية شرقا — حتى اتجه الى تحرير سورية من الروم ، واضعا نصب عينيه هدفا أسمى ، وهو تحرير فلسطين وبيت المقدس قلبها وقبلة الاسلام الاولى ، وموطن الرسل والانبياء الذين يصدق المسلمون برسالاتهم جميعا ٠

وكان تحرير بيت المقدس من اعظم الاهداف التي تحراها المسلمون، وكانت معارك فلسطين من اشد المعارك التي خاضوها ، وحشد لها الروم الكبير حشودهم واقواها ٠٠٠

وبينما كان ابو عبيدة يسير لعهد ابن الخطاب بجيشه الظافر في الشمال السوري ، كان عمرو بن العاص يقود القوات العربية التي حشدت في فلسطين

القدس



للقضاء على قوات الروم الكبيرة فيها بقيادة ارطبون (١) .. ولم تكن قوات العرب شيئا مذكورا بالقياس الى جيوش الرومان الجرارة التى تحصنت بالرملة وايلياء (القدس) ، وبسائر المدن الساحلية من غزة حتى قيصرية .

واحاط ابن العاص خبرا بقوات الرومان ودهاء قائدهم، فكتب الى الفاروق عمر ، شارحا الموقف من جميع جوانبه فى انصاف لامكاناته المحدودة وامكانات اعدائه الواسعة.. وابتسم ابن الخطاب حين قرأ وصف ابن العاص لقائد الروم بالدهاء ، وقال لمن حوله : « قد رمينا ارطبون الروم بارطبون العرب (يعنى ابن العاص) ، فانظروا عم تنفرج » !!

لكن عمر من ناحية اخرى بعث صفوة من قواد العرب على رأس قوات احتلت المدن الساحلية وغيرها من مدن فلسطين .. وانزلت بالروم افدح الخسائر وفتت من اعضاد القوات المرابطة فى بيت المقدس .

وبعد حيل ومداخلات كثيرة من ابن العاص ، وحصار دام اربعة اشـــهر لبيت المقدس الذى تحصن به ارطبـون وقواته ، وبعد ان طال الحصار واشتدت مقاومة المدينة ـ كتب ابن العاص الى عمر يطلب منه القدوم بنفسه على رأس جيش لحسم الموقف ، ويقول : « انى اعالج حربا صـــدوما كئودا وبلادا ادخرت لك ، فرأيك ! » .

وهنا تختلف الروايات اشد الاختلاف .. وارجحها ان ابن الخطاب قـــدر خطورة الموقف واهميـــة الفتح لبيت المقدس ، وانه استخلف على بن ابى طالب على المدينة ، وسار على رأس جيش جرار حتى بلغ « الجابية » قريبا من نهر الاردن ، غير بعيد عن بيت المقدس .. وكان قد كتب الى امراء الجند ان يقدموا عليه فيها ، فجاءوا اليه بجنودهم المنتصرة فى معاركها ، يتقدمهم يزيد بن ابى سفيان وابو عبيدة وخالد بن الوليد .

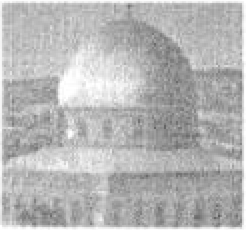
وبينما هو فى الجابية ، وقد تواترت انباء الانتصارات العربية فى ارجـــاء سورية وفلسطين الى القوات الرومانية فى بيت المقدس ، وعلم الرومان بمقدم عمر وتجمع قواته وقوات عربية جرارة أخرى فى الجابية ، وأيقنوا ان لا قبل لهم بمنازلتها، وقد انزل بهم ابن العاص افدح الخسائر وطال حصاره لهم ـ حينئذ بعث صفرنيوس اسقف بيت المقدس الى عمر ببعض الفرسان ليتموا الصلح معه وصالحهم ابن الخطـــاب وذهـــب الى بيت المقدس بعد ان جلت القـــوات الرومانية عنها الى مصر ، وضرب هنالك اروع الامثال الجديرة بامير المؤمنين ، ورفع القواعد للدولة الاسلامية الشامخة البنيان ..

● عمر فى بيت المقدس ●

وكان دخول الفاروق عمر بيت المقدس فى السنة الخامسة عشرة للهجرة نصرا مبينا للاسلام ، وكان اشبه ما يكون بالنصر الذى تحقق بدخول الرســـول الامين مكة .. وكلاهما تم فى ســـلام ودون اراقة دماء .. ومثلما كان فتح مكة مقدمة لاستقرار الاسلام فى جزيرة العرب ، فقد كان فتح القدس مقـــدمة لاستقرار الاسلام فى الوطن العـــربى الكبيـــر فقد تبع فتـــح ابن العـــاص

---

١ ـ تعريب لكلمة «Tribunus» الرومانية ومعناها القائد الاكبر الذى يلى الامبراطور .



القدس

لفلسطين فتحه لمصر ، وامتداد الاسلام منها الى المحيط الاطلسى اقصى الحدود الغربية للوطن العربي الكبير ..

وكانت الامثال التى ضربها عمر فى التقدم الفكرى ، وفى السلوك البشرى جديرة بخليفة رسول الله الراشـــد العظيم .. ويكفى أن نشير الى الوثيقة التى صالح بها اهل ايلياء، وكيف كانت فتحا مبينا فى تدوين مبادىء القانون الدولى ، سبقت بأكثر من ثلاثة عشر قرنا عصرنا الذى عنى بهذا التدوين .. لقد احترمت حقوق الانسان الاساسية، وحرياته الدينية والمدنية ، ولم تكرهه على اقامة او مذهب او مســلك فى الحياة ، ووقعها الخليفة وشهد عليها كبار القادة ، واكدت اتصال الالتزام الدولى من الحكــومة الاسلامية فى الحاضر والمستقبل .

وبهر عمــر صفرنيوس ، أسقف بيت المقدس ، باحترام كنائس المسيحيين ومقدساتهم ، وتنظيفه بيده القاذورات من المسجد الاقصى واقتداء المسلمين به فى ذلك ، وتشدده فى الوفاء بما قطع من عهود للمسيحيين تشددا فاق كل تقدير منهم ، وملأ نفوسهم سعادة أن بدلهم الله بظلم الرومان عدلا عربيا ، وبيطشهم وطغيانهم رحمة وسلاما ...

وكانت عظمة عمــر الاصــيلة فى تواضعه ، لقد رفض ان يركب البرذون الذى يختال فى مشيته لما يدخله فى نفس الراكب من خيلاء .

واقبل عليه فى الجابية اجنــــاد المسلمين بعد أن تم لهم القضــاء على قوات الرومان خارج بيت المقدس . وكان يتقدمهم ابطال الحرب : يزيد وأبو عبيدة وخالد ... وكان موقفا جديرا بالغرور .. لكن الخليفة الصالح العظيم غلى الدم فى عــــروقه حين رأى بريقهم ولمعانهم اللذين ينبئان عن لبس الديباج والحرير وترف العيش . وعجب لهؤلاء القوم الذين تغيروا وضعفوا للحياة فى عامين اثنين ، وكان اجـــدر بهم ان يعيشوا بتعاليم الاسلام ومناهجه العليا لا يتبدلون مائتى عام . والا حق عليهم العزل ...

وهكذا نزل ابن الخطاب عن فرسه يرماهم بالحجارة وصـــاح مغضبا : « سرع ماالفتم عن رايـــكم ! .. اياى تستقبلون فى هذا الزى ! وانما شبعتم مذ سنتين ! وبالله لو فعلتم هذا على راس المائتين لاستبدلت بكم غيركم » !

واعتذر امراء الجند قائلين :

« يا امير المؤمنين ، انها يلامقة (١) وان علينا السلاح ! » ورأى عمر السلاح فخفت ثورة غضبه ، وقال « فنعم ، اذن » .

ولم يطمئن الا حين عرف انه بريق الســلاح والسيوف لا بريق الديبـــاج والحرير !

وهكذا ارتفع المؤمنون وامراؤهم على اعراض الدنيا وزخارفها الى مثل الحياة العليا ، فدانت لهم الدنيا ، وكانوا احق بولايتها ما اعتصموا بهذه المثل ، وابوا ان ينزلوا من عليا، نفوسهم الابية ..

بسم الله الرحمن الرحيم

يسر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية أن يزود المكتبة الإسلامية والقارئ العربي بأشهر مخطوطات التراث الإسلامي محققة تحقيقاً علمياً دقيقاً ومبوبة ومفهرسة لأول مرة.

تحرير التحبير
فى صناعة الشعر والنثر وبيان اعجاز القرآن

لابن ابى الاصبع المصرى
تحقيق الدكتور حفنى محمد شرف

كتاب يبحث فى بديع الكلام شعره ونثره ، ملىء بالايات القرآنية والاحاديث النبوية ، والشواهد الشعرية ، ألفه ليدرس فيه الالوان البلاغية التى وجدت فى عصره وليستشهد لها بالمنظوم والمنثور ليثبت من وراء ذلك اعجاز القرآن الذى هو الغاية من الدراسة البلاغية ٠

مليم جنيه
الثمن : ٥٠٠ ر١

المعجب فى تلخيص اخبار المغرب

تأليف عبد الواحد المراكشى المتوفى سنة ٦٤٧ هـ
تحقيق الاستاذ محمد سعيد العريان

يعتبر كتاب أدب وفن وتاريخ وسياسة ، ألف فى الربع الاول من القرن السابع الهجرى ، ليكون تعريفا لاهل المشرق باحوال المغرب وهو تقويم جغرافى اقتصادى ، اجتماعى لذلك المغرب الكبير فى تلك الحقبة الزاهرة من تاريخه ٠

الثمن : ٨٠٠ مليم

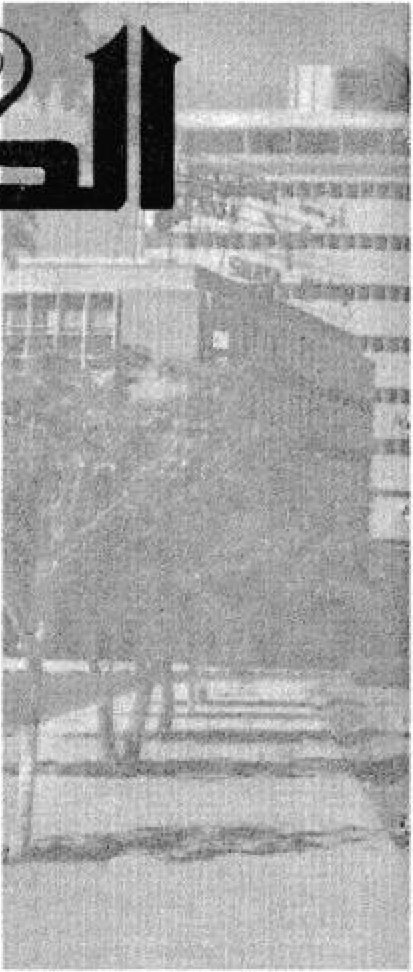


تشترك الكويت وعواصم الخليج العربى فى سمة واحدة بارزة ، الا وهى نشأة البداوة ، والاعتماد على التجارة وصيد اللؤلؤ ، والاحتكاك بالعالم عن طريق التجارة ، ومنذ ان تدفق البترول فى الاربعينات ، وأصبحت منطقة الخليج العربى من اولى دول العالم انتاجا له وبدأت هذه العواصم تعيد بناءها المعمارى باسلوب جديد عمارات شاهقة ، وشوارع واسعة معبدة ، واهتمام بشتى مرافق الحياة .. كل هذا يحدوه انطلاقة نحو اللحاق بركب الحضارة ثقافيا واجتماعيا على اسس عصرية فريدة ..

مدينة الكويت لؤلؤة الخليج العربى ، دائما هى محط الانظار ، ففى القديم اشتهرت باللؤلؤ ، وفى الحديث اعطاها البترول أهمية خاصة غيرت من معالمها القديمة ، تمرح بها الحياة الثقافية والادبية ، والعمران والازدهار الحضارى هما ابرز السمات فى حياة « درة الخليج » .

الكويت تصغير كوت بضم الكاف ، والكوت كلمة عراقية ، تطلق عادة على جملة من بيوت الفلاحين المتجاورة

الكويت و.. عواصم الخليج العربي



عاطف مصطفى

المعدة لخزن الزاد والمتاع والوقود ، وقد يكون الكوت محاطا بسور وقد لا يحاط به ، ولا تطلق الكلمة الا على الابنية القريبة من البحر ، او النهر ، او البحيرة ، وقد يسمى النهر الصغير بالكوت .

وقد سميت بذلك الاسم لوجود حصن صغير كان قائما مكانها ، وقد بناه في أواخر القرن الحادي عشر الهجرى محمد بن عريعر زعيم بني خالد ، وجعله مستودعا للذخيرة والزاد ، فاذا ما بدأ الغزو جهة

الشمال اخذ ما يحتاج اليه من طعام او سلاح ، ولما قدم آل الصباح هذه البقعة وهبه لهم ابن عريعر ،فاتخذوه نقطة ابتداء لانشاء الكويت ·

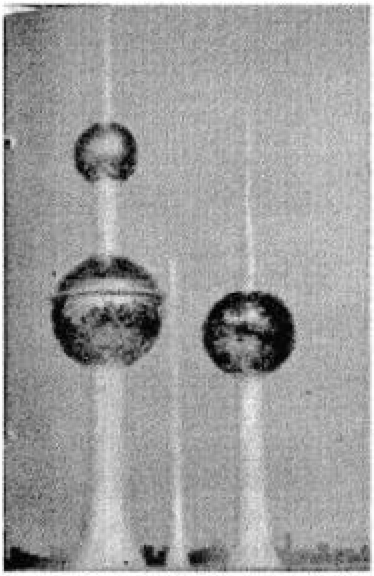
والكويت مدينة حديثة لا ذكر لها فى تاريخ العرب القديم ، ولكنها تقع فى منطقة تاريخية قريبة من موقع كاظمة التى ورد ذكرها فى حوادث الفتح العربى ، وعندما وقعت معركة بين العرب بقيادة خالد بن الوليد ، وبين الفرس ، بقيادة هرمز سنة ١٢ هجرية سميت فى المراجع باسم (القرين) ولا يزال هذا الاسم يطلق على بعض المواقع فى اطرافها، وفى جزيرة فيلكا ·

ويطلق اسم الكويت على الدولة كلها ، وعلى عاصمتها التى تقع على الضفة الجنوبية ، وحول العاصمة تقع قرى صغيرة بعضها اقدم نشأة من المدينة ذاتها ·

وقد كانت مدينة الكويت مسورة بسور من طين له خمسة ابواب يحيط بها من ثلاث جهات ، ويقابلها البحر من الجهة الرابعة ، وقد بنى السور سنة ١٩٢١ وتطوع ببنائه اهل الكويت جميعا ، ومعدل ارتفاعه نحو اربعة امتار ، وله سبعة ابراج كبيرة وستة وعشرون برجا صغيرا ، وقد هدم السور سنة ١٩٥٧ بسبب ازدياد العمران وانشاء مناطق سكنية طبق التخطيطات الحديثة ، ولم يبق من السور فى الوقت الحاضر سوى ثلاثة ابواب فقط ·

وخليج الكويت الصغير يعد من احسن الموانىء الطبيعية فى المنطقة ويصلح لرسو البواخر فى اكثر جهاته وقد تم تعميق جزء منه لكى تستطيع السفن الكبيرة الرسو على الساحل فى ميناء الشويخ الجديد ·

والكويت مدينة تجارية عظيمة تاتيها البواخر والطائرات والسيارات من جميع انحاء العالم ، وهى تشبه اخواتها من المدن العربية التجارية



ابراج الكويت السياحية

كصيدا وقرطاجنة والرقيم وتدمر ومكة فى تاريخها القديم ، وبيروت والعقبة وطنجة وعدن ودبى ومسقط فى تاريخنا الحديث ·

ولقد عرف اهلها العالم واشتغلوا بالتجارة واستخراج اللؤلؤ ، فاثروا قبل ظهور البترول فى ارضهم · وبعد انتهاء الحرب العالمية الاولى وفى ١٩١٧ اكتشف البترول ثم قامت الحرب العالمية الثانية فبقى هذا السائل مطمورا حتى عام ١٩٤٧ حيث بدأ يتدفق من آبار فى انابيب ضخمة الى مخازنه القريبة من البحر ·

لقد تغيرت مدينة الكويت تماما عما كانت عليه فى الخمسينات ، والحقيقة ان التغيير الذى يحدث فى الكويت تغيير سريع يحدث كل عام ، بل كل شهر ، فقد تحطم السور العتيق وخرجت المدينة الى الصحراء الواسعة المترامية الاطراف ، فملأتها بالحياة ، وملأتها بالعمران

ان الكويت الان مدينة تجدد شبابها دائما فى كل شيء .. فى شوارعها الفسيحة التى تتخللها الاشجار الخضراء وفى مرافقها العامة فى مبانى الحكومة ودواوين الوزارات التى اصبحت تشغل المبانى الحديثة الضخمة التى شيدت على احدث ما عرف من فنون هندسة العمران لقد اختفت المبانى القديمة وزالت الحوارى الضيقة ، واصبح الكورنيش العظيم يلف المدينة من جهة الخليج .

ان مدينة الكويت الان مدينة كبيرة ضخمة ، فالى جانب الابنية الشاهقة للوزارات والسفارات ، فيها فنادق من الدرجة الاولى على مستوى عالى ، وفيها جامعة بنيت على احدث طراز وفيها عدد كبير من المدارس الثانوية والابتدائية ورياض الاطفال ودور الحضانة والمعاهد الخاصة المتنوعة .. فيها سينمات ومسارح واندية وجمعيات ولا تكاد تخلو مدرسة من قاعة للمحاضرات وقاعة للمسرح والسينما .. فيها مستشفيات ونواسيم للعلاج .. وفيها الى جانب المتاجر الكبيرة مطار مشيد على احدث طراز .

ومن ابرز معالم مدينة الكويت الابراج الثلاثة الضخمة لتوصيل المياه العذبة الى المنازل كما يستفاد به كمرفق سياحى كبرج بيزا المائل وبرج القاهرة وغيرهما من الابراج العالمية، ويوجد ايضا مشروع للصوت والضوء عند احدى البوابات التاريخية بسور المدينة كمشروع الصوت والضوء بمنطقة الاهرام بالجيزة » .

وفى حى المباركية احد احياء مدينة الكويت تزدهر صناعة « البشت » أى العباءة ، وصناعة « الزرد » الكالفة الموشاة بالذهب .

واذا كانت هذه النهضة الشاملة تسرى فى ارجاء الكويت ، فاننا نجد على نفس الدرب عواصم امارات الخليج التى اصبح اسمها عاليا مدويا فى كل الافاق .

أبوظبي

عاصمة دولة الإمارات

مدينة ابو ظبى هى عاصمة الامارة ، وعاصمة دولة الاتحاد ، وأول من جعلها عاصمة للامارة هو الشيخ شخبوط بن ذياب الذى يعتبر المؤسس الحقيقى لامارة أبو ظبى ومدينة ابوظبى هى عاصمة دولة الامارات العربية المتحدة التى تتكون من : أبو ظبى ، دبى ، الشارقة ، رأس الخيمة ، عجمان ، الفجيرة ، أم القوين ، وهذه الدولة تشغل الركن الشرقى من شبه الجزيرة العربية عند مدخل الخليج العربى .

وتقع العاصمة ابو ظبى التى تعرف البلاد باسمها ايضا على جزيرة صغيرة متصلة بالبر بطريق ضيق .

ومدينة أبو ظبى يختلط فيها القديم

بالحديث بشكل لافت للنظر، اذ لاتزل البيوت القديمة قائمة ، نجد العمارات السكنية اخذت تحتـــل اماكن بارزة على شارع الكورنيش ، وهناك احياء سكنية نموذجية تقوم على شـــاطىء البحر •

وسوق أبوظبي ما زالت على الطراز القديم ، وتمتد من اطـــراف المدينـة الى الساحل ،والعمران حديث عهد فى ابو ظبي وبدأ منـــــذ عام ١٩٦٦ ، والمدينة مقبلة على نهضة شاملة حيث تسابق الزمن من اجل البناء الشامخ والتطور السريع في العمـــــارة وفن البناء ، ولا عجب فى هذا فهى عاصمة لدولة الامارات العربية ولا بد من ان تستوعب المدارس والجامعة وتعبد الطرق التى تربط بينها وبين بقيـــة عواصم الامارات الاخرى •

ان البترول الذى تفجر في امارة ابو ظبي عام ١٩٦١ وجعل هـــذه الامارة من الدول المصدرة للبترول، يجعل المسئولية والعبء الشديدين من اجل النهوض للحاق بركب الحضارة والمدنية التى تعيشها كل عواصـــم العالم المتقدم المتطور ••

وابو ظبي تعتبر من اكبر امارات الخليج العربى من حيث المساحة او كثافة الســــكان وكذلك تعتبر اغنى امارات الخليج العربى • وقبل عام ١٩٦٠ كان صيد اللؤلؤ هو المصــدر الرئيسى للدخل القومى •

ومن أهم معالم مدينـــة ابو ظبي مطارها الذى يعتبر تحفة معمـــارية حديثة ، والنخيل وحدة اساسية فى التشكيل •

وجسر المقطع الحديث الذى يربط بين مـــدينة أبوظبي وباقى الدولة الاتحادية

مدينة ابو ظبي كما تبدو من الجو بمبانيها الحديثة





الدوحة .. تناسق وابداع فى التخطيط العمرانى

الدوحة عاصمة قطر

■ لا يكون تاريخ قطر تاريخا طويلا بالنسبة للبلدان والامم الاخرى فاستقرار اهلها فى الجزء من الدنيا العربية ، حديث نسبيا ، ولكن ما انجزته قطر فى سنوات شانها فى ذلك شان الكويت ، يعتبر معجزة بالنسبة للشعوب والامم ذات الحضارات الراقية ، ذلك ان النهضة الرائعة تنبىء بغد مشرق وبمستقبل حافل بالانجازات .

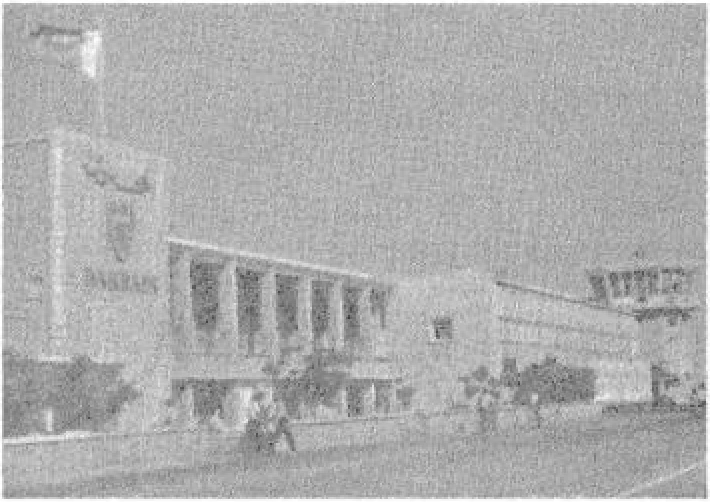
والدوحة عاصمة قطر تقوم على شاطئ الخليج ويتركز بها غالبية سكان قطر .

وكما فى معظم البلاد العربية فان

المجتمع القطرى ينقسم الى ثلاثة مجتمعات : مجتمع المدينة والقرية والبادية ، ولكن هذه المجتمعات جميعا يضمها اطار واحد هو اطار العروبة والاسلام ·

ولذلك فان نظام الحياة فى اى من المجتمعات الثلاثة يقوم على التقاليد العربية المجيدة ، وعلى مبادىء الدين الاسلامى الحنيف ، ومن اهم ما يلفت النظر فى العادات القطرية ظاهرة مجالس الضيافة ، وهى تقليد عربى اصيل تقابله « الديوانيات » فى الاقطار العربية الاخرى ، ففى كل بيت من بيوت الشيوخ والمقتدرين فى قطر مجلس للضيافة يتألف فى العادة من قاعة فسيحة غالبا ما تكون

المنامة عاصمة البحرين



منفصلة عن البناء الرئيسي للبيت يلتقي فيها القوم للسمر وتبادل الاحاديث وتدارس شئون الحياة ٠

وكثيرا ما تتحول دور الضيافة بالنسبة للغرباء الى مكان للاقامة وهى على اى حال تقوم بدور الاندية فى جو عائلى اليف يسوده التفاهم والكرم وروح المودة والاخاء ٠

ان تاريخ النهضة الحديثة بالدوحة وقطر بشكل عام يبدأ مع اكتشاف البترول واستخراجه ، فالبترول من هذه الناحية كان نقطة التحول الراعفة بين مرحلة عانية مليئة بالصراع مع البيئة والظروف من أجل الحياة وبين مرحلة ديناميكية عامرة بالحيوية من أجل التطوير وبناء الغد المشرق على دعائم ثابتة من العلم والتخطيط ٠

التطور فى عاصمة البحرين هو السمة البارزة التى تلمحها لاول وهلة فشوارعها جميلة نظيفة وواسعة تظللها الاشجار والنخيل وتكسوها بحلة خضراء جميلة ، والسر فى هذا يكمن فى مياه البحرين ٠٠ فالبحرين تنفرد عن غيرها بوفرة الينابيع الموجودة فى البحر حيث يلتقى الماء العذب الفرات بالملح الاجاج ٠٠ وهذه الينابيع وفيرة المياه بعضها فوق سطح الارض وبعضها تحت سطح البحر ، ولهذا فخصوبة الارض تفوق التصور ٠

وهناك تشابه كبير بين الكويت والبحرين فى العادات واساليب العيش وقد تكون هنالك اختلافات فى بعض العادات الا انها ليست اكثر مما يختلف فيه سكان مدينة عن مدينة اخرى فى نفس البلد ٠٠ نفس اللهجة تقريبا ، ونفس نمط العيش واساليبه ونفس الامثال الشعبية التى هى مرآة تعكس حقيقة الشعوب ٠

والبحرين منذ العصور الموغلة فى القدم كانت نقطة اتصال بين مهود الحضارات القديمة ، ولا شك ان موقع البحرين الاستراتيجى جعلها فى مقدمة البلاد المعروفة تجاريا وعمرانيا

د. أحمد
الشرباصي

مكة والمدينة ..

كلمتان ما أخفهما على اللسان ، وما أوسع رحابهما فى العقل والجنان ..

أحداهما بلد الله : مكة ..

والأخرى بلد رسول الله : المدينة ..
ومنهما أشرقت كلمة التوحيد بين عباد الله فى بلاد الله:

لا إله إلا الله ، محمد رسول الله ..

مكة والمدينة

الكعبة المشرفة بمكة وحولها مئات الألوف من المسلمين



« مكة » ..

أى جلال يثيره هذا الاسم الكريم العظيم ؟ . أى ذكريات ترتبط بهذا البلد الجليل ، وتتصل هذه الذكريات بالعقيدة ، والقرآن ، والرسول ، والاسلام ، والتاريخ ؟

مكة مولد الرسول وموطنه ، منزل الوحى وآيات القرآن ، مشرق الايمان والدين ، مبدأ الدعوة ومفتتح التبشير بلد الكعبة البيت الحرام ، والمسجد الحرام ، وملتقى الحجيج فى كل عام ..

وهى البلد الامين الذى سعت اليه الملايين بعد الملايين ، ولا تزال تسعى اليه الملايين بعد الملايين وستظل تسعى اليه — باذن الله — الملايين بعد الملايين ، حاجة معتمرة زائرة ... والبلد الذى يتسع — بقدرة القادر سبحانه — لمئات الالوف تسعى اليه فى موسم الحج الاكبر ، فيخيل للانسان ان البلدة المحدودة تتسع وتتفسح ، وتطول وتستعرض ، فتسع هذا الجم الغفير من الناس ، ويعجب المرء كيف ضمت مكة وتضم هذا العدد الهائل من البشر ... ولكن الله على كل شىء قدير .

ولو ان اهل الارض اقاموا موازينهم الحسية ومقاييسهم المادية بين البلدان والمدن ، لما كان لمكة بحجمها ودورها مكان الصدر فى هذه الموازنة ، فهى لا تفخر بناطحات سحاب ، ولا بعمائر ذات شرفات واطناب ، ولا بمظاهر المدنية المادية تبهر البصر وتروعه

ولكن مكة تسبق وتبرز على الجميع بمكانتها المتصلة الاسباب بالقلب والروح وجذور الايمان ، وها هو ذا الفاسى يقول فى كتابه « شفاء الغرام باخبار البلد الحرام » :

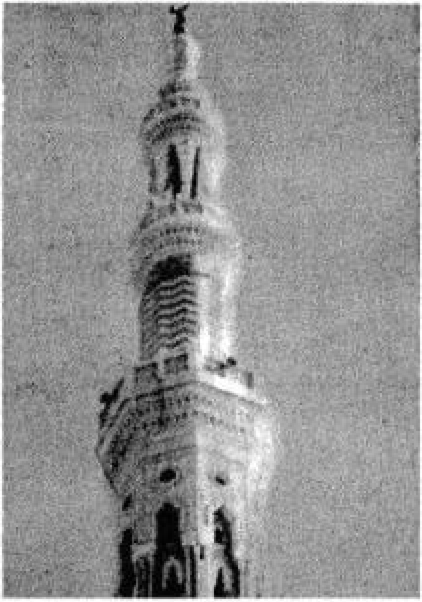
« مكة المشرفة بلدة مستطيلة كبيرة تسع من الخلائق ما لا يحصيهم الا الله عز وجل فى بطن واد مقدس والجبال محدقة بها ، كالسور لها »

ويقول الفاسى هذا وهو من رجال القرن التاسع الهجرى ، وقد مضت على وفاته قرون وقرون ، وتضاعف ضم مكة للملايين ، وهى هى ، البلدة التى تبدو للعين محدودة ، ولكن عناية الله تلاحظها فاذا هى البلد المبارك الامين ! .... الذى يضم الملايين بعد الملايين .

●●●

ومن شرف مكة التعلق بالظاهر كثرة اسمائها، فلها جملة من الاسماء والنووى يقول : « واعلم ان كثرة الاسماء تدل على عظم المسمى ، كما فى اسماء الله تعالى ، واسماء رسوله صلى الله عليه وسلم ، ولا نعلم بلدا اكثر اسماء من مكة

احدى مئذنتى المسجد النبوى بالمدينة المنورة ويبلغ طولها سبعين مترا ..



مكة والمدينة

والمدينة ، لكونهما افضل الارض ، وذلك لكثرة الصفات المقتضية للتسمية » .

فهى « مكة » . قيل : لانها تمك الجبارين ، أى تقهرهم وتذهب نخوتهم ، او تمك الفاجر أى تخرجه

وهى « بكة » بالباء بدل الميم ، وقد جاء هذا الاسم فى القرآن الكريم . وسميت بكة لازدحام الناس بها . يقال : بك الناس بعضهم بعضا ، أى يدفعه فى الزحام، وذلك فى زحمة الطواف .

وقيل ان « مكة » يراد بها البلدة نفسها ، او الحرم كله و « بكة » يراد بها موضع البيت او ما بين الجبلين حول المسجد الحرام ، او المسجد نفسه .

وهى « ام القرى » . وفى القرآن قوله تعالى : « لتنذر ام القرى ومن حولها » . لانها قبلة تؤمها جموع المسلمين .

وهى « البلد » ، وفى ذلك يقول القرآن : « لا اقسم بهذا البلد ، وانت حل بهذا البلد » .

وهى « البلد الامين » وفى القرآن نجد قوله تعالى : « والتين والزيتون وطور سنين وهذا البلد الامين » .

وهى « القرية » . ويروى انها المقصودة فى قوله سبحانه وتعالى : « ضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة ياتيها رزقها رغدا من كل مكان » . وفى هذا نظر .

وهى « البلدة » . وقد جاء فى القرآن : « انما امرت أن أعبد رب هذه البلدة » .

وهى : البلد الحرام ، والعذراء ، والمقدسة ، وحرم الله ، والعروض ، والبينة ، والمعاد ، ومخرج صدق ، والرأس ... الخ .

***

ولقد عطر الحق جل جلاله ذكر مكة فى كتابه ، فقال فى سورة ابراهيم : « واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبنى وبنى ان نعبد الاصنام » . ثم قال : « ربنا انى اسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ، ربنا ليقيموا الصلاة ، فاجعل افئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون » .

وقال فى سورة القصص : « أولم نمكن لهم حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شىء ، رزقا من لدنا ، ولكن اكثرهم لا يعلمون » .

وقال فى سورة العنكبوت : « أولم يروا انا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم » .

ويقبل الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، ليؤكد هذا الحديث القرآنى العاطر الباهر عن « مكة » ، فيخاطبها قائلا لها : « ما أطيبك من بلد ، وأحبك الى ، ولولا أن قومى أخرجونى منك فاسكنت غيرك » وفى رواية اخرى يقول : « والله انك لخير ارض الله ، واحب ارض الله الى ، ولولا انى أخرجت منك ما خرجت » .

ومن هنا ذهب كثير من الائمة الى ان مكة افضل من جميع البلاد ، وقال بعضهم : حسبك بفضل مكة ان فيها بيت الله الذى رضى بحط الاوزار عن العباد بقصدهم اياه فى العمر مرة ، ولم يقبل من احد منهم

صلاته الا باستقبال جهتـه أن تقدر على التوجه اليها ، وهي قبلـة المسلمين احياء وامواتا .

ولذلك الفضل العظيم لمكة اعطاها الله حرمة وجعلها بلدا حراما ، يراعي الناس حـرمته وكرامته ، ويحيطونه بهيبة وتوقير ، طاعة لامر الله ، واجلالا لبلد بيت الله ، وقد جاء في الصحيحين ان الرسول عليه الصلاة والسلام قال عن مكة : « ان هذا البلد حرمه الله يوم خلـق السـموات والارض ، فهو حرام بحرمة الله الى يوم القيامة » .

وقال ايضا : « ان الله عز وجل حبس عن مكة الفيل (الذى جيء به لهدم الكعبة) . وسلط عليها رسوله والمؤمنين (في فتح مكة) ، الا انها لم تحل لأحد قبلي ، ولن تحل لاحـد بعدي ، الا انها احلت لي ساعة من النهار ، الا وانها سـاعتي هذه حرم : لا يختبط شوكها ، ولا يعضد (لا يقطع) شـجرها ، ولا ينفر صيدها ، ولا تلتقط لقطتها الا لمنشد اى لمن يعرفها .

« ان الله سبحانه حرم مكة ولم يحرمها الناس ، ولا يحل لمن كان يؤمن بالله واليوم الاخر ان يسفك بها دما ، ولا يعضد بها شجرا ، فان ارتخص احد فقال : أحلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فان الله سبحانه أحلها لي ، ولم يحلهـا للناس ، وانما أحلت لي ساعة من نهار ، ثم هي حرام كحـرمتها بالامس » .

وبهذه الحرمة التي كسبتها مكـة صار لها « حرم » ، والحرم هنا هو ما احاط بمكة ، واطـاف بها من جوانبها ، وصار له حرمة كحرمتها، تشريفا لها وله . وكان الله جـل جلاله اراد ان يخص هذه البلـدة بهذه الحرمة لتكون للناس ملتقى . يهرعون اليها ، ليأمنون عندها .

ولحدود الحرم علامات ظاهرة ، هى انصاب مبنية في جوانبه . ويقال ان اول من نصبها هو ابراهيم عليه السلام ، ثم حرص كثير من الخلفاء والامراء على تجديد هذه العلامات، وقد نظم بعض الشعراء حدود الحرم في ابيات من الشعر ، فقال :

> وللحرم التحديد من ارض طيبة
> ثلاثة اميال اذا رمت اتقانه
> وسبعة اميال عراق ، وطائف
> وجدة عشر ، ثم تسع جعرانه
> ومن يمن سبع بتقديم سينها
> فسل ربك الوهاب يرزقك غفرانه
> وقد زيد في حد لطائف اربـع
> ولم يرض جمهور لذا القول رجحانه

ولقد توسـع الحافظ تقي الدين الفاسي في الحديث عن هذه الحـدود في كتابه « شفاء الغرام باخبـار البلد الحـرام » ، واقترحت اللجنة التي قامت بتحقيق أصول الكتـاب الاقتراح التالي :

« بمناسـبة هذا السرد الطويل الذى سرده المؤلف ، من الاختـلاف الذي وقع فيه اسلافنا رحمهم الله ، في تحديد الحرم ، وتغيير العلامـات واختلافها ،وجهل اهل عصرنا بذلك ، نرى ان تشكل لجنة من اهل الخبرة والعلم ، تقوم بضبط العلامـات ، وتحقيق حدود الحرم ضبطا وتحقيقا علميا ، وتذكر المسـافات بالكيلو مترات ، من جميع الجهات ، وتكتب محضرا بذلك ، وتصـدق عليه المحكمة الشرعية ، او رئاسـة القضاء الشرعي ، ويستحسن اضافة بعض اعلام العلماء من كافة الامم الاسلامية للاشتراك في تحقيق ارض الحرم ، وللتوقيع على المحضر .

ويستحسن اضـافة ذكـر تاريخ الانصاب القـائمة في كل جهة من الجهات ، ويطبع كل ذلك في كتـاب يحفظ في مكتبة الحرم المكي الشريف، وتوزع منه نسـخ على المعاهد الاسلامية في كل البلاد ، فان في ذلك

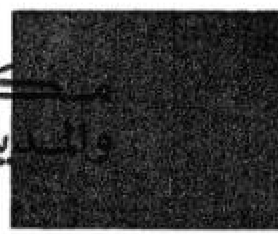
خدمة اسلامية كبرى ، وأثرا من الآثار النافعة ، ومرجعا من المراجع الموثوق بها اذا ما استدعى الامر ذلك » .

ومن أجل هذه الحرمة لمكة المكرمة صار لها خصائص وأحكام تتعلق بها منها :

١ ـ لا يجوز قتال من كان حاضرا فيها

٢ ـ القاتل اذا لجأ الى الحرم لا يقتل فيه ، بل يضطر الى الخروج ، ثم يقام عليه الحد ، وكذلك من كان عليه حد من الحدود ، وعن ابن جريج : كان الرجل يلقى قاتل أخيه أو ابنه فى الكعبة او فى الحرم أو فى الشهر الحرام ، فلا يعرض له .

مكة والمدينة



٣ ـ لا يحل حمل السلاح فى مكة لغير ضرورة ، والحديث يقول : « لا يحل لاحدكم ان يحمل السلاح فى مكة » .

٤ ـ يحرم دفن المشرك بالله فيها

٥ ـ يحرم اخراج ترابها واحجارها .

٦ ـ لايجوز تنفير صيدها ولا طيرها .

٧ ـ الصلاة فيها تضاعف فى الثواب زيادة على الصلوات فى غيرها .

٨ ـ يضاعف ثواب الطاعات فيها ، ويضاعف عقاب السيئة فيها .

٩ ـ يؤاخذ الانسان على الهم بالسيئة فيها ، والله يقول : « ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب السعير » .

١٠ ـ لا يجوز دخولها الا باحرام ، على تفصيل مذكور فى كتب الفقه .

والمجاورة بمكة مستحبة يتقرب بها الانسان الى الله ، وكانت الصديقة عائشة رضى الله عنها تقول : « لولا الهجرة لسكنت مكة ، انى لم أر السماء بمكان اقرب الى الارض منها بمكة ، ولم يطمئن قلبى ببلد قط ما اطمأن بمكة ، ولم أر القمر بمكان قط احسن منه بمكة » .

وهى عبارة تدل على حياة قلب ويقظة مشاعر

***

وواسطة عقد مكة هو المسجد الحرام .

وواسطة عقد المسجد الحرام : هى الكعبة او البيت الحرام

ان القرآن الحكيم يعطر ذكر المسجد الحرام حين يقول : « ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذى جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد ، ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب السعير » .

ويقول : « ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام ، وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره » .

ويقول : « يا ايها الذين آمنوا انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا » .
وكما عطر الذكر الحكيم الحديث عن المسجد الحرام عطره عن الكعبة بيت الله الحرام ، فقال : « جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس » اى سببا لاصلاحهم دنيا ودين .
ويقول : « واذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا » . ويقول : « واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت

واسماعيل » . ويقول : « ان اول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين ، فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا » ولنلاحظ ان كلمة « البيت » قد تطلق على الكعبة وحدها ، وقد تطلق على الكعبة وما حولها من المسجد الحرام .

وقد أخبرنا الصادق المصدوق رسول الله عليه الصلاة والسلام بفضل الصلاة فى المسجد الحرام ، فقال : « صلاة فى مسجدى هذا افضل من صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام ، وصلاة فى المسجد الحرام افضل من صلاة فى مسجدى هذا بمائة صلاة » .

وقد تكرر بناء الكعبة خلال عصور التاريخ الطويلة ، ولذلك حديثه المفصل فى الكتب الموضوعة عن مكة أو الكعبة او المسجد الحرام ، وقد جمع بعض الشعراء من بنى الكعبة المشرفة ، فقال :

> **بنى الكعبة الغراء عشر ذكرتهم**
> **ورتبتهم حسب الذى اخبر الثقة**
> **ملائكة الرحمن ، آدم وابنه**
> **كذاك خليل الله ، ثم العمالقة**
> **وجرهم يتلوهم ، قصى قريشهم**
> **كذا ابن زبير ،ثم حجاج لاحقه**

والظاهر الذى تميل اليه النفس ان الذى بنى البيت أولا هو ابراهيم ومعه ابنه اسماعيل ، وقوله تعالى « واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل » ظاهر كما ذكر تفسير ـ المنار ـ فى انهما هما اللذان بنيا هذا البيت ، لعبادة الله تعالى فى تلك البلاد الوثنية .

ولكن القصاصين ومن تبعهم من المفسرين جاءونا فى ذلك بغير ما قصه الله تعالى علينا ، وتفننوا فى رواياتهم عن قدم البيت ، وعن حج آدم ومن بعده من الانبياء اليه ، وعن ارتفاعه الى السماء فى وقت الطوفان ، ثم نزوله مرة أخرى .

وهذه الروايات يناقض ـ أو يعارض ـ بعضها بعضا ، فهى فاسدة فى تناقضها وتعارضها ، فاسدة فى عدم صحة اسانيدها ، وفاسدة فى مخالفتها لظاهر القرآن الكريم .

وكم لمكة وللكعبة ولمواسم الحج فيها من ذكريات كثيرة غزيرة ، ومن هذه الذكريات الطوية التى تستحق ان تروى وتستحق ان تعرض بأسلوب تحليلى تصويرى فى قصة أو مسرحية أو نحو ذلك ، انه فى سنة ست وستين وثلاثمائة حجت « جميلة » بنت الملك ناصر الدولة : أبى محمد الحسن بن عبد الله بن حمدان ، وصار هذا الحج يضربه الناس مثلا فى التجمل واعمال الخير والبر .

لقد حجت « جميلة » ومعها اربعمائة محمل على لون واحد ، ولا يدرى فى أى محمل منها كانت « جميلة » لكونهن جميعا فى الحسن والزينة سواء ، وحج معها من أقطار الارض ، حتى روى أنه كان معها عشرة الآف جمل ، وعشرة الآف عجوز ، ولم تحوج الناس الى مأكول أو مشروب .

وحينما شاهدت « جميلة » الكعبة المشرفة نثرت عليها عشرة الآف دينار من ضرب أبيها ، وأغنت المجاورين وكستهم ، وزوجت الموجودين بمكة من العلويين والعلويات ، وانفقت بمكة عشرين الف دينار ، وانفقت بالمدينة مثلها . وكانت هذه المرأة الجليلة من أزهد الناس واعبدهم ، واجراهم دمعة ، فكانت تقوم نافلة الليل ، وتسمع العظات ، وتكثر الصدقات .

ومن سوء حظها العاثر انها لما رجعت الى بغداد صادرها « عضد الدولة بن بويه » واستصفى اموالها ثم أمر بحملها اليه عنوة ، فتظاهرت

بالوثيقة ، وخرجت مع رحــــلة . وخافت على نفســها فاحتالت فى الطريق حتى رمت نفســها فى نهر دجلة ، فغرقت ! ..

ليت القلم يتفرغ حينا من وقته ، ليصوغ حول هــذه المرأة قصــة أو مسرحية ، تتناول حياتها ونهايتها بالتحليل والتفصيل .

وكم فى مكة وفيما حولهـا من مشاعروآثار تستحق الحديث والتنويه كمقام ابراهيم ، وزمزم ، وعرفات ، والمشعر الحرام ، ومنى ، والمزدلفة ، والحجون وغيرها ... كل هــذه مواطن جديرة بأن يدور حولهـــا الحــديث ، ولكن المجال محدود ، فليفرغ الراغب فى مزيد من العلم الى ما كتبه المؤرخون حول مكة والمسجد الحــرام والكعبة . وهو كثير غزير منه المصادر التالية :

١ ــ العقد الثمين فى تاريخ البلد الأمين ، لتقى الدين الفاسى المكى .

٢ ــ شــفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ، للفاسى أيضا .

٣ ــ الجامع اللطيف ، فى فضــل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف ، تأليف محمد بن عبد الله بن ظهيرة القرشى .

٤ ــ أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار ، لأبى الوليد الأزرقى .

٥ ــ تاريخ مكة ، لأبى عبد الله محمد بن اسحاق الفاكهى .

٦ ــ كتاب الاعــلام بأعلام بيت الله الحرام . لقطب الدين الحنفى .

٧ ــ تاريخ الكعبــــة المعظمة ، لحسين عبد الله سلامة .

٨ ــ تاريخ مكة ، لأحمد السباعى ... الخ .

●●●

هذا بعض الحديث عن مكة ...

ثم تأتى المدينة المنورة ..

بلد الرسول ومثواه . دار الهجرة والنصرة ، مركز القيــادة ومنطلق السيادة

مجتمع المهاجرين والانصــــار .

بلد المؤاخاة فى الله ...

المدينة التى ذكرها القرآن المجيد بما يشعر ان الله عز شــأنه يريد لها التطهيـــر من الشرك والنفاق ، فيقول فى سورة الاحزاب : « لئن لم ينته المنافقون والذين فى قلوبهم مرض والمرجفون فى المدينة لنغرينك بهم ، ثم لا يجاورونك فيها الا قليــلا » .

وكان الله جل جلاله قد قضى بأن تكون الهجرة الى « المدينة » ، وأن يحيا المهاجرون والانصار فى « المدينة » وأن يتحقـــــق النصر والفتح من « المدينة » ، وأن يثوى جســـد الرسول الطهور فى « المدينة » وأن يكون نزول الوحى « مشــتركا بين « مكة » و « المــدينة » ، لترتبط المدينة بمكة ، ولتكون البلــدتان العظيمتان شريكتين فى اكتساب الفضل الالهى العظيم ، ولتكون هناك مشابه بينهما فى مجالات الرفعة والمجد ، فاذا كان فى مكة المســجد الحرام امام المساجد ، ففى المدينة مســـــجد الرسول احد المســاجد الثلاثة التى تشد اليها الرحال بنية العبادة لله .

واذا كانت لمكة طائفة من الاسماء فلمدينة الرسول طائفة من الاســماء أيضا ، فهى « طابة » . قيل : سميت بذلك من الطيب ، وهى الرائحــــة الحسنة ، والطيب والطاب لغتــان بمعنى واحد . وقيل الكلمة مأخوذة من الطيب وهو الطاهر ، لخلوصها من الشرك وطهارتهــــا منه .

مكة والمدينة

وقيل لطيبها لساكنيها، لأمنهم ودعتهم وفى صحيح مسلم : « ان الله تعالى سمى المدينة طابة » .

وهى « طيبة » ، و « جابرة » و « المجبورة » ، و « المرحومة » ، و « العذراء » ، و « المحبوبة » .

وهى « مدخل صدق » ، والقرآن يقول : « وقل ربى ادخلنى مدخل صدق ، واخرجنى مخرج صدق ، واجعل لى من لدنك سلطان نصيراء .. مدخل صدق هو المدينة ، ومخرج صدق هو مكة .

واذا كانت مكة لها فضلها وسبقها ، فللمدينة قدرها وذكرها

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه مسلم : « يأتى على الناس زمان يدعو الرجل لابن عمه وقريبه : هلم الى الرخاء ، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون . والذى نفسى بيده لا يخرج أحد رغبة عنها ، الا خلف فيها خير منه . الا ان المدينة كالكير يخرج الخبيث . لا تقوم الساعة حتى تنفى المدينة شرارا كما ينفى الكيرخبث الحديد »

وفى رواية : « ان المدينة كالكير، تنفى خبثها ، وينصع طيبها » .

ويقول : « ان الايمان ليأرز ويجتمع الى المدينة ، كما تأرز الحية الى جحرها »

ويتوسع الرسول صلى الله عليه وسلم توسعا كريما نبيلا فى الدعاء وحسن الرجاء للمدينة ، فيدعو ربه قائلا : « اللهم بارك لنا فى مدينتنا » كما يقول : « اللهم اجعل بالمدينة ضعفى ما جعلت بمكة من البركة » .

ويؤكد ذلك فيقول داعيا ربه : « اللهم ان ابراهيم كان عبدك وخليلك ، دعاك لأهل مكة بالبركة، وأنا محمد عبدك ورسولك ، ادعوك لاهل المدينة : ان تبارك لهم فى مدهم وصاعهم ، مثل ما باركت لأهل مكة ، مع البركة بركتين » .

وكان هذا الدعاء بالبركة كان رمزا الى ما ينبغى أن يكون عليه اهل المدينة من مشاركة وتكافل وتضامن فى ايام الرخاء والسراء ، وأيام الشدة والضراء ، وهذا ما وجه النبى اليه اهل المدينة حين قال لهم :

« اصبروا يا اهل المدينة وابشروا فانى قد باركت على صاعكم ومدكم، كلوا جميعا ولا تفرقوا ، فان طعام الرجل يكفى الاثنين ، فمن صبر على لأوائها وشدتها كنت له شفيعا ، وكنت له شهيدا يوم القيامة ، ومن خرج عنها رغبة عما فيها ، أبدل الله عز وجل فيها من هو خير منه، ومن بغاها او كادها بسوء ، اذابه الله تعالى كما يذوب الملح فى الماء » .

وترمز الصديقة بنت الصديق عائشة بنت أبى بكر رضوان الله عليهما الى محمدة تنفرد بها المدينة المنورة ، فذلك حيث تقول : « كل البلاد افتتحت بالسيف ، وافتتحت المدينة بالقرآن » .

وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يعرض نفسه كل موسم على قبائل العرب ، ويقول : « الارجل يحملنى الى قومه ، فان قريشا قد منعونى ان أبلغ كلام ربى » ؟ ..

حتى لقى فى بعض السنين عند العقبة نفرا من الاوس والخزرج ـ اهل المدينة ـ فتعرف اليهم وقال لهم :

افلا تجلسون اكلمكم ؟ . قالوا : بلى . فدعاهم الى الله عز وجل ، وعرض عليهم الاسلام ، وتلا عليهم القرآن . فقال بعضهم لبعض : يا قوم ، تعلموا والله انه للنبى الذى يوعدكم به اليهود ، فلا يسبقنكم اليه ، فاغتنموه وآمنوا به .

مكة والمدينة

فاجابوه وصدقوه ، وقالوا : انا قد تركنا قومنا وبينهم من العداوة والشر مابينهم وعسى ان يجمعهم الله بك ، فستقدم عليهم فندعوهم الى أمرك ، وتعرض عليهم الذى اجبناك اليه من هذا الدين ، فان يجمعهم الله عليه فلا رجل اعز منك .

ثم عادوا الى المدينة ، وذكروا لقومهم حديث النبى ، ويدعوهم الى الاسلام ، ففشا فيهم حتى لم يبق بيت ولا دار من دور الانصار الا ولرسول الله صلى الله عليه وسلم فيها ذكر .

وتكررت البيعة ، وبعث رسول الله مصعب بن عمير ليقرئهم القرآن ويعلمهم الاسلام ويفقههم فى الدين . وهكذا صدقت عائشة فى قولها : « كل البلاد افتتحت بالسيف وافتتحت المدينة بالقرآن » ... ويا لها من محمدة !.

●●●

واذا كانت مكة بلدا حراما ، حرمها ابو الانبياء ابراهيم عليه السلام ، فان المدينة كذلك بلد حرام حرمها خاتم الانبياء محمد صلوات الله وسلامه عليه . يقول : « ان ابراهيم حرم مكة ، ودعا لاهلها ، وانى حرمت المدينة كما حرم ابراهيم مكة » .

ويقول عليه الصلاة والسلام : « ان المدينة حرم ما بين عير الى ثور (هما جبلان) . فمن احدث فيها حدثا ، او آوى محدثا ، فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين، لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفا ولا عدلا ، وذمة المسلمين واحدة ، يسعى بها ادناهم » .

واكثر خصائص مكة مشتركة بينها وبين المدينة ، فلا موجب لتكرار سردها . وكتب الفقه تتكفل بالتفصيل .

ويقول النبى الكريم : « ما بين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة » . والمعنى كما يقول الائمة : من لزم طاعة الله تعالى فى هذه البقعة الت به الطاعة الى روضة من رياض الجنة . وبعض الائمة يرى أن هذه البقعة نفسها ستكون روضة من رياض الجنة يوم القيامة، وسواء أكان هذا هو المعنى او ذاك، فالحديث يدل على تنويه وتكريم وتفضيل .

وفى المدينة لذة الزيارة المستحبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فكل مسلم سوى يحس بالشوق العميق الوثيق لهذه الزيارة التى تجدد الذكرى وتثير المشاعر .

ولقد روى محمد بن حرب الهلالى أنه شاهد اعرابيا زار الرسول ، ثم قال يخاطبه : يا خير المرسلين ، ان الله عز وجل انزل كتابا عليك صادقا ، قال فيه : « ولو أنهم اذ ظلموا انفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما » . وانى جئتك مستغفرا الى ربى من ذنوبى ، مستشفعا بك .

ثم بكى وانشد يقول :

يا خير من دفنت فى القاع اعظمه
فطاب من طيبهن القاع والاكم
نفسى الفداء لقبر انت ساكنه
فيه العفاف وفيه الجود والكرم

انت النبي الذى ترجى شفاعته
عند الصراط اذا ما زلت القدم!

●●●

وكم فى المدينة وحولها من اثار وكم تثير من ذكريات ٠

ان الوقوف امام الرسول فى مسجده يبعث ذكرى ابى بكر جاره فى مثواه ، وذكرى عمر الفاروق جار ابى بكر ، وعمر هو الذى كان يدعو فيقول : اللهم ارزقنى الشهادة فى سبيلك ، واجعل موتى فى بلد رسولك عليه الصلاة والسلام ٠

وفى حى المدينة يوجد جبل احد ، الذى قال فيه رسول الله : « احد جبل يحبنا ونحبه » ، والذى كانت الى جواره غزوة سقط فيها سبعون شهيدا من خيار المجاهدين ، وهم يستحقون ان يفردهم باحث بكتاب مستقل يمكن ان تسميه مثلا « شهداء احد » ، ليكون سجلا من سجلات الحديث عن الفداء والوفاء ٠

وفى المدينة تثور ذكرى « الخندق » الذى حفره المسلمون فى غزوة الاحزاب ، وكان الرسول اذا رآهم يجدون فى العمل ، شجعهم بقوله الواعد الماجد :

اللهم ان العيش عيش الآخرة
فاغفر اللهم للانصار والمهاجرة

فاجابوه قائلين فى عزم وايمان :

نحن الذين بايعوا محمدا
على الجهاد ما بقينا ابدا

ثم يرددون نشيدهم الباقى :

والله لولا الله ما اهتدينا
ولا تصدقنا ولا صلينا
فانزلن سكينة علينا
وثبت الاقدام ان لاقينا
ان الالى قد بغوا علينا
اذا ارادوا فتنة ابينا

ويردد النبى رافعا صوته : « ابينا ... ابينا ... »

ويقرب المدينة « مسجد قباء » اول مسجد أسس فى الاسلام والذى قال فيه القرآن : « لمسجد أسس على التقوى من اول يوم أحق ان تقوم فيه ، فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المطهرين » ٠

ورووت السيرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يزور مسجد قباء راكبا وماشيا ، وكان عبد الله بن عمر يأتى قباء كل سبت ، ويقول : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتيه كل سبت٠

وكان عمر يأتى مسجد قباء كل اثنين وخميس ، فيقول : والذى نفسى بيده لقد رأيتنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم وابا بكر فى اصحابه ، ننقل حجارته على بطوننا ويؤسسه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجبريل عليه السلام ٠

ومن آثار المدينة الخالدة مسجد القبلتين الذى صلى فيه الرسول صلاة الظهر ، فلما ادى ركعتين الى بيت المقدس جاءه الوحى فأمره ان يتجه الى الكعبة ، فاستدار فى صلاته واستدار الناس معه ، فسمى المسجد مسجد القبلتين ٠ والمسجد على مسافة من المدينة ٠

ومن آثار المدينة « مسجد الفتح » فوق جبل سلع ، وفيه دعا الرسول على الاحزاب الباغية المشركة — فى غزوة الخندق — فاستجاب الله دعاءه ، وهزم الاحزاب ! ...

ومن آثار المدينة كثير وكثير ، ومن اراد المزيد فلديه الكثير من الكتب والمراجع عن المدينة وآثارها ، ومن بينها :

١ — كتاب الدرة الثمينة فى تاريخ المدينة ، للحافظ محمد بن محمود النجار ؛

٢ — تاريخ المدينة لابن زبالة ٠

٣ — آثار المدينة لعبد القدوس الانصارى ... الخ ٠

رحلة الشهر

عيد ميلاد رامي

في رحلة العمر ، اطفأ شاعرنا الكبير احمد رامي الشمعة الثانية والثمانين ، واضاء الشمعة الثالثة والثمانين من عمره المديد باذن الله ، في مطالع الشهر الماضي ٠

استقبل رامي عيد ميلاده محـزون النفس ، اذ عاودته نوبة الاكتئاب التي كثر ترددها عليه في الاعوام الاخيرة حتى كادت تصبح موسما من مواسم السنة عنده ٠

ما احرانا جميعا ، وقد سعدنا بغنائيات رامي الثـرية بالحب خمسين سنة ، ان نحاول اخراجه من محنته النفسية ، بأن يبعث اليه كل محب للغنـــاء ببطاقة حب ، أو باقة ورد ، لعل هذه النفحة الصغيرة تعيد الى شفتيه الابتسامة ، وترد الى نفسه الهدوء والسلام ٠

واسوأ ماساءني ، انني كنت يوم عيد ميلاد رامي ، بعيـدا عنه ٠

كان هو في القاهرة ، وانا في الاسكندرية ٠

ومع هذا ، فقد قضيت اليوم معه ٠٠ مع ذكريات جميلة عنه ٠

ذكرت ـ وانا اكتب هــذه الكلمات في عدد « المراسم

العربية » ـ الايام الحلوة التى قضيتها مع رامى فى دمشق وبيروت وبغداد وتونس ·

فى دمشق ، كانت له قصة حب جميلة ، شهدت مولدها ومنتهاها ·· قصة اوحت اليه بهذه الابيات التى لم تغن بعد :

يا روضة رف على زهـرها
عند طلوع الفجـر دمع النـدى
لما شدا الطير على غصنـه
وردد الالحان رجع الصـدى
مالت مع النسـمة هفـافة
تشرب نور الفجـر لما بدا
لا ترسلى الدمع على فـائت
هذا هو الصبح يحيى الغـدا

وفى بيروت ، كانت اجمل ذكرياتنا مع صديق شـاعر ورجل أعمال فى وقت معا ، هو المرحوم ميشيل سمعان ، الذى كان يصر على أن يدعونا كل ليلة الى سهراته المرحة فى المصيف الذى يملكه على شاطىء البحر ·· مصيف سان ميشيل ·· وكان يدعو معنا نفرا من الم الشعراء والادباء ، ومنهم عمر ابو ريشة وغنطوس الرامى وروبير ابيلا وغيرهم ·

وفى بغداد ، كان انيسنا كل ليلة ، شيخ الفن العراقى احمد القبانجى · وذات ليلة ـ فى حفل عام ـ ابدع القبانجى ، وانتشى رامى حتى استخفه الطرب فخلع معطفه وطيره فى الهـواء وكانت الحفلة مذاعة بالتليفزيون تلك الليلة ·

وفى تونس ـ وهى من اجمل بلاد الدنيا ـ ساء حظ رامى ، فقد ظلت السيول تمطر طوال الاسبوع الذى قضيناه هنـاك ، فلم نخرج من الفندق ، ولم نر من المدينة الجميلة الا الفنـدق والمطار ·

وان انس لا انسى ذلك اليوم العظيم فى حياة رامى ، الذى نال فيه جائزة الدولة التقديرية ·

واحتفلنا بتكريمه ، ويومئذ قال شاعر الاردن الكبير الدكتور عبد المنعم الرفاعى :

اى سـجع من قوافيك الحسان
عرض الفتنة شـعرا فسبانى
شاعر الدولة فى جيـد الحمى
من لآليك عقود من بيـان
لبس النيـل حلاها فاكتسـتا
فى ضفاف النيل شعر واغـانى
تنسج الاحلام منها شـفقا
هـو فى افق المنى ناء ودانى
خطـرت من تحتـه الزهـر على
رنة العود وترديد القيـان





د. عبدالمنعم الرفاعى

وتجلى الوحى فى الصــوت الذى
فى جنان الفن غنى الزمـــــان

وقال شاعر مصر الراحل عزيز اباظه :

ايه رامى ، وبيننا ونخمســــين
نصفنا بعيـــــده الذهبى
قد تهلقاه طيب الكـــــرم من
راووقه السمح فى الكئوس الروى
لست لى صاحبا فحسب ولـــكن
كنت لى القوة الطماح الســـتى
له عندى يد الربيع على الزهـــر
واصل الهادى النهج ســـوى

وقلت :

اه من صحبتك الحلوة فى ماض وحاضر
علمتنى لذة العفو وتسيان الصغائر
علمتنى ان طرح الكبر من طبع الاكابر
علمتنى ان من يكفر بالمرأة كافر
علمتنى ان احلى الربح فى الحب الخسائر
علمتنى كيف يحيا الله فى وجدان شاعر

رعى الله رامى ، وانزل على نفسه السكينة ، وكتب له فى الدنيا والاخرة اجمل المثوبة .

أيـــن الأمـيـرة الشـــاعـــرة؟


الاميرة الشاعرة سعاد الصباح

سألتنى القارئة الكريمة « علياء » من الاسكندرية : « اين الاميرة الشاعرة سعاد الصباح ، صاحبة ديوان « امنية » التى طالما امتعتمونا بشعرها على صفحات الهلال ؟ » .

تحقيقا لامنية القارئة الكريمة ، ننشر على ظهر عدد الزهور المرافق لهذا العدد من « الهلال » ابياتا حلوة للاميرة الشاعرة ، التى كانت تقيم فى مصر الجديدة ، ثم المت بها محنة نفسية على اثر فقد ولدها البكر الحبيب « مبـارك » .. فرحلت عن مصر تلتمس العزاء فى ربوع اوربا .. والقتها الآن على شاطىء بحيرة جنيف تنسج شعرا حزينا الى ان يمن الله عليها بالسلوان فتعود لتغرد فى دوحة مصر الجديدة .

موهبة مغمورة

قرأت فى الشهر الماضى نحو خمسمائة قصيدة ، تقدم بها أصحابها للمسابقة التى اعلنت عنها وزارة الثقافة ، وخصصت لها جوائز سخية ، مشترطة ان تكون القصيدة فى نحو اربعين بيتا ، من وحى العبور ٠

وقد احالت الوزارة هذه القصائد الى لجنة الشعر بمجلس الفنون والاداب لفحصها ٠

والمفاجأة التى طالعتنا ـ نحن اعضاء لجنة الفحص ـ اننا وقفنا أمام قصيدتين ، احداهما لشاعر معروف ، والاخرى لشاعر لم يســــمع احد باسمه من قبل ٠٠٠ وقفنا امامهمـــا نتساءل : ايتهما أجود ؟

وفى النهاية ٠٠٠ قررنا ان تكون الجائزة الاولى مناصفة بينهمـــا ٠

لست فى حل من ذكر اسم هذا الشاعر الجديد ، لان النتيجة لم تعلن بعد ٠ ولكنى أحسست فى النهاية أن هذه المسابقات السخية كفيلة بالكشف عن المواهب المغمورة ، التى تستحق ان تدخل دائرة الضوء ٠

حول أدب الفكاهة

استرعى نظرى وأنظار كثير من الدارسين ان العدد الاخير من مجلة الهلال الخاص بأدب الفكاهة حافل بنقول كثيرة من كتابى (الفكاهة فى الادب : أصولها وأنواعها) ٠

بل ان فى بعض المكتوب سطوا على أفكار وتقسيمات ونظرات أعتز بسبقى اليها ٠

وانه لما يثير الدهشة والالم معا ان بعض الكاتبين نقـــل نصوصا من كتابى وحده ، ولكنه ذكر المصـــادر نفسها التى استقيت منها ، كأنه رآها وقرأها واستقى منها ٠ وفى غير ما زهو ـ وقانا الله شر الزهو ـ أعلن ان كتابى فى الفكاهة طبع أول مرة سنة ١٩٦٢ وطبع ثانى مرة سنة ١٩٦٦ فى ٤٤٥ صفحة تشتمل على تسعة عشر فصلا ، فيها تجديد وجهد وتقسيم لالوانها غير مسبوق ٠

الم يكن من الامانة العلمية ان يشار الى شىء من ذلك كله ؟

ومهما يكن من شيء فلي النفس دهشة وفيك ولي القراء فطانة ، ولعل السطاة يزدجرون ...

دكتور احمد الحوفي
أستاذ الادب العربي بكلية دار العلوم
وعضو مجمع اللغة العربية

ـ اخشى ان اطيل التعقيب على رسالة صديقنا الدكتور الحوفي ، فاثير كثيرا من الحساسيات عند بعض كتاب عدد « الهلال » عن الفكاهة في الادب ...

وعلى أية حال ، فقد نفعنا الدكتور الحوفي بعلمه ، كما نفعنا الآخرون بالنقل عنه ، ولهم جميعا اجر المجتهدين ..

قـرأت هـذا الشـهـر

● **ديوان حمام** : ديوان من الشعر التقليدي الرصين للشاعر الراحل الظريف محمد مصطفى حمام ..

الناشر : الهيئة العامة للكتاب

● **تطور مصر** : (١٩٢٤ ـ ١٩٥٠) صورة تاريخية للحياة الاجتماعية المصرية خلال تلك الفترة ، تأليف مارسيل كولومب ، وتعريب زهير الشايب ...

الناشر مكتبة رأفت بالزيتون

● **الإسلام ومشكلات الفكر** : دراسة واعية للأستاذ الكبير فتحي رضوان ...

الناشر : اقرأ

● **الطوفان** : ديوان من الشعر الوطني الملتهب ، للشاعر الفلسطيني على هاشم رشيد ...

الناشر : المكتبة الفنية بالزيتون

● **اجراس** : ديوان من الشعر الوطني والعاطفي للشاعر السعودي على حسين الفيفي ...

الناشر مطابع الجيش بالرياض

● **خفايا النكسة** : دراسة سياسية عن الفترة السوداء بين المؤامرة والانقلاب ، للأستاذ عاطف الغمري ...

الناشر الهيئة العامة للكتاب

● **الحزن يزهر مرتين** : ديوان من الشعر الجديد ، للشاعر المغربي حسن الامراني ...

الناشر مطبعة النهضة ـ فاس

● **الرقص على الحصى** : ملحمة متصلة من الزجل القومي للزجال النابه عبد الرحيم منصور ...

الناشر : الشركة العربية للتجارة والمطبوعات

● **الذهب المدفون** : مجموعة من القصص القصيرة للقصص الكبير الدكتور محمود كامل المحامي ...

الناشر : اقرأ

● ص • ج ●

جوهرتي

أميرتي ، يا أملي ، يا فتنتي ، يا ولهي

ما أسعد اللؤلؤ حول جيــدك المرفه

وددت يا أميرتي ... وأنت تزهين به

أن أســـأل اللؤلؤ ما لحبه لم يته

وما لخيط عقده لم ينفلت ويزدهي ...

بعنـــق ضياؤه أجمـــل من لؤلئه

أفديك يا جوهرتي في حســـنك المتزه

غواصك الله ... ففيك شبهة التاله

كريمة ... يتيمة ... فريدة في الشبه

● صالح جودت ●

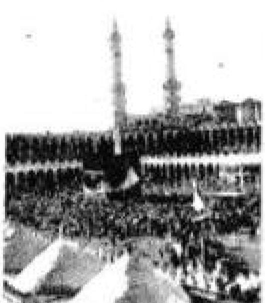
الغلاف الأول

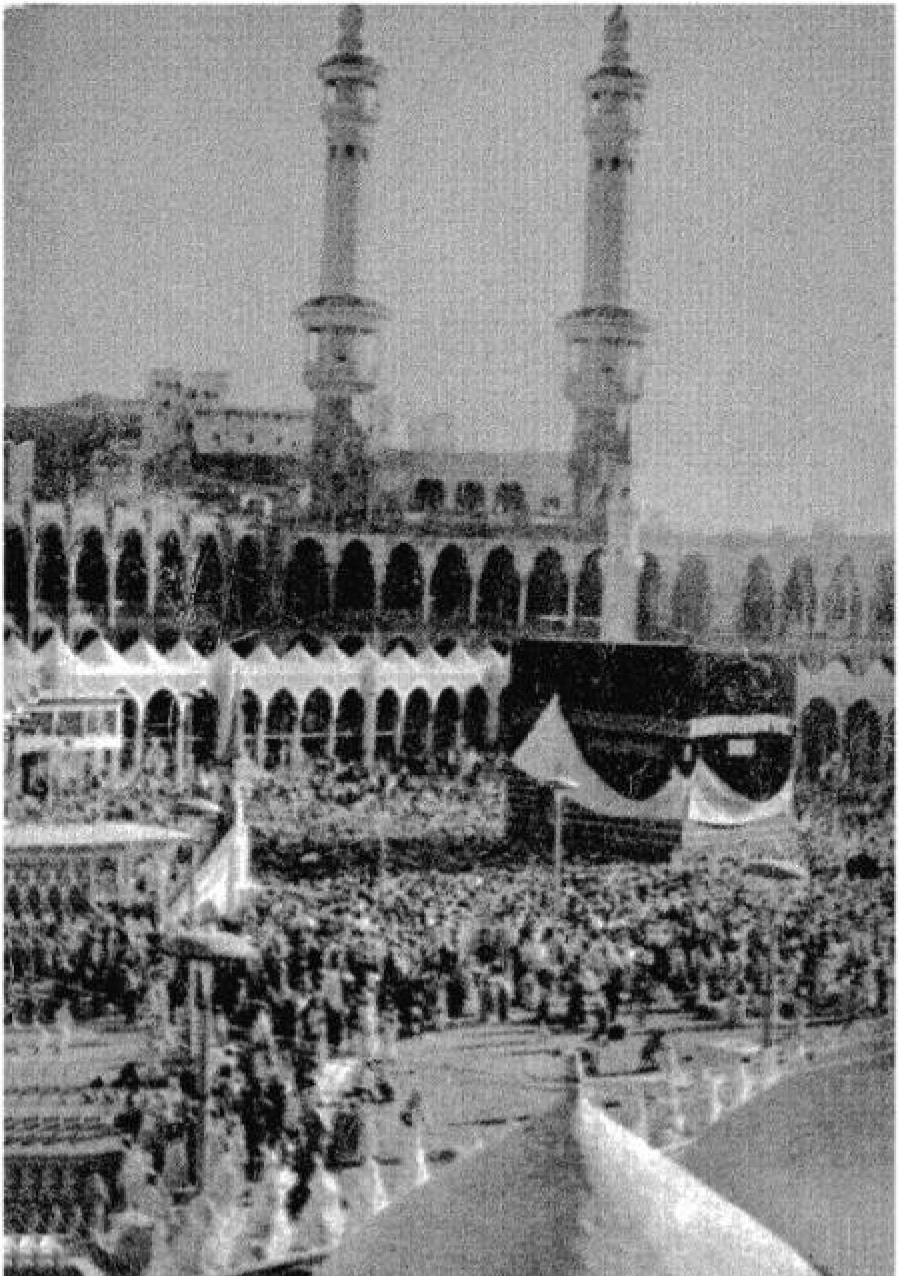


لوحة للفنان: عفت حسني

الغلاف الأخير

منظر للكعبة الشريفة بمكة بالمملكة العربية السعودية






الهلال
عدد خاص
معركة رمضان
مع العدد هدية
صورة
د. إبراهيم ناجي
اطلب مع العدد
الزهور
للملحق الأدبي للهلال
العدد + الهدية + الزهور = ١٥ قرشا

الهلال

رمضان ١٣٩٤
أكتوبر ١٩٧٤

مجلة شهرية تصدر من دار الهلال – أسسها جرجي زيدان سنة ١٨٩٢ – العدد العاشر – السنة الثانية والثمانون – أول أكتوبر ١٩٧٤ – ١٥ رمضان ١٣٩٤

رئيس مجلس الإدارة
فكري أباظة

نائب رئيس مجلس الإدارة
صالح جودت

رئيس التحرير
صالح جودت

مدير التحرير
نصر الدين عبد اللطيف

المشرف الفني
جمال قطب

سكرتير التحرير
عاطف مصطفى

الاشتراكات

ثمن العدد : في جمهورية مصر العربية ١٥٠ مليمـا .

قيمة الاشتراك السنوى : (١٢ جنيها) في جمهورية مصر العربية وبلاد اتحادى البريد العربى والافريقى **١٥٠ قرشا صاغا** . في سائر أنحاء العالم ٦ دولارات أو ٢ جنيه والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال : في جمهورية مصر العربية والسودان بحوالة بريدية . في الخارج بشيك مصرفي والأسعار الموضحة أعلاه بالبريد العادى – وتضاف رسوم البريد الجوى والمسجل على الأسعار المحددة عند الطلب .

الإدارة : دار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب – القاهرة .
تليفون : ٢٠٦١٠ (عشرة خطوط)

في هذا العدد :



أمينة السعيد   حافظ محمود   د . سيد كريم

بسم الله الرحمن الرحيم



كلمة الهلال

هذا شهر كانه ليلة القدر ، وهى خير من الف شهر

لقد كانت محنة سنة ١٩٦٧ واحدة من المدلهمات الاربع الكبرى فى تاريخ الامة العربية

كانت محنة لا تقل فى سوادها وشؤمها عن سقوط بغداد ، وخروج العرب من الاندلس ، وضياع فلسطين سنة ١٩٤٨

ثم جاء اكتوبر ـ مثل هذا الشهر من العام الماضى ـ .. جاء فى شهر ليلة القدر ... وانتفضت مصر وسوريا بزعامة القائدين العظيمين ، انور السادات وحافظ الاسد ، والتفت حولهما الامة العربية بملوكها ورؤسائها وكل قواها ، وخاض الجميع المعركة باعمق الايمان ، وكان حقا على الله نصر المؤمنين

وبقى على الامة العربية ان تعى الدرس ، وان تعرف لماذا انهزمت سنة ١٩٦٧ ، ولماذا انتصرت سنة ١٩٧٣

انهزمت بالفرقة ، وبالابتعاد عن الله وانتصرت بالوحدة ، والرجوع الى الله .

● صالح جودت ●

مواقف ورجال في حرب رمضان

كان أساس عملنا دراسة مصادر قوة العدو.. كل مصدر على حده

مفاجأة ٦ أكتوبر استراتيجيا وتكتيكيا

للفريق
محمد عبد الغني الجمسي
رئيس الاركان



انقضى عام على اليوم التاريخي الذي قدمنا له أرواحنا وكل طاقاتنا فداء وتضحية ، ٦ اكتوبر ١٩٧٣ ، الخالد على مدى الايام والاجيال ...

واليوم ، نقف كقوات مسلحة أكثر تفوقا عن عام مضى ، اكثر استعدادا وخبرة ، اكثر يقظة واستيعابا للسلاح والمعركة ، وكل مقاتل بل كل عربي استرد كرامته ، ورفع رأسه عاليا ، وفاخر بعروبته ، بعد سنوات مريرة من الالم والمرارة والتمزق ، ولكنها في الوقت نفسه كانت تضم سنوات الصبر والصمت ، ذلك الشعار الذي رفعه القائد الاعلى للقوات المسلحة وتحقق من خلاله أعظم الاعمال والانجازات التي قدمتها قواتنا المسلحة في حرب رمضان المجيدة ، وفي مقدمتها عامل المفاجأة وقد اقتحمنا بها العدو الاسرائيلي ، فأصيب بالزلزلة والتصدع ، المفاجأة الكاملة في أرقى اشكالها استراتيجيا وتكتيكيا ، وهنا تكمن قيمتها العسكرية الكبرى فوقفت امامها قيادات عسكرية عالية بالدهشة والاكبار ، وجاء الينا ممثلو اكثر من ستين

قيادة عسكرية تمثل أسلحة جيوشها لتدرس نتائج الحرب ، وتستخلص منها دروسا مستفادة

لقد حطمت حرب اكتوبر اسطورة الجيش الاسرائيلي ، ومرغت نوعيته المتفوقة فى رمال سيناء ، ومزقت قيادته التى ترنحت طويلا بخمر النصر السريع الهزيل فى ١٩٦٧ ، وعزلت كل جنرالاته وقادته ، وقدمت اكثرهم الى المحاكمات ، واصابت سكان اسرائيل بالصدمة التى روعتهم حين شاهدوا جيشهم الذى لا يقهر وهو يتساقط فوق صحراء سيناء او الجولان ٠٠ قتلى او اسرى ، واصبح كل بيت اسرائيلى يضم قتيلا او جريحا . كما سقطت نظريات الامن الاسرائيلى ، وتبدلت موازين عديدة لها اهميتها فى المجتمع الدولى ، واسترد شعبنا ثقته فى قواته المسلحة وفى عروبته وفى قدرته وفى مستقبله المشرق بعون الله ورعايته ٠

❋❋❋

تعود الى المفاجأة ، وهى تمثل ركنا هاما من اركان اعداد قواتنا للحرب التحريرية العظمى منذ تولى القائد الاعلى للقوات المسلحة الرئيس انور السادات ولاية الوطن ، وفى تقديره كل الحسابات والاحتمالات ، وفى الدرجة الاولى تهيئة المناخ السليم لكى تصبح قواتنا المسلحة على درجة كافية من الاستعداد لشن هجوم كاسح ناجح ، ثم الاستمرار بكل الصمود والثقل العسكرى لمواجهة مرحلة ما بعد الهجوم ، وهى حسابات لا تقبل تقديرات عفوية او نتائج قدرية ، وفى مقدمتها مفاجأة العدو باكبر حجم تتمكن منه قواتنا ، المفاجأة ليس بهدف خفض ضراوة القتال او تقليلها ، فذلك شىء كان مقدرا ومعروفا ، وقد تدرب عليه الرجال باقصى التدريبات الميدانية بالذخيرة الحية ، وانما المفاجأة كان مقصودا بها شل حركة العدو لفترة من الوقت محسوبة زمنيا لدينا ، وبذلك نقلل من خسائرنا فى مقاتلينا ومعداتنا ، وقد وفقنا الله فى تحويل خططنا الى واقع حى وفى **تكامل عسكرى راق حتى ان بعض المستشفيات التى خصصت لجرحى المعركة والطوارىء فى انحاء الجمهورية لم يدخلها مقاتل جريح واحد ٠٠**

وفى الجانب الاخر نجد خسائر اسرائيل طبقا للمصادر الامريكية ، وليست العربية ، تقول انها بلغت ٨ الاف قتيل ، و ٢٠ الف جريح ، والف دبابة ، و ٢٠٠ طائرة ٠٠

نعود الى قواتنا واعدادها للحرب ، وما ظهر للشعوب اجمع من شجاعة وبطولة وقدرة المقاتل المصرى القتالية وعظيم تضحياته ، وهجومه الاسطورى خلال معارك الدبابات التاريخية التى وقعت بهذا الحجم لاول مرة فى تاريخ العالم العسكرى ، فكان النصر والتفوق فيها للجندى المصرى ، وقد خاضها بمفاجأة اخرى لا تقل روعة واهمية عن مفاجأة الساعة ٢ ظهر يوم ٦ اكتوبر العظيم ٠٠ تلك المفاجأة الثانية واعنى بها المقاتل حامل السلاح الصغير المضاد للدبابات ، والتى حطم فيها

أبناؤنا قوة اسرائيل رقم ٢ ، سلاح مدرعـاتها ، وانتهت بأن أصبحت الدبابة الاسرائيلية تعدو هربا أمام جندى مصرى يعدو خلفها ليضع فيها طلقته وهو على بعد عدة أمتار قليلة منها فى اصابة مباشرة ، وكانت هذه الصورة محل اهتمام ونقاش قادة العالم العسكريين الذين زاروا بلادنا وقرأوا للمعلقين الغربيين ممن رافقوا قوات اسرائيل ، وبعضهم ذهب الى قواتنا فى سيناء هذه القصة المثيرة عسكريا ··· الدبابة تعدو هاربة من جندى مصرى مترجل يلحق بها على قدميه ولا يتركها الا وقد احترقت او دمرت تماما ! ··

لقد أطلق الغرب على هذه العمليات الهجومية وصفاً تلقفتـه بقية الصحف العالمية ، أطلقوا عليها ، معارك اللحم البشرى ضد الصلب ، ···

وفى الوقت نفسه كانت وحدات دباباتنا تؤدى مهامها بكل الاستطاعة والسيطرة ، وقد دخلت فى معارك تصادمية مكثفة ضد قوات العدو المدرعة والميكانيكية وضد طائراته ،وناورت أجود المناورة وظل التفوق حليفها دائماً، ففى الخطة العامة كان التنسيق عاليا بين مهام جنود المدفعية المضادة للدبابات العدوة ، ومهام المشـاة ووحدات الدبابات المصرية ، وبفضل التخطيط المحكم والتنفيذ الجيد فى الميدان ، برزت خسائر اسرائيل العالية فى الدبابات ، مما جعل بعض القادة والمحللين العسكريين فى أنحاء كثيرة من اوربا وامريكا يقولون بانتهـاء دور الدبابة فى حروب المستقبل بعد أن قضى عليها الجندى المصرى فى حرب رمضان ··

وفى رأيى كضابط مدرعات أصلا أن الدبابة ستظل بتأثيرها النيرانى قوية عبر المعارك القادمة ، وستبقى لها مهـام هجومية اقوى وأوسع ، وستزود بخفـة حركة أكبر ، وبحجم نيران أكبر أيضا ، وستبقى الدبابة باقية كقوة ضاربة أولى للقوات البـرية ولكنه بالضرورة سيدخل عليها تحسينها وتسليحها اكثر من تعديل وتطوير ، تقليدى وصاروخى ، هو نتاج طبيعى لحصيلة معارك حرب اكتوبر فى صحراء سيناء وغرب القناة ، وقد بدأت أمريكا هذا التطوير فعلا ·

انه رأيى كمقاتل مصرى ، وليس تحيـزا للدبابات التى انتمى بشبابى اليها ·

❋❋❋

ان الحديث عن حرب اكتوبر والاعداد لها ثم القيام بها يتطلب مجلدات عديدة لا كلمة قصيرة ، ولكنهـا الذكرى الحبيبة الى قلوب العرب ، ذكرى النصر وما أحلاها ذكرى الى الابد ···

سـأختصر وأوجز حول التخطيط ··· فكما كان جندى المشاة المصرى ، أو المدفعية أو الدبابات أو الدفاع الجـوى أو البحرية أو المهندسين أو الطيران أو الاستطلاع أو القوات الخاصة ، بطلا ، بمعنى الاعجاز ، عمـلاقا بقتاله وهجومه وتكتيكه واستخدامه للسـلاح أحسن استخدام ··· كما كان المقاتل المصرى بتلك الكفاءة ـ كانت القيادات التى وعت الموقف وقدرت

الايام تفكر وتقترح وتستنبط اسلوبا جديدا لكل سلاح ، ثم تعود وتخطط افكارا واقتراحات من جديد ، على مستوى أسلحة القوات المسلحة كلها برا وجوا وبحرا ..

وكانت هذه القيادات قمة من قمم الذكاء العسكرى المصرى والفكر والمعارف العسكرية الراقية ، والعقل الناضج المبتكر الخلاق الثرى بافكار الحرب الفريدة المتميزة بالاضافات والفنون المدعمة بالعلم وقوانين القتال ، كما كان أفراد هذه القيادات قمة ثرية بالأصالة والرجولة والمسئولية حين تكتموا في سرية مطلقة ما يعدونه من وثائق وما يدور في اجتماعاتهم من احاديث وحوار يتعلق بكل صغيرة وكبيرة خلال الهجوم ، من استدعاء الاحتياطي ، الى موجات مياه القناة ، الى نقل الذخيرة لسيناء ، الى ارتفاع طلقات المدفعية وابناؤنا يعبرون ، الى ملابس المقاتل وما يحمله داخلها من ذخيرة وطعام ، حتى العبور بالمفارز الاولى ثم بأرتال الابطال ، من الضفة الغربية وساترنا الترابي حتى ساتر العدو ، من الهجوم على دشم بارليف حتى تطوير الهجوم الى عمق سيناء ... وعشرات اخرى من قضايا الحرب الرئيسية ...

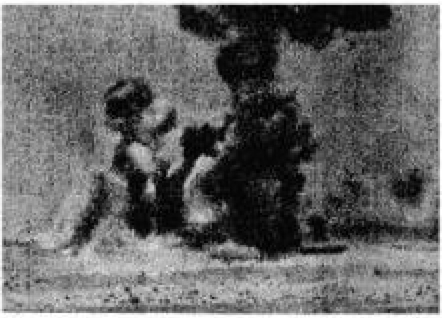
ان وثائق الحرب التي تعلن وصول العسكرية المصرية الى اشرف القدرات على التخطيط والتجهيزللمعركة ، ثم التنفيذ ساعة الصفر لتعطى في النهاية ذلك العمل التاريخى الذى قال عنه القائد الاعلى :





قناص دبابات مصرى
وبطلان من قوات المشاة







رجال المشاة والمدرعات في حرب أكتوبر، داخل سيناء، ولقطة لنيران أسلحتنا أثناء القتال ..

مفاجأة ٦ أكتوبر

ـ « سيتوقف التاريخ طويلا امام حرب السادس من اكتوبر بالدراسة والفحص والتقصي » .

لم تكن عمليات السادس من اكتوبر خبطة حظ عشواء ، ولم تتم على تقديرات اجتهادية ، ولم تعتمد على مافى صدر المقاتل المصرى من ثأر متأجج ، وسلاح متوفر فى يده .. ان الحرب كانت تحكمها حسابات مختلفة نابعة من مناخ وبيئة عسـكرية تختلف تماما عن بيئة ومناخ الامس البعيد ، فالمعركة مصيرية .

ورغم ايمان الرئيس السادات المطلق بالعسكرية المصرية والمقاتل المصرى اقوى الايمان ، فقد اعتمد على التخطيط العلمى لكل خطوة وما يليها من خطوات مضادة ، وما تقوم به من ردود وهجوم لاحباط الهجوم المضاد ، كان يعلم بأن المعركة لها التأثير الضخم ليس على مصر الحاضر فحسب ، بل على مصر المقبلة ، **مصر المستقبل بأجيالها القادمة ، فكان الله معه دائمـــا يزوده بالرؤية الصادقة وهو يتنقل بين وحدات القوات الضاربة فى خطوط القتال الاولى غرب القناة ، وفى مناطق حشــد القوات بالعمق ، فى قواعد الطيران ، فى ســلاح الاشارة ، فى القوات البحرية ، فى أرض المناورات يسأل ويتقصى ويشجــع ويناقش ويستوعب كل الاراء ، ليصدر فى النهاية قرار المعـــركة ، ذلك القرار الصائب الذى غير مجرى التاريخ ، ويحدد بعد ذلك ساعة الصـــفر ، اللحظة المحفورة فى قلوب وعقول المصريين وابناء الوطن جميعا .**

لقد اعتمدت خطتنا للحرب على دراسة العدو دراسة ناضجة واقعية راصدة لكل الجزئيات ، وكانت تلك المهمـة هى الخطوة الاولى على الطريق الصحيح ، دراسة يخدمها خــط طويل من المعلومات الطازجة باستمرار ، معلومات عن العدو ظلت تصل الينا حتى ما قبل الهجوم بدقائق وتتضمن مصادر قوة اسرائيل ونشاطها العسكرى ، كل مصدر على حدة ، لكى نضع القــوة اللازمة للتغلب على هذا المصدر بايجابية تامة ، وبمفاجأة كاملة يتصدع بعدها ..

وكان اهم مصدرين فى قوة اسرائيل العسكرية همـــا الطيران والمدرعات ...

على مستوى الطيران اعددنا السلاح المضاد ، وكان سلاح دفاعنا الجوى العملاق الى جانب الطيران المصرى البطل ، وقد استعد السلاحان سنوات حافلة بالتدريب المستمر المتطور دائما نهارا وليلا لليوم الموعود ، حتى استطاع الدفاع الجوى المصرى بكل الاقتدار والكفاءة بتر ذراع اسرائيل الطويلة العربيدة ، كما حققت قواتنا الجوية بأرقام قياسية فى الطلعات والهجمــات والاعتراض الجوى معدلات أقرب الى المعجزات ، واضطر طيران اسرائيل الى تخصيص نصف طلعاته لتبقى مظلات جوية دائمة فوق مدن اسرائيل وقواته خلف الممرات ..

وبذلك سقطت اسطورة طيران اسرائيل وتفوقه نوعا وكما ... تلك الاسطورة التى حاول العدو طويلا تثبيتها فى اذهان

الشعوب العربية قبل الاوربية ·

وعلى مستوى القوات البرية العدوة نجد المدرعات ، وتقدم جندى المشاة حامل المدفع الصغير المضاد للدبابات بكفاءة تدريب عاليـــة المستوى وبنوعية بشرية منتقاة بعناية وخبرة · وكانت المفاجأة الثانية التي سبق وأشرت اليها · وتقلب تخطيطنا على استراتيجية العدو القائمة على الطيران والدروع · وتحولت كل هجماته الى اجراءات فاشلة ·

ذلك كان تخطيط كل مهامنا ، واساس عملنا ، التخطيط المبصر لكل الابعاد ، والقائم بين ما نملكه من امكانيات وفي حدودها تعمل وتقوم بواجباتنا ابتداء من التخطيط العلمى للعبور واجتياز قناة السويس بكل موانعها والغامها واخطارها والعدو يسيطر على الضفة الشرقية اخطر السيطرة وامامنا مرابض دباباته وأسلحته ومدفعياته ، وانتهاء بوقفتنا الحالية قادرين على تأدية كل المهام بأعلى الكفاءة ، رافعين راياتنا ، فى انتظـــار قرار القائد الاعلى للقوات المسلحة ·

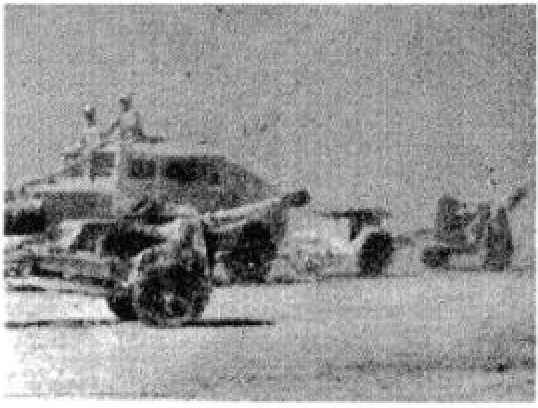
انتى اختتم هذه الكلمات بالجملة التى قالها المشير احمد اسماعيل على ، القائد العام لقواتنا المسلحة بعد ان تسلم قرار التكليف بالقيادة من الرئيس الســادات ، جملة بالغة الدلالة العسكرية والوعى بالموقف والمهمة الموكولة اليه :

ـ « ان للقوات المسلحة واجبا واحدا فقط ، ولا واجب غيره على الاطلاق، وهو ان تتلقى الامر بالقتـــال فتقاتل » ·

وكان ميلادنا الجديد فى نهار ساطع ، ظهر السادس من اكتوبر ١٩٧٣ ·

● فريق محمد عبد الغنى الجمسى ●
رئيس الاركان

وحدة مدفعية ميدان فى طريقها الى سيناء ·



مواقف ورجال في حرب رمضان

● معارك جوية خلال ١٧ يوماً خالدة ●

الشرارة الأولى في الخطة بدر

للفريق طيار حسني مبارك قائد القوات الجوية



كان الله معنا في كل ما قمنا به ، وقد الهمنا التوفيق .. ذلك لاننا اتقنا التدريب قبل المعركة وبذلنا الجهد وضحينا بالوقت وقدمنا الروح فداء للوطن ، فصدق تحقيق وعده تعالى : « وكان حقا علينا نصر المؤمنين » .

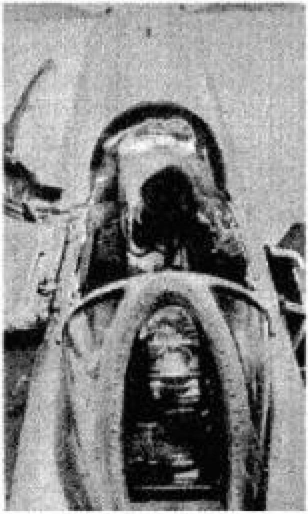
ومن هذا المنطلق .بعد حرب اكتوبر يجب أن يستمر استعدادنا ويقظتنا وان ندرك أن المعركة لم تنته بعد وكل ما تحقق ليس الا مرحلة من مراحلها ...

ان صراعا دام اعواما لا يمكن ان يحل في شهور ، وصراعا اخذ طابع المواجهة اربع مرات لا يمكن أن نوسده الثرى في قفزة واحدة .

لقد عبرت أمتنا الهزيمة ، وتركت خلفها ظلام النكسة والامها وطرحت روح اليأس بفضل ما حققته قواتها المسلحة وهي تتطلع الان الى مرحلة البناء والانفتاح الاقتصادي لتساير ركب الحضارة وتطوي شقة التخلف التي فرضتها ظروف المعركة .

ولست أرى القوات المسلحة في معزل عن جماهير هذه الامة وهي تنطلق لتحقيق هذا الواجب ، ولا شك ان لها وللقوات الجوية خاصة دورها الذي ستشارك به في هذه المرحلة .

لقد جاء اكتوبر ١٩٧٤ – ذكرى النصر – الذكرى الاولى للنصر



طيار ميج في طائرته – على استعداد للانطلاق في أية لحظة من الليل والنهار

العظيم ، وإيماننا بالعلم أسلوبا ونبراسا ينمو ويتطور استجابة لمتطلبات الغد ٠

إن دور القوات الجوية في ملحمة النصر كان دوراً بارزاً ذكرته الأمة بكل فخار على كل لسان سواء في مجلس الشعب أو على صفحات الصحف والكتب بفضل شهدائنا الذين حملوا وحمل معهم كل المقاتلين أداء الواجب بأقصى الأداء أمانة وصدقا، ولم يكن انتصار طيارينا وإحرازهم عناصر التفوق والسيادة الجوية بالانتصار السهل السريع كالذى أحرزه العدو في يونيو ١٩٦٧ ، بل كان انتصاراً لقتال الطيار المصرى تكلله طاقات الإبداع والاقتدار والكفاءة العالية ٠

إن قواتنا الجوية هي التي اطلقت الشرارة الأولى في الخطة « بدر » ، وأبدع الطيارون المصريون في استنبط أساليب قتال تكتيكية جوية بطائراتهم المقاتلة والمقاتلة القاذفة ، وكانت إضافاتهم إلى فنون القتال الجوى إحدى دعامات حرية السيطرة الجوية المصرية في سماء المعركة ، وقد امتلكها طيارونا ٠٠٠

إنني أذكر بعد أن كلفني القائد الأعلى للقوات المسلحة الرئيس أنور السادات بقيادة القوات الجوية في أبريل عام ١٩٧٢ ، أنني لم أنم ثلاثة أيام متصلة إلا ساعات قليلة جدا ، ظللت في مكتبي طيلة ٧٢ ساعة أخطط على الورق ٠٠٠

كان القائد الأعلى قد حدثني حديثا عسكريا طويلا حول دور القوات الجوية في حرب التحرير ، وقال لي سيادته :

– « أريد أسلوبا مختلفا في المعركة، أنا أعلم بكفاءة الطيارين الآن ، وكفاءة كل الأطقم الفنية في قواعدنا أريدك منذ هذه اللحظة أن تضع خطة جديدة هي المفاجأة كلها حين تتحدد ساعة الصفر ، للعدو الإسرائيلي ٠

خطة لا يتحقق النصر خلالها فقط، بل تحقق أقصى الحماية للقوات الجوية طيارين وطيارات وقواعد ، فالمعركة ستكون طويلة ، وعلى قواتى الجوية أن تبقى قادرة على الاستمرار والتأثير الكافى في جسد العدو » ٠

وأحسست بعد أن غادرت مكتب الرئيس بضخامة المهمة وخطورتها ومسئوليتها التاريخية ، ومضت الأيام الثلاثة أفكر على الورق . ثم اجتمعت بزملائي ، ووضعنا خطتنا بعد ذلك أمام القائد الأعلى ، ووفقنا الله في تطبيقها خلال حرب رمضان المجيدة بأرقى أشكالها الهجومية كفرع من فروع الخطة العامة « بدر » ٠

الشرارة الأولى في الخطة بدر

لقد استمرت حرب رمضان على مستوى الجو والبر والبحر ١٧ يوما متصلة ليلا ونهارا . شهدت اعنف المعارك الجوية ضراوة في سيناء وغرب القناة والبحرين الاحمر والابيض ... احرزنا خلالها السيادة الجوية ، والتفوق المطلق رغم قدرة العدو ، وهي قوة من ناحية الكم والكيف لا يستهان بها ، وكما بدأ الطيران الحرب فهو الذى أنهاها على حد قول السيد رئيس الاركان الفريق محمد عبد الغنى الجمسى .

ان عشرات من قصص البطولة يجدها المرء في كل قاعدة من قواعدنا الجوية ، قام بها الرجال من الطيارين والمهندسين والملاحين والفنيين ، وكان اداؤهم انبل واشرف الاداء . وقد حققوا في النهاية اعمالا بطولية فريدة متميزة .

ان طيارا شهيدا اسقط خمس طائرات للعدو في طلعة واحدة .

وهناك اخرون اسقط الواحد منهم ثلاث طائرات في الطلعة الواحدة ايضا ، وعشرات اسقطوا طائرتين قبل انقضاء دقيقتين من الوقت ، وبعض المعارك الجوية استمر خمسين دقيقة، وكان عملا تاريخيا من اعمال الطيارين المصريين ، بينما المقياس العالمي للطيران يتراوح بين سبع وعشر دقائق

وفي العمل الارضي بالقواعد الجوية اعطى الانسان المصرى أرقى دلالات الاصالة والارادة الحديدية والتماسك والتضحية والجراة والشجاعة التى تفوق اى تصور على البذل والعطاء من اجل النصر .

لقد احتضن « مساعد فني » قنبلة زمنية اسقطتها طائرات العدو امام باب دشمة للطائرات ، اختطفها حتى

احدى طائرات الميج في مشروع تدريب







طائرات الميج ، بحربى القاذفات الثقيلة اثناء العمليات ، ثم طائرات الهليكوبتر حين نقلت قواتنا الخاصــة الى ما وراء خطوط العدو فى قلب ســـيناء ..

لا تنفجر امام الدشمة ، واخذ يعدو بها بعيدا وهو يعلم تماما انه قد يدفع حياته فى اى لحظة تنفجر فيها القنبلة وقد حدث ذلك فعلا ، وقدم المساعد البطل حياته حتى تظل الارض سليمة امام الدشمة والطائرات .

واستطاع المهندسون بالتعاون مع بعض مؤسسات القطاع العام انتاج خلطات اسمنتية لســد الحفر التى تحدثها القنابل فى ممرات المطارات، وكانت خلطة اسمنتية رائعة تعيــد الممر الى حالته الاولى فى ســاعات قليلة .

وقبل ذلك قام القطاع العام بدور كبير وخطير حين بدأنا بناء الدشم وانشاء المطارات الجديدة العديدة الممرات، الى جانب قواعد الصواريخ، وكان للتعاون الــكبير بين مختلف أسلحة القوات المسلحة والقطاع العام أعظم النتائج الايجابية وقد ظهــرت عمليا فى حرب رمضــان ، فلم يتعطل مطار واحد بعد قصفه بالقنابل الا ساعات ، ليعود بعدها الى حجــم كفاءته العادية .

لقد اشتركت القوات الجوية بعــد قيامها بضربة السيطرة الرئيسية يوم ٦ اكتوبر الساعة ٢ ظهرا باكثر من مائتى طائرة فى اعمال اخرى لهــا اهميتها العسكرية .

ضربت احتياطيات العــدو المدرعة حين حاولت التقدم فى اتجاه قواتنا البرية وهى تحــرر سيناء ، ضربت زوارق العدو البحرية فى البحــر الابيض ليلا ونهارا، اشتركت فى مهام القوات الخاصة بحمل قوات الصاعقة الى خلف خطوط العدو جنوب سيناء

نهارا بطائرات الهليكبتر وأحــد طيارى هذه الطائرات ، الهل ، اسقط الفانتوم بصواريخه واثناء عودته الى قاعدته ، اشترك مع الدفاع الجوى فى تأمين مناطق الوطن الحيــوية ، وامدت الجيش الثــالث فى الظروف

الصعبة التى واجهتها باحتياجاته ، وفى الوقت نفســه كانت تقضى على هجمات العدو الجــوية ، وتستطلع قواته فى العمق ، وفى كل يوم تحقق مفاجأة جديدة للقيادة الاسرائيلية ، بطلها المقاتل المصرى العملاق ..

انني اختتم كلمتى السريعة هــذه بقول المشير أحمد اســماعيل على القائد العام فى نهاية المعركة :

ـ « السلاح بالرجل ، وليس الرجل بالسلاح » .

فريق طيار

● محمد حسنى مبارك ●

قائد القوات الجوية

مواقف رجال في حرب رمضان

الدفاع الجوى مفاجأة حرب أكتوبر

المقاتل المصرى كان سيد الصاروخ

للفريق
محمد على فهمى
قائد قوات
الدفاع الجوى



يتشعب الفكر بالانسان وهو يحاول ان يكتب فى كلمة قصيرة تجسيما لاعمال الدفاع الجوى خلال حرب رمضان المجيدة .. وقد مضى العام الاول عليها ، وقوتنا العسكرية الان كما يقول القائد الاعلى للقوات المسلحة ، اقوى منها عما كانت عليه فى ٦ اكتوبر ١٩٧٣

ان الدفاع الجـــوى يستحق بجدارة أن يوصف فعلا كما وصـــــفته بعض الاقــلام الشريفة « بالمعجـــــزة » وقــــد بلغت ذروتها فى معركة العبور الى الضفة الشرقية ثم التقدم عمقا الى سيناء .

سنترك بداية مهام الدفاع الجوى خلال الحرب العالمية الثانية ، نقطة انطلاق كفاءة مقاتل المدفع المضـــاد للطائرات متطورا بالصاروخ ثم مهامه فى حرب ٤٨ و ٥٦ و ٦٧ ، وقـــد أعطى مؤشرات الكفاية والاقتـــــدار والثبات رغم النتــــائج السيئة التى انتهت اليها هذه المعارك ، لابدأ من ســـنوات قليلة مضــــت .. عام ١٩٦٩ ، حيث كان الميلاد الخطـــــر للمفاجأة الكبرى التى حققتها قواتنا المسلحة امام العالم اجمع فى حرب

وحدة مدفع مضاد للطائرات .



١٩٧٣ ، وهى مفاجأة و الجنـــــدى المصرى المترجل ، وقد اســـــقط اسطورة طيران اسرائيل الذى لا يقهر كما اسقطها فى المدرعات عبر معارك الدبابات ، فازدحمت صحراء سيناء بالدبابات الاسرائيلية المحتـــرقة ، والطائرات الامريكية والفرنسية المدمرة

منذ عام ١٩٦٩ ، والقـــائد الاعلى للقوات المسلحة ـ وكان ايامها نائبا لرئيس الجمهورية ـ وبين مهـــامه الاشراف على السلاح الجديد الذى نشأ باستقلالية تامة بعد حرب ١٩٦٧، منذ ذلك العام والرئيس انور السادات يعطى اقصى اهتمامه الى تدعيم الدفاع الجوى ، وفى خطته الكثير بعد ذلك، مما تحقق قبل حرب رمضان ، وتأكد خلال الهجوم والتقدم الى تحـــرير سيناء ..

لقد قاد الرئيس الســـادات معركة الدفاع الجـــوى الكبيرة يوم ٢٥ ديسمبر عام ١٩٦٩ حين جاء العدو بـ ٢٦٤ طائرة ليحطم بهـــا قواعد الصواريخ المصرية ـ التى اعطـاها القائد الاعلى وشعبنا كل طاقاته ـ فى ذلك اليوم أمر الرئيس السادات بنقل بطاريات الصواريخ وتغيير اماكنهـا قبل صباح اليوم التالى ، وكان عملا جريئا مقتـــدرا بالاستطاعة ، وحين جاءت الطائرات المعادية لم تجـــد البطاريات فاستدارت لتعود، واذا بها

الدفاع الجوى مفاجأة

تفاجا بالصواريخ المصرية تحاصرها وتسقطها ··· وقال الرئيس السادات يومها كلمته الشهيرة متحدثا عن مقاتلى الدفاع الجوى :

«ولم يحدث ان انكسر اولادنا أبداء

***

ان الحرب تعلم الحرب ، ومن تجارب ١٩٦٧ ، ومن معارك مواجهة الطائرات الاسرائيلية يوميا خلال ٦٩ ـ ١٩٧٠ استطعنا أن نبنى وندعم سلاحنا ، وأمام عيوننا كل الاخطاء والثغرات ونقاط الضعف نتدارسها لنتجاوزها فى حرب ١٩٧٣ المجيدة ·

لقد ظل العدو يفخر بقوته الجوية الكبرى ، واخذ يعربد بها فى المنطقة العربية ، وكان علينا فى فترة اللاسلم واللاحرب ، أو سنوات الصبر والصمت كما احب ان اسميها ، ان نكون على مستوى معين من الكفاءة والاستعداد والقدرة ، ولم يكن من السهل تحقيق ذلك المستوى الا بخلفية السلاح وتطوره وقاعدته العريضة المدعمة بالخبرة الطويلة ، فكان لنا اقوى سلاح صواريخ ودفاع جوى ، قضى على اسطورة اسرائيل التى لا تقهر فى حرب رمضان الخالدة

لم يكن النصر الذى حققناه فى ٧٣ وليد شهر أو عام ، بل وليد كفاح متصل مضن ، وأرواح رجال عمالقة ضحوا بها من اجل كرامة شعبنا ، حتى تتحدد ساعة الصفر من الخطة ٢٠٠٠ وكانت ٢ ظهرا يوم ٦ أكتوبر ١٩٧٣ ، وقد عبر مقاتل الدفاع الجوى الى سيناء جنبا الى جنب مع قوات المشاة ··· الموجات الاولى من العابرين ·

قبل ان نعطى « تمام » لتنفيذ المهمة التاريخية عشنا المعركة تخطيطا وتجهيزا وتدريبا ··· اكتسبت قيادات الدفاع الجوى أنضج الخبرات فى الابتكار ووضع الخطط والخطط المعدلة والبديلة ، وادارة اعمال القتال بسرعة وجيزة ، والتصرف بحكمة وعقل خلال المواقف الطارئة المفاجئة ، وتطوير اساليب التدريب بعيدا عن الاساليب النمطية ، تطويرها الى حد فعال مؤثر ، هو المفاجأة بعينها التى تحققت فى سيناء ١٩٧٣ ، واثارت العالم كله بالاعجاب ·

ورغم الوقت الذى استغرقه هذا الاعداد قياديا وميدانيا بين الوحدات المقاتلة الا انه يعتبر فى التكتيك العسكرى عملا معجزا رائعا بل قفزة ناجحة محكمة فقد انشأنا قوات صاروخية باعداد كبيرة وبنوعيات مختلفة ، وفهم كل مقاتل اسرار معداته الالكترونية وأجاد استخدامها

بدقة ، واستطاع صيانتها واصلاحها فى قواعد الصيانة والاصلاح المتحركة والثابتة ، لكى نصل الى ملحمة اكتوبر ..

وبدأت عمليات العبور ، وكانت المفاجأة شديدة فى جسد العدو .

كان اول رد فعل اسرائيلى بالنسبة لنا كسلاح مضاد للطائرات هو هجوم جوى علينا بعد اربعين دقيقة من بدء هجومنا ، ويدل ذلك على درجة استعداد طيران اسرائيل العالية رغم مفاجأة قواتنا المسلحة الكاملة لها ، ومن هنا نستطيع تصور ضراوة وحجم النيران التى دارت فوق القناة وسيناء وانتهت باحراز التفوق امام جميع استعداداته وامكانياته الالكترونية المتطورة .

فشل هجوم طيران اسرائيل بدون خطة مسبقة لفساد الاضطراب طائراته وقاتل رجال الدفاع الجوى اول معاركهم فى ١٩٧٣ ، وتساقطت طائرات اسرائيل كالذباب ، وبلغت معنويات ابنائنا السماء ، وارتفع ايقاع المعارك .

فوق ارضنا التى تسيطر عليها قواتنا وقبل مرور ثلاث ساعات من يوم ٦ اكتوبر سقطت ١٥ طائرة اسرائيلية . بخلاف الطائرات المصابة والتى سقطت بعيدا عنا ..

وهنا احب ان اذكر اننى قرأته مقالا فى مجلة « أفيش ويك العالمية » بتاريخ ١٦ نوفمبر عام ١٩٧٠ جاء فيه ان اسرائيل خسرت ما بين يناير ومايو ١٩٧٠ بواسطة الصواريخ المصرية ٦٦ طائرة فانتوم وسكاى هوك » .

ونحن فى انتظار معلوماتهم عن حرب اكتوبر ١٩٧٣

لقد كان من عوامل النصر فى حرب رمضان نشاطنا فى اكتشاف ودراسة اساليب وسلوك العدو جواً ، فبذلنا الجهد لاستنباط الوسائل المضادة

جنديان على مدفع « م ــ ط »



الدفاع الجوى مفاجأة

سواء بتطوير السلاح تطويرا مصريا او بتطوير استخدامه ، وللحقيقة تعتبر مرحلة حرب الاستنزاف فترة تدريب عملية واقعية فى ظروف حرب حقيقية بمعارك يومية ، فتعلمنا للمعركة الكبرى وامتلكنا خبرة التخطيط والتنسيق وادارة المعارك الميدانية ، واثبت التخطيط المصرى

كفاءته فى عمليات مستقلة برز فيها عنصر الذكاء والتفوق لدى قياداتنا الصغرى ، ومن هذه العمليات عملية اسقاط العمل الطائر « الطائرة استراكوزا » عام ١٩٧٢ ، وهى طائرة امريكية من احدث طائرات الاستطلاع ، ومن الصعب اصابتها لما تقوم به من اعمال تداخل الكترونية! وسقطت الطائرة نتيجة كمين اعده الدفاع الجوى ، واطلقنا على العملية « ٢٧ رجب » ومنحنى القائد الاعلى للقوات المسلحة فى سبتمبر من نفس العام وسام النجمة العسكرية ، تقديرا منه لهذا التخطيط .

الدفاع الجوى المصرى فى الشرق والغرب . لغى عل اسطورة طيران اسرائيل



ان معركة رمضان المجيدة ونجاحها الاسطورى ليست الا نتاجا عمليا للتخطيط العلمى ، وللتدريب الجيد ، والتنسيق المحكم بين القيادات العسكرية لتطبيق الخطة العامة فى احسن اشكالها .

لقد كان لدينا تقديرا مسبقا لحجم الخسائر قبل أن ندخل الحرب ونوعيتها ، وكيفية استعادة الموقف والحفاظ على السيطرة طوال المعارك ، حتى قطع الغيار الصغيرة كانت ضمن حسابات الخطة لتوفيرها اثناء القتال ، بل توفير كل النشاط التكنولوجى خلال اصابة المعدات لاعادتها الى كفاءتها الاولى فى سرعة وجيزة ، وكذلك لشل العدو فى استخدام احدث اسلحة التشويش والتحذير الموجودة فى طائراته الامريكية ، ويسمى ذلك عسكريا « نجاح تكتيكى » فى استخدام مقاتل الدفاع الجوى المصرى للصواريخ المضادة للطائرات المختلفة ، بما يقضى على هذه الطائرات قبل أن تحقق أهدافها فوق قواتنا أو حائط صواريخنا ...

وكل طائرة لها صاروخ معين يجب أن نتعامل به معها ..

لقد اشتركت عناصر الدفاع الجوى باكملها فى حرب رمضان المجيدة ، واستخدمنا جميع انواع الصواريخ الخفيفة والثقيلة والمتحركة وبعيدة المدى ، وظل السلاح يعطى جميع الارتفاعات بكفاءة عالية لم نحققها خلال برامج التدريب .

وفى مرحلة اقتحام القناة واحتلال رءوس الكبارى لسيناء ، أمكن لوحدات الدفاع الجوى تحييد الطيران الاسرائيلى تحييدا تاما ثم تقدمت وحدات السلاح عبر المراحل المتقدمة لرءوس الكبارى الى عمق سيناء .

وسواء كان الصاروخ فرديا أم تقوم جماعة من الافراد بتشغيله ، فانه لم يكن يحقق هذه النتائج بدون المقاتل المصرى سيد الصاروخ ، بثبات أعصابه ، بإرادته ، بتدريبه ، بايمانه ، وفوق هذا كله رعاية الله الذى زودنا بالنصر لاننا دخلنا الحرب مؤمنين بشرعية مطالبنا ، فكانت حرب رمضان التحريرية الخالدة على مدى التاريخ ، وكل مهامها قام بها المقاتلون المصريون فى دقة مثالية وكأنهم يعزفون سيمفونية لا نشاز فيها على الاطلاق .

ان رجال الدفاع الجوى فوق أى بقعة من أرضنا عادوا الى مهام التدريب المدعمة بالبقظة ، بالاستعداد المتطور ابدا ، بخبرة المعارك السابقة بجلال الانتصارات المشرقة ، فى انتظار كلمة القائد الاعلى للقوات المسلحة الرئيس المؤمن بطل اكتوبر العظيم ، وبطل السلام ، الرئيس انور السادات .

ان ملحمة الدفاع الجوى لم تنته بعد ...

● فريق محمد على فهمى ●
قائد قوات الدفاع الجوى

مواقف ورجال في حرب رمضان

وقامت لنشاتنا الصاروخية بأول معركة تصادمية في التاريخ البحري

حرب رمضان

أكدت سيادة قواتنا البحرية على البحرين الأبيض والأحمر

للفريق فؤاد ذكري
قائد قواتنا البحرية



لقد سجلت القوات البحرية المصرية في التاريخ العسكري أن أول صاروخ بحري يطلق فوق البحار اطلقته سفينة مصرية في معركة اغراق المدمرة الاسرائيلية « ايلات » عام ١٩٦٧ ، وان اول معركة بحرية بالصواريخ بين اللنشات كانت المعركة البحرية التصادمية التي قامت بها لنشاتنا في الحرب الرابعة – اكتوبر ١٩٧٣ .

اننا منذ توقفت العمليات بعد الحرب الرابعة مع العدو الاسرائيلي عدنا على الفور نواصل ما بدأناه قبل ١٠ رمضان – ٦ اكتوبر – من تدريب واستعداد وتغطية واستفادة بدروس الجولة السابقة .

لقد ظلت ضربات قواتنا البحرية في حرب رمضان الخالدة تلاحق العدو في خليج السويس ورأس محمد وشرم الشيخ واضاف رجال بحريتنا الى صفحاتهم المشرفة صفحة جديدة مجيدة مزينة بأعمال الفخار وأغلى التضحيات .

حتى جاء الينا القائد الاعلى للقوات المسلحة في نهاية يونيو الماضي ليعلن للعالم سرا من اسرار مهام البحرية وهي ان قواتنا كان لها شرف البدء بعملياتها وتنفيذ مهامها في الحرب الرابعة قبل ١٠ رمضان بعشرة ايام .. ففي اول رمضان الكريم من العام الهجري ١٣٩٣ ، اخذت قواتنا البحرية مواقعها حسب



« لنش » مصرى حامل الصواريخ

الخطة العامة امام باب المندب ، وجعلت تمسك العدو بسرعة بشرم الشيخ كضمان لحرية ملاحته من والى ايلات معدوم النتائج الايجابية ، بل أمر مستحيل .

كان على قواتنا ان تسيطر على بعض المواقع الاستراتيجية فى البحرين الاحمر والابيض دون ان تعلن تحركاتها او تكتشف ، واستخدم الرجال بعض الاساليب الخداعية الراقية لاتمام شحن الصواريخ سرا ، وفى الوقت نفسه كان نشاط قوات العدو البحرية فى قمته بموانى اسدود وحيفا والبحر المتوسط وايلات ورأس سدر وشرم الشيخ وابو رديس

بالبحر الاحمر .

وفى وقت مناسب ــ اختير بعناية ــ تم شحن الصواريخ واعداد الالغام وتدريب الرجال على تلقينات بيان عمل كواحد من التدريبات السنوية. ولم يدر احد انها الحرب الرابعة .

كان تفوق قواتنا فى المدمرات والغواصات ووحدات بث الالغام وكسحها ملحوظا ، فى حين أن العدو كان يملك التفوق فى الكم نسبيا عبر لنشات الصواريخ وطائرات الهليوكبتر وامكانياته الجوية الاخرى ولم يكن ذلك بعيدا عن حساباتنا وتخطيطنا لمواجهة هذه المواقف والانتصار عليها .

ان مسرح العمليات الخاص بالقوات البحرية يتميز بطول سواحلنا التى تبلغ ١٦٠٠ كيلو متر بينما تبلغ سواحل العدو التى يسيطر عليها بما فيها الارض المحتلة ٤٠٠ كيلومتر ، وتعتبر هذه الخطوط شريانا رئيسيا لاستمرار اقتصاد اسرائيل وامدادها بالمواد الاقتصادية والعسكرية .

وقد بنيت خطتنا اساسا على التعامل عبر جبهة طويلة فى البحرين الابيض والاحمر واستغلال عامل المفاجأة الى اقصى حد وتشتيت جهود العدو وارباك قياداته .

وفى يوم ٦ اكتوبر ، اليوم الاول للحرب اشتركت قواتنا البحريةبجميع تشكيلاتها ... المدمرات والغواصات ولنشات الصواريخ والطوربيد ، والمدفعية الساحلية ، والضفادع البشرية ، والصاعقة البحرية ، وقصفت مدفعيتنا مناطق شرق بور فؤاد ورمانة ورأس برم ، كما قامت المدفعية الساحلية بمعاونة القوات البرية فى قطاع بورسعيد بالنيران حيث قصفت تحصينات العدو .

وفى البحر قصفت مدفعيتنا

الصاروخية شرم الشيخ التى تتمركز فيها قوات اسرائيلية كبيرة ، وقامت قوات الصاعقة البحرية بمهاجمـــة منطقة ابو درية على الساحل الشرقى لخليج الســـويس ، كما هاجمت الضفادع البشرية منطقة البترول فى بلاعيم ودمرت حفارا ضخما، وصافح القائد الاعلى للقوات المسلحة الرئيس انور السادات هؤلاء الابطال حين قام بزيارة القاعدة البحريةفى الاسكندرية واستمع الى تفاصـــيل عملياتهم الانتحارية ، وقصفنا بالصـــواريخ منطقة راس سدر .

وفى نفس اليوم الاول اشـــتركت المدفعية الساحلية فى التمهيد بالنيران الى جانب نيران مدفعيـــة الجيش الثالث البطل اثناء العبور .

لم تكن وحدات الهجوم هى الوحدات المكلفة بالعمل فقط ، فمن واجبـات البحرية تأمين القـــواعد ، والموانىء وطرق المواصلات والســـواحل وقطع مواصلات العدو الرئيسية ، وحمـاية اجناب القوات البحرية ضد تدخـــل العدو بحرا .

وتكررت مهام قواتنا البحريةخلال الحرب اكثـــر من مرة ، وكان ابرز المعارك تلك المعركة التى وقعت لاول مرة فى تاريخ البحـــرية العالمية او تاريخ الحرب البحرية حيث تلاحمت لنشاتنا الصاروخية مع لنشات العدو ما بين دمياط والبرلس ليلتى ٨و٩ اكتوبر ١٩٧٣ ، وهاجمت ٤ لنشات مصرية من نفس التشكيل الذى اغرق المدمرة ايلات تشكيلا معاديا يتكـــون من ضعف عدد لنشاتنا معززة بست طائرات هليكوبتر مزودة بالصواريخ جو ـ ارض، وقاتلت وحداتنا ببسالة وسيطرة وكفاءة واصرار على تدمير العدو البحرى وتجـــاوزت الظروف الصعبة التى واجهتها ، وامكننا فى النهاية تدمير خمسة لنشات للعدو واصابة سادس .



تشكيل بحرى مصرى

وفى البحر الاحمر قامت القـــوات البحرية باعتراض الســـفن التجارية فى جنوب البحر ، وقامت الغواصات بالعمل فى منتصف البحر ، ومنعنـــا العدو بذلك من نقل البترول عبرحقول بلاعيم وخليج السويس ، وغرقت له ناقلة بترول حمولة ٤٦ الف طن ولنش انقاذ حاول مساعدتها ، وعاد العدو يستخدم ممرا داخليا ضيقا لا يسمح للسفن الكبيرة بالمرور ، واصيبت له ناقلة اخرى حمولة الفى طن .

لقد كان اســـتخدامنا سلاح غلق باب المندب اسلوبا جديدا فى القتـــال مع اسرائيل ، كما استخدمنا سلاح الالغام بكفاءة عالية ، ولم تدخـــل ســـفينة واحدة تمد اسرائيل بالمواد



القائد الأعلى الرئيس أنور السادات والقائد العام الشير أحمد اسماعيل على ، وقائد البحرية الفريق فؤاد ذكرى في احدى المناورات البحرية

الاساسية ، وكان العدو ينقل سنويا ١٨ مليون طن بترول عبر باب المندب الى ايلاحتم يعيد تصديرها الى اوربا عن طريق خط الانابيب البترولى ما بين ايلات – عسقلان ، ويستخدم لنقل هذه الكمية من البترول ٢٤ سفينة تجارية كل شهر باحجام مختلفة .

لقد اثبتنا للعدو عدم جدوى دعواه بأن احتلاله لشرم الشيخ يوفر له أمن وحرية الملاحة البحرية عبر مضايق تيران ، وكان تخطيطنا للمهام والعمليات صفحة راقية من صفحات العسكرية المصرية .

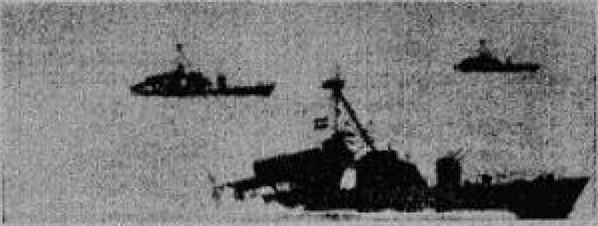
ان قراراتنا البحرية كانت خاضعة للقانون البحرى وكل نشاطنا تأسس على تطبيق هذا القانون حتى اسلوبنا مع السفن التجارية كان خاضعا للقانون وقد وافقت كلها على تطبيقه بمنتهى الرضا التام ، ذلك لأننا منعناها ليس بهدف تعطيل الملاحة وانما لانها تمر بمسرح عمليات حربية – بحرية ، ومنعها هنا بدافع الحرص على سلامتها .

وهكذا اكدت البحرية بقتالها وخبرة رجالها وبطولة شهدائها انها تستطيع مد ذراعها البحرية لتطول قلب اسرائيل وان هذه الذراع هى اليد الطولى فى معارك البحر ، وان مقاتلى البحرية المصرية ظلوا دائما بلا منازع سادة البحرين الابيض والاحمر .

● فريق / فؤاد ذكرى ●
قائد القوات البحرية

حمدى لطفى

معارك البطولة



النشات الصاروخية ، سيدة معارك البحر

لم تكن حرب رمضان ـ اكتوبر ١٩٧٣ ، هى البطولات التى قام بها ابناؤنا المقاتلون فحسب .. ولم تكن ايضا تلك الهجمات الجريئة المقتدرة التى تحدث عنها العدو قبلنا حين ماجمت مشاتنا فوق الارض ارتال الدبابات الاسرائيلية وكانت معارك اللحم ضد الصلب بهذا الاسلوب وبهذه البسالة ...

ولم تكن هذه التكتيكات الجديدة التى طبقها طيارونا فى هجومهم واعتراضهم الجوى ، نقشوا على اسطورة طيران اسرائيل المتفوق نوعا وكما ، او ما حققه رجال دفاعنا الجوى العملاق من الاعمال الخارقة فاسقطوا طائرات العدو بكل المفاجأة والابداع فى انتاج نيرانهم الصاروخية ، او معارك البحرية التصادمية التى وقعت لاول مرة فى تاريخ البحار ، بين لنشاتنا ولنشات وطيران اسرائيل . او اعمال المهندسين الفدائية وقد ارتفعت الى قمم البطولة والبذل، او قتال المدفعية ووحدات الدبابات ، وعمليات الصاعقة والمظلات ومهام رجال الاستطلاع خلف خطوط العدو ..

لقد قام مقاتلونا بهذه الواجبات على مستوى مختلف الاسلحة ، وقدموا للعالم اعظم صور المقاتل العربى فى قتاله المشروع ...

ولكن البطولة فى الدرجة الاولى فضلا عن بطولات المحاربين العمالقة كانت فى كفاءة التخطيط للمعركة لتجهيز معدات الحرب ، وتدريب الجنود والضباط ، ثم التنفيذ على هذه الصورة التى بلغت اعلى مستويات الاحكام



الطيار المصري ، كان سيد الطائرات الحديثة عملاقا في هجومه واعتراضه .

والأبطال في حرب رمضان

والتنسيق والتعاون بين مقاتلي أسلحة قواتنا برا وجوا وبحرا، ثم السيطرة الناجحة على مسرح المعركة في سيناء أو غرب القناة، وادارة النيران بخبرة وثبات وتفوق . كما قال القائد الاعلى للقوات المسلحة الرئيس أنور السادات حين كان العدو يمتلك لبعض الوقت عنصر السيطرة :

كانت وحـــداتنا مالكة لعنصر التفوق ، وبه تحـرم العـــدو من المميزات التي يحققها ، وتبقى قواتنا فاتحة لنيرانها، متقدمة في اقتحامها مطورة لهجومها مالكة للسيـــادة والمبادأة والسيطرة والمهارة المستمرة في نمو منسجم عبر جميع الاسلحة

● ظل التماسك الجمـــاعي والتعاطف وانكار الذات بين مختلف الاسلحة البرية والبحرية خلف النصر المشترك الذى حققته قواتنا في معركة الاسلحة المشتركة ، ذلك الذى وصفه بصدق أحد كتاب الغرب قائلا :

« لقد قاتل المصريون معركتهم في مسلك نظيف ، وابرز قتـــالهم دور التعاون المشترك بين الاسلحةبكفاءة، مما جعلهم قادرين على مواجهـــة اسوأ الظروف ، وقد ظلت مبـــادرتهم كلها متسقة مصقولة بالخبرة والثقة والثبات ، فصنعوا بطولات اقرب الى الاساطير، ولم تكن أى وحدة من هذه الوحدات المقـــاتلة المصرية لتفرط في النصر ، حتى ولو استشـــهدت عن آخرها .. »

● وفي هذه الصفحات ، احاول تجسيد تلك المعاني بقدر من التفاصيل، من خلال الواقع الذى كان لي شرف معايشته بين قواتنا في مسرح سيناء، وهي تقدم صياغات قتالية جديدة في حرب رمضان الكبرى .

● سأذكر قليلا من المهام البطولية وأبطالها من الشهداء أو الأحياء ، ولقد اخترت هذه القصص ليس لانها

معارك البطولة والأبطال في حرب رمضان

أروعها ، بل لانني وقفت عليها وشهدت بعضها ، وهناك ما هو أعظم وأروع سجله مقاتلونا العمالقة في كل معركة ، ويحتاج الى عدة كتب لتسجيله وعرضه ...

● سادة البحرين ●

سأبدأ بالرجال الذين كان لهم شرف البدء بالعمليات قبل ٦ اكتوبر ١٩٧٣ ، اذ اعطوا تمام الاستعداد لقيادتهم في بداية الاسبوع الرابع من سبتمبر ١٩٧٣ ، حين ذهبوا الى عرض البحر الاحمر واتموا انتشارهم امام باب المندب لتنفيذ أحد الاركان الهامة في الخطة الاستراتيجية المصرية ـ العربية ، اولئكم الرجال ، قواتنا البحرية ، الذين حملوا اشرف الالقاب ، وهو ، سادة البحرين ، الابيض والاحمر .

لقد قامت قواتنا البحرية بأول معركة من نوعها في تاريخ البحرية العالمية ، وهي المعركة التصادمية التي وقعت بين وحدات لنشات الصواريخ والطوربيد المصرية ولنشات العدو يوم ٨ اكتوبر ١٩٧٣ واستمرت حتى اليوم التالي ما بين البرلس ودمياط .

في هذه المعركة هاجمت اربع لنشات مصرية تشكيلا معاديا تكون من ضعف عدد لنشاتنا وكان تشكيل العدو مدعوما بست طائرات هليكوبتر مسلحة بالصواريخ الموجهة من الجو لسطح البحر ، ومظلة جوية من الفانتوم ،

ولم يكن هذا الموقف ليمنع رجال البحرية من الهجوم بجرأة اسطورية والقتال بر باطة جأش ضد طائرات العدو ، وضد لنشاته الصاروخية في وقت واحد .

كانت معركة فريدة (صواريخ ضد صواريخ) وانتهت الى اسقاط ثلاث طائرات هليكوبتر اسرائيلية ، وطائرة فانتوم ، وتدمير خمسة لنشات للعدو واصابة سادس ...

ناورت لنشاتنا اكفأ المناورة ، فالصراع من أجل السرعة في قتال البحر يتطلب ارقى فنون المناورة التي تعكسها برامج التدريب المتفوقة ، ان معارك اللنشات لاتقل خطورة او اهمية عن معارك الطيران حيث يدور صراع شديد اخر بين القدرة الاعلى والوزن الاخف ...

لقد تلقى أحد لنشاتنا ١٢ قنبلة من طائرات الفانتوم و ١٠ صواريخ جو ـ ارض ، وقاتل لمدة ٩٠ دقيقة كاملة ، وناور طوال هذه المدة الزمنية ، ودمر لنشين للعدو ، بكل الاقتدار والسيطرة ووسط هذه النيران المتساقطة عليهم من الجو ومن فوق سطح البحر اشبه بجحيم يحاصرهم ، ظل البطل الشهيد المقدم « ابراهيم غنيم » مسيطرا على وحدات المدفعية الصاروخية فوق اللنش مديرا لنيرانها رابط الجأش ، وحين احترق قاذف صاروخي اطفاه بيديه عندما لم تسعفه « الطفايات » ثم اصلح قاذفا اخر ، دون أن ترهبه القنابل التي تنفجر حوله ، والجنود يستمدون شجاعتهم وجرأتهم من شجاعته وثباته وارادته الفولاذية ، ثم اصابته شظية فجاد بحياته وهو يتوسط مقاتليه ، وقد وجدوا يديه محترقة تماما ، وكان يعمل دون أن يشعر بآلام الحروق أو يطلب اسعافه وكانت اخر كلماته للابطال حوله ـ « احموا اللنش بحياتكم » .



البطل فتحي عبدالرازق



البطل ابراهيم غنيم



البطل شبل بسيوني

ان البطل لا يولد بطلا ، لقد رضع الوطنية وحب مصر من أبيه الشيخ عبد الحميد غنيم أحد شباب ثورة ١٩ ، والرجل الذى ظل مضطهدا حتى قامت ثورة ٢٣ يوليو ، لما اشتهر عنه من عداء للاحتلال البريطانى ،

وحين حصل البطل الشهيد على الثانوية العامة التحق بكلية الصيدلة ولكنه عاد وقدم أوراقه الى الكلية البحرية بتأييد من والده .

● قال لى الاب وهو يستعيد قصة ولده « ابراهيم » :

– « انني أحسده ، لقد عشت اتمنى هذه الشهادة لنفسى ولكن الله اكرمنى بشهادته ، وبولده الاول الذى جاء الى الحياة بعد استشهاد ابيه ، فقد تزوج ولدى قبل الحرب بشهرين فقط » .

● هناك البطل رائد « شبل » ابن المقاتل المعلم لواء رأفت بسيونى وحفيد مقاتل قديم أيضا ، جاد بحياته فى مساء اليوم الاول للمعركة وهو يفتح صواريخه على لنشات العدو ومدمراته

ان البطل « شبل » يعد نجما من نجوم الدفعية الصاروخية ، وكذلك الاب بطل المدفعية المضادة للطائرات تماما مثل الجد بطل المدفعية ميدان ، لقد اضاء « شبل » منطقة المعركة ليلا فجعلها اشبه بالنهار ، وواجه العملاق ابن السادسة والعشرين ربيعا ٧٢ طلعة لطائرات العدو فوقه ، ويقول جنوده « انه لم يطرأ عليه اى تحول كان شامخا وهو يقود معركته قادرا على الهجوم بأقصى الاحجام ، قابضا بذراعه الفولاذية على المعركة ، محرزا للتفوق رغم سيطرة الطيران الاسرائيلى المؤقتة ، وكانت كل قراراته صائبة ناضجة ، ولم يتركنا قط لدقيقة واحدة حتى صعدت روحه الى الخالق عز وجل فى اشرف لحظات العمر على الاطلاق ، حين اصابه صاروخ جو – أرض » .

● هناك عشرات القصص التى قدمها ابطال البحرية بتفاصيل ثرية تضمها ملفات العمليات فى قواتنا البحرية ، وعشرات الابطال مثل سليم وحافظ وعلى والسمساوى ، وآخرين لم تسعفنى الظروف باستكمال قصصهم البطولية الخالدة ، وكم هو عظيم رائع ان يقف عليها جيلنا الجديد وأجيالنا القادمة وستكون بالضرورة عطشى لدراسة هذه « الحضارات » التى صنعها ابناء مصر بأغلى الثمن ... وأغلى التضحيات

● شنودة الصاعقة ●

هو من قوات الصاعقة ، ومن فرط قوته البدنية الهائلة وجرأته واقتحامه للمخاطر والموت كانوا يطلقون عليه « شنودة الصاعقة » .


البطل التميمي


البطل نبيه جرجس


البطل منداوي

معارك البطولة والأبطال في حرب رمضان

ولقد قاتل شنودة آخر معاركه في بطولة فذة تحدث عنها بكل الفخر والاكبار رفاق السلاح من الضباط والجنود ... ورواها لي أحد قادة الصاعقة برتبة عقيدوقد شهد اللحظات الاخيرة قبل ان تصعد روح شنوده وروح قائده البطل غريب الى رحاب الله .

● أمام منطقة الشط شرق القناة ، تلك المنطقة التي شهدت أعنف معارك قواتنا من المشاة والصاعقة والدبابات والطيران ، يزارها القائد الأعلى للقوات المسلحة الرئيس انور السادات مرتين — كانت وحدة صغيرة من القوات الخاصة بقيادة البطل الشهيد نقيب غريب عبد التواب تقاتلمترجلة بأسلحتها الخفيفة عددا ليس بقليل من دبابات العدو ومشاته الميكانيكية واستمرت المركة ضارية اذ تدعمت قوات العدو بمجموعة دبابات اخرى قدمت من العمق ، فواجهت وحدة الصاعقةالموقف بهجوم انتحارىمضاد وعمل رجالنا على منع دبابات العدو من التقدم مترا واحدا ، وفرغت ذخيرة البطل « غريب » قائد الوحدة فلم يتوقف بل اسرع نحو اول دبابة سليمة واعتلى برجها ليلقى بداخلها قنابله اليدوية ... وراءه في تلك اللحظة المقاتل عريف شنودة راغب شنودة ، فعمل على حمايته برشاشه لكن البطل غريب اثناء هبوطه من الدبابة أصيب برشاشات جنود اسرائيل بالعربات المدرعة ، وفتح شنودة رشاشه يحصد العدو ويقتحم منطقة القتال بجسده ، واستطاع فعلا حمل قائده الجريح فوق كتفه ، فاتحا نيرانه على افراد العدو الذين تجمعوا حوله ، فكانت معركة من اعظم واخلد معارك المقاتل المصرى ، وانتهت بان استشهد البطلان القائد غريب والمقاتل شنودة وقد احتضن كل منهما الاخر ..

وتوقف زحف الدبابات الاسرائيلية بعد أن سدت المحترقة والمدمرة منها الطريق تماما ، وحين أحصى الرجال عدد جنود العدو القتلى حول غريب وشنودة بلغ عددهم ٢٢ قتيلا .

● ابطال نجمة سيناء ●

● ثمة أبطال آخرون من أبناء القوات الخاصة البحرية مثل رقيب أول بحرى « مرتضى موسى » الذى كان له شرف القتال في سيناء منذ نهاية عام ١٩٦٧ حتى عام ١٩٧٣ ، وقد زين صدره بعدد كبير من أوسمة الشجاعة ونوط العبور وأخيرا نجمة سيناء من الدرجة الثانية .

لقد قاتل « مرتضى » طوال شهرين



مجموعة من جنودنا وصف الضباط الذين حصلوا على نجمة سيناء. تقديرا لبطولاتهم في ميدان القتال

خلف خطوط العدو ، وعاش أعنف وأقسى الأيام بلا غذاء وكان يأكل من مخلفات التي يغتنمها بعد هجمات الانتحارية التي قام بها مع مجموعة من الرجال العمالقة رفاق السلاح .

وفي كل يوم «عشاء » مرتضى » خلف تشكيلات العدو قصة مثيرة تصلح فيلما سينمائيا لعديد من الاعمال الجريئة التي قام بها ليلا ونهارا، وقد كان لقتالهم أحسن الأثر الايجابي حين تقدمت قواتنا قادمة من الضفة الشرقية وبلغت منطقة العمق لتلتقى « بمرتضى » ورفاقه وقد سيطرت على الارض وعلى كمية كبيرة من الذخيرة والاسلحة الاسرائيلية .

● هناك البطل « تجريده » الذي استمر يقاتل ويفتح رشاشه حاصدا لجنود العدو في سيناء وكان الموت يخشاه ويرهبه .

وقفز البطل رقيب المظلات «تجريده» فوق دبابة اسرائيلية والقى بداخلها مجموعة قنابل يدوية ، وحين يحاول الابتعاد عن منطقة التدمير اصيب بكسر في ذراعه ، ولكنه لم يتوقف واستمر يقاتل دون أن يشكو او يتألم واستعمل يسراه في فتح رشاشه حتى توقف القتال ، واكتشف طبيب الوحدة كسرا في عظام الذراع ورفض « تجريده » الاجازة الاجبارية ، واشترك في الهجوم التالي لوحدته من قوات الاقتحام الجوى ، ومعنوياته تكاد تعانق السماء .

● وهناك أيضا بطل الصاعقة « سعد فايد » وقد حصل على وسام نجمة سيناء ... لقد قاتل سعد وحده دبابة للعدو دمرها بالطاقم داخلها ، ثم قاتل عربتين مدرعتين من قوات المشاة الميكانيكية الاسرائيلية واستطاع القضاء على جنودهما بأكملهم .. واحدة من عمليات المقاتل المصرى التى زوده الله خلالها بالحماية والاقتدار والسيطرة

كان البطل « سعد فايد » يعمل قبل استدعائه للاشتراك في معركة رمضان مدرسا بمدرسة ابتدائية في ادفينا ، ورغم أنه ظل بعيدا عن السلاح فترة ليست بالقصيرة ، فقد اشترك في ثلاث دوريات صاعقة خلال حرب اكتوبر خلف خطوط العدو ، وكانت كفاءته القتالية حديث القادة والجنود .

● البطل رقيب « السكرى » من مشاة الاسطول ، وافراد قوة كبريت التى تجاوزت حصار العدو ، وحققت أغلى البطولات واخطر الهجمات وأروع الصمود .

و « السكرى » واحد من الرجال الذين تخصصوا في احضار المؤن والذخيرة والاسلحة الخفيفة من ثغرات العدو يوميا اثناء الحصار ، والعودة بها الى رفاق السلاح في عمليات جريئة مثيرة خيالية ..

معارك البطولة والأبطال في حرب رمضان

● وهناك عشرات من التفاصيل تصلح لقصص سينمائية خالدة اذا اقدم احد منتجي السينما عندنا على لقاء البطل رقيب « ابراهيم عبدالغني السكرى »، من مشاة الاسطول بقواتنا البحرية ، والحاصل على وسام نجمة سيناء ٠

● بطل اخر واسمه «عبد العاطي» ايضا مثل عبد العاطي الشهير صائد الدبابات ، وتشاء الصدفة وحدها ان يحمل البطلان اسم عبد العاطي ، الاول « محمد عبد العاطي عطية » من جنود الدفعية المضادة للدبابات ، والثاني « عبد العاطي عيسى » من جنود المظلات حاملي المدفعية الصاروخية المضادة للدبابات ايضا ٠

● **لقد دمر عبدالعاطي ٣٦ دبابة وعربة مدرعة ولكن الشهرة لم تقف الى جانبه ٠**

● واذا كانت معارك المشاة المترجلين ضد الدبابات الاسرائيلية ، او معارك اللحم ضد الصلب كما اطلقت عليها صحف الغرب هي واحدة من مفاجآت قواتنا المسلحة في حرب اكتوبر، فقد كان تقدم القادة لجنودهم من مقاتلي هذه الوحدات عملا مقتدرا مشفوعا بعلاقة الضابط والجندي وعقيدة الايمان التي الغت الفروق والمسافات بين المقاتلين ووحدت بينهما فكريا وعسكريا ومعيشيا فالتحما اشرف الالتحام، وتقدم القائد جنوده دائما ، وكان في مقدمة الشهداء منذ اللحظات الاولى للعبور

● وفي معارك المشاة من حاملي الدفعيات المضادة للدبابات يبرز اسم القائد المحلي البطل الشهيد العقيد فتحي عبد الرازق ، ابن المحلة الكبرى وبطل مدفعية اللواء الخاصة مظلات وصاعقة ، وقائد المدفعية المضادة للدبابات في قطاع الفرقة الثانية مشاة التي قاتلت أشرف وانبل القتال واشرسه بقيادة البطل لواء حسن أبو سعدة ٠

ان هذه الفرقة هي التي انشاها المشير احمد اسماعيل في سيناء وكان وقتئذ برتبة عميد ، واكثر ضباطها من تلاميذه ، وكان لقتالها اعظم النتائج الايجابية في تحرير شمال سيناء، وهي التي اسرت ودمرت اللواء مدرع ١٩٠ لواء الاسير

دبابات العدو محطمة في معارك اكتوبر المجيدة



دباباتنا تتقدم في سيناء لتنفيذ مهامها

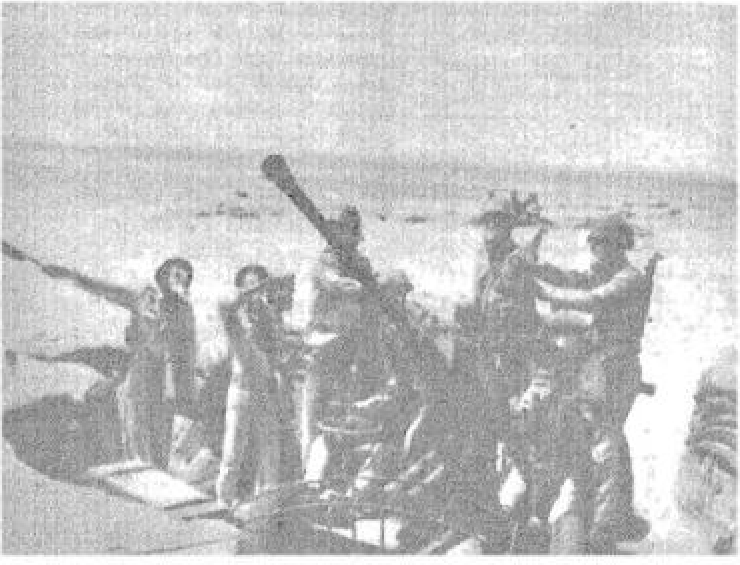


الاسرائيلى الشهير عساف ياجورى ، كما انها دمرت عدة ألوية اسرائيلية مدرعة، وجاد البطل فتحى عبدالرازق بحياته خلال تقدمه لجنوده الابطال صائدى الدبابات الى العمق بعد أسبوع من المعركة تاركا « علا » من مواليد ٦٤، و «عبير» من مواليد ٦٨

و « ياسر » الذى رزق به بعد أن عبر مياه القناة بعدة ساعات يوم ٦ اكتوبر ١٩٧٣ ، وفى نفس اللحظات يستشهد شقيق البطل نقيب مهندس محمد بقوات الدفاع الجوى .

● وبين الجنود الذين كرمهم القائد الاعلى للقوات المسلحة فوضع بيده فوق صدورهم وسام نجمة سيناء من الدرجة الثانية او وسام الشجاعة ونوط الواجب ، نجد عدة رجال كتب الله لهم البقاء احياء رغم معاركهم التى خاضوها وأمنيتهم فى الشهادة فى أشرف الساحات ، مثل المساعد فنى حمدى عثمان الذى اقتحم احد المطارات حين شاهد قنبلة زمنية أمام دشمة طائراتنا ، والطائرات تستعد للاقلاع ، أسرع نحوها وحملها بين يديه بعيدا عن المطار والقاها فوق الرمال لتنفجر فى اللحظة نفسها ، وكان محتما أن تنفجر وهو يحملها بين يديه بعيدا

الدفاع الجوى .. دور بطولى رائع فى معارك اكتوبر



معارك البطولة والأبطال في حرب رمضان

عن القاعدة الجوية التي يعمل بها ، غير ان الله كتب له النجاة ولطائراتنا الاقلاع واداء مهامها .

● وفي مقدمة هؤلاء الصناديد تبرز اسماء أبطال الدفاع الجوى كالنقيب احمد السعيد بطل الرادار ، والجندى محمد رمضان الذى اسقط خمس طائرات للعدو في اقل من نصف ساعة وصاروخه فوق كتفه ... ومئات غيرهم من مقاتلي المدفعيات والصواريخ أرض ـ جو .

● وثمة بطل آخر من ابناء الريف حصل على وسام نجمة سيناء وهو المقاتل الشهيد سيد هنداوى ابن قرية شنطور ببنى سويف والحاصل على دبلوم الصناعات الميكانيكية قسم الجرارات ، وقد التحق بسلاح المدرعات بعد تخرجه مباشرة عام ١٩٧٠ وحارب معركة سيناء عام ١٩٧٣ بكل الجراة واقتحام المخاطر وقاد دبابته وهى مصابة ثم استطاع اصلاحها بعيدا عن ارض القطاع الاوسط حيث دارت اعنف معارك الدبابات في العصر الحديث ، وعاد بها الى قائده واستشهد البطل بعد أن شهد النصر في هذا القطاع الشهير .

● الصواف والتميمى وجرجس ●

وبين معركة رمضان الماجدة يبرز دور سلاح المهندسين البطل ، انه ذراع قواتنا المسلحة الممتدة الى قلب العدو ، وقد ظلت بطولاتهم وقدراتهم كمياه الشلالات المنطلقة من خلف السدود للعبور ، وهى ساعة تسبق ٦ اكتوبر ١٩٧٣ بفترة طويلة صنعوا خلالها الكبارى والبراطم ومعدات العبور الميكانيكية وحملوها الى غرب القناة دون أن يشعر العدو على الاطلاق بنشاطهم .

● واذا كانت الصحافة المصرية قد قدمت البطل الشهيد لواء مهندس احمد حمدى قائد قوات الكبارى بالمهندسين خير تقديم ، فهى في الوقت نفسه نسيت بعض تلاميذ « أحمد حمدى » العملاق ، من رواد الكبارى وفتح الثغرات في حقول الالغام ، ومهندسي ازالة القنابل ، ورص الالغام امام قوات العدو .

● البطل مهندس فتحى الصراف ابن برما مركز طنطا ظل في مقدمة صفوف وحدته وهم ينقلون معدات بناء جسور العبور ، ويقودون المعديات لتنضم الى بعضها وتتحول الى كوبرى جديد ، ويشترك في انزال البراطيم والبولدوزرات الى الضفة الشرقية ، ثم ينتقل الى وحدات الدفعية الخاصة باطلاق المياه ضد السد الترابى للعدو ، تلك الوحدات التوربينية التى تفتق عنها عقل المقاتل المهندس والعالم المصرى وأصبحت حدثا عسكريا تاريخيا يؤرخ له بحدث ٦ اكتوبر ويشرف البطل « الصراف » على ارتفاع الماء حتى يبلغ ٧٠ مترا ثم يتقدم ويبنى مع جنوده أجزاء الكوبرى ويظل قادرا على عطاء اكبر طاقات النشاط لدى الانسان حتى يصاب بطلقة دبابة اسرائيلية استطاعت التسلل الى المصاطب واطلاق داناتها على عمالقة كبارى وجسور العبور ، وكان « فتحى الصراف » في مقدمتهم بالقنطرة شرق ، حين جاد بحياته ، وقبل لحظة استشهاده وهو جريح بين ايديهم ، سأل احد المقاتلين من رجاله :

ـ هل عبرت الدبابات ؟

ـ عبرت فعلا ودمرنا الدبابة التى اعتلت المصطبة وأطلقت عليك



البطل شنوده



البطل عبد الجواد

نيرانها . وجئنا بقائدها اسيرا ..

● وقال الشهيد قبل ان يغمض عينيه وفمه الى الابد .

ـ « المهم الكوبرى سليم ؟ .. لازم يبقى سليم حتى النهاية .. الكوبرى يا رجاله » ..

● بطل ثان من المهندسين ، نبيه جرجس ابن مغاغة الذى اشترك فى قتال العدو داخل حصون بارليف بالرشاش ، واسهم فى فتح ثغرات الالغام بحقول الغام العدو بالضفة الشرقية ، وتولى قيادة العمل فى تجريف الساتر الترابى للعدو بطلمبات المياه التوربينية وكان واحدا ممن فتحوا ٣ ثغرات امام كل جسر عبور حتى يختار المهندسون الفتحات التى تتفق ومعداتهم ، عمل اضافى بطولى قام به « نبيه جرجس » بكل التطوع والرغبة حتى استشهد مع أول ضوء يوم ٧ اكتوبر ١٩٧٣ وهو يحمى رجاله الجنود بجسده تحت قصف طيران العدو ويطلب منهم الابتعاد عن منطقة الخطر الذى لم يرهبه قط . وقد استقبله فوق أحد جسور العبور ليروى بدمه القطع الخشبية الصماء من الكوبرى فيرفع الجنود حولها ستارا من الحبال ولافتة خشبية تحمل اسم العملاق نبيه جرجس ابن الرابعة والعشرين ربيعاً .

● لقد ولد عام ١٩٤٢ ، وتخرج فى كلية الهندسة عام ١٩٦٩ وفى نفس العام ، انضم الى سلاح المهندسين ، وكان مثال المقاتل العملاق خلال حرب الاستنزاف وعبور قواتنا الى سيناء ثم عودتها وسط حقول الالغام ، وظل قريبا من قائد قوات الكبارى البطل الشهيد لواء احمد حمدى ، لكفاءة المقاتل مهندس نبيه جرجس وعقليته الهندسية الراقية ، ولما قام به من بحوث وتجارب ذات نتائج علمية طيبة استخدمتها وحدات كبارى العبور فى حرب رمضان .

● وبطل ثالث هو « التميمى » الذى ظل يرمى الالغام امام مدرعات العدو دون رهبة او خوف .. الذى خاف هم جنود العدو ، خافوا « التميمى » وبضعة من جنوده لا يرهبون نيران اسرائيل ويحاصرون بالتمى جراة مدرعاتها بالالغام ..

● لقد دخل « التميمى » منطقة تمركز دبابات اسرائيل ورمى الغامه امامها ، ولم يفصله عن منطقة القتل غير ٢ كيلو متر فقط ، وحين اشتعلت النيران بين دباباتنا ودبابات اسرائيل لم يتوقف التميمى ، ولم يتراجع ، ولم تنخفض يداه الى جانبه ، فتح رشاشه والقى الغامه امامه ومضى بجسده طليعة للمشاة من رفاق السلاح ، يفتح الطريق ..

د. عبد الرحمن زكي

خط بارليف

من البداية الى

● تطورت أساليب التحصينات وبناء القلاع منذ قرون ويحتمل ان يكون نهوضها المبكر قد تم بفضل عبقرية الرومان والبيزنطيين والعرب من بعدهم .. ولا شك أن مراحل تطور الحصون سارت فى محاذاة تقدم انواع السلاح والعتاد الحربى حتى بلغت ذروتها المعمارية فى القرنين الثالث عشر والرابع عشر بعد أن أكتشف البارود ، وأصبحت له طاقة مدمرة يعمل حسابها . فمنذ ذلك الحين ، لحق ببناء الحصون أساليب جديدة بلغت ذروتها فى القرن

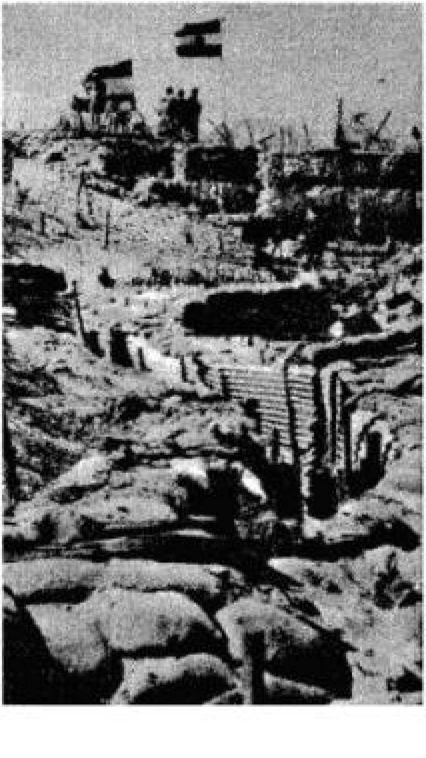
عرف قدماء المصريين والاشوريين وغيرهم ممن اتوا بعدهم اهمية الحصون والدور الذى تلعبه حتى لتصبح بناؤها من بين العلوم الحربية التى يجيدها رجال الهندسة العسكرية ...

والحصون اما ان تقام بصفة دائمة واما بصفة مؤقته فى زمن الحرب . وتقام القلاع لغرضين رئيسيين اولهما للحصول على اكبر قدر من الفوائد المترتبه على قوتها المنيعة واسلوب تسلحها ، وثانيهما لمنع العدو من استخدام ما يمتلكه من مصادر المنعة على اكبر نطاق فان الحامية المدافعة تكون الى حد ما فى حماية حصونها، فى الوقت الذى تعترض الهاجمين وتعطل تقدمهم ، فلا تتحقق اغراضهم الا بعد انزال الخسائر بهم ..

الثامن عشر قبل كشف المتفجرات التي استحدثت في القرنين الاخيرين ، ومنها على سبيل المثال : قطن البارود (١٨٤٧) والنتروجلسرين (١٨٦٥) والديناميت (١٨٦٦) ، والباليستيت (١٨٨٨) .

وبالرغم من تطور المفرقعات المدمرة فقد لعبت الحصون اثناء الحرب العالمية الاولى (١٩١٤ ـ ١٩١٨) دورا هاما في كبح تقدم الجحافل الالمانية ضد فرنسا بعد مرحلة التقدم الالماني السريع خلال الاعوام ١٩١٤/ ١٩١٦ ، ويرجع ذلك الى ما اقامه

النهاية



الفرنسيون من التحصينات القوية في المواقع الاستراتيجية في « فردون » و « بيلفورت » و « دوامونت » . ومن المحتمل انه كان للدور الهام الذي قاومت تلك الحصون هجمات الالمان عدة سنوات ذلك التأثير الكبير الذي جعل رجال القيادة العليا الفرنسية يقدرون اهمية الدفاعات الثابتة ، فاقاموا خط الدفاع المنيع المشهور بخط « ماجينو » في اثناء الثلاثينات من هذا القرن او بالتحديد اثناء الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ ـ ١٩٤٥) ، بيد ان الفرنسيين في الوقت نفسه لم يعطوا الاهتمام الى ما استحدثه الالمان في اساليب القتال والاعتماد على سرعة المناورة والحركة بوساطة الدبابات المدرعة التي تعتمد الى حد كبير على المدفعية الطائرة اي قاذفات القنابل .

● معارك الحصون بين العرب والصليبين ●

انرك العرب اينما جاهدوا ، فائدة الحصون والقلاع ، فشيدوا كثيرا منها في الاماكن الهامة .. في اقصى شمال بلاد الرافدين ، وفي الشام ، وعلى سواحله المطلة على البحر المتوسط . بل وامتداد تلك السواحل في شمال القارة الافريقية ، وفي صميم الاندلس .. وما زالت اطلال هذه الحصون شامخة الى يومنا هذا تروي احداث الجهاد والبطولة .

● في الشام ، تتناثر الحصون والقلاع بشكل يدعو الى الدهشة ، وكثير منها شيد على ايام الحروب الصليبية وما قبلها ، بين جزيرة فرعون في شمال خليج العقبة ، وسلسلة جبال النوصيرية في شمال سورية . ومع ان بعض تلك الحصون قد شيد على بقايا قلاع الرومان والبيزنطيين والعرب قبل الغزو الصليبي بمئات السنين ، فان ما بني

خط بارليف

منها اثناء الحروب الطويلة فى جبهات المسلمين والفرنج زاد على ما شاهدته تلك البقاع من قبل ، سواء فى ضخامة العدد او من ناحية الاسلوب المعمارى .

● شيد العرب والصليبيون عشرات القلاع ، فهم لم يتركوا مضيقا او سفح جبل يشرف على واد او نهر دون ان يبنوا قلعة تشرف على هذا او ذاك ، ولم يتركوا مدينة دون أن يشيدوا فى خارجها ، أو على الجبل الذى يشرف عليها حصنا منيعا .. لقد غصت سورية وفلسطين وشرق نهر الاردن ، فى الصحراء الجرداء بعشرات الحصون التى اتسمت جميعها بروح الابتكار والانسجام مع شكل ارض البلاد ، ولقد تمكن المحاربون أن يؤلفوا من الحجارة تاريخا للعمارة الحربية فى القرون الوسطى ، وتاريخا حربيا أيضا .

ولو انك أيها القارىء الكريم ، قمت بجولة لزيارة تلك الحصون التاريخية من شمال سورية الى اقصى النقب جنوبا ، ومن الشرق عند الفرات الى ساحل البحر الابيض لادركت فى الحال ذلك الدور الهام الذى نهضت به تلك الحصون والتى نشبت فوق ارضها اعنف المعارك بين الشرق والغرب .

والشاطىء السورى اللبنانى منذ القدم وقبل ان يجىء الصليبيون يتمتع بمواقع استراتيجية ممتازة استرعت انتباه الحربيين ، فان الجغرافى الرحالة الادريسى المغربى (ت ١١٦٦ م) لما زار تلك البلاد قبل ايام الصليبيين ، ذكر ثلاث قلاع بين صيداء وبيروت ، وست عشرة قلعة بين بيروت واللاذقية فى الشمال ! .

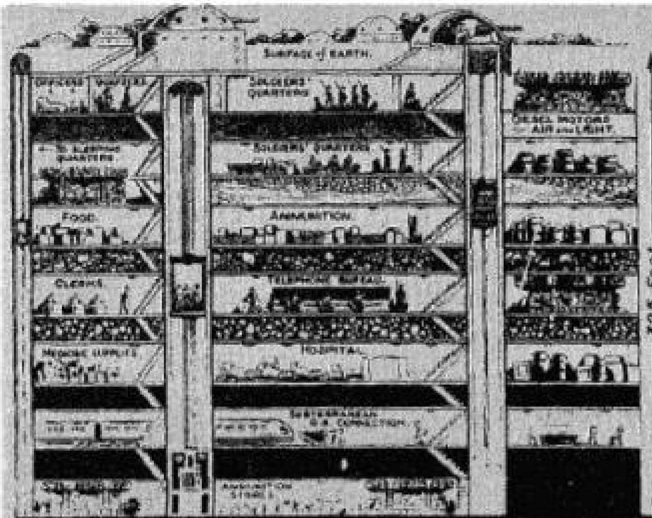
●●●

● كان أول الحصون التى اقامها الصليبيون فى سوريا – حصن صافيتا وهو يعرف ايضا بالحصن الابيض – اقاموه سنة ١١٠٢ م من اجل السيطرة على مخاضة نهر الاردن فى اقصى شمال سورية ، ثم شيدوا قلعة تورون عام ١١٠٧ م ، ثم قلعة الشقيف اقوى الحصون السبعة التى بنيت لحراسة حركة الحج بين يافا وبيت المقدس ، وقلعة الحبيس جالدق ذلك المعقل لمراقبة نهر اليرموك ، وقلعة الشوبك (مونتريال) التى شيدت حوالى عام ١١١٥ م جنوب البحر الميت لتهديد المواصلات الصحراوية بين مصر ودمشق . وقلعة سكاندا ليون (١١١٦م) جنوب صور ، واخيرا قلعة فرعون التى تشرف على شمال خليج العقبة

● وفى مرحلة ثانية شيد الصليبيون قلعة الصليبية فوق جبل الشيخ ، وذلك من أجل سد الطريق بين دمشق واعالى نهر الاردن .. وفيما بين عامى ١١٣٧ و ١١٤٢م شيدوا حلقة قوية من الحصون فى الجنوب الغربى من عسقلان تضم حصن الحارس الابيض وارلين، وبيت جبلين ، ثم بنوا أيضا قلعة شقيف ارنول ، (بوفورت) المنيعة على أحد الجبال المشرفة على نهر الليتانى . وبعد اربع سنوات شيد الصليبيون قلعة كرك مؤاب (١١٤٠ / ١١٤٣) شرق البحر الميت وتمتاز بمنعتها العسكرى ، وشيدوا فيما بعد قلعة بلفوار المعروفة باسم كوكب الهواء .

● حصن الفرسان والظاهر بيبرس ●

● وفى احدى فترات الضعف استولى الصليبيون على حصن

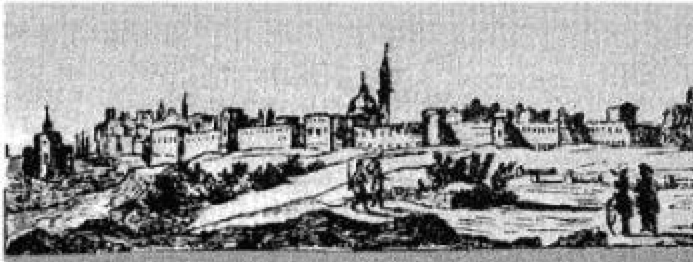


قطاع رأسى لموقع من خط ماجينو المنيع

الفرسان المنيع (١١٠٩ م) ثم اخذ فرسان القديس يوحنـــا على عاتقهم (١١٤٢ م) الدفاع عنـــه ومن ثم عملوا على دعم تحصينه فأضافوا اليه الاسوار الخارجية وعدة ابراج، وفى ذلك الاثناء حاول كل من السلطان نور الدين محمود وصلاح الدين الايوبى الاستيلاء عليه ولكنهما لم ينجحا ، وكان لهؤلاء فى الحصن حامية قوامها الفا رجل فتمكنوا من اجبار أمراء حمص وحماة على دفع الجزية مقابل السماح لهم بمرور قوافلهم .

● ولما اقبل عصر السـلاطين المماليك ، عقد السلطان الظاهــر بيبرس العـــزم على الاستيلاء على هذا الحصن هذه وكـان عازما على تحرير الشام من الصليبيين الغزاة ، وتمكن السلطان الشجاع أن يحاصر الحصن وهو على رأس فرسـانه الاشداء فأحكموا الحصار جيدا وجعلوا الاقامة فى الحصن امرا لا يطاق .

وفى يوم ١٩ رجب عـام ٦٦٩ هـ (٣ مارس ١٢٧١) هجم الظاهـر بيبرس على الابراج الخارجية بقـوة وعنف حتى الحقوا فى فاتح ثغرة فى السور ، واستولوا على برج المدخل .. وفى الخامس عشر من مارس استولى المحربون على البرج الثانى ثم اقتحم بيبرس فى التاسع والعشرين من ذلك الشهر طريقه الى سـاحة



اسوار وابراج عكا الحصينة من الشرق عام ١٧٩٩

الحصن ، واقام فيها المجـــانيق لمهاجمة البرج الكبير ، واستطاع في الثامن من ابريل ١٢٧١ ان يجبر المحاصرين على التسليم · ومن ثم سمح لهم بالتوجه الى مدينةطرابلس ·· أما السلطان فقد مكث فيها بعض الوقت ليباشر شخصيا اعادة تعميرها بعدما اصابها من الخراب ·

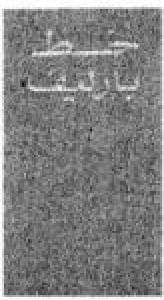
وعلى جدران الحصن نقوش عربية كثيرة تشهد بما مر بها من الاحداث الهامة ، ونقرأ منها : « بسم الله ·· امر بتجديد هذا الحصن المبارك في دولة مولانا السلطان الملك الظاهـر العالم العادل المجاهد المرابط (المؤيد) المظفر المنصور ركن الدنيا والدين بيبرس قسيم أمير المؤمنين ، وذلك بتاريخ نهار يوم الثـلاثاء خامس وعشرين من شعبان سنة تسع وستين وستمائة ···

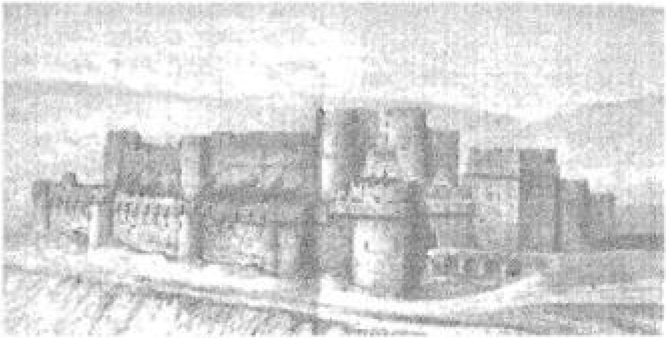
● معـركة تحـرير عـكا وخليــل بن قــلاوون ●

(٦٩٠ هـ ـ ١٨ مايو ١٢٩١)

تلك هي نهاية مرحلة الحـروب الصليبية في الشام ، ففي الخامس من ابريل ١٢٩١ وصل السلطان خليل بن قلاوون الى عكا على رأس قـواته من المصريين وفرض حصــاره عليها وبدأ رجاله في ضرب أسوارها بالمجانيق · وكان الصليبيون قـد حشدوا جيوشهم وبحارتهم للدفاع عن الثغر والحصن وبعد ان وصل اليها همفري الثاني ملك قبرص على رأس فرسانه ···

● اشتدت هجمات المسلمين على عكا يوم ١٨ مايو ونجحـوا في اقتحام بعض اجزاء الاسوار رغـم دفاع المقاومين وأدرك الصليبيون ان لا مفر من هزيمتهم ، فهـرعوا الى سفنهم هاربين للنجاة بأرواحهم بعـد ما تحملوه طوال مدة الحصـار ··· وأخيرا سقطت عكا في ايدي الجنود المصريين ، وسرعان ما احتل





حصن الفرسان « سوريه » حيث اقتحمه القاهر بيبرس

المماليك قلعة صور دون مقاومة (١٩ مايو) ثم صيدا وخربوا قلعتها (١٤ يوليو ١٢٩١) ثم حيفا ..

● حصون عكا تستسلم مرة ثانية للمصريين البواسل ● (١٨٣٢)

● قهرت حصون عكا المنيعة نابليون القائد الفرنسي الفذ حينما حاصرها برا بقواته وبحرا بأسطوله فقد استطاع حاكمها الجزار باشا وبمعاونة السفن البريطانية المعقودة اللواء للسير سيدني سميث أن يصمد في الدفاع عن عكا قرابة ستين يوما وعند ذلك اضطر نابليون الى الانسحاب بعد أن أخذ الطاعون يفتك بجيشه . وما زالت لوحات المقابر على جبل الكرمل تحمل أسماء الضحايا الفرنسيين .

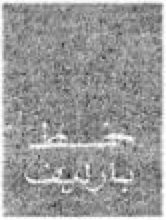
● كانت عكا محصنة بأسوار منيعة وتحميها عدة ابراج من الشرق والشمال . اما من جهة البحر فكانت الاسوار اقل متانة من الاسوار القائمة من جهة البر وكانت جميع الحصون في حالة جيدة . وقد تألفت حامية عكا (المدينة والقلعة) من قرابة ثلاثة الاف مقاتل ومعهم مدفعية قوية وكميات وفيرة من الذخيرة والمؤن والطعام والمياه تكفي الحامية لحصار طويل . وفي يوم ٢٦ نوفمبر ١٨٣١، استهل القائد المصري ابراهيم حصار عكا ، فاستبسلت حاميتها في الدفاع عنها ، وقد امتاز العكاويون ومن معهم بروح قتال وبمعنوية عالية الى نهاية القتال وانتصرت حامية بعض الابراج على المصريين ، مما حدا بابراهيم ان يطلق نيران مدفعيته عليها اياما لكن دون جدوى . وقد تمكن المصريون بالرغم عن شدة مقاومة الحامية من فتح ثغرتين في الجهة الغربية من السور ، وأمطروا المدينة وابلا من القنابل والرصاص ، برا وبحرا . فخربت المدينة ومات كثيرون من رجالها، ومع ذلك واصلت الدفاع بشجاعة ، وصبت المدافع المصرية النيران على اسوارها ونجحت في فتح ثلاث ثغرات لكن دون اثر ، وانقضت ثلاثة اشهر دون معارك تستحق الذكر ، فارتأى القائد ابراهيم الصمود قبالتها ، بينما تقدمت بعض وحداته واستولت على صور

وصيداء وبيروتوطرابلس فى الشمال .. وهكذا رأينا ان الاستيلاء على عكا لم يكن بالأمر اليسير ، فهى التى صمدت امام عبقرية نابليـــون ورجاله ..

● مرت شهور أمام شـــجعان ابراهيم ولم تسقط عكا فى ايديهم ، ولم تكن منعتها هى الصعوبة التى قاومت قائدنا وحسب،بلكانت الخطة التى انتهجها الباب العالى مائدا ، فقد كان السلطان يصب على محمـــد على وابراهيم اللعنات ويسلط عليهما سيلا من فتاوى الاسلام ـ وهـذا له اثره على الروح المعنوية للمدافعين عن عكا وغيرها ..

● عاد ابراهيم بعـــد ان اطمأن للموقف العسكرى فى الشمال وداخل فلسطين ـ عاد الى عكا فى ٢٧ مايو ١٨٣٢ وحمل عليها حملة صـــادقة اشرف عليها بنفسه ، وكان يتطلب من رجاله أن يكونوا مثله صـــناديد لا يرهبون الموت ، وظلت المعارك ساعات ، فلما آذنت الشمس بالمغيب، حمل ابراهيم على المدينة حملتـــه الاخيـــرة ولكن أبدى المدافعون من ضروب الجسارة والمقاومة مثلما أبدوه فى ظروف سابقة ، بيد ان شجاعة حاكمها عبد الله الجزار لن تغن عنه شيئا. وفى فجر ٢٧ مايو عقب شروق الشمس ، صدر أمر القـائد ابراهيم بمعاودة الهجوم ، ومواصلة القتال، وبينما كان الليل يرخى سدوله على جدران عكا وأســـوارها ، سقطت المدينة البطلة فى قبضة المصريين .. فقد كان نصرا عظيما من الله ... وانطلق الجنود فى قلب عكا فى الوقت الذى كان فيه القائد أبراهيم يستقبل عبد الله الجزار ويؤمنه على حيـاته ويتلقـــاه بمـــا هو خليق بمقـامه وبطولته ..

ومرت الاعوام بعد الاعوام .. حتى هدد مصر عدو من طراز آخر .



● الحصـــون فى الحـــرب العـــالميـــة الاولى ●

● وفى أثناء الحرب العالميـــة الاولى (١٩١٤ ـ ١٩١٨) شـاهدنا أسلوبين من التحصينات من قـــلاع حصـــينة ضخمة لحمـــاية المدن الاستراتيجية ، وخطوط دفاعيةلحماية الجبهات تدعمها المدفعية القوية للرد على ضربات الخصم واعاقة حركتـــه والعمل على تأخير تقدم مدفعـــية الميدان . ومن أهم شبكات التحصينات الاوربية ما اقيم منها حول « فردون» و « بلفورت » (فرنســـا) ، وعلى هضاب « فولجـاريا » و « لافارون » فى النمسا عام ١٩١٤ ، ولكن كيف أدت تلك الحصون واجباتها أمـــام التقدم الالمانى الكاسح ؟ ..

● سرعان ما تداعت الحصـــون العظمى التى سلطت عليها المدفعيـــة الالمانية الضخمة عام ١٩١٤ وهـــوت أمام انقضاض مدافع الحصار ذات الاعيرة الكبيرة التى كان لا يتوقعها أحد ، فقد جلب الالمان مدافع الهاوتزر الكبرى بوساطة السكك الحـــديدية ودمروا بها حصـــون لييـــج ونامور وأنفرس (بلجيكا) وفتحوا الطريق أمام الجيوش المتدفقة ، ومع ذلك ففى أثناء تقدم جحافل الجنرال فالنكهاين الالمـــانى على فردوين عام ١٩١٦ ، قاومت الحصون الفرنســـية ملايين القنابل العالية الانفجار وســـدت الطريق أمام الاعداء عدة شهور دون أن تنال منها شيئا ، فاســـتعادت

الحصون ثقة الخبراء فيها بالرغم من سقوط حصن « داوومون » التيع وقد حدث هذا عن طريق الاهمال ، بينما ظلت دفاعات فردون سليمة ترد على مهاجميها دون وهن، ومن المحتمل ان يكون هذا النصيب الموفور من النجاح الذى احرزته « فردون » هو الذى دفع بعض المفكرين في الجيش الفرنسي الى الاخذ بمذهب الدفاع القوى في الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ ـ ١٩٤٤) فنهضت مدرسة ماجينو ، وانشأت خط ماجينو فيما بين الحربين العالميتين • فمن هو صاحب هذا الاسم ؟

●خط ماجينو الفرنسى ●

● اندريه ماجينو (١٨٧٧ـ١٩٣٢) سياسي فرنسي كان في طليعة المعنيين بانشاء خط ماجينو الدفاعي ـ درس العلوم السياسية والقانون ثم التحق باحدى وظائف الخدمة المدنية حتى تولى منصب احد المساعدين للحاكم عام الجزائر سنة ١٩٠٧ ، وفي عام ١٩١٠ ترك ماجينو خدمة الحكومة للعمل بالسياسة فانتخب عضوا في مجلس النواب ، وفي عام ١٩١٣ عين وكيلا في وزارة الحرب الفرنسية، ولما اشتعلت الحرب العالمية الاولى التحق جنديا في الجيش واصيب بجرح اقعده بعض الأعوام • ولما شفي عام ١٩١٦ استأنف ماجينو عمله السياسي عضوا في مجلس النواب فوزيرا للمستعمرات والمعاشات في ست وزارات متعاقبة وفي خلال توليه منصب وزير الحربية (نوفمبر ١٩٢٩ ـ يناير ١٩٣١) أعاد تنظيم الجيش وتشييد خط ماجينو وكان من أشهر المتحمسين له • وكان الجزء الرئيسي منه يمتد شمال شرقي الحدود الفرنسية • وبعد وفاته امتد في محاذاته اجزاء اخرى في اتجاه الشمال الغربي من فرنسا •

وقد روعي في بناء هذا الخط الدفاعي جميع المستحدثات الفنية التي عرفها العالم الحديث في تشييد الحصون والقلاع الحربية فقد اشتمل على المئات من الحصون والقلاع المبنية تحت الارض وكان مؤلفا من طوابق كثيرة مشيدة بالاسمنت المسلح والصلب القوى ، يقوم فيها الجند بجميع اعمالهم الحربية والفنية •• بسهولة ودون اية مشقة • وما انتهى بناؤه حتى أصبح اعجوبة الاعاجيب • ولكن ماذا يا ترى كان مصيره ؟ وهل أدى الواجب على خير وجه ؟ •

الرد على هذا السؤال : لا للاسف فقد تجاهله الالمان في تقدمهم الرائع الى شمال فرنسا عام ١٩٤٠ ، والتفت القوات الالمانية حوله عن طريق بلجيكا وهولندا ، ولم يعنوا به كما توقع الفرنسيون وقد اعتبرته فرنسا درعها الواقية دون ان تعتمد ايضا على سيفها البتار • اما الالمان فقد عرفوا كيف يستخدمون ضده وحداتهم المدرعة الحديثة، ومدفعيتهم ووحداتهم الخفيفة الحركة ، وقوات رجال مظلاتهم الذين كانوا يهبطون فوق ابراج مدفعية الخط المنيع ويبطلون عملها بنسفها • وموجز القول •• ابطلوا مفعوله في ساعات تماما ، كما صنع ابطالنا في خط بارليف في ساعات قليلة • بعد ان استكمل الاسرائيليون بناءه ست سنوات !

● استغرق بناء خط ماجينو سبع سنوات ايضا (١٩٢٩ ـ ١٩٣٦) واستخدمت فيه ١٫٥٠٠٫٠٠٠ متر مكعب من الخرسانة الاسمنتية ، و ٥٠٫٠٠٠ طن من الواح الصلب ، آلاف الاميال من الممرات الواسعة المضيئة وعمل في بنائه ١٥٫٠٠٠ عامل تحت اشراف مائتين من المهندسين الحربيين ، وانفق عليه ما لا يقل عن سبعة مليارات من الفرنكات ••

فماذا كان موقف الالمان من نظرية الدفاع الفرنسية التى كان لها معارضون

من قادة الفرنسيين انفسهم وعلى رأسهم الجنرال ديجول·· ولكن ذهبت معارضتهم فى الهواء ·

● خط سيجفريد الالمانى ●

فى الوقت الذى عنى فيه الالمان ببناء خط سيجفريد الحصين (سيجفريد اسم بطل المانى اسطورى) اهتموا ايضا بقوة ضاربة تعتمد على الدبابات الثقيلة السريعة الحركة ، وعلى اسطول جوى من القاذفات والمقاتلات ، وموجز النظرية الالمانية تتلخص فى الوقاية بوساطة الدرع (وهى الحصون) والسيف (وهو سلاح الهجوم الحاسم) ·

● كتب العسكريون والصحفيون كثيرا عن خط سيجفريد ، ويعنينا بصفة خاصة ما ذكره الجنرال الالمانى جاكوب مفتش عام المهندسين العسكريين الذى اشرف على بناء هذا الخط فهو يقول عن الحائط الغربى :

● اشترك فى بنائه قرابة نصف مليون شخص وكان يواجه الخط الفرنسى ، وقد بدىء فى اقامته عام ١٩٣٦ ومع ذلك فقد قيل انه لم يشيد الا فى سنة ١٩٣٨ بأمر هتلر ، وكان العاملون يتناوبون العمل فى جماعات كبيرة ، لا تقل الجماعة عن تسعين الفا ، بالاضافة الى عمال السكك الحديدية · وجنود سلاح المهندسين، وقد اقيمت لهم قرابة مائتى معسكر كبير ، واستخدم ما لا يقل عن خمسة الاف لورى وسيارة لتنقلاتهم ، وقد استخدمت فى بناء الخط الحصين اكثر من ستمائة الف متر مكعب من الاخشاب ، مما اثر على بعض الصناعات المدنية · وثلاثة ملايين لفة من الاسلاك الشائكة امتدت على مدى مئات الاميال حول الخط واستعملت ستة الاف عربة نقل سكك حديدية يوميا وفى بعض الاسابيع ارتفع هذا الرقم الى تسعة الاف ·· وبلغ امتداد عرض بعض اجزائه خمسين كيلو مترا (يعبر عنه العسكريون بالعمق) ، وقد امتد بالقرب من الحدود البلجيكية الى بلدة ايفل ووادى السار بامتداد نهر الراين حتى الحدود السويسرية ، وقد اشتمل الخط على حوالى ٢٢٫٠٠٠ برج للمدافع بالاضافة الى المكامن والمخابىء المزودة بالمواد المتفجرة وكانت حصون الخط مجهزة بوسائل الوقاية من انواع الغازات وخطوط المواصلات تحت الارض وعنابر النوم والعمل وكانت جميع الاسقف قد شيدت لتقاوم اشد المتفجرات ·

● خط بارليف الحصين ●
(٦ اكتوبر ١٩٧٣)

● اقام الاسرائيليون فى اطار خطتهم الاستراتيجية العامة، الحصون والمواقع والخطوط الدفاعية المنيعة فى الاماكن الهامة بسيناء ، وجعلوا منها فى الوقت نفسه مراكز حشد للرجال والعتاد يحركونها كيفما ارادوا لمقتضيات القتال · ومن اقوى واهم تلك الخطوط الحصينة كان خط بارليف (كان بارليف فى وقت ما رئيس اركان حرب قوات العدو المسلحة) ·

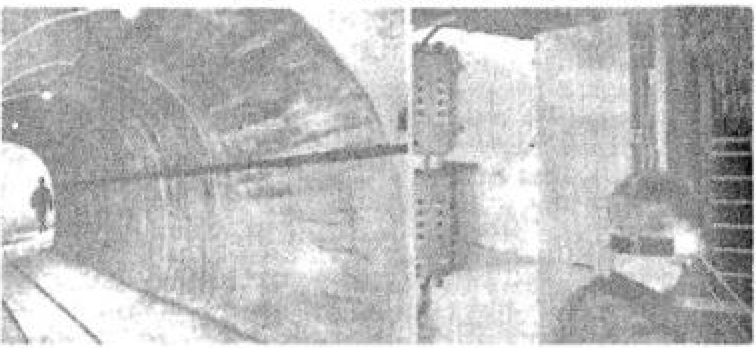
تألف خط بارليف هذا من قرابة خمسة وثلاثين موقعا حصينا تمتد حوالى ٨٠ كيلو مترا على طول الضفة الشرقية لقناة السويس ، من جنوب بور فؤاد شمالا حتى بلدة الشط عند مدينة بور توفيق جنوبا · وهذه المواقع الحصينة يفصلها عن

مياه القناة سد ترابي مرتفع عمل العدو طويلا على مدى سنوات في زيادته والارتفاع به ، وهذه المواقع المنيعة تشبه القلاع الحصينة التي تتوافر فيها كل ما يحتاج اليه المقاتل في الحرب . يمتد الموقع على مساحة تقرب من الفدان ، ويشبه مدينة صغيرة شقت تحت الارض تربط اجزاءها ممرات مختلفة . ثم صبت جدران الاسمنت المسلح لتفصل الاجزاء المختلفة بعضها عن بعض ، وغطت المساحات بسقوف مسلحة تدعمها القضبان الحديدية ، وتعلوها اكياس الرمل ثم يغطيها الردم الترابي من فوقها · ومن اقسام الموقع صالة طعام كبيرة ، ومواقع للمراقبة مزودة بنظارات كنظارات الغواصات حيث « البرسكوب » ينقل الى المراقب كل ما يشاهده امامه فوق سطح الارض !

وشاهد هذا الخط كثير من المراسلين الحربيين والخبراء ، وتحدث اكثر مراسلينا الاكفاء عن تسليح الخط : « تسليح الموقع قوى ومنيع ·· فيه من الانواع المدفعية ما توجه فوهاتها الى غرب القناة ومنها ما يتحرك شرقا او غربا حسب الاحوال ·· وفيه مخازن للذخيرة وملاجيء للدبابات بعيدة عن مرمى النيران وامامه منزلق يصل من مكمن الدبابة تحت الارض وسطح الارض · يشير كل شيء داخل الموقع الى انه أعد لأحوال الحصار الطويل الامد ، فيه ما يكفي شهورا من الذخيرة والتموين والماء ، كميات من الطعام الجاف تكفي ثلاثين فردا لمدة شهر ، وأجهزة اللاسلكي والراديو وادوات التسلية والكتب والمجلات وصناديق زجاجات المرطبات ··· الخ ··

ان مواقع خط بارليف عبارة عن مدن محصنة صغيرة تحت الارض ، تكلفت عمليات بنائها ما لا يقل عن ثلاثمائة مليون دولار ، اضف اليها المعدات والاسلحة والذخائر والرادار ·· فضلا عن اعمال الصيانة المستمرة ·· وتحتوى على افران تعمل بالبوتاجاز ، والحمامات ومحطات توليد الكهرباء وضخ المياه والسوائل

خط دفاع سيجفريد الالماني المواجه لخط ماجينو الفرنسي
اليمين : غرفة شبكة المواصلات السلكية في احد اجزائه
اليسار : نفق تحت الارض يربط اجزاء خط سيجفريد المنيع



خط بارليف

المنتهية ..

● لندخل موقعا من مواقع خط بارليف : فبعد أن نمر ببعض الدهاليز وننزل بعض الدرج ، ونسير عبر بعض الممرات نصل الى واحد من العنابر الفسيحة المعدة لنوم الافراد بنظام وراحة ، وفى أحد الامكنة تقابلنا غرفة الطعام (الميس) الواسعة المزودة بجهاز سينما ، ثم نمر بكثير من غرف المعيشة والجلوس المزودة بأجهزة الراديو وأدوات اللعب ...

وفى مكان آخر نمر بغرفة القيادة وهى فى الوقت نفسه غرفة عمليات مزودة بالتليفونات والوسائل اللاسلكية ، ثم المطابخ المزودة بالأفران والثلاجات .. ثم المستشفى الصغير والعيادة الطبية والصيدلية .. وقد وضع ترتيب يتيح نقل الجرحى فى هذه المواقع بوساطة الهليكوبتر .

● والجدير بالذكر ان جميع مواقع خط بارليف جهزت بوسائل الوقاية من الحرب الكيميائية ، كما احيطت بحقول الالغام المضادة لأثقل الدبابات والعربات المصفحة والافراد ومحاطة بالأسلاك الشائكة . وبالرغم من هذه المناعة القوية استولى مقاتلونا الشجعان على مواقع خط بارليف جميعها فى وقت لا يتصوره العقل وسقط معظمها بعد ساعات قليلة من بدء عمليات عبور قناة السويس .. فكيف تم لهؤلاء الشجعان ذلك ؟ صحيح ان بعض المواقع تم اقتحامها بسرعة نادرة ، بيد أن معظمها أيضا قد وقع فى قبضة جنودنا فى أعقاب قتال مرير وخسائر فادحة وشجاعة فائقة ...

ولنضرب مثلا ما حدث من استسلام موقع من المواقع وليكن النقطة الحصينة التي تقع أمام لسان بور توفيق . فبعد ان عبرت الوحدة العسكرية المكلفة بعملية الاقتحام ، قناة السويس وتسلقت ثم تركت المانع الترابي حاصرت الموقع نتيجة عملية تطويق محكمة ، واستطاعت الوحدة أن تشل حركة العدو داخل الموقع ، وتمكنت القوات المهاجمة من الخلف ان تدمر للعدو عددا من الدبابات وابراج المدافع والمعدات الموجودة بالموقع ، وبتوالى تدفق القوات الى سيناء أصبح الموقع محاصرا تماما من شماله وجنوبه ، ومن ثم كان اقتحامه امرا ميسرا لشجعاننا . والجدير بالذكر انه كان لعامل السرعة والدقة فى التخطيط والتنفيذ ، وتنسيق العمل بين مجموعات المقاتلين وتعاونها نتائجها المباشرة فى ارباك قوات العدو فى المواقع وشل فاعليتها ، بل وارغامها ايضا على الفرار أو التسليم .

● الساعات الاولى من رمضان – ٦ اكتوبر ١٩٧٣ ●

● لنتصور الساعات الاولى من معركة العبور (الشرارة) أو العملية الهجومية – بدر – التي استهدفت اقتحام قناة السويس والاستيلاء على رءوس الكبارى وتعزيزها

بدأ القتال الساعة الثانية والدقائق الخمس بعد الظهر – عبرت طائراتنا الخطوط الامامية للعدو شرق القناة – ضربة جوية مفاجئة عمادها ٢٠٠ طائرة ضد أهم اهداف العدو (مطارات ، قواعد جوية ، مواقع صواريخ ، مراكز القيادة ، محطات



اطلال حصن استدرى فى ابى قير « ١٨٨٢ »

وادارية ، مناطق شئون ادارية ، بالاضافة الى حصون بارليف شرق بور فؤاد) . وكانت ضربة جوية موفقة ،

● كانت مدفعيتنا الميدانية فى الوقت نفسه ، تزار نيرانها بشدة على طول جبهة القناة ... اكثر من الفى مدفع وهاون ، بالاضافة الى لواء صواريخ تكتيكية ، ظلت تزار ٥٣ دقيقة على حصون خط بارليف المنيع، ونقطه المنيعة وتجمعات دبابات العدو

وتحت ستار هذه النيران الكثيفة عبرت جماعات الصاعقة لتبث الالغام فى مصاطب دبابات العدو لتشل حركتها بالكامل لكى تمنعها عن التدخل فى التحام قواتنا لقناة السويس (١)

وبعد ساعتين ودبع بدات الموجات الاولى لخمس فرق مشاة وقوات قطاع بورسعيد فى اقتحام القناة بوساطة قرابة الف قارب اقتحام . وبعد دقائق كان الثمانية الاف جندى قد وضعوا اقدامهم على الضفة الشرقية لقناتنا ، ويصيحون بأصوات مجلجلة الله اكبر ... الله اكبر ...

واخذ هؤلاء الشجعان فى تسلق الساتر الترابى العالى ، واقتحام دفاعات العدو الحصينة ... تم كل هذا قبل مرور ساعتين ! وسرعان ما خفقت اعلام مصر الظافرة فوق سيناء . فارتفع أول الاعلام فى الساعة الثانية والنصف فى اطار واجبات هجوم الجيش الثالث الظافر ثم فى الساعة الثانية والنصف وسبع دقائق فى اطار هجوم الجيش الثانى الظافر ... سبب ذلك الظفر المبين طاقة معنوية ضخمة للقوات التالية فاتمت عملية العبور فى زمن اقصر . وفى الوقت نفسه اخذت الكتائب البرمائية فى عبور البحيرات المرة من جنوبها ، وبحيرة التمساح .

● وسرعان ما قامت القوات بحصار مواقع العدو ونقاطه القوية ، ومراكز مقاومته واخذت فى مهاجمتها وتدمير تحصيناتها ، فسقطت اول حصون العدو ـ الموقع رقم ١ فى منطقة القنطرة شرق ـ فى الساعة الثانيةو٤٦ دقيقةبعد الظهر لتصارت الحصون تتهاوى كاوراق الشجر ـ الواحد بعد الواحد ، فى الوقت الذى كانت قواتنا تصد وتدمر هجمات العدو المضادة محليا ... وحدث كل هذا فى اقل من ثلاث ساعات فقط ! .

● نصر تام ليس له مثيل فى تاريخ الشعوب الحربى ... نصر مجيد لمقاتلينا احفاد أبطال معارك : حطين ، وعكا ، وحصن الفرسان ، وعين جالوت ...

وكفى مقاتلونا الابطال فخرا ، انهم حطموا اسطورة اسرائيل التى زعموا انها لا تقهر ـ فقهروها وكان اول ما حطموه : خط بارليف المنيع ! ..

---

(١) حرب رمضان ـ الجولةالعربية الاسرائيلية الرابعة ـ اكتوبر ١٩٧٣ : ص ١٠٥ ـ ١٠٦ .

إدوار حنا سعد

القصيدتان الفائزتان بالجائزة الأولى في مسابقة وزارة الثقافة عن الشعر من وحي المعركة

تراتيل المبكى ، مقطوعات يرددها اليهود امام حائط المبكى ، يندبون فيها المجد الذى ضاع والقصر الذى اصبح اطلالا ، والهيكل الذى غاب ـ وتنتهى كل مقطوعة بكلمة «ننوح» ... والقصيدة الآتية تجرى على هذا النسق ، وتبدأ بكائهم على امجاد الماضى فى المقطوعة الاولى ثم تستطرد الى نواحهم على كوارث ٦ اكتوبر ، وعلى نكد الغد .

تراتيل جديدة على حائط المبكى

على القصر .. ولّت بأمجاده   رياحُ الضياعِ ، وموجُ البلى
وعاد طلولا يخطّ الخراب   على رسمها .. وحشة المجتلى
توارت وراء قناع التراب   وأخفت به الصرح والهيكلا
خبا جمره .. وأهيل البخور   وغاب صدى كاهن رتّلا ..

ننوحُ ، ننوحُ

على العيدِ .. غرد فيه الضحى   وعاد الأصيلُ به مثلما
نهضنا نصلّى لغفرانه   فأعتم وأربد وجه السما
وصرنا القرابين يمشى بها   حفيفُ اللظى ، وأنين الدما
قصاص يارليف يجتاحنا   وكانت سدوم بنا أرحما .

ننوحُ ، ننوحُ

على السحر .. كنا أساطينه   فدار الزمان على سحرنا
وثار لفرعون أبناؤه   يعيدون ما جاء فى سفرنا



فشقوا المياهَ إلى حصنِنا وردوا السهام إلى صدرنا
وألقوا عِصيهمُ نحونا ثعابين تنفخ في ذعرِنا ..

تنوحُ ، تنوحُ

على وعد يهوا إلى شعبه .. خريطته النيل حتى الفراتْ
أضاءَ يهنجيه حلمنا وأسرى بنا الصحو بعد السباتْ
لأرضٍ من الدعْرِ تغنى بها منانا .. وتنتحرُ البشريّاتْ
وتمسى أجاجا ينابيعها ويغدو عقيما عليها النباتْ

تنوحُ ، تنوحُ

على أورشليم ..حنينُ القرون وآيةِ صهيون في وعدِهِ
ودرّة داود في تاجِهِ ورمز سليمان في مجدِهِ
وعاصمة الأمسِ عدنا بِها إلى الأمسِ ترفل في سعدِه

تراتيل جديدة على حائط المبكى

وشدنا لرايتنا برجها — فخف الزمان إلى هدهده

تنوح، تنوح

على الزهر .. طافت بنا خمره — مشعشعة في ليالي الترف
ترنح أشواقنا بالمنى — وتملأ أعطافنا بالصلف
إلى أن أفقنا .. وأجواؤنا — تئن وأحياؤنا ترتجف
وروع خسارنا ما جنى — فألقى براووقه للتلف

تنوح، تنوح

على النصر .. خف بركباننا — إلى أرض سيناء والأنبياء
ترف عليها طيوف الفخار — وتنشد فيها دروب الرجاء
أعدنا بها العجل والسامري — وتاهت خطانا وراء الحداء
وحاد الطريق إلى عزلة — وأضحت بطاء .. خطا الأولياء

تنوح، تنوح

فيارب .. رطب أسى يومنا — وأنقذ غدا من نذير العذاب
عدانا جميع على بابه — طوال التمادي .. بعاد الرغاب
وقمقمهم فض عن مارد — أصاخ لدقاته كل باب
رمانا لهاوية إثمنا — وعدنا إليك بهذا المتاب

تنوح، تنوح

● الاسكندرية ● ● ادوار حنا سعد ●

ورقصت الآمال

علي محمد
أحمد الزامل

... من وحي
الملحمة الخالدة
في أكتوبر المجيد
... إلى الحبيب
الراقد ...
في ظلال
الخلد ...

... زوجة شهيد في (٦٧) تناجي زوجها وحبيبه بعد ملحمة العبور العظيم في العاشر من رمضان ، وتزف اليه بشرى النصر والثأر له على يد ابنهما الذي كان ضمن أبطال العبور

لست أنسى آخر العهد بأحلى كلماتك
يوم ودعت الثرى الحر بأسمى قبلاتك
وبسمعي رفيف ناعم من همساتك
ليس لي بعدك إلا وهج من ذكرياتك
ووحيد عاش في روضي شذى من نفحاتك
نشأ أشبلك عظيما ، ملهما ، في خطراتك
ولواء النصر معقود يحيي خطواتك
عشت في أرضك حرا شامخا طول حياتك
لم يلامس تربها وجهك إلا في صلاتك
واحتضنت الموت كالطود فريدا في ثباتك

ورقصت الآمال

عشتُ للثأر الذي كنتُ تريدُ
لمْ ينل منّى نذير أو وَعيدُ
عشتُ للعهد الذى عاش معى
نغماً فى مهجتى حلو النشيدُ

عاجلتكَ الطعنة العشواء فى الظلمة غدْرا
وتركتَ العهدَ من بعدكَ نيراناً وجمْرا
فى وليدٍ عاشَ من بعدكَ لى أجملَ ذكرى
كان لى فى غمرة الأهوال سلواناً وصبْرا
هوَ من ريّاك : مَن طيبكَ نفحٌ فاضَ عطرا
صاحَ فيه الثأر مرّاً فمضَى كالهولِ مرّا
وغدا الطفل غلاما يافعاً يطلبُ ثأْرا
ضاقَ بالصبرِ ، وبالليلِ ، وبالظلمة صدْرا
فمضى يصنعُ من عزته الشمّاء جسْرا
ومضَى فى موكبِ النصر مع الأبطال حرّا

نَمْ وطِبْ نفساً فقد شبّ الوليدُ
أزِفَت آزفة الهول الشديدُ
ليلةَ الأشجانِ طالتْ . فليَكُنْ
مشعلُ النارِ هو الفجرُ السعيدُ

مزّق الصبرَ ومَلّ الدمعَ والليلَ الحزينا
وعلى أجنحة الحبِّ طوى الدنيا حنينا
طارَ للآمالِ فى مَعقلها فى ارض سينا
طائر الشوق الذى ظلّ بجنبَيْهِ سجينا
والتقى فيها مَعَ الحبِّ الذى غابَ سنينا

يلثمُ الرملَ ويحنى للثرى الحرّ الجبينـــا
فى صــلاة شكرَ اللهَ بها ، فى الشــاكرينا
كبّر اللهَ ، فمــاجَ الكونُ حولَ الظـــالمينا
وبعزم البطـــل الصـــائم هـــزّ العـــالمينا
قد سرى من وحى « بدر » فيه . روحُ الأولينـــا
ذكرياتٌ ملأتْ سمعَ الوجودْ
وأريجٌ من شذى الفتح المجيدْ
وقفاتٌ خالــــداتٌ توّجتْ
هامةَ التاريخ بالعز الفـــريدْ

عشـــتُ للعهدِ وللثـــأرِ أعد اللحظـــــاتْ
أمضـــغُ الصبرَ وأجتر هـــوانَ الحسراتْ
أترى أطفـــأتَ فى صدرى لهيبَ الأمنيـــات
ابنكَ الحرّ ادخرناه لأغلى الأمنيـــــات
عربىّ الدمِ لم يخلق لغيرِ التضـــحياتْ
باسمكَ الحرُّ طوى الظلمَ وشــقَّ الظلمـــاتْ
صـــاغها فجراً ينيرُ الأفق حلوَ البسمـــات
أترانى اليوم هدأتُ جـــراحى الثـــائراتْ
نمْ قـــريرَ العين بين الغرفات الآمنـــاتْ
وإلى أن نلتقى فى الخـــلدِ أحلى القبـــلات !
نمْ قرير العين فى العيش الرغيدْ
فى رياضِ الخلد فى الحسن النضيدْ
أنت فى الوجدان حىٌّ لم تمت
فسلامٌ لكَ من حىٍّ شـــهيدْ





هدية العدد

صورة بالألوان

د. إبراهيم ناجي

● ولد ناجي في ٣١ ديسمبر ١٨٩٨ م بحي شبرا ، وتخرج في مدرسة الطب سنة ١٩٢٢ م ، وعين طبيبا حكوميا في وزارة المواصلات ، ثم الصحة وبعدها الاوقاف .

● عكف ناجي على قراءة تراثنا الادبي القديم ، فدرس دواوين « المتنبي » و « ابن الرومي » و « ابو نواس » وقرأ فن العروض والقوافي

● اكب على روائع الادب الغربي فنهل من قصائد « وردز ورث » و « شيلي » و « كيتس » و « بيرون » و « لا مارتين » و « فيكتور هوجو »

● تأثر بالمدرسة الرومانسية ، فكان شعره تعبيرا عما يجيش في نفسه ، واصبح من ابرز شعرائها .

● كان ابراهيم ناجي اديبا قبل ان يكون طبيبا ، ولو انه اتبع موهبته لتفرغ للادب تفرغا كاملا ، ومع ذلك فقد افاد الطب في الادب ، ورقق شعوره وصقل احساسه .

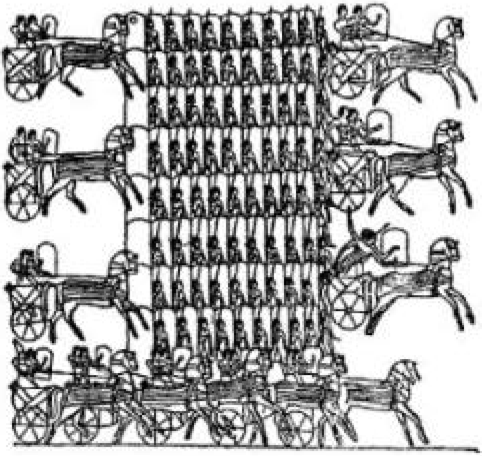
● اجمع النقاد على انه شاعر مطبوع ، اداؤه يهز النفس ، رؤياه مصقولة ، وكلماته رائعة ، ولكنه كان حزينا ميئوسا ، وكان مستسلم الطبع امام الاحداث ، وامام صولة الحبيب على نحو يشيع روح اليأس وفقدان الامل .

● احالت المرأة حياة ناجي الى قلب معذب تعس ، هذا القلب المعذب التعس وهذه النفس الحائرة القلقة جعلا شقاء ناجي في حبه من ذلك الشقاء الخالد الذي صوره في شعره في صور بارعة مسيطرة ، مليئة بخفقات قلبه ، قوية على الدوام .

● بالاضافة الى دواوين شعره وابرزها « ليالي القاهرة » اسهم في نهضتنا الفنية بخطوات ملموسة في ترجمته لمسرحية « الجريمة والعقاب » لديستوفسكي و « الموت في اجازة » عن الايطالية ، وينشره بحثا عن شكسبير في مجلة ابولو وباصداره مجلة « حكيم البيت » التي كانت تشتمل على بحوث نفسية وثقافية طبية .

● ان الذين عاشروا ناجي لا يستطيعون ان ينسوا احتفاله بالصداقة ووفاءه للاصدقاء حتى انه كان يفتح عيادته للادباء والفنانين يعالجهم بالمجان ، وكان من اصحاب الفكاهة الحلوة ، يحرص على تسجيل الفكاهات التي تزخر بها الحياة في مصر .

● توفي ابراهيم ناجي في ٢٤ مارس ١٩٥٣ ، وبوفاته فقدت المدرسة الرومانسية اصفى ينابيعها مزاجا ، وفقد الشعر العربي المعاصر واحدا من ابرز شعرائه المبدعين .



د . سيد
كريم

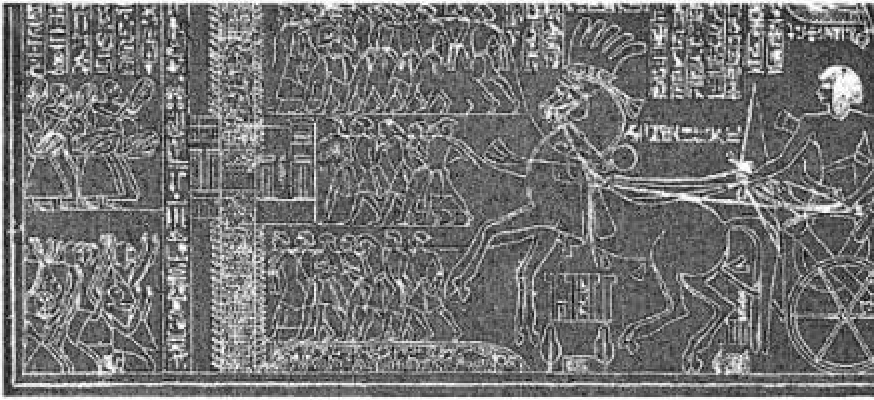
نشيد العبور

بدأت معارك العبور ، مع معارك التحرير ، تلك المعارك التى بدأت جميعها عبر صحراء سيناء وقناة السويس .. بدأت مع حفر القناة نفسها من اربعة الاف سنة . منها دخل الغزاة ، ومنها خرجوا ... وعلى ارضها دارت المعارك التى كتبت تاريخ مصر الحربى . كتبت قصص الكفاح . والصمود ، والاصرار ، والصبر ، والايمان ... والنصر فى معارك التحرير وما سجله من اساطير ... كانت القناة بوابة دخول الغزاة .

وكانت ارض سيناء مقبرة لمطامعهم ...

وها هى عجلة التاريخ تدور ، ليعيد التاريخ نفســه ، ويكتب صفحة جديدة يضيفها الى صفحات امجادنا العسكرية .. صفحة جديدة من صفحات العبور وتحرير الارض .

وتعود مصر الى ترديد نشيد العبور ، او نشيد الحرية والخلود .



أول معارك العبود بعد حفر القناة

● الجندى المصرى وجيش مصر ●

الجندى المصرى هو أول جندى نظامى عرفه التاريخ الحربى فى تسلسل الحضارات ·· قبل الاسرات وقبل العصر العتيق نفسه ·· كان يطلق عليه اسم « منفيت » (Mnfyt) ويرمز له بجانب الاسم بجندى فى جلسة تحفز يحمل فوق رأسه ريشة « ماعت » التى تعبر عن الحق والعدالة ، يحمل القوس فى احدى يديه والسهام فى الاخرى · أى انه « رسول السلام الذى يحفظ الحق والعدالة تسانده القوة » ·

ويعتبر ذلك الشعار لوحة شرف للجندى المصرى سطعت فى فجر التاريخ ·

● بدأ نظام الجيش فى مصر قبل الاسرات مع ظهور نظام المقاطعات الاقاليم حيث كون كل اقليم جيشا نظاميا تحت امرة وقيادة حاكمه ·· كان لكل جيش انظمته وتعاليمه ودستوره العسكرى واسلحته الموحدة وتدريباته الخاصة واطلق على تلك الجيوش او الفرق العسكرية باللغة المصرية القديمة اسم « مشع » · كما كان لكل معبد من المعابد الكبيرة المعروفة جيشه الخاص لحماية بيت الاله والمنطقة المقدسة وكان يطلق عليه اسم « جيش حورس المقدس »

وانضمت الاقاليم الى بعضها فى منطقة الدلتا تحت قيادة أحد حكامها الذى اطلقوا عليه اسم الاله «تحوتى» ليقوم بحرب الوحدة الاولى بين الاقليمين فى العصر العتيق حوالى عام ٣٨٠٠ ق م ·

ولم تدم تلك الوحدة طويلا الى أن قامت حرب الوحدة الثانية عام ٣٢٠٠ ق·م والتى قادها فى هذه المرة القائد « نعرمر » بجيش اقاليم الصعيد ووحد الاقليمين ونادى بنفسه ملكا

باسم « مينا » مؤسس الاسرة الاولى ولما استتب له الحكم كون أول جيش نظامى قائم لمصر باكملها ·

● اذا استعرضنا مراحل تطور الجيش المصرى وتنظيماته عبر تاريخ الفراعنة خلال ما سجلته البرديات القديمة ونصوصها العسكرية وما دونه المؤرخون القدماء لامكن

استخلاص التسلسل التالى لتاريخ مصر الحربى ٠

ففى الدولة القديمة مع بداية الاسرة الاولى عام ٣٢٠٠ ق م كان الجيش يخضع لتنظيمات معينة حيث يتكون من فيالق يقود كل فيلق أمير الجند (امى ـ راى ـ شع) ويتكون الفيلق من عدة فرق (عبرو) يشرف على الفرقة رئيس فرقة (حزب) ٠

كان قواد الجيش وضباطه ورؤساؤه يتفرغون لاعمالهم الفنية والعسكرية وينالون الشهادات العلمية العالية ويقومون بالتدريب الدورى للجنود ٠

اما الجنود فكانوا يتدربون فى معسكرات خاصة فى الاقاليم التى يقيمون بها كنوع من التدريب الاجبارى لفترة تتراوح بين شهرين وثلاثة اشهر فى السنة فى فصل الفيضان عندما يتوقف نشاط اعمالهم الزراعية او المدنية الاخرى ، يعودون بعدها الى ممارسة اعمالهم العادية ٠ ويكون كل واحد منهم على استعداد للعودة الى كتيبته اذا دعا داعى الحرب والدفاع ٠

كانت ادارة الجيش فى الدولة القديمة تشرف عليها ثلاث مصالح رئيسية هى :

- مصلحة التدريب والتأهيل ٠
- مصلحة مخازن الغلال الحربية ٠
- مصلحة بيت الاسلحة والمعدات
- لقد اختلف المؤرخون فى تحديد عدد رجال الجيش فى الدولة القديمة فذكر هيرودوت أن عددهم كان لا يقل عن مائة وخمسين الف مقاتل بينما ذكر سترابون أن عددهم فى الدولة القديمة بلغ مائتى الف من جنود الجيش والحرس الملكى وقوات المعابد ٠

وأول احصائية دقيقة لعدد الجنود والقوات فى الدولة القديمة وجدت ضمن برديات الاسرة الرابعة وكانت تتعلق بالحصر الضريبى ، وقد ورد عدد الشبان القادرين على حمل السلاح فى كل قرية وبلدة واقليم بجانب عدد السكان على اختلاف طبقاتهم وفئاتهم ٠

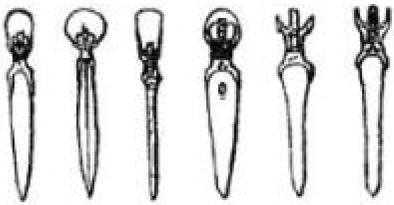
كذلك عدد رؤوس المواشى على اختلاف أنواعها ومساحات الاراضى المزروعة ومقدار ما تنتجه من محاصيل ، كذلك عدد مراكب النقل والصيد فى النيل وفى الانهار وكميات المحاصيل الموجودة بالمخازن ٠

وقد قدر عدد افراد الجيش العامل من تلك الاحصائيات بما يقرب من ربع مليون جندى بينما كان عدد السكان حوالى ستة ملايين ساكن ٠

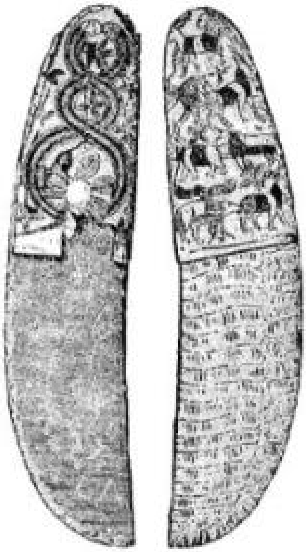
- وقد سجلت متون وبرديات الدولة القديمة ان اول ملوك الاسرة الاولى اسر فى احد معاركه ١٢٠ الف رجل وغنم ٤٠٠ الف ثور ومليون واربعمائة الف راس من الغنم ، كما ان احد ملوك الاسرة الثانية قتل ٤٧٢٠٩ من جنود الاعداء واحضر معه



شعار الجندى المصرى.. (الدولة القديمة) ريشة ماعت فوق رأسه والقوس فى يده رمز الحق والعدل والإيمان



الخناجر الحربية بالدولة الحديثةويرمز مقبض كل خنجر الى شارة الفرقة العسكرية ١٥٠٠ق.م « الدولة الحديثة»



اقدم امثلة السلاح الابيض سكين من حجر والمقبض من صفائح الذهب المطروق عام ٤٢٠٠ ق.م

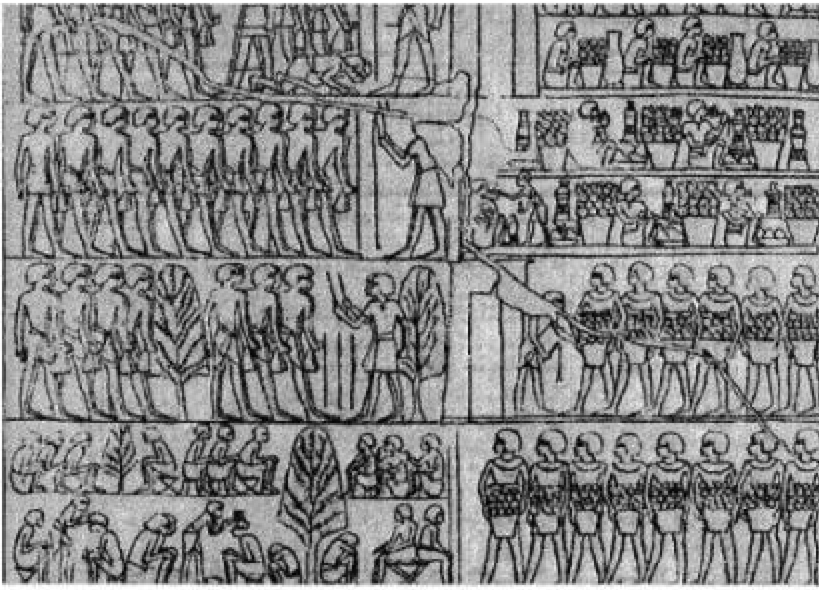
اثنى عشر الف اسير . وهي ارقام لا يقوم بها الا جيش منظم عظيم العتاد .

● وفى عهد الملك سنفرو احد ملوك الاسرة الرابعة (٢٦٨٠ ق.م) اشتهرت مصر بالحصون العسكرية التى انشاها على الحدود فى المناطق التى اطلقوا عليها (أبواب الارض) وعين لكل منها حاكما عسكريا اطلق عليه اسم (مرشد باب الحدود) تعاونه مجموعة من الجنود المقيمين كما خصص لكل حصن مجموعة من جنود الاحتياط المدربين الذين يقومون بالاعمال المدنية فى المناطق القريبة وينتقلون فورا الى الحصون عند استدعائهم اذا تعرضت الحدود للغزو ويحتفظ كل حصن بخزائن تموينه واسلحته ومعداته .

وفى عهد بيبى الاول وضع قائده « أونى » ، نظاما جديدا للجيش من حيث تقسيمه إلى فرق مختلفة السلاح والتخصص كما جعل من الملك القائد الرمزى والنظرى للجيش بينما اصبح هو القائد العام للجيش .

وفى الدولة الوسطى اعاد سنوسرت الثالث (١٨٧٩ ق م) الذى كان أول من حفر القناة الثلاثية التى تربط البحر الابيض بالبحر الاحمر بمدينة منف على شاطيء النيل .. اعاد نظام ان الملك هو القائد الفعلى للجيش والذى يقود المعارك بنفسه وكان بذلك مؤسس الامبراطورية القديمة وكان اول من ادخل نظام الميليشيا كذلك نظام الفدائيين وجواسيس الميدان .

كما كان اول من انشا كلية حربية لكبار الضباط يدرسون فيها بجانب العلوم والفنون الحربية مختلف الدراسات العالية بما فى ذلك الطب والجراحة والصيدلة كما انشا كلية بحرية وترسانة لصنع المراكب الحربية بمنف .



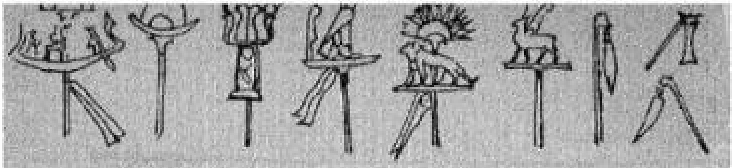
الالة الحربية ف عهد امنحتب الثانى ويظهر بها تجنيد الجنود وحلق رءوسهم وتسليمهم الملابس والجرايات

وفى عهد الملك القائد كامس (١٥٨٠ ق م) آخر ملوك الأسرة السابعة عشرة وأول من قاد معارك طرد الهكسوس من مصر وأول من قسم الجيش الى فرق للفرسان او فرق الهجوم والطليعة وفرق البيادة ، كما وضع نظام فرق التناوب فى القتال حيث تستريح بعض الفرق اثناء هجوم الفرق الاخرى سواء بالسهام أو السلاح الابيض حتى لا يعطى للعدو فرصة للراحة وهو التقليد الذى قاده اخوه احمس الاول (١٥٧٠ق م) مؤسس الاسرة ١٨ ليكمل معارك التحرير والاستقلال وكان تحتمس الاول (١٥٢٥ ق ٠ م) اول من نسق بين البحرية والجيش وقد اشتهر بوصول جنوده الى العراق ٠

اما تحتمس الثالث (١٤٦٨ ـ ١٤٢٦ ق م) الذى وطد اركان الامبراطورية واشتهر بمعاركه السبعة عشرة فقد كان اول من وضع نظام البعثات العلمية التى ترافق القيادة فى الميادين وكان يطلق عليها (المجلس العلمى للاشتراك فى وضع الخطط الحربية والسياسية اثناء المعارك ٠ كما كان يترك بعض أعضائها لحكم البلاد التى يحتلها لادارتها سياسيا وعسكريا ٠

● وفى عهد الملك القائد حور محب مؤسس الاسرة الثامنة عشرة (١٣٢٤ ق م) كان الجيش مكونا من قسمين كبيرين احدهما فى الدلتا والاخر فى الصعيد لامكان تدخلهما سريعا عندما تتعرض البلاد للغزو من اية جهة من الجهات ٠

● وفى عهد سيتى الاول ثانى ملوك الاسرة التاسعة عشرة (١٣٠٣ ق م) كون الجيش من ثلاث فرق كاملة اطلق عليها اسماء الالهة امون وبتاح ورع كان لكل منها قائد عام مسئول ٠



نماذج لاعلام الفرق المختلفة بالجيش « الدولة الحديثة »

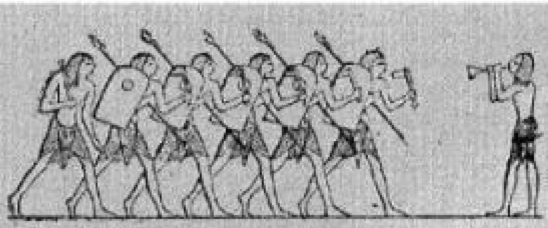
● وفي عهد رمسيس الثاني (١٢٩٠ ق م) قسم الجيش الى اربع فرق بعد أن أضاف أليه فرقة رابعة أطلق عليها اسم الاله ست . وفي خلال الاسرتين الثامنة عشرة والتاسعة عشرة كان الجيش بجانب حمايته لحدود الوطن والدفاع عنه يقوم بحماية البعثات الفنية التى تقوم باستكشاف مناجم الذهب والمعادن النفيسة والاحجار الكريمة فى كل من الصحارى الشرقية وأرض سيناء ، أو حماية القوافل البحرية التجارية التى تصل الى موانيه شرق البحر الابيض وجنوب البحر الاحمر .

● ان جيش مصر اول من وضع نظام الالقاب العسكرية والرتب والنياشين والقلادات ، ومن اشهرها نوط الذبابة الذى كان يتقلده رجال الجيش الشجعان ويبدأ بذبابة واحدة حتى يصل الى ثلاث ذبابات فى قلادة او وشاح . والذبابة هى اصل الدبورة او النجمة التي تحدد الرتبة العسكرية فى الجيوش الحديثة .

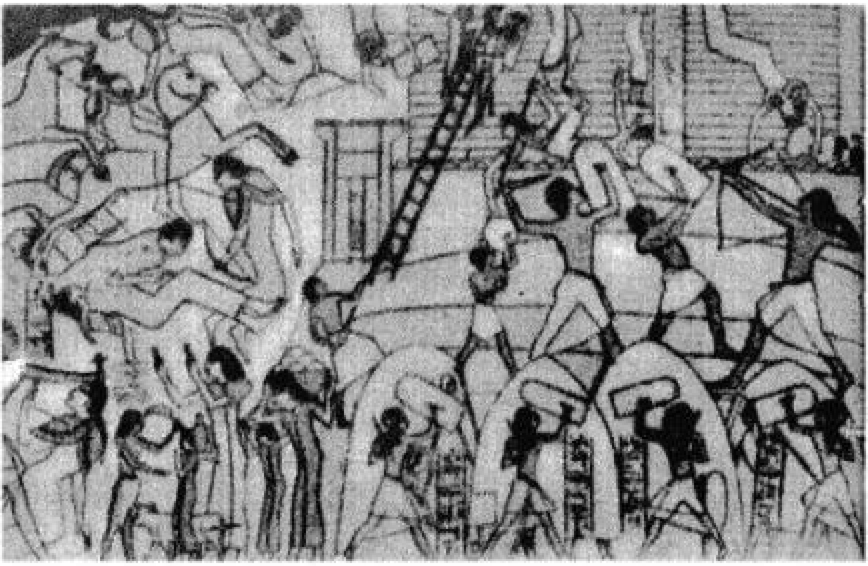
● وقد وضعت مصر القديمة تقليدا لمكافاة الابطال بعد الانتصار فى معارك العبور فكانت توزع جزءا من الغنائم على الجنود وتقوم الدولة برعاية عائلاتهم واولادهم اثناء انشغالهم فى ميادين الحرب كما تؤمن لهم مستقبل عملهم بعد عودتهم ، كما كان الجندى الذى اشترك فى المعارك تيسر له الدولة سبل العمل ويعفى مدى الحياة من الضرائب واعمال السخرة هو وعائلته .

وقد ورد فى احدى البرديات من عهد تحتمس الثالث انه اهدى كل ضابط انتصر فى معارك التحرير قطعة من ارض الوطن الذى دافع عنه ، مساحتها عشرة افدنة من أجود الاراضى ومعها مسكن وعدد من المواشى والاشجار .

● فاذا كان الجندى المصرى أول من رفع العلم فهو أول من استعمل البوق (البورى) المعدنى وطبول الحرب وأول من وضع أسس الموسيقى العسكرية والاتها واستعمالاتها فى الحرب والسلم فى النصر والاستعراض هنا يجب الا ننسى كما ذكر هيرودوت رمانيتون انهم ابتكروا صرخة الحرب وهى ذكر اسم الاله الذى يحملون علمه ويلقون صرخة عالية تصم الاذان ساعة الهجوم لتلقى الرعب فى قلب العدو وتحطم روحه المعنوية بينما تقوى عزيمتهم وتمدهم



نافخ البوق .. بورى الاستعداد فى الحث على الهجوم



«استيلاء المصريين على احد حصون سيناء في احدى معارك العبور « الدولة الحديثة»

بالشجاعة والايمان بالنصر ..
وما زالت شعار جيشنا الى الان وهي
(الله اكبر) .

● ان أول معارك العبور في تاريخ مصر بدأت بعد حفر القناة نفسها التي حفرها سنوسرت الثالث عام ١٩٧٤ ق . م وهي المعارك التي بدأت قبل حفر القناة وسخر الاسرى الذين أتى بهم من معاركه في اسيا في حفر القناة نفسها .

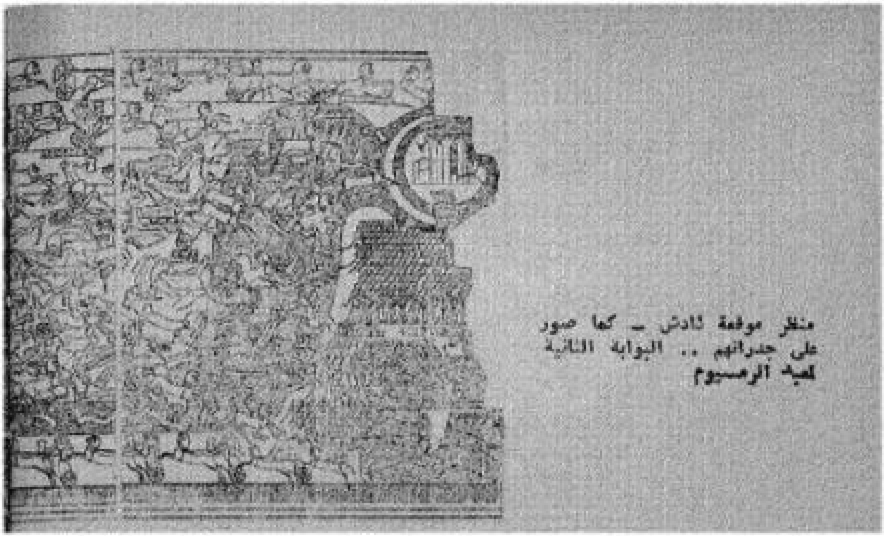
ومن معارك العبور التي قام بها بعد حفر القناة استخدم من كان يجلبهم من الاسرى كل مرة ، في مشروعات الاصلاح والتعمير في أعمال البناء وشق الطرق وحفر الترع ومشروعات الري .

ومن أقوال سنوسرت الثالث المشهورة في احدى لوحات فتوحاته ومعاركه عبر سيناء .

« اني ملك وقائد يقول وينفذ .
وما يختلج في صدري تفعله يدي
اني طموح الى السيطرة وقوي لاحرز

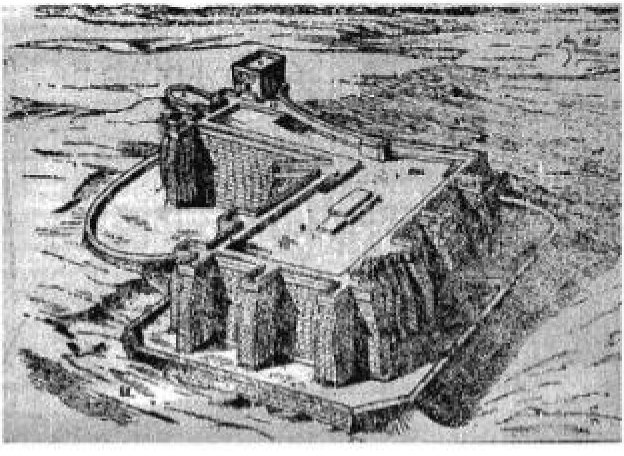


الله اكبر .. صرخة الهجوم ، عمرها ٤٠٠٠ سنة

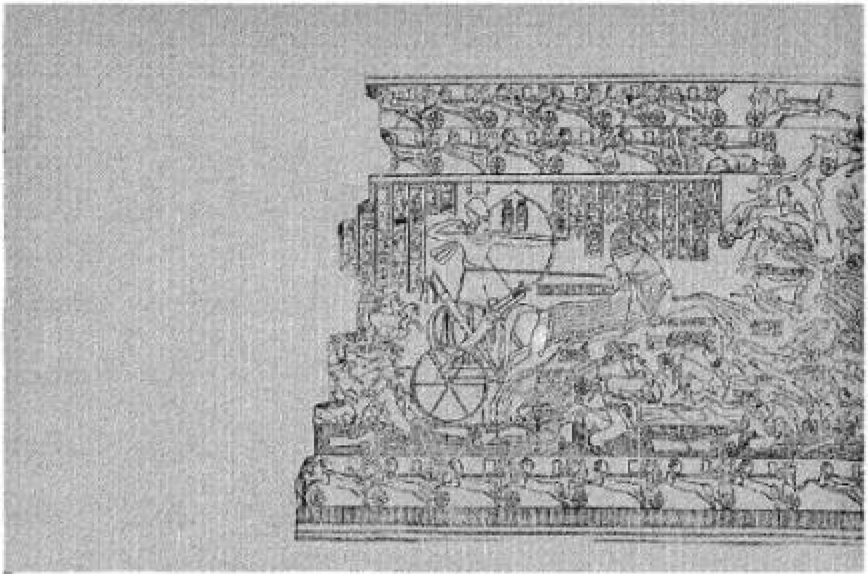


منظر موقعة قادش ـ كما صور على جدرانهم .. البوابة الثانية لمعبد الرمسيوم

النصر
فلست بالرجل الذى يرضى بالتقاعس
عندما يعتدى عليه
اهاجم من يهاجمنى حسب ما تقتضيه
الاحوال
فالرجل الذى يركن الى الدعة بعـد
الهجوم عليه يقوى قلب العدو •
والشجاعة هى مضاء العزيمة •
والجبن هو التخاذل •
لا يردع العدو الذى يغامر بالاعتداء
على الحدود الا الجواب الحاسم يردعه •
ولا تؤخذ القوة الا بالقوة
لقد هاجمتهم وابدت جنودهم وسقت
رعاياهم واسرت نسـاءهم وهدمت
قلاعهم واقتحمت ابارهم وحصدت
زرعهم واشعلت النار فى مخازنهم •



احدى قلاع الحدود الصحراوية



بحياتي وحياة والدى لم انطق الا صدقا · فكل ولد أنجبه ويحافظ على تلك الحدود يكون ابنى والحقه بنسبى ومنتقما لابيه فيمن يفكر فى الاعتداء على حدود مصر المقدسة · ومن يتخلى فيها للعدو ولا يدافع عن سلامتها فليس ابنى ولم يولد من ظهرى » ·

ولقد أله قدماء المصريين الملك سنوسرت واحتفلوا بأعياده الدينية لعدة قرون حتى أن تحتمس الثالث وغيره من الابطال العسكريين كانوا يتعبدون اليه ، وقد اقترن اسمه بمجموعة من أساطير البطولة ، كما ذكر هيرودوت من بين الاساطير التى سمعها أن جنود سنوسرت(سوستريس) بعدما وصلت الى فينقيا وفلسطين قامت بحملات وصلت بها الى اوربا وسجلت بها عدة غزوات ·

ومن بين أناشيد النصر والعبور التى تغنى بها الشعب فى استقبال جيشه الظافر :

« الثناء لك يا صقرنا المقدس ·

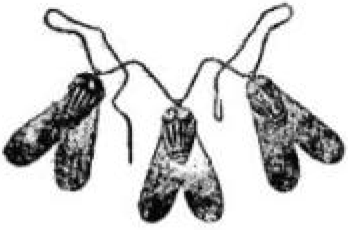


أحد تماثيل رمسيس الثانى بمعبد الرمسيوم

يا من اوامره قد فاقت حدوده
وتطلقه جعل أعداءه يولون الادبار
وقد ورد في نصوص لوحة الملك القائد كامس آخر ملوك الاسرة السابعة عشرة وأول من طرد الهكسوس .. وهي اللوحة المشهورة التي اكتشفها الدكتور محمد حماد المهندس الاثرى بمعبد الكرنك والتى شرح فيها كامس معركته مع الهكسوس . وانتصاره عليهم بقوله وهو يخاطب قائد الهكسوس :

« لقد قطعتك عن جيشك وانحسرت كلمتك واخرستك .
لقد رؤى ظهر جيشك وجيشى ينزل به السوء من كل جانب .

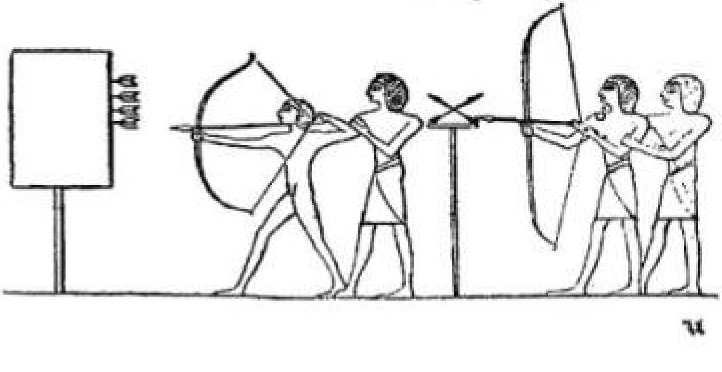
عندما استمع جيشك الى صيحة القتال من جيشي (وهنا نرى أول تسجيل في التاريخ يشير الى استعانة الجنود باصواتهم العالية وهم يذكرون اسم الاله لرفع الروح العالية عند القتال واضعاف الروح المعنوية عند اعدائهم) لم نر منه غير ظهوره لقد انشرح قلبى لاننى جعلت ابيبى (ملك الهكسوس) يرى لحظة الهجوم المرعبة وكان قائده منهوك الذراعين لقد عبرت النهر بجنودى البواسل لاستكشافهم ولحقت بهم مقدمة فرساني الشجعان الذين عبروا النهر طائرين كالصقور وقد استعملنا في عبور



نوط الذبابة « الدبور » قلادة الرتب العسكرية

الذى حمى الارض ومد حدودها
الذى قهر البلاد الاجنبية بتاجه
وضم ارض مصر باقليميها بين ذراعيه
ومسك ارض الاعداء بقبضته
الذى ذبح رماة السهم بغير ضربة عصا
وامات الالوف من الغزاة قبل أن تطأ اقدامهم أرضنا
يا من جعل الناس تنام فى امان حتى مطلع الفجر
وجعل جنوده يطمئنون وقلبه ساهر عليهم .

التدريب العسكرى على استعمال القوس



النهر سفن البردى الخفيفة .

لقد هرب بيبي وجنوده بعــــدما اصابهم الذعر وتركوا نساءهم .

انظروا – لقد انجزت اعمالا ناجحة بيدى وكان عملى عظيما .. وطالما الاله امون موجود فلن اجعلهم يطأون

ارض بلادى المقدسة دون ان انتصر عليهم .. وان قلب الغادر لا محالة يائس .

انظروا الى الهرب من خمـــــر كرومهم بعدما هدمت ديارهم واسرت رجالهم وحطمت مراكبهم الثلاثمائة

واستوليت على عرباتهم وجيـــاد فرسانهم .

انظروا ....

لقد طوقناهم وحرمناهم من موارد امدادهم بالمؤن والذخيرة واسلحة القتال وجعلناهم يفرون فى الصحراء كالجرذان .

ان جنود الخيالة رغم تفوقهم فى القوة والعدد وقعوا فى اسر جنـودنا ولم يتكبد جنودنا خسارة فى الارواح

● ويتولى الحكم بعد كامس اخوه الملك احمس الاول اول ملوك الاسرة

الثامنة عشرة بعد الذى تابع حروب الاستقلال التى تعتبر امجد صحيفة

فى تاريخ مصر العسكرى وهو الذى طارد الهكســــوس خارج حـــدود مصر حتى وصل بجنوده الى فينيقيا

وسجل اعماله الحربية فى اللوحة التى اقامهـــا بمعبد الكرنك ١٥٧٠

ق . م والتى تعتبر وثيقة الاستقلال التى ذكر فيها انه انتقم لمصر بابادة

الهكســوس فى ديارهم التى زحفوا منهـــا على مصر كما وضع اسس الامبراطورية التى خطط لهـــا وقام بتنفيذها حفيده تحتمس الثالث .

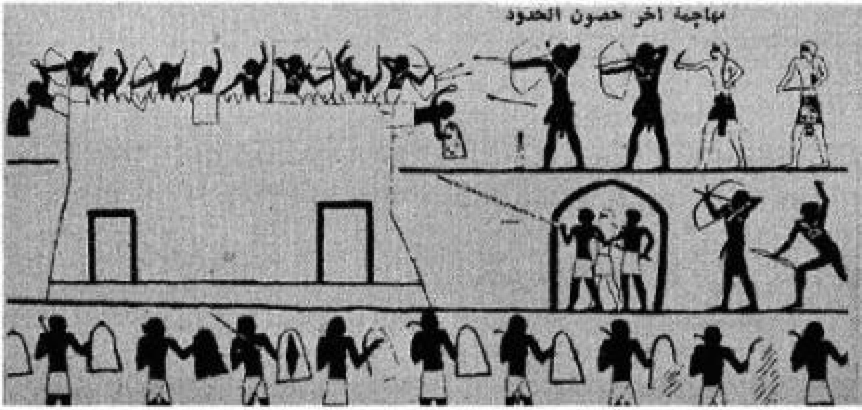
●●●

● ومن اعظم قواد العبور الذين اسسوا الامبراطورية وارسوا دعائمها تحتمس الثالث الذى زحف بجيوشه عام ١٤٧٩ ق . م من قلعة ســيلا

على شاطىء القنـــــاة (القنطرة حاليا) مخترقا الصحراء وســـيناء حتى وصـــل بعد عشرة أيام الى

مدينة غـــزة وزحف منها فى اليوم الثانى – كما ســـجل فى وصف المعركة – متجهـــا الى مدينة نجم

التى ضرب فيها خيام معسكره وارسل جواسيسه ليســـتكشفوا اماكن تجمع قوات العدو . وعقد مجلس الحرب فى خيمته حيث وصلته الاخبار ان قوات العدو تفوقه عـــددا ومعدات



مهاجمة اخر حصون الحدود

وتعسكر فى « مجدو » استعدادا لملاقاته عند مرور جيشه فى الممر الوحيد الموصل اليها ..

وهنا تسجل لوحة النصر وصف المعركة الشهيرة التى خطط لها تحتمس بنفسه حيث قام بحركة تطويق من جانبى الممر من الشمال والجنوب وتقدم بنفسه ليقود الفرق التى تخترق الممر ويظهر بعربته العسكرية واعلام فرقه فى المقدمة حتى يضلل العدو الذى فوجىء بجناحى الجيش المصرى يحاصرانه

لوحة انتصارات تحتمس الثالث ومعارك تحرير سيناه ١٥٠٥ ق.م



ويضربانه من كل جانب ...

وهكذا نجحت الخطة العسكرية او الكماشة المصرية وانتصر المصريون فى معركة مجدو الخالدة وفر ملك قادش بعد ما حوصرت المدينة باكملها سبعة ايام منعت عنها خلالها الامدادات والتموين . وذكرت الوثائق ان اكثر من نصف جيوش الاعداء قد ابيدت بينما كانت خسائر المصريين طفيفة سواء فى الارواح او العتاد . واستقبلت مصر جيشها الظافر عند عودته بافراح النصر واناشيد العبور التى تغنى بها الشعب لعدة قرون .

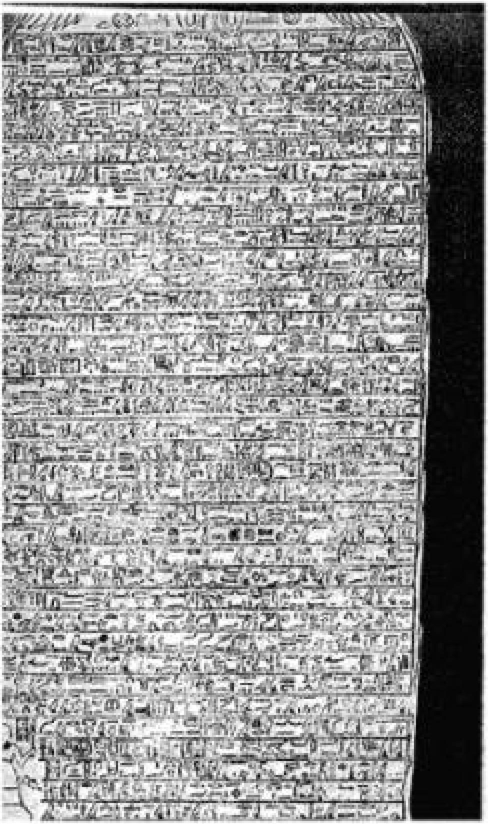
وقد ورد بها قوله المشهور « لقد جعلت حدود مصر الى اقصى ما تحيط به الشمس وشددت من عزم كل خائف ونفيت الشر عن ارض مصر المقدسة » .

● كما سجل التاريخ الامجاد العسكرية لرمسيس الثانى (١٣٠١ ـ ١٢٣٥ ق.م) فى الاسرة التاسعة عشرة معاركه الآسيوية واهمها معركة قادش وحروب القلاع الاسيوية والتى سجل وثائقها وتفاصيلها على حوائط معبد « ابو سنبل » .

● ومن قواد معارك العبور المشهورين فى نفس الاسرة الملك مرنبتاح (١٢٢٣ ـ ١٢١١ ق . م) الذى حارب الآسيويين وطرد اليهود من مصر . وقد سجل معاركه وانتصاراته علىمجموعة من البرديات ولوحات النصر من بينها :

« ان مصر هى الابنة الوحيدة للاله رع وانا ابنه الذى يجلس على عرشها لحمايتها .

لن يسمح الاله لاحد ان يعتدى على سكانها وعين الاله سترقب كل من يحاول غزوها او نهبها .. لا شك انها ستقضى على اعدائها .



لوحة النصر للملك كامس اخر ملوك الاسرة ١٧ التى سجل عليها حرب التحرير وانتصار المصريين الاول على الهكسوس ١٥٧٥ ق٠م ٠ اكتشف اللوحة الدكتور محمد حماد

لقد حدثت المعجزة الكبرى فكل من يهاجمها يكون اسيرا فى يديه فقد حكم الاله للملك بالفوز على اعدائه واعداء الوطن ٠

قال رب العالمين اعط السيف لابن مصر المستقيم القلب فلم يعد واحد من بين قبائل الاقواس التسعة يرفع راسه وبلاد خاتى اصبحت مسالمة وخاضعة وكنعان اسرت مع كل خبيث فيها واسرائيل خربت ٠٠ وانقطعت بذرتها ٠

وتعتبر تلك الوثيقة التاريخية هى الوثيقة الوحيدة التى ورد فيها اسم بنى اسرائيل فى الوثائق الفرعونية القديمة وهى الوثيقة التى اثبتت ان مرنبتاح (مرى ـ ان بتاح) هو فرعون موسى الذى طردهم من مصر عام ١٢٢٠ ق ٠ م

●وفى عهد نخاو الثانى ثانى ملوك الاسرة السادسة والعشرين (٦٠٩ ـ ٥٩٤ ق٠م) شاهدت القناة

جيوشه وهى تعبرها لتحارب بنى اسرائيل للمرة الثانية والتى انتصر عليهم وطردهم خارج فلسطين وقتل يوشع ملك يهودا ٠



عودة المحاربين .. جيش مصر

● نشيد العبور ●

عاد جيشـــــنا سالما بعد ما انتصر على جيوش الاعـداء
عاد جيشــــنا سالما بعد ان حطـم جيوش الصحـــراء
عاد جيشـــنا سالما بعد ان اباد مزارع الكـروم والتين
عاد جيشـــنا سالما بعد ان دك الحصون وحطم الاسوار
عاد جيشـــنا سالما بعد ان قتل عشرات الالاف من المعتدين
عاد جيشـــنا سالما بعد ان رفع راية النصر على ارض سيناء
عاد جيشـــنا سالما ومعه وثيقـــة النصر والاف الاسرى

هو اقدم اناشيد النصر التى غنتها مصر للملك سنفرو بعد أن عاد منتصرا من حرب سيناء ووصل بجنوده الى القدس وسجلت الوثائق التاريخية انه قتل ٤٧٢٠٩ من جنود الاعداء واحضر ٣٩٩٨ اسيرا

• افراح النصر •

- دقوا الطبـــول ·· واقيموا الافراح فقد عاد جيشـنا ظافرا ·
- دقوا الطبــول ·· عاد جيشنا مرفوع الاعلام تسبقه أبواق النصر ·
- اطلقوا البخـور وانشـدوا التراتيل واشعلوا المشاعل فى المعبد فقد وفى حورس بوعده ·· فحرس ابنه (فرعون) ونصر جنوده ·
- دقوا الطبول ·· فقـد اشرقت الشمس المقدسة على جيشنا فى عودته بعد ان رفع الاعلام على الاركان الاربعة
- عاد جيشنا بعد ان عبر الانهار والصـحارى والجبال ودك الحصون والقلاع ونشر كلمة الاله ·
- عاد جيشــنا يجر خلفه الاف الأسرى والغنائم ·
- دقوا الطبول ·· واقيمــوا الافراح ·
- عاد جيشـــنا يحمل الحرية والسلام لارض بتاح المقدسة ·
- دقوا الطبول وزينوا أعناق جنودنا باكاليل الزهور ·

وقدموا لحورس قرابين الشـكر وتراتيل الدعاء ·

(برديـات النصر - الاسرة ١٨ ق · م)

استقبال الجنود .. افراح النصر



● ورفعنا العلم ●

● اذا كان رفع العلم في معركة العبور هو رمز النصر عند احتلال الموقع وتحرير الارض فيجب الا ننسى ان مصر كانت اول من ابتكر فكرة العلم ونفذها .. وجندي مصر اول من حمله

بدات فكرة العلم من ٤٠٠٠ سنة ق.م قبل الاسرات عند ظهور تنظيمات جنود الاقاليم .
وكان العلم عبارة عن قامة يحملها قائد الفرقة ويثبت في اعلاها رمز معبود الاقاليم .

وكان يعتبر كرمز مقدس يحمي الجنود والوطن مادام مرفوعا . ثم اضيفت اليه الشرائط الملونة او قطع من النسيج والجلد تنقش عليها رموز مقدسة .

كانوا يهتمون بان يبقى العلم مرفوعا باستمرار تتبادله اقوى السواعد اذا اصيب حامله ويبقى مرفوعا لانه يعبر عن رأس الوطن ويمثل رمز الاله (كما ورد في المتون العسكرية بالدولة القديمة) .

وهكذا نقل العالم اجمع فكرة العلم عن مصر ليكون رمزا لجميع الدول وشعوبها وجيوشها ذلك العلم الذي ارتفع في سماء مصر من خمسة الاف سنة وسيبقى مرفوعا بقوة سواعد ابنائها باذن الله وبايمانهم بالله والوطن .



ورفعنا العلم

عاد جيشنا ظافرا



حسن
فتح الباب

حتحور
سيدة الفيروز*

تأوّدي بالقدّ والنظـــرةِ   في عزّة الحسن وسلطانِهِ
وأسكِري بالطُّهــر والفتنـةَ   من مِنَح الخُلْد وإحسانِهِ

***

ولتسحَري ماشئتِ بالبسْمةِ   فقد غزا المهجةَ سحرُ الوجود
وأيقظي الالهامَ في مُقْلتي   بطيْفِك الغافي بوادي الخلود

***

تألّق الفنانُ إذْ صــوّرَكْ   بشرى إلى الأربابِ والكائنات
وبنورِكَ الروحَ الذي نضّرَكْ   شُعاعةً من قبَس النيِّـرات

***

تنبعُ من البهجـة ثرُّ العطـاء   يُوحي إلى الكاهن أن يعبُدَهْ
في كلِّ لمح ألقٌ من صــفاء   وكل سَمْتٍ آيةٌ مُفْــردَه

***

والتاج نسرٌ مستهامُ الجناح   على الجبينِ الحرِّ ماضي الإبـاء
ومن سَناه المُلْك شمس الصباح   وسامقِ القرنينِ رمزُ الولاء

***

عليكِ للبدْرِ سَنا حسنِهِ   ومِن عُلا حُوريسَ إشراقُـه

* أرض الفيروز هو الاسم القديم لسيناء ، وحتحور في الميثولوجيا الفرعونية هي الربة المصرية سيدة أرض الفيروز

صِنْوانِ في أبهَاء بُستانِه هاما فهامَتْ مِنهُ أشـواقُه
وجادَ بالرقّـة في ثغـرِكِ وَجُدْتِ بالأحلام في جَفْنِه
وللصّبا النّشوان في خصـرِكِ قدسية الأصداءِ من لحنِـه

***

هذي على الآفاق أطيـافُه مرآتُهـا الآياتُ من فِتنتك
وثوبك المـراح أفوافُه رقّت فشفّتْ عنه في طلعتِك

***

خُطاكِ في مَسحور إيقاعِها على هُدى أضـوائه الحانيه
صَغَتْ لها وسَنّى بأسماعِها على صَدَى أنغـامِهِ الساريه

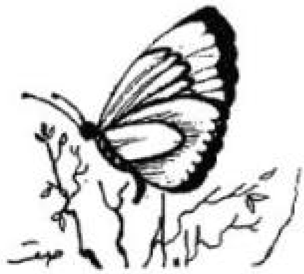
***

والنهرُ ما أبهـاكِ في لفتته يفيضُ بالنشوةِ في كأسِـهِ
والقمرُ العاشق في شُرْفَتِهِ يَغار من حوريسَ في بأسِهِ

***

والجِيدُ ما للبدرِ مُغرى به أتلعُ ريّان بخمـرِ الجمال





مستشرفا أمجاد أربابه   كراية للحسن عليا المثال

***

على إهاب من نسيج الفتون   عاشق أفنى فى إهاب البشر
قدسية قد خلدتها الفنون   بهمسة الشعر وخفق الوتر

***

غنى بها الصخر وغنت به   وكاد أن يلهم نجوى هواه
والليل ماج الحب فى قلبه   ودب فى القمراء روح الحياه

***

من هام بالحسن ووشى الصبا   وألهم الفنان سر الكمال ؟
زلفى لها كالشمس لن تغربا   والصقر حوريس أشم الجلال

***

شاديك ناجاك بأحلى النغم   وأبدع الرسام فى صورتك
مذ كنت للحور بأرض الهرم   آماه تراءى فى سنا مقلتيك

***

سيدة الفيروز عدنا إلى   ارضك من بعد فراق مرير
سيناء قد كانت لنا موئلا   وسوف تبقى تحت شمس العبور

***

وسوف تبقين بتاريخنا   وحيا لريات الهدى والخلود
وآية للفن فى أرضنا   والمجد ذكرى جددتها العهود

آمينه السعيد

المرأة تجد زعامتها .. في حرب أكتوبر

من خصائص المرأة المصرية انها كانت وما زالت ذات حساسية بالغة فيمايختص بشئون وطنها ، ولازمتها هذه الحساسية وظهرت دائما في الوقت المناسب ، حتى في اشد اوقات المرأة المصرية تخلفا

فقبل ان تفتح مدارس البنات ، حتى على المستوى الثانوى والابتدائى عندما كانت الامية تتفشى بين النساء بصورة رهيبة ، ولم يكن بينهن من تحظى بجانب من التعليم كبيرا كان أو صغيرا ، الا قلة من بنات الطبقات الثرية ذات القدرة على الاتيان

بمربيات أجنبيات يلازمن بناتها من صغرهن ويعلمنهن اللغات الاجنبية دون اللغة العربية لغة الوطن ، ولغة الدين — حتى في تلك الازمنة التي كانت المصرية فيها آما تعانى من الامية أو تتعلم اللغات الاجنبية ، فقد



مصطفى كامل



هدى شعراوى

ظهرت خصائص هذه الوطنية كلما تعرض الوطن الى اى خطر جدى .

ففى أيام الزعيم مصطفى كامل وكان عصر الحجاب والتزمت على القضاء فيما يختص بحياة المرأة ، وبالرغم من هذه القيود الشديدة التى كانت تحول دون تحرك المرأة المصرية فى أى اطار وطنى ، خرجت النساء من بيوتهن وراء دعوة مصطفى كامل، وطفن على الحكومة يجمعن توقيعات الموظفين على عرائض الاحتجاج والمطالبة بالاستقلال ، وكن يثرن نخوة هؤلاء الموظفين ويدفعنهم الى الاضراب عن العمل ، كما أن كثيرات من البنات النابهات فى ذلك الوقت انخرطن فى سلك الجهاد وراء مصطفى كامل فكان يكتب لهن الخطابات الوطنية الرائعة ليلقينها فى المجامع العامة ويثرن بها الحماسة الوطنية .

وبهدوء الحركة الوطنية بعد وفاة



السيدة جيهان السادات ..
ومواقف رائعة فى حرب اكتوبر

مصطفى كامل عادت المرأة وهدأت ولزمت بيتها كما كانت من قبل ، وانقطعت صلتها المباشرة بالحياتين الاجتماعية والسياسية ، وكاد الرأى العام ينسى الدور العظيم الذى قامت به المرأة قبل ذلك بسنوات قليلة ، ثم بدأت ثورة ١٩١٩ باعتقال الانجليز لزعماء البلاد وعلى رأسهم سعد زغلول .

خرج المصريون جميعا يدا واحدة ينادون بعودة الزعماء ، وزوال الاحتلال وعودة الحرية والاستقلال الى البلاد ، واشتبك الشعب مع المستعمر فى معارك دامية سقط ضحيتها شبان ورجال كثيرون ، وطرق الحزن أبواب البيوت وبلغ قلوب الامهات والزوجات والاخوات ، فاذا بالمرأة المصرية تنتفض مرة أخرى وتحطم أسوار الحريم وتخرج بحجابها الى الطرقات والشوارع العامة

المرأة تجد زعامتها في حرب أكتوبر

تشارك مواطنيها في الثورة على الظلم والطغيان .

وما زلنا نذكر هدى شعراوى واخواتها حين انخرطن في مظاهرة نسائية ضخمة واجهن بها رصاص الانجليز الذين لم يتورعوا عن قتل النساء خوفا من الاثر الذى يتركه خروجهن الى معترك الصراع الوطني

ولقد سقطت في هذه المظاهرة شهيدات كثيرات اولهن نبوية محمد من السيد الوايلي ، كما ألقى القبض على كثيرات من السيدات المتظاهرات وأودعن السجون ، ولم يطلق سراحهن إلا بعد ان تدخل زعماء السياسة المصريون وقدموا الضمانات الكافية، فخرجت السجينات لا ليلزمن بيوتهن كما حدث من قبل ، بل ليساعدن الزعماء في الخفاء ويقمن باهم الخدمات للمجاهدين في جميع انحاء القطر المصرى .

وفي حرب سنة ١٩٤٨ وهي اول اشتباك لنا مع اليهود في فلسطين تطوعت نساء مصر قبل أن يعترف بوجودهن الاجتماعي وقبل ان يعطين حقوقا من اى نوع كان للمشاركة في المعركة بجهودهن ، وتطوعن عن طريق الهلال الاحمر والمنظمات النسائية الاخرى في خدمة الجيوش المحاربة ، ووقفن كممرضات وطبيبات وعاملات وراء صفوف الجيش في فلسطين وتعرضن لما يتعرض له الرجال في مثل تلك الحرب .

وفي نفس الوقت تقريبا عندما اجتاحت البلاد انواع خطيرة من الاوبئة على اثر رجوع الجيوش المحاربة بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية الى بلادها عبر الاراضي المصرية ، فقد حملوا الينا امراضا انتشرت في جميع انحاء البلاد وقتلت ارواحا بالآلاف ومن هذه الامراض الخطيرة التيفوس ، والكوليرا ، والجامبيا ، وقد قامت النساء المصريات باعتراف برلمان ذلك العهد بدور رئيسي في مكافحة هذه الامراض وقضين الاسابيع ، بل الشهور في مخيمات اقيمت لهذا الغرض في ربوع ريف الدلتا والصعيد لمعالجة المرضى وحماية الاصحاء .

كانت المرأة المصرية دائما رغم القليل الذى تستمتع به ، مواطنة صالحة من الدرجة الاولى بفضل ما اوتيت من حساسية وطنية بالغة تجعلها دائما مرتبطا بقلبها ومشاعرها الارض الطيبة التي عاش عليها اجدادها من قبل ولعل الحقوق السياسية والمساواة وغيرها من الخيرات التي اتتها بها ثورة ١٩٥٢ جاءت بجهود المرأة على الصعيد السياسي ، والدور الذى قامت به في خدمة بلادها ويشهد بذلك دورها في حرب ١٩٥٦ أثناء الاعتداء على مصر ثم موقفها من الجرحى واسر الشهداء بعد نكبة ١٩٦٧ .

***

هذه هي خلفية المرأة المصرية التي رأيناها تبدع في خدمة الوطن أثناء معركة السادس من اكتوبر ١٩٧٣ ، فقد تجلت وطنية المرأة المصرية في أروع صورها واخلصها واكثرها اصالة بتقديمها أعزاءها الى هذه المعركة ، وبخدماتها العديدة لجيشنا العظيم ، وبقبولها الباسل



احد اللقاءات للسيدة جيهان السادات مع قرينة الرئيس جوون

للتضحيات الجسيمة التي نجمت عن وقفتها العسكرية التي ردت الي البلاد اعتبارها وحطمت اكذوبة اسرائيل التي لا تقهر .

وجدير بالذكر ان كل هذه الحركات النسائية ظلت متفرقة متشعبة بعد وفاة هدى شعراوى فى ديسمبر ١٩٤٧ اذ كان ينقصها وحدة الكلمة وترابط الصفوف نتيجة لوفاتها ، ونتيجة للفراغ العظيم الذي تركته لعالم الزعامة ، اذ لم تستطع امراة أن تحتل مكانها ، وأن تحظى من النساء والرجال بالتجلة والتقدير والحب والاحترام الذى كان لهدى شعراوى .

وكنا نراقب الحركات النسائية الناجحة ونتحسر على فقدان الزعامة التي لو وجدت لجعلت لهذه الحركات خدمة وجهود لا تنمى أبدا .

كانت المصرية فى احتياج للزعيمة التى تجمع القلوب حولها وتنظم صفوف النساء وتنقى صفتهن الاصيلة التى سبق أن ذكرتها وهى حساسيتهن البالغة لمشاكل الوطن وقضاياه وتحولها الى طوفان عظيم يعود على مصر بكل ما تفتقده من خير عميم .

ثم اذا بالزعيمة المنتظرة تظهر فى الميدان فى شخص أم الابطال ... جيهان السادات ، هذه السيدة التى لم تفرض وجودها على أحد ، ولم تدع لنفسها قيادة أو زعامة ، انما خاضت ميدان الخدمة الاجتماعية والوطنية بمحض ارادتها واختيارها وتلبية لمشاعرها الوطنية الخالصة .

المرأة تجد زعامتها فى حرب أكتوبر



سيدات « الهلال الاحمر » يكرمن السيدة جيهان السادات . .

السيدة جيهان السادات فى زيارتها لرومانيا وبلغاريا

السيدة جيهان السادات أثناء لقائها بين بطلين من ابطال معارك رأس العش وشدوان . .





المرأة تجد زعامتها في حرب اكتوبر

فايمان جيهان السادات ببلادها والجهد المضنى الذى بذلته فى خدمة المحاربين ورعاية الجرحى .. الايام والليالى التى كانت تقضيها فى المستشفيات مع الجرحى والمشوهين ... الاسعافات والخدمات الحيوية التى كانت تقدمها للجيش المحارب سواء اكان على صفوف القتال ام خلفه ... البساطة والطيبة مع الصلابة والقوة .. التواضع فى جلال قوة الاحتمال .. الايمان الذى لا يأتيه شك من بين يديه ولا من خلفه بمصر وأرض مصر وابناء مصر .

كل هذه الصفات الرائعة التى كشفت عنها معركة السادس من اكتوبر قدمت للحركة النسائية فى بلادنا الزعيمة القادرة ليس على شغل الفراغ الذى تركته هدى شعراوى فقط ، بل على اتيان المعجزات فى جمع قلوب النساء وفى تنظيم صفوفهن، وفى اعداد جهودهن الاعداد الصائب فى خدمة مصر فقد كن يمرن من خلفها ويرين العجب من قدرتها على مواصلة الليل بالنهار فى خدمة الجرحى بالمستشفيات ، وفى جمع الاغذية والمعدات اللازمة للترفيه عن ابنائنا من المقاتلين .

كان الرجال الملازمون لها فى هذه الاونة يتهاوون متهالكين نتيجة الجهد المضنى الذى يبذلونه فى صحبتها وهى دونهم جميعا لا تتعب ولا تتهاوى ولا تتهالك . لم تنم من الليل الا ساعات قليلة ومع ذلك كانت دائما مشرقة الوجه ، دائما نشيطة الحركة متيقظة الذهن ، وضربت بنفسها المثل الاعلى فى القيادة الرشيدة ، وفى الزعامة المبدعة ، وفى الوطنية التى لا تقبل الشك .

ولكل هذا بايعتها نساء مصر الزعامة ، ولم تكن تسعى الى ذلك او تبتغيه واخترنها بمحض ارادتهن قائدة ومرشدة . ومثلا اعلى ، ويكفى ان نستعرض صورها مع الجرحى والمقاتلين والمشوهين والمرضى لنرى كيف تبدو الفرحة على وجوههم بلقائها والاحترام العظيم لشخصها ، مما رفع من شأن الحركة النسائية واعطى للمصرية تقديرا واحتراما ، وايمانها بقدرتها على القيام بالجهد الوطنى الخليق بأن يرفع من شأن مصر ويزيدها عزة وقوة .

لقد كرست أم الابطال حياتها وجهودها لخدمة بلادها ، فهى بجمعية الوفاء والامل التى تعد بها مدينة كاملة لتأهيل المعوقين من مقاتلى حرب اكتوبر ، تثبت أن الجهد العظيم الذى بذلته اثناء المعركة ، لم يكن فورة حماسية ، انما هو وفاء لمبادىء عظيمة عميقة الجذور فى نفسها .

***

لقد نقلت وكالات الانباء فى العالم كله انباء جهاد المصريات فى حرب اكتوبر وما بعده بقيادة جيهان السادات ، وكان لهذا الكلام اثره الكبير فى التأثير على الرأى العام العالمى الذى ظل الى ما قبل حرب اكتوبر يستهين بنا ويستصغر شأننا ويتفكه بجهل نسائنا وعجزهن عن القيام بأى عمل مثمر .

ان العالم الان ، ينظر الى المصرية من خلال جيهان السادات ، فيرى فيها المواطنة والمكافحة والمحاربة ،

القديرة على الوقوف مع أكثر نساء العالم تقدما جنبا الى جنب . ولقد أكد هذه الحقيقة كثير من اللقاءات الصحفية العالمية التى وجه فيها لسيدة مصر الاولى مختلف الاسئلة واستطلع رأيها فى قضايا عدة ،فكانت اجاباتها التى سمعها العالم الشرقى والغربى دليلا آخر على أن المصرية من خلال الزعيمة وجدت نفسها ، وأنها لن تقبل بعد ذلك أن تقف بين زوايا التقاعس ، ولن ترضى بالنسيان .

ولا جدال فى ان ايمان سيدة مصر الاولى ، وزعيمة النساء فى بلادنا بلا منازع بقضايا المرأة وبحقوقها ، وبضرورة احتلالها المكانة اللائقة بنساء شعب يرجو ان يصبح له ذكرى فى عالم القوة الذى نعيش فيه — سيكون الضامن الاكبر لتحقيق امالنا فى حركة نسائية ، او فى نهضة نسائية رائعة تعالج امراضنا القديمة ، وتعوضنا عن الخسائر الجسيمة التى تكبدناها من خلال نضالنا النسائى الطويل .

وبدون شك فقد أظهرت حرب أكتوبر المرأة المصرية فى صورة من الاستعداد للتضحية والفداء ، لا تقل مثقال ذرة عن وقفة الرجال المحاربين فى مواجهة الاسرائيليين ، وعادت المرأة المصرية من جديد تمارس دورها الفعال فى النضال والتضحية والفداء من أجل الوطن .. من اجل مصر العظيمة .

فى احد المؤتمرات العديدة بالمنوفية .. ام الابطال تسلم شهادة استثمار لام شهيد من الابطال فى حرب اكتوبر.



حسن إمام عمر

الفنون التعبيرية وحرب أكتوبر

ودارت الايام .. واقتربت الذكرى الحبيبة من عيدها الاول ، وتهيأنا جميعا للاحتفال بذكرى حرب اكتوبر المجيدة ، ذكرى النضال البطولي والنصر الذى رفع هامات العرب .. كل العرب .

والفن هو مرآة الشعوب ، والعيد المنتظر للذكرى الخالدة مهرجان للصور التى انعكست على هذه المرآة وفي السطور التالية نستعرض نقاء المرآة في عيد النصر .. عيد العبور من دياجير الهزيمة الى شروق الانتصار .

● الفنون الموسيقية ●

مما لا شك فيه ان المشتغلين بالموسيقى والغناء عندنا كانوا من اوائل المسارعين في متابعة الحدث الكبير ، وذلك لان الكلمة المشحونة بالانفعال في بحر من بحور الشعر تخرج سريعا من قائلها ، وتصل الى القلوب فور خروجها من صدر صاحبها ، بعكس الفيلم السينمائى وما يتبعه من اعداد وسيناريو وكتابة حوار ووقت للتصوير ، أو المسرحية تتطلب صياغة فى التزامات فنية تستغرق وقتا بالاضافة الى التدريب على الاداء .

فمنذ اللحظة الاولى التى نقلت فيها الاذاعة والتليفزيون البيان العسكرى الاول ، سارع اهل الغناء من مؤلفين وملحنين ومطربين ومطربات لتقديم انفعالاتهم الفورية



مشهد من « مدد مدد .. شدي حيلك يا بلد »

متطوعين بلا مقابل . واستمعنا فى نفس اليوم الى الاغنية السريعة التى تحاكى السرعة المذهلة التى حقق بها جيشنا البطل عبوره الكبير .

ووجدت الاغنية الجماعية طريقها الى قلوبنا وآذاننا بفضل المضمون الجماعى الذى اوحى به الحدث ذاته المتمثل فى جيش يعبر ويقاتل وينتصر وشعب يصمد وراء جيشه البطل .

ومهما قيل فى شأن الالحان التى ترددت خلال حرب اكتوبر ، وأنها انطباعات سريعة او انفعالات فورية ، الا انها كانت صادقة وامينة ، وما زالت اصداؤها عالقة فى رءوسنا واثيره الى وجداننا مثل « عبرنا الهزيمة » لشادية و « فى البلاد يا صبية » لعبد الحليم ، و « ام البطل » لجريفة فاشط ، و « باسم الله » و « راجعين » للمجموعة .

صحيح ان التقييم الفنى بعد ذلك كان يريد ما هو اكثر ثقلا بالمستوى الفنى الذى يرتفع الى القمة التى يقف عليها النصر ، الا ان الواقع التعبيرى فيه الكفاية المدعمة بالاخلاص والوفاء . وللانصاف نقول ان المرحوم على اسماعيل ، وبليغ حمدى قد اسهما بنصيب كبير فى وضع الحان ٦ اكتوبر المجيد .

ولقد قال لى المرحوم على اسماعيل الذى تهزنا الى اليوم اغانيه وموسيقاه البليغة عن حرب اكتوبر انه كان يرجو ان يجد فسحة من وقت ليفرغ ما فى ذاته الفنية من مدخرات عن الحدث الكبير فى سيمفونية عن ٦ اكتوبر ، لكن الموت لم يمهله ليقدم العمل الضخم الذى يرتفع الى مستوى الحدث او يدنو منه .

واخشى ما اخشاه ان تحل الذكرى الاولى لحرب اكتوبر دون ان نستمع الى انتاج جيد فى هذا المجال ، يكون قد استوفى جميع الشروط التى تمليه من مستوى المناسبة . فالانباء الفنية تفيد ان الاذاعة والتليفزيون قد ركزا جهودهما فى اعداد البرامج الخاصة والاعمال الدرامية عن حرب اكتوبر .

الفنون السينمائية

منذ نشوب المعارك البطولية عبر القناة ، والسينما تخوضها لتؤدى واجبها فى التسجيل والتعبير . فقد جندت هيئة السينما من شبابها

أكثر من بعثة سافرت الى القناة وسيناء ، وصورت أكثر من فيلم تسجيلى ووثائقى ، منها فيلم « ٦ ساعات » الذى أخرجه خليل شوقى وأعد السيناريو الخاص به سعد الدين وهبة ، والذى بيعت نسخ عديدة منه الى مختلف الدول ، واستأثر باعجاب سائر المهرجانات العالمية التى عرض فيها . ومنها ايضا فيلم « مبكي بلا حائط » الذى أخرجه هاشم النحاس ، وسجل فيه معرض الغنائم ، وقدم فيه مأساة الجندى الاسرائيلى الذى نفخته الدعاية الكاذبة حتى انفجر فى سيناء وانهار امام بطولات جنودنا مخلفا وراءه ما وضع فى يده من مدافع وصواريخ ودبابات وطائرات وسائر الاسلحة الثقيلة والخفيفة والالكترونية

وكذلك فيلم باسم « مدينة لن تموت » أخرجه حسين الطيب عن بور سعيد الصامدة ، بالاضافة الى الفيلم الذى أخرجه حسين كمال عن الاغنية التى كتبها صلاح جاهين ولحنها كمال الطويل وادتها غناء وتمثيلا النجمة سعاد حسنى باسم « ما اخذ بالقوة » .

كما قامت ادارة الشئون العامة بالقوات المسلحة بأعداد ثلاثة افلام تسجيلية منها فيلم « الارادة » الذى حظى هو أيضا بالاعجاب فى مهرجان طشقند السينمائى .

وبعد أيام قلائل والبلاد تحتفل بعيد ٦ اكتوبر ، ستقدم هيئة السينما اثنى عشر فيلما تسجيليا ، سيقدم منها المركز القومى للافلام التسجيلية اربعة افلام عن البطولات الخارقة التى سطرها المقاتل المصرى فى حرب اكتوبر المجيدة ، هى « تحية لمقاتل مصرى » اخراج صلاح التهامى و « صائد الدبابات » اخراج خيرى بشارة و « المقاتل سالم » للمخرج احمد راشد و « نهاية بارليف » اخراج عبد القادر التلمسانى .

وستقدم كذلك « تزرع المداخن وتحصد العدو » لصلاح التهامى و « رقصة العبور » اخراج شريف صبرى و « تعمير وتطهير » اخراج مدحت بكير .

أما المركز القومى للافلام التجريبية الذى يشرف عليه شادى عبد السلام فسيقدم « المقاتل المصرى » من اخراج شادى و « مسافر للشمال مسافر للجنوب » من اخراج سمير عوف . كما ستقدم المجموعة التى يشرف عليها خليل شوقى فيلمى « البحرية » و « موكب الابطال » بجانب فيلم عن التضامن العربى من خلال زيارات الرئيس لدول وامارات المنطقة العربية .

وغير خاف ان الافلام التسجيلية



على اسماعيل

والوثائقية أفلام لها قيمتها وخطورتها فى عالم السينما ، بل هى الجانب الموضوعى الواقعى الذى يحتفظ به فى المكتبات السينمائية لاثبات المراحل التاريخية والاحداث الكبيرة التى تقع فى حياة الشعوب

لقد أصدر الأستاذ يوسف السباعى وزير الثقافة قرارا يحتم منح اولوية العرض فى دور السينما خلال شهر اكتوبر للافلام التى تتناول حرب أكتوبر . وهذا القرار سيعطينا فرصة لان نرى فى عيد اكتوبر افلاما طويلة روائية مثل « الرصاصة لا تزال فى جيبى » انتاج مراد رمسيس نجيب واخراج حسام الدين مصطفى وبطولة نجوى ابراهيم ومحمود يس وحسين فهمى وسعيد صالح . والفيلم كما هو معروف من تأليف احسان عبد القدوس الذى كتب بدايته فى حرب ١٩٦٧ واستكمله بعد النصر فى ٦ أكتوبر .

ومن الافلام الروائية التى تمجد حرب اكتوبر فيلم « ابناء الصمت » انتاج واخراج محمد راضى وتصوير

محمود يس وحسين فهمى وسعيد صالح فى فيلم « الرصاصة لاتزال فى جيبى »



عبد العزيز فهمى وتمثيل محمود مرسى ونور الشريف وحمدى أحمد وميرفت أمين ، وفيلم « بدور » اخراج نادر جلال وبطولة محمود يس ونجلاء فتحى وهدى سلطان ومحمد رضا . وكذلك فيلم « الوفاء العظيم » اخراج حلمى رفلة الذى يسجل جانبا من حرب اكتوبر .

والامل ان تكون هذه الافلام الدرامية التى تروى فصولها أو بعضا منها احداث ٦ اكتوبر المجيدة ... الامل بل الواجب ان تتوازن مع ثقل المناسبة ، والا تكون مجرد محاولة لاستغلال الاهتمامات بالمعركة .

الفنون المسرحية

ان ما حدث فى الايام الخالدة التى ارتبطت فيها قلوبنا وعقولنا بانباء معارك اكتوبر وهى تزف الينا بواقعيتها التى اذهلت العالم كله الانتصارات المتتابعة لابطالنا البواسل ... المواقف الايجابية التى وقفتها الفنون المسرحية بجانب الجيشان الوطنى المتصاعد مع انباء المعركة .

كانت اجراءات الدفاع المدنى قد قضت بان يصدر قرار بتحديد ساعات السهر فى دور العرض السينمائى والمسرحى ، فتوقفت العروض المسرحية التى كانت تدور حول الترجمات الممصرة أو الفكاهة المسطحة وكان معظمها يلف ويدور حول الجنس ليجذب الجماهير بالاثارة او النكتة المكشوفة ، ولكن فرق القطاع العام التابعة لهيئة المسرح احست بمسئوليتها وفتحت ابوابها لدخول جماهير المتفرجين بالمجان لمشاهدة المسرحيات التى تتفاعل مع الاحداث الجارية . فبعد ايام قلائل قدم المسرح الحديث عرضه المتأجج بالحماس « مدد مدد شدى حيلك يا بلد » الذى يحكى حكاية مصر فى صياغة شعرية لزكى عمر وصياغة لحنية لمحمد نوح وفرقة النهار الموسيقية . ثم قدم نفس المسرح مسرحية « الحب والحرب » وهى وان لم تكن تتناول احداث ٦ اكتوبر تناولا مباشرا الا انها كانت تدور حول حقبة من تاريخنا توضح تعاون وتكاتف الشعب والجيش فى معاركه الوطنية ، واعنى بها ايام ثورة عرابى الذى تصدى بالشعب والجيش للزحف الاستعمارى

وقدم بعد ذلك ايضا « رحلة مع الحبايب » المسرحية التى كتبها هانى مطاوع وجمال عبد المقصود ، وعرضت نماذج بشرية عادية تجمعت فى أوتوبيس ، وتنعكس عليها انباء حربنا البطولية من خلال ارتباط كل

مديحة حمدى فى « الحب والحرب »



الفنون التعبيرية

شخصية منها بواحد من المتصلين بأحداثها سواء فى الجبهة أو خلفها

وقدم المسرح القومى مسرحية « حدث فى اكتوبر » تأليف اسماعيل العادلى واخراج كرم مطاوع ، وبطولة محمود يس وسهير الرشدى وعدد كبير من ممثلى الفرقة . وموضوع المسرحية كان يدور حول الدور المناسب الذى يجب ان يقوم به كل منا فى المعركة . وتناولت اسطورة ايزيس وأوزريس موضحة التطابق بينها وبين الاحداث الجارية . ومما يذكر عن هذه المسرحية ان سهير الرشدى قد بلغت فيها أوج الاداء التمثيلى واشعلت اكف وقلوب الجمهور الذى تزاحم على مشاهدتها . ولم يكن يعلم أحد فى ذلك الوقت ان الممثلة الناجحة تمارس الصدق مع التزامها الفنى وطاقتها العاطفية ، فهى بالاضافة الى تمكنها المسرحى كانت شقيقة شهيد من شهداء حرب ٦ اكتوبر .

وقدم المسرح القومى ايضا مسرحية

بليغ حمدى



« الجدعان » تأليف حسين رشدى واخراج محمد عبد العزيز .

وهى تصور الحياة اليومية فى حى الانفوشى بالاسكندرية والضياع الذى كانت تعيش فيه الجماهير واهتماماتها التافهة ، حتى انطلقت شرارة ٦ اكتوبر وكان يوم العبور العظيم الذى غير اهتمامات الجميع .

اما مسرح الطليعة فقد أعاد عرض مسرحية « الغول » واتاح الفرصة لبعض فرق الاقاليم لتقدم عروضها الوطنية . ثم قدم مسرحية « حراس الحياة » تأليف الاذاعى محمد الشناوى واخراج احمد عبد الحليم ، وهى مسرحية اهتمت بتحليل أحداث ٦ اكتوبر وتحديد شخصية البطل ، بجانب تحليل شخصية العدو والتعرف على تاريخه لتحقيق النصر عليه . ثم قدم مسرح الطليعة للزميل سعيد عبد الغنى مسرحيتين من تأليفه فى عرض واحد ، أولاهما « القرار » التى تصور معاناة مؤلف مسرحى يحاول تصوير أحداث ٦ اكتوبر ، وادراكه فى النهاية أن الحقيقة التى صنعها المقاتل المصرى تطغى على كل خيال .

اما الثانية « جبل المغناطيس » فتثبت أن ارض الابطال فى سيناء تجذب اليها الجميع كالمغناطيس بعد أن وضحت ارادة وكفاح وصمود الانسان المصرى . المسرحية الاولى اخرجها مجدى مجاهد ، والثانية اخرجها فهمى الخولى .

وقدم مسرح الطليعة ايضا مسرحية « عفاريت من ورق » تأليف صلاح راتب واخراج نبيل الألفى . وهى تدور حول ظهور (عفاريت) او اشباح الطيارين الاسرائيليين الذين سقطوا فى أرضنا المصرية بوسائل دفاعنا

الفنون التعبيرية

الجوى ، موضحة المدى العميق والراسخ الذى بلغه كفاح وصمود الشعب فى المعركة ، مع عرض

لتاريخ ونوايا الصهاينة عبر الاجيال المتعاقبة .

وقد اسهمت الثقافة الجماهيرية بنصيب كبير فى هذا المجال ، فشاهدنا « الشرارة » من فرقة

المنصورة و « حبيبتى السويس » من فرقة السويس ، بالاضافة الى « الشرارة » و « هنا القاهرة » من فرقة الطليعة .

اما عن العروض الجديدة فقد قررت هيئة المسرح أن تحتفل بذكرى انتصارات اكتوبر المجيدة على

مستوى الجمهورية وليس فى العاصمة وحدها ، متعاونة فى ذلك مع الثقافة

الجماهيرية ... ومن انباء الجديد الذى أعدته للمناسبة وللتداول بين

عواصم المحافظات فى عيد ٦ اكتوبر مسرحية « سقوط خط بارليف » للشاعر الفلسطينى هارون هاشم رشيد ، التى سيعرضها المسرح القومى .

اما المسرح الحديث فسيقدم مسرحيتى « رأس العش » تأليف سعد الدين وهبة واخراج سعد أردش

و « محاكمة الشعب المصرى » تأليف أحمد لطفى . كما سيقدم مسرح الطليعة مسرحية « محاكمة عم أحمد

الفلاح » تأليف الدكتور رشاد رشدى وبعد اعادة تنظيم وتكوين المسرح

الغنائى سيقدم على مسرح محمد فريد أوبريت « شلة الغد » تأليف الدكتور يوسف ادريس واخراج كرم مطاوع .

وسيقدم كذلك أوبريت « حبيبتى يا مصر » التى كتبها سعد الدين وهبه ويخرجها سعد أردش ، وتشترك

فى تقديمها الفرقة القومية للفنون الشعبية على مسرح أم كلثوم (البالون سابقا) .

اما أوبريت « الحب والسلام » التى كتبها يوسف السباعى وأعدها للمسرح عبد الرحمن شوقى ويخرجها محمد

سالم فستقدم على مسرح سيد درويش بالاسكندرية ، وتشترك فى تقديمها فرقة رضا للفنون الشعبية .

وهكذا يتضح لنا ان القطاع العام قد تلقى المسئولية فى قطاع المسرح ،

سواء اثناء المعركة او فى اعقابها او فى العيد الاول لنصر اكتوبر العظيم .

اما القطاع الخاص فقد بقى فى مسرحياته التى تستجدى الضحك وتثير مشاكل الجنس لتحوم حولها بالفكاهة المكشوفة والملحة المصطنعة .

ان الجماهير فى عيد ٦ اكتوبر تريد ان تعيش فرحتها الكبرى ، وتسترجع بطولة ايام المعركة ، خصوصا واننا

كما ينبهنا دائما قائدنا البطل ... ما زلنا فى المعركة .

ان الاحداث التى فاجأت فرق القطاع الخاص فاعتذرت بضعف امكانياتها

عن ملاحقة سرعة الاحداث والاشتراك بعمل مسرحى يشارك انفعال الجماهير

يكشفها كحجة واهية قدوم العيد بعد

عام كامل .. ولا جديد غير ما هو قائم .

سلاح البترول في المعركة

حسن زكي أحمد

هل هو مجرد سلاح فى المعركة ؟

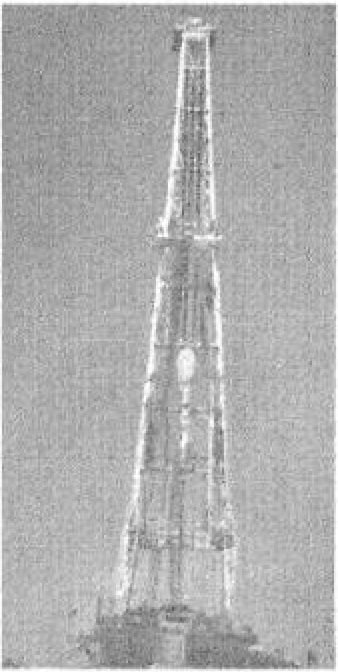
هل التعبير عن البترول بأنه سلاح فى المعركة التى قامت يوم ٦ أكتوبر المجيد .. يوم حقق المصريون والعرب من المعجزات الحربية والاقتصادية ما أذهل العالم .. ان هذا التعبير قد يوحى بأن البترول سلاح لا تظهر أهميته الا فى المعارك الحربية . بما قد يصرف الذهن عن حقيقة موقع البترول من معارك التنمية الاقتصادية فى العالم العربى ثم فى تغيير الهيكل الاقتصادى والمالى بين دول العالم أجمع . ليس فى حاضرها فحسب ولكن فى مستقبلها كذلك . ودليل ذلك أن العالم منذ حرب العاشر من رمضان لا يزال يراجع حساباته ويستعرض مواقفه ويرتب خططه بين التسليم بحقوق العرب الاقتصادية الكبرى أو اتخاذ الحلول المضادة ـ ان استطاع ـ للتقليل من أهمية آثار البترول على اقتصادياته

قصة البترول

وللبترول قصة .. هى قصة الطاقة .

فمنذ أكثر من قرن ونصف ، حين بدأت أمريكا تقود اقتصاديات العالم، وحتى عام ١٨٧٠ لم تكن تعتمد الا على الاخشاب كمصدر للوقود . وفى عام ١٩٠٠ كان الفحم يصاحب الخشب فى تلبية هذا الزمن وان كان قد بلغ استخدامه خمسة أضعافه ، وكانت جملة الطاقة المستهلكة وقتذاك عشرة بلايين وحدة حرارية وفقا للمقاييس البريطانية .

وفى عام ١٩٥٠ تضاعفت الطاقة المستخدمة الى ما يقرب من الاربعين مليونا وتنوعت مصادرها فأصبحت



سلاح البترول في المعركة

موزعة على الفحم بنسبة ٤٠٪ ثم البترول بنسبة ٣٥٪ والبترول بواقع ١٥٪ أما الاخشاب والقوة الهيدروليكية من مساقط المياه فقد اختصت كل منهما بـ ٥٪ فقط . ثم تغير الهيكل جذريا عام ١٩٧٠ فارتفع اجمالي الطاقة المستخدمة الى ٧٥ بليونا كان نصيب البترول السائل ثم الغاز الطبيعي اكثر من ٨٠٪ من هذا المجموع والباقي موزع بين الفحم ثم الكهرباء والاخشاب التي لم ترتفع نسبة الاخيرين فيها عن ٥٪ والباقي للفحم ·

واذا علمنا أن المقدر للطاقة التي سوف تستخدم في امريكا ان تبلغ ١٩٠ بليونا سنة ٢٠٠٠ تعتمد في الحصول على ١٢٠ بليونا منها على البترول والغاز الطبيعي (والاخير يعتبر ناتجا مرادفا للبترول) ثم ٤٠ بليونا فقط من الطاقة النووية والباقي من الفحم والكهرباء – لادركنا أن العالم سوف يعتمد على البترول والغاز اكثر من ٦٠٪من احتياجاته للطاقة حتى نهاية هذا القرن · وهذا هو الرد البليغ على الذين يشككون في اهمية بترول العالم العربي ويحددون ربع قرن لزوال اهميته ·

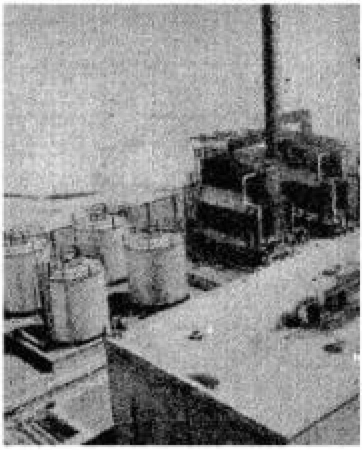
ومن الحقائق التي يحسن ابرازها أن استهلاك البترول في نصف القرن الاخير سواء في مجال الصناعة او الزراعة او الاستخدام المدني (سيارات الركوب والشحنة) قد تضاعف اربع مرات وباكثر من معدل زيادة السكان · وهو ما يوحي بزيادة معدل استهلاك الفرد من وحدات الطاقة الى الضعف · وان درجة التقدم الاقتصادي بين الدول تقاس بهذا المعدل ·

غير ان توزيع استخدام الطاقة يتفاوت بين الدول بعضها البعض · بل ان فجوة التفاوت اكثر ظهورا بين الدول صاحبة البترول (المنتجة) والدول مشترية البترول (المستهلكة) واذا كان في هذا الوضع دلالة معينة فانها تصبح اكثر وضوحا بعد تغيير هيكل الدول المنتجة منذ الحرب العالمية الثانية · فبينما كانت اهم الدول المنتجة للبترول قبل الحرب العالمية الثانية في الولايات المتحدة وروسيا وفنزويلا منذ ظهرت على مسرح الانتاج دول جديدة اصبح لها المركز القيادي في الكميات المنتجة الى جانب خصائص بترولية اخرى وهي دول الشرق الاوسط ولا سيما الكويت والعراق وايران وليبيا ثم المملكة العربية السعودية التي اصبحت ثاني الدول العالمية المصدرة للبترول

مزايا البترول العربي

أما الخصائص التي يتميز بها البترول العربي فيمكن أن نوجزها فيما يلي :

اولا – ان صادرات البترول العربي تمثل ٦٢٪ من التجارة العالمية للبترول ، وان العالم العربي يمتلك ٥٦٪ من اجمالي احتياطي العالم منه · وليس في ذلك مؤشر على اهمية بترول الشرق الاوسط فحسب ، بل وعلى زيادة معدل انتاجه (او بالاحرى



استنزافه) من هذه المادة الخام الرئيسية .

ثانيا : ان الاحتياطى العالمى القائم من البترول سوف يستنفد خلال الـ ٣٠ عاما المقبلة، (مالم يتم اكتشاف ابار جديدة) وذلك على أساس معدلات انتاج عام ١٩٧٢ ويخشى ان تقل هذه الفترة اذا ما ارتفعت معدلات الانتاج عن هذا العام .

وان الابار العربية اشد غزارة فى الانتاج منها فى الدول الاخرى . فهى تتراوح بين ٣٠٠ ، ١٠٠٠ برميل يوميا للبئر الواحدة، بينما لا تزيد على ٢٨٠ برميلا فى فنزويلا ومائة برميل فى الاتحاد السوفيتى ، واقل من ذلك فى كندا والولايات المتحدة .

ثالثا ـ ان تكاليف الانتاج فى البلاد العربية اقل منها فى غيرها بسبب معدل الانتاج لكل بئر كما ذكرنا ثم لانخفاض اجر العامل العربى . وبذلك تزداد تكلفة الاستثمار فى الدول الاخرى بالنسبة لمليون طن واحد ينتج بالزيادة حيث تبلغ فى امريكا ٩٠ مليونا من الدولارات و ٣٢ مليونا فى فنزويلا بينما لم تتعد التكلفة ٥ ملايين من الدولارات فى الدول العربية . وكان اخر ما اعلن على حساب التكلفة هو عن متوسط الانتاج فى السنوات من ٤٦ ـ ١٩٥٤ .

رابعا ـ ان شركات استغلال ابار البترول كانت تحصل على ميزات من الدول العربية افضل مما تحصل عليه من غيرها .. فهى قد انتشرت فى مساحات واسعة من الاراضى الزاخرة بالابار مما ضاعف انتاجها ، ومن ثم تحكمها فى معدلات الانتاج بينما كانت تدفع ٢٫٥٧ دولار كدفعة اولية للهكتار الواحد مقابل ٠٫١٤ فى البلاد العربية . هذا بالاضافة الى اعفاء اغلب هذه الشركات من الضرائب المباشرة وغير المباشرة خلال فترة الامتياز .

لذلك لم يكن مستغربا ان تزداد معدلات الانتاج فى البلاد العربية عنها فى الدول الاخرى التى تؤثر الاحتفاظ باحتياطيها والشراء من البترول الذى تتضاعف ارباح الشركات منه . فقد ارتفع مؤخرا وفى الفترة بين عامى ٧٠، ١٩٧٢ من ٧٨٠ مليون برميل الى ١٠١٧ خلال عامين . وانخفض من ١٩٣ ليصبح ١٦٧ فى الفترة ذاتها لفنزويلا ويظل بنفس المعدل فى الولايات المتحدة .

البترول ومعركة ١٠ رمضان

كثيرا ما يثار سؤال .. هل كانت حرب العاشر من رمضان باعثا لازمة البترول مشهرة لسلاحه فى وجه الدول المستهلكة ؟ .. أم انها هى التى عجلت بها ؟ ..وبعبارة اخرى هل كان سلاح البترول اجراء انتقاميا ، أم انه

تصحيح لأوضاع عادلة ؟

حقا ... لقد كان ثمـــة اجراءات اتخذتها الدول العربية بواسطة منظمة (الاوبك) سواء فيما يختص بخفض معدلات الانتاج أو تصـــديره لبعض الدول ومنعه عن بعضها (هولندا) ثم رفع أسعاره الى ما يقرب من أربعة أو خمسة أمثاله في الربع الاخير من عام ١٩٧٣ .. ولكن الدول العربيـة أعلنت أنها انما تريد اظهار العـالم على حقوق العـــرب الاساسية فى استرداد أراضيهم المسـلوبة . وهى بذلك لا تكن العداوة لباقى دول العالم التى تأثرت من هذه الاجراءات بدليل أنها وعدت بالعدول عن نسبة الخفض تدريجيا كلما لمست صحوة من العالم لحقوق العرب

ولكن هذه الاجراءات كانت طبيعية لإعادة الاسعار الى ما ينبغى ان تكون عليه من الناحية الاقتصادية ، فان البترول يصل الى الدول المستهلكة بما يقرب من عشرة أمثال سعره الذى تتقاضاه الدول المنتجة . والباقى يؤول الى الشركات المستغلة أو الشركات الناقلة . وكانت هـــذه الشركات الاخيرة تبرر الزيادة بسبب الطريق الذى كان يجب ان تسلكه حول قارة افريقيا وذلك فى اثر اغلاق قناة السويس . غير ان تكلفة طول الطريق لم تكن لتقابل ٢٥٪ من الزيادة . بل ان ارباح الشركات المستغلة والناقلة نتيجة هذه الاجراءات بلغت اكثر من ٣٥ بليونا من الدولارات . ولم تكن لتتكشف لنا هذه الحقيقة لولا حملة قامت بها وسائل الاعلام الامريكيـة حول تعمد هـذه الشركات اخفاءها تهربا من الضرائب . واغلب الظن ان التهرب لم يكن هدف الشركات بقـدر حرصها على اخفاء أرباحها حتى لا تثور ضدها الدول المستهلكة للبترول

ولذلك فان قرار دول (الاوبك) بزيادة اسعار البترول كان عادلا بدليل أن الدول المستهلكة تحصلت فرقا من سعر البيع باكثر من هذه الزيادة . بل ان الدول المنتجـة للبترول كانت تعانى من ضآلة نصيبها فى ثمـن البرميل المنتج وقامت بعدة محاولات سابقة على حرب اكتوبر لتعديل نسبة ما تحصل عليه من أرباح البترول فالمملكة العربية السعودية كانت تعانى من عجز فى ميزانيتها فى الخمسينات برغم وفرة ما تنتجه من البترول ، وطالبت بنظام المناصفة فى الارباح . بل انها رفعت نصيبها فى الارباح الى ٥٦٪ عام ١٩٥٨ . ثم لجأت الى نظام (المشاركة) فى رأس المال عام ١٩٦٥ بالاتفاق مع الدول التى تمنحهـــا الامتياز . ثم اتجهتبعد ذلك الى نظام المناولة بمعنى أن تقـــوم شركات الاستغلال بتقديم خبرتها الفنيـــة ومعاونيها الى الشركة الوطنيةالسعودية نظير نسبة من الارباح ، وبذلك يتم « سعدنة » شركات البترول ، ويقضى على أى تلاعب فى التكلفة الفنيـــة والادارية . كل ذلك تم قبـــل حرب اكتوبر وقبل تقدم الحكومة العربيـــة السـعودية لشراء شركة (ارامكو) التى يقدر مخزون امتيازها بـــ ٧٥ بليون طن



واقتفت كثرة الدول العـربية اثر حكومة المملكة السـعودية فى هذه

الاتجـاهات ، بل ان الكويت قررت خفض نسب انتاج البترول قبل حرب اكتوبر وسلكت الجمهورية العربيـة الليبية المسلك ذاته منذ عدة أعوام.

هجوم على رفع الاسعار

ومع ذلك فقد ثارت ثائرة الدول المستهلكة على اجراءات رفع اسعار الزيت ، وعبر عنها البعض بأنها حركة

ابتزاز . وارجع البعض الاخـر ظاهرة التضخم العـالمي الى زيادة اسـعار البترول . والواقع أن التضخـم في العالم يرجع الى اوائل الستينات وان مرجعه في الدول الصناعية الكبرى الى ظاهرة

اضراب العمال . تلك التي تكررت في عدة مـرافق وفي جوانب عدة من الانتاج (النقل والاذاعة والمناجم والشحن والتفريغ والسكة الحديد وغيرها) في كل من انجلترا وفرنسا وايطاليا بل واخيرا في المانياواليابان

ثم دعت الولايات المتحدة وبلسان هنري كيسنجر ، الدول المستهلكة لاتخاذ الاجراءات الكفيلة بخفض الاسعار في مؤتمر عالمي عقد بالولايات المتحدة ودعى لحضوره مندوبون من الدول المنتجـة ، واعلن كيسنجر ان

المسالة خطيرة وانها يجب ان تعالج على المستوى الجماعي للدول المستهلكة غير ان المؤتمر لم ينجح . فانفرنسا عارضـت المؤتمر من حيث المبدا . واعلنت انهـا عملية عرض وطلب

ولجات فرنسـا مع كل من انجلترا والمانيا واليابان الى اجراء عقود مع بعض الدول المنتجة لعـدة سنوات تضمن فيها الحصول على احتياجاتها من البترول الخام تقديم قروض من اجل الاسـتثمارات في التنميـة الاقتصادية ولا سيما في انشـاء

المصـانع لمنتجات البترول الكيماوية وكذلك الاسمنت والاسمدة وغيرها .

وبعد .. فنحـن لا ننكر ان الدول العربية المنتجة للنفط قـد تضاعفت مواردها بعد حـرب اكتوبر نتيجة قرارات زيادة الاسعار. ولكنها عملية تصحيح للاوضاع واسترداد لحقوقها بوصفها مالكة لآبار البترول . وان بلايين الدولارات المتدفقة على الدول العربية تثير اضطرابا عالميا سـواء بالنسبة لايداعها اوسحبها او تحويلها او التصرف الذاتي نحو إستثمارها او اقراضها لبعض الدول الناميـة . وبالفعل قررت بعض الدول العربيـة تخصيص جانب من عائدات البترول لدعم ومساعدة الدول الشقيقة ماليـا وهو امر تعاني منهالدول الصناعية الكبرى .

غير ان هناك بلايين من الدولارات اكثر منها لا تزال تحصل عليها هذه الدول الكبرى وهو الفرق بين قيمـة البترول الخام وثمـن المنتجات الصناعة المشتقة منه والتي تبلغ ١٨٠٠ صناعة اساسية . انه ينطوي على ارباح هائلة تحققها تلك الدول .. ثم عوائد اخرى للانتاج يحصل عليها العمـال في شكل اجور والمديرون في شكل مكافآت ، والبنوك في شكل فوائد وعمولات وبها جميعا يرتفع مستوى المعيشـة في الدول الكبرى ، بينما ينخفض المستوى ذاته لدى الدول الآخذة باسباب النمو .

فهل آن الاوان لوضـع الامر في نصابه .. ولتقارب مستويات المعيشة بين البشر جميعا . ويتنازل البعض عن حياة الترف والبذخ والاسراف في سبيل اعطاء الفرصة للبعض الاخر - صاحب الحـق - في معيشة الفضل ؟

د. سيد نوفل

وحدة العمل العربي أقوى أساس للنصر

وحدة العمل العربي ، أو العمل العربي المشترك ، تعبيران سارا منذ مؤتمر القمة العربي الاول بالقاهرة ، في مطلع عام الف وتسعمائة وأربعة وستين ... وكانا أحد مطافات المسار العربي على طريق الوحدة ، منذ بدأت محادثاتها من قبل ذلك بأكثر من عشرين عاما ...

ففي عام الف وتسعمائة واثنين وأربعين بدأت سبع دول عربية ناشئة اتصالات في القاهرة ، نجم عنها ما سمي حينذاك « محادثات الوحدة العربية » . لكن هذه المحادثات الطموحة ، التي اتصلت طوال الحرب العالمية الثانية ، ودلت في الوقت ذاته على أصالة المقومات الوحدوية في الفكر العربي ، لم تتمخض عن نظام عربي يشبه نظام الولايات المتحدة الامريكية او الاتحاد السويسري ، كما اقترح بعض المشاركين في هذه المحادثات ... وانما تمخضت عن « جامعة الدول العربية » ، يوقع ميثاقها في الثاني والعشرين من مارس (آذار) لعام الف وتسعمائة وخمسة وأربعين ، وتصاغ أحكامه في ايجاز وعموم قد يدلان على رابطة القومية التي تغني عن الاطناب والتفصيل لكن هذه الاحكام تؤكد أن هذه الجامعة ارتباط تعاهدي لا تلتزم فيه الدول الا بما توافق عليه من قرارات ، أي أن لكل منها حق النقض بالنسبة لنفسها ، وأن هذا الالتزام أدبي ، تنفذه كل دولة بوسائلها وطرائقها . ويفتقر الى أداة للتنفيذ التكافلي المتكامل ،

ومهما يكن من أمر ، فقد كانت رابطة القومية العربية أقوى من النصوص والمواثيق . ولهذا حقق التعاون العربي انجازات واسعة المدى في بعض المراحل والازمات ،

وكان التضامن العربى التام مع مصر وسورية فى حرب رمضان المجيدة من أروع هذه المواقف · بل ان الدول العربية اعضاء الجامعة ، التى نمت

من سبع الى عشرين ، قد ارتبطت باتفاقات وحدوية فى مجال الدفاع والاقتصاد والمواصلات والقانون والثقافة ، وان لم تستكمل بعد اسباب الشمول والتنفيذ ···

وكان موقع التنظيم العربى بارزا على طريق التجمعات الدولية المعاصرة ··· فقد سبق الامم المتحدة ·· ومنظمة الدول الامريكية ، ومجلس اوروبا ، ومجلس الشمال الاوربى ، والمجتمع الاقتصادى الاوربى او السوق الاوربية المشتركة ، ومنظمة الوحدة الافريقية ··· وتراوح السبق بين ثلاثة أشهر فى الاولى وثمانية عشر عاما فى الاخرى ··

دور الفاعلية الاول :

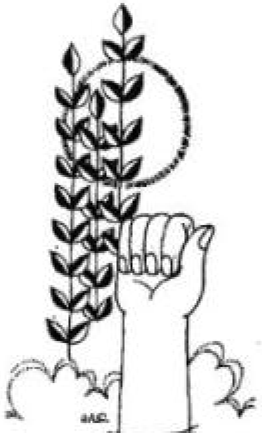
ولم يحل نظام التعاون الاختيارى للجامعة ، وأسباب القصور التى لازمت تكوينها، دون الاندفاع الارادى للامة العربية نحو الوحدة · وساعد على هذا الاجماع العربى على تأييد الجامعة ، ومحاولة الحكومات التقرب الى الجماهير بهذا التأييد ·· ولهذا بدأت الجامعة دورها الاول الفعال ، الذى امتد لاكثر من خمس سنوات ، وتمثل فى مواقف وانجازات عديدة ··· منها :

١ ـ السعى لدعم الشخصية الدولية للجامعة بتقرير انها « هيئة دولية تتمتع بشخصية مستقلة عن الدول الاعضاء فيها » ودعوة الحكومات الاجنبية وفى مقدمتها بريطانيا الى أن تنشىء « علاقات دبلوماسية رسمية مباشرة معها » ·

٢ ـ دعم التضامن العربى قاعدة اساسية للعمل العربى المشترك ، وتلافى الاسباب التى توهنه ، وتسوية مايثـا بين اى من الدول العربية وغيرها من خلاف ·

٣ ـ المشاركة فى نضال الاستقلال الوطنى للبلاد العربية ، وخاصة الحركة الوطنية للجلاء الفرنسى عن اراضى سورية ولبنان ، وحركة الشمال الافريقى ، واستقلال ليبيا ·

٤ ـ معالجة الجوانب المختلفة لقضية فلسطين ، سواء فى مواجهة لجان التحقيق والبعثات الاجنبية .



وحدة العمل العربي

والمقاطعة للمنتوجات الصهيونية ، والنطاق الداخلي الفلسطيني ، وفي النطاق القومي العربي وفي نطاق الامم المتحدة ، او في نطاق العمل العسكري المشترك ، وفي الهيئات واتفاقاتها ، حتى بروتوكول لوزان في ١٢ من مايو (آيار) لعام ١٩٤٩ ٠٠

٥ ـ توثيق الروابط العربية بالدول الاسيوية والافريقية ٠ وفي هذا المجال وضعت الجامعة البذور الاولى للتضامن الاسيوي الافريقي ٠٠ اذ جمعت دول القارتين حول المطالبة باستقلال تونس والمغرب ، وقضية فلسطين وسائر قضايا الحرية في اسيا وافريقية ٠

٦ ـ وضع قواعد التعاون العربي في المجالات الاقتصادية والثقافية والاجتماعية ٠

دور المقاومة :

وفي عام ١٩٤٩ انتهى دور الفاعلية او الاندفاع للجامعة ٠ وذلك لاسباب منها :

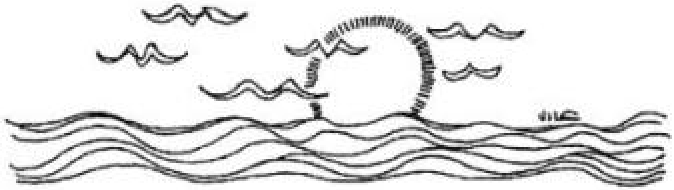
١ ـ هزيمة العرب الاولى في فلسطين عام ١٩٤٨ ، وما صحبها من اتهامات ، واضعاف للتضامن العربي ٠

٢ ـ ضعف الاستقلال الوطني لبعض الدول الاعضاء ، على وجه مكن لدول السيطرة الغربية ان تدفعها الى الطريق الذي ارادته ٠٠

٣ ـ ان العمل العربي المشترك لم يكن نتاج تخطيط محدد المعالم ، مبين الواجبات والمسئوليات ، مفصل الاساليب لمواجهة قضاياه ومشاكله ٠

ولهذا كان دور الفاعلية او الاندفاع الاول وليد العوامل الطبيعية الفطرية ، وعوامل التهديد الخارجي التي لا تحتمل التخلف ٠ لكن الاتساق الفطري لا يمكن ان يكون كالتخطيط المدروس ، المعتمد على الامكانات والوسائل المتاحة ، في قوة انتاجه للاثار والتغلب على الاحداث ، والثبات في وجه الهزائم والتحديات ٠ ولهذا لم يثبت العمل العربي المشترك ، بفاعليته العفوية ، للتحدي والهزيمة ٠٠

وحينئذ بدأ الدور الدفاعي ، أو دور المقاومة السلبية ، بعد الدور الاندفاعي أو دور الفاعلية ٠ وفي الدور الثاني خاض العرب معارك كثيرة حققوا نجاحا محدودا في مقاومة اثار الهزيمة ، وان لم ينجحوا في اتخاذ مواقف حاسمة او احداث اعمال ايجابية ٠ وقد تمثل ذلك في مقاومة محاولات التصفية لقضية فلسطين والتسليم بالامر الواقع بعد اتفاقات الهدنة ، وفي مقاومة محاولة عام ١٩٤٩ اقامة دفاع مشترك للدول العربية وسائر دول الشرق الاوسط مرتبط بحلف الاطلسي ، وفي الموافقة على معاهدة الدفاع المشترك والتعاون الاقتصادي بين دول الجامعة في عام ١٩٥٠ ، وهي تقترب من وحدة عسكرية واقتصادية وان لم يكتب لها التنفيذ ، وفي المعارضة الاجماعية للتصريح الثلاثي : الامريكي البريطاني



القـــرنسي ، في ٢٥ من مايو لعام ١٩٥٠ ، المتضمن عمل الدول الثلاث داخل الامم المتحدة وخارجها لكفالة الاوضاع القائمة في الشرق الاوسط، وضمان التوازن في التسلح بين الدول العربية مجتمعة من ناحية واسرائيل من ناحية اخرى · كما ظهر من بعد ذلك في مواقف اخرى اهمها معارضة مجلس الجامعة لحلف بغداد ، في اجتماع على مســـتوى رؤساء الحكومات ، يوم ٢٤ من ينـــاير (كانون الاول) لعام ١٩٥٥ ·

دور العمل خارج الجامعة

وفي غيبة العمل العربي المشترك ، وفقدان التضامن العربي ، جـــاء العدوان الثلاثي على مصر في عـام ١٩٥٦ ، وكان نمو فكرة الوحـــدة المصرية الســـورية ، مؤديا الى ان ترفع حينذاك شـــعارات العمل في النطاق الشعبي ، والتلاقي بين القوى المتقاربة والتهوين من شان الجامعة ·

وفي الاول من فبراير (شـــباط) لعام ١٩٥٨، اعلن في القاهرة الاتفاق على توحيد مصر وسورية في دولة واحدة اسمها : « الجمهورية العربية المتحدة » مفتـــوحة الباب لكل بلد عربي » يريد ان يشـــترك معها في وحـــدة أو اتحاد » · وفي ٢٢ من فبراير (شباط) ، وبعد الاســـتفتاء الشعبي بالقطرين في اليوم السابق ، أعلن قيام الجمهورية العربية المتحـــدة تضم سورية ومصر وعاصـــــمتها القاهرة ، ورئيسها رئيس جمهـورية مصر ··

وفي ١٤ من ذات الشـــهر أعلن ملكا العراق والاردن في عمان عقـــد اتفاق الاتحاد العربي بين الدولتين · وفي الثامن من مارس (آذار) ، أو بعد ثلاثة اسابيع ، تم في دمشـــق توقيع ميثاق انشاء اتحاد « الدول العربية المتحـــدة » بين الجمهورية العربية المتحدة والمملكة المتوكليـــة اليمنية ، ايماء الى الصورة الجديدة للتعاون العربي ، التي يمكن ان تحـــل محـــل الجامعة · لـــكن الاتحـــاد العراقي لم يمارس مهمته ، وانتهى في تموز من ذات العام ، كما ان « اتحاد الدول العربية المتحدة » ولد ميتا ·

وتصاعدت الخلافات العربية ··· وكان النزاع اللبناني ، فعـــرض الخلافات العربية على الامم المتحدة، فالحرب الاعلامية ، فالنزاع الكويتي العراقي ، فالانفصال المصري السوري ·· فملحمة (شتورة) ، فالصراعات المأساوية المتنوعة ، وكانت قمـــة المأساة في حرب اليمن عام ١٩٦٢ ·

وتمكنت اسرائيل في غيبة التضامن العربي وتفاقم الخـــلافات بين الدول العربية ، من المضي قدما في الاعـــداد لعدوان جديد ··· وان تتم المرحلة الاولى من تحويل مجرى نهر الاردن، وان يقف العرب عاجزين عن كفالة حرية الانتفاع بمياههم أمام التهديدات والاعتداءات الاسرائيلية ·

دور القمة العربية :

وأمام النذر الماثلة والاخطار المتفاقمة ، لم يكن بد من الاتجاه نحو الانقاذ والبحث عن سياسة جديدة ، هي سياسة القمة العربية .. واتصلت اجتماعات مؤتمر القمة الاول بالقاهرة من الثالث عشر حتى السابع عشر من يناير (كانون الاول) لعام ١٩٦٤ ، وقرر المؤتمر خطة لوحدة العمل العربي ذات قاعدة واربع دعائم . أما القاعدة فهي دعم التضامن القومي أساسا لوحدة العمل العربي الفعال .

واما الدعامات الاربع ، فاحداها المشروعات الفنية لاستثمار مياه نهر الاردن وروافده في لبنان وسورية والاردن . والثانية انشاء القيادة العربية الموحدة دعما للعمل الفني العربي ، ومواجهة لاحتمالات العدوان الاسرائيلي ، واعدادا لمعركة التحرير والثالثة ابراز الكيان الفلسطيني قوة فعالة في النضال القومي . والرابعة توحيد جهود العرب السياسية والاقتصادية والثقافية والاعلامية ، وحشد طاقاتهم لبناء التقدم اساس الاكتفاء والتفوق والنصر .

ونجم عن مؤتمر القمة العربي الاول دعم مذكور للعلاقات العربية ، ونشاط عربي جماعي في مختلف الميادين ، وقلق ظاهر في اسرائيل . كما سددت الدول المعنية انصبتها في التعزيزات العسكرية وانشاء القيادة العامة الموحدة ، وهي الكويت، ومصر والسعودية ، والعراق ، وليبيا . كما سددت انصبتها كل من الاردن والجزائر وسورية واليمن والسودان . وسددت كل من تونس والمغرب نصيبها في تكاليف انشاء القيادة الموحدة وهي نصف مليون جنيه وتم انشاء هذه القيادة الموحدة وممارسة مهامها في الوقت المعين لها كما تم انشاء هيئة استغلال نهر الاردن وروافده ، وممارسة مهامها في وقتها ، وكذلك تم قيام منظمة التحرير الفلسطينية .

وقد دفعت روح مؤتمر القمة العربي الاول العمل الاقتصادي خطوات تمثلت في دخول اتفاقية الوحدة الاقتصادية مرحلة التنفيذ بعد ان ظلت معطلة سنوات ، والتصديق عليها من مصر والعراق وسورية والاردن والكويت . وفي تكوين مجلس الوحدة وعقده دورتين، وفي اصدره قرار السوق العربية المشتركة . كما ادت الى توقيع اتفاقيتي الوحدة الثقافية وانشاء المنظمة العربية للتربية والعلوم والثقافة ، وتصديق عدد من الدول عليهما .

واجتمع مؤتمر القمة الثاني بالاسكندرية في ٥ من سبتمبر (ايلول) لعام ١٩٦٤ ، واتصلت اجتماعاته ستة أيام انتهى فيها من استكمال الخطط الموضوعة لمقاومة العدوان الصهيوني ، وقرر بدء العمل في المشروع العربي الموحد لاستثمار مياه نهر الاردن وروافده ، وعزز القيادة العربية الموحدة وزاد الدعم العسكري، وبارك قيام منظمة التحرير الفلسطينية وجيش التحرير الفلسطيني .. وأكد المضي قدما في تنفيذ مقررات المؤتمر الاول ودعم التضامن العربي، كما قرر أن يجتمع رؤساء الحكومات

وحدة العمل العربي

كل اربعة اشهر لمتابعة تنفيذ المقررات .. وتم اثناءه انضمام تونس والجزائر وليبيا والسودان الى معاهدة الدفاع المشترك . وبهذا اصبحت تضم جميع الدول الثلاث عشرة اعضاء الجامعة حينذاك .

ووافق مؤتمر القمة الثالث ، على تاكيد الدعوة الى دعم التضامن العربي كما قرر مبالغ جديدة للدعم العسكري بلغت نحو مائة مليون جنيه استرليني ، ووافق على خطة شاملة لمواجهة العدوان الاسرائيلي ، واكد المضي قدما في تنفيذ الخطط المقررة قبلا .

لكن تنفيذ سياسة القمة قد توقف، واشتد النزاع بين بعض الدول الاعضاء ، واستمر الصراع في اليمن ، وكان من المرجح عدم نجاح مؤتمر القمة الرابع بل تعميق الخلافات فيه . ولهذا اعلن رئيس الجمهورية العربية المتحدة في ٢٢ من يوليو لعام ١٩٦٦ طلب مصر تاجيل مؤتمر القمة العربي الرابع المقرر عقده بالجزائر في سبتمبر ١٩٦٦ ، وبهذا انتهت سياسة القمة العربية في عام ١٩٦٦ ، كي ياتي العدوان الاسرائيلي ، وتاتي مرحلة المعاناة التي استمرت حتى منتصف عام ١٩٧٢

مرحلة المعاناة منذ عام ١٩٦٦

انتهت سياسة القمة العربية ، بامالها المشرقة لربيع ١٩٦٤ ، في خريف ١٩٦٦ ، وجمدت القيادة الموحدة لجيوش الدول العربية ، وقاربت التجميد الهيئة الفنية لاستثمار مياه نهر الاردن وروافده ، وتوقف الوفاء بالالتزامات المالية ، ولم تمض منظمة التحرير الفلسطينية وجيشها في خططها المرسومة قبلا . وتبعت ذلك نذر العدوان الاسرائيلي الثالث بمظاهرها العديدة .

وحين وقع العدوان في صباح الخامس من يونيه (حزيران) لعام ١٩٦٧ ، وجه رئيس الجمهورية العربية المتحدة الدعوة مباشرة الى رؤساء الدول العربية لاتخاذ موقف جماعي ، في اجتماع أو بيان موحد يصدره كل منهم .. ولم يتيسر تحقيق ايهما .. لكن حركة المقاومة العربية للعدوان شملت البلاد العربية كلها ، وتوقف ضخ البترول عن البلاد التي اعتبرت حينذاك ضالعة في العدوان وهي الولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا والمانيا الغربية ، واضرب العمال في شركات البترول الاجنبية، وامتنع عمال الموانى العربية عن تمويل سفن الدول المذكورة أو تفريغها أو شحنها ، وعمت المظاهرات الغاضبة الاقطار العربية .

وقطعت كل من مصر وسورية والعراق والجزائر والسودان واليمن علاقاتها السياسية والاقتصادية بتلك الدول كلها أو بمن كانت له علاقة قائمة باى من الدول العربية الست . وتقاربت الدول العربية المتباعدة .. وكانت وحدة العمل العربي على أتمها في الامم المتحدة ، سواء في مجلس الامن أو في الجمعية العامة ، منذ بداية الازمة حتى صدور قرار مجلس الامن في الثاني والعشرين من نوفمبر (تشرين الثاني) لعام ١٩٦٧ .

وانتهت اجتماعات مؤتمر القمة العربي الرابع بالخرطوم في الاول من سبتمبر لعام ١٩٦٧ باصدار قرارات اجماعية من الدول الاثنتي عشرة الحاضرة اذ غابت سورية عن المؤتمر .. وتضمنت دعم التضامن العربي ،

وحدة العمل العربي

وحمل المسئولية المشتركة في ازالة آثار العدوان ، واباحة ضخ النفط ، والالتزام بدفع ١٣٥ مليون جنيه استرليني سنويا الى مصر والاردن : من الكويت ، والسعودية وليبيا ، والعمل لاقامة وحدة اقتصادية ، وانشاء الصندوق العربي للانماء الاقتصادى والاجتماعي .

وكان لقرارات الدعم والتضامن العربيين اثرها في تمكين مصر من شن حرب الاستنزاف التى ارهقت اسرائيل عامين وكانت تجربة حية، وتمهيدا حسنا لحرب رمضان المجيدة

حرب رمضان ووحدة العمل العربي

وكانت حرب رمضان أروع عطاء لوحدة العمل العربي ، كما انها في الوقت ذاته مدينة لهذا العمل بفضل مذكور . لقد كانت القرارات التي اتخذتها الدول العربية في اجتماعات الجامعة في السنتين السابقتين للحرب تتلخص فيما يأتي :

١ ـ استخدام النفط سلاحا في المعركة اذا نشب القتال مع اسرائيل.

٢ ـ الدعم العسكرى بمختلف الوسائل اذا استقر الرأى على موعد محدد غير بعيد لمعركة التحرير .

٣ ـ استخدام مختلف وسائل الدعم السياسي والاقتصادى في التصدى للعدوان والقوى المساندة ..

ومع أن تجارب الحروب الماضية منذ حرب ١٩٤٨ حتى حرب الاستنزاف في عام ١٩٦٩ ، اثبتت أصالة الوحدة العربية ، والتضامن في الشدائد ، وتناسى الخلافات اثناء المعارك على الاقل ـ فان الكثيرين كانوا يقدرون ان هذه المواجهة بعيدة المنال ...

لكن القيادة السياسية للحرب استخدمت هذه الالتزامات واستفادت منها ، ودعمتها ، وتقدمت على ارضها الصلبة الى حرب العبور الكبير ...

وكان النجاح الرائع السريع في عبور القناة والاستيلاء على حصون بارليف المنيعة والهجمات الباسلة السورية، والتهديد للوجود الاسرائيلي من الشمال والجنوب ـ كما يعترف الاسرائيليون ـ كان ذلك عاملا قويا في دعم وحدة العمل العربي، والتمكين من صدور القرار العربي الاجماعي باستخدام النفط العربي سلاحا في المعركة بعد العبور بعشرة أيام ، والسيطرة لاول مرة على أسعار النفط والتحكم في مسارها طبقا للعوامل التجارية الدولية ، والتضامن السياسي والاقتصادى العربي، وظهور العرب قوة دولية عسكرية واقتصادية يحسب لها المجتمع الدولي كل الحساب .

وكان من اعظم نتائج هذا النصر معرفة العرب بانفسهم وبقواهم ، ومعرفة العالم بهم وسقوط دعاوى التفرق والتخلف والعجز عن استخدام العلم الحديث التي يرمون بها ، وبطلان اساطير التفوق الاسرائيلية التي مكنت لها السلبية العربية

الماضية ، والقصور المعيب عن استخدام ما وهبنا الله من القوى الاسلحة البشرية والاستراتيجية والطبيعية والحضارية .

وذلك يلقى علينا مسئوليات أعظم فى دعم هذه الوحدة والتقدم بها حتى النصر الكامل فى معركتى التحرير والتنمية .

المشاكل القائمة :

فهل هناك عقبات فى سبيل هذا المسار المحتوم لنصرنا وبقائنا وتقدمنا وعدونا والقوى المؤيدة له تحاول جاهدة الاستفادة من دروس الهزيمة ، وتدق من جديد طبول الحرب والعدوان ؟ .

ان ماتراه اليوم وماراينآه من قبل على صفحة السياسة العربية ، من تباين يسرف البعض فيسميه خلافا ، لا يتجاوز فى الواقع نطاق المشكلات ، والمشكلة هى التى تواجه مجتمعا من



المجتمعات ، اما الخلاف فيقع بين مجتمع ومجتمع اخر غريب عنه . والامة العربية مجتمع واحد أيا كان القياس الذى يقاس به نشوء المجتمعات وتطورها ونموها .

فالمشكلات القائمة ناجمة عن اختلاف فى المسلك ، وليس عن خلاف فى المبدأ والهدف . فهو تباين فى المواقف ، ثم تنوع فى التطبيق تحت الهدف الواحد ومن خلال استحداث انتماءات فرعية ، ومن قضايا الثراء والتنمية .

واذا اريد بنا ان نضرب مثلا لمشكلة المسالك ، فان لنا فى حرب العاشر من رمضان مثلا حيا قريبا من الاذهان . ولو فرضت مصر صيغة معينة على الجميع لاخفقت ، ولكنها عملت وتركت لكل ان يعمل حسبما يمكنه او يريد ، وكانت النتيجة طيبة مع اختلاف المسالك من قتال الى عون مالى الى دعم سياسى واعلامى ...

وداخلت المعركة طورا جديداً ، تحتم ان ينتظر القتال افساحا لمسالك اخرى . وهنا ثارت مشكلة اصحاب الدعم والاصرار على التضحية والقتال ، بينما راى المارسون ان الحكمة تقضى بتنويع المسالك للاسلحة المتنوعة . ومثل ذلك النفط سلاحا فى المعركة ، حين اثمر اوسع النتائج والتاثيرات ، مع تنوع المسلك بالنفط ذاته ، فتحول من حظر مانع الى حظر موصوف الى حظر نسبى ثم الى انفراج .

مشاكل المواقف :

ولعل جوهر مشكلة المواقف فى العالم العربى ، هو التصور الخاطىء ان الموقف مبدا اوارتباط بالمبادىء .

وحدة العمل العربي

بينما الموقف قرار سياسي يتخذ على ضوء ظروف معينة، وتدخل في تقديره مجموعة من الاعتبارات .. ومن بين تلك الاعتبارات المبادىء والقيم والمصالح والاهداف وشتى العلاقات . فهناك بون شاسع بين المبادىء والمواقف ، ابرزها أن المبادىء ثابتة والمواقف متغيرة متحركة .

وقد عايش نصف القرن الماضي من الزمان مأساة الجمود العربي على المواقف والسلبية القاتلة ، في عالم متغير يموج بالحركة الدائبة . وذلك منذ وعد بلفور في عام ١٩١٧ حتى عام ١٩٦٧ . وجاءت حرب العاشر من رمضان ، لتثبت روحا جديدة هي روح مرونة المواقف وتعددها وتنوعها وذلك من خلال ادراك مدلولات الحركة السياسية على انفساح العالم . وتحول الرفض الجامد الى قبول متحرك . وتنوعت تبعا لذلك بعض المواقف ، وفي التنوع مميزات ومزايا. بشرط ان يكون تنوعا مدروسا مقبولا . وتحرك العالم من حولنا ، متجانسا مع حركتنا ومتوافقا معها . وذلك بعد أن كانت حركة العالم تسقطنا من حسابها . فأصبحنا عنصرا مؤثرا في حركة العالم ، وتحدث الساسة الغربيون عن الحركة العربية الدولية ، بمكاسبها الوفيرة . بل سموا العرب القوة السادسة بعد الولايات المتحدة ، والاتحاد السوفيتي ، والصين ، وأوربا الغربية ، واليابان .

مشاكل الانتماءات الفرعية

ومن مشكلات العالم العربي ، المشكلات المترتبة على ما يمكن ان نسميه بالانتماءات الفرعية ، بينما يتعين ان يكون الانتماء الاول والاخير للامة العربية .

ومبعث الانتماءات الفرعية ، ان الفكر العربي اخذ يطرق الفكر العالمي ليلجه في مراحل تبلورت فيها نظريات جديدة .. لكن العالم تجاوز هذه المراحل ، ودخل مرحلة التعايش والوفاق ، ونحن لايزال بعضنا متشبثا بالماضي ...

وساعد على هذا التماس القوة السياسية والدعم العسكري من القوى العالمية ..

وان الفكر العربي لدعو للبحث العميق عن الصياغات المناسبة لتأصيل الانتماء العربي ، وخاصة في عالمنا الذي تغيرت فيه المواقع ، ولم يعد للمذاهب السياسية اثر قد يؤثر في العلاقات الدولية ، والحفاظ في ذات الوقت على تنمية الروابط الدولية والمصالح العربية .

وحدة العمل العربي بقاء ومصير

واذا اردنا التطلع الى المستقبل المحتوم لوحدة العمل العربي ، فأن الامل كبير في مستقبل أعز وأقوى . ويرجع ذلك الى اسباب كثيرة ، منها :-

١ ـ التطورات والاحداث العربية المعاصرة ، فضلا عن المواقف التاريخية لمختلف العصور . فقد اثبتت هذه جميعا ان العرب يقوى جانبهم كلما اتحدوا ، وان امورهم تكون على العكس من ذلك كلما تبدد شملهم .

٢ ـ ان المنطقة العربية ذات اهمية

استراتيجية دولية ، بالبحرين الابيض والاحمر وقناة السويس وباب المندب وبحر العرب والخليج ، وبمصادر البترول وبمراكز المواصلات الجوية . وهى لذلك ذات مطامع اجنبية متصلة ، والنهوض بواجب الدفاع الاقليمى والتصدى للتهديد والعدوان لا مناص فيهما من عمل قومى مشترك ، ومسئوليات وواجبات جماعية . وخاصة بعد تصارع القوى الكبرى فى مياهنا الاقليمية .

٣ ـ ان المطامع العالمية فى موقع العالم العربى وامكاناته وثرواته ، قد مكن لها ان العرب ظلوا عاجزين بتخلفهم وتفرقهم عن السيطرة على منطقتهم .

٤ ـ ان اعتمادنا يجب ان يكون فى المقام الاول على قوانا الذاتية . فقد ثبت ان التبادل الحر المتكافىء هو السبيل للتقدم والكسب . ولن يتاتى ذلك الا بتقوية انفسنا جماعيا ... بل ان اصدقاءنا من القوى الدولية يؤكدون على ضرورة الوحدة العربية سبيلا للنجاة والبقاء والتقدم .

٥ ـ ان اعداءنا يخططون على اساس الوحدة العربية ، والتوازن بين القوى العربية مجتمعة وقوة اسرائيل فى المنطقة . وذلك يستلزم مواجهة التحدى متحدين .

٦ ـ واقع التطور الدولى لعصرنا وما يحتمه من التعاون الاقليمى والدولى بين الامم المختلفة فضلا عن شعوب امة واحدة عربية ، وحلول الاعتماد المتبادل محل الاستقلال التام فى العلاقات الدولية لا يامننا ، وعدم التقدير فى هذا المجال لا ختلاف النظم السياسية والاقتصادية والاجتماعية او اتفاقها . واذا لم ناخذ بهذه القاعدة ولم نعمل صفا واحدا ، وامكانات بشرية وطبيعية متكاملة ، تخلفنا عن عصرنا وحملنا مسئولية السيطرة الاجنبية على بلادنا والاستغلال العدوانى لمرافقنا وثرواتنا .

٧ ـ ان بناء التقدم ، وهو المقياس الاول لقوة الامم وضعفها فى عالمنا ، لا يقل اهمية عن بناء القوة الدفاعية ، بل ان الاثنين متلازمان ... وما دامت هنالك ثغرات او مواطن فراغ فى منطقتنا الحيوية لحضارة العالم ، فستعمل القوى الاجنبية التى جاءت من قريب او من بعيد لملئها ، وسنظل نحمل فى المقام الاول مسئولية التمكين للعدوان الاجنبى منا ولن نلوم الاستعمار والصهيونية وانما نلوم انفسنا ... وبناء التقدم العربى لن يتم الا بحشد جميع الطاقات وتجنيد جميع القوى فى النهوض بهذا الواجب القومى .

٨ ـ ان الفكر العربى متفق فى اساسه على هذا منذ وقت طويل ، وكان ذلك الحافز الى اقامة الجامعة والى المشروعات والمحاولات المتعاقبة لدعمها منذ نشاتها حتى عام ١٩٦٧ ، كما كان احدى دعائم النصر الكبير فى عام ١٩٧٣ .

وما دام العرب مصممين على تحرير ارضهم المحتلة جميعاء ، وما داموا مقبلين على علاقات جديدة مع افريقيا ، وعلى حوار مع أوربا الغربية ، وعلى تنظيم روابطهم بمختلف القوى على اساس المواقف العادلة والمصالح المتبادلة وبناء التنمية العربية الشاملة ـ فمن المتعين عليهم ان يقيموا فيما بينهم وحدة عمل صلبة : سياسيا ودفاعيا واقتصاديا .

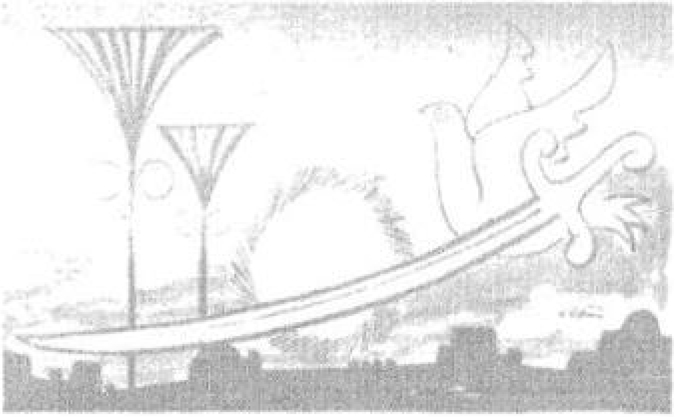
د. عبده بدوى

القحط وفارس القبيلة

عند تبّع ، وواحة ماهولة أصبح القحط سيدا فى القبيله
لم يدع وردة على سور نفس تتناغى مع الطيور الجميله
كلما مرت « الصبا » وضعتها فى قيود سيوفه المسلوله
قبل أن يزهر الفؤاد بروض يخنق الشعر فى الحروف النبيله
يزجر « العيس » كلما رف قلب نحو قلب .. ورنا فى خميله
يحرق النور من جفون « الخزامى » ثم يلقى على الصباح ذبوله
يشطر النفس ، ثم يمضى بزهو لا يوارى فى رعشة « هابيله »
.. ألف عام مضى ، وكل صباح كان جرحا ، وعزمة مشلوله
آه يا سقطة النقاء وديعا ! وشحوب البراءة المقتوله !

***

بينما الذل واغل فى خيام وكبار النفوس حيرى ملوله
حرك القحط هاتف من نماء وتمشت أمنية مغلوله
مال منها النخيل فوق اخضرار وتهادى النسيم فى القيلوله
وترامى بعمقها أفق غيم واستفاقت حمائم مهزوله
وتمطت بكل حبة قمح لثغة طفلة ، ودنيا ظليله



نبْضة ، بعد نبضةٍ ، بعد أخرى   وإذا الرمل جنـــة مأموله !

***

زغردتْ « عبلةٌ » ومدتْ يديها   تمسك الشمس ، والسماء الجليله

إيه يا «عَبْس» قد صمت طويلا   وتلويت في الجبـال الطويـله

فاطبعي الحب في جبين قـوى   والثرى غيرةٌ عليه الجـديلة

.. هل ترى في غدٍ سيصرخ صوت   يلعنُ اللون ، والسيوف الصقيله

هل ترى في غد سيولد حِقـدٌ   وتغطى الأعشـاب وجه الطفوله

هل ترى في غد سيرجع مُمَسَّخٌ   وجهه وجنهُ بومة مرزولـه ؟

***

أيها القادمُ الذي كان حلُماً   في جفونٍ مؤرقات ذليـله

والذي كان في النقـوش صلاةً   وعلى كـل معبـد تهـليله

والذي قيل «ديك عنتر» فاهتا   جتْ رماح ، وأحكِمتْ أحبوله

والذي كان في تلفت « عمرو »   وهو خلف الفسطاط يزجي خيوله

والذي كان في خطا « المتنبي»   وهو يجتاح رغبةً ممطـوله

.. دونك اليـوم عالم يتـراءى   فاستمعْ شدْوه، واسكتْ صليله

قد مضى الليلَ – يا لليل رهيب !؟   وأتى الصبحُ – يا لصبح البطوله !؟

أنور الجندى

حرب رمضان من خلال المؤلفات العربية الحديثة

لا يزال العاشر من رمضان ، وسيظل الى وقت طويل ، من الاحداث التى يؤرخ بها فى تاريخ العرب والمسلمين كعلامة على طريق التحرر والتحول والانتقال من حال الى حال ، ومن وضع الى وضع ... وهو كذلك بالنسبة للاستراتيجية العالمية وللاستعمار والصهيونية (موقف حاسم) يتوقف المراقبون والباحثون والمؤرخون عنده طويلا . يدرسونه ويحللونه ويستنتجون منه نتائج مختلفة تتركز جميعا بلا استثناء على حقيقة اساسية تنقض كل ما كان يقال ويذاع ويكتب عن قدرة العرب القتالية وكفاءة الجندى المصرى واستيعابه لكل المنجزات العصرية والآلات التكنولوجية بكفاية واقتدار ...

لقد صدرت عشرات الكتب والبحوث والدراسات ونشرت مئات المقالات فى الصحف العالمية . وفى مصر صدرت مجموعة من الكتب حرصت على استيعاب ذلك الحدث من وجهاته المختلفة ومن نواحيه المتعددة . وكان أغلب ما كتب انما يمثل محاولة لاستعراض وقائع حرب العاشر من رمضان تفصيلا وآثارها العامة وما حققت من نتائج ، وتكاد هذه الدراسات جميعا تتفق على عدة عناصر اساسية امكن ان تتحقق بالفعل وان تحدث تغييرا واسعا فى مجالات السياسة والمجتمع والأستراتيجية العالمية هى :

اولا : كانت سببا فى وحدة عربية شاملة وحققت موقفا عربيا موحدا لم يشهده العالم من قبل .

ثانيا : عززت الوحـــدة الوطنية بصورة لم تشهدها مصر سابقا ·
ثالثا :اعادت الى القوات المسلحة المصرية ثقتها بنفســها كما اعادت لشعب مصر ثقته بقواته المسلحة ·

رابعا : قضت على اسطورة جيش اسرائيل الذى لا يقهر ·
خامسا : غيرت الاســـتراتيجية العسكرية فى العالم كله ·

سادسا : قلبت الموازين العسكرية فى العالم
سابعا : حركت ازمة الشرق الاوسط بدرجة لم تحدث فى اى وقت مضى

هذه هى ابرز النتائج التى احدثتها حرب العاشر من رمضان (٦ اكتوبر) كما تصورها اغلب الدارسين ·

كتب عربية عن حرب رمضان

حرب رمضان : (الجولة العربية الاسرائيلية الرابعة) حسن البدرى – طه المجدوب – ضياء الدين زهدى ·
المفاجأة : دور المخابرات فى حرب الشرق الاوسط : ماهر عبد الحميد ·

حرب اكتوبر : دراســـات فى الجوانب الاجتماعية والســياسية – (الاهرام)
وتحطمت الاسطورة عند الظهر : احمد بهاء الدين ·

٦ اكتوبر فى الاســــتراتيجية العالمية : د · جمال حمدان ·
حرب الســاعات الست : دكتور عبد الكريم درويش وليلى تكلا
ومن ابرز ما عنيت به هـــذه المؤلفات وحشدت له اهتماما كبيرا :

١ – كفاءة المقاتل العربى

وكان ابرز ما تكشفت عنه حرب رمضان فى تقدير الباحثين والكتاب جميعا هو « كفاءة المقاتل العربى » : وقد صـــورها دكتور عبد الكريم درويش فى كتابه حرب الساعات الست تصويرا صافيا حين قال :

بعد ست ساعات من القتال بدا العـــالم يرى المقاتل المصرى والمقاتل العربى فى صـــورة اخرى ، وقالت مجلة نيوزويك : ان الاساطير التى قامت منذ انتصار اسرائيل الخاطف فى حرب ١٩٦٧ · قد تداعت يوما بعد يوم او على الاقل شـــوهت بصـــورة بشعة ، ولقد كانت هناك خرافة تقول ان العرب ليســـوا محاربين على الاطلاق حيث طمست احداث حـــرب ١٩٦٧ من ذكريات الناس ان المحاربين العرب نشروا يوما ما دعوة الاسلام فى كل مكان فاتحين وغازين نصف العالم المتحضر حينئذ ·

وقالت صحيفة دير شـــبيجل الالمانية : « ان الجنود العـــرب قد



حرب رمضان

قاتلوا هذه المرة بصورة لم تعهدها فيهم ولم يتوقعها العالم منهم ».

لقد عاد العربي فعلا بعد قرون من الكبت والاحتلال والاستغلال ، عاد العربي الى اصله واصالته كمحارب قدير بدافع بايمانه ويؤمن بما يدافع عنه ، وثبت انه اذا توفرت له الظروف والامكانيات استبسل وضحى بنفسه بلا تردد وحقق الكثير .

وخرجت قصص بطولات يفوق بعضها الخيال واعادت للاذهان ذكرى غزوة « بدر » وغزوة « احد » ومعارك القادسية واليرموك وحطين وعين جالوت وفتح العرب لمصر والمغرب والاندلس .

وبدات صحافة العالم تتذكر وتذكر بفتوحات العرب وقدراتهم العسكرية بدات تتكلم عن المصرى الذى صنع من نفسه قنبلة تنفجر امام دبابات ليؤخر تقدم العدو ، او لينقذ رفاقه . وتتحدث عن الجندى السورى الذى غادر المستشفى قبل اتمام علاجه ليعود الى جبهة القتال .

وقال مراسل مجلة (تايم) : « ان روح المقاتل العربى كانت عالية جداً ، وكان المصريون يلوحون لنا فرحين وهم ينادون (الله اكبر)

ورغم اننا كنا نسمع صوت المعركة الرهيبة التى تدور قريبا منا الا ان الفرحة والسعادة كانت تغمر القوات المصرية بصورة واضحة ، ولم يبد عليها القلق بل كانت تشير بكل فخر الى العلم المصرى وهو يرفرف على خط (بارليف) وامام هذا العلم ومن اجله ، نسى المقاتل نفسه ، واسرته ، ومصالحه ، لم يفكر الا فى مصر . »

ويروى مراسل (تايم) فى سيناء ان قائد المنطقة المصرى قال له بكل فخر واعتزاز : ان افضل سلاح عندنا هو شجاعة المصرى .

وقال : ان الجندى الاسرائيلى يحارب من دبابته اما نحن فاننا نحارب على ارجلنا .

لقد تمكن المقاتل العربى خلال ربع قرن ان يقفز من القرون الوسطى الى القرن العشرين واستوعب العصر ومعداته بصورة انتزعت اعجاب العالم .

ان المقاتل العربى فى هذه الحرب قد استوعب الجوانب التكنولوجية تصاحبها بسالة وفدائية وهو الازدواج الذى لم يتوفر لنا عام ١٩٦٧ لضرورة الانتصار ، ذلك ان الحرب فى جوهرها مادة وروح ، قوة وقدرة ، ارادة ورغبة ، سلاح ودافع ، وعندما يتوفر الجانبان معا يمكن للانسان ان يحقق المعجزات والعجائب بالالة ولا يمكن للالة ان توصل الانسان الى تحقيق اهدافه

ان قصص البطولة التى كتبها العربى المقاتل يمكن ان تملا مجلدات ومجلدات ، وهى قصص لم تعرف كلها بعد وهى اذا جمعت ستكون اجمل صفحة فى كتاب مصر الحديثة . ان المقاتل العربى كان مقاتلا ورائدا ومحررا وسفيرا .

هؤلاء الابطال الذين خرجوا من هذا الشعب ، من هذه الامة فى

فترة حالكة ساد فيها الظلام ليحملوا مشاعل النور وليضيئوا الطريق حتى تستطيع امتهم ان تعبر الجسر ما بين اليأس والرجاء ٠

٢ ـ صيحة (الله اكبر)

ولقد وجدت صيحة « الله اكبر » اهتماما كبيرا من الكتاب ذوى الاصالة والقدرة على فهم نفسية المقاتل العربى الذى ينطوى على ايمان صادق بالله والذى يتقدم وهو مؤمن بانه يقاتل فى سبيل الله حقا وهذا ما يصوره صاحب كتاب (حرب الساعات الست) حين يقول :

هناك بوادر عودة الحضارة العربية بجوانبها العلمية : وهذه مؤشرات لعودة الحضارة فى جوانبها الانسانية والروحية ٠

لقد كان الايمان بالله سلاحا فى المعركة ، وكانت صيحة الله اكبر التى اطلقها الجنود وهم يعبرون وتتردد اصداؤها فى جنبات سيناء وتشق عنان السماء ، ابلغ دليل على تمسك مجتمعنا بالمبادىء والقيم الدينية واقوى برهان على عقم ما اراد العالم ان يصفنا به

باننا شعوب قد تخلت عن العقائد الدينية وتبنت مذاهب سياسية معروفة بجفافها الروحى محرومة من قوة الايمان ٠

لقد اجملت تلك الصيحة المبكرة فى كلمتين عظيمتين : الروح التى سادت المقاتلين خلال قتالهم واشعت نبضاتها على الجبهة الداخلية فردد كل عربى هذا النداء فى وحدة وطنية رائعة : الله اكبر الله اكبر ٠

ومما يضاف الى ما اورده الكتاب تلك الاخبار التى تواترت من ان معاهد الاستراتيجية العليا الغربية تدرس الان « الله اكبر » بوصفها سلاحا كونيا غير مجرى الاحداث

٣ ـ الصوم

وتحدثت صحيفة الجارديان فيما اشار اليه كتاب (حرب الساعات الست) عن الجوانب الروحية والانسانية قائلة :

« ان المقاتل العربى المسلم الذى قاتل فى شهر رمضان استمر فى صيامه رغم السماح له بالافطار ، والاغرب من ذلك أن زميله المقاتل المسيحى قد شاركه بدوره فى هذا الصيام . لقد اندثرت تماما من ذكرى العرب جميعا اصداء ذلك الشقاق الطائفى ٠ لقد حاولت اذاعة اسرائيل خلال الايام الاولى من المعركة ان تشعل فتنة بين العرب وان تشعل شقاقا طائفيا ولكن محاولتها هذه ولدت ميتة ، فقد حارب عربى الشرق مع عربى الغرب وقاتل العربى الابيض بجانب العربى الاسمر واستشهد العربى المسلم بجانب اخيه المسيحى ٠

كذلك براءة حرب رمضان من اعمال الابادة والعدوان ٠ فلم تصدر اى بادرة تنم عن التشفى باليهود ٠

٤ ـ استيعاب فنون الحرب الالكترونية

واشارت دراسات الكتاب الى ما حققته حرب العاشر من رمضان فى دحض شبهة التخلف الحضارى

واستعرضت هذه الدراسات صور الحرب النفسية التى شنها العدو بعد حرب ١٩٦٧ عما اطلق عليه (الفجوة الحضارية) ، ولقد قضت حرب رمضان فيما قضت على تلك الافكار

فقد كشفت عن قدرة العرب على استيعاب فنون الحرب الالكترونية ، واحراز التقدم التكنولوجي بأبعاده من المعارف العلمية الاساسية والقدرة الادارية العصرية ٠

يقول الاستاذ جمال درويش : ان المحارب المصري قد عبر مسافة التخلف بين معطيات التقدم العلمي التكنولوجي وبين القدرة على استيعاب ابعاد هذا التقدم ٠

ويضيف : ان المقاتل المصري لم يكن عامر القلب بالايمان مملوءا بالثقة بالنفس والاصرار فحسب ، ولم يكن شجاعا وحسب ، وانما كان ايضا عند اعلى مستوى من المهارة والحذق والتدريب والقدرة ايضا على مستوى الاداء تحت كل الظروف والتعامل المقتدر مع الاسلحة والعتاد العصري والالكتروني الذي في حوزته٠ والى جانب هذا كان المقاتل المصري برغم ظروف الحرب وتحت ضراوتها ووسط اتونها قادرا على اخضاع نفسه للنظام والتحلي بمسلك منضبط استرعى الانتباه ٠

٦ ـ « بدر » : كلمة السر

وقد عنى حسن البدري وطه المجذوب وضياء الدين زهدي في كتابهم (حرب رمضان) ان يرسموا صورة رائعة لبطولة العبور :

« لقد كانت الساعة الثانية وخمس دقائق هي ساعة البدء بعد الظهر ١٠ رمضان (٦ اكتوبر) عندما عبرت طائرات سوريا ومصر خطوط المواجهة مع اسرائيل واتجهت نحو اهدافها المحددة ، ثم هدرت مدافع العرب على طول الجبهتين الشمالية والجنوبية في اقوى تمهيد نيراني شهده الشرق الاوسط ، فعلى الجبهة المصرية انطلقت مائتا طائرة مصرية تشق عنان السماء في طريقها المرسوم الى عمق سيناء لتنفيذ الضربة الجوية المركزة التي كان عليها تحطيم ثلاثة مطارات وقواعد صواريخ هوك وثلاثة مراكز قيادة وسيطرة واعاقة الكترونية بالاضافة الى عدد من محطات الرادار ٠

« وعندما اشارت عقارب الساعة الى الثانية والثلث كانت الافواج الاولى من طائراتنا تعبر القناة عائدة من مهامها الناجحة بعد ان قصفت اهدافها في عمق سيناء حتى حطمتها ٠

« وفي نفس اللحظة امتلأ المكان بصيحات ثمانية آلاف من المقاتلين البواسل هم مهجة مصر وفلذة كبدها يصرخون بأعذب الكلمات واسماها : الله اكبر ٠ الله اكبر ٠

وامتلأت صفحة الماء بقوارب المطاط وانطلقت موجات الاقتحام الاولى والعيون تتحرق في المقل شوقا الى الرمال الذهبية الحبيبة التي امض القلوب لوعة الحنين اليها٠ وعندما وصل الرجال الى الضفة الشرقية كانت اللحظة وكان الحدث اللذان طال انتظارهما » ٠

٥ ـ بطولة العبور المجيد

واشار مؤلف كتاب (المفاجأة) الى ان كلمة السر في معركة العاشر من رمضان في « بدر » ، ومنذ اللحظة الاولى للمعركة حملت جميع اجهزة اللاسلكي وجميع الموجات كلمة « بدر » وسمع كل من كان بالقرب جهاز استقبال هذه الكلمة تتكرر ثلاث مرات بوضوح تام ٠

وبدأت كل الاسلحة والمدفعية والمدرعات والقاذفات والوحدات البحرية تطلق النار ٠

حرب رمضان



٧ – ابرز ما حققته معركة العاشر من رمضان : تصحيح المفاهيم واعادة تأكيد الحقيقة .

وهذا ما يجمله الدكتور جمال حمدان في سبع نقاط :

اولا : ان المعركة قد اثبتت اول وآخر واخطر ما اثبتت الروح القتالية العالية المندفعة والطاقة في الجندي العربي واكدت فدائية المقاتل العربي واستبساله واقدامه بلا تردد لا ينكص ولا يتراجع عن تحقيق هدفه مهما كان السلاح الذي يواجهه

ثانيا : اثبتت المعركة قدرة المقاتل العربي على استيعاب اعقد الاسلحة الحديثة والمتطورة والسيطرة عليها بكل كفاءة واقتدار وتطويع التكنولوجيا وتكييفها والتكيف معها والتعامل بها على كل المستويات .

ثالثا : التفوق في كل فنون القتال – التخطيط – التنفيذ – المناورة – الحركة .

رابعا : اثبتت المعركة خطأ الاتهام الذي روجه العدو عنا من ان العرب لا يجيدون القتال الا من المواقع الثابتة فاكدت للعالم تقدمهم بنجاح تام من القتال الثابت الى القتال المتحرك .

خامسا : نسفت الحرب ونسفت الى الابد كل الاساطير والدعايات الشوهاء الظالمة الكاذبة التي ركز العدو عليها كل جهوده وابواقه لالصاقها بالمقاتل العربي ونوعيته اولا ليثبتها في نفسه هو ثم ثانيا لترسيخها في عقلية العالم كما عبر عن ذلك كاتب اوربي كبير حين قال :

« ان ماهو خطير في تدمير خط بارليف وحصون الجولان ليس تحرير جزء من الجزء العربي المحتل وانما هو في تدمير صورة ثابتة عن الانسان العربي كانت رائجة عندنا »

سادسا : كانت حرب رمضان اول اختبار حقيقي ميداني حاسم لنوعية المقاتل المصري والسوري كجندي محارب

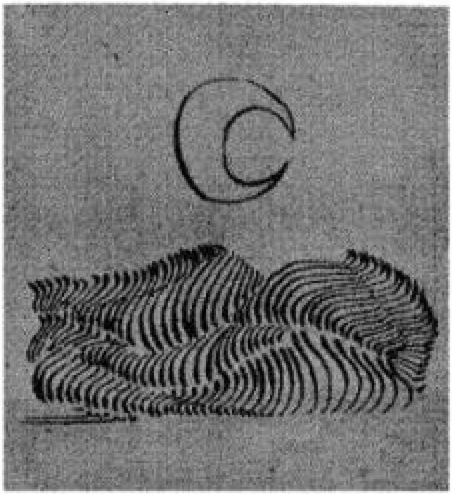
وقد تحطمت خرافة العسكرية الاسرائيلية وانكشفت حقيقة المقاتل الصهيوني . واثبت الجندي العربي وجوده وتفوقه بلا حدود .

سابعا : اعاد العدو اكتشاف حقيقة معدن المقاتل والانسان العربي قال الجنرال ميتا هربليد :

« من الواضح حتى الان ان الجندي المصري يظهر روحا قتالية قوية ولم يفقد ارادته على مواصلة القتال . اننا نعرف هذه الظاهرة جيدا منذ حرب ١٩٤٨ وخلال حرب سيناء ١٩٥٦ .

محمود العتريس

يوم أيام زمان



عظمت ذكرك أن يقل كلاما — أنت الفعال بداية وختاما
أولم يقل الله أرضك بالفدا — أولم يعز بأهلك الإسلاما ؟
أولم تقم للحق يوما طأطأت — في ساحه كل الدهور الهاما ؟؟
يايوم أيام الزمان تحية — يا بأس بأس المسلمين سلاما
لو لم تكن يا (بدر) ما كان الذى — أحيا الحياة وقوم الأقواما
في موقف لما تنزل أنباؤه — تترى على سمع المدى أحكاما
مذ قام دين الله موثوق العرى — بالعدل بأسا والتقى إقداما
في معشر باعوا الضلالة بالهدى — فمضى يزكيهم ـ الزمان ـ أماما

***

يا يوم (بدر) ليس شأنك غنوة — لتواكب الكلمات والأنغاما
لكنه الإسلام يحتضن الفدا — درعا ويمتشق الإباء حساما

دين السلام الحق لكن سيفه ... في الحرب أوغل في العدا إيلاما
سيف يشق الليل بارق حده ... فيحيل أسوار الظلام ركاما
حملته في شرخ الهداية عصبة ... لا ترتضي دون النهار مقاما
بدأت بنصرك وانثنت بالفتح في ... يوم يتيه ـ كيومك ـ استعظاما
ومضوا جحافل عزة تطوي الذرى ... والأرض تحت سيوفهم تترامى
هاموا بإحدى الحسنيين فأثخنوا ... وتسابقوا صوب الخلود غراما

***

ماذا أقول وللفعال حقيقة ... فوق الحديث بصدقها تتسامى
ماذا أقول وللمشاهد روعة ... تشجي القلوب وتبهر الأفهاما
(بدر) الأبي لمن يبادر في الوغى ... لا للذي امتشق القتال كلاما
يا رحمة للعالمين وعزة ... للمسلمين ونعمة وسلاما
أقبلت بالحق المبين مبشرا ... ـ والحق أبعد ما يظن مراما ـ
وحكمت بالقرآن والشورى هدى ... والسيف من أجل السلام دعاما
فبنيت انسان الزمان بأمة ... مشت العصور بركبها خداما
ما خاب من ألقى إليك قياده ... ومضى على سنن الهدى قواما
والمجد للشهداء يبعث موتهم ... صحو الحياة وينشر الأياما

***

يا (بدر) ذكراك الذكية آية ... تبقى على طول المدى الهاما
يذكي شتاء المسلمين بشمسه ... فيعيد بردهم لظى وضراما
والمسلمون إن تقاصر شأنهم ... يوما فما برحوا المدى أقواما
يستنقذون الحق من فك الردى ... فاذا بهم فوق الردى أقداما
مستعصمين بحبل ربهم الذي ... وعد التقاة النصر والإكراما
والله للمستعصمين بحبله ... جل المهيمن عاصما وعصاما

غبريال وهبة

قصة مساعد الطيار

حدث هذا في احدى الطلعات من مطار العريش في الثاني من يناير عام ١٩٧٤ ، حيث رافق الطيار الاسرائيلي مساعد جديد يدعى دافيد عزرا ، وهو احد رجال سلاح الطيران الجرحى والمرضى الذين اخرجتهم الحكومة الاسرائيلية من المستشفيات وهم لا يزالون في دور النقاهة بعد ان ضاع من اسرائيل صفوة طياريها في حرب اكتوبر الطاحنة التي دارت رحاها بين اسرائيل وبين الجيوش العربية في مصر وسوريا .

وفي اثناء صعود الطائرة ابدى المساعد الجديد من هدوء الاعصاب ورباطة الجاش ما اثار اعجاب قائد الطائرة . فالرحلة كانت محفوفة بالاخطار والاهوال ... كانت اوامر القيادة قد صدرت اليهما ان يخترقا اجواء سيناء ، وان يطيرا عبر خطوط الاعداء . ولم يكن هذا بالامر الهين ، فرجال سلاح الطيران والدفاع الجوي

المصري قد ادهشوا العالم بدقة اصاباتهم للاهداف ، حيث اسقطوا مئات الطائرات التي تهاوت وتناثرت اشلاء فوق ارض المعركة .

ان مساعدي الطيار السابقين كان ينتابهم الفزع ، وتملأ الرجفة افئدتهم في مثل هذه الرحلات ... بينما كان المساعد الجديد يقبع في مكانه ثابت الاعصاب هادئا رزينا مطمئن البال كأنه يجلس على مقعد مريح في بيته .

كان الجو صحوا ، والسماء صافية الاديم ، وقد ارتفع مصباح النهار . اخذا يجيلان عيونهما فوق سيناء .. فمرا بجبل لبنى ، واعقبه جبل المغارة .

وبعد أن اجتازا جبل الختمية اتجه الطيار جنوبيا حيث هبط في مطار المليز للتزود بالوقود ، ثم استأنف الطيران عبر جبل ام خشيب ، وما زالا يطيران فوق الفيافي



والغبار ، ويشقان
المغاور ومضايق الجبال ،
وأومأ الطيار الى حطام
مئات الدبابات والمدرعات
والعربات المجنزرة
والمدافع المهشمة التي
تكدست فوق الربى
والهضاب ، وبدت
كالجثث الهامدة وأشلاء
الموتى ، ترقد في صمت
يلفها التشاؤم ، كأنها
تحت سطوة القضاء
المبرم ، والقدر المحتوم .

قال الطيار لزميله :

ـ لقد خسرنا من
سلاح الدبابات وحده
ما يزيد على ثمانمائة
دبابة ... ونحن في
الواقع قد فقدنا نصف
سلاح المدرعات بما فيه
خيرة الاطقم المدربة .
وهي خسائر تفوق
ماتكبدته فرنسا والمانيا
في الحرب العظمى
الاخيرة . لقد خضنا
أعنف المعارك الضارية
في تاريخ البشرية .

وسكت هنيهة ثم
استطرد قائلا في
أسى :

ـ من كان يصدق
ان الجندي المصري
يستطيع ان يصنع مثل
هذه المعجزات ؟! .
لقد ضللتنا حكومتنا
وجعلتنا نعيش في وهم
كبير منذ انتصارنا في
عام ١٩٦٧ ، فماذا بنا
نفاجأ بأن المصريين
يتدفقون ، ويقيمون
الجسور ، ويعبرون
القنال ، ويقتحمون خط
بارليف الحصين بأخطر
مستحدثات الفتك
والدمار والرعب
والمستحيل .

كان دافيد يستمع
للطيار في صمت وبرود
دون ان ينبس بكلمة ،
وخيم عليهما السكون
برهة طويلة كأنهما في
جنازة ...

ولم تلبث ان لاحت
أمامهما مخلفات بعض
الطائرات فكانت كالموتى
في أكفانهم ، وأشار
اليها الطيار قائلا :

ـ ان اسرائيل قد
فقدت ثلث سلاح
الطيران عند اندلاع
حرب أكتوبر ، وتتمثل
معظم هذه الخسائر في
الفانتوم ، وقاذفات
القنابل الهجومية من
طراز سكاي هوك .

ودهش الطيار اذ
لاحظ أن رفيقه مضى
يتأمل حطام الطائرات
وقد اصفر وجهه من

فرط الانفعال ، وبدا عليه القلق والاضطراب . وسأله ان يصعد الى أعلى خوفا من الصواريخ الموجهة من الأرض للجو التي يطلقها رجال الدفاع الجوي المصري بمهارة فائقة .

فقال الطيار في نفسه :

– عجبا ! .. عجبا ! .. ما اسرع هذا التغير الذي انتاب دافيد !

وهز كتفيه قائلا لمساعده :

– ولماذا الصواريخ ارض جو فقط ، انسيت الصواريخ من الجو للجو التي يطلقها المصريون من طائرات الميج ؟

– لا لم انس .. بيد انني كنت اعمل مساعد طيار .. و...

فقاطعه قائد الطائرة متسائلا :

– على اي نوع من الطائرات كنت تعمل ؟ ميراج او سكاي هوك ؟

– لا هذا ولا ذاك . كانت « فانتوم ف ٤ » الرعب الطائر ... وقد زودت بستة صواريخ سبارو ، وثلاثة صواريخ جو جو موجهة ، وثماني عشرة قنبلة زنة الواحدة ٧٥٠ رطلا ، واحد عشر خزانا للنابالم سعة ١٥٠ جالونا . بل واضفنا اليها مدفعا ٢٠ ملليمترا ، له ست مواسير ستمائة طلقة .

ابتسم دافيد ابتسامة لا تخلو من سخرية واستأنف الحديث قائلا : قائلا :

– كل هذا تلاشى في لحظة . فقد اصيبت طائرتنا في السادس من اكتوبر الماضي بصاروخ أرض جو اطلقه علينا جندي مصري فمات الطيار وتهاوت الطائرة كما تتهاوى احدى الفراشات وقد نهشتها النيران .

فسأله الطيار :

– وانت ماذا حدث لك ؟

– تمكنت من القفز بالمظلة ، ولحسن الحظ هبطت بين قواتنا وراء خطوط القتال .

اراد الطيار ان يحول مجرى الحديث فسأله :

– أين تقطن ؟

– في رامات هاشارون .

– انك اذن قريب من العاصمة .

فرد عليه دافيد بالايجاب ، وعاد يستحث الطيار في حدة للصعود الى أعلى .

التمس الطيار العذر لمساعده الذي مر بتجربة رهيبة ... وعزا انفعاله الى اقترابهما من الجبهة المصرية . فقد بدأ هو ايضا يحس بمزيج من الخوف والقلق . وقال له في رفق :

– هذا مطلب عسير . فقد بلغت الطائرة اقصى ارتفاع لها .

هز دافيد رأسه ونظر الى الطيار شزرا كالمستهزئ وقال :

– اوتظنني طفلا ...

انظر الى العداد امامك ... انه يشير الى ارتفاع ٤٨٠٠ متر فقط . بينما كنا نصل في الفانتوم الى ارتفاع يزيد على ستة وعشرين كيلومترا .

– شتان بين طائرتنا والفانتوم ... ان الارتفاع الذي بلغناه هو اقصى ما تصل اليه طائرات الهليكبتر في

سلاحنا الجوى ، ومن حسن حظه ان طائرتنا من طراز سوبر فزيلون المزودة بثلاثة محركات مروحية . بينما طائرات اللويت او سيكورسكى لا ترتفع لاكثر من ٢٢٠٠ متر

اما بل ٤٧ ج فارتفاعها لا يتجاوز ١٢٦٠ مترا .

ولكن دافيد اصم

اذنيه ولم يقتنع بما قيل له ، واصر على

الصعود الى أعلى ، وعمد الى جيب سترته الداخلى فاخرج منه جريدة وصاح قائلا :

ـ انظر الى ما قالته صحيفة هعشمار .

واشار بسبابته الى بضعة اسطر قراها بصوت عال :

ـ لقد تبددت اسطورة اسرائيل صانعة المعجزات ، وهازمة الاعداء !

ثم اردف دافيد قائلا :

ـ ان الفانتوم

بجلالة قدرها لم تستطع ان تصمد امام الميج ، فما بالك بطائرة

هليوكبتر ؟! لا اريد ان اقتل : .. لا اريد ان اقتل !

واودع الصحيفة جيبه بيد راجفة ، وابرز صحيفة أخرى قائلا :

ـ وهاك ما قالته جريدة معاريف . « لا يوجد اى حى او

شارع او كيبوتز او مستوطنة فى اسرائيل دون ان تكون بها عائلة مصابة ! » .

حاول الطيار بكل جوارحه تخفيف الم

وتسكين لوعته ، فقال بجد ووقار :

ـ ان الامر بعكس ما تتصور ... فطائرة الهليوكبتر كالطائر

الذكى ... عندها القدرة على الكر والفر ... تحاور وتداور ، وتهرب سريعا . صحيح

انها لا تبعد كثيرا عن الارض ، غير انها تستطيع ان تحمى نفسها بذكاء شديد .



فطالما وصلت بها الى قلب خطوط العدو دون ان يستطيع اللحاق بها ! ...

ثم قال مؤكدا :

ـ وهذه ليست المرة الاولى التى انقل فيها

الاغذية والذخائر الى قوات الجنرال شارون ،

التى انتهزت فرصة وقف اطلاق النار فى الثانى

والعشرين من اكتوبر فاندفعت فى جراة ،

وعبرت البحيرات المرة الى الدفرسوار جنوبى

الاسماعيلية ، وانتشرت حتى السويس ... ولكنها للأسف اصبحت

جيوبا يحاصرها الاعداء ، ويشتبكون

معها يوميا رغم انف قوات الطوارىء الدولية

.. وان لم نمدها بالذخائر والاغذية ، قضى عليها قضاء مبرما !

واستطرد الطيار قائلا :

ـ وكثيرا ما واجهت عشرات الهجمات من طائرات الميج ١٩ والميج ٢١ فاظل احاورها

واروغ منها ... فالهليوكبتر تمتاز

بالقدرة على تغيير سرعتها وحركتها

واتجاهها اكثر بكثير من الطائرة العادية !

وما ان سمع دافيد دوى بعض الطلقات التى لفظتها المدافع حتى صاح

ـ هتكفا .. كليع !

وبعد ان نطق بكلمتى : « هجوم » .. صاروخ بالعبرية ، وثب من مقعده مسرعا

الى ركن المأكولات والاغذية واخذ يتناولها فى عجلة ولهفة ، ويلقى بها من الطائرة وهو يصيح :

ـ مرحى ! مرحى ! .. ان هذا يجعل الطائرة تتخفف من اثقالها فترتفع الى اعلى .

فعنفه الطيار قائلا :

ـ هراء ! .. حسبك وكفاك يا دافيد! حسبك ! حسبك ، قف عند هذا الحد ! .. اطـع قولى ولا تعص

امرى ... ولتعلمن انك بما فعلته انما تزود اعداءنا بالاغذية التى يحتاج اليها جنودنا المحاصرون .

ـ كلا ... ان اعداءنا لن يقربوها .. او نسيت اننا سبق ان القينا شراكا خداعية

على هيئة اغذية وفواكه وخضراوات ومعلبات ، بخلاف الاقلام والالعاب

والادوات بالقرب من بور سعيد والزقازيق وبنها ، انفجرت فى الاهالى بمجرد لمسها وقتلت الكثيرين منهم ؟!

وعاود دافيد الصياح قائلا :

ـ ان هذا ليس بكاف .

وشرع ينزع سترته ، ثم قذف بها مع قلنسوة رأسه خارج الطائرة .

نظر الطيار الى دافيد متعجبا مبهوتا ، ثم هز كتفيه :

ـ انك ما زلت فى دور النقاهة ، وما بذلته من جهد سيضر بصحتك ... فاهدأ يا اخا اليهود ... وقل لى ماذا كانت اصابتك ؟

ـ لم اصب بسوء اللهم سوى التواء بسيط فى قدمى .

فسأله الطيار فى دهشة :

ـ هذه الاصابة لا تستحق دخول المستشفى !

ـ كنت فى مستشفى الدكتور سمحون .

ـ لم اسمع قط بهذا المستشفى !

فرمقه دافيد بنظرة شاردة وقال :

ـ انه فى بئر سبع ... الم تسمع عن مصحة الدكتور سمحون للامراض العقلية ؟

فصاح الطيار متقفشا :

ـ يا اله اسرائيل !

وجم الطيار لا ينطق وقد غشيه الاسى . وشرع هو ومساعده يحدق احدهما فى وجه الآخر صامتين . ومرت لحظة خالها قائد

الطائرة من فرط قلقه وحيرته حقبة مديدة من الدهر ... وومضت الحقيقة فى ذهنه . فهو يجلس فى طائرة هليوكبتر وحده مع مجنون فاقد العقل ! .. دب الفزع فى قلبه حتى كاد يفقد الوعى . ماذا

تكون الحال لو اعترت دافيد نوبة مفاجئة من الثورة والهياج ؟ ! ان اى عراك بينهما سيلقى بهما الى التهلكة !

اسرع مساعد الطيار صوب الباب الخلفى ففتحه ، ووقف مبهور الانفاس يحمل الذخائر بين يديه ، ويقذف بها فى غضب ، وهو يردد صيحته المجنونة :

ـ ليما علا ! .. ليما علا ! .. ليما علا !

مساعد الطيار



ثم دنا من الطيار وعاد يردد نفس الكلمات تارة بالعبرية وتارة بالعربية :

ـ الى أعلى ! الى أعلى! · الى أعلى!

وان هى الا لحظة حتى خلع أزاره وحذاءه ثم جرد نفسه من ملابسه الداخلية · والقى بقميصه وسرواله من احدى الفتحات الجانبية ·

فتح الطيار عينيه وأغلقهما عدة مرات غير مصدق لما يراه ، وفغر فاه دون ان ينطق بكلمة ، وآثر ان يلوذ بالصمت ، فما فائدة الاحتجاج وجدواه ··· ومن ادراه ان الاعتراض لن يثير المخبول ويستفزه فيحدث ما لا تحمد عقباه ؟ ؟

تمالك الطيار اعصابه واستدار راجعا فى اتجاه القوات الاسرائيلية ، وحسبه ان يقنع من الغنيمة بالاياب ·

وعندما انتهى دافيد من القاء جوربيه ، وقف عاريا كما ولدته امه ، واخذ يصعد الانفاس ، ويرسل الزفرات ، ويلهث وينفخ وقد راح صدره يعلو ويهبط وكان فى هيئته ومنظره مايثير الرعب والالم ، وحدج الطيار بنظرة كلها مقت وبغضاء وقال :

ـ لم نصل بعد الى مدى ارتفاع الفانتوم ولا بد ان يلقى احدنا بالآخر من الطائرة ·

غاص قلب الطيار فى صدره ، وقد شعر بهول المأزق · وتعذر عليه من فرط جزعه وهلعه ان يصل ما بين افكاره ويسلسل خواطره فى نظام متسق ·· فلم يسبق له ان واجه مثل هذا الموقف · ولا فى اقسى الاحلام واعتى الكوابيس · ماذا يفعل وقد دب اليأس والقنوط بقلبه !؟ كان موقفا مرعبا مخيفا ! لن تنفعه الكلمات ، ولن تسعفه التوسلات ، واية مقاومة يبديها ستكون موتا محققا فقد كان دافيد عملاقا عريض المنكبين فى قوة عشرة رجال · كان يفضل فى هذه اللحظة ان يسقط فى قبضة الاعداء وهمس لنفسه :

ـ ان جند العرب الرابضين على خط النار سواء من المصريين أو السوريين أو المقاومة و الكويتيين أو السعوديين او الجزائريين وغيرهم من انحاء العالم العربى لا يقتلون عدوا اعزل ··· بل كانوا كرماء مع أسرانا فأحسنوا معاملتهم وقدموا لهم العلاج والمأكل والملبس · وعندما حدث تبادل الأسرى عاد الجرحى منهم بملابس وأحذية جديدة من مصر ·

نظر الطيار الى أسفل فلم ير سوى بعض السحب الصغيرة بيضاء تتدحرج تحته ، واحس انه تائه فى الفضاء ، وان رأسه يدور كالنحلة ! ··

وفجأة وجه المجنون سؤالا للطيار قائلا فى اقتضاب :

ـ الك زوجة واطفال ؟

وبغريزة طبيعية فى

حب البقاء عمد الى الكلب قائلا له في استعطاف :

– نعم فانا متزوج ولى خمسة عشر طفلا كلهم صغار وليس لهم عائل سواى !

– ها ! .. ها ! .. ها !

وانفجرت من صدره ضحكات هائلة هزت الطائرة وراحت تدوى وتتردد كاصداء الرعد، وقد انبعث بريق مخيف من عينيه ، فأحس الطيار بقشعريرة تسرى في عظامه حتى النخاع ..

– اما انا فلى ثلاثمائة زوجة واربعة الاف طفل . ولو لم تكن الهليكوبتر تنوء بحملنا معا للحقت بهم الآن .

تلوى الطيار في مقعده كمن لدغته افعى، وعرته هزة من راسه الى قدمه فقد اصبح من الهلاك المحتم قاب قوسين او ادنى ، وكان وجهه كالمنحوت من الشمع صفرة وشحوبا ، وتصبب العرق على جبينه رغم برودة الجو . كانت هذه اللحظة افظع لحظات حياته واطولها ! .. فقد سدت في وجهه المسالك ، واحس بنفسه كمن يسقط في فخ منصوب، ويقع في حبائل صائد مجنون ، ولم يجد من

مصاعب الطيار

هذه الورطة مخرجا .. فوقه القانوس السماء ، وتحته صواريخ الاعداء ... ولولا خشيته من طلقات مدافعهم لهبط بينهم . يالها من كارثة ! الا ناصر ومعين ؟ !

وفجاة لاحت له بارقة امل ... فها هو ذا يوجه الى المجنون اول سؤال جاءه عفو الخاطر املا ان يكسب بعض الوقت حتى يصل الى الخطوط الاسرائيلية التى اقترب منها فيسرع هابطا وسطها ، فقال متسائلا :

– واين يسكنون ؟

فرفع دافيد ناظريه الى سقف الطائرة وحرك شفتيه في صمت ... ثم قال :

– يسكنون القمر ... وعندما اخفف حمولة الطائرة ساصل اليهم في برهة وجيزة .

راح الطيار يتمتم بادعيته ... وعندما القى نظرة الى اسفل تهللت اساريره وبدا يهبط هبوطا تدريجيا . وما أن شعر دافيد بهذه الحركة حتى انحنى في لمح البصر فوق الذخائر المتبقية واختطف من بينها سونكى بندقية وقد اطاح الغضب بصوابه فطعن الطيار في عنقه طعنة قاضية ، فاطلق صرخة مخيفة رهيبة وترنح مقعده ، ثم هوى راسه فوق صدره ، وانبثق الدم مدرارا فخضب سترته ، ولطخ ظهر كرسيه ، فحمله دافيد والقى به من الباب فسقط فوق الرمال تحت اقدام الجنود الاسرائيليين جثة هامدة . ولم تلبث الطائرة ان هبطت على بعد غير قليل من الطيار الصريع وعندما اتضح لهم الموقف ، اعيد دافيد حزرا الى مصحة الدكتور سمحون ...

وفى اليوم التالى اذاع راديو اسرائيل ان رئيسة الوزراء دعت رجال الصليب الاحمر الدولى لتعرض عليهم جثة الطيار يوسف مزراحى ليكونوا شهود عيان على « وحشية » المصريين و « قتلهم » للاسرى من الطيارين ، وهدد وزير الدفاع بمواصلة ضرب المدنيين

رحلة الشهر

لقاء فى المانيا



د . كمال أبو المجد
وزير الاعلام

اكتب هذه السطور فى موعد مبكر ، وانا اعد حقائبى للسفر الى لقاء جميل فى مدينة صغيرة تحتضن جامعة شامخة من اقدم جامعات المانيا ... التى اصبحت غربية ، لان قسوة الحرب شاءت ان تقسم الامة الالمانية الى شطرين .

المدينة اسمها : توبنجن . ووفدنا ، برئاسة الدكتور أحمد كمال أبو المجد وزير الاعلام .

واللقاء ... هو الاسبوع الثقافى العربى ، الذى دعا له الهر ايردمان ، وهو رجل افتتن بالثقافة العربية ، قديمها وحديثها ، مكرس حياته - كناشر - لترجمة كتب اعلام الادب العربى الى الالمانية ونشرها والتعريف بها فى بلاده .

وقد اشتهر الالمان منذ قديم بحبهم للعرب ، وللثقافة العربية ولا تزال امهات الكتب العربية النادرة تحمل كلمتى ، مطبعة ليبزج ، التى استخرج علماؤها عشرات من الاوراق الصفراء من وراء زوايا الاهمال وحققوها واخرجوها للنور فى احسن تقويم .

ساحدثكم عن هذا اللقاء وما دار فيه فى الشهر القادم باذن الله

ولقاء فى العاصمة المثلثة



عمر الحاج موسى وزير الاعلام السودانى

كان مهرجان الشعر العربى ، الذى يشترك فيه سائر شعراء الامة العربية ، ينعقد مرة كل سنة فى احدى العواصم العربية .

ولأمر ما ، تأجل مهرجان هذا العام الى العام القادم ، حيث ينعقد فى الجزائر ، أرض البطولات وعاصمة المليون شهيد

ولكن هذا العام ـ وهو من أجل الاعوام فى التاريخ العربى ... اذ يجىء فى أعقاب معركة اكتوبر المجيدة ويفتح صفحة جديدة من كتاب أمجاد العرب ـ لن يمر بغير مهرجان . فقد خطر لنا ، اذ نحن فى لجنة الشعر بمجلس الفنون والاداب ، ان نقيم مهرجانا يشترك فيه شعراء مصر والسودان ، فى العاصمة المثلثة ، يكون محور الالهام فيه « ادب النيل » و « ادب العبور » .

وكان الصديق الكبير الاستاذ عمر الحاج موسى ، وزير الإعلام السودانى ، قد سألنى حينما كنت فى الخرطوم منذ عامين ، ان اعمل على اقامة مهرجان الشعر السنوى فى العاصمة المثلثة .

فلما خطر لنا هذا الخاطر فى لجنة الشعر ، كتبت اليه ، فأجاب واستجاب ، وبات من المقرر ان يقام مهرجان شعراء مصر والسودان فى أواخر هذا العام ان شاء الله .

حول ديوان النشار

تلقينا الرسالة الآتية من السيدة رفيعة النشار ، ابنة شاعر الاسكندرية الراحل عبد اللطيف النشار ، تبشرنا فيها بانها تقوم بطبع ديوان والدها على نفقتها :

« احيط سيادتكم علما باننى حضرت من الولايات المتحدة الامريكية حيث اقيم بولاية وسكنسن ذات المناظر الطبيعية الخلابة . وذلك لكى اقوم بطبع ديوان والدى المرحوم عبد اللطيف النشار كاملا بالقدر الذى اتيح للاستاذ احمد مصطفى حافظ تجميعه من شعر والدى ..

وقد اتيح لى الاطلاع على كافة ما نشر بالهلال الاغر حول هذا الموضوع .. وفى الحقيقة اننى اشكر لكم اهتمامكم البالغ باصدار ديوان والدى . ولا عجب فى ذلك فقد كانت تجمعكما سويا رابطة ادبية وثيقة ، وقفت عليها منذ طفولتى وما زال بمكتبة والدى ديوانكم الاول الذى اصدرتموه عام ١٩٣٤ وعليه اهداء من سيادتكم بخط يدكم للمرحوم والدى ..

وسوف يصدر الديوان فى حوالى ٧٠٠ صفحة ، وتقديرا منى لكفاح مدينة السويس الباسلة فى حرب اكتوبر المجيدة وقيام أحد ابنائها، وهو الاستاذ احمد حافظ بتجميع تراث والدى الشعرى وسائر اعماله الادبية الاخرى ـ فى حقلى الترجمة والتأليف ـ قررت اهداء مكتبة والدى لمدينة السويس الباسلة كى توضع بقصر الثقافة الموجود بها وتكون فى متناول الباحثين والدارسين ليستفيدوا من ذخائرها فى اللغتين العربية والانجليزية خاصة وان الاستاذ أحمد مصطفى حافظ قد قام بهذا العمل دون ان يكلفه به أى أحد متطوعا وبدون اى مقابل وفاء منه لذكرى المرحوم والدى ، بعد صداقتهما الخالصة التى استمرت طوال الاعوام الخمسة الاخيرة من حياة والدى ..

وكم أتمنى على سيادتكم اعلان ذلك على منبر الهلال الاغر ، مع شكرى وتقديرى لشخصكم الكريم وللجنة الشعر بالمجلس الاعلى للفنون والاداب مع الاحاطة باننى انا التى الححت على الاستاذ أحمد حافظ ان يوقف طبع الديوان لحين حضورى وكى اقوم بطبعه على نفقتى الخاصة .. كذلك اود ان ازجى الشكر للسيد/محمد فائق البورينى محافظ السويس الذى تفضل بقبول هديتى وهى مكتبة والدى ..

● رفيعة النشار ●

● قرأت أخيرا ديوان « لا تكذبى » للشاعر كامل الشناوى. هل ما فى هذا الديوان هو مجموع ما قاله من شعر طول حياته ؟

● وجده .. المغرب ● ● محمد على الرباوى ●

ـ نعم يا اخى ، فقد كان كامل الشناوى رحمه الله مقلا ، لم ينظم خلال ثلاثين سنة اكثر من ثلاثمائة بيت جمعها فى هذا الديوان ، بمعدل عشرة ابيات فى السنة ، لانه كان يفضل الجودة على الكثرة ، الى جانب انشغاله بالصحافة .. لقمة العيش ..

تحية للهلال

● أصدرتم منذ فترة أعدادا ممتازة من مجلة الادب « الهلال » هى ذخيرة وعدة للاديب ، ولا شيء عندى آخذه على هذه المجلة واقف منها موقف اعرابى غرق فى لجج الليل الضاربة فى الصحراء وضلت فى ناظريه معالم الطريق وفجاة طلع القمر فملأ الصحراء بوجهه المشرق . وتطلع الاعرابى الى القمر وقد ملأت الفرحة كيانه وجمدت الكلمات على لسانه ، فما يدرى ماذا يقول ... !

انه يود لو ان القمر منه قريب اذن لضمه الى صدره ولكن القمر ابعد من أن ينال ، اذن فلا بد ان ينفس عن مشاعره بما يقدر عليه من صور الكلام ،فعاد يتأمل القمر وتتفرج شفتاه عن كلمات اشبه بتغريدة طائر او قصيدة شاعر . ماذا اقول لك؟

القول زادك الله جمالا ؟ فأى جمال بعد هذا الجمال !
القول زادك الله علوا ؟ واين ؟ وهل وراء السماء سماء !
ثم سكن الاعرابى فى صمت بليغ !
وموقف هذا الاعرابى من القمر ، هو موقفنا من الهلال «المجلة»
جامعة الازهر كلية الشريعة والقانون
● فتحى عبد العظيم غنيم ●

● شكرا لهذه الكلمات الحلوة النابعة من القلب

قـــرأت هـــذا الشهـــر

● اجمل عشرين قصيدة حب

● لغتنا الجميلة

كتابان حافلان بالنفع والمتعة ، للشاعر فاروق شوشة الذى يحمل فى عنقه رسالة الثقافة وامانة اللغة وريادة الشعر فى برامج الاذاعة المصرية ، حتى اصبحت برامجه مدرسة للشعراء الواعدين .

● الاسلام والخلافة فى العصر الحديث

(الدار السعودية للنشر)

دراسة جريئة فى نقد كتاب « الاسلام واصول الحكم » الذى اصدره المرحوم الشيخ على عبد الرازق سنة ١٩٢٥ فهز به مقاعد الحكم فى مصر واستحدث ضجة كبرى فى سائر بلاد العروبة والاسلام ، حين انكر الخلافة ودعا الى الغائها .

● تجربة حب

(الهيئة العامة للكتاب)

رواية جديدة للروائي المهندس اسماعيل ولى الدين ، الذى لقيت رواياته السابقة « حمام الملاطيلي » و « حمص اخضر » غيرهما كثيرا من الاهتمام كما ووجهت بكثير من النقد .

● لغة الطيور

شعر بين القديم والحديث ، للدكتور خليل عبد الرحمن .

● اشراق وعملاق

ديوان من شعر الوطنية والايمان للشاعر فؤاد اسماعيل الكاشف المحامى

● التحدى

(الشركة التونسية للتوزيع)

رواية مستحدثة الطراز ، للاديب التونسي محسن بن ضياف ، يصفها المؤلف بانها مرايا مجهرية ثلاث ، عاكسة لشخصية واحدة تتقلب بين الالم والبهجة ، واليسر والحاجة ، تحدوها دوما الثورة ، وتهددها ابدا لحظة الصفر .

● ص . ج ●

ذكريات مع رامي

حافظ محمود



رامي .. في عز الشباب

كنت اتقاضى خمسة قروش كل اسبوع .. وذات يوم غامرت بهذا المبلغ « الكبير » في سبيل مشاهدة فصل من غراميات مدرس الجغرافيا .. وانا لا اقول هذا « المبلغ الكبير » للفكاهة ، انما اقوله للحقيقة ، فقد كنت اذ ذاك في السابعة من عمري ، وكان كل زملائي ، او اغلبهم ، يتقاضى من أبيه أو من أمه ، خمسة مليمات « مصروفا » ليومه .. و كانت المغامرة التي سنخوضها ، والتي رسم خطتها تلاميذ الصف الرابع - أي الصف النهائي بنظام التعليم الابتدائي القديم ، بمدرسة «القربية» الابتدائية - مغامرة تتطلب من كل منا خمسة قروش صحيحة ثمنا لتذكرة الدخول الى نادي « الباتيناج » بتعطيش الجيم .

ونادي « الباتيناج » كان ناديا متخصصا في رياضة واحدة ، لا وجود لها الآن في القاهرة مع الاسف ، هي رياضة ، التزحلق بالقبقاب ذي الثماني عجلات وكل عجلة منها في حجم قطعة الخمسة القروش المعدنية .. ولم تكن هناك ثلوج بيضاء كثلوج جبال سويسرا التي يتزحلق عليها المتزحلقون لكن « الخواجة » دلباني الايطالي المتمصر ، وهو صاحب النادي ، كان قد استعاض عن الثلوج بساحة فسيحة من الرخام الابيض يشبه الثلوج ، وكان موقع هذا النادي في نفس المكان الذي تشغله الآن ، ومنذ سنين طويلة .. حديقة الاندلس المطلة على النيل عند شاطيء قصر النيل في مستهل شارع الجزيرة .

ولقد كان بطل التزحلق في هذا النادي هو مدرس الجغرافيا بمدرسة «القربية» الذي كنا نخصه باكبر .. نصيب من حبنا المشحون ببراءة الطفولة من بين كل المدرسين .. انه احمد رامي شاعر الشباب ..

كانت لرامي في هذا النادي منافسة خطيرة . في حسناء النادي الانجليزية ولقد حاولت كثيرا ان تتفوق عليه فلم تستطع .. لقد كانت كلما لحقت به تقفز كالطائر الى مسافة بعيدة فوق هذا الجليد الصناعي ، فكانت تمد اليه ذراعيها في استعطاف ما لبث أن تحول الى غرام .. لكنه كان يفر منها ! ..

وفي اليوم التالي الذي تسللنا فيه لمشاهدة هذه المباراة بين استاذنا رامي وبين صاحبته – اصطففنا – في الصباح بباب المدرسة عند مقدمه وفي صوت واحد هتفنا به : حرام عليك ، يا بك ...

وقدر رامي بذكائه ما كنا نهدف اليه من هذا النداء ، فالتفت الينا قائلا : « لما تكبروا يا اولاد وتحبوا فحذار ان تحبوا الانجليز » .

ووصلت هذه الكلمة الى مسامع الرياسات الانجليزية في وزارة التعليم .. ونقل مدرس الجغرافيا احمد رامي على الفور من مدارس القاهرة الى مدارس الفيوم ، مع أن اى متخرج في « مدرسة المعلمين العليا » كاحمد رامي كان لا ينقل من القاهرة الا الى المدارس الثانوية .. لكن رامي وحده هو الذي بقي مدرسا في مرحلة التعليم الابتدائي بعد سنة التمرين بعدة سنين .. الى أن اختير امينا لمكتبة « مدرسة الطب » !

● دموع الشاعر ●

كان رامي المدرس شيئا اخر غير رامي الشاعر ... كان انق وامهر مدرس يرسم الخرائط الجغرافية ويشرحها ، لدرجة أن تلاميذ الفصول الاخرى كانوا يتسللون الى فصلنا كي يستمعوا الى درس رامي .

.. وذات يوم ورامي ممسك باصبع من الطباشير الابيض ليرسم به على السبورة السوداء خريطة وادى النيل توقف فجاة عند مدينة اسوان ، ومد يده الى جيبه ليخرج منديلا ،وحسبنا أنه يريد ان يمحو شيئا فتطوع بعضنا ليقدم اليه ممسحة السبورة . وكنا نسميها «البشاورة» . ثم تبين انه لم يكن يريد ان يمسح شيئا مما رسم ، لكنه كان يريد ان يمسح دمعة طفرت من عينيه عنوة ! ..



رامي .. يغني

● رامي : بطل الزحلقة

● رامي : الهارب من عشيقته

● رامي : مدرس الجغرافيا

● رامي : استاذ الفوارس

ذكريات مع رامي

وبعد زمن طويل علمنا أن رامى كان يمسح يومئذ دمعة حزنه على شقيقه الذى قضى نحبه قتيا بمدينة أسوان تاركا له ، مع الاحزان ، كل أعباء الاعالة للعائلة كلها وهو فى عز الشباب .

بعد هذا اليوم بدأنا ،نحن اطفال المدرسة ، نتعقب خطوات رامى كلما خرج فى نفس الوقت الذى نخرج فيه ظهر كل خميس من المدرسة ، وكنا نلاحظ أنه يخترق فى رواحه الحوارى المزدحمة بالبيوت القديمة لقد كان من عادات سكان هذه البيوت اذا فقدوا عزيزا أن يقيموا لرثائه الخمسان ، وفى كل خميس تجتمع النسوة حول « الندابة » التى تقف ، أو تجلس ، بينهن فى موقف الخطيب الذى « يندب » حظ الاسرة

وتعدد نواحى الحسن والجمال فى فقيدها بين تأوهات الحاضرات اللاتى تبكى كل منهن على مواجعها

كان رامى اذا عثر ذات خميس بمثل هذه « المندبة » فى أى بيت وقف ببابه ، وربما جلس احيانا ، يبكى .. وربما تفسر لنا هذه

الظاهرة السيكلوجية فى رامى ، حين أصبح ألمع شعراء الاغانى ، لماذا اختلط الحزن بالكثير من أغانيه .. لقد كان فى مقدمة الاغانى القديمة لرامى أغنيته التى يقول فيها :

خلى الدموع دى لعنيه
وخلى سهدك لجفونى
ياروحى يصعب على
تصبح شجونك شجونى

● المدرس المحبوب ●

ويوم ألغى أمر نقل أحمد رامى المدرس ، وعاد الى القاهرة ، ذهبنا الى داره مرحبين .. كان استاذنا رامى جارا لنا والصداقة تربط بين أسر الجيران ، وكان مسكنه فى ذلك الوقت البكر بدرب يسمى « جنينة موسى باشا » . ولم يكن على قيد

الوجود من جنينة موسى باشا غير نخلتين « توأم » فالجذع واحد . لكن تمتد منه ساقا نخلتين كبيرتين قد ارتفعت فروعهما الى أعلى مبانى الحى ، حى « بركة الفيل » الذى كان يقع بين حى السيدة زينب ، وبين حى الحلمية ، وكان اعلى هذه المبانى هو البيت الذى يسكن رامى فى طابقه الاول .. كان هذا البيت مؤلفا من أربعة طوابق فى ذلك الزمن الذى لم

تكن طوابق اى بيت فى اى حى وطنى تزيد على ثلاثة .. وكان موقع النخلتين مواجها تماما لنافذة رامى، وكثيرا ما كان يتسلل الشاعر فى جنح الظلام الى جذع النخلة يتخذ منه مقعدا لنظم الشعر !

طرقنا باب استاذنا رامى لنقول له « الحمد لله على السلامة » .. فأصر على أن ندخل وأن نجلس اليه بعض الوقت ، وفى هذه الجلسة لاحظنا أن هناك شيئا يتدلى بجانب المصباح الخافت ، فلما دققنا النظر اكتشفنا أن هذا الشيء برتقالة كبيرة قد أجريت لها عملية « تحنيط » !

قال رامى : ان هذه برتقالة صحيحة .. انها من « سقيقة » أجمل وأطهر بائعة برتقال فى الفيوم ..

ان بقية قصة هذه البرتقالة قد دونها رامى شعرا فى الجزء الاول من ديوانه ، وكأنه يؤكد أن بائعة برتقال الفيوم أحق بالتقدير من حسناء

التامينى ! .. وهكذا كان رامى فى غرامياته الشاعرية وطنيا .. والافلاطونيا فى نفس الوقت .

فى هذه الجلسة ظل مدرس الجغرافيا احمد رامى يسألنا عن زملائنا فى مدرسة القربية فردا فردا .. لقد كان يحب تلاميذه كما يحبونه .. ولما عرف منا أن أحدهم قد انتقل الى رحمة الله وهو فى الحلقة الاولى من حياته أطرق صامتا صمت الرهبة لبضع دقائق ، ثم انشد هذا البيت :

لهفى عليك قضيت مختضرا
والت مثل الانجم الزهر

فلما اكمل رامى هذه القصيدة اقمنا لها احتفالا لتأبين زميلنا الصغير الراحل ، واصر رامى على ان يحضر هذا الاحتفال « الصبيانى » ، ليلقى قصيدته بنفسه ، وما أن شاع هذا الخبر فى الحى حتى تزاحمت على حفلنا جموع السكان الكبار ليستمعوا الى رامى .

● رباعيات الخيام ●

لم يبق رامى فى وظيفة امين مكتبة مدرسة الطب وقتا طويلا . فقد اوفد فى بعثة الى فرنسا لدراسة فن المكتبات لحساب دار الكتب، فكان اول مصرى أو عربى يدرس هذا الفن العصرى فى الخارج .. وحين وصل رامى الى باريس لم يكتف بالدراسة التى اوفد من اجلها ، لقد اضاف اليها دراسة اللغات الشرقية ، وتخصص فى اللغة الفارسية ، وتوسع فيها الى درجة انه نقل عنها رباعيات الخيام شعرا ، فكانت اول ترجمة لهذه الرباعيات عن الفارسية بعد أن كان غيره قد ترجمها عن الانجليزية .

لقد اشتهرت رباعيات الأيام ـ ترجمة وتنظيم رامى ـ بالقطعة التى غنتها ام كلثوم من هذه الرباعيات ، لكن الرباعيات كاملة قد نشرها شاعرنا فى ديوان مستقل بعنوان « رباعيات عمر الخيام » .. ويعد هذا الديوان من كنوز الشعر العربى والشعر الفارسى على السواء .

● تبسيع الاغانى ●

يوم عاد رامى من بعثته فى فرنسا سمع بالمطربة الجديدة الصاعدة ـ باعتبار ما كان ـ أم كلثوم فى المرحلة الاولى من امجادها الغنائية تقيم سهرة أغان اسبوعية مساء كل خميس على احد مسارح القاهرة ، فكانت سهرة أول خميس عقب عودة رامى من الخارج فى واحدة من هذه السهرات . وهناك فوجىء رامى بأن المطربة الجديدة الصاعدة تغنى شعره .. وأظن انها كانت تغنى ليلتئذ قصيدته التى يقول فيها :

الصب تفضحه عيونه
وتنم عن وجد شئونه
انا تكتمنا الهوى
والداء اقتله دفينه

ومنذ تلك الليلة التى مضى عليها جيل ـ ولست أريد أن أقول مضى عليها جيلان ـ ربط القدر بين نبوغ صوت أم كلثوم ونبوغ شعر رامى ، فقد نظم لها الاغانى الجديدة فى الفصحى وفى العامية ، وهى الاغانى الضخمة العدد التى يمكن أن نؤرخ بها تاريخ الوجدان المصرى فى نصف قرن .

ان رامى لم يترك فى هذه الاغانى معنى من المعانى التى يبحث عنها الشعراء فى وجدان الانسان لم يقله، فهو القائل ـ على سبيل المثال ـ من حوار المحبين بالعامية « صحيح

خصامك والا هزار » · وهو القائل بالفصحى ، على سبيل المثال :

يا غائبا عن عيـــــوني
وحاضرا في خيـــــالي

ذلك ان رامي كان ينظم شعره في الاغاني من الطبيعة مباشرة ·· ومن هـذا انه وقف ذات يوم مع مودعي ام كلثوم وهى تستقل الباخرة في اول رحلة لها الى الخارج ، فاذا به ينظم قصيدته المشهورة التي غنتها ام كلثوم بعد عودتها ، ومطلعها :

ايها الفلك على وشك الرحيـــل
قف ·· تمهل ·· ان لي فيك خليل

● الفهرس الاول ●

لقد غطت شهرة رامي كشاعر على خصائصه ، ومن هذه الخصائص انه كان في الثلث الاول من القرن العشرين ابلغ من ترجم المسرحيات العالمية الى العربية ، ولعل اروع ما اخرجه من هذه المسرحيات ترجمة دراما « النسر الصغير » التي مثلتها نجمة المسرح فاطمة رشدي ، فهزت بنجاحها اعواد مسارح شارع الفن اسابيع طويلة ··

ومن خصائصه الاخرى التي لا يكاد يذكرها الناس لطغيان شهرته كشاعر براعتــــه في فن المكتبات ·· ان المكتبة المصرية التي نفخر بها الآن يرجع الفضل الاسبق في تنظيمهـــا واخراجها الحديث لاحمد رامي ·

لقد كان هو، بيده لا بايدى معاونيه الذى نظم المكتبة الافرنجية كلها في دار الكتب المصرية في الوقت الذى كان فيه رواد دار الكتب يقولون ان لرامي في هذه الدار غرفة خاصة لنظم الشعر ·· ذلك انهم كانوا لا يعلمون ان عمل ساعتين اثنتين من رامي يحتاج من

ذكريات
مـــع
رامــي

غيره لاسبوعين ·· اما بقية الوقت فكان يقطعه بالفعل مع ملائكة الشعر وامراء الفكاهة ·

● النظم في الترام ●

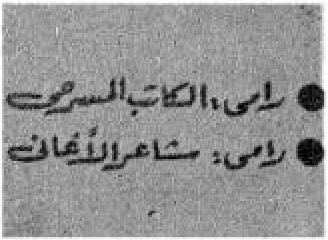
على ان رامي لم يكن ينظم الشعر في مكتبه فقط ، ولا في بيته فقط ·· لقد كان من اجمل لحظات طفولتنـــا اللحظات التي نترقب فيها خروج رامي من داره في المساء وهو يترنم ··

نعم ·· يترنم ·· لقد كان رامي في شبابه يسير عبر الطريق مترنما اما باغنية غنتها ام كلثوم واما باغنية جديدة اخرى ينظمها لام كلثوم ·· ولقد كان من ابهج لحظات صباى ان اتابع مسيرة استاذنا رامي وهو في طريقه الى دار الكتب ·· لقد كان يستقل الترام الى هناك ، لكنه كان يتحرى ان يتخذ مقعده في عـــربة الترام الخلفية وفي اخر مقاعــدها بالذات حتى يتفرغ لتأملـــه في ذلك الزمن الذى لم يكن فيه الركاب قد عرفوا ولا سمعوا بزحام المواصلات !

● تاديب الصاحبة ●

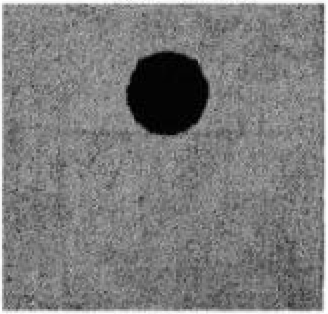
لقد اثرت هنـا الى الغنيته التى مطلعها « صحيح خصامك والا هزار » ·· ولهذه الاغنية قصة ·· فـذات مساء ، او على وجه الدقة في ساعة من ساعات الغروب حيث كان رامي مطلا من نافــذة بيته على النخلتين التوام بجنينة موسى باشا ـ فوجئنـــا نحن ابناء « الحتة » بسيارة تقف امام منـزله ، واذا التي تهبـط من هذه السيارة هي ام كلثوم ···

انقلبت الدار ، بل انقلبت « الحتة » كلها الى مهرجان ·· كل يحــاول ان يرى او يسمع المطربة الصاعدة ·· اما انا فقد كانت علاقة المعلقين برامي تسمح لي ان ادخل بيته اذ ذاك ··





رامي .. نشوان



وهناك حدث شيء لم يحدث من ام كلثوم من قبل .. ولا من بعد ..

فالمعروف عن أم كلثوم منذ لمع اسمها في القاهرة أنها لا تغني للناس الا في مظهرها الاحتفالي الكامل .. الات العزف وراءها والجمهور امامها .. وكان رامي اعلم الناس بطبائع ام كلثوم ، فلم يحاول ان يجر الحديث معها في بيته الى الغناء ، ولكن شقيقته الصغرى ، وكانت اذ ذاك طفلة ، طلبت الى « ابلة ثومة » ان تغنيها شيئا، أي شيء، ويبدو ان ام كلثوم كانت مغرمة بهذه الصغيرة فلم تخيب رجاءها ، وغنت « صحيح خصامك والا هزار » .

ليلتئذ شاهدت رامي على سجيته الشاعرية .. شاهدته ينزل عن كرسيه ليجلس على أرض الغرفة وكأنه عابد في محراب !! ..

عجبت من صمت رامي طوال هذا الليل ، وتذكرت خفة روح مدرس الجغرافيا الذي كنت أعابثه عبث الطفولة في فصلنا المدرسي فاذا به يقول لي ليسكتني في ضجيج الضحك من سائر التلاميذ : « يا واد انت عنيك فوق حواجبك » ! .

هذه الروح الجياشة بالمرح التي كان رامي يخالط بها كل الصحاب لم تكن الا واجهة مزوقة لعالم الشجون التي تعتلج في نفسه العزيزة .. هذه الشجون التي عبر عنها رامي في شعره بالفصحى ... فادخلت تعابيره الفصيحة على الادب الغزلي معاني جديدة ، أو ابوابا جديدة ، لم يطرقها غيره من قبل ، ثم عبر عنها في شعره بالعامية .. فأدب اللهجة العامية وادخل عليها من التعابير الفصيحة ما رفع مستوى الاساليب الدارجة في احاديث جيلنا المعاصر ... والاجيال التالية ...

محمد حسن

في فجر اليوم الرابع من هذا الشهر – يوليو – منذ اربعين عاما ، صرع الراديوم – اغلى معدن في العالم – مكتشفته مدام كورى .. ولكن المعدن الثمين « صرعته » بعد ذلك اشعاعاته ، فتحول في النهاية الى .. رصاص !

مدام كورى اذن فعلت عكس ماكان الالكميون القدماء يحاولون فعله .. حولت معدنا « نبيلا » الى معدن خسيس ، ونالت عن هذا العمل جائزة نوبل مرتين ، فضلا عن عدد كبير من شهادات الدكتوراه الفخرية وغير الفخرية في العلوم !

الكيمياء القديمة بوسائل حديثة

الالكميون هم اسلاف الكيميائيين كما نعرفهم اليوم ولكن هؤلاء تنكروا لاجدادهم واعتبروهم منحرفين .. لان نشاطهم كان محصورا في تحويل المعادن « الخسيسة » كالرصاص والنحاس والحديد ، الى معادن « نبيلة » – اى ثمينة – كالذهب . ويبدو ان شعار الالكميين القدماء كان : « العلم للحياة » ، وهو ما يعد من احدث الشعارات الحديثة الآن !

والاسم ، « الكمى » ، اما اغريقى من « كيمو » اى « صب » ، لان الالكميين كانوا من علماء التعدين المهتمين بصب المعادن .. واما مصرى قديم ، من « كيم » ، اى « الارض السوداء » : ارض مصر ، موطن الالكميين .. ثم اضاف العرب – الذين وضعوا بعد ذلك اصول علم الكيمياء – حرف التعريف « ال » ، فاصبحت الكلمة « الكمى » .

ويقال ان الالكمى بدات مع الاغريق في الاسكندرية ، حينما كانت الاسكندرية هى مركز العلم والثقافة في العالم القديم ، حيث اجتمعت الفلسفة الاغريقية ، « والتكنولوجية » المصرية بالاضافة الى صوفية الديانات الشرقية . فاليونان القديمة كانت



الكيمى فى معمله يحاول تحويل المعادن الخسيسة الى ذهب

تحتقر العمل اليدوى ، وأهملت التجربة ..

كان ارسطو يعتقد أن هناك « مادة أولية » هى أساس كل المواد ، وأن تراكيب المادة الاولية يؤدى الى العناصر الاربعة : النار ، الهواء ، الماء ، اليابسة ، وبامتزاج هذه العناصر الاربعة تأتى جميع أشكال المواد ...

من ناحية المبدأ اذن ، فان اى مادة يمكن تغييرها الى مادة أخرى ، اذا توافرت الظروف المناسبة .

وحين جاء الاغريق الى مصر ، وجعلوا عاصمتهم الاسكندرية ، حاول عمال التعدين المصريين المهرة ، ترجمة هذه المبادىء أو النظريات الى حقيقة فنشأت طبقة من العلماء التكنولوجيين مثل ارشميدس الذى اشتهر بدراساته الهيدروستاتيكية ، وهيرو الذى ذاع صيت مخترعاته الميكانيكية التى تسخر البخار !.

العمال المصريون كانوا يصنعون الاوانى : من المعادن الثمينة ـ كالذهب والفضة ـ للاغنياء ، ومن المعادن الرخيصة كالحديد والنحاس للفقراء ... ومن قبيل « الرحمة » واسعاد الفقراء كانوا يموهون المعادن الرخيصة لتشبه الذهب . ثم حفزتهم مبادىء ارسطو الى محاولة تحويل هذه المعادن الرخيصة « حقا » الى ذهب ... واستعانوا بالمعتقدات الفلكية الواردة من حضارة ما بين النهرين ، وهى المعتقدات التى كانت ترى أن هناك تعايشا ، بين « العالم الكبير » ، وهو عالم النجوم والكواكب ، و « العالم الصغير » ، وهو عالم الانسان وأن ما يحدث فى « العالم الكبير » يؤثر فيما يحدث فى « العالم الصغير » والعكس صحيح !

وهكذا ، وتحت الظروف الفلكية المناسبة ، يمكن تحويل الرصاص مثلا الى ذهب بسهولة .. وأفضل طريقة لهذا التحويل هى استخدام أساليب « العالم الصغير » ، كالنمو والتطور والموت والبعث ، فكما أن الانسان ينمو ويتطور ، كذلك تنمو المعادن وتتطور : من معدن خسيس كالرصاص مثلا الى معدن نبيل كالذهب .

الكيمياء القديمة

ودور الالكمى فى هذه العملية ، هو الاسراع بهذه العملية فى معمله : بالتعهد الطويل والتسخين الطويل للمعدن الخسيس .. « باماتة «المعدن» ثم بعثه فى صورته الكاملة ، لان صورة الكمال النهائى لاى معدن هى المعدن النبيل ... اى الذهب . وهكذا « يمات » النحاس بتسويده ـ اكسدته ـ ثم « يبعث » بتحويله الى سبيكة فضية اللون ، باتحاده مع الزئبق أو الزرنيخ ـ وكلاهما سم مميت ... وتستمر عملية التطوير بمواد اخرى بتغيير اللون الى الاصفر . وهى خطوات حيوية فى عملية التحويل ، فالرصاص « الاسود » مثلا يمكن « اماتته » ، ثم « بعثه » بتلوينه ، حتى يصل الى الاكتمال النهائى كمعدن نبيل لونه اصفر ... اى الاصفر الرنان : الذهب .

ولقد اخذ العرب الالكمى عن الاغريق وطوروها : بحثوا عن حجر الفلاسفة الذى يحول المعادن الى ذهب ... وعن اكسير الحياة الذى يشفى جميع العلل ويهب الشباب الدائم

وجابر بن حيان من الكيميائيين العرب، يرى ان العلم ينقسم الى شقين : علم الدين ، وعلم الدنيا . الاول شرعى يؤدى الى علم الطبيعة الذى يرجع الكون الى عناصره الاربعة من حرارة وبرودة ورطوبة ويبوسة ، والثانى عقلى والسفى ، وهو علم شريف يؤدى الى صناعة الاكسير والعقاقير ... ويتفرع منه علم وضيع ، مختص بالصنائع المختلفة .. وواضح ان جابر بن حيان كان متاثرا تاثرا بالغا بالمعتقدات الاغريقية التى ترى ان الصناعة عمل وضيع لا يليق بالعلماء !

غير ان تطوير الكيمياء الحديثة صرفها تدريجيا عن عملية تحويل المعادن الى طريق العقاقير والاكسير فاتجهت الى دراسة المواد وتحليلها فى المعامل ، ثم تخليقها ، ثم بعد ذلك تخليق الحياة نفسها فى المعامل ، بعد النجاح فى اكتشاف جزىء الحياة « د.ن.أ » ، ومحاولة تخليقه فى المعمل من مواده الاولية ، وهى المحاولات التى تصادف بعض النجاح الآن احيانا ، والفشل فى اكثر الاحيان !

وتسلم عملية تحويل المعادن علماء

ديمقراطيس صاحب النظرية الذرية



الطبيعة ··· وبدأت المسألة أيضـــا فلسفية : أول من نادى بأن المادة ـ أى مادة ـ مكونة من ذرات كان الفيلسوف الاغريقى ديمقريطيس (٤٢٠ ق ٠ م)، الذى كان يرى أن الذرة هى وحدة المادة « الجوهر الفـــرد » ، وكانت ذرات ديمقريطيس عديدة ولا يمكن تقسيمها وفى حركة مستمرة ٠ وبعده جـــاء ابيقر (٣٤١ ق ٠ م) الذى أكد أن المادة لا تفنى ، وأنها مكونة من ذرات دقيقة لا يمكن تقسيمها ، وأن هـــذه الذرات متحركة : لا لون ولا حرارة ولا صوت ولا مذاق ولا رائحة لها !

وبهذا المبدأ أخذ فرانسيس بيكون (١٥٦١ م) وديكارت (١٥٩٦ م) وسير اسحاق نيوتن (١٦٤٢ م) ، ثم جون دالتون ·· وكلهم قالوا ان الله خلق العالم من ذرات مختلفة ، وأن الذرة هى وحدة الكون التى لا يمكن تحطيمها ٠

مدام كورى



ثم اكتشف هنرى بيكريل (١٨٩٦ م) ـ بالصدفة ـ ان الذرة ليست هـــذه الوحدة المتماســـكة التى لا يمكن تحطيمها ، وأن بعض الذرات يتحلل، وتخرج منه جسيمات دقيقــة جدا : اشعاعات ··· وركـــز بيير ومارى كورى على هذه الاشـــعاعات حتى اكتشفا معدنا «أبيض» لامعا متوهجا « أزرق » سمياه « الراديوم » ، من راديوس ـ أى الاشعاع ـ لأن المعدن الجديد لا يكف عن الاشعاع ·· حتى يسكن تمـــاما ، وتفرغ اشعاعاته ٠ فيتحول الى معدن « أسود » ·· هو الرصاص !

الألوان مرة أخـــرى ··· مقترنة بتحويل المعادن !

ولكن العلم الحـــديث لم يعد يهتم بالمظاهر ، لم تعد الألوان تهمه ·· ما يهمه هو جوهر المادة ٠ وغاص العلم فى جوهر الـــذرة ، فانفتحت له آفاق جديدة مذهلة : الذرة التى ظننـــوها لبنة مصمتة عبارة عن عالم يمـــوج بالحركة ، فى لبه نواة فيها بروتونات ونيوترونات وحولها الكتـــرونات تدور ٠ وتختلف ذرة عنصر ما عن ذرة عنصر آخر فى عدد ما تحتويه من بروتونات داخل نواتها ، وبالتالى فى عدد الكترونات الدائرة فى مسارها ٠ فالذرة فى حالة التعـــادل الكهربائى يتساوى فى داخلها عدد الالكترونات مع عدد البروتونات ٠

ويظهر أن عدد العناصر الموجودة فى الطبيعة هو ٩٢ عنصرا ، أخفها هـو الايدروجين، الذى تحتوى كل ذرة من ذراته على بروتون واحد داخل النواة، يليه الهليوم وتحتوى كل ذرة من ذراته على بروتونين ··· ويزداد عـــدد البروتونات داخل الذرات المختلفة حتى تصل الى ذرة اليورانيوم ، وهى أثقل الذرات ، وتحتوى على ٩٢ بروتونا ·

وحيث أن عدد الالكترونات داخل الذرة يتحدد بعدد البروتونات داخل النواة ، لذلك يتوقف نوع الذرة على عدد البروتونات داخل النواة ويسمى هذا العدد بالرقم الذرى ··· وهكذا فان الرقم الذرى لذرة الهيدروجين هو واحد ، ولذرة الهيليـوم ٢ ·· ورقم ذرة اليورانيوم ٩٢ ·

وهكذا اتضح انه لا يمكن تحقيق احلام الالكميين القـــدماء بالوسائل الكيميائية ، الا انه بالوسائل الحديثة للطبيعة النووية ، يمكن تحويل ذرات العناصر بتغيير عدد البروتونات داخل نواتها ·

علم الطبيعة النووية الحديث يرى العالم كله مكونا من كومة هائلة من البروتونات والالكترونات · والبروتون والنيوترون هما حالتان لجسيم أساسى واحد هو « النيوكلون » ـ من نيوكل

الكيمياء القديمة

اى نواة ـ فالبروتون يتحـــول الى نيوترون باطلاق شحنة موجبة يحملها بوزيترون ، وهو الالكترون الموجب الشحنة ، كما يتحول النيوترون الى بروتون باطلاق شحنة سالبة يحملها الكترون سالب الشحنة ··· وهـكذا يحدث عادة عندما تتحول نواة عنصر ما الى نواة عنصر اخر ، فى ظاهرة النشاط الاشعاعى ، وباطلاق اشعة « بيتا » الموجبة او السالبة · وتتحدد البروتونات والنيوترونات داخل النواة بقوة ليست كهربائية او مغنطيسية ، تعرف باسم القوة النووية ، وهى قوة جاذبية قصيرة المدى جدا ·

وقـــد ثبت أن ذرات اليورانيوم ، تتحول بالاشعاع الطبيعي ، الى ذرات معدن اخر : ذرة اليورانيوم فى مدى ٤٥٠٠ مليون سنة ، تتحـول باطلاق الاشعاعات ، الى يورانيوم × ١ ، ثم الى يورانيوم × ٢ ، ثم الى راديوم ثم الى راديوم × ١ ، ثم راديوم × ٢ وهكذا ·· حتى يتوقف الاشعاع تماما ، فيتحول الى رصاص ·

ويمكن تقصير المدة الزمنية للتحويل فى المعمل ، بالتدخل فى مكونات الذرة: اضافة الكترون أو نيوترون ، فتتحول من ذرة معدن الى ذرة معدن اخر ، ونحصـــل على طاقة كبيرة ، مدمرة احيانا ، نافعة احيانا اخرى اذا سخرت لخدمة الانسان · وقد رأينا أن ذرة اليورانيوم ، وعدد بروتوناتها ٩٢ ، قد تحولت بعد فقد أربع منبروتوناتها الى ذرة راديوم عدد بروتوناتها ٨٨، وهذه بدورها ، بعد أن فقدت ستة من

بروتوناتها ، تحولت الى ذرة رصاص عدد بروتوناتها ٨٢ !

هل يمكن افقاد ذرة الرصاص ثلاثة من بروتوناتها ، فتتحـــول الى ذرة ذهب عدد بروتوناتها ٧٩ بروتونا ؟ اعتقد أن هذا ليس أمرا صعبا الآن !

وقصــة البروتونات والنيوترونات والاليكترونات لم تتم فصـــولا ... منذ نصف قرن كان الاعتقـــــاد السـائد أن تكوين الذرة يقتصر على البروتون ذى الشحنة الموجبة ، والنيوترون غير المشحون ، والالكترون الســالب الشــحنة . البــروتونات والنيوترونات فى النــواة ، تدور حولها الالكترونات على نسق نظامنا الشمسى . ولكن تقدم العلم اثبت أن مكونات الذرة ليست بهذه البساطة، بل هى أكثر تعقيدا .. فى سنة ١٩٢٨ اكتشــف العالم البريطانى بول ديراك ان الالكترونات تتحـــرك داخل الذرة فى اتجاه معاكس للاتجاه المنتظر حسب النظريات العلمية ، واتضح له وجود « قوة » تسبب هذا السلوك الشـــاذ للالكترونات ... طاقة سالبة تحرك الالكترونات فى اتجاه مضاد . وخرج ديراك بنظرية سمرها « بحر ديراك » تفترض ان الكون الواسع عبارة عـن بحر زاخر بالالكترونات المتناثرة فى مستويات مختلفة من الطاقة السالبة تساوى المحصلة النهائية لقـــوى الجاذبية والقوى الكهربية المغنطيسية التى تحركها صفرا ، وحتى تصبـــح هذه المحصلة النهــائية ، لا بد من وجود « فقاعات » فى هذا البحر تنطوى على شحنات موجبة . وعند التقــاء فقاعة من هذه الفقاعات الموجبة بأحد الالكترونات السالبة ، يقضى كل منها على الآخر . مع اطلاق قدر من الطاقة!

وثبتت صحة نظرية ديراك، باكتشاف البوزيترونات ـ أى الالكترونات موجبة الشحنة ـ سنة ١٩٣٢ . بعدها حقق العلماء التحام الكترون ببوزيترون ، فأباد أحدهما الآخر ... مع اطلاق قدر من الطاقة .

ثم ثبت بعد ذلك أن هناك بروتونات مضادة ، أى سالبة الشحنة ، بل ثبت أن هنـــاك « عوالم » كاملة من المادة المضادة ، تتكون نواة الذرة فيهـــا من بروتونات سالبة ، تدور حولهـا بوزيترونات ـ أى الكترونات موجبة .. هذا العالم المضـــاد اذا التقى بعالمنا كان يوم القيـــامة : يختفى العالمان تماما ، مخلفين طاقة هائلة!

العلماء الآن يحاولون ترويض المارد الجديد المخيف ، بتسخير طاقته الهائلة لخدمة الانسان ، كوقود لسفن الفضاء المسافرة الى الكواكب البعيدة مثلا ..

ونعـــود الى الالكميين القدماء .. لا شك أننا ظلمناهم اذ زعمنـــا انهم مخرفون ، لانهم فى الواقع لم يكونوا قادرين ، بوسائلهم البدائية وتفكيرهم البكر ، على التعبير عن أعمالهم فى نظريات ومعادلات علمية مفهــومة .

لا شك أنهم كانوا يقصدون بحجـــر الفلاســفة ، الالكترون والبروتون ، ولا شك ان الاكسير كان المقصود به سائلا قادرا على « تصحيح » الحياة لتعود شابة جديدة ، بدلا من المحاولات الحالية ـ الفاشلة ـ لصنع الحياة فى المعمل !

اليست معى فى أن العـلم الحديث يعود ـ من حيث لا يدرى ـ الى الالكمية القديمة بوسائل حديثة ؟

أنت الذكرى

كيلاني حسن سند

مازلتُ رغمَ مضيِّ العام أنتظرُ
إني لأعرف أنَّ الحب ينتصرُ

عودى ، فبعض بقايا منكِ توخزني
كأنها فى زوايا منزلى - إبرُ

حديثك الحلو .. آيات أرددها
وأغنيات لها فى خاطرى ذكرُ

شمعاتك المطفآت الآن هاجعة
كأنها جثثٌ لم تأوها حفرُ

وباقةُ الزهرِ تأتينى كعادتها
لكنها لم تعد بالشوق تأتزرُ

تظلُّ عندي كالأيتامِ بائسة
بعض الليالى ، وتذوى ثم تنتثرُ

كانت تراكِ فيزدادُ الأريجُ بها
ليفعم الجو ، والأوراق تزدهرُ

لمّا وفدتِ إلى بيتى ، وكان دجى
وجاءَ خلفَ خطاك النجم والقمر

غيّرتِ مافيه ، فالأشياء صاخبةٌ
من بعدِ ماكانت الأشياء تحتضرُ

لمستها فانتشت فرحى ، مغردة
مثل العصافير ، لما يورق الشجرُ

كانَ الزمانُ شتاءً ، عهدنا أبداً
به يجيءُ ، فيأتى البرد ، والمطرُ



لكنه مرة ماجفت .. خميلتنـــــا
ما غادر الطير شرفتنا ، ولا السَّمَر
كمْ جئتِني ، والرِّياح الهوج معولة
والأرض موحلة ، والمـاء منهمر

فكنتِ كالوردةِ البيضاء بللها
طلُّ الصَّباح ، وضرَّج خدها خفر
فضحت ، كيف قطعت الطرق مقبلة
والريح عاصفة ، والجو مُعتكر

فقلتِ ماقلتِ .. أعـذارا مضمخة
بالعطرِ مازال فى قلبى لهـا أثر
قد كان قلبكِ لى عشا ، ومدفأة
وواحة لى فيها الظل والثمـــر

وهأنا قد صحوت اليوم من حلمى
وكل مافى يدى الشوق والسهر
أود أن اهجـــر الماضى ..فيجذبنى
كالطفلِ يبصر ما يغرى فينبهر

أحكى حكاياته لليل فى شـــغفٍ
لكنما بعضها فى القلب مدخـــر
ترين بعض دمائى فى مقاطعهـــا
كأنها من حنايا النفس تعتصر

إنْ كنتِ لن ترجعى ..عودى لتقتلعى
أشجار ذاكراكِ من قلبى فتندثر !

الرجل الثاني فوق القمر

ميشيل تكلا

« العودة الى الارض » هذا هو عنوان كتاب الكولونيل « ادوين الدرين » ، الرجل الثانى الذى هبط على القمر وسار على سطحه ، ووصف ذلك السطح الغريب ودون احاسيسه وانفعالاته كمخلوق بشرى نقلته التكنولوجيا عبر ملايين الاميال الى ذلك التابع الذى يدور حول الارض ، ثم اعادته اليها ...

• لم يبق من الوقود غير ما يكفى لعشر ثوان فقط عندما لمست المركبة القمرية سطح القمر ... وكان الهبوط ناعما . وفحصت اضواء الهبوط لاتأكد ان الهزة البسيطة التى شعرت بها كانت تعنى اننى هبطت فعلا على القمر ... وغمرتنى السعادة ، ففحصت الاضواء الاخرى ... المحركات قد توقفت تماما . فاتصلت بالمركز الارضى فى الحال لانقل لهم الخبر السعيد ... وتحولت الى الاوامر الصادرة لاستعد للاقلاع فورا اذا صدر ذلك الامر من المركز الارضى . وكنت قد دربت على ان افعل ذلك بمجرد ان ارى اشارة معينة على اللوحة امامى ... وتعجبت كيف ان « نيل ارمسترونج » لم يعبأ بهذه الاوامر الصريحة عندما قاطع صوت هيوستون المركز الارضى قائلا : « هيوستون .. لقد هبط الصقر على القمر ! » كنت اعلم بما كان سيقوله ، ولكنه لم يشأ ان يطلعنى متى سيخاطب المركز الارضى بذلك ...

هبطت على سطح القمر فى الساعة الرابعة وسبع عشرة دقيقة واثنتين واربعين ثانية بعد الظهر فى يوم ٢٠ يولية عام ١٩٦٩ . وكان هبوطنا فى بحر الهدوء فوق القمر ... أو فى قاعدة بحر الهدوء بمعنى أصح ...



ادوين الدرين «مؤلف الكتاب»

وربت على كتف نيل مؤكدا نجاحنا العظيم ثم اندمجنا فى عمل متصل مع المركز الارضى ···

وخلال اول ساعتين فوق القمر كان العمل شاقا مزدحما متواصلا · وكان على ان اقوم بعدة قياسات هامة وتحديد مكاننا من النجوم للاغراض الملاحية · وكان على ان انقل هذا كله الى الارض واستمع الى صوت العلماء الارضيين وهم يعيدون قراءة هذه القياسات لاتأكد من انها وصلتهم سليمة · واثناء اول لحظة من الهدوء امضيناها فى المركبة القمرية قبل ان نتناول طعامنا ، فتشت فى حقيبتى الخاصة عن طردين صغيرين كنت قد اوصيت بهما قبل اقلاعنا من الارض ··· وكان الطرد الاول يحتوى على قنينة من النبيذ والثانى على كمية من الخبز · وتناولت كاسا من حقيبة اخرى ، وناديت على علماء المركز الارضى قائلا : « هيوستون هذه هى المركبة القمرية ··· اريد بضع لحظات من السكون لادعوا كل انسان منكم مهما كان مركزه او وظيفته ليتأمل معنا احداث الساعات الاخيرة القليلة ولكى يشكر الله على هذا النجاح العظيم » ··

وبعد أن تناولنا طعامنا اخبرتنا هيوستون انه لم يبق غير ثلاث ساعات ونصف الساعة قبل أن نفتح باب المركبة ونهبط فى الدرج الى ارض القمر ·· واثناء هذه الساعات الطويلة سوف نقوم بتنظيم المركبة ومعلبات الطعام ومراجعة الخرائط وخطط العودة الى الارض · واخيرا نهض نيل ارمسترونج من مكانه واتجه نحو كوة المركبة فى تمام الساعة العاشرة والدقيقة السادسة والخمسين وسمعته يقول « انها خطوة صغيرة للانسان ··· اه ··· ولكنها خطوة عملاقة للانسانية » ·

وفى اقل من خمس عشرة دقيقة كنت اخرج وظهرى الى الخلف من الكوة لالحق بنيل · وكنت اشعر وكأننى اطفو وقد امتلا جسمى بالبثور والقروح عندما لمست قدماى سطح القمر · وفى الحال نظرت الى قدمى وآثار فضولى

الرجل الثاني فوق القمر

تراب القمر وتركيبه الغريب · فاذا ركل الانســـــان بعض الرمال على الشاطىء فانها تتناثر في جميـــع الاتجاهات ، كما ان بعضها قد يكون أسرع من الاخر في تشتته · اما على القمر فان الغبار يتناثر في جميـــع الاتجاهـــات كذلك ولكن كل حبة منه تســـقط تقريبا بالقرب من الحبة الاخرى وعند نفس المسافة التي تقع عندها ·

***

اما الشيء الثاني الذي فعلته فهو ان اسجل انطباعاتي الشخصية وانا اخطو الخطوات الاولى فوق القمر ، تلك الانطباعات التي لم يعرفهـــا غير عدد قليل من الناس · فكلتاي غير القويتين ارسلتا رسالة مقبضــــة غير سارة ·

وبسرعة احســـــــست بتوازني وانتصاب قامتي اللهم الا عندما ملت قليلا الى الامام · وشعرت ايضـــا بقليل من الضــــيق · ففي الارض عندما ينظر الانسان الى الافق فانه يبدو مسطحا ، ولكن القمر الذي يقل حجمه عن الكرة الارضية كثيـــــرا وليست به تضـــاريس عالية ، فان الافق يبدو في جميع الاتجـــاهات متحنيا الى اسفل ·

وطبقا للخطة الموضـــوعة بدات اجرب قدرتي على المناورة فوق سطح القمر ··· واعطـــاني التدريب الذي قمت به احساســـا غريبا ، بل وكان اغرب عندما رأيت الفيلم الذي التقط لي · وكنا نبدو وكاننا نسير بحركة بطيئة جدا ونحن نرتدي زي الفضاء ·· وشعرت في الحال ان القصـــور الذاتي أعظــم على القمر منه على الارض · ففي الارض يســـــتطيع الانســـان أن يقف في الحال اثناء ســـيره أو جريه · ولكن فوق القمر احســـست بأنني لو توقفت فجـــأة فسوف أواجه زوبعة من الغبار ، وكان على ان اخطو ثلاث خطوات أو اربع خطوات قبل ان اقف نهائيا · ويحدث نفس الشيء عند الاســـــتدارة او الدوران ، ففي الارض فان حـــركة الاستدارة او الدوران تكون مباشرة ، اما على سطح القمر فان الانســـان يقوم بها على مراحل ·

كــــان وزني على الارض برداء

الفضاء وملحقاته يقترب من ٣٦٠ رطلا اما على القمر فكان وزنى ٦٠ رطلا فقط ، لان جاذبيته سدس جاذبية الارض ٠

وعند نقطة معينة توقفت لامعن النظر فيما هو امامى ، وقلت « يا للجمال الاخاذ ٠٠ يا لروعة الكآبة !! » فقد بهرني التوافق العجيب بين عمق الظلال ووعورة السطح ٠٠٠ فقد تدرجت الوانه من الرمادى الداكن الى الرمادى الفاتح ولم تكن تتغير الا امام منظر واحد فقط ٠٠٠ منظر المركبة القمرية الملونة بالالوان السوداء والفضية والصفراء والبرتقالية وهى تتوهج فوق السطح غير الملون ٠

لقد رأيت نيل ارمسترونج فى رداء الفضاء الوف المرات ٠ اما على سطح القمر فكان لون ردائه ابيض لامع اللون لم اره مطلقا فى حياتى ٠

كنا ننظر حولنا فنرى الكرة الارضية التى كانت رغم حجمها الكبير عن القمر ، تبدو صغيرة وكأنها راحة كثيرة التجاويف بعيدة عنا فى السماء ٠

كان علينا ان نقوم بعدد من التجارب فى وقت قصير ٠٠ ونظرا لوجود الاشياء المجهولة لنا وتنوعها فوق القمر فقد حددنا اجراء هذه التجارب فى ساعتين واربعين دقيقة ، وكانت كل دقيقة مشحونة بالعمل الشاق ٠٠ وعند نقطة معينة كان علينا ان نغرس العلم الامريكى فوق سطح القمر ، وكنا قد تدربنا تدريبا جيدا على اداء كل عمل بدقائقه وتفاصيله ولكننا لم نتدرب مثلا على عملية غرس العلم

واقترح نيل ان نبدأ بالعلم ٠ وقمنا بغرسه معا وكادت تفشل المحاولة ٠ وكانت هناك ذراع تلسكوبى صغير متصل بعمود العلم ليجعله ممتدا ورأسيا فى جو القمر الساكن ٠٠ وضبطنا السلم على زاوية قائمة ٠ ومع ذلك فان التلسكوب لم يجعله ممتدا كما كان متوقعا فالعلم الذى كان مفروضا ان يكون مسطحا اصبح مموجا ٠ ثم واجهتنا مشكلة اخرى ان عمود العلم لم ينغرس بما فيه الكفاية فى سطح القمر ليتماسك ويصبح فى وضعه المطلوب ٠ وبعد كفاح مرير نجحنا بعد محاولات متكررة ٠ وتوقعت ان يهوى العلم امام عدسة التليفزيون ٠ والتقط لى نيل صورة وانا احيى العلم ٠ وفى اللحظة التى تحركت فيها لاترك له مكانى والتقط له صورة وهو يحيى علم بلاده

المفروس فوق القمر ٠ نادت علينا « هيوستون » واخبرتنا أن الرئيس نيكسون يريد ان يتحدث الينا ٠

ودق قلبي بعنف بعد أن كان خاملا طوال الرحلة ٠٠٠ واخبرني نيل فيما بعد أنه كان يعلم بان الرئيس ربما يتحدث الينا ونحن نتجول فوق سطح القمر ، ولكن أحدا لم يخبرني بذلك من قبل ٠٠ وكانت المحادثة مع الرئيس قصيرة ٠ ولم يكن هناك متسع من الوقت لافكر في بعض العبارات المنمقة واثرت أن اصمت واترك الامر لنيل ، فقد كان هو قائد المركبة ، لذلك تركته يتبادل الحديث مع الرئيس

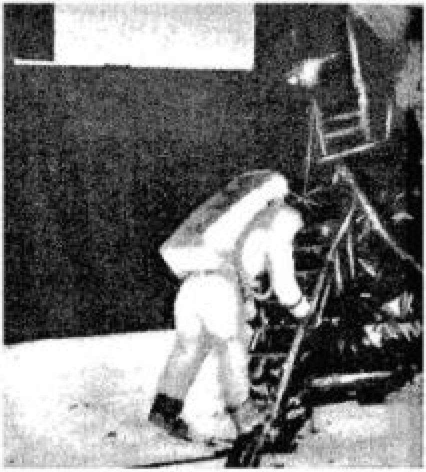
شعرت بزهو وفخار وانا انزع لوحة توضح غرب الكرة الارضية وشرقها وقد كتبت عليها هذه الكلمات « هاهم بعض رجال من الكوكب الارضي يطأون أرض القمر لأول مرة ٠٠ لقد جئنا من اجل سلام البشر ٠ يولية ١٩٦٩ ميلادية »

وظهرت توقيعاتنا الثلاثة وتوقيع الرئيس نيكسون وكثيرا ما كنت افكر متى تقع عيون البشر على هذه اللوحة ، ومن هو ذلك الانسان الذي سيقرؤها لاول مرة ٠

اما التجربة الثالثة فقد كانت تتلخص في نقل عاكس مزود باشعة ليزر من خلف المركبة ، لاجراء بحوث خاصة بالهزات القمرية ٠ وكانت تجربتي الاخيرة ان اغرس انبوبة خاصة في تربة القمر واحصل على عينة من قلبه ، وتذكرت ما كنت اقرؤه عن نعومة سطح القمر وما كان يقوله العلماء ان هناك احتمالا أن يغوص الانسان في ترابه ٠ ولكن السطح كان صلبا شديد الجفاف ٠٠ وبذلت جهدا كبيرا لاغرس أنبوبة الاختبار ٠ وبعد محاولات عديدة حصلت على العينة التي جاءت من عمق ضحل (على عمق ست بوصات فقط) اى اعمق مما كنا نتوقعه ٠٠

وفي الوقت الذى كنت اقوم فيه بتجربتي المثيرة كان نيل يدور حولي يجمع بعض الصخور ويضعها في حقيبة خاصة ٠ وكان الوقت يجرى سريعا ونحن في زحمة العمل ٠

واخيرا تسلقت درج المركبة وما كدت اصل الى منتصفه حتى سالني نيل اذا كنت قد تذكرت ان اترك الاشياء التي جئنا بها فوق القمر ٠ وكنت قد نسيت تماما ٠ وفي الحال دسست يدى في جيب فوق كتفي واخرجت طردا صغيرا والقيت به فوق سطح القمر ٠٠ وكان الطرد يحتوى على ميداليتين لكل من رائدى الفضاء



مؤلف الكتاب وهو يهبط الى سطح القمر ليتبع زميله نيل ارمسترونج

السوفييتيين اللذين قتلا في رحلتهما، وقطعة من سفينة الفضاء (ابوللو١١) التي مات فيها روادها • وغصن زيتون من الذهب الخالص •

بعد ان دخلنا المركبة القمرية كان اول شيء فعلناه ان ادرنا اجهزة التهوية وشرعنا في رص صناديق الصخور ، والاقلام وكل شيء سوف لا نحتاج اليه حتى نلتحم بالمركبة الام (كولومبيا) • ونزعنا احذيتنا الكبيرة وما كنا نحمله فوق ظهورنا وفتحنا كوة المركبة والقينا بهذه الاشياء فوق سطح القمر مع حقيبة مليئة بعلب الطعام وحقائب البول ••

كان لا بد ان نستريح سبع ساعات كاملة قبل ان نرتفع بالمركبة من فوق سطح القمر وبعد أن تكون قد قضينا فوق سطحه ٢١ ساعة •• واخيرا جاءت لحظة الاقلاع في الثانية المتفق عليها ، وانفصلت المركبة من فوق مجموعة من السيقان الحديدية التي تشبه سيقان العنكبوت ، وثارت زوبعة من الذرات اطلقها دفع محركات الاقلاع •

لم يكن هناك وقت للفرجة على سطح القمر ونحن نغادره لانني كنت مشغولا بمراجعة الاجهزة الحاسبة والعقول الالكترونية ، وكان نيل يدرس باهتمام بالغ مؤشر الصعود ، ومع ذلك القيت نظرة على العلم الامريكي المرفوع فوق القمر • وبعد ثوان قليلة من الاقلاع اخذت المركبة زاوية قدرها ٤٥ درجة فاهتززنا في اماكننا لان الصعود كان قويا وعظيما

وبعد ثلاث ساعات وعشر دقائق التحمنا بالمركبة الام « كولومبيا » ••

***

لقد قضى « ادوين الدرين » صاحب هذا الكتاب عامين بأكملهما يلقي محاضرات عن رحلته الى القمر ، وعما اكتسبه من خبرات مثيرة وهو يسير على سطحه مع زميله نيل ارمسترونج • وبعد نهاية العامين دخل المستشفى في شهر اكتوبر عام ١٩٧١ على اثر انهيار عصبي وقلق وكآبة • واستطاع العلاج ان يعيده الى طبيعته ، ويشغل مؤلف الكتاب اليوم منصب مدير المؤسسة العامة للصحة العقلية ومستشارا لعدد من الشركات • ويعيش حاليا في كاليفورنيا مع زوجته وابنائه الثلاثة الذين لم يتخطوا سن العشرين بعد •



شركة الاسكندرية للمنتجات المعدنية
٧٢ شارع الشهيد جلال الدسوقي - الحضرة اسكندرية ت ٧١٧٦١/٧٠٥٣٣ ص.ب ٣٨٦ إسكندرية
AMPCO
امبكو
SILEC
La Cooperation Franco-Arabe dans le domaine de la Signalisation routière "SILEC" Paris "AMPCO" Alexandria
التعاون العربي الفرنسي في مجال تنظيم المرور الالكتروني بين شركة "سيلك" كبرى الشركات العالمية الفرنسية وشركة "امبكو" الاسكندرية للمنتجات المعدنية
أجهزة مرور ضوئية
جهاز تحكم الكتروني لتنظيم المرور

ارض الفداءات .. لنـــا موعد   عند الضفاف الخضر عند الشعاب
سيلتقي الفرســــان في حومة   فيها مع الباغين فصـــل الخطاب
فالجبل الشـــــامخ لم يحتضن   في صدره الا الاسود الغضـــاب
والنسر لا يغفـــو على جرحـه   وفي جناحيه طموح العقـــاب !
هذا زمان المجد ، رغـم الـدجى   رغم اكتئات الليل ، رغم العذاب
قد ولد الفـارس في ارضــــنا   وانشق فجر من ثنايا اليبـاب
ان الفداء الحر ميــــلادنا ..   لن يجهض الميلاد غـدر الـذئاب
دماؤنا تــــكتب امجـــــادنا   اما ترون الوهج طي الـكتاب ؟!

● جدة ●   ● راضي صدوق ●

الغلاف الأول



الرئيس انور الســـادات
بطل العبور ، وقائد النصر
بريشة الفنان : جمال قطب

الغلاف الأخير

لقطة من وحدات الصواريخ
المصرية المضادة للطائرات
عدسة : شوقي مصطفى






الهلال
عدد خاص
شمس الله
شرق على الغرب
رة: إيليا أبو ماضي
مع العدد
هور
الأدبي للهلال
د+ الزهور + الهدية = ١٥ قرشا

الهلال

شوال ١٣٩٤
نوفمبر ١٩٧٤

مجلة شهرية تصدر عن دار الهلال — أسسها جرجي زيدان سنة ١٨٩٢ — العدد الحادي عشر — السنة الثانية والثمانون — اول نوفمبر ١٩٧٤ — ١٦ شوال ١٣٩٤

رئيس مجلس الإدارة
فكرى أباظة

نائب رئيس مجلس الإدارة
صالح جودت

رئيس التحرير
صالح جودت

مدير التحرير
نصرالدين عبداللطيف

المشرف الفنى
جمال قطب

سكرتير التحرير
عاطف مصطفى

الاشتراكات

ثمن العدد ، في جمهورية مصر العربية ١٥٠ مليما .
قيمة الاشتراك السنوى : « ١٢ عددا » في جمهورية مصر العربية وبلاد اتحاد البريد العربي والافريقي ١٥٠ قرشا صاغا . في سائر انحاء العالم ٦ دولارات او ٢ر٥ جنيه والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال . في جمهورية مصر العربية والسودان بحوالة بريدية . في الخارج بشيك مصرفي والاسعار الموضحة اعلاه بالبريد العادي — وتضاف رسوم البريد الجوى والمسجل على الاسعار المحددة عند الطلب .

الادارة : دار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب — القاهرة .
تليفون : ٢٠٦١٠ (عشرة خطوط)

في هذا العدد :



محمود رياض — د. طه حسين — حسن عبد المنعم

بسم الله الرحمن الرحيم



كلمة الهلال

شمس الله تشرق على الغرب ...

هذا هو عنوان الكتاب الجليل الذى وضعته المستعربة الالمانية الدكتورة زيجريد هونكه ، مفصلة فيه فضل الحضارة العربية الاسلامية على ثقافة الغرب

هذا الفضل الذى يعترف به المستشرقون والمستعربون الالمان اكثر مما يعترف به نظراؤهم فى الدول الغربية الاخرى ، لان المانيا كانت تنظر دائما الى الشعب العربى نظرة مجردة من المطامع الاستعمارية والاتجاهات التبشيرية على غير شأن الدول الغربية الاخرى التى جعلت الثقافة مطية لتحقيق تلك المطامع والاتجاهات فى كثير من الاحيان

ومن اجل شمس الله المشرقة على الغرب انعقد الاسبوع الثقافى العربى الالمانى الذى كان لى شرف عضويته فى جامعة توبنجن بمقاطعة بادن – فيرتمبرج بالمانيا الغربية من ٩ الى ١٥ سبتمبر الماضى ، وقد دعا اليه الناشر الالمانى الهائم بالثقافة العربية ، هورست

اردمان ، واسهم في تنظيمه وتمويله مع جامعة توبنجن ومعهد العلاقات الخارجية بمدينة شتوتجارت وجامعة الدول العربية

هناك التقينا بجمع كبير من المستشرقين والمستعربين الالمان ، ومن وزراء الثقافة والاعلام والسفراء واساتذة الجامعات والكتاب العرب ، والقيت محاضرات واقيمت ندوات ودارت مناقشات ... ولم يسلم الاسبوع من مناوشات صهيونية لم تتمخض الا عن جرذان ميتة

واجمل ما نتمناه ان يكون هذا الاسبوع اللامع بداية لانهاية ، وان تقام اسابيع عربية مشتركة مع سائر الدول في عواصمها ، وان يكون لمثل هذه الاسابيع طابع بينال - اى كل عامين - مرة في عاصمة غربية واخرى في عاصمة عربية ، حتى تتوثق الاواصر بين الشعوب العربية والاوربية ، وتكون جسرا للتفاهم السياسى من خلال الثقافة

• صالح جودت •

د. محمود رياض
الأمين العام لجامعة الدول العربية

باسم جامعة الدول العربية واسمي ، يسعدني ان افتتح الاسبوع الثقافي العربي الألماني ،راجيا ان يكون بداية مرحلة جديدة من التعاون العربي المثمر مع المانيا الاتحادية خاصة ومع الدول الاوربية عامة .

وانه لمن بواعث الامل في نجاح هذا الاسبوع ان يتم التحضير له بالتعاون بين الجامعة العربية ومكتبها في « بون »، ودار اردمان للنشر ،ومعهد العلاقات الخارجية في ((شتو تجارت)) ،وجامعة توبنجن ، وان تحضره هذه الصفوة من رجال الفكر والثقافة والاعلام : العرب والالمان ، وان يأتي في مطلع الحوار العربي الاوربي سعيا لاقامة تعاون اوثق في الميادين السياسية والاقتصادية والاجتماعية .

الطريق إلى السلام

لا ريب أن روابط الفكر والثقافة هي اقوى الروابط واوثقها . فالفكر والثقافة هما المقومان الاساسيان للتعاون البشري . وهما اول ما يلتقي عليه الانسان مع اخيه الانسان في كل مكان. كما ان الميراث الثقافي الفكري للعالمين الاوربي والعربي ميراث غني بالتبادل والممارسة لمختلف العصور والاجيال . وتنميته لذلك امر ميسور وجدير بأن يؤتي اعظم الثمرات لخير الامن والتقدم في منطقتنا ، ولخير للسلام والعدل في العالم اجمع .

ونحن جميعا نذكر دور المستشرقين الالمان . وكيف كانوا في مقدمة العاملين الاوربيين لنشر الاثار العربية القديمة وتيسير مطالعتها منذ قرون والتعريف بالعلوم والمساهمات العربية في الحضارة العالمية وبخاصة الاوربية لعصر النهضة كما انتفعت جامعاتنا ومؤسساتنا العلمية والفنية في دور نموها لهذا العصر ،بطائفة من العلماء الالمان وغيرهم من الاوربيين . وهكذا اخذت النهضة العربية الحديثة من الحضارة العربية القديمة . كما اخذت الحضارة الاوربية الحديثة



د . محمود رياض
مع والتر شيل

من الحضارة الاوربية بل ان نضال العربي للحرية ، في النصف الاول لهذا القرن مدين لاولئك الاعلام العرب الذين درسوا في الجامعات والمعاهد الاوربية اعجبوا بالنظم الغربية الحديثة

●●●

ان لقاءنا في هذا الاسبوع الثقافي يدعم حقيقة اننا جميعا على يقين منها ، وهي حقيقة الرابطة الفكرية العربية الالمانية ... تلك الحقيقة التي نتجت ثمرة لاهتمامات ثقافية متبادلة عبر أجيال وأجيال ...

وطالما كرم المفكرون الالمان الفكر العربي ، واقاموا الاعياد في ذكرى اعلامه الخالدين ، امثال الفارابي ، وابن سينا ، والجاحظ والمعري . وطالما برز الفكر العربي في اثار الاعلام الالمان من امثال جوته وشيللر وهيجل ، وغيرهم من الخالدين . الذين حرص العرب على تكريمهم والانتفاع بآثارهم .

واذا كانت عصور الاستشراق قد سبقت على أيدي الكثيرين من العلماء الالمان في تقديم الفكر العربي الى أوربا ، فان حركة الترجمة العربية النشيطة في العصر الحديث قد تولت نقل روائع الفكر الالماني الى العالم العربي . وهذه العملية الثقافية المتبادلة أمر طبيعي . فالعالم العربي هو منزل الوحي بالديانات السماوية التي اضاءت أوربا . والبحر الابيض المتوسط قد ربط بلادنا . والتبادل الفكري والحضاري بين هذه البلاد قديم منذ الحضارات والفلسفات القديمة الرائدة للبشرية في هذه المنطقة من العالم .

والثقافة هي اسمى القيم في علاقات الامم والشعوب وهي رسول الاحترام والتعاون والسلام ... واذا طمست معالمها او خفيت، افسحت المجال لسوء الظن والتقدير واذا كان للثقافة دورها الماضي المتقدم في دعم الروابط العربية الالمانية عن طريق الفكر والثقافة والاحترام المتبادل ، فان عليها اليوم دورها الحيوي في دعم هذه العلاقات دعما يقوم على الحقائق ويستقيم مع الوقائع ويخدم المصالح

الطريق الى السلام

ان الامة العربية اليوم تخوض نضالا شاملا يستهدف تحقيق أمل الانسان العربي في الامن والرفاهية، وبالنسبة للامن العربي فنحن نعتقد ان التطبيق السليم للمبادىء التي استقرت في الضمير الانساني من خلال اقسى التجارب والتي صاغها ميثاق الامم المتحدة • ما زالت تطرح نفسها كأسلم المبادىء لحل المشاكل الدولية • ان الاحترام الكامل للاستقلال السياسي للدول ولسلامة اراضيها وسيادتها ورفض التوسع الاقليمي والاستيلاء على اراضي الغير بالقوة واحترام حق الشعوب في تقرير مصيرها والعيش في جو خال من السيطرة او التفرقة العنصرية • لهي اوجب المبادىء بالاحترام لتكفل الامن في الشرق الاوسط •

ان تطبيق هذه المبادىء كما دعت اليه الامم المتحدة في قراراتها بانهاء الاحتلال الاسرائيلي للاراضي العربية والاعتراف بالحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني ، لهو الطريق لتحقيق السلام في الشرق الاوسط •

من ناحية اخرى فان الشعوب العربية تقوم اليوم بعملية بناء كبرى تستهدف القضاء على التخلف واقامة مجتمعات ذات بنيان اقتصادي سليم قادر على التطور وعلى تلبية احتياجات الانسان العربي وحقه في الحياة الكريمة •

ان النظر في مستويات دخل الفرد في العالم العربي ومقارنتها بمستويات دخل الفرد في اوربا وغيرها من

العربية الالمانية المشتركة ، والتقدم والامن في المنطقة ، والسلام العادل في العالم •

واذا كانت المعرفة الحقة للعرب وقضاياهم العادلة قد ضعفت في اوربا فترة من الزمان نتيجة ظروف وضغوط وتقديرات مختلفة ، فان الاشهر العشرة الماضية قد شهدت شمس الحقيقة من جديد • واستبانت اوربا وتلاقى العرب معها على مواقع الحقيقة والمصلحة ومواطن العدل والانصاف •

ان الحوار العربي الاوربي الذي بدأته الدول الاوربية التسع والدول العربية العشرون هذا العام ، هو بداية لعهد جديد في العلاقات العربية الاوربية ، وهو حوار اثق كل الثقة في حتمية نجاحه ، لانه ينطلق من مقومات موضوعية ولانه ينسجم مع المستقبل ، وينهض على اساس من المساواة والارادة الحرة لمجموعتين من الدول ترتبطان باوثق روابط الجوار والمصالح المشتركة بل والتاريخ والتفاعل الحضاري •

المناطق المتقدمة ، ليوضح أن هناك الكثير الذى يتعين على الامة العربية ان تنجزه للوصول بدخل الفرد العربى الى مستواه اللائق انسانيا ٠

وفى هذا المجال فانه يتعين ان ننطلق من مبادىء اساسية وهى الاعتراف المتبادل بحق كل دولة أو مجموعة من الدول فى التنمية الاقتصادية على اساس سيادتها على مصادر ثروتها الطبيعية ، ووجوب اتخاذ التعاون الاقتصادى سبيلا لحل المشاكل الاقتصادية الدولية ، ومن هنا فاننى أومن بأن الحوار العربى الاوربى يفتح آفاقا ويتيح امكانيات كبيرة لتحقيق هذا التعاون لخير الطرفين ٠

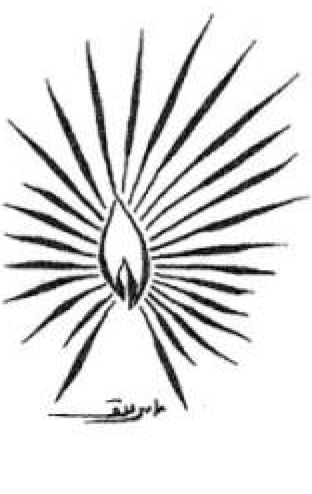
ومن هذا كله اعتقد ان هناك مجالا كبيرا للعطاء والاخذ من كلا الجانبين فى عملية تبادل كبرى، تشمل المواد الأولية والمواد المصنعة والتعاون الزراعى والصناعى ، والتدريب المهنى ، والتعاون فى مجال العلوم والتكنولوجيا والمواصلات وغيرها ٠

***

ان الدور الذى يمكن أن تقوم به المانيا الاتحادية فى عملية التعاون العربى الاوربى هو دور رائد بلا شك ٠٠ وفى النصف الاول من هذا العام عندما كانت رئاسة مجموعة الدول الاوربية التسع لالمانيا الاتحادية ، اتخذت اولى الخطوات فى هذا الاتجاه ، كذلك كانت زيارة المستشار فيلى برانت للعالم العربى ولجامعة الدول العربية خطوة هامة ورائدة على طريق الحوار العربى الاوربى ٠ ولا ريب ان دور المانيا الاتحادية بوصفها أحد المواقع الاوربية المتقدمة للفكر والثقافة والاقتصاد فى اوربا هو دور حيوى ٠

ان العالم العربى والمجموعة الاوربية يشكلان مجموعتين انسانيتين كبيرتين ، ويربطهما العديد من روابط الجوار والتاريخ ، لم يتسع لهما فى الماضى ان يتعاملا احداهما مع الاخرى ، بشكل جماعى وعلى اساس من المساواة ٠ انهما اليوم يريدان هذا التعاون ، ليس فقط لشعوبهما بل وايضا من اجل الامن العالمى والرخاء الدولى والعمل على أن تسود العلاقات الدولية روح من الديمقراطية فى ظل نظام يحتكم الى القانون بدلا من الاحتكام الى القوة ٠

وانني لعلى يقين من ان هذا الاسبوع الثقافى العربى الالمانى ، وشهوده من هذه الصفوة الممتازة سيقدمون مساهمة قيمة فى هذا المجال ٠



هورست
أردمان

هذا الأسبوع العربى ماهدفه ؟

عندما بدأت دارنا منذ ثلاثة اعوام تعد للاسبوع الثقافى الالمانى العربى فى توبنجن ، لم تكن تتصور المدى الذى سيصل اليه هذا المشروع ، فلم يكن من المألوف فى ذلك الوقت ، لا فى المانيا ولا فى اى مكان اخر من العالم ، كما هى الحال الان ، فتح الابواب على مصراعيها امام العالم العربى ، فلم تكن هناك انذاك طفرة عربية عظيمة، بل كانت هناك الوان كثيرة من سوء الفهم بين الجانبين ، وظلت الاحكام المسبقة تعكر لسنوات طوال جو الصداقة الالمانية العربية التقليدية .

ولقد كان هذا هو السبب الذى حدا بنا الى ان نفعل شيئا ، الى ان نعطى اشارة للقضاء على هذه الاحكام المسبقة الطارئة ، وللاسهام فى تحقيق تفاهم افضل بين الجانبين .

وقمنا نحن ، كدار للنشر تهتم بالتبادل الثقافى الدولى ، بالتخطيط لطائفة من الكتب تخدم هذا الهدف ، ظهر بعضها بالفعل ، ويوشك بعضها الاخر على الصدور . ثم رأينا علاوة على ذلك ، انه من الضرورى ان نخطو خطوة اخرى الى ابعد مما تستطيع الكتب الوصول اليه .

وهل هناك شىء يسهم فى تحقيق التفاهم الافضل اكثر من اللقاء الشخصى بين اولئك الذين يحملون – علاوة على مسئولية السياسة اليومية – مسئولية الحياة الثقافية فى بلادهم ومسئولية الرأى والفكر ، ويؤثرون على أحاسيس الناس وانطباعاتهم ، ومسئولية التعاون الاقتصادى ؟

كانت هذه الافكار هى التى مهدت السبيل الى « الاسبوع العربى » وهو اهم لقاء ألمانى عربى جماعى يتحقق حتى الآن .

وعندما زرت فى العام الماضى والعام الحالى عددا كبيرا من البلاد العربية، كنت أجد صعوبة فى توضيح اننى لا اقوم بجولة فى البلاد العربية كمبعوث من قبل الحكومة الالمانية الاتحادية ، وأن الاسبوع الثقافى الالمانى العربى تولد عن مبادرة خاصة، اى انه لم يصدر عن رغبة من حكومة جمهورية ألمانيا الاتحادية فى تحسين العلاقات مع العالم العربى ، بل هو أسبوع ثقافى يمكن ، على الاحرى ، تقييمه على انه تعبير عن رغبة الشعب الالمانى فى ان يتقرب الى الشعب العربى .

وليس هناك شك في ان العلاقات السياسية التي تتحسن حاليا تحسنا مضطردا تحتاج الى تدعيم مستمر من اساسها اذا اريد لها البقاء والدوام . وانما يتحقق هذا عن طريق التعاون المتبادل والتفاهم بين الشعوب وعن طريق تعميق العلاقات الانسانية وتأكيد الروابط الثقافية والاتصالات الاقتصادية . وهذا الاسبوع الذي نقيمه يمهد السبيل الى ذلك كله .

وثمة امر له اهمية حاسمة ، وهو اننا وجدنا في الجامعة العربية بالقاهرة ، وفي مكتبها ببون طرفا مشاركا هائلا في اقامة هذا الاسبوع الثقافي ، واسهم فيه بمثل ما اسهمنا به فيه من جهد واهتمام خالص .

ومدينة توبينجن مدينة ليستكبيرة، وهي ان لم تستطع ان تقدم لكم فنادق فاخرة لتقيموا فيها ، تعوض هذا النقص ، فتقدم اليكم مزيدا من المشاعر القلبية والنية الطيبة . ويسرنا ان نسجل ان هذا الاسبوع الثقافي لا يقف عند حد الاجتماعات والمناقشات التي يتيحها للمدعوين ، بل يعطي الشعب فرصة المشاركة فيه ، حيث يجد برنامجا ثقافيا عظيما يصور العالم العربي في كل المجالات ، ويحتوي على عروض من الفرقة القومية المصرية المشهورة في العالم اجمع ، وفقرات موسيقية يقدمها المعهد العالي للموسيقى بالقاهرة ، وعروض من الفرقة الشعبية بسلطنة عمان ، كذلك يعرض صناع النحاس والسجاد جانبا من نشاطهم الفني الحرفي . ويقدم بيت مشهور من بيوت الازياء بالقاهرة مبتكرات تهم السيدات خاصة ، ويجد الجمهور علاوة على ذلك عروضا للافلام السينمائية .

وكلي امل في ان يحتل الاسبوع الثقافي الالماني العربي في تاريخ العلاقات الالمانية العربية المكان اللائق به والذي يتناسب والنية الطيبة المتوفرة لدى الجانبين جميعا .



لقطة من معرض الكتاب الذي اقيم بجامعة توبنجن من اجل نشر الكتب التي تنقل ثقافة العرب الى المانيا

● د. هانس فلينجر ●
رئيس المجلس الشعبى الألمانى
ورئيس وزراء مقاطعة
بادن فيرتمبرج

منذ زهاء ثمانية عشر عاما وضع الناشر هورست اردمان نصب عينيه هدفا مضمونه اقامة جسور من العلاقات بين ثقافتنا والثقافات غير الاوربية التى أثرت فينا بعمق واستمرار .

معابر العلماء

.. وفكرة من كتاب "عرب وألمان".

لقد درس الاستشراق الالمانى ـ الذى يشرفنى هنا ان احيى ممثليه بحرارة ـ الاثر الهائل الذى تركته الثقافة العربية ـ الاسلامية فى أوربا ، تلك الاثر الذى بدأ منذ ان عبرت الجيوش العربية مضيق جبل طارق عام ٧١١ م قادمة من شمال افريقيا ، لتفتح اسبانيا واصبحت دولة صارت منارا شامخا للثقافة العربية ـ الاسلامية . وما من اوربى الا وسمع او عرف شيئا عن الحدائق ونافورات المياه ، والهندسة المعمارية العربية بغرناطة وقرطبة واشبيلية . وفى اشبيلية بالذات ، حيث ترتفع حتى الان الجيرالدا التى كانت منارة ومئذنة لمسجد . ان منارات مشابهة ما تزال ترتفع فى المغرب كمنارة الحسن فى الرباط والكتبية فى مراكش . لقد أمر السلطان يعقوب بن يوسف الذى اعاد فتح الاندلس فى القرن الثانى عشر الميلادى ببناء المنارات الثلاث التى ما تزال شاهدا على امبراطورية شملت أجزاء من قارتين .

وفيما يتصل بالهندسة المعمارية بشكل عام تأتي الصلة في فن التزيين والنقش الذى يسمى « ارابيسك » والذى أثر في مثيله الاوربي الى حد لم يجد المختصون معه اسما افضل لاطلاقه عليه من هذا الاسم . وبذلك وجدت القدرة الهندسية العربية على تصحيح التقليد الطبيعي الى صورة ذهنية تضج بالفكر والحياة كما بدت في « الارابيسك » ، في أوربا لقاء وتطويرا .

والحديث عن اهمية الكلمة المقولة والمكتوبة عند العرب كثر في كل مجال ومناسبة ، اذ ان الكتابة هي الوسيلة الاهم للتواصل بين الشعوب ، ولقد ادت الحاجة الى هذا الاحتكاك الى التوصل لمخترعات رائعة كانتاج الورق وتطوير صناعته . لقد اسس أول مصنع للورق في العالم عام ٧٣٤ م في بغداد . واحسب أنه من الفضول هنا في حضور هذا الحشد من الناشرين والكتاب والعلماء ان اذكر ان هذا الاختراع هو الان الاساس للوجود الفكرى الانساني .

كثيرة هي الكلمات والمصطلحات العربية التي دخلت في اللغة الالمانية . فالذى يسافر يحتاج الى حقيبة سفر (قفة _ **Koffer**) وكلمة (غلوة _ **Goel**) كتعبير عن الاستمرار في الحركة كانت حتى وقت قريب كثيرة الاستعمال ، ثم ان على من يريد أن يتناول حلوا التوجه الى محل الحلويات (**Konditorei**) ، ومن يريد ان يتناول بعض التوابل عليه أن يستعمل الفلفل (**Pfeffer**) ومما لا شك انه ناس الى حد ما تصور انشاء حياة كاملة بغير كحول (غول _ **Alkohol**) .

ان هذه الكلمات وأخرى غيرها ككلمتي مخزن (**Magazin**) وصك (**Scheck**) تشير الى العلاقات التجارية المتينة التي قامت بين الشعوب العربية والالمان ، حتى أن بعض العائلات الالمانية التجارية العريقة كعائلة **Fugger** تدين بثرائها الشهير للمستوردات من البلاد العربية كالاقمشة والتوابل .

ولا شك ان العلاقات التجارية بين بلادنا هامة الان ، شانها في الماضي . فنحن كبلد فقير في الثروات المعدنية نشكر للدول العربية تزويدها بالمواد الخام الضرورية لصناعاتنا . ونستطيع بالمقابل ان تزود تلك البلاد بالخبرة التقنية التي تعينها على بناء

صناعاتها الوطنية في التخطيط والتطبيق .. واستطيع ان اؤكد ان العلاقات الاقتصادية هذه ستكون عاملا ايجابيا في تقوية اواصر الصلة بيننا .

ويبقى التواصل الفكرى اهم من العلاقة الاقتصادية . والعرب والالمان يستطيعون في هذا المجال الاستناد الى تراث عريق . فعند مضيق جبل طارق القائد العربي اول اقلام بحرى للعبور . وبمقدرتهم الرياضية استطاعوا ان يقيسوا المسافة والوقت ، وبرهنوا هنا وفي مجالات اخرى على انهم رياضيون وكيميائيون واطباء وصيادلة

وعلماء · كان علماؤكم وكانت جامعاتكم ملء السمع والبصر · ولا يمكن وصف منزلة العلم عند العرب بأدق من كلمات النبي « ان محابر العلماء هي أكرم عند الله من دماء الشهداء » و « من ترك وطنه يبتغي علما فقد سلك سبيل الله » ·

***

وما يقال عن العلم بشكل عام يمكن أن يقال بشكل خاص عن علم الفلك عندهم · لقد ورثوا عن بدو البيداء بعض التقاليد ، فقد اهتدى البدو بالنجوم ومجاريها في سراهم الليلي في فدافد الصحراء وما تناقله البدو من جيل الى جيل من معرفة بالنجوم ومشاهدة لها واهتداء بها درسه العلماء العرب وطوروه ووسعوه بشكل علمي في جامعات بغداد ودمشق والقاهرة وفاس ·

ولم تقف مطامح الفلكيين العرب عند هذا بل طمحوا الى تجاوز المكان والزمان والتمسوا في مجارى الافلاك اشارات الى الاقدار والمصائر · لقد رأى العالم والفيلسوف العربي في الافلاك هذه « شاهدا على وحدانية الله فاطر السموات والارض ، خالق الظلمة والنور ، المحيط علمه بكل شيء » · فبعلم النجوم حسبما رأى الفلكي العربي الكبير البتاني المتوفى سنة ٨٧٧ م « يستطيع الانسان أن يتحقق من وحدانية الله ، وأن يرى عظمة رحمته وقدرته وكمال آثاره » ·

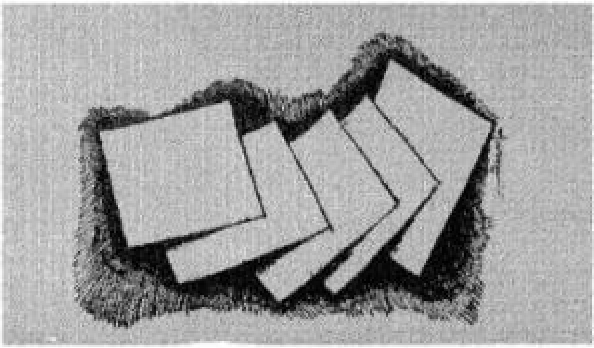
وأحسب أن هذا التصور لله وللعالم الروحي كان عاملا من عوامل تعميق العلاقة بين العرب والالمان في الماضي · لقد قال جوته في ديوانه الغربي ــ الشرقي « ان من يعرف نفسه ويعرف الاخرين سيدرك هنا أيضا حتما أن الشرق والغرب لم يعد فصلهما ممكنا » ·· وانطلاقا من هذا تابع جوته انشاده مضمنا فكرة وحدة الايمان والعقل « وهكذا ينبغى أن يكون ما قال به محمد صحيحا ؛ فمن خلال الواحد فتح محمد العالم » ·

***

وهناك أدلة اخرى كثيرة على الاتصال بين العرب والالمان منذ قرون عدة ، هذا الاتصال الذى يمكن اتخاذه كمثل للعلاقات الثقافية · وهذه العلاقات تضرب بجذورها الى عمق لا تبلغه المعاهدات السياسية والاتفاقيات الاقتصادية ·

لكن ، حتى علاقات الصداقة التقليدية يمكن أن تعرف الفتور ومن يدرك ذلك خيرا مما يدركه العرب والالمان ؟ ولا شك أنه من غير المجدى التطلع الى الوراء ما دمنا نريد مستقبلا مزدهرا · وهنا أمر ينبغى ادراكه بوضوح : انه لا أحد يستطيع ــ الا أن يخاطر باضاعة هويته ــ الانفصال عن تاريخه · ان هناك دائما واجبات سياسية وانسانية لن يستطيع أحد أن يلقيها عن كاهله ، فدعونا نضع هذا الادراك الجماعي للتاريخ كما آمل في اعتبارنا · الادراك بأن كلا منا يتحمل مسئوليات خاصة ·

ويحدث أحيانا أن تربط الناس والشعوب الالام المشتركة أعمق مما تربطهم المسرات المشتركة · ولكى نكون صريحين وواضحين



علينا ان ندرك ان العلاقات بين الشعوب هى كالعلاقات بين الافراد قابلة للتأثر • انها تتطلب تعاهدا مستمرا من كل الاطراف ، كما تتطلب تفهما لمشاكل الاخرين ومخـــاوفهم ، على ان تكون الارادة الطيبة متوفرة •

ثم اسمحوا لى بهذه المناسبة ان اقتبس فكرة من الكتاب الصادر بمناسبة الاسبوع العربى - الالمانى « عرب والمان » • فهناك فى فصل عن انور السادات ، يؤكد ان الالمان والعرب جمعهم امر يتصل بعلاقاتهم القديمة التى تتجدد وتتوسع فى اتجاه يمكن ان يكون مفيدا لكل الامم الاخرى • هذا الامر مؤداه أنهم يعرفون بعض الشىء عن التغيير الذى لا يتوقف فى عالم اليوم ، وعن حتمية التعاون بين الشعوب كافة •

من التاريخ يجب أن نتعلم ما يفيد الحاضر ويعين على تشكيل المستقبل • فنحن جميعا - والشعب الالمانى على وجه الخصوص - مدعوون للمساهمة فى صنع السلام ، فلا يصح بعد الان ان نقف مكتوفى الايدى ازاء المشاكل التى تتطور الى حروب أيا كان مكانها •• ولا يعنى هذا الا نشعر مع اولئك الذين وقعوا ضحايا لمثل هذه المآسى • ان علينا ان نســـــاهم بقدر ما فى ازالة التوتر بين الشعوب حتى يسود السلام فى الشرق الاوسط أيضا •

واود هنا أن استشهد مرة أخرى بعبارة قالها أحد الحكماء الافريقيين العشرة الذين طافوا فى الشرق الاوسط من أجل السلام ، واعنى الشاعر ورئيس الجمهورية السنغالى ليوبولد سنقور الذى قال « ان حضارة العالم وقبل كل شىء السلام ، لا بد أن يكون عمل الجميع ، والا فلن يكون أبداً » •

بهذه الوسيلة فقط ، تستطيع أن نخطو الى تعاون الغد الذى سيكون الضمانة الوحيدة للسلام ، لقد سماها الزعيم الافريقى « الثقافة الكونية » التى على كل فرد أن يعمل لها ، ذلك ان العلاقات الانسانية لا يمكن ان تنشأ وتتعمق الا على أساس من تبادل قلبى وفكرى فى حركة اخذ وعطاء •

● د. مورش ●
وزير الدولة
مقاطعة بادن فيرتمبرج

فضل الإسلام على المسيحية
التسامح

عندما نفتتح « الاسبوع العربي – الالماني في توبنجن » فانما نفعل ذلك انطلاقا من الرغبة في متابعة تقاليد التعارف المتبادل . ويهمني ان اضيف بان الضرورة تتطلب منا نحن الاوروبيين الغربيين وخاصة الالمان ، ان نعلم المزيد عن العالم العربي وحضارته وتاريخه .. ولو سعى المرء الى التعمق في دراسة حضارة ومدنية ما يسمى بالغرب فسرعان ما يتبين له مدى تأثر هذا الغرب ، بالاضافة الى تقاليده الرومانية والاغريقية بما يسمى بالشرق .. ولايمكن اليوم ان نفصل واحدا منهما عن الآخر ..

لقد شكل تاريخ العلاقات الثقافية دائما وبصورة عامة اثرنا من التاريخ السياسي . ولذلك فليس بمقدورنا ولا من حقنا بالتأكيد ، اذ نلتقي ببعض في مثل هذا الاسبوع الثقافي – ان نستغني عن طرح تصبير لمشاكل الساعة السياسية .

ولكن علينا في البداية ان نوضح بصورة عامة ان مثل هذه الالتقاءات بين العرب بيننا لم تخل بوجه مطلق من سوء الفهم . كما انها لم تكن في يوم ما تفتقر الى المشاكل . وليس هذا بالامر العجيب نظرا للتشابه الكبير القائم بصورة عامة

بين هاتين الحضارتين ونظرا للتقارب الجغرافي بينهما ٠

بالنسبة الى عوامل التشـــابه فنعرض التالى : كلتـــا الحضارتين متطبعتان بصورة كبيرة بدينين ينطلقان من فكـرة التوحيد ٠٠٠ كما ان اصـــول هذين الدينين – ولا اعنى بذلك الاصول الجغرافية وحدها – متشابهة ٠ ان الايمان الاكيـــد لا يدفع المرء الى البعد عن التسامح ، وليس هناك محل لانكار عجز المسيحية عن التفوق على الاسلام فى ميدان التسامح ، هذا على الرغم من انتشار معتقدات معاكسة لذلك لمدة طويلة ٠ ولقد نشأت من هنا احكام مسبقة عدة ، ساد بعضها نية عـــدائية وكان دافعها الاحساس بالتفوق والخشـــية فى ان واحد ، وما زالت تأثيرات تلك الاحكام قائمة بحيث تجعل نظرتنا الى العالم العربى ما زالت قاصرة وغير مستقيمة ٠

ومن المعالم السلبية لتلك الالتقاءات نشير الى النزاعات الحربية التى رافقتها ولا سيما فى اواخر العصور الوسطى ٠٠ ولقد كان من الصعب فى تلك الازمنة التى سادتها الحـــروب بالذات ان ينظر المرء الى خصمه من وجهة الانسان للانسان وان يقدر قيمه ٠ ومع ذلك فقد نقل لنا تاريخ هاتين الدائرتين اروع الشهود ٠ ويعطينا الادب ، بما فى ذلك ادبنا نحن – امثلة عديدة على تلك الروح النبيلة التى كانت قائمة لدى نخبـــة الجانبين ٠ ويكفى ان نشير هنا الى « بارســـيفال » الاصلى لفولفرام ٠

وانه لما يدعو الى اعجابنا الفائق حتى اليوم تلك الروح النشطة التى زرعها محمد فى نفوس قومه بعد ان كانوا قد عاشوا بعيداً عن التاريخ ٠ ولكن الذى يثير فينا دهشة اعظم هى تلك السرعة التى تحقق فيها تطور الفكر والفن فى أعقاب التألق العربى ٠ وبفضل ذلك حوفظ للغرب على تراثه الثقافى الاغريقى الذى جمعه العرب واعتنوا به وطوروه على احســـن وجه ، الى ان اصبح الغرب فى وضع يسمح له بادراك هـــذا الكنز من جديد وقد كبر واتسع ٠ على ان الاوربيين لم يستوعبوا هذه الحقيقة بصورة كافية ٠ وقد ان الاوان اليوم لنا لنقر بأن تصلب العقيدة المسيحية قد استهدف فى يوم من الايام تحطيم معالم الحضارة التى لقبت بـ « بالوثنية » (ويكفى ان نشير هنا الى مكتبة الاسكندرية التى تم تخريبها بصورة سريعة) بينما كانت اليد العربية تعتنى بها وتطورها ٠

وان الحضارة الاوربية مدينة للحضارة العربية بانها – اى الحضـــارة الاوروبية – اصبحت فى عصر النهضة مشبعـــة



بالاستعداد لاكتساب المعرفة بعيدا عن الاحكام المسبقة . ونحن كلنا نعرف ذلك الاصلاح الناتج عن اكتساب الارقام العربية الهندية في الرياضيات . كما كان الطب الاوربي بحاجة الى زمن طويل لاستيعاب المعرفة اللانهائية للأطباء العرب . وكان علم الفلك معتمداً على الحسابات التى اتخذها علماءعرب بناء على دقة بالغة كانت مجهولة في الغرب . كما اننا مدينون في مجال ادراك العلوم ونظام الشمس بصورة كبيرة للعلماء العرب الذين تابعوا تطوير ادراكات الاغريق بعيدا عن الاحكام المسبقة بالقياس لحواجز الجمود التى كانت سائدة عند الاوربيين (وقد ساعد المبدأ الاسلامى المبنى على عدم وجود تعارض بين الدين والعلم على تحرير العلوم في أوربا من التصلب الذى تبنته الكنيسة) . كما كان للعرب متقدمين على وجه كبير في علمى الطبيعة التطبيقية والكيمياء ونقلوا لنا بعض طرق التصنيع (على سبيل المثال صناعة الورق) التى نهضت بالمدنية الاوربية بصورة بارزة .

كان التبادل في ميادين الفلسفة والموسيقى وفن الشعر على درجة من التركيز لم يشهدها التاريخ من قبل الا نادرا . وقد اعتمدت الفلسفة الاوروبية على تحليل العرب لاعمال الاغريق، وذلك عندما عادت بصورة جدية الى العناية بالفلسفة القديمة واضفت الموسيقى الاصلية للشعوب العربية طابعها على الموسيقى الاوربية . اما فن الشعر ، ولا سيما الالمانى منه فقد انتفع دائما من الكنز اللغوى العربى الذى اكتسبه . وها نحن نحتفل اليوم بمرور ٢٢٥ عاما على مولد جوته الذى يعتبر مؤلفه « الديوان الشرقى الغربي » مثالا حيا على تلك التاثيرات .

لقد قال جوته :

يا لروعة الشـــــــرق
المطل على البحر المتوسـط

لا يدرك ما تقلى به كـــالشرون
الا من عشق حلقا وعرفه

لقد كان من الطبيعى ان الحضارة العربية بلغت ذروتها فى الموضع الذى بلغ فيه قربها من الغرب حده الاقصى ... كان ذلك فى اسـبانيا والاندلس على حد قول العرب . وقد تحقق هناك تعايش امتد لمئات السنين وما زلنا الى اليوم نتحسس اثاره . على ان ذلك كان فى نفس الوقت النقطة التى انبثق عنها سوء الفهم .

لقد شعر المسيحيون بأن نزعة التوسع الاسـلامى تهدد حياتهم . ومن هنا أصبح الكفاح ضد الاسلام بمثابة رسـالة مقدسـة . ولعل حافز ذلك بالذات كان التقـارب من فكرى وجغرافى . لقد فزع الحكام الغربيون من قوة ذلك الدين كما فزع رجال الدين من قوته الجاذبة ، لا سيما وانه اسـتولى بحكم المدنية المتطورة والعلم الحر على الباب نخبة الناس . ولا يمكن الا عن طريق ذلك ادراك الوصف السـاخر الذى كان شائعا فى غرب اوربا ووسـطها ومـرده أن الامبراطورية العثمانية قد شكلت النقيض الفكرى للغرب المسيحى (علما بأنه لم تتم يومها التفرقة بين الاتراك والعرب) . ولولا انطلاق المعايير يومها من تشكيل أوربا لقلب العالم لما امكننا ان نفهم تصوير الاسلام كمبدأ مناقض للمسـيحية . وكان العكس اى بالنسبة لنظرة الاسلام نفسه شبيها وان لم يكن ذلك التشـابه مطلقا ، لأنه كتب على العالم الاسلامى بصورة اكبر بكثير من أوربا ان يصـمد فى وجه جيرانه الشرقيين الاقوياء . ولعل ذلك هو الذى جعله يرى نفسه بمثابة حلقة وصل بين الطرفين .

يبدو لى اننا بتنا اليوم احـرارا اكثر من قبل فيما يتعلق بترابطنا المتبادل . فمنذ عصر الحروب الصليبية اصبح العالم بالنسبة لنا أكبر من الماضى ، وقد نمى ذلك احسـاسا لنا بغرابة حضارتنا . ان بوسعنا اليوم ان نقوم بالمقارنات كمـا اننا نواجه بحضـارات بعيدة للغاية عنا وتختلف عنا بوجه اكبر ، الأمر الذى ييسر علينا ادراك روابط الجوار التى كانت محجوبة عنا من قبل .

وبالطبع فان هناك فى الوقت الحاضر ايضا مواضع سوء فهم ينبغى أن نوليها اليوم عناية خاصـة . لقد كان مؤكدا ان جمهورية المانيا الاتحادية قد وجدت نفسها قبل سنوات قليلة مجبرة على انتهاج سـياسة فى الشرق الاوسط مبنية على الخيار بين جبهتين . اما اليوم وعلى الرغم من وجود بعض

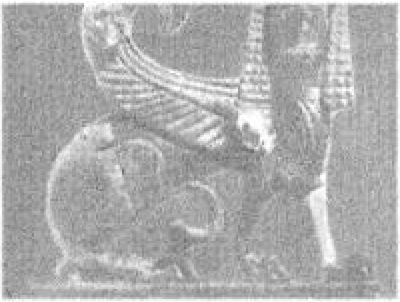
التقييمات المختلفة في التفاصيل التي لا ينبغي انكارها ، فان هناك حدا أقصى من الاتفاق القائل بأن مصلحة التطور السلمى تقتضى تبادل علاقات طيبة مع جميع دول المنطقة • ونحن نحس بالسعادة لأن موقف جمهورية المانيا الاتحادية قد وجد بصورة متزايدة تفهما من قبل جميع الجوانب ، الامر الذى جعل بالامكان استئناف العلاقات التى قطعت من قبل •

ليس هذا بالمجال للتعقيب على تلك المسائل السياسية تفصيلا • لكنى اود ان اؤكد من جديد بأن حكومة جمهورية المانيا الاتحادية كانت ولا تزال تقيم القرارات التى تتخذها وفقا لمدى خدمة مثل هذه القرارات للتطور السلمى • وليس هناك داع لتكرار مبادىء هذه السياسة بالتفاصيل ، اذ تم عرضها بصورة متكررة فى العديد من اللقاءات الثنائية وضمن الحوار المتعدد الاطراف أيضا • وقد طرح ذلك بصورة خاصة السيد المستشار برانت والسيد وزير الخارجية شيل فى عامى ١٩٧٣ و١٩٧٤ اثناء الزيارات التى قاما بها لعدد من عواصم العالم العربى •

ولست أريد ان ادعى الحق لنفسى بالحكم عما اذا كان من حقنا فى الماضى ان نسمح بظهور مثل سوء التفاهم هذا أم لا ... اما اليوم فقد حققنا معا الاقتناع بأنه لا ينبغى علينا ان نسمح بظهور ذلك • كما انه لا يحق لنا ابدا انكار الترابط بل والاعتماد المتبادل القائمين بيننا •

ولذلك فقد كان وما زال طبيعيا ان نبحث عن اشكال جديدة للتعاون المبنى على المساواة وان نبدأ ذلك فى المجالين الاقتصادى والتكنولوجى • ولكن كل ذلك سوف يكون سطحيا وربما قصير العمر اذا لم يستند على فهم راسخ للاسس الحضارية والاجتماعية لكل من الطرفين •

ودعونى أؤكد من جديد اننا اليوم لسنا فقط قادرين على فهم بعضنا البعض بصورة افضل ، بل ان تحقيق ذلك بات مسألة مصيرية • ونحن الالمان نملك تقليدا قديما ومجهودات خاصة تستهدف فهم الشعوب العربية وثقافتها ، كما اننا نرغب فى متابعة هذا التقليد • وان اشتراك هذه الشخصيات البارزة فى هذا الحفل ليثبت بأن الاستعداد نفسه متوفر لديكم • ولذلك فانى اشكركم على حضوركم وآمل ان تلقوا فى بلادى بعضا من الصداقة والمودة التى نعمت بها بصورة رائعة اثناء الزيارات التى قمت بها الى الدول العربية •



"أبو الهول" الألماني

تمثال الري بديع ، مصنوع من العاج ، يبلغ ارتفاعه ٩ر١ قدم ...

هذا هو « ابو الهول » الالماني ، ذو الوجه العنبري ، الذى يرجع تاريخه الى عصر الهولشتاين ، والذى يلفت النظر شبهه القريب بتمثال « ابى الهول » المصرى ، ويوحى بتقارب الحضارتين القديمتين المصرية والالمانية .

وقد عثر على هذا التمثال في منطقة جرافنبول بالقرب من اسبرج ، كما عثر على عدد من التماثيل الاخرى المنحوتة لابى الهول الالماني ، ومعها لوحات على شكل أوراق العنبر ، كانت تثبت على آنية خشبية ثمينة للحلى بواسطة مسامير ذهبية وزخرفية ...

وكثير من التماثيل التى اكتشفت مع « ابى الهول » الالماني ، تعتبر نماذج متقنة من الفن الاغريقى فى نهاية القرن السابع قبل الميلاد .. وقد ظلت الأوانى الثمينة المعدة لحفظ الحلى ، من كنوز الاسرة الملكية الكلتية الاولى فى مقاطعة هوهانسبرج الى أن دفنت مع عميد هذه الاسرة عام ٥٠٠ قبل الميلاد .

وعندما أغار الغزاة على المقاطعة ، ونهبوا كنوزها لم يبق من هذه الكنوز سوى هذا التمثال البديع لابى الهول ، وكذلك تمثال « المحارب من هيرشلاندن » ، وهو أيضا يدل على المستوى الفنى الرفيع الذى عاشته النبلاء الكلتيون على ضفاف نهر الراين والدانوب ، وتقدم الفن الذى نما وازدهر باتصال هذه المنطقة من المانيا بجنوب أوربا ...

انظر صورة الغلاف الاخير

د. صلاح الدين المنجد
● لبنان ●

في هذه المناسبة الثمينة التي يجتمع فيها نخبة من علماء العرب مع نخبة من علماء الاستشراق الالمان ، ارى من المفيد ان اتكلم عن مزايا الاستشراق الالماني وماقدمه للعرب في الماضي ، والطرق التي ينبغي اتباعها اذا اراد ان يكون له مستقبل زاهر .

الاستشراق الألماني في ماضيه ومستقبله

اتيح لي أن أكون صديقا لعدد كبير من المستشرقين الالمان منذ ثلاثين سنة . وعرفت معظمهم شخصيا : شيوخهم وشبابهم . وكانت لي معهم مراسلات مهمة جدا . وزرت بعض جامعات المانية القيت فيها محاضرات مختلفة ، واطلعت على كثير من دراسات المستشرقين الالمان ، ونقلت بعضها الى العربية في كتابي « المنتقى من دراسات المستشرقين » .

يذكر الاستاذ البرت ديتريش ان اول محاولة في المانيا لتدريس اللغة العربية كانت من قبل كريستمان المتوفى سنة ١٦١٣ م . فقد الف كتيبا لتعليم كتابة الحروف العربية ، بل انه اعد بنفسه للمطبعة الحروف العربية في قوالب الخشب .

لكن الرائد الاول الذي وقف حياته كلها على دراسة اللغة والحضارة الاسلامية هو رايسكه المتوفى سنة ١٧٧٤ . وتتابع بعد ذلك المستشرقون حتى كان القرن التاسع عشر عصر ازدهار وانتاج خصب للاستشراق الالماني . وما زال كذلك حتى الحرب العالمية الثانية ، فاصيب بالضعف والبطء في الانتاج .

اختص الاستشراق الالماني ، في رايي ، بمزايا واضحة هي :

١ ـ لم يخضع لغايات سياسية أو استعمارية او دينية ، كالاستشراق في بلدان اوربية اخرى .. فالمانيا لم يتح لها ان تستعمر البلاد العربية أو الاسلامية ، ولم تهتم بنشر الدين المسيحي في الشرق ، لذلك لم تؤثر هذه الاهداف في دراسات المستشرقين الالمان وظلت محافظة على التجرد ، غالبا ، والروح العلمية .



زيجريد هونكه : مفكرة
والمفكرة الالمانية ..

٢ ـ لم تكن دراسات المستشرقين الالمان عن العرب والحضـــارة الاسلامية ، متصفة ـ على الاغلب ـ بروح عدائية ـ نعم لقد وجد بعض المستشرقين الذين اتوا بآراء لا توافق العـــرب والمسلمين ، أو بآراء خاطئة تماما ، كبعض اراء نولدكه عن الشعر الجاهلي والقران ـ لكن مثل هذه الاراء معدودة ، ومعظم دراسات الالمان تتصف بالتجـــرد والموضوعية • فالاستشراق الالماني لم يخرج مستشرقا تعمد العـــداء والتشويه في دراساته • بل بالعكس رافقت دراساتهم روح اعجـــاب وتقدير وحب وانصاف •

نجد هذه الروح عند رايسكه ، الذي سمى نفسه « شهيد الادب العربي » ونجدها عند جورج جاكوب في كتابه « اثر الشرق في العصر الوسيط » ونجدها عند زيجريد هونكه في كتابها « شمس الله تسطع على الغرب » ونجدها بين المعاصرين عند شبولر وغيره • بل ان بعضهم اسلم حبا بالعربية والاسلام مثل ريكر ، وسمى نفسه عثمان • وبعضهم اتخذ لنفسه اسما عربيا مثل اوجست ملر ـ الذي نشر طبقات الاطباء لابن أبي اصيبعة ـ فقد سمى نفسه « امرؤ القيس بن الطحان » وكان هذا ترجمة لاسمه الالماني •

وقد نال بعضهم المتاعب والاذى في سبيل العربية • ان رايسكه مات مسلولا بعد انصرافه الطويل الى اللغة العربية ، وان وستنفلد كف بصره من كثرة البحث والعمل على نشر النصوص العربية طول ستين سنة • وبعضهم كان ينشر النصوص العربية التي يحققها على نفقتـــه رغم فقره • فقد طبع رايسكه الجزء الاول من تاريخ ابي الفداء ســـنة

١٧٥٤ على نفقته ،ولم يبع منه غير ثلاثين نسخة ، وطبع كذلك لامية الطغرائى ، بالعربية مع ترجمتها الى اللاتينية فباع منها مائة نسخة ٠

٢ ـ هاتان الصفتان السابقتان اتاحتا للاستشراق الالمانى أن يقدم للعرب والمسلمين خدمات واسعة ، وخاصة فى الميادين الاتية :

١ ـ نشر النصوص القديمة :

لقد ظهرت النصوص العربية القديمة محققة بعناية الالمان منذ القرن الثامن عشر ٠ وكان رايسكه أول من نشر معلقة طرفة بشرح ابن النحاس مع ترجمتها الى اللاتينية عام ١٧٤٢ ٠ ثم ازدهر نشر النصوص فى القرن التاسع عشر ٠ فنشر الالمان مئات ومئات من نصوصنا القديمة الاساسية٠ ويكاد معظم الشعر العربى القديم، الجاهلى والاسلامى ، قد نشره الالمان الى جانب أمهات كتب اللغة والتاريخ والجغرافية والحساب والجبر والفلك والفرق والطب والفلسفة ٠

ان مجموع ما نشره الالمان من النصوص القديمة يفوق ما نشره المستشرقون الفرنسيون والانجليز معا ٠ ومن المؤسف ان احـــدا من المستشرقين الالمان لم يضـــع مسردا لجميع النصوص التى نشرها المستشرقون الالمان ٠ فهذا مهم ومفيد ٠ وقـــد ضرب بعض المستشرقين الالمان مثالا نادرا فى نشر النصوص مثل وستنفلد الذى نشر وحده ما يعجز مجمع علمى عن نشره ٠

فقد نشر معجم البلدان لياقوت ، ووفيات الاعيان لابن خلكان ، وطبقات الحفاظ للذهبى ، وتهذيب الاسماء للنووى والاشـــتقاق لابن دريد ، وتواريخ مكة للازرقى،والفاكهى ، والفاسى ، وابن ظهيرة ،وسيرة ابن هشام ومعجم ما استعجم للبكرى ٠ وغيرها ٠

وكل ما نشر كان من الكتب الضخمة الصعبة والاساسية ٠ وقد زادت مؤلفات وستنفلد على المائتين ٠

ونشر فلوجل فهرس ابن النديم ، عمل فيه خمسة وعشرين عاما وقضى فى نشر كشف الظنون ثلاثة عشر عاما ٠

ونشر سخاو الكثير من مؤلفات البيرونى الرائعة ٠

ونشر برجستراسروبرتسل مجموعة نادرة من النصوص القرآنية ، ورعيا معهد بحوث القرآن فى جامعة ميونيخ لكن هدم هذا المعهد واتلف كل ما كان فيه ، أثناء الحرب العالمية الثانية ٠ وقد نشرا نصـــوصا قرآنية مهمة جدا ٠ منها التيسير فى القراءات السبع ، والمقنع فى رسم مصاحف أهل الامصار ، ومختصر الشواذ لابن خالويه ، والمحتسب لابن جنى ، وطبقات القراء لابن الجزرى ، ومعانى القرآن للفراء ، والايضاح للانبارى ٠

ومما يذكر عن برجستراسر المتوفى سنة ١٩٣٣ انه جاء الى القاهرة واستمع الى مقرىء للقرآن ودون انغامه بالنوته ٠

ولا بد أن نذكر هنا المكتبة الاسلامية التي اسسها العلامة الكبير الاستاذ ريتر عام ١٩٣٢ ، والتى اظهر فيها من النصوص القديمة عددا كبيرا ٠ وقد تخلف ريتر على هذه النشريات الاستاذ ديتريش ٠

ونذكر أيضا أن المعهد الالماني للدراسات الشرقية في بيروت اهتم بنشر النصوص العربية القديمة ، وبلغ مانشر حتى هذا العام خمسة عشر كتابا ٠

ولا بد أن نذكر أيضا ان كثيراً مما نشره الالمان لم يعد نشره حتى الان في الشرق ٠ فهذا معجم البلدان سرقوا طبعة وستنقلد في ايران بالتصوير ، وبصف الحروف في بيروت ، وكذلك الكامل في التاريخ لابن الاثير سرقوه عن الطبعة الالمانية تصويراً وطبعا ، وكذلك فعلوا في طبقات ابن سعد ٠ وهذه الاشارة دليل على فضل الالمان الكبير ، فما زلنا عالة عليهم ٠

ب ـ والامر الثاني الذى خدم فيه الالمان العرب هو فهرسة المخطوطات العربية الموجودة في مكتبات مختلفة من العالم ٠ ولعل أعظم ما قاموا به في الفهرسة : فهرس مخطوطات برلين الذى وضعه الورد في عشرة مجلدات كبار ، فيها ما يقرب من عشرة الاف مخطوط وكان عملا جبارا ٠ وهناك عشرات من الفهارس المفردة وضعها اخرون مثل فلوجل ، وفلايشر ، وبروكلمن ، وسيبولد ، وهرمن ، وغيرهم ٠

ج ـ والامر الثالث هو الدلالة على اماكن المخطوطات العربية في العالم لرجوع الباحثين اليها ٠ واعظم ما قاموا به في هذا الباب كتاب العلامة بروكلمن في تاريخ الاداب العربية ٠ فهو بنيان ضخم جبار ، وهو فخر للاستشراق الالماني ٠ وسيبقى ، رغم نقصه ، مرجعا لكل باحث في العالم لعشرات من السنين ٠

وقد عكف العلامة ريتر طوال ربع قرن على دراسة مخطوطات اسطنبول ، وعرف بها في المجلات الاستشراقية ٠ وكان مرجعا في المخطوطات العربية نادر المثال ٠ وقد امد الطبعة الاخيرة من كتاب بروكلمن بكثير من التصحيحات والاضافات ٠

د ـ والامر الرابع هو المحاولات لوضع معجم تاريخي للغة العربية ٠ كان فرايتاغ (مات سنة ١٨٦١) قد وضع معجما عربيا ـ لاتينيا ، وجاء ترلنكه فوضع معجما للغة العربية الفصحى ، نشره ورتبه كريمر

(برلين ١٩٥٢ ـ ٥٤) ، ووضع الاستاذ هانس فير معجمه العربي ـ الالماني الذى قصره على اللغة العربية المستعملة فى عصرنا · لكن المحاولة العظيمة هى محاولة الاستاذ فيشر المتوفى سنة ١٩٤٩ ، الذى وضع جذاذات بلغت الالوف لمعجم اللغة العربية مرتبة على المصادر التاريخية ، فهو معجم يدل على تطور معانى الالفاظ العربية تاريخيا ، وقد قضى فى جمعه أكثر من اربعين عاما · ولم تعمل مثل عمله المجامع العلمية العربية كلها ·

٤ ـ وننتهى الى الميزة الرابعة من مزايا الاستشراق الالمانى ، وهى المنهج العلمى الدقيق · الذى يعتبر عند بعض المستشرقين مثالا نادرا يحتذى ·

لست أنكر أن فى نتاج بعض المستشرقين نقصا أو أغلاطا · ولكن أى عالم هو الكامل · لقد عملوا بقدر ما أسعفتهم به المعرفة والمصادر ، والمخطوطات والوقت · ولقد استدرك بعضهم على بعض ، وصحح بعضهم أخطاء بعض · وكانوا علماء حقا يقبلان كل تصحيح ونقد ·

تلك هى نظرة على ماضى الاستشراق الالمانى ·

فلنقر الآن حاضره ، وما يمكن أن يكون عليه فى المستقبل ·

ان المتتبع لحركة الاستشراق الالمانى يلاحظ أنه أصيب منذ الخمسينات بالضعف ، شأنه فى ذلك شأن الاستشراق فى البلاد الاوربية ، ولكن الاسباب مختلفة ، ويعود السبب فى رأيى الى :

١ ـ ليس فى المانيا ـ على ما يبدو ما يشجع الطلاب على التخصص بالعربية · لان كراسى اللغة العربية فى الجامعات محدودة · وقد لا يجد المتخصصون منهم أماكن للتدريس ، ولا يؤخذ الا المتفوقون منهم ، فقلت الحماسة والحرارة للتخصص بالعربية · أصبح الهدف من التعلم المال ، لا العلم نفسه ·

٢ ـ قل الانتاج الاستشراقى قلة ملحوظة ، فبعض المستشرقين الذين تجاوزوا الخمسين والستين ، لا ينتجون الا القليل ، وبعضهم اكتفى بكتاب عربى نشره ، أو بعض مقالات أظهرها · والشباب الجدد ، لم تهيأ لهم الفرصة المشجعة للعمل واتقان العربية جيدا ، ومعرفة المصادر ، ليستطيعوا الانتاج المتواصل الجيد · حتى ان بعض المشروعات فى نشر المخطوطات التى بدىء بها منذ زمن طويل لم تنجز يكفى أن نتذكر أن الوافيات الذى بدىء فى تحقيقه فى الثلاثينات لم يطبع منه سوى تسعة أجزاء · ولو كان رستنفلد حيا لانجزه كله وحده ·

٣ ـ وكذلك قلت الاستفادة من دراسات المستشرقين الالمانية فى

البلاد العربية لان مثقفي العالم العربي يجهلون على الاغلب اللغة الالمانية فلا يقرأون نتاج الاستشراق الالماني الجيد الذي صدر هذا القرن والقرن الماضي . وما يعرفونه هو ما اتيح ترجمته الى العربية بواسطة الذين درسوا في المانيا وهذا قليل ولا يعطي فكرة عن متانة الدراسات الاستشراقية الالمانية .

فاذا لم يجد الاستشراق الالماني حلا لهذه المشكلات الثلاث ، فانه سينتهي الى عهد انحطاط .

واعتقد ان العالم العربي يمكن ان يسهم في حل هذه المشكلات .

١ ـ فالاقبال على تعلم العربية في المانيا يجب ألا يستهدف التدريس في الجامعات فقط . لان صلات الجمهورية الاتحادية الالمانية بالعالم العربي تتطلب الاهتمام اكثر بتعلم العربية، وخاصة للدبلوماسيين الذين يرحلون الى البلاد العربية والاسلامية .

لقد لاحظت دائما أن الدبلوماسي الالماني عندما يتكلم مع أهل البلاد العربية بلغتهم يكتسب عطفا ومعونة اكثر ويستطيع ان يفهم امور الشرق رأسا بلا واسطة ، وأن يكتسب عددا اكبر من الاصدقاء . فاذا تقرر هذا المبدأ فسيكون هناك مجال لتوسيع الدراسات العربية في الجامعات ، وبالتالي ايجاد اماكن للمستشرقين الشباب . كما ان جامعات البلاد العربية يمكنها الاستعانة بهؤلاء المستشرقين . ولقد درس في جامعة القاهرة بعض المستشرقين الالمان وتركوا آثارا طيبة .

٢ ـ ان قلة الانتاج الاستشراقي يمكن التغلب عليها بالمشاركة في العمل مع العلماء العرب . هذه المشاركة كانت معدومة عند المستشرقين الالمان في القرن التاسع عشر ، ولكنها اصبحت ممكنة اليوم . وفي مثل هذه المشاركة نوع من التكامل ، وتؤدي الى النشاط في الانتاج . لان العالم الالماني الشاب ، والعالم العربي يكمل كل منهما نقص الآخر . ولا شك ان العمل الفردي بالنسبة للمستشرق الناشيء ، وحتى الكهل احيانا ، لا يخلو من مخاطر . فاذا زاد تعاون العلماء الالمان مع العلماء العرب ، كان ذلك بداية عهد علمي استشراقي جديد ومثمر .

٣ ـ ان الاستشراق الالماني مقصر في التعريف بنفسه . ولا بد من نقل احسن الدراسات الاستشراقية الالمانية الى العربية بانتظار الوقت الذي يعرف فيه جميع المثقفين العرب الالمانية ويقول بعض المستشرقين الالمان : اذ هذه الترجمة يجب ان يقوم بها العرب . هذا صحيح ، ولكن هناك صعوبة تعترض عملهم . فليس هناك دليل لاحسن ما كتبه المستشرقون وما هو جدير بالترجمة ، او تعريف بالمستشرقين الالمان وجهودهم . وان كانت مجلة « فكر وفن » تقوم بمثل هذا العمل على نطاق ضيق من حين الى حين . فلا بد اذن ـ هنا ايضا ـ من التعاون بين المستشرقين الالمان والعلماء العرب . سواء في الاختيار ، او الترجمة او المراجعة بعد الترجمة .

جيزلهر
فيرزينج

عودة العرب: اشتراكية بلا ماركسية

دخل العالم العربي الذي يمتد من شواطيء المحيط الاطلسي الى شطآن نهر دجلة ، في الفترة الماضية التي تبدل عليها جيلان من البشر مرحلة جديدة تتمايز عن المراحل التي سبقتها حتى فجر الاسلام اشد التمايز واعمقه .. ونحن اذا رجعنا الى كتب الرحالة الذين جابوا الشرق في القرن التاسع عشر وجدناها تصور فاس وتونس والقاهرة ودمشق وبغداد ، في صورة بلدان يأتلف منها عالم يختلف عن العالم الغربي حتى فيما يلبسه الناس من ثياب ، وفيما يتصل بحياتهم من امور ظاهرية ، عالم غفت فيه حضارة كانت من قبل مزدهرة .

اما اليوم فقد انتفضت البلاد العربية انتفاضة مفاجئة وانفتحت في امور كثيرة من امور الحياة الظاهرية على الحضارة الاوربية الامريكية . ونحن نقرأ ان مدينة الكويت الواقعة في ركن بعيد من اركان الخليج العربي قد تطورت واصبحت واحدة من عواصم العالم الحديثة . ولا ينبغي ان نخدع انفسنا ونظن ان هذا الثوب الظاهري هو كل شيء .

ولا يمكن ان نشرح العبارة الباهتة التي تقول : ان التقاليد والتقدم تجتمع معا في البلاد العربية ، الانتفاضة التي دخل بها العرب ، على مدى فترة من الزمان ، تاريخ العالم مرة اخرى ، كعنصر فعال يشكل الاحداث العصرية ويمتاز ، على الرغم من كل الاثار التي انسابت اليه من الغرب ، بأن له حياته القائمة بذاتها ، واساليبه الخاصة في التفكير التي لا يجري عليها التبديل .

ونظام الدولة القائمة على العدالة الاجتماعية الذي تحقق في بلاد البترول الغنية على الخليج على نحو



ابن خلدون : رحلات طويلة

رائع ، نظام يتبع قوانينه الذاتية التى لا تنطبع بشىء من سمات اشتراكية كارل ماركس أو الاشتراكية الفابية البريطانية ، بل تحمل سمات الحياة الاسلامية . فما هو الاساس الذى تقف عليه هذه الانتفاضة النشيطة التى دفعت بالشرق الى مركز دائرة الاحداث ؟ .

لقد توصل المؤرخ والفيلسوف العربى العظيم ابن خلدون فى القرن الرابع عشر الى اكتشاف عظيم الاهمية : توصل الى أن التاريخ لا يسير على وتيرة واحدة ، ووضع – قبل النهضة الاوربية بوقت طويل – نظرية الحراك الاجتماعى ، فحق ان يعتبر رائدا عبقريا لعلم الاجتماع الحديث .

كان ابن خلدون قد قام برحلات طويلة قادته الى قصور امراء غرناطة وتونس والقاهرة ودمشق ، وتبين مما أوتى من قدرة فائقة على الملاحظة ، ان تاريخ الممالك العربية يتدرج على التوالى من النماء الى القصور ثم الاضمحلال ، وهكذا اكتشف الاطوار الديناميكية لمسار التاريخ ، وعرف انه ليس هناك بناء اجتماعى كتب له ولثقافته الدوام الى الابد .

واتسمت كتابات ابن خلدون بسمة من اكتئاب العراف الذى تنبأ بفترة من الجمود الطويل تحل بالحضارة العربية التى رآها فى غرناطة خاصة وقد بلغت أرفع درجة من الترع والرقة . والقى ابن خلدون سؤاله الذى يدهشنا بعصريته : ما هو الدافع الحيوى للصعود والهبوط الذى يجرى على الاحداث الاجتماعية ؟

وكانت اجابته تتلخص فى ان العرب كانوا فى صعود طالما تمسكوا بروح الائتلاف الشديد الذى ضم شتات القبائل المختلفة . واستخدم ابن خلدون كلمة « العصبية » التى يترجمها المستشرقون لدينا بما يعنى الوعى الجماعى ، معبرا بها عن الدافع الذى يضم التجمعات البشرية من الاسر القبلية الى الممالك الكبيرة . فاذا ما تبدد هذا الدافع اختنق كل نشاط جماعى فعالى . هذه النظرية العربية التى وضعها ابن خلدون – والتى أثرت ، بعد اكتشافها من جديد ، على توينبى فى فهمه للتاريخ – اكتسبت فى عصرنا الحاضر سمة العصرية مرة أخرى .

ويعتبر اصطدام العالم الاسلامى بالحضارة الغربية الحديثة اهم التقاء شهدته الحضارتان منذ أيام الحروب الصليبية . وكانت الحروب الصليبية قد نقلت الى الغرب مباشرة ثروة حضارية عظيمة لان العلوم العربية كانت آنذاك متفوقة على العلوم الاوربية فى مجالات كثيرة تفوقا كبيرا . ثم جاء اللقاء بين الحضارتين فى العصر الحديث ، وكان عملية تبادل ثقافى فى الاتجاه الاخر .

أما الالمان فلم يشاركوا فى هذه الحركة التوسعية الاوربية التى استهدفت الشواطىء الشرقية والجنوبية للبحر المتوسط ، ولهذا أفرد العرب للالمان مكانا خاصا ، ونشأت بين الجانبين « صداقة تقليدية » كان للاستشراق الالمانى فضله فى تعميقها وعلى قدر هذه الصداقة كانت مشاعر الخيبة التى احس بها العرب نتيجة لاحداث ١٩٦٥ المؤسفة .

وكان توسع الغرب الذى شمل العالم العربى كله تقريبا تحديا للثقافة العربية ، مسألة حياة أو موت بالنسبة اليها . لم يكن الاوربيون قد أتوا الى الشرق بعدتهم العسكرية المتفوقة تحركهم افكار صليبية ترمى الى اقتلاع الاسلام من جذوره ، فما كان ذلك الا شيئا بعيد المنال . على أن الخطر الذى انطوى عليه التوسع

عودة العرب

الغربي في الشرق كان على الرغم من ذلك خطرا بالغا بالنسبة للحضارة الإسلامية . فالاسلام دين وأسلوب حياة يشمل الانسان كله بمفاهيمه التقييمية وانماطه السلوكية . فهل كان من الممكن أن تبقى هذه الحال، اذا لم تفكر الشعوب العربية ، دون ما اقتباس للحضارة الغربية ، في الدفاع عن كيانها .

هنا تكمن جذور الانتفاضة الفعالة الجديدة .. فقد سبق حركات التحرر المختلفة التي قامت بها الشعوب العربية من المغرب الى مصر وسوريا والعراق تجديد فكري سعى الى الخروج بالاسلام من جمود المدرسية الحرفية . وتزعم هذا التجديد الفكري مصلحون افذاذ مثل الاستاذ الامام محمد عبده (المتوفى عام ١٩٠٥) ، وكان من افاضل جامعة الازهر العريقة ذات الالف عام ، وتركز اصلاح الامام محمد عبده على الجمع بين تعاليم الاسلام وافكار العلم الحديث . ولا يزال تلاميذه الى اليوم في مصر يسيرون على دربه ويذهبون مذهبه .

وهكذا تحرر جوهر القومية القادمة من الغرب على يد الاسلام التحرر الوحيد الممكن ، فاصبح شيئا خاصا في داخل الاسلام لا هو بالمنقول نقلا حرفيا عن الغرب ، ولا هو بالمأخوذ أخذ الانتساخ عن الثورة الفرنسية .

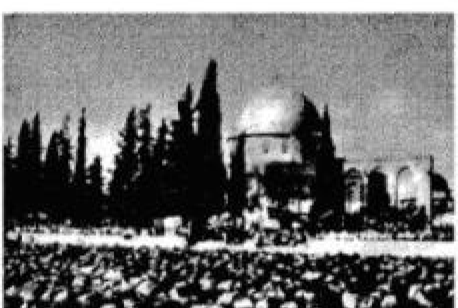
هذه هي الحقيقة الاساسية التي لا تشذ عنها حتى الجماعات اليسارية الصغيرة المتطرفة في العواصم العربية وهي جماعات ما زالت قليلة الشأن .. وعبارة « الاشتراكية العربية » التي نسمعها في سوريا أو مصر أو الجزائر تطلق على نظام اجتماعي يختلف عن النظام الشيوعي اختلافا بينا . وقد تتفاوت الفروق وتتبدل التعريفات ، ولكن الصورة الاساسية تظل ثابتة ، وهي أن النهضة العربية لا بد لها من أن تسير طريقها هي .

ولكن ما هو كنه هذه الانتفاضة العربية ؟

يمكننا الاجابة عن هذا السؤال بأن نعود مرة أخرى الى فلسفة التاريخ عند ابن خلدون . لقد صحا من النوم ذلك الدافع الذي سماه ابن خلدون « العصبية » وعاد الى الحياة من جديد مع الحركة التي استهدفت اصلاح الاسلام والخروج من الجمود ومع معارك التحرير التي تمخضت والتي بلغت الذروة في حرب التحرير الجزائرية التي استمرت سبع سنوات . لقد بعثت روح الانتماء الى جماعة واحدة ، وبعث الوعي بالمهمة الواحدة ..

ولقد تمايزت هذه الانتفاضة

مدينة القدس : تضم ثالث الأماكن الإسلامية المقدسة



العربية فى البلاد المختلفة تمايزا شديدا ليس بالجديد على التاريخ العربى الذى عرف فى كل عصوره التمايز على هيئة عشائر كبيرة . والارجح ان هذه الانتفاضة العربية الجديدة لن تؤدى الى انشاء دولة عربية جامعة ، فهناك تقاليد كثيرة تكونت على مر الزمان تقف فى سبيلها . اما التطابق الذاتى الشامل الجديد على ركيزة الاسلام فقد ادى الى تحييد الحضارة الغربية المتغلغلة الى درجة كبيرة ، وحولها الى شىء لا خطر فيه على جوهر الشعوب العربية .

ومن الممكن ان تتسبب الثروة الخيالية الجديدة التى تنعم بها بلاد البترول فى اخطار جديدة . وليس هناك بطبيعة الحال ضرر فى ان يترك ابن البدو الجمل ويركب السيارة ، بل أنه يفيد من ذلك فائدة لا مراء فيها أما اذا حدث ان تفجر تيار من البذخ العارم فسيعرض ثمار الانتفاضة الجديدة للخطر . فهل سيكون من الممكن فى المستقبل ، بعد الملك السلفى المتمسك بالاخلاق فى صرامة والقائم على حكم العربية السعودية فى حزم رد أخطار الفتور الجديدة ؟

هذا سؤال لا تزال الاجابة عنه فى علم الغيب .

وبالتلف من الخطوط العريضة التى رسمناها الاطار الكبير الذى ينبغى علينا ان نرى فيه مشكلة اللاجئين الفلسطينيين ، تلك المشكلة التى تعتبر بالنسبة للغرب مشكلة حماسة ومزعجة احيانا ومثيرة احيانا اخرى انها جزء من هذه الانتفاضة الجديدة . وقد يرى بعض العرب ان المشكلة مزعجة ، وقد يستنكر بعضهم أساليب العنف التى تتبعها هذه الجماعات الفدائية ولكن الابتعاد الكامل عنها امر لايستطيعه من العرب احد حتى فى الاماكن التى تتعرض فيها حياة عرب اخرين للخطر .

ثم هناك مشكلة مدينة القدس المعقدة ، فمدينة القدس مدينة اليهود المقدسة ، وهى مدينة المسيح وهى المدينة التى تضم فى جنباتها ثالث الاماكن الاسلامية المقدسة .

اما الروح العربية المشتركة التى نقصدها فشىء اخر ، ومن وجهة نظر اخرى . لم تكن هذه الروح العربية المشتركة موجودة فى دولة الخديوى وباشاواته فى مصر فى القرن التاسع عشر ، ولم تكن موجودة فى دمشق او مراكش فى الوقت نفسه .

ثم تغيرت هذه الحال تغيرا حاسما وهذا هو الشىء الجديد حقا الذى يجعلنا ننظر الى العالم العربى باعين اخرى ، على الرغم من بعض التجارب القصيرة العمر، عن بلوغ الهدف، التى لا تدوم سرقتها حتى تنفش . ولعل من عاش أيام الاستعمار وعرف خبراته، ثم شهد أغلال الجمود الصفيقة وهى تتحطم وتنشق عن الانتفاضة الجديدة يكون اقدر الناس على تبين مدى الاختلاف .

والرأى عندى ان وجهة النظر الجديدة هذه ذات اهمية جوهرية بالنسبة للعلاقات الالمانية العربية فى المستقبل ، تلك العلاقات التى كثيرا ما صيغت بصبغة مثالية كاذبة تبعها الاحساس المتكرر بالخيبة .

ان الاحترام المتبادل لما لدى الجانبين من اختلاف هو الاساس الذى يمكن ان يقوم عليه شىء مشترك بينهما . هذا مبدأ يخدمه الاسبوع الثقافى العربى الالمانى فى كوبلنجن الذى يجمع لاول مرة ممثلين للقطاعات الثقافية والسياسة من جميع البلاد العربية على ارض المانيا ليتبادلوا الرأى مع مضيفيهم .

جونتر
شوديل



جوتة : شغفه
شعر قدماء العرب

استقبل جوته الطاعن فى السن فى عام ١٨٣١ – أى قبل وفاته بعام واحد – عالم اللاهوت والمستشرق الشاب شتيكيل وقد روى شتيكيل للامير بسمارك

فى عام ١٨٩٢ أن جوته ، اذ بدأ يتحدث عن الملحمة العربية القديمة وترجمتها الى الالمانية ، « قد انتصبت

قامته رغم أنه كان جالسا بحيث أخذت تمتد ، وتتالق ·

ثم بدأ يردد بعظمة ملكية ، وكأنه من آلهة القدم :

ان الشعب الذى دون صلع
لقتيلا دمه ما يطل
خلف العبء على وولى
انا بالعبء له مستقل

وفيما كان يردد هذا المقطع الشعرى بصوت مدو كانت عيناه الكبيرتان قد ازداد اتساعهما ··· وقد خلف ذلك

التبادل الثقافى الألمانى

فى نفسى انطباعا رائعا عظيمــا لن انساه طالما بقيت على قيد الحياة ».

ما الذى جعل هذا الشاعر الالمانى العظيم يميل الى شعر قدماء العرب ولا ينساه طيلة عمره

كان مرد ذلك عظمة التعبير وبساطة الشكل والوصف المثير لواقعة ما من قبل الشعراء العرب القدامى .

ولم يكن جوته وحــده قادرا على تحسس مثل تلك الوقائع بل شاركه فى ذلك الكثيرون من خلفائه مثل شاك وروكيرت وغيرهما .

ولم ينصرف الالمان الى دراســـة جوانب الحضارة العربية والاسلاميـة المتعددة للمرة الاولى فى عهد جوته وفى العصر الرومانتيكى ، بل لقــد عنى العلماء الالمان فى الجامعـــات الغربية منذ العصور الوسطى ونتيجة للحروب الصليبية بالشرق ، وان كان ذلك قد تم يومها تحت رقابة شديدة من قبل الكنيســة . ولم يأذن الوقت بظهور بحوث الاستشراق المرة الا من خلال التغييرات الفكرية التى رافقت القرنين الخامس عشر والسادس عشر اذ بزغت عن النظرة العالمية الجديدة ثمة مبــادىء جديدة حول البحوث النقدية لتاريخ الانسانية العام .

ومن هنا تبوأت دراســـة تاريخ الشرق الاسلامى ولا سيما لغــاته المرتبة اللائقة بها . والجدير بالذكر فى هذا المعرض ان القرآن وهو منبع الدين الاسلامى كان قد طبع للمـــرة الاولى فى المانيا . فقد اصدر قسيس من هامبورج اسمه ابراهام هينكيلمان فى عام ١٦٩٤ هذه الطبعـــة التى اعتمدت اعتمـــادا كلياً على النص العربى الاصلى ولم يرافقهـــا اى تعقيب هدام

وبذلك أصبح القرآن سهل المنال بعد أن كاد يكون غير معــروف فى الغرب ولعل بمقدور المرء أن يدعى بأن

مع العالم العربي

كيف بدأنا من الصفر ؟

التبادل الثقافي الألماني

عمل هينكيلمان قد أيقظ اهتمام الغرب بالاسلام وبأصله العربي ·

وقد كتب يوهانيس فويك في مؤلفه «الدراسات العربية في أوربا» لقد قرأ المرء القرآن بأعين جديدة واكتشف أن محمدا لم تكن له تلك الصفات الشريرة التي سادت العصور الوسطى » · وأردف فويك · بقوله : لقد اعتبره لايبنتس وغيره من رواد عصر الايضاح داعية الدين الطبيعي»

على أن الزمن امتد الى أن سادت هذه الصورة الجديدة حول الاسلام والشرق المتطبع به أجواء الجامعات ·

وكان يوهان ياكوب رايسكه (١٧١٦ـ ١٧٧٤) العلامة المستشرق الاول الذي أدخل الفلسفة العربية أبواب جامعات ألمانيا· وقد رافق ذلك صراع مرير وتضحيات شخصية مرة · ولم يحظ رايسكة بالتقدير الذي حرم منه في حياته الا بعد وفاته ·

وعلى الرغم من الاعمال الخلاقة التي حققها رايسكه للدراسات العربية في ألمانيا ، فانها لم تبلغ ازدهارها الاول الا في بداية القرن التاسع عشر ··· وكان الفرنسي سيلفستر دي ساكي والنمساوي يوزيف فون هامر بورجشتال هما العالمان وعاشقا الدراسات العربية اللذان لقيا في ألمانيا الكثرية تلاميذهما ومؤيديهما ·

وكان من هؤلاء التلاميذ عالم الاستشراق والشاعر فريدريش روكيرت الذي استطاع بحكم ابداعه اللغوي ترجمة مقامات الحريري الصعبة الى لغة ألمانية سهلة الادراك، كما أنه جد في اعداد الترجمة الالمانية الاولى للقرآن التي اصدرها أوجست موللر في عام ١٨٨٨ عن تركته ·

جناح السياحة المصري نال زي الفلاحة فيه اعجاب بنات ألمانيا



بدأ في القرن التاسع عشر العصر الذهبي الفعلي للدراسات العربية · فقد تأسس في كل جامعة المانية قسم للغات الشرق وخاصة للشرق الادنى ووجهت عناية خاصة لدراسة العربية ولو ذكرت الآن اسماء لكنت كمن باع الماء في حارة السقايين او – كما يقول العرب – كمن باع البلح لاهل البصرة !

ساعد التطور الاقتصادى الذى مرت به المانيابعد تأسيس الامبراطورية على أرسال الحملات العلمية ومجموعات البحوث الى دول الشرق بصورة منهجية · وكان بعض الباحثين الالمان قد حققوا من قبل في رحلات عسيرة نتائج هامة · كان منهم كارستن نيبور الذى اصدرت دار ايردمان للنشر كتابه حول رحلاته الى بلاد العرب باعداد من روبرت وايفامارى جروين في عام ١٩٧٣ · ولقب ابن القسيس نيبور فيما بعد بـ « أمير كل رحالة الابحاث » · وقد تلاه سيتسين وفيتسشتاين وايتنج ·

وقد افتتح ايتنج مرحلة جديدة من علم الكتابة السامية القديمة وتاريخ الابجدية السامية · كما استهلت

الفرقة القومية للفنون الشعبية الاردنية ورقصاتها البارعة اعجاب الشاهدين



رحـــلات برايم وسوكين و ١ ٠ فيشر البحـــوث الخاصة بلهجات المشرق العربى وتأسست قبل ١٣٠ عاما أى فى عام ١٨٤٤ الجمعية الالمـــانية الشرقية ، وأصبحت المجلة الصادرة عنها تشكل مركزاً رائدا لدراسات الاستشراق الالمانية الدولية ٠

كتب رالف توبنجن فى الدراسات الاستشراقية اينوليتمان ، انه قد تم الاتفـــاق فى عام ١٨٧٠ بين مصر والدول الاوربية على ان يتـــولى المانى منصب مدير المكتبة الاميرية ٠ وقد قام ف ٠ سبيتا الذى تقلد هذا المنصب بكتابة أول كتاب فى قواعد اللهجة المصرية ٠

اما ليتمان نفسه فقد اصـــبح احـــد اوائل اساتذة جامعة القاهرة التى تأسست فى عام ١٩٠٧ ، حيث درس علم اللغة العربية واللغـــات المقارنة ، كما اصـــبح اول عضو للاكـــاديمية المصرية للعلوم ٠ وكان ابرزتلاميذه ابن فلاح مكفوفا هو طه حسين ، وقد وقف تحت اشرافه على المنهجية العلمية والاوروبية ٠٠ وطه حسين هو مثال رائع لذلك المزيج بين الفكرين الاوربى والعربى وبين العمل العربى ٠

وعلى الرغـــم من هذه التجـــزات والمبادرات فان من العجيب ان يتبين لنا ان التبادل الثقافى لم يمس فى اية حقبة من الحقب قدما يقـــدم مع العلاقات الاقتصـــــادية ، اذ كانت الروابط الاقتصادية قائمة بين الشرق والغرب منذ ازمنة الاغريق والرومان ٠٠ ولم تنقطع تلك الاتصالات بصورة دائمة حتى فى اصعب الازمنة التى صادفتها النزاعات الحربية وهجرات الشـــــعوب وغزوات النورمانديين والمغـــول ٠ فكان التجار الرحـــالة يعبرون دوما طريق الحرير من الصين الى دمشق مخترقين اسيا بكاملها ٠ كما كان الحال عليه بالنسبة لطريق البخور الذى كانت تنقل عبـــره البهارات والروائح العطرية من الهند وجنوب الجزيرة العربية الى دمشق ٠

وكانت دمشق ملتقى لتلك الطرق، فكان بعضها يؤدى الى الغرب ناقلا منتجات الشرق وبعضها الى الشرق حاملا بضـــائع الغرب ٠ ولم يؤد اكتشاف امريكا بالتاكيد الى انهاء هذا التقليد ٠

ما هى الاســـباب التى حدت الى تطوير العلاقات الثقافية بصـــورة ملموسة بجانب الروابط التجارية ؟

كيف كان موقف الاسلام والشعوب العربية من الافكار الجـــديدة التى

التبادل
الثقافى
الألمانى

ظهرت في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر والتي قادت الغرب الى نظام الدولة الحديثة والى حرية الفرد ؟

من العجيب انه لم تظهر ثمة ردود فعل تذكر . كما ان العالم العربي ظل متمسكا في ميداني الثقافة والعلم بالمعايير القديمة . وظهرت اتصالات جديدة بعد الحرب العالمية الاولى حيث اخذ بعض الاغنياء العرب يفدون الى الغرب ليتلقوا العلم فيه وليقفوا على معالم التغيير التي اسبقها الغرب على ثقافتهم وعلمهم هم . وكان هؤلاء الشباب القادمون من مختلف ارجاء العالم العربي مولعين بالدراسة في الجامعات الالمانية , كما كانوا متعطشين الى المعرفة متحمسين للحصول عليها . وقد سجلوا انفسهم في كل الكليات الجامعية وجدوا واجتهدوا بدراستهم الى حد ان زملاءهم الالمان كانوا يشعرون بالخجل حيال ذلك الاجتهاد .

وقد قال احد رواد المستشرقين لدى جامعة برلين في عام ١٩٣٦ « ما الذى يمكننا بعد ان نعلمه لتلاميذنا العرب في منهج الانتاج العلمي ؟ انهم يلمون بذلك احسن منا » .

وكان ذلك سائدا في كل ميادين الحياة الثقافية في الشعر والرسم وعلم اللغات مما جعلهم قادرين على ان يكونوا طرفا مثاليا في مثل ذلك التبادل الثقافي .

لكن هل نحن الالمان قادرون على ذلك وفي وضع يسمح لنا بذلك ؟

وبعد الحرب العالمية الثانية بدانا من نقطة الصفر . ولم يتحقق التقدم الا بخطا بطيئة . وقد شمل ذلك في البداية الاقتصاد والهندسة ثم من بعد الافرع النظرية .

اما دراسات الاستشراق فقد وقفت في نهاية المطاف .

مرت مجلة الجمعية الالمانية الشرقية بفراغ بين ١٩٤٤ و١٩٤٩ ، ولم يتحسن وضع هذا العلم ليصل الى مرتبته العاشرة الا ببطء ، الا انه ما زال يعاني من الثغرات ولا سيما فيما يتعلق بالبحوث والتدريس المتعلقين بحاضر الاسلام والدول والشعوب العربية .

الا ان هناك مناسبات وجهودا تذكر . ومن تلك المعالم البارزة معهد الشرق التابع للجمعية الالمانية الشرقية في بيروت ونشاط معهد الشرق الالماني في هامبورج . ونحن نأمل ان نكون في الطريق نحو توفير مكان لائق لعلم الشرق الحديث ولعالم العرب المعاصر في الجامعات ومراكز البحوث الالمانية .

وبالاضافة الى اعمال جسور الثقافة مع العالم العربي عبر مئات القرون ، فان بامكاننا ان نلمس من الماضي القريب حقيقة مغايرة لذلك ,وهي انه على الرغم من انقطاع

التبادل الثقافي الألماني

العلاقات الدبلوماسية والسياسية مع الدول العربية في بداية الستينات فان الروابط الثقافية والعلميـة لم تعان من الجمود ابدا ، بل تطورت بصورة جديرة بالعناية •

لقد تمكنت المعـاهد الالمانية من متابعة نشـاطها دون اعاقة وعزز العلماء من الجانبين اتصالاتهم ،كما سار برنامج المنح الدراسية والتبادل الثقافي بصورة تدعو الى البهجة • وصحيح انه لا توجد اتفاقيـات

عارضات الأزياء المصرية ، وقد كانت ثيابهن مجتذبا للعيون •



ثقافية لجمهورية المانيا الاتحادية الا مع مصر (عام ١٩٥٩) وتونس (عام ١٩٦٦) ومع ذلك فان دلائل الواقع تشير الى وجود برنامج تبادل ثقافى وعلمى بصورة متزايدة مع كل الدول العربية ٠

وتتم تكملة الاتصالات العلمية بصورة فعالة خلال المبادرات الخاصة كجمعيات الصداقة وغيرها من الاتحادات . كما تصبح تحت تأثير الهيئات شبه الرسمية للدولة واقاليمها بمثابة حلقة تبادل ثقافى وانسانى ٠

ويدرس حاليا فى جامعاتنا مايزيد على ٣٠٠٠ طالب عربى ٠ ذلك بالاضافة الى المنح الدراسية الخاصة بالتدريب الفنى او الفنون ومنح الاجهزة والكتب العلمية ٠ وينتمى لمعهد الآثار الالمانى ٣٧ عالما عربيا ممن هم اعضاء مراسلون له ، وقد قام المعهد منذ عام ١٩٤٥ خلال اقسامه القائمة فى بغداد والقاهرة وروما وبالتعاون مع هيئات الدراسات القديمة للبلد المضيف بعدد من الحفريات والبحوث قدرها ٣٧ عاما ٠

ومما يشجع على التعارف المتبادل بصورة خاصة وجود برنامج الضيوف الذى تشرف عليه الحكومة الاتحادية ومجلس النواب الاتحادى٠ ويمنح مثل هذا البرنامج المجموعات المتجانسة من حيث المستوى الفنى فى ميادين العلم والتربية والفن لعدة اسابيع فرصة الاجتماع بالمنظمات المتشابهة والزملاء فى بلادنا وتبادل الخبرات معهما ٠

وقد تحقق فى العلاقات الثقافية افق جديد من خلال الالتقاءات التى تتم فى المجال الرياضى وفى غيره من قطاعات التى اهملت فى الماضى نظرا الى التركيز الضيق على المجال الاكاديمى وحده ٠ وتسمى هذه القطاعات اليوم ، التعاون الاجتماعى العام وتعليم الكبار ٠

ان هذا الاسبوع العربى الالمانى فى توبنجن الذى يشترك فيه عدد كبير من اصدقائنا العرب لهو مثال طيب لمبادرة خاصة تفتح الطرق بصورة خاصة للتبادل الثقافى الالمانى مع العالم العربى ٠

وقد اوضح لنا هذا الاسبوع انه ليس هناك اى فرع من افرع الدراسات الانسانية والطبيعية لم يتأثر بالروح العربية وان هذا التأثير اعمق واكثر رسوخا مما يتصور الناس فى بلادنا وفى الامم الاوربية الاخرى ٠ انها لصدفة حسنة أن تخطو السياسة فى هذا العام بالذات نفس الخطوات ، اذ سيجلس ممثلون عن حوض البحر المتوسط ـ ذلك البحر الذى كان منذ الرف السنين التقاء بين الشرق والغرب ـ على منضدة مشتركة لبحث الحوار العربى الاوربى ٠ الذى تشكل الثقافة جزءا بارزا منه ٠٠

رحلة الشهر

حياة بلا اجازة

كنت احب ان اسهب فى حديث رحلة الشهر هذه المرة ، لولا ان انفاسى تتقطع وانا اكتب هذه الكلمات ، فقد عدت من الاسبوع الثقافى العربى الالمانى ، الذى انعقد بمدينة توبنجن ، لادفع ثمن حياة الشقاء التى عشتها ... ثمن السنوات العشرين الاخيرة فى حياتى ، التى لم اعرف فيها معنى الاجاز ... الاجازة الاسبوعية او الاجازة السنوية ... ابدا ! .

وهكذا عدت الهث ... وارتميت على مخدعى ... وقال الاطباء انها نوبة حادة قد تلزمنى الفراش ممنوعا من العمل والكلام والحركة ... وحتى من استقبال الاصدقاء لبضعة اسابيع ... او لاكثر من بضعة اسابيع ...

وانا ـ بكل ما جبلت عليه من ايمان ـ لا اخشى المرض ، ولا اكره الموت الا لسبب واحد ، هو انه يمنعنى من العمل ...

ولهذا ، مددت يدى فى غفلة ممن حولى لاكتب هذه الكلمات ...

مدينة توبنجن ، التى انعقد فيها اللقاء ، هى على صغر

حجمها من اقدم المدن الالمانية ، وهى تعتز ـ اكثر ما تعتز بجامعتها العريقة التى تعد ثانية جامعات المانيا فى القدم ، اذ تحتفل قريبا بمرور خمسمائة سنة على انشائها . وتحتوى مكتبتها اكثر من مليون ونصف المليون من الكتب ...

والقسم العربى فى مكتبة هذه الجامعة اية فى الثراء ، ففيه ـ مثلا ـ النسخة القديمة والفاخرة المعروفة بقانون ابن سينا فى الطب ، التى قام بطبعها فرديناند فون ميديتشى سنة ١٥٩٣ فى المطبعة التى اسسها بروما ، وهى من اندر ما طبع بالحرف العربى فى الغرب ...

وبها كذلك الكثير من كتب الأدب الأوربى فى القرنين السادس عشر والسابع عشر عن العالم العربى والإسلامى ، ومن الثمن مقتنياتها القرآن الكريم مطبوعا بالعربية واللاتينية ، الذى نشره مراتشى فى بادوا سنة ١٦٩٨ ، وحكم فيثاغورس الذهبية فى نصها العربى الذى قام ابن مسكويه بترجمته حرفيا عن الاصل اليونانى ...

على أحمد باكثير فى ذكراه الخامسة



احمد باكثير

● لا شك أن الشاعر المسرحى الراحل على احمد باكثير يمثل بجهوده المتنوعة وعطائه الخصب وتجاربيه فى خوض الوان التعبير المسرحى ، وامتاع القراء والمشاهدين لسنوات طوال ـ لا شك انه شخصية جديرة بالبحث والدرس العلمى الدقيق ، وقد امتدت حياته الأدبية خمسة وثلاثين عاما ، بداها شعرا فى مستهل حياته فى (حضرموت محكوما باطار الأدب العربى التقليدى ، وبالشعر منه على وجه خاص ، لكنه افاد من الاتصال بالشعر العربى الحديث وكان مثله الاعلى ـ كما يحدثنا فى كتابه (فن المسرحية) « المتنبى » من القدماء و « شوقى » من المحدثين . وكانت مسرحيات شوقى اول ما عرف من الفن المسرحى ، وقد هزته من الاعماق وأرته لاول مرة فى حياته كما يعترف بذلك فى « فن المسرحية » كيف يمكن للشعر ان يكون ذا مجال واسع فى الحياة حين يخرج من نطاق الذاتية الى عالم فسيح يتسع لكل قصة فى التاريخ أو حدث من الاحداث ...

وقد تحقق هذا التأثر بشوقى من اول مسرحية كتبها فى مدينة الطائف وظهرت طبعتها الأولى فى القاهرة سنة ١٩٣٤ ... وفى هذه المسرحية نرى باكثير شاعرا تقليديا ونرى مسرحيته تلك لا تخرج عن الدوران فى فلك (شوقى) ، وتصور باكثير البكر للمسرحية الشعرية على انها ديوان شعر يدور حول موضوع واحد ...

وتعد هذه المسرحية بداية ونهاية للمعركة الاولى لعلاقة باكثير بالمسرح الشعرى ، وربما كانت هى الدافع على أن يتحول باهتمامه من الشعر الغنائي الى المسرح ، فيأتى الى مصر ويلتحق بكلية الاداب قسم اللغة الانجليزية ويستأثر الادب المسرحى بلبه ، وتتوطد صلته بأعمال « شيكسبير » بصفة خاصة ، فكيف عن كتابة القصيدة التقليدية ، ويمضى يترجم فصولا من مسرحياته مثل (الليلة الثانية عشرة) فى شعر مقفى ، ثم يصطنع شكلا شعريا جديداً ، يحاول ان يتحدى به زعم اساتذته الانجليزى اختصاص اللغة الانجليزية بالبراعة فى الشعر المرسل والتفوق فيه على سائر اللغات ، فينهض باكثير لدحض هذا الزعم بالبرهان العملى ، ويترجم فصلا من شيكسبير على طريقة الشعر المرسل ، بعد ان اثبتت له تجربته قصورها عن ترجمة شيكسبير الى الشعر التقليدى ·

وقد كان لاحتكاكه بالمسرح فى هذه النماذج العالية ثمرتان :

أولاهما : تتصل بفن المسرحية عموماً ·

والثانية : تتصل بقضية الشعر فى المسرح

وقد جنى الثمرة الاولى بالتعرف على أصول هذا الفن واسرار الصنعة فيه ، واستطاع أن يتخذ منه اداة للتعبير عن افكاره على مدى خمسة وثلاثين عاماً ، ولتمتد هذا الفن الى النثر ايضا

وقد جنى الثمرة الثانية باستكشاف اسلوب الشعر المرسل بوصفه الشكل الشعرى الذى يتلاءم وطبيعة العمل الدرامى الذى يقوم فيه الحوار بالدور الرئيسى ·

وقد توغل فى ذلك بصورة تجاوزت ما عرفه الشعراء فى مدرسة الديوان وغيرها ، فلم يقف عند حد التخلص من رتابة القافية المتكررة ، وانما تجاوزها الى تحطيم وحدة البيت نفسه واصطلاح وحدة التفعيلات بدلا منها ، وتتبع ما صلح منها للاداء الدرامى من البحور المتجانسة التفعيلات ، كالرجز والكامل ، والمتدارك ، دون التقيد بعدد ثابت من التفعيلات حتى لتطول الجملة الحوارية وتقصر وفقا لما يقتضيه الموقف ···

وترجم بهذا الأسلوب (روميو وجولييت) ونشرها فى عام ١٩٤٦ ، بعد عشر سنوات من ترجمتها ، وباحتكاك باكثير بشيكسبير بعد شوقى اكتسب خبرة بتقاليد المسرح واصوله ، واهتدى الى الشكل الشعرى الملائم لطبيعة هذا الفن ، فكان طبيعيا ان ينتقل من مرحلة الترجمة الى مرحلة التأليف : فكتب مسرحية « اخناتون ونفرتيتى » واتمها فى عام ١٩٣٨ ، وظهرت طبعتها الاولى سنة ١٩٤٠ بمقدمة للمازنى ، الذى استقبلها استقبالا حسنا

وتعد هذه المسرحية اولى مسرحياته المؤلفة بأسلوب

الشعر المرسل الذى يطرد فيه الكلام اطراد النثر ، ويسهل وروده على الاذن كما لاحظ المازنى ذلك .

وبهذا يكون باكثير اول من استطاع تذليل تلك الصعوبة الكبرى فى ابتكار الشكل الشعرى الذى يلائم طبيعة الحوار المسرحى ، اى الذى تكون اللغة فى خدمة الموقف لا العكس ، الامر الذى يجعل باكثير رائدا من رواد الحركة الشعرية الجديدة ، لتجربته المبكرة فى ميدان الشعر المسرحى المرسل .

وعلى الرغم من هـذا النجاح الذى حققه باكثير فى تجربته المسرحية المتقدمة فى (اخناتون و نفرتيتى) فاننا نجده يتحول عن الشعر جملة ، ويرى فى النثر اللغة الطبيعية للمسرح ـ يقول : « ان تجاربى جعلتنى بعد ذلك اقتنع بان النثر هو الاداة المثلى للمسرحية ولا سيما اذا اريد بها أن تكون واقعية، وأن الشعر لا ينبغى أن يكتب به غير المسرحية الغنائية التى يراد بهـا أن تلحن وتغنى ، أى (الاوبرا) .

لكن هل انصرف باكثير حقـا بصفة نهائية عن المسرح الشعرى بعد (اخناتون ونفرتيتى) ، لقد التزم بالمبررات التى قدمها لعزوفه عن الشعر فى المسرح ...

وسيطرت عليه فكرة المسرحية الغنائية ويقصد بالشعر هنا ذلك الشكل التقليدى منه الملتزم بوحدة البيت والقافية ، وعلى هذه الصورة جاءت تجربته التى قدمها بعنوان « قصر الهودج » محـددا بذلك الشكل التقليدى للشعر مجالا ووظيفة فى المسرح يختلف بها عن الشعر المرسل متجاهلا عن حقيقة ان شيئا لا يمنع الشعر المرسل من ان يلحن ويغنى .

ويبدو ان باكثير قد شعر فى السنوات الاخيرة بالاهتمام الشديد بالمسرح الشعرى وبظهور عدة مسرحيات تتخذ الشعر المرسـل اطارا للتعبير ، الامر الذى جعله يعود فى عدة مسرحيات كتبها بالنثر ليعيد كتابتها شـعرا ، كمسرحية « ابراهيم باشـا » التى نشر معها فى نفس المجلد مسرحيتين صـغيرتين هما : « عمر المختار » و « فارس البلقاء » .. وقد جعل هذه المسرحية تحمل عنوان : (الوطن الاكبر) بعد ان صاغها شعرا مرسلا الامر الذى يعكس عدم ارتياحه لهذه المسرحية فى صورتها النثرية ويجعلها فى خمسة فصول بعد ان كانت ثلاثة .

كل هذا يثير سؤالا ينبغى الاجابة عن الفارق بين الاداة النثرية والشعرية فى مسرح باكثير ، وهو سؤال تنضاف اليه اسئلة كثيرة تنتظر الاجابة عن مسرح باكثير الشعرى ومسرح باكثير النثرى ، للتعرف على تفاصيل جهده فى هذا السبيل والوقوف على تجربته الفريدة الرائدة فى الشعر المرسـل والمسرح الشعرى بصفة عامة وقضايا فنية عديدة شارك فى ايجاد حل لها ، كالشعر والدراما والمسرح واللغة

.. الأمر الذى يحتاج الى دراسة دقيقة تخضع انتاجه الوفير للدراسة الاكاديمية ...

وهذا ما أحاول جهدى القيام به والتوفر عليه وفاء لذكرى هذا الاديب العربى العملاق الذى قدم للأدب العربى الحديث بصفة عامة وللمسرح بصفة خاصة الكثير من الاعمال الفنية الناضجة التى من ابرزها مسرحيات « قطط وفئران » و (جلفدان هانم) و (امبراطورية فى المزاد) وغيرهاوغيرها مشاركا بذلك فى اهتمامات قومه وهموم جيله وذلك لارتباطه بقوميته العريقة ونزوعه الى ما يؤكد سموها وبلوغ غايتها من الوحدة والتحرر المجيد . يرحمه الله .

■ مديحة عواد سلامة ●

تحية لرامى


احمد رامى

من تونس الخضراء تلقينا هذه الكلمات الحلوة من الاديب احمد ابو ستة ، تحية للشاعر الكبير احمد رامى فى عيد ميلاده الثانى والثمانين ، وابتهالا الى الله ان يخفف عن نفسه ما الم بها من كآبة وحزن :

كم أسفت وتألمت ان يكون ذلك الرجل العظيم الذى ادخل على قلوبنا المسرة بمعانيه ومغانيه واعطانا من نفسه كل ما يملك وسما بنا بشعره وقد جمع الرقة والدقة وشحننا بطاقات من العواطف الانسانية النبيلة ، مست قلوبنا فأوسعتها رحابة وارهفتها احساسا وسكبت ام كلثوم بصوتها الصداح جميل معانيه مغنى فى اذننا واسعدنا واطربنا ـ وكان سهلا احزان الناس وصعبا اسعادهم واطرابهم ـ ان يحتفل هذه الايام بعيد ميلاده وقد ملك عليه الحزن نفسه .

واسمح لى أن أذكر الاستاذ رامى بقول صديقه الاستاذ امين عزت الهجين :

فاصدح بشعرك لى لعل
الشعر يذهب ما شجانى
وتعالى احمل ما عناك
وانت تحمل ما عنانى
ونبيع للكاس الهموم
ونشترى منها الامانى

ثم اسمح لى ثانية وانا اردد قول الشابى وهو ينشد للأسى :

يا كوكب الشفق الضحوك وانت مبتهل كئيب
لج فى السماء ونحن ابناء الشقاوة والخطوب
الشوبة تهب العزاء لكل مبتئس غريب
فالطير قد اغفت واسكت صوتها الليل الهيوب
وابسط جناحيك فى الوجود فانه عذب خلوب

متألق بين النجـــوم كأنه حلم طـــروب
وانثر ضياءك ساطعا ليثير أعماق القلوب
فعلى جوانبها من الاحزان ديجـــور رهيب

نعم يا سيدى

صدقنى اذا قلت لكم انى أملك فى بيتى الى جانب شعر رامى صوته مسجلا وهو يتحدث عن قصة ميلاد رباعيات الخيام وغيرها أثناء مقابلة اذاعية بتونس زمن زيارته لها بمناسبة انعقاد مؤتمر أدباء العرب التاسع فى مارس ١٩٧٣ – وكم كنت فخورا بكل هذا – الا يحق لى أن أهنىء شاعرنا العظيم بعيد الميلاد وابداء الاعجاب وليس لى الا أن أهـــدى له طاقة من الاحاسيس الصادقة لا يذبل زهرها ولا يشوذ وردها رجاء أن يفوح أريجها .

مد الله فى أنفاس رامى وأبعد عنه الحزن انه مجيب الدعاء

● وهذه بطاقة حب منظومة ، يبعث بها سامح درويش ، بكلية طب الاسكندرية ، تحية لرامى فى عيد ميلاده :

يا شاعر الحب هذا الشعر يهـــديه
جيلاً تربى على انغـــام (راميـــه)
رامى الشـــباب يسحر فى اغـــانيه
يهدهد القلب صدق فى معـــانيه
أتيت الدنيا بشـــعر أنت ملهمـــه
وجئت أعتـــابك الخضراء القيـــه
شعر من القلب بالحب الذى عمـــرت
نفسى به لكم ، والشـــعر يحييـــه
شعر يترجم فى صدق مشـــاعرنا
بلا ضباب بمعنـــاه ولا تيـــه
لم تحص عمـــرك يا رامى لياليـــه
فان الحـــلك الشـــماء تحصية
فاهنأ بعيـــدك يارامى وحسـبك أن
غنى لك الكـــون يا رامى ومن فيـــه

عتـــاب مـــن الخـــرطـــوم

لم يكن أدبنا يســـمح لنا من قبل بمخاطبتكم فضلا عن الاعتراض أو العتاب المهذب ··· لأن المودة بيننا وبينكم نشأت بعد خصام كان من طرف واحد هو شخصنا الضعيف ·· ولله الحمد فى عليائه فقد عادت المودة صافية نقية ·· مودة ابن وأب ··· وقد تصفو المودة بالعتاب ··

أستاذى ···

من البديهى جدا أن مصر بمخاطبتكم من قبل فضـــلا عن

النور ... ونحو الخير كله ... والسودان خاصة حبة واحدة من رمال العروبة التى تهوى مصر وتموت بحبها ... ولم يكن بد – والحال هذه – أن نعتب على استاذنا صالح جودت حين يتناسى عروبة السودان دائماً ..

عتب استاذنا – حسن نجيلة – من قبل عليكم حين أصدرتم كتابكم بلابل من الشرق – ولم يرد فيه ذكر لشاعر واحد من السودان ..

وبالرغم من المرارة التى أصابتنا جميعا هنا الا أن تسامحكم الكريم وردكم المهذب – كان شافيا كافيا .

ثم جاء الشهر الاسبق حين اصدرتم فى الهلال عددا عن – أدب الفكاهة – فلم يرد ذكر للسودان مع انه يزخر بأدب الفكاهة منذ مطلع العشرينات ممثلا فى تجمعات أدبية رائدة ، مثل جماعة الفجر التى كان من زعمائها الكبار شاعرنا الفحل الاستاذ محمد احمد محجوب ، وجماعة – الكتيبة – ومن أشهر رجالاتها الشاعر الكبير محمد عبد القادر كرف سو والاستاذ النور ابراهيم – والشاعر الشهير بابن عمرو ، وفى هذه الايام وفى جامعة الخرطوم – جماعة حلمنتيش – ... وقد يحق القائل ان يقول ان ليس للهلال كاتب منتدب فى السودان تسند اليه مهمة الكتابة فى اى موضوع فى اطار العالم العربى .. ولكنه فى نظرى عذر ضعيف .. وأنا كقارىء قديم للهلال التزم منذ الآن بالكتابة الى مجلة الهلال فى اى موضوع لوجه الفن وخدمة الادب لا أريد جزاء ولا شكورا سوى ازالة المرارة التى نشعر بها من هذا التجاهل المزرى بنا كشعب عربى عظيم ..

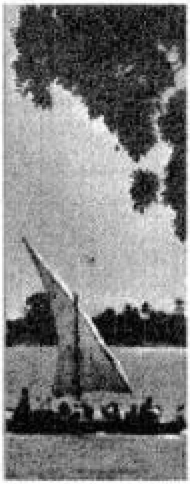
أما فى العدد الذى بين يدى ، عن عواصم العالم العربى فقد ظهرت الخرطوم بينها ولكن ما زال الاهمال يسرى بين كل كلمة من كلمات التحقيق الخاص بالخرطوم .

أولا : كل التحقيقات عن العواصم الاخرى كتبها افراد من ابناء تلك العواصم – الا الخرطوم – وذلك فى نظرى مهم ، نزولا على القول العربى السائر : وليس مرأ كمن سمع .. وسؤلنا : من كتب ذلك عن الخرطوم .. ؟ ولماذا لم يكتبه احد مواطنى الخرطوم .. ؟ مع العلم بأن المثقفين فى الخرطوم كثر والحمد لله ... فضلا عن المتعلمين .

ثانيا : هنالك خلط عجيب وتجاوز لا يحق أبدا من مجلة الهلال المحبوبة العظيمة ..

... مثلا .. « ومنطقة النيوم وتشمل احياء : المايقوما ، ونيم الجرامعة ، والتعايشة والزهور .. ومن اشهر الاحياء هنالك النيل الابيض والشجرة والصحافة وسوبا والجريف غرب والعشرة والعمارات والبرارى وجزيرة توتى ... الخ »

أولا : المايقوما من ضواحى الخرطوم بحرى وليس الخرطوم



وهي ما زالت قرية لم تخطط ولم تشملها خدمات البلديات ... فكيف تكون حيا من احياء الخرطوم ؟

ثانيا : ماذا يجمع بين ديم التعايشة وحي الزهور — الاول حي أهلي ما زال يمثل القرية اكثر من المدينة وحي الزهور من اجمل احياء الخرطوم واحدثها ...

ثالثا : ليس هناك حي اسمه النيل الابيض ، انما الصحيح اللاماب بحر ابيض .

رابعا : سوبا ضاحية من ضواحي الخرطوم وليست حيا على الاطلاق .

خامسا : الجريف غرب ضاحية من ضواحي الخرطوم .

وعلى العموم فهناك عجلة وكلام معمم موجه عن عاصمة ثالثة لبلد في طليعة البلدان العربية فالاحرى ان يكون التحقيق دقيقا وشاملا ..

استاذنا .. عتابنا مصدره المحبة والاعزاز لكم والاعتزاز بكم .. لا حرمنا الله منكم ولا من الهلال .. وسيروا بخطوات اوسع الى ما فيه خير الثقافة العربية

● عبد الله ابو علامة محمد ●

● اداب جامعة القاهرة فرع الخرطوم ●

— احب ان اؤكد للعاتب العزيز انه ليس في وجدان اي مصري غير ايمان واحد ، هو ان مصر هي السودان ، والسودان هو مصر .. وكلاهما كل لا يتجزأ ...

واذا كان لابد من العتاب ، فهل لي ان اعاتب ابناء السودان وشعراءه ، الذين دعوناهم اكثر من مرة الى الاسهام بأدبهم وشعرهم في الهلال والزهور ، فلم يستجب منهم الا اقل القليل وشاهدي على هذا الشاعر الكبير محمد المهدي المجذوب .

اما موضوع « الخرطوم » في عدد « العواصم العربية » فقد كان المفروض اصلا ان يكتبه صديقنا الدكتور محيي الدين صابر — وهو من اعلام الثقافة في السودان — وقد كتبه بالفعل، ولكنه وضعه في حقيبته سهوا وسافر به الى بلاد بعيدة ، ونسي ان يبعث به الينا ، وعز علينا ان يصدر العدد بدون ذكر للخرطوم الحبيبة فكتبنا الموضوع الذي ظهر بالعدد ، فان كان قد شابه شيء من الاقتضاب فهو غير مقصود .

على اية حال لنا لقاء مع ابناء السودان بعد ايام معدودة حيث ينعقد مؤتمر جمع ابناء النيل — مصر والسودان — في العاصمة المثلثة ، ويومئذ يحل العناق محل العتاب .

وسيقام هذا المهرجان في اطار مهرجان اكثر شمولا ، هو المهرجان القومي الاول للاداب والفنون السودانية ، حيث تقام عروض ومسابقات للشعر والقصة والمسرحية والفنون التشكيلية والادب الشعبي والنقد .

كما ستقام معارض للفنون التشكيلية والتطبيقية وللكتب والمخطوطات .

● ص . ج ●

عن "العجوز والبحر"

الإيمان بالإنسان عند هيمنجواى

بقلم: جوزيف والدمير
الأستاذ بجامعة ميتشجان
ترجمة: نصرى عطا الله

● نشرت « العجوز والبحر » لأول مرة فى مجلة (لايف) على حلقات سنة ١٩٥٢

● نال هيمنجواى جائزة نوبل سنة ١٩٥٤ .

● مات هيمنجواى منتحرا عام ١٩٦١

● نشرت الترجمة العربية للأستاذ صالح جودت فى (روايات الهلال) يوليه ١٧٩٤ .

فى السنوات الاخيرة ساورت النقاد الشكوك عن ضرورة قراءة ادب ارنست هيمنجواى على المستوى الرمزى مثلما يقرأ على مستوى السرد القصصى بهدف تقدير فنه تقديرا كاملا ، ومنذ ان نشرت قصة « العجوز والبحر » ارتفع الشك اولا الى مرتبة الادراك ، ثم اصبح يقينا ...

وهذه القصة بين كل اعمال هيمنجواى تتطلب القراءة على المستويين معا ، والقصة وتفاصيلها وطريقة عرضها تتشابه مع بقية اعماله بقدر يكفى ان يوحى ايحاء قويا بامكانية قراءتها بالطريقة نفسها وربما تفسيرها على نفس النهج .

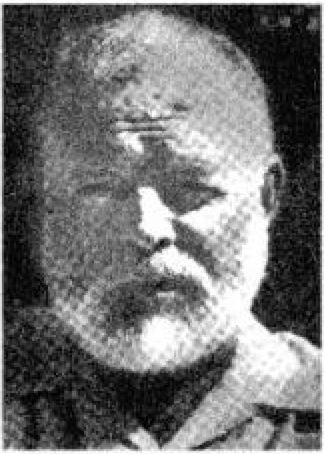
ان « العجوز والبحر » ، كقصة ، تمثل المستوى الجيد جدا لهيمنجواى: حوادثهما تتلاحق فى سرعة ، وتتميز بسلاسة فى السرد ، ويتبلور الصراع فى كفاح بين رجل وقوة لا يكاد يفهمها ولكن ما يفهمه هو انه

لا بد له ان يواصل الكفاح ضدها مع انه يعرف ايضا ان الكفاح سوف ينتهى بالهزيمة الا ان الهزيمة ظاهرية فقط ، لانه ــ كما هو الحال فى قصة الصامدين لهيمنجواى نفسه ــ يبدو ويزداد وضوحا طوال قراءة القصتان

النصر والهزيمة لا أهمية لهما ولكن الكفاح نفسه هو الذى يهم .

يضاف الى ذلك انه فى الوقت الذى تؤكد فيه « العجوز والبحر » مجموعة من القيم المعترية تشكل الفلسفة التى تشيع فى كل اعمال هيمنجواى وتقوم على القيم التجريبية الكبرى : الحب ، والحق ، والكرامة،

والاخلاص ، وعزة النفس ، والتواضع . فهى تعالج النهج الذى يحقق هذه الفضائل ويستبقيها والارتياح الروحى الذى لا بد ان



ارنست هيمنجواى

تكسبه صاحبها ٠

والرموز الدينية التى تحفل بهـــا القصة والتى تكون عنصرا وثيقا من نسيجها الى الحد الذى يوحى بأن هيمنجواى كان يهـــدف الى معنى رمزى للقصة يبلغ من الوضوح حدا لا يتطلب اكثر من النص عليه هنا ٠ ان العجوز صياد ســمك ، وهو فى الوقت نفســـه معلم ، انه لم يعلم الصبى أن يصيد الســمك فحسب ، اى ان يحصل على وسيلة لكســب العيش ٠ بل علمه ايضا نهجـــا للســلوك ، لقد منحه عزة النفس والتواضع الضروريين للحياة الطيبة ، وخلال صراعه مع الســمكة الضخمة واسماك القرش تؤلمه يداه ألما فظيعا ، وتلسع الحبال ظهره وينتابه صداع يكاد يفجر عينيه ، وينقلص صــدره ويبصق دما ٠٠٠

انه يشرع فى صيد السمكه فى ظهر احد الأيام وعند ظهر اليوم الثالث يقضى عليها بدفع رمحه فى قلبها ، وعنـــدما تهاجمه الســمكة الثانية والثالثة من اســماك القرش يصيح العجوز قائلا : « اى ٠٠ » ويعلق هيمنجواى قائلا :

ـ لا توجـــد ترجمة لهذه الكلمة وربما تكون تلك الصوت الذى قد يصدر عن رجل ـ دون ارادته ـ وهو يشعر بالمسمار ينفذ من خلال يده ثم الى داخل الخشب ٠

وعندما يحـــط الرجل رحاله على الشاطىء يضع صـــارى المركب على كتفه ويغادر البحر فى اتجاه كوخـه ويجد نفسه مضطرا لان يأخذ قسطا من الراحة عدة مرات خلال رحلتـه الى أعلى التل ٠ وعندما يبلغ الكوخ يرقد على فراشه ويداه ممدوتان الى الخارج وراحتا كفيه الى أعلى ٠٠٠

والرمزية الدينية الواضـــحة تنتقل من الانسان الى الســـمكة وهو رمز مشروع للسيد المسيح منذ نشـــأة المسيحية كما كان رمزا دينيا مشروعا قبل المسيحية ، ثم تنتقل هذه الرمزية من الســـمكة الى الانســـــان طوال القصـــة ، وهذا الخلط الظاهرى يحســـب متناسقا مع نفسه لا فى اطار فلسفة هيمنجواى فحسب كمثال لظاهرة القائم بتقديم الضحية الذى يضحى بنفسه (وهى نقطة ســوف اناقشها فيما يلى من هذه الدراسة) بل فى اطـــار العقيدة الدينية فى وضعها الرسمى بالمثل ٠

يضاف الى ذلك ان هذه الظاهرة تتوازى مع قداس الضـــحية حيث يحدث امتزاج بين شــخصية الكاهن البشرى وشخصية المسيح لحظة تحول

خبز القربان وخمره الى جسد المسيح ودمه ، والى جانب ذلك توجد المعانى السحرية او التنجيمية المعقدة الى حد ما — للارقام ، وهى تدعم تلك الرمزية الدينية ولكنها تستمد أهميتها منها — وهى ليست ذات نهج محدد ، كما انه لا يوجد نهج محدد لعلم الارقام فى الدين ، ولكن هيمنجواى يقدمها بعناية • ان الاعداد : ثلاثة ، وسبعة ، واربعين. اعداد ذات دلالات ايحائية فى العهدين القديم والجديد (أى التوراة والانجيل) وفى الدين •

وعندما يتقرر ان « العجوز والبحر » يمكن ان تقرأ على المستوى الرمزى كما تقرأ على مستوى الحدث القصصى ايضا تظهر مشكلة اخرى ، مشكلة تنبعث من طبيعة المستوى الرمزى ومن القلق المقلق ان المستويين يتواجدان على التساوق فى القصة ، واعتقد انه من الممكن التعبير عن المشكلة بسؤالين لا بد ان القارىء المتفحص قد وجههما الى نفسه وهو يضع القصة جانبا بعد الفراغ منها : — هل القصة — كما تبدو للنظرة الاولى — رمزا دينيا ؟ هل اراد الملاح العجوز المتين الخشن ان يتصرف كمؤمن ؟

واذا لم يكن ممكنا ان نجيب على اى السؤالين بالايجاب غير المشروط (واسلم بان ذلك غير ممكن) فلابد ان يقوم سؤال اخر : ما هى رسالة القصة بالضبط ؟

والاجابة تفترض مستوى ثالثا لا بد ان تقرأ العجوز والبحر ، على هديه ، وهو اعتبار ان القصة تعقيب رمزى للمؤلف على كل اعماله السابقة ، وعن طريق هذا التعقيب

الإيمان بالإنسان عند هيمنجواى



يمكن ان يتقرر أن المعانى الدينية فى قصة «العجوز والبحر» لا تقتصر على هذه القصة وحدها بين اعمال هيمنجواى ، وان هيمنجواى قد اتخذ اخيرا خطوة حاسمة للارتفاع بما يمكن أن يسمى فلسفة الرجولة عنده الى مستوى الدين •

وعند هذه النقطة من البحث يجب دراسة اعمال هيمنجواى كاملة — بما فيها العجوز والبحر — وذلك من جانبين : من اجل ايضاح النتيجة السالفة الذكر من جهة • ومن أجل الاجابة على السؤالين سالفى الذكر من جهة اخرى •

اول هذين الجانبين هو الانشغال

هيمنجواى بالانســـــان كانسان فى عـــلاقاته بما فى هـــذه الدنيا من اشياء ، الى حد استبعاد ما عداها· والعالم الاخر والاله لا يدخلان كثيرا فى افكار ومخططـــــــات وعواطف

الانســـــان كشخصية فى قصـــص هيمنجواى ، أن الله موجود وغالبية شخصيات هيمنجواى على استعداد للتسليم بوجوده أو على الاقل تكره انكار ذلك ، ولكن ليس لكائن ملازم لنا ، ولا حتى كمحسن أو مسيء ·

وكثيرا ما ترفـــع شـــخصيات هيمنجواى الصلوات لله فى لحظات الازمة ولكن عونه او مســـــاعدته لا يعتمد عليها أبدا ولا يفتقدان ابدا · وهكذا نجـــد جيك باتريس ، فى (قصة الشـــمس تشرق أيضا) فى

الكاتدرائية فى مـــدينة باميلونا فى المســـاء السابق على تجربته الكبرى يصـــلى لكل من يفكر فيه ، من أجل مصارعة الثيران وصيد الســـمك بنجاح وعندما يشعر بنفســـه راكعا منكس الراس يقول :

« احســـــست بقليل من الخجل وشـــعرت بالاسف لاننى كاثوليكى فاسد ولكننى تحققت انه ما من شيء استطيع القيام به حيال ذلك ، على الاقل الى حيـــن ما وربمـــــا الى

ما لا نهاية ولكنه كان دينا عظيمـــا على اى وجه ·· اننى أحسست فقط اننى متدين وربما فى المرة التالية » ·

ان من يعتمـــد الى حد بعيد على الصلاة او على مســـاعدات خارجية عندما يواجه الازمة لا ينال الكثير من اعجاب هيمنجـــــواى · ففى رواية

(الموت بعد الظهيرة) عندما يريد أن يصف تخاذل مصـــــارع ثيران جبان وهو يســـعى لان يعد العدة

للمعــــــــركة ، يضعه الكـــاتب فى كنيســـة ، فى ملابس مصارع ثيران كى يصلى قبل المعركة وقد تصبب العرق تحت أبطيه ، ضارعا أن يهجم الثور

هجمات واضحة ويتبع قطعة القماش تماما ، اه أيتها العذراء المباركة ، اعطنى ذلك الثور · أيتها العـــذراء المباركة وان أجد ذلك الثور فى مدريد

اليوم ، يوم بلا عواصف وهو يعدها بنذر قيم او حج الى الاراضى المقدسة ·· كان يصلى ناشدا الحظ الحسن وهو خائف الى حد المرض » ·

●●●

ان الانسان يجب ان يعتمد على ذاته فقط كى يؤكد رجــــولته وتاكيد رجولة الانســـــــان فى وجه العوائق المنيعة هى الغاية النهــــائية والمبرر لوجود البطل عند هيمنجواى : ان العجـــــوز يجب ان يتحمل صراعه العظيم مع سمك القرش ، و « مانيول » فى « الصامدين » يجب أن يستمر فى

مهاجمة الثور ست مرات ويتحمل طعنة قوية برغم رسغه المكســـــور وجروحه العميقة · و « جيك » يجب ان يواصل حياته على وجه طيب

وبصدق وامانة بقدر ما يســـــتطيع برغم الاحباط الشديد ، وكل انســـان يجب ان يوجه صراعه وحـــده دون الالتجاء الى معونة العالم الاخر ·

لانهم كافراد متفردين يستطيعون ان يؤكدوا رجولتهم ، وانها لذات دلالة أن يواجه البطل مصيره بمفرده دون النظر الى دينونية العالم الاخر ، وفيما يختص بالخطيئة فغالبـــــــا ما سوف يقول « جيك » مع العجوز

« لا تفكـــــر فى الخطيئة ، لقد فات اوان ذلك منذ بعيد وهناك اشخاص يؤجرون لاداء ذلك ·· دعهم يفكرون فيهـــــا » وغالبا ما ســـــوف يؤمن

« ما نيول » بالموافقة .

وكان همنجواى يشعر دائما باحترام عميق للمتدينين بشرط ان يعيشوا كذلك . وقيمه المعنوية التجريدية تشكل بالفعل فضائل دينية عظيمة ، وعندما يصادف شخصا مؤمنا مثل الكاهن فى (وداعا للسلاح) او (تسيلعو) فى (لمن تدق الاجراس) الذى يعيش طبقا لقيمه التجريدية يمتدحه كمتدين . ويضيف مراعاة لخاطر المنافقين « وهو شىء نادر فى الاقطار الكاثوليكية » .

وليس هناك دليل على التجديف المقصود فى أى من قصصه ، وكثيرا ما يجد المتدينون بحق لا فى عبارات دينية ولكن فى اسلوب هيمنجواى نفسه . وفى تمثيليته ذات الفصل الواحد « اليوم هو الجمعة » يعطى هيمنجواى رجولة المسيح اهمية اكثر من أى شىء دون ايحاءات تجديفية . ويتكلم هيمنجواى على لسان الجندى الاول فيقدم اسمى ما يستطيع من مديح ويجيب « انه شىء طيب جدا فى هذا اليوم » فى كل مرة يقلل الجندى الثانى الساخر من رجولة المسيح والعبارة ليست موجهة الى ذلك الجندى الهازىء بل الى الثالث المضطرب عاطفيا والذى يعانى من تجربة دينية لايستطيع الاول مشاركته فيها لكنه يستطيع أن يفهمها ويتعاطف معها .

***

وبالرغم من الرفض الواضح للمسيحية الاخروية فى سبيل تأكيده للرجولة ، فان هيمنجواى قد صاغ مجموعة من القواعد واجبة الاحتذاء فى الحياة من اجل تحقيق الرجولة ، وهى تبلغ من الصرامة حدا يتماثل مع ما يمكن وجوده فى اى دين من الاديان ، وهذه القواعد ، بالاضافة الى نهج تفصيلى لمباشرتها تمثل الجانب الثانى لاعمال هيمنجواى كاملة وهو ما سنتناوله فى هذا البحث .

تقوم تلك القواعد على المعانى التجريدية التى سبق ان ذكرناها وهى مرتبطة بنهج مباشرتها حتى يمكن القول ان التطبيق ذاته يمكن اعتباره قاعدة ، او بتعبير افضل ، ان القاعدة والتطبيق لا وجود لايهما بدون الاخر .

ان فلسفة الرجولة عند هيمنجواى فلسفة عمل . ان الرجل كائن شريف اذا تصرف بشرف ، متواضع اذا تصرف بتواضع ، وهو يعرف الحب عندما يقع فى الحب فعلا او عندما يكون محبوبا . واذ يأخذ هيمنجواى القواعد والمعانى المجردة قضية مسلمة يعنى نفسه اساسا بتقديم نهج مباشرتها وهو يصف لنا ذلك النهج بعناية وفى تفصيل دقيق واذا لم يغفل القارىء أو يستخف بأى شىء مما يقدمه الكاتب فسوف يؤدى ذلك الى تجربة (اى

الإيمان بالإنسان عند هيمنجواى

مشاركة) مشبعة فى حد ذاتها قائمة بذاتها شاملة لمكوناتها ٠

وهذا النهـــج ، هذا النوع من الشـــعائر ، لان ذلك ما يرقى اليه النهج فعلا ، واضح اشد ما يكون الوضـــوح فى تناول هيمنجواى لمصارعة الثيران ٠ وقصـــة (الموت بعد الظهيرة) مخصصــــة لتقييم

رجولة مجموعة متنوعة من مصارعى الثيران على اساس مقدرتهم على التمسك بالقواعد ، ولوصف الطقوس التى عن طريقهـــــا يثبتون رباطة الجاش ويتمكنون من اشراك الجمهور فى المتعة الناتجة عن الاداء السليم لمهمتهم ٠

والحرب ، ومصـــارعة الثيران وصيد السمك والصيد فى الادغال من بين التجـــارب الاخرى التى يعبر هيمنجواى براسطتهـــا عن ايمانه الفلسـفى بالانسان ، ولكن مصـــارعة الثيران هى وســيلته التعبيرية العظمى ، لأنها بالاضافة الى تضمنها نهجا لا يمكن انتهاكه

كما يحدث فى الوسـائل الاخرى فهى مرتبطة ارتباطـــا وثيقا بالقيم التجـــريبية الكبرى ، وهى تنتهى دائما بالموت ، انها تبلـــغ منزلة التضحية الدينية التى يســتطيع الانسان عن طريقها ان يضع نفسه موضع التـــوافق مع الســكون وان

يشـــبع الجانب الروحى مثلمـــا يشبع الجانب المادى من طبيعته كما يستطيع ان يعوض اهماله واوزار ماضيه وان يتطهر ويسمو بنفســه بالقدر الذى يستطيعه عن طريق اى دين قائم على « التضحية » ٠

●●●

ان الفـــرق بين دين الايمـــان بالانســـان عند هيمنجواى والدين

الرســـمى هو ببســـاطة ـ ولكن بعمق ـ أنه فى الاول لا يمتد السمو النفســى الى ما وراء حـــدود هـــذه الدنيا وفى الثـــانى ، فى المسيحية على ســـبيل المثل يكون السمو النفسى النهائى اخرويا بالكامل ٠ ان مصــــارع الثيران يـــكون ـ بمعنى ما كاهنا ، يباشر التضحية من اجل الشاهد كما يقوم بها من اجل نفســـــه معطيا كلا الجانبين ذلك « الاحساس بالحياة والموت والفنـــاء والخلود » الذى وصـــفه هيمنجواى فى « الموت بعد الظهيـــرة » وكما يفعل الكاهـــن الكاثوليكى على المستوى المثالى ٠٠

يضع مصارع الثيران حياته الخاصة موضع التهلكة ٠ ان الظاهـــرة الغريبة لممارس طقوس التضحية الذى يقامر بان يصبح الضحية ، تؤدى الى ايضاح مصـطلحات منهج هيمنجواى اكثر مما تؤدى الى تشويشها ٠ كما قد يبدو للنظرة الاولى ٠

الإيمان بالإنسان عند هيمنجواى

ان مصارع الثيران يعترف بامكانية وملازمة الموت حينما يخطو الى داخل الساحة ، وعليه ان يواجهه

بشجاعة بشرية واحدة محافظة على شرفه وكرامة الثور ، واذا ما اقدم على القتل بدافع

الكراهية او الخوف فسوف يجر ذلك في تصرفاته ، وسوف ينشغل المشاهد عن التركيز على التضحية الى الاهتمام بالرجل ولن ينال المتعة ٠

يجب ان يكون لدى المصارع وعي بالموت كقاتل او كمقتول ، وفي واقع الامر يجب ان يكون هناك ما هو اكثر من الوعي : يجب ان يكون هناك تقبل للموت ، ان المعرفة بحتمية الموت حتى لا ينتج عنه رد فعل بسبب فوريته مقترنا بعدم الاكتراث لامكانية الحياة بعد الموت بخاصيتين ضروريتين لمصارع الثيران المثالي ان هدفه لا يمكن ان يمتد الى

ماوراء القيم بالتجريبية نفسها :كيف يكتسبها وكيف يشرك الاخرون فيها ٠ وعليه ان يستيقن ان الشيء الهام هو

لا ان الانسان يموت ، بل كيف يموت ويساوى ذلك في الاهمية ان الانسان يقتل بل كيف يقتل ٠

ان هذه الخاصية الثانية لاعمال هيمنجواى كلها لا تظهر في تناوله لمصارعة الثيران فحسب، ولو انها قد تكون هنا واضحة بطريقة مباشرة ٠

ان القيم التجريبية والقواعد والطقوس والتضحية تسود تفاصيل «العجوز والبحر » كما تسود تفاصيل « الصامدين » و « الشمس تشرق ايضا» ان الكاتب يقول لنا في عناية ومع بذل الجهد كيف يؤدى العجوز عمله كصياد وكيف يستعد للصراع المأمول :

« قبل ان ينتشر الضياء كان قد القى بطعمه وقد استسلم للتيار وقد هبط طعم الى عمق اربعين مقياسا (المقياس هنا ستة اقدام) وبلغ طعم اخر عمق سبعة وخمسين مقياسا ، والثالث والرابع هبطا في الماء الازرق

الى عمق مائة ومائة وعشرين مقياسا ، وكان كل طعم متدلى الى اسفل وخطاف الصنارة داخل الطعم (وهو من السمك) وقد ربط وحيك باحكام وكل الجزء البارز من خطاف الصنارة (الجزء المعقوف والطرف المدبب) كان مغطى باسماك السردين الطازجة ، وكان حديد الصنارة ينفذ من عيني كل

واحدة من تلك الاسماك حتى انها كانت تشكل نصف اكليل فوق صلب الصنارة البارز ، وكان يبلغ سمك الخيط المثبت فيه تخانة قلم رصاص كبير ينتهي بانشوطة يتخللها غصن مخضوضر حتى اذا ما تعرض الطعم لجذبه او لمسه

انغمست العصا في الماء ، ويبلغ طول حبل كل سطر لفتين كل منهما أربعون مقياسا ويمكن وصلها بلفات احتياطية اخرى حتى انه ــ اذا ما دعت الضرورة ــ تستطيع السمكة ان تهيم على وجهها الى أبعد من ثلاثمائة مقياس»

ويقص علينا الكاتب كيف يتصدى الصياد للسمكة ويضمن سلامة الشص وينتظر في ترقب كله لهفة ان تبتلع السمكة الطعم ، ثم ينتظر مرة أخرى حتى تأكله تماما ثم يضرب

بكل قوة ذراعيه وثقل جسمه المتمركز في نقطة ثم يلقي بالخطاف ثم يضع حبل السنارة عبر ظهره وكتفيه حتى يستطيع ان يكون مرن الجسم اذا ما غطست السمكة قفزا وحتى لا ينقطع حبل السنارة، ويقص علينا على وجه خاص وفي عبارات تذكرنا باوصاف مصارعة الثيران كيف يتم القضـــاء على السمكة :

«ثنى العجوز خيط السنارة ووضع قدمه فوقه ورفع الرمح الى اعلى ثم دفعه الى اسفل بكل قواه وبمـــــا استجمع من قوة اضافية ، الى داخل جانب السمكة خلف زعنفة الصـــدر النافرة الى أعلى في الهواء بقـــدر ارتفاع صدر رجل ، واحس بالرمـــح الحديدي وهو ينفذ في جسم السمكة وانحنى عليه ودفعه الى الداخل اكثر ثم دفع بكل ثقل جسمه بعده ٠٠ »

ان ملازمة الرد القائم بالتضحيـة وللتضحية بالمثل ، ولا مبالاته التامة بامكان حدوثه امران يجعلهما الكاتب واضحين عند القمة اللازمة للصراع عندما تتردد في خاطر العجـــوز فكرة

« انك تقتلينني أيتها السمكة ٠٠٠ تعالي الآن واقتليني ، انني لا اعبأ من منا سوف يقضي على الآخر ٠٠»

واعتقد انه عند هذه النقطة يمكن الاجابة على الاسئلة التي تقدمت في هذا البحث :

– هل قرر هيمنجواي ان يتصرف كمتدين ؟ اظن انه لم يفعل ٠ ان دلالة « العجوز والبحـــر » باستثناء الرموز الدينية تدل على انه لم يكن متدينا وقت أن كتبها اكثر مما كان وقت أن كتب (الشمس تشرق ايضا) ولكن الرموز الدينية قائمة في القصة وهي تبدو كأنها تشـكل قصة رمزية دينية ولكن على المستوى السطحي ٠

ان الرمزية الدينية اللاصقة بكـل أعمال هيمنجواي في كلا جانبيها وكما تبدو في « العجوز والبحـــر » والتي كانت موضع الشطر الاكبر من دراستي حتى الان ، تمثل بالفعل مســتوى ثالثا يجب ان نقرأ «العجوز والبحر» على هديه ٠٠٠ على انها التفسير الرمزي لاعمـــــال هيمنـــجواي في مجموعها ٠

قلت فيما سبق ان هيمنجواي ليس متدينا الآن (وقت كتابة العجـــوز والبحر) اكثر مما كان منذ ثلاثين سنة ، ولقد كان في نيتي أن اقول هنا ان هيمنجواي لم يكن اقل تدينا منذ ثلاثين سنة عما هو الآن ٠ ان البرهان الذي سقته يشكل شيئا اكثر من ان يكون فلســـفة او مذهبا خلقيا وهما المصطلحان اللذان استعملا في اغلب الاحوال لوصف وجهة نظر هيمنجواي في الحياة ٠٠ انها تشكل ما اسميه الايمان بالانسان ٠ لقد كان هيمنجواي متدينا دائما ولكن ديانته لم تكن من النوع التقليدي النهجي ٠ انه يشيد – قد اشـــــاد دائما – بالايمـــان بالانسان ٠

ان «العجوز والبحر» تشيد بالانسان على وجه أكثر قوة واكثر اقناعا من اي عمل سابق للكاتب ٠ انها الخطوة الاخيرة في ذلك السبيل ٠٠ انها ترفع الفلسفة الى مستوى الدين باستـــعمال الرمز ، ومن جهة اخرى – وبوصفها رمزا ككل اعماله مجتمعة ، تمنحنا القدرة على ان ننظر في النهاية الى اعماله مجتمعة – ككل – من وجهة نظر الدين

في حفل تأبين الدكتور طه حسين في أكتوبر ١٩٧٤

محمد عبد الغني حسن

مصرع الشمس

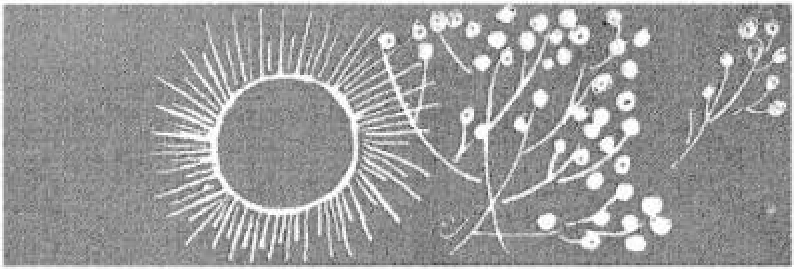
مضى عام ومـا زال لهيب الحـزن في كبدي
على الشمس التي ولت عن الدنيـا الى الأبد
ضننا ان نوسدها و أشفقنا على الجسد
وقلنـا : ان يفتنا الدفن صبح غد ، فبعد غد ؟
وقلنـا : يا ركاب المـوت ! لا تستعجلي اتئدي
ومـا زلنـا نراوغ في احتيالات على الأمد
وهبنا قد اطلنا ساعة التوديع في العدد
فهل زاد لنا التسويف حينا أو ان لم يزد ؟
وهل رد مطال الدفن من عمـر على أحد ؟

***

لقد كان هنا شمس على الآفاق تلتمع
وكان هنا لها شعل وكان هنـا لهـا لمع
وكان على أشعتها شعاع الفكر يجتمع
وكان لها على العافين مصطاف ، ومرتبع
اذا ما أجدب الناس على أفيائها انتجعوا
وامـا مسهم ضر الى ساحاتها فزعوا
وفيهـا تستوي الآمال ، والآلام متسع
تساوت عندها الآحاد في المعروف ، والجمع
علت .. لكنهـا بالفضل والأخلاق تتضع

***

رأيت الشمس طالعة كما شاهدت مصرعها
وقد أحسست مصرعها كما أحسست مطلعها
وأدركت على الحالين مبداها ، ومرجعها
ففيم حمدت غرتها وفيم ذممت برقعها ؟
ومن بالدمع بللها ومن بالدر رصعها ؟
ومن أنضب بعد الفيض والتهطال منبعها ؟
ومن ثبت فوق الفلك الدوار موقعها ؟



ومن عطل ناديها ومن فرق مجمعها ؟
ومن قدر لى وانا عليل أن اودعها ؟

***

لقد ودعت فى « تشرين » شمسا ذات اشعاع
اطلت من سماوات النهى تزهى بابداع
تخطت قمة التفكير وهى رهينة القاع
على نور البصيرة هل الى الابصار من داعى ؟
وكم من مبصر بالعين اعمى القلب مرتاع !
وماذا تنفع العينان قلبا ليس بالواعى ؟
لقد جازت مدار العمر فى خب وايضاع
فما بالت باسقام ولم تابه لاوجاع
وما زالت هنا حتى نعاها للملا ناعى ..

***

هنا قد مالت الشمس التى اطلعها « الازهر »
اما كانت هنا ـ والله ـ له يد تؤثر ؟ ..
اما كان هنا الشيخ الذى بالشك قد ثرثر ؟
وفى « ديكارت » منه ملامح بالشك او اكثر
وفى قصة « اسماعيل » كبر منه لا يجبر
تعالى الله ! عاد الشك ايمانا ، وقد انحسر
وآب ظلامه الدامس بالصبح الذى اسفر
اما تمت هنا المعجزة الكبرى التى تبهر ؟
اما كان هنا طفل ضرير العين قد ابصر ؟

***

« حديث الاربعاء » اليوم من يسكبه صرفا ؟
ومن يمزج فيه النقد لطفا فيه ، او عنفا ؟
ومن « للسيرة » الغراء لا يخرمها حرفا ؟
ومن « للفتنة الكبرى » يجليها لنا وصفا ؟

ومن يجهر بالرأى ، فلا جبن ، ولا خوفا
ومن اضفى على التعليم من كفيه ما اضفى ؟
ومن كالريح ان هفت ومن كالظل ان رفا ؟
ومن قد شغل الدنيا وفاقا فيه ، او خلفا ؟
لقد وفى الشعاع الغارب الرحلة ، واستوفى ...

***

وقفت على مغيب الشمس ادعوها ، فلا تسمع
اناديها ، وهل يغنى نداء الموت ، او ينفع ؟
واطمع من وداعيها بما ليس به مطمع
هنا قال لى الناصح : يا مغرور لا تخدع !
فمن راح فلا ياتى ومن ولى فلا يرجع
ومن ادركه المنزل هيهات بان يطلع !
فرحت الم الوانى من الخزى ، واسترجع
اكف النفس عن اوهامها فى الحادث المفجع
فكاس الدهر لا يوفى وسهم الموت لا يدفع ..

***

خرجت مع الجماهير غداة الدفن اتعب
وقد اوهى الاسى جسدى وهد كيانى الوصب
لعلى ابصر الشمس المضيئة ، وهى تنقلب !
فللشمس على الغرب فينا منظر عجب
وما اروع قرص الشمس ، وهى تكاد تحتجب !
هنا .. هان لدى الجاه ، والالقاب ، والرتب
هنا .. ادركت ان المجد شىء زائف كذب
هنا .. آمنت ان الفانيين : المال ، والنشب
هنا .. ايقنت ان الخالدين : العلم والادب ..

***

رايت الشمس قد مالت الى الغرب مقبره
كساها الموت من اكفانه فى خدرها صفره
وبللها الردى القتال من الالامها خضره
وادركها مصير لا يفوت الحر ، والحره ...
فقام الصبح يبكيها وينعب عندها فجره
وراح الروض يرثيها ويرثى معها عطره
ولم يبق على التوديع الا ساكب عبره
وقال الكون : ان الشمس قد ماتت ، فيا حسره !
نعم ! قد ماتت الشمس ، ولكن لم تمت فكره ...

● جون بادو ●
السفير الأمريكي في مصر سابقاً

الدكتور طه حسين وتجربته الذاتية

بعد فترة وجيزة من تولى فقيد الادب الدكتور طه حسين وزارة التربية والتعليم في مصر سنة ١٩٥٠، زرته للتباحث معه في دور وبرنامج الجامعة الامريكية في القاهرة، وكنت رئيسا لها حينذاك. وقد كانت مفاجأة لي ان اجد ان الفعال الوزير الرئيس، كان نقدا رقيقا لهذا المعهد لانه - على حد قوله - ليس «اجنبيا» بدرجة كافية! فلقد قال يومذاك: «على الرغم من ان هذه الجامعة هي مؤسسة امريكية، فانكم لا تدرسون فيها منهجا واحداً عن الادب الامريكي، أو التاريخ الامريكي، أو الثقافة الامريكية».

وعندما اوضحت له اننا لسنا في مصر لنشر قيم الثقافة الامريكية، بل بالاحرى للعمل في سبيل تطوير الثقافة المصرية، كان رده رحمه الله: «ولكنكم تستطيعون أن تحققوا هذا الغرض على نحو افضل، اذا يسرتم لنا معرفة قيمكم. فنحن نستطيع تدريس ثقافتنا، أما الشيء الذي نريده منكم فهو أن نتفهم ثقافتكم فهما افضل».



د. طه حسين : ترعرع في ظلال الثقافة الاصيلة

الدكتور طه حسين



لقد بدا هذا القول بمثابة نغمة غريبة فى وقت كان الشعور فيه بالقومية يتزايد ، اذ كانت هناك حركة عامة ضد صور كثيرة من صور التغلغل الغربى ، وكان التراث الثقافى الرائع للماضى الاسلامى والعربى والمصرى يحقق ذاتيته ، وكانت هناك اصوات وطنية كثيرة ترتفع مطالبة بتأميم المعاهد الاجنبية

ولقد كان طه حسين انسانا لا يعلى عليه من حيث الولاء العميق لتراثه ، ومن حيث غيرته الشديدة على النهضة المصرية · ومع ذلك فلم يكن هذا على ما يبدو ليتعارض مع تفهمه لقيمة الثقافات الاجنبية والحاجة اليها ·

وقد عرض الدكتور طه حسين وجهة نظره هذه فى مقال نشرته مجلة « الاثنين » فى فبراير ١٩٤٠ ، وكان لب الموضوع هو حث المصريين من جميع الطبقات على النهوض من الركود السياسى والثقافى والفكرى ، وتوكيد القوة والكرامة المتأصلتين فى مصر كامة وكشعب · وجاء فى ذلك المقال قوله :

« ان الواجب الوطنى الصحيح بعد ان حققنا الاستقلال واقررنا الديموقراطية فى مصر ان نبذل ما نملك وما لا نملك من القوة والجهد للشعب المصريين افرادا وجماعات ان الله قد خلقهم للعزة لا للذلة ، وللقوة لا للضعف ، وللنباهة لا للخمول ، وان نمحو من قلوب المصريين جميعا هذا الوهم الاثم الشنيع الذى يصور لهم انهم خلقوا من طينة غير طينة الاوروبى ، وفطروا على امزجة غير الامزجة الاوروبية ، ومنحوا عقولا غير العقول الاوروبية ، فهذا كله باطل سخيف » ·

بهذه الروح عبر طه حسين عن تجربته الذاتية · انه نهل العلم فى شبابه من المدارس التقليدية المعروفة فى ايامه حتى انتهى به المطاف الى الازهر الشريف ، وهو المعهد الدينى العتيد الذى يرعى الفكر الاسلامى ويعزز الدراسات الاسلامية ثم سافر بعد ذلك طلبا للعلم فى جامعة السوربون بباريس ، حيث برز له فجاة عالم جديد للفكر الحديث ، والتعليم الحديث · وقد عانى من شدة وطاة الصراع (بين القديم والجديد) شانه فى ذلك شان كثيرين غيره من طلاب زمانه الذين وجدوا انفسهم يقفون بين عالمين · وقد كتب فى تلك الفترة يقول :

« ان الايام قد القت بنا ، مع كرامتنا وديننا ، فى ساحة اسود ضارية » ·

وقد راى بعض المفكرين المصريين، عندما واجهوا هذين العالمين المختلفين

للعلم والثقافة ، الا يخوروا للشيهم ، ووجدوا الملاذ فى تمسكهم بكل قيمهم التقليدية ، ولم يروا فى الدراسات العصرية والغربية سوى التهديد

والبطلان . وهناك اخرون كانوا على استعداد للتخلى عن الماضى برمته والخوض بحماس فى الاساليب الاوربية

الجديدة ، دون تألم يذكر من هجرة الماضى الذى كيفهم ، اللهم الا الاحساس بشىء من اللوعة . اما الدكتور طه حسين فكان ينتمى الى فئة صغيرة العدد لم تقبل اياً من هذين السبيلين . وهنا اذكر ان الدكتور منصور فهمى ، وكان صديقاً حميماً له ووزيرا سابقا للتعليم ايضا .. قال ذات مرة لفريق من طلاب البعثات المصرية ، قبيل سفرهم الى اوربا طلبا للعلم : « تذكروا ان

الماضى يصرخ فى اذانكم . انكم قد تستطيعون تغييره ولكنكم لا تستطيعون ابدا احتقاره او الازدراء به » .

ان طه حسين لا يستخف بمنجزات وكنوز الثقافة الاصيلة التى ولد وترعرع فى ظلالها ، والتى اغترف من ينابيعها دراسته الاولى . الا انه كان يعتقد ان التغيير ضرورى اذا كان للعالم الاسلامى والشعب المصرى ان يقوما بدورهما الكامل فى النظام الجديد . وفى امكاننا ان نلتمس السبيل الذى اقترحه لتحقيق ذلك

التغيير ، فيما الحنا اليه من العبارات الاخيرة الواردة فى مقاله الذى سبق الاشارة اليه . لقد كان يعتقد ان

الفكر بانواعه ومناهجه ، واساسه المنطقى ، وموضوعه ، هو ظاهرة

عالمية باستطاعة اى فرد الانتفاع به وتطبيقه على ثقافته الذاتية ، وهكذا تناول طه حسين فى ايام دراسته

بالسوربون المنهج الديكارتى القائم على الشك العام ، ومن ثم بدأ يخضع كل عنصر من عناصر ثقافته الذاتية ، وكذلك عناصر الثقافات الاخرى ، الى المعايير الدقيقة للفكر الحديث . فما صح منها يثبت ، وما لم يثبت يصبح من تراث التاريخ ، ولكنه لا يكون مادة للانسان الحديث

وبهذا الاعتقاد امضى الدكتور طه حسين حياته فى تطبيق تجارب العالم المعاصر ومنطقه على جميع مناحى الحياة والفكر فى مصر . ولهذا اقدم ، فى مجال النقد الادبى

على تقييم الشعر الجاهلى من جديد . وفى مجال التعليم راح يزن اساليب ومحتوى المدرسة التقليدية مقابل احتياجات الانسان الحديث . وفى الفلسفة اخذ يقيم مرة اخرى فى ضوء المعرفة المعاصرة افكار فلاسفة الاسلام العظيمة . ولقد قام بهذا كله لا هدما للتراث العربى الفنى ، وانما توكيدا لقيمه الدائمة

وهكذا لم يكن ثمة « اجنبى » بالنسبة الى الدكتور طه حسين ، فراى فى تنوع الثقافات والاساليب التى جاءت من خارج مصر ، لا تحديا للعالم الاسلامى ، بل فرصة مواتية كى يتحدى ذاته وينتهض ويحى قوته الخلاقة المبدعة . وهذا هو السبب

الذى كانت من اجله كتاباته ـ فضلا عن حسن ديباجتها ـ تتحدث الى وتعبر عن اجيال الطلاب الذين كانوا يسعون بشدة الى توكيد كل طاقاتهم الفكرية مع البقاء على اخلاصهم لثقافتهم . وهذا ، فى النهاية ما كان يرمز اليه طه حسين فى زمانه ، وما اسهم به فى نهضة الفكر الاسلامى والروح المصرية ، وهى نهضة تجلت بمنتهى الروعة فى العقود الاخيرة ..

● جون بادو ● « من الهلال »

الحب مدينة محرمة

محمد الجيار

وَقفتُ أُراقبُ نزفَ الشُّعاعِ ..
بحجرةِ نومكِ ... والفجرُ طفلٌ ...
وَصوتكِ طيرٌ من البحرِ يأتى ...
ينامُ بصدرى ـ قليلاً ـ ويعلو
وكنتُ أرى فى الزُّجاجِ المُندّى ...
بريقاً لدَمعكِ يطويهِ ظلٌ
أتدرين أنى ذَرَعتُ المساءَ
وَوَجهُكِ من كلِّ ركنٍ يُطلُّ ؟
وكنت أجوسُ الميادينَ وحدى
وما من شُعاعٍ به أستدِلُّ .. !
وَرَغمَ ازدحامِ المدينةِ حولى
أراها تناءت من الناسِ تخلو !
أتكذب حتى المصابيحُ ليلاً ؟
وتوهمُ أنَّ المدينةَ .. حَفلُ ؟
وكالحبِّ أمشى بغيرِ مكانٍ ...
وأنتِ المكانُ الذى أستظِلُّ

وكالموتِ أمشي بغيرِ صديقٍ
ولا يرتجيني صغيرٌ .. وكهلُ
وكنتُ مع الحبِّ أهوى الرحيلَ
فأصبحتُ من كلِّ دربٍ أملُّ ...
وقفتُ أراقبُ نزفَ الشعاعِ
بحجرةِ نومِكِ .. والفجرُ طفلُ
وفي اسكندريةَ ... قبلَ الهزيع
مجاعةُ صمتٍ .. وخوفٌ مذلُّ
كأني أسيرتُ بقصرِ المرايا
وحزني له ألفُ وجه يطلُّ
هنا تقطنينَ ببيتٍ أنيقٍ ..
على بابهِ للتعاسةِ .. قفلُ
عرفنا الحياةَ .. وما عرفتنا ،
ولم نسأمِ الدربَ .. وهو يملُّ ..
وفي كلِّ صبحٍ نعودُ .. فنحيا ..
وعند المغيب .. مع اليأسِ نقتلُ ..
ولو خيرتني الرياحَ قليلاً
لقلتُ : بصدركِ موتيَ يحلو ...
أطوفُ أسيراً بقاعِ سفينٍ
أرى الموجَ من كوّتي وهو يعلو
وألمح شطاً بعيداً ... ودوراً ..
.. تفيء ... وأرضاً بها طالَ نخلُ
وأسمعُ حتى السنابلَ تنمو
وزهراً عليه تعانقَ نحلُ

وذاكرتي القبو .. أسكنُ فيه
وقد كان لي منزلٌ فيه أهلُ
وتمضي السفينةُ بي .. دون مرسى
وروحي حبيسٌ ... وجسمي أشلّ ..

***

وقفتُ أراقبُ نزفَ الشعاع ،
بحجرةِ نومكِ .. والفجرُ طفلُ ..
تنامين في حضنِ زوجٍ ثريٍ ..
فكيف استباحَ ربيعك كهلُ ... ؟
وصدرُك كان أبيّ الثمار
عنيدا تكبّر ... لا يستذلُ ...
تهاوى .. فأغفى عليه الصقيعُ ،
.. وفي رعشةِ الريحِ للوردِ ثكلُ ...
فضمّي وسادةَ ذكرى ... ونامى ..
يقطرُ ذُرْها من دموعكِ ـ فلُّ ...

***

أسيرُ وتركلني ذكرياتي
وبين الخفقتينِ للصمتِ نصلُ
سأمشي .. يحدّه المصابيحَ دمعي
إلى أن تنام ... ودربي مثملُ
ومهما رحلتُ وراء مكاني ...
عبيرك في كلِّ شيءٍ يحلُّ
أحقاً فصولُ الزمانِ توارت
وفي ناظريكِ ... لعمريَ فصلُ ؟ ..





د. سيد كريم

أين توجد مقبرة الإسكندر الأكبر؟

كانت حياة الاسكندر الاكبر على قصرها اسطورة تداولها كتاب العالم واثريوه ، وشغلت المؤرخين والباحثين خلال مختلف العصور . وكان ختام الاسطورة اكثر غموضا، وينتظر الجواب المقنع على السؤال الحائر : اين مقبرة الاسكندر ؟

لقد ورد في وصية الاسكندر التي كتبها قبل وفاته ، امنيته ان يدفن في واحة آمون بسيوه بالقرب من أبيه الأله زيوس آمون. ثم ورد في برديات ديودورس الصقلي الذي وصف جنازة الاسكندر ونعشه الذهبي الذي وصل موكبه الى مصر في اواخر سنة ٣٢٢ ق.م بأنه لم يكمل رحلته الى سيوه بل انتقل الى منف عاصمة البلاد التي توج فيها ملكا على مصر ، كما وصف تابوته الذي صنع من المرمر الذهبي على شكل سرير ، ودفن في معبد جنائزي خاص بالقرب من معبد الاله بتاح . بينما اجمع اكثر من مؤرخ من مؤرخي عصر البطالسة ومؤرخي الرومان بانه دفن في مدينة الاسكندرية التي اسسها واصبحت عاصمة البلاد التي تحمل اسمه .

كانت تلك المواقع الثلاثة موضع اهتمام كثير من الباحثين وعلماء الآثار ابتداء من القرن الثامن عشر وحاول كل منهم بما تحت يديه من ادلة ومستندات تحديد مكان المقبرة وكان اخرها الحفائر التي اجريت اخيرا في اكثر من موقع بالاسكندرية وكلما زادت الحفريات عمقا .. زاد السر غموضا .. فاين مقبرة الاسكندر الاكبر ؟



الاسكندر الاكبر

اشتهر فيليب المقدونى بفتوحاته المشهورة التى اخضع بها اثينا واسبرطة وشرق البحر الابيض، ثم وضع خطة للزحف على بلاد الفرس ولكنه قتل عام ٣٣٦ ق . م بعدما أعد عدته للاغارة عليها .

فخلفه ابنه الاسكندر ليحقق مشروعات أبيه ، فاكتسب بين عظماء الفاتحين اسما خالدا ... كانت سنه عند توليه العرش عشرين سنة، وكان أرسطو قد باشر تربيته منذ الثالثة عشرة من عمره ، ودرس الفلسفة والادب والهندسة والرياضيات على يد اساتذة وحكماء الاغريق ، وشب متشبعا بالحضارة المصرية التى تلقتها عن استاذه ارسطو الذى درس مع افلاطون فى جامعات مصر القديمة واعتنق الديانة المصرية القديمة وعبادة زيوس امون قبل حضوره الى مصر .

فى سنة ٣٣٤ ق . م سار بجيشه نحو اسيا فعبر البوسفور والدردنيل وهزم جيش فارس واستولى على المستعمرات الاغريقية فى اسيا الصغرى ، ثم التقى بالفرس مرة اخرى بقيادة دارا الثالث فانتصر عليه ، ثم اتجه الإسكندر جنوبا واخضع المدن الفينيقية ، ثم استولى على مدينة صور .

ثم سار نحو مصر ، وكانت الا ذاك تحت حكم الفرس ودخل مصر فى خريف عام ٣٣٢ ق م ولم يجد صعوبة فى دخولها فقد كان المصريون ساخطين على الفرس حتى انه لم يجد ابوابها مفتوحة فحسب بل وجد ان المصريين قد انضموا اليه لتحرير بلادهم من المستعمر الفارسى .

كان اول عمل قام به ان توجه باسطوله من قناة السويس الى منف حيث اعتنق الديانة المصرية وقدم قربانا للعجل ابيس كما اعتنق كثير من قواده الديانة المصرية . واقام الحفلات الرياضية والموسيقية احتفالا بتتويجه وأحضر لها من بلاد الاغريق اشهر المغنين والموسيقيين والراقصات وقدم الهدايا والقرابين للمعابد المصرية وكهنتها .

ومن منف اتجه بجيشه برا نحو الجنوب حتى وصل الى الشلالات وقام بزيارة الكرنك وقدم القرابين للاله امون . وأمر باصلاح بعض المعابد وخاصة معبد تحتمس الثالث القائد البطل وسجل زيارته وتقربه للالهة على جدران المعبد .

وعند عودته الى منف انتقل منها عن طريق فرع نهر النيل الكانوبى الذى تصب عند الاسكندرية فى بحيرة مريوط ومنها اتجه الى واحة سيوه لزيارة معبد زيوس امون .

وتعد زيارة الاسكندر الاكبر لسيوة ومعبد امون ، ثانى حدث هام فى حياته بمصر بعد زيارته لمنف . كان



خريطة الاسكندرية باسوارها القديمة تظهر بها
فرع القنوات الممتدة من الفرع الــكانوبي .

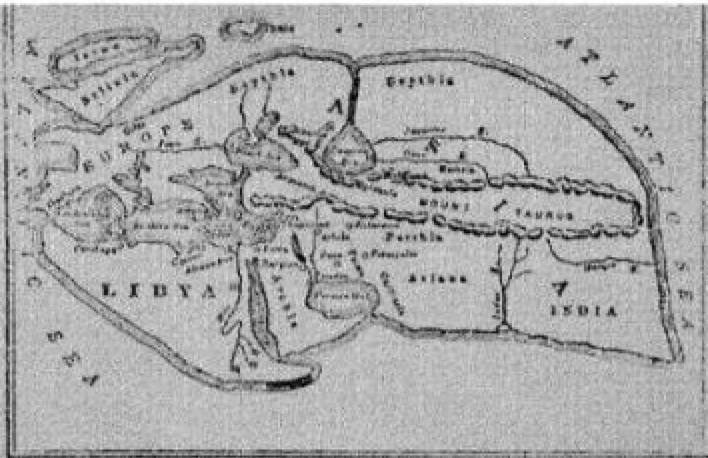
لمعبد امون اهمية خاصة عند الملوك والقــواد الاغريقيين بصفة خاصة يتبركون بالاله زيوس امون ويؤمنــون به ويستشيرونه في شــئونهم وكان اهتمامهم به اكثر من اهتمام المصريين

انفسهم الذين يعتبرونه اقل اهمية ومكانة بجانب معابد امون في منف وطيبة

ويعتقــد الاسكندر أن الاله امون الذى امن به في صورة زيوس كان له الفضل في انتصــاراته وفتوحاته وحمايته وشل قوة اعدائه الذين يفوقونه عددا . فلقصــد قرر أن يزور الاله في سيوه ويتلقى استشارته قبل ان يكمل غزواته لبحتل العالم .

كما اراد ان يؤكد ، كما ذكر المؤرخ الاغريقي كالستينس الذى رافقه في رحلته ، انه مثــــل هيراكليس وبرسيوس الذى تنحدر سلالتــــه من نسلهما وكلاهما ابن زيوس الاله وامه من البشر ، لذا فكانت رغبته وامنيته ان ينسب نفسه للاله امون وامون واحة سيوه بالذات زيوس امون التى ذكرت في اشعار البطولة الاغريقية القديمــة

وقد ذكر المؤرخــون ومن بينهم استرابون وكالستينس كثــيرا من



خريطة العـــالم التى وضعت فى عهـــد الاسكندر وتنتهى حدود القـــارات فيهـــا عند حدود البـــلاد التى قـــام بغزوها والبحار التى وصـــل اليهـــا وتظهر الاســـكندرية فى مركز العـــالم وهى اول خريطـــة فى العـــالم ..

الاســـاطير والتى وردت فى برديات بطليموس الاول منها أن الاسكندرضل الطريق فى مجاهل الصحراء فخرجت له الكوبرا (سيدة الحياة) وحامية المعبد لتسير رافعة الراس امام القافلة حتى اوصلته الى المعبد ، وقصـــة دخوله محراب الاله امون وانه سمع الاله ينـــاديه بقوله « يا بنى » وانه باركه فى حروبه المقدسة وناداه ليأتى الى ســـيوة لزيارته . ويؤكد المؤرخ سترابون انه شاهد بنفســـه تمثـــال امون المصنوع من اربعة عشر جزءا من مختلف المعادن والاحجار النفيسة وكيف كان يجيب عن اسئلة الاسكندر بحركة من يديه وايماءه من رأسه . كما سمعوه وهو يخاطب الاســـكندر بقوله :

« انك ابنى وانى اعطيتك الشجاعة وامرتك ان تحضر لزيارتى انى امنحك السيطرة على كل البلاد وكل الاقطار الاجنبية تحت قدميك » .

مدينة الاسكندرية :

وصل الاسكندر الاكبر الى موقع مدينة الاسكندرية بعد الاحتفـــال بتتويجه فى منفيس انحدر بأسطوله من منف الى فرع النيل الكانوبى الذى كان يصب فى بحيرة مريوط . وقـــد اختار الاسكندر بنفسه موقع مدينـــة الاسكندرية فى المـــوقع الذى كانت تحتـــله قرية راوقوده (راكوتس) الشهيرة بصيد الاسماك .

ويقول المؤرخ سترابون أن خيـــال الاسكندر كان ميـــالا للتأثر بكل المؤثرات التى جاءت فى أقوال الشاعر الاغريقى هوميروس واتجه تفكيره الى اختيار موقع مدينته التى تحل محـــل مدينة صـــور وميناؤها العظيم فى جزيرة فاروس التى ورد ذكرها فى اشعار هوميروس . ولكنه لما اكتشف ان الجزيرة صغيرة وليست كافيـــة لاقامة المدينة التى يطلبها ، استشار الالهة فى صلاحـــية الموقع ، وكانت



خريطة العالم التي وضعها بطليموس الثاني

اجابتهم مرضية ومشجعة على أن يضم الى الجزيرة جزءا من الشاطىء المواجه لها والمحصور بين شاطىء البحر وشاطىء بحيرة مريوتيس على ان يربط الجزيرة بالشاطىء .

فوضع بنفسه تخطيط المدينة نظرا لالمامه بالفنون الهندسية التي درسها على ايدى اساتذته الاغريق ، كلف المهندس ديتوكراتيس الذى احضره من رودس للاشراف على تنفيذها .

واشتمل التخطيط على ربط جزيرة فاروس بالشاطىء برصيف عرضه ١٤٠٠ متر (هيباستاديون) وبذلك

اشتملت المدينة على ثلاثة موانىء متجاورة . الميناء الغربى وهو الميناء الحربى (ارنوستوس) والميناء الشرقى (كيبوتوس) وهو الميناء التجارى والسياحي واطلق عليه اسم العود السعيد . والميناء الثالث على شاطىء بحيرة مريوط (مريوتيس) التي تصل الإسكندرية بمنف بواسطة فرع النيل الكانوبى .

وقد وضع تصميم مدينة الاسكندرية على طريقة تصميم المدن الهيلينية ذات التخطيط المتعامد يحيط بها سور دفاعي طوله عشرة اميال . ويخترق المدينة شارعان رئيسيان ينتهي طرف كل منهما بباب من ابواب المدينة الاربعة ، كما انقسمت المدينة الى مجموعة من الاحياء يتوسطها الحي الامبراطورى (البروشيون) . وقد وصفه المؤرخ بلوخ فى عام ٢٠٠ق.م ان الحي يتوسطه طريق الاستعراضات أو طريق الاعمدة الذى يمتد من شارع النبى دانيال الحالى الى الشاطىء حيث يقع معبد ايزيس وتمثالها الرخامي الكبير ويقع الى جانبه الايمن قبر الاسكندر .

كما اقيمت بالاسكندرية منارتها المشهورة التى أطلق عليها عند انشائها منارة الاسكندر ، وقد اقامها



تخطيط مدينة الاسكندرية بعد أن تم
انشاؤها « القرن الأول قبل الميلاد »

سوستراتوس يبلغ ارتفاعها ٤٠٠ قدم وكان اسمها المصرى القديم المنارة هو الذى أطلق على جميع منارات موانىء العالم فيما بعد ، كما أخذ المسيحيون عنها شكل أبراج الكنائس المسيحية الأولى ، وأخذ العرب منها تصميم أول منارة فى الاسلام التى شيدت بجامع عمرو بن العاص فى الفسطاط ، ونقلت عنها منارة جامع قيروان التى تحمل نفس الطابع والتصميم ، وكانت فكرة عمل المئذنة نقلا عن منارة الاسكندرية أن أطلق على المئذن فى العصور الاسلامية الاولى اسم المنارات كما ذكر المؤرخ بيلوخ أن الاسكندرية فى عام ٢٠٠ ق م بعد أن تم تشييدها ، كان عدد سكانها مليون ساكن وانها كانت تعتبر ثانى مدينة فى العالم بعد روما ، كما كانت تتكلم بعدة لغات ، فكانت اللغتان المصرية والاغريقية هما اللغتان السائدتان ، تليهما مجموعة من اللغات العبرية والارامية والهندية وكان كل منها ينحصر فى حى مستقل من الاحياء الشعبية •

واقيم على بحيرة مريوط القصر الامبراطورى العائم وكان أحد عجائب الاسكندرية وقد بنى على عوامات •

كما ذكر بلوتارك أن الاسكندرية كانت أول مدينة عرفت الفنادق على البحر الابيض ، وكان يطلق عليها اسم قصور الضيافة ، كما كانت المدينة مزودة بقنوات للمياه تحت الارض تنقل اليها المياه من قناة رئيسية تأخذ مياهها من النيل وتحفظ فى خزانات تحت البيوت ترفع منها المياه بالرافعات والمضخات •

كما اشتهرت المدينة بحدائقها التى امتدت حتى كانوبيس (أبو قير) التى تحتوى ملاهى الاسكندرية وملاعبها ، وأول اسم اطلق على الاسكندرية بعد انشائها اسم نو الفرعونى أى المدينة الكبيرة ، ثم اطلق عليها اسم « عروس البحر الابيض » عندما أصبحت عاصمة

البلاد وهو الاسم الذى لازمها طوال تاريخها حتى اليوم • ومن المنشآت الرئيسية التى اشتمل عليهـا تخطيط مدينة الاسكندرية جامعة الاسكندرية المشهورة واكاديمية العلوم ومعهـــد

الفنون والمكتبة ومدرج الالعاب ومعبد الاله بلوتو (الذى يمثل اوزوريس عند الاغريق) وقد نقل تمثاله من سينوبى (الواقعة على البحر الاسود) وتذكر

برديات زنون المصرى ان ذلك المعبد هو سيرابيوم الاسكندرية الذى تحول الى المقبرة الملكية المقدسة التى دفن فيها •

وقد ذكر سترابون المؤرخ السكندرى « ان نجاح انشاء الاسكندرية اعظم مدن العالم القديم واهمها موقعا من حيث التجارة البحرية والعظمة الفنية يرجع الفضل فيه اولا واخرا الى ذكاء هذا الرجل الفذ فى ارائه وتصميماته»

غادر الاسكندر مدينته بعد ان وضع حجر اساسها واميتحقق حلمه برؤيتها بعد ان خرجت الى حيز الوجود ولكنها خلدت اسمه واحتضنت جثمـــانه واحتفظت بسر مكان مقبرته •

● بعد ان اتم الاســـكندر الاكبر وضع حجر الاساس لمدينة الاسكندرية امضى الشهر الاخير من اقامته فى مصر

فى مدينة منف ، وكانت اولى المهام التى قام بها تنظيم أحوال البلاد وتنظيم الادارة الحكومية ومنح مصر حكمـا



فنار الاسكندرية

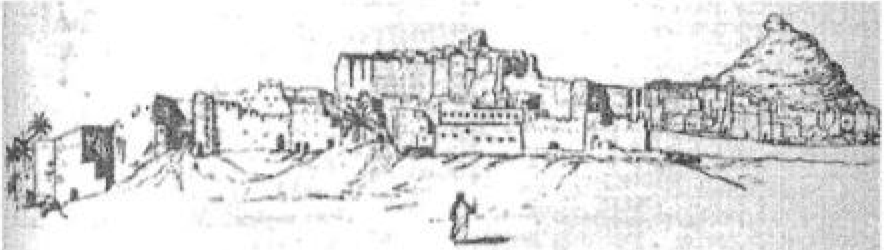


الاله زيوس آمون

ذاتيا ثابت الاركان ، ويدير حكم البلاد حاكمان احدهما مصري بتيزي (عطية ايزيس) واخر فارس من اصل مصري (دولواسبيس) ـ كما ذكر عالم الاثار المصري الكبير الاستاذ سليم حسن .

وبعد ان وطد الحكم في مصر زحف الاسكندر بجيوشه الى اسيا للقضاء على ملك الفرس العظيم عام ٣٣١ق م ـ ومن هذا التاريخ اخذت فتوحاته تترى وانتصاراته تتوالى فاستولى على امبراطورية الفرس وبلاد الهند وظل النصر حليفه الى أن وافاه الموت في بابل ولم تتعد سنه ٣٢ سنة وثمانية أشهر ، مات عند غروب شمس يوم ٤ من شهر برمودة المصري (٢٨ اغسطس) عام ٣٢٣ ق . م .

● لم ينقل جثمان الاسكندر الاكبر الى مصر بعد وفاته في بابل مباشرة بل تأخر سنتين حيث قرر قواده برئاسة بطليموس الاول أن يعدوا له موكبا فخما يتفق مع عظمته وبطولاته وقد استغرق صنع التابوت الحجري وعربة الموكب التي تحمله ما يقرب من السنتين اشترك في صنعها مجموعة من الفنانين المقدونيين والفرس والشرقيين . وقد صنع التابوت الذي حفظت فيه الجثة بعد تحنيطها من خشب الصندل والأرز وكسيت بألواح من الذهب المطروقة وملئت بالطيب ليحفظ الجثمان ويملأ المكان رائحة عطرة وكان غطاء التابوت من الذهب الموشى بالفسيفساء ووصفه ديودورس المؤرخ الصقلي أن طول التابوت كان اثنى عشر ذراعا وعرضه ثماني أذرع تحمله ستة اعمدة أيونية ، وفي كل ركن من أركانها لوحة من لوحات النصر ، وكان التابوت في مجموعه وتفاصيله تحفة رائعة . كما تعلو التابوت قبة العرش التي تغطي الفراغ



واحة سيوه وجبل الوحي



بوابة معبد زيوس آمون – سيوه

كله، ويحيط برواق التابوت مقصورة من مشربيات من شبكات من الذهب يبلغ سمك اضلاعها وخيوطها اصبعا، وزخرفت على اشكال أوراق شجر الاكاسيا والزيتون وزهور اللوتس المصرى المقدس . ويحمل السقف مجموعة من الاعمدة ذات التيجان الايونية الطابع التى تتميز بالجمع بين الفن المقدونى والفارسى .

ويسير النعش على عجل تجره ٦٤ دابة تسير فى ثمانية صفوف بكل صف ثمانى دواب مثبتة فى اربعة عروش لقد بدأ الموكب العظيم سيره من بابل فى أواخر عام ٣٢٢ ق . م فى طريقه الى مصر مارا بدمشق ، وقد تقدمه بطليموس الاول بجيشه حتى حدود سوريا بدعوى تقديم الاحترام للفقيد العظيم ، ولكن هدفه الرئيسى كان حمايته من جنود بريديكاس الذين كان يخشى تآمرهم عليه والاستيلاء على جثمان الاسكندر وكنوزه التى يحويها الهيكل المتحرك وتابوته .

وقد نجح بطليموس بهذه الطريقة فى أن يضع يده على جثمانه الذى الهه المصريون عندما نودى به ابنا للاله آمون ، وبذلك أمكن لبطليموس الاول أن ينادى بنفسه ملكا ووريثا للعرش كابن للاسكندر الاكبر ومن سلالة الاله امون .

لقد أجمع المؤرخون على وصول جثمان الاسكندر وموكبه الى مصر وهو ما يكذب الاسطورة التى انتشرت بين كثير من الناس والتى ارتبطت بوجود تابوت الاسكندر الاكبر فى الاستانة والذى يعتبر من مفاخر متحفها . وقد تم اكتشاف التابوت فى صيدا وقد حلى بمجموعة من النقوش والزخارف البارزة ومن بينها صورة الاسكندر واسمه . وقد اختلف الاثريون فى تفسير حقيقة ذلك التابوت فيرى البعض انه حقيقة تابوت الاسكندر الذى حفظ فيه جثمانه مدة سنتين حتى تم صنع التابوت الملكى المصنوع من الذهب والاحجار الكريمة والاخشاب المقدسة

الذى نقل فيه الى مصر • وان التابوت الحجرى الاصلي ، نقله بعض اعوانه الى صيدا ميناثه الاصلي للتبرك به والاحتفاظ به على سبيل الذكرى •

بينما يرى البعض الاخر انه لاحد كبار ضباطه الذين استشهدوا خلال المعارك كانوا يتبركون بحمل اسمه وصورته كنوع من التقديس • لقد اتفقت الكتب جميعها على ان الاسكندر قد دفن فى مصر ولكنها اختلفت على مكان دفنه ووجود مقبرته •

فأول النظريات التى ظهرت فى مراجع مؤرخى القرنين الخامس والسادس بعد الميلاد تؤكد وجود مقبرته فى معبد امون فى سيوه ، وقد استندوا فى ذلك على الوصية التى كتبها الاسكندر قبل وفاته والتى طلب فيها ان يدفن بجوار ابيه الاله امون وقد اكد تلك النظرية ما ذكره بعض المؤرخين بانه احتفل فى معبد امون فى سيوه بدفن الاسكندر ، وكان الناس يحجون لزيارة قبره والتبرك به بعد ان الهه كهنة المعبد •

والنظرية الثانية وهى نظرية دفنه فى منف فى معبد بتاح الكبير • ويكتب المؤرخ العربى الكبير الدكتور سليم حسن عن المؤرخ بوزيناس قصة قبر الاسكندر ان جثمانه عندما وصل الى مصر لم تكن مدينة الاسكندرية قد انشئت بعد فلأسباب سياسية رؤى ان يدفن فى منف العاصمة التى توج فيها ، كما ان المصريين كانوا اكثر تقربا لمعبد منف من معبد سيوه الذى كان يعد من المعابد الثانوية بالنسبة لمعبد وكهنة منف كما ان وجوده فى منف يقوى من مركز خلفائه من ملوك البطالسة وعلاقتهم بالشعب ، وقد بقى جثمان الاسكندر فى معبد الاله بتاح بمنف مدة اربعين سنة حتى قام بطليموس الثانى بنقله الى مدينة



العملة التى ضربت فى الاسكندرية وتحمل صورة الاسكندر واسمه بمناسبة تحويل الاسكندرية الى عاصمة للبلاد •

الاسكندرية بعد أن تم بنـاؤها عام ٢٤٦ ق · م حيث احتفل بدفنه فى احتفال كبير فى معبد ايزيس الجنائزى بالحى الامبراطورى وقد وصف أكثر من مؤرخ ممن زاروا قبر الاسكندر وكان يعرف باسم سوما أى الجثمان العظيم · وصفوا فخامة المعبد وقاعة الصلاة وقاعة البكاء والدهاليز المحيطة بالمقبرة والتابوت على شكل المصرى، وكان الدفن وقاعاته بأكمـله تحت الارض يعلوه هيكل المعبد ·

ويؤكد مؤرخو عهد البطالسة بصفة عامة تأكيدا قاطعا عن وجود مقبرة الاسكندر بالاسكندرية نفسها · فذكر فيلادلف أنه أمر بتشييد مقبرة لوالديه بطلميوس وبرنيس فى مكان قريب من الحائط الشرقى لمقـبرة الاسكندر العظيم ·

كما أن فيلوباتور أقام ضريحـا كبيرا جمع فيه كل آبائه وأجـداده وألحقه بمقبرة جده الاسكندر ·

ولم تكن مقبرة كليوباترا وانطونيوس بعيدة عن مقبرة الاسكندر حيث ذكر أنها تقع بالقرب من الجـدار الشرقى لمعبد ايزيس بلوزيا ، كما أن ما يؤكد وجود قبر الاسكندر فى الاسكندرية ما ذكره بلوتارك من أن التـابوت الذهبى الذى كان يحوى جثمان الفاتح العظيم أخذه بطليموس الحادى عشر سنة ١٠١ ق م ووضع مكانه تابوتا من الزجاج · كمـا ذكر البعض أن كليوباترا فى عهد من عهود القحط نهبت النفائس الموجودة فى مقـابر آبائها وأجدادها ومن بينهم الاسكندر نفسه ·

وعلى خلاف البطالسة سـلالة الاسكندر أبدى أباطرة الرومان بوجه عام احترامهم وتقديسهم لدفن البطل المقدونى · عندما دخل اكتافيوس الاسكندرية زار قبر الاسكندر وركع أمامه ووضع تاجا من الذهـب على



بطليموس الثانى .. نقل العاصـمة الى الاسكندرية ونقل مقبرة الاسـكندر الى المديـنـة التى حملت اسـمه ·

رأسه وكان ينثر الزهور على جثمانه فى أعياد الاحتفالات بالاسكندرية ·

كما يذكر التـاريخ أن الامبراطور كراكلا عندما نزل بأسطوله عند شاطىء الاسكندرية كان أول شىء قام بعمله أن توجه الى قبر الاسكندر ومعه قـواد جيشـه وصلى أمام القبر ثم خلع معطفه وقلادته ومجوهراته ووضعها فوق الضريح وقال انه وفاء للنذر ·

وتحكى الاساطير القديمـة أن سبتيموس سـاويروس ملأ تابوت الاسكندر بمجموعة من البـرديات المتصلة بعلوم السحر والتنجيم وأسرار العرافات أرسلها له كهنة معبد زيوس امون فى سيوه وكانت هى السبب فى



اول قلاع الاسكندرية القديمة على شاطئ الميناء الشرقى

اخفاء القبر عن اعين الناس حتى لا يمسه احد بسوء . وانها كانت سببا فى اختفائه ليبقى فى حماية الآلهة التى ينتمى اليها .

ولكن من المؤكد ان مقبرة الاسكندر بل والحى الامبراطورى باكمله قد اختفى فى القرن الثالث بعد الميلاد فلم يذكر احد من مؤرخى العهود التالية شيئا عن قبر الاسكندر ومكانه وما حدث له وسبب اختفائه .

فليس هناك من شك ان قبر الاسكندر بالاسكندرية ، مع مجموعة أخرى كبيرة لا تقل اهمية عنه من مقابر ملوك البطالمة التى لم تحرق وفقا لشعائرهم الدينية كقبور كل من كليوباترا وانطونيو وبطليموس فيلادلف وبطليموس فيلباتور ، كذلك مجموعة كبيرة من عظماء وفلاسفة وعلماء الاسكندرية الذين كانوا يدفنون بالقرب من الاسكندرية تشبيها له وتكريما لهم كما ذكر كليماندرس السكندرى عن تقدير المصريين لعلماء وحكماء جامعة الاسكندرية .

ويذكر ايفاريستو بريشيا الذى كان مديرا للمتحف الاغريقى بالاسكندرية فى دراساته القيمة التى قام بها فى الكشف عن مقبرة الاسكندر ان القديس يوحنا الذهبى الفم فى احدى مواعظه يسال :

« قل لى اين توجد مقبرة الاسكندر ؟ » .

ويحكى قصة بناء كنيسة باسم النبيين الياس ويوحنا ويقال انه عند حفر اساسات الكنيسة عثر على كنز مدفون يحتوى على تحف والآثار تعود الى عهد الاسكندر ويعرف المكان باسم ديماس ـ نحاس .

كما نذكر انه حتى القرن السادس عشر كان المسلمون يكرمون ويتبركون بمسجد ذو القرنين وعرف بعد ذلك باسم مقبرة النبى والملك اسكندر، ويقع مكان مسجد النبى دانيال الحالى -

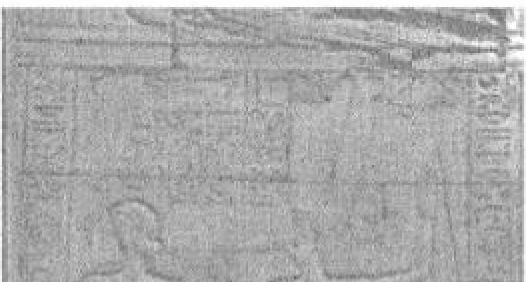
كما اكد اكثر من كاتب من كتـــاب العرب الذين زاروا الاسكندرية خلال القرنين الرابع عشر والخـامس عشر عن زيارتهم لقبر الاسكندر · ووصفه البعض بأنه قد اقيمت فوق أطلال القبر الذى سلبت محتوياته كنيسة مرقص القبطية المتاخمة لشارع النبى دانيال (ميدان كوم الدماس) ·

● لقد اجمعت اكثر المراجـــع التاريخية الموثوق بهـــا على أن قبر الاسكندر موجود بالاسكندرية ، وانه كان يطل على البحر فى نهاية طريق الاعمدة الذى يتوســـــط الحى الامبراطورى ويمتد من الميدان الكبير الى المعبد الجنائزى – وربما كان هذا الوصف هو الذى حث البـاحثين فى السنوات الماضية من أجراء الحفريات

فى ميدان تمثال سعد زغلول الذى تنطبق عليه تلك الاوصاف وحديقـة

القنصلية البريطانية · لانهمـــا على امتداد شارع النبى دانيال الذى يرجح أنه كان طريق الاعمدة نفســـه الذى ينتهى عند شاطىء الميناء الشرقى ·

فاذا رجعنا الى تاريخ مدينـــة الاسكندرية وما طرأ عليها من تغيير جغرافى واحـــداث فى عصورها القـــديمة نجد أن جميع الحفريات



الاسكندر الاكبر يقدم القرابين للاله من – معبد الكرنك

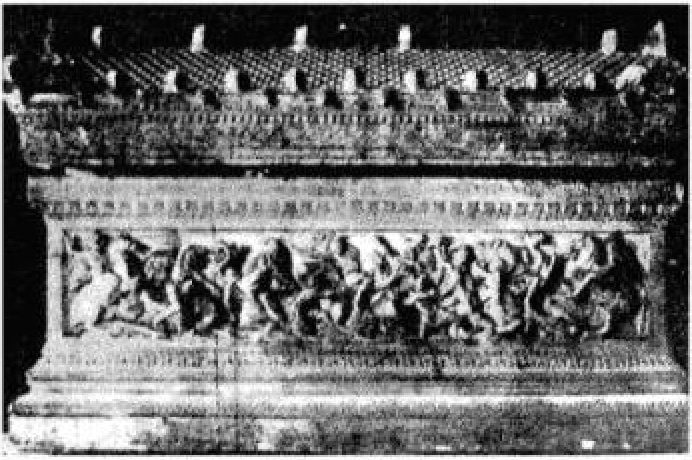
والآثار القديمة التي اكتشفت تقع على عمق يتراوح بين ٧ - ٩ أمتار من سطح المدينة الحالية مما يؤكد أن المدينة قد تعرضت خلال تاريخها القديم الى زلزال كبير وتقلصات أرضية كان من نتيجتها أن هبط سطح المدينة وغمر البحر جزءا منها وهو الذي تعرضت له الاسكندرية في القرن الثالث بعد الميلاد - وهي الفترة الغامضة في تاريخ الاسكندرية والتي ذكرت بعض المراجع القديمة أنها كانت فترة ثورات واضطرابات .

وتدل طبيعة تكوين المدينة وشواطئها واحواضها المائية أن بعضها لم يكن موجودا بالمدينة القديمة مما يرجح أن شاطىء المدينة الأصلي كان عند قلعة قايتباي وأن حوض الميناء الشرقي نفسه كان ضمن احياء المدينة الرئيسية الذي يمتد خلاله طريق الاعمدة والميدان الامبراطوري الذي هبط بأكمله تحت البحر وغمرته المياه .

● تدل طبيعة التكوين الجيولوجي والجغرافي لمدينة الاسكندرية وشواطئها أن جزءا من أحواضها الحالية لم يكن موجودا في المدينة القديمة، مما يرجح أن شاطىء المدينة الاصلي كان بالقرب من قلعة قايتباي الحالية وأن حوض الميناء الشرقي نفسه كان أحد الاحياء الرئيسية المواجهة لشارع النبي دانيال ، وأن الحي بأكمله هبط خلال الزلزال تحت سطح البحر فكان اللغز الذي حير الباحثين والأثريين وضللهم في تحديد مكان المقبرة ومعبد أيزيس بالقرب من الشاطىء الحالي الذي يعتبر مدخل الحي الامبراطوري وبداية طريق الاعمدة وليس نهايته .

إن المشروع المقترح للكشف عن مقبرة الإسكندر، والحي الامبراطوري بأكمله بما يحويه من ثروة اثرية لا تقدر بمال (بما في ذلك معبد أيزيس

تابوت الاسكندر الذي وجد في صيدا محفوظا في متحف الاستانة .





مشروع تحويل كورنيش الشاطئ، وتجفيف حوض الميناء الشرقي .

وتمثالها المشهور ومقابر كل من كليوباترا وانطونيو وبعض اباطرة البطالسة ومقابر علماء الاسكندرية القديمة وعظمائها) يشمل تجفيف حوض الميناء الشرقي بواسطة عزله عن البحر وكذلك الفتحتين الضيقتين مع مد شارع الكورنيش نفسه - كما هو مبين في الخريطة - من منطقة رصيف السلسلة ليمر مكان الرصيف العالي مارا بالقلعة ورأس التين ليستمر حتى يصل الى الميناء ويكمل الطريق الدائرى اللازم لتخطيط الإسكندرية تخطيطا عمرانيا حديثا، ثم ترفع مياه حوض الميناء الشرقي الى البحر حتى يجف الحوض بأكمله ويكشف قاعه ما يحويه من أسرار طواها التاريخ الوف السنين .

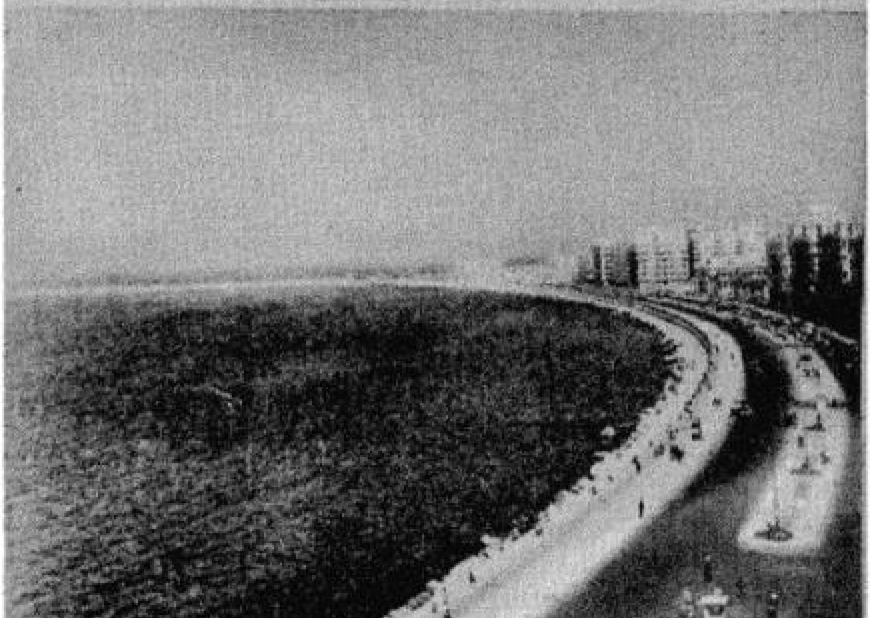
لقد تم اعداد ذلك المشروع ضمن مشروع التخطيط السياحي العالمية الاسكندرية ، وتقدمت به للجهات المسئولة عام ١٩٦٢ وكان موضع اهتمام الصحافة العربية والاجنبية خاصة بعدما قامت دار الهلال بنشر تفاصيله وطالبت المسئولين بتنفيذه .

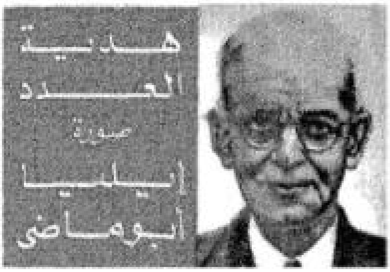
وقامت الضفادع البشرية بالقوات المسلحة بعمل بعض التجارب والبحوث التي كشفت فعلا عن وجود بعض الاعمدة ورأس تمثال من الرخام مدفون في رمال القاع يرجح انه كان تمثال ايزيس الذي كان يرتفع فوق المعبد الجنائزي . وقد رؤى صرف النظر عن المشروع لارتفاع تكاليف تنفيذه، وعدم وجود الاعتمادات اللازمة والتي قد لا تتوازن مع ما يحتمل استكشافه من اثار وتحف تاريخية؟

والرد على هذا الاعتراض له وجهان اقتصاديان فاذا تحققت النظرية وكشف قاع الحوض عن أسراره فظهرت مقبرة الاسكندر وما حولها من آثار مدينة تاريخية بأكملها وهي ثروة أثرية ومادية لا تقدر بثمن ولا تقل أهمية عن مقبرة توت عنخ آمون نفسها التي جذبت انظار العالم عشرات السنين - فان تكاليف المشروع ومصاريفه ستعوض خلال بضع سنوات من الدخل السياحي الخاص بها وحدها ، بصرف النظر عن قيمتها المادية والاثرية .

والوجه الآخر وهو عدم وجود الآثار بما يغطي تكاليف المغامرة ، فسيتحول المشروع الى مشروع استغلالي للتعمير وذلك بواسطة طمي الحوض عن طريق سحب الرمال من القاع الخارجي ، وبذلك تتحول المنطقة خلال بضعة أشهر وبمجهود ومصاريف لا تذكر الى منطقة سكنية تصبح من أهم وأجمل مناطق مدينة الثغر تبلغ ثمن أرضها عشرات أمثال مشروع ردمها وتخطيطها واعدادها للتعمير خاصة وان التوسع العمراني سيكون في قلب المدينة نفسها وليس في أطرافها .

حوض المناء الشرقي .. هل يكشف سر الاسكندر ومعبد ايزيس والقصر الامبراطوري





● ولد ايليا ابو ماضي عام ١٨٨٩ بقرية « المحيدثة » عند بكفيا في لبنان ، وتلقى علومه الاولى بها وقد شغف بالأدب منذ حداثته ، فقرأ الكثير من دواوين الشعر العربي . وحفظ الوف الابيات من الشعر وكان يؤثر الشعر الفلسفي التأملي فضلا عن احتفاله بالرقة والموسيقا في الشعر .

● بعد ان ضاقت به سبل الرزق في قريته ، هاجر الى الاسكندرية عام ١٩٠٠ واشتغل فيها وكان فيها نهضة ادبية وفنية كبيرة، فكانت مدرسته الثانية بعد لبنان التي تلقى بمعاهدها وانديتها وصحفها ومتاجرها الانطباعات الجديدة التي صقلت شعره ونشر بعض قصائده في مجلاتها الادبية فنمت شاعريته وقضى فيها احد عشر عاما وأصدر ديوانه الاول « تذكار الماضي » عام ١٩١١ قبل رحيله الى امريكا .

● في نهاية عام ١٩١١ هاجر الى « سنسناتي اوهايو » بالولايات المتحدة الامريكية حيث كان لوجوده بها تأثير كبير في حياته وشعره ،وبعد أربع سنوات من الكفاح المضني اصدر ديوانه الثاني « ديوان ايليا » .

● هاجر بعد ذلك الى نيويورك حيث اشترك في جماعة الرابطة القلمية ، التي كانت تضم جبران وميخائيل نعيمة وآخرين حيث شاركهم في تحرير جريدة « مرآة الغرب » التي ظل يسهم في تحريرها منذ عام ١٩١٧ حتى عام ١٩٢٨ ثم أصدر بمفرده جريدة « السمير » عام١٩٢٩

● في عام ١٩٢٥ اصدر ديوانه الثالث « الجداول » ، فكان نقطة تحول في حياته الادبية ، حيث تميز بالنضج والعمق والقوة وفي عام ١٩٤٦ اصدر ديوانه الرابع «الخمائل» الذي احدث ظهوره هزة عنيفة في الوجدان العربي ، واتسم بالنزعة التأملية في الكون والحياة والوجود ثم صدر ديوانه « تبر وتراب » بعد وفاته

● ظل ايليا ابو ماضي في نيويورك ٣٦ عاما عاد بعدها الى لبنان وتوفي في ٢٤ نوفمبر عام ١٩٥٧ ودفن في مسقط رأسه لبنان تاركا خلفه تراثا شعريا رائعا .

● قال عنه العقاد انه وفق في شعره بين اسلوب المجددين واسلوب الاقدمين .

كما تناول الدكتور طه حسين شعره بالنقد والتحليل واثنى على شاعريته

● يعد من شعراء العرب المجددين في القصيدة العربية شكلا ومضمونا ، حيث يمتاز شعره بالرقة والسلاسة والنزعة الانسانية الرحبة

البرهان والجنة

إبراهيم صبحي

لا تظلميني ... واسمعي برهاني
ثم احكمي - إن شئتِ - بالهجران !
أنا ما أتيتُ ثمارَ دوحكِ جانيا
بل رمْتُ مُتكأً من الأغصان
مستروحاً بعضَ الشذى من عطرِه
ومهدهداً - في ظلّه - أشجاني
وإذا رنَتْ عيني لبعضِ ثمارِه
فلعلَّ لي عذراً من الحرمان
كل الأحبة بعد صومٍ أفطروا
وأنا الذي لاينتهي رمضاني !

•••

كم عشت في محرابِ حبك خاشعاً
متبتلاً في قبلةِ الوجدان
وقطعتُ عن دنيا الوصال مشاعري
وغدوتُ من دنيا الخيالِ جناني
لكنْ قلبي قد تمرّدَ .. قائلا
أنا لستُ أعشقُ لوحة الفنان
مهما بلغتْ لي سَاحراً ألوانها
أيعيشُ نبضُ القلبِ بالألوان ؟
وإذا ظننتَ الحبَّ روحاً خالصاً
فلقد نزعتُ من الوجود كياني

والحبُّ ليسَ تخيُّــــلاً وتأمُّــــلا
الحبُّ بعضُ طبيعــةِ الانســـــان
***
ولقـــد أراد الحبُّ جمعَ طريقِنــــا
لكنَّنا ـ في ـ القصــدِ ـ مختلفان
فأنا أرى أنّ الطــــريقَ لغـــــايةٍ
وترينَ فــــيهِ غايةَ الإمــــكانِ
ونجوبُ مُنحنى العُمْرِ في فلكِ الهوى
وغرامُنــا بحـــــرٌ بلا شـــــطئان
حتى اذا بلغ الوثوعُ بيَ المـــدى
لم أســــتطع صبْرًا على الكتمان
وأبى لســـــاني أن يبـــوحَ برغبةٍ
باحتْ بـــكل خفيّها العينــــان
فرأيتُ منـــكِ ترقّبـــاً وتعجّبـــاً
وتوعُّـــداً بالصـــدِّ والهجــران
وظننتِ أنِّي خِلتُ نفسي « يوسفا »
إن شئتُ .. فالمرغوبُ طوْعُ بنـــاني
لـكنّني مظــلومٌ حبِّـــك لم أكن
الا محِبـــاً واهيَ الســــلطانِ
ما كنتُ « بالملكِ الـــكريم » ولا أنا
بمن اجتبـــــاهُ اللهُ بالبـــرهان
أنا لستُ يوســـف .. إنما أنا آدمٌ
يصبــــــبو إلى ثمرِ الخلودِ جنــــاني
وأكاد أبرحُ ـ مثـــلَ آدم ـ جنّتي
لـكنْ بلا ثمـرٍ ... ولا غفـــران !

قصة

تجربة من أسيوط

حسن عبدالمنعم

بدات حياتى العمل مساعدا للنيابة فى محافظة الجيزة . والعمل فى النيابة بالنسبة لشاب فى مقتبل العمر عمل بالغ التسلية مترع بالاحداث ... حقيقة انه يقوم على اخطاء الآخرين . ذلك ان النيابة تمثل سلطة الاتهام . وليس من المألوف ان يكون الصواب متهما . ومع ذلك فان الخطأ يبدو فى بعض الاحيان مصيبا ويبدو الصواب متهتكا فى بعض المجتمعات ..

وعندما صدر قرار ترقيتى وكيلا للنائب العام كانت فرحتى بالترقية مشوبة بشىء يقبض النفس .. شىء جعلنى اتخيل نفسى وقد دعيت الى حفلة راقصة اتوقع ان اجد فيها الوانا من المتعة فماذا بى التقى اول ما التقى بضابط النقطة ينتظرنى ليهمس فى اذنى اننى مدعو للتحقيق فورا فى جريمة قتل ! .. ذلك ان قرار ترقيتى كان مصحوبا او على الادق كان متضمنا قرار نقلى الى محافظة اسيوط .. ولقد يبدو هذا التشبيه مغاليا . خاصة اننى لم اكن بعد قد ارتبطت بمحافظة الجيزة او بمحافظة القاهرة بروابط تفرض على ان التشبث بالبقاء فى احداهما

لم اكن قد تزوجت بعد ولم يكن لى اولاد يرتبطون بالمدارس هنا او هناك ، ولم تكن صداقاتى او علاقاتى ، سواء المعروفة او المجهولة ، تستوجب ان التصق بالقاهرة او الجيزة او اضيق بالانتقال الى اسيوط او الى اسوان ... ولم يعد هذا المنطق يحكم عواطفى او نوازع نفسى . ولكنى اعبر عن الاحساس الجائر الذى الم بى حين قرأت فى القرار اننى رقيت وكيلا للنائب العام فى محافظة اسيوط . وحين دخلت على رئيس النيابة العامة اى رئيسى بمحافظة الجيزة ، واستقبلنى مرحبا وقام يشد على يدى مهنئا . كان قد ادرك باسرع مما اقدر اننى لم اكن سعيدا بهذا القرار . وحين استوضحنى السبب او الاسباب لم اجد ما ارد به على تساؤله . غير انه لم يلبث ان تبرع بالاجابة :

— لعلك تخشى ان يكون نصيبك فى البدارى او فى صدفا او درنكة او واحدة من هذه المراكز التى كانت تقارن بعواصم الجريمة فى الولايات المتحدة وتتفوق عليها ... لا ... لا ياراجل لم تعد الامور كما كانت . لقد تغيرت

الاحوال واصبحت في اسيوط جامعة • هل تعرف معنى وجود جامعة في هذا الاقليم ••• واتحاد للطلبة والطالبات • ومدينة جامعية • وملاعب وحمامات للسباحة ، ما ابعد الفارق • لا يمكن ان تتخيل التطور الذي حدث :

اجلس يا عزيزي لقد اثرت خواطري وايقظت القائم المستغرق من ذكريات شبابي • الا ليت ايام الشباب جديد

دهرا تولى يابثين يعود •

اجلس يا عزيزي واستمع •••

وجلست ••• ودعا رئيس النيابة بكاسين من شراب الليمون • ثم تراجع في مقعده وراح يحكي :

— كان ذلك منذ اعوام ••• نيف وعشرين عاما • كنت في مثل شبابك وجاء تعييني الاول عندما تخرجت في كلية الحقوق وكيلا للنيابة في اسيوط • وعلى قدر فرحتي بالتعيين على قدر خيبة املي في ان ابدا في حياة الوظيفة في هذا البلد الذي كان يعتبر من البلاد النائية بالنسبة للقاهرة فقد كانت المسافة بينهما تتجاوز الست ساعات • وكانت اسيوط في اوج شهرتها بقضايا الجريمة والثار وعصابات الخطف والسلب واوكار الجبل الغربي •

ولم يكن الذي اقلق خاطري انني ساغرق في تحقيق مئات القضايا التابعة من هذه الجرائم • وانما اقلق خاطري وارق ليلي بل واقض مضجعي انني لن استطيع ان انعم بشبابي ولن اجد في اسيوط متنفسا او منطلقا لهذا الشباب •



غجرية من أسيوط

بل وتخيلت نفسى أسير فى شوارع المدينة وأنا وكيل النائب العام مخالفا التعليمات التى تقضى بأن أكون دائمـا مرتفـع الرأس مشرئب العنق مختالا كأننى أمثل السلطان ولا بد من أن أمثل المهابة . ولكننى احسست بأننى لا يمكن أن أرفع رأسى وأتطلع الى وجوه الناس حتى لا تقع أنظارى على وجه امرأة من نساء أسيوط تعبر الطـريق . فقد لا تنقضى لحـظة عين حتى تنطلق رصاصـة من مكان مجهول أو من مكان معلوم ولكنه يظل مجهولا . فتستقر بين العينين اللتين تجرأتا والتقتا نظرة عابرة على وجه امرأة ...

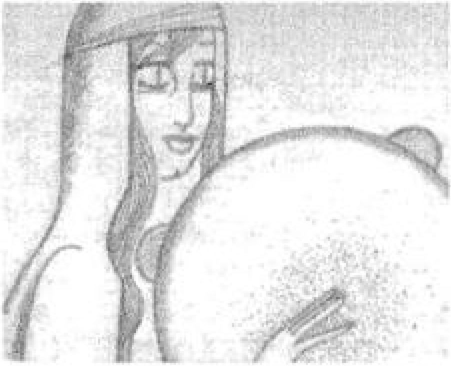
من هذا الاحسـاس كان قلقى حين صدر قرار تعيينى فى أسيوط . وما زلت اذكـر كأنه الأمس القـريب ليلة سفرى من القاهرة عند منتصـف الليل وقد احتشـد الأهل والأصدقاء فى محطة مصر كما يسمـونها وخيل الى ليلتهـا أنهم يشـيعوننى الى سفرى الأخيـر وكان يتردد فى سمعى صدى صـوت ملك مجهول يقول : « يا وابور الساعة اتنـاشر يا مجبـل عا الصعيد ...

ولم يلبث القطـار الثانية عشرة أن تحرك وتراجعت الأشباح المودعين . واستلقيت فى تلك الليلـة على مقعـدى على أمل أن أتهيـأ للنوم الى أن يصل القطار الى أسيوط فى منتصف السابعة من الصبـاح . ولم يتحقق الأمل وانمـا راحت الأفكار والخيالات تنثال على خاطرى وكلها تدور حول الجرائم والوقائع والمغامرات والمطـاردات التى اشـتهرت بها أسيوط وما يحيط بها من المراكز والقـرى . وكانت عينى تغفـو أحيـانا ولم يكن حظى فيها بطـيف يخطر بخاطرى وأنا أسترق النوم استراقا بالفشل من حظى فى يقظتى . فقد كانت أشـباح السلاح وأطياف الجبل الغربى وصـور القتلى تتراقص أمام مخيلتى .

وبلغت أسـيوط مع الصباح ووجدت حاجب النيـابة فى استقبالى فقادنى الى فنـدق لا يبعد أكثر من خطوات أو أمتار عن المحطة . وهناك قضيت سحابة النهار . فقد كان يوم جمعة . ولم أخرج الا فى المساء لأجلس فى مقهى قريب .

على أى حال فقـد استلمت عملى فى اليوم التالى .

ورحت أختلس النظر لاستبين حقائق الحياة فى هذا البلد وأتنسم الأخبار وأجالس الزملاء فى النـادى . وكان هناك ناديان . أحدهما للموظفين والثـانى للأعيـان . وعلى الرغم من أننى لم أكن من الأعيان وانما من الموظفين فقد قيل لى . أو قال لى السيد رئيس النيـابة بأن من حقى الاشـتراك فى نادى الأعيان لأننى من رجال النيابة ... ودعانى الى زيارة النادى معه وكـان يقع فى حى يسـمى حى « شركة فلته » ووجـدته قصرا فاخرا من طراز عصر النهضـة وتدور حوله حديقة مترامية على الرغم من أنه يقع فى مكان يعتبر وسـط المدينة ... ولكنه كان منتدى « الأعيـان » وكانت موائده سواء ما توسط منها القاعات أو انتحى جوانبهـا ، حافلة دائمـا بأطايب الطعـام والشراب وبأوراق اللعـب ..



ولكنني عزفت عنها وعن الاشتراك في هذا النادي وآثرت الاشتراك في نادي الموظفين . ومع ذلك فقد كنت ألبي الدعوة من وقت لآخر الى نادي الأعيان . وهناك أختلس النظر الى رواده من أهل الثراء ...

ولم أقم بالفندق طويلا وانما انتقلت الى شقة صغيرة في بيت يملكه باشكاتب المحكمة الشرعية في شارع الخزان . وكان البيت لا يتجاوز الطابق الأول الذي يسكن فيه حضرة الباشكاتب وأسرته المؤلفة من خمس نساء احداهن زوجته والأخريات بناته الآنسات . ويعلو هذا الطابق شقة صغيرة تتألف من حجرتين وردهة وأمامها شرفة فسيحة تمتد الى أن تلتقي بفروع الحديقة التي تقع خلف البناء . وفيها بعض الأشجار المانجو والجوافة وكرمة عنب وشجيرات ورد وفوق سياجها يتعانق الياسمين وينتثر زهره الأبيض ذو الأريج النفاذ فوق البساط الأخضر .

ولم يكن العثور على شقة في ذلك الوقت وفي عاصمة كأسيوط شاقا أو في حكم المحال كما هو الحال في هذه الأيام . ولكن المشقة كانت تتمثل في أن أصحاب البيوت الذين كانوا يدققون في اختيار السكان . وفي عواصم الصعيد بالذات لم يكن من السهل على الشاب الأعزب أن يجد ترحيبا في استئجار شقة وخاصة في مبنى تقيم فيه أسرة فيها خمس نساء ... ولكن الوضع قد اختلف في حالتي . فقد كنت وكيلا للنائب العام وهذا وحده سبب كاف للشفاعة . وكان صاحب البيت رجلا كريما . وهو بوصفه رئيسا لكتاب المحكمة الشرعية لا يمكن أن يتنكر للأسرة القضائية التي يعتبر انتسابه اليها شرفا . وبالتالي فمن واجبه أن يهيىء وسائل الراحة لأحد أعضاء الأسرة ... وكان حضرة الباشكاتب يقول لخلصائه انه توسم في حضرة وكيل النيابة الجديد . انه ابن حلال ومن أسرة طيبة من أسر القاهرة المعروفة . ولست أدري أكان قوله هذا من باب على محمل المعرفة الحقيقية أم كان على سبيل الاعتذار لأنه قبل أن يسكن في بيته وفوق رأسه شاب من غير أبناء أسيوط وهو في الوقت نفسه أعزب يقيم في الشقة وحيدا ...

واستقر بي المقام وبدأت الصورة التي استقرت في عمق خواطري عن أسيوط وأبناء أسيوط وبنات أسيوط تتغير . كانت هناك جرائم وكانت هناك حوادث خطف وقتل في وضح النهار ولكنها لم تكن تهدد أمثالي بقدر ما كانت متلائمة مع البيئة والعادات والتقاليد التي لم يستطع التعليم أو الثقافة أن يعالجها أو يجتث أصولها . كانت أصولها غائرة في أعماق

هذا المجتمع . وكانت بنات أسيوط على حظ من التعليم كبير ومنهن من بلغت في مضماره شأوا وتخرجت في جامعة القاهرة أو الإسكندرية أو أحدى جامعات انجلترا المشهورة ، كامبردج أو اكسفورد . بل وكانت في أسيوط كلية أمريكية للبنات ولكنهن كن محجبات لم يغادرن عصر الحجاب على الرغم من أن منهن من كانت تعبر الطريق سافرة بخلاف الكثيرات اللاتي كن يلقين فوق رءوسهن بإزار أسود أشبه بالعباءة التي ترتديها بنت العراق والخليج العربي .

ولم يحدث ماتوقعت، فقد استطعت أن أمضي في الطرقات رافع الرأس مرتفع الهامة واستطعت أن أتطلع في حذر الى وجوه الرائحات والغاديات . بل واستطعت أن أتحدث الى بعضهن في المناسبات وفي التحقيقات . ولم تنطلق الرصاصة من المجهول أو المعلوم لتستقر بين عيني كما توهمت .

ولم أكن بحاجة الى التعامل مع النساء متجاوزا هذا القدر حتى انني استبعدت فكرة استخدام طاهية لأن الحصول عليها في أسيوط كان محالا . وانما كان في الامكان استقدامها من القاهرة أو من أحد البلاد الأخرى . ولم أجد مبررا لذلك واكتفيت بالاستعانة بحاجب النيابة الذي كان يقوم بتنظيف الشقة . أما الطعام فقد كانت مشكلة محلولة فقد كنت أتناول وجبة الغداء وهي الوجبة الرئيسية أما في النادي أو في مطعم اشتهر في ذلك الوقت وأحيانا كان يبعث لي بالطعام في الشقة .

وكانت سعادتي بالشرفة الفسيحة التي امتدت أمام الشقة لا تكاد توصف . فقد كانت تتيح لي أن أجلس في أوقات فراغي متطلعا الى الأفق البعيد والى هامات الأشجار التي استقرت في حديقة البيت وكانت تتيح لي فوق ذلك أن أمارس هوايتي للتصوير فأجلس وأمامي الحامل والى جانبي حقيبة الألوان وأروح أسجل المناظر

غجرية من أسيوط

الطبيعية التي أعددت « اسكتشاتها » من قبل في مختلف المواقع والقرى التي زرتها أو أرسم الموضوعات التي جاش بها خاطري . وكنت استمع في نفس الوقت الى أصوات بنات حضرة الباشكاتب وهن يثرثرن في الحديقة أو يلعبن تحت خمائلها مستترات حينا بعرائش الكرم أو سافرات مطمئنات الى أن احدا لا يقصد الى انتهاك حرماتهن .

الى أن كان يوم جمعة . وكان ذلك في الشهر التالي لاقامتي في هذه الشقة ، وكنت فارقا في نوم بعد سهرة حافلة في نادي الأعيان ، وسمعت طرقا ملحا على الباب أيقظني بالحاحه ، بل ضايقني لانني لم أكن أحب في يوم العطلة أن يقتحم أحد على راحتي ، فقمت متأففا والنوم يضغط على أجفاني واتجهت الى الباب وصوتي يسبق أقدامي ، وأنا أتساءل من الطارق وفتحت الباب فماذا بي أراها وقد تهلل وجهها القمحي وزغردت في غمازتيها ابتسامة تشفع لأكبر الخطايا . وكان في يدها دف وهي تكاد تطاول بقامتها باب الشقة الا فرجة الضوء المنسكب من خلفها كأنه هالة تدور بالرأس

الجلد بطرحة سوداء . قلت وانا اغالب غضبتي
ـ من ؟ .. من انت؟
قالت وعيناها تحتل مواقع لم تتحصن من نفسي :
ـ انا حليمة : الا تعرف حليمة . الم تسمع حليمة ؟ ..

ثم رفعت الدف وراحت تنقر عليه بأناملها لينساب منه نغم دافيء مع صوتها المفرد، « وجالت صباح الخير .. يا حلو وزى الطير .. حبك خلاني أسير .. وغرامك شغل بالي ».

واستيقظ مع يقظتي وكيل النيابة الذي يسكن في أعماقي وتبهض اليان بقاء هذه الانسانة أمام الباب وفي يدها دف وصوتها يلعلع بهذا الحداء امر لا يتفق مع واجبات الوظيفة وسمعة النيابة وحرمة القضاء ولكنني أحسست بأن هناك اشياء في صدري تتمرد على هذا التنبيه ومددت يدي لامسك المعصم واشد صاحبته التي لم تمانع وانما تقدمت وعبرت باب الشقة الي الردهة وهي ماضية في نقرها على الدف وفي حدائها :

« وجالت تعالي لجي .. اعملك برداد الشاي .. حبك جطع في حشاي وغرامك شغل بالي » .

ويقيـر ان ادرى أو اقدر ظللت قابضا على معصمها وظلت هي تتقدم معي دون مقاومة حتى دخلت بها غرفتي ومددت يدي الى نظارتي أضعها على عيني وأستزيد من الرؤية واقلت معصمها فتعالى صوتها المفرد .

« غرج البلد بداره .. غرب البلد بداره ، وانا احبك يابو نضارة، وغرامك شغل بالي »

وجلست على حافة السرير ووقفت ازائي في ثوبها الاسود المخملي وقد كساها الى غاية قدميها ولكنه لم يفلح في حجب معالم جسدها الفارع ، وفوق ذقنها زهت خطوط ثلاثة زرقاء وحول عينيها دار خط اسود زاد في تألق عينيها وعدت أسائلها :

ـ تقولين انك حليمة .. حليمة من ؟ وما الذى جاء بك ؟

وضحكت وهي تهتف :

ـ ياعيب الشوم يا سعادة البيه النيابة . الا تعرف حليمة ؟ الم تسمع عن حليمة ؟ . ولكن حليمة تعرفك . سمعت عنك . سعادتك البيه النيابة الجديد . طاهر بيه نورت البندر

ولم يسعفني ما كنت استشعره بالرد على كلماتها ولكنني رحت اتطلع الى وجهها القمحي والدهشة تعقد لساني .

كان من الواضح ان الماثلة امامي هي « غجرية » من النور من هذه الطائفة التي لاتنتمي لوطن او تلتصق بموقع من مواقع الارض بوانما هي اشبه بالطائر المحلق الذى لا يستقر على فنن الا لينتقل الى فنن اخر ... وكان اشراق وجهها والضحكة المزغردة فوق خديها وفي اغوار عينيها الفلزيتين ما يسلب اللب ويفقد الرشاد .. واستقرت امامي فوق الاريكة المواجهة للفراش ثم استدركت ايمان حليمتي

ـ أهلا يا ست حليمة ... واين كنت وانا منذ شهرين في اسيوط ؟

قالت وهي تضحك فتضحك معها غمازتاها

ـ كنت بعافية .. وسمعت انك شرفت . وانك سكنت في بيت حضرة الباشكاتب ... وعندما استطعت أن ارفع رأسي واسترد عافيتي جئت لارحب بك ..

وعجبت لهذا الاحساس بالالفة الذى غمرني وانا استمع الى كلماتها واقارن بين بياض ثناياها وبياض

غجرية من سيوط

حدقتى عينيها • ونسيت كل شىء الا انها ماثلة امامى وقد استراحت اناملها فوق الدف الذى استقام فوق فخذيها •• نسيت اننى وكيل النائب العام ومن واجبى الا استقبل امرأة فى بيتى •• نسيت اننى اعزب ومن تقاليد هذا البلد الا تجمعنى حجرة واحدة بامرأة لا تربطنى بها صلة ولا اسرة •• نسيت اننى اسكن فى بيت صاحبه كبير كتاب المحكمة الشرعية وله اربع بنات عذارى ••

واخرجنى من افكارى صوتها المفرد ونقرات اصابعها على الدف •

« جالت تعال البيت •• اعملك فطيرة بزيت حبك خلانى غنيت ••• وغرامك شغل بالى •••

وضحكت وانا اسالها:

ـ لمن هذا الكلام يا ست حليمة ؟

ـ لكل الناس • لاكل العيش • ولكنه اليوم ومقام سيدى عبد الرحيم من اجلك انت يا سعادة البيه النيابة •

لم تلبث ان وقفت واعربت عن رغبتها فى ان تمضى وترددت بين رغبتى فى التمسك ببقائها وبين تقديرى لعواقب ذلك ثم مددت يدى الى جيب سترتى المعلقة فاخرجت قبضة من النقود وحاولت ان اعطيها اياها فلم تقبل بحال وقبضت على يدى بقوة جعلتنى اعجب لهذا العنفوان وقالت :

ـ عيب يا سعادة البيه النيابة •• هذه المرة من اجل عيونك ••• مرة ثانية • اراك بعافية •

وانفلتت من الغرفة واسرعت الى الباب لتفتحه برفق ثم لتمضى كما لو كانت غزالا يقفز فى رشاقة ، ولم اسمع لخفيها صوتا وهى تهبط الدرج ويهبط معها لقب سعادة البيه وكيل النيابة او سعادة البيه النيابة كما تسميه •

ومضت ايام قبل ان اراها ذات مساء فى نادى الموظفين وقد اخذت تنشد اغانيها التى تخلقها المناسبة ويسبقها اللحن وتتناثر بعدها النقود حتى تملأ راحتيها وتروح توزع الضحكات وتتلقى عبارات الغزل دون ان تسمح لاحد ان يتجاوز او يتطاول سواء باليد او باللسان• ثم لم تلبث ان مضت وهى تلقى الى نظراتها المترددة • وترفض نفحاتى قائلة :

ـ عيب ياسعادة البيه النيابة انت ضيفنا !

فى تلك الامسية سمعت عنها الكثير من افواه الحاضرين ••• وكاد الاجماع ينعقد على انها طراز لا نظير له • فهى لا ترقص ولا تقرأ البخت ولكنها تغنى وتقرقط وهى تنقر على دفها وتتفنن فى الكلمات التى تفرضها المناسبة او يفرضها وجود الانسان الذى تغنى له • وانه لم يسمع عنها ما يسمع عن غيرها من الغجريات او الغوازى او الغوانى ••• وانها كانت تتردد على نادى الاعيان تلبية لدعوة بعض اعضائه ، فلما حاول احدهم ان يتطاول عليها او يسرف فى غزله صدته بصورة احنقته واذهلت اصحابه من اهل الحظوة والثراء والنفوذ ، فلما طردوها من النادى لقنتهم جميعا درسا تناقلته الاحاديث وتحدث به السمار •

وترقبتها صبيحة يوم الجمعة التالى وعلى غير عادتى استيقظت مبكرا واغتسلت ثم لبست ثوبا من الثواب راحتى وجلست فى غرفتى مترقبا • حتى سمعت نقرا خفيفا على الباب فقفزت من فراشى استقبلها واكاد ـ لولا تعقلى ـ افتح ذراعى لاحتضنها •

دخلت متهللة • وسبقتنى الى غرفتى

وجلست على الاريكة وأخذت تنقر على دفها وتغنى ما حلا لها من الغناء وانا جالس بإزائها أجوس في قسماتها بعيني وانا العجب لهذا الجمال الغجري ، ثم كفت عن الغناء والتفتت الي بعينيها الفيروزيتين وتساءلت ؟

- هل تحتاج لشيء؟ من يطهو لك الطعام ؟ ..من يغسل لك الثياب؟ من يرتب لك البيت ؟

- أشكرك كل حاجاتي مقضية ..

قالت وهي تضحك وتشاطرها غمازتاها الضحك ؟

- انا تحت امرك يا سعادة البيه

قلت لها متوسلا :

- انا لم اتناول الطاري . هل تفطرين معي ؟

قالت وهي تهم واقفة

- اسمع لي يا طاهر بيه الطرق .

وقبل ان اسمع او اجيب كانت قد اسرعت الى المطبخ وشركتني الآمل قامتها الهيفاء وهي تقفز ثم لم تلبث ان عادت تحمل طاولة الطعام ووضعتها امامي وجلست الى جانبي على ركبتيها فوق الارض وراحت تطعمني بأناملها

وحينما صحلتودعني بعد انتهائي من الطعام حاولت ان ادس يدي في جيبها لاضع بعض النقود فلم افلح وأحسست بقبضتها القوية تمسك بيدي وهي تقول :

- من احبنا احببناه . وصار متاعنا متاعه .. ومهما الزمان مال .. المال ده يفضل ماله..

ثم انفلتت لتمضي من باب الشقة وانا اقف مكاني كالتمثال . ومضى بنا الحال فرحنا نلتقي مرتين كل اسبوع مرة في النادي بين الزملاء والاخوان من اعضاء النادي وكنت اراها في هذه المرة في هالة من اعجاب الاخرين ومرة في بيتي صبيحة الجمعة وكنت اراها منفردا في غمرة من اعجابي بشمائلها التي لم اكن اتخيل انها تجتمع لغجرية تقضي حياتها متنقلة من بلد الى بلد ومن خيمة الى خيمة ومن مولد الى مولد . وكانت زيارتها



لي يوم الجمعة تستطيل من مرة الى اخرى فبعد ان كانت تغادر مسكني بعد تناولي وجبة الافطار اصبحت تغادره بعد تناولي وجبة الغداء وكانت لا تأكل واذا اكلت تحت الحاحي وتوسلي فانها تأكل لقيمات ارضاء لي واذا شئت الدقة فانها كانت كلما القمتني في فمي بأناملها البضة عشر لقمات كانت تدس في فمها لقمة صغيرة ربما نسيت ان تغمسها في الطعام ، وكنت اعاتبها على ذلك فتضحك وتقول لي انها تحس بالشبع انها تملأ عينيها من محاسني . ولم اكن اعلم انني من اهل المحاسن او ارباب الحسن . ولكنها كانت تزعم بل وتؤكد وتقسم انها تنهل من ينابيع الجمال في ذاتي . كان كلامها يضحكني لكنها تقسم بسيدها عبد الرحيم القنائي .

مسست ذات مرة بقبليها وقد احسست بأنهما تكاد تلمس شفتي وقد انضوع منهما عبير كرائحة اللبن الطازج . ولكنها اجفلت وردتني وصرفتني عن ذلك وهي تهتف بلهجة حرية :

- هذه « جليطة » ، وانصرفت ممتقلا عن

هذه « الجبــــاحة » ولكنها فى مرة أخرى اقبلت على وجلســت الى جانبى فوق الاريكة واحتضنتنى ووسـدت رأسى صدرها ثم قبلتنى فوق خـدى . وقالت لى ؟

ـ هذه ليســـت « جباحة » هذا عشق وخدك « الطفلة » .

واطربنى قولهـــــا واســـكرتنى قبلتها الخاطفة ...

وصارحتها بهواجسى يوم صدر قرار نقلى الى اســيوط وكيف توهمـــت اننى لن استطيع ان ارفع رأسى او انطلع الى نســاء المدينة ، فضــحكت وقالت :

ـ تستطيع ان تتطلع الى اى امرأة . ولن يصــيبك شىء مادام الناس لا يرون . سواء فى اسيوط أو فى طنطا او فى اى بلد . الناس لهم الظاهــر . وخلف الاستار يجرى كل شىء والذين يطلقون الرصاص باســم الدفاع عن العرض . ينسون ذلك عندما يجدون انفسهم فى احضــان زوجات الاخــرين ... لو لم اكن احبك . لجعلتــك تشاهد بعينيك . ويوم اراد رجــل فى نادى الاعيان أن ينال منى . سودت ليلتها عيشته . واطلقت فيه لسانى .

وقلت له ما جعل لسانه ينعقد فى حلقة ...

وانقضى علينا ثلاثة اشهر ونحن ننعم بهذا الحال ونتحــم بيوم الجمعة بصورة لا تخط على البال فقد اصبحنا نقضى اليوم من باكورة الصباح الى المســاء ونحــن نلعب ونقفــز ونجـــرى حتى نلهث ونسقط اعياء ونتعانق ونغرق فى قبلات لاتكاد تنتهى . ولكننــــا لا نتجــاوز ذلك . واذا هممت بأن اتجاوز تحت وطأة عواطفى المشتعلة كانت تردنى وتهدهدنى ثم تربت على خدى وهى تقول :

ـ أنا اريدك اكثـر مما تريدنى . ولكننى لا اريد ان افقدك ، أنا لو علمت لم اعط نفسى لانسان . وفى شريعتنا نحن الفجــر لا نعطى انفسنا لابناء الريف ولا لابناء الحضر . نحن لا نعطى انفســنا الا لابناء عمومتنـــا من الغـرر ـ ولكننى اتمنى ان اعطى نفسى لــك .. لاننى احبك ولا اؤمن بالعطاء لغير الحب . ولكننى اخشى ان ينتهى حبك لى عندما تبلــغ منى غايتك اننى اريدان يظل حبى لك وحبك لى مشــبوبا كالنار التى لا تخمد .

وامتثلت ايضــــا لرغبتها ولم احاول ان

تجربة من أسيوط

اتجاوزها على الاطلاق ـ فقد تمثلت فيهــا قمة ســعادتى ورضائى عن الحياة ... واحببت من اجلها اســيوط بكل مافيها . حتى جرائمها واوكار الجبل الغــربى والمطاريد واصــبحت التمس لكل الناس عذرا فيما يقترفون . ولم اكن اخفى هــذا عن الاخـــرين فقد كنت اتصدر الجلســة فى نادى الموظفيــن واجلس بين السراة فى نــادى الاعيان واتحدث بهــذا ولا أبالى . وكـــان رئيس النيابةيعجب لهذا التحول .ولعل الاخرين كانوا بدورهم يعجبون.

وفى الصــباح الباكر ليوم من ايام الجمــع التالية سمعت نقرا على البــــاب فقفزت من مجلسى والفرح يكــاد يزعزع صــدرى لاننى كنت انتظرها ودون أن استوضح من الطارق فتحت البــاب ولــكن لم اجد حليمة انما وجدت حضرة الباشـــكاتب صــــاحب النزل واقفا بالباب وعلى قســمات وجهه صراع بين غضب

يحتدم في صدره وابتسامة تتهافت على شفتيه · واختلط على الامر فترددت في الترحيب به لانني كنت اتوقع وصول حليمة في الوقت نفسه واخشى ان يلقاها على اعتاب بابي ·ولكنني لم البث ان فطنت الى خطئي فمددت له يدي محييا ومرحبا وقدته الى حجرة مكتبي ·وجلست بازائه مهتما لسماع الامر الذي قدم من اجله · ولم يلبث ان قال وهو يتنحنح :

ـ طاهر بيه · لا تؤاخذني · لقد ترددت كثيرا قبل ان ازعجك بزيارتي وانا اتحدث اليك كوالد · والد لك وفي الوقت نفسه والد لاربع بنات في سن الزواج · ولقد قبلت أن تشرفني بسكناك في بيتي · ولكنني لا اقبل السكوت على ما يجرى ·

ولم اكن في حاجة لان ادرك الذي يعنيه بعبارته ولكنني على الرغم من ذلك تغابيت او تغابيت ورحت اساله :

ـ ما الذي يجرى يا سيدي ؟

ـ الذي يجرى في شقتك هذه أنت أدرى به ، ولكنه أصبح معلوما للاخرين · اصبح على السنة للجيران ··· لصبح في همسات بناتي ·

ولا ادرى كيف تجاسرت فقلت له :

ـ ولكن للمسكن حرمة يا حضرة الباشكاتب · وانا اعتبر هذا التدخل انتهاكا لحرمة مسكني ·

واعتدل الرجل وحل الغضب على وجهه محل الابتسام المصطنع الذي كان يزيفه على هذا الوجه وقال محتدا :

ـ يا طاهر بيه ـ اسف انني ايضا اعرف القانون ··· ربما اكثر مما تعرف على الرغم من انك وكيل للنيابة وانا من الكتاب · ولكن العمر الذي قضيته متنقلا بين المحاكم والنيابات ايضا قد أتاح لي ان اعرف من القانون اضعاف ما تعلمته انت في الكلية ··· واذا كان هناك مسكن قد انتهكت حرمته فهو مسكني واذا كان هناك ناس قد خدش حياؤهم فهم ناسي وهم جيراني ؟ ·· ثم ان هناك بناتي ·· يا طاهر بيه ·

قلت وانا واهن الحجة مكابرا :

ـ وماذا حدث ؟ ·· ارجو ان تحدد بالذات وتفصح

ـ وما حدث انت تعلمه ·ولا تؤاخذني · اما ان تكف عن استقبال هذه الغجرية· واما ان تبحث لك عن مسكن اخر ·

وتداعى وخنقه البكاء وهو يصور ما يحس به من الخطأ؛ او من الوزر لان بناته كن يسمعن وقع الاقدام وهى تجرى في شقتي ، ويلمحن وهن في الحديقة شبحينا انا وحليمة الغجرية ـ ونحن نتبارى ونتقافز دون ان نرعى ان لنا جيرانا او أن تحت اقدامنا عذارى يلوذن الحياء وتستبد بهن الحشمة ·

لم اشأ ان يطول الحديث بيننا وانا اترقب زيارة حليمة واتوجس ان تقع الزيارة وهو عندي في الشقة فتصبح حجة دامغة ويكون موقفي عسيرا · لم اجد مناصا من ان اعده بأن استجيب لطلبه وان ابحث لي عن سكن اخر ونهضت من مقعدي حتى اشعر بأن اللقاء قد انتهى ونهض بدوره وتقدمته الى الباب وانا ادعو الله الا يقع ما اخشى وقوعه ومددت يدي

تجربة من أسيوط

لافتح باب الشقة ويدى الاخرى تمتد لمصافحته فاذا بى اراهـــا ماثلة امامى وامامه .ونكست رأسى ولم استبن ملامح وجهه ولا العبارات التى ندت من فمــه ولا يدى الممتدة لمصافحته دون ان تلقى استجابة . ولكنى سمعت وقع اقدامه وهـو يهبط الدرج قفــزا ثم ترامى الى ســمعى وقع قبضته وهو يطرق باب شقته فى حنق .

وبغلاحلمية واغلقت الباب وسحبتنى من يدى وقـــادتنى كالاعمـــى او كالمسلوب الى الاريكة فى غرفة نومى .. ولم استطع ان اخفى عنهـا ما وقــع وما دار بينى وبينه . وقلت :

ــ الم اقل لك .. ان النـــاس ليس لهم الا الظاهـــــر . انهم لا يرضون لك ان تستقبلنى ولكنك لا تعلم انهم جميعا يودون استقبالى ولو طــارحتهم وارتميت فى احضانهم فلعل منهم من لا يتورع عن المبـــاهاة بذلك والتحـــدث به على موائد السمر .

وتماسكت او تماسلت على نفـــسى وغالبت تخاذلى واخــذت استرد اعتبارى على الاقــل فى العينين الفازيتين اللتين اســـتقرتا على وجهى وقلت لها :

ــ لا عليك .. سابحث عن مسكن اخرقصى عن الجيران وعن العيـــون المســـتطلعة والاذان المسترقة .

قالت ورنة حـــزن مستتر تبين فى عباراتها

ــ حسبى الله ونعـم الوكيل فى النـــاس .. ... يحـــرمون على الاخرين ما يحـــللونه لانفسهم ، لا عليـــك يا سعادة البيه النيـابة . مصسوبتك حليمـــة لن تسمح لاحد أن يمسك . ولو شئت لخـــربت لك بيوتهـــم ولكنى اكراما لخاطـــرك ســــاحتمل وســـابتعد عنـــــك . وساحتمل العـــذاب من اجلك .

وقامت على الفـــور للمضىمخالفة ما تعودنا عليه كل جمعـــــة . وحاولت ان اثنيها او ان امسك بيدها وقـــد ادركت احساسى بالثورة او التمرد على هـــذا التدخل من جـــانب الاخرين فى حيـــاتى . ولكنها ابت ان تستجيب لتوســــــلى واسكتتنى بقبـــلة طويلة جعلتنى اتهاوى على مقعدى وقد اصابنى ما يشـــــبه الدوار . ثم ســـمعت اقدامها وهى تهبـــط الدرج ولكن فى صـــوت مســـموع اردات به ان يعلم صاحب البيت وان تعلم حرمه وبناته انهـا بالفعل قد غادرت البيت ولم يطل مقامها فى شقة العازب .

***

والتقط السيد رئيس النيابة انفاسه ومد يده الى كأس الليمــون الذى اوشك انيتبخر من وطأة الحر وانـا قابع بازائه استمع لحكايته ولا اكاد احس بأن الوقت يتسرب كتسرب الرمال من بين فرجات الاصابع . ولم يلبث انإستأنف الحديث

ــ لم يكنالعثور على مسكن آخر ميسورا كما كان بالنسبة للشقة التى اسكنتها ل بيوحباشكاتب المحـــكمة الشرعية . لسببين : اولهمـــا او اهمها ان قصـــة زيارة حليمة الغجـــرية لى وترددها على مسكنى قد سبقتنى الى كل مكان حاولت ان اجد فيــــه مسكنا ولميشفع لى اننى كنت اشغل هذه الوظيفة الساحرة ... وظيفـــة وكيل النائبالعام . اما السبب الثانى او الاقــل اهمية فهـــو اننى كنت ابحث عن سكن مستقــل تماما عن مســــاكن الاخرين . واخيرا وبعد ان اوشك الشهر الجديد ان يحل عثرت فى طرف المدينة قرب الزارع على

بيت صغير يتألف من ثلاث حجرات وله حديقة ولا يوجد فوقه بناء ولا يطل على جيران الا على بعد لا يقل عن بضع مئات من الامتار . ولم أتردد في قبول الايجار الذي فرضه مالكه . وانتقلت اليه ليلة أول الشهر بقطع الاثاث البسيط التي كانت لي في الشقة الأخرى . وحين كنت احيي البلاشكاتب صاحب البيت القديم على استحياء . كنت ألمح من خلف الباب زوجته المصونة وبناته العذارى اللائي أقلقهن ما كان يدور في شقتي وما كن يلمحنه من أشباح تتحرك في شكل خيالهن . كنت ألمح أعينهن وهي تنطق بالحسرة لانهن لم يستطعن أن يرقبن بي في خيالهن وأن تفوز احداهن بالزواج مني وقال لي الرجل وفي صوته رنة عطف وأسى:

– أتمنى لك التوفيق يا طاهر بيه. وأدعو لك الله بالستر والسلامة ، ولا تنس انك في أسيوط ولست في القاهرة .

وشكرته ثم مضيت لا ألوي على شيء لاستقر في بيتي الجديد واستقبل فيه من أشاء ولم يكن من أشاء سوى حليمة الغجرية الحسناء التي كانت تتضوع بعطر غريب أشبه باللبن الطازج . وبدأنا صفحة من الحياة لم تكن تخطر لي على بال . فقد أصبحت تزورني يوما بعد يوم وتفرض على نفسها وتصر على أن تتولى شئون بيتي الصغير وأن ترعاني كما لو كنت مسئولا منها . واستباحت لنفسها أن تجري في ارجاء البيت وقد تخففت من ثوبها الأسود الكاسي واستبقت القميص الداخلي حتى اذا عدت من عملي استقبلتني بين ذراعيها وحملتني حملا الى الأريكة ثم راحت تخلع عني ثيابي الى ان تقودني الى الحمام ثم تقودني الى مائدة الطعام وهي تدللني كطفل ، وتقبلني كما تقبل احد الأولياء الذين كانت تحتجب زيارتهم او التغني بسيرتهم وفي طليعتهم سيدي عبد الرحيم القنائي .

وكانت سعادتي بها لا تقدر .. وكانت تجري وقدماها يصفقان فوق أديم المسكن دون أن تخشى أن يكون تحت هذا الأديم من يتجسس علينا أو يرصد خطواتنا . وكم وضعت رأسي على حجرها وراحت بدورها تتأملني وتلقي فوق وجهي بنظراتها العاشقة وكم غنت لي أغاني طفولتي بلهجتها البدوية وأضافت عليها ما تعبر به عن أشواقها وعن تدليلها وعن أحلام يقظتها ..

وعندما يقبل الليل كانت تجلس عند رأسي بجوار الفراش وتظل تحكي لي عن مغامرات

غجرية من أسيوط

حيـــاتها أقاصيص وروايات لاتنتهي الا بعد أن تسلمني للنعاس ثم تتسلل في غسق الليـل وتمضي الى حالهـا دون خشية أو تبرم للعواقب

وحـدث أن انقطعت أياما دون أن أعـلم السـبب وبدأت أحس لانقطاعها الآخذ يزحف الى قلبي زحفا خفيفا لم يلبث أن اشتد وقسـا حتى أحسسـت أنه يعتصر هـذا القلب أو يخنقه وأنا لا أكاد أعرف الوسيلة للسؤال عنهـا فلم أكن أعرف لها مقاما أو مستقرا · وحاولت أن أتسمع الأخبار عنهـا سواء في نادي الموظفين أو في نادي الأعيـان دون جدوى الى أن كان يوم النظر في معارضة المحبوسين على ذمـة التحقيق وأنا أهم بدخول جلسة المحكمة لاحتـل موقعي بوصفي وكيـل النيابة المنوط به حضور الجلسة · وبدأ الحاجب ينادي على المحبوسين ولـم يلبـث أن نادى اسمها :

ـ حليمة الغجرية ·

وكأنه أصـابني في الصميم ورحت أرفـع رأسي مسـتطلعا فاذا بها منسـرقة الى قفص الاتهام يقتـادها شرطي غليظ الوجه وهي ترفض الاستسـلام لقبضته · وتصرخ وقد تسمـرت قدماها حيال رأتني ·

ـ مظلومة يا سعادة البيه النيابة ·

وأرخيت ناظـري ورحت أتصفح الأوراق التي أمامي والتهمـة الموجهة اليهـا فتبين لي أنه قد قبض عليها منذ بضع ليالي وهي متلبسة بالسرقة من بيت حضرة باشكاتب المحكمـة الشرعية ·

ورفعت ناظري من فوق الأوراق ورأيـت بازائي حضرة الباشكاتب وفي عينيه نظرة متحدية تكاد تقول لي :

ـ أرني علمـك يا حضرة وكيل النائب العام وقدرتك على انقـاذ عشيقتك من تهمة التلبس

ووجه القاضي السؤال للمتهمة عن الواقعـة المنسوبة اليها فأقسمت أنها تهمة ملفقـة وأن البلد كلها تشـهد أن الباشكاتبة ومطيرخة · وزادت على قولها أنه ليس في بيت الباشكاتب مايسرق حتى بناته الأربع لا يمكن أن يسرقن لأنهن دميمات لم يفكر انسان في الاقتـراب منهن · فضجت أرجاء المحكمـة بالضحـك ، وانتهر القاضي الفتـاة وهددها بالحبس اذا لم تحفظ لسانها ·

وأعدت النظـر في الأوراق وفي التحقيـق الذي قام به مسـاعد النيابة وقـرار رئيس النيابة بحبسها لمدة أربعة أيام وتقديمها لجلسـة المحاكمة ، وكان شهود الاثبـات في التحقيق موظف بالمجلس الحسبي يدعى عامر الجلاوي ، وكان مشهورا بمغامراته مع القاصرات والأرامل وبواب أحد القصـور المجـاور لبيت الباشكاتب في شارع الخزان ··· وتبادلت النظر مع القـاضي · وأدرك من نظراتي أنني لم أكن مقتنعا الاقتناع الكافي الـذي يجعلني ألزم بتمثيل الاتهـام والمطالبة بادانة المتهمة وتساءل القاضي عما اذا كان هناك محام للدفاع عنها وهنا انطلق صوت حليمة مدويا :

ـ أنا لست في حاجة الى محامي يا سعادة المحكمة ··· المحامي ربنا واذا كان سعادة البيه النيابة مصـدقهم احكموا علي

وسألها القاضي :

ـ الثابت في الأوراق أنك ضبطت في بيت حضرة الباشكاتب فماذا كنت تفعلين اذا لم يكن قصدك السرقة ؟

وأجابت الغجرية وعيناها الفازيتان تخترقان صدرى :

ـ كنت عائدة ليلتهـا مارة بشارع الخزان فى طريقى الى الجانب الاخر من البلد الى الجبل الغربى حيث يقع الشيخ الذى أسكن فيه ورأيت نورا فى الشقة العليا فى بيت الباشكاتب ولم أستطع أن أقاوم الرغبة فى معرفة ما وراء هذا النور . والشقة خالية بعد أن تركها سعادة البيه النيابة . ولم تكن قد سكنت بغيره . وتسللت الى الشقة لأرى لماذا يكون النور فيها أو لمن يكون النور . ووجدت باب الشقة مغلقا فدرت حولها من جانب السطح الممتد أمامها ودخلت من الشرفة ومددت رأسى من نافذتها حيث كان النور فرأيت ما جعلنى اصرخ ... رأيت النحلاوى افندى وفى احضانه حرمة . ولم أصدق ما رأيت . وحاولت أن أعود من حيث أتيت . ولكن عامر افندى فاجأته صرختى أسرع خلفى وقبض على وجرنى الى أسفل وهو يوجه الى تهمة السرقة ويضع الشال الذى اتهمونى بسرقته فوق رأسى .

وسأل القاضى :

ـ ومن أين جاء بالشال ؟

وردت عليه حليمة :

ـ كان يفترش الشال مع الحرمة

وعاد القاضى يسأل :

ـ ومن كانت الحرمة

وقالت حليمة :

ـ ربنا أمر بالستر يا سعادة المحكمة

وساد الصمت قاعة المحكمة ... سكت القاضى وسكتت النيابة وسكت المحامون والمتهمون فى قفص الاتهام والجمهور الذى كان يملأ القاعة وسكت حضرة الباشكاتب .

ودار حوار صامت بين العيون ، وكانت عينا حليمة الفازيتان تتألقان فى صفحة وجهها الضحى وتؤكدان صدقها وبراءتها . ولم يجد القاضى مفرا من ارجاء الحكم الى نهاية الجلسة ثم رفعها للاستراحة .

وفى حجرة القاضى التقيت به وسألنى عما ورد بكلمات المتهمة وعما اذا كانت ثمة علاقة تربطنى بها . ولم أجد مفرا من مصارحته بالحديث الذى دار بينى وبين الباشكاتب صاحب الشقة والذى انتهى بانتقالى الى مسكن اخر فى طرف المدينة .

وفى نهاية الجلسة اصدر القاضى حكمه بتبرئة ساحتها والافراج عنها واستدعانى رئيس النيابة فى اليوم التالى وتحدث الى فى موضوع حليمة وفيما شاع فى ارجاء البندر من اننى على علاقة بها .. ولم يدع لى الفرصة للدفاع عن نفسى بل قال لى : اننى حتى لو كنت بريئا كل البراءة مما يقال فلا يمكن أن اقوم بواجبات وظيفتى فى النيابة العامة وشائعة كهذه تحلق فوق رأسى ، وانه من اجل ذلك قد اصدر قرارا فى حدود سلطته بالنقل الى مركز « ابنوب » وبذلك أصبح بينى وبين بندر أسيوط مسافة تكفى لاسكات همسات الناس وتقولاتهم .

●●●

وادرك محدثى الصمت . وشرد خياله وكنت أتأمل الشيب الذى جلل هامته وكسا فوديه ثم ارتد بخياله الى تخيله منذ نيف وعشرين عاما . وبدا لى أن أستتم حديثه فسألته :

ـ وماذا جرى لحليمة هل تبعتك الى ابنوب ؟

ولم يجب وانما تسللت من عينيه دمعة ترقرق على غضون وجهه ثم قال فى صوت هامس :

ـ وجدت قتيلة بعدها بأيام فى سفح الجبل الغربى !

ليتني

روحية
القليني

ليتني ألقي برأسي يا حبيبي فوق صدرك
علني أعرف من دقاته أعماق سرك
ثم أغفو والهوى يعبث في طيات شعرك
مر ـ بحق الحب ـ إني ياحبيبي طوع أمرك
ويدي ، يا ليتها تنزى بلمسات الحنان
بين شعر أسود اللون كليلات الزمان
في يدي سر حنين لم تذعه شفتان
ليتها تمسح وجدا ثم عنه دمعتان
ليتني أحضن كفا قد غفت بين يدي
تفرح الدنيا بلقيانا ونطوى الشوق طي
وأرى الشوق بعينيك جوى في مقلتي
فحياتي دون لقيانا لا تساوي أي شيء
ليتني أصنع من أنفاسك السحرية عطوري
وأظل العمر غرقي تحت أنفاس العبير
أنت عطرت حياتي ، أنت غيرت مصيري
وخضوعي لم يكن إلا لأحلام أميري



ليتنى فى الخطـــو ظـلٌ وارف كى يتبعــك
وعلى صــوتك أغفـــو ليتنى أبقى معـــك
أسـكب اللحن فيشـــجى بالأمانى مسمعك
تشرب اللحن وتســـقينى الهـــوى ما أروعك
ليتنى ألقــاك وحدى فى متــاهات بعيــده
ويضـــل النــاس لقيانا ـ بأحــلامى السـعيده
ثم أحـــكى كل ليل قصــة الشــوق الجــديده
طالمـــا أنت بقربى لست فى الدنيـــا وحيــده
ليتنى أنســـج من أهـــداب عينى الظــليله
عش أحــلام هـــوانا بالأمانى الجميـــلة
وأحيى النســـمة النشوى إذا مرت عـــليله
فـوق خديك ، فحبى لن ترى العمـــر مثيـله
ليتنى أم ، وما فى عالمـــى طفـــل ســـواك
وعلى صـــدرى تغفو يا حبيبى مقلتـــاك
وأغنى يا حبيبى لك أحـــلام صبـــاك
وأرى البسمة ســـكرى حملتهـــا شفتاك

ترى هل هناك عقلاء في الفضاء؟

د. محمد صابر

لم ينقطع الانسان منذ فجر التاريخ عن التأمل فى السماء، فى محاولة لكشف اسرارها وسبر اغوارها ... حتى جاء عصر الفضاء واستطاع أن يرتاد الفضاء ويتمكن بعد جهود مضنية من ان يضع قدميه فوق سطح القمر ..

ولكن طموح الانسان لم يقف عند حد غزو الفضاء بل تعداه ليبحث عن قبس من نور الحياة فى أى بقعة من أرجاء الكون الفسيح، واخذ يطلق سفن الفضاء السفينة تلو السفينة لتجوب فضاء الكون اللانهائى المحيط بنا وترسل لنا عبر الاف الملايين من الاميال - المعلومات التى سجلتها عن احوال الاجرام السماوية، وتجمع لنا « عينات » من الكواكب التى ترسو فوق سطوحها وتعيدها الينا على الارض حيث تتناولها أيدى العلماء والباحثين بالدراسة والتحليل

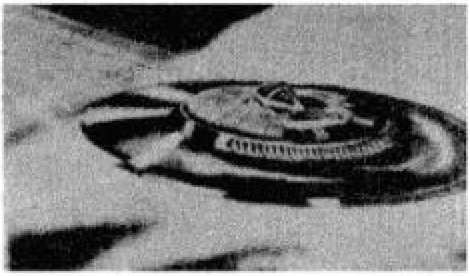
ويهدف الانسان من هذا الجهد الجبار ، الوصول الى اجابة شافية عن سؤال طالما حيره .. ! هل يعمر الكون بحضارات اخرى خلاف حضارتنا ؟

ان الاجابة عن هذا السؤال بجانب أنها تحتاج منا أن نبحث فى الحقائق الخاصة بعلوم الفلك والحياة - فانها تشدنا الى آفاق رحبة مشحونة بالخيال والاثارة .. وعلى أية حال فاننا سنحاول أن نستعرض سويا فى السطور القليلة بعض ما أنجزه العلماء فى هذا المضمار .

طالعتنا الصحف فى الاونة الاخيرة برأى ادلى به اثنان من كبار علماء الفلك المعاصرين :

نتكان لونان ، الذى اعلن انه على يقين من أن هناك حضارة اخرى فى الفضاء الخارجى تحاول الاتصال بنا تليفونيا ، وان كل ما علينا ان نفعله للاتصال بهذه الحضارة هو ادارة الرقم المناسب ...

ودونالد بواكنيل ، الذى صرح بأن



الاشارات الوجيبة الغامضـــة التى التقطتها الارض منذ ٤٠ عاما ربما تكون من مخلوقات عاقلة فى مكان ما من الكون .

ولقد عضد هذه الاراء استاذالفلك بجامعة كورنيل الامريكية بقوله : « لا أستطيع القول باننى اعتقد ان هناك عقلاء فى الفضاء ، وكل ما استطيع ان اقوله ان هناك عدة أسباب تجعلنا نفكر فى ان هذا فى نطاق الامكان ، واننا نملك من الوســـائل العلمية الحديثة ما يمكننا من سـبر اغوار الكون ، وطالما ان الامر بهذه الصورة فاننى إسوف اخجل من حضــارتى اذا لم تحاول الوصول الى فهم .. » .

وفى السنوات القليلة الماضية كان شغل الناس الشاغل هو ظاهرة الاطباق الطائرة ... وكثر الحدس والجـدل حولها ، فمن قائل بانها سلاح سرى لاحدى الدول العظمى ... الى زاعم أنها سفن فضاء رست على سـطح كوكبنا الارضى بعد رحلة شاقة بدات من كوكب آخر بعيد ... الى مدع بأنه رأى الاطباق الطائرة وتجـاذب أطراف الحديث مع قادتها ..

فأين هى الحقيقة من هذا الكلام ؟ لكى نكون موضوعيين فى معالجـة هذا الامر علينا ان نلجأ الى الاسلوب العلمى ، ونناقش الحقـائق العلمية المؤكدة دون سواها .

بدأ الحديث عن الاطبـاق الطائرة ينتشر بين الناس ، بعـد أن نشرت الصحف العالمية حادث سقوط جسـم غريب فوق حقول الارز المنتشرة حول نهرى التيس واليتيـــا فى سيبيريا بالاتحاد السوفييتى فى احد ايام شهر يونيو من عام ١٩٠٨ . وأدى سقوط هذا الجسم على سطح الارض الى حدوث زلزال شـــديد امتدت اثاره لمسافات شاسعة ، لدرجة أن مراصد لندن سجلت لحظة ارتطامه بالارض . وفى نفس الوقت أدى سقوط هذا الجسم الى ابادة كافة صور الحياة فى رقعة كبيرة حول مكـان الارتطام . وبعد أن قام العلماء بفحص مخلفات هـذا الجسم ودراسة أثره فى المنطقة .. أكد العالم الروسى ليابونوف أن هذا الجسم غريب عن الكرة الارضـية وأنه يعمل بوقود ذرى ، وأن الاشعاع المنبعث منه هو السبب المباشر الذى أدى الى قتل الاحيـاء فى المنطقة المحيطة بمكان السقوط .

ونظرا لما اثاره نشر هذا الحادث من ضجة وبلبلة ولاختلاف الاراء حول الاطباق الطائرة ـ فقد بادرت الحكومة الامريكية بانشاء مركز بحوث بقاعدة « رأيت باترسون » لدراسة الاطباق الطائرة وتحديد هويتها .. وفى نفس الوقت قامت اللجنة القومية الامريكية بدراسات موسعة فى محاولة لازالة الغموض الذى يحيط بالاطباق الطائرة

ولقد اكدت تقارير بعض العلمـاء ان الاطباق الطائرة حقيقـة لا يمكن تجاهلها ، وانها اجسـام تختلف فى اشكالها واحجامها تسير بسرعات تزيد عن تسعة الاف ميل فى السـاعة . ويرجح بعض العلماء انها الات كوكبية قادمة الينا من عوالم أخرى بعيدة لا تعرفها حضارتنا البشرية . وأضاف التقرير أن هذه الاجسام يكثر ظهورها فى الفترة التى تصغر فيها المسافة بين كوكب المريخ والكرة الارضية .

وفى عام ١٩٦٦ أكد « مركز أبحاث الاطبـاق الطائرة » الملحـق بمعهد الطبيعة الفلكيـة بجامعة كولورادو الامريكية ، أن هناك الة ـ ملموسة قاطعة تثبت اننا تحت مراقبة دقيقة لاجهـزة ميكانيكية تسـيطر عليها حضارات ذكية تقطن فى مكان ما من الفضاء .

وتكررت « البلاغات » التى تؤكد ظهور الاطباق الطائرة فى أكثر من مكان فى العالم ، ففى البرتغال صدر بيان رسمى من الدولة عام ١٩٦٨ يعلن

شهود اجسام غريبة الشكل ذات لون أبيض فى سماء البرتغال فوق جزيرة سانتا ماريا تحلق على ارتفاع عشرة الاف ميل . وتذكر البيانات ان جميع الساعات الكهرومغناطيسية قد توقفت عن العمل لحظة مرور هذه الاجسام بجوارها ...

ولقد ناقش المؤتمر الدولى الخامس لاستخدام الفضاء الخارجى فى الاغراض السلمية ، الذى عقد فى فيينا من ١٤ ـ ٢٧ اغسطس عام ١٩٦٨ ، موضوع الاطباق الطائرة .
وكان من ضمن قرارات المؤتمر ان الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفييتى يعترفان بهذه « الظاهرة » وان العلماء المجتمعين يؤيدون الرأى القائل بان « الاطباق الطائرة » الات كوكبية موجهة من الفضاء الخارجى بذكاء خارق .

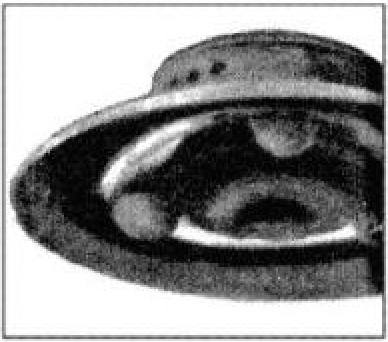
ومع بزوغ فجر عصر الفضاء ظهرت مجموعة جديدة من العلوم لم يألفها الانسان فى حياته ومن هذه العلوم: علم « البيولوجيا الخارجية » الذى يتناول بالبحث والدراسة الحياة خارج نطاق كرتنا الارضية ، وهذا العلم ما زال يتحسس طريقه ويحاول ان يثبت وجوده بين العلوم الاخرى، بيد ان اكبر التحديات تقف عقبة أمامه هى انه ما زال يبحث عن مادته،

ففى مرصد يوداكان بالاتحاد السوفييتى قرر لفيف من كبار علماء الفضاء أن الانسان بوسعه أن يستمع الى الرسائل التى ترد الى الارض من عوالم اخرى ... حيث يوجد فى الاتحاد السوفييتى الان جهاز تلسكوب ـ راديو قطره خمسون قدما يقوم بالاستماع الى الاشارات التى تصدر من خمسين جرما سماويا تخبط خبطا على امل ان يلتقط أى نغم أو جملة مثلا على مكان حضارة مفكرة فى الفضاء .

وفى نفس الوقت تقوم الولايات المتحدة الامريكية حاليا ببناء ثلاثة صفوف عملاقة من محطات الراديو بالقرب من مدينة سان فرانسيسكو للاستماع الى اشارات الفضاء .

وعلى الرغم من ان جمهرة علماء البيولوجيا الخارجية لا يعضدون فكرة وجود حياة فوق سطح أى كوكب من كواكب المجموعة الشمسية ، حتى بالنسبة لكوكب المريخ الذى ظل الناس لفترات طويلة يميلون للاعتقاد بوجود « مريخيون » فوق سطحه ـ فان عالم البيولوجيا الخارجية « ساجان » يعارض هذه الاراء ، ويرد على رأى جمهرة العلماء ، بانهم اذا كانوا قد وصلوا الى هذا الرأى، نتيجة للمعلومات والصور التى أمدتهم بها سفينة الفضاء « مارينر » فان هذا لا يجزم بانعدام الحياة هناك ويؤكد رأيه بمجموعة من الصور التقطت للكرة الارضية من أقمار صناعية تدور حول الارض فى مدار يبعد بنفس المسافة التى التقطت « مارينر » صور المريخ منها ، والنظرة المتفحصة لهذه الصور ترجح خلو الكرة الارضية من كافة صور الحياة

ويؤيد اراء ساجان تجربة بسيطة قام بها نفر من علماء البيولوجيا الخارجية ، عرضوا فيها بعض الكائنات الحية البسيطة الى ظروف تحاكى ظروف كوكب المريخ من حيث درجة الحرارة والرطوبة والضغط ومكونات الغلاف الجوى ، ووجدوا بأن هذه الكائنات الحية اقامت نفسها فى الوسط الجديد وواصلت الحياة .. ولذلك فان بعض علماء البيولوجيا الخارجية يميلون



الى الاعتقاد بان كوكب المريخ ما زال فى مراحل تكوينه الاولى ، وبالتالى فانه ليس من المرجح ان تؤدى رحلات سفينة الفضاء مارينر التى تصور الكواكب بكاميراتها التليفزيونية بالاشعة فوق البنفسجية وتحت الحمراء ، الى كشف اى شكل من اشكال الحياة بها ..

ودعنا نترك هذا الخلاف عن وجود الاحياء من عدمه فى كواكب المجموعة عامة وفى كوكبى المريخ والزهرة خاصة . ولنتجول فى ارجاء الكون الفسيح لنبحث عن احتمالات وجود الحياة به ...

نحن نعيش فوق سطح احد كواكب المجموعة الشمسية الموجودة فى احدى الجزر الكونية التى تسمى « طريق التبانة » . ولقد قدر العالمان الروسيان اوبارين وفستكوف احتمالات وجود كواكب شبيهة بالارض فى الكون اى تتوفر بها نفس الظروف الطبيعية المناسبة لنشاة الحياة . ووجداها واحداً فى المليون اى ان نجما من بين كل مليون نجم يحتمل ان يسبح فى فلكه كوكب يعمر بالحياة ... فاذا علمنا ان مجرتنا (سكة التبانة) بها مائتا الف مليون نجم ، فلن مائتى الف كوكب منها قد يكونون ماهولين بالحياة ، وهذا العدد فى مجرتنا فقط ، التى يعمر الكون بملايين مثلها ، ونستطيع ان نرى بعضها من خلال عدسات تلسكوباتنا .

ويعتقد كثير من علماء البيولوجيا الخارجية أن هذه الاجرام الشبيهة بالارض ماهولة بحضارات قديمة تفوق حضارتنا فى التقدم والرقى ، ولا يحول دون اتصالها بنا غير المسافات الشاسعة .

ويعتقد بعض العلماء ان الحضارات المتقدمة القائمة الان فى وسط المجرة التى نعيش فى احد اطرافها ، تتصل ببعضها البعض وتتبادل المعلومات . وأن هذه الحضارات تعلم ان حضارة الارض ما زالت فى مرحلة بدائية بالنسبة لهم ، وانهم قد مروا عليها اكثر من مرة ولم يجدوا فيها التقدم الذى بلغوه .

ونتيجة الدراسات التى تجمعت حتى الان فى علم البيولوجيا الخارجية ، والتى اثبتت وجود المواد الاساسية للحياة فى النيازك التى تسقط على سطح الارض ، اوصى مؤتمر علماء الفضاء الذى عقد عام ١٩٧١ فى الاتحاد السوفييتى بان هناك مالا يقل عن مليون ومائة الف حضارة تكنولوجية مزدهرة فى مجرة « طريق التبانة » وحدها ، وأن متوسط المسافة بين هذه الحضارات لا يزيد عن بضعة مئات من السنين الضوئية .

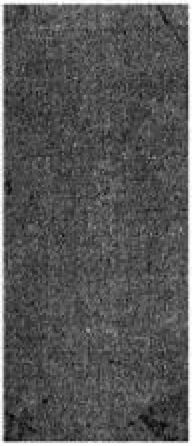
وكل هذه الحضارات قادرة على الاتصال بعضها البعض ، وانها تحاول الاتصال بحضارة الارض .

فلنستعد من الان لملاقاة سكان الفضاء ، اذا قدر الله العلى القدير لنا ان نحيا حتى تصدر مشيئته بذلك وصدق الله العظيم حين يقول فى سورة الشورى « ومن اياته خلق السموات والارض وما بث فيهما من دابة ، وهو على جمعهم اذا يشاء قدير»

العوضى
الوكيل

الفصحى

وعاء لحياة إنسان العصر



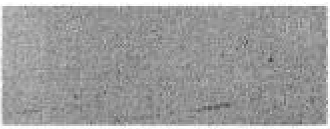
رحم الله شاعر النيل محمد حافظ ابراهيم ، فانه فى اوائل هذا القرن ،انطق لسان حال اللغة العربية بشعر ، يصح أن نرويه فى هذه الأيام ، لان المناسبة التى قال فيها حافظ هذا الشعر أوشكت أن تعود الى الحياة فى هذه الايام ، تلك المناسبة هى اتهام اللغة العربية بالعجز عن الوفاء بحاجات عصرنا ، بعد انطلاق الفكر والتفكير فيه الى ابعد الغايات …



كانت أبيات حافظ تقول :

انا البحر فى احشائه الدر كامن   فهل سالوا الغواص عن صدفاتي
رمونى بعقم فى الشباب وليتني   عقمت فلم اجزع لقول عداتي
وسعت كتاب الله لفظا وغاية   وما ضقت عن آى به وعظات
فكيف اضيق اليوم عن وصف آلة   وتنسيق اسماء لمخترعات
ارى لرجال الغرب عزا ومنعة   وكم عز أقوام بعز لغات
اتوا اهلهم بالمعجزات تفننا   فياليتكم تأتون بالكلمات
ايطربكم من جانب الغرب ناعب   ينادى بوأدى فى ربيع حياتي
سقى الله فى بطن الجزيرة اعظما   يعز عليها ان تلين قناتي
حفظن ودادى فى البلى وحفظته   لهن بقلب دائم الحسرات
ايهجرنى قومى عفا الله عنهم   الى لغة لم تتصل برواة
سرت لوثة الافرنج فيها كما سرى   لعاب الافاعى فى مسيل فرات
فجاءت كثوب ضم سبعين رقعة   مشكلة الالوان مختلفات





الأزهري : لغة فصحى يفهمها رجل الشارع

والاتهام القديم كما يبدو من الابيات اتهام يتعلق بالالفاظ ، وعدم قدرتها على استيعاب المخترعات الحديثة ومواجهتها باسماء عربية٠٠ اما الاتهام الجديد فاهم واخطر ، ومحصله ان بعض المفكرين العرب حسبما قرأت لهم فى بعض الصحف اخيرا ٠ يرى ان اللغة العربية كما نراها فى التراث الادبى ، وكما لا تزال تستخدم عند كثيرين ممن يظنون انهم يكتبون ادبا ، توشك الا تنتمى لدنيا الناس ، ولاتكاد ترى علاقة بينها وبين مجرى الحياة العملية ، ونتيجة لذلك لم يجد المتكلمون بالعربية مفرا من ان يخلقوا الى جانب الفصحى لغات عامية يباشرون بها شئون حياتهم ٠

كما يرى هؤلاء المفكرون ان اللغة الفصحى فى تراثنا الادبى ، لم تكن اداة للاتصال بمشكلات الناس ولا وسيلة للثقافة المتصلة بحياتهم وزمنهم ولكنها كانت مجالا للفن الحائم فى السماء ، الذى لا تربطه بالارض وشيجة او سبب ٠٠

وسندع الكلام عن ادبنا الحديث الى حين ، فان فساد الحكم عليه ظاهر للعيان ، بحيث لا يحتاج منا الى دفاع او كفاح ، ونعرض للقديم اولا لا قديم العصور المختلفة التى انحط فيها الادب ، وطغت الصنعة والتكلف على الطبع والسليقة حتى اوشكت ان تمحى اية البيان الصحيح وانما قديم الجاهليين وقديم صدر الاسلام ، وقديم الامويين والعباسيين ، مما يشكل تراثنا الفكرى ، ومما يحدد ملامح حضارتها الواسعة العريضة التى شملت الدنيا واستوعبت ، او اوشكت ان تستوعب الناس فى عصور الامبراطورية العربية الزاهية ايام المأمون والرشيد ٠٠

نذكر هذا التراث ونسأل : اهو حقا كما قال هؤلاء المفكرون منبت الصلة بحياة الناس او مجرد حروف تتتابع على القرطاس وتحدث بالتشابه والتضاد والتقارب والتباعد مجموعات من المعانى لا تتصل بالارض ، لانها مجرد عبث لغوى ولغو كلامى لا يثير شعورا ولا يحرك عاطفة ؟ !

هل نعتبر مثلا دواوين ابن الرومى ، والمتنبى ، والبحترى ، وابى تمام ، والاخطل واضرابهم مجرد العاب من العاب السيرك ، تخلو تماما من نبضات

الفصحى

شخصيات قائليها ومن ومضات خطرة حياتهم ؟ .. وهل تراث الجاحظ النثرى وتراث أبى العلاء وابن المقفع وأمثالهم من الناثرين كلام يزجى الناس به أوقات فراغهم كما يزجونه فى لعبة الثعبان والسلم ، أو ضرب النرد ولعب الورق ؟

ماذا نريد من اللغة ؟ هل نريد منها الا ان تكون وعاء نصب فيه افكارنا وخواطرنا .. فهل ضاقت لغتنا اليوم ان تكون وعاء لحياة انسان يعيش فى عصرنا ، وتضطرب فى نفسه شتى مشاعر العصر وشتى الافكار العامة والخاصة فيه ؟ .

لماذا استطاعت اللغة العربية فى العصر العباسى ان تستوعب علوم الفرس والاغريق وان تقرأها فيها فكانها خلقت بها ، ولم تنقل اليها ؟ ..

العيب اذن ليس عيب اللغة ولكنه عيب الذى لا يملك اداتها ثم يحاول ان يعبر بها ، ان الطفل الذى يلثغ لا يجوز لك ان تطالبه بأن يحدثك عن بعض المعانى العميقة ، لان لغته اللاثغة المرتبطة بفكره اللاثغ لم تتسع بعد لكى تستطيع مثل هذا الحديث .

ونعرض للادب الحديث فنقول لئن كان طه حسين هو اكثر كتاب عصرنا زخرفة وتنسيقا للالفاظ والاساليب فقد استطاعت لغته العربية الفصحى رغم ذلك ان تستوعب حياته ازهريا وجامعيا واستاذا ووزيرا وزوجا وأبا بحيث صورت نواحى انسانيته تصويرا كاملا ، وبحيث ثبتت قدرتها على ان تعطيه التعبير الوافى الكافى متى كان يسنده فكر واع ومتى كان المعبر يملك الاداة كل الاداة .

ولقد صور العقاد حلقة من حلقات حياته فى قصته (سارة) وعبر فيها عن أدق المعانى الانسانية ، وأخفى الاشارات العاطفية والنفسية ، بحيث تقرأ الكتاب فترى العقاد يتخايل أمام عينيك بقامته المديدة وحديثه الجهورى الرصين ، فكيف يقال بعد ذلك ان لغتنا لغة طائرة كالاطباق الطائرة - لا تتصل بأهل الارض ولا تأخذ عنهم ومن ثم فهى لا تستطيع ان تعطيهم ؟ !

واستطاع ابراهيم عبد القادر المازنى - رحمه الله - ان يكتب بلغة فصحى يفهمها رجل الشارع وان يصب فيها شتى الخواطر والافكار ، وان يطلق بها الفكاهات فيضحك بها الاخرين مع انها مكتوبة بلغة فصيحة عالية فى درجة فصاحتها ..

ان اللغة لا تنفصل عن التفكير بحال فأنت لا تستطيع ان تفكر تفكيرا مجردا من صورة كلامية تجرى فى خاطرك ، وان اللغة عمل منطقى وليست عملا لسانيا على الاطلاق ، ومن ثم فان ضحالة الاسلوب انما هى صورة من

مسألة القائل . الامر اذن لا يرتبط باللغة بل هو مرتبط بالقائل او بعبارة أدق بقدرة القائل على التفكير والتعبير متى امتلك اداتهما الصحيحة .

ان القضية المطروحة الان من هؤلاء المفكرين قضية في غاية الخطورة لانهم يرون أن العامية ـ أية عامية ـ أصبحت اقدر من الفصحى على تسجيل العصر بما فيه من ناس وافكار وقضايا . والامر ليس اكثر من ان الذين يقولون بهذا القول يتقنون العامية ـ أية عامية ـ اكثر من اتقانهم الفصحى ، فهم يستطيعون ان ينقلوا بها ـ دون الفصحى ـ افكارهم ومشاعرهم ولو انعكست الاية فكانت قدرتهم على التعبير بالفصحى اكثر من قدرتهم على التعبير بالعامية ـ كما في حالة المستعربين والمستشرقين ـ لانعكست الاية وصارت العامية هي العاجزة عن الاستيعاب وهي العاجزة عن الاداء .

وقد بلغت اللغة العربية الفصحى اوج عبقريتها في القرآن الكريم الذى عالجت اياته شتى موضوعات الحياة وما قبل الحياة ، وما بعد الحياة « ما فرطنا في الكتاب من شيء » ولم يقل احد حتى اشد الغلاة في مخاصمة الإسلام ان اللغة قد عجزت عن شيء عبر عنه في القرآن ، او كان يمكن ان يعبر في القرآن .

والذين يرمون اللغة العربية الفصحى الان بهذا الاتهام يعلمون أن مجالس الامة في كثير من الدول العربية يتحدث اعضاؤها باللهجة الدارجة العامية لكن الاحاديث حين تكتب وتطبع في مضبطة ـ اى تسجل ـ تكتب بالفصحى فتستوعب كل ما قيل في الجلسات ، وتعرض على الاعضاء في الجلسات التالية فلا يجدون مفرا من اقرارها لانها عبرت تماما عما يريدون ، ولا شك ان احاديث البرلمانيين ليست خيالا مهوما في السماء وانما هي شيء شديد الصلة بحياة الشعوب .

ومنذ حين عرض على بعض الناس مذكرة كتبها رجلان من اهل العلم عن موضوع علمي ، وحين قرأتها لم افهم شيئا تقريبا مما اراد الرجلان ان يقولاه وحين لقيتهما بعد ذلك وسمعت منهما ـ بالعامية ـ خلاصة مذكرتهما عجبت لانهما استطاعا أن يعبرا بالعامية عما عجزا عنه في الفصيحة ، وناقشتهما في الامر فعرفت منهما أمرا لعله كان جديدا علي ، علمت انهما يفهمان من فصاحة اللغة وبلاغتها انها الفاظ مرصوصة فيها بعض الجهد وبعض الزينة ، وهكذا فهما من معلم الانشاء يوم كانا تلميذين صغيرين ، وهما لذلك قد أعدا مذكرتهما على هذا الاساس .

فالافتعال إذن ، ومحاولة تزيين الاسلوب بقصد الفصاحة والبلاغة والعجز عن الالمام بأسرار اللسان العربي ، كل اولئك يجعل العامية ولا شك أسهل امام بعض الناس من الفصحى ويوجه الى الفصحى اتهاما ظالما ليس له نصيب من الصحة ابدا ، انما الرأى ان يكون التفكير متصلا باللغة وأن تكون اللغة بسيطة ما امكنت البساطة سهلة ما تيسرت السهولة .

والعامية التى يتقنها دون العربية الفصحى بعض العرب ، وعاء من أوعية التفكير لجيل واحد او جيلين في وطن من أوطان العروبة ، ولكنها لاتستطيع ان تكون وعاء التفكير الامة العربية في كافة عصورها وكافة اقطارها . فذلك هو شأن الفصحى التى حملت تراث الجاهليين والاسلاميين والعباسيين والمحدثين في كل قطر وفي كل جيل

لؤلؤة

عبد المنعم الأنصاري

سقطت هنا بالأمس لؤلؤةٌ
منّي وراءَ مشارفِ الزمنِ
ومدائن قد كنتُ أعرفها
بقبابِها ـ يوماً ـ وتعرفني
كانت ـ ويا ما كان ـ ثمّ هوتْ
بقلاعها في بؤرة العفَنِ

***

ورجعتُ أبحث في خرائبِها
ويكاد دمعُ الوجد يَحرقني
لا شيء إلّا الذكرياتُ معي
زادًا ، والا الشوقُ يؤنسني
وبقيّة من شعلةٍ وَهَنَتْ
وتساقطت منّي على الدِّمَنِ

فأطلّت الأشباح واقتربتْ
بعيونها الصفراءِ تجلدُني

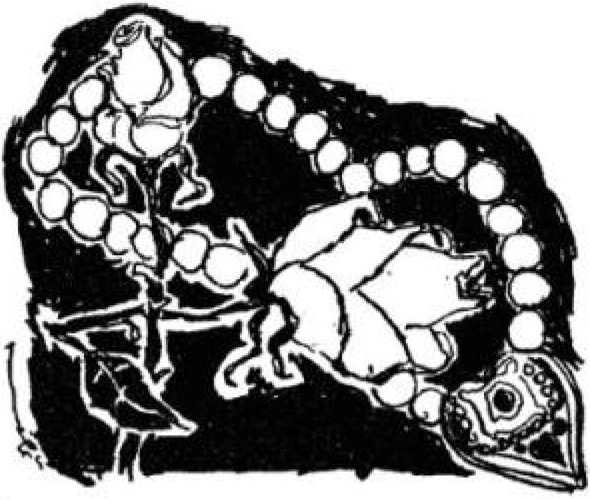
والريحُ قـد مدّت مخالبَهـا
لقرارةِ المجهـول تجذبُني
إني هنا .. لم أدر منـذُ متى
وأنا أدافعُهـا .. وتدفعني

هيهـات أذعن للرّياح وإن
أهلكت تحت سياطِهـا بدَني

***

يا مَـن يردُّ علـى لؤلؤتي
أنا دونهـا شيءٌ بلا ثمن

نذرٌ على إذا ظفـرتُ بهـا
لبنيت حولَ مكانهـا سكني



الهادى آدم

منذ ان عرف الادب العربى طريقه الى وادى النيل شماله وجنوبه ، لم يجد مادة اخصب من بيئته الجديدة ممثلة فى هذا النيل العظيم من منابعه الى مصبه .. اذ انه يمثــل الرباط الانسانى بين شعبيه العريقين مصر والسـودان .. فكان أول ما ينطلق من افواه الشعراء هـو الغناء للنيل وشعوبه .

وادى النيل فى لهوات شعرائه

كانتقيثار الشعراء تفيض بهذا النغم الجميل فتتجاوب مع اناتالشراديف وتحنان السواقى واهازيج الطيور .. وكما غنوا للطبيعة وسحرها فكذلك غنوا لنضالهم المشترك من أجل صنع الحياة الكريمة ، واقامة العدل والسلام والحب على ضفاف واديهم الحبيب ، كما نظروا الى النيل الخالد فرأوا فيه هبة السماء للارض منبعها الجنه ، ومهبطها الوادى الخصيب :

من اى عهد فى القــرى تتدفق ... وبأى كف فى المدائن تغـدق
ومن السمــاء نزلت ام فجرت من ... عليا الجنان جداولا تترقـرق
وبأى نول انت ناسـج بردة ... للضفتين جديدها لا يخلق
بتقبيل الوادى الحبيـبـاة كريمة ... من راحتيك عميمة تتدفـق

واذا كانت هذه نظرة « شوقى » فى الشمال ، فكيف يراه التجانى يوسف بشير فى الجنوب :

انت يا نيل يا سليل الفراديس ... نبيل موفق فى مسـابه
حضنتك الاملاك فى جنة الخلد ... ورفت على وضىء عبـابه
وامدت عليك اجنحـة خضرا ... واضفت ثيابهـا فى رحابـه
فتحـدرت فى الزمان وافرغت ... على الشرق جنة من رضـابه

وإذا كان سكان النيل قديماً عبدوه واتخذوه إلهاً من آلهة الخير ، وإذا كان من جاءوا بعدهم قد قربوا له القرابين من الحسان طلباً لوفائه كل عام ، فإن أجيالنا المعاصرة قد اتخذت منه رباطاً روحياً يربط بين شعبي مصر والسودان ، يغمرهما بالخصب والنماء ، والحب والحنان تجوب نسماته الوادي نشوى معطرة تحمل الشوق والحنين :

يا نسمة رنحت أعطاف وادينا ... قفي نحييك أو عوجي نحيينا ..
مرت مع الصبح نشوى في تكسرها ... كأنما سقيت من كف ساقينا

هكذا يتحدث علي الجارم في رحلته من الشمال إلى الجنوب وهو يطوي الفيافي :

حتى تبدت لنا الخرطوم عن كثب ... كما تجلى جلال النور في سينا
جئنا إليها فمن دار إلى وطن ... ومن منازل أهلينا لأهلينا
جئنا إليها وفي أكبادنا ظمأ ... يكاد يقتلنا لولا تلاقينا

فالنيل إذن رمز لعمق الصلات وأصالتها بين الشعبين ، تلك الصلات التي عبر عنها الشعراء في وادي النيل أصدق تعبير فجاء المهم مثالاً لرقة العواطف ، وصدق التجربة فهذا شاعر السودان العباسي ، يكاد يقطر رقة وعذوبة حين يقول :

ولي بمصر شجن ... أجرى الدموع عندما
فارقت مصر ذاكراً ... أرجاءها والهرما
والنيل ، والجزيرة ... الفيحاء والمقطما
ربوع خير طالما ... أسدت إلى النعما
عمر وأيام الشباب ... الغض من لي بهما

أو حين يقول :

لو أن لي بساطاً من الريح أو قبا ... الوادم نسر
لطير نحو مصر اشتياقاً إنها للأديب أحسن مصر
فيك يا مصر لذتي وسروري وسميري وقت الشباب وذكري

ولعله من العسير أن يحصي الباحث كل الشعراء الذين كتبوا في هذا المجال ناهيك عن تقصي شعر من شعر فليس ثمة شاعر في وادي النيل ليست له صولات وجولات في هذا المجال — وما نثبته هنا لا يعدو أن يكون مجرد رمز لدور الأدب في تقوية تلك الأواصر غير أن بعض الشعراء يفرض نفسه في هذا المجال كالشاعر السوداني التجاني يوسف بشير :

إنما مصر والشقيق الأخ السودان ... كانا لخافق النيل صدرا
حفظا مجده القديم وشادا ... منه صوتاً ورفعا منه ذكرا



محمود حسن اسماعيل

ثم يتساءل :

من اتى صخرة الوجـــود فراها فاجرى منها الـــذى كان اجرى
سلسبيـــلا عذب المشـــارب ثرارا رويا جـــم الروافد غمـــرا

انه النيل الخالد مصـــدر الخصب للعقول والارواح ، والذى اصبح طرفه الاخر مصر امنية من امانى الشـــاعر واملا يراوده حتى مـــات دون تحقيقه

امل ميت على النفس الصـــمت لـه من شلامة اله القبـــرا

زهقت روحـــه وفاضت شعاعا بعدما اقعد الطفولة عمـــرا

كنت احيا على ندى منه يتســاقط بردا على يـــدى وعطـــرا

ثم اودى باويحـــه ضاقت الدنيا به بجهـــدها احتمـــالا وصبرا

كلمـــا انكروا لقـــافة مصر كنت من صنعهـــا يراعا وفكـــرا

جئت من حـــدها غرارا فحيـــا انه مســـتودع الثقافة مصرا

واذا لم يكن الشاب الشـــاعر الواله بحب مصر يتمكن من تحقيـــق امله ، بسبب الاستعمار والفقر والضياع فانه يكتفى بابلاغ رسالته على البعد :

يا ابن مصر وعتدنا لك ما تامل تبليغه من الخيـــــر مصر

قل لها فى صراحة الحق والحـق بان يؤثر الصراحة احـــرى

ولقى من علائق الادب البـــالى ولا تحفلى باشـــياء اخـــرى

هذه نماذج رمزية اكتبها من الذاكرة كدليل على كثرة ما كتب الشعراء ، وفى ذهنى صورا متزاحمة لما كتبه الكثيرون من شعرائنا هنا وهناك ، ويكفى للتدليل على ذلك اننى ـ وانا اكتب هذه السطور تلقيت هاتفا من الاخ الشاعر الاستاذ بحرى طيب الاسماء ، وسالنى ماذا تفعل ؟ ولما اخبرته بالموضوع الذى انا بصدده اضفت مداعبا : ان كل الشعراء كتبوا فى هذا الموضوع الا انت ، فارســل ضحكة عالية ثم قال منشدا من شعره :



علي الجارم

انا للعبيد هنا للمحتلين ولي		في حب مصر لهم دين ولي ديني
انا الكميت وهم الى هنا يرحت		قصائد الشـــوق ما ادعو ليعيني
بني الكنـــانة الى مرتم التجهت		ركب الفضائل مـن علم ومن دين
طوالتموننا عقود الفضـــل فامتزجت		بيض الشمائل في نشر الرياحين

ثم تنشدني قول العباسي

مصر وما مصر سوى الشمس التي		بهرت بثـــاقب نورها كل الورى
ولقد سعيت لها فكنت كانمـــــا		اسعى لطيبة او الى ام القـــرى
وبقيت مأخوذا وقيد ناظـــــري		هـــذا الجمال تلفتـــا وتحيرا
فارقتها والشـــعر في لون الدجى		واليوم عدت به صباحا مســـفرا

ثم يشير الى رقيعـــة الاستعمار بين الشعبين :

كذب الذى ظن الظنون وساقهـــا		للناس عن مصر حديثا يفتـــرى

ومن منا لا ينكر هذه القصيدة الرائعة التى يرد بها العباسى جميل من كرموه في مصر عندما حضر لطبع ديوانه :

يا من وجدت بحبهـــم ما اشتهي		هل من شـــباب لي يباع فيشترى
ولو انهم ملكوا لما بخلـــوا به		وارجعوني والزمان القهقـــرى

وبعد ، فما زال النيل العظيم يتدفق في غدرانه وروحاته يحمل الخير والحب والسلام ، وما زالت الحياة وستظل أبدا خضراء ضاحكة على شفاهه ، والشعر ما زال يتطلع الى التعبير عن كل ارائه

واذا كان هذا النيل قد (شابت على شطه الليالي وشيعت عمرها الجبال
يقول محمود حسن اسماعيل كرمز للازل ، فسوف تمتد على شطانه حياة يال والخلود كرمز للابد .

مواقف فكرية

أبو عثمان الجاحظ

د. عبد الحكيم بلبع

يتجاوز بو عثمان الجاحظ بفكره وعبقريته وفنه حدود الزمان وحدود المكان، ويفرض اسمه على تاريخ الفكر الانساني قديمه وحديثه ، شرقه وغربه ، ويغرم به الدارسون ويتعلقون بانتاجه الخصب الغزير ليجدوا فى آفاقه الرحبة الواسعة معظم ما حفلت به صفحة الوجود من معارف ، وليستثمروا حصاد فكره المتنوع العميق في ابحاث تتعدد ميادينها وتتنوع حتى تشمل جوانب عديدة مما عرفه نشاط الفكر الانساني فى الفلسفة والمنطق والسياسة والاقتصاد والاجتماع والتربية والاخلاق وعلم النفس والدين واللغة والادب والنقد وما الى ذلك مما اتسعت له مصنفات الجاحظ ورسائله التى بلغ احصاؤها فيما ينقله « سبط بن الجوزى » فى كتاب مرآة الزمان ثلاثمائة وستين مصنفا حيث يقول « اما مصنفات الجاحظ فثلاثمائة وستون مصنفا ووقفت على اكثرها فى مشهد الامام ابى حنيفة » (١)

وقد لفتت هذه الظاهرة انظار المفكرين فى الشرق والغرب فتحدثوا عنها فى اعجاب يصل الى حد الانبهار والدهشة · يقول المرزبانى « كان ابو عثمان الجاحظ من اصحاب النظام ، وكان واسع العلم بالكلام كثير التبحر فيه شديد الضبط لحدوده ومن اعلم الناس به وبغيره من علوم الدنيا ، وله كتب كثيرة مشهورة جليلة فى نصرة الدين وفى حكاية المخالفين والاداب والاخلاق ، وفى

---

(١) مرآة الزمان ـ المجلد الثالث ـ الجزء العاشر ـ ورقة ٥٨ تصوير دار الكتب بمصر ·

ضروب من الجد والهزل ، وقد تداولها الناس وقرأوها وعرفوا فضلها (١)

ويقول المسعودي : « لا يعلم أحد من الرواة وأهل العلم أكثر كتباً منه ·· وكتبه تجلو صدأ الأذهان وتكشف واضح البرهان لأنه نظمها أحسن نظم ورصفها أحسن رصف ، وكساها من كلامه أجزل لفظ ، وكان اذا تخوف ملل القارىء وسآمة السامع خرج من جد الى هزل ، ومن حكمة بليغة الى نادرة لطيفة ، ولا يعلم من سلف وخلف من المعتزلة أفصح منه (٢)

ويقول « شتيفر » في كتابه المفكرون الاحرار في الاسلام : « ثم نجيء الى الجاحظ فنجده يبهر عقولنا بوفرة مؤلفاته وكثرة تصانيفه وتعدد موضوعاته ، فهو يضرب بنا في كل أفق ويجول بنا كل مجال ، ثم لا نكاد نجد فيمن سبقه أو لحقه من يدانيه معرفة بكل علوم زمانه (٣) ·

ويقول البارون « كارادي فو » في الجزء الاول من كتابه مفكرو الاسلام : « ان أفكار الجاحظ مفعمة بالعمق والاتساع ، ورسائله جديرة بالبحث والدراسة ، فرسالة التربيع والتدوير تشتمل على كثير من موضوعات العلوم المختلفة حتى لكأنها دائرة معارف ، وان الباحث لا يكاد يلتمس شيئاً من الحياة العربية حتى عصر الجاحظ الا وجده في ثنايا كتاب من كتبه أو رسالة من رسائله » (٤) ·

وليس بغريب أن يصل الجاحظ الى هذا المستوى من النبوغ والعبقرية الخارقة ، فلقد عاش في أزهى عصور المدنية الاسلامية وأحفلها بكل مظاهر الحضارة وأغناها بكل روافد العلم والمعرفة ، ذلكم هو العصر العباسي الاول الذي بلغت فيه الخلافة الاسلامية العربية أوجها من القوة والمنعة وعزة السلطان ، والذي ترجمت فيه الى اللسان العربي عناصر الثقافات الاجنبية التي عرفت في ذلك الحين من الوان الفكر والمعرفة ، فعبّ الجاحظ من هذا المحيط الواسع وانفتح عقله على هذه الدنيا الزاخرة بمختلف جوانب العلم والثقافة يأخذ منها ويعطيها ، وحرر نفسه من كل القيود حتى لا يصرفه شيء مهما كان عن القراءة التي كانت همه الاول وهمه الاخير ، فهو لم يرتبط بزواج ولا بأسرة ، ولم يقيد نفسه بعمل ، لانه كان يعتقد ان ذلك ربما يحد من حريته التي اراد أن يوفرها للعلم ، روى أن المأمون عينه على ديوان الرسائل فظل به ثلاثة أيام ثم طلب اعفاءه فأعفي ، وحينئذ قال سهل بن هارون : ان ثبت الجاحظ في هذا الديوان افل نجم الكتاب » (٥) ·

لقد كان أبو عثمان منذ حداثته شغوفا بالثقافة والقراءة فلم يدع



(١) معجم الادباء ج ١٦ ص ٧
(٢) مروج الذهب ج ٤ ص ١٥٣
(٣) المفكرون الاحرار في الاسلام ص ٥٦
(٤) مفكرو الاسلام ج ١ ص ٢٩٥
(٥) معجم الادباء : ج ١٦ ص ٢٩

أبو عثمان الجاحظ

فرصة تسنح الا اغتنمها فيما يقوى هذه الثقافة وينميها فأخذ ينهل من بحر تلك العلوم والاداب التى شاعت فى زمانه ويلتهم التهاما كل ما تقع عليه يده من كتب وما اكثر ما كانت تقع عليه يده منها .. انه كان يقضى لياليه وأيامه فى طلبها يلتمسها فى الطريق وفى حوانيت الوراقين . يقول عنه ابو هفان : « لم ار قط ولا سمعت من أحب الكتب والعلوم اكثر من الجاحظ فانه لم يقع بيده كتاب قط الا استوفى قراءته كائنا ما كان حتى انه كان يكترى دكاكين الوراقين ويبيت فيها النظر » (١) .

●●●

من أجل هذا فان الثقافة المتنوعة كانت تشكل بعدا من اهم الابعاد التى قامت عليها شخصية الجاحظ ، ولقد منحه ذلك الكثير من الثقة فى نفسه وجعله يشعر بنوع من السمو العقلى الذى جعله ينظر الى ارسطو لا كما كان ينظر اليه الفلاسفة المسلمون عامة على انه المعلم الاول وصاحب المنطق والحكيم والفيلسوف الذى لا يخالف له رأى ، ولكنه كان يناقشه ويخالفه وينقد الكثير من ارائه ونظرياته معتمدا فى ذلك على سعة ثقافته وغزارة علمه وفرط اعتداده بنفسه .

والحق ان الجاحظ ـ كما اسلفنا ـ قد ترك تراثا فكريا ضخما ما يزال يأخذ مكانه فى وضوح وشموخ بين النماذج العليا من التراث الانسانى كله ، وما زالت اصالة هذا التراث وجدته وحيويته وشموله لانماط مختلفة من المواقف الفكرية العظيمة ، تذهل الدارسين والباحثين على اختلاف نحلهم وأزمانهم ، والحق ان الباحث يملكه الدهش ويأخذه الانبهار امام هذه الطاقة الفكرية الهائلة كيف يتناولها، ومن اى الابواب يدخل اليها ، وبأى وسيلة يحيط بأطرافها ويجمع شتاتها، انه لا يكاد يرد هذا الطريق حتى تزدحم أمامه ألوان شتى من هذه الطاقة العجيبة فاذا هو مغلوب على امره لا يدرى أيها يأخذ وأيها يدع .

ومما هو جدير بالملاحظة ان تلك الطاقة الفكرية الكبيرة لم تفقد اصالتها وعمقها فى اى من الميادين العديدة التى تطرقت اليها بالرغم من تشعبها واختلافها ، فانت اذا قرأت للجاحظ رسالة او كتابا فى فرع من فروع المعرفة او باب من ابواب العلم خيل اليك انه لم يكن يحسن فى شىء احسانه فى هذا الباب او ذلك الفرع، فاذا ما انتقلت الى باب اخر تضاعف احساسك باجادته واحسانه ، ولعل هذا هو ما عناه ابو العيناء حينما سئل : « ليت شعرى اى شىء كان الجاحظ يحسن ؟ » فقال « ليت شعرى اى شىء كان الجاحظ لا يحسن » (٢) .

ولعلنا نستطيع ان نلم ببعض الجوانب الفكرية فى هذا التراث مادام الالمام به جميعا امرا لا يقع فى نطاق الممكنات .

لقد ترك الجاحظ فيما ترك كتاب الحيوان الذى يقع فى سبعة اجزاء كبيرة ، والذى يعتبر حتى وقتنا هذا موسوعة علمية ضخمة فى دراسة الحيوان واجناسه وفصائله وطباعه وعاداته وتكاثره وتناسله واعشاشه

---

(١) معجم الادباء : جـ ١٦ ص ٨٥

(٢) جمع الجواهر للحصرى : ـ ص ١٦٥

والقاحيصه وأماريدهوأعضائه وتشريحه ومرضه وصحته وطبه ، وما الى ذلك من كل ما هو بعالم الحيوان وحياته الظاهرة والباطنة ·

وتفكير الجاحظ في هذا الكتاب تفكير أصيل لم يسبق اليه ، ولم يكن فيه بحيلا على احد من الذين كتبوا قبله في موضوع الحيوان كأبي حاتم السجستاني والاصمعي وأبي عبيدة والنضر بن شميل واحمد بن حاتم الباهلي وغيرهم ، فهؤلاء لم تكن كتبهم ـ من حيث الكم ـ في ذلك الحجم الكبير الذى نرآه لحيوان الجاحظ ، ولم تكن من حيث الكيف ـ تقصد التفكير العلمى في معالجة موضوع من اهم الموضوعات التى تثير التأمل والفكر، ولكن اصحابها كانوا يقصدون أن تكون كتاباتهم عن الحيوان والطير مجرد معاجم لغوية تحشد من الفاظ اللغة وغريبها كلما هو متصل بهذا المجال ومن هنا فان هذه الكتب لم يتح لها من الشيوع والانتشار ما اتيح لكتاب الحيوان ،ذلك لانه لم يتح لها ما اتيح له من قيمة علمية كبيرة ·

وترك الجاحظ ايضا فيما ترك من تراثه الفكرى العظيم كتاب البخلاء الذى يتألف من جزءين كبيرين والذى يعالج بأسلوبه الرائع الفريد الذى يجمع بين البناء القصصى والتحليل النفسى عيبا من أخطر العيوب الاجتماعية وهو البخل ··· والجاحظ فى هذا الكتاب يتتبع بخلاءه ويتعمق حياتهم ويستكشف أغوار نفوسهم ويكشف كل ما فيها من طبائع مستورة مستخدما منهجه التهكمى الساخر الذى يقوم على المراوغة والمخاتلة واصطناع أساليب الجدل التى افتن الجاحظ فيها كل الوان الافتنان والتى يعرض من خلالها صورا مختلفة من ثقافته وفكره ···

ولقد كانت احاديث البخل والبخلاء منتشرة ومعروفة في البيئات العربية قبل أن يشرع الجاحظ في تدوين كتابه ولكن امتيازه يظهر في تأصيل هذه الدراسة وتعميقها والاتساع بهـا ونزوعها الى التحقيق العلمى الذى لا يشوبه غرض سياسى أو عنصرية جنسية ثم فى هذا الطابع الفنى الخالص الذىيتسم به هذه الدراسة·

ولعل من اهم الظواهر الفكرية التى تميز بها والتى تلفت نظرنا بوضوح فى كتابه البخلاء ظاهرة التهكم الممزوج بروح العطف والشفقة البعيد عن كل معانى الحقد والتشفى والانتقام ، فالجاحظ لم يكن يفارقه الابتسام حينما يتهكم بالاشرار والحمقى والبخلاء ، ولم يكن يفقد حبه للناس حينما يسخر منهم ويكشف امامهم عيوبهم حتى يتجنبوها ويجتهدوا فى الخلاص منها ، ولكنه كان فى كل ذلك انسانا عطوفا يمتلىء قلبه بالحب والشفقة على هؤلاء الضعفاء من الناس ·

●●●

ومن المعالم الكبرى فى تراثالجاحظ الضخم كتاب البيان والتبيين وهويتكون من ثلاثة أجزاء كبيرة يجمع الجاحظ خلالها الوانا من الآثار الادبية فى الشعر والخطابة والرسائل والامثال والحكم والوصايا وأبوابا مختلفة من قضايا الادب والبلاغة ونماذج متنوعة من الاخلاق وضروب الطباع وما الى ذلك من كل ما يحقق الغاية الاساسية التى من اجلها الف هذا الكتاب وهى الغاية التعليمية التى من اجلها سماه البيان والتبيين ·

ولقد درج الجاحظ فى كتابه هذا وغيره من الكتب وبخاصة الحيوانعلى أن يضمنها من حين الى آخر الوانا من الطرف الظريفة والاحاجى الغريبة والحكايات النادرة ليرفه بذلك عن قارئه ويوفر نشاطه ويجدد قواه ، ذلك لانه كان شديد العناية بقارئه حريصا على تأكيد العلاقة الذهنية والنفسية بينه وبينه ، ومن اجل ذلك فهو لايتنقل

(١) الحيوان جـ ٣ ص ٧

عليه ولا يمله بالاطالة عليه فى باب واحد وانما يجذب نفسه ويجددرغبته بالتنويع والتلوين ، وهذا منهج من مناهج الجاحظ التى دافع عنها واحتج لهـا ... يقول : « قد عزمت والله الموفق ان اوشح هذا الكتاب وافصل ابوابه بنوادر من ضروب الشـعر وضروب الاحاديث ليخرج قارىء هذا الكتاب من باب الى باب ومن شكل الى شكل ، فانى رأيت الاسماع تمل الاصـوات المطربة والاغانى الحسنة والاوتار الفصيحـة اذا طـال ذلك عليها » (١) .

ومعنى ذلك :ن الجاحظ كان يصطنع ذلك المنهج اصطناعا فنيا خاصـا ليحقق به غاية جليلة فى تأكيد صلته بقارئه عن طريق الترويح عنه بقطـع الاطالة فى الموضوع الواحد ، اذن فلا مكان لما ذهب اليه بعض الباحثين من ان الاستطراد على هذه الصـورة عند الجاحظ كان مظهرا من مظـاهر العلة التى اصيب بهـا فى مؤخرة عمره ، اذ لو كان الامر كذلك لمـا دافع عنه الجاحظ هذا الدفاع فى اماكن متعددة من كتبه وصرح بانه شىء مقصود له لغاية معينة ، ومن ناحية اخرى لما وجدنا هذا الاستطراد فى كتبه التى كتبها قبل ان تلحق به العلة ، اذ لو كان الامر كذلك لخلت تلك الكتب من ظاهرة الاستطراد .

●●●

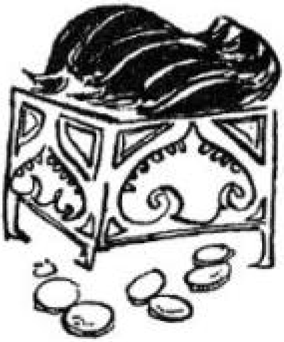
ومن الامور الجديرة حقا بالتسجيل والملاحظة فى تراث الجاحظ الفكرى

أبو عثمان
الجاحظ

انه قد سبق بآرائه عددا من المفكرين الاجانب فى بعض القضايا والنظريات العلمية التى انطلقوا بهـا الى آفاق واسعة من الشهرة والذيوع ، ونحن لا نستطيع ان نزعم ان هؤلاء المفكرين قد قرأوا الجاحظ وتأثروا به فى هذه القضايا والنظـريات ، ولكن الذى نسـتطيع ان نزعمه انه اولى منهم بهذه الشهرة التى طيرت اسماءهم فى الآفاق . واجدر ان يوضع اسمه الى جانب هذه المواقف الفكرية طالما انه هو الذى راد الطريق اليها . ولكننـا ـ مع الاسف العميق ـ مغبونون ابدا ومجهولون ابدا . لان الاستعمـار الفكرى الذى استبد بكل مقدراتنـا العقلية والفكرية منذ قيـام الحركة الاستشراقية حتى اليوم قد استطاع ان يوهن من ايماننا بأنفسنا . وأن يوهم صغار النفوس وضعاف العقول على فترات متلاحقة من تاريخنا الثقافى الحديث بأننا امة لا تستطيع الابداع والخلق ، وانه مقضى علينـا الى الابد بالتبعية الفكرية والاستعمار العقلى ، وانه يجب علينا دائمـا أن نستقطب حول محور واحد لا ننفك عنه ابدا هو عطاء الغرب وثقافته ، ولقـد كانت هذه الطبقة من صغار النفوس وضعاف العقول وادعياء المعرفة هم خير بوق يردد هذه الافكار ويروج لهـا فى احسـاس مريض مثقـل بكل الوان الباطل والزيف .

وفى ضباب هذه الحيرة التائهـة نسينا ذاتيتنا وانكرنا ما لنا من اصالة فضاعت حقيقتنا وانبهرنا بمـا قاله غيرنا بمجرد انهم غيرنا ولم نلق اليه بالا حين قاله اسلافنا .. اننا اليوم قد كبرنا وبلغنا سن الرشد ، وتجاوزنا كل مراحل اليأس والهزيمة والشعور بالضآلة والتبعية واصبح من واجبنا أن نرفع من فوق عيوننا تلك الغشاوة الكاذبة حتى تستجلى آفاق تاريخنـا

(١) الجاحظ معلم العقل والادب : شفيق جبرى ص ٣٠٠



في ضوء سابق .

اما هذه القضايا التي سبق فيها الجاحظ غيره ممن اشتهروا بها في تاريخ الفكر الانساني ، فلعل أول ما نصادفه منها قضية الشك المنهجي ، او هي بالتعبير القديم وجوب الشك قبل الاعتقاد ، فقد احتل ديكارت المفكر الفرنسي مكانة مرموقة في تاريخ الفلسفة حتى انه قد لقب بأبي الفلسفة الحديثة ، ولعل سبب هذه الشهرة التي جعلت اسمه باقيا حتى اليوم يرجع الى مذهبه في التفكير واسلوبه في البحث وهو الشك المنهجي ، والشك عند ديكارت اول وسيلة الى اليقين العلمي الذي يجب ان يكون اساس كل تفكير مهما كان ، وأن تمتد ظلال الشك الى كل شيء محيط بنا حتى الحقائق المتميزة ، فلا ينبغي ان نؤمن بمدركات العقل لان العقل كثيرا ما يخطيء في الاستدلال ، والشيء الوحيد الذي لا يمتد اليه الشك هو الفكر لان الفكر هو مصدر الشك .

فمادام الانسان يشك فهو يفكر ومادام يفكر فهو موجود .

تلك خلاصة موجزة لفكرة الشك المنهجي عند ديكارت ، واذا كانت هذه الفكرة قد خلدت صاحبها واتاحت له هذا الحظ من الشهرة فان الجاحظ قبله بسبعة قرون قد جعل الشك منهجا من اهم مناهجه في التفكير ووسيلة من اهم الوسائل اللازمة للوصول الى درجة اليقين العلمي ، فالجاحظ في منهجه الفكري يشك ويدعو الى الشك وللشك عنده حالات موجبة له لا بد ان يفطن اليها الانسان حتى يشك في مواضع الشك ، وها هو ذا في الجزء السادس من كتابه الحيوان يعقد فصلا عن الشك واليقين يقول فيه :

« ... وبعد هذا فاعرف مواضع الشك وحالاته الموجبة له لتعرف بها مواضع اليقين والحالات الموجبة له ، وتعلم الشك في المشكوك فيه تعلما ، فلو لم يكن في ذلك الا تعرف التوقف قبل التثبت لقد كان ذلك مما يحتاج اليه ، ثم اعلم أن الشك في طبقات عند جميعهم ، ولم يجمعوا على أن اليقين طبقات في القوة والضعف »(١) ثم يسوق اقوالا لبعض المتكلمين في قضية الشك فيقول : « وقال ابو اسحاق : نازعت من الملحدين الشاك والجاحد فوجدت الشكاك ابصر بجوهر الكلام من اصحاب الجحود .. وقال ابو اسحاق : الشك اقرب اليك من الجاحد ، ولم يكن يقين قط حتى كان قبله شك ، ولم ينتقل احد عن اعتقاد غير اعتقاد غيره حتى يكون بينهما حال شك » (٢) .

وهكذا نرى ان الجاحظ في القرن التاسع الميلادي قد الم بقضية الشك وعالجها بهذا القدر من الدقة

---

(١) الحيوان جـ ٦ ص ٧٥
(٢) نفس المصدر .

أبو عثمان الجاحظ

والوضوح قبل ديكارت فى القــــرن السادس عشر ، فهو يوجب الشك قبل الاعتقاد ، ويرى انه مرحلة ضرورية من مراحل اليقين ، وهو هذا المحور الاساسى الذى دارت من حوله فلسفة ديكارت فى هذه القضية ·

ولعل هذه النزعة العلمية العقلية لدى ابى عثمان هى التى تفسر لنا كيف احب مذهب المعـــتزلة ودافع عنه واصـــبح رئيس فرقة من فرقه عرفت بالجاحظيـــــــــة ، ذلك لانه مذهب عقلى يوافق منهجه فى تقرير المسائل وفهمها وتعليلها بالاستناد الى فروض واقيسة المنطق ·

ومن القضايا الفكرية التى سبق الجاحظ فيها غيره من مفكرى الغرب ايضا قضية الضحك وفلسفته واصوله النفسية ، والعقلية ، فلقد وضع هنرى بيرجسون فى القرن التاسع عشر كتابا عن الضحك يشتمل على دراســـــة اجتماعية واخلاقية خصبة للضحـــك والمضحك ·

ويتحدث برجسون فى بداية هـذا الكتاب عن الاسس النفسية للضحـك فيقرر أن الانسان حينما يضحك انما يضحك بعقله وليس بقلبه ولاشعوره، فكلما ضحك الانسان لا بد أن يتوقف قلبه لحظة عن الشعور كما يقرر ان العقل الضاحك لا يمكن أن يضحك وحده على نفس الدرجة والمقدار اللذين يضحك بهما اذا شاركته عقول اخرى وتجاوبت معه ، فلا بد من هـــذه المشاركة وتلك المجاوبة حتى يتـأثر الانسان بالشىء المضحك فيضحك ·

يقول برجسون فى هذا : « ··· فلكى يحدث الضحك ما يحـــدثه من تأثير لا بد أن يتوقف القلب برهة عن الشعور لانه يتوجه عن العقل المحض ، وينبغى لهذا العقل أن يكون على صلة بعقول اخرى وهذه النقطة الثالثة التى اردت أن الفت النظر اليها فنحن لا نتذوق الضحك فى حالة شعورنا بالعزلة ، والضحك فى حاجة الى صدى » (١)

والجاحظ قبل هنرى برجسون بعشرة قرون يقرر هذه النظرية نفسها كمـــا يقرر كثيرا غيرها فى فلسفة الضحك والمضحك ، فهـو يقرر ان الانســـان لا يضحك منفردا بمقدار ما يضحك اذا تجاوب معـــــه اخرون وشاركوه الاحساس بالشىء المضحك ، وها هو ذا يقدم لنا هذا فى وضوح من خلال تعليقاته فى قصـــــة مع واحد من خلاله يسمى محفـــوظ النقاش الذى حاول أن يوهم الجـــاحظ ويلقى فى روعه انه رجل كريم ، وذلك حتى يتقى شر لســانه ، فلا يتنـــاوله بالتهكم والسخرية كما يتناول غيره من البخلاء ولكنه لا يلبث حتى يكشف عن طبيعته البخيلة ونفسه الشحيحة ، وأن الذى حاوله لم يكن سوى خدعة لم تستطع ان تخفى الحقيقة ·

قال الجاحظ فى هذه القصـــــة :

« صحبنى محفوظ النقاش من مسجد الجامع ليلا فلما صرت قـــرب منزله وكان أقرب الى مسجد الجــامع من منزلى سألنى أن أبيت عنــــده وقال « اين تذهب فى هذا المطـــر والبرد ومنزلى منزلك وانت فى ظلمة وليس معك نار وعندى لبأ (٢) لم ير الناس

(١) الضــــحك : تأليف هنرى برجسون ، ترجمة ســـامى الدروبى واخر ص ١٥ ·

(١) اللبأ نوع من الطعام

مثله ، وتمر ناهيك به جودة لا تصلح الا له ، ... فملت معه قابطا ساعة ثم جاءني بجام لبا وطبق تمر فلما مددت قال : .. يا أبا عثمان .. انه لبا وغلظه ، وهو الليل وركوده ثم ليلة مطرة ورطوبة وانت رجل قد طعنت في السن ، ولم تزل تشكو من الفالج طرفا وما زال الغليل يسرع اليك وأنت في الاصل لست بصاحب عشاء ، فان أكلت اللبأ ولم تبالغ كنت لا آكلا ولا تاركا ، وحرشت طباعك ثم قطعت الاكل أشهى ما كان اليك ، وان بالغت بتنا في ليلة سوء من الاهتمام بأمرك ولم يعد لك نبيذا ولا عسلا ، وانما قلت هذا الكلام لئلا تقول غدا كان وكان ، والله لقد وقعت بين نابي أسد لأني لو لم اجئك به ولم أحضرك منه ولم أذكر كل ما عليك فيه قلت : لم يشفق علي ولم ينصح فقد برئت اليك من الامرين جميعا فان شئت فأكلة وموتة ، وان شئت فبعض الاحتمال ونوم على سلامة ... فما ضحكت قط كضحكي تلك الليلة ، ولقد أكلته جميعا فما هضمه الا الضحك والنشاط والسرور فيما أظن ، ولو كان معي من يفهم طيب ما تكلم به لقضى علي الضحك ولكن ضحك من كان وحده لا يكون على قدر مشاركة الاصحاب » (١)

فهذه العبارة الاخيرة التي ختم الجاحظ بها حديثه الى محفوظ النقاش تتضمن روح النظرية الرئيسية التي قام عليها كتاب برجسون في الضحك والجاحظ دراسات مستفيضة في فلسفة الضحك والضحك تتناثر في ثنايا كتبه ورسائله وهي تتجاوز في قيمتها الفكرية كل ما قدمه برجسون في كتابه حظي بقدر من الشهرة والذيوع على ان ولع الجاحظ بالحديث عن الضحك والمضحك ليس قائما فقط على نزعته العلمية والفلسفية التي صبغت معظم ما تعرض له في دراساته العديدة من قضايا ومسائل ، ولكنه كان ـ الى جانب ذلك ـ متصلا بتكوينه النفسي المتسم بالظرف والدعابة وخفة الروح فلقد تجاوز الجاحظ بثقافته الواسعة وتجاربه العميقة ومراسه الطويل بالناس والحياة مرارة الاحساس بدمامة خلقته ، فانطلق من وراء ذلك الى افق عريض من السمو العقلي والنفسي جعله يستقبل امور الحياة كلها في رضى وابتسام حتى انه كان يضحك من نفسه في بعض الاحيان لانه كان يرى ان « الضحك شيء في اصل الطباع وفي اساس التركيب وهو اول خير يظهر من الصبي وبه تطيب نفسه وعليه ينبت شحمه ويكثر دمه الذي هو علة سروره ومادة قوته (٢) .

ويروى انه قال : « ما اخجلني قط الا امرأة اخذت بيدي الى نجار وقالت له : مثل هذا ومضت ، فسألت النجار عن قولها فقال : اتت الي بالامس وطلبت ان اصنع لها صورة تخوف بها اولادها وانت به مثالا » . (٣)

ودخل عليه غلامه ذات يوم فرآه يجتهد في الدعاء فقال : ما بك يا مولاي ؟ فقال : يا بني لقد وجدت نفسي اني اصبحت هزؤا للناس فأنا ادعو الله ان يصلح ما بي من العيوب فنظر اليه الغلام وقال : ايسر عليه ياسيدي ان يصيبك من جديد ! » (٤)

ويطول بنا المقام دون استقصاء هذه المواقف الفكرية المتنوعة التي نرى فيها صورة فريدة من صور هذه العبقرية الفذة التي تجاوزت بأصالتها حدود الزمان وحدود المكان .

---

(١) البخلاء ج ١ ص ١١١ ، ١١٣
(٢) البخلاء ج ١ ص ٢٨ ، ٢٩
(٣) دائرة معارف البستاني المجلد السادس ص ٢٤٨ .
(٤) نفس المصدر

الحب .. يجلو القلوب

للشاعر الكبير

روديارد كيبلنج

ترجمة: د. السيد الجميلي

تقلد حسامك مهمــــا نبــا   ولا تهجرن صــــديقاً كبا
لتشرع رأسك فوق الجميــع   يراك غطاريفهم أغلبـــــا
وإن ناوأتك صنوف الصروف   فنــــل فــــوق أوزارها مأربا
ولا تثن عــزمك عن غــــاية   رمت في مقاديرها قلبـــا
ولو كذب القوم ماجئتـــــه   فقد يبلغ الشــأو من كذبا
وإن أنكر المرجفـــون النبوغ   فسل إنني أعــرف السببا
فإني لبست رداء الحيــــاة   وصاحبني الهول منذ الصبـا
عهدت النوابغ والنــــابهين   قضوا بين أهليهمو غـــربا

وعشتُ الهوى وعشقتُ الفداءَ   وما هزَّ لى يأسُهُ منكبا
فلم أرَ كالحبِّ يجلو القلوبَ   لتخضرَّ بالنبتِ مثلَ الرُّبَى
وما قلت إلا صوابَ الأمورِ   وهل غيره للعقولِ استبى ؟
أهِبْ بالفضائلِ شبب بها   لكى يبلغ السيلُ فيها الزُّبى
وماذا يضيرك لو أنكروكَ   فما مانعٌ لك أنْ تدأبا
حذار صديقٌ عراه الزمانُ   تقمَّصَ فى ثوبِهِ ثعلبا
لينفث فيك سمومَ الشتاءِ   حوى بين أردانِهِ عقربا
فسِرْ فى الركاب مع الناهضين   ولا تألُ فى مجدِكَ الطَّلَبا
وكن دائما مثل بدر التمامِ   تبدد أضواؤه الغيهبا
سمير السراةِ حليف النجاةِ   ويبعث بالوحىِ للأدبا
ستملك عرشَ القلوبِ المنيفِ   وتزجى إلى المشرقِ المغربا
فليس التقهقرُ دينَ الأباةِ   ولا يقبلُ الحرُّ أن يُغلبَا

أحمد
عبد المجيد

درجت الأذن المصرية على سماع الموال مسبوقا بمناجاة الليل، ومناجاة العين، وتنغيم هذه المناجاة تنغيما جذابا، وتنويعها تنويعا يتنافس في ميدانه المغنون، ويتميز بعضهم عن بعض بإطالة النفس، وتنوع النغم، وشخصية الصوت، والارتفاع به الى آخر مداه، والنزول به الى ما يسمونه في عرف الغناء بالقرار، وهو ما اصطلح الغربيون على تسميته «باسو» والوصول الى كل ذلك في يسر، يعقبه الدخول في الموال بخفة تسلب لب المستمعين، وكأنه الطيار الماهر الذي يهبط الى ارض المطار هبوطا سهلا آمنا لينا يسر الهابطين.

ياليل ياعين

قبل ان نسرق التعليل والتحليل لهذه الظاهرة التي تعتبر في غنائنا الشعبي منه بوجه خاص لونا مميزا، يحسن ان نتحدث عن الموال الذي يستأثر بأغلب المناداة والمناجاة لليل وللعين.

فالموال بوصفه سيد الاغاني الشعبية وامامها، قد بلغ هذا الشأو، لاسباب نفسية ولفظية وموسيقية، فهو من الناحية النفسية، يعد المتنفس الذي يجد فيه الشادي والمنشد والمستمع، ضالته في التفريج عن كربه، أو الافصاح عن غمه، أو الاعراب عن فرحه، وهو من الناحية اللفظية، تلقاه يختال في ثوب رقيق النسيج، متناسق العبارة، حلو الديباجة، لا تثقله البلاغة، ولا تعوزه الفصاحة والبيان، حتى لقد اجتذب الشاعر الخالد احمد شوقي وشيخ الشعراء اسماعيل صبري الذي نظم الموال التالي:

في ظل اهداب عيونك ورد خدك ال
وحسن يوسف ميراث عنه لوجهك ال
والشمس ويا القمر لحسنهم لك ال
لو قلت للحسن، اقول كل الملاح جندي
ولي الجمال اجمعه، من غير مشارك لك

ونحن نستمع الآن الى الموال تغنيه سيدة الغناء ام كلثوم، ويغنيه الموسيقار محمد عبد الوهاب، بمصاحبة فرقة موسيقية حديثة الآلات، دون ان يفقد من خواصه او شعبيته شيئا، أو يقصر عن ان يلاحق كل جديد.

وكذلك ما زلنا نستمع الى موال يزيد عمره على مائتي عام، يفرد في



احمد شوقي : اجتذبه الموال



عبد الله الفيصل : حياء الحب

السوامر ويتغنى به المقتون والمتشدون في الصعيد مثلما يتغنون به في المدن ·
وتقول كلمات هذا الموال باللهجـــة الصعيدية :

يا رب صاحب امانة تعمله مرســال
فى جرحنا ويعد الهم لم يســال
سايح عليكم النبى ما تجطعوا السلسال
خلوا جنات الوداد بيناتنا تجــرى
والله النبى عالصحابة كل يوم يســال

ورغم أن الموال ظهر في عهد هارون الرشيد الذى كانت تختال فيه الفنون ، ل وفى نعمة ذلك العهد ، الا انه كان يجـــــرى على السنة الشـــعب وينطق عن وجـــدانهم · وعنـــدما وصلت امواجه الى الشواطىء والبوادى المصرية ، انقســـم الى طبقات والى انواع فى السياق والنظم ، ما كان منه نعمانيا أو صعيديا أو موالا احمر اوبلديا ، وكلها كانت تتزين بالليـــل وبالعين فى بداياتها ·

وعندما كان العـــــالم الموسيقى المستشرق روبرت لاخمان يرأس لجنة التسجيل بمؤتمر الموسيقى العربية الذى عقد فى القاهرة بمعهـــــد الموسيقى الشرقية عام ١٩٣٢ ، قسم منطلق الموال الى اربعة اقسام : القسم الاول حاول فيه تخطيط ما سمعه فى منطقة الدلتا، والقسم الثانى استمع اليه فى منطقة الوجه القبلى ، والثالث كان شائعا فى منطقة الفيوم والرابع كان يتردد فى واحة سيناء ·

ولقد انتشر الموال فى الريف والحضر ودخل الاكواخ والقصور ، وتغنى به عازف الارغول والمزمار والسلامية ، مثلما تغنى به عازف العود والقانون ، وهو فى كل هذه البيئات وعلى يد كل هذه الالسنة من عصر الى عصر ، ومن جيل الى جيل ، حتى يصل الى شغاف قلبك ، ليوقظ فى النفوس حاســـة المشاركة بما يتضمنه الموال من معان تتغلغل فى قلب الشعب منذ ان صـــدر ونبع من مشاعر الشعب ·

ولا يزال اهل الريف والحضر كذلك يقيمون للموال وزنا كله تقدير وتبجيل وتتأثر نفوسهم بالقصص الشعبى الذى يجرى مجرى الموال فى ملاحم شعبيـــة بليغة مثل (ابو زيد الهلالى وعزيزة ويونس وأدهـــم الشرقاوى وخضرة الشريفة) ، التى كانت تنقل بدقة صورا وروضوحا لقسوة الحياة وقهر الزمان وما كان يساق من مظالم فى عهـــود الاستبداد ·

يا ليل يا عين

فما هي قصة «يا ليل يا عين» التي كانت ولا تزال تتصدر المواويل، وكأنها مطلع الفجر قبل انتشار الشمس أو لألاء نور القمر قبل بزوغه؟

لقد انفردت مصر بهذه المناجاة دون سائر الأقطار العربية الأخرى، التي تستبدلها بكلمة «يابا» أو «أوف» أو «يا بوى».

وهكذا يقع علينا وحدنا عبء تأويل وتعليل هذه المناجاة الحبيبة الى الأذن المصرية والعربية على حد سواء.

ان كلمة (ليل) وكلمة (عين) اذا أضيفت اليهما حرف النداء (يا)، حصلت على جملة موسيقية، ليس أخف على الأذن، ولا أصلح منها في باب الاطالة أو التقصير والسرعة أو البطء والارتفاع أو الانخفاض. حسبما يشاء المغنى الذى يستطيع ان يمضى الليل الا قليلا، وهو يردد هذين اللفظين وحدهما، دون ملل أو تبرم، كأنما قد استعانا بالسحر على التغلغل في النفوس قبل الآذان، والاستمتاع بهما مهما طال بغنائهما الأمد.

والقاهرى بطبعه دءوب على ترقيق كل كلمة، لاتستسيغها الآذان ويأباها الذوق الموسيقى العريق في طبعه، كما يعمل هذا القاهرى على ترويض الصعب من اللغة العربية، لينطق بلغته العامية ما يود نطقه بصورة حلوة مستساغة. فهو بدلا من ان يقول انه أمضى أياما هنيئة يقول: مضيت أيام هنية، وقد حذف الهمزة في أول أمضى وفي وسط هنيئة، حتى تنعم الأذن المستمعة الى موسيقى الكلام

وبدلا من أن يقول: هذه الآنية مرآها الصدأ، تراه يحذف الهمزة من مرآها ومن الصدأ لتسمعها: مراها الصدا.

وبدلا من ان يقول القلم والقانون والقميص، يقول: الالم والانون والاميص ... وهكذا تراه لا يميل الى نطق القاف أو الهمزة، مثلما لا يميل الى تعطيش الجيم – ربما رحمة وهو الرقيق اللطيف – بل ينطقها خفيفة مستساغة فيقول: الجمال والجريدة وجلاء ونجاة ونجوى وجليلة

هذا القاهرى قد وجد – من غير عناء – ضالته في هاتين الكلمتين الموسيقيتين اللتين تتصدران الموال الذى يستأثر بهواه وعواطفه ووجدانه، ويحن اليه حنينا ملحا متشهيا، يسد عليه مسالك الاستماع لغيره من غناء.

لقد خلت كلمة «ليل»، كما خلت كلمة «عين» من كل الحروف الصوتية التي لا تنسجم مع المناجاة والتغنى والطرب، فانك لا تجد فيها الضاد أو الطاء أو الظاء أو السين أو القاف أو الحاء أو الغين.

ولعلى لا أجاوز الحق اذا قلت ان منشدى الموال في سوامرهم، والمطربين منذ ان استقر الطرب على عرش التخت، مدينون للهاتف الأول بهاتين الكلمتين اللتين يسرتا على المطربين استهلال أغانيهم ومواويلهم وأدوارهم بهذا الجمال الآسر، في ايجاز معجز، لا يتجاوز كلمتين اثنتين، بكل ما حواه من سحر مبين.

وانى لعلى يقين من انه ليس في كل لغتنا البليغة الرقيقة الرنانة، التي وسعت كتاب الله وما به من اعجاز، بديل لهاتين الكلمتين في موضعهما في الغناء المصرى.

ومن عجب أن ذلك الشادى الأول الذى اكتشفهما وشدا بهما فى رقة وحنان ، مجهول الاسم واللقب والمكان - ولو أن أحدا دلنا عليه ، اذن لاستحق منا الشكر ، ومن المطربين والمطربات قضاء حق واجب الاداء ، فى صورة تمثال أو مسرح أو تسمية ميدان أو شارع باسم هذا المكتشف العظيم

والليل هو أنيس وسمير ابن البلد الاصيل ، والذى هو مفرج كرب المكلوم والموجوع ، والذى هو مفزع المحروم والمظلوم ، قد تأجاه المحبون والحائرون والكادحون واليائسون بقلوب مستسلمة مؤمنة صابرة . وتعال نستمع الى هذا الموال النعمانى :

سهرى يا نسيم بمة احبابى وسليهم
وقل لهم خليهم فى الحب سال ليهم
فى القرب والبعد أنا برضه أسليهم
راح النسيم للحبايب بالعجل جانى
قال لى حبايبك شبيه للشهد الجانى
والليل شهد لى وشهد لى الانس والجانى
عالبعد والقرب أهواهم وأسليهم

هذا الليل الذى يناجيه المنشدون فى مصر ، يسمر فيه السمار ، وطالبو المتعة ، ويتهجد فيه المؤمن والمتعبد ، ويحن اليه العانى والهائم ، ويهفو اليه المهجور والموصول ، الاول يتسربل بظلامه الذى يستر بكاءه ، والثانى يستعين بظلامه على لقاء من أحب ، مثلما كان يفعل عمر بن أبى ربيعة

لما تعاظم أمر وجدى فى الهوى ... وكلفت شوقا بالغزال الادعج
أسريت فى ديجور ليل حندس ... متنجدا بنجاد سيف أعوج
حتى دخلت على الفتاة وانها ... لتغط نوما مثل نوم المنهج

ولعل الكثير من الناس لا يحس بأصحاب العاهات الذين يتسللون الى الطريق فى جنح الظلام ، للترويض أو استنشاق النسيم بعيدا عن الاعين المتطلعة ، التى تقتحم كل شىء ، كأنها أشعة اكس ، ولا تترك ذا عاهة فى حالة من ذل الحياة ، ومن قضاء النهار كله ، حبيس الدار ، بعيدا بما يخجل منه ، عن الناس وعن أعين الناس .

فما أجدر هذا الليل بأن ينادى ، وان يناجى ، وان يفزع اليه اللتاع ، وان يتدثر بسواده من به حياء ، ليخفف بمناجاته المكلوم والمحروم أسى لوعته وحرمانه ، ويرفع عنه بعض ما يجد ، فهو المتنفس عما يحس به من ضيق ، وما يأمل على يديه من فرج . وقديما استمعنا الى صالح عبد الحى وهو ينقل الى اذن الليل شكوى ساهريه :

فيك ناس يا ليل بتشكى لك مواجعهم
بالله يا ليل ما تبقاش تراجعهم
أجريت يا ليل على الخدين مدامعهم
بلتوا سهارى بطول الليل نواحين
من خوف يا ليل ليطول المدى معهم

والعين التى هى وسيلة الرؤية ، ومرآة القلوب ، ونور البصر والبصيرة ، والحاسة التى تساعد على الاستمتاع بالحواس الاربع الاخرى ، هى التى ليس فى الوجود سواها ما يستحق أن يعشق أو يحب ، والتى تزيد من حمد المؤمن لله على نعمه من محسوسات أو مرئيات تتوالى ، وتتفرع وتتلون وتظهر وتختفى ، وتسرع وتبطىء ، وتنمو وتذبل ، أمام ناظريه ، وهو جالس فى مكانه لا يريم ، أن عزه قيام أو مسير ، وأثاب الله المتنبى عن قوله :

هل السمع بعد العين يهدي كما تهدي

والعين هي مصدر متاعب العشاق، مهما بدا من خلاف بينها وبين القلب ، فمن منهما كان البادىء في القاء صاحبهما في شباك الهوى • على أن ممثل الاتهام ، وهو الحب نفســــه ، والمجنى عليه وحده ، وهو أمر فريد في عالم الجنايات ، هذا المجنى عليه قد بت في هذا الامر ، واتهـــم الاثنين ، وانحى عليهما باللائمة ، وحملهما الوزر كله ، واعتبرهما شريكين في تهمـــة الايقاع بالحب ، وفرض الحب عليــه فرضا لا حيلة له في دفعه ولا قدرة له عليه ان اراد • وفيما سلف من عهد التخت والتطريب ، سمعنا المغنى القديم يقول في دور قديم يسعد به قــدماء المستمعين :

اصل الغـــــرام ده متين م العيــــــن والا القلب
همــــا الســــبب الاتنين ده شاف ولاخــــر حب

فالعين تجر القلب معها الى المهالك كما تجر صاحبها الى مشـــاكل الهوى ومتاهات الغـــــرام ، وهي التي تجني على القلب عندما تنظر ، فتحب ، فتهوى ، ويهوى معها القلب المسكين ، وصاحب القلب الضليل ، صريع نظـرة تعقبها حسرة ، وفي ذلك نظم شوقي :

نظرة فابتسامة فســــلام فكلام فموعـــــد فلقــــاء
فلقاء يكون فيــــه شــفاء ولقـــاء يكون فيه الـــداء

فهل هناك من هو احق بالمناجاة من ليل يملك من المزايا مثل ما سبق ان سردناه ، ومن عين ، هي نعمــــة الله وموجز اعجازه ؟

ولعلنا بذلك نسبغ على مكتشف مناجاة الليل والعين فضلا اخر ، بالاضافة الى حسن ذوقه في اختيــــــار اللفظين الموسيقيين ، المبراين من اية شائبة في الوقع والجرس ، أقول نسبغ فضلا اخر هو فضل اختيار اثمن واغلى ما يمكن ان يتغنى بهمـــا عاني أو عاني ، أو يناجيهما موصول او مهجور •

وانه ليندر ان نجد موالا او ابتهالا او نشيدا ، يخلو من حرف النداء ، الذي يخلع موسيقى خاصة تجـــذب الاذن ، وتسترعي الانتباه الى ما يليها من كلام •

ولحرف النداء المذكور فعل السحر، اذا كان المنادى به هو الليل او العين به عما يعانون • واذا راجعنا ديوان طيعة في ايدي الشعراء ، والغزليين منهم بوجه خاص ، ووسيلة للتنفيس به عما يعانون واذا راجعنا ديوان شوقي او ديوان رامي وجدناهما يزخران بهذه الصيغة التي ادركها حسهما الفني اللماح ، واستخدمها كل منهمـــا في قاموسه الشعري على خير ما يمكن أن يستخدمها شاعر في نظمه •

فمن شعر شوقي نذكر على ســـبيل المثال :

يا ناعس الطرف لا ذقت الهوى ابدا أسهرت مضناك في حفظ الهوى فنم
يا فراغا وراء دجلة يجـــرى في عيــوني تجيئك العـــوادي
يا ناعســـا رقــدت جفـــونه مضنـــاك لا تهـــدا شجونه
يا لائمي في هواه والهوى قــدر لو شفك الوجد لم تعذل ولم تلم
يا ربه احسنت بهم المسلمين به فتمم الفضل وامنح حسن مختتم

يا ليل يا عين



صالح جودت : مناجاة ومناداة
تراها ونسمعها كالأغرودة

ولرامي ما يشبه الوله بحرف النداء في شعره وفي أغنياته
استمع اليه واستمتع بموسيقى شعره في قوله :

يا سميري والليل ساج وللطير رفيف من حولنا في الغصون
يا نجي الاحباب أين لياليك وأين الغناء عند السكون
يا حنيني الى الليالي المواضي وشقائي من الليالي البواقي

وهو في شعره الغنائي كثير النداء، شديد اللهجة في مناجاته للهاجر الظالم

يا ظالمني يا هاجرني وقلبي من رضاك محروم
يا للي انت جنبي وانت بعيد اشوف خيالك واسمع نداك
يا للي ودادي صفالك ابات الناجي خيالك
يا للي كان يشجيه انيني كل ما اشكي لك اسايه

ولعل حرص الشاعر الغنائي على استخدام حرف النداء مرده الى موسيقيته الملازمة التي تأبى الا أن تشارك الملحن والمغني في الاداء الجميل العذب النابع الشجي القرار

ولشيخ الشعراء اسماعيل صبري، كثير من استخدامات حرف النداء في شعره :

يا رب اين ترى تقام جهنم للظالمين غدا وللأشرار

●

يا لواء الحسن احزاب الهوى ايقظوا الفتنة في ظل اللواء

●

يا آسي الحي هل فتشت في كبدي وهل تبينت داء في زواياها

ومثل هذه المناجاة والمناداة تراها ونسمعها كالاغرودة في شعر صالح جودت سواء ما نظمه في الغناء أو في المناسبات :

يا زهرة في خيالي

وفي مناجاته لرامي :

يا نجي العمر يا نجوى اذا رنت الاخلاق
يا أخا الخيام يا باعثه في خير سامر

وللشاعر العاطفي الرقيق الامير عبد الله الفيصل، ولع محتشم، في نظمه الغنائي، وفي استخدام حرف النداء، في حياء الحب وكبرياء الرجالة

واستمع اليه من خلال ام كلثوم وهي تردد في كل مقطع في التواصل نداءه ومناجاته الابية، التي غلب عليها الحب، فاسلمت الزمام لن لا يتهم :

يا فتنة لولاه ما طاب لي وجد ولا طعم الهوى لذ لي

يا ليل يا عين

وفي الاطلال ناجى نداء متلهف تحس فيه رفيف قلبه وهو يقول على لسان ام كلثوم :

يا حبيبـــا زرت يوما ايكه   طائر الشـــوق اغنى الى

تخلص من ... الذى اوردناه كمثال الى ان الغناء عندنا فى مصر ، اذا لم يبدأ بمناجاة الليل ومناجاة العين ، وخاصة فى المواويل بانواعها وطبقاتها ، فانه يلجأ الى مناجـاة الحبيب والى بث شكوى الحب ، مستهلا نجواه بحرف النداء .

على ان الموال ، كان اكثـر فنون الغناء استئثارا بحرف النداء ، واكثرها ميلا الى الشكوى والتأسي ، والتماس العزاء فى البث والنجوى ، ذلك ان الموال يمتاز بنبرة حـزينة مأتاها ما كانت تعانيه الطبقات الكادحة فى الريف والحضر . فكم تحمـل المصرى منذ عهود الفراعنة ، ما مر عليه من محن وشدائد ، ثم جاءت عصور كان فيها هدفا لتعذيب الغاصب المستبد ، فكنت تراه يروض بفلسفته الساذجة قسوة ما كان يعانيه ، ثم لا يلبث ان يسكبها فى غنائه للمواويل . وكأنما كان فى ذلك من حيث لا يدرى يجـرى فى تيار (المازوكية) وهو لون من الوان العذاب النفسى المقابل للسادية ، حتى لقد يألف هذا العذاب ويناديه فيما يغنيه ، ساخطا حينا ، وساخرا فى اكثر الاحايين .

الدنيـا ساقية لكن بتلف ع الفـــاضى
لا نفعت الخلــق ف حاضر ولا ف ماضى
ونازلة حش فى رقابنـــا زى سيف ماضى
ولســـه ماسكين فى ديلها والكل بيقـول
رضـينا بالهم بس الهـــم مش راضى

وهناك تعليل آخر لهـــذه المناجاة لليل والعين ، يذهب الى استخدام « الميتافورية » اى المجاز والاستعارة او محاولة تقليد فن «الميثولوجى» اى فن رواية الاساطير عند الاغريق .

ولقد قامت فرقة الفنون الشعبية عندنا ، بعد ان استكملت مقوماتها على عهد مصلحة الفنون ، بعرض لوحة باسم « يا ليل يا عين » على مسرح الاوبرا ، ترمى الى تحليـل اســطورى « ميثولوجى » لحكاية « يا ليل يا عين » التى يتميز بهـا الغناء المصرى ، وينفـرد بانشادها الموال المصرى على مختلف صوره .

وقد صيغت الاسطورة على وجوه شتى وبأساليب متنوعة ، ولقد ارتحت الى قصتها على نحو يماشى الطبيعة المصرية ويتالفها الفة الظل للاصـل والصدى للصوت .

وتتلخص الاسطورة فى ان صيادا يدعى (ليل) كان لا يفارق شـاطىء النيل الذى هو مصدر رزقه ومعاش يومه . وقد توله فى حب النيل حتى طغى حبه له على كل حب عداه .

ولم يجـد النيل جزاء يجزى به (ليل) على صدق حبه وتفانيه ، الا فى ان يهدى اليه حورية للنيل كان اسمها « عين »

وكان « ليل » يقيم مع والده وابنة عمه (خضرة) التي تربت معه بعد وفاة والديها ، وبعد ان كفلها عمها لتكون زوجا لابنه عندما يبلغان مبلغ الزواج · وهكذا ربطت الالفة ودوام المعاشرة بين القلبين الفتيين برباط وثيق · على ان خضرة قد احست بانصراف « ليل » عنها بعد احزان وايثار ، ولم تلبث عندما علمت بقصة ابن عمها مع حورية النيل ، ان صارحت عمها بذلك · وعلى الفور قرر العم ان يأخذ ولده وخضرة ويرحل بهما الى دمياط ، مبررا هذا الرحيل المفاجيء ، باقتراب موسم الصيد عند مصب النهر ، حيث تكثر الاسماك ، ويتسع الرزق ·

الا ان « عين » لم تستسلم ، بل راحت تغرى « ليل » على ان يتبعها الى عالمها تحت الماء · الا ان الفتى اشفق على ترك أبيه يكافح الحياة وحده ، وقد كان هو ساعده ومناط امله من دنياه ، وهكذا تأتى له ان يقاوم على قدر جهده ، اغراء « عين » التي انصرفت حزينة اسفة ، وقد انطوى قلبها على الم الهزيمة وذل الانكسار ·

عند ذلك رات خضرة ان الجو قد خلا لها · وانها اصبحت تمتلك قلب ابن عمها (ليل) امتلاكا لا يشاركها فيه احد · وقد دفعها هذا الاطمئنان الى ان تطلب من عمها الانتقال الى القاهرة التي وصلاها وسط احتفالات شعبية في موسم من المواسم الكبرى · وكانت البهجة والفرحة تملا النفوس ، والزينات تنتشر على طول الطرقات ، والناس في ذروة المرح والانس · وكانت خضرة تحيط (ليل) · بعنايتها وحبها وايثارها له ، عندما كانت تلمح اطياف الاسى تحيط به ولا تريم · ذلك انه كان يرى (عين) ، كل ما يقع عليه بصره ، في يقظة كان ذلك او في منام وكان يحس بعطف خضرة وحلو ايناسها وصدق محبتها · وفي ساعة من ساعات ضعفه ظن انه قد سلا (عين) وكان يساعده على ذلك الجو البهيج الذى كان يحيط به ، وفرحة الناس بالعيد وما فيه من بهرج وزينات وزغاريد ، فعلت كلها معا بنفسه فعل السحر ، حتى انه وافق على ان يعقد زواجه من ابنة عمه وسط هذه الافراح والزينات ·

وقد اقيمت للعروسين مراسم الفرح واقبل المشاركون فى حفل الزواج على تقديم التهاني والهدايا · وبينما (ليل) في غمرة هذه الافراح ، اذ به يسمع هاتفا يناديه : (يا ليل) · فلما استبان له الصوت ، وجد انه صوت (عين) التى كانت تدعوه الى لقائها ، وسرعان ما يعود الى قلبه كل حبه الطاغي للحورية (عين) الذى ظن فى غفوة طارئة انه قد شفي منه وحاول ان يسيطر على زمام قلبه ، وان يدفع عنه سيطرة « عين » عليه ، ولكن كيف له ان يدفع كل هذا السحر الذى قيده وملك عليه حواسه ؛

لم يلبث تضاله ان تراخي ، وكفاحه ان وهنت دوافعه ، واستسلم لهذا اللاعج من الهوى الذى لا يستطيع له دفعا او ردا عند تلك تاخذ (عين) بيده وتقوده الى عالمها تحت الماء ، وتغوص به بين احضان النهر الخالد ، وهيات امواجه الضاحكة اللعوب ·

ويقوم اهل الحي ومن جاورهم ممن اشتركوا في حفل زواجه ، عندما افتقدوا (ليل) ، بالبحث عنه عند شاطيء النهر دون جدوى · حتى اذا خاب رجاؤهم ، راحوا ينادون في لهفة وجزع والتياع :

يا (ليـــل) يا (عين)   يا (ليل) يا (عين)

كامل
خميس

مناجاة عبر البحار

« ... الى الحبيب المسافر »

يا قلبُ أن الهوى المسحور طوقني
وغاض فيض رشادي الذي تمل
يا قلب ودعت أحبابي على مضض
فمن يردد تغريدي اذا رحلوا
يا قلبُ كيف اصطباري ان فرقتهم
نارٌ تأجج والأفكار تشتعل
أقسمتُ أنَّ حياتي روضة عصفت
بها الرياح ، فمات السعد والأمل
أشكو من البعد ، ليل البعد أرقني
وكلكل الهمُّ لما ضاقت السبل
أنت الأبي الذي هزت فضائله
فيك الوفاء ومن آياتك المثل
تحيةٌ من رياض الشرق .. عاطرة
أزفها باشتياقٍ ملؤها القبل

ما زلتَ طـــيراً يغنّى فى خمائلنـــــا
فيجلب الفَـرحة الـكُبرى وينتَقِـلُ

أبا المـكارم زاكى الأصــل معـْـذِرة
اذا غفـــلتك فأغفــر إننى خَجِـــلُ

نوّرت دربْ حيــاتى بعـد أن صرمت
جبـــالها فغــــزاها اليأسُ والكسَلُ

جَــرّبتُ ألفَ وفىٍّ فانتخيتُ بهــم
لكن فضـــائلكَ الجلّى هى الأوَلُ

بَددْ غيومكَ واهـــلْ من مباهجهـــا
وليهنكَ العــلُّ من دنيــاك والنَهَلُ

فالعمــر أوّلهُ وردٌ وآخـــــــرهُ
شــوكٌ يعشّشُ فى أغصـــــانه المَلَلُ

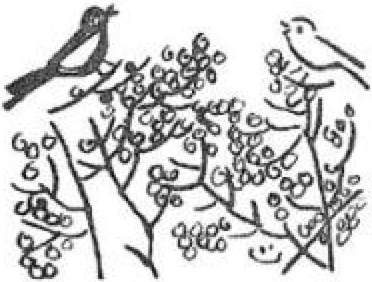
إنّى تعلّمتُ ســـحرَ الحبِّ من زمنٍ
لكنْ ســـحركَ مضروبٌ به المثــــلُ

تبنى خيامَ الهـــوى فى كلِّ عاصـفةٍ
حتى يمزّقهـــــا الأعصـــارُ والبلَلُ

فانشـدْ على ســمرات الشـعْر قافيةً
تظـــلُّ فيهـــا قوافى الشعرِ تبتهـلُ

أبا المكارم عــــذراً إنّ فى كَبِـــدى
سراً أضـــيق به .. ذرعاً فأنفعــــلُ

آمنت ان جنـــينَ الفــكر فى رَحِمٍ
تنزُّ منـــه قـــروحٌ ليس تنـدَمِل



مناجاة عبر البحار

حررتُ هضبةَ أفكارٍ كساجعةٍ
بين الخمائل لا قيْد ولا وجلُ

لمت أشرعتي للريح معتذراً
لأنهُ بحر الأماني ماؤه ضحلُ

أصطادني شبكي (حرشاً) سوايَ به
يصطاد حوتاً ولكن خيطه دجلُ

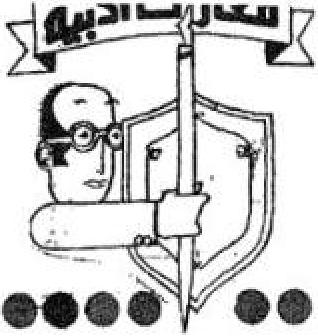
أبا المكارم بلدٌ كل هاجسةٍ
واشطبْ على زمنٍ دستوره الدجلُ

فلجيّنتُ طيفكَ حتى جاءني نبأٌ
عبر البحار كما جاءتْ به الرسلُ

فازداد فيك هوى قد كنتُ أكتمهُ
حتى تفجّرَ في أعماقي الغزلُ

فلا تلم شاعراً شابتْ ذوائبه
وتحتمتْ برجه الأرزاءُ والعللُ

● بغداد ●　　　● كامل خميس ●



فوزي عطوي

في عدد «السابق» من مجلة «الهلال» الزاهرة ، مقالة قيمة لاستاذنا الشاعر المهجري الكبير الاستاذ جورج صيدح حول « ذكرياته المطرانية » ، ايام كان مقيما في القاهرة حيث تسنى له ان يعرف شاعر الاقطار العربية معرفة قريبة ، وان يتعرف الى اخلاقه النموذجية والى شمائله العالية التي تواترت اخبارها ، ودلت على اصالة الانسانية في نفس الشاعر الكبير .

استدراكات مطرانية

ولقد تبين لي ، من خلال قراءتي لمقالة الاستاذ صيدح ، مدى الوفاء الذي انطوت عليه المقالة ، فكشفت عن روح صاحبها الذي نعتبره اميرا من امراء الوفاء ، ورابطة عقد وثيقة بين اصدقائه ومحبيه وقارئي نثره وشعره . ولعل مقالته المنشورة في مجلة « الرسالة » (السنة ٣ ـ العدد ٥ ـ ١٥ مايو ١٩٥٧) عن خليل مطران الشاعر الانسان اية اخرى من ايات وفائه نحو ارباب الاقلام ، ورواد الفكر ، الراحلين منهم ، والدارجين ، بعد ، في مدارج الحياة .

لكنني عجبت كل العجب لموضوع عاد الاستاذ صيدح ، مرة جديدة ، الى اثارته على صفحات « الهلال » بعد ما سبق له ان اثاره في مجلة « الاديب » اللبنانية (عدد مايو ١٩٧٤ ـ صفحة ٥٢) حول عدد « الهلال » ، في شهر نوفمبر ١٩٧٣ عن خليل مطران ، وبوجه خاص حول مقالتي المنشورة في العدد المذكور بعنوان « خليل مطران شاعر الفلسفة والمصير » .

فقد قال الاستاذ جورج صيدح في عدد يوليو من « الهلال » كما قال في « الاديب » (عدد مايو ١٩٧٤ ـ صفحة ٥٢) ماحرفيته :

« واذ اقلب صفحات « الهلال » اجد البلاغة كلها في كلمات رئيس وزراء لبنان ، والفصاحة كلها في



فـ يدة رئيس التحرير • ولن أعلق على مقال «شاعر الفلسفة والمصير» بل أتناساه كيلا أتكدر على صديقى كاتب المقال الذى نعت الشاعر المبدع الحكيم المجـــدد العميق الافكار، البعيد النظرات، «بالشاعر المتفلسف».

ورغم انى كنت قـــد نشرت ردا توضيحيا فى عـــدد يونيو ١٩٧٤ فى مجلة «الأديب» حول ما التبس معناه من مقالتى على صديقى الشـــاعر المهجـــرى الكبير، فيبدو لى ان اختياره منبرا جديدا لتوجيه الانتقاد الأدبى الحرفى ذاته الى مقالتى عن المطران، لا يترك لى حق الخيـــار بين الرد او عدم الرد عليه، لاقتناعى التام بأن من حق قراء «الهلال» كما كان من حق قراء «الاديب» ان يعرفوا الحقيقة من مظانها، فلا يلتبس عليهم بالتالى ما أراه التبس على الاستاذ صيدح •

واعود الى مقالتى فى «الهلال» وقد انتظمت فيما بعدفصلا من فصول كتابى الصـــادر فى سلسلة «كتـــاب الهلال» عن «خليل مطران شـــاعر الاقطار العربية» فى الصفحات (٨٢ ـ ١٠٠) فارانى قلت ما حرفيتـــه (الهلال ـ عدد نوفمبر ـ صفحة٢٩):

«اذا كانت الفلســـفة هى العلم بالوجود، بمبادئه وعلله، أو معرفة الامور الالهية والانســـانية، واذا كانت الفلسفة هى التأمل فى ظواهر الكون، والسعى لسبر أغوار تلك الظواهر، ومحاولة ايجاد التفسير الملائم لاسرارها والكشف عن مصادرها وعللها ومصيرها، والبحث عن معنى الخير والشر، والجبر والاختيار ـ فان خليل مطران لم يكن رجل فلسفة

ولكن متى ذكرنا قـــول الفيلسوف اليونانى القـــديم افلاطون: «ان الفلسفة هى العلم بالحقائق المطلقة المستترة وراء ظواهر الاشـــياء»، ثم متى تذكرنا ان الصفة الاســـاسية التى تميزت بها الفلسفة اليونانية عن غيرها من الفلسفات هى كونها تجمع بين قيم الحق والخير والجمال فى وزن واحد من الاتساق ـ ادركنا ان خليل مطران كان شاعرا متفلسفا فى الفلسفة على وجه عام •»

وقلت فى ذلك المقال ايضا: «وعلى الرغم من ان خليل مطـــران غنى واجاد الغناء، فهو قد تفلسف ايضا واجاد التفلسف، ولا سيما فى نظرته الشـــفيقة الى مصير الاشـــخاص والاشياء • لكن خليل مطران، اذا استطاع ان يظهر فى شعره بمظهر المتفلسف، فهو لم يكن ذلك الشاعر الفيلسوف بأى حال من الاحوال»

وانهيت مقـــالتى بقولى: «ان خليل مطران لم يكن منقبا عن نظام فلسفى لهذا الكون، ولكنه كان شاعرا متعمقا، متسائلا، باحثا عن الحقيقة والخير والجمال، ومن هنا قولنا فيه: «ان مطران كان شاعرا متفلسفا، ولم يكن شاعرا فيلسوفا وان بينه وبين ابى العلاء المعرى كثيرا من المشابه فى هذا الصـــدد، وان كان المعرى ابعد شأوا، واعمق غورا فى اضفاء الرداء الفلسفى على شعره •»

بعد هذا احسب ان لكلامى معنى واحدا، لا ثانى له، وهو ان خليل مطران ادخل الومضـــات الفلســـفية على جوانب من شعره، فكان شاعرا متفلسفا، ولم يكن فيلسوفا، بما تجوب فيه الفلسفة من ابعاد واعماق، اى ان المطران كان «الشاعر المبدع



خليل مطران : الشاعر المبدع

الحكيم المجدد العميق الافكار البعيد النظرات » . كما وصفه الاستاذ صيدح . ومن اجل ذلك عشت مقالتي التي استغرقت عشر صفحات من مجلة « الهلال » . بل من اجل ذلك كان عنوان تلك المقالة « خليل مطران شاعر الفلسفة والمصير » . بعد ما لفت انتباهي مقدار ما في احاديث المطران الشعرية عن مصير الناس من الومضات الفلسفية الرائعة .

ويبدو لي ان صديقي واخي الكبير الاستاذ صيدح الذي طالما سدد خطاي على دروب الشعر والادب ، منذ طراوة عودي ، بكتاباته عني ، ورسائله الي ، والتفاتاته الادبية السديدة ، يبدو لي انه مر بالمقالة مرورا سريعا ، في بداية الامر ، فساءته كلمة الشاعر (الفيلسوف) اذ فسرها بمعنى الشاعر « المتفلسف » الذي لا يعرف شيئا من الفلسفة ، وهو تفسير احسب صديقي يتخلى عنه ، لو تأنى واعاد قراءة المقال ، واحسبه ، بعد ذلك لا ينكر علي ، وهو العالم ، في كل حال ، بأن الانتقاد الموضوعي لا يكدرني ، وانما يحملني على الشكران والعرفان لمن يسدد خطاي الى سبيل الصواب .

تبقى ملاحظتان ، احسب ان المناسبة تتيح لي ابداءهما ، استدراكا وتصويبا لهفوتين وقعتا عن غير قصد في كتابي عن « خليل مطران » . وكان للشاعر الاستاذ صيدح فضل تنبيهي الى الاولى ، بينما نبهني الى الثانية الاديب الناقد الاستاذ جان كميد رئيس تحرير « الرسالة » التي اصدرت عام ١٩٥٧ عددا خاصا عن شاعر الاقطار العربية :

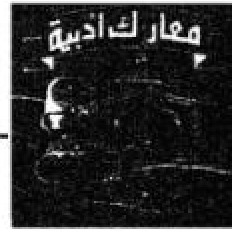
اما الاولى ، فتتعلق بالحاشية الواردة في الصفحة ٧٤ من الكتاب ، حيث اوردت ابياتا لشوقي عن المطران على لسان الاستاذ صيدح الذي رواها في مقاله ، ولم اعثر عليها في نسخة « الشوقيات » الجديدة التي في مكتبتي والتي ثبت لي فيما بعد انها مزورة ومطبوعة في بيروت بطريقة الاوفست فلما عدت الى النسخة القديمة من الشوقيات الاربعة ، عثرت على الابيات التي سبق لي ان اثبتها في قسم المختارات من كتابي « احمد شوقي امير الشعراء » الصادر في منشورات الشركة اللبنانية للكتاب .

وكنت قد وافيت الصديق الكبير رئيس تحرير « الهلال » الشاعر الاستاذ صالح جودت بتصويب الخطأ ولكن يبدو ان دواليب المطبعة كانت قد دارت ، وسبق السيف العذل .

اما الهفوة الثانية ، فتتعلق بالمقارنة التي اجريت في دراسة الاستاذ جان كميد بين قصيدة « نيرون » لخليل مطران ، وقصيدة « شمشون » لالياس ابي شبكة ، اذ ظهر من سياق البحث ان القصيدتين هما لخليل مطران ، وهو امر غير صحيح والاصح ان « نيرون » وحدها هي القصيدة المطرانية .

بعد هذا ، الشكر للشاعر المهجري الكبير الاستاذ جورج صيدح الذي اساغ لي ، بسبب مقاله المنشور في « الهلال » ، حديثا جديدا عن خليل مطران ، كما اساغ لي الادلاء ببعض الاستدراكات والايضاحات لوجه العلم ، ولوجه الثقة والموضوعية في البحث الادبي .

● فوزي عطوي ●
● بيروت ●



على هامش ديوان "الحماسة"

في هلال أغسطس ، العدد الخاص « أدب الثقافة » ، استوقفني في « رحلة الشهر » عنوان « حول ديوان الحماسة لابن تمام » . ولما كنت ممن يهتمون بما تجيء به رحلة الشهر من أدب وفن ، وممن يعنون بالتراث العربي ، فقد قرأت ما كتبه الأستاذ أحمد مصطفى حافظ ، وأطلت النظر فيه ، فوجدته قد أتى بشيء غريب ينأى عن التاريخ وعن النقد الأدبي ، وانتظرت أن يأتي عدد سبتمبر وفيه رد من الدكتور محمد أحمد خلف الله ليكشف الحقيقة ، ويضع ديوان الحماسة في موضعه الذي خلق له — إن صح التعبير — ولكنه لم يفعل ، فكان علي أن أدافع عن « الحماسة » وهي تراث نعتز به ، ونتأثر بأدبه ، ونحفظ مختاراته .

فمن الغريب أن يقول الكاتب : «إن ديوان الحماسة الذي جمع فيه أبوتمام مختاراته من عيون الشعر العربي لم يشتمل على شعر حربي يصف المعارك والانتصارات كما سبق إلى فهم الكثيرين » . وأنا لا يهمني رأي الكاتب في شعر أبي تمام « العلمي » ولا شعره الذي جاء «شاهدا على قواعده» وإنما يهمني ديوان الحماسة ، فكيف خلا ديوان الحماسة من الحماسة ؟ إن شعر الحماسة في الديوان يبلغ ٣٣١ صفحة من الطبعة القديمة التي بين يدي، طبعة قديمة سنة ١٣٣٥ هـ وكله شعر يفوح برائحة الدم ، شعر تسمع فيه دقات الطبول ، وصهيل الخيل ، وقعقعة السيوف ، وكلنا قرأ الحماسة، ويعرف أن أول قصيدة فيها ، لقريط ابن أنيف ، ومطلعها :

لو كنت من مازن لم تستبح إبلي
بنو اللقيطة من ذهل بن شيبانا

وفيها البيت المشهور :

لا يسألون اخاهم حين يندبهم

في النائبات على ما قال برهانا

اما التعليل الذى اتى به الكاتب فمرفوض ، وابو تمام لم يسمه بهذا الاسم ، وانما سماه « الاختيارات من شعر الشعراء » ورتبه على ابواب عشرة : الحماسة والمراثى والادب والتشبيب والهجاء والاضافات والصفات والسير والملح ومذمة النساء واشتهر ببابه الاول . ويعلل الاديب الذى تولى شرحه ذلك بان الحماسة شجاعة العرب وهى الاولى من صفاتهم . وعلى نهجه كان للشعراء من بعده على توالى العصور مختارات محاكاة له حتى البارودى كانت له مختارات لها ابواب تشبه صنيع ابى تمام ، ولو تأملت المراثى لوجدتها من معدن الشعر الحماسى تقطر غيظا وثأرا وصيحات الثأر الذى لايموت ، والادب نفسه يحتوى على النفوس الابية ، والعزائم القوية ، والطموح الذى لا يحده حد . فلا داعى اذن الى غمط ابى تمام حقه ، ووصف ديوان الحماسة بما ليس فيه .

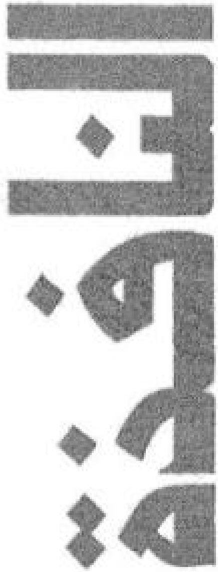
ومن غريب ما اتى به الكاتب ايضا ان ابا تمام عاشر الازهريين «وانتفع بهم حين كان الازهر » فى نهاية شرفه العلمى » قال ذلك ليبرهن على نظرية جديدة وقع عليها فهو يقول : « ولعل السبب فى الفرق الظاهر بين الزخرفة (الابى‌تمامية) والبداوة (المتنبية) مثلا ان الاول انتقل من البداوة الخالصة الى الحضارة الخالصة فى القاهرة فجاور (الازهريين) فى عهد كان الازهر فيه « فى نهاية شرفه العلمى » والقارىء حين يقرأ هذه الكلمات تروقه وتشوقه فهى قضية ولها برهانها وتضييع الحقيقة التاريخية بهذا المنطق ، فأبو تمام لم ير الازهر ولا الازهريين ولا القاهرة ، لانه توفى على ابعد التواريخ سنة ٢٣١ هـ والقاهرة تم بناؤها سنة ٣٦١ هـ ومعها الجامع الازهر ...

اما ابو تمام فقد ولد بقرية مجاسم قرب دمشق سنة ١٩٠ هـ ونقل صغيرا الى مصر ، فنشأ بها فقيرا ، وكان يسقى الماء بالجرة فى جامع عمرو كما يقول « الوسيط فى الادب العربى وتاريخه » وكما يقول شارح ديوان الحماسة اخذا عن (التبريزى) ويقولون « لعل طول مقامه بالمسجد – وهو يومئذ عش العلماء – حبب اليه العلم والادب » فكاتبنا ترك جامع عمرو ، وترك عش العلماء ، ووضع قواعد وبنى عليها ، فجعله يغشى الازهر ويجاور الازهريين . متى ؟ يوم كان الازهر فى نهاية شرفه العلمى

هذه سطور اردت بها كشف الحقيقة حتى تكون الحماسة وابو تمام فى صورتهما الحقيقية ، والله المستعان .

● السيد حسن قزون ●

من روائع القصص العالمي



للكاتب الايطالي الكبير
لويجي برانديللو
ترجمة :
محمود عزت موسى

القصاص لويجي براندللو (١٨٦٧ ـ ١٩٣٦) الحائز على جائزة نوبل في الادب عام ١٩٣٤ بمسرحياته ورواياته الكبيرة .

وهذه القصة تعتبر اعظم وابرز القصص القصيرة واعمقها تأثيرا وتحليلا وقد امتزجها الفنان الواقعي والرمزي معا فجاءت في بنائها وحبكتها واسلوبها نمطا فريدا للقصة القصيرة الرفيع .

اشتهر بين زملائه في المكتب باسم « الدب الصامت » بينما كان رهط آخر من اخوانه يدعونه باسم « البومة » ويرون ان هذه التسمية الاخيرة اكثر ما تكون انطباقا عليه ... لم يحدث البتة ان صادفه او رآه احد يغشى مقهى او مكانا للتسلية ، بل على النقيض من ذلك رآه كثيرون وهو يتسلل في الشوارع المقفرة المزدحمة ، ليغوص في ظلمات الطرقات الخلفية الموحشة المؤدية الى اطراف المدينة .

وكان حريصا اثناء سيره ان يبتعد عن جانبي الطريق ، حتى يتفادى الاضواء التي تفيض بها المصابيح ، متجنبا الالتفات او التوقف ليشهد ما يجتذب انظار الآخرين ... حتى اذا فاجأته الامطار احيانا ، فانه يظل مواصلا سيره هادئا ، وكأنه لم يحدث اي شيء .

كان تجواله في الشوارع المقفرة يستهويه ويرضيه .. وهو يعد اعمدة مصابيح الشوارع او يراقب ظله اللازم له والسائر معه .. او يرهف السمع لصدى وقع اقدامه في وحشة الليل وسكونه ! .. واحيانا كان يتوقف لحظات عند حديقة قصر كبير غارق في الظلام ، متأملا الاشجار الباسقة ، كان يحس بالتشابه بينها وبين روحه الحالكة الذكريات المنطوية بين جوانحه وكأنها اشد اظلاما في الليل الساجي ...

لم تكن له طفولة ، ولم يستمتع بمسرات الصبا والشباب ...

ان الصور والمشاهد المفجعة التي شاهدها في مستهل حياته ، والقسوة والوحشية والضيم والاذلال التي عاناها من ابيه ـ كانت كافية ان تستل وتقتلع من روحه كل رغبة في التعلق بالحياة او حبها ...

وبعد ان ماتت امه في روعة جمالها اليهيض وشبابها الذاوي



من فرط ما لاقت من العذاب في زوجها — انفرط عقد الاسرة وتناثر افرادها ، فانخرطت اخته في سلك الرهبنة واختارت الدير ملاذا ، وهاجر شقيقه الى امريكا ، وفر هو من المنزل ليقذف بنفسه في خضم الحياة وحيدا تتلقفه الامواج العاتية

... وبعد صراع مرير وصعوبات لا تخطر على البال استطاع آخر الامر ان يظفر بوظيفة صغيرة .

وحدث في ذلك اليوم ، خلال جولاته بالشوارع ، أن استقر رأيه ان يعود الى غرفته المفروشة التي كان قد استأجرها .

رأى ان يساوى الى حجرته مبكرا على غير عادته لوعكة المت به ، وكانت هذه العودة المبكرة مثار استغراب، بل اشبه ما تكون بالمفاجأة السارة لصاحبة المنزل السيدة نيني وابنتها العانس .

كانت الام وابنتها قد اجرتا هذه الحجرة بعد

مشكلة كبيرة ، اذ كانت مطلة على حارة ضيقة ، ولها نافذة صغيرة في مواجهة عمارة ضخمة تحجب عن الحجرة النور والهواء ، ولذلك كانتا تخشيان ان يتركها هذا النزيل الجديد

اما هذا الساكن ، فكان من مألوف عادته ان يأوى الى غرفته بعد نومهما ، فلما عاد مبكراً ، ابدت الابنة ارتياحا وسروراً ، بل انها لم تتمالك نفسها لفرط غبطتها اذ اخذت تصفق كالاطفال . ومضت تسأل نفسها : لا بد لنا أن نعبر له بطريقة ما عن ارتياحنا وتقديرنا ... فبأى تصرف رقيق يمكن أن نبدأ ؟ ..

ومضت الام وابنتها تتشاوران ... وفجأة قالت الابنة في صوت لاهث : اجل .. انه النور . النور ... لنقدم له اجمل مصباح لدينا ... المصباح الكبير المزخرف بالنقوش الرائعة ... المصباح الخزفي الرائع ! ..

وما لبثت حتى اشعلت المصباح الغازى لتوها، وحملته ومضت الى باب غرفته تطرقه ، وهى ترتجف لفرط انفعالها ، والمصباح يتأرجح قليلا في يدها بينما يتصاعد من فوهته الدخان ...

النافذة

وقالت الابنة : هل تسمح ... لقد جئت اليك بمصباح .

فأجابها من وراء الباب المغلق : لا ... لا .. مع الشكر ، فانني سأغادر الحجرة خارجا بعد لحظات ...

بيد أن الابنة لم تيأس ومضت تخاطبه بلهجة رقيقة تخامرها الخجل متجاهلة أن الباب لا يزال مغلقا وقالت : ولكنني أعددت لك مصباحا جميلا حتى يؤنسك ولا تظل هكذا في شبه الظلام الدامس

فأجابها في اصرار :

ـ كلا ... واشكرك

كان وقتئذ جالسا في غرفته يمعن في الظلال التي اخذت تزداد متكاثفة حوله ، بينما اضواء النهار الذاوية تترنح مختنقة على زجاج النافذة ... لا يدرى كم من الوقت امضاه جالسا على مقعده ، جامدا ، بينما تحملق عيناه في ارجاء الحجرة دون أن يرى شيئا ، حتى غمره الظلام ...

وفجأة استدار ملتفتا حوله وقد استبدت به الحيرة ... لقد غمر حجرته الصغيرة ضياء خفيف هادىء كأنما اطلقته يد ساحرة خفية .. فكيف حدث هذا ؟

انها اشعة نور من المنزل المواجه لنافذة حجرته ... مصباح اضاءه الجيران ... قبس من نور او نسمة في حياة غريبة تتوافد من الجانب الآخر لتبدد ظلام روحه وتملأ فراغ حياته الجدباء .

وظل لحظات ساكنا، متطلعا الى هذا الضوء الذى بدا له كأنه معجزة تحققت لتوها ... واعترته انفعالات متباينة واغرورقت عيناه بالدموع بينما يتأمل هذه الاشعة في النور مستوية ترقد في حنان على سريره ، وتصافح هذه الاشعة يده وتلامسه لمسا رفيقا !

وارتدت الى ذهنه في تلك اللحظة ذكريات طفولته القاسية الأسية . تراءت له صورة امه البائسة المسكينة .. وبدا كان ثمة نور فجر جديد ينبلج ويتألق مشرقا عليه من بعيد ليبدد جحافل الظلام المطبقة على روحه .

مضى يختلس النظرات من وراء زجاج نافذة جيرانه التى انبعث منها

هذا الضوء ، فرأى أسرة اجتمع أفرادها حول مائدة يتناولون العشاء ... الاب واطفال ثلاثة ، بينما كانت الام تقف على خدمتهم . وهى تحاول كما بدا فى تحركاتها أن توفق وتخفف من اهتياج الطفلين الاكبر سنا وهما يلوحان فى الهواء بمطلتيهما ، بينما كان الطفل الاصغر يبدو قلقا وهو يدير رأسه يمينا ويسارا ، لان رباط الفوطة حول عنقه كان يضايقه ...

واخيرا اتخذت الأم مقعدها عند المائدة فى مواجهة النافذة ... واوشك هو أن ينسحب اذ لاحظ ان الام قد صوبت بصرها نحو النافذة ، بيد أنه أيقن فى نفسه أن أحدا لن يحس بوجوده فى الغرفة المظلمة ، فظل فى مكانه يختلس النظرات الى هذه الاسرة السعيدة وهى تتناول طعام العشاء فى حين لم يخطر بباله ان يتناول العشاء .

واعتاد منذ تلك الليلة ، بعد أن يبارح مكتبه ، الا يقوم بتلك الجولات المتفردة التى اعتادها فى طرقات المدينة ، بل كان يمضى على الفور الى حجرته مسرعا ، ليتخذ ركنه بالحجرة مكانا .. ينتظر ذلك النور الفياض الرقيق الوافد من النافذة الاخرى لجيرانه ، لتبدد أشعته ظلام حجرته

ووحشتها ... أما هو فكان يقف وراء زجاج نافذته كما لو كان متسولا يتلمس ذلك

الحنان الوافد اليه . وتلك الالفة الخفية المحببة ، وهذا الجو العائلى الاسرى الذى يستمتع به غيره ...

الحنان الذى هفت اليه نفسه اذ استشعر به من بعيد واستيقظ فى اغواره عندما كانت له أم ، كهذه الام !

واجهش باكيا ، فقد اتخذ الحزن المتأصل فيه والذى يكاد يزهق روحه . اتخذ هذا الحزن يتبدد بيليه هذا النور ...

ولم يلق بالا الى ماقد تثيره تصرفاته الجديدة من الشكوك عند صاحبة البيت وابنتها ، ولقد حدث ان قدمت الابنة اليه المصباح الخزفى البديع أكثر من مرة فرفضه . ولقد عرضت عليه ان تزود الحجرة ولو بشمعة واحدة فرفض أيضا ... بل ان الابنة لفرط تعجبها ، ما لبثت ان اجترأت وسألته فى صوت يفيض حنانا : هل تعانى مرضا ؟ . فأجابها : كلا .. انتى اشعر بالراحة هكذا .

ولم تقتنع الابنة بهذه الاجابة ، فتطلعت من ثقب الباب ، ولشد ما أذهلها الامر اذ اكتشفت شعاعا من النور يفد من المنزل المواجه يغمر حجرته ، فادركت لفورها أن هذا النور منبعث من شقة أسرة « ماسكى » كما لاحظت انه يقف خلف نافذته يرقبهم ... فهرعت الى أمها تفضى اليها بهذا الخبر الخطير قائلة : لقد عثرت على السر ... انه عاشق ، انه يحب مرجريت مرجريت ماسكى !

ومضت أيام ...

وفى ذات يوم بينما كان يقف فى مكانه خلف النافذة يرقب جيرانه ، أخذته دهشة عارمة اذ رأى « السيدة تيلى » صاحبة البيت وابنتها عند أسرة « ماسكى » ...

وكان الاب غائبا فى تلك الليلة ، أما هو

فلك تراجع الى الوراء وقد بهرته المفاجأة ، وأسرعت خفقات قلبه اضطرابا وهو يحس

كأنه يرزح تحت اثقال هم يخشى قلبه اذ رأى الام واطفالها الثلاثة

يتطلعون نحو نافذته ، فلابد ان الزائرتين قد تناولتا الحديث عنه ..

هكذا بدا له ان كل شيء قد ضاع .. فماذا سيحدث غدا بعد ان اكتشفت الام الشابة حقيقة امره وانه

يحتجب وراء نافذته محتميا بالظلام ليختلس النظر اليهم ؟ انها سوف تغلق النافذة حتما في وجهه ...

وسوف يحرم من هذا النور الذى يحيا به وله ... سوف يحرم من هذه النعمة الوحيدة البريئة التي اخذت تغمر قلبه ...

بيد ان الامور سارت على نحو اخر غير ما توقعه ... ففي الليلة ذاتها ، وعندما انطفأ النور ، ظل هو قابعا في زاوية

الغرفة فترة من الوقت ، الى ان تاوى الام وابناؤها الى النوم ، ثم مضى بخفة الى النافذة ، وفتح زجاجها في حذر بالغ لينتعش صدره

بالهواء الخارجي ...
بيد انه استرعى انتباهه ان النافذة المقابلة له لا تزال مفتوحة ...
ثم استطاع ان يرى والرجفة تسرى في اوصاله ان الام الشابة تطل من النافذة المظلمة ايضا ... ربما يكون القلق الذى حاق بها بعد ما سمعت حديث السيدة نيني وابنتها هو السبب في ارقها .

ولم يكن ليمكنه ان يتبين ملامح وجهها وكان قد عرف منذ حين انها جميلة . وكان في كل يوم يرقب حركاتها الرشيقة والبريق المتدفق من عينيها . وقبيل ان يغلق النافذة منسحبا ترامى اليه همس صوتها الهامس قائلة : « مساء الخير ! » واجابها على تحيتها بصوت متهدج .
وهكذا بدا الاثنان .. وجها لوجه !

ترى .. هلا قصته صاحبة المنزل وابنتها على الام الشابة من انباء حتى اثارتا حب الاستطلاع فيها ؟
ولكن هل انسابت في بدنها نفس الرجفة التي

يحس هو بها ازاءها ؟ رجلة من يتوقع شيئا مجهولا .. ولم لا .. ؟

.. ما من شك انها تحاول مثله تجنب نظراته ، كما يتجنب هو ايضا ذلك ..

لقد اخذ الاثنان يسحر واحد ، كما تلفهما ظلمات واحدة !

وعندما اغلقت نافذتها اخيرا ، كان على ثقة انها بعد ان تطفىء النور غدا ، سوف تطل من نافذتها مرة اخرى .

وبعد تلك الليلة ، لم يكن ينتظر انتظارا للنور في النافذة الاخرى ، بل على النقيض في ذلك .. كان يتلهف قلقا انتظارا لاطفائه ..

لم يسبق له ان احب من قبل ... كان يعيش منسيا على هامش الحياة

ومن اجل هذا كانت لفحة النيران اشد مما يطيق ويحتمل فالتهب واحترق

كيانه باسره في اتونها اما هي ، المرأة ، فقد استشعرت كأن ثمة قوة

عاتية لا قبل لها على مقاومتها تجتذبها وتقذف بها في صميم دوامة رهيبة .

النافذة

سرى نبأ في الحي باسره في نفس اليوم الذى ارتحل فيه تاركا

غرفته التي كان يشغلها عند السيدة « نيفي » ، ... سريعا يقول : ان الزوجة التي كانت تقيم في الطابق الثالث في البيت المواجه قد تركت بيتها وهجرت زوجها وأبناءها ...

وظلت الغرفة التي كان يسكنها شاغرة قرابة اربعة اشهر ،

وكذلك ظلت الغرفة المواجهة التي اعتادت الاسرة ان تتناول فيها طعام العشاء ، معتمة لا ينفذ منها شعاع من نور عدة اسابيع .. ثم اضيئت ثانية لتبدو النافذة وقد غشاها حزن مروع ، وقد جلس اليها زوج محطم ، تتناوب نظراته الجامدة وجوه ابنائه الثلاثة ... ولم يكن يجرؤ احد من هؤلاء الاطفال ليتجه ببصره نحو الباب الذي كانت تطل منه والدتهم فيما مضى حاملة صحاف الطعام .

وذات مساء ، فوجئت السيدة نيفي وابنتها بزيارة مباغتة لم تخطر على بالهما قط .. كان الزائر هو ساكن الغرفة السابق وقد اعترت قسمات وجهه الرهبة والوجل .



اى شيء يبغي ويريد؟ انه يريد استئجار نفس الحجرة اذا كانت لا تزال شاغرة .. لا ، لا .. هذا شيء مستحيل .. ولكنه لن يسكنها ، انما سيتردد عليها نحو ساعة كل ليلة ، وسيقدم اليها خفية بحيث لا يراه احد ابدا ... باسم الرحمة ، الرحمة لهذه الام المسكينة التي ترد فقط أن ترى أطفالها عن بعد وفي الخفاء دون أن يلحظ أحد مقدمها .. سوف يتدبران الامر لذلك وسيحضران في الوقت الذي يضمنان عدم التقائهما مع أحد على الدرج ، وسوف يدفعان قيمة الايجار للغرفة اضعافا من اجل هذه اللحظات .

وأبدت السيدة نيفي وابنتها تمنعا .. لا يمكنهما ان يجيزا هذا الأمر . ولكنهما تراجعتا اخيرا ووافقتا من اجل الرحمة فحسب ، على شريطة الا يلمحهما احد عند قدومهما .

وحضر الاثنان في المساء خفية ودلفا الى الحجرة الصغيرة الحالكة الظلام ، يذرفان الدمع وظلا ينتظران حتى يضاء النور في المنزل المواجه .

وفجأة سطع النور ..

اما هو فقد ترنح من فرط التأثر .. بينما اندفعت هي نحو زجاج النافذة وقد انهلت عبراتها راكة مستمرة .. وجمدت في مكانها تتطلع وهي تحبس انفاسها بمقلتيها .. ها هم اطفالها حول مائدة العشاء ... واقترب منها قبل ان تتهاوى على الارض يساندها .. وظلا دون حراك وقد احتواهما ظلام الحجرة ، وانظارهما تتوجهان صوب النور ..

لؤلؤة الثغر

احبك .. لا للجمال الذى … تغار الكواعب من سحره
ولا للخلال زكا عطرها … وفاح كروحك فى طهره
ولا للحديث الطلى الذى … به تنتشى النفس من خمره
ولكن لانك من موطنى … ومن منبع السحر من ثغره
تألقت لؤلؤة حلوة … يشع سناها على صدره
كأن حديثك انغامه … بها غرد الطير فى فجره
وما الثغر الا نجى القلوب … تغنى به الصب فى شعره
احبك حبى لهذا الاديم … يضوع نديا شذى زهره
هواه الكبير غزا مهجتى … فليست تروم هوى غيره !

● الثغر ــ بورتسودان ــ ميناء السودان ●

● مبارك المغربى ●

الغلاف الأول



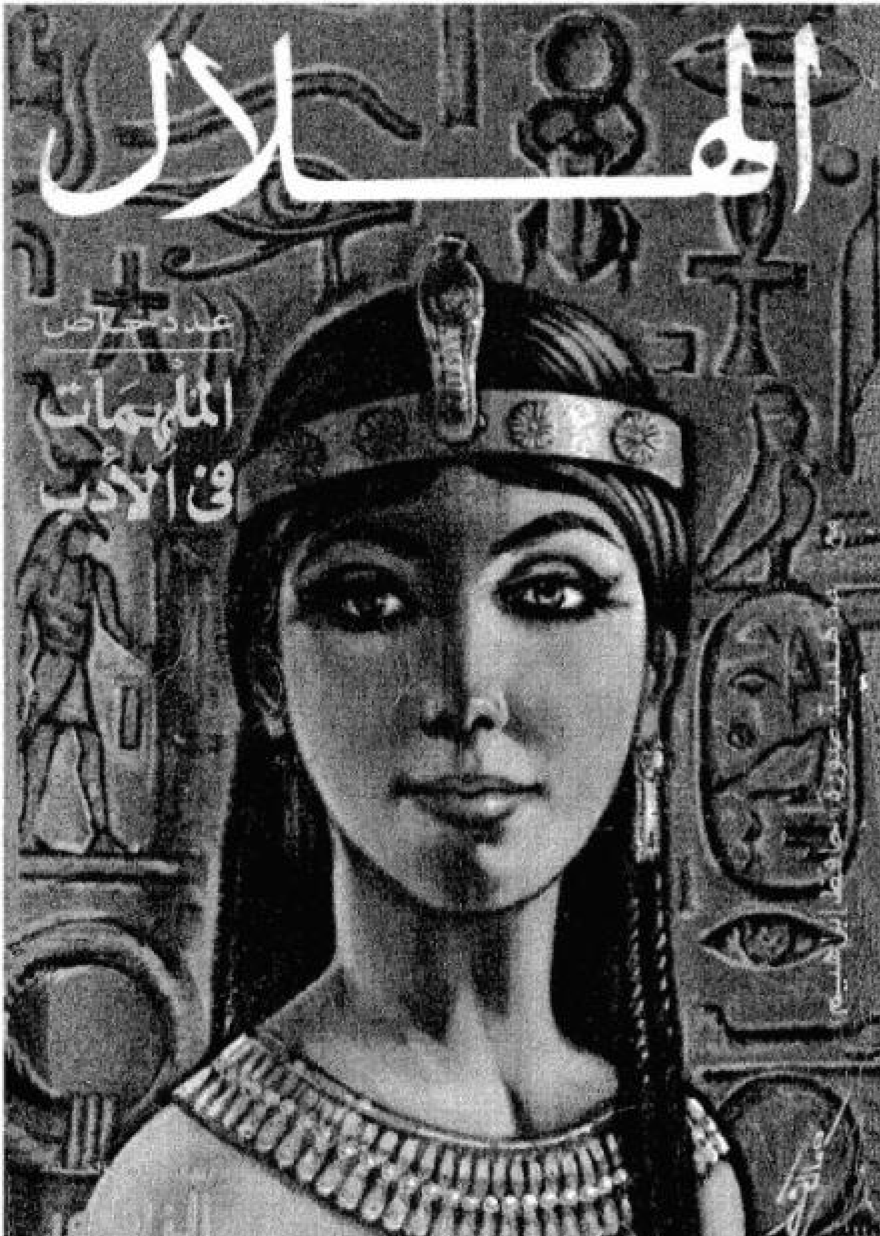
شمس الله تشرق على العرب
للفنان : عفت حسنى

الغلاف الأخير

« أبو الهول » الالمانى
انظر داخل العدد






الهلال
عدد خاص
الملهمات في الأدب

الهلال

ذو القعدة ١٣٩٤
ديسمبر ١٩٧٤

مجلة شهرية تصدر عن دار الهلال - أسسها جرجي زيدان سنة ١٨٩٢ - العدد الثاني عشر - السنة الثانية والثمانون - أول ديسمبر ١٩٧٤ - ١٧ ذو القعدة ١٣٩٤

الاشتراكات

ثمن العدد : في جمهورية مصر العربية ١٥٠ مليما .
قيمة الاشتراك السنوى : (١٢ عددا) في جمهورية مصر العربية وبلاد اتحاد البريد العربي والأفريقي **١٥٠ قرشا صاغا** . في سائر أنحاء العالم **٦ دولارات أو ٢ جنيه** والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال . في جمهورية مصر العربية والسودان بحوالة بريدية ، في الخارج بشيك مصرفي والأسعار الموضحة أعلاه بالبريد العادي - ويضاف رسوم البريد الجوى والمسجل على الأسعار المحددة عند الطلب .

الإدارة : دار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب - القاهرة .
تليفون : ٢٠٦١٠ (عشرة خطوط)



د . احمد زكى — د. عبدالمنعم ابو بـــكر — د . سيد كريم

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة الهلال

جاء فى تقرير للدكتور كالمان بنيامينى ، الخبير النفسى الاسرائيلى ، والمستشار النفسى لوزارة المعارف الاسرائيلية ، ان شباب اسرائيل قد اصبحوا ينظرون الى العرب نظرة كلها احترام بعد حرب اكتوبر ، وان اطفال اسرائيل لم يعودوا ينظرون الى العربى كأنه مجرد دودة او حشرة كما كانوا يفعلون قبل تلك الحرب .. كما انهم لم يعودوا ينظرون الى الاسرائيلى على انه «سوبرمان »

ويضيف الدكتور بنيامينى ان شباب اسرائيل ـ عقب حرب الايام الستة ـ كان يرى ان الاسرائيلى يقف على قمة الجنس البشرى ،بينما يقف العرب فى الحضيض .. وقد تغيرت هذه النظرة تماما بعد حرب اكتوبر

واستطيع ان اضيف الى قول الخبير النفسى الاسرائيلى، ان العرب قد سقطوا فى عيون العالم كله ـ لا فى عيون الاسرائيليين وحدهم ـ بعد ملهمة سنة ١٩٦٧ ..وانهم قد صعدوا فى عيون العالم كله ـ لا فى عيون الاسرائيليين وحدهم ـ بعد انتصاراتهم فى حرب اكتوبر سنة ١٩٧٣

هذا ما لمسته بنفسى اثناء رحلاتى فى الخارج خلال هذه السنوات السبع .

بعد مذلهمة سنة ١٩٦٧ .. كان بعض رجال الجوازات في بعض البلاد الاوربية - حتى الصديقة - يبصقون على جواز السفر العربى ، او على الاقل ، ينظرون اليه بكل احتقار

وبعد حرب اكتوبر ... اصبح رجال الجوازات في جميع انحاء العالم ينظرون الى جواز السفر العربى ، اما بحب مقترن بالاحترام ، او بكراهية - في بعض الاحيان - ولكنها مقترنة بالاحترام

ان العالم يحترم الأقوياء .. في كل زمان ومكان

حينما كان العرب في ذروة قوتهم بالاندلس ، كانت اللغة العربية هي لغة الصالونات في قصور الاسر الاسبانية الموسرة ، وكان الرجل والمرأة الاسبانيان ، اذا ارادا ان يثبتا في اى مجتمع انهما مثقفان ، ومتأنقان تحدثا باللغة العربية ، ليكتسبا احترام الجميع ، واعجاب الجميع

هل لنا عودة الى ذلك العصر ؟

● صالح جودت ●

د . عبد المنعم
أبو بكر



يعتبر اخناتون بحق اهم الشخصيات التاريخية التى تركت وراءها سجلا رائعا من اعمال سبقت عصرها بمئات السنين ، فهو اول من نادى بالتوحيد واجبر المصريين على نبذ مجموعة الهتهم والتعبد فقط الى الهه الاوحد آتون ..

الملكة الجميلة نفرتيتى ملهمة زوجها اخناتون فى دعوته إلى الوحدانية

من المعروف ان الدين المصرى القديم كان - كما - ظل طوال اكثر من الف وستمائة عام ثمرة تداخل عدد كبير من العبادات القبلية الاصيلة ، ولعل مرجع ذلك ان الدوافع التى الجأته الى التعبد كانت بدورها متعددة . فهناك قوى الطبيعة الكبرى مثل الشمس والقمر والسماء والارض ، وهى مظاهر عديدة بهرته ، وتعجب من امرها ولم يفهم كنهها ولم يستطع الا ان يجعل منها الهة مختلفة ، بل كانت لديه هى الالهة الكبرى .

ولكن المصرى فى عصوره البدائية تساءل فى حيرة عن علاقته بهذه الالهة : هل كانت تهتم بأمره وتسعى الى معونته اذا حلت به الازمات ؟ هل كانت هذه الالهة تسرع الى اغاثته اذا حلت به المصائب مثل مرض الماشية أو حلت به مجاعة بسبب نقص المحصول ؟ لقد عرف بغريزته ان هذا امر بعيد التحقيق . فحاول ان يجد معبودات أخرى قريبة منه تساعده وتكون سنده وتخفف من ويلاته ! .. ووجد فى بيئته الكثير من المخلوقات التى كانت تثير دهشته وتملؤه اعجابا ، كما وجد منها ما كان يرعبه ويقض مضجعه . فعبد المصرى ، كل فى بيئته . احدى مظاهر الطبيعة ، التى انتشرت وهيمنت على هذه البيئة !

وهكذا تكونت بجانب الالهة الكبرى اعدادا لاحصر لها من الهة محلية ، تعددت بتعدد اسباب وجودها ، والمناطق التى عبدت فيها ... وتعلق المصرى الاول بهذه الالهة الصغرى ، وتأثرت بها حياة الاسرة سواء فى القرية او فى الاقليم ، حتى أصبح لكل أسرة ولكل قبيلة ولكل اقليم الهته المتعددة .

استمر الحال هكذا آلاف السنين ، ثم جاء العصر الذى تكونت فيه مصر سياسيا ، فاندمجت اولا الاسرة فى القبيلة ثم القبيلة فى الجماعة وتكونت المقاطعات ، ثم اندمجت هذه المقاطعات وتكونت مصر من قسمين شاملين ، هما الوجه البحرى والوجه القبلى ، ثم اتحدت مصر واصبحت دولة على رأسها ملك واحد .

وهنا ظهر نوع ثالث من الالهة سموه « الهة الدولة » وهى الهة كانت فى الاصل محلية ثم تمكن حاكم اقليمها ان يبسط سلطانه على الاقاليم المجاورة ، ويفرض فى نفس الوقت على الناس ان يتعبدوا الى الهته واذا قدر له ان يحكم مصر باسرها ويصبح فرعونا، فان الهه هذا يصبح الها لكل المصريين . ومن اهم الالهة التى كانت لها الصدارة فى العبادة هى « حوريس » و « رع » و « امون»

لقد ساعدت الظروف السياسية « امون » اله طيبة أن يغدو الها للدولة منذ عصر الدولة الوسطى (٢٠٠٠ ق . م) ولكن منذ عصر الاسرة الثامنة عشرة (حوالى ١٦٠٠ ق . م) اصبح هذا الاله هو اله الامبراطورية التى شيدها ملوك هذه الاسرة بعد نجاح الملك احمس فى طرد الهكسوس وتحرير البلاد تماما من تعسفهم ثم طاردهم الى سوريا ، وتبعه ملوك محاربون اتموا رسالته وهيمنوا على معظم مناطق اسيا الغربية واستطاع كهان امون ان يدخلوا فى روع هؤلاء الملوك أن امون هو الذى يوحى اليهم بالفتوحات وهو الذى يكتب للجيوش



راس الملكة الام « تى »

المصرية النصر . ولعل هذا المعنى يبدو واضحا فى الكلمات سجلها « تحوتمس الثالث » (أعظم الملوك المحاربين فى عصر الاسرة الثامنة عشرة) على جدران معبد الكرنك ، على أنه تلقاها من « آمون العظيم » :

« ان قلبى منشرح بقدومك الى معبدى ، ان يدى تمنحان أعضاءك الحماية والحياة ، ما اجمل القوى التى تظهرها نحوى .. ولهذا ساهبك معجزة ، سامنحك القوة والنصر على كل البلاد ، وسوف امهد لك المجد

وابث الخوف منك فى كل البلاد ، وساجعل الرعب منك يمتد الى عمد السماء الاربعة ، ساجعل الاحترام لك يهيمن على كل الاجسام ونداءك الحربى يتردد بين جميع الشعوب ..

ساجعل عظماء البلاد الاجنبية فى قبضتك ، وسامد يدى بنفسى واصيدهم لك ، وساربط البدو بعشرات الالوف ، واهل الشمال بمئات الالوف التى

سامنحك الارض طولا وعرضا واجعل اهالى الغرب والشرق تحت سلطتك

هذا هو حديث « آمون » الى ابنه فرعون مصر ، ويتضح منه مدى فضل الاله عليه ، وان فرعون كان يجب ان يرد الجميل الى الاله .
وهكذا نرى كيف تسابق الملوك لارضاء الاله ، فشيد كل منهم لامون المعابد الضخمة فى كل مكان سواء فى داخل مصر او فى خارجها واغدقوا عليها الهبات ومنحوها النصيب الاكبر من الاسرى والغنائم

التى كانوا يعودون بها من فتوحاتهم المتعددة بآسيا . ولم يكن هناك من نتيجة لذلك الا ان يزداد سيطرة وسدنة هذا الاله ، فهم العارفون بعظمته المقربون اليه ، وهم أيضا

من يتوجهون اليه بالدعاء ليمنح الملك النصر ، فيستجيب الى دعائهم او لا يستجيب !

هكذا اخذ كهنة آمون يسيطرون على كل شيء فى مصر ، ونراهم يذهبون الى أبعد من ذلك فقد ادمجوا جميع الآلهة الكبرى فى مصر فى معبودهم ، فاصبح « آمون » هو « آمون — رع » و « آمون — مين » و « آمون — خنوم » وهلم جرا

هذا الوضع اخذ يثير الحقد والحسد بين كهنة الآلهة الكبرى ، فلم يكن من صالحهم مطلقا ان يتناسى الناس ، وعلى رأسهم الملوك ، الهتهم ، فيولوا وجوههم نحو « آمون » . وكان على رأس هؤلاء المتذمرين كهنة « رع » العظيم الذى سادت ديانته البلاد من قبل وهيمنت تعاليمه على التفكير المصرى القديم . استمر الحال هكذا ، يزداد آمون شهرة وثراء يوما بعد يوم ، بينما الآلهة الاخرى وعلى رأسها « رع » ينزوون فى ظلمات الماضى فتقل موارد معابدهم ، وتزداد أسباب الفاقة والعوز بين كهانهم .

استمر الحال هكذا حتى تولى عرش مصر « امنحوتب الثانى » (سادس ملوك الاسرة ١٨ وكان قد انجب خمسة ابناء بعث بهم الى مدينة

« منف » العاصمة القديمة ومقر قيادة الجيش فى ذلك الحين . وكان العرف قد جرى فى عصر الاسرة ١٨ على ايفاد امرائها الى هذه المدينة ليتلقوا ثقافتهم العسكرية فيها ، ويتعلموا المعرفة والعلوم المختلفة فى جامعة

هليوبوليس القريبة منها . ويبدو ان الكهنة من المبشرين بمذهب « رع » كانوا يحاولون التاثير على قلوب من كان يفد عليهم من الامراء ، ولكن جهودهم كانت تضيع وتتبخر امام تلك القوة الطاغية التى استاثر بها رجال « امون » فى طيبة .

حانت الفرصة امام كهنة « رع » مع احد ابناء « امنحوتب الثانى » ولم يكن صاحب الحق الاول فى تولى عرش أبيه . ذلك هو الذى جلس على عرش مصر تحت اسم « تحوتمس الرابع » . والدليل على

ذلك تلك اللوحة الجرانيتية الكبيرة التى لا تزال قائمة فى مكانها الاصلى بين ذراعى « ابى الهول »

بمنطقة اهرام الجيزة . ويقول النص المنقوش على اللوحة : « ان الامير تحوتمس كان قد استقل عربته عند الظهيرة واخذ يطارد قطيعا

من حيوان الصحراء مع اثنين من اتباعه ووصل فى مطاردته الى منطقة الجيزة وكان التعب قد غلب عليه فاوى الى الظل بجوار تمثال « ابى

الهول » وهو احد صور الاله « رع » فاخذته سنة من النوم رأى فيها الاله المبجل يتكلم بفمه كما يتكلم والد مع ولده قائلا :

« والدى تحوتمس ! .. تأملنى جيدا فانا أبوك « حور . ام اخت . خبر رع . آتوم » انى واهبك ملكى على الارض لتكون سيدا على الاحياء ، ولسوف تتوج بالتاجين الابيض والاحمر لتجلس على عرش « جب » وستكون لك الارض كلها ، وكل ما تضيئه عين رب الجميع ... وستكون لك خيرات القطرين وجزى البلاد جميعا ... انى مرليك وجهى فكن حفيظا على شئونى ... وأعلم ان الاحياء قد دب فى اعضائى كلها ، ان رمال الارض التى اعتليها قد غمرتنى فارفعها عنى وانى اعلم انك ستنفذ رغبتى ، انك ولدى وانى معك ومرشدك »

ونجحت المحاولة وتربع «تحوتمس» على عرش البلاد واخذ يشيد بمناقب « رع » متغاضيا عن امون ، وسار على نفس السياسة ابنه « امنحوتب الثالث » الذى بدأ حياته من اكثر المؤيدين « لرع » ولكنه ما لبث ان اضطر الى مهادنة كهنة « امون » .

***

ولد « اخناتون » من « اب ملكى هو «امنحوتب الثالث» ومن أم تنتمى الى الشعب وهى « تى » ، وكان ذلك فى احد أيام عام ١٣٨٠ قبل الميلاد . ولد وقد تسمى باسم « امنحوتب » يعنى « امون راضى » وهو الرابع من ملوك الاسرة ١٨ الذين حملوا هذا الاسم . ولد « اخناتون » وكان قد مر على زواج « تى » من « امنحوتب » ٢ اعوام طويلة ، وتربى وشب عن طوقه فى بلاط صاخب كله مجون وعبث - وكان أبوه قد ناء كاهله تحت اعباء حياة الترف التى عاشها ، ولد « اخناتون » طفلا هزيلا ، ضعيفا

تراكمت عليه الامراض ولازمته طوال حياته يدل على ذلك تركيب جسمه الغريب . فوجهه كان نحيفا الى

نفرتيتي

درجة الهزال ، طويلا برزت عظامه وتدلت نقنه ، واتسعت مقلتا عينيه ، وارتسمت على شفتيه الغليظتين ابتسامة خفيفة أن تدل على شيء فهي تدل على طيبة قلب وحب للسلام ، ويحمل رأسه الكبير عنق طويل فوق كتفين ضيقين منحدرين ، وتميز جسمه ببطن كبيرة متهدلة ، كما كانت فخذاه متضخمتين

أما الساقان فكانتا رفيعتين بشكل ملحوظ . واذا كانت هذه هي الصفات العضوية لاخناتون فقد كان ولا شك أيضا شديد الذكاء مرهف الحس ، ذا عقل راجح ونفس صافية ، يمقت الكذب وينشد الصدق في كل شيء ، فقد كان يميل الى معرفة الحقيقة في أدق مظاهرها .. وتعلق بشدة فيما سماه المصريون « ماعت » وقصدوا بهذا التعبير « الحقيقة – الصدق – العدالة » في أعلى مراتبها ، وكان اخناتون يؤكد انه يعيش على « الماعت » وان الهه كان قائما بتقديم الماعت كقربان له ، بل اختار من بين ألقابه : « العائش على الماعت » وسمى عاصمته الجديدة « مقر الماعت » .

●●●

يبدو أن « امنحوتب الرابع » « اخناتون » نشأ في أرمنت القريبة من طيبة (وهي التي عرفت باسم هيليوبوليس مصر العليا) وان كهنة من أتباع مدرسة لاهوت هيليوبوليس قاموا على تعليمه وجعلوه يتعمق في دين « رع » . ونحن نعتقد ان سنه الصغيرة لم تسمح له بالتوجه الى « منف » لاستكمال تعليمه الديني والقيام بالتدريبات العسكرية وذلك حسب التقليد الرسمي منذ أول الاسرة ١٨ ، وأقول سنه الصغيرة لاننا نعلم انه حكم ست سنوات مشتركا مع والده ، ثم ما يزيد قليلا عن ثلاثة عشر عاما بمفرده وانه مات غير متجاوز سن الثلاثين ويعني هذا أنه أخذ يتحمل اعباء الحكم وهو في سن لا تزيد على الاثنتي عشرة سنة .

ولعل هذا يجعلنا نتساءل : هل لصبي في مثل هذه السن المبكرة ان يتحمل أعباء ثورة عاتية يقف فيها بمفرده امام اكبر قوة عرفتها مصر وهي قوة كهان آمون ؟ ليس من شك في ان اخناتون لم يقف بمفرده في ميدان المعركة وبخاصة في السنين الاولى من حكمه ، ونحن نحس باصابع امه « تي » تتولى توجيهه نحو الطريق الذى اختارته له ، وهو الطريق الذى يضمن تنفيذ سياستها التي تهدف الى ايجاد موازنة بين سلطان الملك وقوة وجبروت كهان « آمون » الذين لا يقتنعون بشيء ولا يفتأون يطالبون بالمزيد ، خاصة ولأن الجالس على العرش صبي ضعيف الجسم معتل الصحة اعتقدوا انه لن يستطيع الثبات امام مطالبهم التي لا نهاية لها . لم تكن « تي » ترغب في القضاء على «آمون» كما انها لم تفكر مطلقا في ابراز عقيدة « رع » في اطار يخالف ما عرفه المصريون عن هذا الاله منذ القدم العصور .

وفي الواقع كان الاتجاه في عصر الفترة الاولى من حكم « اخناتون » ينحصر في الاعتراف بالاله « رع » بجانب « امون » على اساس الصورة الجديدة له تحت اسم « اتون » ، وان يدخل هذا الاله – حاله في ذلك حال كثير من الآلهه – في معبد الكرنك ويعبد فيه بجانب « امون » . ورضي كهنة « امون »

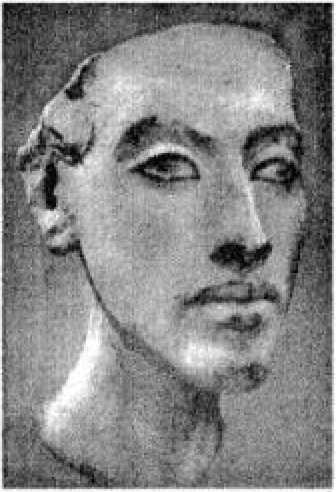
وسمحوا للملك ان يبنى معبدا كبيرا لآتون فى حرم الكرنك ، ومن الواضح ان الملك كـــان فى ذلك الوقت يتسمى باسم يدخل فى تركيبه اسم « امون » او « امنحوتب » ، كما انه حدد القابه الرسمية على اسس التقاليد القديمة المتوارثة وهى : —

« الفحـــل القوى ، المحبوب من الالهتين ، الصقر الذهبى ، صاحب التيجان الملكية ، ملك الصـــعيد والدلتا ، ابن الشـمس ، امنحوتب الحـــاكم المقدس لطيبة الابدى ، المحبوب من « امون رع » ٠

●●●

تزوج « امنحـــوتب الرابع » بشابة جميلة اســمها « نفرتيتى » ويعنى أسمها « الجميلة تتهادى » ، وكانت زيجة حب وهيام ، فقل ان نجد منظـــرا (فى مقبرة او فى معبد) الا الملك والملكة يقفـــان

رأس الملك اخناتون



او يجلســـان متجاوران ٠ ونحن لا نستطيع حتى الآن البت فى نسبة نفرتيتى الى الاسرة المالكة ، فهناك من يؤكد انها ابنة « امنحـــوتب الثـــالث » من زوجة غير شرعية ، وهنـــاك من يؤكد قرابتها من رجل لعب دورا رئيسيا فى هذه الفترة ، نقصد به « اى » الذى حمل القابا متعـــددة ٠ لقد بدأ ولا شك رجلا عاديا ينتمى الى البلاط ثم تزوج من ســيدة رفيعة الشـــان فى البلاط الملكى ، نقصد بها « تى » (وهى غير الملكة تى زوجة امنحوتب ٣) التى اعتزت اعتزازا كبيرا بلقبهـــا « مرضعة نفرتيتى » ٠

نحن لا نشك ان « نفرتيتى » لم تقف وراء زوجها وتســـاعده فى دعوته الجريئة (بالنســـبة الى العصر الذى نحن بصـــدده) وهى دعوة الوحدانية ، بل نستطيع ان نقول انها كانت الملهمة له فى هذه الدعوة وذلك للاسباب الآتية :

اولا : بقى الملك باسمه « امنحوتب الرابع » فتـــرة طويلة يعيش فى عاصمة البلاد طيبة وهى الحصـــن المنيع لعقيدة امون ٠

ثانيـــا : فى مقبـــرة الوزير « راموزه » بطيبة يوجد منظر يمثل الملك مع زوجته نفـــرتيتى وهما يقلدان الوزير بعض الهدايا ويقـوم بعد ذلك الوزير بتقـــديم بعض الرؤســاء الاجانب للملك ٠ وفـوق هذا المنظر نجد نصا مكتوبا يقول : « هذه كلمات « رع » القيها عليك ، ان الاله علمنى معناها ، وكشـــف لى عن خباياها ، وهذه الكلمـــات عرفها قلبى وانشرح لها صدرى ٠

فاجابه الوزير : « انك الوحيـــد الذى اختـــاره « اتون » لكى يلقى

اليه بتعاليمه ، والخوف منك يملأ قلوب الناس ، والجبال تستمع اليك كما يستمع الناس » .

وهـذا الحديث يعتبر ولا شـك المرة الاولى التى بدأ الملك يفصـح عن نواياه ، وحـدث هذا وكان قد تزوج من نفرتيتى وانجب منهـا طفلته الاولى .

ثالثا : من المعروف ان المعبـد الكبير الذى بناه « اخناتون » فى حرم الكرنك ، قد هـدمه الملك « حور محب » اول ملوك الاسرة ١٩

ليمحـو كل اثر من آثار الاتونية وعثر على احجار هذا المعبد وقامت بعثة بمحاولة دراسـة هذه الكتـل الحجرية (بلغ عددها اكثر من ٤٠ الف كتلة صغيرة من النوع المعروف باسم (التلاتات) واستطاعت هذه البعثة ان تصل الى كشف هام وهو ان هذا المعبد الكبير كان يحـوى فناء واسعا انتشرت فيه صـفوف

اعمدة عالية نقش على الواجهـات الاربع لكل عامـود مناظر تمثل « نفرتيتى » بمفردهـا ، أى بدون زوجها ، تقوم بتقديم القرابين تحت

اشعة اتون التى تمتد وكل شعاع منهـا ينتهى بيد بشرية تقبض على علامة « الحياة » او « الصحة » او « السؤدد » .

ومن الغريب حقا ان هذه الاعمدة كانت مخصصة فقط للملكة وبناتها ولم يعثر على اى اثر « لاخناتون »

الذى قل ان نجد له منظرا دون ان

تكن زوجته معه . من هنا يمكن ان نعتقد مدى اسـتقرار عقيدة آتون

فى نفس الملكة . بل ومدى الحماس الكبير الذى كان يهيمن عليهـا بالنسبة لها .

رابعا : ذكرت سـابقا ان مرضـعة الملكة « نفرتيتى » وكان اسمها « تى » تزوجت من رجل اسمه

« اى » لعب دورا رئيسيا فى نشر عقيدة التوحيد . ووصـل الامر به انه الوحيد الذى سمح « اخناتون » له ان يسجل الانشودة الكبرى التى

تمجد « آتون » والتى اعتبـرت بمثابة الاسـاس الذى قامت عليه هذه العقيـدة الجديدة . وهى الانشـودة التى قال عنها المؤمنون

بهذا الدين ان اخناتون لم يحـاول مرة ان يطلعهم على نصها . سجل « اى » هذه الانشودة على جدران مقبرته فى جبانة « تل العمارنة » (المقر الجـديد للديانة فى مصر الوسطى) .

لا شك ان عـلاقة « نفرتيتى » بهذه الشخصية الهامة كانت واضحة ولا شك ايضا انها ساعدت « اى »

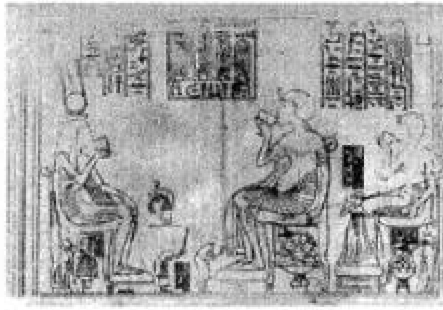
لكى يفوز بلقب هـام هو « الاب المقدس » ولم يحدث هذا الا على اساس تفانيها فى نشر هذه العقيدة

خامس : من المعـروف ان عداء كهنة امون لاخناتون بلغ حدا جعل الملك يخشى على حياته ولذلك نراه يسارع بعد العام السـادس من حـكمه الى ترك عاصـمته طيبة

وان يلجا الى عاصـمة جديدة اطلق عليها اسم « اخيتاتون » (اى افق اتون) وهى التى تعرف حاليـا

باسم « تل العمـارنة » . وكانت حياة اخنـاتون مع زوجته الحبيبة الى نفسـه « نفرتيتى » واطفالهما

نفـرتـيـتى



منظر من مقبرة «حوى» بتل العمارنة : الى اليسار الملكة الام تى والى اليمين الملك اخناتون والى جانبه زوجتـــــه « نفرتيتى » والنتان من بناتهـــــا ..

حافلة وتغمرها الســـــعادة وتمر سنوها فى التعبد لاتون والتنزه فى حديقة القصر . وامتلات المناظـــر التى ســـجلها عظماء هذه الفترة ورجالات الدولة الذين هاجروا مع الملك الى العاصمة الجديدة ، على جدران مقابرهم ، باخبـــار الاسرة الاسرة المالكة ويبرزون فيهـــا مدى السعادة والهناء اللذين يهيمنان على هذه الاسرة .

وفجأة وفى العام الثانى عشر من هجرة الملك ونفرتيتى الى العاصمة الجـــديدة نقرأ « اخبار زيارة الام الملكية « تى » لابنها فى عاصـــمته « اخيناتون » مســـجلة على جدران مقبرة أحد عظماء الدولة وهو المدعو « حوى » ويبدو من هذه «التسجيلات» ان الامور كانت تســـير من حيث المظهر الخارجى فى اطار ودى الا ان هذه الزيارة حملت بين طياتهـــا

اهدافا أخرى ، اذ لايمكن أن تحدث هذه الزيارة فى العـــام ذاته الذى بدأ فيه « اخناتون » يغير سياسته نحو « امون » ومهادنة كهنته فأوفد « ســـمنخ كارع » الذى زوجه من ابنته « مريت اتون » الى طيبة ، لكى يبدأ المفاوضات ولتهدئة الحالة ، وليس من شك انهما توجها اليهـــا تحت ضغط شديد من الام الملكية « تى » فبعد أن أوضحت ســـوء الحالة الى ابنها .. ولم يكمن الخطر فقط فى الانقسامات المذهبية ، بل فى الثورات التى تفشت فى مستعمرات مصر باسيا .

كذلك حدث فى اعقاب هـــذه الزيارة للام الملكية « اخيناتون » ان حدث شقاق كبير بين الملك وزوجته « نفرتيتى » واتســـعت الهوة بين الزوجين الحبيبين الى درجـــة ان الملكة تركت القصر ولجأت الى منزل يقع فى اقصى الشمال من المدينة ، ثم اخذ اخناتون فى معاقبتها ، ولعل اشد عقوبة منيت بها انه حرمها من لقبها الذى اعتزت به وهو « نفر ــ نفرو ــ اتون » اى « جمالهـــا من جمال « اتون » امعانا فى ايذائها اسبغ هذا اللقب على زوج ابنته المدعو « ســـمنخ . كا . رع » واشركه معه فى الحكم .

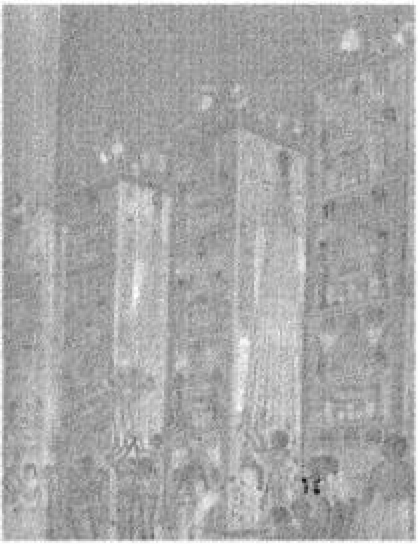
●●●

فترة عصيبة ولا شـــك ، لا بد وانها جعلت الملك الفيلســـــوف العاشق لاتون والمحب للســـلام ، الذى كره الحـــرب وحاول جهد استطاعته ان يمجد الحق ويرفع من شان « الماعت » جعلته يئن تحت عبء ثقيـــل من المســـئوليات ويجسم على صدره شـــعور بخيبة الامل لا حـــد له ... ينتظر حوله

نفرتيتى

فترى حبيبته المفضلة نفرتيتى لا تستطيع ان تتفهم ما يجرى فى البلاد وترفض ان تتخلى عن العقيدة الجديدة التى وقفت بجانب زوجها لسنين عديدة لنشرها واقناع العالم المتحضر باتباعها ثم تصل فى معارضتها له الى درجة ان تهجره وتذهب الى دار صغيرة فى شمال العمارنة تشاركها الحياة فيها ابنتها « عنخ · اس · با · اتون » وامير صغير هو « توت عنخ

منظر يمثل فناء الاعمدة للملكة «نفرتيتى» قام برسمه الفنان «جرينر» بناء على اكثر من اجزاء هذا الفناء المنقوش على احجار معبد « اتون » بالكرنك



اتون » الذى تزوج ابنتها فيما بعد لابد ان هذه المشاعر كانت تطحن جسمه العليل طحنا ولابد ايضا انه قد مات فى اعقاب هذه السنة مباشرة · مات اخناتون واختفى دون ان نعلم ما حدث له فى نهاية عمره ، ولو اننا نرجح ان موته حدث نتيجة لمؤامرة دبرت لقتله ·

اختفى اخناتون واختفى معه شريكه فى الحكم « سمنخ · كا · رع » ولعل اهل طيبة اعتدوا عليه وقتلوه بعد ان تخلصوا من اخناتون ونحن لا ندرى مصير الزوجة الملكية « نفرتيتى » ولا بد ان هذا المصير كان على غرار مصير زوجها وزوج ابنتها فاختفت هى الاخرى بعدهما بفترة قصيرة ·

***

ليس من شك ان « اخناتون » اراد ان يقدم للبشرية دينا يعتنقه كل الناس فى كل البلاد ، ويجعل هذا الدين يحل محل القومية المصرية التى التزمها واعتز بها اهل مصر منذ اول العصور ، وليس من شك ايضا ان « نفرتيتى » قد كانت من اهم العناصر التى الهبت حماس الملك المصرى ليستمر فى دعوته ، ولعلها كانت ايضا الملهمة له ، وقد وصلت فى عقيدتها الجديدة حدا من الاقتناع جعلها تضرب بكل حبها ومشاعرها نحو زوجها ، عرض الحائط ، وتهجره · ولعلها كانت تعتقد انها قادرة بذلك على اجبار زوجها ان يستمر فى دعوته ولايتخاذل امام جبروت امون وكهنته ·

ان اخناتون ولا شك قد سبق العصر الملائم لظهوره بعدة قرون ، فلا غرابة اذا كان المواطن فى ذلك العصر لم يفهم مغزى ديانته ولم يستطع التعرف على كنهها ·



د. سيد كريم

كليوباترة
ملهمة الأدباء والفنانين والمؤرخين

لم تحظ ملكة من ملكات مصر القديمة ، بل ملكات العالم القديم كله ، بمثل ما حظيت به كليوباترا الفرعونية « ساحرة النيل » من اهتمام الباحثين .. فكانت منبع الهام لا ينضب للمؤرخين والكتاب والشعراء والفنانين في مختلف مجالات الفنون على مر العصور .

لم يبق شيء لم يقله احد عن كليوباترا ، رغم انه لا يوجد دليل مادى على شكلها وحجمها ولونها وتقاطيعها الحقيقية مما كان سببا في ظهور ذلك التناقض الصارخ في وصف جمالها او تحديد شخصيتها ، ورسم سيرتها الى ان تحولت الى مجموعة من الاساطير المتباينة . فتماثيلها المشهورة التى حفرها لها فنانو الاسكندرية وروما ، او اللوحات الدينية التى سجلت لها على جدران المعابد ، او صورها التى رسمت على العملة المعدنية التى تحمل اسمها ـ اختلفت تمام الاختلاف عن بعضها البعض ، فذلك التناقض الغريب هو الذى صنع الاسطورة ، والاسطورة هى التى اوحت بالالهام والالهام هو الذى خلد اعمال الكتاب والفنانين ...

● سر جمال كليوباترا ●

وصفها الشاعر العربى بقوله :
كم غرير بحسنها قال صفها
قلت أمران هين و شديد
يسهل القول انها احسن
الاشياء طرا ويصعب التحديد
اهى شيء لا تسأم العين منه
ام لها كل ساعة تجديد

● ان سحر كليوباترا يكمن فى شفتيها ... ان الوجود فى حضرتها والاستماع الى ما فى لهجتها من الغواية والاغراء وما يتبعث من حركاتها وسكناتها من طراقة وغرابة مما يحدث انجذابا فى نفوس من حولها . انجذابا شديدا ومثيرا .

(بلوتارك)

● عندما تتكلم كانت كالقيثارة العديدة الاوتار الكثيرة الانغام والايقاع والنبرات المثيرة . وهى تتكلم بسبع لغات وتنتقل بتمكن من واحدة الى اخرى . وهى الفرعونية والحبشية والفارسية واليونانية والرومانية والسورية والعبرانية .. كانت تتكلم بأى منها كأحد ابنائها حتى يظن سامعها ان اللغة التى تتكلم بها هى لغتها الاصلية .

(بيتى)

● ان جمال كليوباترا يكمن فى

انها « الانثى الخالدة » لأعلام الباحثين عن الجنس والنفس وعلماء الاجتماع والاخلاقيات والشعراء والفنانين . وجد كل منهم فيها النشوة للتعبير عن مختلف نواحى الجمال المتباينة .

(سنيكا)

● ان جمال كليوباترا يكمن فى تناسق جسمها رغم صغر حجمها وطريقة مشيتها كاحدى راقصات المعبد المقدس .

(فنان رومانى قديم)

● لو ان انف كليوباترا كان اصغر مما هو لتغير وجه الارض كلها فى ذلك الزمان ...

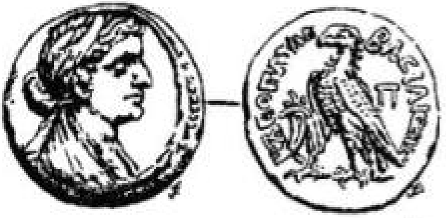
(باسكال)

● ان جمال كليوباترا ليس فى حد ذاته بالجمال العديم المثال . ولا بالذى يروع من يطالعونه عن قرب - لقد اجمع كل من راوها انها ساحرة الجمال ولم يتفق اثنان على موضع ذلك السحر .

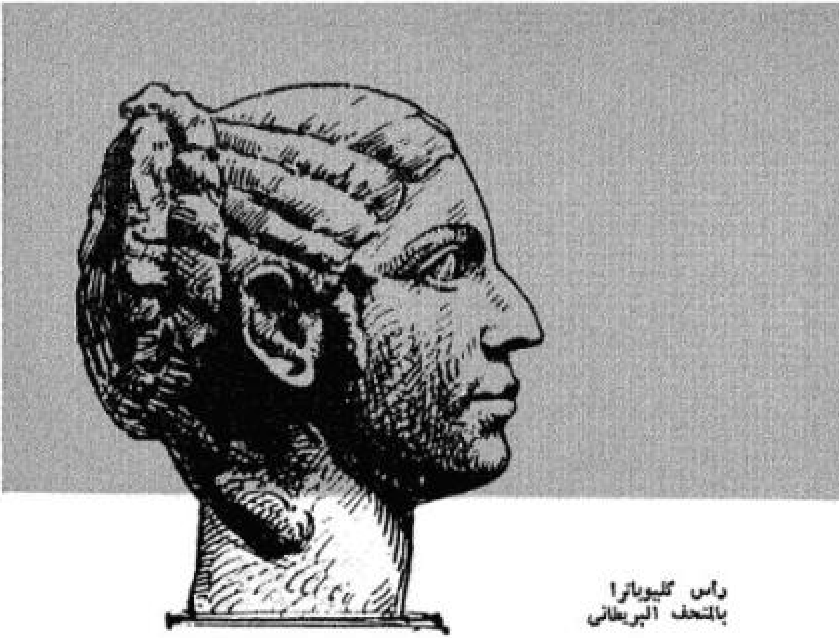
(هوراس)

● ان اوكتافيا زوجة انطونيو تعد اجمل من كليوباترا فى اكثر من ناحية . . ولكن شخصية كليوباترا التى تتمثل فى ذكائها وثقافتها طغت على جمال اوكتافيا .

(مرسييه)



صورة كليوباترا والعملة التى تحمل اسمها



راس كليوباترا
بالمتحف البريطاني

● تمتاز برنيس الجميلة على اخواتها بالانوثة والجمال وكليوباترا بالذكاء والثقافة وارسنوى بجمال الوجه والطموح ·

(بوتليوس)

● ان جمال كليوباترا وسحرها يكمن في روحها وسحرها الالهي ، فهي ابنة امون وروح ايزيس المتجسده فيها ·

(كاهن معبد سيوه)

● ان سحر كليوباترا يكمن في حركات شفتيها و «نبرات» عينيها عندما تتكلم وهي صامتة ·

(شاعر يونانى قديم)

● ان سحر كليوباترا فى عينيها «بتوسستين» الجميلتين ولونهما القاتى الذى يجمع بين الفراعنة والمقدونيين وقوامها النحيل المتناسق الذى يسلب العقل

● ان لون عيني كليوباترا الحالمتين يعكس زرقة ماء بحر الاسكندرية وعمقه فى هدوئه وثورته·

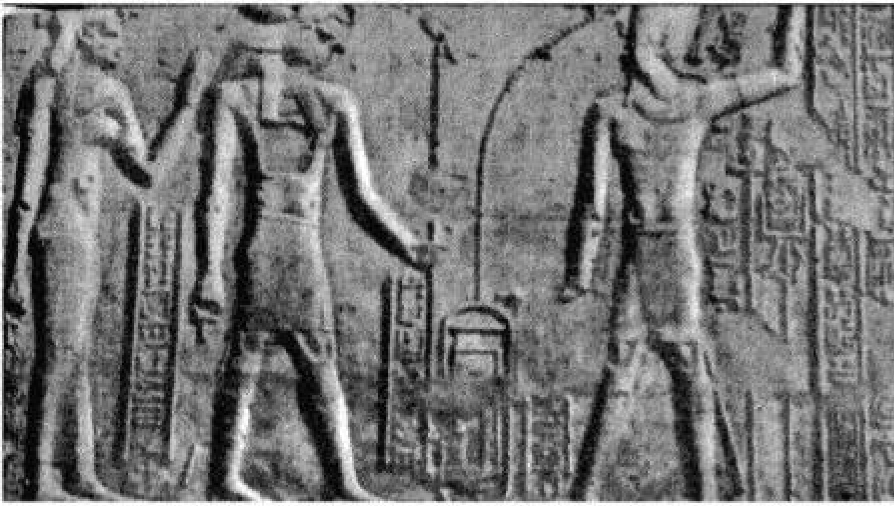
(جانيميد)

ووصف انطونيو عينيهافى مذكراته بقوله « سحر عينيها الرماديتين يشع منهما بريق كحد السيف اللامع··

بينما يولبيبوس يقول ان عينيها اليضاويتى الشكل ولونهما العسلي يميل الى السواد ·

●●●

وما من لون من الالوان الاواختاره احد المؤرخين او الكتاب والشعراء فى وصف عينيها ولونها ·



كليوباترا وبطليموس « معبد كوم امبو »

وما يقال عن عينيها قيل في قوامها ، فقد وصفها البعض بانها قصيرة وممتلئة ، مقدونية الصدر كما ظهرت في بعض تماثيلها التي قام مثالو الرومان بنحتها عند اقامتها في روما ، بينما وصفها البعض الاخر بانها كانت نحيلة فرعونية القوام كما ظهرت على جدران معبد كوم امبو ، او ممثلة في شكل المعبودة ايزيس في معابد فيليه ودندره حيث قيل ان فنانى الفراعنة اتخذوا من قوامها نموذجا لهم ٠

● لقد نمها مؤرخو الرومان وكتابهم عمدا ، خدمة لتاريخهم الخاصة وافتروا عليها ، ونشروا دعاياتهم للنيل منها وسبها فكانت على قرون عديدة الصورة التى رسموها لها : هى الصورة التى عرفها الغرب رغم ان بعض كتابهم قد انصفها فى بعض النواحى مثل بلوتارك ٠ وتختلف الصورة التى صورها بها مؤرخو الاسكندرية او المؤرخون الهيلانستكيون ـ كما اختلفت عن الصورة التى وصفها بها مؤرخو الفراعنه ٠

● من هي كليوباترا ؟ ●

ان وقائع تاريخها المعروفة كما وردت فى الموسوعات التاريخية الرسمية تتلخص فيما يلى :

كليوباترا السابعة ٦٩ ـ ٣٠ ق م ملكة الملوك سابع ملكة مقدونية تحمل نفس الاسم ٠

الابنة الثانية لبطليموس الحادى عشر الملقب بنيوديونيسوس وفيلوباتور، الذى اطلق عليه الشعب لقب اوليتس او عازف الناى حكم من عام ٨١ ـ ٥٢ ق ٠ م وهرب الى روما من غضب الشعب ٠

تولى الحكم بعده ابنته الكبرى برنيس الجميلة ، ولما عاد الى الاسكندرية فى حماية القائد جابيوس الرومانى امر باعدام ابنته برنيس ، وارضى بان تتولى



كليوباترا وقيصر « معبد دندرة »

العرش ابنته الثانية كليوباترا كانت سنها ١٧ سنة ، على أن تتزوج اخاها بطليموس الثانى عشر وكانت سنه ٩ سنوات .

وقد أمر رجال القصر برئاسة اخيلاس قائد الحرس على التخلص من كليوباترا . فتهرب كليوباترا الى سوريا لتعد جيشا تعود به لمحاربة اخيها واسترداد الحكم ، وعندما وصلت بجيشها الى بلوزيوم بالقرب من بورسعيد . كان قيصر قد دخل الاسكندرية بعد هزيمة بومبى ٤٨ ق‌م

وتدخل كليوباترا الاسكندرية سرا وتتسلل الى قصر قيصر وتفاجئه فى مجلسه الخاص ، فعجب بجرأتها وشجاعتها ... ويقع أسير سحرها وغرامها ، ويعيدها الى العرش بالاشتراك مع أخيها تنفيذا لوصية الاب . ثم تقنع قيصر ليعاونها على التخلص من أخيها لتكون له هى ومصر ، فحقق لها رغبتها بالتخلص من أخيها ، ثم اقنعته بأن يصبح بجوارها ملكا على مصر ، ويقتسم الاثنان العالم كله معا ويصبح ملكا على روما وهى جالسة على العرش بجواره . وتصبح الاسكندرية عاصمة الدنيا الجديدة بدلا من روما ويدفع قيصر حياته ثمنا لاغرائها وسحرها وأطماعها .

وفى سنه ٤٧ ق‌م تزوجت بطليموس الثالث عشر ، وانجبت فى نفس السنه ابنها من قيصر الذى سمته سيزارون ، وتآمرت على قتل بطليموس الثالث عشر سنه ٤٤ ق‌م وهى نفس السنة التى قتل فيها قيصر فى روما حتى يخلو لها الجو فى حكم مصر بعد ان تخلصت من جميع اخواتها ولتمهد الطريق لابنها سيزارون لوراثة العرش .

وبعد اغتيال قيصر فى روما تعود الى الاسكندرية ليقوم الصراع بين كل من انطونيو واكتافيو وليبدوس ، وطلبوا من كليوباترا ارسال اسطولها لمعاونتهم فى محاربة كاسيوس الذى اشترك مع بروتس فى قتل قيصر ، وكان قد اعد



نقش يمثل مولد سيزاريون ابن كليوباترا وهو الذى انخذ منه اسم عملية القيصرية فى الولادة

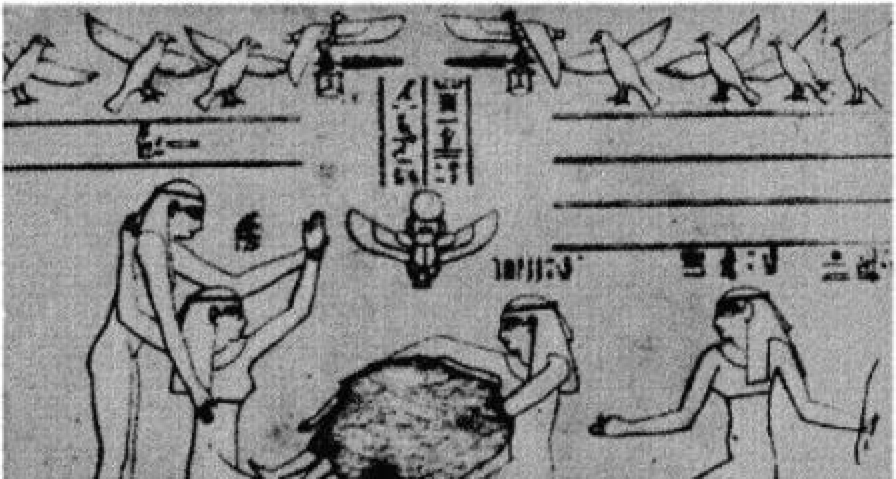
جيشا فى اليونان للاستيلاء على روما .

وارسلت اسطولا بقيادة سيرابيون ولكنه بدلا من الانضمام الى اسطول انطونيو انضم الى كاسيوس ولكن انطونيو انتصر عليه وزحف بعد ذلك لتتوالى فتوحاته وانتصاراته فى اسيا عام ٤٢ ق.م .

وعندما وصل باسطوله الى طارسوس فى سيسليا ارسل تهديدا الى كليوباترا لخيانتها له بارسال اسطولها ليعاون كاسيوس عدوه،فما كان من كليوباترا الا ان ركبت سفينتها الاسطورية ذات المقصورة الذهبية والمجاديف الفضية والاشرعه الارجوانية ، وذهبت للقائه فى تارسوس وهو اللقاء التاريخى الذى انتهى بعودته معها الى الاسكندرية وزواجه منها ، وقصة غرامهما المشهورة التى استمرت عشر سنوات، وانتهت بمعركة اكتيوم التى هزمه فيها اكتافيوس وانتقم لنفسه ولاخته اكتافيا .

وهرب انطونيو من المعركة لينتحر بسيفه الذى اغمده فى صدره ، وتنهى كليوباترا اسطورة

تفصيل جزء من لوحة ولادة سيزاريون وتظهر بها كليوباترا فى حالة الولادة وخلفها الاله نوت . . . .



حياتها بالكوبرا سيدة الحيـاة التى ضمتها الى صدرها فى السابع من اغسطس عام ٣٠ ق م وكانت فى التاسـعة والثلاثين من عمرها ، وبنهايتها انتهى حكم البطالسـة فى مصر بعد ان قتل اكتـافيوس سيزارون ابن كليوباترا وقيصر

● كليوباترا ـ مصرية فرعونية وليست مقدونية ●

● ملوك البطالسـة كانوا فى ظاهرهم فراعنة وفى باطنهم مقدونيون وذو ثقافة هيلانية بحته ، ولم يكن بينهم واحـد يعرف اللغة المصرية

القديمة سـوى كليوباترا التى ختم بها عهد البطالسـة والتى كانت تتكلم المصرية الديموطيقية كواحـدة من اهل البلاد ·

(المؤرخون الهيلانستكيون)

● ان طموحها لم يكن انانيا ، بل كان شـيئا اعمق من ذلك · كانت مصرية فرعـونية ، كاد المصريون يؤلهونهـا بعد موتها ·· لا مقدونية غـريبة كما حـاول المؤرخون تصويرها ·

● كانت ثقـافتها مصرية ··· بدأت دراستها فى المعبد على يد كهنة امون وهى طفلة فى التاسـعة من عمرها ؛ واعتنقت الديـانة المصرية واتمت ثقافتها العالية فى العلـوم والفلسفة والاداب على يد اسـاتذة

مصريين فى اكاديمية الميوسـيين وكانت تتكلم اللغة المصرية كاحـد ابنائها بجانب ست لغات اخـرى على خلاف بقية الاميرات واخواتهـا البطالسـة اللاتى تلقين الثقافة الهيلانيكية فقط فى مدرسة القصر ·

● لم تكن وريثة للعـرش وكان اخواتهـا واعوانهم من رجال القصر يحقدون عليها ويشيعون عنهـا انها ابنه غير شرعيه لابيهـا « بطليموس عازف الناى » · ويستدلون على ذلك بانها لا تشبه اخـواتها فى شىء ، فقوامهـا الفرعونى ولون بشرتهـا البرونزى ، وانفها الذى لا يحمـل الطابع المقدونى وتقربهـا للمصريين واعتناقها ديانتهم والتكلم بلغتهـم دليل على ذلك ·

● لقد ظهر كرهها لعائلتهـا وللبطالسة بصفة عامة فى قصـة صراعها المرير للوصول الى العـرش ـ الذى لم تكن الوريثة الشرعية لهـ والاحتفاظ بتـاج مصر ولقب « ملكة الملوك وسيدة مصر والشرق » الذى اطلقته على نفسـها ولقد نجحت خططها فى التخلص من جميع اخواتها



كليوباترا على شكل المعبودة ايزيس

واعوانهم من رجال القصر - اقنعت اباها بطليموس اوليتس « عازف الناى » بالتخلص من اختها الكبرى « برنيس الجميلة » التى امر باعدامها واقام لها جنازة فخمة يتقدمها مئات النافخين فى الناى ، ثم دبرت مؤامرة اغتيال اخيها وقصة غرقه فى ميناء الاسكندرية وهو اول ازواجها ، وتخلصت من اختها الثانية « ارسنوى الطموحة » بان ارسلتها اسيرة الى روما ودبرت قصة اختفائها ، ثم مقتل اخيها الثانى او زوجها الثانى على يد اعوان انطونيو عند عودتها من روما .

هكذا تخلصت من جميع البطالسة لتحقق حلمها فى ان يرث عرش مصر والشرق ابنها سيزارون من قيصر وهو الحلم الذى لم يتحقق حيث قام اكتافيوس بالتخلص منه . وبذلك كانت نهاية كليوباترا هى نهاية حكم البطالسة فى مصر .

● وصفها المؤرخ المصرى القديم يوحنا النيقى بقوله :

كانت مقتنعة بانها من النسل المقدس للالهه ايزيس فاحبت مصر واعتبرت نفسها وريثة لسحرها وجلالها القديم ، لقد احبها المصريون رغم كرههم للبطالسة ولابيها الذى هرب الى روما خوفا من بطش الشعب - كانت امراة ممتازة لصفاتها الشخصية وقوة اعمالها فلم ينجز احد من اسلافها البطالسة مثل ما انجزته من اعمال عظيمة اعادت تجميل الاسكندرية ، وفتحت جميع المعابد الفرعونية ، وصرفت عليها بسخاء - شجعت العلماء والمشتغلين بالعلوم والكيماويات من المصريين واغدقت عليهم العطايا ليتفرغوا لعلومهم . لم تخاطب الشعب الا بلغته المصرية التى يجهلها جميع البطالسة .

● قيصر وكليوباترا ●

ان كلمة يوليوس قيصر المشهورة : « اتيت ورايت وغزوت » حققتها كليوباترا نفسها عندما فاجاته بمغامرتها واقتحمت مجلسه الخاص

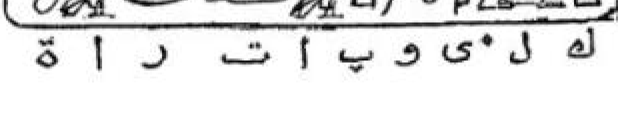
وليس معها من السلاح سوى سحرها وشخصيتها فاسرت قيصر من اول لقاء وغزت قلبه ، فكانت هى التى « اتت ورات وغزت » .

(برناردشو)

اتفق جميع مؤرخى عصرها - مهما بلغ كرههم لها - على القول بان اكثر صفاتها اغراء للرجال جراتها وشجاعتها فى مواجهه اعدائها وسرعة تصرفها امام المواقف

الخطرة . ان اعظم ما راق لها فى قيصر هو جراته التى لا تقل عن جراتها ، وانه رجل عملى وليس خياليا ، وهى الصفات التى اتصفت بها .

(ونفرد هولز)







حجر رشيد .. اسم كليوباترا الذى فك لغز اللغة المصرية القديمة

ان قصة كليوباترا مع يوليوس قيصر في مصر والدور الذى لعبته ليصبح أسير غرامها ويتخلى عن زوجته « كالبورنيا العظيمة » ، وتقنعه بالجلوس على عرش مصر وهى بجانبه ملكة على مصر والشرق والغرب ويخلصها من جميع اعدائها فى البلاط قد تداولها الكثير من الكتاب والمؤرخين بالتفصيل ، ولا يوجد بها من غموض الا اسطورة دخولها عليه وقد لفها احد التجار فى سجادة فردها فى مجلس قيصر الخاص فقامت منها كليوباترا منتصبة لتفاجىء قيصر بجرأتها وسحرها الخ .. ماوصفتة الاسطورة وابدعه خيال الكتاب .

وحقيقة الواقعة كما فسرها بعض مؤرخى الاسكندرية انها دخلت على قيصر بصحبة كاهن معبد امون الاكبر الذى تولى رعايتها وثقافتها من طفولتها وكان يعتبر اباها الروحى . وقد تخفت فى زى احد الكهنة ـ وهو تفسير اقرب للواقع فليس من المعقول ان يدخل تاجر اجنبى يحمله ويخترق حراسة القصر حتى يصل بحمله الى مجلس قيصر الخاص .

اما الجانب الاخر من قصة قيصر وكليوباترا وهو الاكثر اهمية فهو زيارتها لروما لتواجه وتتحدى كالبورنيا واعداءها الرومانيين ورجال مجلس الشيوخ الذى ثار على قيصر لعلاقته بكليوباترا التى وصفوها بانها عشيقته ،فكانت المفاجأة الثانية أن اخذت معها ابنها من قيصر الذى اطلق عليه سيزاريون وقد انجبته بعد ولادة عسرة واجريت لها عملية جراحية حملت فى عالم الطب اسم قيصر وهى عملية « القيصرية » .

ويصف المؤرخ بلوتارك رحلتها الى روما بقوله :

« كانت سفينتها كالعرش اللامع يلمع فوق الماء ومقصورتها مع مؤخرة السفينة مكسوة بالواح الذهب ، وقلوعها أرجوانية اللون ومضمخة بالروائح العطرية ، مما جعل الرياح سكرى بالحب معها ، ومجاديفها من الفضة تضرب صفحات الماء على انغام الناى ورنين الطمبور ـ وجعلت الماء الذى يسير خلفها كانه هام بضرباتها .

اما كليوباترا نفسها فكان الخيال يعجز عن وصفها ، وقد اضطجعت فى سرادقها الذى صنع قماشه من خيوط الذهب ، فكانت صورة فينوس الاتية من الشرق وعلى جانبيها غلمان يتميزون بالرشاقة ، بخدودهم غمازات وكل منهم يشبه كيوبيد وهو يبتسم وبأيديهم مراوح متعددة الالوان » ...

ثم يصف بلوتارك كيف دخلت روما وهى محمولة على محفتها متوجة



شيشرون

بعصبة من الذهب وتاج رأس الكوبرا (سيدة الحياة) فوق جبينها يجلس فوق ركبتيها طفل ذهبى البشرة ملامحة فى ملامح قيصر دون شك .. ولم تكن هناك حاجة لاى برهان اخر لاثبات نسبه .

وكان الرد ترحيبا ملكيا لسيدة ملكية ، رأسه قيصر نفسه مع جميع اعضاء مجلس الشيوخ وقضاة الشعب وقادة الجيش ليحيوها فى الفورم باسم الدولة الرومانية .

ارادت كما ذكر ونفرد جونز فى كتابه ملكات مصر ان تظهر امام روما انها ملكه مصر المحبوبه المرغوب فيها ، وملكة دوله مستقلة أتت لزيارتهم ، وانها الام الفخورة بالابن الوحيد لقيصر ويصفها شيشرون الذى عرف عنه كرهه لكليوباترا « ان صراع تلك الراهبة الجميلة مع كالبورنيا زوجة قيصر لتثبت للرومان مكانة المرأة الفرعونية فجعلت من قصرها على نهر التيبر منتدى يرتاده علماء الرومان وفلاسفتهم ، وحولته الى مجلس للعلم والادب والفلسفة تتحدث عنه روما ، واجمع علماء روما على انها ليست بالمرأة الخليعة المستهترة كما صوروا قبل حضورها .

وذكر شيشرون انها عاشت عامين فى روما لعبت دور الملكة فى مجتمع كله من الرجال ، وكانت ملهمة كبار فنانى روما وكتابها ، فصنعوا لها مجموعة من التماثيل فى صورة فينوس جينريكس التى اقيم لها معبد خاص فى الفورم كما تحول كثير من الرومانيين الى عبادة الهتها ايزيس .

ولكن مطامعها التى اقنعت بها قيصر لتكون سيدة روما والبحر الابيض ويقتسما الملك معا ، كانت سببا فى مقتل قيصر يوم ١٥ مارس عام ٤٤ ق م نتيجة لمؤامرة دبرها صراع امرأتين ، رومانية ومصرية .

● كليوباترا ... وانطونيو ●

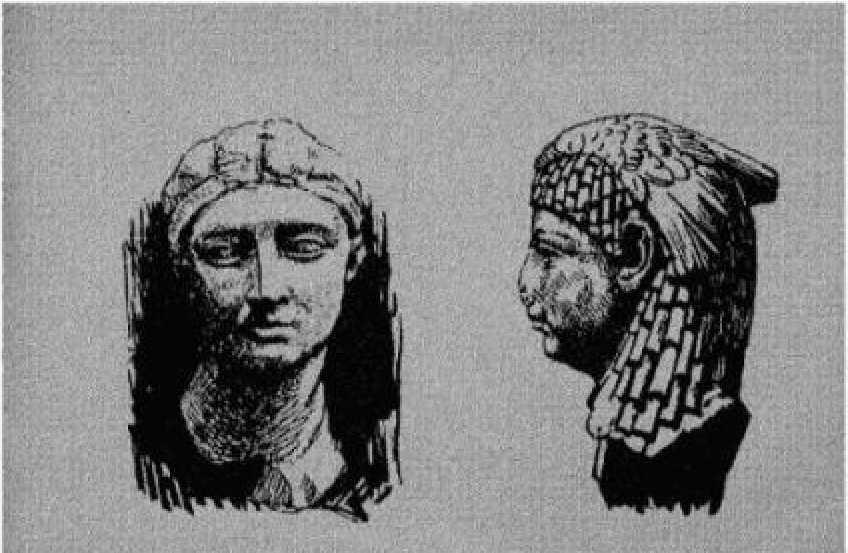
« كان انطونيو بالنسبة لكليوباترا حبها الاول والاخير ، كما كانت كليوباترا بالنسبة لانطونيو حبه الاول والاخير » ...

(رايناخ)

ان قصة غرام انطونيو وكليوباترا لم تبدأ بدخول انطونيو الى الاسكندريه بعد موت قيصر ، وقصته المشهورة مع كليوباترا ـ كما انها لم تبدأ عند اقامتها فى روما حيث اقامت عامين فى قصرها الذى اعده لها قيصر على نهر التيبر الذى حولته الى منتدى يجمع عظماء روما وعلماءها وفلاسفتها وادباءها ، وفيه تعرفت الى انطونيو الذى كان كثيرا



يوليوس قيصر



برنيس الجميلة — ارسنوى الطموحة

ما يحضر مجالسها وندواتها ويشرف على خدمتها كما ذكر شيشرون . بل بدأت قصه ذلك الحب ، أو الصفحة المجهولة من اسطورة الحب الخالد عندما شاهدت انطونيو لاول مـــرة عند خروجها مع اخواتها الى ميناء القصر بالاسكندرية لاستقبال والدها بطليموس اوليتس عند عـــودته من روما فى حماية القـــائد الرومانى جابينوس الذى اعـــاده الى عرشه . وكان انطونيو احـــد ضباط حرس الشرف الرومـــــانى الذين رافقوا الملك .

كانت كليوباترا فى الرابعة عشرة من عمرها عندما « اعجبت بالضابط الرومانى وبقوامه العسكرى وجبهته العريضة وعينيه اللتين تعكسان زرقة البحـــر الذى وصل فوق امواجه » .

وقد ورد فى المذكرات التى كتبهـــا أحد كتاب الرومان أن انطونيـــــو وقـــع فى غرامها وقد سحـــرته شخصيتها رغم صغر سنها . وكانت تظهـــر دائما برفقته فى زيارة معالم الاسكندرية وحضور اعيادها وحفلات القصر . وقد ورد فى مذكـــرات « انطونيو » قوله « انه رغم صغر سنها فانها كانت طاغية الأنـــوثة برونزية البشره كبنات وادى النيل ، رمادية العينين تتميز عن اخـــواتها برنيس وأرسنوى بثقافة عاليـــــة ـ وتتقن ٧ لغـــات من بينها الفرعونية كما كانت تتقن اللغة الرومانية وتنطق بها كاحـــدى اميرات روما المثقفات واطلق عليها فى مذكـــراته الاولى اســـــم « زهرة النيل اليانعة » . وكانت تلك هى الاوصاف التى نقلها الينا يوليوس قيصر عند عـــودته الى روما فكانت تلك فى مقدمة اســـباب اهتمام قيصر برؤيتها عند وصوله الى الاسكندرية .

كانت كليوباترا اثناء وصول قيصر الى الاسكندرية هاربة فى ســـوريا خوفا من بطش اعـــوان اخواتها ومؤامرات رجال القصر للتخلص منها



قوام ملكات البطالسة



قوام كليوباترا الفرعونى

وابعادها عن العرش · فكانت قصة عودتها المعروفة وجلوسها على العرش بجانب قيصر بعد التخلص من اخواتها واعوانهم · ثم تقوم بزيارة روما لتقيم بها سنتين فى قصر المرمر المطل على نهر التيبر حيث تجدد لقاؤها مع حبها الاول انطونيو الذى كان يواظب على حضور ندواتها المشهورة التى جمعت فيها عظماء روما وعلماءها وفلاسفتها وشعراءها وفنانيها ·

● ويصفها انطونيو فى مذكراته بانها ساحرة جذابة وعالمة متعجرفة ذات طموح خطر ، وتصفه بانه ضابط وسيم وجذاب كفتاة ·

وتتوالى الاحداث · فى روما بعد مقتل قيصر ويقوم انطونيو بحمايه كليوباترا ورعاية شئونها ومرافقتها فى حراسة حرس الشرف الامبراطورى حتى غادرت روما باسطولها الى الاسكندرية ·

وتتوالى الاحداث فيتخلى انطونيو عن مستقبله فى روما ليتبع « ساحرة النيل » الى الاسكندريه ليستمتع بحبها ويكمل اسطورة غرامه ·

وتزوجت كليوباترا من انطونيو عام ٤٠ ق·م بعدما اقنعته بالتخلى عن زوجته اكتافيا اخت اكتافيوس واعتناق الديانه المصريه خلافا لاسلافها واخواتها البطالسة المقدونيين وتم الزفاف بمعبد ايزيس ، وكانت هديه الزواج ان وهبها بعض الممالك التى فتحها فى اسيا الصغرى ومن بينها ارض جوديا وغابات البلسم ، واطلق عليها اسم ملكة الملوك وسيدة الشرق والغرب ·

ولكى تحقق حلمها فى ان تكون مصر عاصمة عالم الشرق والغرب بدلا من روما ، فقد اقنعت انطونيو ان يحتفل بموكب النصر الامبراطورى فى الاسكندريه بدلا من روما ، وركبت بجوار انطونيو فى العربة الذهبيه التى اعدتها خصيصا له تجرها



مارك انطونيو

خيول بيضاء بلون اللبن ويسير من خلفه الملوك اسرى مصـــفدين بالاغلال ... واحتفلت الاسكندريه باعياد النصر واعيـاد الزهور التي ابتكرتها كليـوباترا · وهى المواكب التي اثارت روما ومجلس شيوخها واثارت اكتافيوس وحقده الدفين على عشاق الاسكندرية ·

عاش انطونيو مع كليـوباترا عشر سنوات وكان ثمرة الحب « توأم » اسكندر هيليوس وكليوباترا سيلين (اى الشمس والقمـر)·

وكانت نهاية اسطـوره الحب فى اليوم السابع من شهر اغسطس عام ٣٠ ق·م عندما انهزم انطونيو امام اكتافيوس فى موقعه اكتيوم المشهورة فيعود الى الاسكندريه ليميل على سيفه ليقتل نفسه وهو فى زيه الامبراطورى وتحتضن كليوباترا الكوبرا لتموت وهى فى كامل زينتها وتاج الفراعنه يتوج راسها ، وهى النهاية التي انتهى معها حلم البطالسة فى مصر الذى بدأ بالاسكندر الاكبر عام ٣٣٢ ق م وانتهى بموت كليوباترا عام ٣٠ ق م

● كليوباترا ·· تفك رموز الهيروغليفية ●

بقيت اللغة الفرعونية القديمه ورموز خطها الهيروغليفى لغزا امام المؤرخين والاثريين حتى تم اكتشاف « حجر رشيد » الذى وجده الضابط الفرنسى المهندس بيير برشار ملقى بالقرب من مصب فرع رشيد عام ١٧٩٩ اثناء قيامه بانشاء حصن سان جوليان ·

والحجر عبارة عن لوحة من البازلت الاسود ارتفاعها ١١٥ سم وعرضها ٧٢ سم · الجزء الاعلى منه مكتوب بالنقش الهيروغليفى والاوسط بالخط الديموطيقى والاسفل باللغة والخط اليونانى ·

وانتقل الحجر الى القائد مينو الفرنسى الذى احتفظ به سنتين فى منزله بالاسكندرية ملكاً خاصاً له ·

ولما سمع نابليون باكتشاف هذا الحجر ـ وكان قد اسس المعهد العلمى المصرى بمدينة القاهرة ـ امر باستحضار الحجر الى هذا المعهد واهتم شخصيا بالوقوف على ترجمة نقوشه ومعرفة معانيها فأمر بطبع نسخ من الحجر ، قام بتوزيعها على علماء الآثار فى اوربا لفك رموزه ودراسته ·

اما كيف انتقل الحجر بعد ذلك الى المتحف البريطانى فيعود ذلك الى المعاهدة السياسية التى تمت بين الانجليز والفرنسيين عام ١٨٠١ وقد جاء فى البند الرابع عشر فيها ان جميع الاثار المصرية المهمة . ومن بينها حجر رشيد ، تسلم للقائد الانجليزى تبعا لنصوص المعاهدة . وانتقل الحجر الى قاعه الجمعية الاثرية فى لندن التى قامت بتوزيع نسخ منه على جامعات اكسفورد وادنبره ودبلن لدراسته وانتقل الحجر ليتصدر احدى قاعات المتحف البريطانى الى الان .

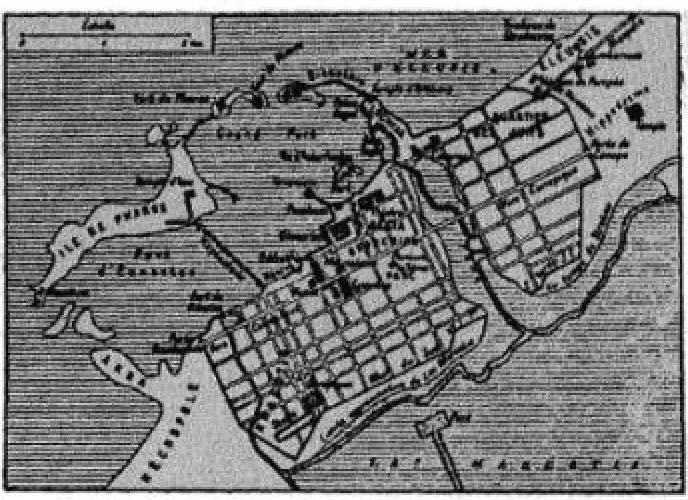
كان الفضل لفك رموز الهيروغليفية الى كليوباترا التى الهمت كلا من شامبليون وتوماس ينج بان اعطتهما مفتاح السر وهو اسمها الذى لفت انظارهما انه مكتوب بحروف اللغات الثلاث داخل « خرطوشة » ملكية فبمقارنه حروف اسمها التسعة ـ وهى مقروءة باليونانية ـ بالحروف الهيروغليفيه والديموطيقية المصرية ، امكن معرفة دلالة الرموز . وقد ساعدت دراسة شامبليون للغة القبطية علي تفسير كثير من الكلمات الديموطيقية ونطق حروفها .

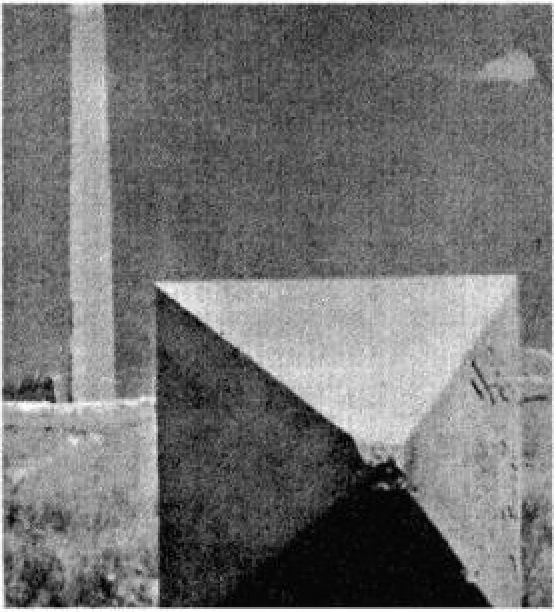
وهكذا كان اسم كليوباترا هو مفتاح السر لكشف اسرار اللغة المصرية القديمة وكشف الستار عن حضارة مصر الفرعونية الخالدة .

● ابرة كليوباترا ●

« فى قلب مدينة لندن على شاطيء نهر التيمز تقوم مسلة كليوباترا لذكرى قصة حب غيرت

خريطة الاسكندرية فى عهد كليوباترا





ابرة كليوباترا ، مسلتى معبـــــــد ايزيس

وجه التاريخ وقضية عظيمة خسرتها صاحبتها .
(ونفرد هولز)

وهى واحدة من مسلتين قائمتين فى فناء معبد الشمس فى هيليوبوليس قطعت اصلا من محاجر اســوان بالقرب من الشـــلال الاول للنيل لتسجل عليها الاعمال العظيمة التى قام بها تحوتمس الثالث الجنــدى العبقـرى الذى كان الزوج الثانى للملكة حتشبسوت . وكانت كليوباترا قد نقلتها من هيليوبوليس لتقيمها فى فناء المعبد الجديد الذى شيدته فى الاسكندرية يتوسطه تمثــال ايزيس واطلقت عليـه اسم « سيزاريوم تكريما لزوجهـــا الجديد مارك انطونيو بعدما اقنعته باعتنـــاق ديانتها المصرية وعبادة آلهتهـــا واحتفلا بزواجهما فيه وفقا للطقوس الفرعونية .

فى ساحة هذا المعبد الضخم الذى تحيط به الاعمدة الرخـــامية التى استوردتها خصيصا من روما ، ظلت هذه المســلة مع اختها تتصدران مدخل الهيكل .

لقد شاهد ذلك المعبد ومسلتاه ارتفاع انطونيو الى قمة مجـــده وانتصاره ، كما شاهد فشـــله وسقوطه ، كما سقطت المســـلة وبقيت مهملة بين اطلال المعبد حتى حملت لتعبر البحـر فى عام ١٨٧٧ لتقف منتصبة فى لندن كما انتقلت المسلة الثانية عبر المحيط عام ١٨٧٨ لتتوســط مدينة نيويورك .. وقد اطلق على المسلات فى ذلك الوقت اسم « ابرة كليوباترا » ...

ويرجع اسم ابرة كليوباترا الذى استعمله الانجليز لتسمية المســلة الى الاسم الذى استعمله العرب وهو

المسلة اى الابرة ...

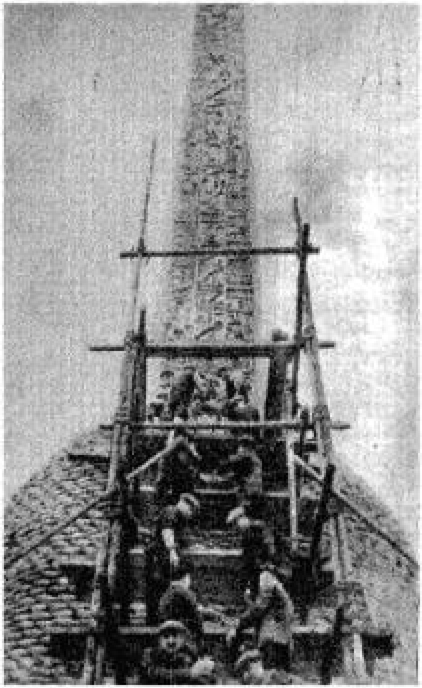
وقد سبق نقل هاتين المسلتين الى عاصمتى انجلترا وامريكا ثلاث مسلات فرعونية اخرى لتتوسط ثلاث عواصم اخرى اولها المسلة التى اقيمت امام كنيسة القديس جيوفانى فى روما خلال القرن الخامس عشر . والثانية التى نقلها القيصر قنسطنطين من الكرنك عام ١٥٨٨ لتتوسط مدينة القسطنطينية . والثالثة مسلة رمسيس الثانى التى انتقلت عام ١٨٣٦ لتتوسط ميدان الكونكورد فى باريس . وما زال اسم « ابرة كليوباترا » يطلق على تلك المسلات الخمس رغم ان الثلاث الاخيرة منها ليست لها علاقة بكليوباترا .

● آلاء عقد كليوباترا ●

اختلف مؤرخو عصر كليوباترا من الرومان او البطالمة او المصريين فى تشخيص ناحية هامة من نواحى شخصية كليوباترا المميزة فى تاريخها وهو ما سموه خمر كليوباترا التى كانت تقدمها لضيوفها وفى الحفلات التى تقيمها على شرفهم . وصفوها بانها كانت تريد ان يشرب ضيوفها من العظماء والحكام وسفراء الدول حتى يفقدوا السيطرة على انفسهم وتصرفاتهم واقوالهم وتعرف كيف تسيطر عليهم تماما .

كما انها فى اول مقابلة لها مع انطونيو « اسكرته حتى سقط تحت قدميها . وقدم لها قلبه وعرشه » كانت تجاريهم فى الشراب ولا تتأثر بالخمر :

وصفها بريبلوس بقوله انها كانت مثالا للفجر والعربدة . كانت تتفنن فى صناعة الخمر فى مصانعها الخاصة وكانت الخمر سلاحها فى اخضاع الرجال لاغراضها وتحقيق مطالبها .



وقاية مسلة كليوباترا فى لندن من غارات الحرب العالمية الاخيرة

بينما وصفها النيقى بانها كانت اعف نساء عصرها وانها لا تقرب الخمر بناء على وصية معلمها كاهن معبد امون والذى اعطاها الخاتم المصنوع من حجر الاماتيست والتى نقشت عليه العبارة الصادقة : « السكر عبد للصحو » وهو الخاتم الذى كان لا يفارق مجالسها كما وصفها احد كتاب عصرها بانها كانت تكرم كبار ضيوفها بوضع حبات من اللؤلؤ النادر الذى يزين صدرها فى كأس ضيفها العظيم الذى لا يلبث حتى يفقد توازنه والسيطرة على تصرفاته .

لقد كانت تلك الناحية موضع

اهتمام كثير من الباحثين كان من بينه ما قدمه الكاتب الكبير انيس منصور عن البحث الذى قام به الطبيب الايطالى كارلو انطونللو فى كتابه الجديد «شيء فى فم كليوباترا» « الذى حاول شيئا جديدا لم يخطر على بال احد فقد وجد تفسيرا جديدا للأعمال الساحرة الباهرة لملكة النيل ، الذى فسره بأنها كانت تعتمد على شيء خفى يجعل الرجال يتساقطون عند قدميها من أول لمسة من شفتيها وتجعل الرجال « يهلوسون » امامها – السبب هو انها تقبل الجميع وترسل مع ريقها شيئا مخدرا وكانت تسرف فى استخدام قبلاتها لكل من تريد ان تستولى على عقله وقلبه ، وكل ذلك بفعل مادة الهلوسة أو سائل الهلوسة الذى تضعه فى افواههم .

ان تلك النظرية تفسر سر حبات اللؤلؤ التى كانت تضعها فى كئوس ضيوفها والتى لم تكن فى تلك الحالة سوى نوع من « حبوب الهلوسة » وليست حبات من اللؤلؤ أو على شكل حبات اللؤلؤ .

كما اشتهرت بانها كانت تشرب الخمر فى اناء من الذهب لا يظهر ما بداخله وهو عصير العنب الذى احبته ، وليس الخمر ، التى كانت تسرف فى شربها .

● عطر كليوباترا: بلسم الحب ●

اشتهرت كليوباترا بعطرها المميز الذى تحدث عنه اكثر من مؤرخ وكاتب ، وكانت تقوم باهدائه فى انية خاصة نقش عليه اسمها لضيوفها من كبار الزوار والحكام . وقد تحدث عنه اكثر من كاتب من كتاب الرومان واطلقوا عليه اسم بلسم الحب بعد ما نسجوا حوله الكثير من الاساطير ، لما كان له من سحر خاص . وتقوم بتحضيره فى معمل خاص ملحق بمعبد ايزيس ويحتفظ بسر صناعته كهنة معبد امون .

كما ذكر ان زيوت صناعة ذلك العطر كانت تستوردها خصيصا من جوديا بمنطقة اريحا بالاردن وكانت خاصة بمعبد اورشليم وكان يطلق عليها حدائق اشجار البلسم المقدس.

وقد حقق انطونيو حلم كليوباترا بالاستيلاء على تلك الحدائق واهدائها اليها ضمن هدايا زواجه منها .

ولم تكتف كليوباترا بما كانت تجلبه من الحدائق من زهور وزيوت عطرية واخشاب معطرة للبخور ، بل عملت على نقلها وزراعتها فى مصر فقامت بانشاء حدائق البلسم بالمطرية وكانت تنقل اليها الاشجار الكبيرة النامية بواسطة السفن .

عندما لجأ المسيح والعائلة المقدسة الى مصر بعد انشاء الحديقة بنصف قرن ، كان اول مكان استراحوا فيه بعد عبورهم الصحراء هو حديقة البلسم التى لجأوا تحت احدى اشجارها واحتموا فى ظلالها من



جنـــود هيرودس ، وهى شـجرة المطرية المقدســـــة الموجودة حاليا بالمطرية ، وهى الشـجرة الوحيدة الباقية من حدائق كليوباترا المقدسة

ان تلك الاساطير والقصص التى كتبت عن بلسم الحب اخفت حقيقة تاريخية عن علاقة كليوباترا الفرعونية بكهنة امون ومعابد الفراعنة ، فزيت البلسم المقدس كان مســتخدما فى جميع المعابد المصرية من عهد الاسرات القـــديمة وكان المصريون القدماء يستوردونه من غابات جرديا بالذات وكان الفراعنة فى فتوحاتهم العظيمة يؤمنون استيراده باســـتمرار مع اخشاب الارز ويقدمونه ضمن قرابين المعابد · ثم توقف اســـتيراده مع حكم البطالســة عند محاربتهم لكهنة معابد الفراعنة ·

فلما تولت كليوباترا الحـــــكم واعتنقت ديانة المصريين وتقربت الى الهتهـــــم وكهنتهم واغدقت الهدايا والمنح والقرابين للمعابد لتعيد اليها مكانتها وطقوسها واعيـــادها ، فكان اول ما فكرت فيه هو اعـــادة تلك العطور والزيوت واخشـــاب البخور الى جميع معـــابد وادى النيل ، بل زادت تقربها الى الالهة بنقل حدائق البلسم نفسها بأشجارها المقدســـة الى معبد عين شمس

فعطر كليوباترا او بلسم الحب ، لم يكن الا البلسم المقدس فى حب ايزيس وديانة الهة وادى النيل ·

● كليوباترا ·· والكوبرا ●

« ستعتلى عرش مصر وتعبر البحر العظيم لتحكم روما ، وتصبح سيدة الشرق · وتتوج راســها بتاج مصر والشرق ، ويركع كل غازعند قدميها·

وتموت والتاج على رأسها وسيلة الحياة تحرسها »

تلك كانت نبوءة عرافة معبـــــد ايزيس بالاسكندرية لكليوباترا عندما كانت طفلة فى العاشرة من عمرها .. لم تكن وريثة للعرش وابعد ما يكون عن الوصول اليه ·

لقد تحققت تلك النبـوءة ، وكانت نهاية الاسطورة كما وصـــــفها شيشرون بقوله : « جمعت ماســـها وحليها وحملت تاجها الفرعونى الى المقصـــورة التى تعلو قبرها الذى اعدته بجانب معبد ايزيس ، وارتدت



شجرة المطرية المقدسة

اجمـــل ازيائها الملكية وتعطرت بعطرها السحرى ، وقامت تصلى لالهتها ايزيس ، ثم ضمت الكوبرا المقدسـة الى صدرها ، وكان قد ارسلها اليها أبوها الروحى الكاهن الاكبر للمعبد .

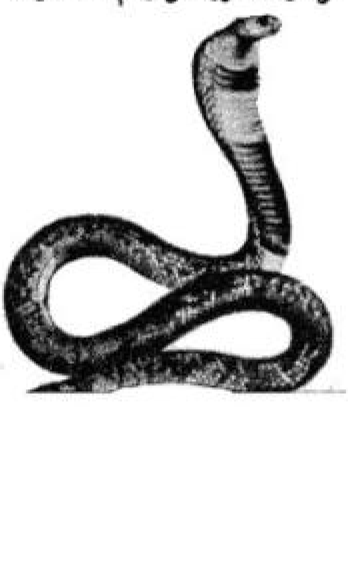
« ماتت فى ابهى ازيائها وجمالها وشاءت ان تكون فاتنة حتى الموت تحيط بها وصيفتا الشرف المخلصتان شـارميون وايراس وقد ابتا ان تفارقاها ودفنتا معها » .

انتحرت فى شـجاعة وجمال واناقة .. لم تفارقها ابتسامتها وتاج مصر يتوج راسها والكوبرا الذهبية تعلو جبينها .

ان تلك النهاية كانت مصـدر الإلهام لفنانى العصر القديم الذين تحتول قبرها الرخامى المشهور الذى وصفه مؤرخو الرومـان انه كان تحفة رائعة تمثلها وهى راقدة فى زيها الملكى والتاج فوق راسـها والكوبرا تحمى تاجها وعلى جانبيها تركع وصيفتاها الامينتان .

كما ذكر مؤرخو الاسكندرية ان الشعب المصرى قد جمـع الاموال اللازمة لتخليدها بمجمـوعة من التمـاثيل تبارى فنانو مصر فى نحتهـا وزينوا قبرها ونادوا بها كقديسة وابنة للاله .

لقد تبارى فنانو العالم القديم على على مر العصور على رسم تلك اللوحة





الخالدة التى كانت السبب فى شهرة الكثير منهم وما زالت لوحاتهم تزين الكثير من المعارض والمتاحف العالمية المعروفة .

كما تبارى شـعراء الرومان وأدباؤهم وفلاسفتهم فى أشـعارهم ومؤلفاتهم التى كانت مرجعا لكثير من المؤرخين . كما ابدع خيـال كل من شكسبير وبرناردشو وامير الشعراء شـوقى روائعهم الخالدة فى الادب والشعر المعاصر .

« لقد اثبتت طريقة موتها ايمانها بديانة مصر الفرعونية . فالكوبرا ـ « سيدة الحياة » ـ التى كانت تتوج جبينها وهى رمز اله الشمس الذى ينتظر ليضم ابنته لتعيش خالدة الى جواره »

تلك النهاية التى صـورها امير الشعراء على لسان كبير كهنة معبد امون بقوله :

بنتى دعوته للضحية والفـدا
فوجدت عنـده فوق ما انا راج

إبراهيم
عبد الباقي



نشيد الوطن

(اخضرار) انت المنى الاقدس وانت لعمرى الثرى الانفس
فلو قد خلقت بارض سواك لما كان صدرى بها يانس
لانى احبك يا تونس
بلادى احبك مسلمة لانك وجه الهدى والسلام
بلادى احبك شرقية لانك من نسل عرب كرام
وانى احبك ياتونس
اذا ما تخلصت من ذلة واصبح مجدك نور الدجى
فلن ترفعى فى الدنا راية اذا ما تغرنس منك الحجا
وصار الهوى منك لا يقبس
لقد كان ماضيك عز الالى تواصوا برفع لواء البلاد
وماتوا وهم ينشدون الولاء لماض مجيد رفيع العماد
فكيف بحاضرنا نيأس ؟.
وكيف نخون اصالة ماض به قد خلقنا ومنه نعود
اذا ما اضعنا مكان التراث فليس لنا ـ الدهر ـ التمجيد
متى الاصل عن فرعه يطمس ؟
فان كان منا ـ ومنا الالى بنوا كل فخر بلاد اليمين
فانا لنرقى سماك العلا ونسمو ـ لعمرك ـ دنيا ودين
اذ الفرع بالاصل يستانس
فقم ايها الشعب وارفع لنا شعارا يزيل خداع الكلب
بلادى ـ وربك ـ مسلمة ولم ترض يوما بغير العرب
نشيد يردده الاطلس

● تونس ● ● ابراهيم عبد الباقى ●

شهرزاد

بين الأسطورة

فاروق خورشيد

لم تحظ شخصية نسائية فى تراثنا الفنى بمثل المكانة التى حظيت بها شخصية شهر زاد ، من حيث البقاء والخلود فى صميم ادبنا وادبائنا ، ومن حيث التأثير الدائم الذى احدثته فى اجيال متعددة من رجال الادب والفن ، لا فى دنيا الكلمة العربية وحدها ، وانما فى دنيا الكلمة على اطلاقها وفى دنيا الابداع الفنى على المستوى العالمى .. بعامة ...

وشخصية شهر زاد لم ينازع دارس واحد فى انها من ابداع الخيال وحده ، ولم يذهب ظن احد من الدارسين الى أن لها ظلا من وجود حقيقى اللهم الا اصحاب الدراسات الادبية الانثروبولوجية والدراسات الشعبية المقارنة ، اما اصحاب الدراسات الادبية فهم ان شكوا فى حقيقة بثينة جميل او عزة كثير او جنان ابى نواس ـ هل هن من ابتداع خيال عشاقهم ام هن شخصيات حقيقية عاشت ومارست الحياة ـ الا انهم لم يتركوا للشك لحظة واحدة ان يساورهم فى حقيقة ان شهر زاد شخصية خلقها خيال الفن ولم تعرفها الحياة الا كما تعرف صورة خلقها فنان فأجاد خلقها ليحملها من المعانى مايريد، ويثقلها بكل الرموز التى يريد .. وحول هذه المعانى وابعادها ، وحول هذه الرموز وايحاءاتها ، كانت كل اجتهاداتهم ودراساتهم ، بل وكان جهد المبدعين منهم عبر الاجيال وعلى مر العصور

.. والأدب

قبل ان ندخل فى حديث ظل شهرزاد الطويل الذى امتد عبر القرون وعبر وجدانات الادباء والفنانين والدارسين – يجب ان نقف وقفة قصيرة عند قصة شهر زاد ذاتها .. فعلى الرغم من ان ظل شهر زاد لا يقل طولا ولا كثافة عن الظل الذى تلقيه الف ليلة وليلة نفسها ، الا ان قصة شهر زاد فى الليالى لا تشغل الا صفحات معدودات تبلغ من صغرها حدا يثير الدهشة اذا قورنت بما حازته الشخصية من اهمية وقيمة ...

وقصة شهر زاد فى الليالى تبدأ مع بداية الليالى فتكون اول حدث درامى فيها ، ثم تتوارى ليبقى صوتها ، فقط وهو الشىء الوحيد الذى نلمحه طوال الليالى ، فاذا ما انتهت الليلة الواحدة بعد الالف، اختفت شهر زاد فى صمت ، وختمت كلماتها الليالى كأى رواية لا دور له فى احداث القصة التى شغل نفسه بروايتها الف ليلة وليلة ...

وشهر زاد امرأة انقذت فتيات مدينتها بنفسها ، واستطاعت بذكائها وحكاياتها ان تصرف شهريار عن قتل عذارى المدينة واحدة اثر الاخرى ، ليلة اثر اخرى ، تشفيا لانتقام مريض يأكل صدره حقدا على امرأة واحتقارا لمعنى الوفاء والبراءة فى كل عذراء ...

وهى اذ تنجح فى هذا تستنقذ نساء المدينة وفى نفس الوقت تستنقذ نفسها من المصير المرعب الذى كان ينتظرها اخر ليلة عرسها .وتستطيع أن تؤجل هذا المصير ليلة اثر ليلة بما تحكى من قصص تصرف الملك عن حقده وعن انتقامه ، فاذا ماكانت الليلة الواحدة بعد الالف كانت عروس الملك التى يحبها ولا يستطيع عنها فراقا ، وكانت المرأة فى قصره والمرأة فى حياته وقلبه ، وكانت البلسم لجرح الانتقام الذى نزف فى قلب شهريار دما وصديدا وموتا ذريعا لكل عذراء ...

●●●

تقول الف ليلة وليلة فى اول صفحاتها فى (حكايات الملك شهريار واخيه الملك شاه زمان) وذلك قبل بدء الحكايات الالف والواحدة ... انه (حكى والله أعلم ، انه كان فيما مضى من قديم الزمان وسالف العصر والاوان ،

ملك من ملوك ساسان بجزائر الهند والصين) .

وكان للملك ولدان ، الاكبر اسمه شهريار والثاني شاه زمان ، كان كل منهما يحكم جزءا من مملكة ابيه ، واراد الاصغر ان يزور اخاه الاكبر استجابة لدعوة منه ، فجهز نفسه للرحلة وخرج مع خدمه وحشمه قاصدا مملكة أخيه ، الا انه في الليل تذكر حاجة له نسيها في قصره فعاد وحده (ودخل قصره فوجد زوجته راقدة في فراشه معانقة عبدا أسود من العبيد ، فلما رأى هذا اسودت الدنيا في وجهه وقال في نفسه اذا كان هذا الامر قد وقع وأنا ما فارقت المدينة ، فكيف حال هذه العاهرة اذا غبت عند أخي مدة ... ثم سل سيفه وضرب به الاثنين فقتلهما في الفراش) ، وغادر قصره مستأنفا رحلته الى اخيه شهريار الذي استقبله بترحاب كبير وان لم يخف عليه ما كان ينتاب اخاه شاه زمان من وجوم وضيق ...

وحاول شهريار أن يعرف سر وجوم اخيه وحزنه ولكنه لم يظفر منه بغير الردود المقتضبة ... واراد شهريار ان يصرف عن اخاه وجومه وحزنه فاعد له رحلة صيد ، لكن شاه زمان اعتذر عنها ، وسافر فيها شهريار وحده ، وجلس شاه زمان يطل من حجرته على بستان القصر بعد سفر اخيه (فنظر ، واذا بباب القصر قد فتح وخرج منه عشرون جارية وعشرون عبدا وامراة اخيه تمشي بينهم وهي في غاية الحسن والجمال ، حتى وصلوا الى فسقية وخلعوا ثيابهم وجلسوا مع بعضهم ، واذا بامراة الملك قالت يا مسعود ، فجاءها عبد اسود فعانقها وعانقته) واستمرت هذه الحفلة الغريبة طوال النهار وشاه زمان جالس في مكانه لايراه احد (وقد هان ما عنده من القهر والغم ، وقال هذا اعظم مما جرى لي) ...

وحين عاد شهريار لاحظ ان اخاه ينظر اليه نظرات غريبة وكأنما يضحك من شيء يعرفه ويطربه ، كما لاحظ ان شاه زمان قد كف عن التقطيب والحزن ، وانه كثير الضحك والمرح ... ويلح شهريار على اخيه ليعرف سبب هذا التغير من الحزن والتقطيب الى الضحك والابتسام الساخر المليء بالمعاني ، وتحت الحاحه يقص عليه شاه زمان حقيقة السبب في حزنه وهو اكتشافه خيانة زوجته واضطراره الى قتلها ، ثم سبب ضحكته الساخرة وهو اكتشافه أن مصيبته اقل من مصيبة اخيه الذي يتحول بستانه الى ماخور تترأسه زوجته الملكة في غيابه ...

ويصعق شهريار الذي لا يصدق اذنيه ولا ما يحكيه اخوه عن امرأته ومليكته ، فيقترح عليه شاه زمان أن يدعي الخروج الى الصيد ثم يتسلل في غفلة الى القصر ليرى



د . طه حسين



توفيق الحكيم

بنفسه ما يريد ان ينكره من حكاية أخيه ...

وينفذ شهريار اقتراح شاه زمان، وحين يعود متسللا الى القصر يرى من نافذة الغرفة التى كان يجلس فيهـــا اخوه ، زوجته وعبيــدها وجواريها وهم يحيلون بستان قصره الى ساحة قصف وجنس وانحلال . (فلما رأى الملك شهريار ذلك الامر طار عقله من رأســه ، وقال لأخيه شاه زمان قم بنا نسافر الى حال سبيلنا وليس لنا حاجة حتى ننظر هل جرى لاحد مثلنا ، والا فيكون موتنا خيرا من حيـاتنا فأجابه الى ذلك) ...

وخرج الاثنان معـا وفى قلبيهما مرارة وفى نفسيهما احساس بالفشل يمزق اعتزازهما برجولتهما ، لايجدا عزاء الا فى الهرب والرحـــلة والابتعاد عن كل ما يذكرهم بقصة فشــلهما كرجلين خدعتهما امرأتان وضعـــا فيهما الثقة والحب وظنا عندهما الامان والسكن فمكناهما من قلبيهما ومن حياتهما ومن ملكهما .

وظل تجوال الملكين الى ان نال منهما التعب فجلسا تحت شــجرة يستريحان على شــاطىء البحر ، واذ بالبحــر قد (هاج وطلع منه عمود أسود صاعد الى الســماء . فلما رأيا ذلك خافا وطلعـــا الى اعلى شجرة وصارا ينظران ماذا يكون الخبر ... وتشـــكل هذا العمــود فاذا هو مارد من الجان مهول الهيئة يتقدم نحو الشجرة وفى يده صـــندوق . ثم فتح المارد الصندوق فخرجت منه صـــبية السـبة فى غاية الحسن الجمال ، واخذ المارد يناجيهـــا ، ففهما من حديثه انه اختطفها ليلة عرســـها لتولعه بها حبا وغراما ...

وما لبث الجنى ان ادركه التعب فوضع رأســه على ساق الفتاة ، فرفعت الفتـــاة وجهها الى اعلى الشجرة فرأت الملكين فأشارت اليهما بالنزول ، فلما أبيا هددتهمـــــا بايقاظ الجنى ، ونزل الملكان وهمـــا يرتجفان خوفا من الجنى النائم ومن نظرات الفتـــاة التى كانت تنبيء بتهــديد خفى . وسرعان ما تحققت مخاوفهمـــا حين خيرتهـــم بين مضاجعتها او ايقاظ الجنى ، وتحت تهديد الخوف وعامل الاثارة وجمال الفتاة ، خضــــعا لرغبتها حتى (اخرجت من جيبها كيسا وأخرجت منه عقدا فيه خمسمائة وســـبعون خاتما) وامرتهما ان يعطيـــاها خاتميهما لتضمهما الى هذه المجموعة من الخواتم التى حصلت عليها من كل من تمكنت ان تخون معه هــذا الجنى فى غفلة منه ... وقـــالت لهما (ان هذا العفريت قد اختطفنى ليلة عرسى ثم انه وضعنى فى علبة وجعل العلبة داخل الصـــندوق ، ورمى على الصندوق سبعة أقفال ، وجعلنى فى قاع البحر العجـــاج المتلاطم بالامواج ، وهو لا يعلم ان



شهـــرزاد

المرأة منا اذا أرادت أمرا لم يغلبها شيء) …

ووجد الاخوان في قصة الفتـــاة والجني العزاء لهما في محنتيهمـــا (وقالا لبعضهما اذا كان هذا عفريتا وجرى له اعظم ما جرى لنا ، فهـــذا يسلينا) … وهما وان كانا قد برئا من الاحساس بالمرارة والرثاء للذات من غدر زوجتيهما ، الا انهما استبدلا بكل هذه الاحاسيس يقينـــا راسخا بغدر المرأة في كل زمان وكل مكان ..

وهكذا نرى شاه زمان يعود الى ملكه بينما يقصد شهريار قصره حيث يقتل زوجته وعبدها وجواريها .. ولم يكتف شهريار بهذا الانتقام من الزوجة الخائنة بل ذهب انتقامه الى ابعد من هذا اذ شمل كل النساء ، فقد أخـــذ يتزوج كل يوم ببكر من بنات المدينة فاذا ما طلع عليها الصباح أسلمهـــا للجلاد يطيح عنقها (ولم يزل على ذلك مدة ثلاث سنوات فضجت الناس وهربت بناتها) . وحين عاد شهريار يطلب بنتا جديدة لم يجد وزيره من يقدمها له لتكون زوجة الليلة ثم زوجة للقبر بعدها …

وفتش الوزير المدينة وجـــاب كل بيوتها ولكن المعين نضب والبحر جف وعاد وجلا مقهورا الى بيتـــه وهو يحس ان اجله قد حان ، فشهريار قد انقلب الى سفاح يحب الدماء ، ومن يدريه لعله ان لم يجد بنتا جـــديدة يمارس معها هوايته الوحشيـــة اطاح براس الوزير نفســـه .. (وكان الوزير له بنتان ذاتا حسن وجمـــال وبهاء ، الكبيرة اسمها شـــهرزاد والصغيرة اسمها دنيا زاد ، وكانت الكبيرة قد قرات الكتب والتـــواريخ وسير الملوك المتقدمـــين واخبار الامم الماضين ، قيل انها جمعت الف كتاب من كتب التواريخ المتعـــلقة بالامم السالفة والملوك الخالية والشعراء) .

ولاحظت شهرزاد ما يعانيه ابوها من هم وقلق وجلست تسرى عنـــه وتستدرجه في الحـــديث حتى اخبرها بسر خوفه وحزنه ، وما أن سمعت منه القصـــة حتى (قالت له يا ابت زوجني من هذا الملك فاما ان اعيش واما أن اكون فداء لبنـــات المسلمين وسببا لخلاصهن من بين يديه) ..

وفوجىء الوزير برغبة ابنته، وحاول ان يثنيها عن عزمها الا انها اصرت على ما عزمت عليه ، واوصت اختها الصغيرة دنيا زاد ان تسالها حيـــن يبدا سمر الملك ان تحدثها حديثا يقطع السهر الطـــويل … ويذهب الوزير بشهرزاد الى شهريار فيتزوجها في ليلته ، فاذا ما بدا ليل سمره الذى بانقضائه تنقضي حياة شهرزاد ،تطلب دنيا زاد من اختها ما اتفقتا عليه من حديث يصلح للسمر (فقالت حبـــا وكرامة ان اذن لى هذا الملك المهذب) ولا يجد شهريار باسا من ان يسلى ضجره بحديث هذه الفتاة الفاتنة التى تزوجها منذ لحظات ، واى باس عليه وهو سيتخلص منها في الصباح ..

وتبدأ شهرزاد حديثهـــا مبتدئة

بحكاية التاجر مع العفريت ، وانقضت الليلة وشهرزاد تحكى والملك يسمع الى ان (ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح، فقالت لها أختها : ما أطيب حديثك وألطفه وألذه وأعذبه فقالت لها وأين هذا مما سأحدثكم به الليلة القابلة ان عشت وأبقاني الملك، فقال الملك في نفسه والله ما اقتلها حتى اسمع بقية حديثها) .

وهكذا يمتد العمر بشهرزاد ليلة اخرى ، وتستمر الحكاية ، ويدرك شهرزاد الصبا وهى فى وسطها لم تكتمل ، فيمد الملك من عمرها ليلة اخرى الى أن انقضت الف ليلة وليلة ، والملك يسمع وشهرزاد تحكى، والحياة تسير سيرها العادى فى الصباح ، فشهريار يدخل ديوانه ويصرف أمور دولته وقد زال قلقه وانقضى غيظه وسخطه ، فاذا ما تمت الليالى كانت شهر زاد قد جاءت للملك بابن ، كان الملك قد شفى من مرضه الذى دمر حياته قبل شهر زاد ودمر معها حيوات كثيرة لعذروات المدينة. وتكون شهر زاد قد استطاعت استنقاذ بنات المسلمين كما قالت من وحشية الملك وقسوته ... وما استطاعت أن تهدمه امرأة غادرة هى زوجة الملك الاولى ، بنته من جديد لمرأة ذكية هى شهرزاد ...

***

وقبل ان ندخل فى موقف الكتاب والمفكرين على مر العصور من شخصية شهرزاد التى استهوتهم بغموضها المنطوى على العديد من التفسيرات ، والصالح لان يتحمل اكثر من معنى وأن يشير الى اكثر من رمز ـ نقف قليلا عند محاولات علماء الفولكلور لدراسة شخصية شهرزاد ودلالاتها الاسطورية ..

ولقد ربط دارسو الفولكلور بين شهر زاد وبين شخصيتين نسائيتين عرفتا فى الاساطير القديمة ، واحدة من العهد القديم وهى استير،والثانية من التاريخ الفارسى القديم هى حمى بنت بهمن ..

وتقول الدكتورة سهير القلماوى فى كتابها الف ليلة وليلة ان الاستاذ الهولندى دوجويه نشر بحثا (مرجعا فيه مقدمة الف ليلة وليلة وقصة استير فى التوراة الى اسطورة شعبية فارسية قديمة ، وبحث دوجويه عن الشبه القوى بين شهرزاد واستير وكيف ان كلا منهما تطوعت لنجاة بنات جنسها من طاغية ، ثم وجد نص ابن النديم الذى يشير فيه الى حمى بنت بهمن ، فبحث فى التاريخ الفارسى القديم فوجد ان أم بهمن تسمى استير او ما يشبه استير ، بينما زوج بهمن كانت تسمى أحيانا شهر زاد واحيانا دنيا زاد)

ورأى دوجويه يربط شخصية شهر زاد أولا بشخصية يهودية فى شخصية استير ، ثم يربط بين الشخصيتين بشخصية فارسية هى حمى بنت بهمن .. ولعل وجه التشابه هنا ، وهو المرأة التى تفدى شعبها من طاغية ، كان العنصر الوحيد فى هذا التشابه ، الا ان دارس الفولكلور وجد فى شخصية شهرزاد الناجحة فنيا والتى اصبحت تكون جزءا من سحر الفن العربى الموروث ، مجالا يستهدفه لتحقيق شهوات عنصرية ودينية واضحة رغم تهاوى ادلته وضعفها ...

وتقول دكتورة سهير القلماوى عن بحثه هذا (لقد احدث بحث دوجويه هذا اثرا قويا لعله راجع الى أن الموضوع دينى الى حد ما ، فاهتم به الكثيرون مناصرين ومعارضين ، ناصره مثلا دى روف ، ووقف موقف التحفظ فى قبول هذه القضية كما هى موللر وعارض الرأى بشدة كوسكان ولعل موقف الاخير أعنى

كوسكان من شخصية شهر زاد واستير يوضح تهاوى ادلة العالم الفولكلورى دوجويه وتهافتها فهو يؤكد أن أجزاء مقدمة الف ليلة وليلة من الحكايات المألوفة من الادب الهندى القديم وخاصة حكاية خيانة المرأة مهما اتخذت الاحتياطات الجبرية لمنعها من هذه الخيانة ، ويقف عند نقطة هامة وهى أن وسيلة خلاص شهرزاد من الطاغية وهى القص والحكى لا يوجد لها شبيه فى قصة أستير او فى قصة حمى بنت بهمن او فى أى قصة مشابهة اخرى ...
وينهى كوسكان مناقشته بجملة تنقلها الدكتورة سهير القلماوى فى بحثها يقول فيها (خاصة أسلوب القصص او الحديث الذى نجت به شهرزاد ، لا توجد فى قصة استير فمن العبث اذن أن تعد القصتان منفصلة واحدة فنبحث عن مصدرهما المشترك) .

وعلى كل حال فان بحث دوجويه ، ورد كوسكان يدوران بالدرجة الاولى حول استير كشخصية دينية تهم باحث الفولكلور وخاصة باحث شخصيات العهد القديم ، وهما وغيرهما أن تعرضا لشهرزاد فقد استهواها كما قلت غرابة الاسم واهميته ، كما خدعهما حدث مشترك هو حدث الفتاة التى تفدى شعبها وتخلصه من طاغية وإلا فان هذا الموضوع مطروق بكثرة فى الادب الشعبى العربى القديم وخاصة فى قصة سيف بن ذى يزن التى يتكرر فيها مشهد الفتاة التى تقدم الى حيوان خرافى أو الى جنى يهدد المدينة فتوضع خارج المدينة ليأخذها الوحش أو الحيوان فداء للمدينة ، وتظل المدينة تقدم عذاراها حتى يظهر الفارس الذى يحب فتاة معينة فيتقدم لانقاذها حين تقدم فى دورها للوحش ويقضى على المارد أو الوحش أو الحيوان أو الجنى أو الملك الطاغية ويستنقذ المدينة وبنات المدينة بفضل الفتاة التى استحوذت على قلبه ودفعته إلى خوض المخاطر لانقاذها .
وقد اشار الاستاذ عبد الحميد عابدين فى بحثه عن الحبشة واليمن الى أن ملوك الاحباش كانوا يفرضون على المنطقة العربية المجاورة لهم مثل هذه الضريبة القاسية . ويأتى سيرة سيف فى بعض احداثها لتكون الرد القصصى على مثل هذا الموقف الذى عانت منه منطقة الساحل العربية الإسلامية المتاخمة للحبشة ...
والواقع ان الذى يستهوى فى شخصية شهرزاد ليس هو افتداء بنات جنسها وانما هو هذه القدرة الجديدة التى استعملتها فى ترويض الطاغية ونعنى بها قوة القص ... وبهذا تنفرد شخصية شهرزاد بخصيصة لا نظير لها فى كل الشخصيات التى حاول دارسو الفولكلور ايجاد المشابهة بينها وبين شهرزاد ...
فشهر زاد كامرأة وجسد لا قيمة لها فى الليالى ، وانما قدرتها الهامة هى قدرة الحكى ، هى قوة الابتكار ، او هى قوة الفن الذى استطاع أن يحيل شهريار من وحش الى انسان ، والذى استطاع ان يكتشف منطقة مجهولة فى النفس البشرية تزدهر بكل معنى سام وتستجيب لايحاء الفن ورسالته ..
وبهذا المعنى ارتبطت شخصية شهرزاد بشخصية الليالى نفسها ؛ فأصبحت الف ليلة وليلة تتسامى فى ظلالها مع ما تلقيه شخصية شهرزاد نفسها من ظلال وايحاءات ...

ويؤكد هذا المعنى الدكتور محمد غنيمى هلال فى كتابه الادب المقارن حيث يقول (اثرت الف ليلة على الادب الاوربى تأثيرات متنوعة وكثيرة فى المسرحيات والقصص، والشعر الغنائى والمسرحيات الغنائية ، وعظم تأثيرها بخاصة فى أواخر القرن الثامن عشر ثم طوال العهد الرومانتيكى ، وقد حملت الف ليلة وليلة كثيرا من

قضايا الرومانتيكية ، منها الهروب من واقع الحياة فى عالم خيـالى طيب سحرى ، ومنها السخرية بالملوك ، ومنها ترجيح العاطفة على العقل فى الاهتداء الى الحقائق الكبرى ، اذ ان شهرزاد قد هدت الملك الى انسانيته، وردته عن غريزته الوحشية ، لابواسطة المنطق بل بالعاطفة فصارت رمـزا للحقيقة التى يعرفها المرء عن طريق هذا الشعور والحب) .

***

وقد اجهد الدارسون انفسهم فى اصل الف ليلة وليلة وذهبت الدراسات الى البحث عن اصل هندى او يونانى او فارسى لليالى ، ولكنهم انتهوا اخر الامر الى ان الليـالى ملك للتراث العربى نفسه بكل ما حمل من اصول وافدة من ثقافات عرفها الشعب العربى ودرسها وترجمها وتأثر بها واثر فيها ــ ولعل الف ليلة تحل هذه المشكلة حين تقول عن شهرزاد (كانت قد قرأت الكتب والتواريخ وسير الملوك المتقدمين وأخبار الامم الماضين وقيل انها جمعت ألف كتـاب من كتب التواريخ المتعلقة بالامم السـالفة والملوك الخالية والشعراء) فالف ليلة وليلة حصيلة هذه الثقافة كلهـا ، وشهر زاد هى رمز ثقافة عصرها ، ثم هى رمز الثقافة المطـلق فى كل عصر ..

ويذهب الدارسون الى ان الجـزء الثانى من فاوست لجوته تأثر كثيرا بشخصية شهرزاد وان ملهاة شهرزاد التى الفها موريس رافيل هى انطبـاع مباشر احدثته ظلال هذه الشخصية الفريدة .. بل ان الدكتور غنيمى هلال يعد الف ليلة وليلة وغيرها من الاثار العربية اصـــلا من اصول المسرح الغنائى العالمى فيقول ان (اهميـــة الدراسات المقارنة فى هــذا الجنس الغنـائى ان الادب العربى والاداب الشرقية قد غذته بموضوعات مختلفة نضرب مثلا لها هنا بالموضـــوعات المأخوذة عن الف ليلة وليلة كالمسرحيات الاوربية الكثيرة التى عنوانها علاء الدين والمصباح السـحرى واخرى عنوانها معروف الاسكافى فى القاهرة وهى من تأليف هنرى رابو) .ونحن نضيف الى هذا ان تأثير الليالى لم يقف عند حد المسرح الغنائى بل لعله امتد الى القصة القصيرة فى نشأتها وخاصة فى العصر الرومانتى وخاصة فى الادب الالمانى ، وقد اشـــار كثير من الدارســـين الى الاثار الشرقية عند جوته وعند غيـره مما يشهد بأثر الليالى ..

الا ان اثر شهرزاد لم يكن هــو قصصها وحسب ، بل كان لها كما قلنا تأثيرها الفرد المميز ، ولعله يتضح فى الانتاج الذى اسـتوحاه ابناؤنا المعاصرون من شخصيتها هى، فكتب توفيق الحكيم مسرحية شهرزاد، وكتب مع طه حسين القصر المسحور، كما كتب طه حسين احلام شهرزاد وكتب عزيز اباظة مسرحية شـهريار وكتب علي احمد باكثير مسرحية من

شهــــرزاد

د . سهير القلماوي





د. شمس خلاف

شهـــرزاد

شهرزاد ، كما كتب كثيرون اعمالا اخرى اما مستوحاة من الليالى أو تدور حول الليالى أو تدور حــول الليلة الثانية بعد الالف ، اى بعــد انتهاء القصص وعودة شهريار الى دنيا الناس بعد ان طاف بدنيـــا اللذة الحسية لتبديها المتعة الوجدانية التى قدمتها شهرزاد ..

ونحن فى الواقع نجد أن شخصية شهرزاد لا تقـــوم الا والى جوارها شخصية شهريار ، فالمحور القصصى الاساسى لكل هذه الاعمال هو الموقف الذى يقفه شهريار من الحياة والناس وموقف الرفض والانتقام والاســـتعلاء ٠٠ وقد اخذ عزيز اباظة دورالسياسة فأسقط على شـــخصيته اسقاطات سياسية كثيرة تتمثل فى فساد الحكم وطغيان الفرد ، وكان دور شـــهرزاد فى هذه الحالة هدايته الى حقيقـــة العدل ومعنى التكفير عن الذنب لـــما ارتكبه فى مفاسد قصره وفى حكمه ... ويقول فى نهاية المسرحية :

سامضى ضاريا فى تخــومها
عتادى وازوادى بصيرة فاحص
اطوف بيت الله ثم تقودنى
نجومى فاقفو هـــديها غير ناكص

شهرزاد هنـــا استطاعت هداية شهريار الطاغيـــة وايصاله الى بر الايمان ، وهو طريق المعرفة الهادية الى التكفير عن الذنب .

والاسقاط السياسى عنـــد شهريار عزيز اباظة نجده يتكـــرر فى عملين اخرين هما سر شهرزاد لباكثير ، واحلام شهرزاد لطه حسين . الا ان عمل باكثير لا يقف كثيرا عنــــد الاسقاطات السياسية بل هو يهتــم بمعنى فنى اخر يحـــاول ابرازه من خلال شهر زاد ...

وعلى الرغم من ان كثيرين قـــد كتبوا عن سر شـــــهرزاد ناقدين ودارســـين ، الا ان موقف شهرزاد عند باكثير قد غمض حتى على اكثر النقاد دقة ، فشهرزاد عند باكثير هى الفن ورســـــالة شهرزاد فى المســــــرحية هى رسالة الفن فى راى باكثير ، ولهذا غير باكثير من احداث القصة الاصلية وجعـــل زوجة شهريار الاولى مظلومة تماما ، وجعل جريمة شهريار جريمة مزدوجة، اذ هى ليست قتل بدور وحدها،وانما هى أيضا قتلها ظلما ودون أن يتحقق ... وجعل من عذاب شهريار وسيلة لابراز وقع الجريمة على نفس لاتكتفى بالقتل شفاء لجرحها ، وانمـــا هى تريد ان تقتل وتقتل فى الحقيقـــة والخيال ارواء لعطش دائم يملأ نفسا تحس بالاثم وتحاول الهروب منـــه بتجسيد الجريمة على انها العمل الحق والواجب ، وتاتى شـــهرزاد لتعكس القضية أمام شهريار فتمثـــل امامه حقيقة جريمة بدور حين تلبس احدى جواريها ثياب العبد وتعيد تكرار قصة الخيانة ، وحين يهم شهريار بقتلهـــا وقتل العبد يكتشف أن العبـــد جارية وان شهرزاد بريئة ، ولذا فبدور هى الاخرى كانت بريئة ...

وبهذا تكون شهر زاد بهذه التمثيلية الثلاثة التى اصطنعتها امام شهريار انما تريد أن تؤكد ان ما تحكيه لتطهير شهريار هو تمثيل الحقيقة وعكسها ، وان الفن يظهر ما فى كل الحقيقة من جوانب متعددة يتعذر معها الحكم القاطع ، والفن هنا كشف وتطهير وتعليم للنفس معنى الإدراك لضعف الانسان امام الحكم ، فلا احد يستطيع ان يحكم على ما يشاهد ، ان اليقين لا يتاتى الا لمن يعرف كل الاسرار ، ولا يعرف كل الاسرار الا من يحكى القصة نفسه ، اما ابطال القصة فهم عاجزون عن الحكم فى قضاياهم لانهم لايعرفون سوى جوانبهم هم وحدها ٠

●●●

وموقف مشابه نجده عند طه حسين فى احلام شهرزاد ، فهنا نجد شهريار معنى بالقلق الاضطراب والتردد اذ انتهت شهرزاد من حكاياتها ، فلم يجد وسيلة تبعد عنه أشباح النساء المقتولات ولا صرخات ضميره المعذب ، ويقوده هاتف الى مخدع شهرزاد حيث يسمع منها فى الحلم قصة جديدة لم تحكها فى لياليها الالف والواحدة ، وفى القصة المحكية اسقاط سياسى عن الحرب والسلم وعن الحكم والحاكم والرعية والطغيان ، وفى اثناء سماع شهريار للقصة المحكية تقوده شهرزاد عبر المكان والزمان الى حكايته هو وعذاباته هو ليعرف انه لم يخرج من كل تجاربه بغير العجز والجهل اللذين هما كل حصيلة الانسان من تعبه ونصبه فى الحياة ، وحين يهتدى شهريار الى هذه الحقيقة تلتحم رغباته الجسدية مع رغباته الوجدانية فى نسيج واحد ، فلاإعطاء الجسد لا يعيش الا لبقاء الروح الذى يبرزه العمل الفنى الذى قدمته له شهرزاد عبر الليالى ثم عبر حلمها الجديد ٠٠

●●●

الا ان اروع ماكتب فى ادبنا المعاصر عن شهرزاد كان مسرحية توفيق الحكيم ، والحكيم لم يكلف نفسه بأى مضمون سياسى أو اجتماعى فى عمله ، وانما قدم لنا نموذجا لعناء الانسان فى رحلة البحث عن معنى وجوده ٠٠ وشهرزاد هى السر الطلسم الذى يحاول أن يكشف معناه ، ولو كشف معناه لعرف مكانه ٠٠ المسرحية هى ازمة شهريار حين يهتدى الى سر شهرزاد ٠٠ وفى البدء شهريار يسأل شهرزاد من هى :

شهرزاد : انا جسد جميل ٠٠ هل انا الا جسد جميل ؟!

شهريار : سحقا للجسد الجميل !

شهرزاد : انا قلب كبير ٠٠٠ هل انا الا قلب كبير ؟!

شهريار : سحقا للقلب الكبير ! ٠

شهرزاد اتنكر انك عشقت جسدى يوما ، وانك احببتنى بقلبك يوما ؟

شهريار : مضى كل هذا ، مضى ٠٠ (كالخاطب نفسه) انا اليوم انسان شقى ٠٠٠

شهرزاد : شهريار ٠٠ لا تيأس يا حبيبى !

شهريار : ابتعدى ايتها الكاذبة ٠٠ انت لا تحبين الا نفسك !

شهرزاد : اتظن هذا ؟!

شهريار : امرأة خادعة !

شهرزاد : ولماذا تبقى على الآن ؟

شهريار : اى شيطان اتى بى الى هنا ؟ ٠٠

شهرزاد : تبقى على لانك تجهلنى!

ولكن شهريار فى النهاية يعرفها ، يعرف انها ليست الجسد وليست القلب ولكنها الحقيقة ، والحقيقة حين يدركها الانسان ينتهى ٠٠ ان شهرزاد هنا هى النفس الكامنة فى اعماق الانسان ، تدفعه ليطلب الجسد فاذا ما وقف عنده فقد توقف عن النمو واصبح هذا كل وجوده ، ثم تدفعه الى الحب فان احس وعاش وجدانه واكتفى بهذا فهو انسان ناقص لم يصل الى الكمال بعد ، ثم تدفعه الى

الفكر فان فكر وحلق ودار بالدنيا واكتملت معه الدورة فقد عرف أن حصاد الانسان عبث . وكره وجوده ونفسه وتعالى على كل شىء فضاع وانتهى ...

وتقدم شهرزاد على التجربة فتضع امامه قصة خيانة جديدة ولكنه لا ينفعل لها ، انه غدا يعرف ان كل ارتباط بعواطف الثأر والحقد ارتباط جسدى لا معنى له ولا يمثل حقيقة يعيش من اجلها ، كما انه اصبح يعرف ان كل ارتباط بعواطف الحب والغيرة ارتباط وجداني ساذج يمثل الوهم الذى يبتيه الانسان لنفسه ، ويرتحل شهريار ويرتحل ، يهرب من المكان ، كما جعلته شهرزاد فى قصصها يهرب من الزمان ولكن فى كل مكان وفى كل زمان عليه أن يواجه رسالة الانسان الكبرى أن يعرف نفسه ... من هى شهرزاد ... من هى ... وحين يعرفها يفقد كل معنى للوجود ، فالوجود تطلع دائم الى المجهول اما أن عرف فقد هلك وضاع .

(شهرزاد ـ دار وصار الى نهاية دورة ...

العبد ـ أستطيع أن اعيده اليك ..

شهرزاد ـ خيال ، شهريار آخر الذى يعود ، يولد غضا ندياً من جديد أما هذا فشعرة بيضاء قد نزعت) .

شهرزاد عند الحكيم اذن جوهر الانسان نفسه ، ليست الفن أو الطبيعة أو المرأة أو العقل أو الحب كما ذهب كثيرون الى القول ، ولكنها جماع هذا كله .. هى الانسان نفسه ، هى الحقيقة ، الانسان دائما يسعى اليها فان وجد عندها الحقيقة ضاع وانتهت رسالته .. فهو انسان طالما يعيش اللذة ويقتل كل يوم عذراء وفيلتهم جسدها ، وهو انسان طالما ينهل من المعرفة تقوده شهرزاد من قصة الى قصة ، ولكن حين يستوعب الانسان كل هذا وينظر الى شهرزاد لا كجسد ولا كاكتشاف جديد يطالعه كل ليلة بسر جديد ، بل ينظر اليها ككيان عليه أن يعرفه ـ هنا يقف الانسان على حافة الهاوية المترعة ، فما خلق الانسان الا ليعيش الحقيقة لا ليدركها

وشهرزاد عند الحكيم كما هى عند طه حسين ، سر مغلق يجاهد شهريار أن يعرف كنهه فيستغلق عليه امره ، وحين يعرفه يصل الرجل الى آخر الطريق ، هو عند طه حسين الصراع وعند الحكيم الضياع والانطلاق فى رحلة المجهول بلا جذور فى الارض أو السماء ، ليولد منه الانسان الجديد صاحب الانتماء والباحث من جديد عن المعرفة ..

شهرزاد اذن أخصب شخصية نسائية شهدها تراثنا الادبى ، سواء بما قصته فى ألف ليلة وليلة من حكايات ، أو بما عاشته هى نفسها من حياة غدت رمزا حائرا عند الادباء والفنانين والمفكرين من أصحاب القلم ورواد الفكر ..

ومع هذا فشهرزاد ما زالت كنزا مجهولا لا يعرف أحد حقيقة ما يحتوى من در وجوهر ، ألف مفكر ومفكر فى دنيا الغد سيشغلون بها ليقدموا لها ألف تفسير وتفسير ، فهى بثرائها ووجودها ألف وجه ووجه لمعنى الانثى الخالدة نسقط عليها وجودنا وعواطفنا وآمالنا وأفكارنا الحية المتصارعة .

شهرزاد

أحمد



حديقة الورد

ادوار حنا سعد

بعدَ عاميْن من خصامٍ وبُعدِ
أذِنَ الدهرُ باللقا .. دونَ وَعدِ
فى أصيلٍ .. كبَسْمةِ الطفل .. صاف
وطريق . . كنِعمة الحب وردى (١)
كنت بينَ النَّدات رنحانة الصَّـ
ـف .. ولألاءه .. ودُرّةَ عقدِ
ورفيقاىَ وحشتى وكتابى
ذاك عهدى .. مذ ضاع عندكِ عهدى

***

فاجأتنى لقيـاك فارتج صدْرى
بالنقيضَيْن ، منْ فتورٍ ووجْد
وتهاوى الفتور فى رجعة الحب
جرىءَ المنى ، جديدَ التصدّى
وإذا القلبُ لا يزالُ بشوقى
مستطاراً ، وجذوتى ذاتَ وقدِ
ووشتْ بالحنين نظرة عينيـ
ـكِ على خفرةٍ .. وحمرة خدٍّ
ليسَ يجدى الكتمان فى نشوة القر
ب ، ورجعى أفراحنا ليسَ يُجدى

---

(١) حديقة الورد ، جزء من حدائق النزهة المعروفة بالاسكندرية .

في حديقة الورد

جمعتنا الأقدارُ شطرَي فؤاد
مستهام .. وشوقُ ندٍّ لندٍّ
قدرٌ لم يكنْ لنا من خيارٍ
في قضاهُ .. ولا له من مردٍّ

***

وقفتْ موجةُ الزمان وعادَتْ
بجناح الرؤى .. لأكرم عهد
فذكرتُ الأشواقَ وهيَ لهيبٌ
يغمرُ النفس في سلامٍ وبرد
ولقانا في الشطِّ والرمل يصغي
لنجاوٍ .. نعيدُ فيها ونبدي
ومراح الأمواج تحمل جسمينا ، ونطوي بها مسابح خلدِ
ونسيتُ الشجونَ حينَ توالتْ
بينَ وفد من الشكوك ووفد
ونسيتُ الخصام حينَ أثرناهُ .. عنيفا ، ما بين أخذ وردِّ
ومحا اليومُ كلَّ ماكان بالأمس
... سوى ناعم من الحبِّ رغد



نسجَ ليْلاته أمـــانى شـــبَاب
وحــلى صــبحه . أزاهــر ودٍّ

❁❁❁

ما لأتــــرابك التفتن وثرْثــــر
نَ ، فألزمننى عــلى الرغم حــدِّى
قد تغامَــــزْنَ من تحير خطْــوى
وتضـاحكْنَ بينَ لهــوٍ وجــدٍّ
أنا ســامٍ عن لغْوِهنَّ بلحــظٍ
يرفعُ السّترُ عن مطـــالع ســعدى
وتغير عليــــه طيف ابتســــامٍ
كشــعاعٍ فى غمرة الشك يهْــدى
ليْتَ نفسى . . يا توأم النفس تدْرِى
هل تسلّيت أو تغــيّرتِ بعــدى
هلْ حَملتِ الشجونَ فى البُعد مِثلى
أو حملتُ الشجونَ فى البعد وَحْدى
اشرقتْ بهجــة الرّبيع فــردى
نضرة القـــرب والمواعيــد ردّى
واجعلى وحشَــــة الجوانح أنساً
وأحيلى الأشــواك .. أوراق وردِ



المرأة في شعر العذريين

د. حسين نصار

خضع المجتمع العربي في أواخر العصر الجاهلي لتطور بعيد المدى واسع الآفاق، ابتعد به عما كان عليه في جوانب متعددة. ولما انبثق نور الإسلام منح هذا التطور مجالات جديدة، وسرعة مذهلة، جعلت الناس ينسون ما كان قد تم قبله.

فقد تخلص الوجدان الديني من أدران الوثنية وصفا، فاتصل بالذات الإلهية الحقة، وأنكر ما عداها، كما فعل الحنفاء.

وتحرر الفكر السياسي الرائد من بعض القيود القبلية. وأخذ يحس بالروابط التي تصل بين القبائل المتعددة وخاصة عندما داهمته الأخطار من الامبراطوريات حوله.

وتخلف السلوك الاجتماعي من كثير من المظاهر القديمة، التي ورثها من عصور الشظف والعنف. فرقت المشاعر وتهذبت الطباع.

وتغيرت العلاقة بين الرجل والمرأة.

فلم تعد المرأة منبع قلق وخشية للرجل يجب أن يئده، ولا محط متعة جنسية جافية، ولا مصنعا لانجاب المحاربين. لم تعد صورتها تلك التي سجلها القرآن الكريم لشيوخ القبائل. ولا تلك التي رسمها امرؤ القيس للشباب العابث، ولا تلك التي كشف عنها الفرزدق - الذي عاش بفكره وسط أمجاد الجاهلية على الرغم من معاصرة الأمويين - عند الشباب المقاتل.

وإنما صارت المرأة أعظم مجالي الجمال، صارت مخلوقا يتوفر له الحسن كله، ومن ثم كانت جديرة بعلاقة جديدة، تكاد تكون علاقة تعبد. وصار الرجل شغوفا بهذا المخلوق الجديد: يحبه، ويحرص عليه ويشتاق إليه، ويخلص له، ولا يرى له حياة إلا معه.

ولم يشغف الرجل بهذه المرأة في عموم جنسها، كما كان أسلافه يفعلون بل شغف بواحدة معينة، أحس أنها كل ما يريده، كما قال جميل بن عبد الله ابن معمر العذري في بثينة:

وددت ولا تغني الودادة - أنها نصيبي من الدنيا، وأني نصيبها

وقال :

رغبت عن الدنيا التي غير ودها   فما اسأل الدنيا ولا أستزيدها

فقد ملأت عليه حياته ، وشغلت فكره ، وتملكت قلبه ، فلم يعد يبالي بشيء غيرها . وما أكثر ما تمنى أن يفقد كل شيء ولا يبقى له سواها أو أن تخلو عليهما الدنيا . تمنى جميل أن تطرح بهما الاقدار الى البحر ، معدمين لا يملكان غير مجموعة من الاخشاب يربطان بعضها ببعض ويمتطيانها دون وجهة معينة ، لا يريدان غير الانفراد : فقال

تمنيت من حبي بثينة أننا   على رمث في البحر ليس لنا وفر

وتمنى عبد الله بن الدمينة أن يفقدا بشريتهما ، ويصيرا من الحيوانات فيغيبا في الصحراء يرعيان مرتفعاتها ، أو يحلقان في الجو بعيدا عن كل بصر أو يأويان الى جبل لا يستطيع أحد أن يصل اليه ، قال :

يا ليتنا فردا وحش ، نبيت معا   نرعى المتان ، ونخفى في فيافيها
وليت كدر القطا حلقن بي وبها   دون السماء ، فعشنا في خوافيها
وليت اني واياها على جبل   في رأس شاهقة صعب مراقيها

ولم يقنع قيس بن الملوح الذي عرف بلقب مجنون ليلى بذلك ، فزاد أن يبعثا معا عند موتهما ، ويحل مبعدة عن الناس ، فقال :

الا ليتنا حوتان في البحر نرتمي   ريانقا من الحوذان في بلد قفر
الا ليتنا كنا حمامي مفازة   نطير ، ونأوي بالعشي الى وكر
الا ليتنا حوتان في البحر نرتمي   اذا نحن امسينا بلجج في البحر
ويا ليتنا نحيا جميعا وليتنا   نصير اذا متنا ضجيعين في قبر
ضجيعين في قبر عن الناس معزل   ونقرن يوم البعث والحشر والنشر

وأشنع الى امنية كثير بن عبد الرحمن الخزاعي المشهورة ، التي أثارت عليه الأنباء ، وتمنى فيها أن يكون هو وحبيبته عزة بنت حميل الغفارية من



المرأة

في شعر العذريين

الإبل الجربى التي يطاردها الناس ..

ذلك هو الحب العذري ، نسبه العرب الى بني عذرة ، وهي قبيلة يمنية اشتهر رجالها بهذا اللون من الحب العفيف، ولكن هذه النسبة لا تعني أن القبائل الأخرى لم تضم نماذج منه ، فاننـــا نجد في بني عامر المجنون ، وفي كنانة قيس بن ذريح ، وفي خثعم ابن الدمينة وفي قشير الصمة بن عبد الله ، وفي نهد عبد الله بن عجـــلان وغيرهم كثيرون .

وقد انطلق الحب العذري أصـــحابه بمجموعة من الأشعار حظيت بالاعجاب الدائم والمتزايد ، بسبب ما امتازت به من حرارة في العاطفة ، وصفاء في النفس ، ورهافة في الحس ، وعفوية في النظم ، وعذوبة في اللفظ والموسيقى وما تعبر عنه من شعور انساني أبدي .

وكان من هؤلاء الشعراء من أخلص شعره كله أو معظمه لتجربته الغرامية فعرف بذلك ، واشتهر في ميـــدانه ، ووصفهم الأدباء بالشعراء العذريين . وكان منهم من تجاوز هذا النطاق ، وقال الشعر في أغراضه المختلفة الى جانب الغزل . فلم يعدهم بعض الأدباء في الشعراء العذريين . وأشهر من نعرف من هذا الفريق الشـــاعر الفارس الجاهلي عنترة بن شداد صاحب عبلة والشاعر الشيعي المداح كثير ، والشاعر البدوي الأموي ذو الرمة صاحب مية .

***

والشعر العذري مختلط اختلاطا بعيد المدى ، تنسب المقطوعة الواحدة منه الى أكثر من شاعر ، وتضم القصيدة الفردة خليطا من الأبيات المتفقـــة في الوزن والقافية ، غير أن الشواهد الداخلية تؤكد عدم وحدتها ، وكونها ملفقة من أبيات أو مقطوعات متفرقة لشاعر واحد أو شـــعراء متعددين . فلو نظرنا في ديوان قيس بن ذريح مثلا ، وهو من الدواوين الصغيرة ، وجدنا شعره يختلط بشعر ٢٥ شاعرا ، أهمهم مجنون ليلى الذي ينازعه ٢٤ قطعة ، ثم جميـــل بثينة الذي ينازعه ١٢ قطعة . بل من القطع فيه ما يتنازعه سبعة شعراء .

وقد تعـــذر على الأدباء قدمائهم ومحدثيهم أن يحصروا هذا الشعر ، ويميزوا بينه ، وينسبوا كل قطعة منه الى صاحبها الحق . وأســـباب هذا التعذر متعددة .

فالتجربة التي خاضها الشـــعراء العذريون واحـــدة ، فهي علاقة حب مخلص لم تصل الى نتيجتها الطبيعية، لتصدي عدد من العوائق تفصل الرجل عن المرأة ... هي اذن حب محروم .

والمرأة التي ألهمت هؤلاء الشعراء غير معروفة . فقد أغفلوا اسمها في بعض شعرهم . وصرحوا في بعضـــه بالاسم ، وفي بعضه بالكنية . وآثروا في بعضه بأسماء غير الأسماء الحقيقية اما للتعميـــة ، واما لاقامة الوزن والقافية ، واما لأن هذه الأسماء خفت على ألسنتهم فترددت في أشعارهم .

وإذا عدلنا عن الاسماء الى الصفات التي خلعها الشعراء على ملهماتهم ، وجدناها متقاربة بل متشابهة ٠ فقد اضفى الوفاء والحرمان على محبوباتهم بهاء فوق بهائهن ٠ ولم يعد المحب يرى حبيبته فى واقعها أو قريبة منه ، بل يراها من خلال سجف ينسجها الحرمان ويحيطها الوفاء ، ويوشيها الخيال ٠ فجاءت صورة المرأة فى هذا الشعر صورة مثالية ، ابدعها الخيال الملتاع ٠

ولم يعمد هؤلاء الشعراء الى التأني فى شعرهم ، وقنعوا به فور مواجهتهم حدثا يهيج مشاعرهم ٠ فلم يخضعوا لشيء كبير من الصناعة الفنية ، فجاء عفوا أو اقـــرب ما يكون الى العفو ، معبرا تعبيرا مباشرا عن الحدث الذى يتناوله ٠

فأدى هذا كله الى تشـــــابه أكثر العذريين فى شعرهم ، ولم يمتز منه الا ما عبر عن حدث خاص فى حيـــــاة صاحبه ، لم يقع مثله لزملائه ٠

والنتيجة الطبيعية اذن ان هـــذا الشعر لا يكشف اغلبه عن خصـــائص يمكن ان ينسبها القارىء الى هـــذه الحبيبة أو تلك ٠

فمن التعذر اذن أن نستخلص صورة بثينة من شعر جميل ، أو صورة لبنى من شــعر قيس بن ذريح ٠٠ الخ ٠ والاقرب الى الصواب أن نستخلص من مجموع هذا الشعر صورة عامة ، هى فى الحقيقة صورة الجمال المثالى عند العرب ، وصورة ملهمة الشعر العذرى عامة ، وفى اعتقادى انها لا تختلف كثيراً عن صـــورة ملهمة جميل أو المجنون أو قيس أو غيرهن ٠

ولكن ذلك القول لا يعنى أن الشعراء العذريين جميعا أو من وصلت الينـــا دواوينهم قد تســـــاووا فى الاهتمام بتصوير ملهماتهم ٠ فقد كان منهم من ابرز فى ديوانه صورة تامة لحبيبته ومن أهمل جوانب منها ٠ وكان منهم من عنى بالجانب الخلقى ، ومن عنى بالجانب البدنى ، وكان منهم من اتجه اتجاها عاما ومن أعطى سمات محددة

وأقل الشـــعراء اهتماما بتصوير ملهمته قيس بن ذريح ، وعبد الله بن العجلان ، فبهتت صورهن لدينا ، واحتجنا الى من يوضح بعض ما أهمله الشاعر ٠

اما ملهمة قيس فهى ام معمر لبنى بنت الحباب ، من بنى كعب بن خزاعة ، الذين كانوا يسكنون قريبا من مكة ٠ ولما كانت أمه من هذه القبيلة فقد كان دائم التردد عليهـــا لزيارة أخواله ٠ ويقال ان الحر اشتد عليه فى احدى هذه الزيارات ، فسأل ماء من اقرب المنازل اليه ، فبرزت اليه لبنى فسقته ، فاعجب بها ، وتردد عليها ، الى أن كان منهما ما كان ٠

ويصف الواصفون لبنى فيجعلـــونها بهية الطلعة حلوة المنظر ، مديدة القامة ، عذبة الكلام ، يخالط سواد عينيها زرقة

واكد قيس بعض هذه الاوصاف حين جعل من لبنى غادة غريرة مثالا للجمال تعجب به العين ، ويرتاح اليـــه القلب فيلازمه :

لقد كان فيها للامانة موضـــــع ... وللقلب مرتاد ، وللعين منظـــر
وللحائم العطشان رى بريقهـــــا ... وللمرح المختال خمر ومســـكر

ثم التفت بعض الالتفات الى جسدها ، ٠ فراها اكمل الناس واحسنهم :

يا اكمل الناس من قرن الى قدم   واحسن الناس ذا ثوب وعريانا

وراها ذات خصر دقيق ، وكفل غليظ مرتج اذا سارت اسرع اليها التعب .

اذا عبتها شبهتها البـــدر طالعا   وحسبك من عيب لها شبه البـــدر
لقد فضلت لبنى على الناس مثلما   على ألف شهر فضلت ليلة القدر
اذا ما مشت شبرا من الارض ارجفت   من البهر حتى ما تزيد على شبر
لها كفل يرتج منها اذا مشـــت   ومتن كغصن البان مضطمر الخصر

وهذه الصورة هي الصورة التقليدية لقوام المرأة العربية ، نجدها في اكثر الغزل ، ما كان عذريا منه وما لم يكن . فلا غرابة أن تجد هذه الابيات موزعة النسبة بين قيس وجميل والمجنون .

كذلك لا ينفرد قيس بن ذريح بالمبالغة في تصوير رقة جسد حبيبته ، ممـــا يميل بي الى الشك في صحة نســبة الابيات التي تتحدث عنها اليه ، بل في صحة نسبتها الى العصر الاموي كله :

يكاد حباب المـــاء يخدش جلدها   اذا اغتسلت بالماء من رقة الجـلد
ولو لبست ثوبا من الورد خالصا   لخدش منهـــا جلدها ورق الورد
يثقلها لبس الحـــــرير للينها   وتشكو الى جاراتها ثقل العقـــد
وارحم خديهـــا اذا ما لحظتهـــا   حذارا للحظي أن يؤثر في الخـــد

واكتفى قيس بوصف وجهها بالجمال، وريقها بالاسكار ، ولونهـــا بالاشراق كانها بدر ، ولم يتعرض لشيء اخـــر من جسدها .

فاذا ما تركنا الوصف الجسدي الى الخلقي والســلوكي وجدناها امينة عفيفة ، طيبة الذكر ، رخيمة النطق ، حلوة الدلال .

ويمنح عبد الله بن الدمينة صورة ملهمته من العناية اكثر مما اعطاها قيس بن ذريح فجاءت صورتها اوضح من صورة لبنى .

وليس في الاخبار الا انها اميمة ، من قوم ابن الدمينة ، احبها واحبته ، وتجنى عليها بالهجر ، وتجنت عليه ، وانها كانت قادرة على نظم الشعر . قالت مرة تخاطب عبد الله :

ايا حســـن العينين : انت قتلتني   ويا فارس الخيلين : انت شفانيا
ورغبتني النقا الطـــويل بقربة   على نقا لم يشف منها قوانيا

ووصفها عبد الله بالانسة الخريدة الغيداء العذراء المنعمة الخاليـــة من العيوب ، كانها الدمية او الظبية او المهاة او الشاة ، التي تزين الدنيا .

وبيضـــــاء مثل مهـــاة الكثيـــب لا عيب فيهـــا لمن ينظـــر
وتبسم عن شـــبه الاقحـــوان باتت خمـــائله تمطــــر

وعني بجسدها عنــــاية خاصة ، فافاض في الحديث عن لونه الابيض الشبيه بسحابة الصيف ، وامتلائه ، ونعمته :

واقيد مجلس بدن ثقال الخـــطا   هيف البطون ، ثوات شعب كامل



يبسمن عن برد أحم ، رضابه   كالشهد ، لارصف ولا متثاعل
يفتر روض حنائم صيفية   بين الدجى وغروب كل أصائل
عجبا لبهجة ذات دل ، فضلها   باد ، وهن ذوات دل فاضل

ثم جال عبد الله ببصره في جسد أميمة ، فوقف مبهورا عند عجزها المتلىء وخصرها الدقيق ، ولم يستطع أن ينس جمال ما رأى ، بل ألح عليه في كل شعر قاله :

ولقد رأيت بهـا أوانس كالدمى   قب البطون ، رواجح الأكفال
غيد المتون ، خصورهن لطائف   جم الترائب والنحور ، حوالى

واتصل بالخصر عند البطن والحشا ، فوصفهما أيضا بالدقة والضمور واللطافة . وكانت وقفته التالية عند عينيها القاتلتين ، اللتين تخيلهما عيني مهاة أو جؤذر من بقر الوحش .

ولم يطل الوقوف عند عنقها الطويل الشبيه بعنق المها أو الظبي ، أو عند ظهرها اللين الطويل ، أو ترائبها البيض ، او ساقها الممتلئة . ولكن أطرافها لفتت منه النظر بامتلائها وبضاضتها وبأصابعها الناعمة المخضبة بالحناء التي أشبهت النبات الزاهي أو الحرير الرقيق :

أتحرقني ـ يا رب ـ ان عجت عرجة   على رخصة الاطراف ، طيبة النشر
شنباك ملاث المرط ، ممكورة الحشا   بعيدة مهوى القرط ، مهضومة الخصر

ولم يغفل الرأس كما فعل قيس بن ذريح وكانت وقفته الطويلة عند فمها فقد كانت أسنانها كما يهوى الرجل العربي : بيضاء ، منتظمة ، حادة ، مشرقة ، غير متلاصقة ولا ساقطة ، كأنها البرد أو الاقاحي ، وكانت لثتها رقيقة أقرب الى السواد . وكان ريقها عذبا ذكر الشاعر بالخمر ، والشهد ، وماء السحب ، بل ذكره في بعض الاحيان بها مجتمعة .

والتفت التفاتة سريعة الى جيدها الجميل ، الذي لا يفقد جماله حليته أو نزعت عنه الحلى ، والى خدها الاملس الصلت ، وكأنما هي ظبية في جيدها أو خدها ، ووهب الالتفات نفسها لشعرها المقرص .

وما ماء مزن في « حجيلاء » دونها   مناكب من شم الذرا ولهوب
صفا في ظلال ، بارد ، وتطلعت   به فرط يقتادهن صبوب
بأطيب من فيها مذاقا ، وانني   بشيمي ـ اذا ابصرته ـ لطبيب
هنيئا لعود الضرو شهد يناله   على خصرات ريقهن عذوب
ومنصبها حمش ، احم ، يزينه   عوارض فيها شنبة وغروب
بما قد تسقى من سلاف ، وضمه   بنان كهداب الدمقس خضيب

المرأة

في شعر العذريين

ولم يهمل عبد الله اخلاقها فقد كانت عفيفة ، ابية ، مهذبة الطباع ، طيبة الذكر ، اناة ، لا تكثر الحركة ، ولا تسرع الى القول الفاحش . ولا اهمل دلالها المليح الذى ينقاد له كل وصف ، ولا حديثها النثر الشهى الشبيه بالخمر الذى لا تمله مهما طال استماعك اليه :

وما كانت بمـــدلاج خـــروج ... ولا عجلى بمنطقها هبـــوص
وما كانت بجـــافية السجايا ... ولا صفر الثيـــاب ولا نجـوص
ولكن غير جافيــــــــة فتقلى ... ثقال المشي ، ذات حشا خميص
مبتلة ، منعمـــــة ، نقـــــال ... تبســــم عن اشانب غير فيص
لها جيد الغـــــزال ومقلتـــاه ... وعالى النبت ميال العقـــوص
كان رضابها عســـل مصفى ... بماء نقـــا يســـارية عروص

***

ويتغير الامر عندما نصل الى جميل بن معمر وقيس بن الملوح مجنون ليلى اذ تكثر الاشعار ، وتتوالى الصفات ، التى تصف كل واحد من ملامح بثينة الاحبية وليلى العـــامرية وسماتهما ، ولا تكاد تترك شيئا . ومن ثم يمكن القول اننا لدينا تمثال دقيق يمثل كلا من المرأتين فى كل شيء ، غير ان العوامل التى تحدثت عنها ســابقا قاربت بين التمثـــالين حتى كانت تزيل كل فارق بينهما . ولذلك ابيح لنفسى الجمـــع بينهما مع الاشارة من وقت لاخر الى الفروق ان تبينت فى شـــعر الشاعرين شيئا منها .

ويتفق كل من الشـــاعرين على ان صاحبته جمعت المحاسن فلا يمـــاثلها شيء . ويشبهها كل منهما بالقمر او الشمس او ما اشتهر بالحســـن من الحيوان كالظبية والنعجة والبقرة بل يفضلها على كل ذلك . ولكن المجنون يفيض ويتدفق فى هـــذه الموازنات على حين لا يورد جميل منها غير الاشارات السريعة :

اتيرى مكان البدر ان افل البـــدر ... وقومى مقام الشمس ما استأخر الفجر
ففيك من الشمس المنيرة ضـــوءها ... وليس لها منك التبسم والثغـــر
بلى لك نور الشمس والبـــدر كله ... ولا حملت عينيـــك شمس ولا بدر
لك الشرقة اللألاء والبدر طـــالع ... وليس لها منك الترائب والنحـــر
ومن اين للشمس المنيرة بالضحى ... بمكحولة العينين فى طرفهـــا فتر
وانى لها من دل ليلى اذا انثنت ... بعينى مهاة الرمل قد مسها الذعر
تبسم ليلى عن ثنـــايا كانهـــا ... اقاح بجرعاء « المراضين » او در
منعمة لو باشر الـــــذر جلدها ... لاثر منهـــا فى مدارجها الـــذر
اذا انبلت تمشى تقـــارب خطوها ... الى الاقرب الادنى تقسمها البهر
مريضة اثناء التعطف انهـــــا ... تخاف على الارداف يثلمها الخصر
فما ام خشـــف « العقيقين » ترعوى ... الى رشـــا طفل مفاصــــله خضر
بمخضلة جاد الربيـــــع زهاءها ... رهائم وسمى ســــحائبه غزر

وأوفى على روض الخزامى نسيمها ... وأنوارها ، واخضوضل الورق النضر
تقلب عيني خـــازل بين مرعـــو ... وأثار آيات وقد راحت العطـــر
بأحسن من ليلى معيـــدة نظـــرة ... إلى التفاتا حين ولت بها السفـــر

وقد أدت هذه الموازنات إلى إيراد مجموعة من الأخبـــار الحقة والباطلة تصور المجنون مولعا بهذه الحيوانات، عطوفا عليها ، حريصا على حياتها ، لا يطيق أن يراها تتحمـــل الأذى بل يسرع إلى نجدتها •

كذلك أفاض في الانطباعات التي عبر عن مشاعره إزاء جمـــال ليلى الباهر الفاضة لا نرى لها أثرا عند جميل :

فلو كنت ماء كنت ماء مـــزنة ... ولو كنت نوما كنت من غفوة الفجر
ولو كانت ليلا كنت ليل تواصـــل ... ولو كنت نجما كنت بدر الدجى يسري

وقال :

فلو أنها تدعو الحمـــام أجابها ... ولو كلمت ميتـــا إذن لتكلمـــا
ولو مسحت بالكف أعمى لأذهبت ... عمـــاه وشيكا ثم عاد بلا عمى

واتفق الشـــاعران على وصف ملهمتيهما بذكاء الرائحـــة وطيبها • وعني المجنون عناية خاصة بالرائحـــة المنبعثة من فم ملهمته ، فشبهها برائحة القرنفلة والمسك والمطر • وفي الوقت نفسه لم يغفل رائحة أنفها المدهـــون بالمسك ، ولا شعرها الشبيه بالأقحوانة، ولا ثيابها التي تنشر الطيب في كل مكان

أما جميل فلم يحدد لرائحة بثينة عضوا معينا ، وذكرته تلك الرائحـــة بخزامى منطقة عالج ، أو بالرياض عامة ، أو المسك والعنبر :

كأن خزامى عالج في ثيابهـــا ... بعيد الكرى أو فار مســـك تذيع
كأن الذي يحتزها من ثيابهـــا ... على رمـــلة من عالج متبـــطح
وبالمسك نائيه الجنوب إذا جرت ... له الخير أم ريا بثينة تنفـــح

وعلى الرغم من ذلك كان جميل أكثر ولعا بالرائحة ، فأكثر من الحديث عنها في شعره •

وعني الشاعران عناية متقاربة بلون المحبوبة • فكانت ليلى بيضـــاء مشربة شيئا من الصفرة ، كأنهـــا الغمامة الصيفية ، بل هي أجمل • وكانت بثينة بيضاء مشربة شيئا قليـــلا من السمرة ، تفوق السحب ، وكأنمـــا هي اللؤلؤة يحتفظ بها بعض أشراف الفرس

قال المجنون :

بيضاء ، يلكرها النعيم ، كأنهـــا ... قمر توسط جنح ليل أســـود
موسومة بالحسن ، ذات حواســـد ... إن الحســـان مظنـــة للحسد

وأعطى الشاعران حركة صاحبتيهما عناية متساوية ، فصوراهما متأنيتين قريبتي الخطو ، تسيران الهوينى •

وتساويا في العناية باللباس الحريري الذي ترتديه كل من المرأتين ، وتسحب ذيله على الأرض ، فتبث فيهـــا الريح الطيبة •

واختلفا قليلا في العناية بالحديث، فصور المجنون ليلى نثرة الحديث ، إن تكلمت أصابت ، وتفوهت بما لا يسمع الناس مثالا له ، وكان حديثها أشهى من الشراب البارد عند الظمآن • ومن ثم فهو غير مطول ولو سمعه السامع مصوبا طوالا • واكتفى جميل بأن صور حديث بثينة درا أو شهدا •

وتساوى الرجلان في العناية بالأخلاق فاتفقا على أن صاحبة كل منهما حيية

لا تعرف الصخب ولا الفحش ، حلوة الدلال . وتمثل الحياء فى ليلى فى العفة والمنعة ، وفى بثينة فى الوقار الذى لا يماثله وقار ، وفى لزوم المنزل ، وأضاف اليهما جميل صلاح الدين . قال :

قطوف ، ألوف للحجال ، يزينها ... مع الدل منها جسمها وحياؤها
منعمة ، ليست بصرداء سلفع ... طويل لجيران البيوت نداؤها
فتلك من النسوان كل شريرة ... صخوب ، كثير فحشها وبذاؤها

وعنى الرجلان عناية فائقة بالوصف الجسدى لصاحبتيهما . فوصفاهما بالامتلاء والنعمة والبضاضة ، فجاءت ليلى كالغصن أو الخيزرانة فى اللين ، وفاقت الغزال فى الحسن ، وجاءت بثينة كالرملة تملأ الثياب وتزينها .

قال جميل :

صادت فؤادى بعينيها ومبتسم ... كأنه حين ابدته لنا برد
عذب كأن ذكى المسك خالطه ... والزنجبيل وماء المزن والشهد
وجيد أدماء تحنوه الى رشا ... أغن لم يتبعها مثله ولد
رجراجة رخصة الأطراف ناعمة ... تكاد من بدنها فى البيت تنخضد
خدل مخلخلها ، وعث مؤزرها ... هيفاء لم يغذها بؤس ولا وبد
هيفاء مقبلة ، عجزاء مدبرة ... تمت فليس يرى فى خلقها أود

ووقف الرجلان وقفة متكررة عند خصر صاحبتيهما الدقيق ، وحشاهما الضامر ، وعجزهما الممتلىء ، وكفلهما الناتىء ، وأردافهما الغليظة . وهى الصورة التقليدية لجمال المرأة العربية ، غير أن العجز كان له ذكرى خاصة عند جميل ، فقد كان أول ما أعجبه من بثينة ، قال :

لقد أورثت قلبى ، وكان مصححا ... بثينة صدعا يوم طار رداؤها

ويبدو أنه كان على جمال خاص أخاذ حمل صاحبته على التباهى به ، وصاحبها على الاشادة بوصفه كلما تغزل بها :

اذا ضربتها الريح فى المرط اجفلت ... مآكمها ، والريح فى المرط افضح
ترى المرط يلعن الرياح اذا جرت ... وبثينة ان هبت لها الريح تفرح
اذا المرط حانت الرياح رأيتها ... من العجب لولا خشية الله تمرح

كذلك عنى جميل أكثر من رفيقه بنحر بثينة الواضح ، الذى فاق الظباء بل جميع المخلوقات حسنا ، وبأطرافها المتلئة البضة .

وزادت عناية المجنون على عناية جميل فى وصف رقة جلد ليلى حتى أتى بالصورة التى رأيناها سابقا ، والتى تماثل ما جاء به ابن ذريح .

وتساوت عناية الاثنين بالبطن الضامر اللطيف الطى ، وعنايتهما بالظهر العريض من ليلى والضامر من بثينة .

وانفرد جميل بالحديث عن صدر صاحبته الابيض كالرخام ، والجنون

بالتثنى بثدى صاحبته البارز كأنه حق من العاج ، وبسالفتها الشبيهة بسالفة الظبى ، وبعنقها الطويل الذى يذكر بعنق الغزال · قال المجنون :

ليالى أصبو بالعشى وبالضحى ... الى خرد لبست بسود ولا عصل
منعمة الاطراف ، هيف بطونها ... كواعب تمشى مشية الخيل فى الوحل
وأعناقها أعناق غزلان رملة ... وأعينها من أعين البقر النجل

فاذا ما ارتفعنا بأبصارنا وجدنا جميلا ينفرد بالحديث عن جبين بثينة الواضح ، وملامحها المستحبة ، ووجدنا المجنون ينفرد بالحديث عن شعر ليلى الاسود الغزير الذى جعلته على هيئة العناقيد ، وصدغها الذى يشتمل على ما يشبه العقرب اللاسعة ·

وأعطى المجنون عناية فائقة بالوجه والعيون والخد ، فقد كانت ليلى ترشية الديباجة ، مشرقة الوجه ، تشبه الغزالة وتفوق البدر ، وتسبى الوقور ، وتجلب الغيور :

ووجه له ديباجة قرشية ... به تكشف البلوى ، ويستنزل القطر
ويهتز من تحت الثياب قوامها ... كما اهتز غصن البان والفنن النضر

وقد كانت عيون المراتين سوداء نجلاء حوراء ، كانهما عيون البقر او الظباء · واضاف المجنون الى هذه الصفات الملاحة والفتنة والغض والفتور والاستغناء عن الكحل ، وانها ترمى لتصيد ، وتبعث لوعات الحب ، ولم يضف جميل غير الدعج ·

واتسمت خدود المراتين بالملاحة ، التى اضاف اليها المجنون الوضوح ومنح جميل الاسنان والريق عنايته الفائقة ، فاكثر من الحديث عنهما ، وان لم تزد أوصافه لهما كثيرا عن أوصاف المجنون · كانت المراتان ذواتى ريق طيب كالخمر أو المسك ، واسنان مفلجة كالاقاحى بيضاء مشرقة كانها الدر او البرد ، واضاف جميل الى ذلك العذوبة والنقاء والصغر · قال جميل·

خليلى : هل فى نظرة بعد توبة ... اداوى بها قلبى على فجور ؟
الى رجح الاكفال ، هيف خصورها ... عذاب الثنايا ، ريقهن طهور

ثم تساوت عناية الرجلين بالثغور ، التى اتفقا على وصفها بالوضوح وحسن الابتسام · ثم انطلق جميل فاضاف العذوبة وطيب الرائحة وكانما خالطها المسك أو الزنجبيل او ماء المزن · وانطلق المجنون فأعلن ان ابتسامتها تاسر الحليم وتميزها عن الشمس ·

وخلاصة القول ان الشعر المنسوب الى مجنون ليلى يحتوى على أوسع صورة للهمة الشعر العذرى · ولكن الامر الذى اخشاه أن تكون هذه الصورة ملفقة من اشعار لشعراء متعددين تغزلوا بلياليهم فاضيفت اشعارهم الى شعر صاحب اشهر ليلى ، كما أعلن الجاحظ قديما ·

ولا تقل الصورة التى يقدمها شعر جميل عنها فى الاتساع الا قليلا ثم تاتى بقية صور الشعراء ، التى تؤكد ما وجدنا عند جميل والمجنون ، ولا تتنافى معه ·

ولذلك ابيح لنفسى ان انتهى بأن اقول ان الصورة التى يقدمها الشعر العذرى – بعد نفى الخبث عنه – واحدة ، هى صورة الجمال المثالى فى نظر العربى [illegible]

د. أحمد كمال زكي

كُثَيِّر

أكانت عزّة تلهمُه؟!

في الحكايات ان امراة لقيت كثير بن أبي جمعة ـ وكان على ضآلته ودمامته شاعرا كبيرا من شعراء بني امية ـ فسألته : هل انت كثير ؟
قال : نعم !

فقالت : والله لقد رايتك فما اخذتك عيني !
قال : وانا والله لقد رايتك فاقتحمتك عيني !

فقالت : والله لقد سفل الله بك اذ جعلت لا تعرف الا بامراة .
قال : ما سفل الله بي .. ولكن رفع بها ذكري ، واستنار بها امري ، واستحكم شعري ، وهي كما اقول :

واني لتسمو بالوصال الى التي ... يكون شفاء ذكرها وازديارها

***

اذا اخفيت كانت لعينك قـــرة ... وان بحت يوما لم يعمك عارها

فقالت المراة : مر فيها ! وكأنها اشتهت بما اورده من تصوير ونعوت . فلما بلغ قوله :

وما روضة بالحزن طيبة الثرى ... يمج الندى جثجاثها وعرارها

***

ياطيب من اردان عزة موهنـــا ... اذا اوقدت بالمجمر اللدن نارها

فعابت المراة تقول : كان امرؤ القيس احسن نعتا لصاحبته حيث يقول:

الم ترياني كلمـا جئـت طارقا ... وجدت بها طيبـا وان تطيب

وكان في شعره القليل الذي وصل لنا يكنيها بام عمرو ، ويذكر معهـا اسماء وام الحويرث الخزاعية ، كما وصفها بالبهاء والجمال ، جاعلا اياها

عزيزة شريفة ، فلما كتب الرواة عنها نقلوا قول من قال انهـا كانت امرأة حلوة حميراء نظيفة ، واذا تحـدثت صارت أبرع الناس وأحلاهم كلاما ، قالت أم البنين قسـيمة بنت عياض الاسلمية : ما فارقتاها الا ولها علينا الفضل في أعيننا ، وما نرى في الدنيا امرأة تروقها جمالا وحسنا وحلاوة ! وفي بيت رشيق برغم الافراط فيه قال كثير :

ولو ان عزة خاصـمت شمس الضحى
في الحسـن عند موفق لقضى لهـا

هذا برغم حرصه ـ في مواضـع اخرى ـ على أن يقرنها بها وبالغزالة، لتكون مليحة الدل ، تبغض ان تخلف مواعيدها ،ولا تماطل الا في شيء واحد هو ان تنيله منها ... ولقد دخلت على عبد الملك بن مروان وقد أسنت ، فسألها كالمستنكر : أنت عزة كثير ؟

فأجابت : بل انا عزة بنت حميل .
فقال : أنت التي يقول فيك كثير :

لعزة نار ما تبوخ كأنهـا   إذا ما رمقناها من البعد كوكب

فما الذي اعجبه منك ؟

قالت : كلا يا أمير المؤمنين ... فوالله لقد كنت في عهده أحسن من النار في الليلة القرة .

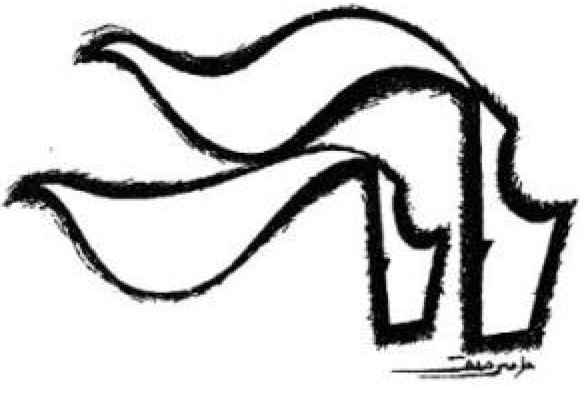
وقيل بل قالت : أعجبه مني ما أعجب المسلمين منك حين صيروك خليفة ! فضحك حتى بدت له سن سوداء طالما حرص على اخفائها ، فقالت : هذا الذي اردت ان أبديه .

فسألها : هـل تروين قول كثير فيك :

وقد زعمت اني تغيرت بعـدها   ومن ذا الذي يا عـز لا يتغير

***

تغير جسمي والخليقـة كالتي   عهدت ولم يخبر بسرك مخبـر



قالت : لا يا مولاى ، ولكني أروى قوله :

كأني أنادي صخرة حين أعرضت من الصم لو تمشي بها العصم زلت

***

صفوحا فما تلقاك الا بخيلة فمن مل منها ذلك الوصل ملت

وعلى هذا النحو تتواتر الاخبار والاشعار عن عزة ، وفى المقابل نجد كثيرا الشكل الدميم موزعا نسبه فى مضر وخزاعة ، وقد يدعى انه من قريش وتجده ايضاً بشع المنظر مضحكا فى عين من يراه ، وقد زعم – يوماً – لعمة له انه يونس بن متى ، وحرص قوم من اهل يثرب ان يلعبوا به ويهزأوا ، وخلعوا عنه رداءه مرة فلم يلتفت اليهم – لتيهه – ومشى فى قميصه لا يلوى على شيء

وقد روى انه فى مرض الموت سأل عواده : بم يتحدث الناس ؟ فقالوا بانك الدجال ! ولما كان الدجال اعور – على ما تقول الحكايات – فقد اسرع يقول : اما اذ قلتم هذا ، فانى لاجد فى عينى هذه الما منذ ايام !

وكان اذا رأى اطفال بنى هاشم يقول : بأبى انتم .. هؤلاء الانبياء الصغار !

واذا اخذ عطاءه وهب الاولاد حسن بن الحسن الدراهم وهو يقول : بأبى الانبياء الصغار ! وكان لا يعطى محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان – مع انه اخوهم لامهم – فاذا قال له الغلام : يا عم هب لى ... قال لا ، لست من الشجرة !

وكل هذه ابيات خسة ولؤم وصفات تطبع وبعد عن رقة الحس أو دقة الشعور وقوة العاطفة ، ومن كتب عنه من المحدثين – كالدكتور طه حسين – سلقه بلسان حاد ، ولم يسلم من تعريض غيره ، وسكت عنه الدكتور شكرى فيصل فى كتاب ضخم عنوانه « تطور الغزل بين الجاهلية والاسلام » .

فماذا تفهم من كل هذا ؟

لكى نجيب عن هذا السؤال ينبغى ان نتفهم المحيط الذى وضع فيه كثير عزة ، من هو ذلك الشاعر العجيب الذى سلكه ابن سلام الجمحى مع فحول بنى امية كجرير والفرزدق ، .. اتراه كان مثل هذين هجاء مقذعا ، ام هو سياسى كالفرزدق خاصة يحامى عن تميم ويمدح الاموية ؟

اما انه كان هجاء فأمر ترفضه ، بل لعله كان يهرب من الهجاء لانه ضائع النسب مجهول الاصل ، ولانه قمىء قصير مضحك ، ثم لانه كان يقول بالرجعة ويزعم ان الارواح تتناسخ محتجا بقوله تعالى « فى اى صورة ما شاء ركبك » الا ترى انه حوله من صورة فى صورة . وفى لحظاته الاخيرة التى تشبه فيها بالدجال يروى أن عبد الله بن حسن بن الحسن دخل عليه فقال له : ابشر ، فكأنك بى بعد اربعين ليلة قد طلعت عليك على فرس عتيق ، فقال له عبد الله : مالك عليك لعنة الله ، فوالله لئن مت لا اشهدك ولا اعودك ولا اكلمك ابدا !

وكل هذا ــ ومثـــله وارد فى حكاياته ــ لا يمكن أن يقدم لنا صورة العاشق الوامق الذى تطـــير بذكره الاشعار • فليس هو مؤهلا خلقيا ليكون كما كان المرقش فى الجاهلية ، وكمـا كان عروة بن حزام فى الاسلام ، ثم كما كان جميل وعمر بن أبى ربيعـــة فى عصر الامويين • والاخيران بصفة خاصة كانا نمطين فذين فى دنيا العشق والفن ، فيبدو ازاءهما كثير كأنه دخيل طارىء على تلك الدنيا •

والحقيقة أن استحقاق كثير مكانة بارزة بين مشاهير الشعراء الغزليين ــ حتى لقد قرن اسمه باسم صاحبته فقيل كثير عزة كما قيل جميل بثينة ــ يكاد لا يعدو استحقاق أبى نواس ان تكون له قائمة بين القائمين على شعر الزهد برغم معالجتهم له •

ومن ناحية أخرى لم يكن مؤهلا طبعا ولا روحا ، وقد فطن الجميـــع حتى فى عصره ــ الى ذلك ، فوصف بالغلظ كما وصـــف بالوقاحة وبلادة الشعور ، وصح من هذا قول من قال من القدماء انه كان فى سلوكه كاذبا ولم يكن بعاشق • ولكنه مع ذلك يحرص على أن يضع نفسه موضع العاشقين ، فيروج لحدثين زعم أنهما وقعا له ، أولهما الحدث عن بدء قوله الشعر ، وثانيهما الحدث عن بدء علاقته بعزة •

أما الاول فخلاصته انه بينما كان يوما نصف نهار يسير على بعير له بموضع قرب المدينة اسمه الغميم ، اذا راكب من نحاس يلاحقه وهو يجر نفسه جرا ثم يقول له كالآمر : قل الشعر ! ولما تردد كثير القاه عليه ، فسأله : من انت ؟ فأجاب : انا قرينك من الجن ! قال كثير بعد ذلك « فقلت الشعر » •

والتعليق على هذا الخبر ميسور لكن حسبنا ان نتساءل بادىء ذى بدء : أتظل شاعرية يعترف الجميع بعظمتها خامدة فلا تظهر الا فى طور الشباب ؟ أين كان كثير الشاعر وهو صغير لا يســـتطيع ان ينفرد وحده فى واد موحش على بعير ؟

وأما الحدث الثانى فطويل ، اكبر الظن أن أحدا من القـــدماء لم يطمئن اليه ، وقد ساقه أبو الفرج الاصفهانى على عادته فى التزام الحيدة وازجاء الغريب منسوبا الى الحـــرمى بن أبى العلاء ، فجاء على النحو الذى جاءت به روايات العاشقين جميعا • فهو يمر بغنمه على نســـوة من بنى ضمرة اليمانية ، فتلقاه عزة ــ وهى يومئذ صغيرة ــ تبتاع منه كبشـــا على أن « ينسئها » بثمنه فيرضى ، فلما رجع جـــاءته امرأة بدراهمه فقال : أين الصـــبية والله لا آخذ دراهمى الا ممن دفعت الكبش لها ! ثم أنشد :

قضى كل ذى دين فوفى غريمه وعزة ممطول معنى غريمهـــا

ولم يكن الا قليل حتى برزت اليه عزة وهى كارهة ، الا أن حبه تمكـــن منها برغم دمامته ، ولما تصرمت الايام سألتها عاتكة بنت يزيد بن معاوية بن أبى سفيان ، وأم البنين بنت عبدالعزيز بن مروان عما قصد اليه من المطـــل قالت : قبلة وعدته اياها • فقالت هذه أو تلك : انجزيها وعلى اثمها !

وفى رواية أخرى أن عزة ــ وكانت قد كعب ثدياها ــ أرشدته الى ماء كان يسأل عنه قبل أن تبتاع منه الكبش ابتياع الاجل ، فأرشدته فأعجبته ، ولما مضى ورجع الى النســوة اللائى كانت عزة فيهن أنشد :

نظرت اليها نظـــرة وهى عاتق على حين أن شبت وبان نهـودها

وقد درعوها وهي ذات مؤصد   مجوب ولما يلبس الدرع ريدها

***

من الخفرات البيض ود جليسها   اذا ما انقضت احدوثة لو تعيدها

اشياء مثلقة كما نرى ـ تلقي ظلالا من الشك أمامنا ، وتحجب عنا الحقيقة والا فهل ثمة شاب يجوب البقاع والشعاب للاتجار والرعي لايعرف مواضع الماء ؟ واذا سلمنا بجهله ـ وقديكون جاهلا ـ فهو لم يحط بكل شيء علما ـ فهل تحب فتاة صغيرة رجلاقميئا لم تكن له شهرة شاعر ما ؟

ان مكانة كثير باعتباره شاعرا فحلا ليست محل خلاف ، غير أن مكانته كواحد من الغزلين لا يرضى عنها البحث المدقق ، بل هي منذ قديم موضع مناقشة وجدل لا يفتران ... مثلما كانت كلمات العبقرية والجن والفروسية ـ بجانب القاب الفحولة ـ موضع توجس شديد !

والاشعار الجميلة الباقية لنا من ديوانه الذى كتبه فيما بين ساعات الملق والمداهنة وساعات السياسة وصراع الاحزاب ، ليتغنى فيها بأمجاد عبد الملك بن مروان وأحقية ابن الحنفية في السلطان ، أو ليرثى فيها آل المهلب أو ليتغنى فيها بمحاسن عزة أو غيرعزة انما هى منظومات تفوح منها العطور وتنتشر في ثناياها الزهور ،وربما ـ مع ذلك ـ رماها بعض النقاد بالافتعال مع حسن الصناعة وبراعة الاداء .

حدثنا الرواة أنهم كانوا يحفظون له شعرا كثيرا ، ويذكرون ـ بصفة خاصة ـ ثلاثين لامية لم يبق منها الا أبيات ضئيلة ، ولعل أبرزها تلك التي ذكرها القالي في نوادره قارئا اياه على اللغوى المحقق ابن دريد ، وأولها :

خليلي هذا ربع عزة فاعقلا   قلوصيكما ثم ابكيا حيث حلت

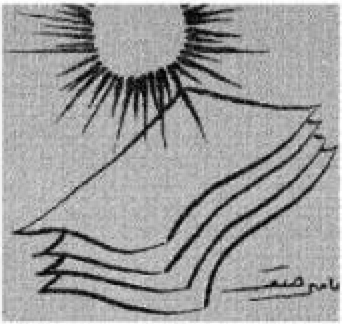
وهذه اذا أخذت بمقياس النقد التاريخي سقطت بين يدى شعراء سبقوه لكنها مع ذلك تحتضن تتما أسيا :

فقلت لها يا عز كل مصيبة   اذا وطنت يوما لها النفس ذلت

روى أن عبد الملك الذى كان يؤنب أولاده بشعر كثير قال بعد أن سمع ذلك البيت : لو كان هذا البيت في صفة الحرب لكان أشعر الناس !

ويهمنا هذا الحمد هنا ، فان عبدالملك كان بصيرا بالشعر ، كما كان بقوله . وقد أحس أن « انفعال بشاعره هنا انفعال فارس مجرب ، وليس انفعال عاشق معذب » فالصلة في نفس كثير بين الحب والحرب مقطوعة، واذ لم يكن هو محاربا ولا أثر عنه انه عارك ـ كما عارك جميل ـ واذ لم يكن اكثر طوافا من ثلاثة اشبار ، فاننا نتهم على الفور مدى اختلاط حدود العواطف في نفسه، لانها لم تكن نتيجة معاناة بقدر ما كانت نتيجة تقليد .

والمدهش بعد ذلك أن يشرع كثير التفلسف ، أو يخوض في سياسة



النساء ، والقارىء لأرائه في هذا الباب اما أن يؤخذ بعمق الشاعر ، واما يجد نفسه في أحضان التثاؤب والملل •

وكنت اذا ما جئت اجللن مجلسي ... وابدين مني هيبة لا تجهما
يحاذرن مني غيرة قد علمتها ... قديما ، فما يضحكن الا تبسما
وكن اذا ما قلن شيئا يسره ... امر الرضا في نفسه وتجرما

***

والآن – بعد هذا العرض – أصل الى ما اريد ، لعلي أجيب عن السؤال الذي ضمنته عنوان المقال« كثير •• أكانت عزة تلهمه ؟ » .

الحق الذي لا مفر فيه ان كثيرا لم يعشق عزة لانه لم يكن هناك عزة او لعل هذه كانت هي ليلى التي نسبت الى المجنون ، وهذه فيما يرويه الاصمعي المحقق امرها عجب . قال « سألت اعرابيا من بني عامر بن صعصعة عن المجنون العامري ، فقال : عن أيهم تسألني ••• قد كان فينا جماعة رموا بالجنون فعن أيهم تسأل ؟ قالت : عن الذي يشبب بليلى • فقال كلهم كان يشبب بليلى » •

واما ليلى كثير – اى عزة وكانت تشبه ليلى العذريين كما تشبه مى امامة العشق في العصر الجاهلي – فهي شخص مخترع شارك في اختراعه كل من كثير والرواة ، ولم يستطيعوا بعد تسويته بشرا أن يجعلوه سويا ، الا انهم اعطوه ملامح الملهمات جميعا من امور بسطناها قبل ، ونزيد هنا انها بعد زواجها لم يعرف مصيرها احد ، فقد ضاعت في الاخبار ، الا حين تقابل الخليفة او أم البنين ، والا حين تلتقي بكثير قبل ذهابه الى مصر أو بعده ، وفي ساعاتها الأخيرة نراها تسبق كثيرا الى الموت في بعض الروايات ، ونرى كثيرا يسبقها في بعض الروايات الاخرى •

ومن هنا يحق لنا ان نتشكك في الحكاية كلها ، وهذا التشكك يفضي بنا الى أن نقرر أن كثيرا الشاعر الذي سيس معظم شعره نبات طفيلي على العشق • ونحن اذا ما قومنا مستوى بلاغته النسائية او قدرته على انشاد الغزل ، لا نملك الا ان نحكم باحتياله على العشق واقحامه نفسه على عرائس الشعر •

كُثَيِّر

ان شاعرنا الفحل كان – فى واقع الامر – مقلدا ، بل هو فى رأيى أمهر شاعر فى العصر الاموى قلد القديم بطريقة ذكية وغير مكشوفة . ويدعونا مما يقال من أن الشعراء الامويين لم يكونوا يستلهمون الا موهبتهم الانسانية لان الحياة الاسلامية – طوال عصر الامويين – استنزلت الشعر من مكانته التى كانت ترفعها التهاويل والاوهام ، ونخلته الى الحد الذى ارتضت انطلاقه فى حدود حاجات العصر .

ومع تقديرى لهذه الفكرة التى ربما تنطبق على بعض الشعراء – ليسوا هم الفحول على اى حال – فاننى ازعم بل أؤكد ان الشاعر الاموى بوجه عام كان يختزن التقاليد الجاهلية فيما كان يحفظه من شعر قديم . وكانت العناية بروايةهذا الشعر مطلوبة من جانب النقاد من ناحية ، ومن جانب التابعين من ناحية أخرى . ولم يكن من سبيل أمام الاديب الشاعر الى أن ينشىء شعرا جديدا مخالفا فى معانيهوأغراضه وقيمه الا فى أضيق الحدود، وفى مناسبات خاصة ربما كان التصنع قوامها

لقد طالما ردد الناس قول الرسول الكريم « وانما الشعر بمنزلة الكلام ، فحسنه كحسن الكلام ، وقبيحه كقبيح الكلام » ذلك لم يبعد « العلم بالشعر » عن الجاهلية » وتبارى الشعراء فىحفظ الاعشى وأمرىء القيس والسموأل وزهير والفند الزمانى وابن كلثوم وغيرهم .

بخصوص كثير لانجد ذلك التمسك بحبل الاسلام ، فيبعده ذلك عن الشعر القديم باعتباره قسيما للقران – فى ضوء النظر الجاهلى – فمن ناحية لم يكن يؤدى الفرائض حتى لقدفضحه رجل من مزينة بانعلم يقم لصلاة الصبح ، ومن ناحية اخرى كان يصدرعما صدر عنه الزنادقة ، وقد رأينا من ذلك طرفا .

ذلك الرجل كان ابنا بارا للجاهلية – فنا وتفكيرا – وقد انحدر من صلب رجل يمانى أو مغربى مجهول ، وارتدى ثياب الشعر على مطالع شبابه حتى زوقه وشهر به فكرم ومجد ، ثم صار عاشقا متصنعا فلطخ تلك الثياب المزوقة وابتذلها فخلعها عنه القدماء قبل المحدثين . على انه يستطيع أن يعيش أطرافا من حياته مقربا من الخلفاء وزعماء الاحزاب ، وصحب بعضهم حتى لفظ انفاسه ، ويوم مات – وقد صادف موته موت عكرمة – لم يتخلف أحد عن جنازته وقيل : مات اليوم أشعر الناس وأعلم الناس .

وغلب النساء على جنازته يبكينه ويذكرن عزة – وقد كانت زوجا – فجعل محمد بن على يضربهن بكمه ليبعدهن ويقول : تنحين ياصواحبات يوسف ! فانتدبت له امرأة منهن تقول : يابن رسول الله لقد صدقت وقد كنا له خيرا منكم له .

كان هذا سنة خمس ومائة – على ما يسجل ابو الفرج – وذلك حيز زمنى ليس يبعد طويلا عن الجاهليين ، وعاش فترات صراع كتب عنها طه حسين ابلغ كتابة فقال وقد ذكر كثيرا الى حيث اربعة ... : « ليس بدويا

خالصا ، وليس حضريا ذا مكانه ، وانما كان يتردد بين البادية والحاضرة كان شديد الاتصال بقصر دمشق يمدح بنى امية ويتملقهم ويأخذ جوائزهم ، وكان كاذبا احسن الكذب فى هذا المدح والتملق . وكان بنو امية يعلمون منه ذلك ويحتملونه له لانه كان يحسن مدحهم والنضال عنهم ، فاذا تركه فقد كان يتردد بين مكة والمدينة يعاشر اشرافهما ويأخذ منهم ما اتيح له من جائزة او عطاء . كان ذا مذهب سياسى ، او قل كان له مذهبان متناقضان اشد التناقض ، يرجعان اخر الامر الى مذهب واحد معروف فى ذلك الوقت هو النفاق السياسى » .

وهكذا يلعب الحظ دوره الخارق فى توجيه مصير الشاعر ذى الثلاثة الاشبار طولا ، ويصبح علما الى الحد الذى جعل واحدا كابى عبيدة معمر بن المثنى يحفظ شعره كله ويمليه لمن اراد نظير ثلاثين دينارا . وكان ابو عبيدة راوية من طراز نادر ، وكان اعلم علماء عصره واعمقهم صلة بالقديم .

ولقد يحسن هنا ان ننبه الى ان امثال ابى عمرو فى حبهم القديم امر قبله الجميع وبخاصة شعراء بنى امية الا ان اهتمام ابى عمرو — بصفة خاصة — بشعر كثير امر له دلالته . لان ابا عبيدة كان لا يأبه الا بما يسجل « قيمة » تاريخية ، بمعنى ان ذلك الراوية تخصص فى تسجيل روايات الحضارة والتاريخ القديمين يدل على ذلك « كتاب الايام » الذى افرغه فى شرحه لنقائض جرير والفرزدق . وكذلك تفسيره لبعض الاشعار الجاهلية تفسيرات تخضع لمفاهيم الاسطورة ولابعاد العقائد الموغلة فى القدم .

اذن كان كثير نموذجا مواتيا امام كل من اراد ان يتلمس حياة الجاهليين وكان امامه — فى عصره — نوعان اثنان من الغزل شهر بكل منهما شعراء باعينهم . النوع الاول هو ذلك التشبيب الذى تفتتح به القصائد الكبيرة ، وقد سمى بالغزل التقليدى ، واعتبر تقليدا فنيا على اساس انه كان فى الجاهلية امتدادا لصنعة قررها الاوائل .

والنوع الثانى ذلك الغزل المحقق ، عذريا كان او عمريا .. عذريا لانه صادر عن شعراء نحوا نحو شعراء بنى عذرة اليمانية ، وعمريا لانه صادر عن شعراء مشوا فى درب عمر بن ابى ربيعة .

وقد اختار كثير ان يوضع مع العذريين كجميل والعرجى او هكذا شاء الرواة له ، مع انه كما رأينا لم يكن مؤهلا خلقيا وخلقا .

ومن ثم كان لا بد له من ملهمة ، واين تلك الا ان تكون من النماذج العليا كما يذهب اصحاب يونج واحسن ما تكون هذه النماذج .. فى الاشعار القديمة حيث يلخص فيها الشعراء مواقفهم من الحياة والموت ومن مظاهر الكون وحاجات العبادة ما يجرى ذلك المجرى الذى تحدده الاساطير والخرافات .

وليس يتنافى ذلك مع وجود عزة تاريخيا اذا وجدت ، الا انها عند كثير الانسان الخلوب مختلطا بقيم اودعها نفسه الشعر الجاهلى الذى حفظه ، وفى هذا الشعر وجد ابو عبيدة — من الرموز القديمة المتصلة باسباب الحضارة — ما جعله يتخصص فى املاء شعره بثلاثين دينارا لكل شخص !

ان كثيــرا لم يحب عزة وانما أحب صورة ســماها عزة ، وهذه الصورة هى التى الهمته الشعر الذى فطن النقاد القــدماء الى انه كان يكذب فيه ، وانه كان يدعى العشق

ونحن لا نجد ما يدحض هذه المقالة قط ، ولا ما ينكرها امام كل ما وصف هو به ، وكل ما عرف عن حياته وعن حياة عزة نفســها · ومن ثم تكون عبقريته الغزلية عبقرية النقد ، ويكون هو قد استلهم الرموز القديمة التى وردت فى اســتهلالات القصائد ، ووصفت بأنها من الشــعر الغزلي التقليدى ، مع انها – فى رأينا – صدى لاعتقادات جاهلية وفلسفة قديمة فى الكون ، وشجبها المسلمون بالاصرار على فصل ابعادها عن الدين· فأصبحت الشمس مجرد كوكب يشرق كل صباح ويغرب ، وصــارت الغزالة حيوانا يصاحب – فى وداعة – حمار الوحش والثور الشرســين ويلتقيه الانسان فى رحلة صــيد أو فى حملة حرب ، وهكذا

وانا اعترف ان تغييــر ذلك الفهم أمر عسير ، ولكنى أراه ضروريا لفهم حقيقة شعرنا القديم · انه شىء ضخم وثرى اذا درس فى ضــوء العقائد التى اكتنفته ، وهو هــزيل فقير اذ درس بمنهج المسلمين الاوائل · وفى كلتا الحــالتين نرى كثيرا واقعا فى شراك التقليد ، فهم الابعــاد القديمة أو لم يفهمهــا ، كما نراه ذكيا فى استغلال « مخزونه الفنى » استغلالا أرضى عنه واحــدا كأبى عبيدة عالم الخرافات والاساطير ، وواحدا آخر كعبد الملك يروى أولاده شعره ·

الاول مهتم فى دينه ، والثانى متمسك به ···

الاول يتكسب بشعره لانه ذخيرته ، والثانى يتقبله ويختم عليه ويعطيه لمن يرويه ويرده لانه واقع ويحقق الهدف

وكلاهمــا له الحق ، فأما الخليفة فلأن له شأنا اخلاقيا ودعائيا ، وأما ابو عبيدة فلأن له هدفا حضــــاريا محددا · وقد فطن من غير شك الى قيمة الرموز والتشبيهات والصور التى أوردها كثير فى غــزله ، ورأى من غير شك أن « النــار » التى ذكرها كثير ليلخص بها « حقيقة » عزة التى تسامع بها الناس وطالما خرجوا لها ، هى كالشمس وكالغزالة ، لمح العلاقة الوطيدة بين « المرأة المقدسة » التى انتســب اليها الكثر من قبيل وبين الشمس التى عبدت مع القمر حتى قال سبحانه فى كتابه المنزل « لا تسجدوا للشمس ولا للقمر ، واسجدوا لله الذى خلقهن ان كنتم اياه تعبدون » ·· وكان من عــادة الجاهليين ان يقولوا فى معرض القسم « لا ومجرى الآلهة » يقصدون الشمس ، وسموا عبد شمس وعبد شارق وأما الغزالة فهى الشمس نفسها تقول ذلك معاجم اللغة وتقوله الانثربولوجيــا واغلب الاساطير فى التشبيهات تقول : ذا قرن الشــمس ·· وبرزت الغـــزالة) أى الشــــمس – من خــدرها ، وقد شبهت المرأة بهما ، وتبادل الثلاث أماكنهن فى الاساطير والاشعار القديمة ، فدل ذلك على ان المـرأة كانت ذات صفة قدسية عند الشاعر القديم ·

وهنــا نحيل الى ما قدمناه من شعر الشاعر ، فترى عزة شمســا بعد ان رأيناها نارا مقدسة ، وتراها فى بعض الاحيان تتحرك حركتها ·

كُثَيِّر

وتغرى ببهائها ، وتملا الدنيا نورا ، وتختفى لتعود فتملا حياة شاعرتنا خصوبة ، ثم هي قبل كل ذلك لا تنال

واما الغزال فقد ورد في شعر شاعرتنا ، والمدهش انه ورد بالابعاد الجاهلية ذاتها . واظهر ما يكون ذلك في شعر المدح وفي سائر شعر المناسبات ، وقد لاحظت انه لم يذكر قط انه صاد غزالا او قتله ، وقديما فعل الشاعر الجاهلي ذلك باطراد . الامر الذى يجعلنى اقرر ان الغزال كان حيوانا طوطميا ، يشهد على ذلك اقامة التماثيل له ووضعه - بدلا من الشمس - في محاريب الملوك ، حتى اذا مات ناح القوم عليه نواحا شديدا .. وبهذه الابعاد او بهذه المفاهيم ظهرت الغزالة عند كثير ، وكانت هي عزة ومن ناحية اخرى نجد عزة - كاسم قديم - توضع في المواضع التي وضعت فيها ليلى واسماء وسعدى وهند ، وباستقراء الشعر القديم كله او باستقراء ما وصلنا منه نلحظ أن هذه جميعا كانت رموزا جماعية لوجدان ديني عند الهة معينة صيغت دمية احيانا والدمى كانت عند الجاهليين معبودة ، اقترنت بالخصب والبهاء احيانا اخرى فكانها وجه من اوجه الشمس .

واما ام الحويرث الخزاعية فهى في رأينا خيال عزة لا غيره ، ومن اجلها - وقد عجز عن ان ينالها - اخذه الهلاس او السل ، فاكتشح بالنار وهو في غيبوبة المرض . فلما برأ وعلم ما نزل به انشد :

عفا الله عن ام الحويرث ذنبها علام تعنينى وتكمى دوائيا

فلو آذنونى قبل ان يرقموا بها لقلت لهم : ام الحويرث دائيا

وهذا اللقب - ام الحويرث - يأتي في ذكر الطلل مع ام اوفى وام معبد وغيرهما . ويمكننا ان نربط هذه المقبلة بما قلناه عن الشمس ، ونزيد ان هذه التي كانت معبودة كانت - في الوقت نفسه - سيدة الطلل ، ورحلة اية أم - كرحلة سعدى أو هند - تكون مقرونة دائما بالحلى والبهاء . وتبدو الهوادج في وصف الشاعر كانها في موكب ذاهب الي عرس .

واذا كانت عادة النساء الجاهليات ان يرحلن متحليات فرحات ، فليس قوم تجدب ديارهم وعليهم ان يظعنوا يخرجون في ابهى زينة واجل منظر . ان مواضع السكنى لا تهون على أصحابها حتى ليفارقوها سعداء ، ومن ثم نسلم بأن هذه رحلة حياة ، لانها رحلة الشمس المفعمة بالجلال والجمال عند الشروق والمصاحبة لهالات السناء والبهاء في وضح النهار ، والمفارقة الارض في سحر والوان عند الغروب

وفي الدائرة نفسها التي رأينا فيها ام الحويرث - من الحارث زارع الارض ومالك المال - تعيش عزة التي هي ليلى والتي هي سعدى ، فيتجمع الخصب بالثراء ، وتبدو الصورة اعمق كثيرا من التفسير الذى تبرع به الشراح المسلمون . ومن اجل هذا العمق تجرد ابو عبيدة صاحب الحكايات التي لا تفهم الا في اطار الاساطير والمعتقدات القديمة .

ولست اريد ان اطيل ، لان اعادة النظر في تراثنا الجاهلي على هذا الاساس الذى اقترحه يحتاج الى طول وقت وطول بحث ، ولانه قد ظهر - بما فيه الكفاية - ان غزل كثير في عزة لم يكن في انسان بقدر ما كان في انماط قديمة ، ومن ثم لم تكنه عزة او ام الحويرث او اسماء ، وانما الهته - رموز الاولين .

د. أحمد الحوفي

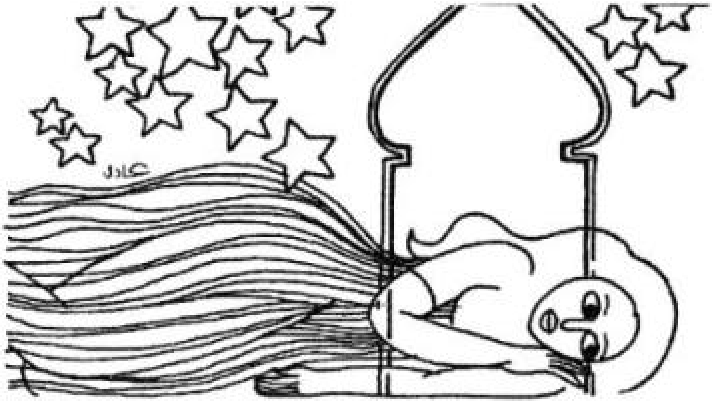
من الجواري الملهمات .. عنان ونعم

مارس العرب التسري ، واقتنوا الجواري منذ العصر الجاهلي، وكان بعضهن يجدن الغناء ، ويقلن الشعر ، فأغرم بهن العرب ، وطربوا لهن ، لا فرق في هذا بين شرق وغرب ، ولا بين بدو وحضر .

نجد صوراً من هذا في شعر طرفة بن العبد ، وسلامة بن جندل ، وعمرو ابن الاطنابة والاعشى ، وابن الرومي ، وعبد الرحمن بن أبي عمار القس .

ولا غرابة في ذلك ، لان مغريات الهوى موفورة ، ففي أوقات هؤلاء سعة ، وفي أعمالهم دعة ، وفي رزقهم وفر ، وهم ذوو فراغ وأصحاب حس مرهف وعواطف مشبوبة ، فلا جرم ينبت حب ، وتمتد جذوره ، وتعلو سوقه .

يقول الجاحظ : « رجلان من الناس لا يعشقان عشق الاعراب : أحدهما الفقير المدقع فان قلبه يشغل عن التوغل في الحب وبلوغ أقصاه ، والآخر الملك الضخم الشأن ، لان في الرياسة الكبرى وفي جواز الامر ونفاذ النهي وفي ملك رقاب الامم ما يشغل شطر قوى العقل عن التوغل في الحب والاحتراق في العشق » . والجاحظ على صواب ، لان الحب لا يعشش ويفرخ الا في القلوب الفارغة له ، أما القلوب المشغولة بالكدح في طلب القوت أو بالعمل العظيم الذي ينتهب الوقت فانها ليست من أوكاره، وان أوى اليها حيناً من الدهر شعر بضيقها ، وفر عنها الى أوكار أرحب راحة وأنعم .



وما زال الفراغ الى اليوم من الظروف المواتية للحب ، لهذا يقول اميل لودفيج « ان الحب فى امريكا نادر ، لان الناس هنالك مشاغيل بالعمل الذى لا يفتر ... ويقرر أن الريف أكثر ملاءمة للحب من المدن · لانه يتطلب حياة هادئة لا كد فيها ، وفى الامثال : العطلة أم كل علة ، ولو استبدلنا كلمة الشهوة بكلمة العلة لم نخطىء الا قليلا ·

من هؤلاء الجوارى الملهمات ؟

● عنان الناطفية ●

١ ـ تعريف بها :

جارية لرجل يدعى الناطفى من اهل بغداد ، وهى من مولدات اليمامة بها نشأت وتأدبت ، أو من مولدات المدينة المنورة ، اشتراها النطاف ورباها واشتهرت ببغداد ·

كان الشاعر العباس بن الاحنف يهواها ، ولها أخبار شتى معه ومع أبى نواس وغيرهما ، وأحبها ابو النضير · ماتت بخراسان سنة ٢٢٦ هـ ٨٤١ م ·

وهى شاعرة من أذكى النساء وأشعرهن وأسرعهن بديهة ، كان فحول الشعراء يساجلونها فتغلبهم ، وكانت ظريفة ، ومن ظرفها انها كتبت على عصابتها بالذهب : « ليس فى العشق مشورة » ! ·· وكانت الى ظرفها وفصاحتها وسرعة بديهتها جميلة فاتنة ، حتى

من الجوارى الملهمات

قالوا انها لم يكن فيها شيء يعاب ، فطلبوا لها عيبا حتى لا تصيبها العين فاحدثوا بظفر خنصر رجلها شيئا .

٢ ـ اشهر محبيها :

احبها أبو النضير عمر ـ أو الفضل ـ بن عبد الملك مولى بنى جمح ، وهو شاعر بصرى صالح المذهب ليس من المتقدمين الكبار ولا من المولدين الساقطين ، كان يغنى بالبصرة ومعه جوار له ، ويظهر الخلاعة والمجون ويعاشر الخلعاء ، وكان أبان اللاحقى من عشرائه ، ثم تعاديا فهجاه وهجا جواريه . ثم انقطع أبو النضير الى البرامكة ، فأغنوه الى أن مات .

وكان ظريفا حتى ان اسحاق والدحماد قال : لو قيل من أظرف من رأيته قط أو عاشرته لقلت : أبو النضير

من غزله فى عنان قوله :

انا والله اهـــواك	واهواك واهـــواك
واهوى قبلة منــك	على برد ثنـــاياك
واهوى لك ما اهـــوى	لنفـس وكفـى ذاك
فهـــل ينفعنى ذا	لك يوما حين القـــاك
انا والله اهـــواك	وما يشعـــر مولاك
فاياك بأن يعـــلم	اياك وايـــاك

واحبها العباس بن الاحنف ، وهو شاعر غزل ظريف مطبوع من شعراء الدولة العباسية ، وله مذهب حسن ، ولديباجة شعره رونق ، ولمعانيه عذوبة ولطف ، ولم يكن يتجاوز الغزل الى مديح ولا هجاء ، وكان اذا تكلم يحب سامعه ان يسكت ، وكان فصيحا جميلا ظريف اللسان لو شئت أن تصف كلامه كله بأنه شعر لصدقت .

٣ ـ سرعة بديهتها :

اما سرعة بديهتها ، وانحامها عن طارحها من الشعراء فان لها مظاهر كثيرة .

دخل عليها العبـــاس بن الاحنف وهو من عشاقها ، فقال :

قال عبـــــاس وقد اجـــهد من وجد شـــديد
ليس لى صـــــبر على الهجر ولا لذع الصـــدود
لا ولا يصـــــــــبر للهجـــر فؤاد من حـــديد

فقالت عنان :

من تراه كـــان اغنى منك عن هذا الصعود
بعد وصـــل لك منى فيـــه ارغام الحســـود
فاتخذ للهجـــــــــر ان ان شـــــئت فؤادا من حديد
ما رايتـــاك على ما كنت تجنى بجليـــد

ودخل عليهـــا أبو نواس فى دار النطـــاف والمجلس حافل فيه المحب والمعجب والمســتفيد والمتعلم ، فقال لها : اجيبى عن هـــذا البيت ، وقد اختار قافية صعبة :

رايت نجوم الليل لاحت كانهـــا من الذهب العقيان احمر خالص

فقالت :

فشبهتها ليلا مصـــابيح راهب عليه ثياب باليـــات قوالص

فلم يكتف أبو نواس ، بل تحداها ببيت آخر قافيته صعبة ايضاً :

وانى لاهـــوى من حبيب احبه مداعبة منه واهـــوى الداعقة

فقالت :

اجـــرعه ريقى اشرب ريقه فما تنقضى منى ومنة المزاعقة

وكتب اليها أبو النضير هذه الابيات

ان لى حاجة فرايك فيهـــــا لك نفسى الفدا من الاوهـــاب
وهى ليســـت مما يبلغه غيـــرى ولا اســـــــتطيعه بكتاب
غير انى اقولهـــا حين القـــا ك رويدا اسرها من ثيـــابى

فاجابته وقالت :

انا مشغولة بمن لســت اهوا ه وقلبى من دونه فى حجــاب
فـــاذا ماردت امرا لاسرار ه ولا تجعلنه فى كتـــاب

وقال مروان بن أبى حفصة : لقينى الناطفى فدعانى الى عنان ، فانطلقت معه ، فدخل اليها قبلى فقــال لها : جئتك بأشعر الناس مروان بن أبى حفصة ، وكانت عليلة ، فقالت له : انى عن مروان فى شغل ، فضربها بالسوط ، وقال لى : ادخل ، فدخلت وهى تبكى ، فرأيت الدمرع تنحدر من عينيها ، فقلت :

بكت عنان فجرى دمعها   كالدر اذ يسبق من خيطه

فقالت مسرعة :

فليت من يضربها ظالما   تيبس يمناه على سوطه

قال مروان : قلت : يمينا لأعتقن ما أملك أن كان في الجن والانس أشعر منها .

وقال أحمد بن معاوية : قال لي رجل : تصفحت كتبا فوجدت فيها بيتا جهدت أن أجد من يجيزه ، فلم أجد . فقال لي صديق : عليك بعنان ، فأتيتها فأنشدتها البيت وهو :

وما زال يشكو الحب حتى رأيته   تنفس من احشائه وتكلما

فلم تلبث ان قالت :

ويبكى فأبكى رحمة لبكائه   اذا ما بكى دمعا بكيت له دما

وقال الناطفي لأبي حبش : لو جئت الى عنان فطارحتها ، فبات ابو حبش ليلته يحوك بيتين قافيتهما صعبة ، ثم غدا عليها فأنشدها :

احب الملاح البيض قلبي وربما   احب الملاح الصفر من ولد الحبش

بكيت على صفراء منهن مرة   يكاد اصاب العين مني بالعمش

فقالت عنان :

بكيت عليها ان قلبي يحبها   وان فؤادي كالجناحين ذو رعش

تغنيتنا بالشعر لما أتيتنا   فدونك خذه محكما يا ابا حبش

وانشدها أبو العباس رستم ومعه صديقه أبان بن عبد الحميد بيتا لجرير هو :

ظللت اوارى صاحبى صبابتى   وهل علقت من هواك علوق

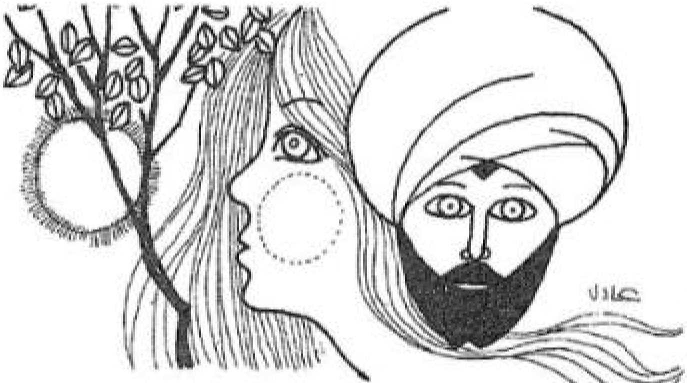
فقالت مسرعة :

اذا غال الخوف اللسان تكلمت   باسراره عين عليه نطوق

٤ ـ عنان والرشيد :

وقد بلغ الرشيد خبرها ، فرغب أن يشتريها ، فقال الناطفي ما أبيعها الا بمائة الف درهم ، فرفض الرشيد ففرح الناطفي وتصدق بثلاثين الف درهم . ولما علمت أم جعفر برغبة الرشيد شق عليها ، فدست الى ابي نواس في امرها ، فهجاها ووصف من يشتريها بأنه ديوث أو ابن فاجرة .
فبلغ الرشيد شعره ، فقال : لعنه الله وقبحه فقد أفسد علي لذتي بما قال فيها ، ومنعني شراءها .

من الجوارى الملهمات



وكذلك بعثت ام جعفر الى الاصمعي ليصرف الرشيد عن الرغبة فى عنان، فدخل على الرشيد فراى على وجهه اثار الغضب ، فارتد ، فقال له الرشيد : مالك يا اصمعي ؟ .. فقال : رايت فى وجه امير المؤمنين اثر الغضب ، لعن من الله من اغضبه ، فقال الرشيد : هذا الناطفي والله لولا انني لم اظلم فى حكم قط متعمد لجعلت على كل جبل منه قطعة ومالى فى جاريته من ارب غير الشعر

قال الاصمعي : فتذكرت رسالة ام جعفر ، فقلت · اجل والله ما فيهما غير الشعر ، هل يسر امير المؤمنين ان يضاجع الفرزدق ؟ ..

فضحك الرشيد حتى استلقى ، وسرت ام جعفر ، فاجزلت له الجائزة لكن الرشيد اشتراها بعد موت الناطفي ، اشتراها له مسرور الخادم بمائتين وخمسين الف درهم ، واولدها ولدين ماتا صغيرين ·

ولا عجب فى اصرار الرشيد على شرائها ، فانه اول خليفة عباسي تمادى فى اقتناء الجوارى وتقريبهن وتغالى فى اثمانهن ، فكان اكثر بنيه اولاد اماء ، فعبد الله المأمون امه جارية فارسية اسمها مراجل ، والقاسم المؤتمن امه اسمها « قصف » ، ومحمد المعتصم امه مملوكة تركية يقال لها ماردة ، وصالح امه جارية اسمها رئم ، ومحمد ابو عيسى ابن جارية اسمها عرابة ، ومحمد ابو يعقوب ابن امة يقال لها شذرة ، ومحمد ابو العباس امه أم ولد اسمها خبث ، ومحمد ابو سليمان امه جارية اسمها دواج ، ومحمد ابو احمد امه مملوكة يقال لها كتمان ·

● نعم الاولى ●

تعريف بها ؟

هى بنت ذؤيب الخزاعي ، وتكنى ام مالك ، وهى حرة من خزاعة ، خرجت بطون من قومها الى الشام ومصر لانهم اجدبوا ، فلما قطعوا بعض الطريق راوا البرق يتألق خلفهم ، وادركهم من ذكر لهم كثرة الغيث وغزارته ، فرجع بعضهم الى اوطانهم ومضى قبيصة بن ذؤيب ومعه اخته نعم الى الهجرة ·

٢ ــ حب قيس لها :

كان قيس بن الحدادية يهوى نعماً ، فلم يطق فراقها ، فتنفس عن نفسه لما رحلت مع أخيها بقصيدة بارعة ، منها شكواه الام الفراق في قوله :

اجدك ان نعم نأت انت جازع قد اقتربت لو ان ذلك نافع
وقد جاورتنا في شهور كثيرة فما نولت ، والله راء وسامع
وقلت لها في السر بيني وبينها على عجل ايان من سار راجع ؟
فقالت : لقاء بعد حول وحجة وشحط النوى الا لذي العهد قاطع

وفي هذه القصيدة وصف جمالها ، وقال انه انقى قطرات من الماء الصافي بالجبل أو بالبئر تخلف عن سيل ويشتاق اليها ظمآن ليست باطيب من رضابها اذا جن الليل وضمهما المضجع :

فما نطفة بالطود أو بضرية بقية سيل احرزتها الوقائع
باطيب من فيها اذا جئت طارقا من الليل واخضلت عليك المضاجع

وصور دبيبه اليها متنكرا كانه ضيف أو سائل حينما سمع جلبة تدل على الرحيل ، لكنها أعرضت عنه ، فاستخفى وراء الستر حتى تفصد جسده عرقا كانه يلبس ثوبا خلقا خاض به البحر ، فلما رأته على حاله هذه تعجبت وعضت أصبعها :

وما راعني الا المنادي الا اظعنوا والا الرواغي غدوة والقعاقع
فجئت كاني مستضيف وسائل لاخبرها كل الذي انا صانع
فقالت تزحزح ما بنا كبر حاجة اليك ولامنا لفقرك راقع
فما زلت تحت الستر حتى كانني من الحر ثوبطمرين في البحر كارع
فهزت الى الراس مني تعجبا وعضت مما قد فعلت الاصابع

وله فيها شعر اخر ٠

● نعم الثانية ●

تعريف بها

أما نعم هذه فهي امرأة حرة من بني جمح من قريش كانت تكنى أم بكر ، وهي أحدى النسوة الحسان اللاتي شبب بهن عمر بن أبي ربيعة ٠

وكان عمر يحبها ، ويقول الشعر فيها :

٢ ــ صور من غزله فيها :

تذكرها وقد مرت به مطيته على موضع كانا يلتقيان فيه ، فانحدر

دمعه ، فستره بثوبه عن صحبه ، لكن صديقه ابن أبي عتيق لمح دمعة ، فقال ان عمر يبكي ، فقال عمر :

خطرت لذات الخال ذكرى بعد ما سلك المطي بنا على الانصاب
فانهل دمعي في الرداء صبابة فسترته بالبرد عن اصحابي
فرأى سوابق دمعة مسكوبة بكر فقال بكى ابو الخطاب

وهو اذ يحب نعما يحب الحي الذي تسكن فيه ما بين اسفل مكة ، وموضع اخر قريب منها ناحية الطائف وبسبب هذا الحب يجهد نفسه ويجهد ناقته فيكلفها السير وهي مصابة بالظلع :

لقد حببت نعم الينا بوجهها مساكن ما بين الوتائر فالنقع
ومن اجل ذات الخال اعملت ناقتي اكلفها سيرا لكلال مع الظلع

٣ ـ مانعة ام مانحة ؟

وفي غزله بها ظاهرتان : الاولى انها متصوفة لم تنوله شيئا ، يبدو هذا من قوله :

ابيني اليوم اي نعم اوصل منك ام صرم
فان بك صرم عاتبة فقد تغني وهو سلم
تلومك في الهوى نعم وليس لها به علم

والظاهرة الثانية انها نولته ، وهذا واضح من قوله :

وقد تلقي به نعم وكنت بوصلها جذلا
وتهوانا ونهواها وتعصي قول من عذلا
وترسل في ملاطفة ونعجل نحوها الرسلا

٤ ـ اشهر قصائده فيها :

ولعمر في نعم قصيدته الشهيرة التي مطلعها :

امن ال نعم انت غاد فمبكر غداة غد ام رائح فمهجر

وهي القصيدة التي انشدها عبد الله بن عباس في المسجد الحرام ، اذ وفد عليه فقال له :

« ان نفسي قد تاقت الى قول الشعر ونازعتني اليه ، وقد قلت شيئا احب ان تسمعه وتستره علي ، فقال ابن عباس انشدني ، فانشده القصيدة ، فقال له : انت شاعر يا بن اخي ، فقل ما شئت ·

وأنشد عمر هذه القصيدة طلحة بن عبد الله بن عوف الزهري وهو راكب ، فوقف طلحة ناقته حتى كتب القصيدة له ·

وكان جرير اذا انشد شعر عمر قال : هذا شعر تهامي اذا انجد وجد البرد ، فلما انشد ابياتا من هذه القصيدة قال : ما زال هذا القرشي يهذي حتى قال الشعر ·

هكذا كانت عثمان ونعم الاولى والاخيرة ينابيع حب وغزل ما زلنا نقرؤه او نسمعه فنطرب له ونعجب به

د. سيد نوفل

مي ومن شغفتهم حبًا

مريم او ماري ، كما سماها ابوها ، أو «مي» كما اختارت لنفسها اسما عربيا صميما هي الكاتبة الخطيبة اللامعة ، والفنانة الموهوبة الفاتنة ، ذات المنتدى الادبي الكبير ، يجمع قادة الفكر والقلم لعصرها على الجمال والحب والالهام ، وتعيش عيشا عريضا حافلا لا يكاد يعدو خمسين عاما ، وتظهر مبكرة ، وتختفي مبكرة ، وتتسع آمالها في الحياة، ثم تضيق الدنيا امامها فتضيق ذرعا بها ،ويحتويها التشاؤم والحزن والاعتزال، فتثير الاشفاق والاسى ، بعد أن كانت مصدر الاسعاد والالهام ، وتودع الدنيا فيلتقي رجالات الفكر والادب على قبرها ، وتبقى على ذلك الانسة مي، كما سميت طوال حياتها ، اديبة ثائرة خالدة على الزمان ..

ولدت « مي » بمدينة الناصرة بفلسطين في نهاية القرن التاسع عشر، عام ١٨٨٦ او عام ١٨٩٠ أو عام ١٨٩٥ ، على اختلاف الروايات المعروف خاصة في اعمار النساء لذلك الزمان بل لكل زمان .. وكان ابوها « الياس زيادة » لبنانيا مارونيا ، رحل الى الناصرة ليعمل معلما في احدى مدارسها ، وليتزوج هنالك سيدة مثقفة فلسطينية كاثوليكية هي والدة مي .. وقد انجبا كذلك ابنا ، ولكنه توفي صغيرا ، وبقيت مي لتستأثر وحدها بحب والديها وعنايتهما ..

وبعد مولدها بوقت غير طويل عادت مع ابويها الى لبنان ، حيث التحقت بمدرسة الراهبات بعنطورة ، وغرست في نفسها المعاني الدينية ، التي لازمتها بلا تعصب طوال حياتها .. وفي مشاهد الطبيعة الجميلة الفتانة كتبت الشعر بالفرنسية ، كما تعلمت الانجليزية والايطالية والالمانية ، وقليلا من العربية .

وفي عام ١٩١١ هاجر والدها الى مصر ، حيث اتخذها وطنه الثاني ، وحيث كان سلطان اللبنانيين نافذا في الصحافة المصرية لتلك الايام .

● من الفرنسية الى العربية ●

واندمجت « مي » في الجو المصري اندماجا ، ووجدت أن الفرنسية ليست رائجة السوق في مصر رواجها في لبنان . ولهذا اقبلت على تعلم اللغة



العقاد . أجاد في وصف جمال مي وثقافتهـــا



مي : الأديبة الموهوبة الفاتنة

العربية ، وساعدها ما ينشر في صحيفة « المحروسة » اليومية المسائية التي أسسها والدها في مصر ، كما التحقت بالجامعة المصرية القديمة ، وتوفرت على دراســة الآثار العربية الأدبية والفلسفية ٠

ولم تمض ثلاث سنوات حتى تمكنت من العربية ، وألقت خطاب جبران خليل جبران في حفل تكريم لخليل مطران ، شاعر الأقطار العربية ، عام ١٩١٣ ، كما توثقت معرفتها بأستاذ العصر احمد لطفي السيد في النادي الادبي المختلط عام ١٩١٤ فأعانها على اتقان اللغـة العربية ٠ وفي ذلك تقول الآنسة مي ، بعد ان تعرف بالنادي وانه يجمع صفوة من الرجال المصريين والاجانب : « قال لي احمد لطفي السيد ، أثناء حديثه معي : لا بد لك يا آنسة من تلاوة القرآن الكريم ، لكي تقتبسي من فصاحة أسلوبه وبلاغتـــه ٠ فقلت له : ليس عندي نسـخة من القرآن ؟ قال : انا أهدي اليك نسخة منه ٠ وبعث لي به مع كتب اخرى ، فابتدأت افهم اتجاه الاسلوب العربي ، وما في القرآن من روعة جذابة ساعدتني على تنسيق كتابتي ٠٠ »

كما تشير مي الى الحركة الوطنية المصرية التي ظهـرت حينـذاك ، وما امدتها به روح جديدة ، وتقول ان اهم ما أثر في مجرى حياتها ككاتبة ثلاثة اشياء ٠٠ أولا النظر الى جمال الطبيعة ، وثانيا القرآن الكريم بفصاحته الرائعة ٠ وثالثا الحركة الوطنيـــة المصرية التي اسرعت بتطورها الفكري

عصر « مى »

ولدت مى بفلسطين فى أواخر الحكم العثمانى للعالم العربى أبان تدهوره، وشهدت اثار هذا الحكم فى مصر ولبنان معا ، كما شهدت الحكم البريطانى لمصر وفلسطين والحكم الفرنسى للبنان، وبداية التحالف الاستعمارى الصهيونى ضد الوطن العربى ، وثورات الحرية والاستقلال والوحدة فى هذا الوطن الخالد ، ومآسى الحرب العالمية الاولى كاملة ، وعامين من مآسى الحرب العالمية الثانية حيث توفيت عام ١٩٤١ .

وعاصرت حركة تحرير المرأة لقاسم امين ، وبروز شخصيتين نسائيتين هما عائشة التيمورية ، وباحثة البادية ملك حفنى ناصف التى فتنت بها وكتبت عنها ...

وصاحبت قدومها الى مصر احداث جسام مثل حادثة دنشواى ، ونضال مصطفى كامل الوطنى ووفاته ، ونضال قاسم امين الاجتماعى ووفاته ايضا . والحركة المصرية الفكرية التى اعتصمت بالحرية الى ابعد الآماد ، ولازمت دعوة الحرية السياسية ، ونشأة الجامعة العربية .

وبهذا كانت حياة مى حافلة بمصادر الالهام والقوة والثورة التى برزت فى ادبها على اتم وجه ...

وفى بداية الحرب العالمية الاولى ، واقبال مى على الحياة الاجتماعية وظفرها بحظ موفور من الشهرة الادبية اقامت فى دارها ناديا او منتدى او ندوة او صالونا ، يضم قادة الفكر والعلم لعصرها ، ويلتئم يوم الثلاثاء من كل اسبوع ...

وكثيرا ما قرن مؤرخو الادب نادى مى بنادى سكينة بنت الحسين ، وغيره من نوادى الشهيرات فى الادب العربى لمختلف العصور .

وقد وصف الشاعر خليل مطران نادى مى فى تأبينها ، فقال :

أقفر البيت يا مى اليه الوفود يختلفونا
صفوة المشرقين نبلا وفضلا فى ذراك الرحيب يعتمرونا

فتساق البحوث فيه ضروبا ويدار الحديث فيه شجونا
وتصيب القلوب وهى غراث (١) من ثمار العقول ما يشتهينا

وكان من اصدقاء مى المترددين على ناديها اسماعيل صبرى ، وولى الدين يكن ، واحمد زكى ، وعبد العزيز فهمى ، وداود بركات ، وأنطون الجميل ، وخليل مطران ، والدكتور شبلى شميل ، واحمد شوقى ، وحافظ ابراهيم ، واحمد لطفى السيد ، وطه حسين ، ومصطفى عبد الرازق ، ومصطفى صادق الرافعى ، ومنصور فهمى ، وعباس محمود العقاد ، وشيخ الخطاطين نجيب هواوينى .

---

١ - جمع غرثان = جائع

بل ان صلات « مي » قد اتسعت لاكثر من مائة من اهل الفكر العربي والاجنبي . بينهم المصري واللبناني والسوري والايطالي والفرنسي والانجليزي والالماني ، وتلقت منهم رسائل تعبر عن عاطفة الحب لها ، والاعجاب بمواهبها ...

● الذين احبوها واحبتهم ●

ليس من شك ان هذه الصفوة من رجال الفكر وارباب القلم ، التي كانت تحرص على شهود ندوة مي ، ولا تتخلف عن فرصة تتاح للقائها ، قد كانوا يجدون في مجلسها متاعا نفسيا وراحة قلبية ، او كانوا يتعلقون بها على اقدار مختلفة من التعلق او الحب ، مثلما كانوا يجدون المتاع العقلي فيما يثار من مناقشات حول مسائل الادب والفلسفة والاجتماع وغيرها ، وفي الطرافة التي تقود بها الحوار فتاة رائعة الحسن خطيبة اديبة فنانة على غير المألوف لتلك الايام ... حقا ان مجلس الاميرة الاديبة « نازلي فاضل » قد سبق مجلسها ، وجمع الوان السياسة والادب ، لكن مجلس الاميرة كان مغلقا على الخاصة ممن يبلغون منزلتها ، اما مجلس « مي » فكان مفتوحا لاصحاب الفكر والرأي بغير قيد ولا حجاب ...

لكن هناك طائفة منهم قد هاموا حبا « بمي » ، وبادلتهم مي حبها العفيف المتحفظ ، الذي لم يكن يذهب الى ابعد من قبلة على الجبين في اكثر الاحوال حسبما يروى الراوون ... وعن بعض هؤلاء نتحدث في ايجاز

● ولي الدين يكن واسماعيل صبري ●

والشاعر السياسي الثائر ولي الدين يكن قد فتن بمي ، وهام بها حبا ، وقال فيها الكثير من الشعر المفعم بالوجد والهيام ... وقد بادلته اصدق العاطفة وانبل الحب ...

وذات مرة عجز عن الذهاب اليها لمرضه فكتب اليها قصيدة ضافية تعبر عن هواه ، جاء فيها :

تمسين ناسية وامسى ذاكرا   عجبا الشاعرة تهاجر شاعرا ؟!
ان كنت لا اسعى لدارك زائرا   فلكم سعى فكرى لدارك زائرا
يا ويح ذى قلب يناجى مثله   يدعوه مؤنسه فيبقى نافرا !

وعلم بمرضها فتمنى أن يحمل الامها فوق ما يحمله من الام ، وبعث اليها يفديها بحياته ، ويقول :

اتسقم مي وابقى صحيحا   الا انني الصاحب الخائن !
فيارب هب لي مواجع مي   باضعاف ما يزن الوازن !
وهب لي من حياتي حياة لها   واني لامثالها ضامن !

وقال يخاطب طيفها في المنام حين عزت رؤيتها في اليقظة بسبب المرض:

عيناك عيناها كذا كانتا   والوجه ذاك الوجه لم يبدل
يقتل قلبي خافقا هكذا   كانه القي في مرجل !

وزارته « مي » في منزله بحلوان اثناء مرضه ، فانتعش ونظم قصيدة :

تبعت مع الصبح لما تبدى   فاهدت الى السلام واهدى

وقد عرف ولي الدين « مي » في عام ١٩١٤ ، وظل على اتصال بها « طوال حياته » ، وكانت مي تبادله الحب وان رأى بعض المقربين منها انها كانت تشفق عليه لمرضه وعلته (الربو) المزمنة . وتوفي قبل وفاتها بثمانية عشر عاما ، فبكته بكاء حارا وحزنت عليه حزنا شديدا ، ولبست عليه السواد



خليل مطران : خطاب
بمناسبة تكريمه



قاسم امين : من اصدقاء
مى المترددين على ناديها

عامين ، ولم يغب عن خاطرها قط ، ووضعت صورته التى اهداها اليها ، على مكتبها ، تتعزى وتسعد بالنظر اليها ..

وكان اسماعيل صبرى باشا لا يقل حبا لى عن ولى الدين يكن ، وكانت شديدة الاعجاب بشعره • وديوان اسماعيل صبرى حافل باشعار الغزل فى « مى » وقد اجتمع يكن وصبرى ذات ليلة عند « مى » ، فاطلعتهما على صورة حديثة لها فارتجل صبرى يصفها :

ارسلى الشعر خلف ظهرك ليلا　　واعقديه من فوق راسك تاجا
انت فى الحالقين بدر تراءه　　صادعاً تية الداجى وهاجا

وقال ولى الدين :

اوحى اليها ربها وحيه　　الا تراها وهى تستمع !
رقت مفاتنها والفاظها　　كانما الفاظها المع !
يا مى ما فى الكون من بهجة　　الا وفى عينيك لى تسطع !

● انطون الجميل ●

هاجر انطون الجميل الاديب اللبنانى والمدرس ببيروت الى مصر فى عام ١٩٠٩ قبيل قدوم مى اليها ، وانشأ مجلة الزهور ، ثم عمل موظفا فى الحكومة المصرية ، فرئيسا لتحرير الاهرام الى ان توفى • وكان صديقا لعائلة مى ، وثيق المعرفة بها ..

وقد اخذ يتابع ما تكتبه الانسة فى مجلة والدها المحروسة ، ويبعث اليها برسائل الاعجاب بادبها والحب العميق لها •

وفى ١٥ من ابريل « نيسان » لعام ١٩١٥ بعث اليها رسالة رائعة ، تعليقا على ما نشرته من وصف لمكتبة الجامعة المصرية وصور الخالدين التى تزين جدرانها ..

ومنها قوله :

« يا مى ••• ما اجمل خلود الفكر ! اليس هو ادعى الى الغبطة من خلود النفس !

« انت لست بالغريبة عن هذه الارواح الخالدة ، كما انها ليست بالغريبة عنك ••• فمحبو الجمال كمحبى الحقيقة ، اولاد طين واحد ، بل ابناء اسرة واحدة

« انا لم تقع عينى على هذه الصورة التى وصفتها ••• ولكنى اشك فى ان المصور ، الذى رسم بالوانه هيكلها الفانى ، قد اجاد اجادتك حين صورت بالفاظك وعبارتك روحها الخالدة وفكرها الباقى ••• »

ويستفيض انطون الجميل في الحديث عن صفته المعاصر بدمي ، ويختم رسالته بقوله :

« أجل لعل تلك الارواح تطل علينا من عالمها الثاني ، تشاركنا في دموعنا وابتساماتنا ! لا شك انها ترثى لحالنا بل تضحك منا - تضحك من أحزاننا ، ونحن نتوهم انه لم يشعر بالحزن قلب غير قلوبنا . وتضحك من حبنا ، ونحن نتصور اننا دون سوانا قد اخترنا الحب » .

« هذه السطور ، يا مي ، علقيها على حاشية بحرف ضئيل على متن يومياتك الجميلة . ولعلك فاعلة ، فينعكس عليها شيء من نور فكرك الثاقب ، يجعل لها بعض الرونق في عينك الثالثة ! » .

وشارك الجميل مي في الاعداد للاحتفال بالعيد الخمسيني لمجلة المقتطف في عام ١٩٢٦ . واتصلت رسائله معها معبرة عن أعمق الحب واصدق التقدير ...

وظل حريصا على الاتصال بها ، وعلى توديعها اذا سافرت واستقبالها اذا قدمت ...

وفي عام ١٩٢٨ بعث اليها برسالة تعبر عن الاستغراق فيها ، ويعتذر عما فاته من وداعها قبيل سفرها الى الاسكندرية ، ويشكو من عاملة التليفون في تلك الايام مثلما نشكو نحن من التليفون بلا عاملة في هذه الايام .. ويقول :

« ... غادرت القاهرة أمس . وقد حاولت كثيرا أن أخاطبك تليفونيا من المحطة قبل السفر ، فلم افلح لان جواب السيدة عاملة التليفون كان دائما : « مابيردش » قالت لي ذلك بالعربية والفرنسية والايطالية ... نحن نعرف الشيء الكثير من معاكسات سيدات التليفون ، ولكنها ما ضايقتني مرة مثل هذه المرة ، فسلمت أخيرا أمري الى الله ... ولا أعرف الان موعد رجوعي الى القاهرة ، فان الاحوال لم تستقر ، ولكني أتمنى أن يكون ذلك قريبا .

« وانت .. كيف انت ؟ ارجو ان تكوني على ما ارجوه لك من الصحة والهناء !

« بلغت الى البحر ما زودتني له من سلام وتحيات ... الساعة الان متاخرة من الليل ولا يسعني الا الانتقال بالفكر الى تلك الشرفة الشاهقة « يعني شرفة منزلها » ذات الفضل العميم علي في مثل هذه الساعة . فاقف طويلا عن الكتابة ضائعا في بحار الذكريات ... بل ان الكلمات تعصاني ، فابحث عنها ولا اجدها » .

وقد تعلق خليل مطران بمجلس مي وحبها ، مثلما تعلق انطون الجميل ... وسئلت مي عن انطون الاديب وخليل الشاعر ، فقالت في لباقة وروعة :

« ان انطون بائع جواهر ، وخليل مطران يملك جواهر » .

● عباس محمود العقاد ●

روى صاحب « أطياف من حياة مي » أن الاستاذ العقاد وصف حبه لمي مع حبه الاخر فقال :

« أحببت في حياتي مرتين .. أحببت « سارة » وهذا ليس اسمها الحقيقي وانما هو اسمها المستعار الملقته عليها في قصتي المعروفة بهذا الاسم .. وأحببت « ماري زيادة » الاديبة المعروفة باسم « مي » .

« كانت الاولى مثالا للانوثة الدافقة الناعمة الرقيقة ، لا يشغل راسها الا الاهتمام بجمالها واناقتها ، ولكنها كانت - الى ذلك - مثقفة .



جبران خليل : عشق بلا تلاق



احمـــد لطفى السيد :
راسلها على القرب والبعـد

« وكانت الثانية ــ وهى مى ــ منطقانية الحجة ، تناقش وتهتم بتحـرير المرأة واعطائها حقوقها السياسية وكانت جليسة علم وفن وأدب ، وزميلة فى حياة الفكر ، اى أن اهتمامها كان موزعا بين الادب والانوثة •

« كلتاهما جميلة ، ولكن الجمال فى « مى » كالحصن الذى يحيط بالخندق، أما الجمال فى « سارة » فكالبستـان الذى يحيط به جدول من الماء النمير ، هو جزء من البستان ، لا حـاجز دون البستان ، وهو للعبور اكثر مما يكون للصد والنفور ! »

وهكذا أجاد العقاد فى وصف جمال « مى » وثقافتها وعفتها ، وعبر فى الوقت ذاته عن هيامه بها •

وعرف العقاد « مى » منذ عام ١٩١٥، وتردد كثيرا على منتـــداها ، بل كان يصحبها وحده احيانا فى شهود بعض الافلام السينمائية دون أن يشعر بهمـا أحد ••• واتصلت رسائلهما ، وحرص كل منهما على الاحاطة بشئون الاخر• ونظم فيها العقاد أروع الغزل ، وسماها فى شعره « هندا » •

فلما ماتت « مى » بكاها العقاد أحر البكاء ، ووقف على قبرها يقـول فى لوعة ، والدموع تفيض من عينيه :

« كل هذا فى التراب ؟! آه من هذا التراب » !

وبكاها مع العقـاد غيره من أعلام عصرها ••• لقد أحبها لطفى السيد ، وراسلها على القرب والبعــد ، ولازم مجلسها ،واختص بمجلس وإياها ــ مع طه حسين • وحين توفيت بكاها وحزن عليها •

وكذلك عشقت « مى » وعشقها جبران خليل جبران على البعــد وبلا تلاق ، وتراسلا أروع الرسائل ، مثلما راسلت امين الريحانى •••

والشيخ الفيلسوف الاديب مصطفى عبد الرازق قد تعلق « بمى » وتعلقت به ، وأبدع فى رسائله اليها • وحين ماتت رثاها بأسلوبه الرفيع وقلبــه الحزين ، فكان من قوله :

« شهدنا مشرق « مى » ، وشهدنا عهد « مى » ، على أن مجدها الادبى كان طويلا •• »

● أسلوب مى وفكرها ●

كان أسلوب « مى » هو ذاتها •••موسيقى العبارات ، محكم الفصــل والوصل ، يعكس ثقافتهـــا العربية والاوربية ، كما يعكس جمالها وروعتها

... كان يمثل في الوقت ذاته ثورتها وحريتها وطموحها وتشاؤمها . وكان مفعما بالحماسة والقوة ...

وتبدو قوتها وثورتها في حديثها عن عالمنا الشرقي تستنهضه ، وتطلب منه ان يستعيد سيرة مجـــده الاولى .. وتوجه اليه رسالة مستفيضة منها :

« يا شرقي الكبير الرهيب الرءوف !

« انك لتتجمع تحت بصري كلوحة مصورة ، فأرى منك الفقر والجهـــل والاضطراب والاحتدام والانفعال ! .. ربوعك خالية ممـــا لدى الاقوياء من صروح ومعاهد ومصارف ومعامل ... ها قد جاء وقت النهوض ... أنت برج الفجر . فقم واعمل ، وارقب من أي انحائك يلوح مشعل الضياء ! » .

كما تبدو ثورتها وطموحها حين تدعو الى حكومة من النســـاء المستنيرات المثقفات بعـــد أن فشلت حـــكومات الرجال !

والحزن يستبد بكتاباتها منذ شبابها الاول . فالحزن يسيطر عليها في الربيع وتقول مثل قولها : « يحزنني الربيـــع ... يحزنني أن أرى مواكبه الجميلة تسير في الفضاء فلا يراه البشر الا من كوى ضيقة ... »

ومعاني الحزن والفناء تسيطر عليها في وصف قلعة « بعلبك » بلبنان . بل ثلوج لبنان كذلك ، فتقول :

« وما انحناء تلك الاعمدة الا رثاء وتأبين . بل هو التأبين الوحيد اللائق بهيكل بعلبك .

وثلوج لبنان التي تجهل أي خطب جرى تنظر من عل الى حزن الجماد الدهري ... »

وهي تهيم بالحـــرية وتتمرد على التقاليد البالية وترى الحرية معين القوة والحياة ... وتقول كثيرا من مثـــل قولها :

« النبات حر فلماذا لا يكون الناس احرارا ؟! العبودية مملولة ، والتمرد نبيل يدل على القوة والحياة ... فما الخلل الذي نراه الان في تربيتنا الا لاننا جميعا عبيد الجهل المقيم والضغط القديم ... كيف نوفق بين النقيضين؟ بين التساهل في قبول العادات الاوربية المتفشية بيننا وبين الاستعباد الشرقي الراكد في مستنقعات نفوســـنا ؟! أول قواعد التهذيب معرفة الواجب ، وشرط معرفة الواجب الشعور بالحرية ... »

وهكذا عبـــرت « مي » عن عصرها الناهض المتوثب ، وبنفسها الحرة الابية أروع تعبير ، واستحقت ما نالت من تقدير وخلود ...

● مأساة مي ●

لكن « مي » التي ملأت الاســــماع والابصار وفتنت الافئـــدة والعقول في حياتها ، كانت نهايتها بائسة حزينة ..

لقد مات أبوها في عام ١٩٢٩ وكان قوتها وسعادتها . ثم ماتت أمها من بعد بقليل ، ففقدت أعز من تحيا بهما ... وأصيبت الكاتبة بانهيـــار عصبي : واعتزلت الحياة والناس ، وأضربت عن الطعام ، وانتهى الامر بها أن تستقر في مستشفى العصـــفورية للامراض العقلية بلبنان ... لكنهـــا استعادت بعض رشدها ، وخرجت من المستشفى عائدة الى المعادي في مصر ، حيث ماتت في عام ١٩٤١ ، بعد أن ملأت العالم العربي من معاني الفن والقوة والابداع ، وخلدت ذكرها على الزمان .

ملهمات

هناك من الملهمات شخصيات اسطورية او تاريخية كان لها فعل السحر في نفوس العديد

من الادباء من امثلة ذلك الملكة جرينيفير زوجة الملك الاسطورى

ارثر صاحب فرسان المائدة المستديرة التى ظهرت فى كثير من الاعمال

التالية لموت الملك ارثر بشكل او باخر وخاصة فى قصائد الشعراء ٠

ولعل خير مثل على الاطلاق فى هذا المضمار هى ملكة مصر الفاتنة كليوباترا ٠ فقد حظيت هذه الملكة

الفاتنة فى الادب الانجليزى كما حظيت فى غيره من الاداب العالمية

الاخرى مثل الادب الفرنسى والايطالى والعربى ، باهتمام عديد

من الادباء ... فالى جانب ظهورها فى مسرحية لصمويل دانيال

اذا استعرضنا بعض الشخصيات التى يمكن ان نصفها بالملهمات فى الادب الانجليزى ، وجدنا أن منها الشخصيات التى تكاد تكون مجهولة تماما بالنسبة للقارىء وربما مجهولة الاسم للاديب ذاته ، فكم من شاعر غنائى لمح فتاة جميلة فاوحت اليه بقصيدة رقيقة خلد فيها لحظة من الجمال او التجربة الانسانية دون ان يسجل اسم صاحبتها ، ولنا فى قصيدة وردزورث الشهيرة بعنوان «الحاصدة» مثلا على ذلك وكم من مرة ذكر الشاعر اسم ملهمته ولكنها ظلت بالنسبة للقارىء مجرد اسم كما هو الحال أيضا فى بعض قصائد وردزورث الاخرى مثل قصيدته عن « موت لوسى » التى تعد من ارق واجمل ما كتب

وعلى العكس من ذلك ، هناك من الادباء من كثرت النساء فى حياتهم بحيث اصبح من المستحيل تقريبا تحديد اى منهن لها فضل الالهام فى عمل بالذات ، كما هو الحال فى حياة لورد بايرون الذى كان يحلو له ان يفاخر بمغامراته العاطفية ، الخيالى منها والواقعى ٠

في الأدب الإنجليزي

د. انجيل بطرس سمعان

(١٥٥٤ـ١٥٨٦) بعنوان «كليوباترا» ورواية لرايدرهاجارد (١٨٥٦ـ١٩٢٤) بنفس العنوان . فقد خلدها شكسبير

فى واحــدة من أروع أعماله هى مسرحية : « أنطونيو وكليوباترا » ثم جاء جون درايدن (١٦٣١ ـ ١٧٠٠)

احد كبار شعراء القرن الســابع عشر ، ويعالج نفس الموضــوع فى مسرحية ســماها « كل شيء فى

ســبيل الحب » واخيرا جاء جورج برناردشو (١٨٥٦ ـ ١٩٥٠) وقدم « قيصروكليوباترا » ..

ومن الطبيعى ان يقــدم كل من هؤلاء الادباء الملكة الفاتنة التى فتن بجمــالها الخاصة والعامة وجثا امامها القياصرة والحكام ـ كل من زاوية خاصة وان كانوا جميعــا قد استجابوا لسحرها ..

اما شكسبير فقد قدم كليوباترا الملكة المعــتزة بشخصيتها والمـرأة الناضجة الساحرة الرائعة الجمــال التى لا يفلت من فتنتهــا حتى الد اعدائها . فاوحت اليه شــخصيتها

بعض من اروع اشعاره وأرقهــا واجملها . وقد اختــار شكسبير لقصة حب كليوباترا وانطونيو خلفية سياسية وحمل مسرحيته كثيرا من

المعانى ، فصور الصــراع السياسى بين الشرق والغــرب وبين الطموح الدنيوى وسلطان الحب وحيــاة المتعة ، فكليوبــاترا ملكة متوجة



برناردشو : تجارب شخصية



شيكسبير : أروع الأشعار وأرقها

ملمحات في الأدب الإنجليزي

وانطونيو احد أعمدة العالم بصفته واحدا من حكام الامبراطورية الرومانية الثلاثة ، والحرب بين روما والاسكندرية يجب أن تكون شغل هؤلاء الثلاثة الشاغل ، ولكن واحدا منهم يفضل الحب على الحرب ويستسلم لاغراء الملكة التي يجب أن يحاربها ..

وتقع احداث المسرحية في الفترة التي قضاها انطونيو في مصر ، والتي انتهت بمعركة اكتيوم الشهيرة التي هزم فيها انطونيو على يد قيصر ، والتمت كليوباترا في الرهـا على الانتحار بعد أن فعل ذلك انطونيو ايضا .

وبالرغم من روعة المشاهد التي يقدمها شكسبير للمعارك الحربية من ناحية وحياة الطرب والموسيقى والولائم من ناحية أخرى . وبالرغم من الشخصيات الحية العديدة التي يرسمها لنا ، الا أن شخصية كليوباترا تظل تشغل مركز الاهتمام طوال المسرحية ، بل وتبقى هي وحدها على مسرح الاحداث بعد موت البطل طوال الفصل الاخير ، كما أشار الى ذلك احد النقاد .

وبالرغم من أن شكسبير قد استقى معظم معلوماته عن كليوباترا من الكاتب الاغريقي بلوتارك الا انه استطاع بعبقريته الفذة أن يخلق شخصية متميزة تنبض بالحياة والجمال .. ولعل السر في ذلك هو أن شكسبير قد جسم لنا تجسيما رائعا الصفة الرئيسية في شخصية كليوباترا وهي ثراءها وتعدد جوانبها وقدراتها على التلون والتغير ، فهي تنتقل من حالة الى اخرى في وميض خاطف اخاذ وكأنها حرباء تغير لونها بين لحظة وأخرى ، فهي تارة الحبيبة العاشقة التي تسأل حبيبها : « ان كنت تحبني حقا ، فقل لي الى أي حد » وهي تارة المرأة الغيور التي تثور عند سماع نبأ سفر انطونيو عند موت زوجته الاولى ، وتحاول أن تثنيه باظهار الضعف مرة وبأن تنهره مرة أخرى ، ولكنها تعود وترى اهمية سفره من الناحية السياسية فتسلك سلوك الملكة الحكيمة الجادة قائلة :

« ان الشرف يدعوك للذهاب ...

فلا تنصت لحماقتي ولتشفق على

ولتجعل الآلهة جميعا تذهب معك ،

وليكلل الغار سيفك ، ولينتشر النصر

المبين تحت قدميك ...»

ومرة أخرى نراها اثناء غياب انطونيو في روما لا تكاد تستقر على حال ، فنراها احيانا في صورة المرأة الدلهة بحب عشيقها ، تطلب منوما يفوت عليها ذلك الفراغ الكبير الذي يغيب فيه عنها ، وتارة تسأل وصيفتها شارميون عما يفعل اثناء غيابه عنها :

« آه يا شارميون

اين تظنينه الآن ، أواقف هو ؟ أم جالس ؟

أم سائر ؟ أم انه يمتطي صهوة جواده ؟ ...

آه ما أسعدك من جواد ، تحمل ثقل انطونيو !

كن شجاعا ايها الجواد ، اتعرف من تحمل ؟...

انه نصف اطلس هذه الدنيا ،

نزاع الرجال وخونتهم ... »

وعندما يلومها أحد رجال البلاط على أسرافها في ارسال الرسل الى انطونيو تعنفه قائلة :

« ليمت معدما ...
ذلك الرجل الذى يولد يوم
انسى الكتابة لانطونيو ...

اما عندما ياتيها رسول بنبأ زواج انطونيو الثانى من أوكتافيا ، فانها تنسى تماما هيبتها الملكية ، وتصفع الرسول وتكاد تقتله ، ثم تعود فترضى عنه وتجزل له العطاء ، وتسمح له بتقبيل يدها عندما يخبرها أن زوجة انطونيو لا تباريها فى الجمال أو المظهر .

وهناك صورة الملكة المعتزة بذاتها التى تتحدث الى رسول قيصر قبيل النهاية ، ثم تقرر الا تسمح لنفسها بأن تؤخذ أسيرة الى روما ، تعرض على الغوغاء ويشمت بها الاعداء ، وفى النهاية صورتها فى جمال الموت ورهبته وهى مسجاة على فراشها وقيصر يقف عارى الرأس امامها ..

ومع ذلك فشخصية كليوباترا بتناسقها وتوافق جوانبها ، وبتلك الصفة التى حار النقاد فى وصفها فسماها البعض « التوافق فى عدم التوافق » ، وسماها البعض الاخر « الانسجام فى التباين » أو « التعبير والتشكل داخل الاطار الواحد » والتى يعبر عنها خير تعبير صوت يمثل وجهة النظر الرومانية ـ غير المتعاطفة مع ملكة مصر ، هو صوت انوباربوس ، تابع انطونيو ، فى فقرة من اشهر فقرات الفصل الثانى منها ، يقول فيها :

« ان العمر لا يستطيع ان يذبل شبابها ...
ولا العادة ان تفسد
تغيرها الذى لا حد له » .

ولعل فى هذه الصفة التى خلدها شكسبير بشاعريته الملهمة بعض التفسير لقدرة كليوباترا على الهام العديد من الكتاب على اختلافهم ولاختلاف الاعمال التى تلهمهم بها . فقد صورها درايدن مثلا الغانية اللعوب التى تجد ما تستحقه من عقاب فى نهايتها المؤسفة ، بينما صورها برنارتشو فى ثوب القطة الصغيرة الشقية التى تسعى للوصول الى قيصر بأن تلف نفسها فى سجادة تحمل الى حضرته وهناك تسأله ان كان « سياكلها » ، وعندما تطمئن اليه فى النهاية تطلب اليه ان يرسل اليها شابا وسيما قويا فيبعث اليها بانطونيو .

***

فاذا انتقلنا من هذه الملهمة الاسطورية ، الى ملهمات من عالم الواقع الذى يعيشه الاديب ، فلعل اول مثل يستحق التسجيل هو « سيدة السونيتات السمراء » التى الهمت شكسبير ايضا بعدد من سونيتاته أو قصائده والتى اختلف النقاد بشأن هويتها فقال البعض انها مارى فيتون احدى وصيفات الملكة اليزابيث ، وقال البعض الاخر انها صاحبة حانة فى اكسفورد . وقد كانت ذات شعر أسود وبشرة تميل الى السمرة فى الوقت الذى كان فيه الشعر الاحمر



تشارلز ديكنز • خطاب مفتوح

كشعر الملكة والبشرة البيضـــاء من الصفات المطلوبة فى النساء ..

ويبدو أن شكسبير بالرغم من حبه لهذه السمراء الا انه كان يثور احيانا على هذا الحب وعلى الاحســاس بالوقوع فى الاسر فيهجو محبوبتــه هجاء لا يخفف من حدته انه يعــود فيحاول استرضاءها بالاطراء والمديح

وقد عالج برنارنشو باسـلوبه الســاخر هذه العلاقة الغريبة فى مسرحية من مسرحياته الخفيفة ، سماها « سيدة الســـونيتات الســمراء » وذلك ضـــمن حمــلة الدعاية لاقامة مسرح قومى لتخليد ذكرى شكسبير فى عاصمة بلاده . وتقـع احداث المسرحية فى بلاط الملكة حيث يخطىء الشــاعر العاشق الذى ياتى الى البلاط ليلا لزيارة سمرائه فيظن الملكة حبيبته ، وعندما يكتشف خطاه يعجب كيـف امكنه ان يحب مثل تلك السيدة بينما هناك مثل ذلك الجمال الذى تتميـز به هذه السيدة الاخرى ... ويواصل شو دعابته فيصور اللقاء بين الملكة والحبيبة والشاعر المســكين حائر بينهما .

ومما يذكر ان الملكة اليزابيث ذاتها اوحت لبعــض ابناء عصرها بعض كتاباتهم كما هو الحال فى ملحمـة ادمــوند سبنسر (١٥٥٢ ـ ١٥٩٩) الرمزية : « الملكة الجنية » .

●●●

فاذا انتقلنا الى فترة الحــركة الرومانسية وجدنا امثلة للملهمــات فى حياة كل من شعرائها تقريبا ، مثل وردزورث ، وبايرون ، وشيلى وكيتس فاذا اتخذنا كيتس مثلا لذلك ، وجدنا ان علاقته بفانى براون ، قد حظيت بكثير من اهتمام الكتاب والنقــاد ونسب اليها البعض الفضــل فى خصوبة انتاج الشاعر الشاب وروعته اثناء فترة حبه لها بينما اتهمهــا البعض الاخر بالتعجيل فى نهايته .

تعرف بها كيتس (١٧٩٥ ـ ١٨٢١) ـ الشاعر الرومانتى ـ الذى هجـر دراسة الطب ليتفرغ لكتابة الشعر ، ولكن المرض والموت لم يمهلاه طويلا وهو فى الثالثة والعشرين من عمره وهى فى الثامنة عشرة اثناء اقامته بمنطقة هامبستد الجميلة فى شمال غرب مدينة لندن .

ويبدو ان كيتس اعجب بجمالهـا من بداية الامر ، وتطورت العــلاقة بينهما ببطء لتصبح عاطفـة قوية . لقد احبها كيتس حبـا عارما وكتب اليها وقد اصبح اسير هواها يقول :

« لقد عرفت من اللحظة الاولى التى رايتك فيها انى ساصبح عبدا لك » .

وفى مكان اخر يصفها بالقســوة لانها « اوقعته فى شركها وجعلت منه اسيرا لها » . وما لبث حب هــذه الفتاة ان ملك كيانه واســتحوذ على فكره .

وكان من طباع كيتس ومن خصائص عبقريته الشعرية ان يصبح كل شىء فى حياته مادة لشاعريته . لذا كان من الطبيعى ان تتحول قصة حبـه لفانى الى مادة شعرية او بمعنى اخر ان تصبح فانى ملهمة له ، الا ان هذا الحب لم يجد الطريق امامه سهلا ممهدا . فقد كان كيتس يمر بضائقة

ملهمات في الأدب الإنجليزي

مالية ، وكان قد مني بموت أخيه الحبيب توم ، كما كانت علاقته العاطفية الفكرية بملهمة أخرى من ملهماته هي ايزابيلا جونز قد اخذت في التعثر ... فبالرغم من ان كيتس كان يحب تلك الفتاة حبا عميقا عبر عنه في كثير من رسائله اليها وانعكس في بعض القصائد التي كتبها في تلك الفترة من حياته ، الا أن ذلك الحب قد أذكى في قلبه ذلك الصراع بين العاطفة والطموح، بين الجسد والروح بين المتعة والشعر . ذلك أنه من ناحية - كان يؤمن بالحب والجمال ايمانه بالشعر ، ولكنه من الناحية الاخرى كان يعتقد أن هذا الحب قد سلبه حريته التي لا يمكنه بدونها أن يتفرغ للشعر ويكتبه كما يشاء . وكان ذلك من الاسباب التي أفضت لعطفة التفاهم التام والاتفاق على الخطبة بين الحبيبين . فمن الواضح من سلوك كيتس ومحاولته الابتعاد عن حبيبته في بادىء الامر ومن رسائله لها ،انه كان يقاوم ذلك الحب وذلك الارتباط الذي كان يعلم أن معناه الزواج ،وهو يكره الزواج كنظام كنسي اجتماعي بينما يعرف طبيعته الحسية ولا يستطيع أن يقنع بالحب العذري .

ولما كانت فاني براون شابة مرحة تحب الحياة والرقص والحفلات فقد كانت تثير غيرة كيتس بوصفها للحفلات التي كانت تذهب اليها وذكرها لاسماء بعض الشبان الذين تراقصهم اثناءها ، - فيغضب وتثور ثائرته ويبعث اليها برسائل ، ملتهبة كالصراخ ، كما وصفها هو ذاته لاحد أصدقائه .كتب في تلك الفترة يقول بأنه قد توقف بالفعل عن كتابة الشعر ، وانه لم يعد بوسعه أن يفعل شيئا سوى أن يشي في غمار التعاسة والتعطل أهداف الحياة ، وطعم الفكر ونكهته ، ويعمى عن الطموح .

ومع ذلك فمما لاشك فيه أن جميع تلك المشاعر والاحاسيس المتباينة المتضاربة من حب وغيرة وثورة وتمسك بالحرية ورغبة في الاشباع الجنسي والمتعة وبالجمال والميل الى الطموح وتحقيق الذات .. قد وجدت طريقها الى شعر كيتس . اذ يرى كثير من النقاد أن السنة الاولى من قصة حبه لفاني كانت من اخصب سنوات حياة كيتس المعدودة واكثرها انتاجا. فقد كتب بها أشهر قصائده : «قصيدة للبلبل » و « أنية اغريقية » الى جانب عدد كبير من السونيتات والاعمال الاخرى .

يقول أحدالنقاد أن قصيدته الطويلة « لاميا » التي تقوم اساسا على احدى الاساطير القديمة التي تصور البطلة كأفعى وامرأة في نفس الوقت قد تأثرت بحبه لفاني، فاتخذت الاسطورة على يديه شكلا جديدا ، ولم تصبح البطلة مجرد الحية الماكرة الغادرة التي تسعى لايقاع البطل في حبائلها ثم القضاء عليه في النهاية . بل أصبحت المرأة الفاتنة الساحرة الطيبة أكثر منها الحية الشريرة .

وهكذا نرى انه بالرغم من أن معظم النقاد يرون أن حب كيتس لفاني كان له أثر ملحوظ في نشاطه الشعرى الا أن البعض الاخر يرى انه من الصعب الفصل بين أثر هذا الحب وبين غيره من العوامل الاخرى التي أسهمت في تهيئة الجو المناسب لشاعرية كيتس لتنشط بهذا الشكل الرائع .

اما ما يهمنا هنا على اى حال فهو أن فاني براون يمكن ان توصف كواحدة من ملهمات واحد من أهم الشعراء الانجليز ، تشاركها في ذلك

ملهمات في الأدب الإنجليزي

ايزابيلا جرنز وجين كركس وغيرهما، الا ان اسم فانى قد ارتبط باسم كيتس اكثر ربما لانها عرفته فى اواخر

ايامه وفى فترة نضجه الشعرى . وربما نتيجة لكثرة واختلاف الاراء بشأنها . فمن قائل انها كانت فتاة

تافهة سطحية لا تصلح زوجة لكيتس ومن قائل ان حبها لكيتس قد اسرع فى نضج شخصيتها وصقلها . وانهـا

كانت بالفعل فتاة ذكية مرهفة الحس نافذة البصيرة عرفت كيتس حق المعرفة وادركت مدى عبقريته وكانت ستصبح

الزوجة المثلى له لو امهله الموت ولم يحل بينهما مرضـه وتركه لانجلترا ليقضى عامه الاخير بعيدا عنهـا فى ايطاليا .

***

فاذا اردنا امثلة اخـرى للملهمات الشعراء فهنـاك اليزابيث باريت الشاعرة وملهمة الشـاعر روبرت

براونينج احد كبار شعراء عهد الملكة فيكتوريا ، ثم زوجة و . ب . بيتس الشاعر الحديث مثلا .

فاذا انتقلنا من عالم الشعراء وكتاب المسرح الى عالم الروائيين الانجليز وجدنا هنا ايضا عددا لا يستهان به من الملهمات . ولكننا سنقصر الحديث على اثنتين او ثلاث منهن فقـط ، ولنختر منهن من الهمن كتابا يعرفهم القارىء العربى ويجد بعض اعمالهم

بين يديه مثل تشارلز ديكنز . و د . هـ . لورنس .

الروائيون بوجه عام اكثر ارتباطا بالواقع من غيرهم من الادباء ، ولذا فكثيرا ما نجد انتاج الروائى وثيـق الصلة بواقع حياته . وتشارلز ديكنز

(١٨١٨ ـ ١٨٧٠) تعتبر حيـاته العاطفية والجنسية ـ الى جانب ظروف حياته الاسرية المبكرة ، واشتغاله وهو صبى فى مصنع لطلاء الاحذية ، ثم

صلته بالمحاكم ودور القضاء عنـدما عمل كاتبا بها ثم معرفته الوثيقـة ببيروقراطية الاداة الحكومية وبطئها ـ من اهم مناطق حياته واكثرها تأثيرا فى انتاجه الروائى .

وهناك اتفاق على انه كانت هنـاك ست نساء على الاقل فى حياة ديكنز نستعرضهن بايجاز اولا ثم نرى من منهن يمكن اعتبارهن من الملهمات .

اما اولاهن فماريا بيدنيل ، اولى محبوباته وصغرى بنات احد معارفه خيل اليه ان والدها يشجع حبه لها بدعواته المتكررة للعشاء . وبعـد

قصة حب دامت اربع سنوات من جانب واحد على الاقل فوجىء ديكنز بماريا ترفضه رفضا قاطعا ، فترك رفضها فى نفسه اثرا لا يمحى من اليأس وعدم الثقة بالنساء .

ثم كاترين هوجارث وكانت كـبرى بنات رئيس تحرير مجلة « ايفننج كرونيكل » التى كان ينشر بها اعماله واعجب بها ديكنز وتزوجهـا ودام زواجهما حوالى عشرين عاما انجبت

له خلالها عشرة ابنـاء ، ثم انتهى بالانفصال الذى اعلنـه ديكنز على الملأ فى خطاب مفتوح لجريدة التايمز يحاول فيه تبرير موقفه فسبب ما يشبه الفضيحة . وقد كان لكاترين اختان جاءت الاولى واسمها مارى لتعيش



د.جـ. الرمثى : علاقة وطيدة

مع اختها وزوجها عند زواجهما ، ثم توفيت فجاة فى سن الشباب بين ذراعى ديكنز . ثم جاءت الاخت الثانية جورجينا لتحل محل اختها ولتبقى فى بيت زوج الاخت حتى بعد انفصاله عن زوجته وتركها بيت الزوجية مما اثار الكثير من الاقاويل عن علاقة ديكنز باختى زوجته .

ثم هناكانجيلا بورديت كرتس التى كانت تعمل معه فى حقل الجمعيات الخيرية .. واخيرا الين ترنان وهى شابة احبها فى الفترة الاخيرة من عمره واتخذ منها عشيقة ، ينفق عليها ويزورها سرا . لما كان للرأى العام التزمت فى عهد الملكة فيكتوريا

من سطوة وتاثير على سلوك الافراد والشخصيات العامة مثل ديكنز الكاتب الناجح المحبوب بوجه خاص . وبالرغم من أن هذا الحب كان سببا من أسباب انفصال ديكنز عن زوجته الا ان الامر ظل سرا لا يعرفه الا المقربون من اصدقاء ديكنز الى ان كشف عنه أحد الكتاب بعد موته بحوالى ثمانين عاما .

وبنسب النقاد الى هذه المغامرات العاطفية الجنسية التى خاضها ديكنز ولحياته الخاصة المضطربة ، موقفه من العلاقات العاطفية فى اعماله بوجه عام واسلوب تصويره للزواج والازواج والعوانس وتقبيحه للزوجات اللائى لا يشاركن ازواجهن حياتهم الفكرية ولا يمنحهن الرضا والاشباع والسعادة التى يتوقون اليها ، والى حياة الصراع والشجار والمرارة التى يحياها الازواج فيما بعد فترة الشباب بوجه خاص .

فاذا امكن القول بان علاقة ديكنز بتلك النساء الست كان لها دور فعال فى حياته اولا ثم فى انتاجه الادبى ثانيا ، امكن ان يقال أنهن من الملهمات ان لم يكن ايجابيا فسلبيا . الا انه اليجانب الصبغة العامة التى اصطبغ

بها موقف ديكنز من الحب والزواج بوجه عام ، فقد أوحت اليه بعض هاته النساء بشخصيات بالذات او بانماط من الشخصيات تتكرر فى الكثير من اعماله .

ولعل اثر ماريا بيدنيل وما اصاب ديكنز نتيجة حبه الفاشل لها من خيبة امل ، كان من اكبر مصادر الالهام له

يلى ذلك زواجه من كاترين ، وتعلقه باخت زوجته التى توفيت فى شبابها .

كتب ديكنز عن ماريا بيدنيل يقول:
« لقد تركت فى نفسى اثرا عميقا لدرجة انى ارجع اليه علة كبت عواطفى التى اصبحت اتصف بها

الان ، والتى اعلم انها لم تكن جزءا من طبيعتى الاصلية ، والتى جعلتنى حريصا جدا فى اظهار عواطفى حتى لاطفالى ، الا فى صغرهم » .

ويبدو أن ديكنز قد ثار لنفسه بتصويره للزوجات الفاشلات وللعوانس وللنساء الخائنات وبفشله فى تصوير امثلة مقنعة لنساء طيبات،

الا فيما ندر . ولعل فى اكثر اعماله شهرة واقربها الى سيرته الذاتية . « ديفيد كوبرفيلد » امثلة من معظم الانماط النسائية فى رواياته . فهناك

ملهمات في الأدب الإنجليزي

دورا الزوجة الطفلة التي لا تشبع شوق زوجها الى زوجة تلهمه وتستجيب الى رغباته والتي تموت عندما تدرك أنها فشلت في الاحتفاظ بقلب هذا الزوج وهناك أمثلة من العانس التي تؤدى خيبة أملها في الزواج والاشباع الجنسي والعاطفي الى المرارة والقسوة الا في قليل من الاحوال كما هو الحال في العمة بيتسي ، وهناك الفتاة البريئة التي يسهل خداعها والتغرير بها ، ثم هناك الصورة المشرقة للزوجة التي تمناها ديكنز ولم يحصل عليها، في شخصية أجنس ، الفتاة الذكية الحكيمة الفاضلة التي يتزوجها ديفيد كوبر فيلد بعد موت زوجه الاولى ، وكان ديكنز يحقق في عالم الخيال ما كانت تصبو اليه نفسه في عالم الواقع .

●●●

أما مثلنا الاخر فهو د . هـ لورنس (١٨٨٥ ـ ١٩٣٠) أحدكبار الروائيين المجددين في الثلث الاول من القرن العشرين ، وواحد من أعظم كتاب الرواية الحديثة .

ارتبط اسم لورنس بتصويره للحب والجنس كعوامل اساسية في العلاقات الشخصية والحياةالانسانية بوجه عام .. ومرة أخرى تعكس أعماله الكثير من تجاربه الشخصية في الحياة ، فقد كان للنساء ـ ممن أصبحن ملهمات فيما بعد ـ شأن كبير في حياته. فاذا تغاضينا عن العلاقات الوقتية العديدة التي لا بد أن يتعرض لها كاتب ناجح ، وجدنا أن أهم من لعبن دورا هاما في حياته هن : أولا أمه ، ثم جيسى تشيمبرز الفتاة التي أحبها في شبابه الاول ، ثم السيدة المتزوجة التي أحبها بعد موت أمه ، فتركت زوجها وأبناءها وهربت معه لتصبح زوجته ورفيقة عمره فيما بعد .

كانت علاقة لورنس بأمه كما تعكسها أشهر رواياته : « أبناء وعشاق » (١) علاقة خاصة . فقد تزوجت الام وكانت على قدر من الثقافة من عامل من عمال المناجم يكاد يكون أميا بعد أن استهوتها شعلة الحياة المتأججة في بدنه ووجنتيه ولفت نظرها بضحكاته ورشاقته الغريزية ، واستهواهامظهرها وسلوكها المهذب ، ولكن سرعان ما أخذت بوادر الخلاف تدب بين الزوجين حين تكتشف الزوجة أن زوجها ينقصه الاحساس بالمسئولية والقدرة على تغيير حياته بالشكل الذي ترتضيه ونتيجة لذلك تتجه الام بحبها الى الابناء لتتخذهم عشاقا الواحد بعد الاخر ، كما يعبر عن ذلك لورنس، فيشتد تعلقهم بها ويصبح من المتعذر عليهم أن يكونوا علاقات سوية مع الجنس الاخر (٢)

(١) ترجمها الى العربية شفيق مقار (روايات الهلال) ١٩٧٠ .

(٢) لزيادة التفصيل انظر كتابنا « بين الروائي والرواية » دراسة تطبيقية في الرواية الانجليزية الحديثة (مكتبة الانجلو . القاهرة ١٩٧٢)

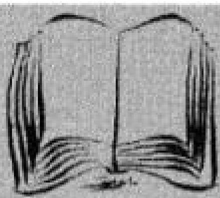
وفى رواية « أبناء وعشاق » نرى كيف يحب بول الذى يمثل لورنس الفتاة مريم التى تمثل جيسى تشيمبرز ولكن ذلك الحب لا ينتهى الى شيء بسبب علاقة بول بأمه . فبالرغم من أن هذا الحب يبدأ طبيعيا الا أنه ينتهى الى الفشل والاحبـــاط . ذلك أن العلاقة العذرية التى تبدأ بين الفتى والفتاة فى طور المراهقة بقراءةالشعر وتعلم الفرنسية والجبر لاتتطور التطور الطبيعى الذى ينتهى بالزواج كما كان يرجى لها بحيث لم يكن من الممكن ، كما يشكو بول ، أن يتبادل الحبيان قبلة بريئة ، هذا فى الوقت الذى يبدأ بول فى الاحساس بحاجاته الجنسية ويدعى أنه يود لو يستطيع أن يشتهى مريم ويفكر فى الزواج بها ، ويأخذ فى اتهام مريم بالبرود لعدماستطاعتها اشباع رغباته بينما حقيقة الامر أن ارتباط بول بأمه كان من القوة بحب التملك بحيثلم يترك له حرية الارتباط الكامل بغيرها من النساء فحتى عندما تضحى مريم بنفسها وتستسلم لبول فان تجربة الحب بينهما تبوء بالفشل لتترك لدى بول شعورا باليأس والموت كما يقول وعندما يتجه الى امــرأة أخرى متزوجة مجربةتعرف كيف تشبع تلك الرغبات ، فان العلاقة تنتهى الى الانفصال أيضا ، ذلك ان كلا الطرفين يشعر أن كل ما يحققانه هو الاشباع الجنسى ، وليس الاتحاد الكامل الذى يسعيان اليه .

وبالرغم من أن عـلاقة بول ومريم لا تحقق النجاح الا انها كانت علاقة هامة بالنسبة للأديب الناشيء بول . فقد كانت مريم تثير فيه الرغبة فى الحديث عن أعماله وتذكى نشـاطه الابداعي ، كما كانت أول من سعى لنشر بعض أعماله دون علمه ونجحت فى ذلك . وهكذا كانت علاقته بجيسى تشيمبرز فى عالم الواقع هى المادة الخام التى خلق منهـا تلك الرواية الرائعة التى وضعت على الخريطـــة الادبية منطقة من أهم مناطق التجربة الانسانية وأكثرها رقة وشاعرية وهى تجربة الحب الاولى بين فتى وفتاة ، وما قد يصيبها من اضطراب وفشـل ومرارة نتيجة تدخل الام الارادى أو غير الارادى ، والتى تشــكل بمعنى آخر صورة أدبية حية نابضة « لعقدة أوديب » .

أما فريدا المســيدة الالمـــانية الارستقراطية التى أحبها لورنس فيما بعد والتى خلصــته من ذكرى أمه ، فبالرغم مما كان يشـــوب علاقتهما الزوجية فيما بعد أحيانا من شجار ونزاع وتراشق بالالفــاظ والاطباق ، فقد أوحت اليه بالكثير من خيـــر ما كتب وخاصة فى روايتى « قوس قزح » و « نســـاء عاشــــقات » فقد حقق معها تلك « الضمة الزوجية الكاملة » التى لا تتحقق الا لقليل من الناس، والتى يحققها بعض شخصياته فى هاتين الروايتين الكبيرتين بعـــد فترة قد تطول وقد تقصر من الصراع بين الرغبة فى التسليم وبين الدفاع عن الذات ، بين الرغبة فى الحب والثورة ضد ما يقتضيـه من اذعان للغير فاذا تحققت بالوصول الى نوع من التوازن بين الذاتيـة والغيرية تحققت السعادة التى يصبو اليهـا الانسان فى علاقاته الشخصية .

وهكذا سيظل التاريخ الادبى الذى يذكـــر بياتريس ، وكليوباترا ، يذكر فاتنة شكسبير الســمراء ، وماريا بيتنيل ، وجيسى تشيمبرز . وفريدا وغيرهن من الملهمات .

محمود
العتريس



كيفما.. أنت!!

أريدكِ ... رغمَ وجداني ، وعقلي
وهمس عوازلي ... وصراخ أهلي
ومهما ... أرجفت عنك الليالي
ومهما ثارت الأقوالُ ... حولي
فمالي بالذي ولّى ... ومالي
بمَن صافيتِ أو جافيتِ - قبلي
وماذا ... لو ملأت الناس عِشقاً
وشاركني ودادكِ ... ألف خلٍ
خلقتِ كريمةً ... ووهبت ملكاً
فكان عجيبةً .. ألا تفضّلي
***
أريدكِ ... كيفما أنتِ ... فكوني
كما شاءت لك الدنيا ... وظللي
وحسبي من جمالكِ بعض وصلٍ
فبعضي يشتهيك - وليس كلّي

ولن أخشى هـــواك ••• ولا أبالى
بجهلى فيكِ •• بل وأحبُ جهْـــلى
فقلبىَ ضـــاع ••• من زمنٍ تولّى
وليس معى ســـوى •• ظمئى ، وليلى
ورُبّ تجاهلٍ ••• أجدى وأبقـــى
وأفضلُ ـ للمنى ـ من كل فضـــلِ

***

عجبتُ لمعشرٍ •• حسبوه وجْـــداً
وظنـــوا •• اننى ضيّعتُ عقـــلى
فهذا ••• شامتٌ •• غنّى ابتهـــاجاً
وذلك ••• مُشفقٌ ••• يبـــكى لأجلى
وما علِموا •• بأن الأمر ••• لهـــوٌ
واتلك •• فى سبيل العشقِ •• مِثلى
كلانا ••• ضــــاقَ بالأوهامِ ذِرعاً
وفارقهـــا الى شــــأنٍ •• أجَـــلّ

***

•• أريدكِ •• نشوةً فى كأسِ عمْرى
أريدكِ •• غنـــوة •• فى حانِ بِئْلى
وعيشى •• فتنـــةً يقظى •• وسحراً
له ••• فى كل صَـــوْمعةٍ ••• تجلّى
وحسبى من جمالِك •• بعض وصـــلٍ
فبعضى يشـــتهيكِ •• وليس كلّى
وقلبىِ ضــــاعَ ••• من زَمنٍ تولّى
وليسَ معى سوى ••• ظمئى ، وليلى

الملهمات في الأدب الفرنسي

د. سامية أحمد أسعد

الإلهام كلمة يصعب تعريفها تعريفا دقيقا ، نظرا لطبيعة الالهام ذاتها فهو يروح ويجيء فجاة غير مرتبط بزمان او مكان ، ويجزل العطاء للبعض ، ويضن على البعض الاخر . ولكم قاسى منه الشعراء والكتاب الذين عرفوا عذاب الانتظار امام القلم والورقة البيضاء .. واذا رجعنا الى الاساطير القديمة ، وجدنا ان الالهام اتخذ شكل المراة وملامحها فى اغلب الاحيان . يكفى دلالة على ذلك ان نذكر ربات الفنون ، ربة التاريخ ، والخطابة ، والرقص ، والشعر ، والماساة والملهاة الخ .. لا غرو اذن اذا راينا الحديث يطول عن الملهمات ، ويكاد ينعدم عن الملهمين ..

الملهمات فى الادب الفرنسى كثيرات ، تكاد تتساوى شهرتهن مع شهرة النساء اللاتى لعبن ادوارا هامة فى تاريخ فرنسا . ولنذكر ، على سبيل المثال ، هيلين ومارى ، وكاساندر ، ملهمات الشاعر رونسار .

والممثلة لاشو نميليه التى أوحت الى راسين بتلك الشخصيات النسائية - أندروماك ، فيدرا بيرينيس ، الخ .. - التى لم يصور مثلها كاتب مسرحى حتى الان ..

وسيلفيا ، ممثلة الفرقة الايطالية التى أحبها ماريفو ، وكتب لها ادوارا خالدة ، كدور سيلفيا فى « لعبة الحب والمصادفة » .

ومدام دى فارنس التى أحبها روسو وأوحت اليه بجولى بطلة « هليويز الجديدة » .



فيكتور هوجو : الحب والحياة والطبيعة والكون

ومن ذا الذي لا يذكر الفير، حبيبة لا مارتين التي أوحت اليه «بالبحيرة» و«العزلة» . او جورج صاند التي الهمت ، في ان واحد الموسيقار شوبان والشاعر موسيه في «الليالي» و«اعترافات احد ابناء هذا القرن» .

ولعل الزا التي جاء ذكرها دائما في مؤلفات الشاعر اراجون بطريقة او بأخرى أشهر الملهمات الفرنسيات في القرن العشرين .

تلك بعض الاسماء ، نذكرها على سبيل المثال لا الحصر ، ولسوف نتوقف بصفة خاصة عند حالتين : نساء عاشقات تركن بصماتهن على مؤلفات الشاعر الكبير بودلير ، وابنة أوحت لابيها الشاعر هيجو بأجمل - ربما ؟! - ما كتب من قصائد .

ويرتبط الحديث عن الملهمات بقضية ادبية هامة ، الا وهي كيف نلمس اثر الملهمات في العمل الادبي ؟

لا نجد أية صعوبة في تلمس هذا الاثر اذا كان الكاتب قد تحدث عن ملهمته صراحة وسماها باسمها أو أعطاها اسما مستعارا في مؤلفاته . الا أن النقل من الواقع . في هذه الحالة ، لا بد وأن يتبلور في صيغة فنية تبتعد عنه بقدر قد يكثر أو يقل .. وتتعقد الامور اذا كانت الملهمة أو الملهمات قد فقدن كل صلة بواقعهن ، في العمل الفني .

على سبيل المثال ، لعبت جيني كولون دورا أساسيا في حياة الشاعر جيرار دى نرفال . لكننا لا نجد أثرا مباشرا لها في مؤلفاته ، بل نراها توحي اليه بصورة امرأة واحدة ومتعددة في آن واحد ، ظل يبحث عنها من مؤلف الى مؤلف واتخذت تارة شكل سيلفي ، الشخصية التي ظل يبحث عنها في الحلم ، وتارة صورة نساء القاهرة المحجبات اللاتي رآهن الشاعر في رحلته الى الشرق ، وتارة صورة الالهة ايزيس التي تراءت له عندما زار بومبي ، الخ ... ولعل هذه الحالة الاخيرة مقياس للعمل الجيد حيث يستوحى الفنان الواقع والتجربة الحية ثم يبتعد عنه ما امكن ، ويتجاوزه الى آفاق ابعد واعمق ...

لكن ، هناك الوانا ادبية يجب ان تستثنى كالسيرة الذاتية مثلا ، حيث يتعمد الفنان الحديث عن تجربة خاصة ... ولنلاحظ ، في النهاية ،

الملهمات

ان الملهمة قد تلعب في حياة الفنان دورا اساسيا دون أن تترك في أعماله اثرا يذكر . ومن الملهمات من مرت في حياة الفنان مرورا عابرا ، وخلفت في مؤلفاته اثرا عميقا ...

وكم من ملهمة وقفت وراء الاعمال الفنية الرائعة التي ابدعها الانسان على مر العصور ، ولم يعرفها او يذكرها التاريخ - وتاريخ الادب خاصة - بكلمة واحدة !...

عرف بودلير ، دون أن يتوصل الى الجمع بينهما - الشكلين المتكاملين اللذين يمكن أن يتخذهما الحب عند الانسان : الهوى الحسي الذي أوحت به اليه جان دوفال ، وانطلاقات الحب الروحاني الذي خص به مدام ساباتييه .

كان قد التقى بالاولى بعد عودته من رحلة الى الجزر دامت عشرة اشهر كانت سمراء ملونة تعمل « كومبارس » في احد المسارح الصغيرة في الحي اللاتيني . والتقى بها بودلير عندما ذهب الى هناك لمشاهدة احدى مسرحيات الفودفيل لم تكن علاقته بها علاقة حسية بحتة، بل تخللتها المحن والقطيعة ، وكثيرا ما هددها الشجار . استمرت هذه العلاقة طيلة حياة الشاعر ، وتركت في مؤلفاته اثرا لا يمحى .

وجدير بالذكر أن بودلير لم يتخل ابدا عن جان دوفال التي لعبت دورا كبيرا في حياته ، وكانت ، فيما يبدو ، المرأة الوحيدة التي احبها حبا عنيفا ... اما الثانية ، فالتقى بها اول مرة في احد البيوتات الباريسية الكبيرة عام ١٨٥١ . عرفه عليها صديقه الشاعر تيوفيل جوتييه ، وتردد بعد ذلك على صالونها الذي كانت تستقبل فيه مجموعة من الكتاب والشعراء . كانت على عكس دوفال ، شقراء نقل اليها بودلير حلمه بالحب العذري والحب الصوفي الذي كان يسيطر عليه انذاك ...

ولنضف الى هاتين الملهمتين ، ثالثة هي ماري دوبران التي وضعتها الصدفة في طريقه عام ١٨٤٧ ، عندما ذهب الى مسرح لا بورت سان مارتان لمشاهدة احدى المسرحيات الميلودرام. كانت ممثلة شهيرة ظهرت امامه على المسرح متقمصة شخصية الحسناء ذات الشعر الذهبي . فاحبها وعاش معها حتى عام ١٨٥٦ . الا ان علاقته بها كانت علاقة متقطعة . اتسمت بالاخلاص وحنان . واستمرت ما يقرب من عشر سنوات ، حتى جاء اليوم الذي احتل فيه الشاعر بانفيل مكان بودلير في قلب ماري .. وقد أوحت هذه الفتاة الجميلة لشاعرنا بقصيدتين تعدان من اجمل ما كتب : « الدعوة الى السفر » و « أغنية الخريف ».

أوحت الحيات الثلاث بقصائد كثيرة من ديوان « زهور الشر »، توصل النقاد ومؤرخو الادب الى تعيينها . فهناك كتاب « جان دوفال » وكتاب « مدام ساباتييه »... الا أننا نميل الى عدم القطع في مثل هذه الامور ، لان الفنان المبدع يجمع عناصر عمله ، لاشعوريا ، من طبقات مختلفة من نفسه وحياته ، ولنذكر على سبيل المثال ، القصائد المسماة « الى امرأة مرحة ». فهي قصيدة جريئة الابيات صاخبت ، بلا توقيع اول رسالة غرامية كتبها بودلير لمدام ساباتييه . ومن المرجح أن هذه الابيات كانت قد كتبت لماري دوبران ، خاصة انها كانت ترتدي في أحد عروض الباليه أزياء صارخة اللون ، بينما كانت مدام ساباتييه ، أو « الرئيسة » كما سماها أصدقاء الشاعر ، اميل الى الرصانة والاحتشام في ملبسها .

يشتمل ديوان « زهور الشر » على سلسلتين من القصائد ، احداهما للفن والاخرى للحب . وتنقسم

بودلير : انطلاقات الحب الروحاني



قصائد الحب الى مجموعات لا تقابل النسوة اللاتي أوحين بها كما تقابل مفاهيم مختلفة لعاطفة الحب .

لا يرى بودلير في الحب الحسي مصدراً للمتعة ، بل يرى فيه مصدرا للهرب ، عن طريق الشوق والحنين الى العوالم الغريبة أو المتعة الجمالية . لذا ، بعث فيه جمال دوفال الاسمر - « فينوس السوداء» كما حلا له أن يسميها - وعطر شعرها الاسود ، احاسيس ورؤى مضببة منيرة . فهو يحب أن يرى « لمعان جلدها » ، واذا قارن مشيتها المائجة « بثعبان راقص » أو « مركب جميل يبحر »، وتأثر احساسه كفنان بجمالها الشبيه بجمال التماثيل . فهي ، على سبيل المثال ، « تمثال أسود العينين »

لكن ، اذا ما جرحته تجربة الحب الاليمة ، راح يحلل مرارتها : الخيانة ، والقسوة . واضطراب النفس . ويدرك ، اذ يفعل ان الحب لم يبعث في نفسه الهدوء والسكينة، بل أخذ طعم الخطيئة والموت ولا يعني هذا ان « زهور الشر » تروي علاقة الشاعر بجان دوفال ، رغم كونها المنبع السخي الذي استمد منه

احاسيس ثقلها وصاغ منها « توافقات » غنية بالمعاني . فهذه القصيدة مثلا ، وعنوانها « الجثة » تقول لنا ان الموت لايستطيع أن يمحو ما كان جوهرا للحب :

اتذكرين الشيء الذي رأيناه ياروحي
صباح يوم صيف جميل
جثة بغيضة عند منعطف
على سرير تكسوه الحجارة ....

***

كانت السماء تنظر الى الهيكل الرائع

الملهمات

وهو يتفتح كالوردة
كانت الرائحة كريهة حتى انك
ظننت انه سيغمى عليك على العشب»

***

كان الذباب يئز على هذا البطن العفن
تخرج منه كتائب ديدان سوداء
تسيل كالسائل الثقيل
بطول هذى الاسماك الحية ...

***

صدرت عن هذا العالم موسيقى
غريبة كالريح والماء الجارى
او الحب يذريه الناخل ويحركه
فى منخله بحركة ايقاعية

***

انمحت الاشكال ولم تعد الا حلما
رسما يكتمل ببطء
على اللوحة المنسية ، ويكملها
الفنان بالذكرى فقط

***

مع ذلك ، ستشبهين هذه الجثة
وهذا العفن الكريه ،
يانجمة عينى يا شمس طبيعتى ،
انت ، يا ملكى وهواى ! ...

***

عندئذ ، يا جميلتى ، قولى للديدان
التى ستأكلك بقبلاتها
اننى احتفظت بشكل حبى
المتحلل وجوهره الالهى ؟

تكشف لنا « زهور الشر » أيضا عن سعى وحنين الى عالم اخر من العواطف ، بعثه مفهوم صوفى للحب أثارته مدام ساباتييه التى لم يقل عنها مؤرخو الادب الا شيئا واحدا : انها كانت صديقة لاحد رجال المال والاعمال . ولقد رسم لها الشاعر فى ديوانه ، بالفعل ، صورة غير محددة المعالم ، تجعل القارئ يرى فيها انسانية لا تنتمى الى عالمنا الحسى . وجعلته هى يرى أن الحب لا يداوى الام النفس الا اذا ظل بمنأى عن متطلبات الجسد ، وكان أخاه وحنانا وكانت المحبوبة الاخت والام أيضا . ومن ثم كانت تلك الصورة التى تزدان فيها المرأة بالفضيلة والحسن والسحر ، وتسمو الى عالم لا مكان لاحاسيس الجسد واضطراباته فيه .

ومن كتاب مدام ساباتييه اخترنا قصيدة « الملهمة والعذراء » ولها دلالتها فى هذا الصدد فيما نرى :

« ماذا تقولين هذا المساءايتها النفس
الوحيدة المسكينة ،
ماذا تقول يا قلبى،ايها القلب الذابل
للجميلة ، الطيبة ، العزيزة
التى اعادت نظرتها الالهيه اليك
ازدهارك فجاة ؟

***

سنفتخر بالتغنى بها ،
ما من شيء يساوى حلاوة سلطانها
ولجسدها الروحانى عبق الملائكة
وعيناها تكسوننا بلباس من نور

***

سواء فى الليل او العزلة
سواء فى الشارع او وسط الحشد
يرقص خيالها فى الهواء كالشعلة ،
ويتكلم احيانا ويقول : « انا جميلة ،
وآمر الا تحب الا الجمال حبا فى :
انا الملاك الحارس ، والملهمة والعذراء

وبعد الحب الحسي ، والحب العذرى الذى اتخذ شكل الدعوة الى السمو الصوفي ، ها هو ذا حب اكثر تعقيدا ، حب المرأة ذات العينين الخضراوين، مارى دوبران، ولا شك ان الشاعر رأى فيها رمز الهوى الروحانى الرقيق ، فى جو ينبىء بالنهاية ، تحت ضوء خريفى اصفر، كذلك الذى يشيع فى خاتمة «الدعوة الى السفر» .

فكرى يا طفلتى ، يا اختاه
فى حلاوة العيش سويا هناك !
نحب كما نهوى

نحب ونموت
فى البلد الذى يشبهك !
لهذى الشموس المبتلة
فى هذه السموات الغائمة
سحر عينيك الخائنتين الغامض ...
وسحر عينيك اللامعتين وراء دموعهما
ها هنا ، ما كل شىء الا نظام وجمال
وترف ومتعة وهدوء .

●●●

كان الاثاث اللامع
الذى صقلته السنون
يزين حجرتنا
كانت اندر الورود
تمزج عبقها
برائحة العنبر الهائمة
والاسقف الفخمة
والمرايا العميقة
والروعة الشرقية
كل شىء سيتحدث
مع النفس سرا
بلسان موطنه العذب
ها هنا ، ما كل شىء الا نظام وجمال
وترف ومتعة وهدوء ...

يعاود هذا العالم المثالى الظهور والاختفاء . وبعد قصائد الحب الروحانى ، نقرأ قصائد تعاود الشاعر فيها النزعة الى عالم الشهوة والحواس : ويتضح لنا عندئذ الى أى مدى يتحمل الانسان ثقل الخطيئة الاولى ، سبب بؤسه وشقائه ، ومن ثم كانت قصائد يبدو فيها الحب وكأنه آلة تعمل على هدم الانسان والانسانية .

●●●

ولنتحدث الان عن ملهمة من نوع آخر : امرأة أيضا ــ تكاد تقول بطبيعة الحال ــ لكنها ليست الزوجة أو العشيقة ، بل الابنة . ونقصد بها ليوبولدين ابنة شاعر فرنسا الكبير فيكتور هوجو . كانت قد تزوجت شارل فاكرى فى ١٥ فبراير ١٨٤٣،

لكنها غرقت مع زوجها فى العامنفسه فى شهر سبتمبر ، أثناء قيامهما بنزهة فى مركب شراعى على صفحة نهر السين .

حدث ذلك بالقرب من فيلكييه ، فى مقاطعة نورماندى ، انقلب المركب ، وحاول الزوج انقاذ زوجته .. ولما لم يفلح فى ذلك ، غرق معهـا ، تألم الشاعر الاب . وبعد مرور عام على الحادثة ، كتب ، فى فيلكييه ذاتها ، الجزء الاكبر من القصيدة التى تحمل اسم تلك البلدة . وترك موت الابنة فى نفس الاب أثرا عميقا ، وأوحى اليه براحد من أهم وأجمل دواوينه : « التأملات » .

يمكن أن نصف هذا الديوان بأنه « مذكرات نفس » ، كما يقول الشاعر، لانه يتابع الرحلة المعنوية الروحية التى قام بها الشاعر خلال قرن من الزمان، من عام ١٨٣٠ الى عام١٨٥٥

مع وقفة مأساوية تميز بها عام ١٨٤٣ الذى رحلت فيه ليوبولدين ... ويتكون الديوان من جزءين « الماضى والحاضر ، تفصل بينهما هوة القبر السحيقة » .

الملهمات

تسيطر ذكرى الابنة على الكتاب كله ، وتعطيه معانيه ، بل تلقى ضوءا جديدا على قصائد سابقة لعام ١٨٤٣ والكتاب الرابع من الديوان يتحدث بأكمله عن ذكرى الابنة المتوفاه ، ولقد أوحى بقصائده الالم الذى احس به الأب ، وأسفه على الايام السعيدة الماضية ، والاحساس بوجود الابنة الميتة ، وتعتبر قصائد هذا الكتاب المؤثرة من أجمل ما كتب فيكتور هيجو • وجدير بالذكر ان الشاعر كتب اجمل ابياتها بعد ان فقدت عشيقته جولييت دوريه ابنتها كلير •

هكذا يتضح لنا كيف علم الالم هيجو المشاركة الانسانية • فمنذ اللحظة التى فقد فيها ابنته صار اخا لكل المتألمين • لكن غنائيته ظلت ذاتية بحتة ، وان عبر ، من خلالها، عن المشاعر الانسانية كلها •

ويصور الكتاب ايضا « وجود الانسان وهو خارج من لغز المهد ، ثم وهو ينتهى الى لغز القبر ويتساءل الشاعر فى المقدمة : « أهذه حياة انسان اذن ؟ » ويرد قائلا : « أجل وحياة الناس الآخرين ايضا ••• وا أسفاه ، عندما احدثكم عن نفسى ، احدثكم عن انفسكم ••• آه ! يا أيها المجنون ، يا من تظن اننى لست انت !!

كان هيجو يفكر منذ مدة طويلة فى خلود الروح ، وقضية الشر ، ومصير الانسان والعالم • لكن هذه الاسئلة الحت عليه بعد موت ابنته ••• خيل اليه أن ليوبولدين الميتة نصف حية • بينما هو ، الاب العجوز ، الحزين، الوحيد ، نصف ميت ، فراح يتساءل ما هو السر اذن ؟ وتكونت لديه شيئا فشيئا فلسفة امتزجت فيها المسيحية بالايمان بوحدة الوجود ، ومذهب فيثاغورث ترى هذه الفلسفة أن الروح الآثمة تهبط من السموات لتدخل جسم الانسان أو الحيوان ، أو النبات أو الجماد ، وأن الخطيئة تقربنا من المادة، بينما تقربنا الفضيلة من السماء •لكن، أليس للتكفير نهاية ؟ يستبعد هيجو الشك ، ويرد بالايجاب • قد لايرى البعض فى كل هذا نظرية منطقية • ولو انهم فعلوا ، لكانوا على حق لان هيجو ليس فيلسوفا ميتافيزيقيا ، لكنه شاعر فحسب ، تملكه احساس قوى بوحدة كل شىء ، الحب والحياة والطبيعة والكون ، الخ ••

هكذا نرى كيف صارت الابنة الراحلة وحيا للأب الحزين والهمته، وكيف بدأ الشاعر بالالم ثم أخذ احساسه يزداد خصوبة ونضجا وثراء وتحول تدريجيا الى رؤيا فلسفية عميقة • واذا فتحنا « التأملات » ، رأينا أن بعض القصائد تتغنى بالذكريات السعيدة ، ذكريات قريبة وبعيدة ترجع الى الزمن الذى كانت فيه ليوبولدين طفلة ثم صارت شابة يافعة ، منها ما يذكر الابنة وحدها ، ومنها ما يذكرها هى واختها ، ومنها ما يذكرها هى واخوتها ، ومنها ما يتحدث عن الاسرة والطفولة ، تلك الموضوعات التى يؤثرها الشاعر ••

وها هى ذى « فى فيلكييه » ، أجمل قصائد « التأملات » ، وقد كتب الشاعر الجزء الاكبر منها بعد مضى عام على المأساة كما قلنا ،واضاف اليها ابياتا عام ١٨٤٦ ، وأرخها بالذكرى الرابعة



جورج صاند · ملهمة الموسيقار شوبان والشاعر موسيه

لوفاة ابنته، ربما لكي يثبت أن الزمان لن يغير من استسلامه شيئًا، وفي هذه القصيدة ، ينسى الشاعر معارك المدارس الادبية ويتجاوزها ، ويعمق تعاطفه مع الانسانية المعذبة ، ويتغنى بشقاء الانسان ، وبالخضوع لارادة الله :

الآن ، بعد ان ابتعدت باريس عن عيني
بيلاطها ورخامها وضبابها واسطحها
الآن ، استطيع وانا تحت فروع الاشجار
ان اتأمل جمال السموات

***

الآن ، بعد خروجي شاحبا ، منتصرا
من حداد الظلم نفسي ·
احس بسكون الطبيعة الكبرى ·
وهو داخل الى نفسي
الآن ، استطيع ان اتأمل الحقائق العميقة
في نفسي وانا جالس على شاطيء الماء
منفعلا امام هذا الافق الساكن الرائع
ناظرا الى الزهور في الحشائش ·
الآن ، استطيع ان ارى بعيني يا الهي
في هدوء قائم الحجر الذي اعلم
انها ترقد تحته في الظلام
الى الابد ·

***

الآن ، بعد ان تأثرت لهذى المناظر الالهية ،
السهول ، والغابات ، والصخور ،
والوديان ، والنهر الفضي ،
ورأيت ضالتي ومعجزاتك
استرد عقلي امام اللانهائية
وآتي اليك يا ربي ،
واحمل اليك وانا مرتاح ،
اشلاء هذا القلب الملآن بمجدك
القلب الذي حطمته ···
واقول ان القبر الذي يغلق على الموتى
يفتح على السموات
وان ما نراه في دنيانا نهاية
هو البداية ···

***

لا اقاوم ما يجرى لي بارادتك
تسبح النفس من حداد لحداد ، ويسير الانسان
من شاطيء لشاطيء ، نحو الخلود ·

ولا ننسى ، في ختام حديثنا ، الاشارة الى الطبيعة ، الطبيعة التي كانت مصدر الهام فياض للشعراء في فترات كثيرة من تاريخ الادب ، لقد استوحاها روسو ، وشاتوبريان ، وغيرهما وكان اثرها على الشعراء الرومانسيين قويا عميقا، لقد ارتبطت برؤياهم للحب ، والحياة والموت ··· ووجدوا فيها الام الرءوم التي يلجأون الى احضانها طلبا للعزاء والسلوى، واختلطت بكل ما عالجوه من موضوعات ·

د. سوزان
إسكندر

الملحمات في الأدب الإيطالي

اذا ما تناولنا بالذكر دانتي اليجيرى ، شاعر ايطاليا الاول (١٢٦٥ - ١٣٢١) ، لا يمكننا تجاهل شخصية واسم بياتريتش ... فهى السيدة التى حمل شاعرنا تجاهها ارق المشاعر وانبلها ، فلم يكن دانتى قد تجاوز الصبا ، اذ كان فى التاسعة من عمره ، عندما تسللت الى قلبه صورة صبية ما ، كان يدعوها الابيتشى ·

تمر السنون ولا تنمحى الصورة من خياله ، بل على العكس تزداد وضوحا وتحريكا للمشاعر ...

يحلق شاعرنا فى اجواء من البهجة وصفاء النفس فيدعو فتاة قلبه « بياتريتشى » اى السعادة ، والغبطة وكثيرا ما كان يحلو له تسميتها « بيتشى » ولعل دانتى تشبه فى هذا بالشعراء التروبادور الذين كانوا يتخذون الاشارات لتكون لهم حرية التغنى بمحبوباتهم ·

وفى « لافيتا نوفا » او الحياة الجديدة يحكى دانتى قصة حبه لبياتريتش فى اشعار جميلة ، قدمها فى اطار نثرى ، يقوم على تجارب واقعية عاشها دانتى ، الا انه يعالجها ادبيا طبقا للمنهج الخيالى الرمزى الذى اتسم به الادب حينذاك ·· فيروى انه قابل وهو فى الثامنة عشرة من عمره مليكة قلبه تخطو فى ثوب احمر بين اثنتين من صديقاتها ، تسكره تحيتها العذبة فينفرد فى حجرته ليحلم بها ، وفى حلمه يراها على ذراعى « الحب » الذى كان يمسك بيده قلب الشاعر الملتهب ، واذ تفيق الفتاة من نومها الذى كانت تنعم به ، يقدم لها العنب لتاكل منه · ولكن سرعان ما تنقلب بهجة الحب الى كآبة يبكى فيحتضن الفتاه ويبتعد بها ليعلو الى السماء ·

كان هذا هو مضمون أول صفحات « لافيتا نوفا » ، وقد تضاربت الاقوال والتفاسير فى تفهم مدلول هذا الحلم أو هذه الرؤية كما يسميها دانتى ...

نوه دانتى عن هذه الرؤية فى قصيدة أهداها الى كل من يؤمن بالحب ، فيتقدم « الى كل نفس محبة



بترارك : شاعر ايطاليا الكبير

وقلب رقيق » ويحيي سيدهم ، أى « الحب » ، ثم يبدأ في وصف رؤيته فيذكر توقيتها ويحكى تفاصيلها وينقل مشاعره واحاسيسه تجاه ما قرأه وما سمعه ، كمن يعرض مشكلة أو لغزا وينشد له تفسيرا أو حلا ...

وتعقب هذه الرؤيا اخرى واخريات ، فكما يقول احد كبار مؤرخى الأدب الايطالى ، ادولفو بارتولى يمكن القول بأن نسيج « لافيتا نوفا » يقوم أساسا على الرؤى . حتى انه اذا ما تمكنا احيانا من تفسير بعضها على أساس من واقع حياة الشاعر فقد نلتقى بأخريات تخرج بنا حقا من العالم الارضى .

وفى مناسبة أخرى نرى دانتى فى موقف المذنب اذ تبخل عليه بياتريتش بتحيتها الغالية ، فيزداد حبه لها اشتعالا وينشد المرن فيتغنى بمحبوبته ، وربما كانت هى المرة الاولى التى يتعرض فيها دانتى للأنشودة ، وهى من أرق الاشعار الغنائية . يوجه حديثه فى هذه القصيدة الى من عرفن الحب .. ، ليطلعهن على أسرار الجنة : فها هو ملاك يطلب من الله، باسم كل (أهل الجنة) ، أن تنادى الى السماء النفس التى تنقصها والتى تكمل بها فرحتها ، الا أن الله يعين « احباءه » ويمنحهم الصبر ويناشدهم أن يتركوا أملهم « بياترتيش تحيا على الارض حسب مشيئته . فعلى الارض من سيجزع لفقدانها ومن سيقول يوما للمعذبين فى الجحيم : لقد رأيت أمل الطوبين (بياتريتش) .

واذا ما كنا قد احسسنا من مضمون الابيات الاولى بجو يوحى ويمهد لجو الكوميديا الالهية فى القصيدة ، الثانية يمكننا القول بأن امامنا « كوميديا الهية » مصغرة

يحدث ان يمرض دانتى ويصل الضعف والوهن به الى الغاية . وفى هذه الظروف لا يكف دانتى عن التفكير ، يفكر انا فى فتاته وانا اخر فى مدى تفاهة الحياة ، ويصل به تفكيره الى انه حتى بياتريتش هى الاخرى ستموت يوما ما ...

واذ تغلبه نوبات المرض يغمض عينيه ويهذى . وهأنا فى بدء تجوالى بمخيلتى ، تراءى لى وجها امرأتين نميمتين تقولان لى : « انت ايضا سوف تموت » ! ثم بعد هاتين المرأتين ظهرت لى وجوه أخرى مختلفة ، بشعة المنظر قالت لى : « انت مت » . والدهر مستمر فى هذيانه يجد نفسه فى مكان يجهله . بدا لى أنى رأيت الشمس تظلم والنجوم وقد انكدر لونها وكأنها تبكى هى الأخرى ، وخيلت لى الطيور وهى تحلق فتسقط ميتة وان ثمة زلازل مروعة !!

ويسأل عن بكاء الطبيعة فيفسر صديق له الامر : « الا تعلم ؟ ان فاتنتك قد انتقلت من هذا العالم » يرفع حينئذ نظره الى السماء ويلمح جماعة من الملائكة ، تصعد الى فوق ، تتقدمها سحابة ناصعة البياض ، و « خيل لى أن هذه الملائكة ، تصيح بتراتيل بهيجة » . وبعد هذا يرى بخياله جثمان فتاته فى صورته النقية المثالية ، ويجد نفسه مشدودا يناجى الموت ، يبكى دموعا حقيقية ، حتى ييأس وقد نطقت شفتاه اسم « بياتريتش » ..

بعد هذا بوقت ليس بقليل تموت بياتريتش حقيقة ... ويطول حزن دانتى وتتحطم نفسه ، وبعد ان يمتثل للصبر ، يصحو وقد غلبه حب جديد ، تبعثه فى داخله نفس رقيقة كريمة ، تذكره فى بادىء الامر بحبيبته الا انه سرعان ما يرى بخياله بياتريتش طفلة ، فى ثوبها الاحمر الذى كانت ترتديه حين رآها لاول مرة ، وها هى تقوده ليعود اليها بفكره بعد أن ندم . يعود الانلينتفنى بآله وبحزنه ، ويتعهد بينه وبين نفسه أن يكون جديرا بذكراها والتغنى بحبها اذ يقول : « أحدث عنها بما لم يحدث به قط عن امرأة » .

والواضح أن هذا العهد وهذا القول وهذه الذكرى انما يقصد بها تخليد ذكرى حبيبته بياتريتش بكتاباته « الكوميديا الالهية » . وقد أجمع العلماء « الدانتيون » ومن بينهم العالم الكبير بيورابينا على أن فكرة المؤلف الشعرى العظيم لدانتى انما تنبعث أساسا وبطريقة مباشرة من حياة دانتى ذاتها ، ومن الحب القدسى الذى كان فى شبابه . وانها اذا ما اتخذت شكل الرؤيا فانما تعكس أسلوب دانتى نفسه فى التعبير عن قضاياه .

وبر دانتى بوعده لبياتريتش فاقام هذا العمل الضخم تسيطر عليه صورة بياتريتش ، حتى ألبسها ثوب الالهة الا أن صورتها لا تبعد كثيرا عما ظهرت به فى حياتها ، فبياتريتش الانسانة تحتل أيضا صفحات من « الكوميديا الالهية » تلتقى بها على قمم جبل المطهر ، تنزل على مركبة سماوية « فى رداء بلون النار المشتعلة » تماما كما لو كانت بياتريتش طفلة اللقاء الاول ، وقبل أن تكشف عن وجهها ، تثير رجفة فى أطراف ذلك الذى طال عليه الوقت فيهتز تحت تأثير جمالها الأخاذ ... وبين روائع السماء يسمع نغم اسم « بيتش » الحلو كذكرى بعيدة عذبة .

واذا ما كانت بياتريتش الرقيقة ، اللطيفة ، المتواضعة ، العذبة قد رآها دانتى ، وهى ما زالت على قيد الحياة فى صورة مخلوق ملائكى يتشوق السماثيون للقائه ، فالان وقد انتقلت الى العالم الآخر يحق له ان يراها ملاكا حقيقيا . وفى ذكرى فراقها وقد امتلأ فكره بها يريد أن يصور ملامحها فيرسم صورة ملاك . وعلى هذا يراها منتصرة فى أعلى السماوات تحيا حياة الغبطة الروحية .

على هذا يمكننا القول بان الانسانية والتراث الانسانى مدينان لهذه الشخصية الملهمة التى أوحت لدانتى بأجمل وأعظم ما كتب وهو « الكوميديا الالهية » .

اما بالنسبة لاعذب شعراء ايطاليا في العصر الوسيط ، فرانشيسكو بتراركا (١٣٠٤ ـ ١٣٧٤) فقد كان فولتير على حق حينما قال انه « لو لم يعشق بتراركا لما بلغت شهرته ما بلغت » لكن من بين الكثيرات اللاتى اهتزت لهن نفس بتراركا ، واحدةهى التى استطاعت ان تبقى ذكراه عبر الاجيال ،وهى التى اعطت لاسمه قيمته وعزته لدى النفوس الترنمة مع أوتار الرقة والعذرية والحب .

من كانت المرأة التى احبها بتراركا؟ حتى الان ليس هناك شيء يمكن التاكد من صدقه الكامل . فبعد بحوث ومناقشات ومجادلات طويلة لا يسعنا الا ان نرجع كلامنا الى سيل من الافتراضات واغلب هذه الافتراضات قربا من الحقيقة أن شاعرنا قد أحب زوجة أحد نبلاء افينيون ويدعى اوجو دى سادى .

اما عن طبيعة حب بتراركا لهذه السيدة فقد كتب الكثير . فهناك من اراد ان يضفى على هذا الحب صفة العذرية والمثالية ، وهناك من أراد أن ينزل به الى أقصى درجات الشهوانية. الا ان الطرفين قد جنحا الى المبالغة

مما لا شك فيه ان بتراركا كان رجلا اولا واخيرا ، كان شابا ، جميلا ، وسيما ، يعيش فى مدينة أفينيون الفرنسية الجميلة ، ويجب الا ننظر اليه الا من خلال هذه الظروف ، وعلى هذا فقد احب بتراركا حبا بشريا عميقا لكن محبوبته كثيرا ما بدت له ملكا روحانيا ، وكثيرا ما بدت امرأة تنبض وتفيض بالحياة ، وعليه فكثيرا ما اختلطت صلوات المتعبد بتنهدات العاشق الملتهبة ، فقد كان لحبه جوانبه المتعددة التى قد تبدو متعارضة متضاربة فيما بينها . حتى شعره يتلذذ لنا بالتعبير عن ادق خلجات النفس ويطير انا ليحلق فى سماء المثاليات . هو حقيقة ورمز، هو بهجة والم فى ان واحد ، هو صراع وتخبط مستمران .

فى رسالة كتبها بتراركا بعد ثمان سنوات فقط من التقائه بحبه « لاورا » يقول انه يحس بالاسى والخجل من حبه الذى وصفه بالسره والكآبة . وعندما ماتت « لاورا » نجده يشكر الحب الميت الذى اطفأ النار الحارقة وكانت ناراً حقا ، اذ يذكر الشاعر فى كتابه المعنون « سيكرتيوم » وهو اكثر كتبه صراحة وافصاحا عن نفسه ، ان حياته تحولت الى اهات ، قوتها تنهدات ودموع، وأن لياليه تحولت الى سهر طويل مضن ، ينادى فيه بلا جدوى اسم حبيبته .

ومما يلفت نظرنا ويهمنا فى كتاب بتراركا هو اعترافه الشخصى بحقيقة حبه ... ولكن لم التخبط والصراع الداخلى الذى انعكس بوضوح فيما كتبه شاعرنا ؟ ربما لانه لا يتمتع بتبادل الشاعر مع محبوبته ، فنجده يشكو من ان « لاورا » رغم الوف الامور والعوامل التى قد تثنى اى امرأة عن كبريائها ، فانه لم يستطع مطلقا ان يدخل فى حياتها . ويتحدث ايضا عن كل المحاولات التى بداها كيما يبرأ من هذا الحب . يقول : « كيف ابرأ ؟ اهرب ؟ » ثم تعجب ويقول : الم اهرب انا ؟ .. الم اهم بمشارق الارض ومغاربها ؟ .. الم ادفع بنفسى الى اقصى حدود المحيط ؟ كيف أبرأ ؟ الحب امرأة اخرى ؟!

ويظل هذا التفكير يحوم مكتوما باعماق نفسه ، وفجأة يخرج من قلبه

اللقطات

صرت صارخ : لا ، لا ، لا استطيع ان احب سواها ، هي فقط ، لقـد الفت روض هواها ، وتعودت عيناى رؤياها ، والنظر اليها مليا فتستمدان منها الحياة ٠

ولكن ، ورغم اعترافاته هذه ، فاننا نجده ثائرا على نفسه ، فيذكرها بانه أصبح أقصوصة الناس جميعا ، وبكم أضرت هذه المرأة (لاورا) بنفسـه وبمسـتقبله ، فكم مرة خذلتـه ، واحتقرته ، يدعوها « بالمـرأة ذات الهدب القاسى ، فان تمتعت بشىء من الانسانية فدرامه سيكون أقل بكثير من نسمة ريح صيف » !

وهكذا نرى ان الطيف الجميـل يتحول بداخلة الى شبح مخيف مكروه حتى ان ما كان ينعشه ويسعده بالامس يصبح اليوم عاملا من عوامل الهلع بالنسبة له ٠ ولكنه يسهل علينا ان نلحظ انه حتى هذا الشعور بالحب والكره ، بالثقة والشك ، ليس بالشىء الثابت فى نفس بتراركا ٠

حقا يتآكل بتراركا داخليا ولكنه لا يتآكل فقط من أجل « لاورا » ،فمثله العليا كلهـا ، وكل اهوائه وهواياته تتصارع بداخله : يجرى خلفهاجميعا ٠

ويبدو انه غير قادر على اللحـاق باحداها فترضى نفسه ٠٠ فالدراسات والرحلات ، والاصدقاء وحـب روما وايطاليا ، والفن والمجـد والدين والطبيعة ـ تعدو جميعها غريمـات « لاورا » ٠ فقد امتلات حياة بتراركا بالصراعات المشتركة بين الرغبـة والخوف وبين الامال والخذلان ، بين أحلام الليل ورغبات النهار ٠ تنعكس بلا شك نفسية بتراركا وظروفه على « الكانسونييرى » وهو المؤلف الذى يمثل المـكانة الاولى من بين مؤلفات بتراركا اللاتينية والايطـالية على السواء ـ قد جمع بهذا المؤلف ٣٦٦ قصيدة شـعر مهداة ـ عدا ثلاثين منها ـ لحبيبته « لاورا » ٠ وقد يمكن تقسيم هذه الاشعار الى قسمين كتب أحدهما عن « حياة مادونا لاورا » والاخر عن « ممات مادونا لاورا »

وكما هو الحال فى الـ « سيكريتوم» ففى الـ « كانسونييرى » أيضا تظهر حقيقة هوى بتراركا ٠

ويكفينا برهانا عليه ان نقرأ بيت شـعر شمل مشاعر كثيرة ، رفعته الى مستوى قصيدة كاملة كتبت فى الحب ، فى هذا البيت دعا بتراركا لاورا : « تلك الوحيدة التى أراها امرأة ٠٠ » واذ يستطرد الشاعروكانه يعلق أو يفسر هذا البيت يشرح كيف يراها فى عينيه وكيف يسمعها فىكل مكان ، يقول :

« وكانني اسمعها ، حين اسمع فروع الشجر والنسيم ،
والاغصان وشدو العصافير ، والمياه تجرى رقراقة بين الحشائش الخضراء»

كان حب بتراركا لحبيبته «لاورا» يعد كسبا فنيا لشاعرنا ، لاننا مدينون لهذا الحب الواقعى باجمـل وانقى واخلص ما جاء فى شعر بتراركا ٠

الا أن هذا الحب الواقعى للمرأة كان يختلط احيانا كثيرة فى نفسه مع مشاعر اخرى ، فاحيانا يغلب عليه التفكير فى السماويات وحينئذ يعتبرها

أياما ضائعة تلك التي كرسها لفاتنته « لاورا » ويتهم حبها بأنه نير « لا رحمة فيه » ٠

واذ يحس بتراركا أحيانا بالتعب من هواه هذا وينشد الراحة منه في بعض أبياته فانه يبكي أحيانا أخرى حريته المفقودة ويسيطر عليه الاحساس بالكآبة ، يتمنى الموت فيتحرر من الام هواه ٠ يود لو رجع الى الوراء ، وعدل رحلته الخطرة ، يفزعه هجوم تلك « العينين الجميلتين » يصرخ بأنه لن يحب بعد ٠ ولكنه وبعد كل هذا يتنهد أمام السلاسل العذبة :

« يا للأسى ! العبودية والاغلال والتعذيب اصبحت اعذب عندي من الحرية » ٠

وبتراركا ، الرائق من فشله في الاستغناء عن حبه يقدس الاماكن التي تلاقى فيها مع « لاورا » ، ويراها هي في كل مكان ، يتعقبها ، يرسم وجهها الجميل على حصى الطريق ، يقول ان حياته حرب مستمرة ، وانها :

« هي وحـــدها تمنحني الامان حينما اتجه بفكري اليها » ٠

واذا ما وصل مدح « لاورا » الى مداه في « كانسونييري » فقـــد كثر العتاب أيضا والتأنيب ، عتاب يصل أحيانا الى حد الاســـاءة ٠ فاذا ما تراءت للشاعر حينا « تفوق كل اللطيفات ، قديسة ، عاقلة ، رشيقة، مخلصة وجميلة، الا انها تبدو له حينا اخر « أبرد من جليد الجبل ،قاسية، منزوعة الرحمة ، متعالية » ٠

« لاورا » هي دائما وابدا ، الصورة التي يراها ويرسمها بحســب تباين الاوقات واختلاف ظروفه النفسية ٠

كانت « لاورا » بلا شك امرأة حقيقية احبها بتراركا ، ولكن هذا الحب لا تعرف له قصة او تاريخ ، فهو ثابت تقريبا في نقطة واحدة ، وله خاصية كل ما هو داخلي وعميق ٠

يأخذ هذا الحب طابع الوله بعد موت « لاورا » ٠٠٠ حينئذ فقط ، تبدأ — حسب وصف الشاعر — تنهداتها ترميه بنظراتها الدافئة ، ترحم لدموعه، تتحول الى امرأة غيور وفية وبينما يمتـــلىء الجــــــزء الاول من الـ « كانسونييري » بالتناقضـــات

رحلة خيالية على قمم جبل المطهــر كما تخيلها دانتي



والتشـــــارب • بينما نحس بين سـطوره باحساس الرجـل الذى يتخبط بين الماديات والروحيات • بين « لاورا » والدين • فاننـا نحس فى الجزء الثانى وكأن بحرا قد هدأ من أمواجه وعادت له سكينته • حيث تأخذ لاورا صورتها الروحية المعنوية الحادة فتدعو اليها الشاعر • الذى لم يعد يهدف الا للســماء • حيث تنتظره « لاورا » •

« ارفع للسماء أفكارى وأمانى
اذ أسمعها ترجو ان أسرع اليها »

***

كان جيوفانى بوكاتشو (١٣٢٣ — ١٣٧٥ م) مؤلف الـ « دى كاميرون » أو الايام العشرة • ابنا لاحد تجـار تشرتالدو • بعث به والده الى مدينة نابولى ليمارس بها التجارة • ولكنه منذ أن وطئتها قدماه وهو يحلم بالحب والشعر • فطالما شدته ذكرى الشعراء القدماء فرجيليو الشـاعر اللاتينى • وكم هيمنت على وجدانه طبيعة مدينة نابولى بجمالها وسحرها •

وفى نابولى تقابل بوكاتشو مع فتاته ماريا • فتحابا حبا لا مقاومة له • وهكذا وجد ابن التاجر المتواضع فى قلب ابنة الكونت داكوينو هـذه كل أسباب السعادة التى يمكن أن ينعم بها حب متبادل •• شتان ما بينها وبين « لاورا » المتحفظة المتمنعة • انهـا تعطى فتغدق العطاء لفتى قلبها التى اختارته بين مئـات المعجبين ممن يلتفون حولها • كانا يتلاقيـان • يتفاهمان • يسعدان معـا • يزدادان اقترابا وتمسكا •

هكذا ملأت ماريا حياة بوكاتشو فى سنى اقامته الاولى بنابولى بالبهجـة والحب • ونابولى ذاتهـا بشواطىء خليجها الاخاذة • بهوائهـا الدافىء الممتع • بسمائها الرائعة وبطبيعتها المثيرة • أثرت بالتأكيد تأثيرا قويا على الاتجاه الذى اختاره بوكاتشو لفنه •

يقول اذ يتذكر الايام الجميلة التى كان يطوف البحر فيها سـعيا وراء حبيبته :

« كانت تجلس على مقدمة قارب
يشق البحر بجريانه
فأغنى • وصحبة الحريات •
تشدو انا باغنية وانا باخرى »••

وقد أعطى بوكاتشو فتاة حبه اسما شاعريا « فياميتا » • وألف لها كتبا كثيرة أولهـا الـ « فيلوكولو » وهو شـبيه بالرواية الطويلة • مأخوذ بعضه عن كتاب فرنسى قديم • يفصح عن الميل الشديد عنـد بوكاتشـو للدراسات الكلاسيكية • الا اننا نحس بطرافة الجزء الذى يدخل فيه بوكاتشو « فياميتا » فى القصص • فيروى ان « فيلوكولو » ذهب ليبحث عن حبيبته الا أن ثمة عاصفة شديدة تجبره على التوقف فى نابولى • وهنا يلتقى يوما بثلة تتداعب وتتمـازح • وكانت « فياميتا » تراس هذه الثلة فيعلو صوتها على صوت الجميع وتظهـر بصورة الفتاة الظريفة التى تأسر بخفة ظلها اللتين حولها فينصـتون الى حديثها الممتع •

الا « فيلوستراتو » عنوان مؤلـف آخر خطه بوكاتشو لحبيبته « فياميتا » •



الالهـــــام كما يتخيله بوكاتشو فى مؤلفــــاته

وهو ديوان شعر ماخوذ ـ الى حد ما ـ من أصل فرنسى ، يحـــكى عن غراميات ترويولووجريزيلدا · ترويولو سعيد بحبه وها هو بوكاتشو يصف ببراعة فائقة احاسيس العاشقين فى أعمق تفاصيلها ، وها همـا يتساءلان على التوالى « احقا انا معك » ؟ وها هما يتشاكيان الامهما ، وها همـا يخشيان الفرقة ، وها هما يكتفيان بما نالاه من سعادة · كل هذا نحس بوقعه الحقيقى ، فهو عميق وقـد احسه ترويولو الحقيقى وهو يحكى حبه مع « فيامينـا » ، فيقول بوكاتشو اذ يناجيها « انت الضـوء النقى الجميل الذى من اجله اعيش فى هذا العالم المظلم الخبيث ، انت النجم الذى اتبعه كيما أصل الى بر الامان»

وفى الـ « فيلو ستراتو » وجـد بكاتشو مادة تتناسب مع طابعه فيصل الى حد من الكمال لا يتفوق عليه الا بكتابته الـ « دى كاميرون » فهذه الرواية القائمة على الاعيب الهوى على التملك ، على الغيرة ما كانت الا قصة حقيقية رغم الاسماء القديمة الكلاسيكية ·

كتب بوكاتشو ايضا « تيزايدى » وهو مؤلف يحتوى على ايماءات واشارات عديدة عن حب « فيامينا » وغير ذلك من الكتب التى كتبها بوكاتشو لتدوين وتخليد مشاعره واحاسيسه نحو محبوبته التى شاركته كل شىء حتى قلمه ·

وفى كتاب « فيامينا » نقرأ عن مخاوف اللقاء الاول ، عن السعادة بالحب المتبادل ، عن الصراع ضد العقبات ، عن الشكوى من الفراق ، عن الرغبة فى تقرب المحبوب البعيد ، عن اثارة نار الغيرة ، عن الاحساس باليأس بعد فقدان الحبيب ، هذه كلها لحظات نقرؤها ونلمسها ممثلة أمامنا براقعية عميقة وباسهاب واسع وبعاطفة مخلصة ·

حتى فى الـ « دى كاميرون » ، وهو اكبر واشهر واخلد مؤلفات بوكاتشو ، نجد ماريا او « فيامينا » تحتل بشخصيتها اجزاء كثيرة ، فكثيرا ما اقتصرت الخصوصيات الكتاب على لمحات من حياتها مع بوكاتشو وكثيرا ما نراها ممثلة فى شخصية النساء والفتيات اللائى يشاركن فى اعطاء الملامح والخطوط التى يتخذها بوكاتشو فى رسم صور الحياة ببراعة وحيوية ساحرة ··



هدية العدد
صورة بالألوان
حافظ إبراهيم

● ولد فى عائمة على النيل ببلدة ديروط بصعيد مصر ، فى يوم مجهول، قدر الاطباء ـ بعدسنوات طويلة ـ انه قد يكون يوم ٤ فبراير سنة ١٨٧٢ . ولعل ارتباط مولده بالنيل كان من الاسباب التى دعت الى تلقيبه بشاعر النيل .

● نشأ يتيما فقيرا ، فقد مات ابوه وخلفه لأعاصير الحياة وهو فى الرابعة من عمره ، فحملته امه الى بيت خاله وهو مهندس متواضع ضيق الرزق فتكفل بهما .

● انتقلت الاسرة الى طنطا حيث تلقى حافظ علم الكتاتيب فى طفولته، فما أن ادركه الصبا حتى نفر من هذا العلم وتطلع الى المطالعات الادبية .

● ترك منزل خاله لضيق ذات اليد وهام على وجهه فى شوارع طنطا الى ان عمل بمكتب محمد ابو شادى المحامى نجل الشاعر الكبير احمد زكى ابو شادى ، وهكذا عمل بالمحاماة حينا ، فى الوقت الذى يقرأ فيه الادب ويلتهم ما حوله من امهات الكتب .

● استهوته سيرة الشاعر الكبير محمود سامى البارودى ، فراوده حلم كبير فى أن يحذو حذوه فى مسيرة حياته ، لعله يبلغ مبلغه يوما ما فالتحق بالمدرسة الحربية وتخرج فيها، وعمل بالشرطة والجيش الى أن نقلت فرقته الى السودان .

● كان حافظ شاعرا بطبعه، ظهرت مواهبه الشعرية وهو فى السادسةمن عمره وكانت من وحى الالهام ،زودها بمطالعاته الشعرية ، وحفظه قصائد فحول الشعراء القدامى .

● وحافظ يمتاز شعره بقوة البلاغة ، واشراق الديباجة ، وطلاوة الأسلوب والروح الخطابية .

● ومع ثقافة حافظ العربية فقد تعلم الفرنسية ، واقتبس من الاداب الفرنسية وساعده على ذلك ذكاؤه وقدرته على محاكاة الشعر الغربى احيانا ، وكان يميل الى التجديد فى شعره .

● ترجم البؤساء لفيكتور هيجو، وله كتابقصصيأصيل « ليالىسطيح» الذى نشره سنة ١٩٠٦ وقصة سطيح تجرى على نهج المقامات ، ولعله تأثر فيها بكتاب عيسى بن هشام .

● تتجلى الروح الوطنية فىشعر حافظ فقد وجدت الحركة الوطنية فى قصائده البديعة قوة تستمد منها الحماسة والصمود فى الجهاد والثورة على الاحتلال ، فقد كان شعره معينا لاينضب من الكفاح الوطنى وكان حبه للوطن يملك عليه شغاف قلبه ويلهمه الذود عن حريته واستقلاله ، وقد عبر عن ذلك بالكثير من القصائد .

● توفى حافظ ابراهيم سنة ١٩٣٢ بعد أن خلف لمصر والشرق ذخيرة من الوطنية وكنوزا من الشعر والحكمة لا تفنى على مر الزمان .

إبراهيم عيسى

نور ودموع

ربى .. ذنوبى اليكَ تسعَى … وأنتَ تعطى المُنى وترْعَى
وهبْتَ ذاتى الى حياتى … وشئتَ لى فى الحياة مرْعَى
فرُحْتُ أعدو الى ليال … قلوبها كالعُصاةِ صرْعَى
مجنونة الاثمِ فى حشاها … أجِنّة تستثير سجْعا
ولُحتَ لى فى الضياء لكن … خبّأتُ نفسى .. فخبتُ دفْعا
خجلتُ يارب أن ترانى … أسِىءُ رغمَ العطاءِ صُنْعا
ماذا أقول ؟ .. وأنتَ أدرى … بكل ما قد زرعتُ زرْعا
فزِعتُ يارب من خطايا … مثل الشظايا تثير نقْعا
تضمّ طينيتى فأجثو … وِترًا .. وأعنو اليكَ شفْعا
وملءُ نفسى كهوفُ إثمٍ … ذليلةٍ تستبدّ طبْعا
يا ليتنى متُّ قبل هذا … وكان لى للسماء رُجعَى
فأنتَ ربى .. ونورُ دربى … تبعثه فاعتليتُ منعا
وأنت سرى .. وسرُّ سرى … فأْذَنْ الى راحتيكَ أدعَى
روحى ترَى فى علاكَ بابا … طرقته فاستجاب سمْعا
فأسكبْ الروحَ فى يقين … شرعتَه للوجودِ شرْعا
فيا وجودَ الوجودِ كنْ لى … ومدّ لى من لدنْكَ نبْعا
إنْ غبتَ عنى وعن يقينى … أضيقُ برغم الوجود ذرْعا
قلبى وشعرى اليكَ جاءا … يستغفران الذنوبَ جمْعا
قد رقّ قلبى فصار نورا … ورقّ شعرى فصار دمْعا

عاطف مصطفى

الملهمات في حياة أدبائنا المعاصرين

الملهمة في حياة الفنان هي النبع الذي يستقي منه فنه وابداعه ، وهي التي تكون من وراء العمل الفني قوة دافعة للالهام والابداع ، وكل اديب سواء أكان شاعرا ام قاصا ام فنانا تشكيليا ، في حياته ملهمة تفتح الطريق أمامه لاظهار مواهبه الخلاقة التي تعود على البشرية بالنفع والخير فيما يفرزه من نتاج ادبي وفكري .

وادباؤنا المعاصرون في حياتهم ملهمات انعكس اثرهن بشكل كبير في عطائهم الادبي ، وبرز دورهن فيما كتبوا ودونوا ، وفي هذا اللقاء نتعرف على لمحات من دور الملهمات في حياة صفوة من ألمع ادبائنا المعاصرين .

عن الالهام والملهمات يقول الاستاذ فكري اباظة : لا أريد أن ادخل في الموضوع قبل أن أسجل أن الله سبحانه وتعالى هو الملهم الاول والاخير ، وفي الصدارة (محمد رسول الله) وله الالهام الثاني الذي سرى سريانه في قلوب ونفوس العالم اجمعين ولعلي أذكر (خديجة) أم المؤمنين فقد قرأت في تاريخها الجليل أنها لم تكن فقط الملهمة بالحب والاخلاص لمن يقرأ تاريخها ، وانما درسنا من هذا التاريخ أن الهاما آخر كان له في رءوسنا أنبل المثل : عرفنا عنها ومنها أن مالها الحلال هو الذي قدمته لزوجها (محمد) ليستعين به في دعوته الاسلامية ، وفي نفقات ما وجب أن ينفق في سبيل الدعوة وقتال المشركين .

ثم يستطرد فكري اباظة في حديثه قائلا : لماذا اقتصر البحث



فكرى اباظه

الذى تراه « الهــلال » منى على الملهمات ؟ اين الملهمون من الرجال والابطال فى التاريخين القــديم والحديث ؟ على كل حال ســاتقيد بما اراده « الهلال » لانى من أحباب « الهلال » !

كانت الملهــمة الاولى لقلبى وحسى وذهنى واتجاهى (فتاة) ارمنيــة اسمهاالمعرب (ثروت) الهمتنى بحثا شــيقا عن (حب القلب) و (حب الواجب) ·· كانت تحبنى فاحبهــا حب الشباب للشباب فى العشرينات ولكنها كانت مترددة بين حبى — حب القلب — وبين حب (ضــابط استرالى) من ضباط الحرب العظمى الثانية ، انقذها من مجــازر الارمن فى تركيا ، ولماتشتتت أسرتها وضاعت فى خضم الحياة رعاها ذلك الضابط الاسترالى واكرمها وحصــنها ضد أحداثالحياة فاحبتة (حب الواجب)·

الهمنى هذاالبحث بين (حب القلب) و (حب الواجب) ثم الهــمتنى أن (القلب) لا يخضع بمفارقات (الدين) ولا (الجنسية) ··· الحب هو الحب مادام بين الكتابيين من الذكــور والكتابيــات من الاناث ، وقد انتهت حياتها مقتولة بيد هذا الضــابط الاسترالى حين كشــف حب القلب ورجحانه على حب الواجب !

وكانت الملهمة الثانية فتاة اسيوطية اسمها (مريم) ··· لما انشــدت نشــيدى عن الثورة المصرية سنة ١٩١٩ أخـــذ الانجليز بعد ذلك يتعقبوننى فى اسيوط ويجرون تحقيقا لتقديم قضية ضدى أمام المحكمـــة العســكرية الانجليزية طالبينالحكم على بالاعــدام وكانت (مريم) هى التى انباتنى بالخبر من قريب لهــا يعمل مع الانجليز باســيوط ، وكان الهامها لا اعجابا وانما تشجيعــا وخوفا على حياتى ·

ونشا الحب بينى وبينها الى أن حــدث حادث يجــزع له تاريخ الوحشية البريطــانية ، فقد انقض عليها ضابط بريطــانى اثناء تفتيش منزلها فى قرية بعيدة عن اســيوط فقضى على أعــز ما تعتز به فتــاة عذراء ·

وكنت قد اتفقت معها على الزواج ولكنها غابت عن نظرى ومســمعى ، واستحال على أن أعــرف مكانها ، وان اتصــل بها الى ان هربت من الاعــدام ووصلت القاهرة ســالما واذا بى اتلقى خطابا مغلقا بالسواد ذكــرت فيه أنها حاولت الانتحار ، ولكنها انقذت عدة مــرات ، وكان عليها بعد تلك الكارثة أن تقرر عدم الزواج منى ، وانهــا قد تزوجت بالفعل من قريب نبيل لها ·

وقد التقى هذه التضحية الغالية أن من بين الفتيات المثاليات من يصارحن قبل الزواج بمآسيهن ونكباتهن ، ويحرصن على الا يخدعن الذين تقدموا اليهن بالزواج وهذه الفضيلة المثالية الهمتنى أن أسرد تاريخها الاليم معى ، ولولا ذلك الالهام ما اصدرت كتابى الاول.

اما الملهمة الثالثة فهى ممثلة جاءت الى مصر من تركيا وحيدة لا اهل لها ولا معارف ولكن جمالها الفتان وعينيها الزرقاوين مع شعرها الذهبى لفت اليها الانظار فاقتنصها استاذنا الكبير (يوسف وهبى) ومثلت معه ، وكانت من الع الممثلات احببتها ولم يكن حبى لفرط جمالها وانما لانها كانت فيلسوفة (فطرية) علمتنى ان المال زائل ، وان الحب الرخيص هو احط انواع الحب ، وان الحب الغالى ، حب السهل الممتنع هو اقوى مراتب الحب واعلاها .. وكانت نكية لماحة ترسل النكتة وراء النكتة ، والحكمة وراء الحكمة وادون هذا وذاك فى دفتر ، واكتب من انتاجها الذهنى الممتاز اكثر من مائتى مقالة فى الاهرام والمصور

والملهمة الرابعة كانت مطربية اعتلت مسرح (ترقية التمثيل) فى حديقة الازبكية فلمعت هى الاخرى ، واشتهرت ، واحبها شاب من اكبر



نجيب محفوظ

العائلات واغناها ، ثم تنكر لها وطلقها ، ثم انكر الزواج ، وانكر بنوة ابنة منه ومنها ...

الالهام هنا كان يتمثل فى كلمتين: البنوة ، البنوة ... كان همها الاكبر هو اثبات شرعية (ابنتها) منه ، وعرفت المحاكم الشرعية عدة اعوام أعجب قضية فى تاريخ الزوجية والبنوة ، ورفضت رفضا باتا (ستين الفا من الجنيهات) عرضت عليها لتتنازل عن اثبات البنوة الى أن ربحت كل قضاياها بمجهود جبار من محاميها الشرعى المرحوم (خيرت بك راضى) وبنصيب ضئيل منى كمحام أمام المحاكم الاهلية غير الشرعية .

هذا المثل الاعلى للامهات فى عالم (المطربات) الهمنى فضيلة لا تطاولها اية فضيلة تبقى فى الام المثالية برفع النظر عن وسطها وجوها واسلوبها فى الحياة .

والهمتني مطربة العصر الحاضر بلا نزاع (ام كلثوم) وقد كنت صديقا ومحاسبا لها عدة سنوات اتعقب تألقها في عالم الغناء ، وحرصها

على الا تهبط من مرتبتها العالية حتى لقد قلت ان اثنين من حقهما

ان يكونا من بين أبطال العالم الفني والادبي في العصر الحديث احدهما

احمد شوقي امير الشعراء وصاحب العصر الذهبي في الشعر بل في جميع عصور الشعر العربي . والثانية هي ام كلثوم وعصرها السليم الصحيح

الذي رن رنينه في جميع انحاء العالم العربي ، وكان اكبر دعاية لمصر والمصريين .

حدث ذات مرة انني شكوت اليها فشلي في محاولة كبرى للبروز والكسب حتى اصبحت على حافة اليأس فاذا بها تقول : ان الفشل

هو سر النجاح ، ومقدمة النجاح ، والذي فشل أول مرة يتعلم من الفشل بالاعداد الكامل للنجاح ، وسترى أن رأيي هذا سيحقق لك نجاحا لا شك فيه بعد الفشل .

وقبل هذا الكلام كله ، وبعد هذا الكلام كله ، رأيت أن اذكر كل ما في نفسي وما في قلبي وما في خاطري ومستقبلي ملهمة كانت هي الاولى وان

لم اضعها في الترتيب لانها اعلى من كل ترتيب ... كانت والدتي رحمة الله عليها ... فقد حدث أن عجوزا

قشاشية وقعت على كل ما يمتلكه والدي من (اطيان) في قريتنا - كفر ابو شحاته - وكان الدائن هو البنك العقاري بفوائده الباهظة المركبة

وبمصاريف التقاضي الفادحة ، وكان معنى ذلك أن نهجر قريتنا وننتقل الى مكان اخر بعد أن فقدنا كل



ابراهيم المصري

مالنا من أملاك وكان (مسقط الرأس) عزيز عليها وعلينا ، فباعت اطيانها الموروثة من والدها في جهة اخرى وسددت البنك العقاري ليرفع الحجز

عن اطيان والدي واشترت بما تبقى (اطيانا) أخرى ولسان حالها يقول : كيف يترك اولادي (مسقط

رأسهم) ويذهبوا الى مكان غير المكان الذي ولدوا فيه ونعيش جميعا بين أناس لم نعرفهم ، ونهجر (أم رجب)، و (أم سلامة)، و (فرحانة) وغيرهن

وغيرهن ممن عاشرتها الزمن الطويل؟ كان الهامها هو التمسك بمسقط الرأس أو بالوطن الصغير ، ثم ما

هو اكبر .. الوطن الكبير وفي كتبي - وعددها اثنا عشر كتابا ، وثمان

قصص - وفي الثلاثة الاف حديث اذاعة من اذاعاتي من سنة ١٩٣٤

الى سنة ١٩٧٤ عبر اربعين عاما . وفي مقالاتي التي لا تحصى خلال

اكثر من نصـــف قرن · كانت هذه الالهامات هى صاحبة الفضـــل فى سياستى وادبى وانتــاجى ان صح انني من بين المشتغلين بالسياســة والادب والانتاج ·

***

ويقول الاديب المعـــروف نجيب محفوظ : الحب الحقيقى فى حياة أى انسان مـرة أو اثنتين ولا يستطيع الانسان أن يستوعب أكثر منهمـا ، وهناك ملهمات أخرى غير المرأة ، وبعض المؤلفين يستلهم قيمة ويعشقها مثل العدالة الاجتماعية ، أو الوطن، أو الانسانية وهذه يجب أن تدخل ضمن الملهمات واعتقد أن أى عمل بدون حب يفقد انسانيته ومن أمثلة ذلك رواية « الكرنك » لم يكن وراءهـــا تعذيب البشر ولكن وراءها حبمصر وأبنائها والا تحولت الى صرخة من البغضاء، وفى هذه الحالة لا تكون عملاً فنيــا على الاطلاق ·

ومصر وراء كل الاعمال السياسية التى كتبتها ، وهذه تشمل اكثر من نصف انتاجى الادبى ان لم يكن كله· ولقد كان أول كتاب فى حياتى ترجمة عن حياة مصر القديمة ،وثلاث قصص عن مصر ايضــــا ، اما بقيــــة الاعمال فعن القاهـــرة قلب مصر النابض ، وهذا مصدر الهامى فمصر هى الالهام كل الالهام ·

واعترف بما للملهمـــات من دور



صالح جودت

جوهرى فى الفـن ، ولعلهن يربضن وراء الجمال فى كل عمل جميل ولعل حال الحب شرط اولى للخلق والابداع، ولكن من حسن الحظ أن حب أى معنى أو قيمة فى الحياة يغنى فى أحيـــان كثيرة عن حب « ملهمة » والا مـــا أمكن ممارسة الفن الا فى أحـــوال نادرة ومحدودة ·

واذا كان من حقنـــا أن نعترف بدور الملهمات فى عملنا ، فليس من حقنا كشف النقاب عنهن وبخــاصة فى بيئة لم تكـــد تعترف بالحب ، بيئة تلد قانون الاحوال الشــخصية فى دهــر طويل كأنه معضـــــلة ميتافيزيقية ·

***

والاديب الكـــبير ابراهيم المصرى يقول : عرفت فى شبابى امرأة كانت قد ترملت وهى بعد فى الثـلاثين من عمرها · هذه المرأة كانت حـــافزى ومثـــار قوتى ، وهى التى الهمتنى طائفة من أعمـــالى الادبية وحثتنى



يوسف جوهر

على مواصلة الاطـــلاع والتفكير والانتاج .

كنت اهــــرع اليها كما يهرع الضرير الى المأوى ، واستمسك بها ، واشعر حيال سلطانها العجيب انها هى الضالة التى انشدها .

كانت مصرية قاهرية ، اصـيلة فى ظرفها ودلالها ، فى مرحهـــا وخفتها ، فى اتزانها ورصانتهـا ، فى ذكائها المتوقد ، وحديثها الطلق، وخاطرها اللماح . وكانت تهـوى الاطلاع والتثقيف ، وتعشق الفكـر كانه رجل ، وترتمى فى لجة المناظرات والمحاورات الادبية والاجتمـاعية كما ترتمى فى غمرة الفرح والسعـــادة فى ليلة عرس او فى يوم عيد .

وكانت ذات قامة ممشوقة ، وبدن غصـــن ، وعينين سوداوين وثابتين وشعر لامع غزير ، ينفرط منها ، وهى تناقش وتجادل ، فيكاد يلمس الارض ويطوى فى موجه الهـــادر اصلب واقوى الرجال .

ولقد عشقتها لانها كانت الجمـال والعقل ، والعاطفة ، والفكــــر ، الضعف والقوة . المرأة والرجل فى انبل ملحمتهمـــا به الطبيعة ممثلين تمثيلا خارقا فى شخص انثى .

ولقد عشقتها لانها كانت الجمـال وهكذا وضـــعت فى ظلها الحيـــا اعمالى الادبية الاولى ، وتمنيت لو استطعت ان اتزوجها واجعل منهـــا شريكة فكرى وحياتى ، ولكنى كنت فقيرا بل كنت يائسا لا أســـتطيع أن انهض بحمل بيت ومسئولية أولاد ، فاكتفيت بصداقتها ، وأحببتها بالعقل والقلب والروح ، فلمـا تزوجت غشى الظلام حياتى ، فعشت بالذكرى التى يبعثها الخيــــال ، وتلهبها الحسرة وتظل جمرة متقدة فى أعماق النفس ولا يمكن أن تموت .

•••

اما الشـــاعر صالح جودت فيرى فى الملهمات صورة واحدة يعشقهـــا ويتمسك بها وعن الملهمات يقـــول بايجـاز رائع : تبدا قصـــتى مع الملهمات وانا فى السادسة من العمر فى روضة اطفـــال انجليزية بمصر الجديدة ، فيها سكرتيرة جميلة فى العشرين تعلقت بها . ووهبتنى حنان الدنيا باسرها ، ومنذ ذلك الحين حتى الان ، وانا ارى اجمـل صور الجمال فى ابنة العشرين دائمـــا ، واستلهم جمالها اذا كتبت شـــعر حب ، واستوحى دفء عـاطفتها اذا نظمت شعرا وطنيا .

•••

ويقول الاديب يوسف جوهر : أكاد اقـــول انه ليس بالضرورة أن تكون فى حياة الكاتب ملهمات ... لعـل الشعراء او الرسامين هم الجديرين بأن تكون لهم ملهمات فان للمـــرأة فى انتاجهم دورا محتوما . والشاعر فى حاجة الى امـــرأة تعذبه وتلهبه وتثيره لكى يبدع ، و «الموديل» امام

الرسام والمثال فى خبزه اليومى،خبز خياله ، ومادة أبداعه فى المرسم والاستديو لا بد أن تكون هناك « فينوس » ربة بغيرها يخلو الهيكل من الالهام .

اما الكاتب وكاتب القصة القصيرة بالذات ، فحسبه أن يحلم ، ليس شرطا أن يحلم بامرأة بعينها ، حسبه أن يحمل شباكه ويلقيها فى أى بحر .. شحاذ يستجدى على قارعة الطريق، ويعرض على المارة ذراعه المبتورة يلهمه قصة ... خاتم من الماس فى اصبع قصاب يلهمه قصة ا .. دمعة فى عين طفل .. أغصان شجرة

تحتضن عش عصافير فى يوم عاصف ... وجه امرأة ، أى وجه ، ليس شرطا أن يكون جميلا .. عجوز جاوز السبعين يمسح الاحذية بيد ترتعش ويرفض الصدقة .. ابتسامة فى عينى سيدة لا تعرفها تراها فى لحظة خاطفة قبل أن تفتح لسيارتها اشارة المرور .. صورة شهيد شاب فى صفحة الوفيات بمناسبة مرور عام على استشهاده .

ينابيع الالهام لا حصر لها ، قل أن تكون هناك صلة حميمة بين قصة لى وامرأة عرفتها، حتى زوجتى لا أريد أن أنافقها وأقول لها أنها ملهمتى ! .. أهديتها أحد كتبى فقلت : « ألى رفيقة طريقى ، ومصباح حياتى ، حسبها أن أكون زوجا وأبا وأنها تلهمنى السعى الدائب أن أكون جديرا بها » .

***

ولقد توجهت بسؤالى عن دور الملهمات فى حياة الشاعر محمد عبد الغنى حسن الذى بادرنى مجيبا على سؤالى قائلا : لا أدرى — يا أخى لماذا تطفو دائما كلمة « الحب » حين يدور السؤال حول دور الملهمات فى حياة الرجال ، وخاصة أهل الفنون والآداب منهم ؟ .. وأقول لك الحق



محمد عبد الغنى حسن

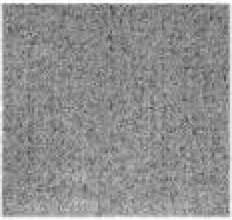
اننى تهيبت هذا السؤال ، وأشفقت على نفسى من الاجابة عليه مخافة أن ينزلق بى الكلام الى ما أحب أن أستره من أمرى ، وخاص شئونى فان أسرار الحب الضائع أو القديم، يجب أن تظل بمنأى من أن تذاع ، فهذا الشاعر عمر بن أبى ربيعة محب «نعم» ومتيما كان مع اشتهاره بأنه يشهر عن حبه حريصا على كتمان السر الذى استودعته اياه حبيبته . ألم يقل لنا فى أحدى قصائده الغزلية :

اضعت الذى قد كان فى السر بيننا
وسرك عندى كان فى أحصن الحصن

وقد ظل شاعرنا « عمر » حياته حريصا على كتمان أسرار الحب ويؤكد ذلك قوله من غزلية أخرى :

فلما تقضى الليل الا أقله
هبينا ، ونادى بالرحيل سنان
رجعت ولم ينشر علينا حديثنا
عدو ولم تنطق به شفتان

واذا كان لا بد — يا أخى — للجواب عن سؤالك من فضح الاسرار ،وكشف الستار،فما نحن الابشر ركبت أجسامنا



من لحم ودم ، وعذرنا أن بين ضلوعنا قلبا يخفق ، ويضطرب وأن في محاجرنا نظرا يبصر فيتأثر ، والا كنا حجارة من أقسى الحجر .

ولقد كان لنا في « المنصورة » صبوات أرقت الجفن ، وسهدت العين وطاردت النوم حتى قلت من قصيدة « شجون » التي نشرت في مجلة « البلاغ الاسبوعي » سنة ١٩٢٨ :

ان في المنصورة اليوم فتى
نازح الدار غريب الوطن
لا ينام الليل من لوعة
من لاهل البؤس بالنوم الهني ؟
لي فؤاد كتب الله له
كلما قارب برءا يقتلني
فاذا ما شئت ان تكشفه
فالتمسه في زوايا المحن

وعشنا في الحب كما يعيش المحبون بين أمل ويأس ، حتى بلغ بنا اليأس حد القول في ديوان « ماض من العمر » :

ايها الهاجر الذى
يبدل السخط بالرضا
قد مضى الحب بيننا
رحم الله ما مضى

وصبرنا على آلام الهجر ومواجعه في رجولة وكبرياء عالية ، فقلنا في ديوان « من وراء الافق » من قصيدة عنوانها : بقية الكأس :

اني لاشفق من همي على جسدي
لكن أرى الحب يعلو فوق اشفاقي
اتاحملنا من الاشجان اكثرها
على الفؤاد ، فهلا نحمل الباقي

على انه لم تكن « الفتاة المحبوبة » هي وحدها مصدر الهامي فيما نظمت من شعر عاطفي .. فقد الهمتني « أما » ، حين عرفت في « آمي » أنبل تضحيات الحياة . والهمتني المرأة حين رأيت «الراس كاسا» يسقط صريعا في احدى المعارك فتتولى ابنته وكانت حاملا — قيادة الجيش ، ووضعت طفلها بين أزيز الطائرات وقصف المدافع سنة ١٩٤٢ . والهمتني المرأة حين رأيت الفتاة المصرية « درية شفيق » تحرز ليسانس الدولة في الاداب من جامعة باريس سنة ١٩٣٢ . والهمتني المرأة حين رأيت الفتاة المصرية « عصمت » تضرب أول مثل في الاقدام لقيادة الطائرة سنة ١٩٣٢ ، والهمتني المرأة حين رأيت — لاول مرة في تاريخ المرأة المصرية — السيدة « فاطمة فتحي » تظفر من جامعة انجليزية بشهادة البكالوريوس في علم النبات ١٩٣٢ . والهمتني المرأة حين رأيت السيدة « زينب كامل » خريجة جامعات انجلترا تعين معيدة في الجمعة المصرية سنة ١٩٣٠ . والهمتني المرأة حين رأيت « هدى شعراوى » رحمها الله — تأتي من أعمال الخدمة لوطنها ولبنات جنسها ما لم يأت به الرجال . والهمتني المرأة المصرية حين رأيت المصرية تنفض عن نفسها غبار الماضي المظلم لتتطلع الى غد مشرق وضيء فنظمت لها قصيدة عنوانها « نسوة في مؤتمر » القيتها في نادى الشبيبة سنة ١٩٤٤ ونشرتها في صحيفة الاهرام .

والهمتني المرأة في مواطن الحزن والرثاء ، كما الهمتني في مواطن العاطفة والفرح والغناء ، فبكيت على الورود الراحلة والزهرات الذابلة ، ويشتمل ديواني : ماض من العمر على قصائد في هذا المجال .

على انني لا أومن بالمرأة ملهمة وحسب ، بل أومن بها شريكة طيبة ،



ثروت اباظة

ورفيقة صالحة ، ومتعاونة مع الرجل للوصول الى غاية بعيدة ، او تحقيق هدف كريم . ومازلت اذكر كيف اعانتني وتعاونت معي الفتاة الامريكية « ايلين بابيت » سنة ١٩٣٤ للصعود الى (ثلاجة الجبل الابيض) بجبال الألب الشاهقة بفرنسا ، فتقلمت قصيدة « فوق القمم » التي نشرتها مجلة المقتطف ـ رحم الله زمانها ـ ونشرت في ديواني : « من وراء الافق » وفيها القول :

انا امتطينا صهوة الجبل الذى
قد هد بالاعياء كل مصعد
السيد الجبار ذلل متنه
ايمان سيدة ، وقوة سيد

***

ويقول الاديب ثروت اباظة : الملهمة الاولى في حياتي هي امي ، فقدجعلتني آخذ الحياة بجدية ، ولا أنسى يوما حاولت فيه أن امشط شعرى بطريقة لم ترضها فراحت تهدم شعرى كلما صففته حتى يئست وحلقته ، ولا انسى يوما قست فيه علي لانني لا اذاكر فقلت لها : انني سوف انتحر ، وكنت يومذاك في الشهادة الابتدائية فاذابها تذهب الى الشباك وتفتحه على مصراعيه وتصيح بي .. انتحر !

وملهمتي الثانية حب « طفل » جعلني افعل ما يقوله الشاعر :

ويجهد للمعروف فى طلب العلا
لتحمد يوما عند ليلى شمائله

وقد استطاع هذا الحب الطفل ان ينمو معي ليكون زواجي وليظل مصدر الهامي مدى الحياة .

وملهمتي الثالثة هى ابنتي يوم ذهبت الى مدرستها فقيل لي انها ترفض ان تكتب كما يكتب التلاميذ ، فذهبت اليها في المنزل وكانت في الخامسة من عمرها وظللت أضربها حتى صاحت بى .. بس يابابا بس!! واحسست من الفاظها كأنها أيد من حديد تعتصر قلبى ، وظللت اتساءل لماذا نأتي بهؤلاء الاطفال ، النعذبهم كما عذبتها ، أم ليعذبوننا كما عذبتني بكلمتها « بس يا بابا بس » !؟ أمسكت الفكرة بمشاعرها وراحت تلح علي حتى كانت رواية « الشباب » .

أما ملهمتى الكبرى التى رصدت لها نفسى وقلبى ومستقبلى واولادى وحياتى جميعا مامضى منها وما هو فى مطوى الغيب قابل ، فهى مصر ، تراها فى « هارب من الايام » ، وتراها في « قصر على النيل » ، وتراها فى « ثم تشرق الشمس » وتراها فى « شيء من الخوف » وتراها فى الغالبية العظمى من القصص القصيرة التي كتبتها ، تحس انها كانت دائما وستظل نبض قلمي الذى لم يكتب كلمة الا وهى صادرة من نبض فؤادى .. فمصر هى الهامى الاول والهامى الدائم .

رباب..

أحمد السمرة

زادُنا في رحلة الحب ربابُ　　يتناجى الشوق فيها والعتابُ
وينمّى الوجدَ في وجداننا　　سحرُها المطلول واللحن المذاب
يا رفيق الدرب هذا أفقها　　ملؤه حورٌ وعطرٌ وقبابُ
وائتلاقٌ سافر عن بهجةٍ　　والتماسٌ واشتهاءٌ وارتقابُ
قد عرفناهُ فمِنْ أطيافه　　ينتشى للشوق أصلٌ وانتسابُ
فتنةٌ سكرى إذا جاء الندى　　سالت الأفراحُ واخضر التراب
وانثنى شجوُ الليالى سربا　　وانتشى الكأس وزكاه الشرابُ
غنِّ واطربْ وارتشفْ من حانها　　ما ارتشفنا إنها حانٌ عجاب
لو عصينا الحب فى أنغامها　　ماصحا الفجرُ ولا انهل السحاب
لو جفونا السبْح فى محرابها　　ما رنا النجم ولا حن المذابُ
لو أرقنا الخمرَ من أكوابها　　ما صبا الشيب ولا غنى الشبابُ
سِرْ بنا ياقلبُ فى دربِ الهوى　　ماوراءَ الحب ليلٌ وارتيابُ
نحن نحتدُ و الشوق بالشوق ولا　　نكتوى لوماً اذا ماقيل ذابوا
ليتنا انْ ما زجتهُ ريبٌ　　ما اهتدى فيهِ الشوقُ المستراب
فى دروبٍ للمنى تنشدنا　　يستوى وهمٌ حداها أم صواب
ذابت الظلماءُ وانداح الضيا　　وتهادت تنا أمانٍ ورغابُ
وتنادى فى حنايا صدرنا　　ما تصبته الأهازيجُ العِذابُ
نشعنا إن كان دمعا أو ضنى　　لم تعقنا عن حمياه الصعاب
لاتسلْ فى الدرب عن مكنونه　　عد إلى العشق ففى العشق الجواب
إذ يكن حتى سرابا خادعا　　فالرؤى العطشى يرويها السراب

رحلة الشهر

قيمة العقل البشري

لعلك ايها القارىء لم تسمع باسم جاكوب برونوفسكي ، الذى ودع الدنيا منذ بضعة اشهر ، عن ست وستين سنة ·
كان برونوفسكي عالما رياضيا وبيولوجيا (علم الحياة) ومؤرخا ··· وكان فوق ذلك كله شاعرا ···

ولكن اعظم انجازاته ، انه جعل العلم ، او فلسفة العلم على الاصح ، اقرب الى اذهان الناس على نطاق واسع ·

وقد ترك وراءه عشرات من الكتب العلمية المقدورة ، ومن الافلام التليفزيونية والتمثيليات الاذاعية ، ومن اشهر اعماله فى هذا الميدان ، مسلسلة فى ١٣ حلقة عنوانها « اصل الانسان » اعيد عرضها فى التليفزيون البريطانى ثلاث مرات ، وفى التليفزيون الامريكى مرتين · وهى تتناول قصة نشوء الانسان البدائى فيما قبل التاريخ وارتقائه الى العصر الحالى الذى سيطر فيه على الكون ···

ويرجع برونوفسكى الفضل فى هذا التطور والارتفاع الى العقل البشرى ، ويضيف انه متفائل بمستقبل البشرية طالما ان الانسان يستخدم هذا العقل بكل طاقته ·

قاصة تبيع ١٧,٠٠٠,٠٠٠ نسخة



جاكلين سوزان

كم نسخة نبيع ... انا وانت او اى مؤلف مصرى او عربى اخر ... حتى ولو كان العقاد او طه حسين او توفيق الحكيم ؟

عشرة آلاف ؟ ... عشرين الفا ؟ ... مائة الف ؟

اسمع هذه القصة :

فى سبتمبر الماضى ، ماتت الكاتبة الامريكية جاكلين سوزان عن ٥٣ سنة ، بالسرطان ..

ولم تكن جاكلين فى زهرة عمرها مؤلفة ، بل ممثلة ، ولكنها حينما ادركت الاربعين ، فى سنة ١٩٦٢ ، اصيبت بهذا المرض الخبيث ، فأرادت ان تغير اسلوب حياتها ، فنزلت عن المسرح ، وامسكت بالقلم لتصبح قاصة

وكتبت روايتها الاولى « وادى العرائس » فى تلك السنة ، وعرضتها فى السوق ، فضربت الرقم القياسى العالمى فى التوزيع ، اذ باعت سبعة عشر مليون نسخة !

وكانت الرواية تدور حول حياة الممثلات ، « والعرائس » هى الحبوب ... التى تلعب اكبر دور فى حياة الممثلات ، فهذه حبة للنوم ، وتلك حبة لليقظة ، والثالثة حبة للرشاقة ، والرابعة حبة لتهدئة الاعصاب ، والخامسة حبة لمنع الحمل ... الخ

ثم كتبت روايتين اخريين ، اكتسحتا السوق وباعتا عدة ملايين أيضا ...

وكانت طريقتها فى كتابة القصة ، هى ان تختار الفكرة والشخصيات الرئيسية والنهاية ، او الشخصيات والاحداث الاخرى ، فكانت تعثر عليها عفوا اثناء الكتابة .

وكانت تستخدم سبورة ترسم عليها تطور شخصياتها كما انها كانت تستعمل اربعة الوان من الورق لكتابة المسودات ، فالمسودة الاولى على ورق اصفر ، والثانية على ورق قرمزى ، والثالثة على ورق ازرق ، والرابعة ـ النهائية ـ على ورق ابيض ...

وكانت شخصياتها قريبة الشبه الى ابعد حد بشخصيات موجودة فى الحياة فعلا ، ولكنها كانت تصر على غير ذلك ، وتقول انها من نسج الخيال !

يكاترينا فورتسيفا



يكاترينا
فورتسيفا

كانت هنا منذ شهور قريبة ...

ورغم اختلافنا ـ أو اختلاف أكثرنا ـ الفكرى معها ، فقد قضينا فى صحبتها سهرة طويلة وممتعة فى دار الادباء بالقاهرة ، وكنا نتعمد ، وكانت هى تتعمد معنا ، ان نشد الحديث بعيدا عن السياسة ، وندفعه الى الادب والفن ، وهكذا مرت السهرة ... طويلة وممتعة ...

انها يكاترينا فورتسيفا ، وزيرة الثقافة السوفييتية التى ماتت فى اواخر الشهر الماضى عن ثلاث وستين سنة ، اثر هبوط فى القلب

وكانت يكاترينا ، رغم انها تجاوز الستين ، تحتفظ بالكثير من جمالها وانوثتها وحيويتها ، وتتميز بابتسامة بنت الثلاثين .

وهى أول امرأة فى تاريخ الاتحاد السوفييتى يقع عليها الاختيار كعضو فى الدائرة الضيقة الحاكمة بالحزب الشيوعى .

نشأت يكاترينا فى أسرة من عمال النسيج ، وخاضت معترك السياسة وسط صراعات قاسية ، وكانت حليفة قوية الوشيجة بالزعيم السوفييتى الراحل نيكيتا خروشتشوف

وقد صعدت الى عضوية المجلس الحاكم سنة ١٩٥٧ ، بعد ان وقفت الى جانب خروشتشوف فى صراعه الجبار مع خصومه فى تلك المدة ، وعينت وزيرة للثقافة فى سنة ١٩٦٠ ، وظلت تشغل هذا المنصب منذ يومئذ حتى ليلة وفاتها (١٤ سنة)

وقد اخذ نجمها يأفل فى السنوات الاخيرة ، وخاصة بعد الفضيحة التى تواترت انباؤها فى مطالع هذا العام ، وخلاصتها انها بنت لابنتها بيتا خارج موسكو تكلف ١٧٠ر٠٠٠ دولار ، استولت على بعض مواد بنائه من ممتلكات الدولة

وقد ادينت فى هذه القضية واجبرت على اداء ثمن ما استولت عليه بغير حق ، ولم يقبل ترشيحها للمجلس السوفييتى الاعلى الذى قضت فى خدمته عشرين سنة

ويقال أن بريجنيف هو الذى وقف الى جانبها لكى تبقى فى منصبها كوزيرة للثقافة

ومما يؤثر عن يكاترينا انها كانت تكره الفن التجريدى وتنتقده علانية بكل صراحة .

ويؤثر عنها كذلك انها كانت تتحمس للتبادل الثقافى بين بلادها والولايات المتحدة الامريكية وفرنسا والمانيا الغربية

على هامش ديوان الحماسة

أود أن أقرر - بادىء ذي بدء - أنني أعجبت أيما إعجاب بالنقد الموضوعي النزيه الذي جاد به يراع الأستاذ السيد حسن قزون ، تعقيبا على كلمتي حول (ديوان الحماسة لأبي تمام ...)

لقد كنت ، مثله ، أتوقع تعقيبا عليها من الأستاذ الدكتور محمد أحمد خلف الله ، أو غيره ، من الكرام الباحثين. وذلك لأمرين :

أولهما : أنني لاحظت أن كلمتي عند نشرها قد سقط سهوا منها كلمة « فحسب » عند قولي عن الديوان انه « لم يشتمل على شعر حربي يصف المعارك والانتصارات .. » (فحسب) ... ومما يؤيد ذلك أنني قلت عن عبارة الدكتور خلف الله أنها لا تصف الحقيقة بحذافيرها ، ويفهم من ذلك أن الديوان يشتمل على شعر الحماسة وغيره لا كما يفهم من عبارة الأستاذ الدكتور خلف الله أن الديوان بأجمعه وضع خصيصا مشتملا على شعر المعارك والانتصارات كالالياذة مثلا .

وقد جاء بكتاب حديقة الأفراح لإزاحة الأتراح ، (١) لأحمد ابن ابراهيم الانصاري اليمني الشرواني أن أبا تمام « هو الذي جمع الديوان المعروف بالحماسة ، وانما قيل له ذلك لأن الباب الأول منه في الحماسة ، أي الشجاعة ... والعرب تسمي قريشا حمسا ، لشدتهم في القتال ..

وإذ قيل هذا شعر الحماس ، فالمراد به أحد الشعراء المذكورين فيه ، سواء كان جاهليا أم اسلاميا ... ولهذا الكتاب شروح كثيرة ، أحسنها شرح العلامة الأجل الشيخ أبي علي أحمد بن المرزوقي ، وقد قيل في وصف الشرح المذكور :

كتاب لو تأمله ضرير
لعادت مقلتاه بلا ارتياب
ولو قد مر حامله بقبر
لكان الميت حيا في التراب !

كما أن السبب في وضع ديوان الحماسة لا يرجع - كما يقول الدكتور محمد أحمد خلف الله - إلى أنه (من عناية أبناء هذه الأمة أن صنفوا مجموعات شعرية ضخمة ، سموها بالحماسات ، مثل حماسة أبي تمام .. الخ » ، وانما سبب تأليفه على ما جاء في كتب الأدب « أن الثلج قد عاق أبا تمام وهو في همدان عند رجل اسمه ابن سلمة ، فاغتم لذلك أبو تمام، وفرح ابن سلمة وقال له : وطن نفسك على البقاء .. ان الثلج لا ينحسر الا بعد زمان ...

وأحضر له خزانة كتب ، فطالعها وألف هذا الكتاب وكتبا أخرى في الشعر المنتخب ، وبلغ عدد هذه الكتب خمسة ، وهي

---

(١) ص ١١٨ ط المطبعة الكاستيلية - ادارة الكوكب المصري سنة ١٢٩٨ هجرية .

كتاب الوحشيات ، واختيار من اشعار الفحول ، واختيـــار من اشعار القبائل ، واختيار من اشعار المحدثين ، والحماسة ... ولم يبق منها الا كتابه الاخير ... ويشك الدكتور طه حسين فى هذه الرواية ،ويرى أن الرجل كان دائب العمل فى اختيار الشعر مما يحفظه من أشعار المتقدمين (١) .

وما اود ان انبه اليه هو انني لم اغمط ابا تمام حقه ، ولم اصف ديوان الحماسة بما ليس فيه ، كما يقول الاستاذ قزون .. بل قلت بالحرف الواحد في كلمتي انه يمثل (مجموعة خصبة ، تشتمل على رائق الشعر وأعذبه وأبعده عن التكلف ..) ويكفى انه هو القائل :

نقـــل فؤادك حيث شئت من الهـوى
ما الحـــب الا للحبيـــــب الاول

اما ثاني الامرين الذى أسلم به بلا مـــراء ، فهو تصحيح الاستاذ قزون لما ذكرته عن قدوم أبى تمام الى مصر ، معتمدا على ذاكرة مكدودة زعزعتهـــا نوائب الايام ، حتى خلطت بين (جامع عمرو) ـ عش العلماء ـ وبين الجامع الازهر

احمد مصطفى حافظ

مقـــامـــة حمصيـــة

الاستاذ رئيس تحرير (الهلال)

تحية طيبة وبعد

قال أبو اسحاق أحمد بن سهل : كنا عند أبى الفضـــل فارس بن مختار ، العالم الاديب الذى لا يشق له غبار ، سليل الامجـــاد من بنى صـــخر الاخيار ، فجـــرى ذكر الشعر والاداب ، وما صارت اليه من حال تعاب شوهاء نكراء عرجاء، قد كثر حولها الادعياء ، حتى ضاقت الارض بهم والســـماء يملأون الجو ضجيجا من غير لحن ، وعجيجا من غير طحن ، قد استأثرت كل عصابة منهم بمجلة او مجلات ، يملأونها بكل غث من المقالات ، حتى بارت اسواق الاداب ، واحتجب القادرون من الكتاب ، وعاف الناس ما يلقى اليهم من أشعار ، ذاقوها فما أساغوها ، فلفظوها كلفظ الآكل فاسد الطعام .

فقال ابو الفضـــــل : والله يا قوم ان الامر لكما تقولـــون وتصفون ، والناس من الادب الحديث فى ظلمة ظلماء وضلالة

(١) تاريخ الادب العربى لنديم عدى ص ٥٠ ج ١

عمياء يرون الاسفاف فيقال شعر جديد ، والهذر فيقال ، تجديد ولكن الظلام ليس مطبقا ، ورحمة الله أوسع ، والله اجل واكرم، الا ترون في السماء بصيص نجيمات ؟

ثم صفق بيديه ، وصاح : هات (الزهور) يا غلام ٠

قال ابن سهل : فذلك والله كان مبدأ علمي بهذه المجلة ، ولقد قرأتها فاستبشرت خيرا ، ورجوت أن ينفع الله بها المتأدبين والادباء ثم انى أتيت صاحبا لى اتخذ الادب هواية ، وله في الشعر والاقاصيص دراية ، ولكنه كان يضن بمحاولاته أن يرسلها الى من هم غير أهل لها ، فيكون نصيبها الاهمال ، أو سلة المهملات ٠فلما حدثته عن (الزهور) تبسم راضيا ، فأعطاني قصة من بعض ما كتب ثم قال : ارسلها لهم ، فان يكن فيهـا خير ، والا فلا ضير ٠

فطمأنته وبشرته ، ثم أسرعت الى البريد أودع هذه القصة المرفقة المسماة (طريد الجنة) لعلها أن تجد لديكم قبولا ، أو أعمد الى صاحبى ذاك فأنهاه عن هوايته التى يهواها ، وأصده عن مضيعة الوقت والمال ، فيما لا خير يرجى منه ولا نوال ٠

والسلام عليكم ورحمة الله

● الدكتور حسان الحاج ابراهيم ●

● حمص ـ سورية ●

● وبعد ٠٠٠ فهذه رسالة طريفة تجرى على أسلوب المقامات في براعة وخفة ظل ٠ فشكرا للدكتور حسان ، وموعدنا مع قصته العدد القادم من الزهور ان شاء الله ٠

شـــكرا ... أيـهــا الأحـبــاب

حتى لا أضيع على القارىء مســاحة لا أملكها ، أكتفى بسطور معدودة أتوجه فيها بأجمل الشكر بعد الله سبـحانه وتعالى ، الى الاصدقاء الشعراء والادباء والقراء الذين غمرونى بعواطفهم وزهورهم ورسائلهم طوال الشهرين الماضيين اللذين الم بى فيهما محنة صحية حادة زالت والحمد لله ٠

● ص ٠ ج ●

نصري
عطا الله

الدكتور أحمد زكى

تحية إلى العالم الكبير في عيد ميلاده الثمانين

بدأ الدكتور احمد زكى حياته العملية مدرسا عام ١٩١٤ أى منذ ستين عاما ، وتلاميذه فى كل انحاء الوطن العربى يسعدهم أن يتقدموا اليه بالتهنئة القلبية الخالصة فى عيد ميلاده الثمـــانين ، ويملأ قلوبهم غبطة انه ما زال يتمتع بقوة الجسم وشباب العقل ونضارة الروح، ويأملون أن يمتد به الاجل وأن يقدم لهم مزيدا من ثمار ثقافاته الواسعة التى تجمع بين فكر العالم وعاطفـة الاديب وايمان الصوفى ...

لقد جمع الدكتور احمد زكى بين كل تلك الخواص . وهو بذلك خير مثال

كان الدكتوراحمدزكى قد بلغ الخمسين او تعداها بقليل حين قال فى احدى الندوات فى القـــاهرة ان غالبية الناس الذين يتقدمون الى اخر العمر يقل همهم الدنيـوى ويزيد همهم الاخروى ويقفون عنـــد حجاب من الغيب تصرفهم رهبته عن كل ما سبق لهم من مشاغل الدنيا ،ماضيها وحاضرها ومستقبلها

وحين بلغ الدكتور احمد زكى الثالثة والستين قال لاحد الصحفيين ان والده قد عمر ثمانية وسـبعين عاما ، وانه لا يطمع فى اكثر من عمر والده عـــلى أن يحتفظ بقواه العقليـــة وقوته فى الاستيعـــاب والتفكير .

ولقــد كان القدر كريما حين منح استاذنا الدكتور احمد زكى ما يتمنـــاه من صحة بدن وحيوية فـــكر ووضاءة روح ، ولكنه كان اشد كرما حين اخلف ظنه فى مسالة العمر ، فقد اتم الثمانين من عمره المبارك ومع ذلك فلم يقل همـــه الدنيوى كما قال هـــو عن الناس عامة ، بل لعله قد زاد . ومازال احمـــد زكى يشغل نفسه بشئون العلم والفكر والسياسة ،ومازال يعيش مـــع الله فى الارض يدرس مخلوقاته ويحـاول ان يستشف من تكوينها واساليب حياتهـــا دلائل الاعجاز الالهى ..



د . احمد زكى .. رحلة طويلة مع الفكر والادب رائدا ومفكرا

يحتذيه شباب الشرق العربي الجديد وهو على أبواب التعمير الحضارى المنشود ، اننا نريد لشبابنا وهو يأخذ بأسباب العلم الا ينسى الايمان هاديا ومرشدا ودليلا ، وأن يعيش عواطفه كلها وينفعل بالحياة من حوله ، فيكون له من ذلك كله حياة غنية ناضجة وليس في عصرنا الحديث من اقترب من ذلك المثال وحققه على احسن وجه خير من الدكتور احمد زكى .

ان صحبة العظماء تلهم بكثير وتضفى شيئا من العظمة على من يصحبهم ، فلنصحب الدكتور احمد زكى بعض الوقت .

***

ولد الدكتور احمد زكى فى مدينة السويس بالوجه البحرى من جمهورية مصر العربية فى الخامس من ابريل سنة ١٨٩٤ وكان والده موظفا فى حسابات مدينة السويس ، ويقول الابن ان أباه كان فقيها فى اللغة العربية لو سمع به « سيبويه » لرضى عنه ..

وأرسل احمد زكى وهو غلام الى الكتاب ليحفظ القرآن الكريم ، ولكنه لم يستطع أن يستمر اكثر من أسبوع هرب بعده من عصا الشيخ القاسية ثم دخل مدرسة السويس الابتدائية قبل أن يبلغ السن القانونية للالتحاق

ويتحدث الدكتور احمد زكى عن أسرته فيقول : « نشأت فى أسرة محافظة لم يمسها الفقر كما كان الفقر فى ايامنا ، ولا الثراء ، كما كان الثراء فى ايامنا ، وكانت أسرة مما تجد فى بعض أركان حجراتها كتبا تقرأ ، وتجد ذلك فى اكثر من ركن ، وتجد فى الاركان قارئين » .

***

وكان احمد زكى صبيا عندما نقل والده الى القاهرة ، ودخل الصبى مدرسة عباس الابتدائية بشارع السبتية ببولاق ، ثم مدرسة التوفيقية الثانوية بشبرا وكلتا المدرستين بالقاهرة وحصل على البكالوريا عام ١٩١١ ، ثم التحق بمدرسة المعلمين العليا وحصل على الدبلوم عام ١٩١٤ فعين مدرسا للرياضة بالمدرسة السعيدية بالجيزة .

الدكتور أحمد زكى

وقامت الحرب العظمى الاولى فقررت الحكومة الغاء التعيينات التى تمت كجزء من التقشف الذى تستلزمه

ظروف الحرب ، وقد حرمته الحرب أيضا من السفر فى بعثة الى الخارج فاتجه الى التعليم الحر او المدارس

الاهلية كما كانت تسمى فى ذلك الحين فعين ناظرا لمدرسة انشاها الشيخ عبد العزيز جاويش وكان احد الشخصيات الاسلامية البارزة فى ذلك

الحين ، وما لبث ان فضل عليها مدرسة اخرى انشاها والد الفنان المعروف يوسف وهبى ، وهى مدرسة

وادى النيل الثانوية بالقاهرة ذلك لانصاحبها ارتبط معه بعقد، فى حين ان الشيخ عبد العزيز جاويش لم

يحرر معه عقدا ، وهكذا اصبح احمد زكى ناظرا لمدرسة ثانوية وهو فى الرابعة والعشرين من عمره ...

وهو يقول لنا عن تلك الفترة من حياته : « فى مدرسة وادى النيل ، ومحلها الان المدرسة الالمانية بباب اللوق بالقاهرة ، كنت أشرف على

طلبة سنهم اكبر من سنى وطولهم اكبر من طولى .. ولكن شاربى كان يفرق شواربهم جميعا ، فقد كان لى

شارب يبرم الى أعلى له شكل شارب « أبو زيد الهلالى » !... وكان هذا النوع من الشوارب هو موضة، ذلك العصر وكان فوق ذلك ضرورة ادبية

تحميني من الطلبة وتضفى على هيلمانا يساعدنى على ضبط المدرسة»

وفى اثناء نظارته لهذه المدرسة شبت ثورة عام١٩١٩ فى مصر فصدر أمر رئيس الوزراء حسين رشدى

بتعطيل المدارس ومنع المظاهرات بالقوة ... ويقول لنا الدكتور أحمد زكى أن مهمة المدارس فى ذلك الحين لم تكن تعليم التلاميذ فحسب ، بل تنظيم الاضرابات لمقاومة سياسة الحكومة الموالية للانجليز ، وقد نظم طلبته مظاهرة هتفت بسقوط رئيس الوزراء الموالى للاستعمار ، وهاجموا

مبنى جريدة المقطم القاهرية التي كانت تؤيد سياسة الانجليز ، فما كان من السلطات البريطانية الا أن أرسلت

فرقة كاملة من جنود الاحتلال للانتقام ولكن أحمد زكى استطاع بلباقة ودهاء أن يصرفهم دون أن يحققوا غايتهم .

وفى تلك الفترة اشترك الدكتور أحمد زكى فى تأليف هيئتين كان لهما خطرهما ، الاولى منهما لجنة

التأليف والترجمة والنشر وكان الباعث اليها أنه لا استقلال الا بالعلم والتثقيف ... والثانية نقابة المعلمين وكانت أولى النقابات التى تؤلف فى مصر وانتخب الدكتور احمد زكى سكرتيرا لها .

***

ومن ذكرياته عن حياته كمدرس قوله :

« كنا ونحن مدرسون حربا على الادارة القائمة لا تهنا ، وكانت المدرسة الاعدادية الثانوية معقلنا

الاول ، وكانت مدرسة وادى النيل معقلنا فى السنة الخامسة (للتخرجه)

التي قامت فيها الثورة عام ١٩١٩ ، واذكر اننا على وطنيتنا الملتهبة كنا قساة على الطلبة في هذه المدرسة أو تلك ، كنا كضباط الجيش المحارب اول ما يتطلبونه من الجند النظام ».

ومما يدل على تماسك جيل احمد زكي وعيه الكامل بمتطلبات وطنه الذي كان يعاني من التخلف وبطش المستعمر ... وفي ذلك يقول لنا : « واعجب ما في هذه المرحلة ان التنافس على تحصيل العلم في حجرات الدرس كان صراعا ، بحسب انه بعض الصراع القائم خارج تلك الحجرات وان اختلفت الادوات ، كنا نعلم ان البلاد لا خلاص لها الا بانتشار الثقافة والتعليم ، فعبينا من بحرها عبا .. »

●●●

وبعد انتهاء الحرب سافر الدكتور أحمد زكي الى انجلترا والتحق على نفقته بجامعة نانتجهام متخصصا في الكيمياء ، وهناك عرف جديدا من المبادىء والعلاقات الانسانية الناضجة

ثم التحق بجامعة ليفربول حيث قضى اربع سنوات ،وهناك رأى البرت اينشتين صاحب نظرية النسبية . ومن هذه الجامعة نال اجازة الدكتوراة ثم التحق بجامعة مانشستر متفرغا للبحث العلمي . وقد بعثت به هذه الجامعة الى النمسا ليعمل بجامعة جراتس ـ كما حصل على الدكتوراه للمرة الثانية من جامعة لندن في العلوم البحتة ، وكان واحدا من أول اثنين في الشرق الاوسط كانايحصلان على هذه الشهادة الرفيعة ..

وفي لندن قابل طالبة منسكوتلانده فتزوجها وهو يقول انها المرأة الوحيدة في حياته ، فلم يعرف قبلها أو بعدها واحدة من النساء ، وعاد من الخارج الى وطنه مصر عام ١٩٢٩ فاشتغل استاذا مساعدا في الكيمياء بكلية العلوم ثم حصل على كرسي الاستاذية بعد سنوات . ثم واجه محنة السياسة فقد انتخبهالاساتذة بالاجماع عميدا للكلية ، ثم حال بينه وبين منصب العميدعدم انتمائه الى الاحزاب السياسية ...

وما لبث أن عين سكرتيرا للمجلس الاعلى للبحوث العلمية بالقاهرة ثم مديرا له عام ١٩٤٥ بدرجة وكيل وزارة . وفي عام ١٩٥٢ عين وزيرا للشئون الاجتماعية المصرية ، وفي اغسطس عام ١٩٥٣ عين مديرا لجامعة القاهرة ، ثم استقال من ذلك المنصب في سبتمبر عام ١٩٥٤ .

وقد رأس تحرير مجلة الهلال الشهرية ، القاهرية ، ثم انتقل الى الكويت منذ خمس عشرة سنة ليتولى رئاسة تحرير مجلة العربي . ومن فوق منبر هذه المجلة يقدم كل شهر لقراء العربية من المحيط الى الخليج وفي عديد من دول العالم الاخرى ـ عطاء ثقافيا وفيرا وزادا فكريا رفيع المستوى ، اخذا في اعتباره حاجات الانسان العربي ، فهو يقدم له العلم والتاريخ والشخصيات البارزةاسلامية وعالمية ، ومقالاته السياسية دليل بليغ على ما يتمناه لوطننا من خير وتقدم وازدهار ...

تحية الى العالم الكبير في عيد ميلاده الثمانين .

على إبراهيم الكرار

طرائف لحن ونوادر نحو



كنت بالسودان مدرسا أول للغة العربية بالمدرسة الثانوية المصرية فى الخرطوم فى الفترة بين عام ١٩٤٥ ، و١٩٥٣

ونشأت بينى وبين بعض الاخوة هناك علاقات مودة وصداقة .

والسودانيون يمتازون بالظرف ، والنشوة للنكتة ، والشغف بالثمر الثقافى المصرى الحديث ، والاعتزاز بالعروبة ..

وكان الاستاذ النور ابراهيم احد هؤلاء الاصدقاء ، وكان الى جانب ثقافته العربية وشاعريته صيادا ماهرا ...

وكنا نخرج فى رحلات الى وادى سيدنا لصيد التماسيح ، ومنطقة الشجرة لصيد الوزين (البط البرى) وكان معنا فى احدى الرحلات . زميل للنور اسمه النذير : وكان النور يعلل تسميته بالنذير لولادته قبل الحرب العالمية الاولى .

وفى احدى الرحلات اطلق النذير بندقيته على سرب من الوزين فصرخ وطار ، وصاح النذير : لقد اصبت واحدة ! ..

وكذبه النور ، فقال : « ان لم اكن رميتها ، لقد كسرت رجلها ، وافسدت عليها حياتها !

وكانت مكتبة الثقافة بأم درمان لصاحبها الشيخ حسن بدر مرادا للمثقفين من قارئى الكتب الحديثة ، ومشترى الصحف المصرية ...

مع قراء
الهلال

باب جديد يقدمه

الهلال

في العدد القادم

● منبر للآراء والأفكار
● قضايا ومناقشات
● ردود على رسائل القراء

وكان النور يلقب الشيخ حسن بدر بلقب « حامل الثقافة المصرية » وكان الشيخ حسن بدر يعترض ، ويرد في عنف :

ان النور ابراهيم ينحدر من سلالة اعجمية ، وقد توارث اجداده العجمة حتى وصلت الى أبيه ! .

« تصور انه ولد على أبيه « في الدويم » ضيف ، فقال لزوجته أم النور : « قومي يا وليه اذبحي للضيف الدجاجة الذكر ! تصور .. كيف غلبت العجمة على أبيه فلم يستطع التفريق بين الديك والدجاجة »

وقد كتبت في هذا الموضوع مقالا ادبيا دافعت فيه عن النور ابراهيم ، واثبت اصالة عروبته .. وايدت رأيي بالنصوص الفصيحة .. التي تثبت ان اجداد النور عرب « قح » فالديك عند العرب دجاجة ، والدجاجة ديك ، واستشهدت بما جاء في كتاب الكامل للمبرد ، والمبرد من كبار البصريين في النحو واللغة ...

ورد في كتاب الكامل ما يأتي :

« قال الاخطل :

نازعتهم طيب الراح الشمول وقد
صاح الدجاج ، وحانت وقعة الساري

والدجاج هنا الديوك ، لأنه يقال للديك : دجاجة ، فان اردت الانثى قلت هذه دجاجة ، » وكذلك هذا بطة ، وهذه بطة ، وهذا حمامة وهذه حمامة وهذا عقرب وهذه عقرب وهذا حية وهذه حية ... ففي الجميع، ان اردت الذكر قلت : هذا ... ، وان اردت الانثى قلت : هذه ...

قال جرير :

لما تذكرت بالديرين ارقني
صوت الدجاج وقرع بالنواقيس

اى صوت الديوك

وقال ايضا :

ان الحفافيش منكم يا بني لجا
يطرقن حيث يصول الحية الذكر

ومعنى البيت : ان الاناث من الحفافيش .. (الحيات - الفرد حفاش) تغمضن عيونهن ، ويتركن الحية الذكر ، يصول ويصيد ...

وقد كان لهذه النصوص الفصيحة: التي اثبتت ان الديك عند العرب الخلص دجاجة ، والدجاجة ديك اثرها القوى في تركيد اصالة النور في عروبته ، وبقى الشيخ حسن بدر متمتعا بلقبه « حامل الثقافة المصرية » . وأظنه بدأ يبحث للنور عن ثغرة أخرى ...

رحم الله من مات منهم ، وأطال بقاء من حي . فقد طال البعد عنهم ، وانقطعت الاخبار منهم .

● علي ابراهيم الكرار ●

● المفتش بالتعليم الثانوي - سابقا ●

د. عبده بدوى

علي أحمد باكثير

في ذكراه .. الخامسة

أى ثراء فى حياة هذا الرجل الرحالة الذى عرف كيف يتجول - كاعمق ما يكون التجول فى العديد من البلدان والعديد من الافكار ؟ ومع كل هذا الخصب والتدفق والحيوية والمقاومة التى كان يتمتع بها على احمد باكثير ، الا انه كان يحمل فى عقله - وقلبه دائما - الولاء للعروبة وللاسلام ، فهو رجل قد سبح سباحة شديدة فى ثقافة الغرب ، وكدح كدحا متواصلا فى ثقافة الشرق ، وهو قبل ذلك - وفى اثناء ذلك - قد تخفف من اشياء كثيرة بجىء فى مقدمتها الانحصار فى وطن صغير ، او اسرة تثقله بالاعباء ، فقد كان وطنه العالم العربى ملتحما بالعالم ، وقد كان اولاده العديد من القصائد والبحوث والقصص والمسرحيات ، ومن هنا فقد اخلص نفسه للكلمة المغناة ، او المسرودة ، او المحاورة ، وفى ضوء هذا كانت حياته - ثم موته - ملحمة تموج بالاحداث ، والصراع ، واخيرا فقد كان موته كموت بعض ابطال التراجيديا ، مليئا بالمرارة وبعالم يحسب له حسابا .. وبالكلمة !

ولد على أحمد باكثير عام ١٩١٠ في بلدة « سورابايا » بأندونيسيا ، لأبوين عربيين، بل ممعنين في العروبة ، وكعادة الحضارمة ـ والعرب القدامى ـ أرسلوا

ولدهم الى حضرموت ليعيش في عالمهم القديم ولغتهم القديمة فقد كان يعز على هذه الأسر أن تقطع صلتها

بالعالم الذي هاجرت منه ، ومن ثم كان عليهم أن يربطوا بين عالمهم القديم وعالمهم الجديد بالأبناء !

ولقد كان على أحمد باكثير

واحدا من هؤلاء الذين أريد منهم خدمة هذه الغاية ، وفي حضرموت

استقام لسانه ، وازدهرت جمله



ووجد نفسه يغوص في العديد من كتب التراث ... بالاضافة الى القرآن الكريم ، وفي هذا العالم

الشرقي الخالص وجد البديل عن الأسرة البعيدة ، وعن تلك الذكريات

المتفرقة التي كانت تهب عليه من « سورابايا » ...

ومع أنه كان المطلوب منه بعد فترة أن يرفع جناحيه عن هذا العالم العربي ، ثم تكون عودته الى

اندونيسيا ، الا أن حبه لحضرموت قد أثقله عن الذهاب ، خاصة وأنه عرف في هذه الفترة الحب

بشوق ولهفة ، ثم كان زواجه بمن أحب في هذا الوقت المبكر ، ولكن الموت ـ كما يفعل في العديد من

أعماله ـ قد تدخل فجأة ثم صفى هذه العلاقة ، والنزل بعلى أحمد باكثير نازلة زلزلت أعماقه ، وافتقد

تماسك النفس ، وتماسك الوطن ، ومن ثم أحس بالغربة والاغتراب معا ، وكان عليه أن يوجه وجهه نحو

العديد من البلدان طالبا للسلوى وهدوء النفس ، فكان تطوافه في

العديد من بلاد اليمن ، ثم كان تعريجه على الصومال .

وفي كل ذلك كانت مشاعره تحتدم ، وأحاسيسه تصرخ ، وكان أن فكر في الذهاب الى مكة والمدينة،

ولم يطل به التفكير فقد وجد نفسه مطوفا حول الكعبة ، وساعيا بين الصفا والمروة ، وجالسا في هذا

المكان الذي وصف بأنه روضة من رياض الجنة في الحرم النبوي ، ثم كانت رحلته الى الطائف .

واذا كان على أحمد باكثير قبل

علي أحمد باكثير

ذلك لم يعرف الا القصيدة الغنائية البسيطة ، الا انه في مكة فكر ثم

كتب عملا كبيرا مركبا سماه « نظام البردة أو ذكرى محمد صلى الله عليه وسلم » ، وقد جاء في نهايتها

قوله « .. يقول ناظم هذه الذكرى كان نظمي لها بمكة المكرمة قبيل ذهابي لزيارة المدينة المنورة في

اوائل شهر رجب الحرام سنة ١٣٥٢ والحمد لله اولا واخرا » ولقد طرح عليه هذا العمل الكبير هموم وطنه

حضرموت ، ثم همومه الخاصة بفقد زوجه ، فهو يقول :

وارجع الطرف في « الاحقاف » غارقة
في الجهل فوضى بلا عدل ولا نظم
تفننت في ملاذ العيش تاركة

ما تقتضيه .. فلم تفطر ولم تصم
والخلف محتكم فيها يمزقها

حتى يغادرها لحما على وضم
كيف القرار على حال يذوب لها
قلب الكريم ويجرى دمعه بدم !
والحب يقصر من خطوى وهل عرفت
(معبودة الحب) مثلى عابدا صنمى !

اوفى واقوم في هجر وفي صلة
منى بحفظ عهود الحب والذمم
بليت فيه بخطب لا عزاء له
الا اللقاء بدار الخلد والسلم
ولن يزال وطيس الحب في كبدى

يرمى بذى شرر كالقصر مضطرم !

ثم نراه بعد فترة في الطائف واذا كان في الفترة السابقة له كان اسيرا للتراث العربي بصفة عامة وللمتنبي والبحتري بصفة خاصة ، فاننا نراه في هذه الفترة اسيرا لاحمد شوقي ، وبخاصة شعره المسرحي ، ومن هنا نراه يكتب اول مسرحية شعرية بعنوان « همام أو في عاصمة الاحقاف » ، وباكثير

يسقط شخصيته على « همام » الثائر على تخلف مجتمعه وطبقيته ، ويسقط مأساته بزوجه على البطلة المسماة « حسن » ...

صحيح انها كما يقول باكثير (١) لا تخرج عن كونها قصائد ومقطوعات من الشعر بين رقيق وجزل يجمعها موضوع واحد ، وينتظمها اطار واحد ، الا انه لا يمكن تسميتها مسرحية شعرية جادة تطرح قضية

اجتماعية في المقام الاول على المسرح العربي ، وبهذا يكون باكثير صاحب صوت جهير — من فترة كبيرة — في الاصلاح الاجتماعي ، والحض على الثورة ، والدعوة الى التجمع العربي .

***

ثم يدفع القلق الفني باكثير الى الذهاب الى مصر عام ١٩٣٣ ، ويكون التحاقه بقسم اللغة الانجليزية بكلية الاداب ، حين عرف أنه من خلاله سيدرس الشعر الرفيع ، وأن هذا النوع من الدراسة سيصقل موهبته ، ويساعده على ان يكون « شاعرا كبيرا » ..

وما يكاد يمضى عام على التحاقه بهذا القسم حتى يصاب ببلبلة نفسية، لان هذا النوع من الدراسة قد غير مفاهيمه ، وغير نظرته لمفهوم الادب، ولقد انجذب بحماسة الى المسرح ،

(١) فن المسرحية من خلال تجاربي — ص ٣

وبخاصة مسرح شكسبير ، وفي هذه الفترة المكثفة وجد نفسه يصمت صمتا تاما عن قول الشعر ، فلما وجد استاذه يؤكد ان اللغة الانجليزية اختصت بالبراعة في « الشعر المرسل » ثم قال :

وم المؤكد الا وجود لهذا النوع من الشعر في « لغتكم العربية » — اعترض قائلا :

« اما انه لا وجود له في ادبنا العربي فهذا صحيح لان لكل امة تقاليدها الفنية ، ومن تقاليد الشعر العربي التزام القافية ، ولكن ليس ما يحول دون ايجاده في العربية ذلك لانها لغة طيعة تتسع لكافة اشكال الادب والشعر ...

وكان على باكثير ان يسير بالتحدى الى غايته ، ومن ثم اقدم على ترجمة مسرحية — روميو وجوليت — وكان قد ترجم من قبل بالشعر المقفى فصولا من مسرحية الليلة الثانية عشرة — بعد أن وجد نفسه اسيرا للتفعيلة بحر المتقارب ثم كان أن ارسل نفسه ارسالا حتى تم هذا العمل مع خروج احيانا على تفعيلة « فعولن » .

وقد يقال انه بعمله هذا يكون قد خرج من دائرة مصطلح « الشعر المرسل » الى دائرة « مصطلح الشعر الحر » دون أن يدرى .

« وكلا المصطلحين يختلف عن أسلوب الشعر الحديث » (١) ولكن باكثير كان على وعي بما يعمل فهو يقول : اتفق أن جاء الوزن في بحر المتقارب (فعولن فعولن فعولن فعول) دون أن أعي بما ينطوى عليه ذلك من الدلالة ، ثم مضيت في عملي مرسلا نفسي على سجيتها في اختيار ما يناسب المقام من البحور والأوزان ، فاكتشف بعد لأى أن البحور التى تصلح لهذا الضرب الجديد من الشعر هى التى تكون تفعيلة واحدة مكررة .. الخ

وهو يقول : والنظم الذى تراه في هذا الكتاب هو مزيج من النظم المرسل المنطلق والنظم الحر ، فهو مرسل من القافية ، وهو منطلق لانسيابه بين السطور (٢) ..

وبهذا يكون باكثير — كما قيل — اكثر من جيل المجددين بعده جراة، وأشد طموحا وقد كان لابد من خروجه على التفعيلة الواحدة ، لانه كان يعالج نوعا من الشعر الموضوعي ، والتلوين الصوتي ، ووفاء بما تستلزمه الجملة الحوارية من طول أو قصر ، ثم ان الخروج

(١) مجلة المسرح — العدد ٧٠
(٢) محاضرات في فن المسرح — ص ٢٥ مقدمة روميو وجوليت ص ٣

علي أحمد باكثير

عنده كان الى التماثل والمشابه لا الى التنافر التضاد ، ومن هنا فلا يجب ان نحصره في مصطلحي الشعر المرسل او الشعر الحر ، لان ما كان يهمه اساسا هو توسيع العربية بما تطيق ... وقد فعله !

على ان اهتمام باكثير بالشعر المرسل لم يقف عند المسرح ، وانما ظهر في عدد من قصائده ، وبخاصة القصائد المترجمة على نحو ما نعرف من ترجمته لقصيدة « لحظات التجلي » للشاعر الانجليزي « جورج هربرت » .

على ان باكثير بعد ان كتب « اخناتون ونفرتيتي » رأيناه يذهب الى ان النثر هو اللغة الطبيعية للمسرح ، وان الشعر لا ينبغي ان يكتب به غير المسرحية الغنائية التي يراد بها ان تلحن وتغنى وهي « الاوبرا » على نحو ما فعل في مسرحيته « قصر الهودج » التي لم يتقيد فيها ببحر واحد ، وانما تجول في البحور حسبما تقتضي حالات التعبير المختلفة ، بالاضافة الى التنويع في الموسيقى .

المهم ان باكثير اذا كان رائدا للاصلاح الاجتماعي والسياسي في « همام او في عاصمة الاحقاف » فانه كان رائدا — بلا منازع — للشكل الجديد في الشعر ، في المسرح وفي القصيدة الغنائية معا ... واذا كان قد ادخل على القصيدة الغنائية البسط القصصي والعرض الدرامي ، والسرد التاريخي على نحو ما هو معروف في العديد من قصائده ، فان آخر عمل مركب كتبه بعنوان « اما تكون ابدا او لا تكون ابدا » يعتبر ثراء للقصيدة العربية ، وخطوة متجاوزة لشكلها المتوارث .

على كل فان باكثير بعد تخرجه في كلية الاداب ، تخرج في معهد التربية للمعلمين عام ١٩٤٠ وغاص في بحر التدريس اربعة عشر عاما ، ثم كان انتقاله الى وزارة الارشاد ، التي تحولت الى وزارة للثقافة ، وفي الاعوام الاخيرة لم يعرف له مكتبا او وظيفة ، ومع انه كان من المعتقد انه كان سيزدهر في وزارة الارشاد ، الا انه حين نقل الى مصلحة الفنون — وقد كان جهيرا في هذه الفترة — طلب منه أن يتأنى في تقديم اعماله حتى لا يتهم العاملون في المصلحة باستغلال النفوذ ، ثم كان تجاهل « المسرح القومي » له ، بعد أن كان فارسه الذي لا يبارى ، ولقد قابل هذا التحدي بتحد من نوع اخر ، فعكف على العديد من مسرحياته ، ثم كان يسعى سعيا حثيثا لدى المسئولين واللجان ، ولكن جهده قد ضاع لانه كان هناك تصميم على تنحية باكثير عن عرشه المسرحي ، ثم كان اتجاهه الى نشر ما يكتب للمسرح ، ومع ان ثلاثة اعمال نشرت له ، الا ان عملين منهما لم يغادرا المطبعة الا الى المخازن ، ولقد كان حزنه لهذا بالغا ، وبخاصة حين عرف ان احد المسئولين يفكر جديا في تجميع ما في المخازن و « عجنه » ليكون مادة اولى لصناعة الورق ، ولقد كان ما قاله : انه سيسبق هؤلاء العابثين ، وسيعجنهم في مسرحية بعنوان « المعجنة ! » .

وقد يتوهم البعض ان باكثير كان رجل المسرح المقل قبل الثورة .

او قبل فترة حجب اعماله ، ولكن الحقيقة تؤكـــد انه كان دائما ـ كالتزام جاد ـ يشــق طريقه بين الصخر ، فهو مثلا حين قدم مسرحيته « مسمار جحا » اشفق المســئولون من تمثيلهــــا ، فلقد كانت بحــق ارهاصــــا بثورة الفدائيين على الانجليز فى منطقة القنــال ، ولقد اقترح عليه حذف الجانب السياسى منها والاقتصار على ابراز الجــانب الاجتمــاعى ، كما اقترح عليــه ان تســـمى « حجا وابنه » بدلا من « مسمار جحا » ، المهم انها ظلت مؤجلة داخــل المسرح ، حتى كان اندلاع الثورة فى منطقة القنـــاة ، وكان لا بد للمسرح القـــــومى ان يستجيب للرأى العــام فى مصر ، وكان ان رأى هــــذا العمل النور

.. ثم لقد كانت قصة « الثـــائر الاحمر » ارهاصا بالاشتراكية العربية وكانت مسرحيـــة « مأساة اوديب » صرخة فى وجه الاقطاع ، وباقى اعمال باكثير تدعو فى ذكاء الى الثورة على الحكم الفاسد ، والى التحــذير من

أحمد شوقى : تأثر باكثير بمسرحياته الشــــعرية



قيـــام اسرائيـــل ، وعلى الشرور التى نشأت عن قيامها .. وفى ضوء هذا تظل قضية ابعـــاد باكثير عن المسرح ، وابعاده عن الوظيفة التى تليق به فى العمل ، وابعاده عن كافة دوائر الضــــوء ـ جريمـــــة من جرائم العصر ، وعارا معلقـــا على الحياة الادبية .

واخيرا ... فقد كان باكثير عازما على الهجرة من مصر فى الفـــترة الاخيرة ، ولقد كان من أقواله : لان اكون راعى غنم فى حضرموت ، خير لى من هذا الصمت الميت ، ولم يهدأ هذا الخاطر فى نفسه الا حين زار وطنه اخيرا ثم عاد مهرولا وهو يقول لقد ذبحونى فى كل العالم العـــربى حين ذبحونى هنا ، فهم هنـــاك لا يتحدثون الا عن الاسماء التى تعوم فى بريق الصحف والمجلات العربية

وبعد هذا اخذ باكثير يتــداعى ، وينفعل لاوهى الاسباب ، ولم يعــد جسمه يطيق أحزانه وانفعاله ، ثم كان لا بد أن تتحقق له امنية بعيدة وهى الموت فى مصر ، فهو القائل :

ليت شعرى ان يحن فيك حمامى
ترتوى من حبك العـــذب عظامى
ام يظل الدهر ليهفى واوامى ؟
آه أن طال بواديك مقــــامى
هل تضمين رفاتى بحنـــان ؟

ولقد تحقق له هذا فى العاشر من نوفمبر عام ١٩٦٩ ، بعد حياة حافلة لن يضيع أثرها لانها أقوى من الموت ولانها ـ اخيرا ـ كانت تعبيرا عن عبقرية العقلية العربية ـ واللغـــة العربية ـ وهى تقاوم الشر ، والضحالة والخبث !

رحم الله باكثير فقد قتل بضراوة قاتليه ، وبينما يلف العدم كل الذين خوضوا فى دمه ، نراه ينهض باعماله جليلا ، ومهابا ، وقادرا على الاستمرار فى الصميم من الحياة ، والصميم من الحركة الادبية .

حسين طنطاوى

الشعر الحلمنتيشى..

لا تنم زعلانا

مهما جرالكَ — لا تَنَمْ زعلانا
مَنْ نامَ (زعلاناً) — صَحَا (عيّانا)
كم عِلةٍ جاءَتْ — لمن هو بايتٌ
بالليلِ يشكو — قائلاً (آه يانا)
لا تبكِ يوماً (بالدموعِ) فإنها
مهما جرَتْ — لا تنفعُ الإنسانا
هى تجرحُ الخدَّين — فى جَرَيانِها
وتورِّمُ الرمشَينِ — والأجفانا
إنَّ البُكا طَبْعُ العيالِ — فلا تكُنْ
طفلاً (يَعيِّط) جائعاً — شَبْعانا
إنَّ البُكا طبعُ الحريمِ — ومَنْ بكى
بالدمعِ أصبحَ يُشبِهُ النسوانا

***

إنْ كنتَ ترغبُ — أنْ تعيشَ بصحةٍ
إنسَ الهمومَ — وخاصمِ الأحزانا
إنْ كنت ترغبُ ـ أنْ تعيشَ كوَيساً
عِشْ دائماً — متبسماً — فرحانا
خلِّى ابتسامَكَ عَ الشفايفِ — يا أخى
(كالنورِ) دايماً يجذبُ الخِلانا

واضربْ همومكَ ـ كلّما قابلتَها
بالبُوكسِ ـ بالشلوتِ ـ بالخرزانه
وإذا رأيتَ الحزنَ ـ يوماً ـ داخلاً
فى البيتِ ـ فاخرُجْ هارباً طفشانا
وإذا سمعتَ (عياطَ ستٍّ) فابتعِدْ
أو سَكّرِ الأبوابَ ـ والآذانا
وإذا رأيت الضحكَ يوماً ـ ماشياً
فى شارعٍ ـ فافتحْ لهُ الأحضانا
•••
إضحكْ ـ فإن الضحكَ ـ نورُ حياتِنا
بل أجمَلُ الأشياءِ ـ فى دُنْيانا
الضحكُ أحسنُ مِ الطعامِ لجسمِنا
ومن اللوا ـ معَ أنّه مجّانا
للضحكِ (حسٌّ) كالغُنا ـ بل إنّهُ
فى الوِدْنِ ـ يشبهُ بُلْبُلاً ـ كروانا
أما العياطُ (فحِسُّهُ) يا صاحبى
فى الوِدْنِ ـ يشبهُ بومةً ـ غِرْبانا
والضاحكونَ ـ لهم خدودٌ حمرةٌ
وكأنها ـ تفّاحةٌ ـ رمّانة
والزّعلانون ـ لهم خدودٌ صفرةٌ
هى (كُرْكُم) فى لونِها ـ أحيانا
فاضحكْ ـ وإنى فاتحٌ لكَ يا أخى
(وِدْنى) لأسمَعَ ضحكةً رنّانه
مهما جرالكَ ـ لا تنمْ زعلانا
مَنْ نامَ زعلاناً ـ صحا عيّانا


شركة الاسكندرية للمنتجات المعدنية
٧٢ شارع الشهيد جلال الدسوقي ـ الحضرة اسكندرية ت ٧٠٥٣٣/٧١٧٦١ ص ب ٣٨٦ اسكندرية
AMPCO
امبكو
SILEC
La Cooperation Franco-Arabe dans le domaine de la Signalisation routière "SILEC" Paris "AMPCO" Alexandria
التعاون العربي الفرنسي في مجال تنظيم المرور الالكتروني بين شركة "سيلك" كبرى الشركات العالمية الفرنسية وشركة "امبكو" الاسكندرية للمنتجات المعدنية

نحن هنا

نحن هنا مواكب على مشارف الافق ..
النور من عيوننا ... ومن دمائنا الشفق

الفجر فى اهدابنا
والنصر فى ركابنا

آتون كالاعصار .. كالصواعق
فزغردى ياصرخة البنادق !

الوطن الحبيب فى انتظارنا
لن ينعم المحتل فى ديارنا

وفى العروق قطرة من الدماء تحترق !
نحن هنا مواكب على مشارف الافق

لنا مع الكفاح موعد
فلتصمدوا .. فلتصمدوا

لن يستقر غاصب فى أرضنا
الغاصب المحتل فى جحيم نارنا

سيحترق .. سيحترق
نحن هنا مواكب على مشارف الافق ...

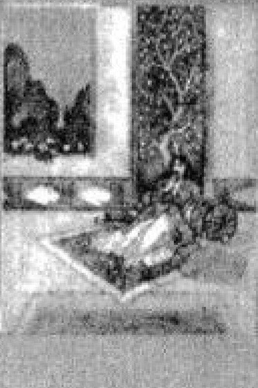
● راضي صدوق ●

كليوباترا ..
بريشة الفنان : جمال قطب



● الغلاف الأول ●

شهرزاد .. كما تخيلها
الرسام الفرنسي ادموند



● الغلاف الأخير ●

